المجلد الاول من لباب التأويل في معاني التنزيل
للشيخ علاء الدين علي بن محمد بن ابراهيم البغدادي المعروف
المعروف بالخازن

س ١

٢١

T. C.
MİLLİ EĞİTİM BAKANLIĞI
RAGIP P. ŞA KİT PH NESİ
MÜDÜRLÜĞÜ
Sayı: 160/1

حسبي الله وحده
من الكتب التي وقفها الفقير
الى الله ربه ذي المواهب
محمد المدعو بين الصدور براغب
١١٧٥ وقف عبده

٢١٨

RAĞIP P.
Ka. N
217
218

سورة الفاتحة ٨	سورة البقر ١٢	سورة ال عمران ١٣٥
سورة النساء ٢٠٧	سورة المائدة ٢٨١	سورة الانعام ٣٣٧
سورة الاعراف ٣٨٦	سورة الانفال ٤٤٤	سورة التوبة ٤٧٥
سورة يونس ٥٣٢	سورة هود ٥٥٦	سورة يوسف

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي خلق الاشيا فقدرها تقديرا وصور شكل الانسان فاحسنه
تصويرا ومنحه بالعقل وجعله سميعا بصيرا وشرفه بما عرفه من العلم ونور
قلبه تنويرا وهداه الى معرفته فنال بها معرفة وفضلا كبيرا واطلق لسانه
فاذعن بشكره تحميدا وتهليلا وتكبيرا وارسل محمدا صلى الله عليه وسلم الى كافة
الخلق بشيرا ونذيرا وانزل عليه كتابا منيرا واودعه حكمة وحكما وترغيبا وتحذيرا
والهم حفاظه تلاوة وتحبيرا وعلم عباده علومه تفهيما وتبصيرا وضرب فيه
الامثال لمزيل جهالة وتحييرا وجعله برهانا واضحا وصوابا لائحا ووفر فضله توفيرا
في الصدور محفوظا وبالالسنة متلوا وفي الصحف مسطورا يهدي للتي هي
اقوم ويبشر المومنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا كبيرا وجعل كل بليغ
من الاتيان بسورة مثله حسيرا قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا
بمثل هذا القران لا ياتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا احمده على تواتر
انعامه حمدا كثيرا واتوكل عليه مفوضا امري اليه ومستجيرا واشهد ان لا اله الا الله
وحده لا شريك له شهادة يغدو قلب قائلها مطمئنا مستنيرا واشهد ان سيدنا
محمدا عبده ورسوله الذي كساه من فضله عزا ومهابة ولوقرا صلى الله عليه وعلى
اله واصحابه كما اذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا وبعد فان الله جل
ذكره وتقدس امره ارسل رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق
ليظهره على الدين كله رحمة للعالمين وبشير الآملين ونذير المومنين اكمل به
بنيان النبوة وختم به ديوان الرسالة واتم به مكارم الاخلاق ونشر فضله في
الافاق وانزل عليه نورا واهدى به من الضلالة وانقذ به من الجهالة وحكم بالفوز
والفلاح لمن اتبعه وبالخسار لمن اعرض عنه بعد ما سمعه واعجز الخلائق عن معارضته
حين تحداهم على ان ياتوا بسورة من مثله في مقابلته ثم سهل على عباده المومنين
مع اعجازه تلاوته ويسر على الالسن قراءته امر فيه وزجر وبشر وانذر

وذكر

وذكر المواعظ ليتذكر وضرب فيه الامثال ليتدبر وقص فيه من اخبار الماضين ليعتبر
ودل فيه على ايات التوحيد ليتفكر ثم لم يرض منا بسرد حروفه دون حفظ حدوده
ولا باقامة كلماته دون العمل بمحكماته ولا بتلاوته دون تدبر اياته ولا بدراسته
دون علم حقائقه وتفهم دقائقه ولا حصول لهذه المقاصد منه الا بدراية تفسيره
واحكامه ومعرفة حلاله وحرامه واسباب نزوله واقسامه والوقوف على ناسخه
ومنسوخه في خاصه وعامه فانه ارسخ العلوم اصلا واسبغها فرعا وفصلا
واكرمها نتاجا وانورها سراجا فلا شرف الا وهو السبيل اليه ولا خير الا وهو
الدال عليه وقد قيض الله له رجالا موفقين وبالحق ناطقين حتى صنفوا
في سائر علومه المصنفات وجمعوا سائر فنونه المتفرقات كل على قدر فهمه ومبلغ
علمه نظرا للخلف واقتداء بالسلف فشكر الله سعيهم ورحم كافتهم ولما كان كتاب
معالم التنزيل الذي صنفه الشيخ الجليل والحبر النبيل الامام العالم الكامل محيي السنة
قدوة الامة وامام الائمة مفتي الفرق ناصر الحديث ظهير الدين ابو محمد الحسين
بن مسعود البغوي قدس الله روحه ونور ضريحه من اجل المصنفات في علم التفسير
واعلاها وانبلها واسناها جامعا للصحيح من الاقاويل عاريا عن الشبه والتصحيف
والتبديل محلى بالاحاديث النبوية مطرزا بالاحكام الشرعية موشى بالقصص
الغريبة واخبار الماضين العجيبة مرصعا باحسن الاشارات مخرجا باوضح العبارات
مفرغا في قالب الجمال بافصح مقال فرحم الله تعالى مصنفه واجزل ثوابه وجعل الجنة
منقلبه وماله ولما كان هذا الكتاب كما وصفت احببت ان انتخب من غرر
فوائده ودرر فرائده وجواهر نصوصه مختصرا جامعا لمعاني التفسير ولباب التنزيل
والتعبير حاويا لخلاصة منقوله متضمنا لنكته واصوله مع فوائد نقلتها وفرائد
لخصتها من كتب التفاسير المصنفة في سائر علومه المؤلفة ولم اجعل لنفسي تصرفا
سوى النقل والانتخاب مجتنبا حد التطويل والاسهاب وحذفت منه الاسناد
لانه اقرب الى تحصيل المراد فما اوردت فيه من الاحاديث النبوية والاخبار
المصطفوية على تفسير اية او بيان حكم فان الكتاب يطلب بيانه من السنة
وعليهما مدار الشرع واحكام الدين عزوته الى مخرجه وبينت اسم ناقله وجعلت
عوضا عن كل اسم حرفا يعرف به ليهون على الطالب طلبه فما كان من صحيح ابي عبد الله
محمد بن اسماعيل البخاري فعلامته قبل ذكر اسم الصحابي الراوي للحديث خ وما
كان من صحيح ابي الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري فعلامته م وما كان مما اتفقا
عليه فعلامته ق وما كان من كتب السنن كسنن ابي داود والترمذي والنسائي
فاني اذكر اسمه بغير علامة وما لم اجده في هذه الكتب ووجدت البغوي
قد اخرجه بسنده انفرد به قلت روى البغوي بسنده وما رواه البغوي

باسناد الثعلبي قلت روى البغوي باسناد الثعلبي وما كان فيه من احاديث ائمة
والفاظ متغيرة فاعتمده فاني اجتهدت في تصحيح ما اوجدته من الكتب المعتبرة
عند العلما كالجمع بين الصحيحين للحميدي وكتاب جامع الاصول لابن الاثير الجزولي
ثم اني عوضت عن حذف الاسناد شرح غريب الحديث وما يتعلق به ليكون
اكمل فائدة في هذا الكتاب واسهل على الطلاب وسقته بابلغ ما قدرت
عليه من الايجاز وحسن الترتيب مع التسهيل والتقريب وينبغي لكل مولف
كتابا في فن قد سبق اليه ان لا يخلو كتابه من خمس فوائد استنباط كل شئ
كان معضلا او جمعه ان كان متفرقا او شرحه ان كان غامضا او حسن نظم و
تاليف او اسقاط حشو وتطويل وارجو ان لا يخلو هذا الكتاب عن هذه
الخصال التي ذكرت وسميته **لباب التاويل في معاني التنزيل** والله تعالى
اسال التوفيق لاتمام ما قصدت واليه ارغب في تيسير ما اردت وان يجعله خالصا
لوجهه الكريم وان يتقبله مني انه هو السميع العليم وهو حسبي ونعم الوكيل عليه
توكلت واليه انيب وقبل ان اشرع في الكلام على التفسير اقدم مقدمة تتضمن
ثلاثة فصول **الفصل الاول** في فضل القران وتلاوته وتعليمه م عن زيد بن
ارقم قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فينا خطيبا بماء يدعى خما بين مكة والمدينة
فحمد الله واثنى عليه ووعظ وذكر ثم قال اما بعد الا يا ايها الناس انما انا بشر يوشك
ان ياتيني رسول ربي فاجيب واني تارك فيكم ثقلين اولهما كتاب الله
فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به فحث على كتاب الله ورغب
فيه ثم قال واهل بيتي اذكركم الله في اهل بيتي اذكركم الله في اهل بيتي زاد في رواية
كتاب الله فيه الهدى والنور من استمسك به واخذ به كان على الهدى ومن اخطاه
ضل وفي رواية كتاب الله هو حبل الله من اتبعه كان على الهدى ومن تركه كان على
ضلالة وفي رواية الترمذي عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني تارك فيكم ما ان
تمسكتم به لن تضلوا بعدي احدهما اعظم من الاخر وهو كتاب الله حبل ممدود من
السما الى الارض وعترتي اهل بيتي لن يفترقا حتى يردا على الحوض فانظروا كيف
تخلفوني فيهما م عن عمر بن الخطاب قال اما ان نبيكم صلى الله عليه وسلم قال ان الله
تعالى يرفع بهذا الكتاب اقواما ويضع به اخرين م عن الحارث الاعور قال مررت
في المسجد فاذا الناس يخوضون في الاحاديث فدخلت على علي فقلت يا امير
المومنين الا ترى الناس قد خاضوا في الاحاديث قال او قد فعلوها قلت نعم
قال اما اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الا انها ستكون فتنة فقلت
ما المخرج منها يا رسول الله قال كتاب الله فيه نبا ما كان قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم
ما بينكم هو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى في غيره

اضله الله

اضله الله وهو حبل الله المتين وهو الذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم وهو الذي لا تزيغ
به الاهوا ولا تلتبس به الالسنة ولا يشبع منه العلما ولا يخلق عن كثرة الرد ولا تنقضي
عجائبه هو الذي لم تنته الجن اذ سمعته حتى قالوا انا سمعنا قرانا عجبا يهدي الى
الرشد فامنا به من قال به صدق ومن عمل به اجر ومن حكم به عدل ومن دعا
اليه هدي الى صراط مستقيم خذها اليك يا اعور اخرجه الترمذي وقال حديث غريب
واسناده مجهول وفي الحارث مقال قوله هو الفصل اي الفاصل بين الحق والباطل
ليس بالهزل اي هو جد كله ليس فيه شئ من الهزل والجبار في صفة الادمي هو
المسلط العاتي المتكبر على الناس قصمه الله اي اهلكه قوله هو حبل الله المتين الحبل
يرد على وجوه منها العهد ومنها الامان فان اعتصم به الانسان اداه الله تعالى الى جواره
والذكر الشرف والحكيم المحكم العاري من الاختلاف والاضطراب والصراط
المستقيم الطريق الواضح ومعنى لا تزيغ به الاهوا اي لا يميل عن الحق عن ابن عباس
رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرجل الذي ليس في جوفه شئ
من القران كالبيت الخرب اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح خ عن عثمان
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال خيركم من تعلم القران وعلمه ق عن عائشة قالت
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الماهر بالقران مع السفرة الكرام البررة والذي يقرا
القران وهو يتتعتع فيه وهو عليه شاق له اجران قوله الماهر يعني الحاذق
الكامل الحفظ الجيد التلاوة وقوله مع السفرة جمع سافر وهو الرسول من الملائكة
سمي بذلك لانه يسفر برسالات الله الى انبيائه وقيل السفرة الكتبة من الملائكة
والبررة المطيعون لله تعالى فيما يامرهم ومعنى كونه مع الملائكة ان له منازل في الجنة
يكون فيها رفيقا لهم قوله يتتعتع اي يتردد في تلاوته لضعف حفظه اجران
يعني اجر بسبب القراة واجر بسبب تعبه فيها والمشقة التي تحصل له فيها وليس
معناه ان له اجرا اكثر من الماهر بل الماهر افضل منه واكثر اجرا ق عن ابي موسى
الاشعري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال مثل المومن الذي يقرا القران كمثل الاترجة
طعمها طيب وريحها طيب ومثل المومن الذي لا يقرا القران كمثل التمرة طعمها
طيب ولا ريح لها ومثل الفاجر الذي يقرا القران كمثل الريحانة ريحها طيب
ولا طعم لها ومثل الفاجر الذي لا يقرا القران كمثل الحنظلة طعمها مر ولا ريح
لها فيه دليل على فضيلة حفاظ القران واستحباب ضرب الامثال لايضاح
المقاصد عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا حرفا من
كتاب الله فله حسنة والحسنة بعشر امثالها لا اقول الم حرف ولكن الف حرف ولام
حرف وميم حرف اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح غريب وقد رفعه بعضهم
عن ابن مسعود ووقفه بعضهم عليه عن ابن عباس قال قال رجل يا رسول الله

اى الاعمال احب الى الله تعالى قال الحال المرتحل قال وما الحال المرتحل قال الذى يضرب من
اول القران الى اخره كلما حل ارتحل اخرجه الترمذى عن عبد الله بن عمرو بن العاص
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقال لصاحب القران اقرا وارق ورتل كما كنت
ترتل فى الدنيا فان منزلك عند اخر اية تقراها اخرجه الترمذى وقال حديث
حسن صحيح عن ابى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال يجئ القران يوم القيمة فيقول
يا رب حله فيلبس تاج الكرامة ثم يقول يا رب زده فيلبس حلة الكرامة
ثم يقول يا رب ارض عنه فيقال اقرا وارق وتزداد بكل اية حسنة اخرجه الترمذى
وقال حديث حسن عن سهل بن معاذ الجهنى عن ابيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال من قرا القران وعمل به البس والداه يوم القيامة تاجا ضوءه احسن من ضوء
الشمس فى بيوت الدنيا لو كانت فيكم فما ظنكم بالذى عمل بهذا اخرجه ابو داود
عن على بن ابى طالب رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا
القران فاستظهره واحل حلاله وحرم حرامه ادخله الله به الجنة وشفعه فى عشرة
من اهل بيته كلهم قد وجبت لهم النار اخرجه الترمذى وقال حديث غريب
وليس له اسناد صحيح ق عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما اذن الله لشئ كاذنه لنبى يتغنى بالقران يجهر به معنى اذن فى اللغة استمع
ولا يحمل على الاصغا فانه مستحيل على الله تعالى بل هو كناية عن تقريبه قارئ القران
واجزال ثوابه وذلك لان سماع الله لا يختلف فوجب تاويل الحديث وقوله
يتغنى بالقران اى يحسن صوته به ويكون ذلك مع تحزين وترقيق فى القراءة
وقيل معناه يستغنى به عن الناس والقول الاول اولى ويدل عليه سياق الحديث
وهو قوله يجهر به عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ليس منا من لم يتغن بالقران **الفصل الثانى** فى وعيد من قال فى القران برايه
بغير علم ووعيد من اوتى القران فنسيه ولم يتعاهده عن ابن عباس رضى الله
عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال فى القران بغير علم فليتبوا
مقعده من النار وفى رواية من قال فى القران برايه اخرجه الترمذى وقال
حديث حسن قوله فليتبوا معناه فلينزل منزله مباءة اى منزلا من النار عن جندب
بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال فى كتاب الله عز وجل
برايه فاصاب فقد اخطا اخرجه ابو داود والترمذى وقال حديث غريب
وسئل ابو بكر الصديق رضى الله عنه عن قوله تعالى وفاكهة وابا فقال اى
سماء تظلنى واى ارض تقلنى اذا قلت فى كتاب الله بغير علم قال العلماء النهى
عن القول فى القران بالراى انما ورد فى حق من يتاول القران على مراد نفسه
وما هو تابع لهواه وهذا لا يخلو اما ان يكون عن علم او لا فان كان عن

علم لكن

علم لكن يحتج ببعض ايات القران على تصحيح بدعته وهو يعلم ان المراد من الاية غير ذلك
لكن غرضه تلبيس على خصمه بما يقوى حجته على بدعته كما يستعمله الباطنية
والخوارج وغيرهم من اهل البدع فى المقاصد الفاسدة ليغروا بذلك الناس
وان كان القول فى القران بغير علم لكن عن جهل وذلك ان تكون الاية محتملة
لوجه فيفسرها بغير ما تحتمله من المعانى والوجوه فهذان القسمان مذمومان
وكلاهما داخل فى النهى والوعيد الوارد فى ذلك فاما التاويل وهو صرف الاية
على طريق الاستنباط الى معنى يليق بها يحتمل ما قبلها وما بعدها وغير مخالف
للكتاب والسنة فقد رخص فيه اهل العلم فان الصحابة رضى الله عنهم قد فسروا
القران واختلفوا فى تفسيره على وجوه وليس كلما قالوه سمعوه من النبى صلى الله
عليه وسلم ولكن على قدر ما فهموا من القران تكلموا فى معانيه وقد دعا النبى
صلى الله عليه وسلم لابن عباس فقال اللهم فقهه فى الدين وعلمه التاويل
فكان اكثر ما نقل عنه التفسير والله اعلم ق عن ابى موسى الاشعرى رضى الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعاهدوا هذا القران فوالذى نفسى بيده
لهو اشد تفلتا من الابل فى عقلها ق عن ابن عمر رضى الله عنهما ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال انما مثل صاحب القران كمثل صاحب الابل المعقلة ان
تعاهد عليها امسكها وان اطلقها ذهبت الابل المعقلة التى حبست بالعقال
وهذا مثل ضربه لصاحب القران وفيه الحث على تعاهده بكثرة التلاوة والتكرار
لئلا ينسى ق عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لبئس
ما لاحدكم ان يقول نسيت اية كيت وكيت بل هو نسى استذكروا القران فانه
اشد تفصيا من صدور الرجال من النعم من عقلها وفى رواية لا يقول احدكم
نسيت اية كذا وكذا بل هو نسى قوله بئس ما لاحدكم ان نسيت الحالة
حالة من حفظ القران ثم غفل عنه حتى نسيه قوله لا يقول احدكم نسيت اية
كذا وكذا معناه انما كره نسبة النسيان الى النفس لاجل ان الله تعالى هو
المقدر للاشياء كلها وهو الذى انساه اياه وقيل اصل النسيان الترك فكره
ان يقول تركت القران او قصدت الى نسيانه قوله بل نسى هو بضم النون
وتشديد السين وبفتح الياء اى عوقب بالنسيان على ذنب صدر منه او
لسوء تعهده القران قوله اشد تفصيا اى خروجا من صدور الرجال وفى معناه
تفلتا من الابل فى عقلها اى تخلصا من العقال وهو الحبل الذى يربط به
عن سعد بن عبادة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما من امرئ يقرا القران ثم ينساه الا لقى الله يوم القيامة اجذم اخرجه
ابو داود الاجذم قيل هو مقطوع اليد وقيل هو مقطوع الحجة وقيل هو الذى

برجذام عن انس بن مالك رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عرضت
علي اجور امتي حتى القذاة يخرجها الرجل من المسجد وعرضت علي ذنوب امتي
فلم ار ذنبا اعظم من سورة في القران او اية اوتيها رجل ثم نسيها اخرجه ابو داود
والترمذي وقال حديث غريب ق عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال لا تسافروا بالقران الى ارض العدو مخافة ان يناله العدو اراد بالقران
المصحف ولا يجوز حمله الى ارض العدو وهي بلاد الكفار للنهي الوارد ولو فيه كتب
كتابا اليهم فيه اية من القران فلا باس بذلك لان النبي صلى الله عليه وسلم كتب الى هرقل
ملك الروم قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم عن عمران بن حصين
انه مر على رجل يقرا ثم سال فاسترجع ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قرا
القران فليسال الله به فانه سيجيء اقوام يقرءون القران يسالون به الناس اخرجه
الترمذي عن صهيب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما امن بالقران من استحل
محارمه اخرجه الترمذي وقال ليس اسناده بالقوي عن عقبة بن عامر قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الجاهر بالقران كالجاهر بالصدقة والمسر بالقران
كالمسر بالصدقة اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب **الفصل الثالث** في جمع القران
وترتيب نزوله وفي كون نزوله على سبعة احرف خ عن زيد بن ثابت قال بعث الي
ابو بكر لمقتل اهل اليمامة وعنده عمر فقال ابو بكر ان عمر اتاني فقال ان القتل قد استحر
يوم اليمامة بقراء القران واني اخشى ان يستحر القتل بالقراء في المواطن فيذهب
من القران كثير واني ارى ان تامر بجمع القران قال قلت لعمر كيف افعل شيئا لم يفعله
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر هو والله خير فلم يزل يراجعني في ذلك حتى شرح الله
صدري للذي شرح له صدر عمر ورايت في ذلك الذي راى عمر قال زيد انك رجل
شاب عاقل لا نتهمك قد كنت تكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم فتتبع القران
فاجمعه قال زيد فوالله لو كلفني نقل جبل من الجبال ما كان اثقل علي مما امرني به من جمع
القران فقلت كيف تفعلان شيئا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابو بكر هو
والله خير فلم يزل ابو بكر يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر ابي بكر وعمر
ورايت في ذلك رايا قال فتتبعت القران اجمعه من الرقاع والعسب واللخاف
وصدور الرجال حتى وجدت اخر سورة التوبة مع خزيمة او مع ابي خزيمة الانصاري
فلم اجدها مع احد غيره لقد جاءكم رسول من انفسكم خاتمة سورة براءة فالحقتها في سورتها
قال فكانت الصحف عند ابي بكر حياته حتى توفاه الله ثم عند عمر حياته حتى توفاه الله
ثم عند حفصة بنت عمر قال بعض الرواة اللخاف يعني الخزف خ عن انس ان
حذيفة بن اليمان قدم على عثمان وكان يغازي اهل الشام في فتح ارمينية و
اذربيجان مع اهل العراق فافزع حذيفة اختلافهم في القراءة فقال حذيفة

لعثمان

لعثمان يا امير المؤمنين ادرك هذه الامة قبل ان يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود
والنصارى فارسل عثمان الى حفصة ان ارسلي الينا بالصحف ننسخها في المصاحف
ثم نردها اليك فارسلت بها اليه فامر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد
بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام رضي الله عنهم فنسخوها في المصاحف
وقال عثمان للرهط القرشيين اذا اختلفتم انتم وزيد بن ثابت في شيء من القران
فاكتبوه بلسان قريش فانما نزل بلسانهم ففعلوا حتى اذا نسخوا الصحف في المصاحف
رد عثمان الصحف الى حفصة وارسل الى كل افق بمصحف مما نسخوا وامر بما سوى ذلك
من القران في كل صحيفة او مصحف ان يحرق قال ابن شهاب واخبرني خارجة بن
زيد انه سمع زيد بن ثابت يقول فقدت اية من سورة الاحزاب حين نسخت
المصحف قد كنت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرا بها فالتمسناها فوجدناها
مع خزيمة بن ثابت الانصاري من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فالحقناها
في سورتها في المصحف قال ت وفي رواية ابن اليمان مع خزيمة بن ثابت الذي جعل رسول الله
صلى الله عليه وسلم شهادته بشهادة رجلين زاد في رواية قال ابن شهاب اختلفوا يومئذ
في التابوت فقال زيد التابوه وقال عبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص التابوت
فرفع اختلافهم الى عثمان فقال اكتبوه التابوت فانه بلسان قريش **شرح غريب**
الفاظ الحديثين وما يتعلق بهما قوله بعث الي ابو بكر لمقتل اهل اليمامة اي لاوان
قتلهم واراد بها الوقعة التي كانت باليمامة في زمن ابي بكر الصديق وهي واقعة الردة
مع اصحاب الردة فقتل فيها خلق كثير من قراء القران واليمامة مدينة باليمن على يومين
من الطائف وهي اربعة ايام من مكة ولها عمائر وهي في نهد بارض نجد قوله استحر
القتل اي كثر ويسند المكروه الى الحر والمحبوب الى البرد وشرح الصدر سعته وقبوله الخبر قوله
فتتبعت القران اجمعه من الرقاع جمع رقعة وهي ما يكتب فيها والعسب بضم
العين والسين المهملتين جمع عسيب وهو جريد النخل وسعفه واللخاف حجارة بيض
رقاق واحدتها لخفة قوله يغازي اهل الشام ارمينية بكسر الهمزة وتخفيف الياء الاخير
سميت بارمين بن لمطى بن لوبن بن يافث بن نوح وهو اول من نزل بها فسميت
باسمه واذربيجان بفتح الهمزة وسكون الذال وغير ذلك في ضبطها وقال ابن جني فيها
خمس موانع من الصرف التعريف والتانيث والعجمة والتركيب والالف والنون
وهو موضع من بلاد العجم يشتمل على بلاد كثيرة قوله حتى وجدت اخر سورة التوبة
مع خزيمة بن ثابت الانصاري وفي حديث الاخر فقدت سورة الاحزاب الى قوله
فوجدناها مع خزيمة بن ثابت الانصاري من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه
الاية فاعلم ان المذكور في حديث الاول غير المذكور في حديث الثاني وهما قضيتان
فاما المذكور في حديث الاول فهو ابو خزيمة بن اوس بن زيد بن اصرم بن ثعلبة بن عمرو

ابن مالك بن النجار الانصاري شهد بدرا وما بعدها وتوفي في خلافة عثمان وهو
الذي وجدت عنده اخر سورة التوبة كذا ذكره ابن عبد البر واما المذكور في الحديث
الثاني فهو ابو عمارة خزيمة بن ثابت بن الفاكه بن ثعلبة بن ساعدة الخطمي الاوسي
الانصاري يعرف بذي الشهادتين شهد بدرا وما بعدها وقتل يوم صفين مع علي
بن ابي طالب وقوله فقدت اية من سورة الاحزاب الى قوله فوجدناها مع خزيمة
معناه انه كان يتطلب نسخ القران من الاصل الذي كتب بامر النبي صلى الله عليه وسلم
وبين يديه فلم يجد تلك الاية الا مع خزيمة وليس فيها اثبات القران بقول الواحد
لان زيدا كان سمعها من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلم موضعها من سورة الاحزاب
بتعليم رسول الله صلى الله عليه وسلم كما صرح به في الحديث قد كنت اسمع رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقرا بها وتتبعه الرجال كان للاستظهار لا لاحداث علم لان القران العظيم
كان محفوظا عند زيد وغيره من الصحابة فقد ثبت في الصحيح عن انس قال جمع القران
على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم اربعة كلهم من الانصار ابي بن كعب ومعاذ
بن جبل وابو زيد وزيد يعني بن ثابت قلت لانس من ابو زيد قال احد عمومتي
اخرجاه في الصحيحين اسم ابي زيد سعد بن عبيد واخرج الترمذي من حديث بن عمر قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خذوا القران من اربعة من ابن مسعود وابي بن
كعب ومعاذ بن جبل وسالم مولى ابي حذيفة قال حديث حسن صحيح وتقدم حديث
زيد بن ثابت وفيه انه استحر القتل بقراء القران فيثبت بمجموع هذه الاحاديث
ان القران كان على هذا التاليف والجمع في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما
ترك جمعه في مصحف واحد لان النسخ كان يرد على بعضه ويرفع الشيء بعد الشيء من تلاوته
كما كان ينسخ بعض احكامه فلم يجمع في مصحف واحد ثم لو رفع بعض تلاوته
ادى ذلك الى الاختلاف واختلاط امر الدين فحفظ الله كتابه في القلوب الى
انقضاء زمن النسخ ثم وفق لجمعه الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم وثبت بالدليل الصحيح
ان الصحابة انما جمعوا القران بين الدفتين كما انزل الله عز وجل على رسوله صلى الله
عليه وسلم من غير ان زادوا فيه او نقصوا منه شيئا والذي حملهم على جمعه ما جاء
مبينا في الحديث وهو انه كان مفرقا في العسب واللخاف وصدور الرجال فخافوا
ذهاب بعضه بذهاب حفظته ففزعوا فيه الى خليفة رسول رب العالمين صلى الله
عليه وسلم ابي بكر ودعوه الى جمعه فراى في ذلك رايهم فامر بجمعه في موضع
واحد باتفاق من جميعهم فكتبوه كما سمعوه من رسول الله صلى الله عليه وسلم
ابي بكر ودعوه الى جمعه فراى في ذلك رايهم فامر بجمعه في موضع واحد باتفاق
من جميعهم فكتبوه كما سمعوه من رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير
ان قدموا او اخروا شيئا او وضعوا له ترتيبا لم ياخذوه من رسول الله صلى الله

عليه وسلم

عليه وسلم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلقن الصحابة ويعلمهم ما نزل عليه من
القران على الترتيب الذي هو الان في مصاحفنا بتوقيف جبريل عليه السلام على ذلك
واعلامه عند نزول كل اية ان هذه الاية تكتب عقيب اية كذا في سورة كذا فثبت
ان سعي الصحابة كان في جمعه في موضع واحد لا في ترتيبه فان القران مكتوب في اللوح
المحفوظ على النحو الذي هو في مصاحفنا الان وقد صح في حديث بن عباس
ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يعرض القران على جبريل في كل عام مرة في رمضان
وانه عرضه في العام الذي توفي فيه مرتين ويقال ان زيد بن ثابت شهد العرضة
الاخيرة التي عرضها رسول الله صلى الله عليه وسلم على جبريل وهو العرضة التي نسخ
فيها ما نسخ وبقي ما بقي ولهذا اقام ابو بكر زيد بن ثابت في كتابة المصحف
والزمه بها لانه قرا على النبي صلى الله عليه وسلم في العام الذي توفي فيه مرتين وكان جمع القران
سببا لبقائه في الامة رحمة من الله تعالى لعباده وتحقيقا لوعده في حفظه على ما قال تعالى
انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون واعلم ان الله تعالى انزل القران المجيد في اللوح
المحفوظ جملة واحدة الى سماء الدنيا في شهر رمضان في ليلة القدر ثم كان ينزل مفرقا
على لسان جبريل عليه السلام الى النبي صلى الله عليه وسلم مدة رسالته نجوما عند الحاجة وحدوث
ما يحدث على ما يشاء الله تعالى وترتيب نزول القران غير ترتيبه في التلاوة والمصحف
فاما ترتيب نزوله على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاول ما نزل من القران بمكة اقرا
باسم ربك الذي خلق ثم نون والقلم ثم يا ايها المزمل ثم المدثر ثم تبت يدا ابي لهب
ثم اذا الشمس كورت ثم سبح اسم ربك الاعلى ثم والليل اذا يغشى ثم والفجر ثم والضحى
ثم الم نشرح ثم والعصر ثم والعاديات ثم انا اعطيناك الكوثر ثم الهاكم التكاثر ثم ارايت
الذي ثم قل يا ايها الكافرون ثم الفيل ثم قل هو الله احد ثم والنجم ثم عبس ثم سورة
القدر ثم التين ثم لايلاف قريش ثم القارعة ثم القيامة ثم الهمزة ثم المرسلات ثم قاف
ثم سورة البلد ثم الطارق ثم اقتربت الساعة ثم صاد ثم الاعراف ثم الجن ثم يس ثم
الفرقان ثم فاطر ثم مريم ثم طه ثم الواقعة ثم الشعراء ثم النمل ثم القصص ثم بني اسرائيل
ثم يونس ثم هود ثم يوسف ثم الحجر ثم الانعام ثم الصافات ثم لقمان ثم سبا ثم الزمر ثم المؤمن
ثم السجدة ثم حم عسق ثم الزخرف ثم الدخان ثم الجاثية ثم الاحقاف ثم الذاريات
ثم الغاشية ثم الكهف ثم النحل ثم نوح ثم ابرهيم ثم الانبياء ثم المؤمنون ثم تنزيل السجدة
ثم الطور ثم الملك ثم الحاقة ثم سال سائل ثم عم يتساءلون ثم النازعات ثم اذا السماء
انفطرت ثم اذا السماء انشقت ثم الروم ثم العنكبوت واختلف في اخر ما نزل بمكة فقال
ابن عباس العنكبوت وقال الضحاك وعطاء المؤمنون وقال مجاهد ويل للمطففين فهذا
ترتيب ما نزل من القران بمكة فذلك ثلاثة وثمانون سورة على ما استقرت عليه
روايات الثقات واما ما نزل بالمدينة فاحدى وثلاثون سورة فاول ما نزل بالمدينة سورة

البقرة ثم الانفال ثم آل عمران ثم الاحزاب ثم الممتحنة ثم النساء ثم اذا زلزلت الارض
ثم الحديد ثم سورة محمد صلى الله عليه وسلم ثم الرعد ثم سورة الرحمن ثم هل اتى على
الانسان ثم الطلاق ثم لم يكن ثم الحشر ثم الفلق ثم الناس ثم اذا جاء نصر الله ثم
النور ثم الحج ثم المنافقون ثم المجادلة ثم الحجرات ثم التحريم ثم الصف ثم الجمعة ثم
التغابن ثم الفتح ثم التوبة ثم المائدة ومنهم من يقدم المائدة على التوبة فهذا
ترتيب ما نزل من القران بالمدينة واختلفوا في شورى فقيل نزلت بمكة وقيل نزلت
بالمدينة وسنذكر ذلك في مواضعها ان شاء الله تعالى **فصل** في كون القران نزل
على سبعة احرف وما قيل في ذلك ق عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال
سمعت هشام بن حكيم بن حزام يقرا سورة الفرقان في حياة رسول الله صلى الله
عليه وسلم فاستمعت لقراءته فاذا هو يقرا على حروف كثيرة لم يقرئنيها رسول الله
صلى الله عليه وسلم فكدت اساوره في الصلاة فتربصت حتى سلم فلببته بردائه
فقلت من اقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرؤها قال اقرأنيها رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقلت كذبت فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اقرأنيها على
غير ما قرأت فانطلقت به اقوده الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول
الله اني سمعت هذا يقرا سورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ارسله اقرأ يا هشام فقرا عليه القراءة التي سمعته يقرؤها فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم هكذا انزلت ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم اقرأ يا عمر فقرأت القراءة
التي اقرأني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هكذا انزلت ان هذا القران
انزل على سبعة احرف فاقرؤوا ما تيسر منه قوله فكدت اساوره في الصلاة اي
اواثبه واقاتله وهو في الصلاة والتربص التثبت قوله فلببته بردائه هو بتشديد الباء
الاولى ومعناه اخذت بمجامع ردائه في عنقه وجذبته به مأخوذ من اللبة وفيه
بيان ما كانوا عليه من الاعتناء بالقران والذب عنه والمحافظة على لفظه كما
سمعوه من غير عدول الى ما تجوزه العربية فاما امر النبي صلى الله عليه وسلم عمر بارساله
فلانه لم يثبت عنده ما يقتضي تعزيره ولان عمر انما نسبه الى المخالفة في القراءة والنبي صلى
الله عليه وسلم كان يعلم من جواز القراءة وجوهها ما لا يعلمه عمر ولانه اذا قرأ وهو
يلعب لا يتمكن من حضور القلب وتحقيق القراءة تمكن المطلق قوله ان
هذا القران انزل على سبعة احرف فاقرؤوا ما تيسر منه قال العلماء سبب انزاله على
سبعة احرف التخفيف والتسهيل واختلفوا في المراد بسبعة احرف فقيل هو توسعة
وتسهيل ولم يقصد به الحصر وقال الاكثرون هو حصر العدد في سبعة احرف ثم قيل
هي في سبعة من المعاني كالوعد والوعيد والمحكم والمتشابه والحلال والحرام والقصص
والامثال والامر والنهي وقيل هو في صورة التلاوة وكيفية النطق بكلمات القران

من ادغام

من ادغام واظهار وتفخيم وترقيق ومد وقصر وامالة لان العرب كانت مختلفة اللغات
في هذه الوجوه فيسر الله تعالى عليهم ليقرا كل انسان بما يوافق لغته ويسهل على لسانه وقال
ابو عبيد على سبع لغات من لغات العرب يمنها ومعدها وهي افصح لغات العرب واعلاها
وقيل هي لغة قريش وهوازن وهذيل واهل اليمن وقيل السبعة كلها لمضر وحدها
وهي متفرقة في القران العزيز غير مجتمعة في كلمة واحدة وقيل بل هي مجتمعة في بعض
الكلمات كقوله تعالى وعبد الطاغوت ونرتع ونلعب وباعد بين اسفارنا وبعذاب
بئيس وقيل سبع قراءات وهو الصحيح الموافق للحديث لان هذه السبعة ظهرت واستفاضت
عن النبي صلى الله عليه وسلم وضبطها عنه الصحابة واثبتها عثمان والجماعة في المصاحف
واخبروا بصحتها وحذفوا عنها ما لم يثبت متواترا وان هذه الاحرف تختلف معانيها تارة
والفاظها اخرى وليست متضادة ولا متباينة فاما من قال ان المراد بالاحرف السبعة
معان مختلفة كالاحكام والامثال والقصص فخطأ محض لان النبي صلى الله عليه وسلم
اشار الى جواز القراءة بكل واحد من الحروف وابدال حرف بحرف وقد تقرر اجماع
المسلمين انه يحرم ابدال اية امثال باية احكام وقول من قال المراد خواتيم الاي فيجعل
مكان غفور رحيم سميع عليم فاسد ايضا وخطأ للاجماع على انه لا يجوز تغيير نظم القران
والله اعلم ق عن ابن عباس رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اقرأني جبريل
على حرف فراجعته فزادني فلم ازل استزيده ويزيدني حتى انتهى الى سبعة احرف
معنى الحديث لم ازل اطلب من جبريل ان يطلب من الله عز وجل الزيادة في الاحرف
للتوسعة والتخفيف ويسأل جبريل ربه عز وجل حتى انتهى الى السبعة م عن ابي بن
كعب رضي الله عنه قال كنت في المسجد فدخل رجل يصلي فقرا قراءة انكرتها عليه ثم دخل
اخر فقرا قراءة سوى قراءة صاحبه فلما قضينا الصلاة دخلنا جميعا على رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقلت ان هذا قرا قراءة انكرتها عليه ودخل اخر فقرا قراءة سوى قراءة
صاحبه فامرهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرا فحسن النبي صلى الله عليه وسلم شانهما
فسقط في نفسي من التكذيب ولا اذ كنت في الجاهلية فلما راى رسول الله صلى الله
عليه وسلم ما غشيني ضرب في صدري ففضت عرقا وكانما انظر الى الله عز وجل
فرقا فقال لي يا ابي ارسل الي ان اقرا على حرف واحد فرددت اليه ان هون على
امتي فرد الي الثانية ان اقرأه على حرفين فرددت اليه ان هون على امتي فرد الي
الثالثة ان اقرأه على سبعة احرف ولك بكل ردة رددتكها مسألة تسألنيها
فقلت اللهم اغفر لامتي اللهم اغفر لامتي واخرت الثالثة ليوم يرغب الي الناس كلهم
حتى ابراهيم قوله فسقط في نفسي من التكذيب ولا اذ كنت في الجاهلية معناه
وسوس لي الشيطان تكذيبا للنبوة اشد مما كنت عليه في الجاهلية لانه كان في الجاهلية
غافلا او متشككا فوسوس له الشيطان الجزم بالتكذيب وقيل معناه انه اعترته حيرة

ودهشه ونزغ الشيطان في قلبه تكذيبا لم يعتقده وهذه الخواطر اذا لم يستمر عليها الانسان
لا يؤخذ بها قوله ضرب في صدري ففضت عرقا قال القاضي عياض ضربه صلى الله
عليه وسلم تثبيتا له حين راه قد غشيه ذلك الخاطر المذموم قوله فكانما انظر الى الله تعالى
فرقا الفرق بالتحريك الخوف والخشية والمعنى انه غشيه من الهيبة والخوف
والعظمة حين ضرب ما زال عنه ذلك الخاطر قوله ولك بكل ردة رددتكها مسئلة
تسئلنيها معناه مسئلة مجابة قطعا واما باقي الدعوات فمرجوة الاجابة وليست
قطعية الاجابة والله اعلم روى البغوي بسنده عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال ان القران نزل على سبعة احرف لكل اية منه ويروى لكل حرف منه ظهر وبطن
ولكل حد مطلع قيل معناه الظهر لفظ القران والبطن تاويله وقيل الظهر ما حدث
عن اقوام انهم عصوا فخوفوا فعوقبوا في الظاهر خبر وفي الباطن عظة وقيل الظهر التلاوة
بالالسنة كما انزل والبطن التدبر والتفهم والتفكر يكون بصدق النية وتعظيم الحرمة
واخلاص العمل وطيب المطعم من الحلال المحض قوله ولكل حد مطلع معناه مصعد
يصعد اليه من معرفة عمله وقيل المطلع الفهم وقد يفتح الله تعالى على المتدبر والمتفكر
في القران العزيز من التاويل والمعاني ما لا يفتح على غيره وفوق كل ذي علم عليم
والله اعلم

فصل في معنى التفسير والتاويل

فاما التفسير فاصله في اللغة من الفسر
وهو كشف ما غطي وهو بيان المعاني المعقولة فكل ما يعرف به الشيء ومعناه فهو
تفسير وقد يقال فيما يختص بمفردات الالفاظ وغريبها تفسير وقيل هو من التفسرة
وهو الدليل الذي ينظر فيه الطبيب فيكشف عن علة المريض فكذلك المفسر
يكشف عن معنى الاية وشانها وقصتها واما التاويل فاشتقاقه من الاول
وهو الرجوع الى الاصل يقال اولته اي صرفته فانصرف وهو رد الشيء الى الغاية
والمراد منه بيان غايته المقصودة منه فالتاويل بيان المعاني والوجوه المستنبطة
الموافقة للفظ الاية والفرق بين التفسير والتاويل ان التفسير يتوقف على
النقل المسموع والتاويل يتوقف على الفهم الصحيح والله اعلم

القول في الاستعاذة

ولفظها المختار اعوذ بالله من الشيطان الرجيم لموافقة قوله تعالى فاذا قرات القران
فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم ومعنى اعوذ بالله التجي اليه وامتنع به مما
اخشاه من عاذ يعوذ والشيطان اصله من شطن اي تباعد من الرحمة وقيل
من شاط يشيط اذا هلك واحترق غضبا والشيطان اسم لكل عارم عاتي
من الجن والانس وشيطان الجن مخلوق من قوة النار فلذلك فيه القوة
الغضبية الرجيم فعيل بمعنى فاعل اي يرجم بالوسوسة والشر وقيل بمعنى مفعول
اي مرجوم بالشهب عند استراق السمع وقيل مرجوم بالعذاب وقيل مرجوم بمعنى
مطرود عن الرحمة وعن الخيرات وعن منازل الملا الاعلى واما حكم الاستعاذة

ففيه مسايل المسئلة الاولى اتفق الجمهور على ان الاستعاذة سنة في الصلاة فلو تركها
لم تبطل صلاته سواء تركها عمدا او سهوا ويستحب لقارئ القران خارج الصلاة
ان يتعوذ ايضا وحكي عن عطاء وجوبها سواء كانت في الصلاة او غيرها وقال ابن
سيرين اذا تعوذ الرجل في عمره مرة واحدة كفى في اسقاط الوجوب دليل الوجوب
ظاهر قوله تعالى فاستعذ والامر للوجوب وان النبي صلى الله عليه وسلم واظب على
التعوذ فيكون واجبا ودليل الجمهور ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يعلم الاعرابي
الاستعاذة في جملة اعمال الصلاة وتاخير البيان عن وقته غير جائز واجيب
عن قوله تعالى فاستعذ بان معناه عند جماهير العلماء اذا اردت القراءة فاستعذ كقوله
اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا معناه اذا اردتم القيام الى الصلاة واجيب عن مواظبة
النبي صلى الله عليه وسلم بانه صلى الله عليه وسلم واظب على اشيا كثيرة من افعال الصلاة
ليست بواجبة كتكبيرات الانتقالات والتسبيحات في الصلاة فكان التعوذ مثلها
المسئلة الثانية وقت الاستعاذة قبل القراءة عند الجمهور سوا كان في الصلاة
او خارجها وحكي عن النخعي انه بعد القراءة وهو قول داود واحد الروايتين عن
ابن عباس حجة الجمهور ما روي عن ابي سعيد الخدري قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا قام
الى الصلاة بالليل كبر ثم يقول سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا اله
غيرك ثم يقول الله اكبر كبيرا ثم يقول اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من
همزه ونفخه ونفثه اخرجه الترمذي وقال هذا الحديث اشهر حديث في الباب
وقد تكلم في بعض رجاله وقال احمد لا يصح ولابي داود والنسائي عن ابي سعيد نحوه
وعن جبير بن مطعم انه راى النبي صلى الله عليه وسلم يصلي صلاة قال عمرو لا ادري اي
صلاة هي قال الله اكبر كبيرا الله اكبر كبيرا الله اكبر كبيرا والحمد لله كثيرا والحمد لله كثيرا ثلاثا
وسبحان الله بكرة واصيلا ثلاثا اعوذ بالله من الشيطان الرجيم من نفخه ونفثه وهمزه
قال نفخه الكبر ونفثه الشعر وهمزه الموتة اخرجه ابو داود وقيل الموتة الجنون لان من
جن فقد مات عقله وقيل همزه هو الذي يوسوسه في الصلاة ونفخه هو الذي يلقيه
من الشبه في الصلاة ليقطع عليه صلاته واحتج مخالف الجمهور بظاهر قوله تعالى فاذا قرات
القران فاستعذ واجيب عنه بما تقدم وقال مالك لا يتعوذ في المكتوبة ويتعوذ في
قيام رمضان بعد القراءة على ما تقدم من الادلة المسئلة الثالثة المختار من لفظ
الاستعاذة عند الشافعي اعوذ بالله من الشيطان الرجيم وبه قال ابو حنيفة لموافقة
قوله تعالى فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم ولحديث جبير بن مطعم وقال احمد الاولى
ان يقول اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم جمعا بين هذه الاية وبين
قوله تعالى فاستعذ بالله انه هو السميع العليم وحديث ابي سعيد وقال الثوري
والاوزاعي الاولى ان يقول اعوذ بالله من الشيطان الرجيم ان الله هو

السميع العليم وبالجملة فالاستعاذة ان قوله اعوذ بالله من الشيطان الرجيم
اقرار من العبد بالعجز والضعف واعتراف من العبد بقدرة البارى
عز وجل وانه الغنى القادر على دفع جميع المضرات والآفات واعتراف من العبد
ايضا بان الشيطان عدو مبين ففى الاستعاذة التجاء الى الله تعالى القادر على
دفع وسوسة الشيطان الغوى الفاجر وانه لا يقدر على دفعه عن العبد
الا الله تعالى والله سبحانه وتعالى اعلم بغيبه واسرار كتابه

تفسير سورة فاتحة الكتاب وهى سبع آيات بالاتفاق وسبع وعشرون
كلمة ومائة واربعون حرفا واختلف العلماء فى نزولها فقيل نزلت مرتين
مرة بمكة ومرة بالمدينة وسبب ذلك التنبيه على شرفها وفضلها ولها عدة
اسماء وكثرة الاسماء تدل على شرف المسمى وفضله فاول ذلك فاتحة وبها
يفتتح الصلاة الثانى سورة الحمد سميت بذلك لافتتاحها بالحمد لله الثالث
ام القران وام الكتاب سميت بذلك لانها اصل القران وام كل شى اصله
وقيل هى امام لما يتلوها من السور الرابع السبع المثانى سميت بذلك لانها
تثنى فى الصلاة ويقرا بها فى كل ركعة وقيل لان الله تعالى استثناها لهذه الامة
وادخرها لهم لم ينزلها على غيرهم وقيل لانها انزلت مرتين الخامس الوافية سميت
بذلك لانها لا تقسم فى القراءة فى الصلاة كما يقسم غيرها من السور السادس
الكافية سميت بذلك لانها تكفى عن غيرها فى الصلاة ولا يكفى عنها غيرها

فصل فى ذكر فضلها خ عن ابى سعيد ابن المعلى قال كنت اصلى فى المسجد
فدعانى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم اجبه ثم اتيته فقلت يا رسول الله
انى كنت اصلى فقال الم يقل الله تعالى استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم ثم قال
لى لاعلمنك هى سورة اعظم السور فى القران قبل ان تخرج من المسجد ثم اخذ
بيدى فلما اراد ان يخرج قلت له الم تقل لاعلمنك سورة هى اعظم سورة فى القران
قال الحمد لله رب العالمين السبع المثانى والقران العظيم الذى اوتيته ورواه
مالك فى الموطا عنه وقيل عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم نادى ابى بن كعب وهو
يصلى وذكر نحوه وفيه حتى تعلم سورة ما انزل فى التوراة ولا فى الانجيل ولا فى الزبور
مثلها ورواه الترمذى عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج على ابى
وهو يصلى وذكر نحو رواية الموطا وقال فيه حديث حسن صحيح عن ابى بن كعب
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما انزل الله فى التوراة والانجيل مثل ام القران
وهى السبع المثانى وهى مقسومة بينى وبين عبدى ولعبدى ما سال اخرجه
الترمذى والنسائى عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله
رب العالمين ام القران وام الكتاب والسبع المثانى اخرجه ابو داود والترمذى

وقال

وقال حديث حسن صحيح عن ابن عباس قال بينما جبريل قاعد عند رسول الله صلى الله عليه وسلم
سمع نقيضا من فوقه فرفع راسه فقال هذا باب من السماء فتح اليوم فلم يفتح قط
الا اليوم فنزل منه ملك فقال هذا ملك نزل الى الارض لم ينزل قط الا اليوم فسلم وقال
ابشر بنورين اوتيتهما لم يؤتهما نبى قبلك فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة لن تقرا بحرف
منهما الا اعطيته قوله سمع نقيضا هو بالقاف والضاد المعجمة اى صوتا كصوت فتح الباب
م عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى صلاة لم يقرا فيها بام القران
فهى خداج هى خداج هى خداج غير تمام قال فقلت يا ابا هريرة انا احيانا نكون وراء الامام
فغمز ذراعى وقال اقرا بها فى نفسك يا فارسى فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول قال الله تعالى قسمت الصلاة بينى وبين عبدى نصفين فنصفها لى ونصفها لعبدى ولعبدى
ما سال فاذا قال العبد الحمد لله رب العالمين قال الله حمدنى عبدى واذا قال الرحمن
الرحيم قال اثنى على عبدى واذا قال مالك يوم الدين قال مجدنى عبدى وقال مرة
فوض الى عبدى واذا قال اياك نعبد واياك نستعين قال هذا بينى وبين عبدى ولعبدى
ما سال واذا قال اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم
ولا الضالين قال هذا لعبدى ولعبدى ما سال قوله فهى خداج اى ناقصة فغمز
ذراعى اى غمز ساعدى بيده قوله قسمت الصلوة اى اراد بالصلاة هنا القراءة لانه
تفسير بها ولان القراءة ركن من اركانها وجزء من اجزائها قوله نصفين حقيقة هذه
القسمة التى جعلها بينه وبين عبده راجعة الى المعنى لا الى اللفظ لان هذه السورة
من جهة المعنى نصفها ثناء ونصفها مسئلة ودعاء وقسم الثناء انتهى عند قوله تعالى اياك نعبد
وقوله واياك نستعين من قسم الدعاء ولهذا قال هذه بينى وبين عبدى ولعبدى ما سال
قوله تعالى حمدنى عبدى ومجدنى اى اثنى على لان الحمد هو الثناء بجميل الفعال والتمجيد الثناء
بصفات الجلال وقيل التمجيد التعظيم قوله وربما قال فوض الى عبدى وجه مطابقة
هذا القول لقوله مالك يوم الدين يقال فلان فوض امره الى فلان اذا رده اليه وعول فيه
وفى الحديث دليل على وجوب قراءة الفاتحة وانها متعينة وهو مذهب الشافعى وجماعة
وسناتى هذه المسئلة ان شاء الله تعالى بعد ذكر تفسير الفاتحة والله تعالى اعلم بسم الله الرحمن
الرحيم الباء فى بسم الله حرف جر خافض يخفض ما بعده مثل من وعن والمتعلق به
مضمر محذوف لدلالة الكلام عليه تقديره ابدا بسم الله ابدا او اقرا وانما طولت فى بسم
الله وسقطت الالف طلبا للخفة وقيل لما اسقطوا الالف ردوا طوله على الباء ليدل
طولها على الالف المحذوفة واثبتت الالف فى قوله تعالى فسبح باسم ربك العظيم لقلة
استعماله وقيل انما طولوا الباء لانهم ارادوا ان يستفتحوا كتاب الله بحرف معظم وقيل
الباء حرف منخفض الصورة فلما اتصلت بسم الله ارتفعت واستعلت وقيل ان عمر بن
عبد العزيز كان يقول للكتاب طولوا الباء من بسم الله واظهروا السين ودوروا الميم تعظيما لكتاب الله

عز وجل والاسم هو المسمى عينه وذاته قال الله تعالى انا نبشرك بغلام اسمه يحيى ثم نادى
الاسم فقال يا يحيى وقال سبح اسم ربك وتبارك اسم ربك وهذا القول ليس بقوي
والصحيح المختار ان الاسم غير المسمى وغير التسمية فالاسم ما تعرف به ذات الشي وذلك لان
الاسم هو الاصوات المقطعة والحروف المؤلفة الدالة على ذات الشي المسمى به فثبت
بهذا ان الاسم غير المسمى وايضا فقد تكون الاسما كثيرة والمسمى واحد كقوله تعالى ولله الاسما
الحسنى وقد يكون الاسم واحدا والمسميات به كثيرة كالاسما المشتركة وذلك يوجب المغايرة
وايضا فقوله فادعوه بها امر ان يدعا الله تعالى باسمائه فالاسم آلة الدعا والمدعو هو الله
تعالى فالمغايرة حاصلة بين ذات المدعو وبين اللفظ المدعو به واجيب عن قوله تعالى
انا نبشرك بغلام اسمه يحيى بان المراد ذات الشخص المعبر عنه بيحيى لا نفس الاسم
واجيب عن قوله تعالى فسبح اسم ربك وتبارك اسم ربك بان معنى هذه الالفاظ
الاسم الى الله تعالى واضافة الشي الى نفسه محال وقيل كما يجب تنزيه ذاته سبحانه وتعالى
عن النقص وكذلك يجب تنزيه اسمائه وكون الاسم غير التسمية هو ان التسمية عبارة عن
تعيين اللفظ المعين لتعريف ذات الشي فالاسم عبارة عن تلك اللفظة المعينة والفرق
ظاهر واختلف في اشتقاق الاسم فقال البصريون هو من السمو وهو العلو فاسم الشي ما علاه
حتى ظهر به وعلا عليه فكانه علا على معناه وصار علما وقال الكوفيون من السمة وهي العلامة
فكان علامة لمسماه وحجة البصريين لو كان اشتقاقه من السمة لكان تصغيره وسيم وجمعه
اوسام واجمعوا على ان تصغيره سمي وجمعه اسما واسامي الله هو اسم خاص لله تعالى
تفرد به الباري سبحانه وتعالى ليس بمشتق ولا يشركه فيه احد وهو الصحيح المختار دليله قوله تعالى
هل تعلم له سميا يعني لا يقال لغير الله وقيل هو مشتق من اله يأله الاهة مثل عبد الرجل
يعبد عبادة دليله ويذرك والهتك وعبادتك وقيل معناه المستحق للعبادة
دون غيره وقيل من الوله اي الفزع لان الخلق يولهون اليه اي يفزعون اليه في حوائجهم قال بعضهم

والهت اليكم في بلايا تنوبني ... فالفيتكم فيها كرائم محتدا

وقيل اصله اله يقال الهت الى فلان اي سكنت اليه فكان الخلق يسكنون اليه
ويطمئنون بذكره وقيل اصله ولاه فابدلت الواو همزة سمي بذلك لان كل مخلوق
واله نحوه اما بالتحير او بالارادة ومن هذا قيل الله محبوب لكل الاشيا يدل عليه
وان من شي الا يسبح بحمده ومن خصائص هذا الاسم انك اذا حذفت منه شيا
بقي الباقي يدل عليه فان حذفت الالف بقي لله وان حذفت اللام وابقيت
الالف بقي اله وان حذفتهما بقي له وان حذفت الالف واللامين معا بقي
هو والواو عوض عن الضمة وذهب بعضهم الى ان هذا الاسم هو الاسم الاعظم
لانه يدل على الذات وباقي الاسما يدل على الصفات الرحمن الرحيم قال ابن عباس
هما اسمان رقيقان احدهما ارق من الآخر وقيل هما بمعنى مثل ندمان ونديم

ومعناهما

ومعناهما ذوا الرحمة وانما جمع بينهما للتاكيد وقيل ذكر احدهما بعد الآخر تطميعا لقلوب
الراغبين اليه وقيل الرحمن فيه معنى العموم والرحيم فيه الخصوص فالرحمن بمعنى
الرزاق في الدنيا وهو على العموم لكافة الخلق المؤمن والكافر والرحيم بمعنى العفو والصافح
للمؤمنين في الآخرة ورحمة الله اي ارادة الخير والاحسان لاهله وقيل هو ترك عقوبة
من يستحق العذاب واسدا الخير والاحسان الى من لا يستحق فهو على الاول صفة ذات
وعلى الثاني صفة فعل وقيل الرحمن بتبيين الطريق والرحيم بالعصمة والتوفيق **فصل**
في حكم البسملة وفيه مسئلتان الاولى في كون البسملة من الفاتحة وغيرها من السور
سوى سورة براة اختلف العلما في ذلك فذهب الشافعي وجماعة من العلما الى انها
آية من الفاتحة ومن كل سورة ذكرت في اولها سوى سورة براة وهو قول ابن عباس
وابن عمر وابي هريرة وسعيد بن جبير وعطا وابن المبارك واحمد في احد الروايتين عنه
واسحاق ونقل البيهقي هذا القول عن علي بن ابي طالب والزهري والثوري ومحمد بن
كعب وذهب الاوزاعي ومالك وابو حنيفة ان البسملة ليست آية من الفاتحة زاد
ابو داود ولا من غيرها من السور وانما هي بعض آية في سورة النمل وانما كتبت
للفصل والتبرك قال مالك ولا يستفتح بها في الصلاة المفروضة وللشافعي قول انها
ليست من اوائل السور مع القطع بانها من الفاتحة فاما حجة من منع كون البسملة
آية من الفاتحة ومن غيرها حديث النبي المشهور المخرج في الصحيحين من حديث عائشة
قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفتتح الصلاة بالتكبير والقراة بالحمد لله رب العالمين
قالوا ولان اول ما نزل به جبريل اقرا باسم ربك الذي خلق ولم يذكر البسملة في اولها
فدل على انها ليست منها قالوا ولان محل القرآن لا يثبت الا بالتواتر والاستفاضة
ولان الصحابة اجمعوا على عدد كثير من السور منها سورة الملك ثلثون آية وسورة
الكوثر ثلث آيات وسورة الاخلاص اربع آيات فلو كانت البسملة منها لكانت خمسا
واما حجة من ذهب الى اثباتها في اوائل السور من جهة النقل فقد صح عن ام سلمة ان النبي
صلى الله عليه وسلم قرا البسملة في اول الفاتحة في الصلاة وعدها آية منها وعن ابن عباس
في قوله ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم قال هي فاتحة الكتاب قال
فاين السابعة قال بسم الله الرحمن الرحيم اخرجهما ابن خزيمة وغيره وروي عن ابن عباس
ان النبي صلى الله عليه وسلم كان لا يعلم فصل السورة وفي رواية انقضا السورة حتى
ينزل عليه بسم الله الرحمن الرحيم اخرجه ابو داود والحاكم وابو عبد الله في مستدركه وقال
فيه انه صحيح على شرط الشيخين وروى الدارقطني عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اذا قراتم الحمد لله فاقروا بسم الله الرحمن الرحيم فانها ام القرآن وام الكتاب
والسبع المثاني وبسم الله الرحمن الرحيم احدى آياتها قال الدارقطني في رجال اسناده كلهم
ثقات وروي موقوفا وروى الدارقطني عن ام سلمة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم

كان يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين الى اخرها فقطعها اية اية وعدها عد الاعراب
وعد بسم الله الرحمن الرحيم اية ولم يعد عليهم واخرج مسلم في افراده عن انس قال بينا رسول الله
صلى الله عليه وسلم بين اظهرنا اذ اغفى اغفاءة ثم رفع راسه متبسما فقلنا ما اضحكك يا رسول
الله قال انزلت علي انفا سورة فقرا بسم الله الرحمن الرحيم انا اعطيناك الكوثر الحديث قال
البيهقي احسن ما احتج به اصحابنا في ان بسم الله الرحمن الرحيم من القران وانها من فواتح
السور سوى سورة براءة ما رويناه في جمع الصحابة كتاب الله عز وجل في المصاحف وانهم كتبوا
فيها بسم الله الرحمن الرحيم على راس كل سورة سوى سورة براءة فكيف يتوهم متوهم انهم كتبوا
فيها مائة وثلاث عشرة اية ليست من القران قال وقد علمنا بالروايات الصحيحة عن ابن عباس
انه كان يعد بسم الله الرحمن الرحيم اية من الفاتحة وروى الشافعي بسنده عن ابن عمر انه كان لا يدع بسم
الله الرحمن الرحيم لام القران وللسورة التي بعدها زاد غيره عنه انه كان يقول لما كتبت في
المصحف ان لم تقرا وروى الشافعي عن ابن عباس انه كان يفعله ويقول انتزع الشيطان منهم
خير اية في القران وفي افراد البخاري من حديث انس انه سئل كيف كانت قراءة رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال كانت مدا ثم قرا بسم الله الرحمن الرحيم يمد الرحمن ويمد الرحيم فقد ثبت
بهذه الادلة الصحيحة الواضحة ان البسملة من الفاتحة ومن كل موضع ذكرت فيه وايضا فاجمعوا الصحابة
على اثباتها في المصاحف وانهم طلبوا بكتابة المصاحف تجريد كلام الله عز وجل المنزل على محمد
صلى الله عليه وسلم قرانا وتدوينه من غير ان يزيدوا فيه او ينقصوا منه ولهذا لم يكتبوا فيه لفظة
امين وان كان قد ورد انه كان يقولها بعد الفاتحة فلو لم تكن البسملة من القران في اوايل
السور لما كتبوها وكان حكمها حكم امين **المسئلة الثانية** في حكم الجهر بالبسملة والاسرار اذ ثبت
بما تقدم من الادلة ان البسملة اية من الفاتحة ومن غيرها من السور حيث كتبت كان حكمها في
الجهر والاسرار فيجهر بها مع الفاتحة في الصلاة الجهرية ويسر بها مع الفاتحة في الصلاة السرية
وممن قال بالجهرية بالبسملة من الصحابة ابو هريرة وابن عباس وابن عمر وابن الزبير ومن التابعين
فمن بعدهم سعيد بن جبير وابو قلابة والزهري وعكرمة وعطاء وطاوس ومجاهد وعلي
بن الحسين وسالم بن عبد الله ومحمد بن كعب القرظي وابن سيرين وابن المنكدر ونافع
مولى ابن عمر وزيد بن اسلم ومكحول وعمر بن عبد العزيز وعمرو بن دينار ومسلم بن خالد
واليه ذهب الشافعي واحمد وقول ابن وهب صاحب مالك ويحكى ايضا عن ابن المبارك
وابي ثور وممن ذهب الى الاسرار بها من الصحابة ابو بكر وعمر وعثمان وعلي وابن مسعود وعمار
ابن ياسر وابن مغفل وغيرهم ومن التابعين فمن بعدهم الحسن والشعبي وابراهيم النخعي وقتادة
والاعمش والثوري واليه ذهب مالك وابو حنيفة واحمد وغيرهم اما حجة من قال فقد روى
جماعة من الصحابة منهم ابو هريرة وابن عباس وانس وعلي بن ابي طالب وسمرة بن جندب
وام سلمة ان النبي صلى الله عليه وسلم جهر بالبسملة فمنهم من صرح بذلك ومنهم من فهم ذلك من
عبارته ولم يرد في تصريح الاسرار بها عن النبي صلى الله عليه وسلم الا روايتان احدهما ضعيفة وهي

رواية عبد الله بن مغفل والاخرى عن انس وهي في الصحيح وهي معللة بما اوجب سقوط الاحتجاج
بها وروى نعيم بن عبد الله المجمر قال صليت وراء ابي هريرة فقرا بسم الله الرحمن الرحيم ثم قرا بام
القران وذكر الحديث وفيه ثم يقول اذا سلم اني لاشبهكم صلاة برسول الله صلى الله عليه وسلم
اخرجه النسائي وابن خزيمة في صحيحه وقال اما الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم فقد ثبت وصح عن النبي صلى الله
عليه وسلم وروى الدارقطني بسنده عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا قرا وهو
يؤم الناس افتتح ببسم الله الرحمن الرحيم وذكر الحديث قال الدارقطني اسناده كلهم ثقاة
عن ابن عباس قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم اخرجه الدارقطني
وقال ليس في روايته مجروح واخرجه الحاكم ابو عبد الله وقال اسناده صحيح وليس له علة وفي
رواية عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفتتح الصلاة ببسم الله الرحمن الرحيم
اخرجه الدارقطني وقال صحيح ليس في اسناده مجروح واخرجه الترمذي وقال ليس اسناده
بذاك قال الشيخ ابو شامة اي لا يماثل اسناده ما في الصحيح لكن اذا انضم الى ما تقدم من
الادلة ترجح ما في الصحيح وعن انس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجهر بالقراءة ببسم
الله الرحمن الرحيم اخرجه الدارقطني وقال اسناده صالح وفيه عن محمد بن ابي السري
العسقلاني قال صليت خلف المعتمر بن سليمان ما لا احصي صلاة الصبح والمغرب
فكان يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم قبل فاتحة الكتاب وبعدها وسمعت المعتمر يقول
ما الوا ان اقتدي بصلاة انس بن مالك وقال انس بن مالك ما الوا
ان اقتدي بصلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم اخرجه الدارقطني وقال كلهم
ثقاة واخرجه الحاكم ابو عبد الله وقال رواة هذا الحديث عن اخرهم كلهم ثقات
قلت وفي الباب احاديث وادلة وايرادات واجوبة من الجانبين يطول
ذكرها وفي هذا القدر كفاية وبالله التوفيق والله اعلم قوله عز وجل الحمد لله
لفظه خبر كانه سبحانه وتعالى يخبر ان المستحق للحمد هو الله تعالى ومعناه الامر اي قولوا
الحمد لله وفيه تعليم الخلق كيف يحمدونه والحمد والمدح اخوان وقيل بينهما فرق
وهو ان المدح قد يكون للاحياء وبعده والحمد لا يكون الا بعد الاحسان وقيل
ان المدح قد يكون منهيا عنه واما الحمد فمامور به والحمد يكون بمعنى الشكر على
النعمة ويكون بمعنى الثناء بجميل الافعال تقول حمدت الرجل على علمه وكرمه والشكر
لا يكون الا على النعمة فالحمد اعم من الشكر اذ لا تقول شكرت فلانا على فعله
فكل حامد شاكر وليس كل شاكر حامدا وقيل الحمد باللسان قولا والشكر بالاركان
فعلا والحمد ضد الذم واللام في لله لام الاستحقاق كقولك الدار لزيد يعني انه
المستحق للحمد لانه المحسن المتفضل على كافة الخلق على الاطلاق رب العالمين
بمعنى المالك كما قال رب الدار ورب الشيء اي مالكه ويكون بمعنى التربية والاصلاح
يقال رب فلان الضيعة يربها اذا اصلحها فالله تعالى مالك العالمين ومربيهم ومصلحهم

ولا يقال الرب للمخلوق معرفا بل يقال رب الشي مضافا والعالمين جمع عالم لا واحد له من
لفظه وهو اسم لكل موجود سوى الله تعالى فيدخل فيه جميع المخلوق وقال ابن عباس
هم الجن والانس لانهم المكلفون بالخطاب وقيل العالم اسم لذوي العلم من الملائكة والجن
والانس ولا يقال للبهائم عالم لانها لا تعقل واختلف في مبلغ عددهم فقيل لله الف عالم
ستمائة عالم في البحر واربعمائة في البر وقيل ثمانون الف عالم اربعون الفا في البر ومثلهم في
البحر وقيل ثمانية عشر الف عالم الدنيا منها عالم واحد وما العمران في الخراب الا كفسطاط
في صحرا الفسطاط الخيمة واشتقاق العالم من العلم وقيل من العلامة وانما سمي بذلك لانه
دال على الخالق سبحانه وتعالى الرحمن الرحيم فالرحمن هو المنعم بما لا يتصور صدور تلك
النعمة من العباد فلا يقال لغير الله رحمن ويقال لغيره من العباد رحيم فان قلت قد سمي
مسيلمة الكذاب برحمن اليمامة وهو قول شاعرهم فيه وانت غيث الورى ما زلت
رحمانا قلت هو باب من تعنتهم في كفرهم ومبالغتهم في مدح صاحبهم فلا يلتفت الى قولهم
هذا فان قلت قد ذكر الرحمن والرحيم في البسملة فما فائدة تكريره هنا مرة ثانية قلت
ليعلم ان العناية بالرحمة اكثر من غيرها من الامور وان الحاجة اليها اكثر فنبه سبحانه وتعالى
بتكرير ذكر الرحمة على كثرتها وانه هو المتفضل على خلقه قوله تعالى مالك يوم الدين
يعني انه تعالى صاحب ذلك اليوم الذي يكون فيه الجزا والمالك هو المتصرف بالامر
والنهي وقيل هو القادر على اختراع الاعيان من العدم الى الوجود ولا يقدر على ذلك
الا الله تعالى وقيل مالك اوسع من مالك لانه يقال مالك العبد والدابة ولا
يقال ملك هذه الاشيا ولانه لا يكون مالكا لشي الا وهو يملكه وقيل ملك اولى لان
كل ملك مالك وليس كل مالك ملكا وقيل هما بمعنى واحد مثل فرهين وفارهين
قال ابن عباس مالك يوم الدين قاضي يوم الحساب وقيل الدين الجزا يقع على الخير
والشر يقال كما تدين تدان وقيل هو يوم لا ينفع فيه الا الدين وقيل الدين القهر
يقال دنته فدان اي قهرته فذل فان قلت لم خص يوم الدين بالذكر مع كونه
مالك الايام كلها قلت لان ملك الاملاك يومئذ زايلة فلا ملك ولا امر يومئذ
الا لله تعالى كما قال تعالى الملك يومئذ الحق للرحمن وقال لمن الملك اليوم
لله الواحد القهار وقد يسمى في دار الدنيا احاد الناس بالملك وذلك عن المجاز
لا عن الحقيقة قوله تعالى اياك نعبد رجع من الخبر الى الخطاب وفائدة ذلك من اول
السورة الى هنا ثنا والثنا في الغيبة اولى ومن قوله اياك نعبد دعا والخطاب في الدعا اولى
وقيل فيه ضمير اي قولوا اياك نعبد والمعنى اياك نخص بالعبادة ونوحدك ونطيعك
خاضعين لك والعبادة اقصى غاية الخضوع والتذلل وسمي العبد عبدا لذلته وانقياده
وقيل العبادة عبارة عن الفعل الذي يودى به الفرض لتعظيم الله تعالى فقول العبد اياك نعبد
معناه لا اعبد احدا سواك والعبادة غاية التذلل من العبد ونهاية التعظيم للرب سبحانه

لانه العظيم

لانه العظيم المستحق للعبادة ولا تستعمل العبادة الا في الخضوع لله تعالى لانه مولى اعظم النعم وهي
ايجاد العبد من العدم الى الوجود ثم هداه الى دينه فكان العبد حقيقا بالخضوع والتذلل له
واياك نستعين اي منك نطلب المعونة على عبادتك وعلى جميع امورنا فان قلت
الاستعانة على العمل انما تكون قبل الشروع فيه فلم اخر الاستعانة على العبادة وما الحكمة
فيه قلت ذكروا فيه وجوها احدها ان هذا يلزم من يجعل الاستطاعة قبل الفعل ونحن
بحمد الله نجعل التوفيق والاستطاعة مع الفعل فلا فرق بين التقديم والتاخير الثاني ان الاستعانة
نوع تعبد فكانه ذكر جملة العبادة اولا ثم ذكر ما هو من تفاصيلها ثانيا الثالث كان العبد
يقول شرعت في العبادة فانا استعين بك على اتمامها فلا يمنعني من اتمامها مانع الرابع ان
العبد اذا قال اياك نعبد حصل له الفخر وذلك منزلة عظيمة فيحصل بسبب ذلك العجب
فاردف ذلك بقوله واياك نستعين ليزول ذلك العجب الحاصل بسبب تلك العبادة
اهدنا الصراط المستقيم اي ارشدنا وقيل ثبتنا وهو كما تقول للقائم قم حتى اعود اليك ومعناه
دم على ما انت عليه وهذا الدعا من المومنين مع كونهم على الهداية بمعنى سوال التثبت وطلب
مزيد الهداية لان الالطاف والهدايات من الله لا تتناهى وهذا مذهب اهل السنة والصراط
الطريق قال جرير امير المومنين ان يكونوا على صراط اذا اعوج الموارد مستقيم اي على طريقة
حسنة قال ابن عباس هو دين الاسلام وقيل هو القران وروي ذلك مرفوعا وقيل السنة والجماعة
وقيل معناه اهدنا صراط المستحقين للجنة صراط الذين انعمت عليهم هذا بدل من الاول اي
الذين مننت عليهم بالهداية والتوفيق وهم الانبيا والمومنون الذين ذكرهم الله في قوله
اولئك الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهدا والصالحين وقال ابن
عباس هم قوم موسى وعيسى الذين لم يغيروا ولم يبدلوا وقيل هم اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم
واهل بيته غير المغضوب عليهم يعني غير صراط الذين غضبت عليهم والغضب في الاصل
هو ثوران دم القلب ارادة الانتقام ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اتقوا الغضب فانه
جمرة تتوقد في قلب ابن ادم الم تروا الى انتفاخ اوداجه وحمرة عينيه واذا وصف الله
به فالمراد منه الانتقام فقط دون غيره وهو انتقامه من العصاة وغضب الله لا يلحق
عصاة المومنين وانما يلحق الكافرين ولا الضالين اي وغير الضالين عن الهدى واصل
الضلال الغيبوبة والهلاك يقال ضل الماء في اللبن اذا غاب فيه وهلك وقيل غير المغضوب
عليهم هم اليهود والضالين هم النصارى عن عدي بن حاتم عن النبي صلى الله عليه وسلم
اليهود مغضوب عليهم والنصارى ضلال اخرجه الترمذي وذلك لان الله تعالى حكم
على اليهود بالغضب فقال من لعنه الله وغضب عليه وحكم على النصارى بالضلال
فقال ولا تتبعوا اهوا قوم قد ضلوا من قبل وقيل غير المغضوب عليهم بالبدعة ولا الضالين
عن السنة والله اعلم **فصل** في امين وحكم الفاتحة وفيه مسئلتان الاولى السنة للقاري بعد
فراغه من الفاتحة ان يقول امين مفصولا عنها بسكتة وهو مخفف وفيه لغتان المد

والقصر قال في الدر ويرحم الله عبدا قال امين وقال في القصر امين وزاد الله ما بيننا بعدا
ومعنى امين اللهم اسمع واستجب وقال ابن عباس معناه كذلك يكون وقيل هو اسم من اسما الله تعالى
وقيل هو خاتم الله على عباده يدفع به عنهم الافات ق عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال اذا امن الامام فامنوا فان وافق تامينه تامين الملائكة غفر الله له ما تقدم من ذنبه قال
ابن شهاب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول امين وفي رواية للبخاري ان الامام
اذا قرا غير المغضوب عليهم ولا الضالين فقولوا امين فان الملائكة تقول امين فمن وافق
تامينه تامين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه قوله فمن وافق تامينه تامين الملائكة
معناه وافقهم في وقت التامين فامن مع تامينهم وقيل وافقهم في الصفة والخشوع والاخلاص
والقول الاول هو الصحيح واختلفوا في هولا الملائكة فقيل هم الحفظة وقيل غيرهم من الملائكة وقوله
غفر له ما تقدم من ذنبه يعني تغفر له الذنوب الصغاير دون الكباير وقول ابن شهاب كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول امين معناه ان هذه صفة تامينه صلى الله عليه وسلم المسئلة
الثانية في حكم الفاتحة اختلف العلما في وجوب قراة الفاتحة فذهب مالك والشافعي واحمد وجمهور
العلما الى وجوب الفاتحة وانها متعينة في الصلاة ولا تجزي الا بها واحتجوا بما روي عن عبادة
ابن الصامت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا صلاة لمن لم يقرا فيها بفاتحة الكتاب اخرجاه
في الصحيحين وبحديث ابي هريرة من صلى صلاة لم يقرا فيها بفاتحة الكتاب فهي خداج ثلاثا غير
تمام الحديث وقد تقدم في فضل سورة الفاتحة وذهب ابو حنيفة الى ان الفاتحة لا تتعين
على المصلي بل الواجب عليه قراة اية من القران طويلة او ثلاث ايات قصار واحتج بقوله
تعالى فاقروا ما تيسر منه وبقوله صلى الله عليه وسلم في حديث الاعرابي المسي صلاته ثم اقرا
بما تيسر معك من القران اخرجاه في الصحيحين دليل الجمهور ما تقدم من الاحاديث فان قيل
المراد من الحديث لا صلاة كاملة قلت هذا خلاف ظاهر لفظ الحديث ومما يدل عليه
حديث ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تجزي صلاة لمن لا يقرا فيها
بفاتحة الكتاب اخرجه الدارقطني وقال اسناده صحيح وعنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
امره ان يخرج فينادي لا صلاة الا بفاتحة الكتاب فما زاد اخرجه ابو داود واجيب عن حديث
الاعرابي بانه محمول على الفاتحة فانها متيسرة او على ما زاد على الفاتحة او على العاجز عن قراة
الفاتحة والله تعالى اعلم بمراده

تفسير سورة البقرة

قال ابن عباس هي اول ما نزل بالمدينة قيل سوى اية وهي قوله تعالى واتقوا يوما
ترجعون فيه الى الله فانها نزلت يوم النحر بمكة في حجة الوداع وهي مايتان
وست وقيل سبع وثمانون اية وستة الاف ومائة واحدى وعشرون
كلمة وخمسة وعشرون الف حرف وخمسمائة حرف فصل في فضلها م عن
ابي امامة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اقروا القران فانه

فانه ياتي يوم القيامة شفيعا لاصحابه اقروا الزهراوين البقرة وال عمران فانهما
ياتيان يوم القيامة كانهما غمامتان او غيايتان او كانهما فرقان من طير صواف
تحاجان عن صاحبهما اقروا البقرة فان اخذها بركة وتركها حسرة ولا تستطيعها البطلة
قال معاوية بن سلام بلغني ان البطلة السحرة قوله اقروا الزهراوين سميا بذلك
لنورهما يقال لكل مستنير زاهر قوله كانهما غمامتان او غيايتان قال اهل اللغة
الغمامة والغياية كل شي اظل الانسان فوق راسه من سحابة وغيرها والمعنى ان
ثوابهما ياتي كغمامتين قوله فرقان من طير صواف الفرق الجماعة من الطير والصواف
جمع صافة وهي التي تصف اجنحتها عند الطيران المحاجة المجادلة والمخاصمة واظهار
الحجة والبطلة السحرة كما جا في الحديث مبينا يقال ابطل اذا جا بالباطل وفي الحديث
دليل على جواز قول سورة البقرة وسورة ال عمران وكذا باقي السور ولا نه لا كراهة
في ذلك وكرهه بعض المتقدمين وقال انما يقال السورة التي يذكر فيها البقرة وكذا باقي
السور والصواب هو الاول وبه قال الجمهور لورود النص به م عن ابي هريرة قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تجعلوا بيوتكم مقابر ان الشيطان ينفر من البيت الذي
يقرا فيه سورة البقرة وعنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل شي سنام وان سنام القران
سورة البقرة وفيها اية هي سيدة اي القران اية الكرسي اخرجه الترمذي وقال حديث
غريب بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل الم قيل ان حروف الهجا في اوايل السور
من المتشابه التي استاثر الله بعلمه وهي سر الله في القران فنحن نومن بظاهرها ونكل
العلم فيها الى الله تعالى وفايدة ذكرها طلب الايمان بها قال ابو بكر الصديق رضي الله عنه في
كل كتاب سر وسر الله في القران اوايل السور وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه ان لكل كتاب
صفوة وصفوة هذا الكتاب حروف التهجي واورد على هذا القول بانه لا يجوز ان يخاطب الله
عباده بما لا يعلمون واجيب عنه بانه يجوز ان يكلف عباده بما لا يعقل معناه كرمي الجمار
فانه مما لا يعقل معناه والحكمة فيه هو كمال الانقياد والطاعة فكذلك هذه الحروف يجب
الايمان بها ولا يلزم البحث عنها وقال اخرون من اهل العلم هي معروفة المعاني ثم اختلفوا فيها
فقيل كل حرف منها مفتاح اسم من اسما الله تعالى والالف مفتاح اسمه الله واللام مفتاح
اسمه لطيف والميم مفتاح اسمه مجيد وقيل الالف الا الله واللام لطفه والميم ملكه ويويد
هذا ان العرب تذكر حرفا من كلمة تريد كلها قال الراجز

قلت لها قفي فقالت قاف ۝ لا تحسبي انا نسينا الايجاف ۝

قولها قاف اي وقفت فاكتفت بجز الكلمة عن كلها والايجاف الاسراع في السير
قال ابن عباس الم انا الله اعلم وقيل هي اسما الله مقطعة لو علم الناس تاليفها لعلموا
اسم الله الاعظم الا ترى انك تقول الر وحم ون فيكون مجموعها الرحمن وكذلك سايرها
ولكنا لا نحسن تاليفها جميعا وقيل اسما السور وبه قال جماعة من المحققين

وقال ابن عباس حم اقسام وقيل اقسم الله بهذه الحروف لشرفها وفضلها لانها مبانى كتبه المنزلة واسمائه الحسنى وصفاته العليا وانما اقتصر على بعضها وان كان المراد كلها فهو كما تقول قرأت الحمد لله وتريد انك قرأت السورة بكمالها فانه تعالى اقسم بهذه الحروف ان هذا الكتاب هو الكتاب المثبت فى اللوح المحفوظ وقيل ان الله تعالى لما تحداهم بقوله فاتوا بسورة من مثله وبعشر سور من مثله فعجزوا عنه انزل هذه الاحرف ومعناه ان القرآن ليس الا من هذه الاحرف وانتم قادرون عليها فكان يجب ان تاتوا بمثله فلما عجزتم عنه دل ذلك على انه من عند الله لا من عند البشر وقيل انهم اعرضوا عن سماع القرآن فاراد الله صلاح بعضهم انزل هذه الاحرف فكانوا اذا سمعوها قالوا كالمتعجبين اسمعوا الى ما يجى به محمد صلى الله عليه وسلم فاذا اصغوا اليه وسمعوه رسخ فى قلوبهم فكان ذلك سببا لايمانهم وقال ان الله تعالى حير عقول الخلق فى ابتداء خطابه ليعلموا ان لا سبيل لاحد الى معرفة خطابه الا باعترافهم بالعجز عن معرفة كنه حقيقة خطابه واعلم ان مجموع هذه الاحرف المنزلة فى اوائل السور اربعة عشر حرفا فى تسع وعشرين سورة وهى الالف واللام والميم والصاد والراء والكاف والهاء والياء والعين والطاء والسين والحاء والقاف والنون وهى نصف حروف المعجم وسياتى الكلام على باقيها فى مواضعها ان شاء الله تعالى وقوله تعالى ذلك الكتاب اى هذا الكتاب هو القرآن وقيل فيه اضمار والمعنى هذا الكتاب الذى وعدتك به وكان الله قد وعد نبيه صلى الله عليه وسلم ينزل عليه كتابا لا يمحوه الماء ولا يخلق على كثرة الرد فلما انزل القرآن قال هذا ذلك الكتاب الذى وعدتك به وقيل ان الله وعد بنى اسرائيل ان ينزل كتابا ويرسل رسولا من بنى اسمعيل فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة وبها من اليهود خلق كثير انزل الله هذه الآية الم ذلك الكتاب اى هذا الكتاب الذى وعدت به على لسان موسى ان انزله على النبى الذى من ولد اسماعيل والكتاب مصدر بمعنى المكتوب واصله الضم والجمع ومنه يقال للجند كتيبة لاجتماعها فسمى الكتاب كتابا لانه يجمع حروفه بعضها الى بعض والكتاب اسم من اسماء القرآن لا ريب فيه اى لا شك فيه انه من عند الله وانه الحق والصدق وقيل هو خبر بمعنى النهى اى لا ترتابوا فيه فان قلت قد ارتاب به قوم فما معنى لا ريب فيه قلت معناه انه فى نفسه حق وصدق فمن حقق النظر عرف حقيقته ذلك هدى للمتقين الهدى عبارة عن الدلالة وقيل هى دلالة بلطف وقيل الهداية الارشاد والمعنى هو هدى للمتقين وقيل هو بيان لا ريب فى هدايته والمتقى اسم فاعل من وقاه فاتقى والتقوى جعل النفس فى وقاية مما يخاف وقيل التقوى فى عرف الشرع حفظ النفس مما يؤثم وذلك بترك المحظور وبعض المباح قال ابن عباس المتقى من يتقى الشرك والكبائر والفواحش وهو ماخوذ من الاتقاء واصله الحجز بين

الشيئين

بين الشيئين يقال اتقى بترسه اذا جعله حاجزا بينه وبين ما يقصده وفى الحديث كنا اذا اشتد البأس اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم ومعناه انا كنا اذا اشتد الحرب جعلنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حاجزا بيننا وبين العدو وكان المتقى يجعل امتثال اوامره واجتناب نواهيه حاجزا بينه وبين النار وقيل المتقى هو من لا يرى نفسه خيرا من احد وقيل التقوى ترك ما حرم الله واداء ما افترض وقيل التقوى ترك الاصرار على المعصية وترك الاغترار بالطاعة وقيل التقوى ان لا يراك مولاك حيث نهاك وقيل التقوى الاقتداء بالنبى صلى الله عليه وسلم واصحابه وفى الحديث جماع التقوى فى قوله تعالى ان الله يامر بالعدل والاحسان الآية وقيل المتقى هو الذى يترك ما لا باس به وخص المتقين بالذكر تشريفا لهم لان مقام التقوى مقام شريف عزيز لانهم هم المتقون بالهداية ولو لم يكن للمتقين فضل الا قوله هدى للمتقين لكفاهم فان قلت كيف قال هدى للمتقين والمتقون هم المهتدون قلت هو كقولك للعزيز الكريم اعزك الله واكرمك تريد طلب الزيادة له الى ما هو ثابت فيه كقوله تعالى اهدنا الصراط المستقيم الذين يؤمنون بالغيب اى يصدقون بالغيب واصل الايمان فى اللغة التصديق قال تعالى وما انت بمؤمن لنا اى بمصدق فاذا فسر الايمان بهذا فانه لا يزيد ولا ينقص لان التصديق لا يتجزى حتى يتصور كماله مرة ونقصانه اخرى والايمان فى لسان الشرع عبارة عن التصديق بالقلب والاقرار باللسان والعمل بالاركان فاذا فسر بهذا فانه يزيد وينقص وهو مذهب اهل السنة من اهل الحديث وغيرهم وفائدة هذا الخلاف تظهر فى مسئلة وهى ان المصدق بقلبه اذا لم يجمع الى التصديق العمل بموجب الايمان من الصلاة والزكاة والصوم والحج ونحو ذلك من اركان الدين هل يسمى مؤمنا ام لا فيه خلاف والمختار عند اهل السنة انه لا يسمى مؤمنا لقوله صلى الله عليه وسلم لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن فنفى عنه اسم الايمان او كمال الايمان وانكر اكثر المتكلمين زيادة الايمان ونقصانه وقالوا متى قبل الزيادة والنقص كان ذلك شكا وكفرا وقال المحققون من متكلمى اهل السنة ان نفس التصديق لا يزيد ولا ينقص والايمان الشرعى يزيد وينقص بزيادة الاعمال ونقصانها ولهذا امكن الجمع بين ظواهر نصوص الكتاب والسنة التى جاءت بزيادة الايمان ونقصانه واصله من اللغة وقال بعض المحققين ان نفس التصديق قد يزيد وينقص بكثرة النظر فى الادلة والبراهين وقلة امعان النظر فى ذلك ولهذا يكون ايمان الصديقين اقوى واثبت من ايمان غيرهم لانهم لا تعتريهم شبهة فى ايمانهم ولا يتزلزل واما غيرهم من احاد الناس فليس كذلك اذ لا يشك عاقل ان نفس تصديق ابى بكر رضى الله عنه لا يساويه تصديق غيره من احاد الامة وقيل انما سمى الاقرار والعمل

ايمانا لوجه المناسبة لانه من شرايعه والدليل على ان الاعمال من الايمان ما روى عن ابى
هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الايمان بضع وسبعون شعبة افضلها
قول لا اله الا الله وادناها اماطة الاذى عن الطريق والحيا شعبة من الايمان
اخرجاه فى الصحيحين البضع بكسر البا ما بين الثلاثة الى العشرة والشعبة القطعة من
الشى واماطة الاذى عن الطريق هو عزل الحجر والشوك ونحو ذلك عنه والحيا بالمد
هو انقباض النفس عن فعل القبيح وانما جعل من الايمان وهو اكتساب لان المستحى
ينزجر باستحيايه عن المعاصى فصار من الايمان وقيل الايمان ماخوذ من الامن
فسمى المومن مومنا لانه يومن نفسه من عذاب الله والاسلام هو الانقياد والخضوع
فكل ايمان اسلام وليس كل اسلام ايمانا اذا لم يكن معه تصديق وذلك ان الرجل
قد يكون مستسلما فى الظاهر غير مصدق فى الباطن عن ابى هريرة قال كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما بارزا للناس فاتاه رجل فقال يا رسول الله ما الايمان
قال ان تومن بالله وملايكته وكتبه ولقايه ورسله وتومن بالبعث الاخر قال
يا رسول الله ما الاسلام قال ان تعبد الله لا تشرك به شيا وتقيم الصلاة المكتوبة
وتودى الزكوة المفروضة وتصوم رمضان قال يا رسول الله ما الاحسان قال ان
تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك قال يا رسول الله متى الساعة
قال ما المسئول عنها باعلم من السايل ولكن ساحدثك عن اشراطها اذا ولدت
الامة ربها فذلك من اشراطها واذا تطاول رعا البهم فى البنيان فذاك من
اشراطها فى خمس لا يعلمهن الا الله ثم تلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما فى الارحام الى قوله عليم خبير قال
ثم ادبر الرجل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ردوا على هذا الرجل فاخذوا
ليردوه فلم يروا شيا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا جبريل جا ليعلم الناس
دينهم وفى افراد مسلم من حديث عمر بن الخطاب نحو هذا الحديث ومعناه وقد تقدم
الكلام على معنى الايمان والاسلام وبقى اشيا تتعلق بمعنى الحديث فقوله كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم يوما بارزا اى ظاهرا وقوله وتومن بالله ولقايه وتومن
بالبعث الاخر هو بكسر الخا وقد يقع الجمع بين قوله وتومن بلقا الله وبالبعث
فان اللقا يحصل بمجرد الانتقال الى الدار الاخرة وهو الموت والبعث هو
بعده عند قيام الساعة وفى تقييده بالاخر وجهان احدهما ان خروجا الى الدنيا
بعث من الارحام وخروجا من القبر الى الاخرة بعث اخر قوله ما الاحسان هو هنا
الاخلاص فى العمل وهو شرط فى صحة الايمان والاسلام لان من اتى بلفظ الشهادة
واتى بالعمل من غير اخلاص لم يكن محسنا وقيل اراد بالاحسان المراقبة وحسن
الطاعة فان من راقب الله حسن عمله وهو المراد بقوله فان لم تكن تراه فانه

يراك واشراط الساعة علاماتها التى تظهر قبلها قوله اذا ولدت الامة ربها يعنى
سيدها والمعنى ان الرجل يكون له الامة فتلد له ولدا فيكون ذلك الولد ابنها وسيدها ورعا
البهم بكسر الرا وفتح البا واسكان الها من البهم وهى الصغار من اولاد الضان والمعنى انه
يبسط المال على اهل البادية واشباههم حتى يتباهون فى البنا ويسودون الناس فذلك
من اشراط الساعة والله اعلم قوله تعالى بالغيب الغيب مصدر وضع موضع الاسم فقيل
للغايب غيب وهو ما كان مغيبا عن العيون قال ابن عباس الغيب ههنا كلما امرت
بالايمان به مما غاب عن بصرك من الملايكة والبعث والجنة والنار والصراط و
الميزان وقيل الغيب ههنا هو الله تعالى وقيل القران وقيل الاخرة وقيل بالوحى وقيل بالقدر
وقال عبد الرحمن بن يزيد كنا عند عبد الله بن مسعود فذكرنا اصحاب محمد وما سبقونا به
فقال عبد الله بن مسعود ان امر محمد صلى الله عليه وسلم كان بينا لمن راه والذى لا اله غيره
ما من احد افضل من ايمان بغيب ثم قرا الم ذلك الكتاب لا ريب فيه الى قوله واولئك
هم المفلحون ويقيمون الصلاة اى يداومون عليها فى مواقيتها بحدودها واتمام اركانها
وحفظها من ان يقع فيها خلل فى فرايضها وسننها واادابها والمراد به الصلوات الخمس والصلاة
فى اللغة الدعا والرحمة ومنه وصل عليهم اى ادع لهم واصله من صليت العود اذا
لينته فكان المصلى يلين ويخشع وفى الشرع اسم لافعال مخصوصة من قيام وركوع
وسجود وقعود ودعا مع النية ومما رزقناهم اى اعطيناهم من الرزق وهو اسم لما
ينتفع به من مال وولد واصله الحظ والنصيب ينفقون اى يخرجون ويتصدقون
فى طاعة الله تعالى وسبيله ويدخل فيه الانفاق الواجب بالزكاة والنذر والانفاق
على النفس وعلى من تجب نفقته عليه والانفاق فى الجهاد اذا وجب عليه الانفاق
وفى المندوب وهو صدقة التطوع ومواساة الاخوان وهذه كلها مما يمدح بها ودخل من التى
هى للتبعيض صيانة لهم وكفا عن السرف والتبذير المنهى عنهما فى الانفاق والذين
يومنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك اى يصدقون بالقران المنزل عليك
وبالكتب المنزلة على الانبيا من قبل كالتورية والانجيل والزبور وصحف الانبيا كلها فيجب
الايمان بذلك كله وبالاخرة يعنى وبالدار الاخرة سميت اخرة لتاخرها عن الدنيا وكونها
بعدها هم يوقنون من الايقان وهو العلم والمعنى يستيقنون ويعلمون انها كاينة
اولئك اى الذين هذه صفتهم على هدى من ربهم اى على رشاد ونور من ربهم وقيل
على استقامة واولئك هم المفلحون اى الناجون الفايزون نجوا من النار وفازوا
بالجنة والمفلح الظافر بالمطلوب اى الذى انفتحت له وجوه الظفر ولم تستغلق عليه
ويكون الفلاح بمعنى البقا قال الشاعر لو كان حى مدرك الفلاح ادركه ملاعب
الرماح يريد البقا فيكون المعنى اولئك الباقون فى النعيم المقيم والفلاح الظفر
وادراك البغية من السعادة والعز والبقا والمعنى واصل الفلاح الشق كما قيل

ان المهديه بالمهديه يفلح اى يقطع فعلى هذا يكون المعنى اولئك هم المقطوع لهم بالخير فى الدنيا
والاخرة واعلم ان الله عزوجل صدر هذه السورة باربع ايات انزلها فى المومنين وباثنتين
فى الكافرين وبثلاث عشر اية انزلها فى المنافقين فاما التى فى الكفار فقوله تعالى ان الذين
كفروا اى جحدوا وانكروا واصل الكفر فى اللغة الستر والتغطية ومنه سمى الليل كافرا لانه
يستر الاشيا بظلمته قال الشاعر ۞ فى ليلة كفر النجوم غمامها ۞ اى سترها والكفر على اربعة
اضرب كفر انكار وهو ان لا يعرف الله اصلا ككفر فرعون وهو قوله ما علمت لكم من اله
غيرى وكفر جحود وهو ان يعرف الله بقلبه ولا يعترف بلسانه ككفر ابليس وكفر عناد
وهو ان يعرف الله بقلبه ويقر بلسانه ولا يدين ككفر امية بن ابى الصلت وابى طالب
حيث يقول فى شعره ۞ ولقد علمت بان دين محمد ۞ من خير اديان البرية دينا ۞
لولا الملامة او حذار مسبة ۞ لوجدتنى سمحا بذاك مبينا ۞ وكفر نفاق وهو ان
يقر بلسانه ولا يعتقد صحة ذلك بقلبه فجميع هذه الانواع كفر وحاصله ان من جحد
الله وانكر وحدانيته او انكر شيا مما انزله على رسوله او انكر نبوة محمد صلى الله عليه وسلم
او احدا من الرسل فهو كافر فان مات على ذلك فهو فى النار خالدا فيها ولا يغفر الله
له نزلت فى مشركى العرب وقيل فى اليهود سواء عليهم اى متساو لديهم ءانذرتهم اى خوفتهم
وحذرتهم والانذار اعلام مع تخويف فكل منذر معلم وليس كل معلم منذرا ام لم تنذرهم
لا يومنون اى لا يصدقون وهذه الاية فى اقوام حقت عليهم كلمة العذاب فى سابق
علم الله الازلى انهم لا يومنون ثم ذكر سبب تركهم الايمان فقال تعالى ختم الله على قلوبهم
اى طبع عليها فلا تعى خيرا ولا تفهمه واصل الختم وحقيقته الاستيثاق من الشى لكى لا يخرج
منه ما حصل فيه ولا يدخله ما خرج منه ومنه ختم الكتاب قال اهل السنة حكم الله على قلوبهم
بالكفر لما سبق فى علمه الازلى فيهم وانما خص القلب بالختم لانه محل الفهم والعلم وعلى سمعهم
اى وختم على موضع سمعهم فلا يسمعون الحق ولا ينتفعون به لانها تمجه وتنبو عن الاصغا
اليه كانها مستوثق منها بالختم ايضا وذكر السمع بلفظ التوحيد ومعناه الجمع قيل انما وحده
لانه مصدر والمصدر لا يثنى ولا يجمع وعلى ابصارهم غشاوة هذا ابتدا الكلام والغشاوة
الغطا ومنه غاشية السرج اى وجعل على ابصارهم غشاوة فلا يرون الحق وهى غطا
التعامى عن ايات الله ودلايل توحيده ولهم عذاب عظيم يعنى فى الاخرة وقيل الاسر
والقتل فى الدنيا والعذاب الدايم فى العقبى وحقيقة العذاب هو كل ما يولم الانسان
ويعيبه ويشق عليه وقيل هو الشديد وقيل هو ما يمنع الانسان من مراده ومنه الماء العذب
لانه يمنع العطش والعظيم ضد الحقير قوله عزوجل ومن الناس من يقول امنا بالله
نزلت فى المنافقين عبد الله بن سلول ومعتب بن قشير وجد بن قيس واصحابهم
وذلك انهم اظهروا كلمة الاسلام ليسلموا بها من النبى صلى الله عليه وسلم واصحابه واسروا
الكفر واعتقدوه واكثرهم من اليهود وصفة المنافق ان يعترف بلسانه بالايمان

ويقر به

ويقر به وينكره بقلبه ويصبح كل حالة ويمسى على غيرها والناس جمع انسان سمى به لانه عهد اليه
فنسى قال الشاعر ۞ وسميت انسانا لانك ناسى ۞ وقيل سمى انسانا لانه يستانس بمثله ۞
وباليوم الاخر اى وامنا باليوم الاخر وهو يوم القيامة سمى بذلك لانه ياتى بعد
الدنيا وهو اخر الايام المحدودة المعدودة وما بعده فلا حد له ولا اخر قال الله تعالى ردا على
المنافقين وما هم بمومنين نفى عنهم الايمان بالكلية يخادعون الله والذين امنوا
اى يخالفون الله والخديعة الحيلة والمكر واصله فى الاخفا والمخادع يظهر ضد ما يضمر
فهو بمنزلة النفاق وهو خادعهم اى يظهر لهم نعيم الدنيا ويعجله لهم بخلاف ما يغيب
لهم من عذاب الاخرة وانما قلت المخادعة مفاعلة وانما تجى فى الفعل المشترك والله تعالى
منزه عن المشاركة قلت المفاعلة قد ترد لا على وجه المشاركة تقول عافاك الله وطارقت
النعل وعاقبت اللص والمخادعة هنا عبارة عن فعل الواحد والله يتعالى عن ان
يكون منه خداع فان قلت كيف يخادع الله والله يعلم الضماير والاسرار فمخادعة الله
ممتنعة فكيف يقال يخادعون الله قلت ان الله تعالى ذكر نفسه واراد به رسوله صلى الله عليه
وسلم وذلك تفخيم لامره وتعظيم لشانه وقيل اراد به المنافقين اذا خادعوا المومنين
فكانهم خادعوا الله تعالى وذلك انهم ظنوا ان النبى صلى الله عليه وسلم والمومنين لم يعلموا
حالهم ولتجرى عليهم احكام المسلمين فى الظاهر وهم على خلافه فى الباطن وما يخادعون الا
انفسهم اى ان الله تعالى يجازيهم على ذلك ويعاقبهم عليه فلا يكونون فى حقيقة الا
خادعين انفسهم وقيل هو بال ذلك الخداع راجع اليهم لان الله يطلع نبيه صلى الله عليه وسلم
على نفاقهم فيفتضحون فى الدنيا ويستوجبون العقاب فى العقبى والنفس ذات الشى
وحقيقته وقيل الدم نفس لانه قوة البدن وما يشعرون اى لا يعلمون ان وبال خداعهم
راجع عليهم فى قلوبهم مرض اى شك ونفاق واصل المرض الضعف والخروج عن الاعتدال
الخاص بالانسان وسمى الشك فى الدين والنفاق مرضا لانه يضعف الدين كالمرض يضعف
البدن فزادهم الله مرضا يعنى ان الايات كانت تنزل تترى اية بعد اية فكلما كفروا باية ازدادوا
بذلك كفرا ونفاقا ولهم عذاب اليم اى مولم يخلص وجعه الى قلوبهم بما كانوا يكذبون
اى بتكذيبهم الله ورسوله فى السر وقرى بالتخفيف اى بكذبهم اذ قالوا امنا وهم
غير مومنين واذا قيل لهم يعنى المنافقين وقيل اليهود والمعنى اذا قال لهم المومنون
لا تفسدوا فى الارض اى بالكفر وتعويق الناس عن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والقران
قالوا انما نحن مصلحون يعنى يقولون ذلك كذبا الا كلمة تنبيه ينبه بها المخاطب انهم هم
المفسدون يعنى فى الارض بالكفر وهو اشد الفساد ولكن لا يشعرون وذلك لانهم يظنون
ان ما هم عليه من النفاق وابطال الكفر صلاح وهو عين الفساد وقيل لا يشعرون ما اعد
الله لهم من العذاب واذا قيل لهم يعنى المنافقين وقيل اليهود امنوا كما امن الناس يعنى
المهاجرين والانصار وقيل عبد الله بن سلام واصحابه من مومنى اهل الكتاب والمعنى اخلصوا

كايمانكم كما اخلص هولاء في ايمانهم لان المنافقين كانوا يظهرون الايمان قالوا انؤمن كما امن
السفهاء اي الجهال يعنون قلت كيف يصح النفاق مع المجاهدة بقولهم انؤمن كما امن السفهاء قلت
كانوا يظهرون هذا القول فيما بينهم لا عند المؤمنين فاخبر الله نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بذلك
فرد الله عليهم بقوله ولكن لا يعلمون يعني الجهال واصل السفه خفة العقل ورقة العلم وانما سمى
الله المنافقين سفهاء لانهم كانوا عند انفسهم عقلاء روساء فقلب ذلك عليهم وسماهم سفهاء
يعني انهم كذلك قوله تعالى واذا لقوا الذين امنوا يعني هولاء المنافقين اذا لقوا المهاجرين
والانصار قالوا امنا كايمانكم واذا خلوا اي رجعوا وقيل هو من الخلوة الى قيل بمعنى الى
شياطينهم وقيل بمعنى مع شياطينهم والمراد بشياطينهم روساهم وكهنتهم قال ابن عباس
وهم خمسة نفر كعب بن الاشرف من اليهود بالمدينة وابو بردة في بني اسلم وعبد
الدار في جهينة وعوف بن عامر في بني اسد وعبد الله بن السود بالشام ولا يكون
كاهنا الا ومعه شيطان تابع له وقيل هم روساهم الذين شابهوا الشياطين في
تمردهم قالوا انا معكم اي على دينكم انما نحن مستهزءون اي بمحمد واصحابه بما نظهر
من الاسلام لنامن من شرهم ونقف على سرهم وناخذ من غنايمهم وصدقاتهم
قال ابن عباس نزلت هذه الاية في عبد الله بن ابي واصحابه وذلك انهم خرجوا ذات
يوم فاستقبلهم نفر من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عبد الله بن ابي لاصحابه
انظروا كيف ارد هولاء السفهاء عنكم فذهب فاخذ بيد ابي بكر الصديق فقال مرحبا
بالصديق سيد بني تيم وشيخ الاسلام وثاني رسول الله صلى الله عليه وسلم في الغار الباذل نفسه
وماله لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اخذ بيد عمر فقال مرحبا بسيد بني عدي بن كعب
الفاروق القوي في دين الله الباذل نفسه وماله لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اخذ بيد
علي فقال مرحبا بابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيد بني هاشم ما خلا رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال له علي اتق الله يا عبد الله ولا تنافق فان المنافق شر خليقة الله
تعالى فقال مهلا يا ابا الحسن اني لا اقول هذا والله ان ايماننا كايمانكم وتصديقنا كتصديقكم
ثم تفرقوا فقال عبد الله لاصحابه كيف رايتموني فعلت فاثنوا عليه خيرا الله يستهزئ
بهم اي يجازيهم جزاء استهزائهم بالمؤمنين فسمى الجزاء باسمه لانه في مقابلته قال ابن عباس
يفتح لهم باب الجنة فاذا انتهوا اليه سد عنهم وردوا الى النار ويمدهم اي يتركهم
ويمهلهم والمد والامداد واحد واصله الزيادة واكثر ما ياتي المد في الشر والامداد في الخير
في طغيانهم اي في ضلالتهم واصل الطغيان مجاوزة الحد يعمهون اي يترددون
في الضلالة متحيرين اولئك يعني المنافقين الذين اشتروا الضلالة بالهدى اي
استبدلوا الكفر بالايمان انما اخرجه بلفظ الشرا والتجارة توسعا على سبيل الاستعارة
لان الشرا فيه اعطا بدل واخذ اخر فان قلت كيف اشتروا الضلالة بالهدى وما
كانوا على هدى قلت جعلوا لتمكنهم منه كانه في ايديهم فاذا تركوه الى الضلالة فقد

عطلوه

عطلوه واستبدلوه به والضلالة الجور عن القصد وفقد الاهتدا فما ربحت تجارتهم اي
ما ربحوا في تجارتهم والربح الفضل عن راس المال واضاف الربح الى التجارة لان
الربح فيها يكون وما كانوا مهتدين اي مصيبين في تجارتهم لان راس المال هو
الايمان فلما اضاعوه واعتقدوا الضلالة فقد ضلوا عن الهدى وقيل وما كانوا
مهتدين من ضلالتهم قوله عز وجل مثلهم المثل عبارة عن قول يشبه ذلك القول قولا
اخر بينهما مشابهة ليبين احدهما الاخر ويصوره ولهذا ضرب الله تعالى الامثال في كتابه
وهو احد اقسام القران السبعة ولما ذكر الله تعالى حقيقة وصف المنافقين عقبه بضرب
المثل زيادة في الكشف والبيان لانه يؤثر في القلوب ما لا يؤثره وصف الشي في نفسه
ولان المثل تشبيه الشي الخفي بالجلي فيتاكد الوقوف على هيئته وذلك هو النهاية
في الايضاح وشرطه ان يكون قولا فيه غرابة من بعض الوجوه كمثل الذي استوقد
نارا ليستضيء بها فلما اضاءت يعني النار ما حوله يعني حول المستوقد ذهب الله بنورهم
فان قلت كيف وحد اولا ثم جمع ثانيا قلت يجوز وضع الذي موضع الذين كقوله
وخضتم كالذي خاضوا وقيل انما شبه قصتهم بقصة المستوقد وقيل معناه ومثل
الواحد منهم كمثل الذي استوقد نارا وتركهم في ظلمات لا يبصرون قال ابن عباس
نزلت في المنافقين يقول مثلهم في نفاقهم كمثل رجل اوقد نارا في ليلة مظلمة في مفازة
فاستدفى ورأى ما حوله فاتقى مما يخاف فبينما هو كذلك اذ طفئت ناره فبقي في
ظلمة حائرا متخوفا فكذلك حال المنافقين اظهروا كلمة الايمان فامنوا بها على انفسهم
واموالهم واولادهم وناكحوا المسلمين وقاسموهم في الغنائم فكذلك نورهم فلما ماتوا
عادوا الى الظلمة والخوف وقيل ذهاب نورهم ظهور عقيدتهم للمؤمنين على
لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل ذهاب نورهم في القبر او على الصراط
فان قلت ما وجه تشبيه الايمان بالنور والكفر بالظلمة قلت وجه تشبيه الايمان
بالنور ان النور ابلغ الاشيا في الهداية الى الجهة المقصودة والى الطريق المستقيم
وازالة الحيرة وكذلك الايمان هو الطريق الواضح الى الله تعالى والى جنابه وشبه
الكفر بالظلمة لان الضال عن الطريق المستقيم المسلوك في الظلمة لا يزداد الا حيرة
وكذلك الكفر لا يزداد صاحبه في الاخرة الا حيرة وفي ضرب المثل للمنافقين بالنار
ثلاث حكم احدها ان المستضي بالنار مستضي بنور غيره فاذا ذهب ذلك بقي هو
في ظلمة فكانهم لما اقروا بالايمان من غير اعتقاد قلوبهم كان ايمانهم كالمستعار
الثانية ان النار تحتاج في دوامها الى مادة الحطب لتدوم فكذلك الايمان يحتاج
الى مادة الاعتقاد ليدوم الثالثة ان الظلمة الحادثة بعد الضوء اشد على الانسان
من ظلمة لم يجد قبلها ضيا فشبه حالهم بذلك ثم وصفهم الله تعالى صم اي عن سماع
الحق لانهم لا يقبلونه واذا لم يقبلوه فكانهم لم يسمعوه بكم عن النطق بالحق

فهم لا يعقلون عمي اي لا ابصار لهم يميزون بها بين الحق والباطل ومن لا بصيرة له كمن لا بصر له فهو اعمى كانت حواسهم سليمة ولكن لما سدوا عن سماع الحق اذانهم وابوا ان تنطق به السنتهم وان ينظروا اليه بعيونهم جعلوا كمن تعطلت حواسه وذهب ادراكه قال الشاعر "صموا اذا سمعوا خيرا ذكرت به" وان ذكرت بسوء كلهم اذن" فهم لا يرجعون اي عن ضلالتهم ونفاقهم قوله تعالى او كصيب اي كاصحاب صيب وهو المطر وكلما نزل من الاعلى الى الاسفل فهو صيب من السماء اي من السحاب لان كلما علاك فاظلك فهو سماء ومنه قيل لسقف البيت سماء وقيل من السماء بعينها وانما ذكر الله تعالى السماء وان كان المطر لا ينزل الا منها ليرد على من زعم ان المطر ينعقد من ابخرة الارض وابطل مذهب الحكماء بقوله من السماء ليعلم ان المطر ليس من ابخرة الارض كما زعم الحكماء فيه اي الصيب ظلمات جمع ظلمة ورعد هو الصوت الذي يسمع من السحاب وبرق يعني النار التي تخرج منه قال ابن عباس الرعد اسم ملك يسوق السحاب والبرق لمعان سوط من نور يزجر به السحاب وقيل الرعد اسم ملك يزجر السحاب اذا تبددت جمعها وضمها فاذا اشتد غضبه يخرج من فيه النار فهي البرق والصواعق وقيل الرعد تسبيح الملك وقيل اسمه يجعلون اصابعهم في اذانهم من الصواعق جمع صاعقة وهي الصيحة التي يموت كل من سمعها او يغشى عليه وقيل الصاعقة قطعة من العذاب ينزلها الله على من يشاء عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا سمع صوت الرعد والصواعق قال اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك اخرجه الترمذي وقال حديث غريب حذر الموت اي مخافة الهلاك والله محيط بالكافرين اي عالم بحالهم وقيل يجمعهم ويعذبهم يكاد البرق اي يقرب يقال كاد يفعل ولم يفعل يخطف ابصارهم اي يختلسها والخلس استلاب الشيء بسرعة كلما اي متى ما اضاء لهم يعني البرق مشوا فيه اي في اضاءته ونوره واذا اظلم عليهم قاموا اي وقفوا متحيرين وهذا مثل ضربه الله تعالى للمنافقين ووجه التمثيل ان الله عز وجل شبههم في كفرهم ونفاقهم بقوم كانوا في مفازة ليلة مظلمة اصابهم مطر فيه ظلمات وهي ظلمة الليل وظلمة المطر وظلمة السحاب من صفة تلك الظلمات الساري لا يمكنه المشي فيها ورعد من صفته ان يخطف ابصارهم ويعميها من شدته فهذا مثل ضربه الله تعالى للقران وصنيع الكافرين والمنافقين معه فالمطر هو القران لانه حياة القلوب كما ان المطر حياة الارض والظلمات ما في القران من ذكر الكفر والشرك والنفاق والرعد ما خوفوا به من الوعيد وذكر النار والبرق ما فيه من الهدى والبيان والوعد وذكر الجنة والنار فالكافرون والمنافقون يسدون اذانهم عند قراءة القران وسماعه مخافة ان يميل قلوبهم اليه لان الايمان به عندهم كفر والكفر موت وقيل هذا مثل ضربه الله تعالى للاسلام فالمطر هو الاسلام والظلمات ما فيه من البلا والمحن

والرعد ما فيه من ذكر الوعيد والخوف في الاخرة والبرق ما فيه من الوعد يجعلون اصابعهم في اذانهم يعني المنافقين اذا راوا في الاسلام بلاء وشدة هربوا حذرا من الهلاك والله محيط بالكافرين يعني لا ينفعهم الهرب لان الله تعالى من ورائهم يجمعهم ويعذبهم يكاد البرق يعني دلائل الاسلام تزعجهم الى النظر لولا ما سبق لهم من الشقاوة كلما اضاء لهم يعني المنافقين واضاءته لهم هو تركهم بلا ابتلاء ولا امتحان مشوا فيه يعني على المسالمة باظهار كلمة الايمان وقيل كلما نالوا غنيمة وراحة في الاسلام ثبتوا وقالوا انا معكم واذا اظلم عليهم قاموا يعني اذا راوا شدة وبلاء تاخروا ولو شاء الله لذهب بسمعهم اي بصوت الرعد وابصارهم بوميض البرق وقيل لذهب باسماعهم وابصارهم الظاهرة كما ذهب باسماعهم وابصارهم الباطنة ان الله على كل شيء قدير اي هو الفاعل لما يشاء لا منازع له فيه قوله عز وجل يا ايها الناس قال ابن عباس يا ايها الناس خطاب لاهل مكة ويا ايها الذين امنوا خطاب لاهل المدينة وهو هنا خطاب عام لسائر المكلفين اعبدوا ربكم قال ابن عباس وحدوا ربكم وكلما ورد في القران من العبادة فمعناه التوحيد واصل العبودية التذلل والعبادة غاية التذلل ولا يستحقها الا من له غاية الافضال والاعظام وهو الله تعالى الذي خلقكم اي ابتدع خلقكم من غير مثال سبق والذين من قبلكم اي وخلق الذين من قبلكم لعلكم لعل وعسى حرف ترج اي كل منهما وهما من الله واجب تتقون اي لكي تنجوا من العذاب وقيل معناه لتكونوا على رجاء التقوى بان تصيروا في ستر ووقاية من عذاب الله وحكم الله من ورائكم يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد الذي جعل لكم الارض فراشا اي خلق لكم الارض بساطا ووطاء مذللة ولم يجعلها حزنة لا يمكن القرار عليها والحزن ما غلظ من الارض والسماء بناء اي سقفا مرفوعا وقيل اذا تامل الانسان المتفكر في العالم وجده كالبيت المعمور فيه كل ما يحتاج اليه فالسماء مرفوعة كالسقف والارض مفروشة كالبساط والنجوم كالمصابيح والانسان كمالك البيت وفيه ضروب النبات المهيئة لمنافعه واصناف الحيوان مصروفة في مصالحه فيجب على الانسان المسخر له هذه الاشياء شكر الله تعالى عليها وانزل من السماء يعني السحاب ماء يعني المطر فاخرج به اي بذلك الماء من الثمرات يعني من الوان الثمرات واصناف النبات رزقا لكم اي وعلفا لدوابكم فلا تجعلوا لله اندادا يعني امثالا تعبدونهم كعبادته والند المثل وانتم تعلمون يعني انكم بعقولكم تعلمون ان هذه الاشياء والامثال لا يصح جعلها اندادا لله وانه واحد خالق جميع الاشياء وانه لا مثل له ولا ضد له قوله تعالى وان كنتم في ريب اي ان كنتم في شك لان الله عليم انهم شاكون مما نزلنا على عبدنا اي محمد صلى الله عليه وسلم لما تقرر اثبات الربوبية لله سبحانه وتعالى وانه الواحد الخالق وانه لا ضد له ولا ند اتبعه باقامة الحجة على اثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وما يدحض الشبهة في كون القران معجزة وانه من عند الله تعالى لا من عند نفسه كما يدعون فيه وقوله على عبدنا اضافة تشريف لمحمد صلى الله عليه وسلم وان القران منزل

عليه من عند الله سبحانه وتعالى فاتوا اى ان تعجز بسورة والسورة قطعة من القران معلومة
الاول والاخر وقيل السورة اسم للمنزلة الرفيعة ومنه سور البلد لارتفاعه سميت سورة
لان القارى ينال بها منزلة رفيعة حتى يستكمل المنازل باستكمال سور القران من مثله
اى مثل هذا القران وقيل الضمير فى مثله راجع الى عبدنا يعنى من مثل محمد صلى الله عليه وسلم
امى لم يحسن الكتابة ولم يجالس العلما ولم ياخذ العلم من احد ورد الضمير الى القران
اوجه واولى ويدل عليه ان ذلك مطابق لساير الايات الواردة فى التحدى وانما وقع
الكلام فى المنزل الا ترى ان المعنى وان ارتبتم فى ان القران منزل من عند الله فاتوا
انتم بسورة مما يماثله ويجانسه ولو كان الضمير مردودا الى محمد صلى الله عليه وسلم
لقال وان ارتبتم فى ان محمدا منزل عليه فهاتوا قرانا مثل محمد صلى الله عليه وسلم
ويدل على كون القران معجزا ما اشتمل عليه من الفصاحة فى البلاغة فى طرفى الايجاز
والاطالة فتارة ياتى بالقصة باللفظ الطويل ثم يعيدها باللفظ الوجيز ولا يخل
بالمقصود الاول وان فارقت اساليبه اساليب الكلام واوزانه اوزان الاشعار
والخطب والرسايل ولهذا تحدت العرب به فعجزوا عنه وتحيروا فيه واعترفوا
بفضله وهم معدن البلاغة وفرسان الفصاحة ولهم النظم والنثر من الاشعار
والخطب والرسايل حتى قال الوليد بن المغيرة فى وصف القران والله ان له لحلاوة
وان عليه لطلاوة وان اسفله لمغدق وان اعلاه لمثمر وادعوا شهداكم من دون
الله اى استعينوا بالهتكم التى تعبدونها من دون الله والمعنى ان كان الامر كما تقولون
انها تستحق العبادة فاجعلوا الاستعانة بها فى رفع ما نزل بكم من امر محمد صلى الله عليه
وسلم والا فاعلموا انكم مبطلون فى دعواكم انها الهة وقيل معناه وادعوا اناسا
يشهدون لكم ان كنتم صادقين ان محمدا صلى الله عليه وسلم يقوله من تلقا نفسه فان
لم تفعلوا اى فيما مضى ولن تفعلوا فيما بقى وهذه الاية دلت على عجزهم وانهم
لم ياتوا بمثله ولا بمثل شى منه وذلك ان النفوس الابية اذا قرعت بمثل هذا التقريع
استفرغت الوسع بالاتيان بمثل هذا القران وبمثل سورة منه ولو قدروا على
ذلك لاتوا به وحيث لم ياتوا بشى ظهرت المعجزة للنبى صلى الله عليه وسلم وبان
عجزهم وهم اهل الفصاحة والبلاغة والقران من جنس كلامهم وكانوا حراصا
على اطفا نوره وابطال امره ثم مع هذا الحرص الشديد لم توجد المعارضة من احدهم
ورضوا بسبى الذرارى واخذ الاموال والقتل واذا ظهر عجزهم عن المعارضة
صح صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم واذا كان الامر كذلك وجب ترك
العناد وهو قوله فاتقوا النار اى فامنوا واتقوا بالايمان النار التى وقودها
اى حطبها الناس والحجارة قال ابن عباس يعنى حجارة الكبريت لانها اكثر التهابا
وقيل جميع الحجارة وفيه دليل على عظم تلك النار وقوتها وقيل اراد بها الاصنام

لان اكثر

لان اكثر اصنامهم كانت من حجارة وانما قرن الناس مع الحجارة لانهم كانوا يعبدونها
معتقدين فيها انها تنفعهم وتشفع لهم فجعلها الله عذابا لهم فى نار جهنم اعدت
اى هيئت للكافرين قوله عز وجل وبشر الذين امنوا اى اخبر المومنين وهذا امر
للنبى صلى الله عليه وسلم والبشارة به ايراد الخبر السار على سامع ليستبشر به ويظهر
السرور فى بشرة وجهه ثم كثر حتى وضع موضع الخير والشر ومنه قوله وبشرهم
بعذاب اليم ولكن هو فى السرور والخير اغلب وعملوا الصالحات اى الفعلات الصالحات
وهى الطاعات قيل العمل الصالح ما كان فيه اربع اشيا العلم والنية والصبر والاخلاص
وقال عثمان بن عفان وعملوا الصالحات اى اخلصوا الاعمال يعنى عن الريا ان لهم
جنات جمع جنة وهى البستان الذى فيه اشجار مثمرة سميت جنة لاجتنانها
وتسترها بالاشجار والاوراق وقيل الجنة ما فيه نخل والفردوس ما فيه كرم تجرى من
تحتها اى من تحت اشجارها ومساكنها الانهار اى تجرى المياه فى الانهار لان الانهار
لا تجرى وقيل معناه تجرى بامرهم وفى الحديث ان انهار الجنة تجرى فى غير اخدود
اى فى غير شق الحفر الشق كلما رزقوا اى اطعموا منها اى من الجنة من ثمرة رزقا
اى طعاما قالوا هذا الذى رزقنا من قبل اى فى الدنيا وقيل ثمار الجنة متشابهة
فى اللون مختلفة فى الطعم فاذا رزقوا ثمرة بعد اخرى ظنوا انها الاولى واتوا به
اى بالرزق متشابها قال ابن عباس مختلفا فى المطعوم وقيل يشبه بعضه بعضا
فى الجودة لا رداة فيها وقيل يشبه ثمار الدنيا فى الاسم لا فى الطعم عن جابر قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل الجنة ياكلون ويشربون ولا يبولون ولا
يتغوطون ولا يتمخطون ولا يبزقون يلهمون الحمد والتسبيح كما يلهمون النفس طعامهم
جشا ورشح كرشح المسك وفى رواية وسخهم المسك قوله يلهمون التسبيح كما يلهمون
النفس اى يجرى على السنتهم كما يجرى النفس فلا يشغلهم عن شى كما ان النفس
لا يشغل عن شى قوله طعامهم جشا يعنى ان فضول طعامهم يخرج فى الجشا وهو
تنفس المعدة والرشح العرق وقوله تعالى ولهم فيها اى فى الجنان ازواج من الحور
العين مطهرة يعنى من البول والغايط والحيض والولد وساير الاقذار وقيل
هن عجايزكم الغمص العمش طهرت من قذارات الدنيا وقيل طهرت من مساوى
الاخلاق وقيل فى الجنة جماع ما شيت ولا ولد وهم فيها خالدون اى لا يخرجون
منها ولا يموتون والخلد البقا الدايم الذى لا انقطاع له ق عن ابى هريرة رضى الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر
ليلة البدر ثم الذين يلونهم على اشد كوكب درى فى السما اضاءة لا يبزقون
ولا يتمخطون ولا يبولون امشاطهم الذهب ورشحهم المسك ومجامرهم الالوة
الالنجوج عود الطيب ازواجهم الحور العين على خلق رجل واحد على صورة ابيهم

ادم ستون ذراعا في السما وفي رواية لكل واحد منهم زوجتان يرى مخ سوقهما
من وراء اللحم من الحسن لا اختلاف بينهم ولا تباغض قلوبهم قلب رجل واحد
يسبحون الله بكرة وعشيا ق عن ابي موسى الاشعري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
ان للمومن في الجنة لخيمة من لولوة واحدة مجوفة طولها في السما ستون ميلا للمومن
فيها اهلون يطوف عليهم المومن فلا يرى بعضهم بعضا عن ابي هريرة قال قلت
يا رسول الله مم خلق الله الخلق قال من الما قلت الجنة ما بناوها قال لبنة من فضة
ولبنة من ذهب وملاطها المسك الاذفر وحصباوها اللولو والياقوت وتربتها
الزعفران من يدخلها ينعم ولا يباس ويخلد ولا يموت ولا تبلى ثيابهم ولا يفنى شبابهم
اخرجه الترمذي وقال حديث حسن ليس اسناده بذلك القوي عن عبادة بن الصامت
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان في الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما
بين السما والارض والفردوس اعلاها درجة ومنها تنفجر انهار الجنة الاربعة ومن
فوقها يكون العرش فاذا سالتم الله فاسئلوه الفردوس اخرجه الترمذي م عن
انس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان في الجنة لسوقا
ياتونها كل جمعة فتهب ريح الشمال فتحثو في وجوههم وثيابهم فيزدادوا حسنا
وجمالا فيرجعون الى اهليهم وقد ازدادوا حسنا وجمالا فيقول لهم اهلوهم والله
لقد ازددتم بعدنا حسنا وجمالا فيقولون وانتم والله لقد ازددتم بعدنا حسنا
وجمالا عن علي رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان في الجنة لمجتمعا للحور
العين يرفعن باصوات لم تسمع الخلايق بمثلها يقلن نحن الخالدات فلا نبيد ونحن الناعمات
فلا نباس ونحن الراضيات فلا نسخط طوبى لمن كان لنا وكنا له اخرجه الترمذي وقال
حديث غريب قوله عز وجل ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها
سبب نزول هذه الاية ان الله تعالى لما ضرب المثل بالذباب والعنكبوت وذكر النحل والنمل
قالت اليهود ماذا اراد الله بذكر هذه الاشيا الخسيسة وقيل قال المشركون انا لا نعبد
الها يذكر هذه الاشيا وذلك لان الكفار واليهود كانوا متفقين على انكار رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقالوا ذلك فانزل الله تعالى ان الله لا يستحيي الحيا تغير وانكسار
يعتري الانسان من خوف ما يعاب به ويذم عليه وقيل هو انقباض النفس عن القبائح
هذا اصله في وصف الانسان والله تعالى منزه عن ذلك كله فاذا وصف الله تعالى
به يكون معناه الترك وذلك لان لكل فعل بداية ونهاية فبداية الحيا هو التغير
الذي يلحق الانسان من خوف ان ينسب اليه ذلك الفعل القبيح ونهايته ترك
ذلك الفعل القبيح فاذا ورد وصف الحيا في حق الله تعالى فليس المراد منه بدايته وهو
التغير والخوف بل المراد منه ترك الفعل الذي هو نهاية الحيا وغايته فيكون معنى
ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا البعوضة وقيل ليس هي صلة بل هي للابهام والنكرة

والبعوض

والبعوض صغار البق وهو من عجيب خلق الله تعالى فانه في غاية الصغر وله خرطوم مجوف
وهو مع صغره يغوص خرطومه في جلد الفيل والجاموس والجمل فيبلغ منه الغاية حتى ان
الجمل يموت من قرصه فما فوقها يعني الذباب والعنكبوت وما هو اعظم منها في الجثة وقيل معناه
فما دونها واصغر منها وهذا القول اشبه بالاية لان الغرض بيان ان الله تعالى لا يمتنع من التمثيل
بالشي الصغير الحقير وقد ضرب النبي صلى الله عليه وسلم مثلا للدنيا بجناح البعوضة وهو اصغر
منها وقد ضربت العرب المثل بالمحقرات فقيل هو احقر من ذرة واجمع من نملة واطيش من ذباب
والح من ذبابة فاما الذين امنوا يعني بمحمد والقران فيعلمون يعني ضرب المثل انه الحق يعني
الصدق من ربهم الثابت الذي لا يجوز انكاره لان ضرب المثل من الامور المستحسنة في العقل
وعند العرب واما الذين كفروا فيقولون ماذا اراد الله بهذا مثلا اي بهذا المثل يضل به كثيرا اي
من الكفار وذلك انهم يكذبونه فيزدادون به ضلالا ويهدي به كثيرا يعني المومنين يصدقونه
ويعلمون انه حق وما يضل به الا الفاسقين يعني الكافرين وقيل المنافقين وقيل اليهود والفسق
الخروج عن طاعة الله تعالى وطاعة رسوله ثم وصفهم فقال تعالى الذين ينقضون اي يخالفون
ويتركون واصل النقض الفسخ وذلك المركب عهد الله اي امر الله واصل العهد حفظ الشي
ومراعاته حالا بعد حال من بعد ميثاقه اي من بعد عقده وتوكيده وفي معنى هذا العهد اقوال احدها
انه الذي اخذه عليهم يوم الميثاق وهو قوله الست بربكم قالوا بلى الثاني المراد به الذي اخذه
على احبار اليهود في التورية ان يومنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم ويبينوا نعته وصفته الثالث
المراد به الكفار والمنافقين الذين نقضوا عقدا ابرمه الله تعالى واحكمه بما انزله في كتابه من
الايات الدالة على توحيده ويقطعون ما امر الله به ان يوصل يعني الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وجميع
الرسل فامنوا ببعض فكفروا ببعض وهم اليهود وقيل اراد به قطع الارحام التي امر الله بوصلها
ويفسدون في الارض يعني بالمعاصي وتعويق الناس عن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والقران
اولئك هم الخاسرون اي المغبونون واصل الخسار النقص ثم قال تعالى لمشركي العرب على وجه
التعجب لكن عنه تبكيت وتعنيف لهم كيف تكفرون بالله يعني بعد نصب الدلايل ووضع
البراهين الدالة على وحدانيته ثم ذكر الدليل فقال تعالى وكنتم امواتا يعني نطفا في اصلاب اباءكم
فاحياكم يعني في الارحام والدنيا ثم يميتكم اي انقضا اجالكم ثم يحييكم يعني بعد الموت للبعث ثم اليه
ترجعون اي تردون في الاخرة فيجزيكم باعمالكم قوله تعالى هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا
يعني من المعادن والنبات والحيوان والجبال والبحار والمعنى كيف تكفرون بالله وقد خلق لكم
ما في الارض جميعا لتنتفعوا به في مصالح الدين والدنيا اما مصالح الدين فهو الاعتبار
والتفكر في عجايب مخلوقات الله تعالى الدالة على وحدانيته واما مصالح الدنيا فهو الانتفاع
بما خلق فيها ثم استوى الى السما اي قصد واقبل على خلقها وقيل عمد وقال ابن عباس
ارتفع وفي رواية عنه صعد قال الازهري معناه صعد امره وكذا ذكره صاحب المحكم وذلك
ان الله تعالى خلق الارض اولا ثم عمد الى خلق السما فان قلت كيف الجمع بين هذا وقوله

تعالى والارض بعد ذلك دحاها قلت الدحو البسط فيحتمل ان الله تعالى خلق جرم الارض
ولم يبسطها ثم خلق السما وبسط جرم الارض بعد ذلك فان قلت هذا اشكل ايضا لان
قوله تعالى خلق لكم ما في الارض جميعا يقتضي ان ذلك لا يكون الا بعد الدحو قلت يحتمل انه
ليس ههنا ترتيب وانما هو على سبيل تعديد النعم كقول الرجل لمن يذكر ما انعم الله عليه الم
اعطك الم ارفع قدرك الم ادفع عنك ولعل بعض هذه النعم متقدمة على بعض والله
اعلم فسواهن سبع سموات خلقهن سبع سموات مستويات لا صدع فيها ولا فطور وسيأتي
ذكر خلق الارض والسما عند قوله تعالى ائنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين في
سورة حم السجدة ان شا الله تعالى وهو بكل شي عليم يعني يعلم الجزئيات كما يعلم الكليات
قوله تعالى واذ قال ربك اي واذكر يا محمد اذ قال ربك وكلما ورد في القران من هذا النحو
فهذا سبيله وقيل اذ زايدة والاول اوجه للملايكة جمع ملك واصله مالك من المالكة
والالوكة وهي لغة البغوي وهي الرسالة واراد بالملايكة الذين كانوا في الارض وذلك
ان الله تعالى خلق الارض والسما وخلق الملايكة والجن فاسكن الملايكة السما واسكن
الجن الارض فعبدوا دهرا طويلا ثم ظهر فيهم الحسد والبغي فافسدوا وقتلوا فبعث الله
اليهم جندا من الملايكة يقال لهم الجان وراسهم ابليس وهم خزان الجنان فهبطوا الى الارض
وطردوا الجن الى جزاير البحور وشعوب الجبال وسكنوا هم الارض وخفف الله عنهم العبادة
واعطى الله ابليس ملك الارض وملك سما الدنيا وخزانة الجنة وكان ابليس رئيسهم
ومرشدهم واكثرهم علما وكان يعبد الله تارة في الارض وتارة في السما وتارة في الجنة فدخله
العجب وقال في نفسه ما اعطاني الله هذا الملك الا لاني اكرم الملايكة عليه فقال له ولجنده
اني جاعل في الارض خليفة اي خالق خليفة يعني بدلا منكم ورافعكم الي فكرهوا ذلك لانهم
كانوا اهون الملايكة عبادة والمراد بالخليفة هنا ادم عليه الصلوة والسلام لانه خلف
الجن وجا بعدهم وقيل لانه يخلفه غيره والصحيح انه انما سمي خليفة لانه خليفة الله في
ارضه لاقامة حدوده وتنفيذ قضاياه قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها اي بالمعاصي
ويسفك الدما اي بغير حق كما فعل بنو الجان فان قلت من اين عرفوا ذلك حتى
قالوا هذا القول قلت يحتمل ان يكون عرفوا ذلك باخبار الله اياهم او قاسوا الشاهد
على الغايب وقيل انهم لما راوا ان ادم خلق من اخلاط مركبة علموا انه يكون فيه
الحقد والغضب ومنهما يتولد الفساد وسفك الدما فلهذا قالوا ذلك وقيل لما
خلق الله النار خافت الملايكة وقالوا لمن خلقت هذه النار قال لمن عصاني فلما قال
اني جاعل في الارض خليفة قالوا هو ذلك فان قلت الملايكة معصومون فكيف
وقع هذا الاعتراض قلت ذهب بعضهم الى انهم غير معصومين واستدلوا على
ذلك بوجوه منها قوله اتجعل فيها من يفسد فيها ومن ذهب الى عصمتهم اجاب
عنه بان هذا السوال انما وقع على سبيل التعجب لا على سبيل الانكار والاعتراض

فانهم

فانهم تعجبوا من كمال حكمة الله تعالى واحاطة علمه بما خفي عليهم ولهذا اجابهم بقوله اني
اعلم ما لا تعلمون وقيل ان العبد المخلص في حب سيده يكره ان يكون له عبد اخر يعصيه
فكان سوالهم على وجه المبالغة في اعظام الله عز وجل ونحن نسبح بحمدك اي نقول سبحان
الله وبحمده وهي صلاة الخلق وعليها يرزقون م عن ابي ذر ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم سئل اي الكلام افضل قال ما اصطفى الله لملايكته او لعباده سبحان الله
وبحمده قال ابن عباس كل ما جا في القران من التسبيح فالمراد منه الصلاة فيكون المعنى
ونحن نصلي لك وقيل اصل التسبيح تنزيه الله عن ما لا يليق بجلاله فيكون المعنى
ونحن ننزهك عن كل سو ونقيصة ومعناه نحمدك حامدين لك ومتلبسين
بحمدك فانه لولا انعامك علينا بالتوفيق لم نتمكن من ذلك ونقدس لك
اصل التقديس التطهير اي نطهرك من النقايص وكل سو ونصفك بما يليق
بعزك وجلالك من العلو والعصمة واللام صلة وقيل معناه نطهر انفسنا
لطاعتك وعبادتك قال اني اعلم ما لا تعلمون قيل انه جواب لقول الملايكة اتجعل
فيها فقال تعالى اعلم من وجوه المصلحة والحكمة ما لا تعلمون وقيل اعلم ان فيهم من
يعبدني ويطيعني وهم الانبيا والاوليا والصالحون ومن يعصيني منكم وهو ابليس
وقيل اعلم انهم يذنبون ويستغفرون فاغفر لهم فصل في ماهية الملايكة وقصة خلق
ادم عليه الصلاة والسلام قيل ان الملايكة اجسام لطيفة هوائية خلقوا من النور تقدر
ان تتشكل باشكال مختلفة مسكنهم في السموات عن ابي ذر قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اني ارى ما لا ترون واسمع ما لا تسمعون اطت السما وحق لها ان تئط
ما فيها موضع اصابع الا وملك واضع جبهته لله ساجدا اخرجه الترمذي بزيادة وقال
حديث حسن غريب واما صفة خلق ادم عليه السلام فقال وهب بن منبه لما اراد الله تعالى
ان يخلق ادم اوحى الله تعالى الى الارض اني خالق منك خليفة منهم من يطيعني ومنهم من
يعصيني فمن اطاعني ادخلته الجنة ومن عصاني ادخلته النار قالت الارض اتخلق
مني خلقا يكون للنار قال نعم فبكت الارض فانفجرت منه العيون الى يوم القيامة فبعث
الله اليها جبريل لياتيه بقبضة منها من احمرها واسودها وطيبها وخبيثها فلما اتاها ليقبض
منها قالت اعوذ بعزة الله الذي ارسلك ان لا تاخذ مني شيا فرجع جبريل الى مكانه وقال
يا رب استعاذت بك مني فكرهت ان اقدم عليها فقال الله تعالى لميكاييل انطلق فاتني
بقبضة منها فلما اتاها ليقبض منها قالت له مثل ما قالت لجبريل فرجع الى ربه فقال ما قالت
فقال الله تعالى لعزرايل انطلق فاتني بقبضة من الارض فلما اتاها قالت له الارض
اعوذ بعزة الله الذي ارسلك ان لا تاخذ مني شيا فقال وانا اعوذ بعزة الله ان لا
اعصي له امرا وقبض منها قبضة من جميع بقاعها من عذبها ومالحها وحلوها ومرها
وطيبها وخبيثها وصعد بها الى السما فساله ربه عز وجل وهو اعلم بما صنع فاخبره

قالت للارض وبما رد عليها فقال الله تعالى وعزتي وجلالي لاخلقن مما جئت به خلقا
ولاسلطنك على قبض ارواحهم لقلة رحمتك ثم جعل الله تلك القبضة نصفها
في الجنة ونصفها في النار ثم تركها ما شاء الله ثم اخرجها فعجنها طينا لازبا مدة ثم
حما مسنونا مدة ثم صلصالا ثم جعلها جسدا والقاه على باب الجنة فكانت
الملائكة يعجبون من صفة صورته لانهم لم يكونوا راوا مثله وكان ابليس
يمر عليه ويقول لامر ما خلق هذا ونظر اليه فاذا هو اجوف فقال هذا خلق
لا يتمالك وقال يوما للملائكة ان فضل هذا عليكم ما تصنعون قالوا نطيع
ربنا ولا نعصيه فقال ابليس في نفسه لان فضل علي لاعصينه ولان فضلت
عليه لاهلكنه فلما اراد الله تعالى ان ينفخ فيه الروح امرها ان تدخل في جسد ادم
فنظرت فرات مدخلا ضيقا فقالت يا رب كيف ادخل هذا الجسد قال
الله عز وجل لها ادخليه كرها وتخرجين منه كرها فدخلت في يافوخه فوصلت
الى عينيه فجعل ينظر الى ساير جسده طينا فصارت الى ان وصلت منخريه
فعطس فلما بلغت لسانه قال الحمد لله رب العالمين وهي اول كلمة قالها
فناداه الله تعالى رحمك ربك يا ابا محمد ولهذا خلقتك ولما بلغت الروح الى
الركبتين ليقوم فلم يقدر قال الله تعالى خلق الانسان من عجل فلما بلغت الى
الساقين والقدمين استوى قايما بشرا سويا لحما ودما وعظاما وعروقا وعصبا
وكسي لباسا من ظفر يزداد جسده كمالا وحسنا كل يوم وفي جسده تسعة ابواب
سبعة في راسه وهي الاذنان يسمع بهما والعينين يبصر بهما والمنخران يشم بهما
والفم فيه اللسان يتكلم به والاسنان يطحن بها ما ياكله ويجد لذة المطعومات
بها وما بين من اسفل جسده وهما القبل والدبر يخرج منهما ثفل طعامه وشرابه
وجعل عقله في دماغه وفكره وصرامته في قلبه وشرهه في كليته وغضبه في كبده
ورغبته في ريته وضحكه في طحاله وفرحه وحزنه في وجهه فسبحان من جعله يسمع
بعظم ويبصر بشحم وينطق بلحم ويعرف بدم وركب فيه الشهوة وحجزه بالحياء ق
عن ابي هريرة قال خلق الله ادم عليه الصلاة والسلام وطوله ستون ذراعا ثم
قال له اذهب فسلم على اولئك النفر من الملائكة فاستمع ما يحيونك فانها تحيتك
وتحية ذريتك فقال السلام عليكم فقالوا السلام عليك ورحمة الله فزادوه ورحمة
الله وكل من يدخل الجنة على صورة ادم قال فلم يزل الخلق ينقص حتى الان
عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما صور الله ادم تركه
ما شاء الله ان يتركه فجعل ابليس يطيف به ينظر ما هو فلما راه اجوف علم انه
لا يتمالك عن ابي موسى قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله
خلق ادم من قبضة قبضها من جميع الارض فجا بنو ادم على قدر الارض منهم

الاحمر

الاحمر والابيض والاسود وبين ذلك والسهل والحزن والخبيث والطيب اخرجه الترمذي
وابو داود قوله عز وجل وعلم ادم الاسماء كلها سمي ادم لانه خلق من اديم الارض وقيل لانه
كان ادم اللون وكنيته ابو محمد وقيل ابو البشر ولما خلق الله ادم وتم خلقه علمه اسما الاشيا
وذلك ان الملائكة قالوا ليخلق ربنا ما شا فلن يخلق خلقا اكرم عليه منا وان كان فنحن اعلم
منه لانا خلقنا قبله وراينا ما لم يره فاظهر الله فضل ادم عليهم بالعلم وفيه دليل لمذهب
اهل السنة ان الانبيا افضل من الملائكة وان كانوا رسلا قال ابن عباس علمه اسم كل شي حتى
القصعة والقصيعة وقيل خلق الله كل شي من الحيوان والجماد وغير ذلك وعلم ادم اسماها
كلها فقال يا ادم هذا فرس وهذه شاة حتى اتى على اخرها وقيل علم ادم اسما الملائكة وقيل
ذريته وقيل علمه اللغات كلها ثم عرضهم يعني تلك الاشخاص وانما قال عرضهم ولم يقل عرضها
لان المسميات اذا جمعت من يعقل ومن لا يعقل عبر عنه بلفظ من يعقل لتغليب العقلا
عليهم كما يعبر عن الذكور والاناث بلفظ الذكور على الملائكة فقال يعني تعجيزا لهم انبئوني اي
اخبروني باسما هولا يعني تلك الاشخاص ان كنتم صادقين اي اني لم اخلق خلقا الا كنتم
افضل منه واعلم قالوا يعني الملائكة سبحانك تنزيها لك وذلك لما ظهر عجزهم لا علم لنا الا
ما علمتنا اي انك اجل من ان نحيط بشي من علمك الا ما علمتنا انك انت العليم اي بخلقك
وهو من اسما الصفات الذاتية وهو المحيط بكل المعلومات الحكيم في امرك وله معنيان احدهما انه
القاضي العدل الثاني المحكم للامور كي لا يتطرق اليها الفساد قال يعني الله تعالى يا ادم انبئهم
باسمائهم وذلك لما ظهر عجز الملائكة فسمى كل شي باسمه وذكر وجه الحكمة التي خلق لها فلما انباهم
باسمائهم قال يعني الله تعالى الم اقل لكم يعني يا ملائكتي اني اعلم غيب السموات والارض يعني
ما كان وما يكون وذلك انه سبحانه وتعالى علم احوال ادم قبل ان يخلقه فلهذا قال واعلم
ما تبدون يعني قول الملائكة اتجعل فيها وما كنتم تكتمون يعني قولكم لن يخلق الله خلقا
اكرم عليه منا وقال ابن عباس اعلم ما تبدون من الطاعة وما كنتم تكتمون يعني ابليس
من المعصية قوله عز وجل واذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم قيل هذا الخطاب مع الملائكة الذين
كانوا سكان الارض والاصح انه خطاب مع جميع الملائكة بدليل قوله فسجد الملائكة كلهم اجمعون
الا ابليس فسجدوا يعني الملائكة وفي هذه السجدة قولان اصحهما انه كان لادم على الحقيقة
ولم يكن فيه وضع الجبهة على الارض وانما هو الانحنا وكان سجود تحية وتعظيم لا سجود
عبادة كسجود اخوة يوسف له في قوله وخروا له سجدا فلما جا الاسلام ابطل ذلك بالسلام
وفي سجود الملائكة لادم معنى الطاعة لله تعالى وامتثال امره والقول الثاني ان ادم كان كالقبلة وكان
السجود لله تعالى كما جعلت الكعبة قبلة للصلاة والصلاة لله وفي هذه الاية دليل لمذهب اهل السنة
في تفضيل الانبيا على الملائكة الا ابليس سمي به لانه ابلس من رحمة الله اي ايس وكان اسمه
عزازيل بالسريانية وبالعربية الحارث فلما عصى غير اسمه فسمي ابليس وغيرت صورته قال ابن
عباس كان ابليس من الملائكة بدليل انه استثناه منهم وقيل انه من الجن لانه خلق من النار

والملائكة خلقوا من النور ولانه اصل الجن كما ان ادم اصل الانس والاول اصح لان المتصفات كان مع الملائكة مغمورا فيهم ثم استثناه منهم ابى اى امتنع من السجود فلم يسجد واستكبر اى تكبر وتعظم عن السجود لادم وكان من الكافرين اى في علم الله تعالى وانه وجبت له النار لسابق علم الله تعالى بشقاوته م عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قرا ابن ادم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكى يقول يا ويله وفى رواية يا ويلتاه امر ابن ادم بالسجود فسجد فله الجنة وامرت بالسجود فعصيت فلى النار قوله عز وجل وقلنا يا ادم اسكن انت وزوجك الجنة اى اتخذها ماوى ومنزلا وليس معناه الاستقرار لانه لم يقل اسكنك الجنة لانه خلق لعمارة الارض ولما اسكن الله ادم فى الجنة بقى وحده ليس معه من يستانس به ويجالسه القى الله عليه النوم ثم اخذ ضلعا من اضلاع شقه الايسر وهو الاقصر فخلق منه زوجته حوى ووضع مكان الضلع لحما من غير ان يحس بذلك ادم ولم يجد لذلك الما ولو وجد الما ما عطف رجل على امراة قط وسميت حوى لانها خلقت من حى فلما استيقظ ادم من نومه وراها جالسة كاحسن ما خلق الله تعالى فقال لها من انت قالت انا زوجتك حوى قال ولماذا خلقت قالت لتسكن الى واسكن اليك واختلفوا فى الجنة التى امر ادم بسكناها فقيل انها جنة كانت فى الارض بدليل انه لو كانت الجنة التى هى دار الجزا والثواب لما اخرج منها واجاب صاحب هذا القول عن قوله تعالى اهبطا بان المراد من الهبوط التحول والانتقال فهو كقوله تعالى اهبطوا مصرا والقول الصحيح انها الجنة التى هى دار الجزا والثواب لان الالف واللام للعهد والجنة بين المسلمين وفى عرفهم التى هى دار الجزا والثواب وقيل كلا القولين ممكن فلا وجه للقطع وكلا منها رغدا اى واسعا كثيرا حيث شئتما اى كيف شئتما ومتى شئتما واين شئتما والمقصود منه الاطلاق فى الاكل من الجنة بل المنع الا ما نهى عنه وهو قوله تعالى ولا تقربا هذه الشجرة يعنى للاكل قيل انما وقع هذا النهى عن جنس من الشجرة وقيل على شجرة مخصوصة قال ابن عباس هى السنبلة وقيل الكرمة وقيل هى شجرة العلم وقيل الكافور وقيل ليس فى ظاهر الكلام ما يدل على التبيين اذ لا حاجة اليه لانه ليس المقصود تعرف عين تلك الشجرة وما لا يكون مقصودا لا يجب بيانه فتكونا من الظالمين يعنى ان اكلتما من هذه الشجرة ظلمتما انفسكما ممن جوز ارتكاب الذنوب على الانبيا قال ظلم لنفسه بالمعصية واصل الظلم وضع الشى فى غير موضعه ومن لم يجوز ذلك على الانبيا حمل الظلم على انه فعل ما كان الاولى ان لا يفعله وقيل يحمل على انه فعل هذا قبل النبوة فان قلت هل يجوز وصف الانبيا بالظلم ولظلم انفسهم قلت لا يجوز ان يطلق ذلك عليهم لما فيه من الذم قوله عز وجل فازلهما الشيطان عنها اى استزل ادم وحوى ودعاهما الى الزلة وهى الخطيئة وسياتى الكلام ان شا الله تعالى على الانبيا والجواب عن ما صدر منهم عند قوله عز وجل وعصى ادم ربه فغوى فى سورة طه فاخرجهما مما كانا فيه يعنى من النعيم وذلك ان ابليس اراد

ان يدخل

ان يدخل الجنة ليوسوس لادم وحوى فمنعه الخزنة فاتى الحية وكانت صديقة لابليس وكانت من احسن الدواب لها اربع قوايم كقوايم البعير وكانت من خزان الجنة فسالها ان تدخله الجنة فى فمها فادخلته ومرت به على الخزنة وهم لا يعلمون وقيل انما اراهما على باب الجنة لانهما كانا يخرجان منها وكان ابليس يقرب الباب فوسوس لهما وذلك ان ادم لما دخل الجنة وراى ما فيها من النعيم قال لو ان خلدا فاغتنم ذلك الشيطان منه واتاه من قبل الخلد وقيل لما دخل الجنة وقف على ادم وحوى وهما لا يعلمان انه ابليس فبكى وناح نياحة احزنتهما وهو اول من ناح فقالا ما يبكيك قال ابكى عليكما لانكما تموتان فتفارقان ما انتما فيه من النعمة فوقع ذلك فى انفسهما واغتما ومضى ابليس ثم اتاهما بعد ذلك فقال يا ادم هل ادلك على شجرة الخلد فابى ان يقبل منه فقاسمهما بالله انه لهما لمن الناصحين فاغترا وما ظنا ان احدا يحلف بالله كاذبا فبادرت حوى الى اكل الشجرة ثم ناولت ادم فاكل منها قال ابراهيم بن ادهم اورثتنا تلك الاكلة حزنا طويلا قال ابن عباس قال الله تعالى يا ادم الم يكن فيما ابحتك من الجنة مندوحة عن الشجرة قال بلى يا رب وعزتك ولكن ما ظننت ان احدا يحلف بك كاذبا قال فبعزتى لاهبطنك الى الارض ثم لا تنال العيش فيها الا كدا فاهبط من الجنة وعلم صنعة الحديد وامر بالحرث فحرث وزرع وسقى حتى اذا بلغ واشتد حصده ثم داسه ثم ذراه ثم طحنه ثم عجنه وخبزه ثم اكله فلم يبلغه حتى بلغ منه الجهد وفى رواية اخرى عن ابن عباس ان ادم لما اكل من الشجرة التى نهى عنها قال الله تعالى يا ادم ما حملك على ما صنعت قال يا رب زينته لى حوى قال فانى اعقبتها ان لا تحمل الا كرها ولا تضع الا كرها ودميتها فى الشهر مرتين فرنت حوى عند ذلك فقيل عليك الرنة وعلى بناتك والرنة الصوت فلما اكلا من الشجرة تهافتت عنهما ثيابهما وبدت سواتهما واخرجا من الجنة فذلك قوله عز وجل وقلنا اهبطوا اى انزلوا الى الارض يعنى ادم وحوى وابليس والحية فهبط ادم بسرنديب من ارض الهند على جبل يقال له نود واهبطت حوى بجدة وابليس بالابلة من اعمال البصرة والحية باصبهان بعضكم لبعض عدو يعنى العداوة التى بين المومنين من ذرية ادم وبين ابليس واليه الاشارة بقوله عز وجل ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا والعداوة التى بين ذرية ادم والحية خ عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ترك الحيات مخافة طلبهن فليس منا ما سالمناهن منذ حاربناهن اخرجه ابو داود عن ابن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اقتلوا الحيات كلهن فمن خاف من ثارهن فليس منى وفى رواية اقتلوا الكبار كلها الا الجان الابيض الذى كانه قضيب فضة م عن ابى سعيد الخدرى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان بالمدينة جنا قد اسلموا فاذا رايتم منهم شيئا فاذنوه ثلاثة ايام فان بدا لكم بعد ذلك فاقتلوه فانما هو شيطان وفى رواية ان لهذه البيوت عوامر فاذا رايتم منها شيئا فحرجوا عليها ثلاثا فان ذهب والا فاقتلوه فانه كافر ولكم فى الارض مستقر اى موضع قرار ومتاع وبلغة وتمتع الى حين اى الى وقت انقضا اجالكم قوله عز وجل فتلقى

اى فتلقف والتلقى هو قبول عن فطنة وفهم وقيل هو التعليم من ربه كلمات اى كانت
سبب توبته وقيل ان تلك الكلمات هى قوله ربنا ظلمنا انفسنا الاية وقيل قال لا اله الا
سبحانك وبحمدك رب عملت سؤ وظلمت نفسى فاغفرلى انك انت الغفور الرحيم لا اله
الا انت سبحانك وبحمدك رب عملت سؤ وظلمت نفسى فارحمنى انك انت ارحم الراحمين
وقيل قال ادم يارب ارايت ما اتيت اشى ابتدعته من تلقا نفسى ام شئ قدرته على
قبل ان تخلقنى قال بل شئ قدرته عليك قبل ان اخلقك قال يارب فكما قدرته على فاغفرلى
وقيل ان الله تعالى امر ادم بالحج وعلمه اركانه فطاف بالبيت سبعا وهو يومئذ ربوة حمراء ثم صلى
ركعتين ثم استقبل البيت وقال اللهم انك تعلم سرى وعلانيتى فاقبل معذرتى وتعلم حاجتى
فاعطنى سؤلى وتعلم ما فى نفسى فاغفرلى ذنوبى فاوحى الله اليه يا ادم قد غفرت لك ذنوبك
وقيل ان ادم لما اهبط الى الارض مكث ثلثمائة سنة لا يرفع راسه الى السماء حياء من الله تعالى
وقيل هى ثلثة اشيا الحيا والدعاء والبكاء قال ابن عباس بكى ادم وحوى على ما فاتهما من نعيم الجنة
مايتا سنة ولم ياكلا ولم يشربا اربعين يوما وقيل لو ان دموع اهل الارض جمعت لكانت
دموع داود اكثر حيث اصاب الخطيئة ولو ان دموع داود ودمع اهل الارض جمعت لكانت
دموع ادم اكثر حيث اخرج من الجنة فتاب عليه اى فتجاوز عنه وغفرله واصل التوبة من تاب
يتوب الى رجع فكان التايب رجع عن ذلك الذنب الذى كان عليه ولا تتحقق التوبة منه
الا بثلث امور علم وحال وعمل اما العلم فهو ان يعلم العبد ضرر الذنب وانه حجاب عن الله تعالى
فاذا حصل هذا العلم تالم القلب فعند ذلك تحصل الندم وهو الحال فيترك العبد الذنب و يعزم
فى المستقبل ان لا يعود اليه وهو العمل فاذا تحققت هذه الثلثة امور حصلت التوبة وسياتى
بسط هذا عند قوله توبوا الى الله توبة نصوحا فى سورة التحريم ان شاء الله تعالى انه هو
التواب اى الرجاع على عباده بقبول التوبة والتواب فى وصف الله سبحانه وتعالى المبالغة
فى قبول توبة عباده الرحيم اى بخلقه وصف سبحانه وتعالى نفسه مع كونه توابا بانه رحيم قلنا اهبطوا
منها جميعا يعنى هولا الاربعة وقيل ان الهبوط الاول من الجنة الى سماء الدنيا والهبوط الثانى
من سماء الدنيا الى الارض وفيه ضعف لانه قال فى الهبوط الاول ولكم فى الارض مستقر فدل
على انه كان من الجنة الى الارض والاصح انه للتاكيد فاما ياتينكم منى هدى فيه تنبيه على عظم نعم الله
على ادم وحوى كانه تعالى قال ان اهبطتكم من الجنة الى الارض فقد انعمت عليكم بهداتى التى تؤديكم
الى الجنة مرة اخرى على الدوام الذى لا ينقطع وقيل المخاطب بهم ذرية ادم يعنى يا ذرية ادم
اما ياتينكم منى رشد وبيان وشريعة وقيل كتاب ورسول فمن تبع هداى فلا خوف
عليهم يعنى فيما يستقبلهم ولا هم يحزنون اى على ما خلفوا وقيل لا خوف عليهم ولا هم
يحزنون فى الاخرة والذين كفروا اى جحدوا وكذبوا باياتنا اى بالقران اولئك اصحاب
النار اى يوم القيامة هم فيها خالدون اى لا يخرجون منها ولا يموتون فيها قوله عز وجل
يا بنى اسرائيل اتفق المفسرون على ان اسرائيل هو يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم

صلى الله

صلى الله عليهم اجمعين ومعنى اسرائيل عبد الله وقيل صفوة الله والمعنى يا اولاد يعقوب
اذكروا نعمتى التى انعمت عليكم اى اشكروا نعمتى وانما عبر عنه بالذكر لان من ذكر النعمة
فقد شكرها ومن جحدها فقد كفرها وقيل الذكر يكون بالقلب ويكون باللسان وحد
النعمة لانها المنفعة المفعولة على جهة الاحسان الى الغير ومعناه ان المضرة المحضة لا تكون
نعمة ولو فعل الانسان منفعة وقصد نفسه بها لا تسمى نعمة اذا لم يقصد بها الغير ثم ان
النعم ثلثة نعمة تفرد بها الله تعالى وهى ايجاد الانسان ورزقه ونعمة وصلت الى الانسان
بواسطة الغير لكن الله مكنه من ذلك فالمنعم بها فى الحقيقة هو الله تعالى ونعمة حصلت
للانسان بسبب الطاعة وهى ايضا من الله تعالى فالله هو المنعم المطلق فى الحقيقة لان
اصول النعم كلها منه واما النعم المختصة ببنى اسرائيل فكثيرة لان قوله اذكروا نعمتى
لفظها واحد ومعناها الجمع فمن النعم ان الله انقذهم من فرعون وفلق البحر لهم
واغراق فرعون وتظليل الغمام وانزل المن والسلوى فى التيه عليهم وانزل التورية فى نعم
غير هذا كثيرة فان قلت اذا فسرت النعمة بهذا فما كانت على المخاطبين بها بل كانت على
ابائهم فكيف تكون نعمة عليهم حتى يذكروها قلت انما ذكر المخاطبين بها لان فخر الاباء فخر الابناء
ولان الابناء اذا تيقنوا ان الله قد انعم على ابائهم بهذه النعم فقد وجب عليهم ذكرها وشكرها
وقيل ان هذه النعمة هى ادراك المخاطبين بها زمن محمد صلى الله عليه وسلم وذكرها الايمان به
واوفوا بعهدى اى امتثلوا امرى اوف بعهدكم اى بالقبول والثواب واصل العهد حفظ
الشئ ومراعاته حالا بعد حال ومنه سمى الموثق الذى يلزم مراعاته عهدا وقيل اراد بالعهد جميع
ما امر الله به من غير تخصيص بعض التكاليف دون بعض وقيل اراد به ما ذكر فى سورة المائدة
وهو قوله ولقد اخذ الله ميثاق بنى اسرائيل وبعثنا منهم اثنى عشر نقيبا الى قوله لاكفرن
عنكم سيئاتكم فهذا قوله اوف بعهدكم وقيل هو قوله واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور
خذوا ما اتيناكم بقوة يعنى شريعة التورية وقيل هو قوله واذ اخذنا ميثاق بنى اسرائيل
لا تعبدون الا الله وقيل اراد بهذا العهد ما اثبته فى كتب الانبياء المتقدمة من وصف
محمد صلى الله عليه وسلم وانه مبعوث فى اخر الزمان وذلك ان الله عهد الى بنى اسرائيل على لسان
موسى عليه الصلوة والسلام انى باعث من بنى اسماعيل نبيا فمن تبعه وصدق النور الذى
ياتى به غفرت له ذنوبه وادخلته الجنة وجعلت له اجرين اثنين وهو قوله واذ اخذ الله ميثاق
الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس يعنى امر محمد صلى الله عليه وسلم وصفته واياى فارهبون
اى فخافون فى نقضكم العهد وامنوا بما انزلت يعنى بالقران مصدقا لما معكم يعنى ان القران
موافق لما فى التورية من التوحيد والنبوة والاخبار ونعت النبى صلى الله عليه وسلم فالايمان
بمحمد صلى الله عليه وسلم والقران تصديقا للتورية لان التورية فيها الاشارة الى نعت النبى صلى الله
عليه وسلم وانه نبى مبعوث فمن امن به فقد امن بما فى التورية ومن كذبه وكفر به فقد كذب
التورية وكفر بها ولا تكونوا اول كافر به الخطاب لليهود نزلت فى كعب بن الاشرف

ورؤساء اليهود والمعنى فلا تكونوا يا معشر اليهود اول من كفر به فان قلت كيف جعلوا اول من كفر
به وقد سبقهم الى الكفر به مشركو العرب من اهل مكة وغيرهم قلت هذا تعريض بهم
والمعنى كان يجب ان تكونوا اول من امن به لانكم تعرفون صفته ونعته بخلاف غيركم
وكنتم تستفتحون به على الكفار فلما بعث كان امر اليهود بالعكس وقيل معناه ولا تكونوا
اول كافر به من اليهود فيتبعكم غيركم على ذلك فتبوءوا باثمكم واثم غيركم ممن تبعكم على ذلك
ولا تشتروا اي ولا تستبدلوا باياتي اي ببيان صفة محمد صلى الله عليه وسلم التي في التوراة
ثمنا قليلا اي عوضا يسيرا من الدنيا لان الدنيا بالنسبة الى الاخرة كالشيء اليسير
الحقير الذي لا قيمة له والذي كانوا يأخذونه من الدنيا كالشيء اليسير بالنسبة الى جميعها
فهو قليل القليل فلهذا قال الله تعالى ولا تشتروا باياتي ثمنا قليلا وذلك ان كعب بن
الاشرف ورؤساء اليهود وعلماءهم كانوا يصيبون المآكل من سفلتهم وجهالهم و
كانوا يأخذون منهم في كل سنة شيئا معلوما من زرعهم وثمارهم ونقودهم وضروعهم
فخافوا ان بينوا صفة محمد صلى الله عليه وسلم وتبعوه ان تفوتهم تلك المآكل فغيروا
نعته وكتموا اسمه واختاروا الدنيا على الاخرة واصروا الكفر واياي فاتقون اي
فخافون في امر محمد صلى الله عليه وسلم والتقوى قريب من معنى الرهبة والفرق بينهما ان
الرهبة خوف مع حزن واضطراب والتقوى جعل النفس في وقاية مما يخاف قوله
عز وجل ولا تلبسوا الحق بالباطل اي ولا تكتبوا في التوراة ما ليس فيها فيختلط الحق
المنزل بالباطل الذي كتبتم وقيل معناه ولا تخلطوا الحق الذي انزل عليكم من صفة محمد
صلى الله عليه وسلم في التوراة بالباطل الذي تكتبونه بايديكم من غير صفته وقيل لا تخلطوا
صفة محمد صلى الله عليه وسلم التي هي الحق بالباطل اي بصفة الدجال وذلك انه
لما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم حسده اليهود وقالوا ليس هو الذي ننتظره
وانما هو المسيح بن داود يعني الدجال وكذبوا فيما قالوا وتكتموا الحق وانتم تعلمون
يعني نعت محمد صلى الله عليه وسلم بغيره وانتم تعلمون يعني ان محمدا صلى الله عليه وسلم
نبي مرسل وفيه تنبيه لساير الخلق وتحذير من مثله فصار هذا الخطاب وان كان خاصا
في الصورة لكنه عام في المعنى فعلى كل احد ان لا يلبس الحق بالباطل ولا يكتم الحق لما فيه
من الضرر والفساد وفيه دلالة ايضا على ان العالم بالحق يجب عليه اظهاره ويحرم
عليه كتمانه واقيموا الصلاة يعني الصلوات الخمس بمواقيتها وحدودها وجميع اركانها
واتوا الزكوة اي ادوا الزكوة المفروضة عليكم في اموالكم واركعوا مع الراكعين اي
صلوا مع المصلين يعني محمدا صلى الله عليه وسلم واصحابه وعبر عن الصلاة بالركوع
لانه ركن من اركانها وهذا خطاب لليهود لان صلاتهم ليس فيها ركوع فكانه
قال لهم صلوا صلاة ذات ركوع فلهذا المعنى اعاده لقوله واقيموا الصلاة لان
الاول خطاب الكافة والثاني خطاب قوم مخصوصين وهم اليهود وفيه حث

على اقامة الصلاة في الجماعة فكانه قال صلوا مع المصلين في الجماعة قوله عز وجل اتامرون
الناس بالبر الاستفهام فيه للتقرير مع التقريع والتعجب من حالهم والبر اسم جامع لجميع
اعمال الخير والطاعة نزلت هذه الاية في علماء اليهود وذلك ان الرجل منهم كان يقول
لقريبه وحليفه من المسلمين اذا ساله عن امر محمد صلى الله عليه وسلم اثبت على دينه فان
امره حق وقوله صدق وقيل ان جماعة من اليهود قالوا لمشركي العرب ان رسولا سيظهر
منكم ويدعوكم الى الحق وكانوا رغبوهم في اتباعه فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم حسدوه
وكفروا به فبكتهم الله ووبخهم بذلك حيث انهم كانوا يامرون الناس باتباعه قبل ظهوره
فلما ظهر تركوه واعرضوا عنه وقيل كانوا يامرون الناس بالطاعة والصلاة والزكاة وانواع
البر ولا يفعلونه فوبخهم الله بذلك وتنسون انفسكم اي وتغفلون عما لها فيه نفع
والنسيان عبارة عن السهو الحادث بعد حصول العلم والمعنى اتتركون انفسكم ولا تتبعون
محمدا صلى الله عليه وسلم وانتم تتلون الكتاب يعني تقرؤون التوراة وتدرسونها وفيها نعت
محمد صلى الله عليه وسلم وصفته وفيها ايضا الحث على الافعال الحسنة والاعراض عن الافعال
القبيحة والاثم افلا تعقلون يعني انه حق وتتبعونه والعقل قوة تهيء قبول العلم ويقال للعلم
الذي يستفيده الانسان بتلك القوة عقل ومنه قول علي بن ابي طالب العقل عقلان مطبوع
ومسموع ولا ينفع مطبوع اذا لم يكن مسموع كما لا تنفع الشمس وضوء العين ممنوع واصل
العقل الامساك لانه ماخوذ من عقال الدابة لعقل البعير بالعقال ليمنعه من الشرود
فكذلك العقل يمنع صاحبه من الكفر والجحود والافعال القبيحة ومعنى الاية ان المقصود
من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر هو ارشاد الغير الى تحصيل المصلحة وتحذيره عما يوقعه
في المفسدة والاحسان الى النفس اولى من الاحسان الى الغير وذلك لان الانسان اذا وعظ
غيره ولم يتعظ هو فكانه اتى بفعل متناقض لا يعقله العقل فلهذا قال افلا تعقلون
وقيل ان من وعظ الناس يجتهد ان تنفذ موعظته الى القلوب فاذا خالف قوله فعله فكان
ذلك سبب تنفير القلوب عن قبول موعظته (ق) عن اسامة بن زيد قال سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق اقتاب بطنه
فيدور بها كما يدور الحمار في الرحى فيجتمع اليه اهل النار فيقولون يا فلان ما لك الم
تكن تامر الناس بالمعروف وتنهى عن المنكر فيقول بلى كنت امر بالمعروف ولا اتيه
وانهى عن المنكر واتيه قوله فتندلق اي تخرج اقتاب بطنه اي امعاء بطنه واحدها
قتب وروى البغوي بسنده عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رايت
ليلة اسري بي رجالا تقرض شفاههم بمقاريض من نار قلت من هؤلاء يا جبريل قال
هؤلاء خطباء من امتك يامرون الناس بالبر وينسون انفسهم وهم يتلون الكتاب
افلا يعقلون قيل مثل الذي يعلم الناس الخير ولا يعمل به كالسراج يضيء للناس ويحرق
نفسه وقيل من وعظ بقوله ضاع كلامه ومن وعظ بفعله نفذت سهامه

وقال بعضهم ابدأ بنفسك فانهها عن غيها فاذا انتهت عنه فانت حكيم
فهناك يسمع ما تقول ويقتدى بالقول منك وينفع التعليم قوله عز وجل
واستعينوا بالصبر والصلاة قيل ان المخاطبين بهذا هم المؤمنون لان من ينكر الصلاة
والصبر على دين محمد صلى الله عليه وسلم لا يقال له استعن بالصبر والصلاة فلا جرم
وجب صرفه الى من صدق محمدا صلى الله عليه وسلم وامن به وقيل يحتمل ان يكون
الخطاب لبني اسرائيل لان صرف الخطاب الى غيرهم يوجب تفكيك نظم القران ولان اليهود
لم ينكروا اصل الصلاة والصبر لكن صلاتهم غير صلاة المؤمنين فعلى هذا القول ان الله تعالى
لما امرهم بالايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والتزام شريعته وترك الرياسة وحب الجاه
والمال فقال لهم استعينوا بالصبر اي بحبس النفس عن اللذات وان ضممتم الى ذلك
الصلاة فان عليكم ترك ما انتم فيه من حب الرياسة والجاه والمال وعلى القول
الاول يكون معنى الاية واستعينوا على حوائجكم الى الله وقيل على ما يشغلكم من انواع
البلاء وقيل على طلب الاخرة بالصبر وهو حبس النفس عن المفطرات وعن سائر اللذات
وفيه انكسار النفس عن   والصلاة اي اجمعوا بين الصبر والصلاة وقيل معناه
واستعينوا بالصبر على الصلاة وعلى ما يجب فيها من تصحيح النية واحضار القلب ومراعاة
الاركان والاداب مع الخشوع والخشية من اشتغل بالصلاة ترك ما سواها وكان
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا حزبه امر فزع الى الصلاة اذا همه امر لجأ الى الصلاة عن
ابن عباس انه نعي له اخوه قثم وهو في سفره فاسترجع ثم تنحى الى الطريق فصلى
ركعتين اطال فيهما السجود ثم قام الى راحلته وهو يقول استعينوا بالصبر والصلاة
وانها يعني الصلاة وقيل الاستعانة لكبيرة اي لثقيلة الا على الخاشعين يعني المؤمنين
وقيل الخائفين وقيل المطيعين المتواضعين لله واصل الخشوع السكون فالخاشع
ساكن الى الطاعة وقيل الخشوع الضراعة واكثر ما يستعمل في الجوارح وانما كانت
الصلاة ثقيلة على غير الخاشعين لان من لم يرج لها ثوابا ولا يخاف على تركها عقابا
فهي ثقيلة عليه والخاشع الذي يرجو لها ثوابا ويخاف على تركها عقابا فهي سهلة عليه
الذين يظنون اي يستيقنون وقيل يعلمون انهم ملاقوا ربهم يعني في الاخرة
وفيه دليل على ثبوت رؤية الله تعالى في الاخرة وانهم اليه راجعون يعني بعد الموت
فيجزيهم باعمالهم قوله عز وجل يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم اي اعاد
هذا الكلام مرة اخرى توكيدا للحجة عليهم وتحذيرا من ترك اتباع محمد صلى الله عليه وسلم
واني فضلتكم على العالمين يعني على عالمي زمانكم وهذا التفضيل وان كان في حق الاباء
ولكن يحصل به الشرف للابناء واتقوا يوما اي واخشوا عذاب يوم لا تجزي اي
لا تقضي نفس عن نفس شيئا يعني حقا لزمها وقيل معناه لا تنوب نفس عن النفس يوم
القيامة ولا ترد عنها شيئا مما اصابها بل يفر المرء من اخيه وامه وابيه ولا يقبل منها

شفاعة اي في ذلك اليوم والمعنى لا تقبل الشفاعة اذا كانت النفس كافرة
وذلك ان اليهود قالوا يشفع لنا اباؤنا فرد الله عليهم ذلك بقوله ولا تقبل
منها شفاعة وقيل ان طاعة المطيع لا تقضي عن العاصي ما كان واجبا عليه
وقيل معناه ان النفس الكافرة لو جاءت بشفيع لا يقبل منها ولا يؤخذ منها
عدل اي فدية وهي مماثلة الشيء بالشيء ولا هم ينصرون اي لا يمنعون من العذاب
قوله عز وجل واذ نجيناكم اي اذكروا اذ خلصنا اسلافكم واجدادكم فاعتد بالنعمة
ومنه عليهم لانهم نجوا بنجاة اسلافهم من ال فرعون اي من اتباعه واهل دينه وفرعون
اسم علم لمن كان يملك مصر من القبط من العماليق وكان اسمه الوليد بن مصعب
بن الريان وعمر من اكثر مائة سنة يسومونكم اي يكلفونكم ويذيقونكم سوء العذاب
اي اشد العذاب واسوأه وقيل يصرفونكم في العذاب مرة كذا ومرة كذا وذلك
ان فرعون جعل بني اسرائيل خدما وخولا وصنفهم في الاعمال اصنافا فصنف
يبنون وصنف يزرعون وصنف يخدمونه ومن لم يكن في عمل وضع عليه الجزية وقال
وهب كانوا اصنافا في اعمال فرعون فذوو القوة ينحتون السواري من الجبال
حتى قرحت ايديهم واعناقهم ودبرت ظهورهم من قطعها ونقلها وصنف
ينقلون الحجارة والطين يبنون له القصور وطائفة يضربون اللبن ويطبخون
الاجر وطائفة نجارون وحدادون والضعفة منهم يضرب عليهم الخراج يعني الجزية
ضريبة يؤدونها كل يوم فمن غربت عليه الشمس قبل ان يؤدي ضريبته غلت يمينه
الى عنقه شهرا والنساء يغزلن الكتان وينسجنه وقيل تفسير يسومونكم سوء
العذاب ما بعده وهو قوله عز وجل يذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم اي يتركونهن
احياء وذلك ان فرعون راى في منامه كأن نارا اقبلت من بيت المقدس واحاطت
بمصر واحرقت كل قبطي ولم تتعرض لبني اسرائيل وهاله ذلك وسال الكهنة عن رؤياه
فقالوا يولد غلام يكون على يديه هلاكك وزوال ملكك فامر فرعون بقتل كل
غلام يولد في بني اسرائيل ووكل بالقوابل فكن يفعلن ذلك حتى قتل في طلب موسى
اثني عشر الفا وقيل سبعين الفا واسرع الموت في مشيخة بني اسرائيل فدخل رؤساء
القبط على فرعون وقالوا ان الموت قد وقع في بني اسرائيل فتذبح صغارهم وكبارهم
فيوشك ان يقع العمل علينا فامر فرعون ان يذبحوا سنة ويتركوا سنة فولد هارون
في السنة التي لا يذبح فيها وولد موسى في السنة التي يذبح فيها وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم
اي اختبار وامتحان والبلاء يطلق على النعمة العظيمة وعلى المحنة الشديدة ليختبر الله
العبد على النعمة بالشكر وعلى الشدة بالصبر فان حمل قوله وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم
على صنع فرعون كان من البلاء والمحنة وان حمل على الانجاء كان من النعمة قوله
عز وجل واذ فرقنا بكم البحر اي فصلنا بعضه من بعض وجعلنا فيه مسالك

دخولهم البحر سيم بحر الاساعه **ذكر سياق القصة** وذلك لما دنى هلاك فرعون امر الله موسى عليه
الصلوة والسلام ان يسرى ببنى اسرائيل من مصر بالليل فامر موسى قومه ان يسرجوا
في بيوتهم السرج الى الصبح وان يستعيروا حلى القبط ليبقى لهم وليتبعوهم لاجل المال
واخرج الله كل ولد زنا كان في القبط من بنى اسرائيل الى بنى اسرائيل وكان كل ولد زنا كان
في بنى اسرائيل من القبط الى القبط حتى يرجع كل ولد الى ابيه والقى الله الموت على
القبط فمات كل بكر لهم فاشتغلوا بدفنهم وقيل بلغ ذلك فرعون فقال لا اخرج في طلبهم
حتى يصيح الديك فما صاح تلك الليلة ديك وخرج موسى في بنى اسرائيل معهم
ستمائة الف وعشرون الفا لا يعدون ابن عشرين سنة لصغره ولا ابن ستين سنة
لكبره وكانوا يوم دخلوا مصر مع يعقوب اثنان وسبعون انسانا ما بين رجل وامرأة
فلما ارادوا السير ضرب عليهم التيه فلم يدروا اين يذهبوا فدعا موسى مشيخة بنى اسرائيل
وسالهم عن ذلك فقالوا ان يوسف لما حضره الموت اخذ على اخوته عهدا ان لا يخرجوا
من مصر حتى يخرجوه معهم فلذلك انسد علينا الطريق فسالهم عن موضع قبره فلم يعلموا
فقام موسى ينادى انشد الله كل من يعلم اين قبر يوسف الا اخبرني به ومن لم يعلم صمت
اذناه عن سماع قولي فكان يمر بالرجل وهو ينادى فلا يسمع صوته حتى سمعته عجوز منهم
فقالت له ارايتك ان دللتك على قبره اتعطيني كل ما اسالك فابى عليها وقال حتى
اسال ربى فامره ان يعطيها سؤالها فقالت انى عجوز لا استطيع المشى فاحملنى معك واخرجنى
من مصر هذا في الدنيا واما في الاخرة فاسئلك ان لا تنزل غرفة من غرف الجنة الا نزلتها معك
قال نعم قالت انه في النيل في جوف الماء فادعوا الله ان يحسر عنه الماء فدعا الله ان يحسر عنه الماء
ودعا الله ان يؤخر عنه طلوع الفجر حتى يفرغ من امر يوسف ثم حفر موسى ذلك الموضع واستخرجه
وهو في صندوق من مرمر وحمله معه حتى دفنه بالشام فعند ذلك فتح لهم الطريق فسار
موسى ببنى اسرائيل هو في ساقتهم وهارون في مقدمتهم ثم خرج فرعون في طلبهم في الف
الف وسبعمائة الف وكان فيهم سبعون الف من دهم الخيل سوى ساير الشيات
وقيل كان معهم مائة الف حصان ادهم وكان فرعون في الدهم وكان على مقدمته
عسكره هامان وكان فرعون في سبعة الاف الف وكان بين يديه مائة الف
ناشبة ومائة الف حراب ومائة الف معهم الاعمدة وسار بنى اسرائيل حتى وصلوا البحر
والماء في غاية الزيادة ونظروا حين اشرقت الشمس فاذا هم بفرعون في جنوده فبقوا
متحيرين وقالوا يا موسى اين ما وعدتنا به فكيف نصنع هذا فرعون خلفنا ان ادركنا
قتلنا والبحر امامنا ان دخلناه غرقنا فاوحى الله الى موسى ان اضرب بعصاك
البحر فضربه فلم يطعه فاوحى الله اليه ان كنه فضربه وقال انفلق يا ابا خالد فانفلق
فكان كل فرق كالطود العظيم وظهر فيه اثنى عشر طريقا لكل سبط منهم طريق و
ارتفع الماء بين كل طريقين كالجبل وارسل الله الريح والشمس على قعر البحر حتى

صارت يبسا

صارت يبسا وخاضت بنى اسرائيل البحر كل سبط في طريق عن جوانبهم الماء كالجبال
الضخم لا يرى بعضهم بعضا فخافوا وقال كل سبط منهم قد هلك اخواننا فاوحى
الله الى جبال الماء ان تشبكى فصار الماء كالشبابيك يرى بعضهم بعضا ويسمع بعضهم
كلام بعض حتى عبروا البحر سالمين فذلك قوله تعالى واذ فرقنا بكم البحر فانجيناكم
يعنى من فرعون واغرقنا ال فرعون وذلك ان فرعون لما وصل الى البحر
فراه منفلقا قال لقومه انظروا الى البحر كيف انفلق من هيبتى حتى ادرك عبيدى
الذين ابقوا منى ادخلوا البحر فهاب قومه ان يدخلوا وقيل قالوا له ان كنت
ربا فادخل البحر كما دخل موسى وكان فرعون على حصان ادهم ولم يكن في خيل
فرعون فرس انثى فجاء جبريل عليه السلام على فرس انثى وديق فتقدمه وخاض
البحر فلما شم ادهم فرعون ريحها اقتحم البحر في اثرها ولم يملك فرعون من امره شيئا
واقتحمت الخيول خلفه في البحر وجاء ميكائيل خلفهم يسوقهم وهو على فرس ويقول
الحقوا باصحابكم حتى صاروا كلهم في البحر وخرج جبريل من البحر وهم اولهم بالخروج
امر الله البحر ان ياخذهم فالتطم عليهم وغرقهم اجمعين وكان بين طرفي البحر
اربع فراسخ وهو بحر القلزم وهو على طرف من بحر فارس وقيل هو بحر من وراء
مصر يقال له اساف وكان اغراق ال فرعون بمراى من بنى اسرائيل فذلك قوله
وانتم تنظرون يعنى الى هلاكهم وقيل الى مصارعهم وقيل ان البحر قذفهم حتى
ذلك هو نظروا اليهم ووافق يوم عاشوراء فصام موسى ذلك اليوم شكرا لله تعالى قوله
عز وجل واذ واعدنا من المواعدة وهو من الله الامر ومن موسى القبول وذلك ان الله
وعده بمجى الميقات موسى اسم عبرى معرب فموسى بالعربية الماء والشجر وهو الشجر سمى
موسى لانه اخذ من الماء والشجر ثم قلبت الشين سينا فسمى موسى اربعين ليلة الى انقضا
اربعين ليلة ثلاثين من ذى القعدة وعشر من ذى الحجة وقرن التاريخ بالليل
دون النهار لان اشهر العربية وضعت على سير القمر وقيل لان الظلمة اقدم من
الضوء **ذكر القصة في ذلك** قال العلماء لما انجى الله بنى اسرائيل من البحر واغرق عدوهم
ولم يكن لهم كتاب ولا شريعة ينتهون اليها وعد الله موسى ان ينزل عليه التوراة
فقال موسى لقومه انى ذاهب الى ميقات ربى لاتيكم منه بكتاب فيه بيان
ما تاتون وما تذرون ووعدهم اربعين ليلة واستخلف عليهم اخاه هارون
فلما جاء الموعد اتاه جبريل عليه السلام على فرس يقال له فرس الحياة لا يصيب شيئا
الا حيى ليذهب بموسى الى ميقات ربه فراه السامري وكان صائغا اسمه ميخا
وقال ابن عباس اسمه موسى بن ظفر وكان من اهل باجرا وقيل كرمان وقيل
من بنى اسرائيل من قبيلة يقال لها السامرة وكان منافقا يظهر الاسلام وكان
من قوم يعبدون البقر فلما راى جبريل على ذلك الفرس وراى موضع قدم

الونس يحضر في الحال فقال في نفسه ان لهذا اشانا وقيل راى جبريل حين دخل البحر قدام
فرعون فقبض قبضة من تراب فرسه والقى في روعه انه اذا القى في شئ حيي فلما ذهب
موسى الى الطور ومكث على الطور اربعين ليلة وانزل الله عليه التوراة في الالواح وكانت
الالواح من زبرجد ومرجان تجنيا واسمعا صرير الاقلام وقيل انه بقي اربعين ليلة لم يحدث
فيها حدثا حتى هبط من الطور وكانت بنو اسرائيل قد استعاروا حليا كثيرا من القبط حين
ارادوا الخروج من مصر بعلة عرس لهم فلما هلك فرعون وقومه بقي ذلك الحلي في ايديهم
فلما فصل موسى قال لهم السامري ان الحلي الذي استعرتموها من القبط غنيمة لا تحل
لكم فاحفروا حفيرة وادفنوها فيها حتى يرجع موسى ويرى فيها رايه وقيل ان هارون امرهم
بذلك فلما اجتمعت الحلي اخذها السامري وصاغ منها عجلا في ثلاثة ايام ثم القى فيها القبضة
التي اخذها من تراب جبريل عليه السلام فصار عجلا من ذهب مرصعا بالجواهر وخار خورة
وقيل كان يخور ويمشي فقال لهم السامري هذا الهكم واله موسى فنسي اي فتركه ههنا
وخرج يطلبه وكانت بنو اسرائيل قد اخلفوا الوعد فعدوا اليوم مع الليلة يومين
فلما مضى عشرون يوما ولم يرجع موسى وقعوا في الفتنة وقيل كان موسى وعدهم
ثلاثين ليلة ثم زيدت العشرة فكانت فتنتهم في تلك العشرة فلما مضت الثلاثون
ولم يرجع موسى ظنوا انه قد مات وراوا العجل وسمعوا قول السامري عكف عليه ثمانية
الاف رجل يعبدونه وقيل عبده كلهم الا هارون مع اثني عشر الف رجل وهذا اصح
فذلك قوله عز وجل ثم اتخذتم العجل يعني الها من بعده اي من بعد موسى وانتم ظالمون
اي وانتم ضارون لانفسكم بالمعصية حين وضعتم العبادة في غير موضعها ثم عفونا
عنكم اي محونا ذنوبكم وتجاوزنا عنكم من بعد ذلك اي من بعد عبادتكم العجل لعلكم
تشكرون اي لكي تشكروا عفوي عنكم وحسن صنيعي اليكم واصل الشكر هو تصور النعمة
واظهارها وضده الكفر وهو نسيان النعمة وسترها والشكر على ثلاثة اضرب شكر القلب
وهو تصور النعمة وشكر اللسان وهو الثناء على النعمة وشكر ساير الجوارح وهو مكافاة
النعمة بقدر استحقاقها وقيل الشكر هو الطاعة بجميع الجوارح في السر والعلانية وقيل
حقيقة الشكر العجز عن الشكر وحكي ان موسى عليه الصلاة والسلام قال الهي انعمت
علي النعم السوابغ وامرتني بالشكر وان شكري اياك نعمة منك فاوحى الله تعالى اليه
يا موسى تعلمت العلم الذي لا فوقه علم حسبي من عبدي ان يعلم ان ما به من نعمة
فهو مني وقال داود عليه السلام سبحان من جعل اعتراف العبد بالعجز عن اعترافه معرفة
قال الفضيل شكر كل نعمة ان لا يعصى بها البتة ويرضى المنعم وقيل الشكر لمن فوقك
بالطاعة والثناء ولنظيرك بالمكافاة ولمن دونك بالاحسان والافضال قوله عز وجل
واذ اتينا موسى الكتاب يعني التوراة والفرقان وقيل هو نعت الكتاب والواو
بمعنى الكتاب المفرق بين الحلال والحرام والكفر والايمان وقيل الفرقان هو النصر

على الاعدا

على الاعدا والواو اصلية لعلكم تهتدون يعني بالتوراة واذ قال موسى لقومه يعني الذين
عبدوا العجل يا قوم انكم ظلمتم انفسكم باتخاذكم العجل يعني انما تعبدونه فكانهم قالوا
ايش نصنع قال فتوبوا الى باريكم اي ارجعوا الى خالقكم بالتوبة قالوا كيف نتوب
قال فاقتلوا انفسكم يعني ليقتل البري منكم المجرم فان قلت التوبة عبارة عن الندم
على فعل القبيح والعزم على ان لا يعود اليه وهذا مغاير للقتل فكيف يجوز تفسير التوبة
بالقتل قلت ليس المراد تفسير التوبة بالقتل بل بيان ان توبتهم لا تتم الا بالقتل
وانما كان ذلك لان الله اوحى الى موسى عليه السلام ان توبة المرتد لا تتم الا
بالقتل فان قلت التايب من الردة لا يقتل فكيف استحقوا القتل وقد تابوا من
الردة قلت ذلك مما تختلف فيه الشرايع فلعل شرع موسى كان يقتضي قتل التايب
من الردة اما عاما في حق الكل او خاصا في حق الذين عبدوا العجل ذلكم خير لكم
عند باريكم يعني القتل وتحمل هذه الشدة لان الموت لا بد منه فلما امرهم موسى
بالقتل قالوا نصبر لامر الله تعالى فجلسوا محتبين من الحبوة وهي ضم الساق الى البطن
وقيل لهم من حل حبوته او مد طرفه الى قاتله او اتقاه بيد او رجل فهو ملعون مردود
توبته واصلت القوم الخناجر والسيوف واقبلوا عليهم فكان الرجل يرى ابنه
واباه واخاه وقريبه وصديقه وجاره فيرق له فلم يمكنهم المضي لامر الله تعالى قالوا يا موسى
كيف نفعل فارسل الله تعالى عليهم سحابة سوداء لا يبصر بعضهم بعضا فكانوا يقتلون
الى المساء فلما كثر القتل دعا موسى وهارون الله وبكيا وتضرعا اليه وقالا يا رب
هلكت بنو اسرائيل البقية فكشف الله السحابة عنهم وامرهم ان يكفوا عن القتل فكشفت
عن الوف من القتلى قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه كان عدد القتلى سبعين الفا
فاشتد ذلك على موسى فاوحى الله اليه اما يرضيك ان ادخل القاتل والمقتول الجنة
فكان من قتل منهم شهيدا ومن بقي مكفرا عنه ذنوبه فذلك قوله عز وجل فتاب عليكم
اي فعلتم ما امرتم به فتجاوز عنكم انه هو التواب اي الرجاع بالمغفرة القابل
للتوبة الرحيم لخلقه قوله عز وجل وان قلتم يا موسى لن نؤمن لك اي لن نصدقك
حتى نرى الله جهرة اي عيانا وذلك ان الله عز وجل امر موسى ان ياتيه في بني
اسرائيل يعتذرون اليه من عبادة العجل فاختار موسى من قومه سبعين رجلا
من خيارهم وقال لهم صوموا وتطهروا وطهروا ثيابكم ففعلوا وخرج بهم موسى
الى طور سيناء لميقات ربه فقالوا لموسى اطلب لنا ان نسمع كلام ربنا قال
افعل فلما دنا من الجبل وقع عليه عمود الغمام وخروا سجدا وكان موسى اذا
كلمه ربه وقع على وجهه نور ساطع لا يستطيع احد ان ينظر اليه فضرب دونهم
الحجاب وسمعوه يكلم موسى يامره وينهاه واسمعهم الله تعالى انا الله لا اله الا انا ذو بكة
اخرجتكم من ارض مصر بيد شديدة فاعبدوني ولا تعبدوا غيري فلما فرغ موسى

وتغشى الجبل كله ودخل موسى في الغمام وقال للقوم ادنوا حتى دخلوا تحت الغمام صح

وانكشف الغمام اقبل اليهم فقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة لتوكيد للرؤيا لئلا يتوهم
متوهم ان المراد بالرؤية العلم فاخذتكم الصاعقة قيل هي الموت وقيل ضعيف لان قوله
وانتم تنظرون يرده اذ لو كان المراد منها الموت لامتنع كونهم ناظرين اليها وقيل ان
الصاعقة هي سبب الموت واختلفوا في ذلك السبب فقيل انه نار نزلت من السما
فاحرقتهم وقيل جاءت صيحة من السما وقيل ارسل جنودا من الملائكة فسمعوا بحسهم
فخروا صاعقين وانتم تنظرون اي تنظروا بعضكم الى بعض كيف ياخذهم الموت فلما
اهلكوا وجعل موسى يبكي ويتضرع ويقول الهي ماذا اقول لبني اسرائيل اذا اتيتهم
وقد اهلكت خيارهم لو شئت اهلكتهم من قبل واياي افتهلكنا بما فعل السفهاء منا فلم
يزل يناشد ربه حتى احياهم الله رجلا بعد رجل بعدما ماتوا يوما وليلة ينظر بعضهم الى
بعض كيف يحيون فذلك قوله تعالى ثم بعثناكم من بعد موتكم لتستوفوا البقية اجالكم
وارزاقكم ولعلهم كانوا قد ماتوا لانقضاء اجالهم فلم يبعثوا الى يوم القيامة لعلكم تشكرون
قوله عز وجل وظللنا عليكم الغمام يعني في التيه يقيكم حر الشمس وذلك انه لم يكن لهم
في التيه شيء يسترهم ولا يستظلون به فشكوا الى موسى فارسل الله غماما ابيض رقيقا يسترهم
من الشمس وجعل لهم عمودا من نور يضيء لهم بالليل اذا لم يكن قمر وانزلنا عليكم المن
والسلوى في التيه والاكثرون على ان المن هو الترنجبين وقيل هو شيء كالصمغ يقع
على الشجر طعمه كالشهد وقال وهب هو الخبز الرقاق واصل المن هو ما يمن الله به من
غير تعب (خ) عن سعيد بن زيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الكماة من المن
وماؤها شفاء للعين ومعنى الحديث ان الكماة شيء انبته الله من غير سعي احد ولا مؤنة
وهو بمنزلة المن الذي كان ينزل على بني اسرائيل وقوله وماؤها شفاء للعين معناه ان
يخلط مع الادوية فينتفع به لا انه يقطر ماؤها مجردا في العين وقيل ان تقطيره في العين ينفع
لكن لوجع مخصوص وليس يوافق كل وجع في العين وكان هذا المن ينزل على اشجارهم في
التيه في كل ليلة من وقت السحر الى طلوع الشمس كالثلج لكل انسان صاع قالوا يا موسى قد قتلنا
هذا المن بحلاوته فادع لنا ربك ان يطعمنا اللحم فارسل الله عليهم السلوى وهو طير يشبه
السماني بعينه فكان الرجل ياخذ ما يكفيه يوما وليلة فاذا كان يوم الجمعة ياخذ ما يكفيه
يومين لانه لم يكن ينزل يوم السبت شيء كلوا اي وقلنا لهم كلوا من طيبات اي من حلال
ما رزقناكم ولا تدخروا لغد فخالفوا وادخروا فتدود وفسد فقطع الله عنهم ذلك
وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا بنو اسرائيل
لم يخنث الطعام ولم يخنز اللحم ولولا حوى لم تخن انثى زوجها الدهر قوله لم يخنز اللحم
لم ينتن ولم يتغير وما ظلمونا اي وما بخسوا حقنا ولكن كانوا انفسهم يظلمون يعني
باخذهم اكثر مما حد لهم فاستحقوا بذلك عذابي وقطع مادة الرزق الذي كان ينزل
عليهم بلا مؤنة ولا تعب في الدنيا ولا حساب في العقبى قوله عز وجل واذ قلنا ادخلوا هذه

القرية سميت قرية لاجتماع الناس فيها قال ابن عباس هي قرية الجبارين وقيل كانوا فيها
قوم من بقية عاد يقال لهم العمالقة ورأسهم عوج بن عنق فعلى هذا يكون القائل يوشع
بن نون لانه هو الذي فتح اريحا بعد موسى لان موسى مات في التيه وقيل هي بيت المقدس
وعلى هذا فيكون القائل موسى والمعنى اذا خرجتم بعد مضي الاربعين سنة ادخلوا بيت المقدس
فكلوا منها حيث شئتم رغدا اي موسعا عليكم وادخلوا الباب سجدا وقولوا فمن قال ان
القرية اريحا قال ادخلوا من اي باب كان من ابوابها لها سبعة ابواب ومن قال ان
القرية هي بيت المقدس قال هو باب حطة حطة اي حطة اي حط عنا خطايانا امروا
بالاستغفار قال ابن عباس قولوا لا اله الا الله لانها تحط الذنوب والخطايا على تقدير مسئلتنا
حطة نغفر لكم خطاياكم اي نسترها عليكم من الغفر وهو الستر لان المغفرة تستر الذنوب
وسنزيد المحسنين يعني ثوابا فبدل اي فغير الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم اي قالوا
قولا غير ما قيل لهم وذلك لانهم بدلوا قول الحطة بالحنطة فقالوا بلسانهم حطا نا
سمقاثا اي حنطة حمراء وذلك استخفافا منهم بامر الله تعالى وقيل طوطي لهم الباب ليخفضوا
رؤسهم فابوا ذلك ودخلوا زحفا على استاههم فخالفوا في الفعل كما خالفوا في القول
وبدلوه (ق) عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل لبني اسرائيل ادخلوا
الباب سجدا وقولوا حطة فبدلوا فدخلوا يزحفون على استاههم وقالوا حبة في
شعرة فانزلنا على الذين ظلموا رجزا من السما يعني عذابا من السما قيل ارسل الله عليهم
طاعونا فهلك منهم في ساعة واحدة سبعون بما كانوا يفسقون اي يعصون ويخرجون عن امر
الله تعالى قوله عز وجل واذ استسقى موسى لقومه اي طلب السقيا لقومه وذلك انهم
عطشوا في التيه فسالوا موسى ان يستسقي لهم ففعل فاوحى الله اليه كما قال مبينا فقلنا
اضرب بعصاك وكان العصا من اس الجنة طولها عشرة اذرع على طول موسى عليه السلام
ولها شعبتان تتقدان في الظلمة نورا واسمها عليق وقيل نبعة حملها ادم من الجنة
فتوارثها الانبياء حتى وصلت الى شعيب فاعطاها موسى الحجر قال وهب لم يكن حجرا
معينا بل كان موسى يضرب اي حجر كان فينفجر عيونا لكل سبط عين وكانوا اثني عشر سبطا
وقيل كان حجرا معينا بدليل انه عرفه بالالف واللام قال ابن عباس كان حجرا خفيفا مربعا
قدر راس الرجل وكان موسى عليه السلام يضعه في مخلاته فاذا احتاجوا الى الما وضعه
وضربه بعصاه وقيل كان الحجر اربعة وجوه في كل وجه ثلاثة اعين لكل سبط عين
وقيل كان من الرخام وقيل كان من الكذان وهي الحجارة اللينة وقيل هو الحجر الذي وضع
عليه موسى ثوبه ليغتسل ففر به فاتاه جبريل وقال ان الله يامرك ان ترفع هذا الحجر
فلك فيه قدرة ولك فيه معجزة فوضعه في مخلاته فلما سالوه السقيا قيل اضرب بعصاك
الحجر فكان اذا احتاجوا الى الما وضعه فضربه بعصاه فتنفجر منه عيونا لكل سبط عين
تسيل اليهم في جدول وكان اذا اراد حمله ضربه بعصاه فيذهب الما وييبس الحجر فذلك

قوله تعالى فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا يعني على عدد اسباط بني اسرائيل والمعنى فضرب فانفجرت
قال المفسرون انفجرت وانبجست اي عرفت والفجرت سالت قد علم كل اناس مشربهم اي
موضع شربهم لا يدخل سبط على غيره كلوا واشربوا اي وقلنا لهم كلوا واشربوا من رزق الله
يعني المن والسلوى والماء فهذا كله من رزق الله كان ياتيهم بلا مشقة ولا كلفة ولا تعثوا
في الارض مفسدين العيث اشد الفساد وفي هذه الاية معجزة عظيمة لموسى عليه الصلاة والسلام
حيث انفجرت من الحجر الصغير ما روي منه الجمع الكثير ومعجزة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم
اعظم لانه انفجر الماء من بين اصبعيه فروي منه الجمع الغفير لان انفجار الماء من الدم
واللحم اعظم لانفجاره من الحجر قوله عز وجل واذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام
واحد وذلك انهم سئموا من المن والسلوى وملوه فاشتهوا غيره لان المواظبة
على الطعام الواحد يكون سببا لنقصان الشهوة فان قلت هما طعامان فما لهم قالوا على
طعام واحد قلت ارادوا بالواحد ما لا يختلف ولا يتبدل ولو كان في مائدة الرجل
عدة الوان يداوم عليها كل يوم لا يبدلها كانت بمنزلة الطعام الواحد فادع لنا ربك
اي سل لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الارض من بقلها وقثائها وفومها قال ابن عباس
الفوم الخبز وقيل هو الحنطة وقيل هو الثوم وعدسها وبصلها انما طلبوا هذه الانواع
لانها تعين على تقوية الشهوة او لانهم ملوا من البقاء في التيه فسالوا هذه الاطعمة
التي لا توجد الا في البلاد وكان غرضهم الوصول الى البلاد لا تلك الاطعمة قال يعني
موسى اتستبدلون الذي هو ادنى اي الذي هو اخس واردى وهو الذي طلبوه
بالذي هو خير يعني بالذي هو اشرف وافضل وهو ما هم فيه اهبطوا مصرا يعني فان
ابيتم الى ذلك فاتوا مصرا من الامصار وقيل بل هو الاول فان لكم ما سالتم يعني
من نبات الارض وضربت عليهم الذلة اي جعلت الذلة محيطة بهم مشتملة عليهم
والزموا الذلة والهوان وقيل الذلة الجزية وزي اليهودية وفيه بعد لانه لم يكن ضرب
عليهم الجزية بعد والمسكنة اي الفقر والفاقة سمي الفقير مسكينا لان الفقر اسكنه
واقعده عن الحركة فترى اليهود وان كانوا اغنياء مياسير كانهم فقراء فلا ترى احدا من اهل
الملل اذل ولا احرص على المال من اليهود وباؤوا اي رجعوا ولا يقال باؤوا الا بشر بغضب
من الله وغضب الله ارادة الانتقام ممن عصاه ذلك اي الغضب بانهم كانوا يكفرون
بايات الله اي بصفة محمد صلى الله عليه وسلم واية الرجم التي في التوراة ويكفرون بالانجيل
والفرقان ويقتلون النبيين النبي معناه المخبر من انبا ينبي وقيل هو بمعنى الرفيع ماخوذ
من النبوة وهو المكان المرتفع بغير الحق اي بغير حق فان قلت قتل الانبياء لا يكون الا
بغير حق فما فائدة ذكره قلت ذكره وصفا للقتل والقتل يوصف تارة بالحق وهو ما امر الله به
وتارة بغير الحق وهو قتل العدوان فهو كقوله تعالى قل رب احكم بالحق والحق وصف للحكم لا ان
حكمه ينقسم الى حق وجور روي ان اليهود قتلت سبعين نبيا في اول النهار وقامت

سوق بقلها في اخره وقتلوا زكريا ويحيى وشعيبا وغيرهم من الانبياء ذلك بما عصوا اي ذلك
القتل والكفر بما عصوا امري وكانوا يعتدون اي يتجاوزون الحد ويرتكبون المحارم
قوله عز وجل ان الذين امنوا والذين هادوا يعني اليهود وسموا بذلك لقولهم هدنا
اليك اي ملنا اليك وقيل هادوا اي تابوا عن عبادة العجل به وقيل لانهم مالوا عن
دين الاسلام ودين موسى عليه السلام والنصارى سموا بذلك لقول الحواريين نحن
انصار الله وقيل لاعتزائهم الى قرية يقال لها ناصرة وكان المسيح ينزلها والصابئين
اصله من صبا اذا خرج من دين الى دين اخر سموا بذلك لخروجهم من الدين قال ابن
عباس هم قوم من اهل الكتاب قال عمر ذبائحهم ذبائح اهل الكتاب وقال ابن عباس
لا تحل ذبائحهم ولا مناكحتهم وقيل هم قوم بين اليهود والنصارى يحلقون اوساط
رؤوسهم وقيل هم قوم يقرون بالله ويقرؤون الزبور ويعبدون الملائكة ويصلون
الى الكعبة اخذوا من كل دين شيئا والاقرب انهم قوم يعبدون الكواكب وذلك
انهم يعتقدون ان الله تعالى خلق هذا العالم وجعل الكواكب مدبرة له فيجب على البشر
عبادتها وتعظيمها وانها هي التي تقرب الى الله تعالى ولما ذكر هذه الطوائف قال
من امن بالله واليوم الاخر فان قلت كيف قال في اول الاية ان الذين امنوا
وقال في اخرها من امن بالله فما فائدة التعميم اولا ثم التخصيص اخرا قلت اختلفوا
العلماء في حكم الاية فلهم فيه طريقان احدهما انه اراد ان الذين امنوا على التحقيق
ثم اختلفوا فيهم فقيل هم الذين امنوا في زمن الفترة وهم طلاب الدين مثل حبيب
النجار وقس بن ساعدة وورقة بن نوفل وبحيرا الراهب وابو ذر الغفاري وسلمان
الفارسي فمنهم من ادرك النبي صلى الله عليه وسلم وتابعه ومنهم من لم يدركه فكانه تعالى
قال ان الذين امنوا قبل مبعث محمد صلى الله عليه وسلم والذين كانوا على الدين
الباطل المبدل من اليهود والنصارى والصابئين من امن منهم بالله واليوم الاخر
وبمحمد صلى الله عليه وسلم فلهم اجرهم عند ربهم وقيل هم المؤمنون من الامم الماضية وقيل
هم المؤمنون من امن من هذه الامة والذين هادوا يعني الذين كانوا على دين موسى
فلم يبدلوا والنصارى الذين كانوا على دين عيسى ولم يغيروا والصابئين يعني في زمن
استقامة امرهم من امن منهم ومات وهو مؤمن لان حقيقة الايمان تكون بالوفاة
واما الطريقة الثانية فالوا ان المذكورين بالايمان في اول الاية انما هو على طريق المجاز
دون الحقيقة وهم الذين امنوا بالانبياء الماضيين ولم يؤمنوا به وقيل هم المنافقين
الذين امنوا بالسنتهم ولم يؤمنوا بقلوبهم واليهود والنصارى والصابئين فكانه
قال تعالى هؤلاء المطلوبون كل من امن منهم للايمان الحقيقي صار مؤمنا عند الله
وقيل ان المراد من قوله ان الذين امنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم في الحقيقة حين
الماضي واثبتوا على ذلك في المستقبل وهو المراد من قوله تعالى من امن بالله واليوم

الاخر وعمل صالحا اى فى ايمانه فلهم اجرهم عند ربهم اى جزاء اعمالهم ولا خوف عليهم ولا هم
يحزنون اى فى الاخرة قوله عز وجل واذ اخذنا ميثاقكم اى عهدكم يا معشر اليهود ورفعنا
فوقكم الطور يعنى الجبل العظيم قال ابن عباس امر الله جبلا من جبال فلسطين فانقلع
من اصله حين قام على رؤوسهم وسبب ذلك ان الله تعالى لما انزل التوراة على موسى وامرهم
ان يعملوا باحكامها فابوا ان يقبلوها لما فيها من الاصار يعنى الاثقال والتكاليف
الشاقة امر الله تعالى جبريل عليه السلام ان يقلع جبلا على قدر عسكرهم وكان قدره
فرسخا فى فرسخ فرفعه فوق رؤوسهم قدر قامة كالظلة وقيل لهم ان لم تقبلوا ما فى
التوراة والا ارسلت هذا الجبل عليكم خذوا اى وقلنا لهم خذوا ما اتيناكم اى اعطيناكم
بقوة اى بجد واجتهاد واذكروا ما فيه اى ادرسوا ما فيه لعلكم تتقون اى لكى تنجوا من
الهلاك فى الدنيا والعذاب فى العقبى والا رضخت رؤوسكم بهذا الجبل فلما راوا ذلك
نازلا بهم قبلوا وسجدوا وجعلوا يلاحظون الجبل وهم سجود فصار ذلك سنة فى
سجود اليهود ولا يسجدون الا على انصاف وجوههم ويقولون بهذا السجود
رفع عنا العذاب ثم توليتم اى اعرضتم من بعد ذلك اى من بعد ما قبلتم التوراة
فلولا فضل الله عليكم ورحمته اى بالامهال لكنتم من الخاسرين اى من المغبونين
بذهاب الدنيا والعذاب فى العقبى قوله عز وجل ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم
اى جاوزوا الحد فى السبت يقال سبتت اليهود لانهم يعظمونه ويقطعون
فيه اعمالهم واصل السبت القطع ذكر الاشارة الى القصة قال العلماء بالاخبار
انهم كانوا فى زمن داود عليه السلام بقرية بارض ايلة وحرم الله عليهم صيد
السمك يوم السبت فكان اذا دخل يوم السبت لم يبق حوت فى البحر الا اجتمع
هناك حتى لا ترى الماء من كثرتها فاذا مضى السبت تفرقت الحيتان ولزمت قعر البحر
فذلك قوله تعالى اذ تاتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لا تاتيهم ثم
ان الشيطان وسوس اليهم وقال انما نهيتم عن اخذها يوم السبت ولم تنهوا عن
اخذها فى غيره فعمد رجال منهم فحفروا حياضا كبارا حول البحر وشرعوا منه اليها انهارا
فاذا كان عشية الجمعة فتحوا تلك الانهار فيقبل الموج من البحر بالحيتان الى تلك
الحياض فيقعن فيها ولا يقدرن على الخروج منها لعمقها فاذا كان يوم الاحد
اخذوها وقيل انهم كانوا ينصبون الشخوص والحبائل يوم الجمعة ويخرجونها يوم الاحد
ففعلوا ذلك زمانا ولم تنزل بهم عقوبة فتجرؤوا على السبت وقالوا ما نرى السبت
الا قد احل لنا فاخذوا وملحوا واكلوا وادخروا فلما فعلوا ذلك صار اهل القرية
ثلاثة اصناف وكانوا نحوا من سبعين الفا صنف امسك عن الصيد ونهى عن
الاصطياد وصنف امسك ولم ينه وصنف انتهكوا فى الذنب وهتكوا الحرمة
وكان الصنف الناهون اثنى عشر الفا فلما ابى المجرمون قبول نصحهم قالوا

والله

والله لا نساكنكم فى قرية واحدة فقسموا القرية بينهم بجدار فغبروا على ذلك سنين ثم لعنهم
داود وغضب الله عليهم لاصرارهم على المعصية فخرج الناهون ذات يوم من بابهم
ولم يخرج من المجرمين احد ولم يفتحوا الباب فلما ابطاوا تسوروا عليهم الجدار فاذا
هم جميعا قردة لهم اذناب وهم يتعاوون وقيل صار الشباب قردة والشيوخ خنازير
فمكثوا ثلاثة ايام ثم هلكوا ولم يمكث مسخ فوق ثلاث ولم يتوالدوا قال الله عز وجل
فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين امر تحويل وتكوين ومعنى خاسئين مبعدين مطرودين
وقيل فيه تقديم وتاخير معناه كونوا خاسئين قردة ولم يقل خاسيات فجعلناها يعنى
عقوبتهم بالمسخ نكالا اى عقوبة وعبرة لما بين يديها وما خلفها قيل معناه عقوبة لما مضى
من ذنوبهم وعبرة لمن بعدهم وقيل جعلنا عقوبة قرية اصحاب السبت عبرة لما بين
يديها من القرى التى كانت عامرة فى الحال وما خلفها اى ما يحدث بعدها من القرى
ليتعظوا بذلك وهو قوله عز وجل وموعظة للمتقين اى للمؤمنين من امة محمد صلى الله
عليه وسلم لئلا يفعلوا مثل فعلهم قوله عز وجل واذ قال موسى لقومه ان الله يامركم ان
تذبحوا بقرة البقرة واحدة البقر وهى الانثى واصلها البقر وهو الشق سمى بذلك لانها تشق
الارض للحراثة ذكر الاشارة الى القصة فى ذلك قال علماء السير والاخبار انه كان فى زمن
بنى اسرائيل رجل غنى وله ابن عم فقير لا وارث له سواه فلما طال عليه موته قتله ليرثه
وحمله الى قرية اخرى والقاه على بابها ثم اصبح يطلب ثاره وجاء بناس الى موسى يدعى
عليهم بالقتل فجحدوا واشتبه امر القتيل على موسى عليه الصلاة والسلام فسالوا موسى ان
يدعو الله ليبين لهم ما اشكل عليهم فسال موسى ربه فى ذلك فامره بذبح بقرة وامره
ان يضربه ببعضها فقال لهم ان الله يامركم ان تذبحوا بقرة قالوا اتتخذنا هزوا اى نحن
نسالك امر القتيل وانت تستهزئ بنا وتامرنا بذبح بقرة وانما قالوا ذلك لبعد ما بين الامرين
فى الظاهر ولم يعلموا ما وجه الحكمة فيه قال يعنى موسى اعوذ بالله اى امتنع بالله ان
اكون من الجاهلين اى المستهزئين بالمؤمنين وقيل من الجاهلين بالجواب لا على وفق السؤال
فلما علموا ان ذبح البقرة عزم من الله تعالى استوصفوه اياها ولو انهم عمدوا الى اى بقرة
كانت فذبحوها لاجزات عنهم ولكن شددوا فشدد الله عليهم وكان فى ذلك حكمة لله
عز وجل وذلك انه كان رجل صالح فى بنى اسرائيل وله ابن طفل وله عجلة فاتى بها غيضة
وقال اللهم انى استودعك هذه العجلة لابنى حتى يكبر ومات ذلك الرجل وصارت العجلة
فى الغيضة عوانا وكانت تهرب من الناس فلما كبر ذلك الطفل وكان بارا بامه وكان
يقسم ليله ثلاثة اجزاء يصلى ثلثا وينام ثلثا ويجلس عند راس امه ثلثا فاذا اصبح انطلق
فيحتطب ويأتى به السوق فيبيعه بما شاء الله فيتصدق بثلثه وياكل ثلثه ويعطى
امه ثلثه فقالت له امه يوما يا بنى ان اباك ورثك عجلة استودعها الله فى غيضة كذا
فانطلق وادع اله ابراهيم واسماعيل ان يردها عليك وعلامتها انك اذا نظرت

ايها النخيل الملك ان شعاع الشمس يخرج من جلدها وكانت تسمى المذهبة لحسنها وصفرتها فاتى
الفتى الغيضة فرآها ترعى فصاح بها وقال اعزم عليك باله ابراهيم واسمعيل واسحاق فاقبلت
البقرة تسعى ووقفت بين يديه فقبض على قرنها يقودها فتكلمت البقرة باذن الله تعالى وقالت
ايها الفتى البار بامه اركبني فانه اهون عليك فقال الفتى ان امي لم تامرني بذلك فقالت
البقرة لو ركبتني لم تقدر علي ابدا فانطلق فانك لو امرت الجبل ان يقلع من اصله لانقلع
لبرك امك فسار الفتى بها الى امه فقالت له امه انك رجل فقير ولا مال لك ويشق عليك
الاحتطاب بالنهار والقيام بالليل فانطلق فبع البقرة فقال بكم ابيعها قالت بثلاثة دنانير
ولا تبع بغير مشورتي وكانت ثمن البقرة ثلاثة دنانير فانطلق بها الفتى الى السوق وبعث
الله ملكا ليرى خلقه قدرته وليختبر الفتى كيف بره بامه وهو اعلم فقال له الملك بكم
هذه البقرة قال بثلاثة دنانير واشترط عليك رضى امي فقال له الملك ستة دنانير ولا
تستامر امك فقال له الفتى لو اعطيتني وزنها ذهبا لم اخذه الا برضى امي ورجع الفتى الى
امه فاخبرها بالثمن فقالت له ارجع فبعها بستة دنانير ولا تبعها الا برضاي فرجع بها الى
السوق واتى الملك فقال له استامرت امك فقال الفتى نعم انها امرتني ان لا انقصها
عن ستة على رضاها فقال الملك اني اعطيك اثنى عشر دينارا ولا تستامرها فابى الفتى
ورجع الى امه فاخبرها بذلك فقالت له امه ان الذي ياتيك ملك في صورة ادمي
ليجربك فاذا اتاك فقل له اتامرنا ان نبيع هذه البقرة املا ففعل فقال له الملك
اذهب الى امك فقل لها امسكي هذه البقرة فان موسى بن عمران يشتريها منك لقتيل
يقتل في بني اسرائيل فلا تبيعها الا بملء مسكها ذهبا والمسك الجلد فامسكها وقدر الله على
بني اسرائيل ذبح البقرة بعينها فما زالوا يستوصفوه البقرة حتى وصفت لهم تلك البقرة
بعينها مكافاة لذلك الفتى على بره بامه فضلا من الله تعالى ورحمة فذلك قوله تعالى قالوا ادع
لنا ربك يبين لنا ما هي اي ما سنها قال يعني موسى انه يقول يعني الله عز وجل انها بقرة
لا فارض ولا بكر اي لا كبيرة ولا صغيرة والفارض المسنة التي لم تلد والبكر الفتية التي
لم تلد عوان اي نصف بين ذلك اي بين السنين فافعلوا ما تؤمرون اي من ذبح
البقرة ولا تكثروا السؤال قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال انه يقول انها بقرة
صفراء فاقع لونها قال ابن عباس شديدة الصفرة وقيل لونها صاف وقيل الصفراء
السوداء والاول اصح لانه يقال اصفر فاقع واسود حالك تسر الناظرين يعني تعجبهم
حسنها وصفاء لونها قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي اي سائمة ام عاملة ان البقر
تشابه علينا اي التبس علينا واشتبه امرها وانا ان شاء الله لمهتدون اي الى وصفها
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وايم الله لو لم يستثنوا لما بينت لهم اخر الدهر قال انه يقول
انها بقرة لا ذلول اي ليست مذللة بالعمل تثير الارض اي تقلبها للزراعة ولا تسقي الحرث
اي ليست سانية والسانية هي التي تستقي الماء من البئر لسقي الارض مسلمة اي بريئة

من العيوب لا شية فيها اي لا لون فيها غير لونها قالوا الان جئت بالحق اي بالبيان التام الذي لا اشكال
فيه فطلبوها فلم يجدوا بقرة بكمال وصفها الا بقرة ذلك الفتى فاشتروها منه بملء مسكها ذهبا
فذبحوها وما كادوا يفعلون اي وما قاربوا ان يفعلوا ما امروا به قيل لغلاء ثمنها وقيل لخوف
الفضيحة وقيل لعزة وجودها بهذه الاوصاف جميعا قوله عز وجل واذ قتلتم نفسا خوطب
الجماعة بذلك لوجود القتل فيهم فادارأتم فيها قال ابن عباس اي اختلفتم واختصمتم
من الدرء وهو الدفع لان المتخاصمين يدفع بعضهم بعضا والله مخرج ما كنتم تكتمون
اي مظهر ما كتمتم من امر القتيل لا محالة ولا يتركه مكتوما فقلنا اضربوه يعني القتيل ببعضها
اي ببعض البقرة قال ابن عباس ضربوه بالعظم الذي يلي الغضروف وهو اصل الاذن
وقيل ضربوه بلسانها وقيل بعجب الذنب وقيل بفخذها اليمنى والاقرب انهم كانوا
مخيرين في ذلك البعض وانهم اذا ضربوه باي جزء منها اجزا وحصل المقصود وانه
ليس في القران ما يدل على ذلك البعض ما هو وذلك يقتضي التخيير وفي الاية
اضمار تقديره فضربوه فحيي وقام باذن الله تعالى واوداجه تشخب دما وقال قتلني
فلان يعني ابن عمه ثم سقط ميتا مكانه فحرم قاتله الميراث وفي الخبر ما ورث قاتل
بعد صاحب البقرة كذلك اي كما احيى الله عاميل صاحب البقرة يحيي الله الموتى يعني
يوم القيامة ويريكم اياته لعلكم تعقلون اي تمنعون انفسكم عن المعاصي فان قلت كان
حق هذه القصة ان يقدم ذكر القتيل اولا ثم ذكر ذبح البقرة بعد ذلك فما وجه ترتيب
هذه القصة على هذا الترتيب قلت وجهه ان الله لما ذكر من قصص بني اسرائيل وما وجد
من جناياتهم تقريعا لهم على ذلك وما وجد منهم من الايات العظيمة وهما قصتان
كل واحدة منهما مستقلة بنوع من التقريع وان كانتا متصلتين متحدتين في نفس
الامر فالاولى تقريعهم على ترك المسارعة الى امتثال الامر وما يتبعه والثانية لتقريعهم
على قتل النفس المحرمة فلو قدم قصة القتيل على قصة الذبح لكانت قصة واحدة
ولذهب الغرض من تثنية التقريع فلهذا قدم ذكر الذبح اولا ثم عقبه بذكر القتل
فان قلت ما فائدة ضرب القتيل ببعض البقرة والله تعالى قادر على ان يحييه ابتداء
من غير ضرب بشيء قلت الفائدة فيه ان تكون الحجة اكد وعن الحيلة ابعد لاحتمال
ان يتوهم متوهم ان موسى عليه الصلاة والسلام انما احياه بضرب من السحر والحيلة
فاذا احيي القتيل عندما ضرب ببعض البقرة وهي ما فعلوه انتفت الشبهة وعلم
ان ذلك من عند الله تعالى وبامره كان ذلك فان قلت هلا امروا بذبح غير
البقرة قلت الكلام في غير البقرة لو امروا به كالكلام في البقرة ثم في ذبح البقرة فوائد
منها التقرب بالقربان على ما كانت العادة جارية عندهم ومنها ان هذا القربان كان
عندهم من اعظم القرابين ومنها تحمل المشقة العظيمة في تحصيلها بتلك الصفة ومنها
حصول ذلك المال العظيم الذي اخذه صاحبها من ثمنها فصل في حكم هذه المسئلة

في شريعة الاسلام اذا وقعت وذلك انه اذا وجد قتيل في موضع ولا يعرف قاتله فان كان ثم
لوث يحلف الذي ادعى به واللوث ان يغلب على الظن صدق المدعي بان اجتمع جماعة في بيت
او صحراء ثم تفرقوا عن قتيل فيغلب على الظن ان القتل فيهم او وجد قتيل في محلة او قرية وكلهم
اعداء القتيل لا يخالطهم غيرهم فيغلب على الظن انهم قتلوه فان ادعى الولي على بعضهم حلف
خمسين يمينا على من يدعي عليه وان كان الاولياء جماعة توزع الايمان عليهم فاذا حلفوا
اخذوا الدية من عاقلة المدعى عليه ان ادعوا قتل خطأ وان ادعوا قتل عمد فمن مال المدعى
عليه ولا قود عليه في قول الاكثرين وذهب عمر بن عبد العزيز الى وجوب القود وبه قال مالك
واحمد فان لم يكن ثم لوث فالقول قول المدعى عليه لان الاصل براءة ذمته من القتل وهل يحلف يمينا
واحدة ام خمسين يمينا فيه قولان احدهما انه يحلف يمينا واحدة كما في ساير الدعاوي والثاني
يحلف خمسين يمينا تغليظا لامر القتيل وعند الحنفية لا حكم للوث ولا يبدا بيمين المدعي بل اذا
وجد قتيل في محلة يختار الامام خمسين رجلا من صلحاء اهلها فيحلفهم انهم ما قتلوه ولا يعرفون له
قاتلا فان حلفوا والا اخذوا الدية من سكانها والدليل على ان البداية بيمين المدعي
عند وجود اللوث ما روي عن سهل بن ابي حثمة قال انطلق عبد الله بن سهل ومحيصة
ابن مسعود الى خيبر وهي يومئذ صلح فتفرقا فاتى محيصة الى عبد الله بن سهل وهو يتشحط
في دمه قتيلا فدفنه ثم قدم المدينة فانطلق عبد الرحمن بن سهل ومحيصة وحويصة
ابنا مسعود الى النبي صلى الله عليه وسلم فذهب عبد الرحمن يتكلم فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم كبر كبر وهو احدث القوم سنا فسكت فتكلما فقال اتحلفون وتستحقون قاتلكم
او قال صاحبكم قالوا كيف نحلف ولم نشهد ولم نر قال فتبريكم يهود بايمان خمسين
منهم قالوا كيف ناخذ بايمان قوم كفار فعقله النبي صلى الله عليه وسلم من عنده وفي
رواية تقسم خمسون منكم على رجل منهم فيدفع برمته وذكر نحوه وزاد في رواية
فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يبطل دمه فوداه بماية من ابل الصدقة اخرجاه
في الصحيحين وجه الدليل من هذا الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بدا بايمان
المدعين لتقوي جانبهم باللوث لان اليمين ابدا تكون لمن يقوى جانبه وعند
عدم اللوث يكون من جانب المدعى عليه من حيث ان الاصل براءة ذمته فكان
القول قوله مع يمينه والله اعلم قوله عز وجل ثم قست قلوبكم اي يبست وجفت
وقساوة القلب انتزاع الرحمة منه وقيل معناه غلظت واسودت من بعد ذلك
اي من بعد ظهور الدلالات التي جاء بها موسى وقيل هي اشارة الى احياء القتيل بعد
ضربه ببعض البقرة فهي يعني القلوب في الغلظ والشدة كالحجارة اي كالشي الصلب
الذي لا تخلخل فيه او قيل او بمعنى بل وقيل بمعنى الواو اي اشد قسوة فان قلت
لم شبه قلوبهم بالحجارة ولم يشبهها بالحديد وهو اشد من الحجارة واصلب قلت
لان الحديد قابل اللين بالنار وقد لان لداود عليه الصلاة والسلام والحجارة

ليست قابلة للين فلا تلين قط ثم فضل الحجارة على القلب القاسي فقال وان من الحجارة
لما يتفجر منه الانهار قيل اراد به جميع الحجارة وقيل اراد به الحجر الذي كان يضرب عليه موسى
ليسقي الاسباط والتفجير التفتح بالسعة والكثرة وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء يعني العيون
الصغار التي هي دون الانهار وان منها لما يهبط من خشية الله اي ينزل من اعلى الجبل الى اسفله
وخشيتها عبارة عن انقيادها لامر الله وانها لا تمتنع عن ما يريد منها وقلوبكم يا معشر اليهود
لا تلين ولا تخشع فان قلت الحجر جماد لا يعقل ولا يفهم فكيف يخشى قلت ان الله تعالى
قادر على افهام الحجر والجماد فتعقل وتخشى بالهامه لها ومذهب اهل السنة ان الله تعالى اودع
في الجماد والحيوانات علما وحكمة لا يقف عليه غيره فلها صلاة وتسبيح وخشية يدل عليه قوله
وان من شيء الا يسبح بحمده وقال تعالى والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه فيجب على المرء الايمان
به ويكل علمه الى الله تعالى عن جابر بن سمرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لاعرف
حجرا بمكة كان يسلم علي قبل ان ابعث واني لاعرفه الان عن علي قال كنت مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم بمكة فخرجنا الى بعض نواحيها فما استقبله شجر ولا جبل الا وهو
يقول السلام عليك يا رسول الله اخرجه الترمذي وقال حديث غريب خ عن جابر
بن عبد الله قال كان في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم جذع في قبلته يقوم
اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم في خطبته فلما وضع المنبر سمعنا للجذع مثل
اصوات العشار حتى نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضع يده عليه وفي رواية
صاحت النخلة صياح الصبي فنزل النبي صلى الله عليه وسلم حتى اخذها فضمها اليه فجعلت
تئن انين الصبي الذي يسكت حتى استقرت قال بكت على ما كانت تسمع من
الذكر قال مجاهد ما ينزل حجر من اعلى الى اسفل الا من خشية الله وذلك يشهد
لما قلنا وما الله بغافل عما تعملون فيه وعيد وتهديد والمعنى ان الله بالمرصاد
لهؤلاء القاسية قلوبهم وحافظ لاعمالهم حتى يجازيهم بها في الاخرة قوله عز وجل
افتطمعون خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم لانه هو الداعي الى الايمان وانما ذكره
بلفظ الجمع تعظيما له وقيل هو خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم واصحابه لانهم كانوا
يدعونهم الى الايمان ايضا ومعنى افتطمعون افترجون ان يؤمنوا لكم اي
يصدقكم اليهود بما تخبرونهم وقيل معناه افتطمعون ان يؤمنوا لكم مع انهم لم
يؤمنوا بموسى عليه الصلاة والسلام وكان هو السبب في خلاصهم من الذل وظهرت
المعجزات على يده وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله قيل المراد بالفريق
هم الذين كانوا مع موسى يوم الميقات وهم الذين سمعوا كلام الله تعالى
وقيل المراد بهم الذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وهو الاقرب لان
الضمير راجع اليهم في افتطمعون ان يؤمنوا لكم فعلى هذا يكون معنى يسمعون كلام
الله يعني التوراة لانه يصح ان يقال لمن يسمع التوراة يسمع كلام الله ثم يحرفونه

اى يغيرون كلام الله ويبدلونه ومن فسر الفريق الذين يسمعون كلام الله بالفريق الذين
كانوا مع موسى عليه السلام استدل بقول ابن عباس رضى الله عنهما انها نزلت فى السبعين
الذين اختارهم موسى لميقات ربه وذلك لانهم لما رجعوا الى قومهم بعد ما سمعوا كلام
الله اما الصادقون منهم فانهم ادوا كما سمعوا وقالت طائفة منهم سمعنا الله يقول فى
اخر كلامه ان استطعتم ان تفعلوا فافعلوا وان شئتم فلا تفعلوا فكان هذا تحريفهم
ومن فسر الفريق الذين يسمعون كلام الله بالذين كانوا فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم
قال كان تحريفهم وتبديلهم صفة النبى صلى الله عليه وسلم واية الرجم فى التوراة من بعد ما عقلوه
اى علموا صحة كلام الله ومراده فيه ثم مع ذلك خالفوه وهم يعلمون اى فساد مخالفته
ويعلمون ايضا انهم كاذبون قوله عز وجل واذا لقوا الذين امنوا قالوا امنا نزلت هذه
الاية فى اليهود الذين كانوا فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس رضى الله عنه ان منافقى
اليهود كانوا اذا لقوا اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا لهم امنا بالذى امنتم به وان
صاحبكم صادق وقوله حق وانا نجد نعته وصفته فى كتابنا واذا خلا بعضهم الى بعض يعنى
كعب بن الاشرف وكعب بن اسد ووهب بن يهودا ورؤسا اليهود لاموا منافقى اليهود
على ذلك قالوا اتحدثونهم بما فتح الله عليكم يعنى قضى الله عليكم فى كتابكم من صفة محمد صلى
الله عليه وسلم وانه حق وقوله صدق ليحاجوكم به اى ليخاصموكم اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم
ويحتجوا عليكم بقولكم فيقولون لكم قد اقررتم انه نبى حق فى كتابكم ثم لا تتبعونه وذلك ان
اليهود قالوا لاهل المدينة حين شاوروهم فى اتباع محمد صلى الله عليه وسلم امنوا به فانه نبى
حق ثم لام بعضهم بعضا وقالوا اتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليكون لهم الحجة عليكم عند ربكم
اى فى الدنيا والاخرة وقيل هو قول يهود بنى قريظة بعضهم لبعض قال لهم النبى صلى الله
عليه وسلم حين • قال لهم النبى صلى الله عليه وسلم يا اخوان القردة والخنازير قالوا من اخبر
محمد بهذا ما خرج الا منكم وقيل ان اليهود اخبروا المومنين بما عذبهم الله به من الجنايات
فقال بعضهم لبعض اتحدثونهم بما قضى الله عليكم من العذاب ليروا الكرامة لانفسهم
عليكم عند الله افلا تعقلون اى ان ذلك لا يليق بما انتم عليه اولا يعلمون يعنى
اليهود ان الله يعلم ما يسرون اى ما يخفون وما يعلنون اى ما يبدون وما يظهرون
قوله عز وجل ومنهم اى من اليهود اميون اى لا يحسنون الكتابة ولا القراة جمع امى وهو
المنسوب الى امه كانه باق على ما انفصل من الام لم يتعلم كتابة ولا قراة لا يعلمون
الكتاب الا امانى جمع امنية وهى التلاوة ومنه قول الشاعر: تمنى كتاب الله اول ليلة
تمنى داود الزبور على رسل . اى تلا كتاب الله وقال ابن عباس معناه غير عارفين
بمعانى كتاب الله تعالى وقيل الامانى الاحاديث الكاذبة المختلقة وهى الاشيا الذى
كتبها علماوهم من عند انفسهم واضافوها الى الله تعالى وذلك من تغيير نعت النبى
صلى الله عليه وسلم وصفته وغير ذلك وقيل هو فى التمنى وهو قولهم لن تمسنا النار

الا اياما

الا اياما معدودة وغير ذلك مما تمنوه فعلى هذا يكون المعنى لا يعلمون الكتاب لكن يتمنون
اشيا لا تحصل لهم وانهم لا يظنون اى ليسوا على يقين فويل الويل كلمة تقولها العرب
لكل من وقع فى هلكة واصلها فى اللغة العذاب والهلاك وقال ابن عباس الويل
شدة العذاب وعن ابى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الويل واد
فى جهنم يهوى فيه الكافر اربعين خريفا قبل ان يبلغ قعره اخرجه الترمذى وقال حديث
غريب الخريف سنة للذين يكتبون الكتاب بايديهم تاكيدا للكتابة لانه يحتمل ان يامر
غيره بان يكتب فقال بايديهم لنفى هذه الشبهة والمراد بالذين يكتبون الكتاب اليهود
وذلك ان رؤسا اليهود خافوا ذهاب ماكلهم وزوال رياستهم حين قدم النبى صلى الله
عليه وسلم المدينة فاحتالوا فى تعويق سفلتهم عن الايمان به فعمدوا الى صفته فى
التوراة فغيروها وكانت صفته فيها حسن الوجه حسن الشعر اكحل العينين ربعة فغيروا
ذلك وكتبوا مكانه طوال ازرق العين سبط الشعر وكان اذا سالهم سفلتهم عن
ذلك قرؤوا عليهم ما كتبوا ثم يقولون هذا من عند الله يعنى هذه الصفة التى كتبوها
فاذا نظروا الى النبى صلى الله عليه وسلم والى ذلك الصفة فيجدونه مخالفا لها فيكذبونه
ويقولون انه ليس به ليشتروا به اى بما كتبوا ثمنا قليلا اى الماكل والرشى التى كانوا
ياخذونها من سفلتهم قال الله تعالى فويل لهم مما كتبت ايديهم وويل لهم مما يكسبون
اى لن تصيبنا
قوله عز وجل وقالوا اى اليهود لن تمسنا النار الا اياما معدودة اى قدرا مقدرا ثم يزول
عنا العذاب قال ابن عباس قالت اليهود مدة الدنيا سبعة الاف سنة وانما نعذب
بكل الف سنة يوما ثم ينقطع عنا العذاب بعد سبعة ايام وقيل انهم عنوا بالايام الاربعين
يوما التى عبدوا فيها العجل وقيل ان اليهود زعموا ان الله تعالى عتب عليهم فى امر فاقسم
اى يا محمد
ليعذبنا اربعين يوما تحلة القسم فقال الله ردا عليهم وتكذيبا لهم قل يا محمد قل لليهود
اتخذتم عند الله عهدا اى موثقا ان لا يعذبكم الا هذه المدة فلن يخلف الله عهده
اى وعده ام تقولون على الله ما لا تعلمون بلى اثبات لما بعد حرف النفى وهو
قوله لن تمسنا النار والمعنى بلى تمسكم النار ابدا من كسب سيئة السيئة اسم يتناول
جميع المعاصى كبيرة كان او صغيرة والسيئة هنا الشرك فى قول ابن عباس واحاطت
به خطيئته اى احدقت به من جميع جوانبه قال ابن عباس هى الشرك يموت عليه
صاحبه وقيل احاطت به اى اهلكته خطيئته واحبط ثواب طاعته فعلى مذهب
اهل السنة يتعين تفسير السيئة والخطيئة فى هذه الاية بالكفر والشرك لقوله تعالى
فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون فان الخلود فى النار هو للكفار والمشركين
والذين امنوا وعملوا الصالحات فان قلت العمل الصالح خارج عن اسم الايمان لانه
تعالى قال والذين امنوا وعملوا الصالحات فلو دل الايمان على العمل الصالح لكان ذكر العمل الصالح
بعد الايمان تكرارا قلت اجاب بعضهم بان الايمان وان كان يدخل فيه جميع الاعمال

الصالحة الا ان قوله امنوا لا يفيد الا انه فعل فعلا واحدا من اعمال الايمان فلهذا حسن ان
يقول والذين امنوا وعملوا الصالحات وقيل ان قوله امنوا يفيد الماضي وعملوا الصالحات
يفيد المستقبل فكانه تعالى قال امنوا اولا ثم داوموا عليه اخرا ويدخل فيه جميع الاعمال الصالحة
اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون قوله عز وجل واذ اخذنا ميثاق بني اسرائيل يعني
في التوراة والميثاق العهد الشديد لا تعبدون الا الله اي امرناهم تعالى لعبادته فيدخل
تحته النهي عن عبادة غيره لان الله تعالى هو المستحق للعبادة لا غيره وبالوالدين احسانا
اي برا بهما ورحمة لهما ونزولا عند امرهما فيما لا يخالف امر الله تعالى وتوصل اليهما ما يحتاجان
اليه ولا يؤذيهما البتة وان كانا كافرين بل يجب عليه الاحسان اليهما ومن الاحسان
اليهما ان يدعوهما الى الايمان بالرفق واللين وكذا ان كانا فاسقين يامرهما بالمعروف
بالرفق واللين من غير عنف وانما عطف بر الوالدين على الامر بعبادته لان شكر المنعم
واجب ولله على عبده اعظم النعم لانه هو الذي خلقه واوجده بعد العدم فيجب تقديم
شكره على شكر غيره ثم قال ان للوالدين على الولد نعمة عظيمة لانهما السبب في كون
الولد ووجوده ثم ان لهما عليه حق التربية ايضا فيجب شكرهما ثانيا وذي القربى اي
القرابة لان حق القرابة تابع لحق الوالدين والاحسان اليهم انما هو بواسطة الوالدين
فلهذا احسن عطف القرابة على الوالدين واليتامى جمع يتيم وهو الذي مات ابوه وهو
طفل صغير فاذا بلغ الحلم زال عنه اليتم ويجب رعاية حقوق اليتيم لثلاثة امور لصغره
ويتمه ولخلوه عمن يقوم بمصلحته اذ لا يقدر هو ان ينتفع بنفسه ولا يقوم بحوائجه
والمساكين جمع مسكين وسياتي بيانه ان شاء الله تعالى وانما تاخرت درجة المساكين
عن اليتامى لانه قد يمكن ان ينتفع بنفسه وينفع غيره بالخدمة وقولوا للناس
حسنا فيه وجهان احدهما انه خطاب للحاضرين من اليهود في زمن النبي صلى الله
عليه وسلم فلهذا عدل عن الغيبة الى الحضور والمعنى قولوا حقا وصدقا في شان
محمد صلى الله عليه وسلم فمن سالكم عنه فاصدقوه وبينوا صفته ولا تكتموه قاله
ابن عباس الوجه الثاني ان المخاطبين به هم الذين كانوا في زمن موسى عليه السلام
واخذ عليهم الميثاق وانما عدل عن الغيبة الى الحضور على طريق الالتفات كقوله حتى
اذا كنتم في الفلك وجرين بهم وقيل فيه حذف تقديره وقلنا لهم في الميثاق قولوا
للناس حسنا ومعناه مروهم بالمعروف وانهوهم عن المنكر وقيل هو اللين في
القول والعشرة وحسن الخلق واقيموا الصلاة واتوا الزكاة ولما امرهم الله تعالى بهذه
التكاليف الثمانية لتكون لهم المنزلة عنده بما التزموا به اخبر عنهم انهم ما وفوا بذلك
بقوله ثم توليتم اي اعرضتم عن العهد الا قليلا منكم يعني من الذين امنوا منهم
كعبد الله بن سلام واصحابه فانهم وفوا بالعهد وانتم معرضون اي كاعراض ابائكم
قوله عز وجل واذ اخذنا ميثاقكم هو خطاب لمن كان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم

من اليهود

من اليهود وقيل هو خطاب لابائهم وفيه تقريع لهم لا تسفكون اي لا تريقون دماءكم
اي لا يسفك بعضكم دم بعض وقيل معناه لا تسفكوا دماء غيركم فيسفك دماءكم فكانكم
انتم سفكتم دماء انفسكم ولا تخرجون انفسكم من دياركم اي لا يخرج بعضكم بعضا من داره
وقيل لا تفعلوا شيئا تخرجوا بسببه من دياركم ثم اقررتم اي بعد العهد انه حق وانتم تشهدون
يعني انتم يا معشر اليهود اليوم تشهدون على ذلك ثم انتم هؤلاء يعني يا هؤلاء اليهود
تقتلون انفسكم اي يقتل بعضكم بعضا وتخرجون فريقا من ديارهم اي يخرج بعضكم
بعضا من ديارهم تظاهرون عليهم بالاثم والعدوان اي تتعاونون عليهم بالمعصية
والظلم وان ياتوكم اسارى جمع اسير تفدوهم اي بالمال وهو استنقاذهم بالشراء
وفي تفادوهم اي تبادلوهم وهو مفاداة الاسير بالاسير ومعنى الاية ان الله تعالى
اخذ على بني اسرائيل في التوراة اي لا يقتل بعضهم بعضا ولا يخرج بعضهم بعضا من
ديارهم وايما عبد او امة من بني اسرائيل وجدتموه فاشتروه بما قام من ثمنه واعتقوه
وكانت قريظة حلفاء الاوس والنضير حلفاء الخزرج وكان بين الخزرج والاوس
حروب فكانت بنو النضير تقاتل مع حلفائهم وبنو قريظة تقاتل مع حلفائهم
فاذا غلب احد الفريقين اخرجوهم من ديارهم واخربوها وكان اذا اسر رجل
من الفريقين جمعوا له مالا يفدونه به فعيرتهم العرب فقالوا كيف تقاتلونهم
ثم تفدونهم فقالوا انا امرنا ان نفديهم فقالوا كيف تقاتلونهم فقالوا انا نستحي
ان يستذل حلفاؤنا فعيرهم الله تعالى فقال ثم انتم هؤلاء تقتلون انفسكم
وفي الاية تقديم وتاخير تقديره وتخرجون فريقا منكم من ديارهم تظاهرون
عليهم بالاثم والعدوان وهو محرم عليكم اخراجهم وان ياتوكم اسارى تفدوهم
فكان الله تعالى اخذ عليهم اربعة عهود ترك القتل وترك الاخراج وترك
المظاهرة مع اعدائهم وفك اسرائهم فاعرضوا عن الكل الا الفداء قال الله عز
وجل افتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض معناه ان وجدتموهم في يد
غيركم فديتموهم وانتم تقتلونهم بايديكم وكان ايمانهم الفداء وكفرهم قتل بعضهم
بعضا فذمهم على المناقضة اذ اتوا ببعض ما وجب عليهم
وتركوا البعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم يعني يا معشر اليهود الا خزي في الحياة
الدنيا اي عذاب وهوان فكان خزي بني قريظة القتل والسبي وخزي بني
النضير الاجلاء والنفي من منازلهم الى اريحا واذرعات من ارض الشام ويوم القيامة
يردون الى اشد العذاب يعني عذاب النار وما الله بغافل عما تعملون فيه وعيد
وتهديد عظيم اولئك الذين اشتروا اي استبدلوا الحياة الدنيا بالاخرة لان الجمع
بين لذات الدنيا والاخرة غير ممكن فمن اشتغل بتحصيل لذات الدنيا فاتته لذات
الاخرة فلا يخفف عنهم العذاب اي لا يهون عليهم ولا هم ينصرون اي ولا

يمنعون من عذاب الله تعالى قوله عز وجل ولقد اتينا اى اعطينا موسى الكتاب
يعنى التوراة جملة واحدة وقفينا اى واتبعنا من التقفية وهو ان يقفوا اثر
الاخر من بعده اى من بعد موسى بالرسل يعنى رسولا بعد رسول وكانت الرسل
من بعد موسى الى زمن عيسى عليهما السلام متواترة تظهر بعضهم فى اثر بعض والشريعة
واحدة قيل ان الرسل بعد موسى يوشع بن نون واشمويل وداود وسليمان و
ارميا وحزقيل والياس ويونس وزكريا ويحيى وغيرهم وكانوا يحكمون ويعملون
بشريعة موسى الى ان بعث الله عيسى عليه السلام فجاءهم بشريعة جديدة وغير
بعض احكام التوراة فذلك قوله تعالى واتينا عيسى بن مريم البينات اى الدلالات
الواضحة وهى المعجزات من احيا الموتى وابرا الاكمه والابرص وقيل هى الانجيل
واسم عيسى بالسريانية ايشوع ومريم بمعنى الخادم وقيل هو علم لها كزيد من الرجال
وايدناه اى وقويناه بروح القدس قيل اراد بالروح الذى نفخ فيه والقدس
هو الله تعالى واضاف روح عيسى اليه تشريفا وتكريما وتخصيصا له كما تقول عبد الله
وامة الله وبيت الله وناقة الله وقال ابن عباس هو اسم الله الاعظم الذى كان
عيسى يحيى به الموتى وقيل هو الانجيل لانه حياة القلوب سماه روحا كما سمى
القران روحا وقيل هو جبريل ووصف بالقدس وهو الطهارة لانه لا يقترف ذنبا
قط وقيل القدس هو الله تعالى والروح جبريل كما تقول عبد الله سمى جبريل روحا
للطافته لانه روحانى خلق من النور وقيل سمى روحا لمكانه من الوحى الذى
هو سبب حياة القلوب وحمل روح القدس هنا على جبريل اولى لانه تعالى قال
وايدناه اى قويناه بجبريل وذلك انه امر ان يكون مع عيسى وليسير معه حيث
سار فلم يفارقه حتى صعد به الى السما فلما سمعت اليهود بذكر عيسى قالوا يا محمد
لا مثل عيسى كما تزعم عملت ولا كما تقص علينا من اخبار الانبيا فعلت فاتنا بما اتى
به عيسى ان كنت صادقا قال الله تعالى افكلما جاءكم يعنى يا معشر اليهود رسول بما لا
تهوى انفسكم استكبرتم اى تعظمتم عن الايمان به ففريقا كذبتم يعنى مثل عيسى
ومحمد صلى الله عليه وسلم وفريقا تقتلون يعنى مثل زكريا ويحيى وساير من قتلوه
وذلك ان اليهود كانوا اذا جاء رسول بما لا يهوون كذبوه فان تهيا لهم قتله
قتلوه وانما كانوا كذلك لارادتهم الدنيا وطلب الرياسة وقالوا يعنى اليهود
قلوبنا غلف جمع اغلف وهو الذى عليه غشاوة فلا يعى ولا يفقه قال ابن عباس
غلف بضم اللام جمع غلاف فالمعنى ان قلوبنا اوعية للعلم فلا تحتاج الى علمك
وقيل اوعية من الوعى لا تسمع حديثا الا وعته الا حديثك فانها لا تعيه ولا تعقله
ولو كان خيرا لفهمته ووعته قال الله تعالى بل لعنهم الله بكفرهم اى طردهم وابعدهم من كل
خير وسبب كفرهم انهم اعترفوا بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم ثم انهم انكروه وجحدوه

فلهذا لعنهم الله تعالى فقليلا ما يؤمنون اى لم يؤمن منهم الا قليلا لان من امن من المشركين كان اكثر
منهم قوله عز وجل ولما جاءهم كتاب من عند الله يعنى القران مصدق لما معهم يعنى التوراة وهو
التصديق فى صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لان نبوته وصفته ثابتة فى التوراة وكانوا
يعنى اليهود من قبل اى من قبل مبعث النبى صلى الله عليه وسلم يستفتحون اى يستنصرون
به على الذين كفروا يعنى مشركى العرب وذلك انهم كانوا اذا حزبهم امر ودهمهم عدو
يقولون اللهم انصرنا بالنبى المبعوث فى اخر الزمان الذى نجد صفته فى التوراة فكانوا
ينصرون وكانوا يقولون لاعدائهم من المشركين قد اظل زمان نبى يخرج بتصديق ما قلنا
فنقتلكم معه قتل عاد وارم فلما جاءهم ما عرفوا اى الذى عرفوه يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم
عرفوا نعته وصفته وانه من غير بنى اسرايل كفروا به اى جحدوه وانكروه بغيا وحسدا
فلعنة الله على الكافرين بئس ما اشتروا به انفسهم اى بئس شى الذى اختاروا لانفسهم
حين اشتروا به انفسهم حين استبدلوا الباطل بالحق واشتروا بمعنى بئس ما باعوا به حظ
انفسهم ان يكفروا بما انزل الله يعنى القران بغيا اى حسدا ان ينزل الله من فضله يعنى
الكتاب والنبوة على من يشا من عباده يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم فباؤا اى رجعوا
بغضب اى مع غضب قال ابن عباس الغضب الاول بتضييعهم التوراة وتبديلها
والثانى بكفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل الاول بعبادتهم العجل والثانى بكفرهم بعيسى
والانجيل والثانى بمحمد صلى الله عليه وسلم والقران وللكافرين يعنى الجاحدين بنبوة
محمد صلى الله عليه وسلم من الناس كلهم عذاب مهين اى يهانون فيه واذا قيل لهم
امنوا بما انزل الله يعنى بالقران وقيل بكل ما انزل الله قالوا نؤمن بما انزل علينا يعنى التوراة
وما انزل على انبيائهم ويكفرون بما وراءه اى بما سواه من الكتب وقيل بما بعده يعنى
الانجيل والقران وهو الحق يعنى القران مصدقا لما معهم يعنى التوراة قل يا محمد فلم
تقتلون انبيا الله من قبل انما اضاف القتل الى المخاطبين من اليهود وان كان سلفهم قتلوا
لانهم رضوا بفعلهم وقيل اذا عملت المعصية فى الارض فمن كرهها فانكرها برى منها
ومن رضيها كان من اهلها ان كنتم مؤمنين اى بالتوراة وقد نهيتم فيها عن قتل
الانبيا قوله عز وجل ولقد جاءكم موسى بالبينات اى بالدلالات الواضحة والمعجزات الباهرة ثم
اتخذتم العجل من بعده اى من بعد موسى لما ذهب الى الميقات وانتم ظالمون انما كرره تبكيتا
لهم وتوكيدا للحجة عليهم واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما اتيناكم بقوة
واسمعوا اى استجيبوا واطيعوا اى فيما امرتم به قالوا سمعنا يعنى قولك وعصينا
يعنى امرك وقيل انهم لم يقولوا بالسنتهم ولكن لما سمعوه وتلقوه تلقوه بالعصيان
فنسب اليهم ذلك واشربوا فى قلوبهم العجل بكفرهم اى وقد ادخل حبه فى قلوبهم و
الحرص على عبادته كما يتداخل الصبغ فى الثوب وقيل ان موسى امر ان يبرد العجل وينذروا
فى النهر وامرهم ان يشربوا منه فمن بقى فى قلبه شى من حب العجل ظهر سحالة الذهب

على سنا ربه قل بئس ما يأمركم به ايمانكم اى ان تعبدوا العجل والمعنى بئس الايمان يأمر
بعبادة العجل ان كنتم مؤمنين اى بزعمكم وذلك انهم قالوا نؤمن بما انزل علينا فكذبهم
الله تعالى بذلك فى قوله تعالى قل ان كانت لكم الدار الاخرة عند الله خالصة من دون
الناس وذلك ان اليهود ادعوا دعاوى باطلة منها قولهم لن يدخل الجنة الا من كان
هودا وقولهم نحن ابناء الله واحباؤه وكذبهم الله والزمهم الحجة فقال قل يا محمد لليهود
ان كانت لكم الدار الاخرة يعنى الجنة خالصة لكم دون الناس فتمنوا الموت اى
فاطلبوه واسالوه لان من علم ان الجنة ماواه وانه لاحق اليها ولا سبيل الى دخولها
الا بعد الموت فاستعجلوا بالتمنى ان كنتم صادقين اى فى قولكم ودعواكم روى ابن
عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لو تمنوا الموت لغص كل انسان بريقه وما بقى
على وجه الارض يهودى الا مات قال الله تعالى ولن يتمنوه ابدا اى لعلمهم انهم فى دعواهم
كاذبون بما قدمت ايديهم يعنى من الاعمال السيئة وانما اضاف العمل الى اليد لان
اكثر جنايات الانسان تكون من يده والله عليم بالظالمين فيه تخويف وتهديد لهم وانما خصهم
بالظلم لانه اعم من الكفر لان كل كافر ظالم وليس كل ظالم كافر فلهذا كان اعم وكانوا
اولى به ولتجدنهم اللام للقسم والنون للتوكيد تقديره والله لتجدنهم يا محمد يعنى اليهود
احرص الناس على حياة اى حياة متطاولة والحرص اشد الطلب ومن الذين اشركوا قيل هو
متصل بما قبله ومعطوف عليه والمعنى واحرص من الذين اشركوا فان قلت الذين اشركوا
قد دخلوا تحت الناس فى قوله احرص الناس فلم افردهم بالذكر قلت افردهم بالذكر لشدة
حرصهم وفيه توبيخ عظيم لليهود لان الذين لا يؤمنون بالمعاد ولا يعرفون الا الحياة
الدنيا لا يستبعد حرصهم عليها ولا زاد عليهم فى الحرص من له كتاب وهو مقر بالبعث
والجزا كان حقيقا بالتوبيخ العظيم وقيل ان الواو واو استيناف تقديره ومن الذين
اشركوا اناس يود احدهم هم المجوس سموا بذلك لانهم يقولون بالنور والظلمة يود
اى يتمنى احدهم لو يعمر الف سنة اى تعمير الف سنة وانما خص الالف لانها نهاية
العقد ولانها تحية المجوس فيما بينهم يقولون زه هزار سال اى عش الف سنة والف
نوروز والف مهرجان فهذه تحيتهم والمعنى ان اليهود احرص من المجوس الذين يقولون
ذلك وما هو بمزحزحه اى بمباعده من العذاب اى النار ان يعمر اى لو عمر طول عمره لا ينقذه
من العذاب والله بصير بما يعملون اى لا يخفى عليه خافية من احوالهم قوله عز وجل قل من كان
عدوا لجبريل قال ابن عباس سبب نزول هذه الاية ان عبد الله بن صوريا حبر من احبار اليهود
قال للنبى صلى الله عليه وسلم اى ملك ياتيك من السما قال جبريل قال ذلك عدونا ولو كان
ميكائيل لامنا بك ان جبريل ينزل بالعذاب والشدة والخسف وانه عادانا مرارا واشد
ذلك علينا ان الله انزل على نبينا ان بيت المقدس سيخرب على يد رجل يقال له بخت نصر
فلما كان زمنه بعثنا من يقتله فلقيه ببابل غلاما مسكينا فاخذه ليقتله فدفع عنه جبريل

وقال

وقال ان كان الله امره بهلاككم فلن تسلط عليه وان لم يكن هو فعلى اى حق تقتله فلما
كبر ذلك الغلام وقوى غزانا وخرب بيت المقدس فلهذا نتخذه عدوا فانزل الله
هذه الاية وقيل قالوا ان الله امره ان يجعل النبوة فينا فجعلها فى غيرنا فاتخذناه عدوا
وقيل ان عمر بن الخطاب كان له ارض باعلا المدينة وكان ممره اليها على مدارس اليهود
فكان يجلس اليهم ويسمع كلامهم فقالوا يوما ما فى اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم احب
الينا منك وانا لنطمع فيك فقال عمر والله ما اتيتكم لحبكم ولا اسالكم لانى شاك فى دينى
وانما ادخل عليكم لازداد بصيرة فى امر محمد صلى الله عليه وسلم وارى اثاره فى كتابكم
فقالوا من صاحب محمد الذى ياتيه من الملائكة قال جبريل قالوا ذلك عدونا يطلع محمدا
صلى الله عليه وسلم على سرنا وهو صاحب عذاب وخسف وشدة وان ميكائيل يجى بالخصب
والسلامة فقال لهم تعرفون جبريل وتنكرون محمدا صلى الله عليه وسلم قالوا نعم قال فاخبرونى
عن منزلة جبريل وميكائيل من الله تعالى قالوا جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره وميكائيل عدو لجبريل فقال
عمر اشهد انه من كان عدوا لاحدهما كان عدوا للاخر ومن كان عدوا لهما كان عدوا
لله ثم رجع عمر الى النبى صلى الله عليه وسلم فوجد جبريل قد سبقه بالوحى فقرا رسول الله صلى الله
عليه وسلم هذه الايات وقال لقد وافقك ربك يا عمر فقال عمر والله لقد رايتنى بعد
ذلك فى دينى اصلب من الحجر والاقرب ان سبب هذه العداوة كون جبريل كان ينزل
على النبى صلى الله عليه وسلم بالوحى لان قوله فانه نزله على قلبك يعنى بذلك وقوله فانه
نزله يعنى جبريل نزل بالقران كناية عن غير مذكور على قلبك يا محمد وانما خص القلب بالذكر
لانه محل الحفظ باذن الله اى بامره مصدقا اى موافقا لما بين يديه اى لما قبله من الكتب
وهدى وبشرى للمؤمنين اى فى القران هداية للمؤمنين الى الاعمال الصالحة التى يترتب
عليها الثواب وبشرى لهم بثوابها اذا اتوا بها من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل
وميكائيل لما بين فى الاية الاولى ان من كان عدوا لجبريل لاجل انه نزل بالقران على قلب محمد
صلى الله عليه وسلم فبين فى هذه الاية ان كل من كان عدوا لاحد هولاء فانه عدو لجميعهم
وبين ان الله عدوه بقوله فان الله عدو للكافرين فاما عداوتهم لله فانها لا تضره ولا تؤثر
وعداوته لهم تؤديهم الى العذاب الدائم الذى لا ضرر اعظم منه وقيل المراد من عداوتهم
لله عداوتهم لاوليائه واهل طاعته فهو كقوله ان الذين يحاربون الله ورسوله اى
يحاربون اولياء الله واهل طاعته وقوله وملائكته ورسله يعنى اى ان من عادا واحدا
منهم فقد عادا جميعهم ومن كفر بواحد منهم فقد كفر بجميعهم وجبريل وميكائيل انما خصهما
بالذكر وان كانا داخلين فى جملة الملائكة لبيان شرفهما وفضلهما وعلو منزلتهما وقدم
جبريل على ميكائيل لفضله عليه لان جبريل ينزل بالوحى الذى هو غذا الارواح وميكائيل
ينزل بالمطر الذى هو سبب غذا الابدان وجبريل وميكائيل اسمان اعجميان ومعناهما عبد الله
وعبد الله لان جبر وميك بالسريانية هو العبد وايل هو الله تعالى ولقد انزلنا اليك

ايات بينات قال ابن عباس هذا جواب لابن صوريا حيث قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم
يا محمد ما جئتنا بشي نعرفه وما انزل عليك من اية بينة فنتبعك بها فانزل الله هذه الاية
ومعنى بينات واضحات مفصلات بالحلال والحرام والحدود والاحكام وما يكفر بها اي يجحد بهذه
الايات الا الفاسقون اي الخارجون عن طاعتنا وما امروا به اوكلما عاهدوا عهدا قال
ابن عباس لما ذكرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اخذ عليهم من العهود في محمد صلى الله
عليه وسلم ان يومنوا به قال مالك بن الصيف والله ما عهد الينا في محمد صلى الله عليه وسلم
عهدا فانزل الله هذه الاية اوكلما استفهام انكار عاهدوا عهدا اي هو قولهم انه قد اظل
زمان نبي مبعوث وانه في كتابنا وقيل انهم عاهدوا الله عهودا كثيرة ثم نقضوها نبذه
اي طرح العهد ونقضه فريق منهم يعني اليهود بل اكثرهم لا يومنون يعني كفر فريق
منهم بنقض العهد وكفر فريق منهم بالجحد للحق ولما جاءهم رسول من عند الله يعني محمدا
صلى الله عليه وسلم مصدق لما معهم يعني مصدق لصحة التوراة وبنبوة موسى عليه الصلاة
والسلام وقيل ان التوراة بشرت بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم فلما بعث محمد صلى الله عليه
وسلم كان نجد مبعثه مصدقا للتوراة نبذ فريق من الذين اوتوا الكتاب كتاب الله
وراء ظهورهم قيل اراد بالكتاب القران وقيل التوراة وهو الاقرب لان النبذ لا يكون الا
بعد التمسك ولم يتمسكوا بالقران اما نبذهم التوراة فانهم كانوا يقرونها ولا يعملون بها
وقيل انهم ادرجوها في الحرير وحلوها بالذهب ولم يعملوا بما فيها كانهم لا يعلمون يعني انهم
نبذوا كتاب الله ورفضوه عن علم به ومعرفة وانما حملهم على ذلك عداوة النبي صلى
الله عليه وسلم وهم علماء اليهود الذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وكتموا امره وكان
اولئك النفر قليل قوله عز وجل واتبعوا ما تتلوا الشياطين يعني اليهود نبذوا كتاب الله
واتبعوا الشياطين ومعنى تتلو تقرا من التلاوة وقيل معناه تفتري وتكذب على ملك سليمان
وهو قولهم ان سليمان ملك الناس بالسحر وقيل على ملك سليمان اي على عهده وزمانه وقصة
ذلك ان الشياطين كتبوا السحر والنيرنجات على لسان اصف هذا ما علم اصف بن برخيا
سليمان الملك وكتبوا ودفنوه تحت كرسيه وذلك حين نزع الله عنه الملك ولم يشعر بذلك
وقيل ان بني اسرائيل اشتغلوا بتعليم السحر في زمانه فمنعهم سليمان من ذلك واخذ كتبه ودفنها
تحت سريره فلما مات استخرجها الشياطين وقالوا للناس انما ملككم سليمان بهذا فتعلموه فاما
صلحاء بني اسرائيل علماؤهم فانكروا ذلك وقالوا معاذ الله ان يكون هذا العلم من علم
سليمان واما السفلة منهم فقالوا هذا هو علم سليمان واقبلوا على تعليمه وتركوا كتب انبيائهم
وفشت الملامة لسليمان فلم يزل هذه حالهم ان بعث الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم وانزل
عليه براة سليمان عليه السلام فقال تعالى واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان وما
كفر سليمان يعني بالسحر ولم يعمل به وفيه تنزيه سليمان عن السحر وذلك ان اليهود انكروا نبوة
سليمان وقالوا انما حصل له هذا الملك وسخرت الانس والجن له بسبب السحر وقيل ان السحرة

من اليهود

من اليهود زعموا انهم اخذوا السحر عن سليمان فبراه الله عن ذلك وقيل ان بعض احبار
اليهود قال الا تعجبون من محمد يزعم ان سليمان كان نبيا وما كان الا ساحرا فانزل الله
وما كفر سليمان ان سليمان نبيا بيانا في كونه ساحرا كافرا بين الله تعالى ان الذي براه (يعني حو)
منه لاحق بغيره فقال ولكن الشياطين كفروا يعني ان الذين اتخذوا السحر لانفسهم
هم الذين كفروا ثم بين سبب كفرهم فقال تعالى يعلمون الناس السحر يعني ما كتب لهم الشياطين
من كتب السحر وقيل يحتمل ان يكون يعلمون يعني اليهود الذين عنوا بقوله واتبعوا
وسموا السحر سحرا لخفاء سببه ولا الفعل في حقيقته وقيل معنى السحر الازالة وصرف الشي
عن وجهه تقول العرب ما سحرك عن كذا اي ما صرفك عنه فكان الساحر لما راى الباطل
في صورة الحق فقد سحر الشي عن وجهه اي صرفه هذا اصله من حيث اللغة واما
حقيقته فقد قيل انه عبارة عن التمويه والتخييل ومذهب اهل السنة ان له وجودا
وحقيقة والعمل به كفر وذلك اذا اعتقد ان الكواكب هي المؤثرة في قلب الاعيان
وروي عن الشافعي انه قال السحر يخيل ويمرض وقد يقتل حتى اوجب القصاص على
من قتل به وقيل ان السحر يوثر في قلب الاعيان فيجعل الانسان على صورة الحمار
والحمار على صورة الكلب وقد يطير الساحر في الهوى وهذا القول ضعيف عند
اهل السنة لانهم قالوا ان الله تعالى هو الخالق الفاعل لهذه الاشيا عند عمل الساحر
لذلك لان الساحر هو الفاعل المؤثر فيها والاصح ان السحر تخييل ويوثر في الابدان
بالامراض والجنون والموت ويدل على ذلك ان للكلام تاثيرا في الطباع فقد يسمع
الانسان ما يكره فيحم وقد مات قوم سمعوه فالسحر بمنزلة العلل في الابدان واما حكمه فانه
من الكباير التي نهي عنها ويحرم تعلمه لما روي عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال اجتنبوا السبع الموبقات قيل يا رسول الله وما هن قال الاشراك بالله والسحر
وقتل النفس التي حرم الله واكل مال اليتيم والزنا والتولي يوم الزحف وقذف
المحصنات الغافلات المومنات اخرجاه في الصحيحين فعد رسول الله صلى الله عليه وسلم السحر من الكباير
وثناه بالشرك وامرنا باجتنابه وقوله الموبقات يعني المهلكات والسحر على قسمين
احدهما يكفر به صاحبه وهو ان يعتقد ان القدرة لنفسه في ذلك وهو المؤثر او
يعتقد ان الكواكب هي المؤثرة الفعالة فاذا انتهى به السحر الى هذه الغاية صار
كافرا بالله تعالى ويجب قتله لما روي عن جندب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال حد الساحر ضربه بالسيف اخرجه الترمذي والقسم الثاني من السحر وهو التخييل الذي
ياكل النيرنجات والشعبذة ولا يعتقد صاحبه لنفسه فيه قدرة ولا ان الكواكب
هي المؤثرة ويعتقد ان القدرة لله تعالى وانه هو المؤثر فهذا القدر لا يكفر به صاحبه
ولكنه معصية وهو من الكباير ويحرم فعله فان قتل قصاصا لما روي عن مالك
بلغه ان حفصة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قتلت جارية لها سحرتها وقد كانت

دبرتها فقلت اوجه في الموطا قوله عز وجل وما انزل على الملكين ويعلمون الذي
انزل على الملكين والانزال ههنا بمعنى الالهام والتعليم اى ما الهما وعلما وقرى فى
الشاذ الملكين بكسر اللام قال هما رجلان ساحران كانا ببابل وقيل علجان ووجهه ان
الملايكة لا يعلمون السحر والقراة المشهورة بفتح اللام فان قلت كيف يجوز للملايكة
تعليم السحر قلت ابن جرير الطبرى ان الله تعالى عرف جميع ما امرهم به وجميع ما نهاهم
عنه ثم امرهم ونهاهم بعد العلم منهم بما يؤمرون به وينهون عنه ولو كان الامر على
ذلك لما كان للامر والنهي معنى مفهوم والسحر مما نهى عباده من بني ادم عنه فغير منكر
ان يكون الله تعالى علمه الملكين اللذين سماهما في تنزيله وجعلهما فتنة لعباده من بني ادم
كما اخبر عنهما يقولان لمن جا يتعلم ذلك منهما انما نحن فتنة فلا تكفر ليختبر بهما عباده
الذين نهاهم عن السحر وعن التفريق بين المرء وزوجه فيتخلص المومن بتركه التعلم منهما
ويخزي الكافر بتعليمه الكفر والسحر منهما ويكون الملكين في تعليمهما ما علما من ذلك
مطيعين لله تعالى اذا كانا عن اذن الله تعالى لهما التعليم ذلك وغير ضارهما سحر من سحر
ممن تعلم ذلك بعد نهيهما اياه عنه بقولهما انما نحن فتنة فلا تكفر اذا كانا قد ادبا
ما امرا به وقال غيره انهما لا يتعمدان ذلك بل يصفان السحر ويذكران بطلانه ويامران
باجتنابه فالشقي من ترك نصحهما وتعلم السحر من وصفهما والسعيد من قبل نصحهما وترك تعلم
السحر منهما وقيل ان الله تعالى امتحن الناس بهما في ذلك الزمان فالشقي من تعلم السحر منهما
فكفر به والسعيد من تركه فيبقى على ايمانه ولله تعالى ان يمتحن عباده بما شا كما امتحن بني
اسرايل بنهر طالوت بقوله فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فانه مني ببابل قيل
هى بابل العراق بارض الكوفة سميت بذلك لتبلبل الالسنة بها عند سقوط صرح نمرود
وقيل انها بابل دنباوند والاول اصح واشهر هاروت وماروت اسمان سريانيان قصة
الاية على ما ذكره ابن العباس وغيره قالوا ان الملايكة لما راوا ما يصعد الى السما من اعمال
بني ادم الخبيثة في زمن ادريس عليه الصلاة والسلام عيروهم وقالوا هولا الذين
جعلتهم في الارض واخترتهم وهم يعصونك فقال الله عز وجل لو انزلتكم الى الارض
وركبت فيكم ما ركبت فيهم لو ركبتم مثل ما ركبوا قالوا سبحانك ما كان ينبغي لنا ان
نعصيك قال الله تعالى فاختاروا ملكين من خياركم اهبطهما الى الارض فاختاروا
هاروت وماروت وكانا من اصلح الملايكة واعبدهم وكان اسم هاروت عزا وماروت
عزايا فغير اسمهما لما قارنا الذنب وركب الله فيهما الشهوة واهبطهما الى الارض وامرهما
ان يحكما بين الناس بالحق ونهاهما عن الشرك والقتل بغير الحق والزنا وشرب الخمر
فكانا يقضيان بين الناس يومهما فاذا امسيا ذكرا اسم الله الاعظم وصعدا الى السما فما مر
عليهما شهر حتى افتتنا وقيل افتتنا في اول يوم وذلك انه اختصم اليهما امراة يقال لها الزهرة
وكانت من اجمل اهل فارس وقيل كانت ملكة فلما رايا ها اخذت بقلوبهما فقال احدهما

لصاحبه هل سقط في نفسك مثل الذي سقط في نفسي قال نعم فراوداها عن نفسها فابت
وانصرفت ثم عادت في اليوم الثاني ففعلا مثل ذلك فابت وقالت لا الا ان تعبدا هذا
الصنم وتقتلا النفس وتشربا الخمر فقالا لا سبيل الى هذه الاشيا فان الله تعالى قد نهانا
عنها فانصرفت ثم عادت في اليوم الثالث ومعها قدح خمر وفي انفسهما من الميل اليها ما فيها
فراوداها عن نفسها فعرضت عليهما ما قالت بالامس فقالا الصلاة لغير الله عظيم
وقتل النفس عظيم واهون الثلاثة شرب الخمر فشربا فلما انتشيا وقعا بالمراة فزنيا بها
فراهما انسان فقتلاه خوف الفضيحة وقيل انهما سجدا للصنم وقيل جاءتهما امراة من احسن
الناس تخاصم زوجها فقال احدهما للاخر هل سقط في نفسك مثل الذي سقط في نفسي
قال نعم قال هل لك ان تقضي لها على زوجها فقال له صاحبه اما تعلم ما عند الله من
العقوبة والعذاب فقال له صاحبه اما تعلم ما عند الله من العفو والرحمة فسالاها
نفسها فقالت لا الا ان تقضيا لي على زوجي فقضيا ثم سالاها نفسها فقالت
لا الا ان تقتلاه فقال احدهما لصاحبه اما تعلم ما عند الله من العقوبة والعذاب
فقال له صاحبه اما تعلم ما عند الله من العفو والرحمة فقتلاه ثم سالاها نفسها
فقالت لا الا ان لي صنما تعبده ان انتما صليتما معي عنده فعلت فقال احدهما لصاحبه
مثل القول الاول فرد عليه مثله فصليا معها عنده فمسخت شهابا وقال علي بن ابي
طالب قالت لهما لن تدركاني حتى تخبراني بالذي تصعدان به الى السما فقالا اسم الله
الاكبر قالت فما انتما بمدركي حتى تعلماني اياه فقال احدهما للاخر علمها فقال اني اخاف
الله فقال الاخر فاين رحمة الله فعلماها ذلك فتكلمت به وصعدت الى السما فمسخها الله
كوكبا فذهب بعضهم الى انها هي الزهرة بعينها وانكر اخرون ذلك وقالوا ان الزهرة من
الكواكب السيارة السبعة التي اقسم الله بها فقال فلا اقسم بالخنس الجوار الكنس والتي
فتنت هاروت وماروت كانت امراة تسمى الزهرة لجمالها فلما بغت مسخها الله تعالى
شهابا قالوا فلما امسى هاروت وماروت بعد ما قارنا الذنب هما بالصعود الى السما
فلم تطاوعهما اجنحتهما فعلما ما حل بهما وقصدا ادريس النبي عليه الصلاة والسلام واخبراه
بامرهما وسالاه ان يشفع لهما الى الله تعالى وقالا له رايناك يصعد لك من العبادة مثل
ما يصعد لجميع اهل الارض فاشفع لنا الى ربك ففعل ذلك ادريس فخيرهما الله بين
عذاب الدنيا وعذاب الاخرة فاختارا عذاب الدنيا اذ علما انه ينقطع فهما ببابل
يعذبان قيل انهما معلقان بشعورهما الى قيام الساعة وقيل انهما منكوسان يضربان
بسياط الحديد وقيل ان رجلا قصدهما ليتعلم السحر فوجدهما معلقين بارجلهما مزرقة
عيونهما مسودة جلودهما ليس بين السنتهما وبين الما الا قدر اصابع وهما يعذبان
بالعطش فلما راى ذلك هاله فقال لا اله الا الله فلما سمعا كلامه قالا لا اله الا الله من انت
قال رجل من الناس فقالا من اي امة انت قال من امة محمد صلى الله عليه وسلم قالا وقد

بعث محمد صلى الله عليه وسلم قال نعم فقالا الحمد لله واظهرا الاستبشار فقال الرجل نعم بعثنا كما
كما قالا انه نبي الساعة وقد دنا انقضا عذابنا **فصل** في القول بعصمة الملايكة اجمع المسلمون
على ان الملايكة معصومون موصوفون فضلا واتفق ايمة المسلمين على ان حكم الرسل من
الملايكة حكم النبيين سوا في العصمة في باب البلاغ عن الله عز وجل وفي كل شي ثبتت فيه
عصمة الانبيا فكذلك الملايكة وانهم مع الانبيا في التبليغ انهم كالانبيا مع اممهم واختلفوا
في غير المرسلين من الملايكة فذهب طايفة من المحققين وجميع المعتزلة الى عصمة جميع
الملايكة عن جميع الذنوب والمعاصي واحتجوا على ذلك بوجوه سمعية وعقلية وذهب
طايفة الى ان غير المرسلين من الملايكة غير معصومين واحتجوا على ذلك بوجوه
سمعية وعقلية منها قصة هاروت وماروت عن علي وما نقله عن اهل الاخبار والسير
ونقله ابن جرير الطبري في تفسيره عن جماعة من الصحابة والتابعين فنقل قصة هاروت
وماروت بالفاظ متقاربة عن علي بن ابي طالب وابن مسعود وكعب الاحبار والسدي
والربيع ومجاهد واجاب من ذهب الى عصمة جميع الملايكة عن قصة هاروت وماروت
بان ما نقله المفسرون واهل الاخبار في ذلك لم يصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في
ذلك شي وهذه الاخبار انما اخذت من اليهود وقد علم افتراوهم على الانبيا والملايكة
وقد ذكر الله عز وجل في هذه الايات افترا اليهود على سليمان اولا ثم عطف على ذلك
قصة هاروت وماروت ثانيا قالوا ومعنى الاية وما كفر سليمان يعني بالسحر الذي
افتعله عليه الشياطين واتبعهم في ذلك عليه اليهود فاخبر عن افترايهم وكذبهم
وذكروا ايضا الجواب عن هذه القصة وانها باطلة من وجوه الاول ان في القصة
ان الله تعالى قال للملايكة لو ابتليتم بما ابتليت به بني ادم لعصيتموني قالوا سبحانك
ما كان ينبغي لنا ان نعصيك وفيه رد على الله تعالى وذلك كفر وقد ثبت انهم
كانوا معصومين قبل ذلك فلا يقع هذا منهم الوجه الثاني انهما خيرا بين عذاب
الدنيا وعذاب الاخرة وذلك فاسد لان الله تعالى لا يخير من اشرك وان كان قد
صحت توبتهما فلا عقوبة عليهما الوجه الثالث ان المراة لما بخرت كيف يعقل انها
صعدت الى السما وصارت كوكبا وعظم الله قدرها بحيث اقسم بها في قوله فلا اقسم
بالخنس الجوار الكنس فبان بهذه الوجوه زلة هذه القصة والله اعلم بصحة ذلك
وسقمه فالاولى تنزيه الملايكة عن كل ما لا يليق بمنصبهم وقوله تعالى وما يعلمان
من احد حتى يقولا يعني احدا حتى ينصحاه اولا ويقولا انما نحن فتنة اي ابتلاء
ومحنة فلا تكفر اي لا تتعلم السحر فتعمل به فتكفر وقيل يقولان انما نحن فتنة فلا
تكفر سبع مرات فان ابى قبول نصحهما وصمم على التعليم يقولان له ايت
هذا الرماد فبل عليه فاذا فعل ذلك خرج منه نور ساطع في السما فذلك الايمان
والمعرفة وينزل شي اسود شبه الدخان حتى يدخل مسامعه وذلك غضب الله تعالى

فيتعلمون

فيتعلمون منهما يعني من الملكين ما يفرقون به بين المرء وزوجه اي علم السحر الذي يكون
سببا في التفريق بين الزوجين كالتمويه والتخييل والنفث في العقد ونحو ذلك
مما يحدث الله تعالى عنده البغضا والنشوز والخلاف بين الزوجين ابتلا من
الله تعالى لان السحر له تاثير في نفسه بدليل قوله عز وجل وما هم يعني السحرة بضارين
به اي بالسحر من احد اي احدا الا باذن الله اي بعلمه وقضايه وتكوينه فالساحر
يسحر والله تعالى يقدر ويكون ذلك بقضا الله تعالى وقدرته ومشيته ويتعلمون
ما يضرهم ولا ينفعهم يعني السحر لانهم يقصدون به الشر ولقد علموا يعني اليهود
لمن اشتراه اي اختار السحر ما له في الاخرة من خلاق يعني ما له نصيب في الجنة
ولبيس ما شروا به انفسهم اي باعوا حظ انفسهم حيث اختاروا السحر
والكفر على الدين والحق لو كانوا يعلمون فان قلت كيف اثبت الله لهم
العلم اولا في قوله ولقد علموا على التوكيد القسمي ثم نفاه عنهم اخرا في قوله
لو كانوا يعلمون قلت قد علموا ان من اشترى السحر ما له في الاخرة من خلاق
ثم مع هذا العلم خالفوا واشتغلوا بالسحر وتركوا العمل بكتاب الله وما جات به
الرسل عنادا منهم وبغيا وذلك على معرفة منهم بما لمن فعل ذلك منهم من العقاب
فجعلهم حين لم يعملوا بعلمهم كانوا منسلخين منه ولو انهم يعني اليهود امنوا بمحمد
صلى الله عليه وسلم والقران واتقوا يعني اليهودية والسحر وما يوبثهم لمثوبة
من عند الله اي لكان ثواب الله اياهم خيرا لهم يعني هذا الثواب لو كانوا يعلمون
يعني ذلك قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا لا تقولوا راعنا سبب نزول هذه الاية
ان المسلمين كانوا يقولون راعنا يا رسول الله من المراعاة اي راعنا سمعك اي فرغه
لكلامنا وكانت هذه اللفظة سبا قبيحا بلغة اليهود معناها عندهم اسمع لا
سمعت وقيل من الرعونة اذا ارادوا ان يحمقوا انسانا قالوا راعنا يعني احمق
فلما سمعت اليهود هذه الكلمة من المسلمين قالوا فيما بينهم كنا نسب محمدا
سرا فاعلنوا به الان فكانوا ياتونه ويقولون راعنا يا محمد ويضحكون فيما
بينهم فسمعها سعد بن معاذ رضي الله عنه ففطن لها وكان يعرف لغتهم فقال
لليهود لين سمعتها من احد منكم يقولها لرسول الله صلى الله عليه وسلم لاضربن
عنقه فقالوا اولستم تقولونها فانزل الله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تقولوا راعنا
اي لكي لا يجد اليهود بذلك سبيلا الى شتم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقولوا
انظرنا اي انظر الينا وقيل معناه انتظرنا وتان بنا واسمعوا اي ما تومرون
به واطيعوا نهى الله تعالى عباده المومنين ان يقولوا لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم
راعنا لئلا يتطرق احد الى شتمه وامرهم بتوقيره وتعظيمه وان يتخيروا لخطابه
صلى الله عليه وسلم من الالفاظ احسنها ومن المعاني ارقها وان سالوه يسالوه

بتجيل وتعظيم ولين وللخاطبوه بما يسر اليهود وللكافرين يعني اليهود عذاب اليم ما يود اي ما يحب الذين كفروا من اهل الكتاب يعني اليهود ولا المشركين يعني عبدة الاوثان لان الكفر اسم جنس تحته نوعان اهل الكتاب وهم الذين بدلوا كتابهم وكذبوا الرسل وعبدة الاوثان وهم من عبد غير الله ان ينزل عليكم من خير من ربكم يعني ما انزل الله عز وجل على نبيه صلى الله عليه وسلم من الوحي والنبوة وانما كرهت اليهود واتباعهم من المشركين ذلك حسدا وبغيا منهم على المومنين وذلك ان المسلمين قالوا لحلفائهم من اليهود امنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم قالوا ما هذا الذي تدعوننا اليه بخير مما نحن فيه ولوددنا لو كان خيرا فانزل الله تعالى هذه الاية تكذيبا لهم والله يختص برحمته من يشا يعني انه تعالى يختص بنبوته ورسالته من يشا من عباده ويتفضل بالايمان والهداية على من احب من خلقه رحمة منه لهم والله ذو الفضل العظيم يعني ان كل خير ناله عباده في دينهم ودنياهم فانه منه ابتدا وتفضلا عليهم من غير استحقاق منهم لذلك بل له الفضل والمنة على خلقه قوله عز وجل ما ننسخ من اية او ننسها الاية وسبب نزولها ان المشركين قالوا ان محمدا يامر اصحابه بامر ثم ينهاهم عنه ويامرهم بخلافه ويقول اليوم قولا ويرجع عنه غدا ما يقول الا من تلقا نفسه كما اخبر الله تعالى عنهم بقوله واذا بدلنا اية مكان اية والله اعلم بما ينزل قالوا انما انت مفتر وانزل ما ننسخ من اية فبين بهذه الاية وجه الحكمة في النسخ وانه من عنده لا من عند محمد صلى الله عليه وسلم واصل النسخ في اللغة يكون بمعنى النقل والتحويل ومنه نسخ الكتاب وهو ان ينقل من كتاب الى كتاب اخر وذلك لا يقتضي ازالة الصورة الاولى بل يقتضي اثبات مثله في كتاب اخر فعلى هذا المعنى يكون القران كله منسوخا وذلك انه نسخ من اللوح المحفوظ ونزل جملة واحدة الى سما الدنيا وقد يكون النسخ بمعنى الرفع والازالة وهو ازالة شي بشي يعقبه كنسخ الشمس الظل والشيب الشباب فعلى هذا المعنى يكون بعض القران منسوخا وبعضه ناسخا وهو المراد من حكم هذه الاية وهو ازالة الحكم بحكم يعقبه

فصل في حكم النسخ في اصطلاح العلما عبارة عن رفع الحكم الشرعي بدليل شرعي متاخر عنه والنسخ عنه جائز عقلا واقع سمعا خلافا لليهود فان منهم من لم ينكره عقلا لكنه منعه سمعا وشذت طائفة قليلة من المسلمين فانكرت النسخ واحتج الجمهور من المسلمين على جواز النسخ ووقوعه بان الدلايل قد دلت على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ونبوته لا تصح الا مع القول بالنسخ وهو نسخ شرع من قبله فوجب القطع بالنسخ ولنا على اليهود الزامات منها ان الله تعالى حرم عليهم العمل في السبت ولم يحرمه على من كان قبلهم ومنها انه جا في التوراة ان الله تعالى قال لنوح عليه الصلاة والسلام عند خروجه من الفلك اني جعلت كل دابة ماكولا لك ولذريتك

واطلقت

واطلقت ذلك لكم ثم انه حرم على موسى عليه الصلاة والسلام كثيرا من الحيوانات ومنها ان ادم عليه الصلاة والسلام كان يزوج الاخت للاخ وقد حرمه على من بعده وعلى موسى عليه الصلوة والسلام فثبت بهذا جواز النسخ وقد اختلفوا فيه على وجوه احدها ان القران ينسخ جميع الشرايع والكتب القديمة كالتوراة والانجيل وغيرها الوجه الثاني المراد من النسخ هو نسخ القران ونقله من اللوح المحفوظ الى سما الدنيا الوجه الثالث وهو الصحيح الذي يدل عليه جمهور العلما ان المراد من النسخ هو رفع بعض الايات بدليل اخر ياتي بعده وهو المراد بقوله تعالى ما ننسخ من اية او ننسها نات بخير منها او مثلها لان الاية اذا اطلقت فالمراد بها ايات القران لانه هو المعهود عندنا مسئلة قال الشافعي رضي الله عنه الكتاب لا ينسخ بالسنة المتواترة واستدل بهذه الاية وهو انه تعالى قال ما ننسخ من اية او ننسها نات بخير منها او مثلها وذلك يفيد انه هو الاتي والاتي به هو من جنس القران وما كان من جنس القران فهو قران وقوله نات بخير منها او مثلها يفيد انه هو المنفرد بالاتيان بذلك الخير وهو القران الذي هو كلام الله دون السنة ولان السنة لا تكون خيرا من القران ولا مثله واحتج الجمهور على جواز نسخ الكتاب بالسنة بان اية الوصية للاقربين منسوخة بقوله صلى الله عليه وسلم لا وصية لوارث اجاب الشافعي بان هذا ضعيف لان كون الميراث حقا للوارث يمنع من صرفه الى الوصية فثبت ان اية الميراث مانعة من الوصية وتقرير هذا وبسطه معروف في اصول الفقه ثم النسخ في القران على وجوه احدها ما رفع حكمه وتلاوته كما روي عن ابي امامة بن سهل ان قوما من اصحابه قاموا ليلة ليقراوا سورة فلم يذكروا منها الا بسم الله الرحمن الرحيم فغدوا الى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبروه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك السورة رفعت بتلاوتها وحكمها اخرجه البغوي بغير سند وقيل ان سورة الاحزاب كانت مثل سورة البقرة فرفع بعضها تلاوة وحكما الوجه الثاني ما رفع تلاوته وبقي حكمه مثل اية الرجم وروي عن ابن عباس قال قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو جالس على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله بعث محمدا بالحق وانزل عليه الكتاب وكان فيما انزل عليه اية الرجم فقراناها ووعيناها وعقلناها ورجم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجمنا بعده فاخشى ان طال بالناس زمان يقول قائل ما نجد الرجم في كتاب الله فيضلوا بترك فريضة انزلها الله وان الرجم في كتاب الله حق على من زنا اذا احصن من الرجال والنسا اذا قامت البينة او كان الحمل او الاعتراف اخرجه مسلم وللبخاري نحوه الوجه الثالث ما رفع حكمه وثبت خطه وتلاوته وهو كثير في القران مثل اية الوصية للاقربين نسخت باية الميراث عند الشافعي وبالسنة عند غيره واية عدة الوفاة بالحول باية اربعة اشهر وعشرا واية القتال وهو قوله ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مايتين الاية نسخت

يقوله الان خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا الاية ومثل هذا كثير في القران واما معنى الاية فقوله ما ننسخ من اية اي نرفعها او نرفع حكمها او ننساها قرئ بضم النون وكسر السين ومعناه ننسيكها على قلبك وقال ابن عباس نتركها لا ننسخها وقيل معناه نامر بتركها فعلى هذا يكون النسخ الاول رفع الحكم واقامة غيره مقامه والانساخ من غير اقامة غيره مقامه وقرئ ننساها بفتح النون والسين وبالهمزة ومعناها نؤخرها فلا ننزلها او نرفع تلاوتها ونؤخر حكمها كاية الرجم فعلى هذا يكون النسخ الاول بمعنى رفع التلاوة والحكم وقال سعيد بن المسيب وعطا ما ننسخ من اية فهو ما نزل من القران جعلاه من نسخت الكتاب اذا نقلته الى كتاب اخر وننساها اي نؤخرها ونتركها في اللوح المحفوظ فلا ننزلها نات بخير منها اي بما هو انفع لكم واسهل عليكم واكثر لاجوركم وليس معناه ان اية خير من اية لان كلام الله تعالى كله واحد او مثلها اي في المنفعة والثواب فما نسخ الى الايسر كان اسهل في العمل الذي كان على المومنين من فرض قيام الليل ثم نسخ ذلك فكان خيرا لهم في عاجلهم بسقوط التعب والمشقة عليهم وما نسخ الى الاشق كان اجمل في الثواب الذي كان عليهم من صيام ايام معدودات في السنة فنسخ ذلك وفرض صيام شهر رمضان فكان صوم شهر كامل في كل سنة اثقل على الابدان واشق من صيام ايام معدودات فكان ثوابه اكمل واكثر واما المثل فكنسخ التوجه الى بيت المقدس وصرفه الى المسجد الحرام واستوا الاجر في ذلك لان على المصلي التوجه الى حيث امره الله تعالى الم تعلم ان الله على كل شيء قدير اي على النسخ والتبديل والمعنى الم تعلم يا محمد اني قادر على تعويضك مما نسخت من احكام وغيرته من فرايضي التي كنت افترضتها عليك ما اشا مما هو خير لك ولعبادي المومنين وانفع لك ولهم عاجلا واجلا الم تعلم ان الله له ملك السموات والارض يعني ان الله تعالى هو المتصرف في السموات والارض وله سلطانهما دون غيره يحكم فيهما وفي ما فيهما بما يشا من امر ونهي ونسخ وتبديل وهذا الخبر وان كان خطابا للنبي صلى الله عليه وسلم لكن فيه تكذيب لليهود الذين انكروا النسخ وجحدوا نبوة عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام فاخبرهم الله ان له ملك السموات والارض وان الخلق كلهم عبيده وتحت تصرفه ويحكم فيهم بما يشا وعليهم السمع والطاعة وما لكم يعني يا معشر الكفار عند نزول العذاب من دون الله اي مما سوى الله من ولي اي من قريب وصديق وقيل من وال وهو القيم بالامور ولا نصير اي ناصر يمنعكم من العذاب وقيل في معنى الاية وليس لكم ايها المومنون بعد الله من قيم بامركم ولا نصير يؤيدكم ويقويكم على اعدائكم قوله عز وجل ام تريدون ان تسألوا رسولكم نزلت في اليهود وذلك انهم قالوا يا محمد ائتنا بكتاب من السما جملة كما اتى موسى بالتوراة وقيل انهم سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا لن نؤمن لك حتى تاتي بالله والملايكة قبيلا كما سأل

قوم موسى فقالوا ارنا الله جهرة فانزل الله تعالى هذه الاية والمعنى اتريدون ان تسألوا رسولكم يعني محمدا صلى الله عليه وسلم كما سئل موسى من قبل وذلك ان موسى ساله قومه فقالوا ارنا الله جهرة ففي الاية منعهم ونهيهم عن السوالات المقترحة بعد ظهور الدلالات والمعجزات وثبوت الحجج والبراهين على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ومن يتبدل اي يستبدل الكفر بالايمان فقد ضل سوا السبيل اي اخطا قصد الطريق وقيل ان قوله ومن يتبدل الكفر بالايمان خطاب للمومنين واعلمهم ان اليهود اهل غش وحسد وانهم يتمنون للمومنين المكاره فنهاهم الله تعالى ان يقبلوا من اليهود شيا ينصحونهم به في الظاهر واخبرهم ان من ارتد عن دينه فقد اخطا قصد السبيل قوله عز وجل ود كثير من اهل الكتاب نزلت هذه الاية في نفر من اليهود وذلك انهم قالوا لحذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر بعد وقعة احد لو كنتم على الحق ما هزمتم فارجعا الى ديننا فنحن اهدى سبيلا منكم فقال عمار بن ياسر كيف نقض العهد فيكم قالوا شديد فقال اني عاهدت ان لا اكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم ما عشت فقال اليهود اما هذا فقد صبا وقال حذيفة اما انا فقد رضيت بالله ربا وبمحمد رسولا وبالاسلام دينا وبالقران اماما وبالكعبة قبلة وبالمومنين اخوانا ثم اتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبراه بذلك فقال اصبتما الخير وافلحتما فانزل الله تعالى ود اي تمنى كثير من اهل الكتاب يعني اليهود لو يردونكم اي يا معشر المومنين من بعد ايمانكم كفارا اي ترجعوا الى ما كنتم عليه من الكفر حسدا اي يحسدونكم حسدا واصل الحسد تمني زوال النعمة عمن يستحقها وربما يكون مع ذلك سعي في ازالتها والحسد مذموم بما روي عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اياكم والحسد فان الحسد ياكل الحسنات كما تاكل النار الحطب او قال العشب اخرجه ابو داود فاذا انعم الله على عبده نعمة فتمنى اخر زوالها فهذا هو الحسد وهو حرام فان استعان بتلك النعمة على الكفر والمعاصي فتمنى اخر زوالها عنه فليس بحسد ولا يحرم ذلك لانه لم يحسده على تلك النعمة من حيث انها نعمة بل من حيث انه يتوصل بتلك النعمة الى الشر والفساد فكذلك قوله من عند انفسهم اي من تلقا انفسهم لم يامرهم الله بذلك من بعد ما تبين لهم الحق يعني في التوراة ان قول محمد صلى الله عليه وسلم ودينه حق لا يشكون فيه فكفروا به حسدا وبغيا فاعفوا واصفحوا اي فتجاوزوا عما كان منهم من اساءة وحسد وكان هذا الامر بالعفو والصفح قبل ان يامر بالقتال حتى ياتي الله بامره اي بعذابه وهو القتل والسبي لبني قريظة والاجلا والنفي لبني النضير قال ابن عباس هو امر الله تعالى لهم في قوله قاتلوا الذين لا يومنون بالله ولا باليوم الاخر الاية ان الله على كل شيء قدير فيه وعيد وتهديد لهم واقيموا الصلاة واتوا الزكاة لما امر الله المومنين بالعفو والصفح عن اليهود امرهم بما فيه صلاح انفسهم من اقام الصلاة وايتا الزكاة الواجبتين ونبه بذلك على ساير الواجبات ثم قال تعالى وما تقدموا لانفسكم من خير اي من طاعة وعمل صالح وقيل اراد بالخير المال يعني صدقة التطوع لان الزكاة تقدم ذكرها تجدوه عند الله يعني ثوابه واجره حتى التمرة واللقمة مثل احد ان الله بما تعملون بصير اي لا يخفى عليه شيء

من قليل الاعمال وكثيرها ففيه ترغيب في الطاعة واعمال البر وزجر عن المعاصي قوله عز وجل
وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا يعني يهوديا وقيل هو جمع هائد او نصارى
وذلك ان اليهود قالوا لن يدخل الجنة الا من كان يهوديا ولا دين الا دين اليهودية
وقالت النصارى لن يدخل الجنة الا من كان نصرانيا ولا دين الا دين النصرانية وقيل
نزلت في وفد نجران وكانوا نصارى اجتمعوا مع اليهود في مجلس رسول الله صلى
الله عليه وسلم فكذب بعضهم بعضا في دعوله قال الله تعالى تلك امانيهم اي شهواتهم
الباطلة التي تمنوها على الله بغير حق قل يعني يا محمد هاتوا برهانكم اي حجتكم على دعواكم
ان الجنة لا يدخلها الا من كان هودا او نصارى دون غيرهم ان كنتم صادقين يعني
فيما تدعون ثم قال تعالى ردا عليهم بلى اي ليس الامر كما تزعمون ذلكن من اسلم وجهه
لله وهو محسن فانه الذي يدخل الجنة وينعم فيها ومعنى اسلم وجهه لله اخلص دينه
لله وقيل اخلص عبادته لله وقيل خضع لله لان اصل الاسلام وهو الخضوع وانما خص
الوجه بالذكر لانه اشرف الاعضاء واذا جاد الانسان بوضع وجهه على الارض
بالسجود فقد جاد بجميع اعضائه قال عمر بن نفيل واسلمت وجهي لمن اسلمت له المزن
تحمل عذبا زلالا يعني بذلك استسلمت لطاعة من استسلم لطاعته الارض والمزن
وهو محسن فله اجره عند ربه اي ثواب عمله ولا خوف عليهم اي في الاخرة ولا هم
يحزنون اي على ما فاتهم من الدنيا قوله عز وجل وقالت اليهود ليست النصارى
على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء نزلت في يهود المدينة ونصارى نجران
وذلك ان وفد نجران لما قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم اتاهم احبار اليهود و
تناظروا حتى ارتفعت اصواتهم فقالت اليهود للنصارى ما انتم على شيء من الدين
وكفروا بعيسى والانجيل وقالت النصارى لليهود ما انتم على شيء وكفروا بموسى و
التوراة فانزل الله تعالى وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى
ليست اليهود على شيء وهم يتلون الكتاب يعني كلا الفريقين يقرؤون الكتاب
وليس في كتابهم هذا الاختلاف فدل تلاوتهم الكتاب ومخالفتهم لما فيه على
كفرهم وكونهم على الباطل وقيل ان الانجيل الذي تدين بصحته النصارى تحقق
ما في التوراة من نبوة موسى وما فرض الله فيها على بني اسرائيل من الفرائض وان
التوراة التي تدين بصحتها اليهود تحقق نبوة عيسى وما جاء به من عند ربه من
احكام كلا الفريقين قالوا ما اخبر الله عنهم بقوله وقالت اليهود ليست النصارى
على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء مع علم كل واحد من الفريقين
ببطلان ما قاله كذلك قال الذين لا يعلمون يعني مشركي العرب قالوا في نبيهم
محمد صلى الله عليه وسلم واصحابه ليسوا على شيء مثل قولهم يعني مثل قول اليهود للنصارى
والنصارى لليهود وقيل امم كانت قبل اليهود والنصارى مثل قوم نوح وهود

وصالح ولوط وشعيب قالوا في نبيهم ليسوا على شيء فالله يحكم اي يقضي بينهم يوم القيامة
يعني بين المحق والمبطل فيما كانوا فيه يختلفون يعني من امر الدين قوله عز وجل ومن اظلم
ممن منع مساجد الله ان يذكر فيها اسمه نزلت في خراب بيت المقدس وذلك ان ططوس
الرومي غزا بني اسرائيل فقتل مقاتلتهم وسبى ذراريهم وحرق التوراة وخرب بيت المقدس
فلم يزل خرابا حتى بناه المسلمون في زمن عمر بن الخطاب فانزل الله تعالى ومن اظلم اي ومن اكفر
واعتى ممن منع مساجد الله يعني بيت المقدس ومحاريبه ان يذكر فيها اسمه اي يعبد
ويصلى له فيها وسعى في خرابها وقيل ان بخت نصر المجوسي من اهل بابل هو الذي غزا
بني اسرائيل وخرب بيت المقدس واعانه على ذلك النصارى من اجل ان اليهود قتلوا
يحيى بن زكريا اولئك ما كان لهم ان يدخلوها الا خائفين وذلك ان بيت المقدس
موضع حج النصارى ومزار لهم قال ابن عباس لم يدخلها بعد عمارتها رومي او نصراني
الا خائفا ان علم به قتل اخيفوا بالجزية والقتل فالجزية على الذمي والقتل على الحربي
وقيل خوفهم هو فتح مدائنهم الثلاث قسطنطينية ورومية وعمورية لهم في الدنيا خزي
يعني الصغار والذل والقتل والسبي ولهم في الاخرة عذاب عظيم يعني النار وقيل ان الاية
نزلت في مشركي مكة وارادوا بالمساجد المسجد الحرام وذلك انهم منعوا رسول الله صلى الله
عليه وسلم واصحابه ان يصلوا فيه في ابتداء الاسلام ومنعوهم من حجه والصلاة فيه عام
الحديبية واذا منعوا من يعمره بذكر الله تعالى والصلاة فيه فقد سعوا في خرابه اولئك
ما كان لهم ان يدخلوها الا خائفين يعني مشركي مكة يقول الله تعالى افتحها عليكم ايها
المسلمون حتى تدخلوها وتكونوا اولى بها منهم ففتحها عليهم وامر النبي صلى الله عليه وسلم
ان ينادى في الموسم لما نزلت سورة براءة الا لا يحج البيت بعد هذا العام مشرك فكان
هذا خوفهم وثبت في الشرع ان لا يمكن مشرك من دخول الحرم فان قلت كيف قيل
مساجد الله وانما وقع المنع والتخريب على مسجد واحد وهو اما بيت المقدس او المسجد
الحرام قلت يجوز ان يجيء الحكم عاما وان كان السبب خاصا كما تقول لمن اذى صالحا
واحدا ومن اظلم ممن اذى الصالحين فان قلت اي القولين ارجح قلت رجح الطبري
القول الاول وقال ان النصارى هم الذين سعوا في خراب بيت المقدس بدليل
ان مشركي مكة لم يسعوا في خراب المسجد الحرام وان كانوا قد منعوا رسول الله صلى الله
عليه وسلم في بعض الاوقات من الصلوات فيه وايضا فان الاية التي قبل هذه وبعدها في
ذم اهل الكتاب ولم يجر لمشركي مكة ذكر ولا للمسجد الحرام فتعين ان يكون المراد بهذه بيت
المقدس ورجح غيره القول الثاني بدليل ان النصارى يعظمون بيت المقدس اكثر من
اليهود فكيف يسعون في خرابه وهو موضع حجهم وذكر ابن العربي في احكام القران قولا
ثالثا وهو انه كل مسجد قال وهو الصحيح لان اللفظ عام ورد بصيغة الجمع فتخصيصه ببعض
المساجد او بعض الازمنة محال قوله عز وجل ولله المشرق والمغرب فاينما تولوا فثم

وجه الله سبب نزول هذه الاية قال ابن عباس خرج نفر من اصحاب رسول الله صلى
عليه وسلم في سفر قبل تحويل القبلة الى الكعبة فاصابهم الضباب وحضرة الصلاة
فتحروا القبلة وصلوا فلما ذهب الضباب استبان انهم لم يصيبوا فلما قدموا
سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فنزلت هذه الاية وعن عامر بن ربيعة
عن ابيه قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر في ليلة مظلمة فلم ندر اين القبلة
فصلى كل رجل منا على حياله فلما اصبحنا ذكرنا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم
فنزلت فاينما تولوا فثم وجه الله اخرجه الترمذي وقال حديث غريب وقال ابن عمر
نزلت في المسافر يصلي التطوع حيث ما توجهت به راحلته وعن ابن عمر قال ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم كان يسبح على ظهر دابته حيث كان وجهه يومي وكان ابن عمر
يفعله وفي رواية لمسلم كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي على دابته وهو مقبل من مكة
الى المدينة حيث ما توجهت وفيه نزلت فاينما تولوا فثم وجه الله الاية وقيل نزلت
في تحويل القبلة الى الكعبة وذلك ان اليهود عيرت المومنين وقالوا ليست
لهم قبلة معلومة فتارة يستقبلون هكذا وتارة يستقبلون هكذا فانزل الله هذه
الاية وقيل انها نزلت في تخيير النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه ليصلوا حيث كيف
شاوا من النواحي ثم انها نسخت بقوله تعالى فول وجهك شطر المسجد الحرام ومعنى
الاية ان المشرق والمغرب وما بينهما خلقا وملكا وانما خص المشرق والمغرب
اكتفاء عن جميع الجهات لان له كلها وما بينها خلقه وعبيده وان على جميعهم طاعته
فيما امرهم ونهاهم عنه فما امرهم باستقباله فهو القبلة فان القبلة ليست قبلة
لذاتها بل لان الله تعالى جعلها قبلة وامرنا بالتوجه اليها وقيل معناه فثم الله تعالى
بعلمه وقدرته والوجه صفة ثابتة لله تعالى من حيث الصورة وقيل فثم رضى الله
اي يريدون بالتوجه اليه رضاه ان الله واسع من السعة وهو الغنا اي يسع
خلقه كلهم بالكفاية والجود والافضال والتدبير وقيل هو واسع المغفرة عليم اي
باعمالكم ونياتكم حيث ما تصلوا وتدعوا لا يغيب عنه منها شي مسئلة تتعلق
بحكم الاية وهي ان المسافر اذا كان في مفازة او بلاد الشرك واشتبهت عليه
القبلة فانه يجتهد في طلبها بنوع من الدلائل ويصلي الى الجهة التي ادى اليها اجتهاده ثم
ولا اعادة عليه وان لم يصادف القبلة فان جهة الاجتهاد قبلته وكذا الغريق
في البحر اذا بقي على اللوح فانه يصلي على حسب حاله وتصح صلاته وكذا المشدود
على جذع بحيث لا يمكنه الاستقبال قوله عز وجل وقالوا اتخذ الله ولدا نزلت في
يهود المدينة حيث قالوا عزير ابن الله وفي نصارى نجران حيث قالوا المسيح ابن
الله وفي مشركي العرب حيث قالوا المسيح ابن الله وفي مشركي العرب حيث قالوا
الملائكة بنات الله سبحانه اي تنزيها فنزه الله تعالى نفسه من اتخاذ الولد وعن قولهم

وافتريهم

وافترايهم عليه خ عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال قال الله عز وجل
كذبني ابن ادم ولم يكن له ذلك وشتمني ولم يكن له ذلك فاما تكذيبه اياي
فزعم اني لا اقدر اعيده كما كان واما شتمه اياي فقوله لي ولد فسبحاني ان اتخذ
صاحبة او ولدا بل له ما في السموات والارض يعني عبيدا وملكا فكيف ينسب اليه الولد
وهو داخل فيهما وقيل ان الولد لا بد ان يكون من جنس الوالد والله تعالى منزه عن
الشبيه والنظير وقيل ان الولد انما يتخذ للحاجة اليه والانتفاع به عند عجز الوالد
وكبره والله تعالى منزه عن ذلك فاضافة الولد اليه محال كل له قانتون يعني اهل
السموات والارض يطيعون لله ومقرون له بالعبودية واصل القنوت لزوم الطاعة
مع الخضوع وقيل اصله القيام ومنه قوله صلى الله عليه وسلم افضل الصلاة طول القنوت
فعلى هذا يكون معنى الاية كل له قانتون بالشهادة ومقرون له بالوحدانية وقيل قانتون
اي مذللون مسخرون لما خلقوا له واختلف العلماء في حكم الاية فقال بعضهم هو
خاص ثم سلكوا في تخصيصه طريقين احدهما قالوا هو راجع الى عزير والمسيح والملائكة
الثاني قال ابن عباس رضي الله عنهما هو راجع الى اهل طاعته دون ساير الكفار
وذهب جماعة الى ان حكم الاية عام لان لفظة كل تقتضي الشمول والاحاطة
ثم سلكوا في الكفار طريقين احدهما ان ظلالهم تسجد لله وتطيعه والثاني ان هذه الطاعة
تكون في يوم القيامة ومن ذهب بتخصيص حكم الاية اجاب عن لفظة كل بانها لا تقتضي
الشمول والاحاطة بدليل قوله تعالى واوتيت من كل شي ولم تؤت ملك سليمان
فدل على ان لفظة كل لا تقتضي ذلك قوله عز وجل بديع السموات والارض اي
خالقها ومنشئها على غير مثال سبق وقيل ان البديع الذي يبدع الاشياء اي يحدثها مما لم
تكن واذا قضى امرا اي قدره واراد خلقه وقيل اذا احكم امرا وحتمه واتقنه واصل
القضا الحكم والفراغ والقضا في اللغة على وجوه كلها ترجع الى انقضا الشي وتمامه
والفراغ منه فانما يقول له كن فيكون اي اذا احكم امرا وحتمه فانما يقول له كن
فيكون ذلك الامر على ما اراد الله تعالى وجوده فان قلت المعدوم لا يخاطب فكيف
قال فانما يقول له كن فيكون قلت ان الله عالم بكل ما هو كاين قبل تكوينه
واذا كان كذلك كانت الاشيا التي لم تكن كانها كاينة لعلمه بها فجاز ان يقول
لها كوني ويامرها بالخروج من حال العدم الى حال الوجود وقيل اللام في قوله
له لام اجل فيكون المعنى واذا قضى امرا فانما يقول لاجل تكوينه وارادته كن فيكون
فعلى هذا يذهب معنى الخطاب قوله عز وجل وقال الذين لا يعلمون قال ابن عباس
هم اليهود الذين كانوا في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل هم النصارى
وقيل هم مشركو العرب لولا يكلمنا الله اي عيانا بانك رسوله او تاتينا اية
اي دلالة وعلامة على صدقك كذلك قال الذين من قبلهم اي كفار الامم

لهم آية مثل قولهم وذلك ان اليهود سألوا موسى ان يريهم الله جهرة وان يسمعهم كلام الله و
سألوا من الآيات ما ليس لهم مسئلة فاخبر الله عن الذين كانوا في زمن رسول الله صلى الله عليه
وسلم انهم قالوا مثل ما قال من كان قبلهم تشابهت قلوبهم يعني ان المكذبين للرسل تشابهت
اقوالهم وافعالهم وقيل تشابهت في الكفر والفسوق والتكذيب وطلب المحال قد بينا الآيات
اى الدلالات على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لقوم يوقنون يعني الآيات القران وما جاء به
محمد صلى الله عليه وسلم من المعجزات الباهرات كافية لمن كان طالبا باليقين وانما خص اهل الايقان
بالذكر لانهم اهل التثبت في الامور ومعرفة الاشياء على اليقين قوله عز وجل انا ارسلناك بالحق
اى بالصدق وقال ابن عباس للقران وقيل بالاسلام وقيل معناه انا لم نرسلك عبثا بل انا
ارسلناك بالحق بشيرا اى مبشرا لاوليائي واهل طاعتي بالثواب العظيم ونذيرا اى منذرا
ومخوفا لاعدائي واهل معصيتي بالعذاب الاليم ولا تسأل قرئ بفتح التاء على النهي قال ابن عباس
وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ذات يوم ليت شعري ما فعل ابواي فنزلت هذه الآية
والمعنى انا ارسلناك لتبليغ ما ارسلت به لا تسأل عن اصحاب الجحيم وقرئ ولا تسأل بضم التاء
ورفع اللام على الخبر وقيل على النفي والمعنى انا ارسلناك بالحق لتبليغ ما ارسلت به فانما عليك البلاغ
ولست تسأل لا عن كفر عن اصحاب الجحيم اى عن اهل النار سميت النار جحيما لشدة تأججها
وقيل الجحيم معظم النار قوله عز وجل ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم
وذلك انهم كانوا يسألون النبي صلى الله عليه وسلم الهدنة ويطمعونه انه ان امهلهم تبعوه
فانزل الله هذه الآية والمعنى انك ان هادنتهم فلا يرضون بها وانما يطلبون ذلك تعللا
ولا يرضون منك الا باتباع ملتهم وقال ابن عباس هذا في امر القبلة وذلك ان يهود المدينة
ونصارى نجران كانوا يرجون النبي صلى الله عليه وسلم حين كان يصلي الى بيت المقدس فلما
صرف الله القبلة الى الكعبة ايسوا منه ان يوافقهم على دينهم فانزل الله تعالى ولن ترضى
عنك اليهود يعني الا باليهودية ولا النصارى يعني الا بالنصرانية وهذا شيء لا يتصور
اذ لا يجتمع في رجل واحد شيئان في وقت واحد وهو قوله حتى تتبع ملتهم يعني دينهم
وطريقتهم قل اى يا محمد ان هدى الله يعني دين الله الذي هو الاسلام هو الهدى اى الصحيح
الذي يسمى هدى ولئن اتبعت يا محمد اهواءهم يعني اهواء اليهود والنصارى فيما يرضيهم
عنك وقيل اهواءهم اقوالهم التي هي اهواء وبدع بعد الذي جاءك من العلم اى البيان
بان دين الله هو الاسلام وان القبلة هي قبلة ابرهيم عليه الصلاة والسلام وهي الكعبة
ما لك من الله من ولي يعني يلي امرك ويقوم به ولا نصير اى ينصرك ويمنعك من
عقابه وقيل في قوله ولئن اتبعت اهواءهم انه خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد
به امته والمعنى اياكم اخاطب ولكم اؤدب وانهى فقد علمتم ان محمدا صلى الله عليه
وسلم جاءكم بالحق والصدق وقد عصمته فلا تتبعوا انتم اهواء الكافرين ولئن
اتبعتم اهواءهم بعد الذي جاءكم من العلم والبينات ما لكم من الله من ولي ولا نصير

قوله عز

قوله عز وجل الذين آتيناهم الكتاب قال ابن عباس نزلت في اهل السفينة الذين
قدموا مع جعفر بن ابي طالب وكانوا اربعين رجلا اثنان وثلاثون رجلا من الحبشة
وثمانية من رهبان الشام منهم بحيرا الراهب وقيل هم مؤمنوا اهل الكتاب مثل
عبد الله بن سلام واصحابه وقيل هم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
خاصة وقيل هم المؤمنون عامة يتلونه حق تلاوته اى يقرءونه كما انزل لا يغيرو
ولا يحرفونه ولا يبدلونه ما فيه من نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل
معناه ويتبعونه حق اتباعه فيحلون حلاله ويحرمون حرامه ويعملون بمحكمه
ويؤمنون بمتشابهه ويقفون عنده ويكلون علمه الى الله تعالى وقيل معناه
يتدبرونه حق تدبره ويتفكرون في معانيه وحقائقه واسراره اولئك يعني
الذين يتلونه حق تلاوته يؤمنون به اى يصدقون به فان قلت ان الآية
في اهل الكتاب فيكون المعنى ان المؤمن بالتوراة الذي يتلوها حق تلاوتها
هو المؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم لان التوراة نعته وصفته وان قلنا ان الآية
نزلت في المؤمنين عامة فظاهر ومن يكفر به اى يجحد بما فيه من فرائض الله ونبوة
محمد صلى الله عليه وسلم فاولئك هم الخاسرون اى خسروا انفسهم حيث استبدلوا
الكفر بالايمان قوله عز وجل يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم اى ايادي
لديكم وصنعي بكم واستنقاذي اياكم من ايدي عدوكم في نعم كثيرة انعمت بها
عليكم واني فضلتكم على العالمين اى واذكروا تفضيلي اياكم على عالمي زمانكم وفي
هذه الآية عظة لليهود الذين كانوا في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم
وكررها في اول السورة وههنا للتوكيد وتذكير النعم واتقوا يوما لا تجزي نفس عن
نفس شيئا في هذه الآية ترهيب لهم والمعنى يا معشر بني اسرائيل المبدلين كتابي
المحرفين له خافوا عذاب يوم لا تغني فيه نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها عدل
ولا تنفعها شفاعة اى ولا يقبل منها فدية ولا يشفع لها شافع وهذا من
العام الذي يراد به الخاص لقوله تعالى ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن
له ومعنى الآية ولا تنفعها شفاعة اذا وجب عليها العذاب ولم تستحق سواه
وقيل انه رد على اليهود في قولهم ان آباءنا يشفعون لنا ولا هم ينصرون اى ولا
ناصر لهم ينصرهم من دون الله اذا انتقم منهم قوله عز وجل واذ ابتلى ابراهيم ربه
بكلمات فاتمهن ابراهيم اسم عجمي ومعناه اب رحيم وهو ابراهيم بن تارخ وهو
آزر بن ناحور بن ساروغ بن ارغو بن فالغ بن عابر بن شالخ بن ارفخشذ
بن سام بن نوح عليه السلام وكان مولد ابراهيم بالسوس من ارض الاهواز
وقيل ببابل وقيل بكوثى وهي قرية من سواد الكوفة وقيل بحران ولكن اباه
نقله الى ارض بابل وهي ارض نمرود الجبار وابراهيم عليه السلام يعترف لفضله

جميع الطوايف فقد بما وحدنا فاما اليهود والنصارى فانهم مقرون بفضله ويتشرفون
بالنسبة اليه وانهم من اولاده واما العرب في الجاهلية فانهم ايضا يعترفون بفضله
ويتشرفون على غيرهم به لانهم من اولاده ومن ساكين حرمه وخدام بيته ولما جا
الاسلام زاده الله شرفا وفضلا فحكى الله تعالى عن ابرهيم امورا توجب على المشركين
والنصارى واليهود قبول قول محمد صلى الله عليه وسلم والاعتراف بدينه فان اول
لشرعه لان ما وجبه الله على ابرهيم عليه السلام وهو من خصايص دين محمد صلى الله
عليه وسلم وفي ذلك حجة على اليهود والنصارى ومشركي العرب في وجوب الانقياد
لدينه والايمان وتصديقه واصل الابتلا الامتحان والاختبار ليعرف حال
الانسان وسمي التكليف بلا لانه يشق على الابدان وقيل ليختبر به حال الانسان فاذا
قيل ابتلا فلان بكذا يتضمن امرين احدهما تعرف حاله والوقوف على ما يجهل من
امره والثاني ظهور جودته ورداته فابتلا الله تعالى العباد ليس ليعلم احوالهم و
الوقوف على ما يجهل منها لانه عالم بجميع المعلومات التي لا نهاية لها على سبيل التفصيل
من الازل الى الابد ولكن ليعلم العباد احوالهم من ظهور جودة ورداة وعلى هذا
ينزل قوله تعالى واذ ابتلى ابرهيم ربه بكلمات فاتمهن واختلفوا في ذلك الكلمات
التي ابتلى الله بها ابراهيم عليه السلام قال ابن عباس هي ثلاثون سهما هي شرايع الاسلام
لم يبتل بها احد فاقامها كلها الا ابرهيم فكتب له البراة فقال وابراهيم الذي وفى ومعنى
هذا الكلام انه لم يبتل احد قبل ابرهيم فاما بعده فقد ابتلا الانبيا بجميع ما امروا به من الدين
خصوصا نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فقد ابتلى بجميع ما امر به وهي عشرة مذكورة في سورة
براة في قوله تعالى التايبون العابدون الاية وعشرة في سورة الاحزاب في قوله ان المسلمين
والمسلمات الاية وعشرة في سورة المومنين في قوله قد افلح المومنون الذين هم في صلاتهم
خاشعون الايات وهي مذكورة ايضا في سورة سال سايل وعن ابن عباس ايضا قال
ابتلاه الله بعشرة اشيا من الفطرة خمس في الراس قص الشارب والمضمضة والاستنشاق
والسواك وفرق الراس وخمس في الجسد تقليم الاظافر ونتف الابط وحلق العانة
والختان والاستنجا بالما ق عن ابي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول الفطرة خمس وفي رواية خمس من الفطرة الختان والاستحداد وقص الشارب
وتقليم الاظافر ونتف الابط م عن عايشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
عشر من الفطرة قص الشارب واعفا اللحية والسواك والاستنشاق بالما وقص الاظفار
وغسل البراجم ونتف الابط وحلق العانة وانتقاص الما قال مصعب ونسيت العاشرة
الا ان تكون المضمضة قال وكيع انتقاص الما يعني الاستنجا قال العلما الفطرة السنة وقيل
الملة وقيل الطريقة وهذه الاشيا المذكورة في الحديث وانها من الفطرة قيل كانت
على ابرهيم عليه السلام وهي لنا سنة واتفقت العلما على انها من الملة واما معانيها

فقد قيل

فقد قيل قص الشارب واعفا اللحية فمخالفة للاعاجم فانهم كانوا يقصون لحاهم ويوفرون
شواربهم ويوفرونهما معا وذلك عكس الجمال والنظافة واما السواك والمضمضة و
الاستنشاق فلتنظيف الفم والانف من الطعام والقيح والوسخ واما قص الاظفار فللجمال
والزينة فانها اذا طالت قبح منظرها واحتوى الوسخ فيها واما غسل البراجم وهي العقد
التي في ظهور الاصابع فانه يجتمع فيها الوسخ في الشعر واما الاستنجا فلتنظيف ذلك المحل
عن الاذى واما الختان فلتنظيف العانة تجمع ما فيها من البول واختلف العلما في
وجوبه فذهب الشافعي الى ان الختان واجب لانه تنكشف له العورة ولا يباح ذلك
الا في الواجب وذهب غيره الى انه سنة واول من اختتن ابراهيم عليه السلام ولم يختتن
احد قبله ق عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اختتن
ابراهيم بالقدوم روي القدوم بالتخفيف والتشديد فمن خفف ذهب الى انه اسم للالة
التي يقطع بها ومن شدد قال انه اسم موضع عن يحيى بن سعيد بن المسيب يقول كان
ابراهيم خليل الرحمن واول الناس ضيف الضيف واول الناس قص شاربه واول
الناس راى المشيب قال رب ما هذا قال الرب تبارك وتعالى وقار يا ابرهيم قال
يا رب زدني وقارا اخرجه مالك في الموطا وقيل في الكلمات انها مناسك الحج وقيل ابتلاه
الله تعالى بسبعة اشيا بالكواكب والقمر والشمس فاحسن النظر فيهن وبالنار والهجرة
وذبح ولده والختان فصبر عليها وقيل ان الله اخبر ابراهيم بكلمات اوحاها اليه وامره
ان يعمل بهن فاتمهن اي اداهن حق التادية وقام بموجبهن حق القيام وعمل بهن من
غير تفريط وتوان ولم ينقص منهن شيا واختلفوا هل كان هذا الابتلا قبل النبوة او
بعدها فقيل كان قبل النبوة بدليل قوله في سياق الاية اني جاعلك للناس اماما
والسبب يتقدم على المسبب وقيل بل كان هذا الابتلا بعد النبوة لان التكليف لا يعلم الا
من جهة الوحي الالهي وذلك بعد النبوة والصواب انه ان فسر الابتلا بالكواكب
والقمر والشمس كان ذلك قبل النبوة وانه ان فسر بما وجب عليه من شرايع الدين
كان ذلك بعد النبوة وقوله تعالى قال اني جاعلك للناس اماما اي يقتدى بك
في الخير ويأتمون بك ويهتدون بهديك والامام هو الذي يوتم به قال ومن ذريتي اي قال
ابرهيم واجعل من ذريتي واولادي ايمة يقتدى بهم قال الله لا ينال اي لا يصيب
عهدي اي نبوتي وقيل الامامة الظالمين يعني من ذريتك والمعنى لا ينال ما عهدت
اليك من النبوة والامامة من كان ظالما من ذريتك وولدك قوله عز وجل واذ جعلنا
البيت يعني البيت الحرام وهو الكعبة ويدخل فيه الحرم فانه تعالى وصفه بكونه امنا
وهذا صفة جميع الحرم مثابة للناس اي مرجعا من ثاب يثوب اذا رجع والمعنى يثوبون
اليه من كل جانب يحجونه وامنا اي موضعا ذا امن يامنون فيه من اذى المشركين فانهم
كانوا لا يتعرضون لاهل مكة ويقولون هم اهل الله وقال ابن عباس معاذا وملجا

ح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة ان
هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات والارض فهي حرام بحرمة الله تعالى الى يوم
القيامة وانه لم يحل القتال فيه لاحد قبلي ولم يحل لي الا ساعة من نهار فهو حرام بحرمة
الله تعالى الى يوم القيامة لا يعضد شوكه ولا ينفر صيده ولا يلتقط لقطته الا من عرفها
ولا يختلى خلاه فقال العباس يا رسول الله الا الاذخر فانه لقينهم وبيوتهم فقال الا الاذخر
معنى الحديث انه لا يحل لاحد ان ينصب القتال والحرب في الحرم وانما حل ذلك لرسول
الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة فقط ولا يحل لاحد بعده قوله لا يعضد شوكه اي
لا يقطع شوك الحرم واراد به ما لا يوذي منه اما ما يوذي منه كالعوسج فلا باس بقطعه
باس بقطعه ولا ينفر صيده اي لا يتعرض له بالاصطياد ولا يهاج قوله ولا يلتقط لقطته
الا من عرفها اي ينشدها والنشيد رفع الصوت بالتعريف واللقطة في جميع الارض لا
يحل الا لمن يعرفها حولا فان جاء صاحبها اخذها والا انتفع بها الملتقط بشرط الضمان
وحكم مكة في اللقطة انه يعرفها على الدوام بخلاف غيرها من البلاد فانه محدود بسنة قوله
ولا يختلى خلاه الخلا مقصور على الرطب من النبات الذي يرعى وقيل هو اليابس من الحشيش
واختلاؤه قطعه وقوله لقينهم القين الحداد وقوله تعالى واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى
قيل الحرم كله مقام ابراهيم وقيل اراد بمقام ابراهيم جميع مشاهد الحج مثل عرفة والمزدلفة والرمي
وساير المشاهد والصحيح ان مقام ابراهيم هو الحجر الذي يصلي فيه الايمة وذلك الحجر هو الذي
قام ابراهيم عليه عند بناء البيت وقيل كان اثر اصابع رجلي ابراهيم عليه السلام فيه فاندرست
بكثرة المسح بالايدي وقيل انما امروا بالصلاة عنده ولم يومروا بالمسح وتقبيله عن انس بن
مالك قال قال عمر وافقت ربي في ثلاث قلت يا رسول الله لو اتخذت من مقام ابراهيم
مصلى فنزلت واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى الحديث وكان بدو وقصة المقام على ما رواه
البخاري في صحيحه عن ابن عباس قال اول ما اتخذت النساء المنطق من قبل ام اسمعيل اتخذت
منطقا لتعفي اثرها على سارة ثم جاء بها ابراهيم وبابنها اسمعيل وهي ترضعه حتى وضعهما
عند البيت عند دوحة فوق زمزم من اعلى المسجد وليس بمكة يومئذ احد وليس بها
ما فوضعهما هنالك ووضع عندهما جرابا فيه تمر وسقاء فيه ماء ثم قفى ابراهيم منطلقا فتبعته
ام اسماعيل فقالت يا ابراهيم الى اين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه انيس
ولا شيء فقالت له ذلك مرارا وجعل لا يلتفت اليها فقالت له الله امرك بهذا قال نعم قالت
اذا لا يضيعنا ثم رجعت فانطلق ابراهيم حتى اذا كان عند الثنية حيث لا يرونه استقبل
بوجهه البيت ثم دعا بهولاء الدعوات فرفع يديه وقال رب اني اسكنت من ذريتي بواد
غير ذي زرع حتى بلغ يشكرون وجعلت ام اسمعيل ترضع اسمعيل وتشرب من ذلك الماء
حتى اذا نفد ما في السقاء عطشت وعطش ابنها وجعلت تنظر اليه يتلوى او قال يتلبط فانطلقت
كراهية ان تنظر اليه فوجدت الصفا اقرب جبل في الارض يليها فقامت ثم استقبلت

الوادي

الوادي تنظر هل ترى احدا فلم تر احدا فهبطت من الصفا حتى بلغت الوادي رفعت
طرف درعها سعت سعي الانسان المجهود حتى جاوزت الوادي ثم اتت المروة فقامت
عليها فنظرت هل ترى احدا فلم تر احدا ففعلت ذلك سبع مرات قال ابن عباس قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم فلذلك سعى الناس بينهما فلما اشرفت على المروة
سمعت صوتا فقالت صه تريد نفسها ثم تسمعت فسمعت ايضا فقالت يا من
قد اسمعت ان كان عندك غواث فاذا هي بالملك عند موضع زمزم فبحث بعقبه
او قال بجناحه حتى ظهر الما فجعلت تحوضه وتقول بيدها هكذا وجعلت تغرف من الما
في سقايها وهو يفور بعد ما تغرف قال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم يرحم الله
ام اسماعيل لو تركت زمزم او قال لو لم تغرف من الما لكانت زمزم عينا معينا قال
فشربت وارضعت ولدها فقال لها الملك لا تخافوا الضيعة فان ههنا بيتا لله
يبنيه هذا الغلام وابوه وان الله لا يضيع اهله وكان البيت مرتفعا من الارض
كالرابية تاتيه السيول فتاخذ عن يمينه وعن شماله فكانت كذلك حتى مرت بهم
رفقة او اهل بيت مقبلين من جرهم مقبلين من طريق كدا فنزلوا في اسفل مكة
فراوا طايرا عايفا فقالوا ان هذا الطاير ليدور على ما لعهدنا بهذا الوادي وما فيه
وما فيه ما فارسلوا جريا او جريين فاذا هم بالما فرجعوا فاخبروهم فاقبلوا وام اسمعيل
عند الما فقالوا اتاذنين لنا ان ننزل عندك قالت نعم ولكن لا حق لكم في الما قالوا نعم
قال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم فالفى ذلك ام اسماعيل وهي تحب الانس
فارسلوا الى اهليهم فنزلوا معهم حتى اذا كانوا بها اهل ابيات منهم وشب الغلام وتعلم
العربية منهم وانفسهم واعجبهم حين شب فلما ادرك زوجوه امراة منهم وماتت
ام اسماعيل فجا ابراهيم بعد ما تزوج اسماعيل يطالع تركته فلم يجد اسماعيل فسال امراته
عنه فقالت خرج يبتغي لنا وفي رواية ذهب يصيد لنا ثم سالها عن عيشهم و
هيئتهم فقالت نحن بشر نحن في ضيق وشدة وشكت اليه فقال اذا جاء زوجك
اقري عليه السلام وقولي له يغير عتبة بابه فلما جا اسماعيل كانه انس شيا فقال هل
جاكم من احد قالت نعم جانا شيخ كذا وكذا فسالنا عنك فاخبرته فسالني كيف عيشنا
فاخبرته انا في جهد وشدة فقال هل اوصاك بشي قالت نعم امرني ان اقري عليك السلام
ويقول غير عتبة بابك فقال ذاك ابي وقد امرني ان افارقك الحقي باهلك فطلقها
وتزوج منهم اخرى فلبث عنهم ابراهيم ما شا الله ان يلبث ثم اتاهم بعد فلم يجده
فدخل على امراته فسالها عنه فقالت خرج يبتغي لنا قال كيف انتم وسالها عن عيشهم
وهيئتهم فقالت نحن بخير وسعة واثنت على الله عز وجل فقال ما طعامكم قالت اللحم
قال فما شرابكم قالت الما قال اللهم بارك لهم في اللحم والما قال النبي صلى الله عليه
وسلم ولم يكن لهم يومئذ حب ولو كان لهم حب دعا لهم فيه قال فهما لا يخلوا

عليهما احد بغير مكة الالم يوافقاه وفي رواية فجا فقال ابن اسماعيل فقالت امراته ذهب
يصيد فقالت امراته الا تنزل فتطعم وتشرب قال وما طعامكم وشرابكم قالت
طعامنا اللحم وشرابنا الماء قال اللهم بارك لهم في طعامهم وشرابهم قال فقال ابو القاسم
بركة دعوة ابراهيم قال فاذا جاء زوجك فاقري عليه السلام ومريه يثبت عتبة
بابه فلما جا اسماعيل قال هل اتاكم من احد قالت نعم اتانا شيخ حسن الهيئة واثنت
عليه قالت سالني عنك فاخبرته فسالني كيف عيشنا فاخبرته انا بخير قال فاوصاك
بشي قالت نعم يقرى عليك السلام ويامرك ان تثبت عتبة بابك قال ذاك
ابي وانت العتبة امرني ان امسكك ثم لبث عنهم ما شا الله ثم جا بعد ذلك و
اسماعيل يبري نبلا له تحت دوحة قريبا من زمزم فلما راه قام اليه فصنعا
كما يصنع الولد بالوالد والوالد بالولد ثم قال يا اسماعيل ان الله امرني بامر قال
فاصنع ما امرك ربك قال وتعينني قال واعينك قال فان الله امرني ان ابني
بيتا ههنا فاشار الى اكمة مرتفعة على ما حولها فعند ذلك رفع القواعد
من البيت فجعل اسماعيل ياتي بالحجارة وابراهيم يبني حتى اذا ارتفع البنا جا ابراهيم
بهذا الحجر فوضعه له فقام ابراهيم عليه السلام عليه وهو يبني واسماعيل يناوله
الحجارة وهما يقولان ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم وفي رواية حتى اذا
ارتفع البنا وضعف عن نقل الحجارة فقام على حجر المقام فجعل يناوله الحجارة ويقولان
ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم وقيل ان امراة اسماعيل قالت لابراهيم انزل
اغسل راسك فلم ينزل فجاته بالمقام فوضعته على شقه الايمن فوضع قدمه عليه
فغسلت شق راسه الايمن ثم حولته الى شقه الايسر فغسلت شق راسه الايسر
فبقي اثر قدميه عليه عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول ان الركن والمقام ياقوتتان من ياقوت الجنة طمس الله نورهما
ولو لم يطمس نورهما لاضاا ما بين المشرق والمغرب اخرجه الترمذي وقال هذا
يروى عن عمر موقوفا واختلفوا في قوله مصلى فمن فسر المقام بمشاهد الحج ومشاعره
قال مصلى مدعى من الصلاة التي هي الدعا ومن فسر المقام بالحجر قال معناه واتخذوا من
مقام ابراهيم مصلى امروا بالصلاة عنده وهذا القول هو الصحيح لان لفظ الصلاة اذا اطلق
لا يعقل منه الا الصلاة المعهودة ذات الركوع والسجود ولان مصلى الرجل هو الموضع
الذي يصلي فيه وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل اي امرناهما والزمناهما واوحينا
عليهما قيل انما سمي اسماعيل لان ابراهيم كان يدعوا الله ان يرزقه ولدا ويقول
في دعائه اسمع ايل وايل بلسان السريانية هو الله فلما رزق الولد سماه به ان طهرا
بيتي يعني الكعبة اضافه اليه تشريفا وتفضيلا وتخصيصا اي ابنياه على الطهارة
والتوحيد وقيل طهراه من سائر الاقذار والانجاس وقيل طهراه من الشرك والاوثان

وقول الزور للطائفين يعني الدائرين حوله والعاكفين يعني المقيمين به والمجاورين
له والركع السجود جمع راكع وساجد وهم المصلون وقيل الطائفين الغربا الواردين
الى مكة والعاكفين يعني اهل مكة المقيمين بها قيل ان الطواف للغربا افضل والصلاة
لاهل مكة افضل قوله عز وجل واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا اشارة الى مكة وقيل
الى الحرم بلدا امنا اي ذا امن يامن فيه اهله وانما دعا ابراهيم لهم بالامن لانه بلد
ليس فيه زرع ولا ثمر فاذا لم يكن امنا لم يجلب اليه شي من النواحي فيتعذر المقام
فيه فاجاب الله تعالى دعا ابراهيم وجعله بلدا امنا فما قصده جبار الا قصمه الله تعالى
كما فعل باصحاب الفيل وغيرهم من الجبابرة فان قلت قد غزا مكة الحجاج واخرب
الكعبة قلت لم يكن قصده بذلك مكة ولا اهلها ولا اخراب الكعبة وانما كان قصده
خلع ابن الزبير من الخلافة ولم يتمكن من ذلك الا بذلك فلما حصل قصده اعاد
بنا الكعبة فبناها وشيدها وعظم حرمتها واحسن الى اهلها واختلفوا هل كانت مكة
محرمة قبل دعوة ابراهيم عليه السلام او حرمت بدعوته على قولين احدهما كانت
محرمة قبل دعوته بدليل قوله صلى الله عليه وسلم ان الله حرم مكة يوم خلق السموات
والارض وقول ابراهيم عليه السلام اني اسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند
بيتك المحرم فهذا يقتضي ان مكة كانت محرمة قبل دعوة ابراهيم القول الثاني انها
حرمت بدعوة ابراهيم بدليل قوله صلى الله عليه وسلم ان ابراهيم حرم مكة واني حرمت
المدينة وهذا يقتضي ان مكة كانت قبل دعوة ابراهيم حلالا كغيرها من البلاد
وانما حرمت بدعوة ابراهيم ووجه الجمع بين القولين وهو الصواب ان الله تعالى
حرم مكة يوم خلقها كما اخبر النبي صلى الله عليه وسلم في قوله ان الله حرم مكة يوم خلق
السموات والارض ولكن لم يظهر له ذلك التحريم على لسان احد من انبيائه ورسله
وانما كان تعالى يمنعها ممن ارادها بسوء ويدفع عنها وعن اهلها الافات والعقوبات
فلم يزل ذلك من امرها حتى بواها الله ابراهيم فاسكن بها اهله فحينئذ سال ابراهيم
ربه عز وجل ان يظهر تحريم مكة لعباده على لسانه فاجاب الله تعالى دعوته والزم عباده تحريم
مكة فصارت مكة حراما بدعوة ابراهيم وفرض على الخلق تحريمها والامتناع من استحلالها
واستحلال صيدها وشجرها فهذا وجه الجمع بين القولين وهو الصواب والله اعلم وارزق اهله
من الثمرات انما سال ابراهيم ذلك لان مكة لم يكن بها زرع ولا ثمر فاستجاب الله تعالى وجعل
مكة حرما امنا يجبى اليه ثمرات كل شي من امن منهم بالله واليوم الاخر يعني ارزق المومنين
من اهل مكة خاصة وسبب هذا التخصيص ان ابراهيم عليه السلام لما سال ربه عز وجل ان
يجعل النبوة والامامة في ذريته فاجاب الله دعوته بقوله لا ينال عهدي الظالمين فصار
ذلك تاديبا له في المسالة فلا جرم خص ههنا بدعائه المومنين دون الكافرين ثم اعلمه
ان الرزق في الدنيا يستوي فيه المومن والكافر بقوله قال ومن كفر فامتعه اي سارزقه

الكافر ايضا قليلا اى فى الدنيا الى منتهى اجله و ذلك قليل لانه منقطع ثم اضطره الى عذاب النار
اى الجئه واكرهه وادفعه الى عذاب النار والمضطر هو الذى لا يملك لنفسه الامتناع
مما اضطر اليه وبئس المصير اى وبئس المكان الذى يصير اليه الكافر وهو العذاب قوله تعالى
واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل وكانت قصة بنا البيت على ما ذكره
العلما واصحاب السير ان الله خلق موضع البيت قبل ان يخلق الارض بالفى عام فكانت
زبدة بيضا على وجه الما فدحيت الارض من تحتها فلما اهبط الله ادم الى الارض
استوحش فشكا الى الله تعالى فانزل البيت المعمور وهو من ياقوتة من يواقيت الجنة
له بابان من زمرد اخضر باب شرقى وباب غربى فوضعه على موضع البيت وقال يا ادم
انى اهبطت لك بيتا تطوف به كما يطاف حول عرشى وتصلى عنده كما يصلى عند عرشى
وانزل عليه الحجر الاسود وكان ابيض فاسود من لمس الحيض فى الجاهلية فتوجه ادم
من الهند ماشيا الى مكة وارسل الله له ملكا يدله على البيت فحج ادم البيت واقام المناسك
فلما فرغ تلقته الملايكة وقالوا له بر حجك يا ادم لقد حججنا هذا البيت قبلك بالفى عام
قال ابن عباس حج ادم اربعين حجة من الهند الى مكة على رجليه فكان على ذلك
الى ايام الطوفان فرفعه الله تعالى الى السما الرابعة وهو البيت المعمور يدخله كل يوم
سبعون الف ملك ثم لا يعودون اليه وبعث الله جبريل حتى خبى الحجر الاسود فى جبل
ابى قبيس صيانة له من الغرق فكان موضع البيت خاليا فى زمن ابراهيم عليه السلام ثم
ان الله تعالى امر ابراهيم بعد ما ولد له اسماعيل واسحاق ببنا بيت يذكر فيه ويعبد
فسال الله ان يبين له موضعه فبعث الله السكينة لتدل على موضع البيت وهى
ريح خجوج لها راسان تشبه الحية والخجوج من الرياح هى الشديدة السريعة الهبوب
وقيل هى الملتوية فى هبوبها وامر ابراهيم ان يبنى حيث تستقر السكينة فتبعها ابراهيم
حتى اتت موضع البيت فتطوقت عليه كتطويق الحجفة وقال ابن عباس بعث
الله سبحانه على قدر الكعبة فجعلت تسير وابراهيم يمشى فى ظلها الى ان وقفت على موضع
البيت ونودى منها يا ابراهيم ابن على قدر ظلها لا تزد ولا تنقص وقيل ان الريح
كنست له ما حول الكعبة حتى ظهر له اساس البيت الاول فذلك قوله تعالى واذ بوانا
لابراهيم مكان البيت فبنا ابراهيم واسماعيل البيت فكان ابراهيم يبنيه واسماعيل
يناوله الحجارة فذلك قوله واذ يرفع ابراهيم القواعد جمع قاعدة وهى اس البيت
وقيل جدره من البيت قال ابن عباس بنى ابراهيم البيت من خمسة اجبل من طور
سينا وطور زيتا ولبنان جبل بالشام والجودى جبل بالجزيرة وبنى قواعده من حرا
جبل بمكة فلما انتهى ابراهيم الى موضع الحجر الاسود قال لاسماعيل ايتنى بحجر حسن يكون
للناس علما فاتاه الحجر فقال ايتنى باحسن منه فمضى اسماعيل ليطلب حجرا احسن منه
فصاح ابو قبيس يا ابراهيم ان لك وديعة عندى فخذها فقذف بالحجر الاسود

فاخذه

فاخذه ابراهيم فوضعه مكانه وقيل ان الله تعالى امر ابرهيم واسماعيل بسبعة املاك
يعينونهما فى بنا البيت فلما فرغا من بنايه قالا ربنا تقبل منا وفى الاية اضمار تقديره
ويقولان ربنا تقبل منا اى ما عملنا لك وتقبل طاعتنا اياك وعبادتنا لك انك
انت السميع يعنى بنا قوله عز وجل ربنا واجعلنا مسلمين لك يعنى موحدين مخلصين
مطيعين خاضعين لك فان قلت الاسلام اما ان يكون المراد منه الدين والاعتقاد
والاستسلام والانقياد وقد كانا كذلك حالة هذا الدعا فما فائدة هذا الطلب قلت
فيه وجهان احدهما ان الاسلام عرض قايم بالقلب وقد لا يبقى فقوله واجعلنا
مسلمين لك يعنى فى المستقبل وذلك لا ينافى حصوله فى الحال الوجه الثانى يحتمل ان
يكون المراد منه طلب الزيادة فى الايمان فكانهما طلبا زيادة اليقين والتصديق
وذلك لا ينافى حصوله فى الحال ومن ذريتنا اى ومن اولادنا امة اى جماعة مسلمة
اى خاضعة منقادة لك وانما ادخل من التى هى للتبعيض لان الله تعالى اعلمهما
بقوله لا ينال عهدى الظالمين ان فى ذريتهما الظالم فلهذا خص بعض الذرية
بالدعا فان قلت لم خص ذريتهما بالدعا قلت لانهم احق بالشفقة والنصيحة قال
الله تعالى قوا انفسكم واهليكم نارا ولان اولاد الانبيا اذا صلحوا اصلح بهم غيرهم الا
ترى ان المتقدمين من العلما والكبرا اذا كانوا على السداد كيف تتبعون السداد
من ورايهم وقيل اراد بالامة امة محمد صلى الله عليه وسلم بدليل قوله وابعث
فيهم رسولا منهم وارنا اى علمنا وبصرنا مناسكنا اى شرايع ديننا واعلام حجنا
وقيل مناسكنا يعنى مذابحنا والنسك الذبيحة وقيل متعبداتنا واصل النسك
العبادة والناسك العابد فاجاب الله دعاهما وبعث جبريل فاراهما المناسك فى
يوم عرفة فلما بلغ عرفات قال عرفت يا ابراهيم نعم فسمى ذلك الوقت عرفة والموضع
عرفات وتب علينا اى فتجاوز عنا انك انت التواب اى المتجاوز عن عباده الرحيم
بهم واحتج بقوله وتب علينا من جوز الذنوب على الانبيا ووجهه ان التوبة لا تطلب من
الله الا بعد تقدم الذنب فلولا تقدم الذنب لم يكن لطلب التوبة وجه واجيب عنه
بان العبد وان اجتهد فى طاعة ربه عز وجل فانه لا ينفك عن تقصير فى بعض الاوقات
اما على سبيل السهو او ترك الاولى او الافضل وكان هذا الدعا لاجل ذلك وقيل يحتمل انه ان
الله تعالى اعلم ابراهيم ان فى ذريته من هو ظالم فلا جرم سال ربه التوبة لاولئك الظلمة
والمعنى وتب على الظلمة من اولادنا حتى يرجعوا الى طاعتك فيكون ظاهر الدعا لانفسهما
والمراد به ذريتهما وقيل يحتمل انهما لما رفعا قواعد البيت وكان ذلك المكان احرى
الاماكن بالاجابة فدعوا الله بذلك الدعا ليجعلا ذلك سنة وليقتدى من بعدهما
بهما فى ذلك الدعا لان ذلك المكان هو موضع التنصل من الذنوب وسوال
التوبة والمغفرة من الله تعالى قوله عز وجل ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يعنى وابعث

اى لدعا بنا العليم

في الامة المسلمة والذرية وهم العرب من ولد اسمعيل ابن ابرهيم عليهما الصلاة والسلام
وقوله رسولا منهم يعني ليدعوهم الى الاسلام ويكمل الدين والشرع واذا كان الرسول
منهم يعرفون نسبه ومولده ومنشاه كان اقرب لقبول قوله ويكون هو اشفق
عليهم من غيره اجمع المفسرون على ان المراد بقوله رسولا منهم محمدا صلى الله عليه وسلم
لان ابرهيم عليه السلام انما دعى لذريته وهو بمكة ولم يبعث من ذريته بمكة غير محمد
صلى الله عليه وسلم فدل على ان المراد به محمد صلى الله عليه وسلم وروى البغوي باسناده
عن العرباض بن سارية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اني عبد الله مكتوب
خاتم النبيين وان ادم لمنجدل في طينته وساخبركم باول امري انا دعوة ابرهيم
وبشارة عيسى ورويا امي التي رات حين وضعتني وقد خرج لها نور ساطع
اضاءت لها منه قصور الشام قوله لمنجدل في طينته معنى انه مطروح على وجه
الارض صورة من طين لم يجر فيه الروح واراد بدعوة ابرهيم قوله ربنا
وابعث فيهم رسولا منهم فاستجاب الله دعا ابرهيم وبعث محمدا صلى الله عليه
وسلم في اخر الزمان وانقذهم به من الكفر والظلم واراد ببشارة عيسى عليه السلام
قوله في سورة الصف ومبشرا برسول ياتي من بعدي اسمه احمد يتلوا عليهم
اي يقرا عليهم اياتك يعني ما توحيه اليه من القران وهو الذي انزل على محمد صلى
الله عليه وسلم لانه الذي كان يتلوا عليهم هذا القران فوجب حمله عليهم و
يعلمهم الكتاب يعني معاني الكتاب وحقايقه لان المقصود الاعظم تعليم ما
في القران من دلايل التوحيد والنبوة والاحكام الشرعية فلما ذكر الله تعالى اولا امر
التلاوة وهي حفظ القران ودراسته ليبقى مصونا عن التحريف والتبديل
ذكر بعده تعليم حقايقه واسراره والحكمة اي ويعلمهم الحكمة وهي الاصابة
في القول والعمل ولا تسمي الرجل حكيما الا اذا اجتمع فيه الامران وقيل الحكمة
هي التي ترد عن الجهل والخطا وذلك انما يكون بما ذكرنا من الاصابة في القول
والعمل ووضع كل شي موضعه وقيل الحكمة معرفة الاشيا بحقايقها واختلف
المفسرون في المراد بالحكمة ههنا فروى ابن وهب قال قلت لمالك ما الحكمة
قال المعرفة بالدين والفقه فيه والاتباع له وقال قتادة الحكمة هو السنة
وذلك لان الله تعالى ذكر تلاوة الكتاب وتعليمه ثم عطف عليه بالحكمة
فوجب ان يكون المراد بها شيا اخر وليس ذلك الا السنة وقيل الحكمة هي
العلم باحكام الله تعالى التي لا يدرك علمها الا ببيان الرسول صلى الله عليه وسلم
والمعرفة بها منه وقيل الحكمة هي الفصل بين الحق والباطل وقيل هي معرفة الاحكام
والقضا وقيل هي فهم القران والمعنى ويعلمهم ما في القران من الاحكام والحكمة
ما فيه من المصالح الدينية والاحكام الشرعية وقيل كل كلمة وعظتك او دعتك

الى كرمة او نهتك عن قبيح فهي حكمة ويزكيهم اي ويطهرهم من الشرك وعبادة الاوثان
وساير الارجاس والرذايل والنقايص وقيل يزكيهم من التزكية اي يشهد لهم يوم القيامة
بالعدالة اذا شهدوا للانبيا بالبلاغ ثم ختم ابرهيم الدعا بالثنا على الله تعالى فقال انك انت
العزيز قال ابن عباس العزيز الذي لا يوجد مثله وقيل هو الذي يقهر ولا يقهر وقيل هو المنيع
الذي لا تناله الايدي وقيل العزيز القوي والعزة القوة من قولهم ارض عزاز اي صلبة
قوية الحكيم اي العالم الذي لا يخفى عليه خافية وقيل هو العالم بالاشيا واجادها على غاية
الاحكام قوله عز وجل ومن يرغب عن ملة ابرهيم الا من سفه نفسه سبب نزول هذه
الاية ان عبد الله بن سلام دعا ابني اخيه الى الاسلام مهاجرا وسلمة وقال لهما قد علمتما ان
الله تعالى قال في التوراة اني باعث من ولد اسمعيل نبيا اسمه احمد فمن امن به فقد اهتدى
ومن لم يومن به فهو ملعون فاسلم سلمة وابى مهاجر ان يسلم فانزل الله تعالى ومن يرغب
عن ملة ابرهيم اي يترك دينه وشريعته فهو تعريض باليهود والنصارى وذكر العرب
لان اليهود والنصارى يفتخرون بالانتساب بابرهيم والوصلة اليه لانهم من
بني اسرائيل وهو يعقوب بن اسحاق ابن ابرهيم هو الذي طلب بعثة هذا الرسول في اخر
الزمان فمن رغب عن الايمان بهذا الرسول الذي هو دعوة ابرهيم فقد رغب عن
ملة ابرهيم ومعنى يرغب عن ملة ابرهيم اي يترك دينه وشريعته يقال رغب في الشي
اذا اراده ورغب عنه اذا تركه الا من سفه نفسه قال ابن عباس خسر نفسه وقيل
اهلك نفسه وقيل امتهنها واستخف بها واصل السفه الخفة وقيل الجهل وضعف الراي
فكل سفيه جاهل لان من عبد غير الله فقد جهل نفسه لانه لم يعرف بان الله تعالى
خالقها وقد جا من عرف نفسه فقد عرف ربه ومعناه ان يعرف نفسه بالذل والعجز
والضعف والفنا ويعرف ربه بالعز والقدرة والقوة والبقا ويدل على هذا ان الله
تعالى اوحى الى داود عليه السلام اعرف نفسك واعرفني فقال يا رب كيف اعرف نفسي وكيف
اعرفك قال اعرف نفسك بالعجز والضعف والفنا واعرفني بالقوة والقدرة والبقا
ولقد اصطفيناه اي اخترناه في الدنيا وانه في الاخرة لمن الصالحين يعني الفايزين
وقيل مع الانبيا في الجنة اذ قال له ربه اسلم اي استقم على الاسلام واثبت عليه لانه
كان مسلما لان الانبيا انما نشاوا على الاسلام والتوحيد قال ابن عباس رضي الله عنه
ذلك حين خرج من السرب وذلك عند استدلاله بالكواكب والشمس والقمر
واطلاعه على امارات الحدوث فيها وافتقارها الى محدث مدبر فلما عرف ذلك قال
له ربه اسلم قال اسلمت لرب العالمين اي قال ابرهيم خضعت بالطاعة واخلصت
العبادة لمالك الخلايق ومدبرها ومحدثها وقيل معنى اسلم اخلص دينك وعبادتك
لله واجعلها سليمة وقيل الايمان من صفات القلب والاسلام من صفات الجوارح وان
ابرهيم كان مومنا بقلبه عارفا بالله فامره الله ان يعمل بجوارحه وقيل معناه اسلم

نفسك الى الله تعالى وفوض امرك اليه قال اسلمت اى فوضت امرى لرب العالمين قال ابن
عباس وقد حققت ذلك حيث لم يستغث باحد من الملائكة حين القى فى النار قوله عز
وجل ووصى بها ابراهيم بنيه يعنى بكلمة الاخلاص وهى لا اله الا الله وقيل هى الملة الحنيفية
وكان لابراهيم ثمانية اولاد اسماعيل وامه هاجر القبطية واسحاق وامه سارة ومدين
ومداين ويقشان وزمران وبشوق وشوخ امهم قطورا بنت يقطن الكنعانية تزوجها
ابراهيم حين وفاة سارة فان قلت لم قال ووصى بها ابراهيم بنيه ولم يقل امرهم قلت لان
لفظ الوصية اكد من لفظ الامر لان الوصية انما تكون عند الخوف من الموت وفى ذلك
الوقت يكون احتياط الانسان لولده اشد واعظم وكانوا هم الى قبول وصيته اقرب وانما
حض بنيه بهذه الوصية لان شفقة الرجل على بنيه اكثر من شفقته على غيرهم وقيل لانهم
كانوا ائمة يقتدى بهم فكان صلاحهم صلاحا لغيرهم ويعقوب اى ووصى يعقوب بمثل ما وصى
به ابراهيم وسمى يعقوب لانه هو والعيص كانا توأمين فى بطن واحد فتقدم العيص
وقت الولادة فى الخروج من بطن امه وخرج يعقوب على اثره واخذ بعقبه قال ابن عباس
سمى يعقوب لكثرة عقبه وكان له من الولد اثنا عشر وهم روبيل وشمعون ولاوى ويهوذا
وزبالون ويشجر ودان ونفتال وجاد واشر ويوسف وبنيامين ثم خاطب يعقوب بنيه
فقال يا بنى ان الله اصطفى لكم الدين اى اختار لكم دين الاسلام فلا تموتن الا وانتم مسلمون يعنى
اى مومنون مخلصون والمعنى دوموا على اسلامكم حتى يأتيكم الموت وانتم مسلمون لانه لا يعلم
فى اى وقت يأتى الموت على الانسان وقيل معنى وانتم مسلمون اى محسنون الظن بالله عز
وجل يدل عليه ما روى عن جابر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل موته بثلاثة ايام يقول
لا يموتن احدكم الا وهو يحسن الظن بالله اخرجاه فى الصحيحين قوله عز وجل ام كنتم شهداء جمع
شهيد يعنى الحضر اى ما كنتم حاضرين اذ حضر يعقوب الموت اى حين احضر وقرب من الموت
نزلت فى اليهود وذلك انهم لما قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم ان يعقوب لما مات اوصى
بنيه باليهودية فانزل الله هذه الاية تكذيبا لهم والمعنى ان كنتم يا معشر اليهود شهودا على
يعقوب اذ حضره الموت اى انكم لم تحضروا ذلك فلا تدعوا على انبيائى ورسلى الاباطيل
وتنسبوهم الى اليهودية فانى ما بعثت خليلى ابراهيم وولده واولادهم الا بدين الاسلام وبذلك
وصوا اولادهم وبه عهدوا اليهم ثم بين ما قال يعقوب لبنيه فقال تعالى اذ قال يعنى يعقوب
لبنيه يعنى اولاده الاثنى عشر ما تعبدون من بعدى اى اى شئ تعبدون من بعدى قيل ان الله تعالى
لم يقبض نبيا حتى يخيره بين الموت والحياة فلما خير يعقوب وكان قد راى اهل مصر
يعبدون الاوثان والنيران فقال انظرونى حتى اسال ولدى واوصيهم فامهله فجمع ولده
وولد ولده وقال لهم قد حضر اجلى ما تعبدون من بعدى قالوا نعبد الهك واله اباءك
ابراهيم واسمعيل واسحاق انما قدم اسمعيل لانه كان اكبر من اسحاق وادخله فى جملة الاباء
وان كان عما لهم لان العرب تسمى العم ابا والخالة اما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

عم الرجل صنو ابيه وقال فى عمه العباس ردوا على ابى الها واحدا ونحن له مسلمون اى
مخلصون العبودية تلك اشارة الى الامة المذكورة يعنى ابراهيم واسمعيل واسحاق
ويعقوب وولدهم امة قد خلت اى مضت لسبيلها والمعنى يا معشر اليهود والنصارى
دعوا ذكر ابراهيم واسحاق ويعقوب واسماعيل والمسلمين من اولادهم ولا تقولوا عليهم
ما ليس فيهم لها ما كسبت يعنى من العمل ولكم يعنى يا معشر اليهود والنصارى ما كسبتم
يعنى من العمل ولا تسألون عما كانوا يعملون يعنى كل فريق يسال عن عمله لا عن عمل غيره
قوله عز وجل وقالوا كونوا هودا او نصارى تهتدوا قال ابن عباس نزلت فى رؤسا
اليهود كعب بن الاشرف ومالك بن الصيف ووهب بن يهودا وابى ياسر بن
احطب وفى نصارى نجران السيد والعاقب واصحابهما وذلك انهم خاصموا المومنين
فى الدين فكل فريق منهم يزعم انه احق بدين الله فقالت اليهود نبينا موسى افضل
الانبيا وكتابنا التوراة افضل الكتب وديننا افضل الاديان وكفروا بعيسى والانجيل
ومحمد والقران وقالت النصارى كذلك وقال كل واحد من الفريقين للمومنين
كونوا على ديننا فلا دين الا ذلك فانزل الله عز وجل قل يعنى يا محمد بل ملة ابراهيم
يعنى اذا كان لا بد من الاتباع فنتبع ملة ابراهيم لانه مجمع على فضله حنيفا اصله من
الحنف وهو ميل واعوجاج يكون فى القدم قال ابن عباس الحنيف المائل عن الاديان
كلها الى دين الاسلام قال الشاعر ⁂ ولكننا خلقنا اذ خلقنا ⁂ حنيفا ديننا عن كل دين ⁂
والعرب تسمى كل من اختتن او اختتن حنيفا تنبيها على انه دين ابراهيم وقيل الحنيفية
الختان واقامة المناسك مسلما يعنى الحنيفية هى دين الاسلام وهو دين ابراهيم عليه السلام
وما كان من المشركين يعنى ابراهيم وفيه تعريض باليهود والنصارى وغيرهم ممن يدعى اتباع
ملة ابراهيم وهو على الشرك ثم علم المومنين طريق الايمان فقال قولوا امنا بالله يعنى
قولوا ايها المومنون لهؤلاء اليهود والنصارى الذين قالوا لكم كونوا هودا او نصارى
تهتدوا امنا بالله اى صدقنا بالله وما انزل الينا يعنى القران وما انزل الى ابراهيم اى
وامنا بما انزل الى ابراهيم وهو عشر صحائف واسمعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وهم
اولاد يعقوب الاثنا عشر واحدهم سبط وكانوا انبياء وقيل السبط هو ولد الولد وهو الحافد
ومنه قيل للحسن والحسين سبطا رسول الله صلى الله عليه وسلم والاسباط فى بنى اسرائيل
كالقبائل فى العرب من بنى اسماعيل وكان فى الاسباط انبياء وما اوتى موسى يعنى
التوراة وما اوتى عيسى يعنى الانجيل وما اوتى النبيون من ربهم والمعنى امنا ايضا بالتوراة
والانجيل والكتب التى اوتى جميع الانبياء وصدقنا ان ذلك كله حق وهدى ونور وان
الجميع من عند الله وان جميع ما ذكره الله من انبيائه كانوا على حق وهدى لا نفرق بين
احد منهم اى لا نؤمن ببعض الانبياء ونكفر ببعض كما تبرأت اليهود من عيسى ومحمد
صلى الله عليه وسلم واقرت ببعض الانبياء بل نؤمن بكل الانبياء وان جميعهم كانوا

على حق وهدى ونحن له مسلمون اى ونحن لله تعالى خاضعين بالطاعة ملزمون له
بالعبودية خ عن ابى هريرة قال كان اهل الكتاب يقرؤن التوراة بالعبرانية ويفسرونها
بالعربية لاهل الاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تصدقوا اهل الكتاب
ولا تكذبوهم وقولوا امنا بالله وما انزل الينا الاية قوله عز وجل فان امنوا يعنى اليهود
والنصارى بمثل ما امنتم به اى بما امنتم به ومثل صلة فهو كقوله ليس كمثله شيء وقيل ان
اتوا بايمان كايمانكم وتوحيد كتوحيدكم فقد اهتدوا والمعنى اذ حصلوا دينا اخر مثل
دينكم من الصحة والسداد فقد اهتدوا ولكن لما استحال ان يوجد دين اخر يساوى هذا
الدين فى الصحة والسداد استحال الاهتداء بغيره لان هذا الدين مبناه على التوحيد و
الاقرار بكل الانبياء وما انزل اليهم وقيل معناه فان امنوا بكتابكم كما امنتم بكتابهم فقد اهتدوا
وان تولوا اى اعرضوا فانما هم فى شقاق اى فى خلاف ومنازعة وقيل فى عداوة
ومحاربة وقيل فى ضلال واصله من الشق كانه صار فى شق صاحبه بسبب عداوته
وقيل هو من المشقة لان كل واحد منهما يحرص على ما يشق على صاحبه ويوذيه فسيكفيكهم
الله اى يكفيك الله يا محمد شر اليهود والنصارى وهو ضمان من الله تعالى لاظهار رسول
الله صلى الله عليه وسلم لانه اذا تكفل بشيء انجزه وهو اخبار بغيب ففيه معجزة للنبي صلى الله
عليه وسلم وقد انجز الله تعالى وعده بقتل بنى قريظة وسبيهم واجلاء بنى النضير وضرب الجزية
على اليهود والنصارى وهو السميع لاقوالهم العليم باحوالهم يسمع جميع ما ينطقون به
ويعلم جميع ما يضمرون من الحسد والغل وهو مجازيهم ومعاقبهم عليه قوله عز وجل
صبغة الله قال ابن عباس دين الله وانما سماه صبغة لان اثر الدين يظهر على المتدين
كما يظهر اثر الصبغ على الثوب وقيل فطرة الله وقيل سنة الله وقيل اراد به الختان
لانه يصبغ المختتن بالدم قال ابن عباس ان النصارى اذا ولد لاحدهم مولود واتى
عليه سبعة ايام غمسوه فى ماء لهم اصفر يسمونه ماء المعمودية وصبغوه به ليطهروه
به مكان الختان فاذا فعلوا ذلك به قالوا الان صار نصرانيا حقا فاخبر الله ان دينه
الاسلام لا ما فعله النصارى ومن احسن من الله صبغة اى دينا وقيل تطهيرا لانه يطهر
من اوساخ الكفر ونحن له عابدون اى مطيعون قل يعنى يا محمد لليهود والنصارى
الذين قالوا ان دينهم خير من دينكم وامركم باتباعهم اتحاجوننا فى الله اى اتخاصموننا
وتجادلوننا فى دين الله الذى امرنا ان نتدين به والمحاجة المجادلة لاظهار الحجة وذلك
انهم قالوا ان ديننا اقدم من دينكم فان الانبياء منا وعلى ديننا فنحن اولى بالله منكم
فامر الله تعالى المؤمنين بان يقولوا لهم اتحاجوننا فى الله وهو ربنا وربكم اى ونحن وانتم
فى الله سواء فانه ربنا وربكم ولنا اعمالنا ولكم اعمالكم يعنى لكل احد جزاء عمله ونحن له مخلصون
اى مخلصوا الطاعة والعبادة فيه وفيه توبيخ لليهود والنصارى والمعنى وانتم به مشركون
والاخلاص ان يخلص العبد دينه وعمله لله تعالى فلا يشرك فى دينه ولا يرائى بعمله قال

الفضيل

الفضيل بن عياض ترك العمل من اجل الناس رياء والعمل من اجل الناس شرك والاخلاص ان
يعافيك الله منهما وهذه الاية منسوخة باية السيف قوله عز وجل ام يقولون يعنى اليهود
والنصارى ومعناه التوبيخ ان ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط كانوا
هودا او نصارى يعنى اتزعمون ان ابراهيم وبنيه كانوا على دينكم وملتكم وانما حدثت
اليهودية والنصرانية بعدهم فثبت كذبكم يا معشر اليهود والنصارى على ابراهيم وبنيه
قل يا محمد اانتم اعلم يعنى بدينهم ام الله اى الله اعلم بذلك وقد اخبر ان ابراهيم وبنيه
لم يكونوا على اليهودية والنصرانية ولكن كانوا مسلمين حنفاء ومن اظلم ممن كتم يعنى
اخفى شهادة عنده من الله وهى علمهم بان ابراهيم وبنيه كانوا مسلمين وان محمدا حق
بنعته وصفته يجدون ذلك فى كتبهم وكتموه وجحدوه والمعنى ومن اظلم ممن كتم شهادة
جاءته من عند الله فكتمها واخفاها وما الله بغافل عما تعملون يعنى من كتمانكم الحق فيما
الزمكم به فى كتابه من ان ابراهيم وبنيه كانوا مسلمين حنفاء وان الدين هو الاسلام لا اليهودية
والنصرانية والمعنى وما الله بغافل عن عملكم بل هو محصيه عليكم ثم يعاقبكم عليه فى الاخرة
تلك امة قد خلت يعنى ابراهيم وبنيه لها ما كسبت اى جزاء ما كسبت ولكم ما كسبتم اى جزاء
ما كسبتم ولا تسالون عما كانوا يعملون يعنى ان كل انسان انما يسال يوم القيامة عن كسبه وعمله
لا عن كسب غيره وعمله وفيه وعظ وزجر لليهود ولمن يتكل على فضل الاباء وشرفهم اى لا تتكلوا
على فضل الاباء فكل يؤخذ بعمله وانما كررت هذه الاية لانه اذا اختلف مواطن الحجاج و
المجادلة حسن تكريره للتذكير به وتاكيده وقيل انما كرره تنبيها لليهود لئلا يغتروا بشرف
ابائهم قوله عز وجل سيقول السفهاء من الناس اى الجهال من الناس والسفه خفة فى
النفس لنقصان العقل فى الامور الدينية والدنيوية ولا شك ان ذلك فى الدين
اعظم لان العادل فى الامر الواضح فى امر دنياه يعد سفيها فمن كان كذلك فى امر دينه
كان اولى بهذا الاسم فلا كافر الا وهو سفيه ولهذا امكن حمل هذا اللفظ على اليهود
والمشركين والمنافقين فقيل نزلت هذه الاية فى اليهود وذلك انهم طعنوا فى
تحويل القبلة عن بيت المقدس الى الكعبة لانهم لا يرون النسخ وقيل نزلت فى مشركى
مكة وذلك انهم قالوا قد تردد على محمد امره واشتاق مولده وقد توجه الى نحو بلدكم
فلعله يرجع الى دينكم وقيل نزلت فى المنافقين وانما قالوا ذلك استهزاء بالاسلام
وقيل يحتمل ان لفظ السفهاء للعموم فيدخل فيه جميع الكفار والمنافقين واليهود
ويحتمل وقوع هذا الكلام من كلهم اذ لا فائدة فى التخصيص ولان الاعداء يبالغون
فى الطعن والقدح فاذا وجدوا مقالا قالوا او مجالا جالوا ما ولاهم يعنى اى شيء
صرفهم عن قبلتهم التى كانوا عليها يعنى بيت المقدس والقبلة هى الجهة التى يستقبلها
الانسان وانما سميت قبلة لان المصلى يقابلها وتقابله ولما قال السفهاء ذلك
رد الله تعالى عليهم بقوله قل يا محمد لله المشرق والمغرب يعنى ان له قطرى المشرق

والمغرب وما بينهما ملكا فلا يستحق شي ان يكون لذاته قبلة لان الجهات كلها شي واحد وانما يصير
قبلة لان الله هو الذي جعلها قبلة فلا اعتراض عليه وهو قوله يهدي من يشاء يعني عباده الى صراط
مستقيم يعني الى جهة الكعبة وهي قبلة ابرهيم عليه السلام قوله عز وجل وكذلك جعلناكم الكاف في
قوله وكذلك كاف التشبيه والمشبه به وفيه وجوه احدها انه معطوف على ما تقدم من قوله
في حق ابرهيم ولقد اصطفيناه في الدنيا وكذلك جعلناكم امة وسطا الثاني انه معطوف على
قوله والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم وكذلك هديناكم وجعلناكم امة وسطا الثالث قيل
معناه كما جعلنا قبلتكم وسطا بين المشرق والمغرب كذلك جعلناكم امة وسطا يعني عدولا
خيارا وخير الامور اوسطها قال زهير ـ هم وسط يرضى الانام بحكمهم ـ اذا نزلت احدى الليالي
بمعظم ـ وقيل متوسطة والمعنى اهل دين وسط بين الغلو والتقصير لانهما مذمومان في امر الدين
وهو تحريفهم وتبديلهم وسبب نزول هذه الاية ان رؤسا اليهود قالوا لمعاذ بن جبل ما ترك محمد
قبلتنا الا حسدا وان قبلتنا قبلة الانبيا ولقد علم محمد انا اعدل الناس فقال معاذ انا على
حق وعدل فانزل الله هذه الاية وروى ابو سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الا ان
هذه الامة توفي سبعون امة هي اخرها وخيرها واكرمها على الله تعالى وقوله تعالى لتكونوا شهدا
على الناس يعني يوم القيامة ان الرسل قد بلغتهم رسالات ربهم وقيل ان محمدا صلى الله عليه وسلم شهيد
على من ترك الحق من الناس اجمعين ويكون الرسول يعني محمدا صلى الله عليه وسلم عليكم شهيدا
يعني عدلا مزكيا لكم وذلك ان الله تعالى يجمع الاولين والاخرين في صعيد واحد ثم يقول للكفار
الامم الم ياتكم نذير فينكرون ويقولون ما جانا من نذير فيسال الله الانبيا عن ذلك فيقولون
قد بلغناهم فيسالهم البينة وهو اعلم بهم اقامة للحجة فيقولون امة محمد تشهد لنا فيوتى
بامة محمد عليه الصلاة والسلام فيشهدون لهم بانهم قد بلغوا فتقول الامم الماضية من اين
علموا وانما اتوا بعدنا فيسال هذه الامة فيقولون ارسلت الينا رسولا وانزلت علينا
كتابا اخبرتنا فيه بتبليغ الرسل وانت صادق فيما اخبرت ثم يوتى بمحمد صلى الله عليه وسلم
فيساله عن حال امته فيزكيهم ويشهد بصدقهم خ عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم يجا بنوح وامته يوم القيامة فيقال له هل بلغت فيقول نعم اي رب
فيسال امته هل بلغكم فيقولون ما جانا من نذير فيقال لنوح من يشهد لك فيقول محمد وامته
فيجا بهم فيشهدون ثم قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا
شهدا على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا زاد الترمذي وسطا قال عدلا قوله
عز وجل وما جعلنا القبلة التي كنت عليها اي وما جعلنا صرفك عن القبلة التي
كنت عليها وهي بيت المقدس وانما حذف ذكر الصرف اكتفا بدلالة اللفظ عليه
وقيل معناه وما جعلنا القبلة التي كنت عليها منسوخة وقيل معناه وما جعلنا القبلة
التي كنت عليها وهي الكعبة الا لنعلم من يتبع الرسول فان قلت ما معنى قوله الا
لنعلم وهو عالم بالاشيا كلها قبل كونها قلت اراد به العلم الذي يتعلق به الثواب

والعقاب

والعقاب فانه لا يتعلق بما هو عالم به في الغيب انما يتعلق بما يوجد والمعنى لنعلم العلم الذي
يستحق العامل عليه الثواب والعقاب وقيل العلم هنا بمعنى الروية اي لنرى ونميز من
يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وقيل معناه الا ليعلم رسلي وحزبي واوليائي
من المومنين من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وكان من شان العرب
اضافة ما فعله الاتباع الى الكبير كقولهم فتح عمر العراق وجبى خراجها وانما فعل
ذلك اتباعه عن امره وقيل انما قال الا لنعلم وهو بذلك عالم قبل كونه على وجه الرفق
بعباده ومعناه الا لتعلموا انتم اذ كنتم جهالا به قبل كونه فاضافة العلم الى نفسه رفقا
بعباده المخاطبين وقيل معناه لعلمنا كانه تعالى سبق في علمه ان تحويل القبلة سببا
لهداية قوم وضلالة اخرين ومعنى من يتبع الرسول اي يطيعه في امر القبلة وتحويلها
ممن ينقلب على عقبيه اي يرجع الى ما كان عليه من الكفر فيرتد وفي الحديث انه
لما تحولت القبلة الى الكعبة ارتد قوم الى اليهودية وقالوا رجع محمد الى دين ابائه
وان كانت اي وقد كانت لكبيرة يعني تولية القبلة لثقيلة شاقة وقيل هي التولية
من بيت المقدس الى الكعبة وقيل الكبيرة هي القبلة التي وجهه اليها قبل التحويل وقيل
هي بيت المقدس وانث الكبيرة لتانيث القبلة وقيل لتانيث التولية الا على الذين
هدى الله يعني الصادقين في اتباع الرسول وما كان الله ليضيع ايمانكم يعني صلاتكم
الى بيت المقدس وذلك ان حيي بن اخطب واصحابه من اليهود قالوا للمسلمين اخبرونا
عن صلاتكم الى بيت المقدس ان كانت على هدى فقد تحولتم عنه وان كانت على
ضلالة فقد دنتم الله بها مدة ومن مات عليها فقد مات على ضلالة فقال المسلمون
انما الهدى فيما امر الله به والضلالة فيما نهى الله عنه قالوا فما شهادتكم على من مات
منكم على قبلتنا وقد كان مات قبل ان تحول القبلة الى الكعبة اسعد بن زرارة من بني
النجار والبرا بن معرور من بني سلمة وكانا من النقبا ورجال اخرون فانطلق عشائرهم
الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله قد صرفك الله الى قبلة ملة ابرهيم
فكيف باخواننا الذين ماتوا وهم يصلون الى بيت المقدس فانزل الله تعالى وما كان
الله ليضيع ايمانكم يعني صلاتكم الى بيت المقدس ان الله بالناس لرءوف رحيم
يعني لا يضيع اجورهم والرافة اخص من الرحمة وارق وقيل الرافة اشد من الرحمة
وقيل الرافة الرحمة وقيل في الفرق بين الرافة والرحمة ان الرافة مبالغة في رحمة
خاصة وهي دفع المكروه وازالة الضرر واما الرحمة فانها اسم جامع يدخل فيه ذلك
المعنى ويدخل فيه ايضا جميع الافضال والانعام فذكر الله الرافة اولا بمعنى انه لا يضيع
اعمالهم ثم ذكر الرحمة ثانيا لانها اعم واشمل قوله عز وجل قد نرى تقلب وجهك
في السما سبب نزول هذه الاية ان النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه كانوا يصلون
بمكة الى الكعبة فلما هاجر الى المدينة احب ان يستقبل بيت المقدس يتالف بذلك

اليهود وقيل ان الله تعالى امره بذلك ليكون اقرب الى تصديق اليهود اياه اذا صلى الى
قبلتهم مع ما يجدونه من نعته وصفته في التوراة فصلى الى بيت المقدس بعد الهجرة
ستة عشر او سبعة عشر شهرا وكان يحب ان يتوجه الى الكعبة لانها قبلة ابيه ابراهيم وقيل
كان يحب ذلك من اجل ان اليهود قالوا يخالفنا محمد في ديننا ويتبع قبلتنا فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لجبريل وددت لو حولني الله الى الكعبة فانها قبلة ابي ابراهيم فقال
جبريل عليه السلام انما انا عبد مثلك وانت كريم على ربك فسل انت ربك فانك عند الله
بمكان ثم عرج جبريل وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يديم النظر الى السماء رجاء ان ينزل
جبريل بما يحب من امر القبلة فانزل الله تعالى قد نرى تقلب وجهك في السماء يعني تردد
وجهك وتصرف نظرك الى السماء الى جهة السماء وهذه الاية وان كانت متاخرة في التلاوة
فهي متقدمة في المعنى لانها راس القصة واول ما نسخ من احكام الشرع امر القبلة فلنولينك
اي فلنحولنك ولنصرفنك قبلة اي ولنصرفنك عن بيت المقدس الى قبلة ترضاها
اي تحبها وتميل اليها فول وجهك شطر المسجد الحرام اي نحوه وتلقاءه واراد به الكعبة ق
عن ابن عباس قال لما دخل النبي صلى الله عليه وسلم البيت دعا في نواحيه كلها ولم يصل
حتى خرج منه ولما خرج ركع ركعتين قبل الكعبة وقال هذه القبلة يعني ان امر القبلة قد استقر
على هذا البيت فلا ينسخ بعد اليوم فصلوا الى الكعبة ابدا فهي قبلتكم ق عن البراء بن عازب
ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اول ما قدم المدينة نزل على اجداده او قال اخواله من
الانصار وانه صلى قبل بيت المقدس ستة عشر او سبعة عشر شهرا وكان يعجبه ان تكون
قبلته قبل البيت وانه صلى اول صلاة صلاها صلاة العصر وصلى معه قوم فخرج رجل ممن
صلى معه فمر على اهل مسجد وهم راكعون فقال اشهد بالله لقد صليت مع رسول الله صلى
الله عليه وسلم قبل الكعبة فداروا كما هم قبل البيت وكانت اليهود قد اعجبهم اذ كان
يصلي قبل بيت المقدس وهي قبلة اهل الكتاب فلما ولى وجهه قبل البيت انكروا ذلك
قال البراء في حديثه هذا انه مات على القبلة قبل ان تحول رجال وقتلوا فلم ندر ما نقول
فيهم فانزل الله تعالى وما كان الله ليضيع ايمانكم واختلف العلماء في وقت تحويل القبلة
فقال الاكثرون كان في يوم الاثنين بعد الزوال للنصف من رجب على راس سبعة
عشر شهرا من مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وقيل كان يوم الثلاثاء لثمانية عشر
شهرا وقيل كانت لستة عشر شهرا وقيل لثلاثة عشر شهرا وقيل نزلت ورسول الله صلى الله
عليه وسلم في مسجد بني سلمة وقد صلى باصحابه ركعتين من صلاة الظهر فتحول في الصلاة واستقبل
الميزاب وحول الرجال مكان النساء والنساء مكان الرجال فسمي ذلك المسجد مسجد القبلتين
ووصل الخبر الى اهل قباء في صلاة الصبح ق عن ابن عمر قال بينما الناس بقباء في صلاة الصبح
اذ جاءهم آت فقال ان النبي صلى الله عليه وسلم قد انزل عليه الليلة قرآن وقد امر ان يستقبل
القبلة فاستقبلوها وكانت وجوههم الى الشام فاستداروا الى الكعبة وقوله تعالى وحيث

ماكنتم

ما كنتم اي من بر او بحر مشرق او مغرب فولوا وجوهكم شطره اي نحو البيت وتلقاءه عن ابي
هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما بين المشرق والمغرب قبلة اخرجه الترمذي
وقال حديث حسن صحيح قيل اراد بالمشرق مشرق الشتاء في اقصر يوم من السنة وبالمغرب
مغرب الصيف في اطول يوم من السنة فمن جعل مغرب الصيف في هذا الوقت على
يمينه ومشرق الشتاء عن يساره كان مستقبلا للقبلة وهذا في حق اهل المشرق لان المشرق
الشتوي جنوبي متباعد عن خط الاستواء بمقدار الميل والمغرب الصيفي شمالي متباعد عن خط
الاستواء والذي بينهما فقوسها مكة والغرض لمن بمكة في القبلة اصابة عين الكعبة ولمن بعد
عن مكة اصابة الجهة ويعرف ذلك بدلائل القبلة وليس هذا موضع ذكرها ولما تحولت
القبلة الى الكعبة قالت اليهود يا محمد ما هو الا شيء ابتدعته من تلقاء نفسك فتارة تصلي
الى بيت المقدس وتارة الى الكعبة ولو ثبت على قبلتنا لكنا نرجو ان تكون صاحبنا
الذي ننتظره فانزل الله تعالى وان الذين اوتوا الكتاب يعني اليهود ليعلمون انه الحق من
ربهم يعني امر القبلة وتحويلها الى الكعبة ثم هددهم فقال تعالى وما الله بغافل عما يعملون
يعني وما انا بساه عما يعمل هؤلاء اليهود فانا اجازيهم عليه في الدنيا والآخرة وقرئ تعملون
بالتاء قال ابن عباس يريد انكم يا معشر المؤمنين تطلبون مرضاتي وما انا بغافل عن
ثوابكم وجزائكم فانا اثيبكم على طاعتكم اجزل الثواب واجزيكم احسن الجزاء قوله عز وجل ولئن
اتيت الذين اوتوا الكتاب يعني اليهود والنصارى بكل آية اي بكل معجزة وقيل بكل
حجة وبرهان وذلك لانهم قالوا ائتنا باية على ما تقول فانزل الله هذه الاية ما تبعوا
قبلتك يعني الكعبة وما انت بتابع قبلتهم يعني ان اليهود تصلي الى بيت المقدس والنصارى
الى المشرق وانت يا محمد الى الكعبة فكيف يكون سبيل الى اتباع قبلة احدهما ولا مع
اختلاف جهتيهما فالزم انت قبلتك التي امرت بالصلاة اليها وما بعضهم بتابع قبلة
بعض يعني وما اليهود بتابعة قبلة النصارى ولا النصارى بتابعة قبلة اليهود لان اليهود
والنصارى لا يجتمعون على قبلة واحدة ولئن اتبعت اهواءهم يعني مرادهم ورضاهم
لو رجعت الى قبلتهم من بعد ما جاءك من العلم اي من امر القبلة وقيل معناه من بعد
ما وصل اليك من العلم بان اليهود والنصارى مقيمون على باطل وعناد للحق انك اذا
لمن الظالمين يعني انك ان فعلت ذلك لكنت بمنزلة من ظلم نفسه وضرها قيل هذا
الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به الامة لانه صلى الله عليه وسلم لا يتبع اهواءهم ابدا
وقيل هو خطاب له خاصة فيكون ذلك على سبيل التذكير والتنبيه قوله عز وجل الذين
آتيناهم الكتاب يعني علماء اليهود والنصارى وقيل اراد به مؤمني اهل الكتاب كعبد الله
ابن سلام واصحابه يعرفونه اي يعرفون محمدا صلى الله عليه وسلم معرفة جلية بالوصف
المعين الذي يجدونه عندهم كما يعرفون ابناءهم اي لا يشكون فيه ولا يشتبه عليهم
كما لا يشتبه عليهم ابناؤهم من ابناء غيرهم وروي ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه

قال لعبد الله بن سلام ان الله انزل على نبيه صلى الله عليه وسلم الذين اتيناهم الكتاب يعرفونه
كما يعرفون ابناءهم فكيف هذه المعرفة فقال عبد الله يا عمر لقد عرفته حين رايته كما اعرف
ابني ومعرفتي بمحمد صلى الله عليه وسلم اشد من معرفتي بابني فقال عمر فكيف ذلك فقال اشهد
انه رسول الله حق من الله وقد نعته الله في كتابنا ولا ادري ما تصنع النسا فقبل عمر راس
عبد الله وقال وفقك الله يا ابن سلام فقد صدقت وقيل الضمير في يعرفونه يعود الى امر
القبلة والمعنى ان علما اليهود والنصارى يعرفون ان القبلة التي صرفتك اليها هي قبلة
ابراهيم وقبلة الانبيا قبلك كما يعرفون ابناءهم لا يشكون في ذلك وان فريقا منهم
اى من علما اهل الكتاب ليكتمون الحق يعني صفة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل امر الكعبة وهم
يعلمون يعني ان كتمان الحق معصية وقيل يعلمون ان صفة محمد صلى الله عليه وسلم مكتوبة
عندهم في التوراة والانجيل وهم مع ذلك يكتمونه الحق اى الذي يكتمونه هو الحق من ربك
فلا تكونن من الممترين اى من الشاكين في ان الذين تقدم ذكرهم علموا صحة نبوتك وقيل
يرجع الى القبلة والمعنى ان بعضهم عاند وكتم الحق فلا تشك في ذلك فان قلت النبي صلى الله
عليه وسلم لم يمتر ولم يشك فما معنى هذا النهي قلت هذا الخطاب وان كان للنبي صلى الله عليه وسلم
ولكن المراد به غيره والمعنى لا تشكون انتم ايها المومنون وقد تقدم نظير هذا قوله عز وجل
ولكل وجهة اى ولكل اهل ملة قبلة والوجهة اسم للمتوجه اليه وقيل الوجهة الهيئة والحالة
في التوجه الى القبلة وقيل في معنى قوله ولكل وجهة ان المراد به جميع المسلمين اى ولكل اهل جهة
من الافاق وجهة من الكعبة يصلون اليها وقيل المراد بالوجهة المنهاج والشرع والمعنى ولكل
قوم شريعة وطريقة لان الشرايع مصالح للعباد فلهذا اختلف الشرايع بحسب اختلاف الزمان
والاشخاص هو موليها اى يستقبلها والمعنى ان لكل اهل ملة وجهة هو مولى وجهه اليها
وقيل متوليها اى مختارها وقيل ان هو عايد على اسم الله تعالى والمعنى ان الله موليها اياه
وقرى مولاها اى مصروف اليها فاستبقوا الخيرات اى بادروا بالطاعات وقبول الاوامر
وفيه حث على المبادرة الى الاولوية والافضلية فعلى هذا تكون الاية دليلا لمذهب الشافعي
ان الصلوات في اول الوقت افضل فاستبقوا الخيرات لان ظاهر الامر للوجوب فاذا
لم يتحقق الوجوب فلا اقل من الندب اينما تكونوا يعني انتم واهل الكتاب يات بكم الله
جميعا يعني يوم القيامة فهو وعد لاهل الطاعة بالثواب ووعيد لاهل المعصية بالعقاب
ان الله على كل شي قدير اى على الاعادة بعد الموت والاثابة لاهل الطاعة والعقاب
المستحق العقوبة قوله عز وجل ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام اى من
اى موضع خرجت من سفر وغيره فول وجهك يا محمد قبل المسجد الحرام ونحوه وانه يعني
التوجه اليه للحق من ربك اى الموحى الذي لا شك فيه فحافظوا عليه وما الله بغافل
عما تعملون اى ليس بساه عن اعمالكم محصيها لكم وعليكم فيجازيكم بها يوم القيامة ومن
حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره

فان قلت

فان قلت هل في هذا التكرار فائدة قلت فيه فائدة عظيمة جليلة وهي ان هذه الواقعة
اول الوقايع التي ظهر النسخ فيها في شرعنا فدعت الحاجة الى التكرار لاجل التاكيد والتقرير
وازالة الشبهة وايضاح البيان وحسن التكرار فيه لنقلهم من جهة الى جهة لئلا يكون للناس
عليكم حجة قيل اراد بالناس اهل الكتاب وقيل هو على العموم وقيل هم قريش واليهود فاما
قريش فقالوا رجع محمد الى الكعبة لانه علم انها الحق وانها قبلة ابيه وسيرجع الى ديننا
كما رجع الى قبلتنا وقالت اليهود لم ينصرف محمد عن بيت المقدس مع علمه انه حق
الا انه يعمل برايه فعلى هذا يكون الاستثنا في قوله الا الذين ظلموا منهم متصلا حقيقيا والمعنى
لا حجة لاحد عليكم الا مشركوا قريش واليهود فانهم يجادلونك بالباطل والظلم وانما سمى
الاحتجاج بالباطل حجة لان اشتقاقها من حجه اذا غلبه فلما تكون صحيحة فكذلك تسمى حجة
وتكون باطلة قال الله تعالى حجتهم داحضة عند ربهم وقيل هذا الاستثنا منقطع عن الكلام
الاول ومعناه لكن الذين ظلموا منهم يجادلونكم بالباطل كما قال النابغة ؎ ولا عيب
فيهم غير ان سيوفهم ؎ بهن فلول من قراع الكتايب ؎ اى لكن سيوفهم بهن فلول
وليس بعيب وقيل في معنى الاية ان اليهود عرفوا ان الكعبة قبلة ابراهيم ووجدوا
في التوراة ان محمدا سيحول اليها فلم تكن حجتهم انهم يقولون ان النبي الذي نجده في كتابنا
سيحول الى الكعبة ولم تحول انت فلما حول الى الكعبة ذهبت حجتهم الا الذين ظلموا
منهم اى الا ان يظلموا فيكتموا ما عرفوا من الحق فلا تخشوهم اى فلا تخافوهم في
انصرافكم الى الكعبة في تظاهرهم عليكم بالمجادلة الباطلة فاني وليكم وناصركم اظهركم
عليهم بالحجة والنصرة واخشوني اى احذروا عقابي ان انتم عدلتم عما امرتكم به وفرضته
عليكم ولاتم نعمتي عليكم اى ولكي اتم نعمتي عليكم بهدايتي اياكم الى قبلة ابراهيم لتتم لكم
الملة الحنيفية وقيل تمام النعمة الموت على الاسلام ثم دخول الجنة ثم روية الله تعالى
ولعلكم تهتدون اى لكي تهتدوا من الضلالة ولعل وعسى من الله واجب قوله عز وجل
كما ارسلنا فيكم كاف التشبيه تحتاج الى شي ترجع اليه فقيل ترجع الى ما قبلها ومعناه
ولاتم نعمتي عليكم كما ارسلنا فيكم وقيل ان ابراهيم قال ربنا وابعث فيهم رسولا منهم وقال
ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا امة مسلمة لك فبعث الله فيهم رسولا منهم وهو
محمد صلى الله عليه وسلم ووعده اجابة الدعوة الثانية بان يجعل في ذريته امة مسلمة والمعنى
كما اجبت دعوته ببعثة الرسول كذلك اجيب دعوته بان اهديكم لدينه واجعلكم
مسلمين واتم نعمتي عليكم ببيان شرايع الملة الحنيفية وقيل ان الكاف متعلقة بما بعدها
وهو قوله فاذكروني اذكركم والمعنى كما ارسلنا فيكم رسولا منكم فاذكروني ووجه التشبيه
ان النعمة بالذكر جارية مجرى النعمة بارسال الرسول وان قلنا انها متعلقة بما قبلها كان
وجه التشبيه ان النعمة في امر القبلة كالنعمة بالرسالة فيكم خطابا لاهل مكة والعرب وكذا قوله
منكم وفي ارسال رسول منهم نعمة عظيمة عليهم لما فيه من الشرف لهم ولان المعروف من

حال العرب الانفة الشديدة من الانقياد للغير فكان بعثة الرسول منهم وفيهم اقرب
الى قبول قوله والانقياد له والمعنى كما ارسلنا فيكم رسولا منكم يا معشر العرب يتلوا
عليكم اياتنا يعنى القران وذلك اعظم النعم لانه معجزة باقية على الدهر ويزكيكم اى و
يطهركم من دنس الشرك والذنوب وقيل يعلمكم ما اذا فعلتموه صرتم ازكيا مثل محاسن
الاخلاق ومكارم الافعال ويعلمكم الكتاب يعنى احكام الكتاب وهو القران وقيل
ان التعليم غير التلاوة فليس بتكرار والحكمة يعنى السنة والفقه فى الدين ويعلمكم ما لم تكونوا
تعلمون يعنى يعلمكم من اخبار الامم الماضية والقرون الخالية وقصص الانبيا والخبر
عن الحوادث المستقبلة مما لم تكونوا تعلمون وذلك قبل بعثة رسول الله صلى الله
عليه وسلم فاذكرونى قيل الذكر يكون باللسان وهو ان يسبحه ويحمده ونحو ذلك من
الاذكار ويكون بالقلب وهو ان يتفكر فى عظمة الله وفى الدلائل الدالة على وحدانيته
ويكون بالجوارح وهو ان تكون مستغرقة فى الاعمال التى امروا بها مثل الصلاة وساير
الطاعات التى للجوارح فيها فعل اذكركم اى بالثواب والرضا عنكم قال ابن عباس اذكرونى
بطاعتى اذكركم بمعونتى وقيل اذكرونى فى النعمة والرخا اذكركم فى الشدة والبلا وقال
اهل المعانى اذكرونى بالتوحيد والايمان اذكركم بالجنان والرضوان وقيل اذكرونى
بالاخلاص اذكركم بالخلاص اذكرونى بالقلوب اذكركم بغفران الذنوب اذكرونى بالدعا
اذكركم بالعطا ن عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله
عز وجل انا عند ظن عبدى بى وانا معه اذا ذكرنى فان ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى
وان ذكرنى فى ملا ذكرته فى ملا خير منهم وان تقرب الى شبرا تقربت اليه ذراعا وان تقرب
الى ذراعا تقربت اليه باعا وان اتانى يمشى اتيته هرولة قوله عز وجل انا عند ظن
عبدى بى قيل معناه بالغفران اذا استغفر وبالقبول والاجابة اذا دعا وبالكفاية
اذا طلب الكفاية وقيل المراد من تحقيق الرجا وتاميل العفو وهذا اصح قوله وانا معه
حين يذكرنى يعنى بالرحمة والتوفيق والهداية والاعانة وقوله فان ذكرنى فى نفسه
ذكرته فى نفسى النفس فى اللغة لها معان منها ذات الشى والله تعالى له ذات حقيقة وهو
الغيب فعلى هذا يكون المعنى فان ذكرنى خاليا ذكرته بالاثابة والمجازاة بما لا يطلع عليه
احد قوله وان ذكرنى فى ملا ذكرته فى ملا خير منهم الملا اشراف الناس وعظماؤهم الذين
يرجع الى رايهم وهذا مما استدلت به المعتزلة ومن وافقهم فى تفضيل الملائكة على الانبيا
واجيب عنه بان الذكر غالبا يكون فى جماعة لا نبى بينهم قوله وان تقرب الى شبرا
تقربت اليه ذراعا الى اخره وهذا من احاديث الصفات ويستحيل ارادة ظاهره فلا بد
من التاويل فعلى هذا يكون ذكر الشبر والذراع والباع والمشى والهرولة استعارة ومجازا
فيكون المراد بقرب العبد من الله تعالى القرب بالذكر والطاعة والعمل الصالح والمراد
بقرب الله من العبد قرب نعمه والطافه وبره وكرمه واحسانه اليه وفيض مواهبه

ورحمة

ورحمة عليه والمعنى كل ما زاد بالطاعة والذكر زدت بالبر والاحسان وان اتانى
يمشى فى طاعتى اتيته هرولة اى صببت عليه الرحمة صبا وسبقته بها ق عن
ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل
انا مع عبدى ما ذكرنى وتحركت بى شفتاه ق عن ابى موسى الاشعرى قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم مثل الذى يذكر ربه والذى لا يذكر كمثل الحى والميت م عن ابى هريرة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سبق المفردون قالوا وما المفردون يا رسول
الله قال الذاكرين الله كثيرا والذاكرات المفردون الذين ذهب القرن الذى كانوا
فيه وبقوا وهم يذكرون الله تعالى ويقال تفرد الرجل اذا تفقه واعتزل وقوله تعالى واشكروا لى
يعنى بالطاعة ولا تكفرون يا ايها الذين امنوا استعينوا بالصبر والصلاة انما خصهما بالذكر
لانهما من المعونة على العبادات اما الصبر فهو حبس النفس على احتمال المكاره فى ذات الله
وتوطينها على تحمل المشاق فى العبادات وساير الطاعات وتجنب الجزع وتجنب المحظورات
ومن الناس من حمل الصبر على الصوم وفسره به ومنهم من حمله على الجهاد واما الاستعانة
بالصلاة فلانها يجب ان تفعل على طريق التذلل للمعبود والاخلاص له وقيل استعينوا
على طلب الاخرة بالصبر على الفرايض وبالصلاة لتمحيص مواقيتها على تمحيص الذنوب ان
الله مع الصابرين اى بالعون والنصر ولا تقولوا لمن يقتل فى سبيل الله اموات نزلت فى
من قتل ببدر من المسلمين وكانوا اربعة عشر رجلا ستة من المهاجرين وهم عبيدة بن الحارث
ابن عبد المطلب وعمير بن ابى وقاص بن ود واهيب بن عبد مناف بن زهرة الزهرى
اخو سعد بن ابى وقاص السالين واسمه عمير بن عمرو بن فضيلة بن عمرو بن خزاعة
ثم غبشان وعاقل بن البكير من بنى سعد بن ليث بن كنانة ومهجع مولى لعمر بن الخطاب
وصفوان بن بيضا ابى الحارث بن فهر ومن الانصار ثمانية وهم سعد بن خيثمة ومبشر
ابن عبد المنذر ويزيد بن الحارث بن قيس بن فسحم وعمير بن الحمام ورافع بن معلى
وحارثة بن سراقة وعوف ومعوذ ابنا الحارث بن رفاعة بن سواد وهما ابنا عفرا
وهى امهما كان الناس يقولون لمن قتل فى سبيل الله مات فلان وذهب عنه نعيم الدنيا ولذتها
فانزل الله هذه الاية وقيل ان الكفار والمنافقين قالوا ان الناس يقتلون انفسهم طلبا لمرضات
محمد صلى الله عليه وسلم من غير فايدة فنزلت هذه الاية واخبر ان من قتل فى سبيل الله بانه حى
بقوله بل احيا وانما احياهم الله عز وجل فى الوقت ليصل الثواب اليهم وعن الحسن ان الشهدا
احيا عند الله تعالى تعرض ارزاقهم على ارواحهم ويصل اليهم الروح والريحان والفرح كما تعرض
النار على ارواح ال فرعون غدوة وعشيا فيصل اليهم الالم والوجع ففيه دليل على ان المطيعين
لله يصل اليهم ثوابهم وهم فى قبورهم فى البرزخ وكذا العصاة يعذبون فى قبورهم فان قلت نحن
نراهم موتا فما معنى قوله بل احيا وما وجه النهى فى قوله ولا تقولوا لمن يقتل فى سبيل الله اموات
قلت معناه لا تقولوا اموات بمنزلة غيرهم من الاموات بل هم احيا تصل ارواحهم الى الجنان

كما ورد ان ارواح الشهدا في حواصل طير خضر تسرح في الجنة فهم احيا من هذه الجهة وان كانوا
امواتا من جهة خروج الروح من اجسادهم وجواب اخر وهو انهم احيا عند الله تعالى في عالم
الغيب لانهم صاروا الى الاخرة فتجنبت نفسها باحدهم كذلك ويدل على ذلك قوله تعالى ولكن
لا تشعرون اي لا ترونهم احيا لتعلموا ذلك حقيقة وانما تعلمونه باخباري اياكم به فان قلت
النبي سائر المطيعين من المسلمين الله يصل اليهم من نعيم الجنة في قبورهم ولم خصص الشهدا بالذكر قلت
انما خصهم بان الشهدا افضلوا على غيرهم بزيد النعيم وهو انهم يرزقون من مطاعم الجنة وماكلها
وغيرهم ينعمون بما دون ذلك وجواب اخر وهو انه رد لقول من قال ان من قتل في سبيل الله
فقد مات وذهب عنه نعيم الدنيا ولذاتها فاخبر الله تعالى بقوله بل احيا بانهم في نعيم دائم قوله عز
وجل ولنبلونكم اي ولنختبرنكم بانه مجهد واللام جواب للقسم تقديره والله لنبلونكم والابتلا
لاظهار الطايع من العاصي لا ليعلم شيا مما لم يكن عالما به فانه سبحانه وتعالى عالم بجميع الاشيا قبل
كونها وصدورها بشيء انما قال بشيء ولم يقل باشيا لئلا يوهم ان اشيا نزل على ضروب من
خوف وكذا الباقي فلما قال بشيء كان التقدير بشيء من الجوع وقيل معناه بشيء قليل من هذه الاشيا
من الخوف قال ابن عباس يعني خوف العدو والخوف توقع مكروه يحصل منه الم في القلب
والجوع يعني القحط وتعذر حصول القوت ونقص من الاموال يعني بالهلاك والخسران
والانفس اي ونقص من الانفس بالموت والقتل والثمرات يعني الجوايح في الثمار وقيل
قد يكون بالجدب ايضا وبترك العمل والعمارة في الاشيا وحكي عن الشافعي رضي الله عنه
في تفسير هذه الاية قال الخوف خوف الله تعالى والجوع صيام شهر رمضان ونقص من الاموال
يعني اخراج الزكاة والصدقات والانفس يعني بالامراض والثمرات يعني موت الاولاد لان الولد
ثمرة القلب عن ابي موسى الاشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مات
ولد العبد قال الله تعالى لملايكته اقبضتم ولد عبدي فقالوا نعم قال اقبضتم ثمرة فواده
فقالوا نعم قال فماذا قال قالوا حمدك واسترجع قال ابنوا له بيتا في الجنة وسموه بيت الحمد اخرجه
الترمذي وقال حديث حسن فان قلت ما الحكمة في تقديم تعريف هذا الابتلا في قوله
ولنبلونكم قلت فيه حكم منها ان العبد اذا علم انه مبتلى بشيء فوطن نفسه على الصبر فاذا
نزل به ذلك البلا لم يجزع ومنها ان الكفار شاهدوا المومنين مقيمين على دينهم
ثابتين عند نزول البلا صابرين له علموا بذلك صحة الدين فيدعوهم ذلك الى [illegible]
والدخول فيه ومنها ان الله تعالى اخبر بهذا الابتلا قبل وقوعه فاذا وقع كان ذلك
اخبارا عن غيب فيكون معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم ومنها ان المنافقين انما
اظهروا الايمان طمعا في المال وسعة في الرزق من الغنايم فلما اخبر الله انه مبتلى
عباده فعند ذلك يتميز المومن من المنافق والصادق من الكاذب ومنها ان الانسان
في حال الابتلا اشد اخلاصا منه في حال الرخا فاذا علم انه مبتلى دام على التضرع
والابتهال الى الله تعالى لينجيه من عسى ان ينزل به من البلا ثم قال تعالى وبشر الصابرين

يعني عند

يعني عند نزول البلا والمعنى وبشر بالجنة الصابرين الذين اذا اصابتهم مصيبة اي نايبة وابتلا
قالوا انا لله يعني عبيدا وملكا وانا اليه راجعون يعني في الاخرة م عن ام سلمة قالت سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من عبد تصيبه مصيبة فيقول انا لله وانا اليه راجعون
اللهم اجرني في مصيبتي واخلف لي خيرا منها الا اجره الله في مصيبته واخلف له خيرا منها
وقيل لم يعط احد ما اعطيت هذه الامة يعني الاسترجاع عند المصيبة ولو اعطيها احد
لاعطيها يعقوب عليه السلام الا تسمع لقوله عند فقد يوسف يا اسفا على يوسف وقيل
في قول العبد انا لله وانا اليه راجعون تفويض منه الى الله وانه راض بكل ما نزل
به من المصايب اولئك يعني من هذه صفتهم عليهم صلوات قال ابن عباس
مغفرة من ربهم ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اللهم صل على ال ابي اوفى اي اغفر لهم
وارحمهم وانما جمع الصلوات لانه عنى مغفرة بعد مغفرة ورحمة بعد رحمة ورحمة قال ابن
عباس ونعمة والرحمة من الله انعامه وافضاله واحسانه ومن الادميين رقة وتعطف وقيل
انما ذكر الرحمة بعد الصلاة لان الصلاة من الله الرحمة لاتساع المعنى واتساع اللفظ وفعل
ذلك العرب كثيرا اذا اختلف اللفظ واتفق المعنى وقيل كررها للتاكيد اي عليهم رحمة
بعد رحمة واولئك هم المهتدون يعني الى الاسترجاع وقيل الى الجنة الفايزون بالثواب
وقيل المهتدون الى الحق والصواب وقال عمر بن الخطاب نعم العدلان ونعمة العلاوة فالعدلان
الصلاة والرحمة والعلاوة الهداية فصل في ذكر احاديث وردت في ثواب اهل
البلا واجر الصابرين خ عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يرد الله
به خيرا يصب منه يعني يبتليه بالمصايب حتى ياجره على ذلك ق عن عبد الله قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مسلم يصيبه اذى من مرض فما سواه الا حط الله
به عنه من سيئاته كما تحط الشجرة ورقها ق عن ابي سعيد وابي هريرة عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال ما يصيب المومن من نصب ولا وصب ولا حزن ولا اذى و
لا غم حتى الشوكة يشاكها الا كفر الله عنه خطاياه النصب التعب والاعيا والوصب
المرض ق عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل المومن كمثل الزرع
لا تزال الريح تفيئه ولا يزال المومن يصيبه البلا ومثل المنافق مثل شجرة الارز لا تهتز
حتى تستحصد الارزة شجر معروفة بالشام ويعرف في العراق ومصر بالصنوبر الصنوبر
ثمرة الارز وقيل الارزة الثابتة في الارض عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال اذا اراد الله بعبده خيرا عجل له العقوبة في الدنيا واذا اراد بعبده الشر امسك
عنه حتى يوافي يوم القيامة وبهذا الاسناد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان عظم
الجزاء مع عظم البلا وان الله اذا احب قوما ابتلاهم فمن رضي فله الرضى ومن سخط
فله السخط اخرجه الترمذي وله عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يود اهل العافية يوم القيامة حين يعطى اهل البلا الثواب لو ان جلودهم

كانت قرضت في الدنيا بالمقاريض ولـه عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وولده حتى يلقى الله وما عليه خطيئة قال حديث
حسن صحيح خ عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى ما لعبدي
المؤمن عندي جزاء اذا قبضت صفيه من اهل الدنيا ثم احتسبه الا الجنة عن سعد بن
ابي وقاص قال قلت يا رسول الله اي الناس اشد بلاء قال الانبياء ثم الامثل فالامثل
يبتلى الرجل على حسب دينه فان كان في دينه صلبا اشتد بلاؤه وان كان في دينه رقة
هون عليه فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الارض وما عليه خطيئة اخرجه الترمذي
وقال حديث حسن قوله عز وجل ان الصفا والمروة من شعائر الله الصفا جمع صفاة وهي
الصخرة الصلبة الملساء وقيل الحجارة الصافية والمروة الحجر الرخو وجمعها مرو ومروات وهذا
اصلهما في اللغة وانما عنى الله بهما الجبلين المعروفين بمكة في طرفي المسعى ولذلك ادخل
فيهما الالف واللام وشعائر الله اعلام دينه واصلها من الاشعار وهو الاعلام واحدها
شعيرة وكلما كان معلما للقربان يتقرب به الى الله من صلاة ودعاء وذبيحة فهو شعيرة من
شعائر الله ومشاعر الحج معالمه الظاهرة للحواس ويقال شعائر الحج فالمطاف والموقف والمنحر
كلها شعائر والمراد بالشعائر هنا المناسك التي جعلها الله اعلاما لطاعته فالصفا والمروة
منها حيث يسعى بينهما فمن حج البيت اي قصد البيت هذا اصله في اللغة وفي الشرع عبارة عن
افعال مخصوصة لاقامة المناسك او اعتمر اي زار البيت والعمرة الزيارة ففي الحج والعمرة المشروعين
قصد وزيارة فلا جناح عليه اي فلا اثم عليه واصله من جنح اذا مال عن القصد المستقيم ان
يطوف بهما اي يدور بهما ويسعى بينهما سبب نزول هذه الاية انه كان على الصفا والمروة صنمان
يقال لهما اساف ونائلة فكان اساف على الصفا ونائلة على المروة وكان اهل الجاهلية يطوفون
بين الصفا والمروة تعظيما للصنمين فلما جاء الاسلام وكسرت الاصنام تحرج المسلمون عن السعي
بين الصفا والمروة فانزل الله هذه الاية واذن في السعي بينهما واخبر انه من شعائر الله ق عن
عاصم بن سليمان الاحول قال قلت لانس كنتم تكرهون السعي بين الصفا والمروة من شعائر الله
فمن حج البيت او اعتمر فلا جناح عليه ان يطوف بهما وفي رواية قال كانت الانصار يكرهون
ان يطوفوا بين الصفا والمروة حتى نزلت ان الصفا والمروة من شعائر الله **فصل**
اختلف العلماء في حكم السعي بين الصفا والمروة في الحج والعمرة فذهب جماعة الى وجوبه وهو
قول ابن عمر وجابر وعائشة وبه قال الحسن واليه ذهب مالك والشافعي وذهب قوم
الى انه تطوع وهو قول ابن عباس وبه قال ابن سيرين وذهب الثوري وابو حنيفة الى انه
ليس بركن وعلى من تركه دم وروي عن ابن الزبير ومجاهد وعطاء ان من تركه فلا شيء
عليه واختلف الرواية عن احمد في ذلك فروي عنه ان من ترك السعي بين الصفا والمروة
لم يجزه حجه وروي عنه انه لا شيء في تركه عمدا ولا سهوا ولا ينبغي ان يتركه ونقل الجمهور عنه
انه تطوع وسبب هذا الاختلاف ان قوله تعالى فلا جناح عليه فيصدق عليه انه لا اثم

عليه في فعله فدخل تحته الواجب والمندوب والمباح فظاهر هذه الاية لا يدل على ان السعي بين
الصفا والمروة واجب او ليس بواجب لان اللفظ الدال على القدر المشترك بين الاقسام
الثلاثة لا دلالة فيه على خصوصية احدها فاذا لا بد من دليل خارج يدل على ان السعي واجب
او غير واجب فحجة الشافعي ومن وافقه في ان السعي بين الصفا والمروة ركن من اركان الحج
والعمرة ما روى الشافعي بسنده عن صفية بنت شيبة قالت اخبرتني بنت ابي تجراة واسمها
حبيبة احدى نساء بني عبد الدار قالت دخلت مع نسوة من قريش دار ال ابي حسين ننظر
الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يسعى بين الصفا والمروة فرايته يسعى وان مئزره ليدور من
شدة السعي حتى لاقول اني ارى ركبتيه وسمعته يقول اسعوا فان الله كتب عليكم السعي ق
عن عروة وصححه الدارقطني عن ابن الزبير قال قلت لعائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم
ارايت قول الله ان الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت او اعتمر فلا جناح عليه
ان يطوف بهما فما نرى على احد شيئا ان لا يطوف بهما فقالت عائشة لو كانت كما تقول
كانت فلا جناح عليه ان لا يطوف بهما انما نزلت هذه الاية في الانصار كانوا يهلون
لمناة وكانت مناة حذو قديد وكانوا يتحرجون ان يطوفوا بين الصفا والمروة فلما جاء
الاسلام سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى ان الصفا والمروة من شعائر الله
الاية م عن جابر في حديثه الطويل في صفة حجة الوداع قال ثم خرج من الباب الى الصفا
فلما دنى من الصفا قرا ان الصفا والمروة من شعائر الله ابدا بما بدا الله به فبدا بالصفا الحديث
فاذا ثبت ان النبي صلى الله عليه وسلم سعى وجب علينا السعي لقوله تعالى فاتبعوه ولقوله صلى الله عليه
وسلم خذوا عني مناسككم والامر للوجوب ومن القياس ان السعي اشواط شرعت في بقعة من
بقاع الحرم ويؤتى به في احرام كامل فكان ركنا كطواف الزيارة واحتج ابو حنيفة ومن لا يرى
وجوب السعي بقوله فلا جناح عليه ان يطوف بهما وهذا لا يقال في الواجبات ثم انه تعالى اكد
ذلك بقوله ومن تطوع خيرا فبين انه تطوع وليس بواجب واجيب عن الاول بان قوله
تعالى فلا جناح عليه ليس فيه الا انه لا اثم على فاعله وهذا القدر مشترك بين الواجب وغيره
كما تقدم بيانه فلا يكون فيه دلالة على نفي الوجوب وعن الثاني وهو التمسك بقوله تعالى
ومن تطوع خيرا فضعيف لان هذا لا يقتضي ان يكون المراد من هذا التطوع هو الطواف
المذكور اولا بل يجوز ان يكون المقصود منه شيئا اخر يدل على ذلك قول الحسن ان المراد
بقوله ومن تطوع خيرا جميع الطاعات في الدين يعني فعل فعلا زائدا على ما افترض عليه
من صلاة وصدقة وصيام وحج وعمرة وطواف وغير ذلك من انواع الطاعات
وقال مجاهد ومن تطوع خيرا بالطواف بهما وهذا على قول من لا يرى الطواف بهما
فرضا وقيل معناه ومن تطوع خيرا فزاد في الطواف بعد الواجب والقول الاول اولى
للعموم فان الله شاكر اي مجاز على الطاعة عليم بنيته وحقيقة الشاكر في اللغة
هو المظهر للانعام عليه والشكر هو تصور النعمة واظهارها والله تعالى لا يوصف بذلك لانه

لا تلحقه المنافع والمضار فان ذكر في صفة الله مجاز فاذا وصف به اريد به انه المجازي على الطاعة
بالثواب الا ان اللفظ خرج مخرج التلطف للعباد مظاهرة للاحسان اليهم قوله عز وجل ان الذين
يكتمون ما انزلنا من البينات والهدى نزلت في اليهود الذين كتموا صفة محمد صلى الله عليه وسلم
واية الرجم وغيرها من الاحكام التي كانت في التوراة وقيل ان الاية على العموم فيمن كتم
شيئا من امر الدين لان اللفظ عام والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ومن قال
بالقول الاول وانها في اليهود قال ان الكتم لا يصح الا منهم لانهم كتموا صفة محمد صلى الله عليه وسلم
ومعنى الكتمان ترك اظهار الشي مع الحاجة الى بيانه واظهاره فمن كتم شيئا من امر الدين
فقد عظمت مصيبته ق عن ابي هريرة قال لولا ايتان انزلهما الله في كتابه ما حدثت شيئا
ابدا ان الذين يكتمون ما انزلنا من البينات والهدى وقوله واذ اخذ الله ميثاق
الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه الى اخر الايتين وهل اظهار علوم الدين
فرض كفاية او فرض عين فيه خلاف والاصح انه اذا ظهر للبعض بحيث يتمكن كل واحد
من الوصول اليه لم يبق مكتوما وقيل متى سئل العالم عن شي يعلمه من امر الدين يجب عليه
اظهاره والا فلا من بعد ما بيناه للناس في الكتاب يعني في التوراة من صفة محمد صلى الله
عليه وسلم وعلى هذا يكون المراد بالناس علماء بني اسرائيل ومن قال ان المراد بالكتاب جميع
ما انزل الله على انبيائه من الاحكام قال المراد بالناس العلماء كافة اولئك يعني الذين يكتمون
ما انزل الله من البينات والهدى يلعنهم الله اي يبعدهم من رحمته واصل اللعن في اللغة
الطرد والابعاد ويلعنهم اللاعنون قال ابن عباس جميع الخلائق الا الجن والانس وذلك
ان البهائم تقول انما منعنا القطر بمعاصي بني ادم وقيل اللاعنون هم الانس والجن لانه
وصفهم وصف من يعقل وقيل ما تلاعن اثنان من المسلمين الا رجعت الى اليهود والنصارى
الذين كتموا صفة محمد صلى الله عليه وسلم ثم استثنى فقال تعالى الا الذين تابوا اي ندموا على
ما فعلوا فرجعوا من الكفر الى الاسلام واصلحوا يعني الاعمال فيما بينهم وبين الله تعالى وبينوا يعني
ما كتموا من العلم فاولئك اتوب عليهم اي اتجاوز عنهم واقبل توبتهم وانا التواب اي الرجاع
عن عبادي الرجاع بقلوبهم المنصرفة عني الرحيم يعني بهم بعد اقبالهم علي قوله عز وجل
ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار اولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين قيل
هذا اللعن يكون يوم القيامة يوتى بالكافر فيوقف فيلعنه الله ثم تلعنه الملائكة ثم يلعنه
الناس اجمعون فان قلت الكافر لا يلعن نفسه ولا يلعنه اهل دينه وملته فما معنى قوله
والناس اجمعين قلت فيه اوجه احدها انه اراد بالناس من يعتد بلعنه وهم المومنون الثاني
ان الكفار يلعن بعضهم بعضا يوم القيامة الثالث انهم يلعنون الظالمين والكافر من الظالمين
فيكون قد لعن نفسه خالدين فيها اي مقيمين في اللعنة وقيل في النار وانما اضمرت لعظم
شانها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون اي لا يمهلون ولا يوجلون وقيل لا ينظرون
ليعتذروا وقيل لا ينظر اليهم نظر رحمة فصل فيما يتعلق بهذه الاية من الحكم قال العلماء لا يجوز

لعن كافر معين

لعن كافر معين لان حاله عند الوفاة لا يعلم فلعله يموت على الاسلام وقد شرط الله في هذه الاية
اطلاق اللعنة على من مات على الكفر ويجوز لعن الكفار بدليل عليه قوله صلى الله عليه وسلم لعن
الله اليهود حرمت عليهم الشحوم فجملوها فباعوها وذهب بعضهم الى جواز لعن انسان معين من
الكفار بدليل جواز قتاله واما العصاة من المومنين فلا يجوز لعنة احد منهم على التعيين واما
على الاطلاق فيجوز لما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لعن الله السارق يسرق البيضة
والحبل فتقطع ولعن رسول الله صلى الله عليه وسلم الواشمة والمستوشمة واكل الربوا
وموكله ولعن من غير منار الارض ومن انتسب لغير ابيه وكل هذه في الصحيح قوله عز وجل
والهكم اله واحد سبب نزول هذه الاية ان كفار قريش قالوا يا محمد صف لنا ربك وانسبه
فانزل الله هذه الاية وسورة الاخلاص ومعنى الواحد الانفراد وحقيقة الواحد
هو الشي الذي لا يتبعض ولا ينقسم والواحد في صفة الله انه واحد لا نظير له وليس
كمثله شي وقيل واحد في الالهية وربوبيته ليس له شريك لان المشركين اشركوا معه
الالهة فكذبهم الله تعالى بقوله والهكم اله واحد لا شريك له في الالوهية ولا نظير له في
الربوبية والتوحيد هو نفي الشريك والقسيم والشبيه فالله تعالى واحد في افعاله لا شريك
له يشاركه في مصنوعاته وواحد في ذاته لا قسيم له وواحد في صفاته لا يشبهه شي من خلقه
لا اله الا هو تقرير للوحدانية بنفي غيره من الالوهية واثباتها له سبحانه وتعالى الرحمن الرحيم
يعني المولى لجميع النعم واصولها وفروعها فلا شي سواه اما نعمة واما منعم عليه وهو المنعم
على خلقه الرحيم بهم عن اسماء بنت يزيد قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول اسم الله الاعظم في هاتين الايتين والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم
وفاتحة ال عمران الم الله لا اله الا هو الحي القيوم اخرجه ابو داود والترمذي وقال حديث
صحيح وقيل لما نزلت هذه الاية قال المشركون ان محمدا يقول والهكم اله واحد فليأتنا باية
ان كان صادقا فانزل الله تعالى ان في خلق السموات والارض وعلمهم كيف الاستدلال على
وحدانية الصانع وردهم الى التفكر في اياته والنظر في عجائب مصنوعاته واتقان
افعاله في ذلك دليل على وحدانيته اذ لو كان في الوجود صانعان لهذه الافعال لا
استحال اتفاقهما على امر واحد ولا امتنع في افعالهما على التساوي في صفة الكمال فيثبت
بهذا ان خالق هذا العالم والمدبر له واحد قادر مختار فبين سبحانه من عجائب مخلوقاته
ثمانية انواع اولها قوله ان في خلق السموات والارض وانما جمع السموات لانها اجناس مختلفة
كل سماء من جنس غير جنس الاخرى ووحد الارض لانها جنس واحد وهو التراب والاية
في السماء هي سمكها وارتفاعها بغير عمد ولا علاقة وما يرى فيها من الشمس والقمر والنجوم
والاية في الارض مدها وبسطها على الماء وما يرى فيها من الجبال والبحار والمعادن والجواهر
والانهار والاشجار والثمار والنبات النوع الثاني في قوله تعالى واختلاف الليل والنهار
اي تعاقبهما في المجي والذهاب وقيل اختلافهما في الطول والقصر والزيادة والنقصان

والنور والظلمة وانما قدم الليل على النهار لان الظلمة اقدم والاية في الليل والنهار ان انتظام
احوال العباد بسبب طلب الكسب وللمعيشة يكون في النهار انما هو لتحصيل مصالح
النوع الثالث والفلك التي تجري في البحر اي السفن واحده وجمعه سواء وسمي البحر بحرا
لاتساعه وانبساطه والاية في الفلك تسخيرها وجريانها على وجه الارض وهي موقرة
بالاثقال والرجال فلا ترسب وجريانها بالريح مقبلة ومدبرة وتسخير البحر لحمل الفلك
مع قوة سلطان الماء وهيجان البحر فلا ينجي منه الا الله تعالى النوع الرابع قوله تعالى
بما ينفع الناس يعني ركوبها والحمل عليها في التجارة وحمل الارباح والاية في ذلك
ان الله تعالى لو لم يقو قلب من يركب هذه السفن لما تم الغرض في تجاراتهم ومنافعهم
وايضا فان الله تعالى خص كل قطر من اقطار العالم بشي معين واحوج الكل الى الكل
فصار ذلك سببا يدعوهم الى اقتحام الاخطار في الاسفار من ركوب السفن وخوف
البحر وغير ذلك فالحامل ينتفع لانه يربح والمحمول اليه ينتفع بما حمل اليه النوع الخامس قوله تعالى
وما انزل الله من السماء من ماء يعني المطر قيل اراد بالسماء السحاب سمي سماء لان كل ما علاك
وظلك فهو سماء خلق الله الماء في السحاب ومنه ينزل الى الارض وقيل اراد السماء بعينها
خلق الله الماء في السماء ومنه ينزل الى السحاب ثم منها الى الارض فاحيا به اي بالمطر الارض
بعد موتها اي بعد يبسها وجفافها سماه موتا مجازا لانها اذا لم تنبت شيئا ولم يصبها المطر
فهي كالميتة والاية في انزال المطر واحياء الارض به لان الله تعالى جعله سببا لاحياء الجميع
من حيوان ونبات ونزوله عند وقت الحاجة اليه بمقدار المنفعة وعند الاستسقاء والدعا
وانزاله بمكان دون مكان النوع السادس قوله تعالى وبث اي فرق فيها اي في الارض
من كل دابة قال ابن عباس يريد كل ما دب على وجه الارض من جميع الخلق من الناس
وغيرهم والاية في ذلك ان جنس الانسان يرجع الى اصل واحد وهو ادم ثم ما فيهم من
الاختلاف في الصور والاشكال والالوان والالسنة والطباع والاخلاق والاوصاف
والى غير ذلك ثم يقاس على بني ادم ساير الحيوان النوع السابع قوله تعالى وتصريف الرياح
يعني في مهابها قبولا ودبورا وشمالا وجنوبا ونكبا وهو الريح الذي ياتي في غير مهب صحيح
فكل ريح تختلف مهابها تسمى نكبا وقيل تصريفها في احوال مهابها لينة وعاصفة وحارة
وباردة وسميت ريحا لانها تريح قال ابن عباس اعظم جنود الله الريح وقيل ما هبت
ريح الا لشفا سقيم وضده وقيل البشارة في ثلاث رياح الصبا والشمال والجنوب
والدبور هي الريح العقيم التي اهلكت بها عاد فلا بشارة فيها والاية في الريح انه جسم
لطيف لا يمسك ولا يرى وهي مع ذلك في غاية القوة تقلع الشجر والصخر وتخرب
البنيان العظيم وهي مع ذلك حياة الوجود فلو امسكت طرفة عين لمات كل ذي روح
ولنتن ما على وجه الارض النوع الثامن قوله تعالى والسحاب المسخر بين السماء والارض
اي الغيم المذلل سمي سحابا لسرعة سيره كانه يسحب والاية في ذلك ان السحاب مع

مافيه من

مع ما فيه من المياه العظيمة التي تسيل منها الاودية العظيمة يبقى معلقا بين السماء والارض
ففي هذه الانواع الثمانية المذكورة في هذه الاية دلالة عظيمة على وجود الصانع القادر
المختار وانه الواحد في ملكه فلا شريك له ولا نظير وهو المراد من قوله والهكم اله واحد
لا اله الا هو وقوله لايات اي فيما ذكر من دلايل مصنوعاته الدالة على وحدانيته قيل انما
جمع ايات لان في كل واحدة مما ذكر من هذه الانواع ايات كثيرة تدل على ان لها خالقا مدبرا
مختارا لقوم يعقلون اي ينظرون بعين عقولهم ويتفكرون بقلوبهم فيعلمون ان لهذه
الاشيا خالقا ومدبرا مختارا وصانعا قادرا على ما يريد قوله عز وجل ومن الناس يعني المشركين
من يتخذ من دون الله اندادا يعني اصناما يعبدونها والند المثل المنازع فعلى هذا الاصنام
اندادا بعضها لبعض وليست اندادا لله تعالى وتعالى الله ان يكون له ند او له مثل منازع
وقيل الانداد الاكفاء من الرجال وهم رؤساهم وكبراهم الذين يطيعونهم في معصية
الله يحبونهم اي يودونهم ويميلون اليهم والحب نقيض البغض واحببت فلانا
اي جعلته معرضا بان يحبه والمحبة الارادة كحب الله اي يحب المؤمنين الله والمعنى
يحبون الاصنام كما يحب المؤمنون ربهم عز وجل وقيل معناه يحبونهم كحب الله فيكون
المعنى انهم يسوون بين الاصنام وبين الله في المحبة فمن قال بالقول الاول لم يثبت
للكفار محبة لله تعالى ومن قال بالقول الثاني اثبت للكفار محبة لله تعالى لكن جعلوا
الاصنام مشركا لله في الحب والذين امنوا اشد حبا لله اي اثبت وادوم على محبته
لانهم لا يختارون مع الله سواه والمشركون اذا اتخذوا صنما ثم راوا احسن منه
طرحوا الاول واختاروا الثاني وقيل ان الكفار يعدلون عن اصنامهم في الشدايد
ويقبلون الى الله تعالى كما اخبر عنهم فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين
والمؤمنون لا يعدلون عن الله تعالى في السرا ولا في الضرا ولا في الشدة ولا في الرخا وقيل
ان المؤمنين يوحدون ربهم والكفار يعبدون اصناما كثيرة فتنقص المحبة لصنم
واحد وقيل انما قال والذين امنوا اشد حبا لله لان الله احبهم اولا فاحبوه ومن
شهد له المعبود بالمحبة كانت محبته اتم وسياتي بسط الكلام في معنى المحبة عند قوله
يحبهم ويحبونه ولو يرى الذين ظلموا قرئ بالتاء والمعنى ولو ترى يا محمد الذين ظلموا
يعني اشركوا في شدة العذاب لرايت امرا عظيما وقرئ بالياء ومعناه ولو يرى الذين
ظلموا انفسهم عند رؤية العذاب حين يقذف بهم في النار لعرفوا مضرة الكفر وان
ما اتخذوه من الاصنام لا ينفعهم اذ يرون العذاب ان القوة لله جميعا معناه لو راى
الذين كانوا يشركون في الدنيا عذاب الاخرة لعلموا حين يرون العذاب ان القوة
ثابتة لله جميعا والمعنى انهم شاهدوا من قدرة الله تعالى ما تيقنوا معه ان القوة لله
جميعا وان الامر ليس ما كانوا عليه من الشرك والجحود وان الله شديد العذاب
قوله عز وجل اذ تبرا اي تنزه وتباعد الذين اتبعوا من الذين اتبعوا وراوا العذاب

اى القادة من مشركى الانس من الاتباع وذلك يوم القيامة حين يجمع القادة والاتباع فيتبرا بعضهم من بعض عند نزول العذاب بهم وعجزهم عن دفعه عن انفسهم فكيف عن غيرهم وقيل هم الشياطين يتبراون من الانس والقول هو الاول وتقطعت بهم الاسباب يعنى الوصلات التى كانت بينهم فى الدنيا يتواصلون بها من قرابة وصداقة وقيل الاعمال التى كانت بينهم يعملونها فى الدنيا وقيل العهود والحلف التى كانت بينهم يتوادون عليها واصل السبب فى اللغة الحبل الذى يصعد به النخل وسمى كل ما يتوصل به الى الشى من ذريعة او قرابة او مودة سببا تشبيها بالحبل الذى يصعد به وقال الذين اتبعوا يعنى الاتباع لو ان لنا كرة اى رجعة الى الدنيا فنتبرا منهم اى من المتبوعين كما تبراوا منا اليوم كذلك يريهم الله اى كما اراهم العذاب يريهم الله اعمالهم حسرات عليهم لانهم ايقنوا بالهلاك والحسرة الغم على ما فاته وشدة الندم عليه لانه انحسر عنه الجهل الذى حمله على ما ارتكبه وقيل ان الله تعالى يريهم السيئات التى عملوها وارتكبوها فى الدنيا فيتحسرون لم عملوها وقيل يريهم ما تركوا من الحسنات فيندمون على تضييعها وقيل ترفع لهم منازلهم فى الجنة فيقال لهم تلك مساكنكم لو اطعتم الله ثم تقسم بين المومنين فذلك حين يتحسرون ويندمون على ما فاتهم ولا ينفعهم الندم وما هم بخارجين من النار قوله عز وجل يا ايها الناس كلوا مما فى الارض حلالا طيبا نزلت فى ثقيف وخزاعة وعامر بن صعصعة وبنى مدلج فيما حرموا على انفسهم من الحرث والانعام والبحيرة والسائبة والحام والحلال المباح الذى احله الشرع وانحلت عقدة الحظر عنه واصله من الحل الذى هو نقيض العقد والطيب ما يستلذ والمسلم لا يستطيب الا الحلال ويعاف الحرام وقيل الطيب هو الطاهر لان النجس تكرهه النفس وتعافه ولا تتبعوا خطوات الشيطان اى لا تسلكوا سبيله وقيل معناه لا تاتموا به ولا تتبعوا اثاره وزلاته والمعنى احذروا ان تتعدوا ما احل الله الى ما يدعوكم اليه الشيطان وقيل هى النذور فى المعاصى وقيل هى المحقرات من الذنوب ثم بين علة هذا التحذير بقوله انه لكم عدو مبين اى ظاهر العداوة وقد اظهر الله تعالى عداوته باباية السجود لادم ثم بين عداوته ما هى فقال انما يامركم بالسوء يعنى بالاثم والسوء ما يسوء صاحبه ويحزنه والفحشاء يعنى بها المعاصى وما قبح من قول وفعل قال ابن عباس السوء ما لا حد فيه والفحشاء ما يجب فيه الحد وقيل الفحشاء الزنا وقيل هو البخل وان تقولوا على الله ما لا تعلمون يعنى من تحريم الحرث والانعام ويتناول ذلك جميع المذاهب الفاسدة التى لم ياذن فيها الله تعالى ولم ترد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واعلم ان امر الشيطان ووسوسته عبارة عن هذه الخواطر التى يجدها الانسان فى قلبه وماهية هذه الخواطر حروف واصوات منتظمة خفية تشبه الكلام فى الخارج ثم ان فاعل هذه الخواطر هو الله تعالى وهو المحدث لها فى باطن الانسان واما الشيطان كالعرض والله هو المقدر له على ذلك وقد ورد فى الصحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم ان الشيطان يجرى من ابن ادم مجرى الدم وانما قدر على ذلك لايصال هذه الخواطر الى باطن الانسان

قوله عز وجل

قوله عز وجل واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله هذه قصة مستانفة والضمير فى لهم يعود على غير مذكور قال ابن عباس دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهود الى الاسلام فقال رافع بن خارجة ومالك بن عوف بل نتبع ما الفينا عليه اباءنا فهم كانوا خيرا منا واعلم منا فانزل الله هذه الاية وقيل ان الاية متصلة بما قبلها والضمير فى لهم يعود الى قوله تعالى ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا وهم مشركوا العرب قالوا بل نتبع ما الفينا عليه اباءنا يعنى من عبادة الاصنام وقيل بل الضمير فى لهم يعود على قوله يا ايها الناس كلوا مما فى الارض والمعنى واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله يعنى فى تحليل ما حرموا على انفسهم قالوا بل نتبع ما الفينا يعنى وجدنا عليه اباءنا من التحريم والتحليل قال الله تعالى اولو كان اباؤهم يعنى الذين يتبعونهم لا يعقلون شيئا يعنى لا يعلمون شيئا من امر الدين لفظه عام ومعناه خاص وذلك انهم يعقلون امر الدنيا ولا يهتدون اى الى الصواب ثم ضرب بهم مثلا فقال تعالى ومثل الذين كفروا كمثل الذى ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء النعيق صوت الراعى بالغنم ولا يقال نعق الا للراعى بالغنم وحدها ومعنى الاية ومثلك يا محمد ومثل الكفار فى وعظهم ودعائهم الى الله كمثل الراعى الذى ينعق بالغنم وهى لا تسمع الا صوتا فصار الداعى الى الله وهو الرسول صلى الله عليه وسلم بمنزلة الراعى وصار الكفار بمنزلة الغنم المنعوق بها ووجه المثل ان الغنم تسمع الصوت ولا تفطن للمراد وكذلك الكفار يسمعون صوت النبى صلى الله عليه وسلم ولكن لا ينتفعون به وقيل معناه ومثل الذين كفروا فى قلة عقلهم وفهمهم عن الله ورسوله كمثل المنعوق به من البهائم التى لا تفهم من الامر والنهى الا الصوت فيكون المعنى للمثل المنعوق به خارج عن الناعق وقيل معناه ومثل الذين كفروا فى دعائهم الاصنام التى لا تفقه ولا تعقل كمثل الناعق بالغنم فهو لا ينتفع من نعيقه بشى غير انه فى عناء من الدعاء والنداء فكذلك الكافر ليس له من دعائه الاصنام وعبادته لها الا العناء والبلاء والفرق بين هذا القول والقول الذى قبله ان المحذوف هنا هو المدعو وهى الاصنام وفى القول الاول المحذوف هو الداعى وهو الرسول صلى الله عليه وسلم ثم انه لما شبههم بالبهائم زاد فى تبكيتهم فقال صم لانهم اذا سمعوا الحق ودعاء الرسول لم ينتفعوا به صاروا بمنزلة الاصم الذى لا يسمع يقال لمن لم يسمع ولا يعقل كانه اصم بكم اى عن النطق بالخير عمى اى عن طريق الهدى فهم لا يعقلون قيل المراد بالعقل الكسبى لان العقل الطبيعى كان حاصلا فيهم قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم قيل ان الامر فى قوله كلوا قد يكون للوجوب كالاكل لحفظ النفس ودفع الضرر عنها وقد يكون للندب كالاكل مع الضيف وقد يكون للاباحة اذا خلا من هذه العوارض والطيب هو الحلال م عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله طيب لا يقبل الا الطيب وان الله امر المومنين بما امر به المرسلين فقال يا ايها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا وقال يا ايها الذين امنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم

ثم ذكر الرجل يطيل السفر اشعث اغبر يمد يده الى السما يا رب يا رب ومطعمه حرام ومشربه
حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام فانى يستجاب لذلك قوله اشعث اغبر هو البعيد
العهد بالدهن والغسل والنظافة وقيل الطيب المستلذ من الطعام فلعل قوما تنزهوا عن
اكل المستلذ من المطاعم فاباح الله تعالى لهم ذلك واشكروا لله يعني على نعمه ان كنتم اياه تعبدون
اي اشكروا الله الذي رزقكم هذه النعم ان كنتم تخصونه بالعبادة وتقرون انه الهكم لا غيره
وقيل ان كنتم عارفين بالله وبنعمه فاشكروه عليها قوله عز وجل انما حرم عليكم الميتة
والدم ولحم الخنزير لما امر الله تعالى في هذه الاية التي تقدمت باكل الطيبات التي هي
الحلال لا بين في هذه انواعا من المحرمات اما الميتة فكل ما فارقته روحه من غير ذكاة
مما يذبح واما الدم فهو الجاري وكانت العرب تجعل الدم في المصارين ثم تشويه وتاكله فحرم
الله الدم واما الخنزير فانه اراد لحمه جميع اجزايه وانما خص اللحم بالذكر لانه المقصود لذاته
بالذكر وما اهل به لغير الله يعني وما ذبح للاصنام والطواغيت واصل الاهلال رفع الصوت
وذلك انهم كانوا يرفعون اصواتهم بذكر الهتهم اذا ذبحوا لها فجرى ذلك من امرهم وحالهم
حتى قيل لكل ذابح وان لم يجهر بالتسمية مهل فمن اضطر يعني الى اكل الميتة واحوج اليها غير
باغ اصل البغي الفساد ولا عاد اصله من العدوان وهو الظلم ومجاوزة الحد فلا اثم عليه اي فلا
فلا اثم عليه اي فلا حرج في اكلها ان الله غفور اي لما اكله في حال الضرورة رحيم يعني حيث
رخص لعباده في ذلك **فصل** في حكم هذه الاية وفيه مسايل الاولى في حكم الميتة اجمعت
الامة على تحريم اكل الميتة وانها نجسة واستثنى الشرع منها السمك والجراد اما السمك فلقوله صلى الله
عليه وسلم في البحر هو الطهور ماوه الحل ميتته اخرجه الجماعة غير البخاري ومسلم قال الترمذي وفيه
حديث حسن صحيح واما الجراد فلما روي عن ابن ابي اوفى قال غزونا مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم سبع غزوات او ستا وكنا ناكل الجراد ونحن معه اخرجاه في الصحيحين واختلف في السمك
الطافي على الما فقال مالك والشافعي لا باس به وقال ابو حنيفة رضي الله عنهم والحسن بن
صالح بن حي انه مكروه وروي عن علي بن ابي طالب انه قال ما طفى من صيد البحر فلا تاكله
وعن ابن عباس وجابر بن عبد الله مثله وروي عن ابي بكر الصديق وابي ايوب اباحته
واختلف في الجراد فقال الشافعي وابو حنيفة لا باس باكل الجراد كله ما اخذته وما وجدته ميتا
وروي مالك انه ما وجد ميتا فلا يوكل وما اخذ حيا يذكى ذكاته مثله بان يقطع راسه او يشوى
قال غير عنه حتى يموت فلا يوكل المسلة الثانية في حكم الدم اتفق العلما على ان الدم حرام نجس
لا يوكل ولا ينتفع به قال الشافعي يحرم جميع الدما سوا كان مسفوحا او غير مسفوح وقال ابو
حنيفة دم السمك ليس بحرام قال لانه اذا يبس ابيض واستثنى الشارع من الدم الكبد
والطحال روى الدارقطني عن عبد الرحمن بن زيد بن اسلم عن ابيه عن عبد الله بن عمر ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال احل لنا من الدم دمان ومن الميتة ميتتان الحوت والجراد
ومن الدم الكبد والطحال وفي لفظ اخر احل لنا ميتتان ودمان فاما الميتتان فالجراد والحوت

واما الدمان فالطحال والكبد اخرجه ابن ماجه واحمد بن حنبل قال احمد وعلى ابن المديني عبد
الرحمن بن زيد ضعيف واخوه عبد الله بن زيد قوي ثقة وقد اخرج الدارقطني هذا
الحديث من رواية عبد الله بن زيد عن ابيه عن ابن عمر مرفوعا وضعف ابو بكر بن العربي هذا
الحديث وقال يروى عن ابن عمر ما لا يصح سنده وقال البيهقي يروى هذا الحديث عن ابن عمر
موقوفا ومرفوعا الصحيح الموقوف واختلف في تخصيص هذا العموم في الكبد والطحال فقال مالك
لا تخصيص لان الكبد والطحال لحم ويشهد لذلك العيان الذي لا يفتقر الى برهان وقال
الشافعي هما دمان ويشهد لهما الحديث فهو مخصوص من العموم المسلة الثالثة في الخنزير اجمعت
الامة على ان الخنزير بجميع اجزايه محرم وانما ذكر الله تعالى لحمه لان معظم الانتفاع متعلق به
ثم اختلفوا في نجاسته فقال جمهور العلما انه نجس وقال مالك انه طاهر وكذا كل حيوان عنده
لان علة الطهارة هي الحياة وللشافعي قولان في ولوغ الخنزير الجديد انه كالكلب والقديم
يكفي في ولوغه غسلة واحدة والفرق بينهما ان التغليظ في الكلب تعبدي لا يعقل معناه
فلا يتعدا الى غيره المسلة الرابعة في حكم قوله وما اهل به لغير الله من الناس من زعم ان
المراد بذلك ذبايح عبدة الاوثان الذين كانوا يذبحون لاصنامهم واجاز ذبيحة النصارى
اذا سمي عليها باسم المسيح وهو مذهب عطا ومكحول والحسن والشعبي وسعيد بن المسيب لعموم
قوله وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم وقال مالك والشافعي وابو حنيفة لا يحل ذلك
والحجة فيه انهم اذا ذبحوا على اسم المسيح فقد اهلوا به لغير الله فوجب التحريم وروي عن علي بن
ابي طالب انه قال اذا سمعتم اليهود والنصارى يهلون لغير الله فلا تاكلوا واذا لم تسمعوهم
فكلوا فان الله قد احل ذبايحهم وهو يعلم ما يقولون المسلة الخامسة في حكم المضطر المضطر
هو المكلف بالشي الملجي اليه المكره عليه والمراد بالمضطر في قوله فمن اضطر اي خاف التلف
حتى قيل من اضطر الى اكل الميتة فلم ياكل منها حتى مات دخل النار والمضطر على ثلاثة اقسام
اما باكراه او بجوع في مخمصة او بفقر لا يجد شيا البتة فان التحريم يرتفع مع وجود هذه
الاقسام فحكم الاستثنا في قوله فلا اثم عليه ويباح له الميتة فاما الاكراه فيبيح ذلك الى زوال
الاكراه واما المخمصة فلا يخلو ان تكون دايمة فلا خلاف في جواز الشبع منها وان كانت
نادرة فاختلف العلما فيه وللشافعي قولان احدهما انه ياكل ما يسد به الرمق وبه قال
ابو حنيفة والثاني ياكل قدر الشبع وبه قال مالك المسلة السادسة في قوله غير باغ ولا عاد
قال ابن عباس رضي الله عنهما يعني غير باغ غير خارج على السلطان ولا عاد اي معتد بان عصى
بسفره ان ياكل من الميتة اذا اضطر اليها ولا يترخص برخص المسافرين حتى يتوب
وبه قال الشافعي لان اباحة الميتة له اعانة على فساده وذهب قوم الى ان البغي والعدوان
يرجعان الى الاكل وبه قال ابو حنيفة واباح اكل الميتة للمضطر وان كان عاصيا وقيل
في معنى قوله غير باغ غير طالب الميتة وهو يجد غيرها ولا عاد غير متعد ما حل له وقيل
غير مستحل لها ولا متزود منها والله اعلم قوله عز وجل ان الذين يكتمون ما انزل الله

من الكتاب نزلت في روسا اليهود وعلمائهم وذلك انهم كانوا يصيبون من سفلتهم الهدايا والماكل
وكانوا يرجون ان يكون النبي المبعوث منهم فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم وهو من غيرهم خافوا
على ذهاب ماكلهم وزوال رياستهم فعمدوا الى صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فكتموها فانزل
الله ان الذين يكتمون ما انزل الله من الكتاب اى في الكتاب من صفة رسول الله صلى الله عليه
وسلم ونعته ووقت نبوته هذا قول المفسرين قال الامام فخر الدين الرازي وعند المتكلمين
هذا ممتنع لان التوراة والانجيل قد بلغا من الشهرة والتواتر الى حيث تعذر ذلك بل كانوا
يكتمون التاويل لانه قد كان منهم من يعرف الايات الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فكانوا
يذكرون لها تاويلا باطلة ويصرفونها على محاملها الصحيحة الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم
فهذا هو المراد بالكتمان فيصير المعنى ان الذين يكتمون معاني ما انزل الله من الكتاب ويشترون به
اى بالكتمان وقيل يعود الضمير الى ما انزل الله من الكتاب ثمنا قليلا اى عوضا يسيرا وهي الماكل
التي كانوا ياخذونها من سفلتهم اولئك ما ياكلون في بطونهم الا النار يعني ما يوديهم الى
النار وهو الرشا والحرام فلما كان يفضي بهم الى النار فكانهم اكلوها ولا يكلمهم الله يوم القيامة
اى كلام رحمة وما يسرهم بل يكلمهم بالتوبيخ وهو قوله اخسئوا فيها وقيل اراد به الغضب
يقال فلان لا يكلم فلانا اذا غضب عليه ولا يزكيهم اى ولا يطهرهم من دنس الذنوب ولهم عذاب
اليم اى وجيع يصل المه الى قلوبهم اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة
معناه انهم اختاروا الضلالة على الهدى واختاروا العذاب على المغفرة لانهم كانوا عالمين
بالحق ولكن كتموه واخفوه وكان في اظهاره الهدى والمغفرة وفي كتمانه الضلالة والعذاب
فلما اقدموا على اخفا الحق وكتمانه كانوا بايعين الهدى بالضلالة والمغفرة بالعذاب
فما اصبرهم على النار اى ما الذي صبرهم واي شي جسرهم على النار حتى تركوا الحق واتبعوا
الباطل فهو استفهام بمعنى التوبيخ وقيل انه بمعنى التعجب من حالهم في التباسهم بموجبات
النار من غير مبالاة منهم فلما اقدموا على ما يوجب النار مع علمهم بذلك صاروا كالراضين
بالعذاب والصابرين عليه تعجب من حالهم بقوله فما اصبرهم على النار ذلك بان الله
نزل الكتاب يعني ذلك العذاب بسبب ان الله نزل الكتاب بالحق فكفروا به وانكروه وقيل
معناه فعلنا بهم ذلك لان الله نزل الكتاب بالحق فحرفوه فعلى هذا يكون المراد بالكتاب
التورية وان الذين اختلفوا في الكتاب يعني اختلفوا في معانيه وتاويله فحرفوها وبدلوها
وقيل امنوا ببعض وكفروا ببعض لفي شقاق اى خلاف ومنازعة بعيد يعني عن الحق
قوله عز وجل ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب هذا خطاب لاهل الكتاب
لان النصارى تصلي قبل المشرق واليهود قبل المغرب الى بيت المقدس وزعم كل
طايفة منهم ان البر في ذلك فاخبر الله تعالى ان البر ليس فيما زعموا ولكن فيما بينه
في هذه الاية قال ابن عباس رضي الله عنه هو خطاب للمومنين وذلك ان الرجل
كان في ابتدا الاسلام اذا اتى بالشهادتين وصلى الى اى جهة كانت ثم مات على ذلك

وجبت له الجنة فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزلت الفرايض وصرفت القبلة
الى الكعبة انزل الله هذه الاية فقال تعالى ليس البر ان تولوا وجوهكم اى في صلاتكم قبل
المشرق والمغرب ولا تعملوا ذلك ولكن البر يعني ما بينه لكم والبر اسم جامع لكل الطاعات
واعمال الخير المقربة الى الله الموجبة للثواب والمودية الى الجنة ثم بين فقال من البر
فقال من امن بالله اى ولكن البر بر من امن بالله والمراد بالبر هنا الايمان بالله والتقوى
من الله واليوم الاخر وانما ذكر الايمان باليوم الاخر لان عبدة الاوثان كانوا ينكرون
البعث بعد الموت والملايكة اى ومن البر الايمان بالملايكة كلهم لان اليهود قالوا
ان جبريل عدونا والكتاب قيل اراد به القران وقيل جميع الكتب المنزلة لسياق ما بعده
وهو قوله والنبيين يعني اجمع وانما خص الايمان بهذه الامور الخمسة لانه يدخل تحت
واحد منها اشيا كثيرة يلزم المومن ان يصدق بها واتى المال على حبه يعني من اعمال البر
ايتا المال على حبه قيل ان الضمير راجع الى المال فالتقدير على هذا واتى المال على حب
المال ق عن ابي هريرة رضي الله عنه قال جا رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول
الله اى الصدقة اعظم اجرا قال ان تصدق وانت صحيح شحيح تخشى الفقر وتامل الغنا ولا تمهل
حتى اذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا وقد كان لفلان كذا قوله حتى اذا
بلغت الحلقوم يعني الروح وان لم يتقدم لها ذكر وقوله لفلان كذا هو كناية عن الموصى له
وقوله وقد كان لفلان كذا كناية عن الوارث وقيل الضمير في حبه راجع الى الله تعالى
اى واتى المال على حب الله وطلب مرضاته ذوي القربى يعني اهل قرابة المعطي وانما
قدمهم لانهم احق بالاعطا عن سلمان بن عامر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الصدقة
على المسكين صدقة وعلى ذي الرحم ثنتان صدقة وصلة اخرجه النسائي ق عن ام ميمونة
رضي الله عنها اعتقت وليدة ولم تستاذن النبي صلى الله عليه وسلم فلما كان يومها الذي يدور
عليها قالت اشعرت يا رسول الله اني اعتقت وليدتي قال او فعلت قالت نعم قال اما
انك لو اعطيتها اخوالك كان اعظم لاجرك الوليدة الجارية واليتامى اليتيم الذي لا اب
له مع الصغر وقيل يقع على الصغير والبالغ اى واتى الفقرا من اليتامى والمساكين جمع مسكين
سمي بذلك لانه دايم السكون الى الناس لانه لا شي له وابن السبيل يعني المسافر المنقطع عن
اهله سمي المسافر ابن السبيل لملازمته الطريق وقيل هو الضيف ينزل بالرجل لانه انما وصل
اليه من السبيل وهو الطريق والاول اشبه لان ابن السبيل اسم جامع للمسافر والسايلين
يعني الطالبين المستطعمين عن علي بن ابي طالب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
للسايل حق ولو جا على فرس اخرجه ابو داود عن زيد بن اسلم ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال اعطوا السايل ولو جا على فرس اخرجه مالك في الموطا عن ام بجيد قالت قلت
يا رسول الله ان المسكين ليقوم على بابي فلم اجد شيا اعطيه اياه قال ان لم تجدي الا ظلفا
محرقا فادفعيه اليه في يده اخرجه ابو داود والترمذي وقال حديث حسن صحيح وفي رواية

مالك في الموطا عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ردوا المسكين ولو بظلف محرق
قوله ردوا المسكين لم يرد به رد الحرمان وانما اراد به ردوه بشيء يعطوه اياه ولو كان ظلفا
وهو خف الشاة في كونه محرقا مبالغة في قلة ما يعطى وفي الرقاب يعني المكاتبين
وقيل هو فك النسمة وعتق الرقبة وفدا الاسارى واقام الصلاة يعني المفروضة
في اوقاتها واتى الزكاة يعني الواجبة والموفون بعهدهم يعني ما اخذه الله من العهود
على عباده بالقيام بحدوده والعمل بطاعته وقيل اراد بالعهد ما يجعله الانسان
على نفسه ابتداء من نذر وغيره وقيل العهد الذي كان بينه وبين الناس مثل الوفا
بالمواعيد واداء الامانات اذا عاهدوا يعني اذا وعدوا انجزوا واذا نذروا اوفوا واذا
حلفوا بروا في ايمانهم واذا قالوا صدقوا في اقوالهم واذا ائتمنوا ادوا والصابرين
في البأساء اي في الشدة والفقر والفاقة والضراء يعني المرض والزمانة وحين البأس
يعني القتال والحرب في سبيل الله تعالى وسمي الحرب باسا لما فيه من الشدة عن البرا
قال كنا اذا احمر الناس نتقي به وان الشجاع منا الذي يحاذي به يعني النبي صلى الله عليه وسلم
قوله احمر الناس اي اشتد الحرب ونتقي به نجعله وقاية لنا من العدو اولئك الذين
صدقوا اي اهل هذه الاوصاف هم الذين صدقوا في ايمانهم واولئك هم المتقون قوله
عز وجل يا ايها الذين امنوا كتب عليكم القصاص في القتلى نزلت في حيين من
احيا العرب اقتتلوا في الجاهلية بسبب قتيل وكان بينهم قتلى وحروب وجراحات
كثيرة ولم ياخذ بعضهم من بعض حتى جا الاسلام وقيل نزلت في الاوس والخزرج
وكان لاحد الحيين طول على الاخر في الكثرة والشرف وكانوا ينكحون نساءهم
بغير مهر واقسموا ليقتلن بالعبد منا الحر منهم وبالمراة منا الرجل منهم وبالرجل منا الرجلين
منهم وجعلوا جراحاتهم ضعف جراحات اولئك فرفعوا امرهم الى النبي صلى الله عليه وسلم
فانزل الله هذه الاية وامره بالمساواة فرضوا وسلموا وقيل نزلت هذه الاية لازالة
الاحكام التي كانت قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم وذلك ان اليهود كانوا
يوجبون القتل فقط لا العفو والنصارى كانوا يوجبون العفو لا القتل والعرب
في الجاهلية كانوا يوجبون القتل تارة ويوجبون اخذ الدية تارة وكانوا يتعدون
في الحكمين فان وقع القتل على شريف قتلوا به عددا وياخذون دية الشريف
اضعاف دية الخسيس فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم اوجب رعاية
العدل وسوى بين عباده في حكم القصاص فانزل الله تعالى يا ايها الذين امنوا
كتب اي فرض عليكم القصاص في القتلى فان قلت كيف يكون القصاص
فرضا والولي مخير فيه بين العفو والقصاص واخذ الدية قلت ان القصاص
فرض على القاتل للولي وقيل اذا اردتم القصاص فقد فرض عليكم في القصاص
المساواة والمماثلة في القتل والدية والجراح من قص الاثر اذا اتبعه فالمفعول

يتبع ما

يتبع ما فعل به فيفعل مثل ذلك فلو قتل رجل رجلا بعصا او خنقه او شدخ راسه بحجر
فمات فيقتل القاتل بمثل الذي قتل به وهو قول مالك والشافعي واحد الروايتين عن احمد
وقيل يقتل بالسيف وهو قول ابي حنيفة والرواية عن احمد الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى
بالانثى ومعناه اذا تكافأ الدمان من الاحرار المسلمين او الاحرار من المعاهدين
او العبيد منهم فيقتل كل صنف اذا قتل بمثله الذكر بالذكر والانثى بالانثى وبالذكر
ولا يقتل مومن بكافر ولا حر بعبد ولا والد بولد ويقتل الذمي بالمسلم والعبد بالحر والولد
بالوالد هذا مذهب مالك والشافعي واحمد ويدل عليه ما روى البخاري في صحيحه
عن ابي جحيفة قال سالت عليا هل عندكم من النبي صلى الله عليه وسلم شي سوى القران
وما في هذه الصحيفة قلت وما في الصحيفة قال العقل وفكاك الاسير وان لا يقتل مومن
بكافر وقد اخرج مسلم عن علي نحو هذا من غير رواية ابي جحيفة العقل هنا هو الدية والعاقلة
الجماعة من اوليا القاتل الذين يعقلون عن ابن عباس رضي الله عنهما قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا تقام الحدود في المساجد ولا يقتل الوالد بالولد
اخرجه الترمذي وذهب اصحاب الراي الى ان المسلم يقتل بالذمي والحر بالعبد وهذه الاية
مع الاحاديث حجة لمذهب الشافعي ومن وافقه ويقولون هي مفسرة لما ابهم في قوله
النفس بالنفس وان تلك واردة لحكاية ما كتب على بني اسرائيل في التوراة وهذه الاية
خطاب للمسلمين بما كتب عليهم وذهب اصحاب الراي ان هذه منسوخة بقوله النفس بالنفس
وتقتل الجماعة بالواحد ويدل عليه ما روى البخاري في صحيحه عن ابن عمر ان غلاما قتل
غيلة فقال عمر لو اشترك فيها اهل صنعا لقتلتهم قال البخاري وقال مغيرة بن حكيم عن ابيه
ان اربعة قتلوا صبيا فقال عمر مثله وروى مالك في الموطا عن ابن المسيب ان عمر
قتل نفرا خمسة او سبعة برجل واحد قتلوه غيلة وقال لو تمالا عليه اهل صنعا لقتلتهم
جميعا الغيلة ان يقتل الرجل خديعة ومكرا من غير ان يعلم ما يراد به وقوله لو تمالا
اي تعاونوا واجتمعوا عليه وقوله تعالى فمن عفي له من اخيه شي اي ترك له وصفح
عنه من الواجب عليه وهو القصاص في قتل العمد ورضي بالدية والعفو عنها قبول
الدية في قتل العمد من اخيه اي من دم اخيه والمراد بالاخ ولي المقتول وانما قيل
له اخ لانه لابس من قبل انه ولي الدم والمطالب به وقيل انما ذكره بلفظ الاخوة
ليعطف احدهما على صاحبه بما هو ثابت بينهما من الجنسية واخوة الاسلام وفي قوله
شي دليل على ان بعض الاوليا اذا عفى سقط القود وثبت الدية لان شيا من
الدم قد بطل فاتباع بالمعروف اي فليتبع الولي القاتل بالمعروف فلا ياخذ اكثر من
حقه ولا يعنفه واداء اليه باحسان اي على القاتل اداء الدية الى ولي الدم من غير مماطلة
امر كل واحد منهما باحسان فيما له وعليه وقيل في تقدير الاية واذا عفى ولي الدم عن
شي يتعلق بالقاتل وهو وجوب القصاص فليتبع القاتل ذلك العفو وليود ما وجب

عليه من الدية الى ولي الدم باحسان من غير مطل ولا مدافعة وفي الاية دليل على ان القاتل لا يصير كافرا
وان الفاسق مومن ووجه ذلك من وجوه الاول ان الله تعالى خاطبه بعد القتل بالايمان وسماه
مومنا بقوله يا ايها الذين امنوا كتب عليكم القصاص فسماه مومنا حال ما وجب عليه القصاص
وانما وجب عليه بعد صدور القتل منه وقتل العمد والعدوان من الكباير بالاجماع فدل على ان
صاحب الكبيرة مومن الوجه الثاني انه تعالى اثبت الاخوة بين القاتل وولي الدم بقوله فمن
عفي له من اخيه شيء واراد بالاخوة اخوة الاسلام فلولا ان الايمان باق على القاتل لم يثبت
له الاخوة الوجه الثالث انه تعالى ندب الى العفو عن القاتل والعفو لا يليق الا عن المومن لا عن
الكافر وقوله تعالى ذلك تخفيف من ربكم ورحمة يعني الذي ذكر من الحكم بشرع القصاص والعفو
عن القصاص واخذ الدية تخفيف من ربكم يعني في حقكم ورحمة وذلك لان العفو واخذ الدية
كان حراما على اليهود وكان القصاص حتما في التورية وكان في شرع النصارى اخذ الدية فخير الله هذه الامة
بين القصاص او العفو واخذ الدية توسعة عليهم وتيسيرا وتفضيلا لهم على غيرهم فمن اعتدى بعد
ذلك يعني بعد هذا التخفيف فقتل الجاني بعد العفو واخذ الدية فله عذاب اليم وهو ان يقتل
قصاصا ولا يقبل منه دية ولا يعفى عنه وقيل المراد بالعذاب الاليم عذاب الاخرة قوله عز وجل ولكم
في القصاص حياة اي بقاء وذلك ان القاصد للقتل اذا علم انه اذا قتل قتل ترك القتل وامتنع عنه
فيكون فيه بقاوه وبقاء من هم بقتله وقيل ان نفس القصاص سبب للحياة وذلك ان القاتل
اذا اقتص منه ارتدع غيره ممن كان يهم بالقتل واعلم ان هذا الحكم ليس مختصا بالقصاص الذي
هو القتل بل يدخل فيه جميع الجوارح والشجاج وغير ذلك وذلك ان الجارح اذا علم انه اذا جرح
جرح لم يجرح فيصير ذلك سببا لبقاء الجارح والمجروح وربما افضت الجراحة الى الموت فيقتص من
الجارح وقيل في معنى الاية ان الحياة سلامته من قصاص الاخرة فانه اذا اقتص منه في الدنيا لم
يقتص منه في الاخرة وفي ذلك حياة واذا لم يقتص منه في الدنيا اقتص منه في الاخرة يا اولي
الالباب اي يا ذوي العقول الذين يعرفون الصواب لان القاتل لا يريد ان يقتل نفسه بل اراد قتل
غيره لعلكم تتقون يعني لعلكم تنتهون عن القتل خوف القصاص قوله عز وجل كتب اي فرض
واوجب عليكم اذا حضر احدكم الموت اي قرب ودنا منه وظهرت اثاره عليه من العلل والامراض
المخوفة وليس المراد منه معاينة الموت لان في ذلك الوقت يعجز عن الايصاء ان ترك خيرا
يعني مالا وقيل يطلق على القليل والكثير وهو قول الزهري فتجب الوصية في الكل وقيل ان
لفظة الخير لا تطلق الا على المال الكثير وهو قول الاكثرين واختلفوا في مقدار الكثير الذي
تقع فيه الوصية فقيل الف درهم فما زاد عليها وقيل سبعمائة فما فوقها وقيل ستون دينارا
فما فوقها وقيل انه من خمسمائة الى الف وقيل انه المال الكثير الفاضل عن العيال وروي
ان رجلا قال لعائشة اني اريد ان اوصي قالت كم مالك قال ثلاثة الاف درهم قالت
كم عيالك قال اربعة قالت انما قال الله ان ترك خيرا وهذا شيء يسير فاتركه لعيالك الوصية
اي الايصاء والوصية التقدم الى الغير بما يعمل به وقيل هو القول المبين لما يستانف من العمل

والقيام به

والقيام به بعد الموت للوالدين والاقربين كانت الوصية في اول الاسلام فريضة في الوالدين
والاقربين على من مات وله مال وسبب ذلك ان اهل الجاهلية كانوا يوصون للابعدين
طلبا للفخر والشرف والريا ويتركون الاقربين فقراء فاوجب الله الوصية للاقربين ثم
نسخت هذه الاية باية المواريث وبما روي عن عمرو بن خارجة قال كنت اخذا بزمام ناقة
النبي صلى الله عليه وسلم وهو يخطب فسمعته يقول ان الله اعطى كل ذي حق حقه فلا وصية
لوارث اخرجه النسائي والترمذي بنحوه وذهب ابن عباس رضي الله عنهما الى ان وجوبها
صار منسوخا في حق من يرث وبقي وجوبها في حق من لا يرث من الوالدين وهو قول
الحسن ومسروق وطاوس والضحاك ومسلم بن يسار وحجة هولاء ان الاية دالة على
وجوب الوصية للوالدين والاقربين ثم نسخ ذلك الوجوب في حق من يرث باية
الميراث او بالحديث المتقدم فوجب ان تبقى الاية دالة على وجوب الوصية للقريب الذي
لا يرث فعلى قول هولاء النسخ يتناول بعض احكام الاية وذهب الاكثرون من المفسرين
والعلماء وفقهاء الحجاز والعراق الى ان وجوبها صار منسوخا في حق الكافة وهي مستحبة في
حق من لا يرث ويدل على استحباب الوصية والحث عليها ما روي عن ابن عمر ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال ما حق امرئ مسلم له شيء يوصي فيه وفي رواية له شيء يريد
ان يوصي به ان يبيت ليلتين وفي رواية ثلاث ليال الا ووصيته مكتوبة عنده
قال نافع سمعت عبد الله بن عمر يقول مرت علي ليلة منذ سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول ذلك الا ووصيتي مكتوبة عندي اخرجه الجماعة قوله ما حق امرئ الحق يشتمل
معناه على الوجوب والندب والحث فيحمل هنا على الحث في الوصية لانه لا يدري متى ياتيه
الموت فربما اتاه بغتة فيمنعه عن الوصية وقوله تعالى بالمعروف اي بالعدل الذي لا
وكس فيه ولا شطط فلا يزيد على الثلث ولا يوصي للغني ويدع الفقير ق عن سعد بن ابي
وقاص قال جاءني رسول الله صلى الله عليه وسلم يعودني عام حجة الوداع من وجع اشتد
بي فقلت يا رسول الله قد بلغ بي من الوجع ما ترى وانا ذو مال ولا يرثني الا ابنة لي
افاتصدق بثلثي مالي قال لا قلت فالشطر يا رسول الله قال لا قلت فالثلث قال
الثلث والثلث كثير او قال والثلث كثير انك ان تذر ورثتك اغنياء خير من ان
تذرهم عالة يتكففون الناس العالة الفقراء وقوله يتكففون الناس التكفف المسئلة
من الناس كافة من الطلب بالاكف ق عن ابن عباس رضي الله عنهما قال في الوصية
لو ان الناس غضوا من الثلث الى الربع فان النبي صلى الله عليه وسلم قال لسعد الثلث
كثير وقال علي بن ابي طالب كرم الله وجهه لان اوصي بالخمس احب الي ان اوصي بالربع
وان اوصي بالربع احب الي من ان اوصي بالثلث فمن اوصي بالثلث فلم يترك وقيل
يوصي بالسدس او الخمس او الربع حقا اي ثابتا ثبوت ندب لا ثبوت فرض ووجوب
على المتقين اي على المومنين الذين يتقون الشرك فمن بدله اي غير الوصية من الاوليا

والاوصيا وذلك التغيير يكون اما في الكتابة او في قسمة الحقوق او الشهود بان يكتموا
الشهادة او يغيروها وانما ذكر الكتابة في بدله مع ان الوصية مؤنثة لان الوصية بمعنى
الايصا كقوله فمن جاءه موعظة اي وعظ والتقدير فمن بدل قول الميت او ما اوصى
به بعد ما سمعه اي من الموصي وتحققه فانما اثمه على الذين يبدلونه اي ان اثم
ذلك التبديل لا يعود الا على المبدل والوصي والموصى له بريان منه ان الله سميع
يعني لما اوصى به الموصي عليم يعني بتبديل المبدل فمن اي علم وهو خطاب عام لجميع
المومنين من موص جنفا يعني جورا في الوصية وعدولا عن الحق والجنف الميل خاف ح
او اثما فاصلح بينهم اي ظلما وقيل الجنف الخطا في الوصية والاثم العمد وقيل في
معنى الاية انه اذا حضر رجل مريضا وهو يوصي فراه يميل اما بتقصير او اسراف
او وضع وصيته في غير موضعها فلا حرج عليه ان يامره بالعدل في وصيته و
ينهاه عن الجنف والميل وقيل اراد به اذا اخطا الميت في وصيته او خاف
متعمدا فلا حرج على وليه او وصيه او ولي امور المسلمين ان يصلح بعد موته بين
ورثته وبين الموصى لهم ويرد الوصية الى العدل والحق فلا اثم عليه اي فلا حرج
عليه في الصلح ان الله غفور رحيم اي لمن اصلح وصيته بعد الجنف والميل عن
ابي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الرجل والمراة
ليعمل بطاعة الله ستين سنة ثم يحضرهما الموت فيضاران في الوصية فتجب
لهما النار ثم قرا ابو هريرة من بعد وصية يوصى بها او دين الى قوله ذلك الفوز
العظيم اخرجه ابو داود والترمذي قوله فيضاران المضارة ايصال الضرر الى
شخص ومعنى المضارة في الوصية ان لا تمضى او ينقص بعضها او يوصي لغير اهلها
او يحيف في الوصية ونحو ذلك قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا كتب اي فرض
عليكم الصيام والصوم في اللغة الامساك يقال صام النهار اذا اعتدل وقام
قايم الظهيرة ومنه قوله تعالى اني نذرت للرحمن صوما اي صمتا لانه امساك
عن الكلام والصوم في الشرع عبارة عن الامساك عن الاكل والشرب والجماع
في وقت مخصوص وهو من طلوع الفجر الى غروب الشمس مع النية كما كتب
على الذين من قبلكم يعني الانبيا والامم من لدن ادم الى عهدكم والمعنى ان
الصوم عبادة قديمة اي في الزمن الاول ما اخلى الله امة لم يفرضه عليهم
كما فرضه عليكم وذلك لان الصوم عبادة شاقة والشي الشاق اذا عم سهل
عمله وقيل ان صيام شهر رمضان كان واجبا على النصارى كما فرض علينا فصاموا
رمضان زمانا فربما وقع الحر الشديد والبرد الشديد وكان يشق ذلك عليهم في اسفارهم
ويضرهم في معايشهم فاجتمع راي علمايهم ورؤسايهم ان يجعلوه في فصل من السنة
معتدل بين الصيف والشتا فجعلوه في فصل الربيع ثم زادوا فيه عشرة ايام كفارة

لما صنعوا

لما صنعوا وصاموا اربعين يوما ثم بعد زمان اشتكى ملكهم فنذر لله عليه ان برى من
وجعه ان يزيد في صومهم اسبوعا فبرا فزاد فيه اسبوعا ثم مات ذلك الملك بعد زمان
ووليهم ملك اخر فقال ما شان هذه الثلاثة ايام اتموها خمسين يوما فاتموها وقيل اصابهم
موتان فقالوا زيدوا في صيامكم فزادوا عشرا قبله وعشرا بعده وقيل ان النصارى
فرض الله عليهم صوم رمضان فصاموا قبله يوما وبعده يوما ثم لم يزالوا يزيدونه يوما
بعد يوم حتى بلغ خمسين فلذلك نهي عن صوم يوم الشك لعلكم تتقون يعني ما حرم
عليكم في صيامكم لان الصوم وصلة الى التقوى لما فيه من كسر النفس وترك الشهوات
من الاكل والجماع وغيرهما وقيل معناه لعلكم تتقون ما فعله النصارى من تغيير الصوم
وقيل لعلكم تنتظمون في زمرة المتقين لان الصوم من شعارهم اياما معدودات اي
مقدرات وقيل قليلات قيل انه كان في ابتدا الاسلام صوم ثلاثة ايام من كل شهر واجبا
وصوم يوم عاشورا ثم نسخ ذلك بفريضة صوم شهر رمضان قال ابن عباس رضي الله
عنهما اول ما نسخ بعد الهجرة امر القبلة ثم الصوم (ف) عن عائشة قالت كان يوم عاشورا
تصومه قريش في الجاهلية وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصومه في الجاهلية فلما
قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة صامه وامر بصيامه فلما فرض رمضان
ترك عاشورا فمن شا صامه ومن شا تركه وقيل ان المراد من قوله اياما معدودات
ايام شهر رمضان ووجهه ان الله تعالى قال اولا كتب عليكم الصيام وهذا يحتمل صوم يوم او
يومين ثم بينه بقوله معدودات على انه اكثر من ذلك لكنها غير محصورة بعدد ثم بين حصرها
بقوله شهر رمضان فاذا امكن ذلك فلا وجه لحمل الايام المعدودات على غير رمضان فتكون
الاية غير منسوخة يقال ان فريضة رمضان نزلت في السنة الثانية وذلك قبل غزوة
بدر بيوم الجمعة لسبع عشرة خلت من رمضان على راس ثمانية عشر شهرا من الهجرة فمن كان
منكم مريضا او على سفر فافطر فعليه عدة من ايام اخر يعني غير ايام مرضه وسفره وعلى
الذين يطيقونه اي يطيقون الصوم واختلف العلما في هذه الاية فذهب اكثرهم
الى انها منسوخة وهو قول عمر بن الخطاب وسلمة بن الاكوع وغيرهما وذلك انهم
كانوا في ابتدا الاسلام مخيرين بين ان يصوموا ويفدوا وانما خيرهم الله تعالى لئلا يشق
عليهم لانهم كانوا لم يتعودوا الصوم ثم نسخ التخيير ونزلت العزيمة بقوله تعالى فمن شهد منكم
الشهر فليصمه فصارت هذه الاية ناسخة للتخيير عن سلمة بن الاكوع قال لما نزلت
هذه الاية وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين كان من اراد ان يفطر ويفتدي
حتى نزلت هذه الاية التي بعدها فنسختها وفي رواية حتى نزلت هذه الاية فمن شهد
منكم الشهر فليصمه وقال قتادة هي خاصة في حق الشيخ الكبير الذي يطيق الصوم ولكن
يشق عليه رخص له ان يفطر ويفتدي ثم نسخ ذلك وقال الحسن هذا في المريض الذي
يقع عليه اسم المرض وهو لا يستطيع الصوم خير بين الصيام وبين ان يفطر ويفدي ثم نسخ

ودذهب جماعة منهم ابن عباس الى ان الاية محكمة غير منسوخة ومعناها وعلى الذين كانوا
يطيقونه في حال الشباب ثم عجزوا عنه عند الكبر فعليهم الفدية بدل الصوم وقرا ابن عباس
وعلى الذين يطوقونه بضم اليا وفتح الطا وبالواو المشددة المفتوحة عوض اليا ومعناه
يكلفون الصوم خ عن عطا بن انه سمع ابن عباس يقرا وعلى الذين يطوقونه فدية
طعام مسكين قال ابن عباس ليست بمنسوخة فهو الشيخ الكبير والمراة الكبيرة لا يستطيعان
ان يصوما فيطعمان مكان كل يوم مسكينا فدية طعام مسكين الفدية الجزا وهو القدر
الذي يبذله الانسان يقي به نفسه من تقصير وقع منه في عبادة ونحوها ويجب على
من افطر في رمضان ولم يقدر على القضا ان يطعم مكان كل يوم مسكينا مدا من غالب
قوت البلد وهذا قول فقها الحجاز وقال بعض فقها العراق عليه لكل مسكين نصف صاع
عن كل يوم وقال بعضهم نصف صاع من البر وصاع من غيره وقال ابن عباس يعطي
كل مسكين عشاه وسحوره فمن تطوع خيرا فهو خير له يعني زاد على مسكين واحد فاطعم
عن كل يوم مسكينين فاكثر وقيل من زاد على قدر الواجب عليه فاطعم صاعا وعليه
مد المد نصف صاع فهو خير له وان تصوموا خير لكم قيل هو خطاب مع الذين يطيقونه
فيكون المعنى وان تصوموا ايها المطيقون وتحملوا المشقة فهو خير لكم من الافطار
والفدية وقيل هو خطاب مع الكافة لان اللفظ عام فرجوعه الى الكل اولى ان كنتم
تعلمون يعني ان الصوم خير لكم وقيل معناه اذا صمتم علمتم ما في الصوم من المعاني
المورثة للخير والتقوى واعلم انه لا رخصة لاحد من المسلمين المكلفين في افطار رمضان
بغير عذر والاعذار المبيحة للفطر ثمانية احدها السفر والمرض والحيض والنفاس فهولا
اذا افطروا فعليهم القضا دون الكفارة واليه ذهب الشافعي وذهب اهل الراي الى
انها لا فدية عليهما الثالث الشيخ الكبير والعجوزة الكبيرة والمريض الذي لا يرجى بروه
فعليهم الكفارة دون القضا قوله عز وجل شهر رمضان يعني وقت صيامكم شهر رمضان
سمي الشهر شهرا لشهرته يقال للسر اذا اظهر شهره وسمي الهلال شهرا لشهرته وبيانه وقيل
سمي الشهر شهرا باسم الهلال واما رمضان فاشتقاقه من الرمضا وهي الحجارة المحماة في
الشمس وقيل انهم لما نقلوا اسما الشهور عن اللغة القديمة سموها بالازمنة التي
وقعت فيها فوافق هذا الشهر ايام رمض الحر فسموه به وقيل ان رمضان اسم من
اسما الله تعالى فيكون معناه شهر الله والاصح ان رمضان اسم لهذا الشهر كشهر رجب
وشهر شعبان وشهر رمضان الذي انزل فيه القران لما خص الله شهر رمضان بهذه العبادة
العظيمة بين سبب تخصيصه بانزال اعظم كتبه فيه فالقران اسم لهذا الكتاب المنزل على
رسول الله صلى الله عليه وسلم روي عن الشافعي انه كان يقول القران اسم وليس بمهموز
وليس هو من القراة ولكنه اسم لهذا الكتاب كالتوراة والانجيل فعلى هذا القول انه ليس
بمشتق وذهب الاكثرون الى انه مشتق من القرء وهو الجمع فسمي قرانا لانه يجمع السور والايات

بعضها

بعضها الى البعض ويجمع الاحكام والقصص والامثال والايات الدالة على وحدانية الله تعالى
قال ابن عباس انزل القران جملة واحدة من اللوح المحفوظ في ليلة القدر من شهر
رمضان فوضع في بيت العزة في سما الدنيا ثم نزل به جبريل عليه السلام على محمد صلى الله عليه
وسلم نجوما في ثلاث وعشرين سنة فذلك قوله فلا اقسم بمواقع النجوم وروى ابو داود
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال نزلت صحف ابراهيم في ثلاث ليال مضين من رمضان
وفي رواية في اول ليلة من رمضان وانزلت توراة موسى في ست ليال مضين من
رمضان وانزل الانجيل عيسى في ثلاث عشرة ليلة مضت من رمضان وانزل زبور داود
في ثمان عشرة ليلة مضت من رمضان وانزل الفرقان على محمد صلى الله عليه وسلم
في الرابعة والعشرين لست بقين بعدها فعلى هذا يكون ابتدا نزول القران على محمد
صلى الله عليه وسلم في شهر رمضان وهو قول ابن اسحاق وابي سليمان الدمشقي وقيل
في معنى الاية شهر رمضان الذي نزل بفرض صيامه القران كما تقول نزلت في
هذه الليلة في الصلاة والزكاة ونحو ذلك من الفرايض يروى ذلك عن مجاهد و
الضحاك وهو اختيار الحسين بن الفضل هدى للناس يعني من الضلال وبينات من
الهدى والفرقان فان قلت هذا فيه اشكال وهو انه يقال ما معنى قوله وبينات
من الهدى بعد قوله هدى للناس قلت انه تعالى ذكر اولا انه هدى للناس ثم الهدى
على قسمين تارة يكون هديا جليا وتارة لا يكون كذلك فكانه قال هو هدى في نفسه
ثم قال هو المبين من الهدى الفارق بين الحق والباطل وقيل ان القران هدى في نفسه
فكانه قال ان القران هدى للناس على الاجمال وبينات من الهدى والفرقان على التفصيل
لان البينات هي الدلالات الواضحات التي تبين الحلال والحرام والحدود والاحكام ومعنى الفرقان
الفارق بين الحق والباطل قوله عز وجل فمن شهد منكم الشهر فليصمه اي فمن كان حاضرا
مقيما غير مسافر فادركه الشهر فليصمه والشهود الحضور وقيل هو محمول على العادة بمشاهدة
الشهر وهي روية الهلال ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم صوموا لرويته وافطروا لرويته
اخرجاه في الصحيحين ولا خلاف انه يصوم رمضان من راى الهلال ومن اخبر به واختلف
العلما في وجه الخبر عنه فمنهم من قال يجري فيه خبر الواحد قاله ابو ثور ومنهم من اجراه مجرى
الشهادة في ساير الحقوق قاله مالك ومنهم من اجرى اوله مجرى الاخبار فقبل فيه خبر الواحد
واجرى اخره مجرى الشهادة فلا يقبل في اخره اقل من اثنين قاله الشافعي وهذا للاحتياط
في امر العبادة لدخولها وخروجها ومن كان مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر انما
كرره لان الله تعالى ذكر في الاية الاولى تخيير المريض والمسافر والمقيم الصحيح ثم نسخ تخيير المقيم
الصحيح بقوله فمن شهد منكم الشهر فليصمه فلو اقتصر على هذا لاحتمل انه يشمل النسخ جميع
فاعاد بعد ذكر الناسخ الرخصة للمريض والمسافر ليعلم ان الحكم باق على ما كان عليه
فصل في حكم الاية وفيه مسايل الاولى اختلفوا في المرض المبيح للفطر على ثلاثة اقوال

احدها وهو قول اهل الظاهر اى مرض كان وهو ما يطلق عليه اسم المرض فله ان يفطر
تنزيلا للفظ المطلق على اقل احواله واليه ذهب الحسن وابن سيرين الثانى وهو قول
الاصم ان هذه الرخصة مختصة بالمريض الذى لو صام لوقع فى مشقة عظيمة تنزيلا للفظ
المطلق على اكمل احواله القول الثالث وهو قول اكثر الفقهاء ان المرض المبيح للفطر هو
الذى يودى الى ضرر فى النفس وزيادة علة غير محتملة كالمحموم اذا خاف لو صام
اشتدت حماه وصاحب وجع العين يخاف لو صام ان يشتد وجع عينه فالمراد بالمرض
ما يؤثر فيه لتعويقه قال الشافعى اذا اجتهده الصوم افطر والا فهو كالصحيح المسئلة الثانية الفطر
فى السفر مباح والصوم جايز وبه قال عامة العلماء وقال ابن عباس وابو هريرة وبعض
اهل الظاهر لا يجوز الصوم فى السفر ومن صام فعليه القضا واحتجوا بقوله صلى الله عليه
وسلم ليس من البر الصيام فى السفر وحمله عامة العلماء على من اجتهده الصوم فى السفر
فالاولى له الفطر ويدل على ذلك ما روى عن جابر قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
فى سفر فراى زحاما ورجلا قد ظلل عليه فقال ما هذا قالوا صايم قال ليس من البر الصيام
فى السفر اخرجه البخارى ومسلم وحجة الجمهور على جواز الصوم والفطر فى السفر ما روى
عن انس قال سافرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى رمضان فلم يعب الصايم
على المفطر ولا المفطر على الصايم اخرجاه فى الصحيحين المسئلة الثالثة اختلف العلماء فى قدر
السفر المبيح للفطر فقال داود الظاهرى اى سفر كان ولو فرسخا وقال الاوزاعى السفر
المبيح للفطر مسيرة يوم واحد وقال الشافعى واحمد ومالك اقله مسيرة ستة عشر فرسخا
يومان وقال ابو حنيفة واصحابه اقله مسيرة ثلاثة ايام المسئلة الرابعة اذا استهل الشهر
وهو مقيم ثم انشا السفر فى اثنايه جاز له ان يفطر حالة السفر ويجوز له ان يفطر فى بعض
السفر وان يصوم فى بعضه ان احب يدل عليه ما روى عن ابن عباس ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم خرج الى مكة عام الفتح فى رمضان فصام حتى بلغ الكديد
ثم افطر وافطر الناس معه وكانوا ياخذون بالاحدث فالاحدث من امر رسول
الله صلى الله عليه وسلم اخرجاه فى الصحيحين الكديد اسم موضع وهو على ثمانية واربعين
ميلا من مكة المسئلة الخامسة اختلفوا فى الافضل فذهب الشافعى الى ان الصوم
افضل من الفطر فى السفر وبه قال مالك وابو حنيفة وقال احمد الفطر افضل
من الصوم فى السفر وقالت طايفة من العلماء هما سوا والافضل الامرين
ايسرهما لقوله تعالى يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر المسئلة السادسة يباح
الفطر فى سفر مباح ليس سفر معصية ولا يجوز للعاصى بسفره انه يترخص برخص
الشرع وقوله تعالى فعدة من ايام اخر معناه فافطر فعليه عدة من ايام اخر
فظاهر هذا انه يجوز قضا الصوم متفرقا وان كان التتابع اولى وفيه ايضا
وجوب القضا من غير تعيين لزمن القضا فيدل على جواز التراخى فى القضا

ويدل عليه

ويدل عليه ايضا ما روى عن عائشة قالت كان يكون على الصوم من رمضان
فما استطيع ان اقضى الا فى شعبان ذلك من الشغل بالنبى صلى الله عليه وسلم اخرجاه
فى الصحيحين يريد الله بكم اليسر اى التسهيل فى هذه العبادة وهى اباحة الفطر
للمريض والمسافر ولا يريد بكم العسر اى وقد نفى عنكم الحرج فى امر الدين قيل
ما خير رجل بين امرين فاختار ايسرهما الا كان ذلك احب الى الله تعالى ولتكملوا
العدة اى عدة الايام التى افطرتم فيها بعذر السفر والمرض والحيض لتقضوا
بعددها وقيل اراد عدد ايام الشهر ق عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال الشهر تسع وعشرون ليلة فلا تصوموا حتى تروا الهلال ولا تفطروا حتى
تروه فان غم عليكم فاقدروا له وفى رواية فاكملوا العدة ثلاثين ولتكبروا
الله فيه قولان احدهما انه يكبر ليلة العيد قال ابن عباس حقا على المسلمين
اذا راوا هلال شوال ان يكبروا قال الشافعى اظهار التكبير فى العيدين وبه
قال مالك واحمد وابو يوسف ومحمد وقال ابو حنيفة لا يكبر فى عيد الفطر ويكبر
فى عيد الاضحى حجة الشافعى ومن وافقه قوله تعالى ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على
ما هداكم قالوا معناه ولتكملوا عدة صوم رمضان ولتكبروا الله على ما هداكم
الى اخر هذه العبادة والقول الثانى فى معنى قوله ولتكبروا الله على ما هداكم اى
ولتعظموا الله شكرا على ما انعم به عليكم ووفقكم للقيام بهذه العبادة على ما هداكم اى
ارشدكم الى طاعته والى ما يرضى به عنكم ولعلكم تشكرون الله على نعمه فصل فى فضل
شهر رمضان وفضل صيامه ق عن ابى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال اذا دخل
رمضان صفدت الشياطين وفتحت ابواب الجنة وغلقت ابواب النيران
الصفد الغل اى شدت بالاغلال ق عن النبى صلى الله عليه وسلم قال من صام رمضان
ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه ومن قام ليلة القدر ايمانا واحتسابا غفر
له ما تقدم من ذنبه قوله ايمانا واحتسابا اى طلبا لوجه الله تعالى وثوابه وقيل ايمانا بانه
فرض عليه واحتسابا بثوابه عند الله وقيل معناه نية وعزيمة وهو ان الصوم على التصديق
والرغبة فى ثوابه طيبة بها نفسه غير كارهة ق عن ابى هريرة ان النبى صلى الله عليه
وسلم قال كل عمل ابن ادم يضاعف له الحسنة عشر امثالها الى سبعماية ضعف قال الله تعالى
الا الصوم فانه لى وانا اجزى به يدع شهوته وطعامه من اجلى للصايم فرحتان فرحة
عند فطره وفرحة عند لقاء ربه ولخلوف فم الصايم عند الله اطيب من ريح المسك
زاد فى رواية والصيام جنة فاذا كان يوم صوم احدكم فلا يرفث يومئذ ولا يصخب
فان شاتمه احد او قاتله فليقل انى صايم قوله كل عمل ابن ادم له معناه ان له فيه
حظا لاطلاع الخلق عليه الا الصوم فانه لا يطلع عليه احد وانما خص الصوم بقوله تعالى
لى وان كانت جميع الاعمال الصالحة له وهو يجزى عليها لان الصوم لا يظهر من ابن

ادم بقول ولا فعل حتى تكتبه الحفظة وهو من اعمال القلوب بالنية ولا يطلع عليه الا الله تعالى انما انو لا جزاه على ما احب لا على حساب ولا كتاب له وقوله وللصايم فرحتان فرحة عند فطره اى بالطعام لما بلغ به من الجوع لما خذ النفس من شهوتها منه وقيل فرحة بما وقع له من اتمام الصوم الموعود عليه بالثواب وهو قوله وفرحة عند لقاء ربه لما يرى من جزيل ثوابه والخلوف بضم الخاء وفتحها لغتان وهو تغير طعم الفم وريحه لتاخير الطعام ومعنى كونه اطيب عند الله من ريح المسك هو الثناء على الصايم والرضى بفعله لئلا يمتنع من المواظبة على الصوم الجالب للخلوف والمعنى ان خلوف فم الصايم ابلغ عند الله في القبول من ريح المسك عندكم قوله الصايم جنة اى حصن من المعاصي لان الصوم يكسر الشهوة فلا يواقع المعاصي قوله فلا يرفث كلمة جامعة لكل ما يريده الانسان من المراة وقيل هو التصريح بذكر الجماع والصخب الضجر والجلبة والصياح عن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في الجنة بابا يقال له الريان يدخل منه الصايمون يوم القيامة يقال اين الصايمون فيقومون لا يدخل منه احد غيرهم فاذا دخلوا اغلق فلا يدخل منه احد وفي رواية ان في الجنة ثمانية ابواب منها باب يسمى الريان لا يدخله الا الصايمون عن ابي امامة قال اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله مرني بامر ينفعني الله به فقال عليك بالصوم فانه لا مثل له وفي رواية اى العمل افضل فقال عليك بالصوم فانه لا عدل له اخرجه النساى قوله عز وجل واذا سالك عبادي عني فاني قريب قال ابن عباس قال يهود المدينة يا محمد كيف يسمع ربنا دعانا وانت تزعم ان بيننا وبين السما خمسماية عام وان غلظ كل سما مثل ذلك فنزلت هذه الاية وقيل سال بعض الصحابة النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا اقريب ربنا فنناجيه ام بعيد فنناديه وقيل انهم سالوه في اى ساعة ندعو ربنا فنزلت هذه الاية وهذا السوال لا يخلوا اما ان يكون عن ذات الله تعالى او عن صفاته او عن افعاله اما السوال عن ذات الله فهو سوال عن القرب والبعد بحسب الذات واما السوال عن صفاته تعالى فهو ان يكون السايل سال هل يسمع ربنا دعانا واما السوال عن افعاله فهو ان يكون السايل سال هل يجيب ربنا دعانا اذا دعوناه فقوله تعالى واذا سالك عبادي عني يحتمل هذه الوجوه كلها وقوله تعالى فاني قريب معناه قريب بالعلم والحفظ لا يخفى عليه شي وفيه اشارة الى سهولة اجابته لمن دعاه وانجاح حاجة من ساله ق عن ابي موسى الاشعري قال لما غزى رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر او قال لما توجه الى خيبر اشرف الناس على واد فرفعوا اصواتهم بالتكبير الله اكبر لا اله الا الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ايها الناس اربعوا على انفسكم فانكم لا تدعون اصم ولا غايبا انكم تدعون سميعا بصيرا قريبا وهو معكم قوله اربعوا على انفسكم ارفقوا بها وقيل معناه امسكوا عن الجهر فانه قريب يسمع دعاكم وقوله تعالى اجيب دعوة الداعي

اذا دعان اى اسمع دعا عبدي الداعي اذا دعان وقيل الدعا عبارة عن التوحيد و الثنا على الله تعالى لقول العبد يا الله لا اله الا الله فقولك يا الله فيه دعا وقولك لا اله الا انت فيه توحيد وثنا على الله تعالى فسمي هذا دعا بهذا الاعتبار وسمي قبوله اجابة بتجانس اللفظ وفيه اشارة الى ان العبد يعلم ان له ربا ومدبرا يسمع دعاه ولا يخيب رجا من رجاه وذلك ظاهر فان العبد اذا دعا ربه باخلاص وتضرع اجاب الله دعوته فان قلت انا نرى الداعي يبالغ في الدعا والتضرع فلا يجاب له حاجته قوله اجيب دعوة الداعي وقوله تعالى استجب لكم قلت ذكر العلما فيه اجوبة احدها ان هذه الاية مطلقة وقد وردت اية اخرى مقيدة وهي قوله بل اياه تدعون فيكشف ما تدعون اليه ان شا والمطلق يحمل على المقيد وثانيها ان معنى الدعا هنا الطاعة ومعنى الاجابة هو الثواب وذلك في الاخرة وثالثها ان معنى الايتين خاص وان كان لفظهما عاما فيكون المعنى اجيب دعوة الداعي اذا وافق القضا او اجيب ان كانت الاجابة خيرا له او اجيبه اذا لم يسال اثما او محالا ورابعها ان معناها عام اى اسمع وهي معنى الاية المذكورة في الاية واما اعطا الامنية فليس بمذكور فالاجابة حاصلة عند وجود الدعوة وقد يجيب السيد عبده ولا يعطيه سواله وخامسها ان للدعا شرايط وهي اسباب الاجابة فمن استجمعها واتى بها كان من اهل الاجابة ومن اخطاها كان من اهل الاعتدا في الدعا فلا يستحق الاجابة والله اعلم وقوله تعالى فليستجيبوا لي في اللغة الطاعة فالاجابة من العبد الطاعة ومن الله الاثابة والعطا وليومنوا بي لعلهم يرشدون اى لكي يهتدون الى مصالح دينهم ودنياهم

فصل في فضل الدعا وادابه عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ينزل ربنا كل ليلة الى سما الدنيا حين يبقى ثلث الليل الاخير فيقول من يدعوني فاستجيب له من يسالني فاعطيه من يستغفرني فاغفر له هذا الحديث من احاديث الصفات وفيه مذهبان مشهوران للعلما احدهما وهو مذهب جمهور السلف وبعض المتكلمين انه يجب الايمان به وبانه حق على ما يليق به وكل علمه الى الله تعالى ورسوله وان ظاهره المتعارف في حقنا غير مراد ولا نتكلم في تاويله مع اعتقادنا تنزيه الله تعالى عن صفات المخلوق وعن الانتقال والحركات والمذهب الثاني مذهب اكثر المتكلمين وجماعة من السلف انها تاول على ما يليق به فعلى هذا نقل عن مالك وغيره ان معناه تنزل رحمته وامره وملايكته وقيل انه على الاستعارة ومعناه الاقبال على الداعين بالاجابة واللطف وفي الحديث الحث على الدعا والترغيب فيه عن سلمان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ربكم حي كريم يستحي من عبده اذا رفع اليه يديه ان يردهما صفرا خايبين اخرجه ابو داود والترمذي وقال حديث حسن غريب الصفر الخالي يقال بيت صفر ليس فيه متاع عن عبادة بن الصامت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما على الارض مسلم يدعو الله بدعوة الا اتاه الله اياها او صرف عنه من الشر

مثلها مالم يدع باثم او قطيعة رحم فقال رجل من القوم اذا نكثر قال الله اكثر اخرجه الترمذي
قوله الله اكثر معناه الله اكثر اجابة عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ادعوا الله وانتم موقنون بالاجابة واعلموا ان الله لا يستجيب دعا من قلب غافل لاه
اخرجه الترمذي وقال حديث غريب عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
ليس شي اكرم على الله من الدعا اخرجه الترمذي وله عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال الدعا مخ العبادة وله عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من فتح له باب من
الدعا فتحت له ابواب الرحمة وما سئل الله شيا احب اليه من ان يسال العافية وان الدعا
ينفع مما نزل ومما لم ينزل وله عن سلمان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يرد القضا
الا الدعا ولا يزيد في العمر الا البر وله عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
من لم يسال الله يغضب عليه ق ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يستجاب لاحدكم
مالم يعجل يقول قد دعوت فلم يستجب لي ولمسلم قال لا يزال يستجاب للعبد مالم يدع باثم
او قطيعة رحم مالم يستعجل قيل يا رسول الله ما الاستعجال قال يقول قد دعوت وقد دعوت
فلم يستجب لي فيستحسر عند ذلك ويدع الدعا قوله يستحسر اي ينقطع عن السوال واصله
من حسر الطرف اذا كل وضعف ق عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال اذا دعا احدكم فلا يقول اللهم اغفر لي ان شئت اللهم ارحمني ان شئت ولكن ليعزم
المسئلة فان الله لا مكره له زاد البخاري ارزقني ان شئت ليعزم مسئلته فانه يفعل ما
لا مكره له ليعزم المسئلة اي لا تكن في دعايك ربك مترددا بل اعزم وجد في المسئلة
عن فضالة بن عبيد قال سمع النبي صلى الله عليه وسلم رجلا يدعوا في صلاته فلم يصل على
النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي عجل هذا ثم دعاه فقال له ولغيره اذا صلى احدكم فليبدا بحمد الله
والثنا عليه ثم ليصل على النبي صلى الله عليه وسلم ثم ليدعوا بما شا اخرجه الترمذي وقال
حديث صحيح قوله عز وجل احل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسايكم سبب نزول هذه الاية
انه كان في ابتدا الامر بالصوم اذا افطر الرجل حل له الطعام والشراب والجماع الى ان يصلي
العشا الاخرة او يرقد قبلها فاذا صلى او رقد حرم عليه ذلك كله الى الليلة القابلة
ثم ان عمر بن الخطاب واقع اهله بعد ما صلى العشا فلما اغتسل اخذ يبكي ويلوم نفسه ثم
اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اعتذر الى الله واليك من هذه الخطيئة
اني رجعت الى اهلي بعد ما صليت العشا فوجدت رايحة طيبة فسولت لي نفسي
فجامعت اهلي فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما كنت جديرا بذلك يا عمر فقام رجال
فاعترفوا بمثل ذلك فنزلت في عمر واصحابه احل لكم اي ابيح لكم ليلة اراد بالليلة
ليالي الصوم الرفث الى نسايكم كلام يتضمن ذكره من ذكر الجماع ودواعيه
وهو هنا كناية عن الجماع وقال ابن عباس ان الله تعالى حي كريم يكني فما ذكره
من المباشرة والملامسة وغير ذلك انما هو الجماع هن لباس لكم اي سكن لكم وانتم لباس

لهن اى

لهن اي سكن لهن وقيل لا يسكن شي الى شي كسكون احد الزوجين الى الاخر وسمي كل واحد
من الزوجين لباسا لتجردهما عند النوم واجتماعهما في ثوب واحد عند النوم وقيل
اللباس اسم لما يواري فيكون كل واحد منهما سترا لصاحبه عما لا يحل كما جاء في الحديث
من تزوج فقد احرز ثلثي دينه علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم قال ابن عباس
يريد فيما ائتمنكم عليه وخيانتهم انهم كانوا يباشرون ليالي الصوم والمعنى يظلمونها
بالمجامعة بعد العشا ويوس الخيانة واصل الخيانة ان يوتمن الرجل على شي فلا يودي
فيه الامانة ويقال للعاصي خاين لانه موتمن على دينه فتاب عليكم اي فتبتم فتاب
عليكم وتجاوز عنكم وعفا عنكم وتجاوز عنكم خ عن البرا بن قال لما نزل صوم رمضان
كانوا لا يقربون النسا رمضان كله فكان رجال يخونون انفسهم فانزل الله علم الله انكم
كنتم تختانون انفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم الاية قال ابن عباس وكان ذلك مما
نفع الله به الناس ورخص لهم ويسر فالان باشروهن اي جامعوهن فهو حلال
لكم في ليالي الصوم وسميت المجامعة مباشرة لمباشرة كل واحد لصاحبه وابتغوا ما
كتب الله لكم اي ما قضى لكم في اللوح المحفوظ يعني الولد وقيل وابتغوا الرخصة التي كتب الله
لكم باباحة الاكل والشرب والجماع في اللوح المحفوظ وقيل اطلبوا ليلة القدر وكلوا واشربوا
حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود نزلت في صرمة بن قيس بن صرمة الانصاري
ويقال قيس بن صرمة وذلك انه ظل يعمل في ارض له وهو صايم فلما امسى رجع الى اهله
بتمر وقال لاهله قدمي الطعام فارادت المراة ان تطعمه شيا سخنا فاخذت المراة تعمل له
ذلك فلما فرغ فاذا هو قد نام وكان قد اعيى من التعب فايقظته فكره ان يعصي الله
ورسوله وابى ان ياكل واصبح صايما مجهودا فلم ينتصف النهار حتى غشي عليه فلما افاق
اتى النبي صلى الله عليه وسلم فلما راه قال يا ابا قيس ما لك امسيت طليحا فذكر له حاله فاغتم
لذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله هذه الاية وقوله طليحا اي كالا
مجهودا خ عن البرا قال كان اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم اذا كان الرجل صايما
فحضر الافطار فنام قبل ان يفطر لم ياكل ليلته ولا يومه حتى يمسي وان قيس بن صرمة
الانصاري كان صايما فلما حضر الافطار اتى امراته فقال اعندك طعام قالت لا ولكن
انطلق فاطلب لك وكان يومه يعمل فغلبته عينه فجاته امراته فلما راته قالت خيبة لك
فلما انتصف النهار غشي عليه فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الاية احل
لكم ليلة الصيام الرفث الى نسايكم ففرحوا بها فرحا شديدا ونزلت وكلوا واشربوا
حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر ومعنى الاية وكلوا واشربوا
في ليالي الصوم حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود وبياض النهار من
سواد الليل وسميا خيطا لان كل واحد منهما يبدو ممتدا في الافق كالخيط قال الشاعر
٥ فلما اضات لنا سدفة ٥ ولاح من الصبح خيط انارا ٥٥ السدف اختلاط الظلام

واسفروا بالفجر اضا ق عن سهل بن سعد قال لما نزلت وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود ولم تنزل من الفجر فكان رجال اذا ارادوا الصوم ربط احدهم على رجليه الخيط الابيض والخيط الاسود ولا يزال ياكل حتى يتبين له رويتهما فانزل الله عز وجل بعده من الفجر فعلموا انه انما يعني الليل والنهار ق عن عدي بن حاتم لما نزلت حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود عمدت الى عقال اسود والى عقال ابيض فجعلتهما تحت وسادتي وجعلت انظر في الليل فلا يتبين لي فغدوت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت له ذلك فقال انما ذلك سواد الليل وبياض النهار ق عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان بلالا يوذن بليل فكلوا واشربوا حتى يوذن ابن ام مكتوم رجل اعمى لا ينادي حتى يقال له اصبحت اصبحت واعلم ان الفجر الذي يحرم به على الصايم الطعام والشراب والجماع هو الفجر الصادق المستطير المنتشر في الافق سريعا لا الفجر الكاذب المستطيل فان قلت كيف شبه الصبح الصادق بالخيط فالخيط والصبح الكاذب ليس مستطيلا قلت ان القدر الذي يبدو فيه البياض هو اول الصبح يكون رقيقا صغيرا ثم ينتشر فلهذا شبه بالخيط والفرق بين الفجر الصادق والفجر الكاذب ان الفجر الكاذب يبدو في الافق فيرتفع مستطيلا ثم تضمحل ويذهب ثم يبدو الفجر الصادق بعده منتشرا في الافق مستطيرا م عن سمرة بن جندب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يغرنكم من سحوركم اذان بلال ولا بياض الافق المستطيل هكذا حتى يستطير هكذا وحكاه حماد بيديه قال يعني معترضا وفي رواية الترمذي لا يمنعكم من سحوركم اذان بلال ولا الفجر المستطيل ولكن الفجر المستطير في الافق فاذا تحقق طلوع الفجر الثاني فهو الصادق وحرم على الصايم الطعام والشراب والجماع الى غروب الشمس وهو قوله تعالى ثم اتموا الصيام الى الليل اي منتهى الصوم الى الليل فاذا دخل الليل حل الفطر ق عن عمر بن الخطاب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اقبل الليل من ههنا وادبر النهار من ههنا وغربت الشمس فقد افطر الصايم وهل يلزم الصايم ان يتناول عند تحقق الغروب شيا فيه وجهان احدهما نعم يلزم ذلك لنهيه صلى الله عليه وسلم عن الوصال والثاني لا لانه قد حصل الفطر بوجود دخول الليل سوا اكل او لم ياكل وتمسكت حنفية بهذه الاية في ان الصوم النفل يجب اتمامه وقالوا لان قوله تعالى ثم اتموا الصيام الى الليل اجاب اصحاب الشافعي عنه بان هذا انما ورد في احكام صوم الفرض فكان المراد منه صوم الفرض ويدل على اباحة الفطر من النفل ما روي عن عايشة قالت دخل النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم فقال هل عندكم شي فقلنا لا قال فاني اذا صايم ثم اتانا يوما اخر فقلنا يا رسول الله اهدي لنا حيس قال ارينه فلقد اصبحت

صايما فاكل

صايما فاكل اخرجه مسلم الحيس هو خليط الاقط والتمر والسمن وقد يجعل عوض الاقط دقيق او فتيت وقيل هو التمر ينزع نواه ويخلط بالسويق والاول اعرف قوله عز وجل ولا تباشروهن وانتم عاكفون في المساجد الاعتكاف هو الاقبال على الشي والملازمة على سبيل التعظيم وهو في الشرع عبارة عن الاقامة في المسجد على عبادة الله تعالى وسبب نزول هذه الاية ان نفرا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يعتكفون في المسجد فاذا عرض لرجل منهم حاجة الى اهله خرج اليها وخلى بها ثم اغتسل ورجع الى المسجد فنهوا عن ذلك حتى يفرغوا من اعتكافهم واعلم ان الله تعالى بين ان الجماع يحرم على الصايم بالنهار ويباح له بالليل فكان يحتمل ان يكون حكم الاعتكاف كحكم الصوم فبين الله في هذه الاية ان الجماع يحرم على المعتكف في النهار والليل حتى يخرج من اعتكافه فصل في حكم الاعتكاف والاعتكاف سنة ولا يجوز في غير المسجد وذلك لان المسجد يتميز عن ساير البقاع بالفضل لانه بني لاقامة الطاعات والعبادات ثم اختلفوا فنقل عن علي انه لا يجوز الا في المسجد الحرام لقوله تعالى وطهر بيتي للطايفين والعاكفين والركع السجود وخصه به وقال عطا لا يجوز الا في المسجد الحرام ومسجد المدينة وقال حذيفة يجوز في هذين المسجدين ومسجد بيت المقدس وقال الزهري لا يصح الا في الجامع وقال ابو حنيفة لا يجوز الا في مسجد له امام وموذن وقال الشافعي ومالك واحمد يجوز في ساير المساجد لعموم قوله تعالى وانتم عاكفون في المساجد الا ان المسجد الجامع افضل حتى لا يحتاج الى الخروج من معتكفه لصلاة الجمعة ق عن عايشة رض ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعتكف العشر الاواخر من رمضان حتى توفاه الله عز وجل ثم اعتكف ازواجه بعده ق عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعتكف العشر الاواخر من رمضان فروع الاول يجوز الاعتكاف بغير صوم والافضل ان يصوم معه وقال ابو حنيفة الصوم شرط في الاعتكاف ولا يصح الا به وحجة الشافعي ما روي عن ابن عمر قال يا رسول الله اني نذرت في الجاهلية ان اعتكف ليلة في المسجد الحرام قال فاوف بنذرك اخرجاه في الصحيحين ومعلوم انه لا يصح الصوم في الليل الفرع الثاني لا تقدير للاعتكاف زمانا عند الشافعي واقله لحظة ولا حد لاكثره فلو نذر اعتكاف ساعة صح نذره ولو نذر ان يعتكف مطلقا يخرج عن نذره باعتكاف ساعة قال الشافعي واحب ان يعتكف يوما وانما قال ذلك للخروج من الخلاف فان اقل زمن الاعتكاف عند مالك وابي حنيفة يوم بشرط ان يدخل فيه قبل طلوع الفجر ويخرج منه بعد غروب الشمس الفرع الثالث الجماع حرام في حالة الاعتكاف ويفسد به واما ما دون الجماع كالقبلة ونحوها فمكروه ولا يفسد به عند اكثر العلما وهو اظهر قولي الشافعي والثاني يبطل به وهو قول مالك وقيل ان انزل بطل اعتكافه وان لم ينزل فلا وهو قول ابي حنيفة واما اللمس بغير شهوة فجايز

ولا الفيد بالاعتكاف لما روي عن عائشة انها كانت ترجل النبي صلى الله عليه وسلم وهي حائض
وهو معتكف في المسجد وهي في حجرتها يناولها راسه زاد في رواية وكان لا يدخل البيت
الا لحاجة اذا كان معتكفا وفي رواية وكان لا يدخل البيت الا لحاجة الانسان اخرجاه
في الصحيحين الترجيل تسريح الشعر وقولها الا لحاجة حوايج الانسان كثيرة فالمراد منها هنا الاكل والغايط
الانسان اليه مما لا يجوز له فعله في المسجد وموضع معتكفه وقوله تعالى تلك حدود الله يعني
تلك الاحكام التي ذكرها في الصيام والاعتكاف من تحريم الاكل والشرب والجماع حدود الله
وقيل حدود الله فرايض الله واصل الحد في اللغة المنع والحد الحاجز بين الشيين الذي يمنع
اختلاط احدهما بالاخر وحد الشي الوصف المحيط بمعناه المميز له عن غيره وقيل معنى حدود الله
المقادير التي قدرها ومنع من مخالفتها فلا تقربوها فلا تاتوها ولا تقعوا فيها فان قلت في الاية
اشكالان الاول فانه قال تلك حدود الله وهي اشارة الى ما تقدم من الاحكام وبعضها
اباحة وبعضها فيه حظر فكيف قال في الجميع فلا تقربوها الاشكال الثاني وهو ان الله تعالى قال في هذه
الاية تلك حدود الله فلا تقربوها وقال في اية اخرى تلك حدود الله فلا تعتدوها وقال في
اية اخرى ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده فكيف الجمع بين هذه الايات قلت الجواب
عن السوالين من وجهين اما الاشكال الاول فجوابه ان الاحكام التي تقدمت فيما قبل وان
كانت كثيرة الا ان اقربها الى هذه الاية قوله تعالى ولا تباشروهن وانتم عاكفون في المساجد
وذلك يوجب تحريم الجماع في حال الاعتكاف وقال قبلها ثم اتموا الصيام الى الليل وذلك
يوجب تحريم الاكل والشرب في النهار فلما كان اقرب الى هذه الاية جانب التحريم قال
تلك حدود الله فلا تقربوها والجواب عن الاشكال الثاني ان من كان في طاعة الله تعالى
والعمل بفرايضه فهو متصرف في حيز الحق فنهي ان يتعداه فيقع في حيز الباطل ثم بولغ
في ذلك فنهي ان يقرب الحد الذي هو الحاجز بين حيزي الحق والباطل لئلا
يداني الباطل فيقع فيه فهو كقوله صلى الله عليه وسلم كالراعي يرعى حول الحمى يوشك
ان يقع فيه وقيل اراد بحدوده هنا محارمه ومناهيه لقوله ولا تباشروهن وانتم عاكفون
في المساجد ونحوها من التحريم فهي حد ولا تقربوها كذلك اي كما بين لكم ما امركم به
ونهاكم عنه كذلك يبين الله اياته اي معالم دينه واحكام شريعته للناس مثل
هذا البيان الشافي الوافي لعلهم يتقون اي لكي يتقوا ما حرم عليهم فينجوا من
العذاب قوله عز وجل ولا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل نزلت في امري القيس بن عابس
الكندي ادعى عليه ربيعة بن عبدان الحضرمي عند رسول الله صلى الله عليه وسلم في
ارض فقال النبي صلى الله عليه وسلم للحضرمي الك بينة قال لا قال فلك يمينه فانطلق
ليحلف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما ان حلف على ماله لياكله ظلما ليلقين
الله وهو عنه معرض فانزل الله هذه الاية والمعنى لا ياكل بعضكم مال بعض بالباطل
اي من غير الوجه الذي اباحه الله له واصل الباطل الشي الذاهب فصل اما حكم الاية

فاكل المال

فاكل المال بالباطل على وجوه الاول ان ياكله بطريق التعدي والنهب والغصب الثاني
ان ياكله بطريق اللهو كالقمار واجرة المغني وثمن الخمر والملاهي ونحو ذلك الثالث ان ياكله
بطريق الرشوة في الحكم وشهادة الزور الرابع الخيانة وذلك في الوديعة والامانة ونحو ذلك
وانما عبر عن اخذ المال بالاكل لانه المقصود الاعظم ولهذا وقع في التعارف فلان ياكل اموال
الناس يعني ياخذها بغير حلها وتدلوا بها الى الحكام اي وتلقوا امور تلك الاموال التي
في الحكومة الى الحكام قال ابن عباس هذا في الرجل يكون عليه المال وليس عليه بينة فيجحد
ويخاصم الى الحكام وهو يعلم ان الحق عليه وانه اثم بمنعه وقيل هو ان يقيم شهادة الزور
عند الحاكم وهو يعلم ذلك وقيل معناه ولا تاكلوا المال بالباطل وتنسبوه الى الحكام
وقيل لا تدلي مال اخيك الى الحاكم وانت تعلم انك ظالم فان قضاه لا يحل حراما وكان
شريح القاضي يقول اني لاقضي لك واني لاظنك ظالما ولكن لا يسعني الا ان اقضي بما يحضرني
من البينة وان قضائي لا يحل لك حراما ق عن ام سلمة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
سمع جلبة خصم بباب حجرته فخرج اليهم فقال انما انا بشر وانه ياتيني الخصم فلعل بعضكم يكون
ابلغ من بعض وفي رواية الحن بحجته من بعض فاحسب انه صادق فاقضي له فمن قضيت
له بحق مسلم فانما هي قطعة من النار فليحملها او يذرها قولها سمع جلبة خصم يعني اصوات
خصم قوله الحن بحجته يقال فلان الحن بحجته من فلان اي اقوم بها منه واقدر عليها من
اللحن بفتح الحاء وهو الفطنة لتاكلوا فريقا اي طايفة وقطعة من اموال الناس بالاثم
يعني الظلم وقال ابن عباس باليمين الكاذبة وقيل بشهادة الزور وانتم تعلمون يعني انكم
على الباطل قوله عز وجل يسئلونك اي يا محمد عن الاهلة نزلت في معاذ بن جبل وثعلبة بن
غنم الانصاريين قالا يا رسول الله ما بال الهلال يبدو دقيقا ثم يزيد حتى يمتلي نورا
ثم لا يزال ينقص حتى يعود دقيقا كما بدا ولا يكون على حالة واحدة فانزل الله يسئلونك
عن الاهلة وكان هذا سوال منهم على وجه الفايدة عن وجه الحكمة في تبيين حال الهلال
في الزيادة والنقصان والاهلة جمع هلال وهو اول حال القمر حين يراه الناس اول
ليلة من الشهر قل هي مواقيت للناس جمع ميقات والمعنى انا فعلنا ذلك لمصالح
دينية ودنيوية ليعلم الناس اوقات حجهم وصومهم وافطارهم ومحل ديونهم واجاراتهم
وعدد النساء واوقات الحيض وغير ذلك من الاحكام المتعلقة بالاهلة وبهذا
يفرق بينه وبين الشمس التي هي دايمة على حالة واحدة والحج اي وللحج وانما افرد الحج
بالذكر وان كان داخلا جملة العبادات لفايدة عظيمة وهي ان العرب في الجاهلية
كانت تحج بالعدد وتبدل الشهور فابطل الله ذلك من فعلهم واخبر ان الحج مقصور
على الاشهر التي عينها لفرض الحج بالاهلة وانه لا يجوز نقل الحج عن تلك الاشهر التي
عينها الله تعالى كما كانت العرب تفعل بالنسي وليس البر بان تاتوا البيوت من ظهورها
ق عن البرا قال نزلت هذه الاية فينا فكانت الانصار اذا حجوا فجاوا لم يدخلوا من قبل

ابواب البيوت في رجل من الانصار فدخل من قبل بابه فكانه عير بذلك فنزلت وليس البر بان
تاتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى واتوا البيوت من ابوابها وفي رواية كانوا
اذا احرموا في الجاهلية اتوا البيت من ظهره فانزل الله هذه الاية وقيل كان الناس في الجاهلية
وفي اول الاسلام اذا احرم الرجل منهم ولم يدخل حايطا ولا دارا ولا فسطاطا فان كان من اهل
المدر نقب نقبا في ظهر بيته منه يدخل ويخرج او يتخذ سلما يصعد منه وان كان من اهل
الوبر دخل وخرج من خلف الخبا ولا يدخل ولا يخرج من الباب ويرون ذلك برا وكان الحمس
وهم قريش وكنانة وخزاعة ومن دان بدينهم سموا حمسا لتشددهم في دينهم والحماسة
الشدة وكانوا اذا احرموا لم يدخلوا بيتا البتة ولم يستظلوا الظل ثم ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم دخل حايطا ودخل رجل من الانصار معه وقيل كانت الحمس لا يبالون بذلك
ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل ذات يوم بيتا فدخل على اثره رجل من الانصار
يقال له رفاعة بن التابوت وهو محرم فانكروا عليه فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لم دخلت انت من الباب وانت محرم قال رايتك دخلت على اثرك فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اني احمسي فقال الرجل ان كنت احمسيا فاني احمسي
رضيت بهديك وسمتك ودينك فانزل الله تعالى هذه الاية وقال الزهري
كان ناس من الانصار اذا اهلوا بالعمرة لم يحل بينهم وبين السما شي وكان الرجل
يخرج مهلا بالعمرة فيبدو له الحاجة بعد ما خرج من بيته فيرجع ولا يدخل من باب
الحجرة من اجل سقف البيت ان يحول بينه وبين السما فيفتح الجدار من ورايه ثم يقوم
في حجرته فيامر بحاجته حتى بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل زمن الحديبية
بالعمرة فدخل حجرة فدخل رجل من الانصار من بني سلمة على اثره فقال له النبي صلى
الله عليه وسلم فعلت ذلك قال اني رايتك دخلت فقال عليه الصلاة والسلام
اني احمسي فقال الانصاري وانا احمسي يقول انا على دينك فانزل الله تعالى
وليس البر بان تاتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى واتوا البيوت من
ابوابها يعني في حال الاحرام وغيره واتقوا الله لعلكم تفلحون قوله عز وجل وقاتلوا
في سبيل الله اي في طاعة الله وطلب رضوانه ق عن ابي موسى الاشعري قال
سال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل حمية ويقاتل
ريا اي ذلك في سبيل الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قاتل لتكون
كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله الذين يقاتلونكم كان في ابتدا الاسلام امر الله
رسوله صلى الله عليه وسلم بالكف عن قتال المشركين ثم لما هاجر الى المدينة امر
بقتال من قاتله منهم بهذه الاية قال الربيع ابن انس هذه اول اية نزلت في القتال
ثم امر الله بقتال المشركين كافة قاتلوا او لم يقاتلوا بقوله تعالى فاقتلوا المشركين
كافة وبقوله اقتلوهم حيث ثقفتموهم فصارت اية السيف ناسخة لهذه الاية

وقيل انها

وقيل انها محكمة ومعناها على هذا القول وقاتلوا في سبيل الله الذين عدوا انفسهم
للقتال فاما من لم يعد نفسه للقتال كالرهبان والشيوخ والزمنى والمكافيف والمجانين
فلا تقاتلوهم لانهم لم يقاتلوكم وهو قوله تعالى ولا تعتدوا وقال ابن عباس ولا تقتلوا
النسا والصبيان والشيوخ والرهبان ولا من القى اليكم السلام م عن بريدة قال كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم اذا امر اميرا على جيش او سرية اوصاه على خاصته بتقوى الله
ومن معه من المسلمين خيرا ثم قال اغزوا باسم الله قاتلوا من كفر بالله اغزوا ولا تغلوا ولا
تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدا قوله ولا تغلوا الغلول الخيانة وهو ما يخفيه
احد الغزاة من الغنيمة وقوله ولا تغدروا اي ولا تنقضوا العهد وقيل في معنى الاية
لا تعتدوا اي لا تبدوهم بالقتال فعلى هذا القول تكون الاية منسوخة باية القتال قال
ابن عباس لما صد المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديبية وصالحوه على ان
يرجع من قابل فيخلوا له مكة ثلاثة ايام يطوف بالبيت فلما تجهز رسول الله صلى الله
عليه وسلم واصحابه لعمرة القضا خافوا ان لا تفي قريش بما قالوا ويصدوهم عن
البيت وكره المسلمون قتالهم في الشهر الحرام وفي الحرم فانزل الله وقاتلوا في سبيل الله
الذين يقاتلونكم فاطلق لهم قتال الذين يقاتلونكم في الشهر الحرام وفي الحرم ورفع
عنهم الجراح والجناح في ذلك وقال ولا تعتدوا بابتدا القتال ان الله لا يحب
المعتدين قوله عز وجل واقتلوهم حيث ثقفتموهم اي حيث وجدتموهم وادركتموهم
في الحل والحرم وتحقيق القول فيه ان الله تعالى امر بالجهاد في الاية الاولى بشرط
اقدام الكفار على القتال وفي هذه الاية امر بالجهاد معهم سوا قاتلوا او لم يقاتلوا
واستثنى منه المقاتلة عند المسجد الحرام واخرجوهم من حيث اخرجوكم اي واخرجوهم
من ديارهم كما اخرجوكم من دياركم والفتنة اشد من القتل يعني ان شركهم بالله اشد
واعظم من قتلكم اياهم في الحرم والاحرام وانما سمي الشرك بالله فتنة لانه فساد
في الارض يودي الى الظلم وانما جعل اعظم من القتل لان الشرك بالله ذنب يستحق
صاحبه الخلود في النار وليس القتل كذلك والكفر يخرج صاحبه من الامة وليس
القتل كذلك فثبت ان الفتنة اشد من القتل ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام
حتى يقاتلوكم فيه اختلف العلما في هذه الاية فذهب مجاهد في جماعة من العلما
الى انها محكمة وانه لا يحل ان يقاتل في المسجد الحرام من قاتل فيه وهو قوله فان قاتلوكم
فاقتلوهم اي فقاتلوهم ويثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان مكة لا تحل
لاحد قبلي ولا تحل لاحد بعدي وانما احلت لي ساعة من نهار ثم عادت حراما الى
يوم القيامة فثبت بهذا تحريم القتال في الحرم الا ان يقاتلوا ويكون دفعا لهم و
ذهب قتادة الى ان هذه الاية منسوخة بقوله وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة كذلك
جزا الكافرين فان انتهوا يعني عن القتال وقيل عن الشرك والكفر فان الله غفور يعني

لما سلف رحيم يعني لعباده حيث لم يعاجلهم بالعقوبة وقاتلوهم اي وقاتلوا المشركين
حتى لا تكون فتنة اي شرك والمعنى وقاتلوهم حتى يسلموا ولا يقبل من الوثني الا الاسلام
او القتل بخلاف الكتابي والفرق بينهما ان اهل الكتاب معهم كتب منزلة وفيها شرايع
واحكام يرجعون اليها وان كانوا قد حرفوا وبدلوا فامهلهم الله تعالى بحرمة تلك الكتب
من القتل وامر باصغارهم واخذ الجزية منهم لينظروا في كتبهم ويتدبروها فيقفوا على الحق
منها فيتبعوه كفعل مومني اهل الكتاب الذين عرفوا الحق واما عبدة الاوثان فلم يكن
لهم كتاب يرجعون اليه ويرشدهم الى الحق فكان امهالهم زيادة في شركهم وكفرهم فابى الله
عز وجل ان يرضى منهم الا بالاسلام او القتل ويكون الدين لله اي الطاعة والعبادة لله
وحده فلا يعبد من دونه شي فان انتهوا يعني عن القتال وقيل عن الشرك والكفر فلا
عدوان اي فلا سبيل الا على الظالمين قاله ابن عباس فعلى القول الاول تكون الاية
منسوخة باية السيف وعلى القول الاخر الاية محكمة وقيل معناه ولا تظلموا الا الظالمين
ثم سمي جزا الظالمين ظلما على سبيل المشاكلة وسمي الكافر ظالما لوضعه العبادة في غير
موضعها قوله عز وجل الشهر الحرام بالشهر الحرام نزلت في عمرة القضا وذلك ان النبي صلى الله
عليه وسلم خرج معتمرا في ذي القعدة سنة ست من الهجرة فصده المشركون عن البيت
بالحديبية فصالح اهل مكة على ان ينصرف عامه ذلك ويرجع من قابل فيقضي عمرته فانصرف
رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم رجع في ذي القعدة سنة سبع فقضى عمرته فذلك قوله تعالى
الشهر الحرام يعني ذا القعدة الذي دخلتم فيه مكة وقضيتم عمرتكم بالشهر الحرام الذي صددتم
فيه عن البيت والحرمات جمع حرمة وانما جمعت لانه اراد حرمة الشهر وحرمة البلد وحرمة
الاحرام قصاص والقصاص المساواة والمماثلة وهو ان يفعل بالفاعل مثل ما فعل والمعنى
انهم لما منعوكم عن العمرة واضاعوا هذه الحرمات في سنة ست فقد دخلتم حتى قضيتموها
على رغمهم سنة سبع وقيل هذا في القتال ومعناه فان بداوكم بالقتال في الشهر الحرام
فاقتلوهم فيه فانه قصاص فمن اعتدى عليكم اي بالقتال فاعتدوا عليه اي فقاتلوه
بمثل ما اعتدى عليكم سمي الجزا بالاعتدا على سبيل المشاكلة واتقوا الله واعلموا ان الله
مع المتقين قوله عز وجل وانفقوا في سبيل الله يعني به الجهاد وذلك ان الله تعالى لما امر
بالجهاد والاشتغال به يحتاج الى الانفاق فامر به والانفاق هو صرف المال في وجوه المصالح
الدينية كالانفاق في الحج والعمرة وصلة الرحم والصدقة وفي الجهاد وتجهيز الغزاة وعلى
النفس والعيال وغير ذلك مما فيه قربة الى الله تعالى لان كل ذلك مما هو في سبيل الله
لكن اطلاق هذه اللفظة ينصرف الى الجهاد خ عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال من احتبس فرسا في سبيل الله تعالى ايمانا واحتسابا بالله وتصديقا بوعده فان
شبعه وريه وروثه وبوله في ميزانه يوم القيامة يعني حسنات عن خريم بن فاتك
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من انفق نفقة في سبيل الله كتب الله له سبعمائة

ضعف اخرجه الترمذي والنسائي ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة قيل الباء زايدة ومعناه
لا تلقوا ايديكم الى التهلكة والمراد بالايدي الانفس والمعنى ولا تلقوا انفسكم الى
التهلكة عبر بالايدي عن الانفس وقيل الباء على اصلها وفي الكلام حذف تقديره
ولا تلقوا انفسكم الى التهلكة كما يقال اهلك فلان نفسه بيده اذا تسبب في هلاكها
وقيل التهلكة كل شي يصير عاقبته الى الهلاك وقيل التهلكة ما يمكن الاحتراز عنه والهلاك
ما لا يمكن الاحتراز عنه ومعنى الاية النهي عن ترك الانفاق في سبيل الله لانه سبب الهلاك
قال ابن عباس انفق في سبيل الله وان لم يكن لك الا سهم او مشقص ولا يقول احدكم لا اجد
شيئا السهم هنا هو ما يرمى به والمشقص سهم فيه نصل عريض وقيل كان رجال يخرجون
في البعوث بغير نفقة فاما ان ينقطع بهم واما ان يكونوا عالة فامرهم الله تعالى بالانفاق على
انفسهم في سبيل الله ومن لم يكن عنده شي ينفق عليه في الغزو فلا يخرج لئلا يلقي نفسه الى التهلكة
وهو انه يهلك من الجوع والعطش والمشي وقيل نزلت الاية في ترك الجهاد عن ابي عمران
واسمه اسلم قال كنا بمدينة الروم فاخرجوا الينا صفا عظيما من الروم فخرج اليهم من المسلمين
مثلهم او اكثر وعلى اهل مصر عقبة بن عامر وعلى الجماعة فضالة بن عبيد فحمل رجل من المسلمين
على صف الروم حتى دخل فيهم فصاح الناس سبحان الله يلقي بيديه الى التهلكة فقام ابو ايوب
الانصاري فقال يا ايها الناس انكم لتتاولون هذه الاية هذا التاويل وانما نزلت هذه الاية فينا
معاشر الانصار لما اعز الله الاسلام وكثر ناصروه فقال بعضنا لبعض سرا دون رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان اموالنا قد ضاعت وان الله قد اعز الاسلام وكثر ناصروه فلو
اقمنا في اموالنا فاصلحنا ما ضاع منها فانزل الله تعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم يرد علينا
ما قلنا وانفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة وكانت التهلكة الاقامة على الاموال
واصلاحها وتركنا الغزو فما زال ابو ايوب شاخصا في سبيل الله حتى دفن بارض الروم
وقيل حديث غريب صحيح مات ابو ايوب في غزوة غزاها بارض قسطنطينية ودفن في
اصل سورها فهم يتبركون بقبره ويستسقون به م عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه به مات على شعبة من النفاق قال ابن المبارك
فنرى ان ذلك كان على عهد النبي صلى الله عليه وسلم وقيل الالقا الى التهلكة هو ان يقنط من
رحمة الله تعالى وهو ان الرجل يصيب الذنب فيقول قد هلكت ليس لي توبة فيياس من
رحمة الله وينهمك على المعاصي فنهوا عن القنوط فنهى الله عن ذلك وقيل في معنى الاية انفقوا
في سبيل الله ولا تقولوا انا نخاف الفقر ان انفقنا فنهلك فنهوا ان يجعلوا انفسهم مهلكين
بالانفاق خ عن حذيفة قال انفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة قال نزلت في
النفقة واحسنوا اي بالانفاق ولا تسرفوا ولا تقتروا نهوا عن الاسراف والاقتار في الانفاق
وقيل معناه واحسنوا في اداء فرايض الله تعالى ان الله يحب المحسنين اي يثيبهم على احسانهم قوله
عز وجل واتموا الحج والعمرة لله قال ابن عباس هو ان يتمهما بمناسكهما وحدودهما وسننهما

وقيل اتمامهما ان يحرم بهما من دويرة اهله وقيل ان تفرد كل واحد منهما بسفر وقيل اتمامهما ان تكون النفقة حلالا وينتهيا عما نهى الله عنه وقيل اتمامهما ان تخرج من اهلك لهما لا لتجارة ولا لحاجة وقيل اذا شرع فيهما وجب عليه الاتمام **فصل** اتفقت الامة على وجوب الحج على من استطاع اليه سبيلا م عن ابي هريرة قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ايها الناس قد فرض عليكم الحج فحجوا فقال رجل في كل عام يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم وفي وجوب العمرة قولان للشافعي اصحهما انها واجبة وهو قول علي وابن عمر وابن عباس والحسن وابن سيرين وعطا وطاوس وسعيد بن جبير ومجاهد واليه ذهب احمد بن حنبل والقول الثاني انها سنة ويروى ذلك عن ابن مسعود وجابر وابراهيم والشعبي واليه ذهب مالك وابو حنيفة حجة من اوجب العمرة ما روي في حديث الصبي بن معبد انه قال لعمر بن الخطاب اني وجدت الحج والعمرة مكتوبين علي واني اهللت بهما قال هديت لسنة نبيك محمد صلى الله عليه وسلم اخرجه ابو داود والنسائي باطول من هذا وجه الدليل انه اخبر عنه وجوبهما عليه وصوبه عمر وبين انه هدي بما رواه من وجوبهما عليه لسنة النبي صلى الله عليه وسلم وروي عن ابن عباس انها لقرينتها في كتاب الله واتموا الحج والعمرة لله وعن ابن عمر قال الحج والعمرة فريضتان وعنه ليس احد من خلق الله الا وعليه حج وعمرة واجبتان من استطاع الى ذلك سبيلا عن ابن عباس قال العمرة واجبة كوجوب الحج وعن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تابعوا بين الحج والعمرة فانهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد والذهب والفضة وليس لحجة مبرورة ثواب الا الجنة اخرجه النسائي والترمذي وزاد وما من مؤمن يظل يومه محرما الا غابت الشمس بذنوبه وقال حديث حسن صحيح وجه الدليل انه امر بالمتابعة بين الحج والعمرة والامر للوجوب ولانها قد نظمت مع الحج في الامر بالاتمام فكانت واجبة كالحج وحجة من قال بانها سنة ما روي عن جابر قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن العمرة اواجبة هي قال لا وان تعتمروا خير لكم اخرجه الترمذي واجيب عنه بان هذا الحديث يرويه حجاج بن ارطاة وحجاج ليس ممن يقبل منه ما انفرد به لسوء حفظه وقلة مراعاته لما يحدث به واجمعت الامة على جواز اداء الحج والعمرة على ثلاثة انواع افراد وتمتع وقران وصورة الافراد ان يحج ثم بعد فراغه منه يعتمر من ادنى الحل او يعتمر قبل اشهر الحج ثم يحج من تلك السنة وصورة التمتع ان يحرم بالعمرة في اشهر الحج ويأتي باعمالها فاذا فرغ من اعمالها احرم بالحج من مكة في تلك السنة وانما سمي متمتعا لانه يستمتع بمحظورات الاحرام بعد التحلل من العمرة الى ان يحرم بالحج وصورة القران ان يحرم بالحج والعمرة معا في اشهر الحج فينويهما بقلبه وكذلك لو احرم بالعمرة في اشهر الحج ثم ادخل عليها الحج قبل ان يفتتح الطواف فيصير قارنا واختلفوا في الافضل فذهب مالك والشافعي الى ان

الافراد افضل ثم التمتع ثم القران يدل عليه ما روي عن عائشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم افرد الحج اخرجه مسلم وله عن ابن عمر قال اهللنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نصرخ بالحج صراخا وعن ابن عمر قال افصلوا بين حجكم وعمرتكم فان ذلك اتم لحج احدكم واتم لعمرته ان يعتمر في غير اشهر الحج اخرجه مالك في الموطا وذهب الثوري وابو حنيفة الى ان القران افضل يدل عليه ما روي عن انس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبي بالحج والعمرة جميعا وفي رواية سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لبيك عمرة وحجا اخرجاه في الصحيحين وذهب احمد بن حنبل واسحاق بن راهويه الى ان التمتع افضل يدل عليه ما روي عن ابن عباس قال تمتع رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعمر وعثمان فاول من نهى عنها معاوية اخرجه الترمذي ق عن ابن عمر قال تمتع رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع بالعمرة الى الحج واهدى فساق معه الهدي من ذي الحليفة وبدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم فاهل بالعمرة ثم اهل بالحج وتمتع الناس مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعمرة الى الحج وكان من الناس من اهدى ومنهم من لم يهد فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة قال للناس من كان منكم اهدى فانه لا يحل من شيء حرم منه حتى يقضي حجه ومن لم يكن منكم اهدى فليطف بالبيت والصفا والمروة وليقصر وليحلل ثم ليهل بالحج وليهد فمن لم يجد هديا فليصم ثلاثة ايام في الحج وسبعة اذا رجع الى اهله ووطنه وطاف رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم مكة فاستلم الركن اول شيء ثم خب ثلاثة اطواف من السبع ومشى اربعة اطواف ثم ركع حين قضى طوافه بالبيت عند المقام ركعتين ثم سلم فانصرف فاتى الصفا فطاف بالصفا والمروة سبعة اشواط ثم لم يحلل من شيء حرم منه حتى قضى حجه ونحر هديه يوم النحر وافاض وطاف بالبيت ثم حل من كل شيء حرم منه وفعل مثل ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم من اهدى فساق الهدي من الناس اختلفت الروايات في حجة النبي صلى الله عليه وسلم هل كان مفردا او متمتعا او قارنا وهي الثلاثة اقوال للعلماء بحسب مذاهبهم السابقة ورجحت كل طائفة نوعا وادعت ان حجة النبي صلى الله عليه وسلم كذلك وطريق الجمع بين روايات الصحابة واختلافهم في حجته صلى الله عليه وسلم انه كان اولا مفردا ثم انه صلى الله عليه وسلم احرم بالعمرة بعد ذلك وادخلها على الحج فصار قارنا فمن روى انه كان مفردا فهو الاصل ومن روى القران اعتمد اخر الامر ومن روى التمتع اراد التمتع اللغوي وهو الانتفاع والارتفاق وقد ارتفق بالقران كارتفاق التمتع وزيادة وهي الاقتصار على فعل واحد وبهذا امكن الجمع بين الاحاديث المختلفة في صفة حجة الوداع وهو الصحيح وذكر الشافعي عنه في كتاب اختلاف الحديث كلاما موجزا في ذلك فقال ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان منهم المفرد والقارن والمتمتع وكل كان ياخذ منه امر نسكه ويصدر عن تعليمه فاضيف الكل اليه على معنى انه امر به واذن فيه ويجوز في لغة العرب اضافة الفعل الى الامر به

كما تجوز اضافته الى فاعله كما يقال بني فلان داره واريد به انه امر ببنائها وكما روى
ان النبي صلى الله عليه وسلم رجم ماعزا وانما امر برجمه واختار الشافعي الافراد واحتج
في ترجيحه انه صح ذلك من رواية جابر وابن عمر وابن عباس وعائشة وهؤلاء
لهم مزية في حجة الوداع على غيرهم فاما جابر فهو احسن الدعاء سياقة لرواية حديث
حجة الوداع فانه ذكرها من حين خرج النبي صلى الله عليه وسلم من المدينة الى اخرها
فهو احفظ لها من غيره واما ابن عمر فصح عنه انه كان اخذا بخطام ناقة النبي صلى الله
عليه وسلم في حجة الوداع وانما سمعه يلبي بالحج واما ابن عباس فمحله من العلم والفقه
والدين معروف مع كثرة بحثه عن احوال الرسول صلى الله عليه وسلم واما عائشة فقربها
من رسول الله صلى الله عليه وسلم معروف واطلاعها على باطن امره وظاهره مع
كثرة فقهها وعلمها ومن دلائل ترجيح الافراد ان الخلفاء الراشدين افردوا الحج بعد
رسول الله صلى الله عليه وسلم وواظبوا عليه واركان الحج خمسة الاحرام والوقوف
بعرفة والطواف والسعي بين الصفا والمروة وحلق الراس او التقصير في اصح القولين
واركان العمرة اربعة الاحرام والطواف والسعي والحلق او التقصير وبهذه الاركان تمام
الحج والعمرة قوله تعالى فان احصرتم اصل الحصر في اللغة الحبس والتضييق ثم اختلف
اهل اللغة في الحصر والاحصار فقيل اذا رد الرجل عن وجه يريده فقد احصر واذا حبس
فقد حصر وقال ابن المسيب احصره المرض اذا منعه من السفر او حاجة يريدها وحصره
العدو اذا ضيق عليه وقال الزجاج الرواية من اهل اللغة يقال للذي يمنعه الخوف
او المرض احصر والمحبوس حصر وقال ابن قتيبة في قوله فان احصرتم هو ان يعرض للرجل
ما يحول بينه وبين الحج من مرض او كسر او عدو يقال احصر فهو محصر فان حبس في دار
او سجن قيل حصر فهو محصور وذهب قوم الى انهما بمعنى واحد قال الزجاج يقال للرجل
من حصرك هنا ومن احصرك وقال احمد بن يحيى اصل الحصر والاحصار الحبس وحصر
في الحبس اقوى من احصر وقيل الاحصار يقال في المنع الظاهر كالعدو والمنع الباطن
كالمرض والحصر لا يقال الا في المنع الباطن وقوله فان احصرتم محمول على الامرين
وبحسب اختلاف اهل اللغة في معناها اختلف الفقهاء في حكمها فذهب قوم الى ان كل
مانع من عدو او مرض او ذهاب نفقة فانه يبيح له التحلل من احرامه وهو قول عطاء ومجاهد
وقتادة وهو مذهب ابي حنيفة ويدل عليه ما روي عن عكرمة قال حدثني الحجاج بن
عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كسر او عرج فقد حل وعليه حجة اخرى
قال عكرمة فذكرت ذلك لابي هريرة وابن عباس فقالا صدق اخرجه ابو داود
والنسائي والترمذي وقال حديث حسن وذهب قوم الى انه لا يباح له التحلل الا
بحبس العدو وهو قول ابن عمر وابن عباس وانس وبه قال مالك والليث
والشافعي واحمد وقالوا الحصر والاحصار بمعنى واحد واحتجوا بان نزول الاية كان

في قصة

في قصة المدينة في سنة ست وكان ذلك حبسا من جهة العدو ولان كفار مكة منعوا
النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه من الطواف بالبيت فنزلت هذه الاية فحل النبي صلى
الله عليه وسلم من عمرته ونحر هديه وقضاها من قابل ويدل عليه ايضا سياق الاية وهو
قوله فاذا امنتم والامن لا يكون الا من خوف وثبت عن ابن عباس انه قال لا حصر
الا حصر العدو فثبت بذلك ان المراد من الاحصار هو حصر العدو دون المرض وغيره
واجيب عن حديث الحجاج بن عمرو بانه محمول على من شرط التحلل بالمرض ونحوه حال الاحرام
ويدل على جواز الاشتراط في الاحرام ما روي عن ابن عباس ان ضباعة بنت الزبير
اتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله اني اريد الحج افاشترط قال نعم
قالت كيف اقول قال قولي لبيك اللهم لبيك محلي من الارض حيث تحبسني اخرجه
الترمذي وقال حديث حسن صحيح ولغيره ان ضباعة بنت الزبير كانت وجعة
فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم حجي واشترطي وقولي اللهم محلي حيث حبستني فمذهب
الشافعي واحمد واسحاق اذا اشترط في الحج فعرض له مرض او عذر ان يتحلل ويخرج من
احرامه ثم المحصر يتحلل بذبح الهدي وحلق الراس وهو المراد من قوله تعالى فما استيسر
من الهدي ومعنى الاية فان احصرتم دون تمام الحج والعمرة فعليكم ما استيسر من الهدي والهدي
ما يهدى الى البيت واعلاه بدنة واوسطه بقرة وادناه شاة قال ابن عباس ذبح شاة لانه
اقرب الى اليسر ومحل ذبح المحصر حيث احصر واليه ذهب الشافعي لان النبي صلى الله عليه وسلم ذبح الهدي
عام الحديبية بها وذهب ابو حنيفة الى انه يقيم على احرامه ويبعث بهديه الى الحرم ويواعد
من يذبحه هناك ثم يحل في ذلك الوقت ولا تحلقوا رءوسكم حتى يبلغ الهدي محله اي
مكانه الذي يجب ان يذبح فيه وفيه قولان احدهما انه الحرم فان كان حاجا فمحله يوم النحر
وان كان معتمرا فمحله يوم يبلغ هديه الى الحرم وهو قول ابو حنيفة والقول الثاني محل ذبحه
حيث احصر سواء كان في الحل او في الحرم ومعنى محله حيث يحل ذبحه واكله وهو قول مالك
والشافعي واحمد ويدل عليه ما روي عن ابن عمر قال خرجنا مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم معتمرين فحال كفار قريش دون البيت فنحر صلى الله عليه وسلم وحلق راسه اخرجه
البخاري قوله عز وجل فمن كان منكم مريضا او به اذى من راسه معناه ولا تحلقوا رءوسكم
في حال الاحرام الا ان تضطروا الى حلقه لمرض او اذى وهو القمل والصداع ففدية فيه
اضمار تقديره فحلق راسه فعليه فدية نزلت هذه الاية في كعب بن عجرة ق عن كعب بن
عجرة قال اتى علي رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا اوقد تحت قدر لي والقمل يتناثر
على وجهي فقال ايؤذيك هوام راسك قال قلت نعم قال فاحلق وصم ثلاثة ايام او
اطعم ستة مساكين او انسك نسيكة لا ادري باي ذلك بدا وفي رواية قال فيّ نزلت
هذه الاية فمن كان منكم مريضا او به اذى من راسه ففدية من صيام او صدقة او نسك
وذكر نحوه وفي رواية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مر به وهو بالحديبية قبل ان يدخل

مكة وهو محرم وذكره وفي اخرى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال له ماكنت ارى ان الوجع
بلغ بك ما ارى او ماكنت ارى ان الجهد بلغ منك ما ارى اتجد شاة قلت لا قال
فصم ثلاثة ايام او اطعم ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع قال كعب فنزلت
في خاصة وهي عامة ومعنى قوله تعالى ففدية من صيام اي صوم ثلاثة ايام او صدقة
يعني اطعام ثلاثة آصع ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع او نسك واحدها
نسيكة اي ذبيحة واعلاها بدنة واوسطها بقرة وادناها شاة وهذه الفدية على التخيير
ان شاء ذبح او صام او تصدق وكل هدي او طعام يلزم المحرم فانه لمساكين الحرم الا
هدي المحصر فانه يذبحه حيث احصر واما الصوم فله ان يصوم حيث شاء قوله تعالى فاذا
امنتم يعني من خوفكم وبرأتم من مرضكم وقيل اذا امنتم من الاحصار فمن تمتع بالعمرة الى
الحج قال ابن الزبير معناه فمن احصر حتى فاته الحج ولم يتحلل فقدم مكة فخرج من احرامه بعمل
عمرة فاستمتع باحرامه ذلك بتلك العمرة الى السنة المستقبلة ثم حج فيكون متمتعا بذلك
الاحلال الى احرامه الثاني في العام المقبل وقيل معناه فاذا امنتم وقد حللتم من احرامكم
بعد الاحصار ولم تعتمروا في تلك السنة ثم اعتمرتم في السنة القابلة في اشهر الحج فاستمتعتم
باحلالكم الى الحج ثم احرمتم بالحج فعليكم ما استيسر من الهدي قال ابن عباس هو الرجل يقدم
معتمرا من افق من الآفاق في اشهر الحج فقضى عمرته واقام بمكة حلالا حتى انشأ منها الحج
من عامه ذلك فيكون مستمتعا بالاحلال من العمرة الى احرامه بالحج ومعنى التمتع في اللغة هو
الاستمتاع بعد الخروج من العمرة والتلذذ بما كان محظورا عليه في حال الاحرام الى احرامه بالحج
فما استيسر من الهدي يعني فعليه ما استيسر من الهدي وهو شاة يذبحها يوم النحر فلو ذبح قبله
بعد ما احرم بالحج اجزاه عند الشافعي كدم الجبرانات ولا يجزيه ذبحه عند ابي حنيفة قبل يوم النحر كدم
الاضحية ولوجوب دم التمتع خمس شرائط احدها ان يقدم العمرة على الحج الثاني ان يحرم بالعمرة
في اشهر الحج الثالث ان يحج بعد الفراغ من العمرة في هذه السنة الرابع ان يحرم بالحج من مكة ولا يعود
الى ميقات بلده فان رجع الى الميقات واحرم منه لم يكن متمتعا الخامس ان لا يكون حاضري المسجد
الحرام فهذه الشروط معتبرة في وجوب دم التمتع ومتى فقد شيء منها لم يكن متمتعا ودم
التمتع دم جبران عند الشافعي فلا يجوز ان ياكل منه وقال ابو حنيفة هو دم نسك فيجوز ان
ان ياكل منه وقوله تعالى فمن لم يجد يعني الهدي فصيام ثلاثة ايام في الحج اي فعليه صيام
ثلاثة ايام في وقت اشتغاله بالحج قيل يصوم يوما قبل يوم التروية ويوم التروية ويوم عرفة
وقيل بل المستحب ان يصوم في ايام الحج بحيث يكون يوم عرفة مفطرا فان لم يصم قبل يوم النحر
فقيل يصوم ايام التشريق وبه قال مالك واحمد وهي احد قولي الشافعي وقيل لا يصوم بعد
ايام التشريق وهو رواية عن احمد والقول الآخر للشافعي وسبعة اذا رجعتم يعني وصوموا سبعة
ايام اذا رجعتم الى اوطانكم واهليكم قاله ابن عباس وبه قال الشافعي فلو صام قبل الرجوع
الى اهله لم يجزه عنده وقيل المراد من الرجوع هو الفراغ من اعمال الحج والاخذ في الرجوع

فعلى هذا

فعلى هذا يجزيه ان يصوم السبعة ايام بعد الفراغ من اعمال الحج وقبل الرجوع الى اهله وبه
قال ابو حنيفة تلك عشرة كاملة يعني في الثواب والاجر وقيل كاملة في قيامها مقام
الهدي فاعلم الله ان العشر بكمالها هي القائمة مقام الهدي وقيل فائدة التكرار التوكيد
كقول الفرزدق ٭ ثلاث واثنتان فهن خمس ٭ وسادسة تميل الى السهام ٭ ولان
القرآن انزل بلغة العرب والعرب تكرر الشيء تريد به التوكيد وقيل فائدة ذلك التدرك في
علم الحساب وهو ان يعلم العدد مفصلا ثم يعلمه جملة ليحتاط به من جهتين فكذلك قوله
تعالى فصيام ثلاثة ايام في الحج وسبعة اذا رجعتم تلك عشرة كاملة وقيل لفظه خبر ومعناه
امر اي اكملوها ولا تنقصوها ذلك اي هذا الحكم الذي تقدم لمن لم يكن اهله حاضري المسجد
الحرام قيل حاضروا المسجد الحرام هم اهل مكة وهو قول مالك وقيل هم اهل الحرم وبه قال
طاوس وقال ابن جريج هم اهل عرفة والرجيع وضجنان ونخلة وقال الشافعي كل من كان
وطنه من مكة اقل من مسافة القصر وهو من حاضري المسجد الحرام وقيل هم من دون
الميقات وقال ابو حنيفة حاضري المسجد الحرام هم اهل الميقات والمواقيت ذو الحليفة والجحفة
وقرن ويلملم وذات عرق فمن كان من اهل هذه المواضع فما دونها الى مكة وهو من حاضري
المسجد الحرام وقيل حاضري المسجد الحرام من تلزمه الجمعة فيه ومعنى الآية ان المشار اليه في قوله ذلك
يرجع الى اقرب مذكور وهو لزوم الهدي او بدله على المتمتع وهو الآفاقي فاما المكي اذا تمتع
او قرن فلا هدي عليه ولا بدل له لانه لا يجب عليه ان يحرم من الميقات فاحرامه على التمتع لا يوجب
خللا في حجه فلا يجب عليه الهدي ويدل على ذلك ما اخرجه البخاري تعليقا من حديث عكرمة قال
سئل ابن عباس عن متعة الحج فقال اهل المهاجرون والانصار وازواج رسول الله صلى الله عليه
وسلم في حجة الوداع واهللنا فلما قدمنا مكة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اجعلوا اهلالكم بالحج
عمرة الا من قلد الهدي طفنا بالبيت وبالصفا والمروة واتينا النساء ولبسنا الثياب وقال من
قلد الهدي فانه لا يحل من شيء حتى يبلغ الهدي محله ثم امرنا عشية التروية ان نهل بالحج فاذا فرغنا
من المناسك جئنا فطفنا بالبيت وبالصفا والمروة وقد تم حجنا وعلينا الهدي كما قال
الله تعالى فما استيسر من الهدي فمن لم يجد فصيام ثلاثة ايام في الحج وسبعة اذا رجعتم الى امصاركم
فالشاة تجزي فجمعوا بين النسكين في عام بين الحج والعمرة فان الله تعالى انزله في كتابه وسنة نبيه
صلى الله عليه وسلم واباحه للناس غير اهل مكة قال الله تعالى ذلك لمن لم يكن اهله حاضري المسجد
الحرام وفي الحديث زيادة قال الحميدي قال ابو مسعود الدمشقي هذا حديث عزيز ولم اجده الا عند
مسلم بن حجاج ولم يخرجه في صحيحه من اجل عكرمة فانه لم يرو عنه في صحيحه وعندي ان البخاري انما
اخذه من مسلم وقوله تعالى واتقوا الله اي فيما فرضه عليكم ونهاكم عنه في الحج وفي غيره واعلموا
ان الله شديد العقاب يعني لمن خالف امره وتهاون بحدوده وارتكب مناهيه قوله عز وجل
الحج اشهر معلومات يعني اشهر الحج اشهر معلومات وقيل وقت الحج اشهر معلومات وهي شوال وذو
القعدة وعشر ليال من ذي الحجة الى طلوع الفجر من يوم النحر وبه قال عبد الله بن مسعود وجابر

ابن عبد الله وعبد الله بن الزبير ومن التابعين الحسن وابن سيرين والشعبي وهو قول النخعي
والثوري وابي ثور وحجة الشافعي ومن وافقه ان الحج يفوت بطلوع الفجر الثاني من يوم النحر
والعبادة لا تفوت مع بقاء وقتها فدل على ان يوم النحر ليس من اشهر الحج وايضا فان الاحرام بالحج
فيه لا يجوز فدل على انه وما بعده ليس من اشهر الحج وقال ابن عباس اشهر الحج شوال وذو القعدة
وعشرة ايام من ذي الحجة اخرها يوم النحر وبه قال ابن عمر وعروة بن الزبير وعطا وطاوس
والنخعي وقتادة ومكحول والضحاك والسدي وابو حنيفة واحمد بن حنبل وهو احد الروايتين
عن مالك وحجة هذا القول ان يوم النحر هو يوم الحج الاكبر ولان فيه طواف الافاضة وهو
تمام اركان الحج وقيل ان اشهر الحج شوال وذو القعدة وذو الحجة بكماله وهو رواية عن ابن عمر
وبه قال الزهري وهي الرواية الاخرى عن مالك وحجة هذا القول ان الله تعالى ذكر اشهر الحج بلفظ
الجمع واقل الجمع المطلق ثلث ولان كل شهر كان اوله من اشهر الحج كان اخره كذلك فان قلت
هنا اشكال وهو ان الله تعالى قال قبل هذه الاية يسئلونك عن الاهلة قل هي مواقيت للناس
والحج فجعل الاهلة كلها مواقيت للحج قلت قوله هي مواقيت للناس والحج عام وهذه الاية وهي
قوله الحج اشهر معلومات خاص والخاص مقدم على العام وقيل ان الاية الاولى مجملة وهذه الاية
مفسرة لها فان قلت انما قال اشهر الحج بلفظ الجمع وعند الشافعي اشهر الحج شهران وعشر ليال وعند ابي
حنيفة وعشرة ايام فما وجه هذا قلت ان لفظ الجمع شرك فيه ما ورا الواحد بدليل قوله تعالى
فقد صغت قلوبكما او قيل انه نزل بعض الشهر منزلة كله كما يقال رأيتك سنة كذا وانما رآه في ساعة
منها ولا اشكال فيه على القول الثالث وهو قول من قال ان اشهر الحج ثلث شوال وذو القعدة وذو
الحجة بكماله فمن فرض فيهن الحج يعني فمن الزم نفسه واوجب عليها فيهن الحج والمراد بهذا الفرض ما به
يصير حاجا وهو فعل يفعله ثم اختلفوا في ذلك الفعل فقال الشافعي ينعقد الاحرام بمجرد النية من غير
حاجة الى التلبية ووجهه ان فرض الحج عبارة عن النية فوجب ان تكون النية كافية في انعقاد
الحج وقال ابو حنيفة لا يصح الشروع في الاحرام بمجرد النية حتى ينضم اليه التلبية او سوق الهدي
ووجهه ان الحج عبادة لها تحليل وتحريم فلا بد من انضمام شي الى النية كالصلاة وفي الاية دليل على
ان الاحرام بالحج لا ينعقد الا في اشهره وهو قول ابن عباس واليه ذهب الشافعي واحمد واسحاق لان
الله تعالى خصص هذه الاشهر بفرض الحج فيها فلو انعقد في غيرها لم يكن لهذا التخصيص فائدة
وقال مالك والثوري وابو حنيفة ينعقد احرامه بالحج في جميع شهور السنة ووجهه ان الاحرام التزام
الحج فجاز تقديمه على الوقت كالنذر لان الله تعالى جعل الاهلة كلها مواقيت للحج بقوله هي مواقيت
للناس والحج وقد تقدم الجواب عنه وقوله تعالى فلا رفث قال ابن عباس الرفث الجماع وعنه ايضا
عنه ان الرفث غشيان النسا والقبل والغمز وان يعرض لهن بالفحش من الكلام فعلى هذا القول
اللفظ بغيبة النسا لا يكون رفثا قال حصين بن قيس اخذ ابن عباس بذنب بعيره
يلويه وهو يحدو ويقول ٥ وهن يمشين بنا هميسا ٥ ان يصدق الطير ننك لميسا ٥٥
فقلت اترفث وانت محرم فقال انما الرفث ما قيل عند النسا وقوله لميسا هو اسم امراة

وقيل الرفث

وقيل الرفث كلام متضمن لما يستقبح ذكره من ذكر الجماع ودواعيه وقوله فلا رفث يحتمل
ان يكون نهيا عن تعاطي الجماع وان يكون نهيا عن ذلك لانه من دواعيه وقيل الرفث
هو الفحش والخنا والقول القبيح وقيل الرفث اللغو من الكلام ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم
اذا كان يوم صوم احدكم فلا يرفث يومئذ ولا يصخب ولا فسوق اصله الخروج عن الطاعة قال ابن
عباس هو المعاصي كلها وهو قول طاوس والحسن وسعيد بن جبير وقتادة والزهري والربيع
والقرظي وقال ابن عمر هو ما نهي عنه المحرم في حال الاحرام من قتل الصيد وتقليم الاظفار واخذ
الشعر وما اشبه ذلك وقيل التنابز بالالقاب ٥ عن ابي هريرة قال سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول من حج ولم يفسق رجع كيوم ولدته امه ولا جدال في الحج قال ابن
عباس الجدال المراء وهو ان يماري الرجل صاحبه ويخاصمه حتى يغضبه وقيل هو قول الرجل
الحج اليوم ويقول الاخر الحج غدا وقيل هو ان النبي صلى الله عليه وسلم قال في حجة الوداع وقد
احرموا بالحج اجعلوا اهلالكم بالحج عمرة الا من قلد الهدي قالوا كيف نجعلها عمرة وقد سمينا الحج
فهذا كان جدالهم وقيل هو ما كان عليه اهل الجاهلية كان بعضهم يقف بعرفة وبعضهم
بالمزدلفة وكان بعضهم يحج في ذي القعدة وبعضهم في ذي الحجة وكل يقول الصواب فيما
يفعله فانزل الله ولا جدال في الحج اي ان امر الحج قد استقر على ما فعله رسول الله صلى الله
عليه وسلم فلا اختلاف فيه بعده وذلك كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الزمان قد
استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض وقيل معناه ولا شك في الحج في ذي الحجة
فابطل النسي وقيل ظاهر الاية خبر ومعناه نهي اي لا ترفثوا ولا تفسقوا ولا تجادلوا في الحج
وانما نهى عن ذلك وامر باجتنابه بالحج وان كان اجتنابه ذلك في كل الاحوال والازمان
واجب لان الرفث والفسوق والجدال في الحج اسمج واقطع منه في غيره وما تفعلوا من خير
يعلمه الله اي لا يخفى عليه شي من اعمالكم وهو الذي يجازيكم عليها حث على فعل الخير عقب
النهي عن الشر وهو ان يستعملوا مكان الرفث الكلام الحسن ومكان الفسوق البر
والتقوى ومكان الجدال الوفاق والاخلاق الجميلة وقيل جعل فعل الخير عبارة عن ربط
الانفس عن الشر حتى لا يوجد منهم ما نهوا عنه وقيل انما ذكر الخير وان كان عالما بجميع
افعال العباد من الخير والشر لفائدة وهو انه تعالى اذا علم من العبد الخير ذكره واشهره
واذا علم منه الشر ستره واخفاه فاذا كان هذا فعله مع عبده في الدنيا فكيف يكون في
العقبى وهو ارحم الراحمين واكرم الاكرمين وتزودوا فان خير الزاد التقوى نزلت في
ناس من اهل اليمن كانوا يخرجون بالحج بغير زاد ويقولون نحن متوكلون ويقولون نحج
بيت ربنا افلا يطعمنا فاذا قدموا مكة سالوا الناس وربما افضى بهم الحال الى النهب
والغصب فانزل الله وتزودوا اي ما تتبلغون به وتكفون به وجوهكم عن الناس
والقوا براسهم والتثقيل عليهم فان خير الزاد التقوى وقيل معنى الاية وتزودوا من
التقوى فان الانسان لا بد له من سفر في الدنيا ولا بد فيه من زاد ويحتاج فيه الى الطعام

والشراب والمركب وسفر من الدنيا الى الاخرة لا بد فيه من زاد ايضا وهو تقوى الله والعمل
بطاعته وهو الزاد افضل من الزاد الاول فان زاد الدنيا يوصل الى مراد النفس وشهواتها
وزاد الاخرة يوصل الى النعيم المقيم في الاخرة وفي هذا المعنى قال الاعشى
اذا لم ترحل بزاد من التقى ٭ ولاقيت بعد الموت من قد تزودا ٭ ندمت على ان
لا تكون بمثله ٭ وانك لم ترصد كما كان ارصدا ٭ واتقون اي وخافوا عقابي وقيل
معناه واشتغلوا بتقوى وفيه تنبيه على كمال عظمة الله جل جلاله يا اولي الالباب
اي يا ذوي العقول الذين يعلمون حقائق الامور قوله عز وجل ليس عليكم جناح
اي حرج ان تبتغوا فضلا من ربكم يعني رزقا ونفعا وهو الربح في التجارة خ عن ابن
عباس قال كانت عكاظ ومجنة وذو المجاز اسواقا في الجاهلية فلما كان الاسلام
فكانهم تاثموا ان يتجروا في المواسم فنزلت ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم
في موسم الحج وقرأها ابن عباس هكذا وفي رواية ان تبتغوا في مواسم الحج فضلا من
ربكم وعكاظ سوق معروف بقرب مكة ومجنة بفتح الميم وكسرها سوق بقرب مكة ايضا
قال الازرقي هي بسفل مكة على بريد منها وذو المجاز سوق عند عرفات فانهم كانت
العرب في الجاهلية يتجرون في هذه الاسواق ولها مواسم فكانوا يقيمون بعكاظ
عشرين يوما من ذي القعدة ثم ينتقلون الى مجنة فيقيمون بها ثمانية عشر يوما عشرة
ايام من اخر ذي القعدة وثمانية ايام من اول ذي الحجة ثم يخرجون الى عرفة في يوم التروية وقال
الداودي مجنة عند عرفة وعن ابي امامة التيمي قال كنت رجلا اكري في هذا الوجه
وكان الناس يقولون الي انه ليس لك حج فلقيت ابن عمر فقلت له يا ابا عبد الرحمن
اني رجل اكري في هذا الوجه وان اناسا يقولون انه ليس لك حج فقال ابن عمر اليس تحرم
وتلبي وتطوف بالبيت وتفيض من عرفات وترمي الجمار قلت بلى قال فان لك
حجا جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله عن مثل ما سألتني عنه فسكت رسول
الله صلى الله عليه وسلم فلم يجبه حتى نزلت هذه الاية ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا
من ربكم فارسل اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرأها عليه وقال لك حج اخرجه ابو داود
والترمذي وقال بعض العلماء ان التجارة ان اوقعت نقصا في اعمال الحج لم تكن مباحة
وان لم توقع نقصا فيه كانت التجارة من المباحات التي الاولى تركها لتجريد العبادة
عن غيرها لان الحج بدون التجارة اكمل وافضل وهو قوله تعالى فاذا افضتم اي دفعتم
والافاضة دفع بكثرة من عرفات جمع عرفة سميت بذلك وان كانت بقعة
واحدة لان كل موضع من تلك المواضع عرفة فسمي تلك المواضع عرفات وقيل ان
اسم الموضع عرفات واسم اليوم عرفة قال عطا كان جبريل يري ابرهيم المناسك
ويقول له عرفت فيقول عرفت فسمي ذلك المكان عرفات واليوم عرفة وقال
الضحاك ان ادم لما اهبط وقع بالهند وحوى بجدة فجعل كل واحد منهما

يطلب

يطلب صاحبه فاجتمعا بعرفات في يوم عرفة فتعارفوا فسمي اليوم عرفة والموضع عرفات قال السدي
ان ابرهيم لما اذن في الناس بالحج واجابوه بالتلبية واتى من اتى امره الله تعالى ان يخرج الى عرفات
ونعتها له فخرج فلما بلغ الجمرة استقبله الشيطان يرده فرماه بسبع حصيات يكبر مع كل حصاة
فطار فوقع على الجمرة الثانية فرماه وكبر فطار فوقع على الجمرة الثالثة فرماه وكبر فطار
اي الشيطان انه لا يستطيعه ذهب فانطلق ابرهيم حتى اتى ذا المجاز فنظر اليه فلم يعرفه فجاز
فسمي ذا المجاز ثم انطلق ابرهيم حتى وقف بعرفات فعرفها بالنعت فسمي الوقت عرفة
والموضع عرفات حتى اذا امسى ازدلف الى جمع فسمي ذلك الموضع المزدلفة وفي رواية عن
ابن عباس ان ابرهيم راى ليلة التروية في منامه انه يؤمر بذبح ابنه فلما اصبح تروى يومه
اجمع اي تفكر هل هذه الرؤيا من الله ام الشيطان فسمي يوم التروية ثم راى ذلك في ليلة
عرفة ثانيا فلما اصبح عرف ان ذلك من الله فسمي اليوم عرفة وقيل سمي بذلك لان الناس
يعترفون في ذلك اليوم بذنوبهم وقيل سمي عرفة من العرف وهو الطيب وسمي منا لما
يمنى فيها من الدماء اي يصب فيكون فيه الفروث والدماء فلا يكون الموضع طيبا
وعرفات طاهرة عن مثل هذا فيكون طيبة فاعلم ان الوقوف بعرفة ركن من اركان
الحج ولا يتم الحج الا به ومن فاته الوقوف في وقته فقد فاته الحج ويدخل وقت الوقوف
بعرفة بزوال الشمس من يوم عرفة ويمتد الى طلوع الفجر الثاني من يوم النحر وذلك
نصف يوم وليلة كاملة فمن وقف بعرفات في هذا الوقت ولو لحظة واحدة من ليل او نهار
فقد حصل له الوقوف ويتم حجه وقال احمد وقت الوقوف من طلوع الفجر يوم عرفة الى طلوع
الفجر من يوم النحر ووقت الافاضة من عرفات بعد غروب الشمس اذا غربت الشمس دفع من
عرفات واخر صلاة المغرب حتى يجمع بينها وبين صلاة العشاء بمزدلفة ق عن اسامة بن زيد قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من عرفة حتى اذا كان بالشعب نزل فبال ثم توضأ ولم يسبغ الوضوء
قلت الصلاة يا رسول الله قال الصلاة امامك ثم ركب فلما جاء المزدلفة نزل فتوضأ فاسبغ الوضوء
ثم اقيمت الصلاة فصلى المغرب ثم اناخ كل انسان بعيره في منزله ثم اقيمت العشاء فصلى
ولم يصل بينهما شيئا وقوله تعالى فاذكروا الله عند المشعر الحرام سمي مشعرا من الشعار وهو العلامة
لانه من معالم الحج واصل الحرام المنع فهو ممنوع من ان يفعل فيه ما لم يؤذن فيه والمشعر
الحرام هو ما بين جبلي المزدلفة من مازمي عرفة وادي محسر وليس المازمان ولا وادي
محسر من المشعر الحرام وقيل المشعر الحرام هو المزدلفة وسماه الله تعالى بذلك لان الصلاة
والمبيت به والدعاء عنده من معالم الحج وقيل المشعر الحرام هو قزح وهو اخر حد المزدلفة
والاول اصح وسميت المزدلفة من الازدلاف وهو الاقتراب لانها منزلة من الله وقربة
وقيل لنزول الناس بها زلف الليل وقيل لاجتماع الناس بها وتسمى المزدلفة جمعا لانه يجمع
فيها بين المغرب والعشاء قيل المراد بالذكر عند المشعر الحرام هو الجمع بين صلاتي المغرب
والعشاء هناك ويدل عليه ان قوله فاذكروا الله امر وهو للوجوب ولا يجب هناك الا الصلاة

والذي عليه جمهور العلما ان المراد بالذكر هو الدعا والتلبية والتسبيح والتحميد والتهليل
والتكبير ق عن ابن عباس ان اسامة بن زيد كان ردف النبي صلى الله عليه وسلم
من عرفة الى المزدلفة ثم اردف الفضل من المزدلفة الى منى فكلاهما قال لم يزل النبي
صلى الله عليه وسلم يلبي حتى رمى جمرة العقبة عن جابر قال دفع رسول الله صلى الله
عليه وسلم حتى اتى المزدلفة فصلى بها المغرب والعشا باذان واحد واقامتين ولم
يسبح بينهما شيا ثم اضطجع حتى طلع الفجر فصلى الفجر حين تبين له الصبح باذان واقامة
ثم ركب القصوى حتى اتى المشعر الحرام فاستقبل القبلة وطاف وكبر وهلله ووحده
ولم يزل واقفا حتى اسفر جدا ودفع قبل ان تطلع الشمس هذا الحديث ذكره البغوي
بغير سند ولم اجده في الاصول قال طاوس كان في الجاهلية يدفعون من عرفة
قبل ان تغيب الشمس ومن المزدلفة بعد طلوعها وكانوا يقولون اشرق ثبير كيما نغير فنسخ الله
تعالى احكام الجاهلية فاخر الافاضة الى بعد غروب الشمس وقدم الافاضة من المزدلفة
الى قبل طلوعها وثبير جبل بمكة ومعنى قولهم اشرق ثبير ادخل ايها الجبل في الشروق
وقولهم كيما نغير اي ندفع للنحر يقال اغار اذا اسرع ودفع في عدوه خ عن عمرو بن
ميمون قال قال عمر كان اهل الجاهلية لا يفيضون من جمع حتى تطلع الشمس وكانوا
يقولون اشرق ثبير فخالفهم النبي صلى الله عليه وسلم فافاض قبل طلوع الشمس
وقوله تعالى واذكروه كما هداكم اي اذكروه بالتوحيد والتعظيم كما ذكركم بالهداية فهداكم
لدينه ومناسك حجه وان كنتم من قبله لمن الضالين اي لا تعرفون كيف تذكرونه
وكيف تعبدونه والهاء في قوله من قبله راجعة الى الهدى وقيل الى الرسول اي
من قبل ارسال الرسول لمن الضالين وهو كناية عنه غير مذكور وقيل ترجع الى
القران والمعنى واذكروه كما هداكم بكتابه الذي انزل عليكم وان كنتم من قبل انزاله
لمن الضالين قوله عز وجل ثم افيضوا من حيث افاض الناس اي لتكن افاضتكم
من حيث افاض الناس وفي المخاطبين بهذا قولان احدهما انه خطاب لقريش قال
اهل التفسير كانت قريش ومن دان بدينها وهم الحمس يقفون بالمزدلفة ويقولون
نحن اهل الله وقطان حرمه فلا نخلف الحرم ولا نخرج منه ويتعاظمون ان يقفوا
مع سائر الناس بعرفات فاذا افاض الناس من عرفات افاض الحمس من المزدلفة فامرهم
الله ان يقفوا بعرفات مع سائر الناس ثم يفيضوا منها الى جمع واخبرهم انه سنة
ابراهيم واسماعيل عليهما السلام ق عن عائشة رضي الله عنها قالت كان قريش ومن
دان دينها يقفون بالمزدلفة وكانوا يسمون الحمس فكانت سائر العرب يقفون
بعرفة فلما جاء الاسلام امر الله نبيه صلى الله عليه وسلم ان ياتي عرفات فيقف بها ثم يفيض
منها فذلك قوله ثم افيضوا من حيث افاض الناس قولها وكانوا يسمون الحمس
هو جمع احمس واصله من الشدة والشيء عنه وانما سميت قريش وكنانة حمسا

لتشددهم

لتشددهم في دينهم فعلى هذا القول الناس معناه سائر العرب سوى الحمس والقول الثاني انه
خطاب لسائر المسلمين امرهم الله ان يفيضوا من حيث افاض ابراهيم وهو المراد بقوله من
حيث افاض الناس من ادم وحده بدليل قراءة سعيد بن جبير ثم افيضوا من حيث افاض
الناسي بالياء وقيل هو ادم عهد اليه فنسي ووجه هذا ان الوقوف بعرفات والافاضة
منها شرع قديم وما سواه مبتدع محدث وقيل المراد من هذه الاية الافاضة من المزدلفة
الى منى يوم النحر قبل طلوع الشمس للرمي والنحر فاراد بالناس ابراهيم واسمعيل واتباعهما
لانه كانت افاضتهم من المزدلفة قبل طلوع الشمس ووجه هذا القول ان الافاضة بعرفات
قد تقدم ذكرها في قوله فاذا افضتم من عرفات ثم قال بعد ذلك ثم افيضوا من حيث
افاض الناس فدل على ان هذه الافاضة من المزدلفة الى منى لكن القول الاول هو الاصح
الذي عليه جمهور المفسرين فان قلت على القول الاول الذي هو قول جمهور المفسرين
اشكال وهو ان ظاهر الكلام لا يقتضي ذلك لان قوله فاذا افضتم من عرفات فاذكروا الله
دال الافاضة من عرفات قبل الافاضة من جمع فكيف قال ثم افيضوا من حيث افاض الناس
فكانه قال فاذا افضتم من عرفات فافيضوا من عرفات وذلك غير جائز قلت اجيب عن هذا
الاشكال بان فيه تقديما وتاخيرا التقدير ثم افيضوا من حيث افاض الناس واستغفروا
الله ان الله غفور رحيم ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم فاذا افضتم من عرفات
فاذكروا الله فعلى هذا الترتيب يصح ان تكون هذه الافاضة تلك الافاضة بعينها وقيل
ان ثم في قوله ثم افيضوا بمعنى الواو اي وافيضوا كقوله ثم كان من الذين امنوا والافاضة
الدفع ق عن هشام بن عروة عن ابيه قال سال اسامة بن زيد وانا جالس كيف كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير في حجة الوداع قال كان يسير العنق فاذا وجد
فجوة نص قال هشام والنص فوق العنق بفتح العين ضرب من السير سريع وهو اشد
من المشي والفجوة الفرجة وهي المتسع من الارض والنص السير السريع حتى يستخرج من الناقة
اقصى وسعها خ عن ابن عباس انه دفع مع النبي صلى الله عليه وسلم يوم عرفة فسمع
النبي صلى الله عليه وسلم وراءه زجرا شديدا وضربا للابل فاشار بسوطه اليهم وقال
ايها الناس عليكم بالسكينة فان البر ليس بالايضاع الايضاع السير السريع الشديد
وقوله تعالى واستغفروا الله اي من مخالفتكم في الموقف ولجميع ذنوبكم ان الله غفور
رحيم يعني ان الله هو الساتر لذنوب عباده برحمته والغفور يفيد المبالغة في الغفر
وكذا الرحيم وفيه دليل على انه تعالى يقبل التوبة عن عباده التائبين ويغفر لهم لانه تعالى
امر المذنب بالاستغفار ثم وصف نفسه تعالى بانه كثير الغفران كثير الرحمة فدل ذلك على انه
تعالى يغفر للمستغفرين ويرحم المذنبين بمنه وكرمه قوله عز وجل فاذا قضيتم مناسككم
اي فرغتم من حجكم وعباداتكم وذبحتم نسائككم اي ذبائحكم وذلك بعد رمي جمرة العقبة
والاستقرار يعني فاذكروا الله يعني بالتحميد والتمجيد والتهليل والتكبير والثناء عليه كذكركم

ابائكم قال اهل التفسير كانت العرب في الجاهلية اذا فرغوا من حجهم وقفوا بين المسجد بمنى وبين
الجبل وقيل عند البيت فيذكرون مفاخر ابائهم ومآثرهم وفضائلهم ومحاسنهم ومناقبهم
فيقول احدهم كان ابي كبير الجفنة رحب الفناء يقري وكان كذا وكذا يعد مفاخره ومناقبه
وينشدون الاشعار في ذلك ويتكلمون بالمنثور والمنظوم من الكلام الفصيح وغرضهم
بذلك الشهرة والسمعة والرفعة بذكر مناقب سلفهم وابائهم فلما من الله عليهم
بالاسلام امرهم ان يكون ذكرهم لله لا لابائهم وقال اذكروني فانا الذي فعلت ذلك بكم
وبهم واحسنت اليكم واليهم قال ابن عباس معناه فاذكروا الله كذكر الصبيان الصغار الاباء
وذلك لان الصبي اول ما يفصح بالكلام يقول ابه امه لا يعرف غير ذلك فامرهم ان يذكروه
كذكر الصبيان الصغار الاباء او اشد ذكرا اي بل اشد ذكرا وقيل او بمعنى الواو اي واشد
ذكرا اي واكثر ذكرا لله لانه هو المنعم عليهم وعلى الاباء فهو المستحق للذكر والحمد مطلقا وسئل
ابن عباس عن هذه الاية وقيل له قد ياتي على الرجل اليوم ولا يذكر اباه فقال ليس كذلك
ولكن ان تغضب لله اذا عصي اشد من غضبك لوالديك اذا شتما فمن الناس من
يقول ربنا اتنا في الدنيا يعني ان المشركين كانوا يسئلون الله في حجهم الدنيا ونعيمها
كانوا يقولون اللهم اعطنا ابلا وغنما وبقرا وعبيدا واماء وكان احدهم يقوم فيقول
اللهم ان ابي كان عظيم القبة كبير الجفنة كثير المال فاعطني مثل ما اعطيته قال قتادة هذا
عبد نيته الدنيا لها انفق ولها عمل ونصب خ عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال تعس عبد الدينار وعبد الدرهم وعبد الخميصة ان اعطي رضي وان لم يعط سخط تعس
وانتكس واذا شيك فلا انتقش قوله تعس عبد الدينار هذا دعا عليه بالهلاك
وهو الوقوع على الوجه من العثار والخميصة ثوب من خز او صوف معلم وانتكس
هذا دعا عليه ايضا لانه من انتكس على راسه او في امره فقد خاب وخسر قوله واذا شيك
هذا فعل ما لم يسم فاعله يقال شاكته الشوكة اذا دخلت في جسمه والانتقاش اخراج
الشوكة من الجسم وانما كان سؤال المشركين للدنيا ولم يطلبوا التوبة والمغفرة ونعيم
الدنيا ونعيم الاخرة لانهم كانوا ينكرون البعث وما له في الاخرة من خلاق اي وما له
في الاخرة من حظ ولا نصيب ومنهم من يقول ربنا اتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة
يعني المومنين واعلم ان الله تعالى قسم الداعين فريقين فريق اقتصر على طلب الدنيا
وهم الكفار لانهم كانوا لا يعتقدون البعث والاخرة والفريق الثاني وهم المومنون
الذين اجمعوا في الدعا على طلب الدنيا والاخرة وذلك لان الانسان خلق ضعيفا محتاجا
لا طاقة له بالم الدنيا ومتاعبها فالاولى له ان يستعيذ بالله من شرها والامها لانه لو
اضطرب على الانسان عرق من عروقه لتشوش عليه حياته في الدنيا وتعطل عن
الاشتغال بطاعة الله تعالى فثبت بذلك ان طلب الدنيا في الدعا من امر الدين
فلذلك قال الله تعالى اخبارا عن المومنين ومنهم من يقول ربنا اتنا في الدنيا حسنة

وفي الاخرة

وفي الاخرة حسنة قيل ان الحسنة في الدنيا عبارة عن الصحة والامن والكفاية والتوفيق
الى الخير والنصر على الاعدا والولد الصالح والزوجة الصالحة م عن عبد الله بن عمرو بن
العاص عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الدنيا متاع وخير متاعها المراة الصالحة وقيل
الحسنة في الدنيا العلم والعبادة وفي الاخرة الجنة وقيل الحسنة في الدنيا الرزق الحلال والعمل
الصالح وفي الاخرة المغفرة والثواب وقيل من اتاه الله الاسلام والقران واهلا ومالا فقد اوتي
في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة يعني في الدنيا عافية وفي الاخرة عافية م عن انس ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم عاد رجلا من المسلمين قد خفت فصار مثل الفرخ فقال له رسول
الله صلى الله عليه وسلم هل كنت تدعو الله بشي او تساله اياه فقال نعم كنت اقول اللهم ما
كنت معاقبني به في الاخرة فعجله لي في الدنيا فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم سبحان الله
لا تطيقه ولا تستطيعه افلا قلت اللهم اتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة وقنا عذاب النار
قال فدعا الله به فشفاه ق عن انس بن مالك قال كان اكثر دعا النبي صلى الله عليه وسلم اللهم
اتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة وقنا عذاب النار اي اجعل بيننا وبينها وقاية عن عبد الله
ابن السايب قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بين الركنين ربنا اتنا في الدنيا
حسنة وفي الاخرة حسنة وقنا عذاب النار اخرجه ابو داود اولئك اشارة الى المومنين
الداعين بالحسنتين ووجه هذا القول ان الله ذكر حكم الفريق بكماله فقال وما له في الاخرة من
خلاق وقيل يرجع الى الفريقين لهم جميعا اي لكل فريق من هولا لهم نصيب اي حظ مما كسبوا
يعني من الخير والدعا بالثواب والجزا على الدعا بالدنيا من جنس ما كسب ودعا والله
سريع الحساب ذكروا في معنى الحساب ان الله تعالى يعلم العباد بما لهم وعليهم بمعنى انه تعالى يخلق
العلوم الضرورية في قلوبهم بمقادير اعمالهم وكمياتها وكيفياتها وبمقادير ما لهم من الثواب
وعليهم من العقاب وقيل ان المحاسبة عبارة عن المجازاة ويدل عليه قوله تعالى وكاين من
قرية عتت عن امر ربها ورسله فحاسبناها حسابا شديدا وقيل ان الله تعالى يكلم
عباده يوم القيامة ويعرفهم اعمالهم وما لهم من الثواب والعقاب وقيل انه تعالى
اذا حاسب عباده فحسابه سريع لانه تعالى لا يحتاج الى عقد يد ولا روية فكر ووصف نفسه
تعالى بسرعة الحساب مع كثرة الخلايق وكثرة اعمالهم ليدل بذلك على كمال قدرته لانه
تعالى لا يشغله شان عن شان ولا يحتاج الى الة ولا مادة ولا مساعد لاجرم كان
قادرا على ان يحاسب جميع الخلايق في اقل من لمحة البصر وروي انه تعالى يحاسب
الخلايق في قدر حلب شاة او ناقة وقيل في معنى كونه تعالى سريع الحساب اي سريع
القبول لدعا عباده والاجابة لهم وذلك انه تعالى يساله السايلون في الوقت
الواحد كل واحد منهم اشيا مختلفة من امور الدنيا والاخرة فيعطي كل واحد مطلوبه
من غير ان يشتبه عليه شي من ذلك لانه تعالى عالم بجميع احوال عباده واعمالهم و
قيل في معنى الاية ان اتيان القيامة قريب لان كل ما هو كاين وات قريب

لا محالة وفيه اشارة الى المبادرة بالذكر وساير الطاعات وطلب الآخرة قوله عز وجل واذكروا الله
يعني بالتوحيد والتعظيم والتكبير في ادبار الصلوات وعند رمي الجمرات وذلك انه يكبر
مع كل حصاة من حصى الجمار فقد ورد في الصحيح ان النبي صلى الله عليه وسلم كبر مع كل
حصاة في ايام معدودات يعني ايام التشريق وهي ايام منى ورمي الجمار وسميت
معدودات لقلتهن وهي ثلاثة ايام بعد يوم النحر اولها اليوم الحادي عشر من ذي
الحجة وهو قول ابن عمر وابن عباس والحسن وعطا ومجاهد وقتادة وهو مذهب
الشافعي وقيل ان الايام المعدودات يوم النحر ويومان بعده وهو قول علي بن ابي
طالب ويروى عن ابن عمر ايضا وهو مذهب ابي حنيفة م عن نبيشة الهذلي قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ايام التشريق ايام اكل وشرب وذكر الله ومن
الذكر في هذه الايام التكبير خ عن ابن عمر انه كان يكبر بمنى تلك الايام خلف الصلوات
وعلى فراشه وفي فسطاطه وفي مجلسه وفي ممشاه في تلك الايام جميعا وفي رواية
انه كان يكبر في قبته فيسمعه اهل المسجد فيكبرون ويكبر اهل الاسواق حتى ترتج
منى اخرجه البخاري بغير اسناد اجمع العلماء على ان المراد بهذا هو التكبير عند رمي
الجمار وهو ان يكبر مع كل حصاة يرمي بها في جميع ايام الرمي واجمعوا ايضا على ان
التكبير في عيد الاضحى وفي هذه الايام في ادبار الصلوات سنة واختلفوا في وقت
التكبير فقيل يبتدى به من صلاة الظهر يوم النحر الى صلاة الصبح من آخر ايام التشريق
فيكون التكبير على هذا القول في خمسة عشر صلاة وهو قول ابن عباس وبه
قال الشافعي في صح اقول له قال الشافعي لان الناس فيه تبع للحاج وذكر الحاج قبل هذا الوقت
هو التلبية وياخذون في التكبير يوم النحر من صلاة الظهر وقيل انه يبتدى به من صبح
يوم عرفة ويختم بصلاة العصر من يوم النحر فعلى هذا القول في ثمان صلوات وبه قال
ابو حنيفة وقال احمد بن حنبل اذا كان حلالا كبر عقيب ثلاث وعشرين صلاة اولها
الصبح من يوم عرفة وآخرها صلاة العصر من آخر ايام التشريق وان كان محرما كبر عقيب سبعة
عشر صلاة اولها الظهر من يوم النحر وآخرها عصر آخر ايام التشريق ولفظ التكبير عند الشافعي
ثلاثا نسقا الله اكبر الله اكبر الله اكبر وهو قول سعيد بن جبير والحسن وهو قول اهل المدينة
قال الشافعي وما زاد من ذكر الله فحسن ويروى عن ابن مسعود انه يكبر مرتين فيقول الله اكبر
الله اكبر وهو قول اهل العراق وقوله تعالى فمن تعجل في يومين اى فمن تعجل النفر الاول
وهو في الثاني من ايام التشريق فلا اثم عليه اى فلا حرج عليه وذلك انه يجب على الحاج
المبيت بمنى الليلة الاولى والثانية من ليالي ايام التشريق ليرمي كل يوم بعد الزوال احدى
وعشرين حصاة يرمي عند كل جمرة سبع حصيات ثم من رمى في اليوم الثاني واراد
ان ينفر ويدع البيتوتة الليلة الثالثة ورمي يومها فذلك واسع له لقوله تعالى فمن
تعجل في يومين فلا اثم عليه يعني فلا اثم على من تعجل فنفر في اليوم الثاني في تعجيله

ومن تأخر

ومن تأخر فلا اثم عليه يعني ومن تأخر الى النفر الثاني وهو اليوم الثالث من ايام التشريق
فلا اثم عليه في تأخره واعلم انه انما يجوز التعجيل لمن نفر بعد الزوال من اليوم الثاني
من ايام التشريق وقبل غروب الشمس من ليلة اليوم الثالث وان غربت عليه الشمس
وهو بمنى لزمه المبيت بها لرمي اليوم الثالث هذا مذهب الشافعي واكثر الفقهاء وقال ابو
حنيفة يجوز له ان ينفر ما لم يطلع الفجر لانه لم يدخل وقت الرمي بعد ورخص لرعاة
الابل واهل سقاية الحاج ترك المبيت بمنى ليالي منى فان قلت قوله ومن تأخر فلا اثم
عليه فيه اشكال وهو ان الذي اتى بافعال الحج كاملة تامة فقد اتى بما يلزمه فما معنى قوله
فلا اثم عليه اى مما يخاف من الاثم من قصر فيما يلزمه قلت فيه اجوبة احدها انه تعالى
لما اذن في التعجيل على سبيل الرخصة احتمل ان يخطر ببال قوم ان من لم يجر على موجب
هذه الرخصة فانه يأثم فازال الله هذه الشبهة وبين انه لا اثم عليه في الامرين فان شاء
اخر الجواب الثاني ان من الناس من كان يتعجل ومنهم من كان يتأخر وكل فريق
يصوب فعله على فعل الفريق الآخر فبين الله تعالى كل واحد من الفريقين مصيب في
فعله وانه لا اثم عليه الجواب الثالث انه انما قال ومن تأخر فلا اثم عليه لمشاكلة اللفظة
الاولى فهو كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها ومعلوم ان جزاء السيئة ليس بسيئة الجواب
الرابع ان فيه دلالة على جواز الامرين فكانه تعالى قال فتعجلوا او تأخروا فلا اثم في
التعجيل ولا في التأخير لمن اتقى اى ذلك التخيير ونفي الاثم للحاج المتقي وقيل لمن اتقى
اى ان يصيب في حجه شيئا مما نهاه الله عنه من قتل صيد وغيره مما هو محظور في الحج وقيل معناه
انه ذهب اثمه ان اتقى فيما بقي من عمره وذلك ان الحاج يرجع مغفورا له بشرط ان لا يرتكب
ما نهي عنه فيما بقي من عمره وهو قوله واتقوا الله اى في المستقبل والتقوى عبارة عن فعل
الواجبات وترك المحظورات واعلموا انكم اليه تحشرون اى فيجازيكم باعمالكم وفيه حث على
التقوى قوله عز وجل ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا نزلت في الاخنس
لانه خنس يوم بدر بثلثماية رجل من بني زهرة عن قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم
وذلك انه اشار على بني زهرة بالرجوع يوم بدر وقال لهم ان محمد ابن اختكم فان يك كاذبا
كفاكموه الناس وان يك صادقا فانتم اسعد الناس به قالوا نعم ما رايت قال انى
ساخنس بكم فاتبعوني فخنس فسمي الاخنس بذلك وكان الاخنس حلو الكلام حلو المنظر
وكان ياتي رسول الله صلى الله عليه وسلم ويجالسه ويظهر الاسلام ويقول اني لاحبك ويحلف
على ذلك وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدني مجلسه وكان الاخنس منافقا فنزل فيه
ومن الناس من يعجبك قوله اى يروقك وتستحسنه ويعظم في قلبك في الحياة الدنيا يعني
ان حلاوة كلامه فيما يتعلق بامر الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه يعني قوله والله اني بك
مؤمن ولك محب وهو الد الخصام اى شديد الجدال في الباطل وقيل هو كاذب القول وقيل
هو شديد القسوة في المعصية جدل بالباطل يتكلم بالحكمة ويعمل بالخطيئة ق عن عائشة عن النبي

صلى الله عليه وسلم قال ان ابغض الرجال الى الله الالد الخصم يعني الشديد في الخصومة واذا
تولى اي ادبر واعرض عنك بعد الالانة القول وحلاوة المنطق سعى في الارض اي سار
ومشى في الارض ليفسد فيها يعني بقطع الارحام وسفك دما المسلمين ويهلك
الحرث والنسل وذلك ان الاخنس بن شريق كان بينه وبين ثقيف خصومة فبيتهم
ليلا فاحرق زرعهم واهلك مواشيهم وقيل خرج الى الطائف مقتضيا دينا كان له على
غريم فاحرق له كرما وعقر له اتانا وقيل معناه اذا تولى اي صار واليا وملك الامر سعى
في الارض ليفسد فيها يعني بالظلم والعدوان كما يفعله ولاة السوء والظلمة وقيل ظلمه
حتى يمنع الله بشوم ظلمه القطر فيهلك الحرث والنسل بسبب منع المطر وقيل ان الاية
عامة في حق كل من كان موصوفا بهذه الصفات والله لا يحب الفساد قال ابن عباس لا يرضى
بالمعاصي واحتجت المعتزلة بهذه الاية على ان المحبة عبارة عن الارادة واجيب عنه بان
الارادة معنى غير المحبة فان الانسان قد يريد شيئا ولا يحبه وذلك بان يتناول الدوا
المر ولا يحبه فبان الفرق بين الارادة والمحبة وقيل ان المحبة مدح الشي وتعظيمه والارادة
بخلاف ذلك واذا قيل له اتق الله اي خف الله في سرك وعلانيتك اخذته العزة
بالاثم اي حملته العزة وحمية الجاهلية على فعل الاثم وقيل بان يعمل الاثم وهو الظلم وترك
الالتفات الى الوعظ وعدم الاصغا اليه واصل العزة المنعة والتكبر فحسبه جهنم اي
كافيته له جهنم جزا وعذابا وجهنم اسم من اسما النار التي يعذب بها الكفار في الاخرة
وقيل هو اسم اعجمي وقيل بل هو عربي سميت النار بذلك لبعد قعرها ولبئس المهاد اي
الفراش والمهاد والتوطئة ايضا والمعنى ان المعذب بالنار يجعل تحته وفوقه قال ابن
مسعود ان اكبر الذنوب عند الله ان يقال للعبد اتق الله فيقول عليك بنفسك وروي
انه قيل لعمر اتق الله فوضع خده على الارض تواضعا لله تعالى قوله عز وجل ومن الناس
من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله قال ابن عباس نزلت هذه الاية في سرية الرجيع
وكانت بعد احد خ عن ابي هريرة قال بعث النبي صلى الله عليه وسلم سرية عينا وامر
عليهم عاصم بن ثابت وهو جد عاصم بن عمر بن الخطاب فانطلقوا حتى اذا كانوا بين عسفان
ومكة ذكروا لحي من هذيل يقال لهم بنو لحيان فتبعوهم بقريب من مائة رام فاقتصوا
اثارهم حتى اتوا منزلا نزلوه فوجدوا فيه نوى تمر تزودوه من المدينة فقالوا هذا تمر
يثرب فتبعوا اثارهم حتى لحقوهم فلما احس بهم عاصم واصحابه لجاوا الى فدفد وجاء
القوم فاحاطوا بهم فقالوا لكم العهد والميثاق ان نزلتم الينا ان لا نقتل منكم رجلا فقال
عاصم اما انا فلا انزل في ذمة كافر اللهم اخبر عنا رسولك فقاتلوهم فرموهم حتى قتلوا
عاصما في سبعة نفر بالنبل وبقي خبيب وزيد ورجل اخر فاعطوهم العهد والميثاق
فلما اعطوهم العهد والميثاق نزلوا اليهم فلما استمكنوا منهم حلوا اوتار قسيهم
فربطوهم بها فقال الرجل الثالث الذي معهم هذا اول الغدر فابى ان يصحبهم

فجروه وعالجوه ان يصحبهم فلم يفعل فقتلوه وانطلقوا بخبيب وزيد حتى باعوهما
بمكة فاشترى خبيبا بنو الحارث بن عامر بن نوفل وكان خبيب هو الذي قتل
الحارث يوم بدر فمكث عندهم اسيرا حتى اذا اجمعوا على قتله استعار موسى من
بعض بنات الحارث يستحد بها فاعارته قالت فغفلت عن صبي لي فدرج اليه حتى
اتاه فوضعه على فخذه فلما رايته فزعت فزعة عرف ذلك مني وفي يده الموسى فقال
اتخشين ان اقتله ما كنت لافعل ذلك ان شاء الله وكانت تقول ما رايت اسيرا
قط خيرا من خبيب لقد رايته ياكل من قطف عنب وما بمكة يومئذ ثمرة وانه
لموثق بالحديد وما كان الا رزقا رزقه الله فلما خرجوا به من الحرم ليقتلوه
قال دعوني اصلي ركعتين ثم انصرف اليهم فقال لولا ان تروا ان ما بي جزع من
الموت لزدت فكان اول من سن ركعتين عند القتل وقال اللهم احصهم عددا ثم
قال ۵ فلست ابالي حين اقتل مسلما ۵ على اي جنب كان في الله مصرعي ۵
وذلك في ذات الاله وان يشا ۵ يبارك على اوصال شلو ممزع ۵ ثم قام
اليه عقبة بن الحارث فقتله وبعثت قريش الى عاصم ليؤتوا بشي من جسده بعد
موته وكان قتل عظيما من عظمائهم يوم بدر فبعث الله عليه مثل الظلة من الدبر فحمته
من رسلهم فلم يقدروا منه على شي زاد في رواية واخبر يعني النبي صلى الله عليه وسلم اصحابه
يوم اصيبوا خبرهم الفدفد الموضع الذي فيه غلظ وارتفاع وقوله عالجوه اي مارسوه
واراد به انهم خدعوه ليتبعهم فابى وقوله يستحد الاستحداد حلق العانة والقطف
العنقود من العنب قوله على اوصال شلو الشلو العضو من اعضا الانسان
والممزع المفرق والظلة الشي الذي يظل من فوق الانسان والدبر جماعة من النحل
والزنابير قال اهل التفسير ان كفار قريش بعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو بالمدينة انا قد اسلمنا فابعث الينا نفرا من علما اصحابك يعلموننا ديننا
وكان ذلك مكرا منهم فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خبيب بن عدي
الانصاري ومرثد بن ابي مرثد الغنوي وخالد بن بكير وعبد الله بن طارق بن
شهاب البلوي وزيد بن الدثنة وامر عليهم عاصم بن ثابت بن ابي الافلح الانصاري
وذكروا نحو حديث البخاري وزاد عليه فقالوا فصلبوا خبيبا حيا فقال اللهم انك
تعلم انه ليس لي احد حولي يبلغ سلامي رسولك فابلغه سلامي ثم قام اليه ابو
سروعة عقبة بن الحارث فقتله ويقال كان رجل من المشركين يقال له ابو ميسرة
سلامان معه رمح فوضعه بين يدي خبيب فقال له خبيب اتق الله فما زاده ذلك
الا عتوا فطعنه فانفذه فذلك قوله تعالى واذا قيل له اتق الله اخذته العزة بالاثم
يعني سلامان واما زيد بن الدثنة فابتاعه صفوان بن امية ليقتله بابيه امية
بن خلف فبعثه مع مولى له يسمى نسطاس الى التنعيم ليقتله في الحل واجتمع رهط

من قريش فيهم ابو سفيان بن حرب فقال له ابو سفيان حين قدم ليقتل انشدك الله يا زيد
اتحب محمدا عندنا الان مكانك تضرب عنقه وانك في اهلك فقال زيد والله ما احب
ان محمدا الان في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه وانا جالس في اهلي فقال ابو سفيان
ما رايت احدا يحب احدا كحب اصحاب محمد محمدا ثم قتله نسطاس فلما بلغ النبي صلى الله عليه وسلم
هذا الخبر قال لاصحابه ايكم يحتز لينزل خبيبا عن خشبته وله الجنة فقال له الزبير انا يا رسول الله
وصاحبي المقداد بن الاسود فخرجا يمشيان الليل ويكمنان النهار حتى اتيا التنعيم ليلا فاذا
حول الخشبة اربعون من المشركين وهم نيام فانزلاه عن خشبته فاذا هو رطب ولم يتغير منه
شئ بعد اربعين يوما ويده على جراحته وهي تبض دما اللون لون الدم والريح ريح المسك
فحمله الزبير على فرسه وسار فانتبه الكفار وفقدوا خبيبا فاخبروا قريشا فركب منهم
سبعون فارسا فلما لحقوهم قذف الزبير خبيبا فابتلعته الارض فسمي بليع الارض
وقال الزبير ما جراكم علينا يا معشر قريش ثم رفع العمامة عن راسه وقال انا الزبير بن
العوام وامي صفية بنت عبد المطلب وصاحبي المقداد بن الاسود اسدان ضاربان
يدفعان عن اشبالهما فان شئتم ناضلتكم وان شئتم نازلتكم وان شئتم انصرفتم فانصرفوا
الى مكة وقدم الزبير وصاحبه المقداد على رسول الله صلى الله عليه وسلم وجبريل عنده فقال
يا محمد ان الملائكة لتباهي بهذين من اصحابك ونزل في الزبير والمقداد ومن الناس من يشري
نفسه ابتغاء مرضات الله حين شريا انفسهما لانزال خبيب عن خشبته وقال اكثر المفسرين نزلت
في صهيب بن سنان الرومي وانما نسب الى الروم لان منازلهم كانت بارض الموصل فاغار
الروم على تلك الناحية فسبوه وهو غلام صغير فنشا بالروم وانما كان من العرب من النمر
ابن قاسط قال سعيد بن المسيب وعطاء اقبل صهيب مهاجرا الى النبي صلى الله عليه وسلم فاتبعه
نفر من مشركي قريش فنزل عن راحلته ونثل ما كان في كنانته وقال والله لا تصلوا الي او ارمي
بكل سهم معي ثم اضرب بسيفي ما بقي في يدي وان شئتم دللتكم على مال دفنته بمكة وخليتم سبيلي
فقالوا نعم ففعل فلما قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم نزلت ومن الناس من يشري نفسه
ابتغاء مرضات الله الاية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ربح البيع ابا يحيى وتلا عليه هذه الاية
وقال الحسن اتدرون فيم نزلت هذه الاية نزلت في المسلم يلقى الكافر فيقول له قل لا اله الا الله
فيابى ان يقولها فيقول المسلم والله لاشرين نفسي لله فيتقدم فيقاتل وحده حتى قتل وقيل
نزلت هذه الاية في الامر بالمعروف والناهي عن المنكر قال ابن عباس اي من يشري نفسه
ابتغاء مرضات الله يقوم فيامر هذا بتقوى الله فاذا لم يقبل واخذته العزة بالاثم قال هذا
وانا اشري نفسي لله فقاتله وكان علي رضي الله عنه اذا قرا هذه الاية يقول اقتتلا ورب
الكعبة وسمع عمر رجلا يقرا هذه الاية ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله فقال
عمر انا لله وانا اليه راجعون قام رجل يامر بالمعروف وينهى عن المنكر فقتل عن ابي سعيد قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اعظم الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر اخرجه

الترمذي وقال حديث حسن غريب واما تفسير الاية فذكر المفسرون ان المراد بهذا
الشرا البيع ومنه قوله وشروه بثمن بخس اي باعوه والمعنى ان المسلم باع نفسه بثواب
الله تعالى في الدار الاخرة وهذا البيع هو انه بذل نفسه في طاعة الله من صلاة وصيام
وحج وجهاد وامر بمعروف ونهي عن منكر فكان ما بذله من نفسه كالسلعة فصار كالبائع
والله تعالى المشتري والثمن هو ثواب الله تعالى في الاخرة ابتغاء مرضات الله اي طلب رضا
الله والله رؤوف بالعباد اي من رافة الله لعباده ان جعل النعيم الدائم في الجنة جزاء على
العمل القليل المنقطع ومن رافته انه يقبل توبة عبده ومن رافته ان نفس العباد
واموالهم له ثم انه تعالى يشتري ملكه بملكه فضلا منه ورحمة واحسانا قوله عز وجل يا ايها
الذين امنوا ادخلوا في السلم كافة نزلت في مؤمني اهل الكتاب عبد الله بن سلام
واصحابه وذلك لما اسلموا اقاموا على تعظيم شرائع موسى فعظموا السبت وكرهوا لحوم
الابل والبانها وقالوا ان ترك هذه الاشياء مباح في الاسلام وواجب في التوراة وقالوا
ايضا يا رسول الله ان التوراة كتاب الله دعنا فلنعمل به في صلاتنا بالليل فانزل الله
هذه الاية وامرهم ان يدخلوا في السلم اي في شرائع الاسلام ولا يتمسكوا بالتوراة فانها
منسوخة والمعنى استسلموا لله واطيعوه فيما امركم به وقيل هو خطاب لمن لم يؤمن
بمحمد صلى الله عليه وسلم من اهل الكتاب والمعنى يا ايها الذين امنوا بموسى وعيسى ادخلوا
في السلم كافة اي الاسلام وروى جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم حين اتاه عمر فقال
انا نسمع احاديث من يهود تعجبنا فترى ان نكتب بعضها فقال النبي صلى الله
عليه وسلم امتهوكون كما تهوكت اليهود والنصارى لقد جئتكم بها بيضاء نقية
ولو ان موسى حيا ما وسعه الا اتباعي قوله امتهوكون اي متحيرون انتم في دينكم
حتى تاخذوه من اليهود والنصارى وقوله لقد جئتكم بها يعني بالملة الحنيفية
بيضاء نقية اي لا تحتاج الى شئ وقيل يحتمل ان يكون خطابا للمنافقين من
المؤمنين والمعنى يا ايها الذين امنوا بالسنتهم ادخلوا في السلم اي للانقياد
والطاعة لان اصل السلم الاستسلام وهو الانقياد كافة اي باجمعكم ولا تتفرقوا
وقيل يحتمل ان يرجع الى الاسلام والمعنى ادخلوا في احكام الاسلام وشرائعه كافة
وهذا المعنى اليق بظاهر التفسير لانهم امروا بالقيام بها كلها قال حذيفة بن
اليمان في هذه الاية الاسلام ثمانية اسهم فعد الصلاة والزكاة والصوم والحج والعمرة
والجهاد والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وقد خاب من لا سهم له ولا تتبعوا
خطوات الشيطان يعني اثاره فيما زين لكم من تحريم السبت ولحوم الابل وغير
ذلك وقيل ولا تلتفتوا الى الشبهات التي يلقيها اليكم اصحاب الضلالة
والغواية والاهوا المضلة لان من اتبع سنة انسان فقد تبع اثره انه لكم
عدو مبين يعني الشيطان فان قلت عداوته بايصال الضرر الى الوسوسة

فكيف يصح ذلك مع الاعتقاد فان الله هو الفاعل لجميع الاشيا قلت انه يحاول ايصال الضرر
الينا ولكن الله منعه عن ذلك واما الوسوسة فمعلوم انه يزين المعاصي والقا الشبهات
وكل سبب لوقوع الانسان في مخالفة الله تعالى فيصده بذلك عن الثواب فهذا من اعظم جهات
العداوة فان قلت كيف وصف الشيطان بانه مبين مع انه لا نراه قلت ان الله تعالى بين
عداوته ما هي فكانه بين وان لم يشاهد فان زللتم اي ملتم وضللتم وقال ابن عباس
اشركتم من بعد ما جاتكم البينات اي الدلالات الواضحات فاعلموا ان الله عزيز اي في نقمته ممن
خالفه غالب لا يعجزه شي حكيم يعني انه لا ينتقم الا بحق والحكيم ذو الاصابة في الامر كلها
وفي الاية وعيد وتهديد لمن في قلبه شرك ونفاق وعنده شبهة في الدين قوله عز
وجل هل ينظرون اي ينتظرون التاركون الدخول في السلم والمتبعون خطوات الشيطان
الا ان ياتيهم الله في ظلل جمع ظلة من الغمام يعني السحاب الابيض الرقيق سمي غماما
لانه يغم ويستر وقيل هو شي غير السحاب ولم يكن الا لبني اسرايل في تيههم وهو كهيئة
الضباب الابيض والملايكة اي وتاتيهم الملايكة وروى الطبري في تفسيره بسند متصل عن
عكرمة عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من الغمام طاقات ياتي الله عز وجل
فيها محفوفا وذلك قوله تعالى هل ينظرون الا ان ياتيهم الله في ظلل من الغمام والملايكة وقضي
الامر قال عكرمة والملايكة حوله وقيل معناه حول الغمام وقيل حول الرب تبارك وتعالى
واعلم ان هذه الاية من ايات الصفات وللعلما في ايات الصفات واحاديث الصفات
مذهبان احدهما وهو مذهب سلف الامة واعلام اهل السنة الايمان والتسليم لما جا
في ايات الصفات واحاديث الصفات وانه يجب علينا الايمان بظاهرها ونومن بها كما جات
ونكل علمها الى الله تعالى والى رسوله صلى الله عليه وسلم مع الايمان والاعتقاد بان الله
منزه عن سمات الحدث وعن الحركة والسكون قال الكلبي هذا من الذي لا يفسر وقال
سفيان بن عيينة كل ما وصف الله به نفسه في كتابه فتفسيره قراته والسكوت عليه
ليس لاحد ان يفسره الا الله ورسوله وكان الزهري والاوزاعي ومالك وابن
المبارك وسفيان الثوري والليث بن سعد واحمد بن حنبل واسحاق بن راهويه
يقولون في هذه الاية وامثالها اقروها كما جات بلا كيف ولا تشبيه ولا تاويل هذا
مذهب اهل السنة ومعتقد سلف الامة وانشد بعضهم في المعنى * عقيدتنا
ان ليس مثل صفاته * ولا ذاته شي عقيدة صايب * نسلم ايات الصفات باسرها *
واخبارها للظاهر المتقارب * ونويس عنها كنه فهم عقولنا * وتاويلها فهم اللبيب
الغالب * ونركب للتسليم سفنا فانها * لتسليم دين المرء خير المراكب * المذهب الثاني
وهو قول جمهور المتكلمين وذلك انه اجمع جميع المتكلمين من العقلا والمعتبرين
من اصحاب النظر انه تعالى منزه عن المجي والذهاب ويدل على ذلك ان كل ما يصح عليه
المجي والذهاب لا ينفك عن الحركة والسكون وهما محدثان وما لا ينفك عن المحدث

فهو محدث

فهو محدث والله تعالى منزه عن ذلك فيستحيل ذلك في حقه تعالى فثبت بذلك ان ظاهر الاية
ليس مرادا فلا بد من التاويل على سبيل التفصيل فعلى هذا قيل في معنى الاية هل ينظرون
الا ان ياتيهم الله بالايات فيكون مجي الايات مجيا لله على سبيل التفخيم لشان الايات وقيل معناه
الا ان ياتيهم امر الله ووجه هذا التاويل ان الله تعالى فسره في اية اخرى فقال هل ينظرون الا
ان تاتيهم الملايكة او ياتي امر ربك فصار هذا الحكم مفسرا لهذا المجمل في هذه الاية وقيل معناه ياتيهم
الله بما وعد من الحساب والعقاب فحذف ما ياتي به تهويلا عليهم اذ لو ذكر ما ياتي به كان اسهل عليهم
في باب الوعيد واذا لم يذكر كان ابلغ وقيل يحتمل ان يكون الفا بمعنى البا لان بعض حروف
الصفات يقوم مقام بعض فيكون المعنى هل ينظرون الا ان ياتيهم الله بظلل من الغمام والملايكة
والمراد العذاب الذي ياتي من الغمام مع الملايكة وقيل معناه ما ينظرون الا ان ياتيهم قهر الله
وعذابه في ظلل من الغمام فان قلت لم كان اتيان العذاب في الغمام قلت لان الغمام مظنة
الرحمة ومنه ينزل المطر فاذا نزل منه العذاب كان اعظم وافظع وقيل ان نزول الغمام علامة
لظهور القيامة واهوالها وقضي الامر اي وجب العذاب وفرغ من الحساب وذلك فصل الله
القضا بين العباد يوم القيامة والى الله ترجع الامور اي الى الله تصير امور العباد في
الاخرة فان قلت هل كانت ترجع الى غيره قلت ان امور جميع العباد ترجع اليه في الدنيا
والاخرة ولكن المراد من هذا اعلام الخلق انه المجازي على الاعمال بالثواب والعقاب
وجواب اخر وهو انه لما عبد قوم غيره في الدنيا واضافوا افعاله الى سواه ثم اذا كان يوم
القيامة انكشف الغطا ردوا الى الله ما اضافوه الى غيره في الدنيا قوله عز وجل سل بني اسرايل
خطابا للنبي صلى الله عليه وسلم امره ان يسال يهود المدينة وليس المراد بهذا السوال العلم بالايات
لانه كان صلى الله عليه وسلم قد علمها باعلام الله اياه ولكن المراد بهذا السوال التوبيخ والتقريع
وللمبالغة في الزجر عن الاعراض عن دلايل الله وترك الشكر وقيل المراد بهذا السوال التقرير وتذكير
النعم التي انعم بها على سلفهم كم اتيناهم من اية بينة اي من دلالة واضحة على نبوة موسى عليه
السلام مثل العصا واليد البيضا وفلق البحر وانزال المن والسلوى ومن يبدل نعمة الله
من بعد ما جاته يعني يغير الايات التي جاته من الله لانها سبب الهدى والنجاة من الضلالة
وقيل هي حجج الله الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وذلك انهم انكروها وبدلوها وقيل
المراد بنعم الله عهده الذي عهد اليهم فلم يفوا به فان الله شديد العقاب يعني لمن بدل نعمة
الله قوله عز وجل زين للذين كفروا الحياة الدنيا نزلت في مشركي العرب ابي جهل واصحابه
لانهم كانوا يتنعمون بما بسط لهم في الدنيا من المال ويكذبون بالمعاد وقيل نزلت في
المنافقين عبد الله بن ابي واصحابه وقيل نزلت في روسا اليهود ويحتمل انها نزلت في
الكل والمزين هو الله تعالى بدليل قراة من قرا زين بفتح الزاي وذلك لا يمتنع ان يكون
الله هو المزين لهم بما اظهره في الدنيا من الزهرة والنضارة والطيب واللذة وخلق الاشيا
العجيبة والمناظر الحسنة وانما فعل ذلك ابتلا العباده وذلك انه جعل دار الدنيا دار ابتلا

وامتحان وركب في الطباع الميل الى اللذات وحب الشهوات لا على سبيل الالجاء والقسر الذي لا يمكن
تركه بل على سبيل التقريب الذي تميل النفس اليه مع امكان ردها عنه فنظر الخلق الى الدنيا
الذين قدر بها فاعجبهم حسنها وزهرتها وزينتها فاحبوها وفتنوا بها وقيل ان المراد من
التزيين انه تعالى امهلهم في الدنيا حتى اقبلوا عليها واحبوها فكان هذا الامهال هو التزيين
وقيل ان المزين هو الشيطان وغواة الجن والانس وذلك انهم زينوا للكفار الحرص
على الدنيا وطلبها وقبحوا لهم امر الاخرة وقيل اوهموهم ان الاخرة ليقبلوا على لذات
الدنيا والحرص عليها وهذا التاويل ضعيف لان قوله تعالى زين للذين كفروا يتناول جميع
الكفرة فيدخل فيه الشيطان وغواة الجن والانس وان الكل مزين لهم وهذا المزين لا
بد ان يكون مغايرا لهم فثبت بهذا ضعف قول المعتزلة ويسخرون من الذين امنوا
يعني ان الكفار يستهزءون بفقراء المسلمين قال ابن عباس مثل عبد الله بن مسعود وعمار بن
ياسر وصهيب وبلال ونظرائهم وقيل كانوا يقولون انظروا الى هولاء الذين يزعم محمد انه
يغلب بهم والذين اتقوا يعني الفقراء من المومنين فوقهم اي فوق الكفار يوم القيامة
لان الفقراء في عليين والكفار والمنافقين في اسفل سافلين ق عن حارثة بن وهب
انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الا اخبركم باهل الجنة كل ضعيف متضعف
لو اقسم على الله لابره الا اخبركم باهل النار كل عتل جواظ جعظري مستكبر العتل الفظ الغليظ
الشديد في الخصومة الذي لا ينقاد لخير والجواظ الفاجر المختال في مشيه وقيل هو القصير
البطين والجعظري الفظ الغليظ وقيل هو الذي يتمدح بما ليس عنده ق عن اسامة
ابن زيد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال قمت على باب الجنة فكان عامة من دخلها
المساكين واصحاب الجد محبوسون غير ان اصحاب النار قد امر بهم الى النار وقمت
على باب النار فكان عامة من دخلها النساء الجد بفتح الجيم هو الحظ والغنى وكثرة
المال والله يرزق من يشا بغير حساب قال ابن عباس يعطي كثيرا بغير مقدار لان كل ما
يدخل عليه الحساب فهو قليل والمعنى انه يوسع لمن يشا من عباده وقيل يرزقه في الدنيا ولا
يحاسبه في الاخرة وقيل معناه انه يرزق من يشا من حيث لا يحتسب وقيل معناه انه يرزقه
بغير استحقاق وقيل معناه ان الله تعالى لا يخاف نفاذ ما في خزاينه حتى لا يحتاج الى حساب
لما يخرج منها لان الحساب انما يكون ليعلم قدر ما يعطي والله غني عالم بما يعطي ولا يخاف نفاذ
خزاينه لانها بين الكاف والنون وقيل معناه ان الله تعالى يقتر الرزق على من يشا ويبسط الرزق
على من يشا ولا يعطي كل واحد على قدر حاجته بل يعطي الكثير لمن لا يحتاج اليه ولا اعتراض
له في حكمه ويحاسب فيما رزق ولا يقال له لم اعطيت هذا وحرمت هذا ولم اعطيت
هذا اكثر من ذلك لانه تعالى لا شريك له في ملكه ينازعه ولا يسئل عما يفعل وقيل يحتمل
ان يكون المراد منه ما يعطي الله المتقين في الاخرة من الثواب والكرامة بغير محاسبة
منه لهم على ما من به عليهم بغير حساب وذلك لنعيم الجنة لا نفاذ له ولا انقطاع

وقيل انه

وقيل انه تعالى يعطي اهل الجنة الثواب الاجر بقدر اعمالهم ثم يتفضل عليهم فذلك
الفضل منه عليهم بغير حساب قوله عز وجل كان الناس امة واحدة اي على دين واحد قيل
هو ادم وذريته كانوا مسلمين على دين واحد الى ان قتل قابيل هابيل فاختلفوا وقيل
كان الناس على شريعة واحدة من الحق والهدى من وقت ادم الى مبعث نوح
وكانوا مومنين ثم اختلفوا بعد وفاته وقيل ان العرب كانت على دين ابراهيم
عليه السلام الى ان غيره عمرو بن لحي وقيل كان الناس امة واحدة حين اخرجوا من
ظهر ادم لاخذ الميثاق فقال الست بربكم قالوا بلى فاعترفوا بالعبودية ولم يكونوا
امة واحدة غير ذلك اليوم ثم لما ظهروا الى الوجود اختلفوا بسبب البغي والحسد وقيل
ان ادم وحده كان امة واحدة يعني اماما وقدوة يقتدى به وانما ظهر الخلاف بعده
وقيل كان الناس امة واحدة على الكفر والباطل بدليل قوله فبعث الله النبيين
فان قيل اليس كان فيهم من هو مسلم كهابيل وشيث وادريس ونحوهم فالجواب
ان الغالب في ذلك الزمان كان الكفر والحكم للغالب وقيل ان الاية دلت على
ان الناس كانوا امة واحدة وليس فيها ما يدل على انهم كانوا على ايمان وكفر فهو
موقوف على دليل من خارج فبعث الله النبيين وجملتهم ماية الف واربعة وعشرون
الفا الرسل منهم ثلثماية وثلاثة عشر المذكورون منهم في القران باسما الاعلام
ثمانية وعشرون نبيا مبشرين يعني بالثواب لمن امن واطاع ومنذرين يعني
مخوفين بالعقاب لمن كفر وعصى وانما قدم البشارة على الانذار لان البشارة
تجري مجرى حفظ الصحة للابدان والانذار يجري مجرى ازالة المرض ولا شك ان
المقصود هو الاول فكان اولى بالتقديم وانزل معهم الكتاب يعني الكتب او يكون
التقدير وانزل مع كل واحد الكتاب ليحكم بين الناس يعني الكتاب وانما اضيف الحكم
الى الكتاب وان كان الحاكم هو الله تعالى لانه انزله والمعنى ليحكم الله بالكتاب الذي انزله
وقيل معناه ليحكم بين الناس كل نبي بكتابه المنزل عليه فاسناد الحكم الى الكتاب او النبي
مجازا والله هو الحاكم حقيقة فيما اختلفوا فيه اي في الحق الذي اختلفوا فيه من بعد ما كانوا
متفقين عليه وما اختلف فيه اي في الحق الا الذين اوتوه اي اعطوا الكتاب والمراد
به التوراة والانجيل الذين اوتوه اليهود والنصارى واختلافهم هو تكفير بعضهم
بعضا بغيا وحسدا وقيل اختلافهم هو تحريفهم وتبديلهم وقيل الكناية في فيه راجعة الى
محمد صلى الله عليه وسلم والمعنى وما اختلف في امر محمد بعد وضوح الدلالات في صحة نبوة محمد
صلى الله عليه وسلم الا اليهود الذين اوتوا الكتاب بغيا منهم وحسدا من بعد ما جاءتهم البينات
اي الدلالات الواضحة على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بغيا بينهم يعني انهم لم يبق لهم عذر
في العدول عنه وترك ما جاء به وانما تركوا اتباعه بغيا وحسدا وهو طلب الدنيا وطلب
الرياسة فهدى الله الذين امنوا لما اختلفوا فيه اي الى ما اختلفوا فيه من الحق

وكان اختلافهم الذي اختلفوا فيه الجمعة فهدى الله تعالى هذه الامة الاسلامية اليها
م عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نحن الاخرون السابقون
يوم القيامة اوتوا الكتاب من قبلنا واوتيناه من بعدهم فهذا اليوم الذي اختلفوا
فيه فهدانا الله فغدا لليهود وبعد غد للنصارى وفي رواية قال سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول نحن الاخرون السابقون بيد انهم اوتوا الكتاب
من قبلنا ثم هذا يومهم الذي فرض الله عليهم فاختلفوا فيه فهدانا الله له زاد
النسائي يعني يوم الجمعة ثم اتفقا فالناس لنا تبع اليهود غدا والنصارى بعد غد
م عن حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اضل الله عن الجمعة من كان
قبلنا فكان لليهود يوم السبت وللنصارى يوم الاحد فجاء الله بنا فهدانا ليوم
الجمعة فجعل الله الجمعة والسبت والاحد فكذلك هم تبع لنا يوم القيامة نحن
الاخرون من اهل الدنيا الاولون يوم القيامة لهم يوم القيامة قبل الخلائق و
قيل اختلفوا في شان القبلة فصلت اليهود نحو المغرب الى بيت المقدس وصلت
النصارى الى المشرق وهدانا الله الى الكعبة وقيل اختلفوا في الصيام فهدانا الله لشهر
رمضان واختلفوا في ابرهيم فقالت اليهود كان يهوديا وقالت النصارى كان
نصرانيا فهدانا الله الى الحق فقلنا كان حنيفا مسلما واختلفوا في عيسى بن مريم
فاليهود فرطوا فيه والنصارى فرطوا فيه فهدانا الله في ذلك كله للحق والمعنى
فهدى الله الذين امنوا الى الحق الذي اختلف فيه من اختلف باذنه يعني بعلمه وامره
وارادته والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم قوله عز وجل ام حسبتم ان تدخلوا الجنة
نزلت في غزوة الاحزاب وهي غزوة الخندق وذلك ان المسلمين اصابهم ما اصابهم
من الجهد والشدة والخوف والبرد وضيق العيش الذي كانوا فيه يومئذ وقيل نزلت
في غزوة احد وقيل لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه المدينة في اول الهجرة
اشتد عليهم الضر لانهم خرجوا بلا مال وتركوا اموالهم وديارهم بايدي المشركين واثروا
رضى الله ورسوله واظهرت اليهود عداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم واسر قوم النفاق
فانزل الله هذه الاية تطييبا لقلوبهم والمعنى اظننتم ايها المومنون ان تدخلوا الجنة
بمجرد الايمان ولم يصبكم مثل ما اصاب من كان قبلكم من اتباع الانبيا والرسل من الشدائد
والمحن والابتلا والاختبار وهو قوله ولما ياتكم مثل الذين خلوا من قبلكم اي سنة الذين
مضوا قبلكم من النبيين واتباعهم من المومنين وشدة محنتهم مستهم البأساء اي اصابتهم
الفقر والشدة والمسكنة وهو اسم من البوس والضراء يعني المرض والزمانة وضروب
الخوف وزلزلوا اي وحركوا بانواع البلايا والرزايا واصل الزلزلة الحركة وذلك
لان الخائف لا يستقر بل يزال يضطرب ويتحرك لقلقه حتى يقول الرسول والذين
امنوا معه متى نصر الله وذلك لان الرسل اثبت من غيرهم واصبر واضبط للنفس

عند نزول

عند نزول البلا وكذا اتباعهم من المومنين والمعنى انه ابلغ بهم الجهد والشدة والبلا
ولم يبق لهم صبر وذلك هو الغاية القصوى في الشدة فلما بلغ بهم الحال في الشدة
الى هذه الغاية واستبطوا النصر قيل لهم الا ان نصر الله قريب اجابة لهم الى طلبهم والمعنى
هكذا كان حالهم لم يغيرهم طول البلا والشدة عن دينهم الى ان اتاهم نصر الله فكونوا
يا معشر المومنين كذلك وتحملوا الاذى والشدة والمشقة في طلب الحق فان نصر الله
قريب خ عن خباب بن الارت قال شكونا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسد
بردة له في ظل الكعبة فقلنا الا تستنصر لنا الا تدعو لنا فقال قد كان من قبلكم يوخذ الرجل
فيحفر له في الارض فيجعل فيها ثم يوتى بالمنشار فيوضع على راسه فيجعل نصفين و
يمشط بامشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه ما يصده ذلك عن دينه والله ليتمن الله
هذا الامر حتى يسير الراكب من صنعا الى حضرموت لا يخاف الا الله والذيب على غنمه ولكنكم
تستعجلون قوله عز وجل يسالونك ماذا ينفقون نزلت في عمرو بن الجموح وكان شيخا
كبيرا ذا مال فقال يا رسول الله بماذا اتصدق وعلى من ننفق فانزل الله تعالى
يسالونك ماذا ينفقون قل ما انفقتم من خير اي مال والمعنى وما تفعلوا من انفاق
شي من المال قل او كثر فللوالدين وانما قدم الانفاق على الوالدين لوجوب حقهما على
الولد لانهما كانا السبب في اخراجه من العدم الى الوجود والاقربين وانما ذكر بعد الوالدين
الاقربين لان الانسان لا يقدر ان يقوم بمصالح جميع الفقرا فتقديم القرابة اولى من غيرهم
واليتامى وانما ذكر بعد الاقربين اليتامى لصغرهم ولانهم لا يقدرون على الاكتساب ولا
لهم من ينفق عليهم والمساكين وانما اخرهم لان حاجتهم اقل من حاجة غيرهم وابن السبيل
يعني المسافر فانه بسبب انقطاعه عن بلده قد يقع في الحاجة والفقر فانظر الى هذا الترتيب
الحسن العجيب في كيفية الانفاق ثم لما فصل الله هذا التفصيل الحسن الكامل اتبعه بالاجمال
فقال تعالى وما تفعلوا من خير فان الله به عليم وما تفعلوا من خير مع هولا او غيرهم
طلبا لوجه الله تعالى ورضوانه فان الله به عليم فيجازيكم عليه وذكر علما التفسير ان هذه
منسوخة قال ابن مسعود نسختها اية الزكاة وقال الحسن انها محكمة ووجه احكامها ان الله
ذكر فيها من تجب النفقة عليه مع فقره وهما الوالدان وقال ابن زيد هذا في النفل وهو
ظاهر الاية فمن احب التقرب الى الله تعالى بالانفاق فالاولى به ان ينفق بالوجوه المذكورة
في الاية فيقدم الاولى فالاولى بقي في الاية سوال وهو انه كيف طابق السوال الجواب
وهو انهم سالوا عن بيان ما ينفق فاجيبوا ببيان المصرف واجيب عن هذا السوال بانه
قد تضمن قوله ما انفقتم من خير بيان ما ينفقونه وهو المال ثم ضم الى جواب السوال ما
يكمل به المقصود وهو بيان المصرف لان النفقة لا تعد نفقة الا ان تقع موقعها قال الشاعر
ان الصنيعة لا تعد صنيعة ✿ حتى يصاب بها طريق المصنع ✿ قوله عز وجل كتب عليكم
القتال اي فرض عليكم الجهاد واختلف العلما في حكم الاية فقال عطا الجهاد تطوع

والمراد من الاية اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم دون غيرهم واليه ذهب الثوري وحكى
عن الاوزاعي نحوه وحجة هذا القول ان قوله كتب يقتضي الايجاب ويكفي العمل به مرة
واحدة وحجة من اوجبه على اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ان قوله عليكم يقتضي تخصيص
هذا الخطاب بالموجودين في ذلك الوقت وقيل بل الاية على ظاهرها والجهاد فرض على
كل مسلم ويدل على ذلك ما روي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الجهاد
واجب عليكم مع كل امير برا كان او فاجرا اخرجه ابو داود بزيادة فيه خ عن ابن عباس
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية واذا
استنفرتم فانفروا وقيل ان الجهاد فرض على الكفاية اذا قام به البعض سقط عن الباقين
وهذا القول هو المختار الذي عليه جمهور العلماء قال الزهري كتب الله القتال على الناس
جاهدوا او لم يجاهدوا فمن غزا بها ونعمت ومن قعد فهو عدة ان استعين به اعان
وان استنفر نفر وان استغني عنه قعد قال الله تعالى فضل الله المجاهدين باموالهم وانفسهم
على القاعدين درجة وكلا وعد الله الحسنى ولو كان القاعد تاركا فرضا لم يعده بالحسنى
واختلف علماء الناسخ والمنسوخ في هذه الاية على ثلاثة اقوال احدها انها محكمة
ناسخة للعفو عن المشركين القول الثاني انها منسوخة لان فيها وجوب الجهاد على
الكافة ثم نسخ بقوله تعالى وما كان المومنون لينفروا كافة القول الثالث انها ناسخة
من وجه ومنسوخة من وجه فالناسخ منه ايجاب الجهاد مع المشركين بعد المنع منه والمنسوخ
ايجاب الجهاد على الكافة وقوله تعالى وهو كره لكم اي القتال شاق عليكم وهذا الكره انما
حصل من حيث نفور الطبع عن القتال لما فيه من مونة المال ومشقة النفس وخطر
الروح والخوف لا انهم كرهوا امر الله وقيل نسخ الكره بقوله تعالى اخبارا عنهم وقالوا
سمعنا واطعنا وقيل انما كان كرهتم القتال قبل ان يفرض عليهم لما فيه من الخوف
والشدة وكثرة الاعداء فبين الله تعالى ان الذين تكرهونه من القتال هو خير لكم من تركه
لئلا يكرهونه بعد ان فرض عليهم وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم لفظة عسى توهم
الشك مثل لعل وهو من الله يقين وقيل انها كلمة لا تدل الا على حصول الشك للقائل
وتدل على حصول الشك للمستمع والمعنى ان الغزو فيه احدى الحسنيين اما الظفر والغنيمة
واما الشهادة والجنة وقيل ربما كان الشيء شاقا في الحال وهو سبب المنافع الجليلة في
المستقبل ومثله شرب الدواء المر فانه ينفر عنه الطبع في الحال ويكرهه لكن يتحمل هذه
الكراهة والمشقة لتوقع حصول الصحة في المستقبل وعسى ان تحبوا شيئا يعني القعود عن
الغزو وهو شر لكم يعني لما فيه من فوت الغنيمة والاجر وطمع العدو فيكم لانه اذا علم
ميلكم الى الراحة والدعة والسكون قصد بلادكم وحاول قتالكم واذا علم ان فيكم
شهامة وجلادة على القتال كف عنكم والله يعلم يعني ما في الجهاد من الغنيمة والاجر
والخير وانتم لا تعلمون يعني ذلك والعبد اذا علم قصور علمه وكمال علم الله تعالى امره بامر

كان ذلك

كان ذلك الامر فيه مصلحة عظيمة فيجب على العبد امتثال امر الله تعالى وان كان يشق
على النفس في الحال قوله عز وجل يسالونك عن الشهر الحرام قتال فيه سبب نزول هذه
الاية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث عبد الله بن جحش وهو ابن عمته
في سرية في جمادى الاخرة قبل قتال بدر بشهرين فامره على السرية وكتب له كتابا وقال
سر على اسم الله تعالى ولا تنظر في الكتاب حتى تسير يومين فاذا نزلت فافتح الكتاب
فاقراه على اصحابك ثم امض لما امرتك به ولا تستكرهن احدا منهم على السير معك
فسار عبد الله يومين ثم نزل وفتح الكتاب فاذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم اما
بعد فسر على بركة الله تعالى بمن معك من اصحابك حتى تنزل بطن نخلة فارصد بها
عير قريش لعلك تاتينا منها بخير فقال سمعا وطاعة ثم قال لاصحابه ذلك وقال
انه نهاني ان استكره احدا منكم فمن اراد منكم الشهادة فلينطلق ومن كره فليرجع
ثم مضى ومضى اصحابه معه وكانوا ثمانية رهط لم يتخلف عنه احد منهم حتى اذا كان
بمعدن فوق الفرع بموضع من الحجاز يقال له بحران اضل سعد بن ابي وقاص وعتبة
ابن غزوان بعيرا لهما كانا يتعقبانه فتخلفا في طلبه ومضى عبد الله ببقية
اصحابه حتى نزل ببطن نخلة بين مكة والطائف فبينما هم كذلك اذ مرت بهم
عير لقريش تحمل زبيبا وادما وتجارة من تجارة الطائف وفي العير عمرو بن الحضرمي
والحكم بن كيسان وعثمان بن عبد الله بن المغيرة ونوفل بن عبد الله المخزوميان فلما
راوا اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم هابوهم وقد نزلوا قريبا منهم فقال عبد الله
بن جحش ان القوم قد ذعروا منكم فاحلقوا راس رجل منكم وليتعرض لهم فاذا راوه
محلوقا امنوا فحلقوا راس عكاشة بن محصن ثم اشرف عليهم فلما راوه امنوا وقالوا
قوم عمار فلا باس علينا وكان ذلك في اخر يوم من جمادى الاخرة وكانوا يرون انه
من رجب فتشاوروا القوم فيهم وقالوا لئن تركتموهم هذه الليلة ليدخلن الحرم
وليمتنعن منكم فاجمعوا امرهم في مواقعة القوم فرمى واقد بن عبد الله السهمي
عمرو بن الحضرمي بسهم فقتله فكان اول قتيل من المشركين واسر الحكم وعثمان وكانا
اول اسيرين في الاسلام وافلت نوفل فاعجزهم واستاق المسلمون العير والاسيرين
حتى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت قريش قد استحل محمد الشهر الحرام
وسفك الدماء واخذ الحرائب يعني المال وعير بذلك اهل مكة من كان بها من المسلمين
وقالوا يا معشر الصباة استحللتم الشهر الحرام وقاتلتم فيه فبلغ ذلك رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال لعبد الله بن جحش واصحابه ما امرتكم بالقتال في الشهر الحرام ووقف
العير والاسيرين وابى ان ياخذ شيئا من ذلك وعنف المسلمون اصحاب السرية فيما
صنعوا وقالوا لم صنعتم ما لم تومروا به فعظم ذلك على اصحاب السرية وظنوا ان
قد هلكوا وسقط في ايديهم وقالوا يا رسول الله انا قتلنا ابن الحضرمي ثم امسينا

فتطرنا هلال رجب فلا ندرى افى رجب اصبناه ام فى جمادى واكثر الناس فى ذلك
فانزل الله هذه الاية فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم العير فعزل منها الخمس وكان
اول خمس فى الاسلام واول غنيمة قسمت فقسم الباقى على اصحاب السرية وبعث اهل
مكة فى فدا اسيريهم فقال بل نبقيهما حتى يقدم سعد وعقبة وان لم يقدما قتلناهما
بهما فلما قدما فاداهما فاما الحكم بن كيسان فاسلم واقام مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم بالمدينة فقتل يوم بير معونة شهيدا واما عثمان بن عبد الله فرجع الى مكة
فمات بها كافرا واما نوفل فضرب بطن فرسه يوم الاحزاب ليدخل الخندق
فوقع فى الخندق مع فرسه فتحطما جميعا فقتله الله فطلب المشركون جيفته
بالثمن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خذوه فانه خبيث الجيفة خبيث الدية
فاما تفسير الاية فقوله تعالى يسئلونك يا محمد عن الشهر الحرام يعنى رجب فسمى بذلك لتحريم
القتال فيه وفى السائلين رسول الله صلى الله عليه وسلم قولان احدهما انهم المسلمون
سئلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القتال فى الشهر الحرام فنزلت هذه الاية
والقول الثانى ان السائلين هم المشركون وانما سالوه على وجه العيب على المسلمين
فنزلت هذه الاية يسئلونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل يا محمد قتال فيه كبير
اى عظيم منكر واختلف العلما فى حكم هذه الاية على قولين احدهما انها محكمة
وانه لا يجوز الغزو فى الشهر الحرام الا ان يقاتلوا فيه فيقاتلوا فى سبيل الدفع روى
عن عطا انه كان يحلف بالله ما يحل للناس ان يغزوا فى الشهر الحرام ولا ان يقاتلوا
فيه وما نسخت والقول الثانى الذى عليه جمهور العلما وهو الصحيح انها منسوخة
قال سعيد بن المسيب وسليمان بن يسار القتال جايز فى الشهر الحرام وهذه الاية
منسوخة بقوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ولقوله وقاتلوا المشركين كافة
يعنى فى الاشهر الحرم وغيرها وصد عن سبيل الله هذا ابتدا الكلام والمعنى وصدكم
المسلمين عن الحج او وصدكم عن الاسلام من يريده وكفر به اى بالله والمسجد الحرام
اى وصدكم عن المسجد الحرام واخراج اهله منه يعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم
والمومنين حين اذوهم حتى هاجروا وتركوا مكة وانما جعلهم اهل لانهم كانوا هم
القايمين بحقوق المسجد الحرام دون المشركين اكبر عند الله اى اعظم وزرا عند الله
من القتال فى المسجد الحرام والفتنة اى الشرك الذى انتم عليه اكبر من القتل يعنى قتل
ابن الحضرمى فى الشهر الحرام فلما نزلت هذه الاية كتب عبد الله بن انيس وقيل
عبد الله بن جحش الى مومنى مكة ان عيركم المشركون بالقتال فى الشهر الحرام فعيروهم
انتم بالكفر وباخراج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة والمسلمين ومنعكم
اياهم من البيت ولا يزالون يعنى مشركى مكة يقاتلونكم يعنى يا معشر المومنين حتى
يردوكم عن دينكم يعنى الى دينهم وهو الكفر ان استطاعوا يعنى ان قدروا على ذلك

وفيه استبعاد

وفيه استبعاد لاستطاعتهم وهو كقول الرجل لعدوه ان ظفرت بى فلا تبق على
وهو واثق انه لا يظفر به ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر يعنى ومن
يطاوعهم منكم فيرجع الى دينهم فيمت على ردته قبل ان يتوب فاولئك حبطت
اعمالهم اى بطلت اعمالهم فى الدنيا والاخرة وهو ان المرتد يقتل ويبين زوجته
منه ولا يستحق الميراث من اقاربه المومنين ولا ينصر ان استنصر ولا يمدح ولا يثنى عليه
ويكون ماله فيا للمسلمين هذا فى الدنيا ولا يستحق الثواب على اعماله ويحبط اجرها فى الاخرة
وظاهر الاية يقتضى ان الارتداد انما تتفرع عليه الاحكام اذا مات المرتد على الكفر اما
اذا اسلم بعد الردة فلم يثبت عليه شى من احكام الردة وفيه دليل للشافعى ان الردة لا تحبط
الاعمال حتى يموت المرتد على ردته وعند ابى حنيفة ان الردة تحبط العمل وان اسلم
واولئك اصحاب النار يعنى الذين ماتوا على الردة والكفر هم اصحاب النار هم فيها خالدون
اى لا يخرجون منها ابدا ان الذين امنوا والذين هاجروا وجاهدوا فى سبيل الله نزلت
فى عبد الله بن جحش واصحابه وذلك ان اصحاب السرية قالوا يا رسول الله هل نوجر
على وجهنا هذا ونطمع ان يكون لنا غزوا فانزل الله هذه الاية عن جندب بن عبد الله
قال لما كان من امر عبد الله بن جحش واصحابه وامر ابن الحضرمى ما كان قال بعض المسلمين
ان لم يكونوا اصابوا فى سفرهم وزرا فليس لهم فيها اجر فانزل الله هذه الاية ان الذين
امنوا والذين هاجروا اى فارقوا مساكنهم وعشايرهم واموالهم وفارقوا مساكنة
المشركين فى امصارهم ومجاورتهم فى ديارهم فتحولوا عن المشركين وعن بلادهم الى غيرها
وجاهدوا يعنى المشركين فى سبيل الله اى فى طاعة الله فجعل الله لاصحاب هذه السرية
جهادا اولئك يرجون رحمة الله اى يطمعون فى نيل رحمة الله اخبر انهم على رجا الرحمة
وقيل المراد من الرجا هنا القطع فى اصل الثواب وانما دخل الظن فى كميته ووقته قال
قتادة اثنى الله تعالى على اصحاب محمد احسن الثنا فقال تعالى ان الذين امنوا والذين
هاجروا وجاهدوا فى سبيل الله اولئك يرجون رحمة الله هولاء هم خيار الامة هذه ثم
جعلهم الله اهل رجا كما تسمعون وانه من رجا طلب ومن خاف هرب والله غفور
اى للذنوب عباده رحيم بهم والمعنى انه تعالى غفر لعبد الله بن جحش واصحابه ما لم يعلموا
به قوله عز وجل يسئلونك عن الخمر والميسر الاية نزلت فى عمر بن الخطاب ومعاذ بن
جبل وجماعة من الانصار اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله
افتنا فى الخمر والميسر فانها مذهبة للعقل مسلبة للمال فانزل الله هذه الاية واصل
الخمر فى اللغة الستر والتغطية وسميت الخمر خمرا لانها تخامر العقل اى تخالطه وقيل
لانها تستره وتغطيه وجملة القول فى تحريم الخمر ان الله تعالى انزل فى الخمر اربع ايات
نزل بمكة ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا فكان المسلمون يشربونها
فى اول الاسلام وهى لهم حلال ثم نزلت بالمدينة فى جواب سوال عمر ومعاذ يسئلونك

عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير فتركها قوم لقوله اثم كبير وشربها قوم لقوله ومنافع
للناس ثم ان عبد الرحمن بن عوف صنع طعاما ودعى اليه ناسا من اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطعمهم وسقاهم الخمر وحضرت صلاة المغرب
فقدموا احدهم ليصلي بهم فقرا قل يا ايها الكافرون اعبد ما تعبدون بحذف
ولا الى اخر السورة فانزل الله عز وجل يا ايها الذين امنوا لا تقربوا
الصلاة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون فحرم الله السكر في اوقات الصلاة
فكان الرجل يشربها بعد صلاة العشا فيصبح وقد زال سكره فيصلي الصبح ويشربها
بعد صلاة الصبح فيصحو وقت صلاة الظهر ثم ان عتبان بن مالك اتخذ صنيعا
يعني وليمة ودعى رجالا من المومنين وفيهم سعد بن ابي وقاص وكان قد
شوى لهم راس بعير فاكلوا وشربوا الخمر حتى اخذت منهم فافتخروا عند ذلك
وانتسبوا وتناشدوا الاشعار فانشد سعد قصيدة فيها فخر قومه وهجا الانصار
فاخذ رجل من الانصار لحي البعير فضرب به راس سعد فشجه موضحة فانطلق سعد
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وشكى اليه الانصاري وقال عمر اللهم بين لنا في
الخمر بيانا شافيا وروي ان حمزة بن عبد المطلب شرب الخمر يوما وخرج فلقي
رجلا من الانصار وبيده ناضح له والانصاري يتمثل ببيتين لكعب بن مالك يمدح
قومه وهما ٥ جمعنا مع الايوا الضراء هجرة ٥ فلم يرى مثلنا في المعاشر ٥
فاحيا وما من خير حي من مضى ٥ واموا ثنا من خير اهل المقابر ٥ فقال حمزة
اولئك المهاجرون وقال الانصاري بل نحن الانصار فتنازعا فجرد حمزة سيفه
وعدا على الانصاري فهرب الانصاري وترك ناضحه فقطعه حمزة وجا
الانصاري مستعديا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واخبره بفعل حمزة فقدم
له رسول الله صلى الله عليه وسلم ناضحا فقال عمر اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا
فانزل الله الاية التي في المائدة الى قوله فهل انتم منتهون فقال عمر انتهينا يا رب
وذلك بعد غزوة الاحزاب بايام والحكمة في وقوع التحريم على هذا الترتيب
ان الله تعالى علم ان القوم الفوا شرب الخمر وكان انتفاعهم بذلك كثيرا فعلم
انه لو منعهم من الخمر دفعة واحدة لشق ذلك عليهم فلا جرم استعمل هذا
التدريج وهذا الرفق قال انس حرمت الخمر ولم يكن يومئذ للعرب عيش
اعجب منها وما حرم عليهم شي اشد من الخمر خ عن انس قال ما كان لنا
خمر غير فضيخكم واني لقائم اسقي ابا طلحة وابا ايوب وفلانا وفلانا اذ جا
رجل فقال حرمت الخمر فقالوا اهرق هذه القلال يا انس فما سالوا عنها ولا
راجعوها بعد خبر الرجل والفضيخ بالضاد والخا المعجمتين شراب يتخذ من بسر
مطبوخ والمفضوخ المشدوخ والكسور والاهراق الصب والقلال جمع

قلة وهي الجرة الكبير **فصل** في تحريم الخمر ووعيد من شربها اجمعت الامة على تحريم الخمر وانه
يحد من شربها ويفسق بذلك مع اعتقاد تحريمها فان استحلها كفر بذلك ويجب قتله
ق عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل خمر مسكر حرام ومن شرب
الخمر في الدنيا ومات وهو يدمنها لم يتب منها لم يشربها في الاخرة لفظ مسلم م عن جابر
ان رجلا قدم من جيشان وجيشان من اليمن فسال رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن شراب يشربونه بارضهم من الذرة يقال له المزر فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم او مسكر هو قال نعم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل مسكر حرام وان
على الله لمن شرب المسكر ان يسقيه من طينة الخبال قالوا يا رسول الله وما طينة
الخبال قال عرق اهل النار او عصارة اهل النار عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال كل مسكر خمر وكل مسكر حرام ومن شرب مسكرا بخست صلاته اربعين صباحا
فان تاب تاب الله عليه فان عاد كان حقا على الله ان يسقيه من طينة الخبال قيل
وما طينة الخبال يا رسول الله قال صديد اهل النار اخرجه ابو داود عن عبد الله بن عمرو
بن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من شرب الخمر فجعلها في بطنه لم يقبل الله
منه صلاة سبعا وان مات فيها مات كافرا فان اذهب عقله عن شي من الفرائض
وفي رواية عن القران لم تقبل صلاته اربعين يوما وان مات فيها مات كافرا اخرجه النسائي
عن عثمان بن عفان قال اجتنبوا الخمر فانها ام الخبائث فانها والله لا تجتمع والايمان وادمان
الخمر الا يوشك ان يخرج احدهما صاحبه اخرجه النسائي موقوفا عليه وفي قصة عن انس قال
لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة عاصرها ومعتصرها وشاربها وساقيها وحاملها
والمحمولة اليه وبايعها ومبتاعها وواهبها واكل ثمنها اخرجه الترمذي **فصل** في احكام
تتعلق بالخمر وفيه مسائل الاولى في ماهيتها قال الشافعي الخمرة عبارة عن عصير العنب
الشي الشديد الذي يقذف بالزبد وكذلك نقيع الزبيب والتمر والمتخذ من العسل والحنطة
والشعير والارز والذرة وكل ما اسكر فهو خمر وقال ابو حنيفة الخمر من العنب والرطب ونقيع
التمر والزبيب فان طبخ حتى ذهب ثلثاه حل شربه والمسكر منه حرام واحتج على ذلك بما
روي عن عمر بن الخطاب انه كتب الى بعض عماله ان ارزق المسلمين من الطلا ما ذهب
ثلثاه وبقي ثلثه وفي رواية اما بعد فاطبخوا شرابكم حتى يذهب منه نصيب الشيطان
فان له اثنين ولكم واحدا اخرجه النسائي الطلا بكسر الطا والمد الشراب المطبوخ من
عصير العنب الذي ذهب ثلثاه وبقي ثلثه واحتج ايضا بما روي عن ابن عباس قال حرمت
الخمر بعينها قليلها وكثيرها والمسكر من كل شراب اخرجه النسائي واستدل ايضا على ان
المسكر حرام بما روي عن ابي الاحوص عن القاسم عن عبد الرحمن بن ابي بردة ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال اشربوا ولا تسكروا وعن عائشة نحوه اخرجه النسائي وقال هذا
حديث غير ثابت واستدل الشافعي على كون الخمر من عدة اشيا بما روي عن ابن عمر

ان عمر قال على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم اما بعد ايها الناس انه نزل تحريم الخمر وهي من
خمسة العنب والتمر والعسل والحنطة والشعير والخمر ما خامر العقل ثلاث وددت ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عهد الينا فيهن عهدا ننتهي اليه الجد والكلالة وابواب
من ابواب الربا اخرجه البخاري ومسلم ق عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سال
عن البتع فقال كل شراب اسكر فهو حرام البتع شراب يتخذ من العسل كان اهل اليمن
يشربونه عن النعمان بن بشير ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان من العنب خمرا
وان من البر خمرا وان من الشعير خمرا وان من التمر خمرا اخرجه ابو داود وفي رواية وانا
انهاكم عن كل مسكر وللترمذي نحوه وزاد وان من العسل خمرا خ عن ابن عباس
انه سئل عن الباذق فقال سبق محمد الباذق فما اسكر فهو حرام قال الشراب
الحلال الطيب ليس بعد الحلال الطيب الا الحرام الخبيث قال صاحب المطالع الباذق
بفتح الذال المعجمة وهو الطلا المطبوخ من عصير العنب كان اول من صنعه وسماه
بنو امية لينقلوه عن اسم الخمر وكل ما اسكر فهو خمر لان الاسم لا ينقله عن معناه الموجود
فيه وقال ابن الاثير في النهاية الباذق الخمر تعريب باده وهو اسم للخمر بالفارسية اي لم يكن
في زمانه او سبق قوله فيه او في غيرها من جنسها وقيل معناه سبق حكم محمد صلى الله عليه وسلم
ان ما اسكر فهو حرام عن ام سلمة قالت نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كل مسكر ومفتر
اخرجه ابو داود والمفتر كل شراب احمى الجسد وصار فيه فتور وضعف وانكسار وهذا
الشافعي على ما اسكر كثيره فقليله حرام بما روى عن جابر بن عبد الله ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال ما اسكر كثيره فقليله حرام اخرجه الترمذي وابو داود وعن عائشة ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال كل مسكر حرام وما اسكر منه الفرق فملء الكف منه حرام اخرجه
ابو داود والنسائي وفي رواية له الحسوة منه حرام الفرق بالتحريك مكيال ستة
عشر رطلا بالبغدادي واجيب عن حديث عمر في الطلا بانه معارض بما روى عن السائب
بن يزيد ان عمر قال وجدت من فلان ريح شراب فزعم انه شرب الطلا وانا سائل عنه
فان كان يسكر جلدته فسال فقيل انه يسكر فجلده عمر الحد تاما اخرجه مالك في الموطا
واما حديث ابن عباس فموقوف عليه ومعارض بما روى عنه في الباذق وقوله والمسكر
من كل شراب فقد رواه الحفاظ السكر بفتح السين قال صاحب الغريبين السكر خمر
الاعاجم ويقال لما اسكر السكر وروى هذا الحديث ابن حنبل وقال فيه والمسكر من
كل شراب وقال موسى بن هارون وهو الصواب واما حديث ابي الاحوص ففيه
وهمان احدهما في سنده حيث قال عن ابي بردة وانما يرويه سماك عن القاسم عن
ابي بردة عن ابيه والوهم الثاني في متنه حيث قال اشربوا ولا تسكروا وانما يرويه
الناس ولا تشربوا مسكرا ويدل على صحة هذا ما روى مسلم في صحيحه عن محارب بن دثار
عن ابن بريدة عن ابيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كنت نهيتكم عن الاشربة

في ظروف

في ظروف الادم فاشربوا في كل وعاء غير ان لا تشربوا مسكرا وقال النسائي في حديث ابي
الاحوص هذا حديث منكر غلط فيه ابو الاحوص سلام بن سليم لا نعلم ان احدا تابعه عليه من
اصحاب سماك واما حديث عائشة بجيبه فهو غير ثابت كما تقدم في قول النسائي المسئلة الثانية
في الحكم بنجاسة الخمر وما يلحق بها لخبث العين ويدل على نجاستها قوله تعالى انما الخمر والميسر والانصاب
والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه والرجس في اللغة النجس الشيء المستقذر وقوله
تعالى فاجتنبوه امر باجتنابها فكانت نجسة العين ويدل على نجاستها ايضا انها محرمة التناول
لا لاحترام ولان الناس مشغوفون بها فينبغي ان يحكم بنجاستها تاكيدا للزجر عنها المسئلة الثالثة
في تحريم بيعها والانتفاع بها اجمعت الامة على تحريم بيع الخمر والانتفاع بها وتحريم ثمنها فالميتة
والخنزير والاصنام اخرجاه في الصحيحين مع زيادة اللفظ ق عن عائشة قالت خرج رسول الله
صلى الله عليه وسلم حرمت التجارة في الخمر ق عن ابن عباس قال بلغ عمر بن الخطاب ان فلانا باع
خمرا فقال قاتل الله فلانا الم يعلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعن الله اليهود حرمت
عليهم الشحوم فجملوها فباعوها عن المغيرة بن شعبة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من باع
خمرا فليشقص الخنازير اخرجه ابو داود وقوله فليشقص الخنازير اي فليقطعها قطعا كما
يقطع الشاة للبيع والمعنى من استحل بيع الخمر فليستحل بيع الخنازير فانهما في التحريم سواء عن ابي طلحة
قال يا نبي الله اشتريت خمرا لايتام في حجري فقال اهرق الخمر واكسر الدنان اخرجه الترمذي وقال
وقد روى عن انس ان ابا طلحة كان عنده خمر لايتام وهو اصح قال قلت فما وجه قوله تعالى
ومنافع للناس قلت منافعها اللذة التي توجد عند شربها والفرح والطرب معها وما كانوا
يصيبون من الربح في ثمنها وكان ذلك قبل التحريم فلما حرم الخمر حرم ذلك كله فصل واما
الميسر فهو القمار واشتقاقه من اليسر لانه اخذ مال بسهولة من غير تعب وكذا قال ابن عباس
كان الرجل في الجاهلية يخاطر الرجل على اهله وماله فايهما قمر صاحبه ذهب باهله وماله فانزل الله
هذه الاية واصل الميسر ان اهل الثروة من العرب في الجاهلية كانوا يشترون جزورا فينحرونها
ويجزئونها ثمانية وعشرين جزءا يسهمون عليها بعشرة قداح يقال لها الازلام والاقلام واسماؤها
الفذ والتوأم والرقيب والحلس والنافس والمسبل والمعلى والمنيح والسفيح والوغد وكانوا
يسهمون لسبعة منهم ايضا فللفذ سهما وللتوأم سهمان وللرقيب ثلاثة اسهم وللحلس اربعة
وللنافس خمسة وللمسبل ستة وللمعلى سبعة وثلاثة من القداح لا انصباء وهي المنيح والسفيح
والوغد وقال بعضهم ش لي في الدنيا سهام ليس فيهن ربح ش اسمهن وغد ومنيح وسفيح ش ثم
يجعلون القداح في خريطة يسمونها الربابة ويضعونها على يد رجل عدل عندهم يسمونه المجيل
والمفيض فيجعلها في الخريطة ويخرج منها قدحا باسم رجل منهم فايهم خرج اسمه اخذ نصيبه
على قدر ما يخرج من القدح وان خرج له قدح من الثلاثة التي لا نصيب لها لم ياخذ شيئا
وغرم ثمن الجزور كله وقيل لا ياخذ ولا يغرم ويسمون ذلك القدح لغوا ثم يدفعون
ذلك الجزور الى الفقراء ولا ياكلون منه شيئا وكانوا يفتخرون بذلك ويذمون من لا يفعله

ويسمونه البرم يعني البخيل الذي لا يخرج شيئا بين اصحابه لبخله واما حكم الاية فالمراد به جميع انواع القمار فكل شيء فيه قمار فهو من الميسر وروي عن ابن سيرين ومجاهد وعطا كل شيء فيه خطر فهو من الميسر حتى لعب الصبيان بالجوز والكعاب واما النرد فيحرم اللعب به سوا كان بخطر اولا ويدل على تحريمه ما روي عن بريدة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من لعب النردشير فكانما يضع يده في دم خنزير اخرجه مسلم وعن ابي موسى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لعب بنرد او نردشير فقد عصى الله ورسوله اخرجه ابو داود وعن علي بن ابي طالب قال النرد والشطرنج من الميسر واختلفوا في الشطرنج فمذهب ابو حنيفة انه يحرم اللعب به سوا كان برهن او بغير رهن ومذهب الشافعي انه مباح بشروط ذكرها الشافعي فقال اذا خلى الشطرنج عن الرهان واللسان عن الطغيان ويروى عن الهذيان والصلاة عن النسيان لم يكن حراما وهو خارج عن الميسر لان الميسر ما يوجب دفع مال واخذ مال وهذا ليس كذلك وقوله تعالى قل فيهما يعني في الخمر والميسر اثم كبير اي وزر عظيم وقيل ان الخمر عدو للعقل فاذا غلبت على عقل الانسان ارتكب كل قبيح ففي ذلك اثم كبير منها اقدامه على شرب المحرم ومنها فعل ما لا يحل فعله واما الاثم الكبير في الميسر فهو اكل المال الحرام بالباطل وما يجري بينهما من الشتم والمخاصمة والمعاداة وكل ذلك فيه اثام كثيرة ومنافع للناس يعني انهم كانوا يربحون في بيع الخمر قبل تحريمها واما منافع الميسر فهو اخذ المال بغير كد ولا تعب قيل ربما ان الواحد منهم كان يقمر في المجلس الواحد مائة بعير فيحصل له المال الكثير وربما كان يصرفه الى المحتاجين فيكتسب بذلك الثنا والمدح وهو المنفعة واثمهما اكبر من نفعهما يعني اثمهما بعد التحريم اكبر من نفعهما قبل التحريم وقيل اثمهما قوله تعالى انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضا في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل انتم منتهون فهذه ذنوب يترتب عليها اثام كثيرة بسبب الخمر والميسر قوله تعالى ويسالونك ماذا ينفقون وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حضهم على الصدقة فقالوا ماذا ننفق فقال الله تعالى قل العفو يعني الفضل والعفو ما فضل عن قدر الحاجة فكانت الصحابة يكتسبون المال ويمسكون قدر النفقة ويتصدقون بالفاضل بحكم هذه الاية ثم نسخ هذا باية الزكاة وقيل هو التصدق عن ظهر غنى ق عن الزهري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير الصدقة ما كان على ظهر غنى واليد العليا خير من اليد السفلى وابدا بمن تعول وقيل هو الوسط في الانفاق من غير اسراف ولا اقتار وقيل هو في صدقة التطوع اذ لو كان المراد بهذا الانفاق الواجب لبين الله قدره فلما لم يبينه دل ذلك على ان المراد به صدقة التطوع كذلك يبين الله لكم الايات اي يبين لكم الامور التي سالتم عنها من وجوه الانفاق ومصارفها لعلكم تتفكرون في الدنيا والاخرة يعني فتحبسون ما يصلحكم في الدنيا وتنفقون الباقي فينفعكم في الاخرة وقيل لعلكم تتفكرون في زوال الدنيا فتزهدوا فيها وفي اقبال الاخرة ولقائها وترغبوا فيها قوله عز وجل ويسالونك عن اليتامى

قال ابن

قال ابن عباس لما نزلت ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما تحرج المسلمون من اموال اليتامى تحرجا شديدا حتى عزلوا اموالهم عن اموالهم وتركوا مخالطتهم ربما يصنع لليتيم الطعام فيفضل منه فيتركوه ولا ياكلوه فاشتد ذلك عليهم فسالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى ويسالونك عن اليتامى قل اصلاح لهم خير اي اصلاح اموال اليتامى من غير اخذ اجرة ولا عوض خير لكم اي اعظم اجرا وقيل هو ان يوسع على اليتيم من طعام نفسه ولا يتوسع من طعام اليتيم وان تخالطوهم يعني في الطعام والخدمة والسكنى وهذا عينها اباحة المخالطة اي شاركوهم في اموالهم واخلطوها باموالكم ونفقاتكم ومساكنكم وخدمكم ودوابكم فتصيبوا من اموالهم عوضا من قيامكم بامورهم وتكافئوهم على ما تصيبون من اموالهم فاخوانكم اي فهم اخوانكم والاخوان يعين بعضهم بعضا ويصيب بعضهم من مال بعض على وجه الاصلاح والرضا والله يعلم المفسد من المصلح يعني المفسد لاموال اليتامى والمصلح له ويعلم الذي يقصد بالمخالطة الخيانة واكل مال اليتيم بغير حق والذي يقصد الاصلاح ولو شا الله لاعنتكم اي الضيق عليكم وما اباح لكم مخالطتهم واصل العنت الشدة والمشقة والمعنى لكلفكم في كل شيء ما يشق عليكم ان الله عزيز حكيم اي غالب يقدر ان يشق على عباده او يعنتهم ولكنه حليم لا يكلف عباده الا ما يسع فيه طاقتهم قوله عز وجل ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن نزلت في ابي مرثد بن ابي مرثد الغنوي واسم ابي مرثد كناز بن حصين بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مكة ليخرج منها ناسا من المسلمين سرا فلما قدمها سمعت به امراة مشركة يقال لها عناق وكانت خليلته في الجاهلية فاتته فقالت الا تخلو فقال ويحك يا عناق ان الاسلام حال بيني وبين ذلك فقالت له هل لك ان تتزوج بي قال نعم ولكن ارجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستامره فقالت ابي تتبرم واستغاثت عليه فضربوه ضربا شديدا ثم خلوا سبيله فلما قضى حاجته بمكة انصرف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم اعلمه بما كان من امره وامر عناق وما لقي بسببها وقال يا رسول الله ايحل لي ان اتزوجها فانزل الله هذه الاية واصل النكاح في اللغة الوطي ثم كثر حتى قيل للعقد نكاح ومعنى الاية ولا تنكحوا ايها المومنون المشركات حتى يومن اي يصدقن الله ورسوله وهو الاقرار بالشهادة والتزام احكام المسلمين واختلف العلما في حكم هذه الاية فقيل انها نزلت على ان كل مشركة يحرم نكاحها على كل مسلم من اي اجناس الشرك كانت كالوثنية والمجوسية والنصرانية او غيرهم من اصناف المشركات ثم استثنى الله تعالى من ذلك نكاح الحراير الكتابيات بقوله تعالى والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم فاباح الله نكاحهن بهذه الاية قال ابن عباس في قوله ولا تنكحوا المشركات حتى يومن ثم استثنى اهل الكتاب فقال والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم وقيل ان حكم الاية نزلت في مشركات العرب الوثنيات خاصة ولم ينسخ منها شي

ولم يستثن وانما حكمها عام مخصوص قال قتادة في قوله ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن
يعني مشركات العرب اللاتي ليس لهن كتاب يقرأنه وبيان هذا في مسئلة وهي
ان لفظ الشرك على من يطلق فالاكثرون من العلماء وهو القول الصحيح المختار لفظ
الشرك يندرج فيه اهل الكتاب من اليهود والنصارى وكذلك عبدة الاصنام
والمجوس وغيرهم ويدل على ان اليهود والنصارى يطلق عليهم اسم الشرك قوله
تعالى وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ثم قال تعالى اتخذوا
احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما امروا الا ليعبدوا الها
واحدا لا اله الا هو سبحانه عما يشركون فهذه الاية صريحة في شرك اليهود والنصارى
وقيل كل من كفر بالنبي صلى الله عليه وسلم وان زعم ان ما اتى به النبي صلى الله عليه
وسلم هو من عند غير الله فقد اشرك مع الله غيره فعلى هذا القول ايضا يدخل فيه
اليهود والنصارى بانكارهم بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل ان اسم الشرك
لا يتناول الا عبدة الاوثان فقط والاول اصح لما تقدم من الادلة فعلى قول من
قال اسم الشرك لا يتناول الا الوثنيات فتكون الاية محكمة وعلى قول الاكثرين ان
قول الشرك يتناول الوثنيات والكتابيات وغيرهن تكون الاية محكمة في حق
الوثنيات منسوخة في حق الكتابيات وقوله تعالى ولامة مؤمنة خير اي انفع واصلح
وافضل من مشركة يعني حرة ولو اعجبتكم يعني بجمالها ومالها ونسبها والامة المؤمنة
خير وافضل عند الله من الحرة المشركة نزلت خنساء وليدة كانت لحذيفة ابن اليمان
قال يا خنساء قد ذكرت في الملا الاعلى على سوادك ودمامتك ثم اعتقها وتزوجها
وقيل نزلت في عبد الله بن رواحة كانت عنده امة سوداء فغضب عليها يوما
فلطمها ثم فزع فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره فقال وما هي يا عبد الله قال هي
تشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله وتصوم رمضان وتحسن الوضوء و
تصلي فقال هذه امة مؤمنة قال عبد الله فوالذي بعثك بالحق لاعتقنها
ولاتزوجنها ففعل فطعن عليه ناس من المسلمين فقالوا اتنكح امة وعرضوا
عليه حرة مشركة فانزل الله هذه الاية ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا هذا خطاب
لاولياء المراة اي لا تزوجوا المسلمة من المشركين حرم على المؤمنات ان ينكحن
مشركا اي اصناف الشرك كان والعقد الاجماع على انه لا يجوز للمسلمة ان
تتزوج بالمشرك ولعبد مؤمن خير من مشرك يعني حر ولو اعجبكم بحسنه وجماله
وماله اولئك يدعون الى النار يعني يدعون الى الشرك الذي يؤدي
الى النار والله يدعوا الى الجنة والمغفرة يعني انه تعالى لما بين هذه الاحكام
واباح بعضها وحرم بعضها فاعملوا بما امركم به وانتهوا عما نهاكم عنه فانه
من عمل بذلك استحق الجنة والمغفرة باذنه اي بتيسير الله وارادته

ولتوفيقه ويبين اياته للناس اي يوضح ادلته وحججه في اوامره ونواهيه و
احكامه لعلهم يتذكرون اي فيتعظون قوله عز وجل ويسالونك عن المحيض
عن انس ان اليهود كانوا اذا حاضت المراة فيهم لم يواكلوها ولم يجامعوها
في البيوت فسال اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم النبي عليه الصلاة والسلام
فانزل الله عز وجل ويسالونك عن المحيض قل هو اذى فاعتزلوا النساء في المحيض
الى اخر الاية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اصنعوا كل شيء الا النكاح فبلغ
ذلك اليهود فقالوا ما يريد هذا الرجل ان يدع من امرنا شيا الا خالفنا فيه فجا
اسيد بن حضير وعباد بن بشر فقالا يا رسول الله ان اليهود تقول كذا وكذا فلا نجامعهن
فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ظننا انه قد وجد عليهما فخرجا فاستقبلهما
هدية من لبن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فارسل في اثارهما فسقاهما فعرفنا
انه لم يجد عليهما الوجد الغضب واصل الحيض السيلان والانفجار يقال حاض الوادي
اذا سال وفاض ماؤه قل هو اذى اي شيء قذر والاذى في اللغة ما يكره من كل شيء
فاعتزلوا النساء في المحيض اي فاجتنبوا مجامعتهن ولا تقربوهن يعني بالوطي والمجامعة
فهو كالتوكيد لقوله فاعتزلوا النساء في المحيض حتى يطهرن يعني من الحيض والمعنى ولا تقربوهن
حتى يزول عنهن الدم وقرئ يطهرن بتشديد الطاء ومعناه حتى يغتسلن فاذا تطهرن
اي اغتسلن من حيضهن فاتوهن من حيث امركم الله قال ابن عباس طاهرات في
الفرج ولا تعتدوا الى غيره فانه هو الذي امر الله به ولا تاتوهن في غير الماتى وقيل فاتوهن
من الوجه الذي امركم الله به وهو الطهر وقيل معناه واتوهن من حيث يحل لكم غشيانهن
وذلك بان لا يكن صائمات ولا معتكفات ولا محرمات **فصل** في حكم الاية وفيه مسايل المسئلة
الاولى اجمع المسلمون على تحريم الجماع في زمن الحيض واستحله كافر عن ابي هريرة عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال من اتى حائضا او امراة في دبرها او كاهنا فقد كفر بما انزل على محمد اخرجه
الترمذي وقال انما معنى هذا عند اهل العلم على التغليظ ومن فعله وهو عالم بالتحريم عزره
الامام وفي وجوب الكفارة قولان احدهما انه يستغفر الله ويتوب الله ولا كفارة
عليه وهو قول ابي حنيفة والشافعي في الجديد والقول الثاني انه يجب عليه الكفارة وهو
القول القديم للشافعي وبه قال احمد بن حنبل لما روي عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم
في الرجل يقع في امراته وهي حائض قال يتصدق بنصف دينار وفي رواية قال اذا كان
دم احمر فدينار وان كان دم اصفر فنصف دينار اخرجه الترمذي وقال بعضهم عن
ابن عباس ووقفه بعضهم المسئلة الثانية اجمع العلما على جواز الاستمتاع بالمراة الحائض
بما فوق السرة ودون الركبة وجواز مضاجعتها وملامستها ويدل على ذلك ما روي عن
عائشة قالت كانت احدانا اذا كانت حائضا واراد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
يباشرها امرها ان تتزر بازار في فور حيضها ثم يباشرها وايكم يملك اربه كما كان رسول

الله صلى الله عليه وسلم يملك اربه وفي رواية قالت كنت اغتسل انا ورسول الله صلى الله
عليه وسلم من اناء واحد وكلانا جنب وكان يامرني فاتزر فيباشرني وانا حائض اخرجاه
في الصحيحين المراد بالمباشرة والاستمتاع بما دون الفرج وفور كل شي اوله وابتداوه وقولها
يملك اربه يروى بسكون الرا وهو العضو وبفتحها وهو الحاجة م عن عائشة قالت
قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ناوليني الخمرة من المسجد قلت اني حائض قال ان
حيضتك ليست في يدك الخمرة حصير صغير مضفور من سعف النخل وغيره بقدر
الكف وقوله في المسجد يعني ناديا من المسجد لانه صلى الله عليه وسلم معتكفا في المسجد
وعائشة في حجرتها فطلب منها الخمرة وهي حائض المسئلة الثالثة يحرم على الحائض
الصلاة والصوم ودخول المسجد وقراة القران ومس المصحف وحمله فلو امنت
الحائض من التلويث في عبور المسجد جاز في احد الوجهين قياسا على الجنب والثاني
لا لان حدثها اغلظ ويجب على الحائض قضا الصوم دون الصلاة لما روي عن معاذة
العدوية قالت سالت عائشة فقلت ما بال الحائض تقضي الصوم ولا تقضي الصلاة
قالت احرورية انت قلت لست بحرورية ولكني اسال قالت كان يصيبنا ذلك
فنومر بقضا الصوم ولا نومر بقضا الصلاة اخرجاه في الصحيحين المسئلة الرابعة لا يرتفع
شي مما منعه الحيض بانقطاع الدم مالم تغتسل او تتيمم عند عدم الما الا الصوم فانها
اذا انقطع دمها بالليل ونوت الصوم فانه يصح وان اغتسلت في النهار وذهب ابو حنيفة
انه يجوز للزوج غشيانها اذا انقطع الدم لاكثر الحيض وهو عشرة ايام عنده قبل الغسل
ومذهب الشافعي وغيره من العلما انه لا يجوز للزوج غشيانها مالم تغتسل من الحيض او تتيمم
عند عدم الما لان الله تعالى علق جواز وطي الحائض بشرطين احدهما انقطاع الدم
والثاني الغسل فقال ولا تقربوهن حتى يطهرن يعني من حيضهن فاذا تطهرن يعني اغتسلن
فاتوهن من حيث امركم الله فدل ذلك على ان الوطي لا يحل قبل الغسل وقوله تعالى
ان الله يحب التوابين يعني من الذنوب والتواب الذي كلما اذنب جدد توبة
وقيل التواب هو الذي لا يعود الى الذنب ويحب المتطهرين يعني من الاحداث
وساير النجاسات بالما وقيل المتطهرين من الشرك وقيل هم الذين لم يصيبوا الذنب
قوله عز وجل نساوكم حرث لكم الاية ق عن جابر قال كانت اليهود تقول اذا اتاها
من ورايها جا الولد احول فنزلت نساوكم حرث لكم فاتوا حرثكم انى شئتم وفي رواية
للترمذي كانت اليهود تقول من اتى المراة في قبلها من دبرها وذكر الحديث وعن
ابن عباس قال جا عمر الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله هلكت
قال وما اهلكك قال حولت رحلي الليلة قال فلم يرد عليه شيا فاوحى الله
الى رسوله صلى الله عليه وسلم بهذه الاية نساوكم حرث لكم فاتوا حرثكم انى شئتم
اقبل وادبر واتق الدبر والحيضة اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح قوله

حولت رحلي كناية عن الاتيان في غير المحل المعتاد هذا ظاهره ويحتمل ان يريد به انه اتاها
في المحل المعتاد لكن من جهة ظهرها وعن ابن عباس قال فان هذا الحي من الانصار
وهم اهل وثن مع هذا الحي من يهود وهم اهل الكتاب فكانوا يرون لهم فضلا عليهم في العلم
فكانوا يقتدون بكثير من فعلهم وكان من شان اهل الكتاب ان لا ياتوا النسا الا
على حرف وذلك استر ما تكون المراة فكان هذا الحي من الانصار قد اخذوا بذلك من
فعلهم وكان هذا الحي من قريش يشرحون النسا شرحا منكرا ويتلذذون منهن مقبلات
ومدبرات ومستلقيات فلما قدم المهاجرون المدينة تزوج رجل منهم امراة من الانصار فذهب
يصنع بها ذلك فانكرته عليه وقالت انما كنا نوتى على حرف فاصنع ذلك والا فاجتنبني
فسري امرهما فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله عز وجل نساوكم حرث لكم
فاتوا حرثكم انى شئتم اي مقبلات ومدبرات ومستلقيات يعني بذلك موضع الولد اخرجه ابو داود
والوثن الصنم وقيل الصورة لا جثة لها وقوله على حرف الحرف الجانب وحرف كل شي جانبه
وقوله يشرحون النسا يقال شرح فلان جاريته اذا وطيها على قفاها واصل الشرح البسط
قوله سري امرهما اي ارتفع وعظم وتفاقم وقوله من سري البرق اذا لمع في اللمعان عن ام
سلمة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في قوله تعالى نساوكم حرث لكم فاتوا حرثكم انى
شئتم في صمام واحد ويروى سمام بالسين اخرجه الترمذي وقال حديث حسن وقوله
تعالى حرث لكم معناه مزرع لكم ومنبت للولد وهذا على سبيل التشبيه فجعل فرج المراة
كالارض والنطفة كالبذر والولد كالنبات الخارج فاتوا حرثكم انى شئتم يعني كيف شئتم
اذا كان في القبل والمعنى كيف شئتم وحيث شئتم مقبلة ومدبرة على كل حال اذا كان في
الفرج وفي الاية دليل على تحريم اتيان النسا في ادبارهن لان محل الحرث والزرع هو القبل
لا الدبر ويويد ذلك ما روي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ملعون
من اتى المراة في دبرها اخرجه ابو داود وقال سعيد بن المسيب هذا في العزل يعني ان شئتم فاعزلوا
وان شئتم فلا تعزلوا وسيل ابن عباس عن العزل فقال حرثك ان شيت فعطش وان
شيت فاروي يروى عنه قال تستامر الحرة في العزل ولا تستامر الجارية وبه قال احمد
وكره جماعة العزل وقالوا هو الواد الخفي وروي نافع قال كنت امسك على ابن عمر
المصحف فقرا هذه الاية فقال لا قال نزلت في رجل اتى امراته من دبرها فشق ذلك
عليه فنزلت هذه الاية ويروى عن عبد الله بن الحسن انه لقي سالم بن عبد الله
ابن عمر فقال له يا عم ما حديث يحدث نافع عن عبد الله انه لم يكن يرى باسا
باتيان النسا في ادبارهن فقال كذب العبد واخطا انما قال عبد الله يوتين في
فروجهن من ادبارهن ويحكى عن مالك اباحة ذلك وانكره اصحابه واجمع جمهور
العلما على تحريم اتيان النسا في ادبارهن وقالوا ان الله حرم الفرج في حال الحيض
لاجل النجاسة العارضة وهو الدم فاولى ان يحرم الدبر لاجل النجاسة اللازمة

ولان الله تعالى نص على ذكر الحرث والحرث منه يكون نبات الولد فلا يحل العدول عنه الى غيره
وقوله تعالى وقدموا لانفسكم يعني الولد وقيل قدموا التسمية والدعاء عند الجماع خ عن
ابن عباس قال قال النبي صلى الله عليه وسلم لو ان احدهم اذا اراد ان ياتي اهله قال بسم
الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا فانه ان يقدر بينهما ولد لم يضره
الشيطان ابدا وقيل اراد تقديم الافراط ق عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لا يموت لاحد من المسلمين ثلاثة من الولد فتمسه النار الا تحلة القسم قوله
الا تحلة القسم يعني قدر ما يبر الله قسمه وهو قوله تعالى وان منكم الا واردها فاذا وردها
جاوزها فقد ابر قسمه وقيل قدموا لانفسكم الخير والعمل الصالح بدليل سياق الاية واتقوا
الله اي احذروا ان تاتوا شيئا مما نهاكم الله عنه واعلموا انكم ملاقوه اي صائرون
اليه في الاخرة فيجزيكم باعمالكم وبشر المؤمنين يعني بالكرامة من الله تعالى قوله عز وجل
ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم نزلت في عبد الله بن رواحة كان بينه وبين ختنه
بشير بن النعمان شيء فحلف عبد الله لا يدخل عليه ولا يكلمه ولا يصلح بينه وبين خصم له
فكان اذا قيل له فيه يقول قد حلفت بالله ان لا افعل فلا يحل لي الا ان تبر يميني
فانزل الله هذه الاية وقيل نزلت في ابي بكر الصديق حين حلف ان لا ينفق على
مسطح حين خاض في حديث الافك والعرضة ما يجعل معرضا للشيء وقيل العرضة
الشدة والقوة وكل ما يعترض فيمنع عن الشيء فهو عرضة والمعنى ولا تجعلوا الحلف بالله
سببا مانعا لكم من البر والتقوى يدعى احدكم الى بر او صلة رحم فيقول قد حلفت بالله
لا افعله فيعتل بيمينه في ترك البر والاصلاح ان تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس وقيل
معناه لا تحلفوا بالله ان لا تبروا ولا تتقوا ولا تصلحوا بين الناس م عن ابي هريرة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من حلف على يمين فرأى غيرها خيرا منها فليأتها
وليكفر عن يمينه وقيل معناه لا تكثروا الحلف بالله وان كنتم بارين متقين مصلحين
فان كثرة الحلف بالله ضرب من الجراءة عليه والله سميع اي لحلفكم عليم يعني بنياتكم
قوله عز وجل لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم اللغو كل ساقط مطرح من الكلام وما لا يعتد به
وهو الذي يورد لا عن روية وفكر واللغو في اليمين هو الذي لا عقد معه كقول القائل لا والله
بلى والله على سبق اللسان من غير قصد ونية وبه قال الشافعي ويعضده ما روي عن عائشة
قالت نزل قوله تعالى لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم في قول الرجل لا والله وبلى والله اخرجه
البخاري موقوفا ورفعه ابو داود قال قالت عائشة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هو قول
الرجل في بيته كلا والله وبلى والله ورواه غيره ايضا موقوفا وقيل في معنى اللغو هو ان
يحلف الرجل على شيء يرى انه صادق ثم يتبين له خلاف ذلك وبه قال ابو حنيفة ولا
كفارة فيه ولا اثم عليه عنده قال مالك في الموطا احسن ما سمعت في ذلك ان اللغو
حلف الانسان على الشيء يستيقن انه كذلك ثم يوجد بخلافه فلا كفارة فيه قال والذي يحلف

على الشيء

على الشيء وهو يعلم انه فيه اثم كاذب ليرضي به احدا او يعتذر لمخلوق او يقتطع به مالا فهذا
اعظم من ان تكون فيه كفارة وانما الكفارة على من حلف ان لا يفعل الشيء المباح
له فعله او ان يفعله ثم لا يفعله مثل ان حلف لا يبيع ثوبه بعشرة دراهم ثم يبيعه بذلك
او حلف ليضربن غلامه ولا يضربه وفائدة الخلاف الذي بين الشافعي وابي حنيفة
في لغو اليمين ان الشافعي لا يوجب الكفارة في قول الرجل لا والله وبلى والله ويوجبها
فيما لو حلف على شيء يعتقده انه كان ثم بان انه لم يكن وابو حنيفة يحكم بضد ذلك
ومذهب الشافعي هو قول عائشة والشعبي وعكرمة ومذهب ابي حنيفة هو قول ابن عباس
والحسن ومجاهد والنخعي والزهري وسليمان بن يسار وقتادة ومكحول وقيل في معنى
اللغو انه اليمين في الغضب وقيل هو ما يقع سهوا من غير قصد النية ومعنى لا
يؤاخذكم اي لا يعاقبكم بلغو اليمين وقيل لا يؤاخذكم اي لا يلزمكم الكفارة بلغو اليمين
ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم يعني لكن يؤاخذكم بما عزمتم عليه وقصدتم له وكسب
القلب هو القصد والنية **فصل** في بيان حكم الاية وفيه مسائل المسئلة الاولى
لا تنعقد اليمين الا بالله وباسمائه وصفاته فاما اليمين بالله هو قول الرجل والذي
نفسي بيده والذي اعبده ونحو ذلك والحلف باسمائه كقوله والله والرحمن والرحيم ورب العالمين
ونحو ذلك فاذا حلف بشيء من ذلك ثم حنث فعليه الكفارة المسئلة الثانية لا يجوز
الحلف بغير الله كقوله والكعبة والنبي وابي ونحو ذلك فان حلف بشيء من ذلك
لا تنعقد يمينه ولا كفارة عليه ويكره الحلف به لما روي عن ابن عمر ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم ادرك عمر وهو يسير في ركب وهو يحلف بابيه فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان الله ينهاكم ان تحلفوا بابائكم فمن كان حالفا فليحلف بالله
او ليصمت اخرجاه في الصحيحين المسئلة الثالثة اذا حلف على امر في المستقبل
فحنث فعليه الكفارة فان كان على امر ماض ولم يكن او على انه لم يكن وكان
فان كان عالما به حال حلفه بان يقول والله ما فعلت وقد فعل او لقد
فعلت وما فعل فهذه اليمين الغموس وهي من الكبائر سميت غموسا لانها
تغمس صاحبها في الاثم وتجب فيها الكفارة عند الشافعي سواء كان عالما
او جاهلا وذهب ابو حنيفة الى انه لا كفارة عليه فان كان عالما فهي كبيرة وان
كان جاهلا فهي من لغو اليمين والله غفور يعني لعباده فيما لغوا من ايمانهم
اخبر ان لا يؤاخذهم عليها ولو شاء لاخذهم والزمهم الكفارة في العاجل والعقوبة
عليها في الاجل حليم يعني ترك معاجلة اهل العصيان بالعقوبة قال الحليمي في معنى
الحليم انه الذي لا يحبس انعامه وافضاله عن عباده لاجل ذنوبهم ولكنه
يرزق العاصي كما يرزق المطيع ويبقيه وهو منهمك في معاصيه كما يبقي البر
المتقي وقد يقيه الافات والبلايا وهو غافل لا يذكره فضلا عن ان يدعوه كما

يقيها الناسك الذي يدعوه ويسأله وقال ابو سليمان الخطابي الحليم ذو الصفح والاناة الذي لا يستفزه غضب ولا يستخفه جهل جاهل ولا عصيان عاص ولا يستحق الصافح مع العجز اسم الحلم انما الحليم الصفوح مع القدرة على الانتقام والمتاني الذي لا يعجل بالعقوبة قوله تعالى للذين يؤلون من نسائهم يؤلون اي يحلفون والالية اليمين قال كثير قليل الالا حافظ ليمينه وان صدرت منه الالية برت والايلا في عرف الشرع هو اليمين على ترك الوطي كما اذا قال والله لا اجامعك ولا اباضعك ولا اقربك قال ابن عباس كان اهل الجاهلية اذا طلب الرجل من امراته شيا فابت ان تعطيه حلف لا يقربها السنة والسنتين والثلاث فيدعها لا ايما ولا ذات بعل فلما كان الاسلام جعل الله ذلك للمسلمين اربعة اشهر وانزل هذه الاية وقال سعيد بن المسيب كان الايلا ضرار اهل الجاهلية وكان الرجل لا يريد امراته ولا يحب ان يتزوجها غيره فيحلف ان لا يقربها ابدا فيتركها لا ايما ولا ذات بعل وكانوا عليه في ابتدا الاسلام فجعل له الاجل الذي يعلم به ما عند الرجل في المراة اربعة اشهر وانزل هذه الاية للذين يؤلون من نسائهم تربص اي انتظار اربعة اشهر والتربص التثبت والانتظار فان فاؤا اي رجعوا عن اليمين بالوطي والمعنى فان رجعوا عما حلفوا عليه من ترك جماعها فان الله غفور رحيم للزوج اذا تاب من اضراره بامراته فانه غفور رحيم لكل التائبين ويتفرع تتعلق بحكم الاية الفرع الاول اذا حلف انه لا يقرب زوجته ابدا او مدة هي اكثر من اربعة اشهر فهو مول فاذا مضت اربعة اشهر يوقف الزوج ويامر بالفي وهو الرجوع والطلاق وذلك بعد مطالبة الزوجة فان رجع عما قال بالوطي ان قدر عليه او بالقول مع العجز ان عجز عنه فان لم يفا ولم يطلق طلق عليه الحاكم واحدة وهو قول عمر وعثمان وابي الدردا وابن عمر قال سليمان بن يسار ادركت بضعة وعشرين من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم يقول بوقف المولي وذهب سعيد بن جبير وسليمان ابن يسار ومجاهد وبه قال مالك والشافعي واحمد واسحاق وقال ابن عباس وابن مسعود اذا مضت مدة اربعة اشهر يقع عليها طلقة بائنة وبه قال سفيان الثوري وابو حنيفة وقال سعيد بن المسيب والزهري يقع عليها طلقة رجعية الفرع الثاني لو حلف ان لا يطاها اقل من اربعة اشهر فليس بمول بل هو حالف فان وطيها قبل مضي المدة لزمه كفارة يمين الفرع الثالث لو حلف ان لا يطاها اربعة اشهر فليس بمول بعد مضي المدة عند الشافعي لان بقا المدة شرط للوقوف وثبوت المطالبة بالفي او الطلاق وقد مضت المدة وعند ابي حنيفة يكون موليا ويقع الطلاق بمضي المدة الفرع الرابع مدة الايلا اربعة اشهر في حق الحر والعبد جميعا عند الشافعي لانها مدة ضربت لمعنى يرجع الى الطبع وهو قلة صبر المراة على الزوج فيستوي فيه الحر والعبد كمدة العنة وعند مالك وابي حنيفة يتنصف مدة الايلا بالرق غير ان عند ابي حنيفة يتنصف المدة برق المراة وعند مالك برق الزوج كما في الطلاق الفرع الخامس اذا وطي خرج عن الايلا ويجب عليه كفارة يمين وهذا

قول اكثر

قول اكثر العلما وقيل لا كفارة لان الله وعده المغفرة فقال فان فاؤا فان الله غفور رحيم ومن قال بوجوب الكفارة عليه قال ذلك في اسقاط العقوبة عنه لا في الكفارة قوله تعالى وان عزموا الطلاق اي حققوه بالايقاع فان الله سميع لاقوالهم عليم يعني بنياتهم وفيه دليل على انها لا تطلق ما لم يطلقها زوجها لانه تعالى شرط فيه العزم قوله تعالى والمطلقات اي المخليات من حبال ازواجهن والمطلقة هي التي اوقع الزوج عليها الطلاق يتربصن بانفسهن اي ينتظرن فلا يتزوجن ثلاثة قروء جمع قرء والقرء اسم يقع على الحيض والطهر قال ابو عبيدة الاقرا من الاضداد كالشفق اسم للحمرة والبياض وقيل انه حقيقة في الحيض مجاز في الطهر وقيل بالعكس واختلف في اصله فقيل اصله الجمع من قرأ اي جمع لان فيه وقت الحيض يجتمع الدم في الرحم وفي وقت الطهر يجتمع في البطن وقيل اصله الوقت يقال رجع فلان لقرئه اي لوقته الذي كان فيه لان الحيض ياتي لوقت والطهر ياتي لوقت وبحسب اختلاف اهل اللغة في الاقرا اختلف الفقها على قولين احدهما ان الاقرا هي الحيض ويروى ذلك عن عمر وعلي وابن مسعود وابن عباس وابي موسى وعبادة بن الصامت وابي الدردا وبه قال عكرمة والضحاك والسدي والاوزاعي وسفيان الثوري وابو حنيفة واصحابه وقال احمد بن حنبل كنت اقول ان الاقرا هي الاطهار وانا اليوم اذهب الى انها الحيض والقول الثاني انها الاطهار ويروى ذلك عن زيد بن ثابت وابن عمر وعائشة وبه قال الزهري وابان بن عثمان ومالك والشافعي وحجة من يقول ان الاقرا هي الحيض قوله صلى الله عليه وسلم للمستحاضة دعي الصلاة ايام اقرائك يعني ايام حيضك لان المراة لا تدع الصلاة الا ايام حيضها وحجة من يقول انها الاطهار ان ابن عمر لما طلق امراته وهي حائض قال النبي صلى الله عليه وسلم لعمر مره فليراجعها حتى تطهر ثم ان شا امسكها وان شا طلقها قبل ان يمس فتلك العدة التي امر الله ان يطلق لها فاخبر ان زمان العدة هو الطهر لا الحيض ويعضده من اللغة قول الاعشى ۞ ففي كل عام انت جاشم غزوة ۞ تشد لاقصاها عزيم عزائكا ۞ مورثة مالا وفي الحي رفعة ۞ لما ضاع فيها من قروء نسائكا ۞ اراد انه يخرج للغزو ولم يغش نساه فيضيع اقراهن وانما يضيع بالسفر زمان الطهر لا زمان الحيض وفائدة الخلاف ان مدة العدة عند الشافعي اقصر وعند غيره اطول وذلك ان المعتدة عند الشافعي اذا شرعت في الحيضة الثالثة فقد انقضت عدتها واحلت للازواج ويحسب بقية الطهر الذي وقع فيه الطلاق قرءا على قول من يجعل الاقرا الاطهار قالت عائشة رضي الله عنها اذا دخلت المطلقة في الحيضة الثالثة فقد بانت من زوجها وحلت للازواج وروي انها قالت القرء الطهر ليس بالحيضة قال الشافعي والنسا بهذا اعلم لان هذا مما يبتلى به النسا وان طلقها في حال الحيض فاذا شرعت في الحيضة الرابعة انقضت عدتها وعلى قول من يجعل الاقرا حيضا وهو مذهب ابي حنيفة لا تنقضي عدتها ما لم تطهر من الحيضة الثالثة ان كان وقع الطلاق في حال الطهر ومن الحيضة الرابعة ان وقع في حال الحيض

فان قلت ما معنى الاخبار عنهن بالتربص في قوله والمطلقات يتربصن قلت هو خبر
في صورة معنى الامر واصل الكلام وليتربص المطلقات واخرج الامر في صورة الخبر تاكيدا
للامر واشعارا بانه مما يجب ان يتلقى بالمسارعة الى امتثاله فكانهن امتثلن الامر بالتربص
فهو يخبر موجودا ونظيره قولهم في الدعاء رحمك الله اخرج في صورة الخبر ثقة بالاجابة
فكانما قال وجدت الرحمة فهو يخبر عنها والله اعلم فصل في احكام العدد وفيه مسائل المسئلة
الاولى عدة الحامل تنقضي بوضع الحمل سواء المطلقة والمتوفى عنها زوجها وسواء في ذلك الحرة
والامة المسئلة الثانية عدة المتوفى عنها سوى الحامل اربعة اشهر وعشرة ايام سواء مات عنها
زوجها قبل الدخول او بعده وسواء في ذلك الحايض والايسة المسئلة الثالثة عدة المطلقة بعد
الدخول بها وهو ضربان احدهما الحيض فعدتهن بالاقراء وهي ثلاثة اقراء والضرب الثاني اللاتي
من الحيض اما الكبر او لم تكن تحيض قط فعدتها ثلاثة اشهر واما المطلقة قبل الدخول فلا عدة
عليها المسئلة الرابعة عدة الامة بالنصف عدة الحرة فيما له نصف وفي الاقراء قرءان لانه لا تتنصف
قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه ينكح العبد اثنتين ويطلق تطليقتين وتعتد الامة بحيضتين وقوله
تعالى ولا يحل لهن ان يكتمن ما خلق الله في ارحامهن قال ابن عباس يعني الولد وقيل الحيض
والمعنى انه لا يحل للمراة كتمان ما خلق الله في رحمها من الحيض او الحمل لتبطل بذلك الكتمان حق
الزوج من الرجعة والولد ان كن يؤمن بالله واليوم الاخر هذا وعيد شديد لتاكيد تحريم الكتمان
وايجاب اداء الامانة في الاخبار عما في الرحم من الحيض او الولد والمعنى ان هذا من فعل المؤمنات
وان كانت المؤمنة والكافرة فيه سواء فهو كقولك ادّ حقي ان كنت مؤمنا يعني اداء الحقوق من
افعال المؤمنين وكقولك للذي يظلم ان كنت مؤمنا فلا تظلمني والمعنى ينبغي ان يمنعك ايمانك
من الظلم وفي سبب الوعيد بهذا قولان احدهما انه لاجل ما يستحقه الزوج من الرجعة قاله ابن عباس
والثاني لاجل الحاق الولد لغير ابيه قاله قتادة وقيل لان المراة اذا رغبت في زوجها تقول اني
حائض وان كانت قد طهرت ليراجعها وان كانت زاهدة فيه كتمت حيضها وتقول قد طهرت
لتفوته فنهاهن الله عن ذلك وامرهن باداء الامانة وبعولتهن احق بردهن في ذلك
يعني ازواجهن سمي الزوج بعلا القيامه بامر زوجته واصل البعل السيد والمالك والمعنى و
ازواجهن اولى بردهن وبرجعتهن اليهم في ذلك اي في حال العدة فاذا انقضى وقت
العدة فقد بطل حق الرد والرجعة ان ارادوا اصلاحا يعني ان اراد الزوج بالرجعة الاصلاح
وحسن العشرة لا الاضرار فنهى الله المؤمنين عن مثل ذلك وامرهم بالاصلاح وحسن العشرة
بعد الرجعة ولهن يعني وللنساء على الازواج مثل الذي عليهن يعني للازواج بالمعروف
وذلك ان حق الزوجية لا يتم الا اذا كان كل واحد منهما يراعي حق الاخر فيما له وعليه
فيجب على الزوج ان يقوم بجميع حقها ومصالحها ويجب على الزوجة الانقياد والطاعة
له قال ابن عباس في معنى الاية اني احب ان اتزين لامراتي كما احب ان تتزين لي
لان الله تعالى قال ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف م عن جابر رضي الله عنه انه ذكر

خطبة النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع وقال فيها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتقوا
الله في النساء فانكم اخذتموهن بامانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله ولكم عليهن ان لا
يوطئن فرشكم احدا تكرهونه فان فعلن ذلك فاضربوهن ضربا غير مبرح ولهن عليكم
رزقهن وكسوتهن بالمعروف قوله فاتقوا الله في النساء فيه الحث على الوصية بهن ومراعاة
حقوقهن ومعاشرتهن بالمعروف قوله فانكم اخذتموهن بامانة الله ويروى بامان
الله وقوله واستحللتم فروجهن بكلمة الله معناه باباحة الله والكلمة هي قوله فانكحوا
ما طاب لكم من النساء وقيل الكلمة فامساك بمعروف او تسريح باحسان وقيل الكلمة هي
كلمة التوحيد وهي لا اله الا الله محمد رسول الله اذ لا تحل مسلمة لغير مسلم وقوله ولا يوطئن
فرشكم احدا تكرهونه معناه ولا ياذن لاحد ان يتحدث اليهن وكان من عادة العرب
ان يتحدث الرجال مع النساء ولا يرون ذلك عيبا ولا يعدونه ريبة الى ان نزلت اية
الحجاب فنهوا عن ذلك وليس المراد بوطء الفرش نفس الزنا فان ذلك محرم على كل الوجوه
فلا معنى لاشتراط الكراهة فيه ولو كان المراد ذلك لم يكن الضرب فيه ضربا غير مبرح انما كان
فيه الحد والضرب المبرح هو الشديد وقوله ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف
يعني بالعدل وفيه وجوب نفقة الزوجة وكسوتها وذلك ثابت بالاجماع وقوله تعالى
وللرجال عليهن درجة اي منزلة ورفعة قال ابن عباس بما ساق اليها من المهر وانفق عليها
من المال وقيل ان فضيلة الرجال على النساء بامور منها العقل والشهادة والميراث والدية
وصلاحية الامامة والقضاء وللرجل ان يتزوج عليها ويتسرى وليس لها ذلك وبيد
الرجل الطلاق فهو قادر على تطليقها واذا طلقها رجعيا فهو قادر على رجعتها وليس شيء
من ذلك بيدها والله عزيز اي غالب لا يمتنع عليه شيء حكيم اي في جميع افعاله واحكامه
روى البغوي بسنده عن ابي ظبيان ان معاذ بن جبل خرج في غزاة بعثه رسول الله صلى
الله عليه وسلم فيها ثم رجع فراى رجالا يسجد بعضهم لبعض فذكر ذلك لرسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم لو امرت احدا ان يسجد لاحد لامرت المراة
ان تسجد لزوجها قوله تعالى الطلاق مرتان عن عروة بن الزبير قال كان الرجل اذا طلق
زوجته ثم ارتجعها قبل ان تنقضي عدتها كان له ذلك وان طلقها الف مرة فعمد رجل
الى امراة فطلقها حتى اذا شارفت انقضاء العدة ارتجعها ثم قال والله لا اويك الي
ولا تحلين ابدا فانزل الله الطلاق مرتان فامساك بمعروف او تسريح باحسان فاستقبل الناس الطلاق
جديدا من ذلك اليوم من كان طلق او لم يطلق اخرجه الترمذي وله عن عائشة رضي الله عنها
قالت كان الناس والرجل يطلق امراته ما شاء ان يطلقها وهي امراته اذا ارتجعها وهي في
العدة وان طلقها مائة او اكثر حتى قال رجل لامراته والله لا اطلقك فتبيني مني ولا اويك
ابدا قالت وكيف ذلك قال اطلقك وكلما همت عدتك ان تنقضي راجعتك فذهبت
المراة حتى دخلت على عائشة فاخبرتها فسكتت عائشة حتى جاء النبي صلى الله عليه وسلم

فاخبرته فسكت النبي صلى الله عليه وسلم حتى نزل القرآن الطلاق مرتان فامساك بمعروف او تسريح باحسان قالت عائشة فاستأنف الطلاق مستقبلا من كان قد طلق ومن لم يطلق ومعنى الاية الطلاق الرجعي مرتان ولا رجعة بعد الثالثة الا ان تنكح زوجا آخر وهذا التفسير هو قول من جوز الجمع بين الطلاق الثلاثة في دفعة واحدة وهو قول الشافعي وقيل معنى الاية ان التطليق الشرعي يجب ان يكون تطليقة بعد تطليقة على التفريق دون الجمع والارسال دفعة واحدة وهذا التفسير هو قول من قال ان الجمع بين الثلاث حرام الا ان ابا حنيفة قال يقع الثلاث وان كان حراما وقيل ان الاية دالة على عدد الطلاق الذي يكون للرجل فيه الرجعة على زوجته والعدد الذي تبين به زوجته منه والمعنى ان عدد الطلاق الذي لكم الرجعة على ازواجكم اذا كن مدخولا بهن تطليقتان وانه لا رجعة بعد التطليقتين ان سرحها فطلقها الثالثة فامساك بمعروف يعني بعد الرجعة وذلك انه اذا راجعها بعد التطليقة الثانية فعليه ان يمسكها بالمعروف وهو كل ما عرف في الشرع من اداء حقوق النكاح وحسن الصحبة او تسريح باحسان يعني انه يتركها بعد الطلاق حتى تنقضي عدتها من غير مضارة وقيل انه اذا طلقها ادى اليها جميع حقوقها المالية ولا يذكرها بعد المفارقة بسوء ولا ينفر الناس عنها فروع تتعلق باحكام الطلاق الفرع الاول صريح اللفظ الذي يقع به الطلاق من غير نية ثلاث الطلاق والفراق والسراح وعند ابي حنيفة الصريح هو لفظ الطلاق فقط الفرع الثاني في الحر اذا طلق زوجته طلقة او تطليقتين بعد الدخول بها فله ان يراجعها من غير رضاها ما دامت في العدة فاذا لم يراجعها حتى انقضت عدتها او طلقها قبل الدخول بها او خالعها فلا تحل له الا بنكاح جديد باذنها واذن وليها الفرع الثالث العبد يملك على زوجته الامة تطليقتين واختلف فيما اذا كان احد الزوجين حرا فالحر يملك على زوجته الامة ثلاث تطليقات والعبد يملك على زوجته الحرة طلقتين والاعتبار بحال الزوج في عدد الطلاق وبه قال الشافعي ومالك واحمد وذهب ابو حنيفة الى ان الاعتبار بالمرأة فالعبد يملك على زوجته الحرة ثلاث تطليقات والحر يملك على زوجته الامة طلقتين ولا يحل لكم ان تاخذوا مما آتيتموهن يعني اعطيتموهن شيئا يعني من مهر او غيره ثم استثنى الخلع فقال تعالى الا ان يخافا الا يقيما حدود الله نزلت في جميلة بنت عبد الله بن ابي وقيل حبيبة بنت سهل الانصاري كانت تحت ثابت بن قيس بن شماس وكانت تبغضه وهو يحبها فكان بينهما كلام فاتت اباها تشكو اليه زوجها وقالت له انه يسيء الي ويضربني فقال ارجعي الى زوجك فاني اكره المرأة ان لا تزال رافعة يديها تشكو زوجها قال فرجعت اليه الثالثة وبها اثر الضرب فقال لها ارجعي الى زوجك فلما رأت ان اباها لا يشكيها اتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فشكت اليه زوجها واريته آثارا بها من ضربه وقالت يا رسول الله لا انا ولا هو فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم

الى ثابت

الى ثابت فقال ما لك ولاهلك فقال والذي بعثك بالحق نبيا ما على وجه الارض احب الي منها غيرك فقال ما تقولين فكرهت ان تكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سألها فقالت صدق يا رسول الله ولكني خشيت ان يهلكني فاخرجني منه وقالت يا رسول الله ما كنت احدثك حديثا ينزل عليك خلافه هو اكرم الناس حبا لزوجته ولكني ابغضه فلا انا ولا هو فقال ثابت اعطيتها حديقة نخل فقل لها فلترد علي واخلي سبيلها فقال لها تردين عليه حديقته وتملكين امرك قالت نعم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ثابت خذ منها ما اعطيتها وخل سبيلها ففعل **خ** عن ابن عباس رضي الله عنهما ان امرأة ثابت بن قيس اتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ان ثابت بن قيس قالت ما اعتب عليه في خلق ولا دين ولكني اكره الكفر في الاسلام قال ابو عبد الله يعني تبغضه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تردين عليه حديقته قالت نعم قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اقبل الحديقة وطلقها تطليقة قولها ما اعتب عليه يعني ما اجد عليه العتبة الموجدة والحديقة البستان من النخل اذا كان عليه الحائط ومعنى قوله تعالى الا ان يخافا الا يقيما حدود الله اي يعلم الزوجان من انفسهما ان لا يقيما حدود الله والمعنى تخاف المرأة ان تعصي الله في امر زوجها ويخاف الزوج انه اذا لم يطلق يعتدي عليها فنهى الله الرجل ان ياخذ من امراته شيئا مما اعطاها الا ان يكون النشوز من قبلها وذلك ان تقول لا اطيع لك امرا ولا اطأ لك مضجعا ونحو ذلك وقرئ يخافا بضم الياء ومعناه الا ان يعلم ذلك من حالهما يعني يعلم القاضي والولي فان خفتم يعني فان خشيتم واشفقتم وقيل معناه فان ظننتم ان لا يقيما حدود الله يعني ما اوجب الله على كل واحد منهما من طاعته فيما امره به من حسن الصحبة والمعاشرة بالمعروف وقيل هو يرجع الى المرأة وهو سوء خلقها او استخفافها بحق زوجها فلا جناح عليهما فيما افتدت به اي لا جناح على المرأة في النشوز اذا خافت الهلاك والمعصية فيما افتدت به نفسها واعطت من المال اذا اعطته المرأة طائعة راضية والله اعلم **فصل** في حكم الخلع وفيه مسائل المسألة الاولى قال الزهري والنخعي وداود لا يباح الخلع الا عند الغضب والخوف من ان لا يقيما حدود الله فان وقع الخلع في غير هذه الحالة فهو فاسد وحجة هذا القول ان الاية صريحة في انه لا يجوز للزوج ان ياخذ من المرأة شيئا عند طلاقها ثم استثنى الله حالة مخصوصة فقال الا ان يخافا الا يقيما حدود الله فكانت هذه صريحة في انه لا يجوز الاخذ في غير حالة الغضب والخوف من ان لا يقيما حدود الله وذهب جمهور العلماء الى انه يجوز الخلع من غير نشوز ولا غضب غير انه يكره لما فيه من قطع الوصلة بلا سبب عن ثوبان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ايما امرأة سألت زوجها الطلاق من غير بأس فحرام عليها رائحة الجنة اخرجه ابو داود والترمذي وعن ابن عمر

رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم ابغض الحلال الى الله الطلاق اخرجه ابو داود ودليل
الجمهور على جواز الخلع من غير نشوز قوله تع فان طبن لكم عن شئ منه نفسا فكلوه هنيئا
مريئا فاذا جاز ان تهب مهرها من غير ان يحصل لها شئ فاذا بذلت كان ذلك فى الخلع الذى
تصير بسببه مالكة نفسها اولى واجيب عن الاستثنا المذكور فى هذه الاية انه محمول على
الاستثنا المنقطع المسئلة الثانية الخلع جائز على اكثر مما اعطاها وبه قال اكثر العلما وقيل لا يجوز
الا يا خذ اكثر مما اعطاها وهو قول على وبه قال الشعبى والزهرى والحسن وعطا وطاوس وقال
سعيد بن المسيب بل يا خذ دون ما اعطاها حتى يكون الفضل فيه له وحجة الجمهور ان الخلع
عقد على معاوضة فوجب ان لا يتقيد بمقدار يعنى كما ان للمراة ان لا ترضى عند عقد النكاح
الا بالكثير فكذلك للزوج ان لا يرضى عند الخلع الا بالبدل الكثير لاسيما وقد اظهرت الاستخفاف
بالزوج حيث اظهرت بغضه وكراهته المسئلة الثالثة اختلف العلما فى الخلع هل هو فسخ
او طلاق فقال الشافعى فى القديم انه فسخ وهو قول ابن عباس وطاوس وعكرمة وبه قال احمد
واسحاق وابى ثور وقال الشافعى فى الجديد انه طلاق وهو الاظهر وهو قول عثمان وعلى وابن
مسعود والحسن والشعبى والنخعى وعطا وابن المسيب ومجاهد ومكحول والزهرى وبه قال ابو
حنيفة ومالك وسفيان الثورى وحجة القول القديم ان الله تعا ذكر الطلاق مرتين ثم بعده
الخلع ثم ذكر الطلقة الثالثة فقال فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره ولو كان
الخلع طلاقا لكان الطلاق اربعا وحجة القول الجديد انه لو كان فسخا لما صح بالزيادة على المهر المسمى
كالاقالة فى البيع وايضا لو كان الخلع فسخا فاذا خالعها ولم يذكر وجب ان يجب المهر عليها
كالاقالة فان الثمن يجب رده وان لم يذكره فثبت ان الخلع ليس بفسخ واذا بطل ذلك ثبت
انه طلاق وايضا فان الطلقة الثالثة قوله او تسريح باحسان وفائدة الخلاف انا اذا جعلنا
طلاقا فانتقص به عدد الطلاق فان تزوجها كانت معه على طلقتين وان جعلناه فسخا بانت (ثبت)
معه بثلاث قوله تعالى تلك حدود الله يعنى هذه اوامر الله ونواهيه وهو ما تقدم من احكام
الطلاق والرجعة والخلع وحدود الله ما منع من مجاوزتها وقوله تعالى فلا تعتدوها اى فلا تجاوزوها (ما)
ومن يتعد حدود الله اى يجاوزها فاولئك هم الظالمون قوله تع فان طلقها يعنى الطلقة
الثالثة فلا تحل له من بعد اى لا تحل له رجعتها بعد الثلاث حتى تنكح زوجا غيره يعنى حتى تتزوج
زوجا اخر غير المطلق فيجامعها والنكاح يتناول العقد والوطى جميعا والمراد هنا الوطى انزلت
فى تميمة وقيل عائشة بنت عبد الرحمن بن عتيك القرظى وكانت تحت ابن عمها رفاعة
بن وهب بن عتيك القرظى فطلقها ثلاثا ق عن عائشة رضى الله عنها قالت جاءت امراة
رفاعة القرظى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت انى كنت عند رفاعة فطلقنى فبت
طلاقى فتزوجت لعبد الرحمن بن الزبير وانما معه مثل هدبة الثوب فتبسم رسول الله صلى
الله عليه وسلم وقال اتريدين ان ترجعى الى رفاعة لا حتى يذوق عسيلتك وتذوقى
عسيلته وقولها فبت طلاقى اى قطعه والبت القطع وقولها مثل هدبة الثوب

اى طرفه

اى طرفه وهو كناية عن استرخاء الذكر وقوله حتى يذوق عسيلتك بضم العين المهملة
تصغير العسل شبه لذة الجماع بالعسل وهو كناية عنه وانما انث العسل لان من العرب
من يؤنثه وقيل انثه على المعنى لان المراد منه النطفة وعبد الرحمن المذكور ابن الزبير
بكسر البا وفتح الزاى وروى انها لبثت ما شاء الله ثم رجعت الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقالت ان زوجى قد مسنى فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم كذبت بقولك
الاول فلن اصدقك فى القول الاخر فلبثت حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاتت ابا بكر فقالت يا خليفة رسول الله ارجع الى زوجى الاول فان زوجى الاخر
قد مسنى فطلقنى فقال لها ابو بكر الصديق رضى الله عنه قد شهدت النبى صلى الله عليه
وسلم حين اتيته وقال لك ما قال فلا ترجعى اليه فلما قبض ابو بكر اتت عمر رضى الله عنه
وقالت له مثل ما قالت لابى بكر فقال لها لئن رجعت اليه لارجمنك وقوله تع فان
طلقها يعنى الزوج الاول فلا جناح عليهما ان يتراجعا يعنى بنكاح جديد ان ظنا
اى علما وايقنا وقيل ان رجوا لان احدا لا يعلم ما هو كائن الا الله تعالى ان يقيما
حدود الله يعنى يقيما بينهما الصلاح وحسن الصحبة والعشرة وقيل معناه ان نكاحها
على غير دلسة والمراد بالدلسة التحليل ومعان الاول مذهب جمهور العلما ان المطلقة
بالثلاث لا تحل للزوج المطلقة منه بالثلاث الا بشرائط وهى ان تعتد منه ثم
تتزوج اخر ويطاها ثم يطلقها ثم تعتد منه فاذا حصلت هذه الشرائط فقد حلت
للاول والا فلا وقال سعيد بن جبير وسعيد بن المسيب تحل بمجرد العقد والمذ (هب)
الاول هو الاصح واختلف العلما فى اشتراط الوطى هل ثبت بالكتاب او بالسنة
على ثلاثة اقوال الثالث وهو المختار انه ثبت بهما الثانى اذا تزوج بالمطلقة ثلاثا
ليحللها للاول فهذا نكاح باطل وعقد فاسد وبه قال مالك واحمد لما روى عن
ابن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم انه لعن المحلل والمحللة اخرجه الترمذى
وقال حديث صحيح وروى انه قال هو التيس المستعار ولو تزوجها ولم يشترط
فى النكاح ان يفارقها فالنكاح صحيح ويحصل به التحليل اذا طلقها وانقضت العدة
غير انه يكره اذا كان فى عزمها ذلك وبه قال الشافعى وابو حنيفة ودليل ذلك
ان الاية دلت على ان حرمته تنتهى بالوطى مسبوق بعقد وقد وجد ذلك
فوجب القول بانتهاء الحرمة وقال نافع اتى رجل الى ابن عمر رضى الله عنهما فقال
ان رجلا طلق امراته ثلاثا فانطلق اخ له من غير مؤامرة فتزوجها ليحلها للاول
فقال لا الا نكاح رغبة كنا نعد هذا سفاحا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقوله تعالى وتلك حدود الله يبينها لقوم يعلمون يعنى يعلمون ما امرهم به ونهاهم
عنه وانما خص العلما لانهم هم الذين ينتفعون بذلك البيان قوله عز
وجل واذا طلقتم النسا فبلغن اجلهن نزلت فى ثابت بن يسار رجل من

الانصار طلق امراته حتى اذا قرب انقضا عدتها راجعها ثم طلقها بقصد بذلك مضارتها
فبلغن اجلهن اى قاربن انقضا عدتهن وشارفت منتهاها ولم يرد انقضا العدة
لانه لو انقضت عدتها لم يكن للزوج امساكها فالبلوغ هنا بلوغ مقاربة كما يقال
بلغ فلان البلد اذا قاربه وشارفه فهذا من باب المجاز الذى يطلق عليه اسم الكل فيه
على الاكثر وقيل ان الاجل اسم للزمان فيحمل على الزمان الذى هو اخر زمان يمكن ايقاع
الرجعة فيه بحيث اذا فاته لا يبقى بعده مكنة الرجعة وعلى هذا التاويل فلا حاجة
لنا الى المجاز فامسكوهن اى راجعوهن بمعروف وهو ان يشهد على رجعتها ان يراجعها
بالقول لا بالوطى او سرحوهن بمعروف اى اتركوهن حتى تنقضى عدتهن فيملكن
انفسهن ولا تمسكوهن ضرارا اى لا تقصدوا بالرجعة المضارة بتطويل الحبس
وقيل كانوا يضاروهن لتفتدى المراة منه بمالها لتعتدوا اى لتظلموهن بمجاوزتكم
فى امرهن حدود الله التى بينها لكم وقيل معناه لا تضاروهن على قصد لا تعتدوا
عليهن ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه اى ضر نفسه بمخالفة امر الله تعالى وتعريضها
عذاب الله ولا تتخذوا ايات الله هزوا يعنى بذلك ما بين حلاله وحرامه وامره
ونهيه فى وحيه وتنزيله فلا تتخذوا ذلك استهزاء ولعبا فمن وجب عليه طاعة الله
وطاعة رسوله ثم وصل اليه هذه الاحكام التى تقدم ذكرها فى العدة والرجعة والخلع
وترك المضارة فلا تتخذوها هزوا ففيه تهديد عظيم ووعيد شديد وقيل هو راجع الى قوله
فامساك بمعروف او تسريح باحسان فكل من خالف امرا من امور الشرع فهو متخذ ايات
الله هزوا وقيل كان الرجل يطلق ويعتق ويتزوج ويقول كنت لاعبا فنهوا عن ذلك
عن ابى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ثلاث جدهن
جد وهزلهن جد النكاح والطلاق والرجعة اخرجه ابو داود والترمذى وقوله تعالى واذكروا
نعمة الله عليكم يعنى بالايمان الذى انعم به عليكم فهداكم له وساير نعمه التى انعم بها عليكم
وما انزل عليكم اى واذكروا نعمه فيما انزل عليكم من الكتاب يعنى القران والحكمة يعنى
السنة التى علمها رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنها لكم وقيل اراد بالحكمة مواعظ
القران يعظكم به اى بالكتاب الذى انزل على نبيه صلى الله عليه وسلم واتقوا الله
اى خافوا الله فيما امركم به ونهاكم عنه واعلموا ان الله بكل شىء عليم يعنى انه تعالى
يعلم ما اخفيتم من طاعة ومعصية فى سر وعلن لا يخفى عليه شىء من ذلك قوله تعالى
واذا طلقتم النسا فبلغن اجلهن نزلت فى معقل بن يسار المزنى عضل اخته جميلة
وكانت تحت ابو البداح عاصم بن عدى فطلقها عن معقل ابن يسار رضى الله عنه
قال كانت لى اخت تخطب الى وامنعها من الناس فاتانى ابن عم لى فانكحتها اياه
فاصطحبا ما شاء الله ثم طلقها طلاقا له رجعة ثم تركها حتى انقضت عدتها فلما
خطبت الى اتانى يخطبها مع الخطاب فقلت له خطبت الى فمنعتها الناس واثرتك

بها فزوجتك ثم طلقتها طلاقا لك فيه رجعة ثم تركتها حتى انقضت عدتها فلما خطبت
الى اتيتنى تخطبها مع الخطاب والله لا انكحتها ابدا ففى نزلت هذه الاية واذا طلقتم النسا
فبلغن اجلهن فلا تعضلوهن ان ينكحن ازواجهن الاية فكفرت عن يمينى
وانكحتها اياه اخرجه البخارى وقيل ان جابر بن عبد الله كانت له ابنة عم فطلقها
زوجها تطليقة فلما انقضت عدتها اراد ان يراجعها فابى جابر وقال طلقت ابنة
عمنا ثم تريد ان تنكحها الثانية وكانت المراة تريد زوجها قد رضيته فنزلت هذه
الاية واراد ببلوغ الاجل فى قوله فبلغن اجلهن انقضا العدة بخلاف الاية التى
قبل هذه قال الشافعى دل اختلاف الكلامين على افتراق البلوغين فلا تعضلوهن
خطاب للاوليا والمعنى لا تضيقوا عليهن ايها الاوليا فتمنعوهن من مراجعة
ازواجهن بنكاح جديد ان ينكحن ازواجهن اى تبتغون بذلك مضارتهن
فهو خطاب عام لجميع الاوليا وان كان سبب الاية خاصا واصل العضل المنع و
التضييق ومنه قول اوس بن حجر ٭ وليس اخوك الدايم العهد بالذى ٭ يذمك
ان ولى ويرضيك مقبلا ٭ ولكنه الناس اذ كنت امنا ٭ وصاحب الادنى اذا
الامر عضلا ٭ يعنى اذا ضاق الامر وفى الاية دليل للشافعى ومن وافقه ان
المراة لا تلى عقد النكاح ولا تاذن فيه اذ لو كانت تملك ذلك لم يكن عضل
ولا لنهى الولى عن العضل معنى وقوله تعالى اذا تراضوا بينهم بالمعروف يعنى اذا
تراضى الخطاب والنسا والمعروف هنا ما وافق الشرع من عقد حلال ومهر
جايز وقيل هو ان يرضى كل واحد منهما بما التزمه لصاحبه بحق العقد حتى
تحصل الصحبة الحسنة والعشرة الجميلة ذلك اى ذلك الذى ذكر من النهى
يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الاخر يعنى ان المؤمن هو الذى ينتفع
بالوعظ دون غيره ذلكم ازكى لكم واطهر يعنى انه خير لكم واطهر لقلوبكم واطيب
عند الله والله يعلم يعنى بما فى ذلك من الزكاة والتطهير وانتم لا تعلمون
يعنى ذلك قوله عز وجل والوالدات يعنى المطلقات اللاتى لهن اولاد من
ازواجهن وقيل المراد بهن جميع الوالدات سواكن مطلقات او متزوجات
ويدل عليه ان اللفظ عام وما قام دليل التخصيص فوجب تركه على عمومه ولانه
ظاهر اللفظ فوجب حمله عليه يرضعن اولادهن هذا خبر بمعنى الامر والتقدير
والوالدات يرضعن اولادهن فى حكم الله الذى اوجبه وهذا الامر ليس امر
ايجاب وانما هو امر ندب واستحباب لان تربية الطفل بلبن الام اصلح له من لبن
غيرها ولكمال شفقتها عليه ويدل على انه لا يجب على الوالدة ارضاع ولدها قوله
فان ارضعن لكم فاتوهن اجورهن ولو وجب الرضاع لما استحقت الاجرة وقال
تعالى وان تعاسرتم فسترضع له اخرى وهذا نص صريح فى ذلك فان لم يوجد من

يرضع الطفل ولم يقبل غير لبن امه وجب عليها ارضاعه كما يجب على كل احد مواساة المضطر
فان رغبت الام في ارضاع ولدها فهي اولى به من غيرها حولين كاملين الحول السنة واصله
من حال يحول اذا انقلب وانما قال كاملين لانه مما يتسامح فيه تقول اقمت عند فلان حولا
وان لم يستكمله فبين الله انهما حولان كاملان اربعة وعشرون شهرا وهذا التحديد
بالحولين ليس تحديد ايجاب ويدل على ذلك قوله بعد لمن اراد ان يتم الرضاعة فلما
علق الاتمام بارادتنا علمنا ان هذا الاتمام غير واجب فثبت ان المقصود من هذا
التحديد قطع التنازع بين الزوجين في مقدار زمن الرضاعة فقدر الله تعالى ذلك بالحولين
حتى يرجعا اليه عند التنازع قال ابن عباس في رواية عكرمة اذا وضعت الولد لستة اشهر
ارضعته حولين وان وضعته لسبعة اشهر ارضعته ثلاثا وعشرين شهرا وان وضعته
لتسعة اشهر ارضعته احدى وعشرين شهرا لكل ذلك ثلاثون شهرا لقوله وحمله و
فصاله ثلاثون شهرا وقال في رواية الوالبي عنه هو حد لكل مولود في اي وقت ولد
لا ينقص رضاعه عن حولين الا باتفاق من الابوين فايهما اراد فطام الولد قبل الحولين
فليس له ذلك الا اذا اتفقا عليه يدل على ذلك قوله فان ارادا فصالا عن تراض منهما وقيل
فرض الله على الوالدات ارضاع الولد حولين ثم انزل التخفيف فقال لمن اراد ان يتم الرضاعة
اي هذا منتهى الرضاع لمن اراد اتمام الرضاعة وليس فيما دون ذلك حد محدود وانما هو
على مقدار اصلاح الطفل وما يعيش به وعلى المولود له يعني الاب وانما عبر عنه بهذا لان
الوالدات انما ولدت للاباء ولذلك ينسب الولد للاب دون الام قال بعضهم انما امهات
الناس اوعية مستودعات وللاباء ابناء وقيل ان هذا تنبيه على ان الولد انما يلحق بالوالد
لكونه مولودا على فراشه فكانه قال اذا ولدت المراة الولد لاجل الرجل وعلى فراشه
وجب عليه رعاية مصالحه رزقهن يعني طعامهن وكسوتهن اي لباسهن بالمعروف
اي على قدر الميسرة لا تكلف نفس الا وسعها يعني طاقتها والمعنى ان ابا الولد لا يكلف في
الانفاق عليه وعلى امه الا قدر ما تتسع به مقدرته ولا يبلغ اسراف القدرة لا تضار والدة
بولدها يعني لا يؤخذ الولد من امه بعد ان رضيت بارضاعه ولا يدفع لغيرها وقيل معناه
لا تكره الام على ارضاع الولد وقبل الصبي لبن غيرها لان ذلك ليس بواجب عليها ولا
مولود له بولده يعني لا تلقي المراة الولد الى ابيه وقد الفها تضاره بذلك وقيل معناه
لا يلزم الاب ان يعطي الولد من غير امه فعلى هذا يرجع الاضرار الى الوالدين فيكون
المعنى لا يضار كل واحد صاحبه بسبب الولد وقيل يحتمل ان يكون الضرر راجعا الى
الولد والمعنى لا يضار كل واحد من الوالدين الولد فلا ترضعه حتى يموت فيتضرر
بذلك ولا ينفق عليه الاب او ينزعه من امه فيتضرر بذلك فعلى هذا الباء صلة والمعنى
لا تضار والدة بولدها ولا اب ولده وعلى الوارث مثل ذلك يعني وعلى وارث الولد
اذا مات بمثل ما كان يجب عليه من النفقة والكسوة فيلزم وارث الاب ان يقوم مقامه

في القيام بحق الولد وقيل المراد بالوارث وارث الصبي الذي لو مات الصبي ورثه فعلى هذا
على الوارث مثل ما كان على الاب للصبي في حال حياته واختلف في اي وارث هو فقيل هم
عصبة الصبي كالجد والاخ والعم وابنه وقيل كل وارث من الرجال والنساء وبه قال احمد
فيجبر على نفقة الصبي كل على قدر سهمه منه وقيل هو من كان ذا رحم محرم منه وبه قال
ابو حنيفة وقيل المراد بالوارث الصبي نفسه فعلى هذا تكون اجرة رضاع الصبي في ماله
فان لم يكن له مال فعلى الام ولا يجبر على نفقة الصبي غير الابوين وبه قال مالك والشافعي
وقيل معناه وعلى الوارث ترك المضارة فان ارادا يعني الوالدين فصالا يعني فطام
الولد قبل الحولين لا يضر عن تراض منهما اي على اتفاق من الوالدين في ذلك وتشاور
اي يتشاورون اهل العلم بذلك حتى يخبروا ان الفطام قبل الحولين لا يضر بالولد
والمشاورة استخراج الراي بما فيه مصلحة فلا جناح عليهما اي فلا جناح ولا اثم على الوالدين
في الفطام قبل الحولين اذا لم يضر بالولد وان اردتم ان تسترضعوا اولادكم اي لاولادكم
مراضع غير امهاتهم اذا ابت امهاتهم ارضاعهم ولتعذر ذلك لعلة بهن من انقطاع
لبن وغير ذلك او ارادت التزويج فلا جناح عليكم اذا سلمتم يعني الى المراضع
ما اتيتم لهن من اجرة الرضاع وقيل اذا سلمتم الى امهاتهم من اجرة الرضاع بقدر
ما ارضعت بالمعروف اي بالاحسان والاجمال امروا ان يكونوا عند تسليم الاجرة مستبشري
الوجوه ناطقين بالقول الجميل مطيبين لانفس المراضع بما امكن حتى يامن من تفريطهن
بقطع معاذيرهن واتقوا الله اي وخافوا الله فيما فرض عليكم من الحقوق وفيما
اوجب عليكم لاولادكم واعلموا ان الله بما تعملون بصير يعني لا يخفى عليه خافية من
جميع اعمالكم سرها وعلانيتها فان الله تعالى يراها ويعلمها قوله تعالى والذين يتوفون
اي يموتون منكم واصل التوفي اخذ الشيء وافيا فمن مات فقد استوفى عمره
كاملا ويقال توفي فلان بمعنى قبض واخذ ويذرون اي ويتركون ازواجا
والمراد بالازواج هنا النساء لان العرب تطلق اسم الزوج على الرجل والمراة يتربصن
اي ينتظرن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا يعني قدر هذه المدة وانما قال عشرا بلفظ
التانيث لان العرب اذا ابهمت في العدد من الليالي والايام غلبوا الليالي
حتى ان احدهم يقول صمت عشرا من الشهر لكثرة تغليبهم الليالي على الايام قالوا صمنا
عشرة ايام وقيل ان هذه الايام ايام حزن وليس احداد فشبهها بالليالي على سبيل
الاستعارة ووجه الحكمة في ان الله تعالى حد العدة بهذا القدر لان الولد يركض في بطن
امه لنصف مدة الحمل يعني يتحرك وقيل ان الروح تنفخ في الولد في هذه العشرة ايام
ويدل على ذلك ما روي عن ابن مسعود رضي الله عنه قال حدثنا رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهو الصادق المصدوق ان خلق احدكم يجمع في بطن امه اربعين يوما
ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله ملكا يكتب

رزقه واجله وعمله وشقي او سعيد ثم تنفخ فيه الروح الحديث اخرجاه في الصحيحين زيادة
فدل هذا الحديث على ان خلق الولد يجتمع في مدة اربعة اشهر ويتكامل خلقه تنفخ الروح
فيه في هذه الايام الزوايد **فصل** في حكم عدة المتوفى عنها زوجها والاحداد وفيه مسايل
المسئلة الاولى عدة المتوفى زوجها اربعة اشهر وعشرا وعدة الامة على نصف عدة
الحرة شهران وخمسة ايام وبه قال جمهور العلما قال ابو بكر الاصح عدة الامة كعدة الحراير
وتمسك بظاهر هذه الاية وعدة الحامل بوضع الحمل سوا فيه الحرة والامة ولو وضعت
بعد وفاة زوجها بلحظة حل لها ان تتزوج ويدل على ذلك ما روي عن سبيعة الاسلمية
انها كانت تحت سعد بن خولة وهي من بني عامر بن لوي وكان ممن شهد بدرا
فتوفي عنها في حجة الوداع وهي حامل فلم تلبث ان وضعت حملها بعد وفاته فلما تعلت
من نفاسها تجملت للخطاب فدخل عليها ابو السنابل بن بعكك رجل من بني عبد الدار فقال
مالي اراك تجملت للخطاب لعلك ترجين النكاح وانك والله ما انت بناكح حتى يمر عليك اربعة
اشهر وعشر قالت سبيعة فلما قال لي ذلك جمعت علي ثيابي حين امسيت واتيت النبي
صلى الله عليه وسلم فسالته عن ذلك فافتاني باني قد حللت حين وضعت حملي
فامرني بالتزويج ان بدا لي اخرجاه في الصحيحين وفيه قال ابن شهاب ولا ارى باسا ان تتزوج
حين وضعت وان كانت في دمها غير انه لا يقربها حتى تطهر فعلى هذا يكون حكم الاية عام
في كل من يتوفى عنها زوجها بان تعتد اربعة اشهر وعشرا ثم خص من هذا العموم اولات
الاحمال بهذا الحديث وبقوله تعالى واولات الاحمال اجلهن ان يضعن حملهن المسئلة
الثانية يجب على المتوفى عنها زوجها الاحداد وهو ترك الزينة والطيب ودهن الراس
بكل دهن والكحل المطيب فان اضطرت الى كحل فيه زينة فرخص لها وبه قال مالك
وابو حنيفة وقال الشافعي تكتحل به بالليل وتمسحه بالنهار عن ام سلمة قالت دخل رسول الله
صلى الله عليه وسلم حين توفي ابو سلمة وقد جعلت علي صبرا فقال ما هذا يا ام سلمة فقلت
انما هو صبر يا رسول الله ليس فيه طيب فقال انه يشب الوجه فلا تجعليه الا بالليل وتنزعيه
بالنهار ولا تمتشطي بالطيب ولا بالحنا فانه خضاب قلت باي شي امتشط يا رسول الله
قال بالسدر تغلفين به راسك اخرجه ابو داود والنسائي بنحوه قوله فانه يشب الوجه
اي يوقده ويحسنه وينوره من شب النار اذا اوقدها وقوله تغلفين به راسك من التغليف
هي الغمرة على وجه المراة وكذا راسها اذا لطخته بشي فاكثرت منه ولا يجوز لها لبس الديباج
والحرير والحلي والمصبوغ للزينة كالاحمر والاصفر ويجوز ما صبغ لغير الزينة كالاسود والازرق
ويجوز ان تلبس البياض من القطن والصوف والوبر **ق** عن زينب بنت ابي سلمة قالت دخلت
على ام حبيبة زوج النبي صلى الله عليه وسلم حين توفي ابوها ابو سفيان بن حرب فدعت
ام حبيبة بطيب فيه صفرة خلوق او غيره فدهنت به جارية ثم مست بعارضيها ثم قالت
والله ما لي بالطيب من حاجة غير اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول على المنبر

لا يحل لامراة تؤمن بالله واليوم الاخر ان تحد على ميت فوق ثلاث الا على زوج اربعة
اشهر وعشرا **م** عن عائشة رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يحل لامراة تؤمن
بالله واليوم الاخر ان تحد فوق ثلاث الا على زوجها **ق** عن ام عطية قالت كنا ننهى
ان نحد على ميت فوق ثلاث الا على زوج اربعة اشهر وعشرا ولا نكتحل ولا نتطيب
ولا نلبس ثوبا مصبوغا الا ثوب عصب وقد رخص لنا عند الطهر اذا اغتسلت احدانا
من حيضتها في نبذة من كست اظفار قولها الا ثوب عصب العصب بالعين والصاد
المهملتين من البرود التي صبغ غزله قبل النسج قوله نبذة من كست النبذة الشي اليسير
والكست لغة في القسط وهو شي معروف يتبخر به عن ام سلمة قالت قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا تلبس المتوفى عنها زوجها المعصفر من الثياب ولا الممشقة
بالمشق ولا الحلي ولا تختضب ولا تكتحل ولا تطيب اخرجه ابو داود قولها ولا الممشقة
هي المصبوغة بالمشق وهو المغرة عن نافع ان صفية بنت عبد الله اشتكت عينها
وهي حاد على زوجها ابن عمر فلم تكتحل حتى كادت عيناها ترمصان اخرجه مالك في الموطا
المسئلة الثالثة اختلفوا في ان هذه المدة سببها الوفاة او العلم بالوفاة فقال بعضهم
ما لم تعلم بوفاة زوجها لا تعتد بانقضا الايام في العدة واحتجوا على ذلك بان الله تعالى
قال يتربصن بانفسهن وذلك لا يحصل الا بالقصد الى التربص ولا يحصل ذلك الا مع العلم
وقال الجمهور السبب هو الموت فلو انقضت المدة او اكثرها او بعضها ثم بلغها خبر موت
زوجها وجب ان تعتد بما انقضى ويدل على ذلك ان الصغيرة التي لا علم لها يكفي في
انقضا عدتها هذه المدة المسئلة الرابعة اجمع العلما على ان هذه الاية ناسخة الى ما بعدها
من الاعتداد بالحول وان كانت هذه الاية متقدمة في التلاوة وسنذكر تمام الكلام
عليه بعد موضعه ان شا الله تعالى قوله عز وجل فاذا بلغن اجلهن اي انقضت عدتهن
فلا جناح عليكم خطاب للاوليا لانهم هم الذين يتولون العقد فيما فعلن في انفسهن
بالمعروف يعني من التزين والتطيب والنقلة من المسكن الذي كانت معتدة فيه
ونكاح من يجوز لها نكاحه وقيل انما عني بذلك النكاح خاصة وقيل معنى قوله بالمعروف
هو النكاح الحلال الطيب واحتج اصحاب ابي حنيفة على جواز النكاح بغير ولي بهذه
الاية لان اضافة الفعل الى الفاعل محمول على المباشرة واجاب اصحاب الشافعي
بان قوله فلا جناح عليكم خطاب للاوليا ولو صح العقد بغير ولي لما كان مخاطبا
واجيب عن قوله فيما فعلن في انفسهن انما هو التزين والتطيب بعد انقضا العدة
لا انها تزوج نفسها والله بما تعملون خبير يعني انه تعالى لا يخفى عليه خافية والخبير
في صفة الله تعالى هو العالم بكنه الشي وحقيقته من غير شك والخبير في صفة المخلوقين
انما يستعمل في نوع العلم وهو الذي يتوصل اليه بالاجتهاد والفكر والله تعالى منزه عن
ذلك قوله تعالى ولا جناح اي لا حرج عليكم فيما عرضتم به اي لوحتم واشرتم به

والتعريض ضد التصريح ومعناه ان يضمن كلامه ما يصلح للدلالة على غير مقصوده ولكن
اشعاره بجانب المقصود اتم وارجح وقيل هو الاشارة الى الشي بما يفهم السامع
مقصوده من غير تصريح به وقيل التعرض من الكلام ما له ظاهر وباطن من خطبة
النسا يعني المعتدات في عدتهن والخطبة بالكسر طلب النكاح والتماسه وقيل
هو ذكر النسا والخطبة بالضم كلام منظوم له اول واخر ومعنى الاية فيما عرضتم
به من ذكر النسا عندهن والتعريض بالخطبة في العدة مباح وهو ان يقول انك
لجميلة وانك لصالحة ومن غرضي التزويج فاني فيك لراغب وعسى الله ان
ييسر لي امراة صالحة ونحو ذلك من الكلام الموهم من غير تصريح بان يقول اني اريد
ان انكحك او اتزوجك ونحو ذلك ويدل على صحة هذا التاويل ما روي عن ابن
عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى فيما عرضتم به من خطبة النسا هو ان يقول
اني اريد التزويج وان النسا لمن حاجتي ولوددت انه لو يسر لي امراة صالحة
اوجه النجاري وروي ان سكينة بنت حنظلة تاممت فدخل عليها ابو جعفر محمد بن
على الباقر في عدتها فقال قد علمت قرابتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جدي
على وقدمي في الاسلام فقالت سكينة غفر الله لك اتخطبني في عدتي وانت يوخذ
عنك فقال انما اخبرتك بقرابتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم قد دخل رسول الله
صلى الله عليه وسلم على ام سلمة وهي في عدة زوجها ابي سلمة فذكر لها منزلته من الله عز
وجل وهو متحامل على يده اثر الحصير في يده صلى الله عليه وسلم من شدة تحامله عليها
فما كانت تلك خطبة او اكننتم يعني اضمرتم في انفسكم يعني من نكاحهن وقيل هو ان
يدخل ويسلم ويهدي ان شا ولا يتكلم بشي والمقصود انه لا حرج عليكم في التعريض
للمراة في عدة الوفاة ولا فيما يضمر الرجل في نفسه من الرغبة فيها علم الله انكم
ستذكرونهن يعني بقلوبكم لان شهوة النفس والتمني لا يخلوا منه احد فلو كان
هذا الخاطر كالشي الشاق اسقط عنه الحرج ولكن لا تواعدوهن سرا اختلفوا في
معنى هذا السر المنهي عنه فقيل الزنا كان الرجل يدخل على المراة يعرض بالنكاح ومراده الزنا
ويقول لها دعيني فاذا وفيت عدتك اظهرت نكاحك فنهوا عن ذلك وقيل هو قول
الرجل للمراة لا تفوتيني بنفسك فاني ناكحك وقيل هو ان ياخذ عليها العهد والميثاق
ان لا تتزوج غيره وقيل هو ان يخطبها في العدة وقال الشافعي السر الجماع وهو رواية
عن ابن عباس قال الكلبي لا تصفوا انفسكم لهن بكثرة الجماع ويدل على ان لفظة السر
كناية عن الجماع قول امرئ القيس ألا زعمت بسباسة القوم انني كبرت وان لا
يحسن السر امثالي سباسة اسم المراة وانما وقع الكناية عن الجماع بالسر لانه مما
يسر والله تعالى حيي كريم فكنا به عن لفظ الجماع الصريح ومعنى الاية لا تواعدوهن مواعدة
سرية ولا تواعدوهن بالشي الموصوف بالسر وقيل في معنى الاية ان الله تعالى اذن في اول

الاية في التعريض في الخطبة ومنع في اخرها عن التصريح بالخطبة الا ان تقولوا قولا
معروفا يعني هو ما ذكر من التعريض بالخطبة وقيل هو اعلام ولي المراة انه راغب في نكاحها
ولا تعزموا عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب اجله اي لا تحققوا العزم على عقدة النكاح في
العدة حتى تنقضي وانما سماه الله كتابا لانه فرضه واعلموا ان الله يعلم ما في انفسكم فاحذروه
اي فخافوه واعلموا ان الله غفور حليم لا يعجل بالعقوبة بل من جاهر بالمعصية ويستر عليه
قوله تعالى لا جناح عليكم ان طلقتم النسا ما لم تمسوهن او تفرضوا لهن فريضة اي ولم
تمسوهن ولم تفرضوا لهن فريضة يعني ولم تعينوا لهن صداقا ولم توجبوه عليكم نزلت
في رجل من الانصار تزوج امراة من بني حنيفة ولم يسم لها صداقا ثم طلقها قبل ان يمسها
فنزلت هذه الاية فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم متعها ولو بقلنسوتك فان قلت
هل على من يطلق امراته جناح بعد المس حتى يوضع عنه الجناح قبل المس فما وجه نفي الجناح
والجناح عنه قلت عنه سبب قطع الوصلة وما جا في الحديث ان ابغض الحلال الى الله
الطلاق فنفى الله عنه الجناح اذا كان الفراق اوفق من الامساك وقيل معناه لا جناح عليكم
في تطليقهن قبل المس في اي وقت شئتم حائضا كانت المراة او طاهرا لانه لا سنة في طلاقها
قبل الدخول ومتعوهن اي اعطوهن من مالكم ما يتمتعن به والمتعة والمتاع ما يتبلغ
به من الزاد على الموسع اي الغني الذي يكون في سعة من غناه قدره اي قدر امكانه
وعلى المقتر اي الفقير الذي هو في ضيق من فقره قدره اي قدر امكانه وطاقته متاعا
بالمعروف يعني متعوهن تمتيعا بالمعروف يعني من غير ظلم ولا حيف حقا اي ذلك التمتيع حقا
واجبا لازما على المحسنين يعني الى المطلقات بالتمتيع وانما خص المحسنين بالذكر لانهم هم الذين
ينتفعون بهذا البيان وقيل معناه من اراد ان يكون من المحسنين فهذا شانه وطريقة المحسن
هو المومن **فصل** في بيان حكم الاية وفيه فروع الاول اذا تزوج امراة ولم يفرض لها مهرا
ثم طلقها قبل المس يجب لها عليه المتعة وبه قال الشافعي وابو حنيفة واحمد وقال مالك المتعة
مستحبة ولو طلقها قبل الدخول وقد فرض لها مهرا وجب لها عليه نصف المهر المفروض
ولا متعة لها عليه الفرع الثاني المطلقة المدخول بها فيها قولان قال في القديم لا متعة لها
لانها استحقت المهر كاملا وبه قال ابو حنيفة وهو احدى الروايتين عن احمد وقال في الجديد لها
المتعة لقوله تعالى وللمطلقات متاع بالمعروف وهو الرواية الاخرى قال ابن عمر لكل مطلقة متعة الا
التي فرض لها المهر ولم يدخل بها زوجها فحسبها نصف المهر الفرع الثالث في قدر المتعة قال
ابن عباس اعلاها خادم واوسطها ثلاثة اثواب درع وازار وخمار واقلها دون ذلك
وقاية او مقنعة او شي من الورق وهو مذهب الشافعي لانه قال اعلاها على الموسع خادم و
اوسطها ثوب واقلها ما له ثمن وحسن ثلاثون درهما روي ان عبد الرحمن بن عوف
طلق امراته وحممها يعني متعها جارية سوداء ومتع الحسن بن علي امراته بعشرة الاف درهم
فقالت متاع قليل من حبيب مفارق وقال ابو حنيفة مبلغها اذا اختلف الزوجان قدر

نصف مهر مثلها لا يجاوز وقال محمد في احدى الروايتين عنه تتقدر بما يجزي فيه الصلاة وقال في
الرواية الاخرى تتقدر بتقدير الحاكم والاية تدل على ان المتعة تعتبر بحال الزوج في اليسر والعسر
وانه مفوض الى الاجتهاد ولانها كالنفقة التي اوجبها الله للزوجات وبين ان حال الموسر يخالف
حال المعسر في ذلك الفرع الرابع من حكم الاية ان من تزوج امراة برضاها على غير مهر صح النكاح
ولها مطالبته بان يفرض لها صداقا فان دخل بها قبل الفرض فلها عليه مهر مثلها وان طلقها قبل
الفرض والدخول فلها المتعة قوله عز وجل وان طلقتموهن من قبل ان تمسوهن يعني تجامعوهن
وهذا في المطلقة بعد تسمية المهر وقبل الدخول حكم الله لها بنصف المهر ولا عدة عليها وهو قوله
وقد فرضتم لهن فريضة اي سميتم لهن مهرا فنصف ما فرضتم اي فلهن نصف المهر المسمى ومذهب
الشافعي ان الخلوة من غير مس لا توجب الا نصف المهر المسمى لان المس هنا حقيقته في المس باليد
او جعل كناية عن الجماع وايهما كان فقد وجد الطلاق قبله وقال ابو حنيفة الخلوة الصحيحة ان يخلو بها
وليس هناك مانع حسي ولا شرعي فالحسي هو الرتق والقرن او يكون معهما ثالث والشرعي نحو
الحيض والنفاس وصوم الفرض وصلاة الفرض والاحرام وسواء كان فرضا او نفلا والاية حجة لمذهب
الشافعي قال شريح لم اسمع ذكر الله في كتابه بابا ولا سترا اذ زعم انه لم يمسها فلها نصف الصداق وقال
ابن عباس اذا خلا بها ولم يمسها فلها نصف المهر فرع لو مات احد الزوجين بعد التسمية وقبل المسيس
فلها المهر كاملا وعليها العدة ان كان الزوج هو الميت وقوله الا ان يعفون يعني النساء المطلقات
والمعنى ان تترك المراة نصيبها من الصداق فتهبه للزوج فيعود جميع الصداق للزوج او يعفو
الذي بيده عقدة النكاح فيه قولان احدهما الولي وهو قول ابن عباس في رواية عنه والحسن
وعلقمة وطاوس والشعبي والنخعي والزهري والسدي وبه قال الشافعي في القديم ومالك والقول الثاني
انه الزوج وهو قول علي وابن عباس في الرواية الاخرى وجبير بن مطعم وسعيد بن المسيب وابن جبير
ومجاهد والربيع وقتادة ومقاتل والضحاك ومحمد بن كعب القرظي وهو قول ابي حنيفة والشافعي في
الجديد واحمد وجمهور الفقهاء فعلى القول الاول يكون معنى الاية الا ان تعفو المراة اذا كانت ثيبا
بالغة من اهل العفو عن نصيبها للزوج او يعفو وليها اذا كانت المراة بكرا صغيرة او غير جائزة
التصرف فيجوز عفو وليها فيترك نصيبها للزوج وانما يجوز عفو الولي بشروط وهي ان تكون
بكرا صغيرة ويكون الولي ابا او جدا لان غيرهما لا يجوز الصغيرة وعلى القول الثاني الذي بيده
عقدة النكاح هو الزوج وصحح هذا القول الطبري والواحدي فيكون معنى الاية او يعفو الذي
بيده عقدة النكاح وهو الزوج فيعطي المراة الصداق كاملا لان الله تعالى لما ذكر عفو المراة عن
النصف الواجب لها ذكر عفو الزوج عن النصف الساقط عنه فيحسن للمراة ان تعفو ولا تطالب
بشيء من الصداق وللرجل ان يعفو فيوفي لها المهر كاملا روي ان جبير بن مطعم تزوج امراة
ثم طلقها قبل الدخول بها فاكمل لها الصداق وقال انا احق بالعفو ولان المهر حق المراة فليس
لوليها ان يهب من مالها شيئا فكذلك المهر لانه مال لها وان تعفوا اقرب للتقوى هذا خطاب للرجال
والنساء جميعا وانما غلب جانب التذكير لان التذكير هو الاصل والتانيث فرع عليه والمعنى وعفو

بعضكم

بعضكم عن بعض ايها الرجال والنساء اقرب الى حصول التقوى وقيل هو خطاب للزوج
والمعنى وليعف الزوج فيترك حقه الذي ساق منها المهر اليها قبل الطلاق وهو اقرب
للتقوى ولا تنسوا الفضل بينكم يعني ليتفضل بعضكم على بعض فيعطي الرجل الصداق كاملا
او تترك المراة نصيبها من الصداق جميعا على الاحسان ومكارم الاخلاق ان الله بما تعملون
يعني من عفو بعضكم لبعض عما وجب له عليه من حق بصير اي لا يخفى عليه شيء من ذلك
قوله عز وجل حافظوا اي داوموا وواظبوا على الصلوات يعني الخمس المكتوبات امر الله عز وجل
عباده بالمحافظة على الصلوات الخمس المكتوبات بجميع شروطها وحدودها واتمام اركانها وفعلها
في اوقاتها المختصة بها والصلاة الوسطى تانيث الاوسط ووسط كل شيء خيره واعدله
وقيل الوسطى يعني الفضلى من قولهم للافضل اوسط وانما افردت وعطفت على الصلوات
لانفرادها بالفضل وقيل سميت الوسطى لانها اوسط الصلاة محلا فصل في ذكر اختلاف
العلماء في الصلاة الوسطى وقد اختلف العلماء من الصحابة فمن بعدهم في الصلاة
الوسطى على مذاهب الاول ان الصلاة الوسطى هي صلاة الفجر وهو قول عمر وابن عمر
وابن عباس ومعاذ وجابر وعطاء وعكرمة ومجاهد والربيع بن انس وبه قال مالك
والشافعي ويدل على ذلك ان مالكا بلغه ان علي بن ابي طالب وابن عباس كانا
يقولان الصلاة الوسطى صلاة الفجر اخرجه مالك في الموطا اخرجه الترمذي عن ابن
عباس وابن عمر تعليقا ولانها بين صلاتي جمع فالظهر والعصر يجتمعان وهما صلاتا
نهار والمغرب والعشاء يجتمعان وهما صلاتا ليل وصلاة الفجر لا تقصر ولا تجمع الى غيرها ولانها
تاتي في وقت مشقة بسبب برد الشتاء وطيب النوم في الصيف وفتور الاعضاء وكثرة
النعاس وغفلة الناس عنها فخصت بالمحافظة عليها لكونها معرضة للضياع ولان
الله تعالى قال عقبها وقوموا لله قانتين والقنوت هو طول القيام وصلاة الفجر مخصوصة
بطول القيام ولان الله تعالى خصها بالذكر في قوله وقران الفجر ان قران الفجر كان
مشهودا يعني تشهده ملائكة الليل وملائكة النهار فهي مكتوبة في ديوان حفظة الليل
وديوان حفظة النهار فدل على مزيد فضلها المذهب الثاني انها صلاة الظهر وهو
قول زيد بن ثابت واسامة بن زيد وابي سعيد الخدري ورواية عن عائشة وبه قال
عبيد بن شداد وهو رواية عن ابي حنيفة ويدل على ذلك ما روي عن زيد بن ثابت
وعائشة قالا الصلاة الوسطى صلاة الظهر اخرجه مالك في الموطا عن زيد والترمذي عنهما
تعليقا اخرجه ابو داود عن زيد قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي الظهر بالهاجرة
ولم يكن يصلي صلاة اشد على اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم منها فنزلت حافظوا
على الصلوات والصلاة الوسطى وقال ان قبلها صلاتين وبعدها صلاتين ولان صلاة
الظهر تاتي وسط النهار وفي شدة الحر ولانها تاتي بين البردين يعني صلاة الفجر
وصلاة العصر المذهب الثالث صلاة العصر وهو قول علي وابن مسعود وابي ايوب

وابی هریرة وابن عمر وابن عباس وابی سعید الخدری وعائشة وهو قول عبیدة السلمانی
والحسن البصری وابرهیم النخعی وقتادة والضحاك والكلبی ومقاتل وبه قال ابو حنیفة واحمد وداود
وابن المنذر وقال الترمذی هو قول اكثر الصحابة فمن بعدهم وقال الماوردی من اصحابنا هذا
مذهب الشافعی لصحة الاحادیث الصحیحة فی العصر ومذهبه اتباع الحدیث ویدل علی صحة هذا
المذهب ما روی عن علی ان النبی صلی الله علیه وسلم قال یوم الاحزاب وفی روایة یوم الخندق
ملا الله قلوبهم وبیوتهم نارا كما شغلونا عن الصلاة الوسطی حتی غابت الشمس وفی روایة
شغلونا عن الصلاة الوسطی صلاة العصر وذكر نحوه وزاد فی اخری ثم صلاها بین المغرب
والعشا اخرجاه فی الصحیحین م عن ابن مسعود قال حبس المشركون رسول الله صلی الله علیه وسلم
عن صلاة العصر حتی احمرت الشمس او اصفرت فقال رسول الله صلی الله علیه وسلم شغلونا
عن الصلاة الوسطی صلاة العصر ملا الله اجوافهم وقبورهم نارا او حشا الله اجوافهم
وقبورهم نارا عن سمرة بن جندب ان رسول الله صلی الله علیه وسلم قال الصلاة الوسطی
صلاة العصر اخرجه الترمذی وله عن ابن عباس مثله وقال فی كل واحد منهما حسن صحیح
م عن ابی یونس مولی عائشة قال امرتنی عائشة ان اكتب لها مصحفا وقالت
اذا بلغت هذه الایة فاذنی حافظوا علی الصلوات والصلاة الوسطی قال فلما بلغتها
اذنتها فاملت علی حافظوا علی الصلوات والصلاة الوسطی وصلاة العصر وقوموا
لله قانتین قالت عائشة سمعتها من رسول الله صلی الله علیه وسلم ویروی عن حفصة
نحو ذلك ولان صلاة العصر تاتی فی وقت اشتغال الناس بمعایشهم فكان الاهتمام
بالمحافظة علیها اولی ولانها تاتی بین صلاتی نهار وهی الفجر والظهر وصلاتی لیل
وهی المغرب والعشا وقد خصت بمزید التاكید والامر بالمحافظة والتغلیظ لمن
ضیعها ویدل علی ذلك ما روی عن ابی الملیح قال كنا مع بریدة فی غزوة فقال فی
یوم ذی غیم بكروا بالصلاة العصر فان النبی صلی الله علیه وسلم قال من ترك صلاة
العصر فقد حبط عمله اخرجه البخاری قوله بكروا بالصلاة العصر ای قدموها فی اول وقتها
ق عن ابن عمر ان رسول الله صلی الله علیه وسلم الذی تفوته صلاة العصر فكانما
وتر اهله وماله قوله وتر ای نقص وسلب اهله وماله فبقی فردا بلا اهل ولا مال
ومعنی الحدیث لیكن حذره من فوت صلاة العصر كحذره من ذهاب اهله وماله
المذهب الرابع انها صلاة المغرب قاله قبیصة بن ذویب وحجة هذا المذهب
ان صلاة المغرب تاتی بین بیاض النهار وسواد اللیل ولانها ازید من ركعتین
كما فی الصبح واقل من اربع ولا تقصر فی السفر وهی وتر النهار ولان صلاة الظهر
تسمی الاولی لان ابتدا جبریل كان بها واذا كانت الظهر اول الصلوات كانت
المغرب هی الوسطی المذهب الخامس انها صلاة العشا ولم ینقل عن احد من
السلف فیها شی وانما ذكرها بعض المتاخرین وحجة هذا المذهب انها متوسطة

بین صلاتین

بین صلاتین لا تقصران وهما المغرب والصبح ولانها اثقل صلاة علی المنافقین المذهب
السادس ان الصلاة الوسطی احدی الصلوات الخمس لا بعینها لان الله تعالی امر بالمحافظة
علی الصلوات الخمس ثم عطف بالصلاة الوسطی ولیس فی الایة ذكر بیانها واذا كان لذلك امكن
ان یقال فی كل واحدة من الصلوات الخمس انها هی الوسطی ابهمها الله تعالی علی عباده علی ما خصها
بمزید التوكید تحریضا لهم فی المحافظة علی ادا جمیع الصلوات علی صفة الكمال والتمام ولهذا السبب
اخفی الله تعالی لیلة القدر فی شهر رمضان واخفی ساعة الاجابة فی یوم الجمعة واخفی اسمه الاعظم
فی جمیع اسمائه لیحافظوا علی ذلك كله وهذا المذهب اختاره جمع من العلما قال محمد بن
سیرین ان رجلا سال زید بن ثابت عن الصلاة الوسطی فقال حافظ علی الصلوات كلها
تصبها وسئل الربیع بن خثیم عن الصلاة الوسطی فقال للسایل الوسطی واحدة منهن
فحافظ علی الكل تكن محافظا علی الوسطی ثم قال ارایت لو علمتها بعینها الكنت محافظا
علیها ومضیعا سایرهن فقال السایل لا فقال الربیع ان كنت حافظت علیهن فقد
حافظت علی الوسطی والصحیح من هذه الاقوال قولان قول من قال انها الصبح وقول
من قال انها العصر واصح الاقوال كلها انها العصر للاحادیث الصحیحة الواردة فیها والله
اعلم وقوله تعالی وقوموا لله قانتین ای طائعین فهو عبارة عن اكمال الطاعة واتمامها
والاحتراز عن ایقاع الخلل فی اركانها وسننها قیل لاهل كل دین صلاة یقومون فیها
عاصین فقوموا انتم لله فی صلاتكم طائعین وقیل القنوت هو الدعا والذكر
بدلیل امن هو قانت ولما امر بالمحافظة علی الصلاة فوجب ان یحمل هذا القنوت
علی ما فیها من الذكر والدعا فمعنی الایة وقوموا لله داعین ذاكرین وقیل انما خص
القنوت بصلاة الصبح والوتر لهذا المعنی وقیل القنوت هو السكوت عما لا یجوز
التكلم به فی الصلوة ویدل علیه ما روی عن زید بن ارقم قال كنا نتكلم فی الصلاة یكلم
الرجل صاحبه وهو الی جنبه فی الصلاة حتی نزلت وقوموا لله قانتین فامرنا بالسكوت
ونهینا عن الكلام اخرجاه فی الصحیحین وقیل القنوت هو طول القیام فی الصلاة ویدل علیه
ما روی عن جابر قال قال رسول الله صلی الله علیه وسلم افضل الصلاة طول القنوت اخرجه
مسلم ومن القنوت ایضا طول الركوع والسجود وغض البصر والهوی فی الصلاة وخفض
الجناح والخشوع فیها وكان العلما اذا قام احدهم یصلی یهاب الرحمن ان یلتفت او
یقلب الحصی او یعبث بشی او یحدث نفسه بشی من امور الدنیا الا ناسیا قوله تعالی
فان خفتم فرجالا ای فرجالا رجالة او ركبانا یعنی علی الدواب جمع راكب والمعنی ان
لم یمكنكم ان تصلوا قانتین موفین حقوق الصلاة من اتمام الركوع والسجود والخضوع
والخشوع لخوف عدو او غیره فصلوا مشاة علی ارجلكم او ركبانا علی دوابكم مستقبلی
القبلة وغیر مستقبلیها وهذا فی حال المقاتلة والمسابقة فی وقت الحرب وصلاة الخوف
قسمان احدهما ان یكون فی حال القتال وهو المراد بهذه الایة والثانی فی غیر حال

القتال وهو المذكور في سورة النساء في قوله تعالى واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلاة وسياتي
الكلام عليها ان شاء الله تعالى فاذا التحم القتال ولم يمكن تركه لاحد فقد ذهب الشافعي
انهم يصلون ركبانا على الدواب ومشاة على الارجل الى القبلة والى غير القبلة يومون بالركوع
والسجود ويكون السجود اخفض من الركوع ويحترزون عن الصياح فانه لا حاجة اليه وقال
ابو حنيفة لا يصلي الماشي بل يؤخر الصلاة ويقضيها لان النبي صلى الله عليه وسلم اخر الصلاة
يوم الخندق وقضى الظهر والعصر والمغرب بعد ما غربت الشمس فيجب علينا الاقتداء به في
ذلك واحتج الشافعي لمذهبه بهذه الاية واجيب عن تاخير النبي صلى الله عليه وسلم
الصلاة يوم الخندق بانه لم يكن نزل حكم صلاة الخوف انما نزلت بعد فلما نزلت
صلاة الخوف لم يؤخر النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك صلاة قط اما الخوف الحاصل
لا في القتال بل بسبب اخر كالهارب من العدو او قصده سبع هائج او غشيه سيل يخاف
على نفسه الهلاك لو صلى صلاة امن فله ان يصلي صلاة شدة الخوف بالايماء في حال
العدو لان قوله تعالى فان خفتم مطلق يتناول الكل فان قلت قوله تعالى فرجالا او
ركبانا يدل على ان المراد منه خوف العدو وحال القتال قلت هو كذلك الا انه هناك
ثابت لدفع الضرر وهذا المعنى موجود هنا فوجب ان يكون الحكم كذلك ههنا ما روي
عن ابن عباس قال فرض الله الصلاة على لسان نبيكم صلى الله عليه وسلم في الحضر اربعا
وفي السفر ركعتين وفي الخوف ركعة اخرجه مسلم وقد عمل بظاهر هذا جماعة من السلف
منهم الحسن البصري وعطا وطاوس ومجاهد وقتادة والضحاك واسحاق بن راهويه
قالوا يصلي في حال شدة الخوف ركعة وقال الشافعي ومالك وجمهور العلما صلاة الخوف
كصلاة الامن في عدد الركعات فان كان الخوف في الحضر وجب عليه ان يصلي اربع
ركعات وان كان في السفر صلى ركعتين لا يجوز الاقتصار على ركعة واحدة في حال من الاحوال
وتاولوا حديث ابن عباس على ان المراد ركعة مع الامام وركعة اخرى ياتي بها منفردا
كما جاءت الاحاديث الصحيحة في صفة صلاة النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه في صلاة الخوف
وهذا التاويل لا بد منه للجمع بين الاحاديث وقوله تعالى فاذا امنتم يعني من خوفكم فاذكروا
الله اي فصلوا لله الصلوات الخمس تامة باركانها وسننها كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون
فيه اشارة الى انعام الله تعالى علينا بالعلم ولولا هدايته وتعليمه ايانا لم نعلم شيا ولم نصل
الى معرفة شي فله الحمد على ذلك قوله عز وجل والذين يتوفون منكم يعني يا معشر الرجال
ويذرون ازواجا يعني زوجات وصية لازواجهم قرئ بالنصب على معنى فليوصوا
وصية وبالرفع على معنى كتب عليكم الوصية متاعا الى الحول اي متعوهن متاعا و
قيل جعل الله ذلك لهن متاعا والمتاع نفقة سنة لطعامها وكسوتها وما تحتاج اليه
غير اخراج اي غير مخرجات من بيوتهن نزلت هذه الاية في رجل من الطائف يقال له الحكم
بن الحارث هاجر الى المدينة ومعه ابواه ولامراته وله اولاد فمات فرفع ذلك الى النبي صلى الله

عليه وسلم

عليه وسلم فانزل الله تعالى هذه الاية فاعطى النبي صلى الله عليه وسلم ابويه واولاده ميراثه
ولم يعط امراته شيا وامرهم ان ينفقوا عليها من تركة زوجها حولا وكان الحكم في ابتدا
الاسلام انه اذا مات الرجل اعتدت امراته حولا وكان يحرم على الوارث اخراجها من البيت
قبل تمام الحول وكانت نفقتها وسكناها واجبة في مال الزوج تلك السنة وليس لها شي من
الميراث ولكنها تكون مخيرة فان شات اعتدت في بيت زوجها ولها النفقة والسكنى وان
شات خرجت قبل تمام الحول وليس لها سكنى ولا نفقة وكان يجب على الرجل ان يوصي بذلك
فدلت هذه الاية على مجموع امرين احدهما ان لها النفقة والسكنى من مال زوجها سنة والثاني
ان عليها عدة سنة ثم ان الله تعالى نسخ هذين الحكمين اما الوصية بالنفقة والسكنى فنسخ
باية الميراث فجعل لها الربع او الثمن عوضا عن النفقة والسكنى ونسخ عدة الحول باربعة
اشهر وعشرا فان قلت كيف نسخت الاية المتقدمة المتاخرة قلت قد تكون الاية المتقدمة
متقدمة في التلاوة متاخرة في التنزيل كقوله تعالى سيقول السفهاء من الناس مع قوله قد نرى
تقلب وجهك في السما وقوله تعالى فان خرجن فلا جناح عليكم يا معشر اوليا الميت فيما
فعلن في انفسهن من معروف يعني التزين للنكاح ولرفع الحرج عن الورثة وجهان
احدهما انه لا جناح عليكم في قطع النفقة عنهن اذا خرجن قبل انقضا الحول والوجه الثاني
لا جناح عليكم في ترك منعهن من الخروج لان مقامها في بيت زوجها حولا غير واجب عليها
خيرها الله تعالى بين ان تقيم في بيت زوجها حولا ولها النفقة والسكنى وبين ان تخرج ولا نفقة
لها ولا سكنى ثم نسخه الله تعالى باربعة اشهر وعشرا والله عزيز اي غالب قوي في انتقامه ممن
خالف امره ونهيه وتعدى حدوده حكيم يعني فيما شرع من الشرائع وبين من الاحكام قوله تعالى
وللمطلقات متاع بالمعروف انما اعاد الله تعالى ذكر المتعة هنا لزيادة معنى وهو ان في غير
هذه الاية بيان حكم غير الممسوسة وفي هذه الاية بيان حكم جميع المطلقات والمتعة وقيل انه
لما نزل قوله ومتعوهن على الموسع قدره الى قوله حقا على المحسنين فقال رجل من المسلمين
ان فعلت احسنت وان اردت لم افعل فانزل الله وللمطلقات متاع بالمعروف فجعل المتعة
لهن بلام التمليك وقال تعالى حقا على المتقين يعني المؤمنين الذين يتقون الشرك
وقد تقدم احكام المتعة كذلك يبين الله لكم اياته يعني يبين الله لكم ما يلزمكم ويلزم
ازواجكم ايها المؤمنون وعرفكم احكامي والحق الذي يجب لبعضكم على بعض في هذه
الاية كذلك ابين لكم ساير احكامي في اياتي التي انزلتها على محمد صلى الله عليه وسلم في هذا
الكتاب لعلكم تعقلون اي لكي تعقلوا ما بينت لكم من الفرائض والاحكام وما فيه
صلاحكم وصلاح دينكم قوله عز وجل الم تر الى الذين خرجوا من ديارهم قال اكثر
المفسرين كانت قرية يقال لها داوردان فوقع بها الطاعون فخرجت طائفة منهم
وبقيت طائفة فسلم الذين خرجوا وهلك اكثر من بقي بالقرية فلما ارتفع الطاعون
رجع الذين خرجوا سالمين فقال الذين بقوا كان اصحابنا احزم منا لو صنعنا

كما صنعوا البقية فما لقوا ولئن وقع الطاعون ثانية لنخرجن الى ارض لا وبا فيها فرجع الطاعون
من قابل فهرب عامة اهلها فخرجوا حتى نزلوا واديا افيح فلما نزلوا المكان الذي يبتغون
فيه النجاة ناداهم ملك من اسفل الوادي وملك اخر من اعلاه ان موتوا فماتوا جميعا
و ان عمر خرج الى الشام فلما جاء سرغ بلغه ان الوبا قد وقع فيها فاخبره عبد الرحمن بن عوف
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا سمعتم به بارض فلا تقدموا عليه واذا وقع بارض
وانتم فيها فلا تخرجوا فرارا منه فحمد الله عمر ثم انصرف وقيل انما فروا من الجهاد وذلك ان
ملكا من ملوك بني اسرائيل امرهم ان يخرجوا الى قتال عدوهم فعسكروا ثم جبنوا وكرهوا الموت
واعتلوا وقالوا لملكهم ان الارض التي ناتيها بها وبا فلا نخرج حتى ينقطع منها الوبا فارسل الله
عليهم الموت فخرجوا فرارا منه فلما راى الملك ذلك قال اللهم رب يعقوب واله موسى
قد ترى معصية عبادك فارهم اية في انفسهم حتى يعلموا انهم لا يستطيعون الفرار منك فلما
خرجوا قال الله لهم موتوا عقوبة لهم فماتوا ومات دوابهم كموت رجل واحد فاتى عليهم ثمانية
ايام حتى انتفخوا وراحت اجسامهم فخرج الناس اليهم فعجزوا عن دفنهم فحظروا عليهم حظيرة دون السباع
فذلك قوله تعالى الم تر يعني الم تعلم يا محمد باعلامي اياك وهو من روية القلب قال اهل المعاني
هو تعجيب له يقول هل رايت مثل هولا كما تقول الم تر الى صنيع فلان وكل ما في القران من قوله
الم تر ولم يعاينه النبي صلى الله عليه وسلم فهذا معناه الى الذين خرجوا من ديارهم وهم الوف
قيل هو من العدد واختلفوا في عددهم فقيل ثمانية الاف وقيل عشرة الاف وقيل بضع
وثلاثون الفا وقيل اربعون الفا وقيل سبعون الفا واصح الاقاويل قول من قال انهم كانوا
زيادة على عشرة الاف لان الله تعالى قال وهم الوف والالوف جمع الكثير وجمع القليل الاف
وقيل معنى وهم الوف مولفين جمع الف الاول اصح قالوا فمر عليهم حزقيل ابن بودي وهو
ثالث خلفا بني اسرائيل بعد موسى كان يوشع بن نون ثم بعده كالب بن يوفنا ثم قام بعده
حزقيل وكان يقال له ابن العجوز لان امه كانت عجوزا فسالت الله تعالى الولد بعد ما كبرت
وعقمت فوهب الله لها حزقيل ويقال له ذو الكفل سمي به لانه تكفل سبعين نبيا وانجاهم
من القتل فلما مر حزقيل على اولئك الموتى وقف عليهم وجعل يتفكر فيهم فاوحى الله تعالى اليه
اتريد ان اريك اية قال نعم يا رب فاحياهم الله تعالى وقيل دعا ربه حزقيل ان يحييهم فاحياهم
الله وقيل انهم كانوا قومه احياهم الله بعد ثمانية ايام وذلك انهم لما اصابهم ذلك خرج
في طلبهم فوجدهم موتى فبكى وقال يا رب كنت في قوم يعبدونك ويذكرونك فبقيت
وحيدا لا قوم لي فاوحى الله اليه اني قد جعلت حياتهم اليك فقال حزقيل احيوا باذن الله
تعالى فقاموا وقيل انهم قالوا حين احيوا سبحانك ربنا وبحمدك لا اله الا انت ثم رجعوا
الى قومهم وعاشوا دهرا طويلا وسحنة الموت على وجوههم لا يلبسون ثوبا الا عاد
دسما مثل الكفن حتى ماتوا لاجالهم التي كانت لهم قال ابن عباس وانها لتوجد اليوم
تلك الريح في ذلك السبط من اليهود قال قتادة مقتهم الله على فرارهم من الموت

فاماتهم

فاماتهم عقوبة لهم ثم بعثهم الله ليستوفوا بقية اجالهم ولو جاءت اجالهم لما بعثوا فان قلت
كيف اميت هولا مرتين في الدنيا وقد قال الله تعالى لا يذوقون فيها الموت الا
الموتة الاولى قلت ان موتهم كان عقوبة لهم كما قال قتادة وقيل ان موتهم واحياهم
كان معجزة من معجزات ذلك النبي ومعجزات الانبيا خوارق للعادات ونوادر فلا يقاس
عليها فيكون تقدير قوله الا الموتة الاولى عام مخصوص بمعجزات الانبيا فيكون تقدير
قوله الا الموتة الاولى التي ليست من معجزات الانبيا ولا من خوارق العادات وفي
هذه الاية احتجاج على اليهود ومعجزة عظيمة لنبينا صلى الله عليه وسلم حيث اخبرهم بامر
لم يشاهدوه وهم يعلمون صحة ذلك وفيه احتجاج على منكري البعث ايضا اذ قد اخبر الله
تعالى وهو الصادق في خبره انه اماتهم ثم احياهم في الدنيا فهو تعالى قادر على ان يحييهم يوم القيامة
وقوله تعالى حذر الموت اي مخافة الطاعون وكان قد نزل بهم وقيل انهم امروا بالجهاد
ففروا منه حذر الموت فقال لهم الله موتوا ويحتمل ان يكون ذلك امر تحويل فهو كقوله
كونوا قردة خاسئين ثم احياهم بعد موتهم ان الله لذو فضل على الناس يعني انه تعالى
تفضل على اولئك الذين اماتهم باحيائهم لانهم ماتوا على معصية فتفضل عليهم باعادتهم
الى الدنيا ليتوبوا وقيل هو على العموم فهو تعالى متفضل على كافة الخلق في الدنيا ويخص
المومنين بفضله يوم القيامة ولكن اكثر الناس لا يشكرون يعني ان اكثر من انعم عليه لا يشكره
اما الكافر فانه لم يشكر اصلا واما المومنون فلم يبلغوا غاية شكره قوله تعالى وقاتلوا في
سبيل الله قيل هو خطاب للذين احيوا احياهم الله ثم امرهم بالجهاد فعلى هذا القول فيه
اضمار تقديره وقيل لهم قاتلوا في سبيل الله وقيل هو خطاب لامة محمد صلى الله عليه
وسلم ومعناه لا تهربوا من الموت كما هرب هولا فلم ينفعهم ذلك ففيه تحريض
للمومنين على الجهاد واعلموا ان الله سميع يعني لما يقوله المتعلل للقتال عليم بما يضمره
قوله عز وجل من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا القرض اسم لكل ما يعطيه الانسان
ليجازى عليه فسمى الله تعالى عمل المومنين له قرضا على رجا ما وعدهم به من الثواب لانهم
يعملون لطلب الثواب وقيل القرض ما اسلفت من عمل صالح او سيء قال امية بن
ابي الصلت شعر ٭ كل امري سوف يجزى قرضه حسنا ٭ او سيئا ومدينا كالذي دانا ٭
واصل القرض في اللغة القطع سمي به لان المقرض يقطع من ماله شيا فيعطيه ليرجع
اليه مثله ومعنى الاية من ذا الذي يقدم لنفسه الى الله ما يرجو ثوابه عنده وهو
تلطف من الله تعالى في استدعا عباده الى اعمال البر والطاعة وقيل في الاية اختصار
تقديره من ذا الذي يقرض عباد الله والمحتاجين من خلقه فهو كقوله ان الذين
يوذون الله اي يوذون عباد الله وكما جا في الحديث الصحيح عن ابي هريرة قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تبارك وتعالى يوم القيامة يا ابن
ادم استطعمتك فلم تطعمني قال يا رب كيف اطعمك وانت رب العالمين

قال استطعمك عبدي فلان فلم تطعمه اما علمت انك لو اطعمته لوجدت ذلك عندي
الحديث واختلفوا في المراد بهذا القرض فقيل هو الانفاق في سبيل الله وقيل هو الصدقة
الواجبة وقيل هو صدقة التطوع لان الله تعالى سماه قرضا والقرض لا يكون الا تبرعا
ولما روى الطبري باسناده عن ابن مسعود قال لما نزلت من ذا الذي يقرض الله قرضا
حسنا قال ابو الدحداح وان الله يريد منا القرض قال النبي صلى الله عليه وسلم نعم يا
ابا الدحداح قال ناولني يدك قال فناوله يده قال فاني قد اقرضت ربي حائطي
حائطا فيه ستمائة نخلة ثم جاء يمشي الى ان اتى الحائط وام الدحداح فيه في عيالها فناداها
يا ام الدحداح قالت لبيك قال اخرجي من الحائط فاني قد اقرضته لربي زاد غيره فقال النبي
صلى الله عليه وسلم من عذق رداح لابي الدحداح وقيل في معنى يقرض الله اي ينفق
في طاعته فيدخل فيه الواجب والتطوع وهو الاقرب حسنا يعني محتسبا طيبة بها نفسه
وقيل هو الانفاق من المال الحلال في وجوه البر وقيل هو ان لا يمن بالقرض ولا يؤذي
وقيل هو الخالص لله تعالى ولا يكون فيه ريا ولا سمعة فيضاعفه له يعني ثواب ما
انفق اضعافا كثيرة وقيل هو يضاعف الى سبعمائة ضعف وقال السدي هذا التضعيف
لا يعلمه الا الله تعالى وهذا هو الاصح وانما ابهم الله ذلك لان ذكر المبهم في باب الترغيب
اقوى من ذكر المحدود والله يقبض ويبسط قيل يقبض بامساك الرزق والتقتير على من يشا
ويبسط يعني يوسع على من يشا وقيل يقبض بقبول الصدقة ويبسط بالخلف والثواب
وقيل انه تعالى لما امرهم بالصدقة وحثهم على الانفاق اخبر انه لا يمكنهم ذلك الا بتوفيقه و
ارادته واعانته والمعنى والله يقبض القلوب حتى لا تقدر على الانفاق في الطاعة وعمل
الخير ويبسط بعض القلوب حتى تقدر على فعل الطاعات والانفاق في البر عن عبد الله بن
عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان قلوب بني ادم بين
اصبعين من اصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه حيث شاء ثم قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم اللهم مصرف القلوب ثبت قلوبنا على طاعتك اخرجه مسلم وهذا الحديث من
حديث الصفات التي يجب الايمان بها والسكوت عنها وامرارها كما جاءت من غير تكييف
ولا تشبيه ولا اثبات جارحة هذا مذهب اهل السنة وسلف هذه الامة واليه ترجعون
يعني في الاخرة فيجزيكم باعمالكم قوله تعالى الم تر الى الملا من بني اسرائيل الملا اشراف القوم
ووجوههم واصله الجماعة من الناس لا واحد له من لفظه كالقوم والرهط من بعد
موسى اي من بعد موت موسى او من بعد زمنه اذ قالوا يعني اولئك الملا لنبي لهم
اختلفوا في ذلك النبي فقيل هو يوشع بن نون بن افرائيم بن يوسف بن يعقوب
وقيل هو شمعون بن صفية بن علقمة من ولد لاوي بن يعقوب وانما سمي شمعون
لان امه دعت الله تعالى ان يرزقها غلاما فاستجاب الله لها فولدت غلاما فسمته
شمعون ومعناه سمع الله دعائي وتبدل السين بالعبرانية شينا وقال اكثر

المفسرين

المفسرين هو اشمويل بن بال وقيل ابن هلقانا وقيل انه من ولد هارون ومعرفة
حقيقة ذلك النبي بعينه ليست مرادة من القصة انما المراد منها الترغيب في الجهاد
وذلك حاصل الاشارة الى القصة وكان سبب مسئلة اولئك الملا الذين لنبي
انه لما مات موسى عليه الصلاة والسلام وخلف من بعده في بني اسرائيل يوشع بن
نون يقيم فيهم امر الله ويحكم بالتوراة حتى قبضه الله ثم خلف من بعده كالب بن
يوقنا كذلك ثم حزقيل كذلك حتى قبضه الله فعظمت الاحداث بعده في بني اسرائيل
ونسوا عهد الله حتى عبدوا الاصنام فبعث الله اليهم الياس نبيا فدعاهم الى الله تعالى
وكانت الانبيا في بني اسرائيل من بعد موسى يبعثون اليهم بتجديد ما نسوا من التوراة
ويامرونهم بالعمل باحكامها ثم خلف من بعد الياس اليسع فكان فيهم ما شا الله تعالى
ثم قبضه الله تعالى ثم خلف من بعده خلوف فعظمت فيهم الخطايا وظهر لهم عدو يقال
له البلساثا وهم قوم جالوت وكانوا يسكنون ساحل بحر الروم بين مصر وفلسطين
وهم العمالقة فظهروا على بني اسرائيل وغلبوا على كثير من ارضهم وسبوا كثيرا من ذراريهم
واسروا من ابنا ملوكهم اربعمائة واربعين غلاما فضربوا عليهم الجزية واخذوا توراتهم
ولقي بنو اسرائيل منهم بلا وشدة ولم يكن لهم نبي يدبر امرهم وكان سبط النبوة قد
هلكوا كلهم الا امراة حبلى فحبسوها في بيت رهبة ان تلد جارية فتبدلها بغلام لما
ترى من رغبة بني اسرائيل في ولدها وجعلت المراة تدعو الله ان يرزقها غلاما
فولدت غلاما فسمته اشمويل ومعناه بالعربية اسماعيل تقول سمع الله دعائي
فلما كبر الولد اسلمته لتعليم التوراة في بيت المقدس وكفله شيخ من علمائهم وتبناه
فلما بلغ الغلام اتاه جبريل عليه السلام وهو نايم الى جانب الشيخ وكان الشيخ لا يامن عليه
احدا فدعاه جبريل بلحن الشيخ يا اشمويل فقام الغلام فزعا الى الشيخ وقال يا ابتاه رايتك
تدعوني فكره الشيخ ان يقول لا فيفزع الغلام فقال يا بني ارجع فنم فنام ثم دعاه الثانية
فقال الغلام دعوتني فقال نم فان دعوتك فلا تجبني فلما كانت الثالثة ظهر له جبريل
عليه السلام وقال له اذهب الى قومك فبلغهم رسالة ربك فان الله قد بعثك
فيهم نبيا فلما اتاهم كذبوه وقالوا له استعجلت بالنبوة ولم تنلك وقالوا له ان كنت
صادقا فابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله اية على نبوتك وانما كان قوام امر
بني اسرائيل بالاجتماع على الملوك وطاعة الملوك انبياهم وكان الملك هو الذي
يسير بالجموع والنبي هو الذي يقيم له امره ويشير عليه برشده وياتيه بالخبر من ربه
قال وهب فبعث الله اشمويل نبيا فلبثوا اربعين سنة باحسن حال ثم كان
من امر جالوت والعمالقة ما كان فذلك قوله تعالى ابعث لنا ملكا نقاتل في
سبيل الله جزم على جواب الامر فلما قالوا له ذلك قال يعني قال النبي هل عسيتم ان
كتب عليكم القتال يعني مع ذلك الملك هذا استفهام شك يقول لعلكم

ان كتب عليكم القتال يعني مع ذلك الملك ان لا تقاتلوا يعني لا تفوا بما قلتم وتجبنوا عن القتال
معه قالوا ومالنا ان لا نقاتل في سبيل الله فان قلت ما وجه دخول ان والعرب لا تقول
مالك ان لا تفعل ولكن تقول مالك لا تفعل كذا قلت دخول ان وحذفها لغتان صحيحتان
فالاثبات كقوله مالك ان لا تكون مع الساجدين والحذف كقوله مالكم لا تؤمنون وقيل
معناه ومالنا في ان لا نقاتل بحذف حرف الجر وقيل ان ههنا زايدة ومعناه ومالنا لا نقاتل
في سبيل الله وقد اخرجنا من ديارنا وابنائنا اخرج من غلب عليهم من ديارهم فظاهر الكلام
العموم وباطنه الخصوص لان الذين قالوا لنبيهم ابعث لنا ملكا كانوا في ديارهم وابنائهم
وانما اخرج من اسر منهم ومعنى الاية انهم قالوا لنبيهم انما تركنا الجهاد لانا كنا ممنوعين
في بلادنا لا يظهر علينا عدونا فاما اذا بلغ ذلك منا فنطيع ربنا في جهاد عدونا ونمنع نسائنا
واولادنا قال الله تعالى فلما كتب عليهم القتال في الكلام حذف تقديره فسال الله ذلك النبي
فبعث لهم ملكا وكتب عليهم القتال فلما كتب عليهم القتال تولوا اي اعرضوا عن الجهاد وضيعوا
امر الله الا قليلا منهم يعني لم يتولوا عن الجهاد وهم الذين عبروا النهر مع جالوت واقتصروا
على الغرفة على ما سياتي في قصتهم ان شاء الله تعالى والله عليم بالظالمين يعني هو عالم بمن ظلم
نفسه حين خالف امر ربه ولم يف بما قال قوله تعالى وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم
طالوت ملكا وذلك ان اشمويل سال الله عز وجل ان يبعث لهم ملكا فاتي بعصى وقرن
فيه دهن القدس وقيل له ان صاحبكم الذي يكون ملكا يكون طوله طول العصى وانظر
الى القرن الذي فيه الدهن فاذا دخل عليك رجل فنش الدهن في القرن فهو ملك
بني اسرائيل فادهن راسه بالدهن وملكه عليهم واسم طالوت بالعبرانية ساول بن
قيس من سبط بنيامين بن يعقوب وانما سمي طالوت لطوله وكان اطول من جميع
الناس براسه ومنكبيه وكان طالوت رجلا دباغا يدبغ الاديم قاله وهب وقيل كان
سقايا يستقي الماء على حمار فضل حماره فخرج يطلبه وقال وهب ضلت حمر لابي طالوت
فارسله ابوه ومعه غلام في طلبها فمر على بيت اشمويل النبي فقال الغلام لطالوت
لو دخلنا على هذا النبي فسالناه عن امر الحمر ليرشدنا او ليدعو لنا فدخلا عليه فبينما هما عنده
يذكران له حاجتهما اذ نش الدهن في القرن فقام اشمويل فقاس طالوت بالعصا
فكانت على طوله فقال لطالوت قرب راسك فقربه اليه فدهنه بدهن القدس
وقال له انت ملك بني اسرائيل الذي امرني الله ان املكك عليهم فقال طالوت
اوما علمت ان سبطي من ادنى اسباط بني اسرائيل قال بلى قال فباي اية انك
ترجع وقد وجد ابوك حمره فكان كذلك ثم قال لبني اسرائيل ان الله قد بعث لكم
طالوت ملكا وقيل انه جلس عنده وقال ايها الناس ان الله ملك طالوت
فاتت عظما بني اسرائيل الى نبيهم اشمويل وقالوا له ما شان طالوت يملك علينا
وليس هو من بيت النبوة ولا المملكة وقد عرفت ان النبوة في سبط لاوي بن

يعقوب

يعقوب والمملكة في سبط يهودا بن يعقوب فقال اشمويل ان الله قد بعث لكم
طالوت ملكا قالوا انى يكون له الملك علينا اي من اين يكون له الملك وكيف
يستحقه ونحن احق بالملك منه انما قالوا ذلك لانه كان في بني اسرائيل سبطان سبط
نبوة وسبط مملكة فسبط النبوة سبط لاوي بن يعقوب ومنه كان داود و
سليمان عليهما السلام ولم يكن طالوت من احدهما وانما كان من سبط بنيامين
بن يعقوب فلهذا السبب انكروا كونه ملكا لهم وزعموا انهم احق بالملك منه ثم
اكدوا ذلك بقولهم ولم يؤت سعة من المال يعني انه فقير والملك يحتاج الى المال
قال يعني اشمويل النبي ان الله اصطفاه عليكم اي اختاره عليكم وخصه بالملك
وفي هذه الاية دليل على بطلان قول من زعم من الشيعة ان الامامة موروثة وذلك
لان بني اسرائيل انكروا ان يكون ملكهم من لا يكون من بيت المملكة فرد الله عليهم
واعلمهم ان هذا شرط فاسد والمستحق للملك من خصه الله به وزاده بسطة اي
فضيلة وسعة في العلم وذلك انه كان من اعلم بني اسرائيل وقيل انه اوحي اليه حين
اوتي الملك وقيل هو العلم بالحرب والجسم يعني بالطول وذلك لانه كان اطول من
الناس براسه ومنكبيه وقيل بالجمال وكان طالوت من اجمل بني اسرائيل وقيل المراد
به القوة لان العلم بالحروب والقوة على الاعداء بهما فيه حفظ المملكة والله يؤتي ملكه
من يشاء يعني انه تعالى لا اعتراض عليه لاحد في فعله فيخص ملكه من يشاء من عباده
والله واسع يعني انه تعالى واسع الفضل والرزق والرحمة وسعت رحمته كل شيء ووسع
فضله ورزقه كل خلقه والمعنى انكم طعنتم في طالوت بكونه فقيرا والله واسع الفضل
والرزق فاذا فوض له الملك فتح عليه ابواب الرزق والمال من فضله وسعته وقيل
الواسع ذو السعة وهو الذي يعطي عن غنى عليم يعني انه تعالى مع قدرته على اغنائه
الفقير عالم بما يحتاج اليه في تدبير نفسه وملكه والعليم هو العالم بما يكون وبما كان
قوله عز وجل وقال لهم نبيهم ان اية ملكه ان ياتيكم التابوت وذلك انهم سالوا
اشمويل النبي فقالوا ما اية ملكه فقال ان اية ملكه ان ياتيكم التابوت وكانت
قصة التابوت على ما ذكره علماء السير والاخبار ان الله تعالى انزل على ادم عليه السلام
تابوتا فيه صورة الانبياء عليهم السلام وكان تابوتا من خشب الشمشاد طوله ثلاثة
اذرع في عرض ذراعين فكان عند ادم ثم صار الى شيث ثم توارثها اولاد ادم
الى ان بلغ الى ابراهيم عليه السلام ثم كان عند اسماعيل لانه كان اكبر اولاده ثم صار الى
يعقوب ثم كان في بني اسرائيل الى ان وصل الى موسى عليه السلام فكان يضع فيه
التوراة ومتاعا من متاعه فكان عنده الى ان مات ثم تداوله انبياء بني اسرائيل
الى وقت اشمويل وكان في التابوت ما ذكر الله وهو قوله تعالى فيه سكينة من ربكم
واختلفوا في تلك السكينة ما هي فقال علي بن ابي طالب هي ريح خجوج

هفافة لها راسان ووجه كوجه الانسان وقال مجاهد هي شي يشبه الهرة لها راس كراس الهرة
وذنب كذنب الهرة وله جناحان من زمرد وزبرجد وكانوا اذا سمعوا صوته تيقنوا النصر
فكانوا اذا خرجوا وضعوا التابوت قدامهم فاذا سار ساروا واذا وقف وقفوا وقال ابن عباس
هي طشت من ذهب من الجنة وكان يغسل فيه قلوب الانبيا وقال وهب هي روح
من الله تعالى تتكلم اذا اختلفوا في شي فتخبرهم ببيان ما يريدون وقال عطا بن رباح هي
ما يعرفون من الايات التي يسكنون اليها وقال قتادة والكلبي هي فعيلة من السكون اي طمانينة
من ربكم في اي مكان كان التابوت اطمانوا وسكنوا اليه وهذا القول اولى بالصحة فعلى هذا
كل شي كانوا يسكنون اليه فهو سكينة ولم يرد فيه نص صريح فلا يجوز تصويب قول وتضعيف
اخر وقوله تعالى وبقية مما ترك ال موسى وال هارون تحمله الملائكة يعني موسى وهارون انفسهما
بدليل قوله صلى الله عليه وسلم لابي موسى الاشعري لقد اوتيت مزمارا من مزامير ال داود فالمراد
به داود نفسه واختلفوا في تلك البقية التي ترك ال موسى وال هارون فقيل هي رضاض
من الالواح وعصا موسى وعصا هارون وشي من الواح التوراة وكتب العلم والتوراة
وقيل كان فيه عصا موسى ونعلاه وعصا هارون وعمامته وقفيز من المن الذي كان ينزل
على بني اسرايل فكان التابوت عند بني اسرايل يتوارثونه قرنا بعد قرن وكانوا اذا اختلفوا
في شي تحاكموا اليه فيتكلم ويحكم بينهم وكانوا اذا حضروا القتال قدموه بين ايديهم يستفتحون
به على عدوهم فينصرون فلما عصوا وافسدوا سلط الله عز وجل عليهم العمالقة فغلبوهم
على التابوت واخذوه منهم وكان السبب في ذلك انه كان لعيلى وهو الشيخ الذي ربى
اشمويل ابنان وكان عيلى حبر بني اسرايل وصاحب قربانهم في زمنه فاحدث ابناه في
القربان شيا لم يكن فيه وذلك انه كان مسوط القربان الذي يسوطونه به كلابين
فلما اوجا كان للكاهن الذي كان يسوطه فجعل ابناه كلاليب وكان النسا يصلين
في بيت المقدس فيتشبثان بهن فاوحى الله الى اشمويل ان انطلق الى عيلى وقل
له منعك حب الولد من ان تزجر ابنيك عن ان يحدثا في قرباني وقدسي شيا
وان يعصياني فلانزعن الكهانة منك ومن ولدك ولاهلكنك واياهما فاخبر
اشمويل بذلك ففزع وسار اليهم عدو ممن حولهم فامر عيلى ابنيه ان يخرجا بالناس
فيقاتلان ذلك العدو فخرجا واخرجا معهما التابوت فلما تهيئوا للقتال جعل
عيلى يتوقع الخبر فجاءه رجل ان الناس قد انهزموا وقد قتل ابناه قال فما فعل التابوت
قال اخذه العدو وكان عيلى قاعدا على كرسيه فشهق ووقع على قفاه فمات
فمرج امر بني اسرايل وتفرقوا الى ان بعث الله طالوت ملكا فسالوا اشمويل
البينة على صحة ملك طالوت فقال لهم نبيهم يعني اشمويل ان اية ملكه يعني
علامة ملكه التي تدل على صحته ان ياتيكم التابوت وكانت قصة رجوع التابوت
على ما ذكر اصحاب الاخبار ان الذين اخذوا التابوت من بني اسرايل اتوا به

قرية من قرى فلسطين يقال لها ازدود فجعلوه في بيت اصنام لهم ووضعوه تحت
الصنم الاعظم فاصبحوا من الغد والصنم تحته فاخذوه ووضعوه فوقه وسمروا
قدمي الصنم على التابوت فاصبحوا وقد قطعت يد الصنم ورجلاه واصبح الصنم ملقى
تحت التابوت واصبحت اصنامهم منكسة فاخرجوا التابوت من بيت الاصنام
ووضعوه في ناحية من مدينتهم فاخذ اهل تلك الناحية وجع في اعناقهم حتى هلك
اكثرهم فقال بعضهم لبعض اليس قد علمتم ان اله بني اسرايل لا يقوم له شي فاخرجوه
الى قرية اخرى فبعث الله على اهل تلك الناحية فارا فكانت الفارة تبيت مع
الرجل فيصبح ميتا قد اكلت ما في جوفه فاخرجوه الى الصحرا ودفنوه في مخراة لهم فكان
كل من تبرز منهم هناك اخذه الباسور والقولنج فتحيروا فيه فقالت لهم امراة
من بني اسرايل كانت عندهم وهي من بنات الانبيا لا تزالون ترون ما تكرهون
ما دام هذا التابوت فيكم فاخرجوه منكم فاتوا بعجلة باشارة تلك المراة وحملوا
عليها التابوت ثم علقوها على ثورين وضربوا جنوبهما فاقبل الثوران يسيران
ووكل الله بالثورين اربعة املاك يسوقونهما فاقبلا حتى وقفا على ارض بني اسرايل
فكسرا نيريهما وقطعا حبالهما ووضع التابوت في ارض فيها حصاد لبني اسرايل
ورجعا الى ارضهما فلم يرع بني اسرايل الا والتابوت عندهم فكبروا وحمدوا الله
وقال ابن عباس جاءت الملائكة بالتابوت تحمله بين السما والارض وهم ينظرون
اليه حتى وضعته عند طالوت وقال الحسن كان التابوت مع الملائكة في السما
فلما ولي طالوت الملك حملته الملائكة ووضعته بينهم وقال قتادة بل كان
التابوت في التيه خلفه موسى عند يوشع بن نون فبقي هناك فاقبلت الملائكة
تحمله حتى وضعته في دار طالوت فاصبح في داره فاقروا بملكه ان في ذلك
لاية لكم يعني قال لهم نبيهم اشمويل ان مجي التابوت تحمله الملائكة لاية لكم يعني
علامة ودلالة على صدقي فيما اخبرتكم به ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا
ان كنتم مؤمنين يعني مصدقين بذلك قال المفسرون فلما جاءهم التابوت واقروا
بالملك لطالوت تاهب للخروج الى الجهاد فاسرعوا في طاعته وخرجوا معه فذلك
قوله تعالى فلما فصل طالوت بالجنود اي خرج واصل الفصل القطع يعني قطع مستقره
شاخصا الى غيره فخرج طالوت من بيت المقدس بالجنود وهم سبعون الف مقاتل
وقيل ثمانون الفا وقيل مائة وعشرون الفا ولم يتخلف عنه الا كبير لكبره او مريض
لمرضه او معذور لعذره وذلك انهم لما راوا التابوت لم يشكوا في النصر فتسارعوا
الى الخروج في الجهاد وكان مسيرهم في حر شديد فشكوا الى طالوت قلة الما بينهم
وبين عدوهم وقالوا ان المياه لا تحملنا فادع الله ان يجري لنا نهرا فقال
طالوت ان الله مبتليكم بنهر اي مختبركم به ليتبين طاعتكم وهو اعلم بذلك قال ابن

عباس هو نهر فلسطين وقيل هو نهر عذب بين الاردن وفلسطين فمن شرب منه فليس
مني اي فليس من اهل ديني وطاعتي ومن لم يطعمه اي لم يذقه يعني الما فانه مني يعني من اهل
طاعتي الا من اغترف غرفة بيده قري بفتح الغين وضمها الغتان وقيل الغرفة بالضم الذي
يحصل في الكف من الما والغرفة بالفتح الاغتراف فالضم اسم والفتح مصدر فشربوا منه يعني
من النهر الا قليلا منهم قيل هو اربعة الاف لم يشربوا منه وقيل ثلثمائة وبضعة عشر رجلا وهو
الصحيح ويدل على ذلك ما روي عن البرا بن عازب قال كان اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم يتحدثون
ان عدة اصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر ولم يجاوز معه الا مومن بضعة عشر وثلثمائة
اخرجه البخاري قيل البضع هنا ثلاثة عشر فلما وصلوا الى النهر القي عليهم العطش فشرب منه
الكل الا هذا العدد القليل وكان من اغترف منه غرفة كما امره الله كفته لشربه وشرب دوابه
وقوي قلبه وصح وعبر النهر سالما والذين شربوا منه وخالفوا امر الله تعالى اسودت شفاههم
وغلبهم العطش ولم يرووا واجبنوا وبقوا على شط النهر ولم يجاوزوه وقيل جاوزوا كلهم
ولكن الذين شربوا لم يحضروا القتال وانما قاتل اولئك القليل الذين لم يشربوا وهو قوله تعالى
فلما جاوزه هو يعني جاوز النهر طالوت والذين امنوا معه يعني اولئك القليل قالوا الذين
شربوا من النهر وخالفوا امر الله تعالى وكانوا اهل شك ونفاق فعلى هذا يكون قد جاوز النهر
مع طالوت المومن والمنافق والطايع والعاصي فلما راوا العدو قال المنافقون لا طاقة
لنا اليوم بجالوت وجنوده فاجابهم المومنون بقولهم كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة
وقيل لم يجاوز النهر مع طالوت الا المومنين خاصة لقوله تعالى فلما جاوزه هو والذين
امنوا معه فان قلت فعلى هذا القول من القايل لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده
قلت يحتمل ان يكون اهل الايمان وهم الثلثماية وبضعة عشر انقسموا الى قسمين حين
راوا العدو وقسم قالوا لما راوا العدو وكثرته وقلة المومنين لا طاقة لنا اليوم بجالوت
وجنوده فاجابهم القسم الاخر بقولهم كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله
مع الصابرين ومعنى لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده قال الذين يظنون اي يستيقنون
ويعلمون انهم ملاقوا الله اي ملاقوا ثواب الله ورضوانه في الدار الاخرة كم من فئة
قليلة الفئة الجماعة لا واحد له من لفظه كالرهط غلبت فئة كثيرة باذن الله اي بقضايه
وارادته والله مع الصابرين يعني بالنصر والمعونة قوله عز وجل ولما برزوا يعني طالوت وجنوده
المومنون لجالوت وجنوده يعني المشركين ومعنى برزوا صاروا بالبراز من الارض وهو
ما ظهر واستوى منها قالوا يعني المومنين اصحاب طالوت ربنا افرغ اي اصبب علينا
صبرا وثبت اقدامنا اي قوي قلوبنا بالتثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين وذلك
ان جالوت وقومه كانوا يعبدون الاصنام فسال المومنون الله ان ينصرهم على القوم
الكافرين فهزموهم باذن الله يعني ان الله تعالى استجاب دعا المومنين وافرغ عليهم الصبر
وثبت اقدامهم ونصرهم على القوم الكافرين حين التقوا فهزموهم باذن الله يعني بقضايه

وارادته واصل الهزم في اللغة الكسر اي كسروهم وردوهم وقتل داود جالوت وكان
قصة قتله على ما ذكر اهل التفسير واصحاب الاخبار انه عبر النهر فيمن عبر مع طالوت
ايشا ابو داود في ثلاثة عشر ابنا له وكان داود اصغرهم وكان يرمي بالقذافة فقال
داود لابيه يوما يا ابتاه ما ارمي بقذافتي شيا الا صرعته فقال له ابوه ابشر يا بني
فان الله تعالى قد جعل رزقك في قذافتك ثم اتاه مرة اخرى فقال يا ابتاه لقد
دخلت بين الجبال فوجدت اسدا رابضا فركبته فاخذت باذنه فلم يهجني فقال
له ابوه ابشر يا بني فان هذا خير يريده الله بك ثم اتاه يوما اخر فقال يا ابتاه اني
لامشي بين الجبال فاسبح فما يبقى جبل الا يسبح معي قال يا بني ابشر فان هذا خير
اعطاكه الله تعالى قالوا فارسل جالوت الجبار الى طالوت ملك بني اسرايل ان ابرز
الي او ابرز اليك او ابرز الي من يقاتلني فان قتلني فلكم ملكي وان قتلته فلي
ملككم فشق ذلك على طالوت ونادى في عسكره من قتل جالوت زوجته ابنتي
وناصفته ملكي فهاب الناس جالوت فلم يجبه احد فسال طالوت نبيهم
ان يدعو الله فدعا الله في ذلك فاتي بقرن فيه دهن القدس وتنور حديد
وقيل له ان صاحبكم الذي يقتل جالوت هو الذي اذا وضع هذا القرن على
راسه غلى حتى يدهن به منه راسه ولا يسيل على وجهه بل يكون على راسه كهيئة
الاكليل ويدخل في هذا التنور فيملاه ولا يتقلقل فيه فدعا طالوت بني اسرايل
وجربهم فلم يوافقه احد منهم فاوحى الله تعالى الى نبيهم ان في ولد ايشا من يقتل
جالوت فدعا طالوت ايشا وقال له اعرض علي بنيك فاخرج له اثني عشر رجلا امثال
السواري فجعل يعرض واحدا واحدا على القرن فلا يرى شيا فقال لايشا هل بقي لك
ولد غيرهم قال لا فقال النبي يا رب انه قد زعم ان لا غيرهم فقال له كذب فقال النبي ان   ولد له حو
ربي قد كذبك فقال ايشا صدق ربي يا نبي الله ان لي ولدا صغيرا يقال له
داود استحييت ان يراه الناس لقصر قامته وحقارته فخلفته في الغنم يرعاها وهو في
شعب كذا وكان داود عليه السلام رجلا قصيرا سقاما ازرق مصعوا فدعا به
طالوت ويقال انه خرج اليه فوجده في الوادي وقد سال الوادي ما وهو يحمل
شاتين يعبر بهما السيل الى الزريبة التي يريحهما فيها عنه فلما راه طالوت قال هذا
هو الرجل المطلوب لا شك فيه فهذا يرحم البهايم فهو بالناس ارحم فدعاه طالوت
ووضع القرن على راسه ففاض فقال له طالوت هل لك ان تقتل جالوت
وازوجك ابنتي واجري خاتمك في ملكي قال نعم فقال له هل انست من نفسك شيا تتقوى به على   خاتمک فی ملکی قال نعم فقال له هل انست من نفسک شیا تتقوی به علی حو
قتله قال نعم اني ارعى الغنم فيجي الاسد او النمر او الذيب
فياخذ شاة من الغنم فاقوم فافتح لحييه عنها واخرجها من قفاه فاخذ طالوت
داود ورده الى العسكر فمر داود عليه السلام في طريقه بحجر فناداه يا داود احملني
فاني حجر هارون فحمله ثم مر بحجر اخر فقال له يا داود احملني فاني حجر موسى فحمله

ثم امر بحجر اخر فقال يا داود احملني فاني حجرك الذي تقتل به جالوت فحمله فوضع الثلاثة في مخلاته
فلما رجع طالوت الى العسكر ومعه داود وتصافوا للقتال برز جالوت لطلب المبارزة
فانتدب له داود عليه السلام فاعطاه طالوت فرسا وسلاحا فلبس السلاح وركب
الفرس وسار قريبا ثم رجع الى طالوت فقال من حوله جبن الغلام فجا فوقف على
طالوت فقال له ما شانك فقال له داود عليه السلام ان لم ينصرني الله لم يغن هذا السلاح
عني شيا وان نصرني فلا حاجة لي به فدعني اقاتل كما اريد قال نعم واخذ داود مخلاته
وتقلدها واخذ المقلاع بيده ومضى نحو جالوت وكان جالوت من اشد الناس واقواهم
وكان يهزم الجيوش وحده وكان بيضته حديد وزنها ثلثماية رطل فلما نظر الى داود
وهو بيده وقع الرعب في قلبه فقال له جالوت وانت تبرز لي قال نعم وكان جالوت
على فرس ابلق عليه السلاح التام فقال اتيتني بالمقلاع والحجر كما يوتى الكلب قال نعم
انت شر من الكلب قال جالوت لا جرم لاقسمن لحمك بين سباع الارض وطير السما
فقال داود عليه السلام او يقسم الله لحمك ثم قال داود بسم اله ابرهيم واخرج حجرا ثم قال
بسم اله اسحاق واخرج حجرا ثم قال بسم اله يعقوب واخرج حجرا ووضعها في مقلاعه وصارت
الثلاثة حجرا واحدا وادار داود المقلاع ورمى به جالوت فسخر له الريح فحملت الحجر
حتى اصابت انف البيضة فخلط دماغ جالوت وخرج من قفاه وقتل من ورائه ثلثين
رجلا وخر جالوت صريعا قتيلا فاخذه داود يجره حتى القاه بين يدي طالوت ففرح
بنوا اسرايل بذلك فرحا شديدا وانهزم الله الجيش فرجع طالوت بالناس الى المدينة
سالمين غانمين وجعل الناس يذكرون داود فجا داود الى طالوت وقال له انجز لي
ما وعدتني به فقال اتريد ابنة الملك بغير صداق فقال داود ما شرطت علي صداقا
وليس لي شي فقال لا اكلفك الا ما تطيق انت رجل جري وفي جبالنا اعدا لنا غلف
فان قتلت منهم مايتي رجل وجيتني بغلفهم زوجتك ابنتي فاتاهم فجعل كلما قتل
منهم نظم غلفته في خيط حتى نظم مايتي غلفة فجا بها الى طالوت والقاها بين يديه
وقال ادفع الي امراتي فزوجه ابنته واجرى خاتمه في ملكه فمال الناس الى داود واحبوه
واكثروا ذكره فحسده طالوت واراد قتله فاخبر بذلك ابنة طالوت يقال لها ذوا
العينين فاخبرت بذلك داود وقالت له انك مقتول الليلة قال ومن يقتلني قالت
ابي قال وهل اجرمت جرما يوجب القتل قالت حدثني بذلك من لا يكذب ولا عليك
ان تغيب الليلة حتى تنظر مصداق ذلك قال ان كان يريد ذلك فلا استطيع خروجا
ولكن ايتيني بزق خمر فاتته به فوضعه في مضجعه على سريره وسجاه ودخل داود
تحت السرير فدخل طالوت نصف الليل فقال لابنته اين بعلك قالت هو نايم
على سريره فضربه بالسيف فسال الخمر فلما وجد ريح الخمر قال رحم الله داود ما اكثر
شربه للخمر وخرج فلما اصبح علم انه لم يفعل شيا فقال ان رجلا طلبت منه ما طلبت

لحقيق

لحقيق ان لا يدعني حتى يدرك ثاره مني فاشتد حجابه وحراسته واغلق
دونه ابوابه ثم ان داود اتاه ليلة وقد هدات العيون واعمى الله عنه الحجبة
ففتح الابواب ودخل عليه وهو نايم على فراشه فوضع سهما عند راسه وسهما
عند رجليه وسهما عن يمينه وسهما عن شماله وخرج فاستيقظ طالوت فبصر
بالسهام فعرفها فقال يرحم الله داود هو خير مني ظفرت به فقصدت قتله وظفر بي
فكف عني ولو شا لوضع هذا السهم في حلقي وما انا بالذي امنه فلما كان من
الليلة القابلة اتاه ثانيا فاعمى الله عنه الحجاب فدخل عليه وهو نايم فاخذ ابريق وضوئه
وكوزه الذي يشرب منه وقطع شعرات من لحيته وشيا من طرف ثوبه ثم خرج وتوارى
فلما اصبح طالوت وراى ذلك سلط على داود العيون وطلبه اشد الطلب فلم يقدر
عليه ثم ان طالوت ركب يوما فوجد داود يمشي في البرية فقال اليوم اقتله وركض
في اثره فاشتد داود وكان اذا فزع لم يدرك فدخل غارا فاوحى الله
الى العنكبوت فنسجت عليه فلما انتهى طالوت الى الغار ونظر الى بنا العنكبوت
قال لو كان دخل هنا لتخرق هذا النسج وانطلق طالوت وتركه فخرج داود حتى اتى
جبل المتعبدين معهم وطعن العلما والعباد على طالوت في شان داود فجعل
طالوت لا ينهاه احد عن قتل داود الا قتله فقتل خلقا كثيرا من العباد والعلما
حتى اتى بامراة تعلم الاسم الاعظم فامر خبازه ليقتلها فرحمها الخباز فلم يقتلها وقال
لعلنا نحتاج الى عالم فتركها ثم وقع في قلب طالوت التوبة والندم على ما فعل
واقبل على البكا حتى رحمه الناس وكان كل ليلة يخرج الى القبور ويبكي وينادي انشد
الله عبدا يعلم لي توبة الا اخبرني بها فلما اكثر ذلك منه ناداه مناد من القبور يا طالو
اما رضيت انك قتلتنا حتى توذينا امواتا فازداد حزنا وبكا فوجد الخباز الى طالوت
لما راى من حاله قال ما لك ايها الملك فاخبره وقال هل لي تعلم توبة او تعلم في الارض
عالما اساله عن توبتي فقال الخباز ايها الملك ان دللتك على عالم يوشك ان تقتله
فقال لا فتوثق منه باليمين فاخبره ان تلك المراة العالمة عنده فقال انطلق بي اليها
لاسالها عن توبتي قال نعم فانطلق به فلما قربا من الباب قال له الخباز ايها الملك
انها اذا راتك فزعت ولكن ايت خلفي فلما دخلا عليها قال لها الخباز يا هذه الست
تعلمين حقي عليك قالت بلى قال فان لي اليك حاجة فتقضينها قالت نعم قال هذا
طالوت قد جاك يسال هل له من توبة فلما سمعت بذكر طالوت غشي عليها فلما
افاقت قالت والله لا اعلم له توبة ولكن دلوني على قبر نبي فانطلقوا بها الى قبر
اشمويل فوقفت عليه ودعت وكانت تعلم الاسم الاعظم ثم نادت يا صاحب
القبر فخرج ينفض التراب عن راسه فلما نظر الى ثلاثتهم قال ما لكم اقامت القيامة
قالت المراة لا ولكن هذا طالوت قد جاك يسالك هل له من توبة فقال اشمويل

يا طالوت ما فعلت بعدي قال لم ادع من الشر شيئا الا فعلته وجئت اطلب التوبة
فقال اشمويل يا طالوت كم لك من الولد قال عشرة رجال قال ما اعلم لك توبة
الا ان تتخلى من ملكك وتخرج انت وولدك في سبيل الله ثم تقدم ولدك حتى يقتلوا
بين يديك ثم تقاتل انت حتى تقتل اخرهم ثم ان اشمويل سقط ميتا ورجع طالوت
احزن ما كان رهبة ان لا يتابعه بنوه على ما يريد وكان قد بكى حتى سقطت
اشفار عينيه ونحل جسمه فجمع اولاده وقال لهم ارايتم لو دفعت الى النار هل كنتم
تنقذوني منها فقالوا بلى ننقذك بما نقدر عليه قال فانها النار ان لم تفعلوا ما امركم
به قالوا اعرض علينا ما اردت فذكر لهم القصة قالوا وانك لمقتول قال نعم قالوا فلا خير
لنا في الحيوة بعدك قد طابت انفسنا بالذي سالت فتجهز هو وولده وخرج طالوت
مجاهدا في سبيل الله فتقدم اولاده فقاتلوا حتى قتلوا ثم شد هو من بعدهم فقاتل حتى
قتل وجاء قاتل طالوت الى داود فبشره بقتله وقال له قد قتلت عدوك فقال
داود ما انت بباق بعده وقتله فكان ملك طالوت الى ان قتل مدة اربعين سنة
واتى بنو اسرائيل الى داود فملكوه عليهم واعطوه خزاين طالوت قال الكلبي والضحاك
ملك داود بعد قتل جالوت سبع سنين ولم يجتمع بنو اسرائيل على ملك واحد الا على داود
فذلك قوله تعالى واتاه الله الملك والحكمة يعني النبوة جمع الله لداود بين الملك والنبوة
ولم يكن كذلك من قبل بل كانت النبوة في سبط والملك في سبط وقيل الحكمة هي العلم
مع العمل به وعلمه مما يشاء اي وعلم داود صنعة الدروع فكان يصنعها ويبيعها وكان
لا ياكل الا من عمل يده وقيل علمه منطق الطير وقيل علمه الزبور وقيل هو صوت الطيب والالحان
ولم يعط الله احدا من خلقه مثل صوت داود فكان اذا قرا الزبور تدنو منه الوحوش
حتى توخذ باعناقها وتظله الطير مصيخة له ويركض الماء الجاري وتسكن الريح عند قراته
وقيل علمه سياسة الملك وضبطه وذلك لانه لم يكن من بيت الملك حتى تعلمه من ابائه
وقال ابن عباس هو ان الله اعطاه سلسلة موصولة بالمجرة وراسها عند صومعته قوتها
قوة الحديد ولونها لون النور وحلقها مستديرة مفصلة بالجوهر مدسرة بقضبان اللؤلؤ
الرطب فكان لا يحدث في الهوى حدث الا صلصلت السلسلة فيعلم داود ذلك
الحدث ولا يمسها ذو عاهة الا برئ وكانوا يتحاكمون اليها بعد داود الى ان رفعت
فمن تعدى على صاحبه او انكره حقا اوتي السلسلة فمن كان صادقا مد يده
الى السلسلة فنالها ومن كان كاذبا لم ينلها فكانت كذلك الى ان ظهر فيهم المكر
والخبث فبلغنا ان بعض ملوكهم اودع رجلا جوهرة ثمينة فلما طلبها بالوديعة انكره
اياها فتحاكما الى السلسلة فعمد الذي عنده الجوهرة الى عكازة فنقرها وجعل الجوهرة
فيها واعتمد عليها حتى اتيا السلسلة فقال صاحب الجوهرة رد علي الوديعة فقال
صاحبه ما اعرف لك عندي وديعة فان كنت صادقا فتناول السلسلة فتناولها

بيده وقيل

بيده وقيل للمنكر قم انت ايضا فتناولها فقال لصاحب الجوهرة امسك عكازتي
فاخذه الرجل منه وقام المنكر الى السلسلة وقال اللهم ان كنت تعلم ان الوديعة
التي يدعيها قد وصلت اليه فقرب السلسلة مني ومد يده فتناولها فتعجب
القوم من ذلك وشكوا فيها فاصبحوا وقد رفع الله السلسلة قوله تعالى ولولا
دفع الله الناس بعضهم ببعض يعني ولولا ان الله يدفع ببعض الناس وهم
اهل الايمان والطاعة له بعضا وهم اهل الكفر والمعاصي قال ابن عباس ولولا دفع
الله بجنود المسلمين لغلب المشركون على الارض فقتلوا المومنين وخربوا المساجد
والبلاد وقيل معناه ولولا دفع الله بالمومنين والابرار عن الكفار والفجار لفسدت
الارض يعني لهلكت بمن فيها ولكن يدفع الله بالمومن عن الكافر وبالصالح عن
الفاجر روى احمد بن حنبل عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله
ليدفع بالمسلم الصالح عن ماية اهل بيت من جيرانه البلاء ثم قرا ولولا دفع الله
الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض ولكن الله ذو فضل على العالمين يعني ان
دفع الفساد بهذا الطريق انعام وافضال عم الناس كلهم تلك ايات الله يعني القصص
التي اقتصها من حديث الالوف واماتتهم واحيايهم وتمليك طالوت واظهاره بالاية
وهي التابوت واهلاك الجبابرة على يد صبي نتلوها عليك بالحق اي باليقين الذي لا يشك
فيه اهل الكتاب لانه في كتبهم وانك لمن المرسلين يعني حيث تخبر بهذه الاخبار العجيبة
والقصص القديمة من غير ان تعرف بقراءة كتاب ولا سماع اخبار فدل ذلك على انك من
المرسلين وان الذي تخبر به وحي من الله تعالى قوله عز وجل تلك الرسل يعني جماعة الرسل
الذين تقدم ذكرهم في هذه السورة فضلنا بعضهم على بعض فيه دليل على زوال الشبهة لمن
اوجب التسوية بين الانبياء والفضيلة لاستوائهم في القيام بالرسالة واجمعت الامة على ان
الانبياء بعضهم افضل من بعض وان نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم افضلهم لعموم رسالته وهو
قوله تعالى وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا منهم من الرسل من كلم الله اي كلمه الله وهو
موسى عليه السلام ورفع بعضهم درجات يعني محمدا صلى الله عليه وسلم رفع الله منصبه ومرتبته على كافة
ساير الانبياء بما فضله عليهم من الايات البينات والمعجزات الباهرات فما اوتي نبي من الانبياء اية
او معجزة الا واوتي نبينا محمد صلى الله عليه وسلم مثل ذلك وفضل محمد صلى الله عليه وسلم على غيره
من الانبياء بايات ومعجزات اخر مثل انشقاق القمر باشارته وحنين الجذع اليه عند مفارقته وتسليم
الحجر والشجر عليه وكلام البهايم له بشهادة برسالته ونبع الماء من بين اصابعه وغير ذلك من
الايات التي لا تحصى كثرة واعظمها واظهرها معجزة واية القران العظيم الذي عجز اهل الارض عن معارضته
والاتيان بمثله فهو معجزة باقية الى يوم القيامة ق عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ما من نبي من الانبياء الا وقد اعطي من الايات ما مثله امن عليه البشر وانما كان الذي
اوتيته وحيا اوحاه الله الي فارجو ان اكون اكثرهم تابعا يوم القيامة ق عن جابر قال قال

رسول الله صلى الله عليه وسلم اعطيت خمسا لم يعطهن احد من الانبيا قبلي نصرت بالرعب
مسيرة شهر وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا فايما رجل من امتي ادركته الصلاة فليصل واحلت لي
الغنايم ولم تحل لاحد قبلي واعطيت الشفاعة وكان النبي يبعث الى قومه خاصة وبعثت
للناس عامة م عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فضلت على الانبيا بست
اعطيت جوامع الكلم ونصرت بالرعب واحلت لي الغنايم وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا
وارسلت الى الخلايق كافة وختم بي النبوة فان قلت لما ذكره على سبيل الرمز والاشارة ولم
يصرح باسمه صلى الله عليه وسلم قلت في هذا الرمز والابهام من تفخيم فضله واعلا قدره صلى
الله عليه وسلم ما لا يخفى بما فيه من الشهادة بانه العلم الذي لا يشتبه ولا يلتبس ومنه ما يقول
الرجل وقد فعل شيا فعله بعضكم واحدكم ويريد نفسه فيكون افخم من التصريح به كما سئل
الحطيئة عن اشعر الناس فذكر زهيرا والنابغة ثم قال ولو شيت لذكرت الثالث اراد نفسه
وقوله تعالى واتينا عيسى بن مريم البينات يعني الحجج والادلة الباهرة والمعجزات الظاهرة على نبوته
مثل ابرا الاكمه والابرص واحيا الموتى وايدناه بروح القدس اي وقويناه بجبريل عليه السلام
فكان معه الى ان رفعه الى السما السابعة فان قلت لم خص موسى وعيسى بالذكر من بين
ساير الانبيا قلت لما اوتيا من الايات العظيمة والمعجزات الباهرة ولقد بين الله تعالى وجه
التفضيل حيث جعل التكليم من الفضل وهو اية عظيمة ايضا فلما اوتي موسى وعيسى
من الايات العظيمة خصا بالذكر في باب التفضيل فعلى هذا كل من كان من الانبيا اعظم ايات
واكثر معجزات كان افضل ولهذا احرز نبينا صلى الله عليه وسلم قصبات السبق في الفضل لانه
اعظم الانبيا ايات واكثرهم معجزات فهو افضلهم صلى الله عليه وسلم وعليهم اجمعين ولو شا الله
اي ولو اراد الله واصل المشية الارادة ما اقتتل الذين من بعدهم يعني بعد الرسل الذين
وصفهم الله من بعد ما جاتهم البينات اي الدلالات الواضحات من الله بما فيه مزدجر لمن هداه
الله ووفقه ولكن اختلفوا يعني اختلف هولا الذين من بعد الرسل فمنهم من امن اي ثبت
على ايمانه بالله ورسوله بفضل الله ومنهم من كفر اي ومنهم من نقض الكفر بعد قيام الحجة
وبعثة الرسل ولو شا الله ما اقتتلوا يعني ولو اراد الله ان يحجزهم عن الاقتتال والاختلاف
لحجزهم عن ذلك ولكن الله يفعل ما يريد يعني انه تعالى يوفق من يشا لطاعته والايمان
به فضلا ورحمة ويخذل من يشا عدلا منه لا اعتراض عليه في ملكه وفعله سئل رجل
علي بن ابي طالب رضي الله عنه عن القدر فقال يا امير المومنين اخبرني عن القدر
فقال طريق مظلم فلا تسلكه فاعاد السوال فقال بحر عميق فلا تلجه فاعاد السوال فقال
سر الله قد خفي عليك فلا تفتشه قوله تعالى يا ايها الذين امنوا انفقوا مما رزقناكم
قيل اراد به الزكاة الواجبة وقيل اراد به الصدقة التطوع والانفاق في وجوه
الخير من قبل ان ياتي يوم لا بيع فيه اي لا فدية فيه وانما سماه بيعا لان الفدا
شرا النفس من الهلاك والمعنى قدموا لانفسكم اليوم من اموالكم من قبل ان ياتي

يوم لا

يوم لا تجارة فيه فيكتسب الانسان ما يفتدي به من العذاب ولا خلة اي ولا مودة
ولا صداقة ولا شفاعة وظاهر هذا يقتضي نفي الخلة والشفاعة وقد دلت النصوص
على ثبوت المودة والشفاعة بين المومنين فيكون هذا عام مخصوص والكافرون
هم الظالمون لانهم وضعوا العبادة في غير موضعها الله لا اله الا هو الحي القيوم
فصل في فضل هذه الاية الكريمة عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال لكل شي سنام وان سنام القران البقرة وفيها اية هي سيدة اي القران اية الكرسي
اخرجه الترمذي قوله لكل شي سنام سنام كل شي اعلاه تشبيها بسنام البعير فالمراد
منه تعظيم هذه السورة والسيد الفاضل الشريف والكريم واصله من ساد يسود وقوله
هي سيدة اي القران اي افضله م عن ابي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم يا ابا المنذر اتدري اي اية من كتاب الله معك اعظم قلت الله لا اله الا هو الحي القيوم
فضرب في صدري وقال ليهنك العلم ابا المنذر عن واثلة بن الاسقع ان النبي صلى الله
عليه وسلم جاهم في صفة المهاجرين فساله انسان اي اية في القران اعظم فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم الله لا اله الا هو الحي القيوم اخرجه ابو داود وقال العلما انما تميزت اية
الكرسي بكونها اعظم اية في القران لما جمعت من اصول الاسما والصفات وذلك لان
الله تعالى اعظم مذكور فما كان ذكرا له من توحيد وتعظيم كان اعظم الاذكار وفي هذا
الحديث حجة لمن يقول بجواز تفضيل بعض القران على بعض وتفضيله على ساير كتب
الله المنزلة ومنع من جواز تفضيل بعض القران ابو الحسن الاشعري وابو بكر الباقلاني
قالا لان تفضيل بعضه على بعض يقتضي نقص المفضول وليس في كلام الله عز وجل نقص
وتاول هولا ما ورد من اطلاق لفظ اعظم وافضل في بعض الايات او السور بمعنى
عظيم وفاضل ومن اجاز تفضيل بعض القران على بعض من العلما والمتكلمين قالوا
هذا التفضيل هو راجع الى عظم اجر القاري وجزيل ثوابه وقول ان هذه الاية او هذه
السورة اعظم او افضل يعني ان الثواب المتعلق بها اكثر وهذا هو المختار والله اعلم
عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا حين يصبح اية الكرسي
وايتين من اول حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم حفظ يومه ذلك حتى يمسي
ومن قراها حين يمسي حفظ ليلته تلك حتى يصبح اخرجه الترمذي وقال حديث غريب
واما التفسير فقوله عز وجل الله لا اله الا هو نفي الالهية كل اله سواه واثبت الالهية
له سبحانه وتعالى فهو كقولك لا كريم الا زيد فانه ابلغ من قولك زيد كريم الحي يعني الباقي
على الابد الدايم بلا زوال والحي في صفة الله هو الذي لم يزل موجودا وبالحياة موصوفا
لم تحدث له الحياة بعد موت ولا يعترضه الموت بعد حياة وساير الاحيا سواه
يعتريهم الموت والعدم فكل شي هالك الا وجهه سبحانه وتعالى القيوم قال مجاهد
القيوم القايم على كل شي وتاويله انه تعالى قايم بتدبير خلقه في ايجادهم وارزاقهم وجميع

ما يحتاج اليه وقيل هو القايم الدايم بلا زوال الموجود الذي يمتنع عليه التغير وقيل هو القايم
على كل نفس بما كسبت والقيوم معقول من القيام وهو نعت للقايم على الشي لا تاخذه سنة
ولا نوم السنة ما يتقدم من النوم والفتور يسمى نعاسا وهو النوم الخفيف والوسنان
بين النايم واليقظان والنوم هو الثقيل المزيل للعقل والقوة وقيل السنة في الراس والنعاس
في العين والنوم في القلب فالسنة هي اول النوم والنوم هو غشية ثقيلة تقع على القلب
تمنع المعرفة بالاشيا والمعنى لا تاخذه سنة فضلا عن ان ياخذه نوم لان النوم والسهو والغفلة
محال على الله تعالى لان هذه الاشيا عبارة عن عدم العلم وذلك نقص وافة والله تعالى
منزه عن النقص والافات ولان ذلك تغير والله تعالى منزه عن التغير م عن ابي موسى الاشعري
قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيبا بخمس كلمات فقال ان الله عز وجل لا ينام
ولا ينبغي له ان ينام يخفض القسط ويرفعه يرفع اليه عمل الليل قبل عمل النهار وعمل النهار
قبل عمل الليل حجابه النور وفي رواية النار لو كشفه لاحرقت سبحات وجهه ما انتهى
اليه بصره من خلقه شرح ما يتعلق بلفظ هذا الحديث منقول من شرح مسلم للشيخ
محي الدين النواوي قوله صلى الله عليه وسلم ان الله لا ينام ولا ينبغي له ان ينام فمعناه
انه الاخبار انه سبحانه وتعالى لا ينام وانه مستحيل في حقه لان النوم انغمار وغلبة على
العقل يسقط به الاحساس والله تعالى منزه عن ذلك وقوله يخفض القسط ويرفعه
اراد بالقسط الميزان الذي يقع به العدل ومعناه ان الله تعالى يخفض الميزان ويرفعه
بما يوزن فيه من اعمال العباد المرتفعة اليه وقيل اراد بالقسط الرزق الذي هو قسط
كل مخلوق ومعناه يخفض فيقبض ويضيق على من يشا ويرفعه اي يوسعه على من يشا
وقوله يرفع اليه عمل الليل قبل النهار يعني ان الحفظة من الملايكة يصعدون باعمال العباد
في الليل بعد انقضايه في اول النهار ويصعدون باعمال النهار بعد انقضايه في اول
الليل وقوله حجابه النور لو كشفه لاحرقت سبحات وجهه ما انتهى اليه بصره من خلقه
سبحات بضم السين المهملة والبا الموحدة تحت وبضم التا في اخره جمع سبحة ومعنى سبحات
وجهه نوره وجلاله وبهاوه ولكن اصله في اللغة المنع وحقيقة الحجاب انما تكون للاجسام
المحدودة والله تعالى منزه عن الجسم والحد فالمراد به هنا الشي المانع من الروية سمي ذلك
الشي المانع نورا او نارا لانهما يمنعان من الادراك في العادة والمراد بالوجه الذات والمراد
بما انتهى اليه بصره من خلقه جميع المخلوقات لان بصره سبحانه وتعالى محيط بجميع الكاينات ولفظة
من في قوله من خلقه لبيان الجنس لا للتبعيض ومعنى الحديث لو زال المانع وهو الحجاب
المسمى نورا او نارا وتجلى لخلقه لاحرق جلال ذاته جميع مخلوقاته هذا اخر كلام الشيخ على
هذا الحديث والله اعلم وروى الطبري بسنده عن ابن عباس في قوله لا تاخذه سنة ولا نوم
ان موسى عليه السلام سال الملايكة هل ينام الله فاوحى الله الى الملايكة وامرهم ان
يورقوه ثلاثا فلا يتركوه ينام ففعلوا ثم اعطوه قارورتين فامسكهما ثم تركوه وحذروه

ان يكسرهما

ان يكسرهما فجعل ينعس وهما في يديه في كل يد واحدة قال فجعل ينعس وينتبه حتى
نعس نعسة فضرب احداهما بالاخرى فكسرهما قال معمر انما هو مثل ضربه الله تعالى
له يقول فكذلك السموات والارض ورواه عن ابي هريرة مرفوعا قال سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يحكي على المنبر قال وقع في نفس موسى هل ينام الله وذكر نحو
حديث ابن عباس قال بعض العلما ان صح هذا الحديث فيحمل على ان هذا السوال
كان من جهال قوم موسى كطلب الروية من موسى لان الانبيا عليهم السلام هم اعلم
بالله من غيرهم فلا يجوز ان ينسب الى موسى مثل هذا السوال والله اعلم قوله تعالى
له ما في السموات وما في الارض يعني ان الله تعالى مالك لجميع ذلك بغير شريك
ولا منازع وهو خالقهم وهم عبيده وفي ملكه فان قلت لم قال له ما في السموات
ولم يقل من في السموات قلت لما كان المراد اضافة كل ما سواه اليه بالخلق والملك
وكان الغالب عليهم من لا يعقل اجرى الغالب مجرى الكل فعبر عنه بلفظ ما من ذا
الذي يشفع عنده الا باذنه اي بامره وهذا استفهام انكار والمعنى لا يشفع عنده
احد الا بامره وذلك لان المشركين زعموا ان الاصنام تشفع لهم فاخبر انه لا
شفاعة لاحد عنده الا ما استثناه بقوله الا باذنه يريد بذلك شفاعة النبي
صلى الله عليه وسلم وشفاعة بعض الانبيا وشفاعة المومنين بعضهم لبعض
يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم يعني ما بين ايديهم من الدنيا وما خلفهم من الاخرة
وقيل بعكسه لانهم يقدمون على الاخرة ويخلفون الدنيا وراء ظهورهم وقيل
يعلم ما كان قبلهم وما كان بعدهم وقيل يعلم ما قدموه بين ايديهم من خير او شر
وما خلفهم مما هم فاعلوه والمقصود من هذا انه سبحانه وتعالى عالم بجميع المعلومات
لا يخفى عليه شي من جميع احوال خلقه ولا يحيطون بشي من علمه يقال احاط بالشي
اذا علمه وهو ان يعلم وجوده وجنسه وقدره وحقيقته فاذا علمه ووقف عليه
وجمعه في قلبه قيل احاط به والمراد بالعلم المعلوم والمعنى ان احدا لا يحيط بمعلومات
الله تعالى الا بما شا ان يطلعهم عليه وهم الانبيا والرسل ليكون ما يطلعهم عليه
من علم غيبه دليلا على نبوتهم كما قال تعالى فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى
من رسول وسع كرسيه السموات والارض يقال فلان يسع الشي سعة اذا احتمله
واطاقه وامكنه القيام به واصل الكرسي في اللغة من تركب الشي بعضه على بعض
ومنه الكراسة لتركب بعض اوراقها على بعض والكرسي في العرف اسم لما يقعد عليه
سمي به لتركب خشباته بعضها على بعض واختلفوا في المراد بالكرسي هنا اربعة
اقوال احدها ان الكرسي هو العرش نفسه قاله الحسن لان العرش والكرسي اسم
للسرير الذي يصح التمكن عليه القول الثاني ان الكرسي غير العرش وهو امامه وهو
فوق السموات السبع ودون العرش قال السدي ان السموات والارض في

جوف الكرسي كحلقة في فلاة والكرسي في جوف العرش كحلقة في فلاة وعن ابن عباس
ان السموات السبع في الكرسي كدراهم سبعة القيت في ترس وقيل ان كل قائمة من قوائم
الكرسي طولها مثل السموات والارض وهو بين يدي العرش ويحمل الكرسي اربعة املاك
لكل ملك اربعة وجوه واقدامهم على الصخرة التي تحت الارض السابعة السفلى ملك على
صورة ابي البشر ادم وهو يسال الرزق والمطر لبني ادم من السنة الى السنة وملك
في صورة الثور وهو يسال الرزق للانعام من السنة الى السنة وملك على صورة السبع
وهو يسال الرزق للوحوش من السنة الى السنة وملك على صورة النسر وهو يسال
الرزق للطير من السنة الى السنة وفي بعض الاخبار ان بين حملة العرش وحملة الكرسي
سبعين حجابا من ظلمة وسبعين حجابا من نور غلظ كل حجاب مسيرة خمسمائة عام
لولا ذلك لاحترقت حملة الكرسي من نور حملة العرش القول الثالث ان الكرسي هو الاسم
الاعظم لان العلم يعتمد عليه كما ان الكرسي يعتمد عليه قال ابن عباس كرسيه علمه القول الرابع المراد
بالكرسي الملك والسلطان والقدرة لان الكرسي موضع الملك والسلطان فلا يبعد ان يكنى عن
الملك بالكرسي على سبيل المجاز ولا يؤده اي لا يثقله ولا يجهده ولا يشق عليه حفظهما اي
حفظ السموات والارض وهو العلي اي الرفيع فوق خلقه الذي ليس فوقه شيء فيما يجب
ان يوصف به من معاني الجلال والكمال فهو العلي بالاطلاق المتعالي عن الاشباه والانداد
والاضداد وقيل العلي بالملك والسلطنة والقهر فلا اعلى منه احد وقيل معنى العلو في صفة
الله تعالى منقول الى اقتداره وقهره واستحقاق صفات المدح جميعا على كل وجه وقيل معناه
انه يعلو ان يحيط به وصف الواصفين العظيم يعني انه ذو العظمة والكبرياء الذي لا شيء
اعظم منه وقال ابن عباس العظيم الذي قد كمل في عظمته وقيل العظيم هو ذو العظمة و
الجلال والكمال وهو صفة الله تعالى ينصرف الى عظم الشان وجلالة القدر دون العظم الذي
هو من نعوت الاجسام قوله تعالى لا اكراه في الدين لسبب نزول هذه الاية فيما روي عن ابن
عباس قال كانت المراة من الانصار تكون مقلاة وهي التي لا يعيش لها ولد فكانت تنذر
لئن عاش لها ولد لتهودنه فاذا عاش جعلته في اليهود فجاء الاسلام وفيهم منهم فلما اجليت
بني النضير كان فيهم عدد من اولاد الانصار فارادت الانصار استردادهم وقالوا هم ابناؤنا و
واخواننا فنزلت لا اكراه في الدين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد خير اصحابكم
فان اختاروكم فهم منكم وان اختاروهم فاجلوهم معهم وقيل كان لرجل من الانصار
من بني سالم ابن عوف يقال له ابو الحصين ابنان فتنصرا قبل مبعث النبي صلى الله عليه
وسلم ثم قدما المدينة في نفر من النصارى يحملون الزيت فلزمهما ابوهما وقال لا ادعكما
حتى تسلما فاختصموا الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله ايدخل بعضي النار وانا انظر
فانزل الله تعالى لا اكراه في الدين فخلى سبيلهما وقيل نزلت في اهل الكتاب اذا قبلوا بذل الجزية
لم يكرهوا على الاسلام وذلك ان العرب كانت امة امية ولم يكن لهم كتاب يرجعون اليه

فلم يقبل

فلم يقبل منهم الا الاسلام او القتل ونزل في اهل الكتاب لا اكراه في الدين يعني قبل الجزية ممن
اعطى الجزية منهم لم يكره على الاسلام فعلى هذا القول تكون الاية محكمة ليست بمنسوخة وقيل
بل الاية منسوخة وكان ذلك في ابتداء الاسلام قبل ان يؤمر بالقتال ثم نسخت باية القتال
وهو قول ابن مسعود وقال الزهري سالت زيد بن اسلم عن قول الله تعالى لا اكراه في الدين
قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة عشر سنين لا يكره احدا في الدين فابى المشركون
الا ان يقاتلوه فاستاذن الله في قتالهم فاذن له ومعنى لا اكراه في الدين اي دين الاسلام ليس
فيه اكراه عليه قد تبين الرشد من الغي يعني ظهر ووضح وتميز الحق من الباطل والايمان من
الكفر والهدى من الضلالة بكثرة الايات والبراهين الدالة على صحته فمن يكفر بالطاغوت يعني
الشيطان وقيل هو الساحر والكاهن وقيل هو كل ما يعبد من دون الله تعالى وقيل كل ما يطغي
الانسان فهو طاغوت فاعول من الطغيان ويؤمن بالله اي ويصدق بالله انه ربه
ومعبوده من دون كل شيء كان يعبده وفيه اشارة الى انه لا بد للكافر ان يتوب اولا
عن الكفر ويتبرا منه ثم يؤمن بعد ذلك بالله تعالى فمن فعل ذلك صح ايمانه وهو قوله
تعالى فقد استمسك بالعروة الوثقى اي فقد تمسك واعتصم بالعقد الوثيق المحكم في
الدين الوثقى تانيث الاوثق وقيل العروة الوثقى السبب الذي يوصل الى رضا الله
تعالى وهو دين الاسلام لا انفصام لها اي لا انقطاع لها حتى ترد به الى الجنة والمعنى ان
المتمسك بالدين الصحيح الذي هو دين الاسلام كالمتمسك بالشيء الوثيق الذي لا يمكن كسره
ولا انقطاعه والله سميع عليم يعني انه تعالى يسمع قول من كفر بالطاغوت واتى بالشهادتين
عليم بحرصك على اسلامهم قوله عز وجل الله ولي الذين امنوا اي ناصرهم ومعينهم و
قيل محبهم ومتولي امرهم فلا يكلهم الى غيره وقيل هو متولي هدايتهم يخرجهم من الظلمات الى
النور اي من الكفر الى الايمان وكل ما في القران من ذكر الظلمات والنور فالمراد به الكفر
والايمان غير الذي في سورة الانعام وهو قوله تعالى وجعل الظلمات والنور فالمراد به الليل
والنهار وانما سمي الكفر ظلمة لالتباس طريقه ولان الظلمة تحجب الابصار عن ادراك
حقايق فكذلك الكفر يحجب القلوب عن ادراك حقايق الايمان وسمي الاسلام نورا لوضوح
طريقه وبيان ادلته والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت يعني كعب بن الاشرف وحيي
ابن اخطب وساير رؤساء الضلالة يخرجونهم من النور الى الظلمات اي من الهدى الى الظلمات
فان قلت كيف قال يخرجونهم من النور الى الظلمات وهم كفار لم يكونوا في نور قط قلت
هم اليهود كانوا موقنين بمحمد صلى الله عليه وسلم وبصحة نبوته قبل ان يبعث لما يجدون في
كتبهم من نعته وصفته فلما بعث كفروا به وجحدوا نبوته وقيل هو على العموم في حق
جميع الكفار ومنع الطاغوت اياهم على الدخول فيه اخراج من الايمان يعني صدهم الطاغوت
عنه وحرمانهم خيراتهم وان لم يكونوا دخلوا فيه قط فهو كقول الرجل لابيه اخرجتني
عن مالك اذا اوصى به لغيره في حياته واحرمه منه وكقول الله تعالى اخبارا عن يوسف

عليه السلام انى تركت ملة قوم لا يومنون بالله ولم يكن قط فى ملتهم اولئك اصحب النار
هم فيها خالدون يعنى الكفار والطاغوت اهل النار الذين يخلدون فيها دون غيرهم
قوله تعالى الم تر الى الذى حاج ابرهيم فى ربه يعنى هل انتهى اليك يا محمد خبر الذى خاصم
ابراهيم وجادله لان الم تر كلمة يوقف بها المخاطب على تعجيب منها ولفظها استفهام فهو
كما يقول الم تر الى فلان كيف معناه هل رايت فلانا فى صنعه والذى يحاج ابراهيم هو
نمرود بن كنعان الجبار وهو اول من وضع التاج على راسه وتجبر فى الارض وادعى
الربوبية ان اتاه الله الملك اى لان اتاه الله الملك فطغى وتجبر بسببه وكانت تلك
المحاجة فى بطر الملك وطغيانه وقال مجاهد ملك الارض اربعة مومنان وكافران فاما
المومنان فسليمان وذو القرنين واما الكافران فنمرود وبخت نصر واختلفوا فى وقت
هذه المحاجة فقيل لما كسر ابراهيم الاصنام سجنه نمرود ثم اخرجه ليحرقه فقال له من ربك الذى
تدعونا اليه فقال ابراهيم ربى الذى يحيى ويميت وقيل هذا بعد القايه فى النار وذلك ان
الناس احطوا على عهد نمرود وكانوا الناس يمتارون من عنده الطعام فكان اذا اتاه رجل
يمتار سئله من ربك فيقول انت فيميزه فخرج ابراهيم اليه يمتار لاهله الطعام فاتاه فقال
له من ربك فقال ربى الذى يحيى ويميت قال انا احيى واميت قال ابرهيم فان الله ياتى ابراهيم
بالشمس من المشرق فات بها من المغرب فبهت الذى كفر فرده بغير طعام فرجع ابراهيم الى
اهله فمر على كثيب رمل اعفر فاخذ منه تطييبا لقلوب اهله اذا دخل عليهم فلما اتى
اهله وضع متاعه ثم نام فقامت زوجته سارة الى رحله ففتحته فاذا هو طعام اجود ما
راه احد فصنعت منه خبزا فلما انتبه قربته اليه فقال لها ابراهيم من اين هذا وكان علم ان
اهله ليس عندهم طعام فقالت من الطعام الذى جيت به فعلم ابراهيم ان الله قد رزقه فحمد
الله تعالى ثم ان الله تعالى بعث الى نمرود الجبار ملكا فقال له ان ربك يقول لك ان امن
بى واتركك فى ملكك قال وهل رب غيرى فجاءه الثانية فقال له مثل ذلك ثم اتاه الثالثة
فرد عليه مثل ذلك فقال له الملك اجمع جموعك فجمع الجبار جموعه فامر الله الملك
ففتح عليه بابا من البعوض حتى سترت الشمس فلم يردها فبعثها الله عليهم فاكلت لحومهم
وشربت دماهم فلم يبق الا العظام ونمرود ينظر ولم يصبه شى من ذلك ثم بعث
الله عليه بعوضة فدخلت فى منخره فمكثت فى راسه اربعماية سنة يضرب راسه
بالمطارق وكان ارحم الناس به من يجمع له يديه ثم يضرب بهما راسه فكان كذلك
يعذب اربعماية سنة مدة ملكه حتى اماته الله عز وجل ومعنى اذ قال ابرهيم ربى
الذى يحيى ويميت هذا جواب سوال غير مذكور تقديره قال له نمرود من ربك
قال ابراهيم ربى الذى يحيى ويميت قال يعنى قال نمرود انا احيى واميت قال
اكثر المفسرين دعا نمرود برجلين فقتل احدهما واستحيا الاخر فجعل ترك القتل احيا
فانتقل ابراهيم الى حجة اقوى لا عجزا عن نصرة حجته الاولى فانها كانت لازمة لانه

ابراهيم

اراد بالاحيا

اراد بالاحيا احيا الميت فكان لابراهيم ان يقول لنمرود فاحيى من امت ان كنت صادقا
ولكن انتقل الى حجة اقوى اوضح من الاولى لما راى من قصور فهم نمرود وضعف رايه فانه
عارض الفعل بمثله ونسى اختلاف الفعلين قال ابراهيم فان الله ياتى بالشمس من المشرق
فات بها من المغرب فبهت الذى كفر يعنى تحير نمرود ودهش وانقطعت حجته ولم يرجع
اليه شيا وعرف انه لا يطيق ذلك فان قلت كيف بهت الذى كفر وكان يمكنه ان يقول
لابراهيم سل ربك حتى ياتى بها من المغرب قلت انما لم يقله لانه خاف ان لو سال ذلك
دعا ابراهيم ربه فكان ذلك زيادة فى فضيحة نمرود وانقطاعه وقيل ان الله تعالى صرفه
عن تلك المعارضة اظهارا للحجة عليه ومعجزة لابراهيم عليه الصلاة والسلام وهو الصحيح والله
لا يهدى القوم الظالمين يعنى لا يرشدهم الى حجة يدحضون بها حجج اهل الحق عند المحاجة
والمخاصمة وعنى بالظالمين نمرود قوله عز وجل او كالذى مر على قرية هذه معطوفة على
الاية التى قبلها والمعنى الم تر الى الذى حاج ابراهيم او كالذى مر على قرية فيكون هذا
عطفا على المعنى وقيل تقديره هل رايت كالذى حاج ابراهيم وهل رايت كالذى مر
على قرية وقيل الكاف زائدة والتقدير الم تر الى الذى حاج ابراهيم او الى الذى مر
على قرية واختلفوا فى ذلك المار فروى عن مجاهد انه كان كافرا شك فى البعث
وهذا قول ضعيف لقوله تعالى كم لبثت والله تعالى لا يخاطب الكافر ولقوله تعالى ولنجعلك
اية للناس وهذا اللفظ لا يستعمل فى حق الكافر انما يستعمل فى حق الانبيا وقال قتادة
وعكرمة والضحاك والسدى هو عزير بن شرخيا وقال وهب بن منبه هو ارميا بن
خلقيا من سبط هارون وهو الخضر ومقصود القصة تعريف منكرى البعث
قدرة الله تعالى على احيا خلقه بعد اماتتهم لا التعريف باسم ذلك المار على القرية فجائز
ان يكون ذلك المار هو عزير وجائز ان يكون ارميا وفى هذه القصة دلالة عظيمة
بنبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لانه اخبر اليهود بما يجدونه فى كتبهم ويعرفونه وهو
بمعزل عن قراءة الكتب القديمة واختلفوا فى تلك القرية فقيل هى بيت المقدس وذلك
لما خربها بخت نصر والمراد بالاحيا هنا عمارتها وقيل هى القرية التى اهلك الله
اهلها الذين خرجوا من ديارهم وهم الوف وقيل هو دير سابر اباد وقيل
سلما باد وقيل هى دير هرقل وقيل هى قرية العنب وهى على فرسخين من بيت
المقدس وهى خاوية على عروشها اى ساقطة على سقوفها وذلك ان السقوف
سقطت اولا ثم وقعت الحيطان عليها بعد ذلك قال يعنى ذلك المار انى يحيى
هذه الله بعد موتها ممنوع قال ان ذلك المار كان كافرا فهو ضعيف لما حمله
على الشك فى قدرة الله تعالى ومن قال كان نبيا حمله على سبيل الاستبعاد بحسب
مجارى العرف والعادة لا على سبيل الانكار لقدرة الله تعالى او كان المقصود
منه طلب زيادة الدلايل لاجل التاكيد كما قال ابراهيم عليه السلام رب ارنى

كيف يحيي الموتى ومعناه انى يحيي هذه الله من اين يحيي هذه القرية والمراد بالاحيا
عمارتها فاحب السلطان ربيانة في نفسه وفي احيا تلك القرية وكان سبب القصة
ما روي عن وهب بن منبه ان الله تعالى بعث ارميا الى ناشية بن اموص ملك بني
اسرائيل ليسدده ويأتيه بالخبر من الله تعالى فعظمت الاحداث في بني اسرائيل وركبوا
المعاصي فاوحى الله تعالى الى ارميا ان ذكر قومك نعمي عليهم وعرفهم احداثهم وادعهم الي فقال
ارميا يا رب اني ضعيف ان لم تقوني عاجز ان لم تبلغني مخذول ان لم تنصرني فقال الله تعالى
اني الهمك فقام ارميا فيهم ولم يدر ما يقول فالهمه الله تعالى في الوقت خطبة بليغة طويلة
بين لهم فيها ثواب الطاعة وعقاب المعصية وقال في اخرها عن الله عز وجل اني احلف
بعزتي لاقيض لهم فتنة يتحير فيها الحكيم ولاسلطن عليهم جبارا فارسيا البسه الهيبة ونزع
من صدره الرحمة يتبعه عدد مثل سواد الليل المظلم ثم اوحى الله تعالى الى ان مهلك بني اسرائيل
يافث ويافثهم اهل بابل وهم من ولد يافث بن نوح فلما سمع ارميا ذلك صاح
وبكى وشق ثيابه ونبذ الرماد على راسه فلما رأى الله تعالى تضرعه وبكاه ناداه يا ارميا
اشق عليك ما اوحيت اليك قال نعم يا رب اهلكني قبل ان ارى في بني اسرائيل ما لا
اسر به فقال الله عز وجل وعزتي وجلالي لا اهلك بني اسرائيل حتى يكون الامر في ذلك من
قبلك ففرح ارميا بذلك وطابت نفسه وقال لا والذي بعث موسى بالحق
لا ارضى بهلاك بني اسرائيل ثم اتى الملك فاخبره بذلك وكان ملكا صالحا فاستبشر وفرح
وقال ان يعذبنا ربنا فبذنوبنا وان يعف عنا فبرحمته ثم انهم مكثوا بعد ذلك الوحي ثلاث
سنين لم يزدادوا الا معصية وتماديا في الشر فقل الوحي وذلك حين اقترب هلاكهم
فدعاهم الملك الى التوبة فلم يفعلوا فسلط الله عليهم بخت نصر البابلي فخرج في
ستمائة الف راية يريد اهل بيت المقدس فلما فصل سائرا اتى الخبر الى ملك بني
اسرائيل فقال لارميا اين ما زعمت ان الله تعالى اوحى اليك فقال ارميا ان الله لا يخلف
الميعاد وانا به واثق فلما قرب الاجل بعث الله تعالى الى ارميا ملكا قد تمثل له في
صورة رجل من بني اسرائيل فقال له ارميا من انت قال انا رجل من بني اسرائيل اتيتك
استفتيك في اهل رحمي وصلة ارحامهم ولم آت اليهم الا حسنا ولا يزيدهم اكرامي
اياهم الا اسخاطا لي فافتني فيهم فقال ارميا احسن فيما بينك وبين الله وصلهم
وابشر بخير فانصرف الملك ومكث اياما ثم اقبل اليه في صورة ذلك الرجل فقعد بين
يديه فقال له ارميا من انت فقال انا الرجل الذي اتيتك استفتيك في شأن اهلي
فقال له ارميا اما طهرت اخلاقهم بعد لك فيهم فقال يا نبي الله والذي بعثك
بالحق ما اعلم كرامة يأتيها احد من الناس الى رحمه الا قدمتها اليهم فافضل فقال ارميا
ارجع اليهم فاحسن اليهم اسال الله الذي يصلح عباده الصالحين ان يصلحهم فقام الملك
فمكث اياما ثم ان بخت نصر بجنوده ببيت المقدس ففزع منهم بنوا اسرائيل فقال ملكهم

لارميا يا

لارميا يا نبي الله ما وعدك الله قال اني بربي واثق ثم اقبل ذلك الملك الى ارميا وهو
قاعد على جدار بيت المقدس يضحك ويستبشر بنصر ربه الذي وعده فقعد بين يديه
فقال له ارميا من انت قال انا الذي جئتك في شأن اهلي مرتين فقال ارميا اما على اي
عمل رأيتهم قال على عمل عظيم يسخط الله تعالى فغضب الله عز وجل فاتيتك لاخبرك واني
اسالك بالله الذي بعثك بالحق ان تدعو الله عليهم ليهلكوا فقال ارميا انا لهم ان
يقلعوا من الذي هم فيه فقال الملك يا نبي الله ان كل شيء كان يصيبني منهم قبل اليوم كنت
اصبر عليه فاليوم رأيتهم على عمل لا يرضي الله تعالى فقال ارميا يا مالك السموات والارض
يا ذا الجلال والاكرام ان كانوا على حق وصواب فابقهم وان كانوا على عمل لا ترضاه فاهلكهم
فلما خرجت الكلمة من فيه حتى ارسل الله صاعقة من السما على بيت المقدس فالتهب
مكان القربان واحرقت سبعة ابواب من ابوابه فلما رأى ذلك ارميا صاح وشق ثيابه
ونبذ الرماد على راسه وقال يا مالك السموات والارض اين ميعادك الذي وعدتني
به فنودي انهم لم يصبهم ما اصابهم الا بفتياك ودعائك عليهم فاستيقن ارميا انها فتياه
وان ذلك السائل كان رسولا من الله اليه فخرج ارميا حتى خالط الوحوش ودخل
بخت نصر وجنوده بيت المقدس ووطئ الشام وقتل بني اسرائيل حتى افناهم وخرب بيت
المقدس وامر جنوده ان يملا كل رجل ترسه ترابا ويقذفه في بيت المقدس ففعلوا ذلك
حتى ملاه ثم امرهم ان يجمعوا من كان بقي في بلدان بيت المقدس فاجتمع عنده من كان
بقي من بني اسرائيل من كبير وصغير فاختار منهم سبعين الف صبي فقسمهم بين الملوك
الذين كانوا معه فاصاب كل رجل اربع غلمة وكان في اولئك الغلمان دانيال وحنانيا
وعزيرا وفرق من بقي من بني اسرائيل ثلاث فرق فثلثا قتلهم وثلثا اسباهم وثلثا اقرهم
بالشام فكانت هذه الوقعة الاولى التي انزل الله ببني اسرائيل لظلمهم فلما ولى بخت نصر
راجعا الى بابل ومعه سبايا بني اسرائيل اقبل ارميا على حمار له ومعه عصير عنب في ركوة
وسلة تين حتى غشي ايليا وهي ارض بيت المقدس فلما رأى خرابها قال انى يحيي هذه الله
بعد موتها ومن قال ان المار كان عزير قال ان بخت نصر لما خرب بيت المقدس واقدم
سبي بني اسرائيل وكان فيهم عزير ودانيال وسبعة الاف من اهل بيت داود فلما نجا
عزير من بابل ارتحل على حمار حتى نزل دير هرقل على شط دجلة وطاف في القرية
فلم ير احدا وعامة شجرها حامل فاكل من الفاكهة واعتصر من العنب فشرب منه وجعل
فضل الفاكهة في سلة وفضل العصير في زق ولما رأى خراب القرية وهلاك اهلها
قال انى يحيي هذه الله بعد موتها وانما قال ذلك تعجبا لا شكا في البعث رجعنا
الى حديث وهب قال ثم ان ارميا ربط حماره بحبل جديد فالقى الله تعالى عليه النوم
فلما نام نزع الله منه الروح مات مائة عام واماتة حماره وبقي عصيره وتينه عنده
واعمى الله عنه العيون فلم يره احد وذلك ضحى ومنع لحمه من السباع والطير

فلما مضى من وقت موته سبعين سنة ارسل الله تعالى ملكا من ملوك فارس يقال
له نوشك وقال له ان الله يامرك ان تنفر بقومك فتعمر بيت المقدس وايليا
حتى يعودوا اعمر ما كان فانتدب الملك الف قهرمان مع كل قهرمان ثلثمائة الف
عامل وجعلوا يعمرونها واهلك الله تعالى بخت نصر ببعوضة دخلت دماغه ونجى
من بقي من بني اسرائيل وردهم جميعا الى بيت المقدس ونواحيها فعمروها ثلاثين
سنة وكثروا كاحسن ما كانوا فلما مضت المائة احيا الله منه عينيه وسائر جسده ميت
ثم احيى الله جسده وهو ينظر ثم نظر الى حماره فاذا عظامه تلوح بيض متفرقة فسمع
صوتا ايتها العظام البالية ان الله يامرك ان تجتمعي فاجتمع بعضها الى بعض ثم نودي
ان الله يامرك ان تكتسي لحما وجلدا فكان كذلك ثم نودي ان الله يامرك ان تحيي فقام الحمار
باذن الله ثم نهق وعن الله ارميا فهو يدور في الفلوات فذلك قوله تعالى فاماته الله مائة عام
اصل العام من العوم وهو السباحة سميت السنة عاما لان الشمس تعوم في جميع بروجها ثم
بعثه اي ثم احياه واصله من بعثت الناقة اذا اقمتها من مكانها قال كم لبثت يعني قال
الله تعالى له كم هذا الزمان الذي مكثت فيه ميتا قبل ان ابعثك من مكانك حيا وقيل ان الله تعالى
لما احياه بعث اليه ملكا فسأله كم لبثت يعني قال ذلك المبعوث بعد مائة لبثت يوما وذلك
ان الله تعالى اماته ضحى في اول النهار واحياه بعد مائة سنة في اخر النهار قبل ان تغيب الشمس
فقال لبثت يوما وهو يرى ان الشمس قد غابت ثم التفت فراى بقية من الشمس فقال
او بعض يوم قال يعني قال الله له وقيل قال الملك له بل لبثت مائة عام فانظر الى طعامك
يعني التين الذي كان معه وشرابك يعني ذلك العصير لم يتسنه يعني لم تغيره السنون التي
اتت عليه فكان التين كانه قد قطف من ساعته والعصير كانه قد عصر من ساعته لم يتغير
ولم ينتن وانظر الى حمارك فنظر فاذا هو عظام بيض فركب الله تعالى العظام بعضها على بعض
ثم كساه اللحم والجلد واحياه وهو ينظر ولنجعلك اية للناس قيل الواو زائدة مقحمة وقيل دخول
الواو فيه دلالة الى انها شرط لفعل بعدها والمعنى فعلنا ما فعلنا من الاماتة والاحياء لنجعلك
اية للناس يعني عبرة ودلالة على البعث بعد الموت قاله اكثر المفسرين وقيل انه عاد الى قريته
وهو شاب اسود الرأس واللحية واولاد اولاد اولاده شيوخ وعجايز شمط فكان ذلك
اية للناس وانظر الى العظام كيف ننشرها ثم نكسوها لحما قرئ بالراء ومعناه كيف نحييها
يقال انشر الله الميت انشارا يعني احياه وقرئ بالزاي ومعناه كيف نرفعها من الارض ونردها
الى اماكنها من الجسد ونركب بعضها على بعض وانشار الشيء رفعه وازعاجه يقال نشزته فنشز
اي رفعته فارتفع واختلفوا في معنى الاية فقال الاكثرون انه اراد عظام الحمار وقيل ان الله تعالى
لما احيى عزيرا او ارميا على اختلاف القولين فيه ثم قال له انظر الى حمارك قد هلك وبليت
عظامه فنظر وبعث الله ريحا فجائت بعظام الحمار من كل سهل وجبل فاجتمعت فركب بعضها
على بعض حتى الكسرة من العظم رجعت الى موضعها فصار حمارا من عظام ليس فيه

لحم ولا فيه دم ثم كسا تلك العظام اللحم والعروق والدم فصار حمارا ذا لحم ودم بلا روح
فيه ثم بعث الله ملكا فاقبل اليه يمشي حتى اخذ بمنخر الحمار فنفخ فيه الروح فقام الحمار حيا
باذن الله تعالى ثم نهق وقيل اراد بالعظام عظام هذا الرجل نفسه وذلك ان الله تعالى
اماته ثم بعثه ولم يمت حماره ثم قيل له انظر الى حمارك فنظر فراى حماره حيا قائما كهيئته
يوم ربطه لم يطعم ولم يشرب مائة عام وانظر الى العظام كيف ننشرها وذلك ان الله
اول ما احيا منه عينيه فنظر فراى سائر جسده ميتا وفي الاية تقديم وتأخير تقديره
وانظر الى حمارك وانظر الى العظام كيف ننشرها ولنجعلك اية للناس وعن ابن
عباس وغيره من المفسرين لما احيا الله عزيرا بعدما اماته مائة سنة ركب حماره حتى اتى
الى محلته فانكره الناس وانكرهم الناس وانكر منازله فانطلق على وهم حتى اتى
منزله فاذا بعجوز عمياء مقعدة قد اتى عليها مائة وعشرون سنة وكانت امة لهم ولما
خرج عزير عنهم كانت بنت عشرين سنة وكانت قد عرفته وعقلته فقال لها عزير يا هذه
هذا منزل عزير فقالت نعم وبكت وقالت ما رايت احدا يذكر عزيرا منذ كذا وكذا فقال
انا عزير فقالت سبحان الله ان عزيرا فقدناه من مائة سنة ولم نسمع له ذكرا فقال اني
عزير ان الله اماتني مائة سنة ثم احياني فقالت ان عزيرا كان رجلا مجاب الدعوة
وكان يدعو للمريض وصاحب البلايا بالعافية فادع الله ان يرد علي بصري حتى اراك
فان كنت عزيرا عرفتك فدعا ربه سبحانه ومسح يده على عينيها فصحتا واخذ بيدها وقال
لها قومي باذن الله فاطلق الله رجليها فقامت صحيحة فنظرت اليه وقالت اشهد
انك عزير فانطلقت الى بني اسرائيل وهم في انديتهم ومجالسهم وابن لعزير شيخ ابن
مائة سنة وثمانية عشر سنة وبنوا بنيه شيوخ فنادتهم هذا عزير قد جاءكم فكذبوها فقالت
انا فلانة مولاتكم قد عاد الي عزير ربه فرد بصري واطلق رجلي وزعم ان الله قد كان اماته
مائة سنة ثم بعثه قال فنهض الناس اليه وقال ابنه كان لابي شامة سوداء مثل
الهلال بين كتفيه فكشف عن كتفيه فنظر اليها فراها فعرف انه عزير وقيل لما رجع
عزير الى قريته وقد احرق بخت نصر التوراة ولم يكن من الله عهد بين الخلائق بكى
عزير على التوراة فاتاه ملك باناء فيه ماء فسقاه من ذلك الماء فمثلت التوراة في
صدره فرجع الى بني اسرائيل وقد علمه الله التوراة وبعثه نبيا فقال انا عزير فلم يصدقوه
فقال انا عزير بعثني الله اليكم لاجدد لكم توراتكم قالوا فاملها علينا فاملاها عليهم
من ظهر قلبه قالوا ما جعل الله التوراة في قلب رجل بعد ما ذهبت الا انه ابنه فقالوا
عزير ابن الله وسياتي القصة في سورة التوبة ان شاء الله تعالى فلما تبين له يعني
فلما اتضح له عيانا ما كان ينكره من احياء القرية وراه عيانا في نفسه قال اعلم قرئ
مجزوما موصولا على الامر يعني قال الله له اعلم وقرئ اعلم على قطع الالف ورفع
الميم على الخبر عن الذي قال انى يحيي هذه الله بعد موتها والمعنى فلما بين له ورأى

ذلك عيانا قال اعلم ان الله على كل شي قدير يعني الاماتة والاحيا قوله عز وجل واذ قال
ابراهيم رب ارني كيف تحيي الموتى اختلفوا في سبب هذا السوال من ابرهيم عليه السلام
فقيل انه مر على دابة ميتة وهي جيفة حمار وقيل بل كانت حوتا ميتا بساحل البحر وقيل
بحر طبرية فراها وقد توزعها دواب البحر والبر وادام هذا الموجات الحيتان فاكلت
منها واذا اخرز الموجات السباع فاكلت منها فاذا ذهبت السباع جات الطير فاكلت منها
فلما راى ابراهيم ذلك تعجب منها وقال يا رب قد علمت انك لتجمعها من بطون السباع
وحواصل الطيور واجواف دواب البحر فارني كيف تحييها لا عاين ذلك فازداد يقينا
فعاتبه الله تعالى فقال اولم تومن بعني اولم تصدق قال بلى يا رب قد علمت وامنت
ولكن ليطمين قلبي اي ليسكن قلبي عند المعاينة اراد ابراهيم عليه السلام ان يصير له علم
اليقين عين اليقين لان الخبر ليس كالمعاينة وقيل لما راى الجيفة على البحر وقد تناولها
السباع والطير ودواب البحر تفكر كيف يجمع ما تعرف من تلك الجيفة وتطلعت نفسه الى
مشاهدة ميت يحييه ربه ولم يكن ابراهيم عليه السلام شاكا في احيا الله الموتى ولا دفعاله
ولكنه احب ان يرى ذلك عيانا كما ان المومنين يحبون ان يروا نبيهم محمدا صلى الله عليه
وسلم ويحبون روية الله تعالى والجنة ويطلبونه ويسالونه في دعاهم مع الايمان الصحيحة
ذلك وزوال الشك عنهم فكذلك احب ابراهيم ان يصير الخبر له عيانا وقيل كان سبب
هذا السوال من ابراهيم انه لما احتج على نمرود فقال ابراهيم ربي الذي يحيي ويميت فقال
نمرود وانا احيي واميت فقتل احد الرجلين واطلق الاخر فقال ابراهيم ان الله تعالى
يقصد الى جسد ميت فيحييه فقال له نمرود وانت عاينته فلم يقدر ابراهيم ان يقول نعم
فانتقل الى حجة اخرى ثم سال ابراهيم ربه ان يريه كيف يحيي الموتى قال اولم تومن قال بلى
ولكن ليطمين قلبي بقوة حجتي فاذا قيل انت عاينته فاقول نعم وقال سعيد بن جبير لما
اتخذ الله ابراهيم خليلا سال ملك الموت ربه ان ياذن له فيبشر ابراهيم بذلك فاذن له
فاتى ابراهيم ولم يكن في الدار فدخل داره وكان ابراهيم من اغير الناس كان اذا خرج غلق
بابه فلما جا وجد رجلا في الدار فثار اليه لياخذه وقال من اذن لك في دار فقال
اذن لي رب الدار فقال ابراهيم صدقت وعرف انه ملك الموت فقال له من انت فقال انا ملك الموت جيت ابشرك
ان الله قد اتخذك خليلا فحمد الله عز وجل وقال له ما علامة ذلك قال ان يجيب الله
دعاك ويحيي الموتى بسوالك فحينيذ قال ابراهيم رب ارني كيف تحيي الموتى قال
اولم تومن قال بلى ولكن ليطمين قلبي بانك تتخذني خليلا وتجيبني اذا دعوتك
وتعطيني اذا سالتك ق عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نحن
احق بالشك من ابراهيم اذ قال رب ارني كيف تحيي الموتى قال اولم تومن قال
بلى ولكن ليطمين قلبي ويرحم الله لوطا لو كان ياوي الى ركن شديد ولو لبثت
في السجن ما لبث يوسف لاجبت الداعي القول على معنى الحديث وما يتعلق به

اختلف

اختلف العلما في قوله صلى الله عليه وسلم نحن احق بالشك من ابراهيم على اقوال كثيرة فاحسنها
واصحها ما نقل المزني وغيره من العلما ان الشك مستحيل في حق ابراهيم فان الشك
في احيا الموتى لو كان متطرقا الى الانبيا لكنت انا احق به من ابراهيم وقد علمتم
اني لم اشك فاعلموا ان ابراهيم لم يشك وانما خص ابراهيم بالذكر لكون الاية قد
سبق الى بعض الاذهان الفاسدة منها احتمال الشك فنفى ذلك عنه وقال الخطابي
ليس في قوله نحن احق بالشك من ابراهيم اعتراف بالشك على نفسه ولا على
ابراهيم لكن فيه نفي الشك عنهما اذا لم اشك انا في قدرة الله على احيا الموتى
فابراهيم اولى بان لا يشك قوله ولو لبثت في السجن ما لبث يوسف لاجبت
الداعي وفيه الاعلام بان المسئلة من ابراهيم لم تعرض من جهة الشك لكن من قبل
زيادة العلم بالعيان ليفيد من المعرفة والطمانينة ما لا يفيد بالاستدلال وقيل
لما نزلت هذه الاية قال قوم شك ابراهيم ولم يشك نبينا محمد صلى الله عليه وسلم
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نحن احق بالشك من ابراهيم ومعناه ان هذا
الذي تظنون شكا انا اولى به فانه ليس بشك وانما هو طلب لمزيد اليقين وانما
رجح ابراهيم عليه السلام على نفسه صلى الله عليه وسلم تواضعا منه وادبا او قيل ان
يعلم انه صلى الله عليه وسلم خير ولد ادم واما تفسير الاية فقوله تعالى واذ قال ابراهيم
اي واذكر يا محمد اذ قال ابراهيم وقيل انه معطوف على قوله الم تر الى الذي حاج ابراهيم
في ربه والتقدير الم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه الم تر اذ قال ابراهيم رب
ارني كيف تحيي الموتى قال يعني قال الله لابراهيم اولم تومن الالف في اولم الف
اثبات وايجاب كقول جرير الستم خير من ركب المطايا اي الستم كذلك والمعنى
اولست قد امنت وصدقت اني احيي الموتى قال بلى قد امنت وصدقت ولكن
ليطمئن قلبي يعني سالتك ذلك ارادة طمانينة القلب وزيادة اليقين وقوة الحجة
وقال ابن عباس معناه ولكن ارى من اياتك واعلم انك قد اجبتني قال فخذ
اربعة من الطير قيل اخذ طاوسا وديكا وحمامة وغرابا وقيل نسرا بدل الحمامة فان
قلت لم خص الطير من جملة الحيوانات بهذه الحالة قلت لان الطير صفته الطيران
في الوصول الى الملكوت فكانت معجزته مشاكلة لهمته فان قلت لم خص هذه
الاربعة اجناس من الطير بالاخذ قلت فيه اشارة ففي الطاوس اشارة الى ما في الانسان
من حب الزينة والجاه وفي النسر اشارة الى شدة الشغف بالاكل وفي الديك اشارة
الى شدة الشغف بحب النكاح وفي الغراب اشارة الى شدة الحرص ففي هذه الطيور
تنبيه في الانسان من حب هذه الاوصاف وفيه اشارة الى ان الانسان
اذا ترك هذه الشهوات الذميمة لحق اعلا الدرجات في الجنة وقيل بل السعادة
فصرهن اليك قرى بكسر الصاد ومعناه قطعهن ومزقهن وقرى بضم الصاد

ومعناه املهن اليك ووجههن وقيل معناه اجمعهن واضممهن اليك فمن فسره بالامالة
والضم قال فيه اضمار ومعناه فصرهن اليك ثم قطعهن فحذف اكتفا بقوله ثم اجعل
على كل جبل منهن جزا لانه يدل عليه قال المفسرون امر الله تعالى ابراهيم عليه السلام ان يذبح تلك
الطيور وينتف ريشها وان يخلط ريشها ولحمها ودمها بعضه ببعض ففعل ثم امره ان يجعل
على كل جبل منهن جزا واختلفوا في عدد الاجزا والجبال فقال ابن عباس امر ان يجعل كل
طاير اربعة اجزا وان يجعلها على اربعة اجبل على كل جبل ربعا من كل طاير فقيل جبل على جهة
المشرق وجبل على جهة المغرب وجبل على جهة الشمال وجبل على جهة الجنوب وقيل جزاه
على سبعة اجزا ووضعها على سبعة اجبل وامسك روسهم بيده ثم دعاهن فقال تعالين
باذن الله تعالى فجعل كل قطرة من دم طاير تطير الى القطرة الاخرى وكل ريشة تطير الى الريشة
الاخرى وكل عظم يطير الى العظم الاخر وكل بضعة تطير الى البضعة الاخرى وابرهيم ينظر
حتى لقيت كل جثة بعضها ببعض في السما بغير روس ثم اقبلن سعيا الى روسهن
فلما جا طاير طال لراسه فان كان راسه دنا منه وان لم يكن تاخر عنه حتى التقى كل
طاير براسه فذلك قوله تعالى ثم ادعهن ياتينك سعيا قيل المراد بالسعي الاسراع والعدو
وقيل المشي والحكمة في سعي الطيور اليه دون الطيران ان ذلك ابعد من الشبهة لانه
لو طارت لتوهم متوهم انها غير تلك الطير وان ارجلها غير سليمة فنفى الله تعالى هذه
الشبهة بقوله ياتينك سعيا وقيل المراد بالسعي المشي والمراد بالمشي الطيران وفيه ضعف
لانه لا يقال للطاير اذا طار سعى وقيل السعي هو الحركة الشديدة والمشي واعلم ان
الله عزيز يعني انه تعالى غالب على جميع الاشيا لا يعجزه شي حكيم يعني في جميع اموره قوله
تعالى مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله قيل اراد به الانفاق في الجهاد وقيل هو
الانفاق في جميع ابواب الخير ووجوه البر فيدخل فيه الواجب والتطوع وفيه اضمار
تقديره مثل صدقات الذين ينفقون اموالهم كمثل حبة اي كمثل زارع حبة انبتت
يعني اخرجت تلك الحبة سبع سنابل جمع سنبلة في كل سنبلة ماية حبة فان قلت
فهل رايت سنبلة فيها ماية حبة حتى يضرب المثل بها قلت ذلك غير مستحيل وما لا يكون
مستحيلا فضرب المثل به جايز وان لم يوجد والمعنى في كل سنبلة ماية حبة ان جعل الله
ذلك فيها وقيل موجود في الدخن وقيل ان المقصود من الاية انه اذا علم الانسان الطالب
للزيادة والربح انه اذا بذر حبة واحدة اخرجت له سبعماية حبة ما كان ينبغي له ترك ذلك
ولا التقصير فيه فكذلك ينبغي لمن طلب الاجر عند الله في الاخرة ان لا يترك الانفاق
في سبيل الله اذا علم انه يحصل له بالواحدة عشرة وماية وسبعماية والله يضاعف لمن
يشا يعني انه تعالى يضاعف هذه المضاعفة لمن يشا وقيل معناه يضاعف على هذا
ويزيد لمن يشا من سبع الى سبعين الى سبعماية الى ما يشا من الاضعاف مما لا يعلمه الا
الله والله واسع اي غني لعطي الغني عن سعة وقيل واسع القدرة على المجازاة وعلى

الجود و

الجود والافضال عليم يعني بنية من ينفق في سبيله وقيل عليم بمقادير الانفاق وبما يجزي
المنفق من الجزا والثواب عليه قوله عز وجل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله
قيل نزلت في عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف اما عثمان فجهز المسلمين في
غزوة تبوك بالف بعير باقتابها واحلاسها فنزلت هذه الاية وقال عبد الرحمن بن سمرة
جا عثمان بالف دينار في جيش العسرة فصبها في حجر النبي صلى الله عليه وسلم فرايته يدخل
يده فيها ويقلبها ويقول ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم فانزل الله الذين ينفقون
اموالهم في سبيل الله واما عبد الرحمن فجا باربعة الاف درهم صدقة الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم وقال كان عندي ثمانية الاف فامسكت لنفسي وعيالي اربعة الاف
واربعة الاف اقرضت لربي عز وجل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بارك الله فيما
امسكت وفيما اعطيت والمعنى الذين يعينون المجاهدين في سبيل الله بالانفاق
عليهم في حوايجهم ومونتهم ثم لا يتبعون ما انفقوا منا ولا اذى اي يتبع نفقته الذي
انفقها عليهم بالمن والاذى وهو ان يمن عليه بعطايه فيقول قد اعطيتك كذا وكذا
فيعدد نعمه عليه فيكدرها عليه والاذى هو ان يعيره فيقول كم تسال وانت فقير
ابدا وقد بليت بك واراحني الله منك وامثال ذلك والمن في اللغة الانعام والمنة
النعمة الثقيلة يقول فلان من على فلان اذا اثقله بالنعمة ويكون ذلك بالقول ايضا
ومنه قول الشاعر ۞ ممني علينا بالسلام فانما ۞ كلامك ياقوت ودر منظم ۞ ومن المن
ما هو مستقبح بين الناس مثل ان يمن على الانسان بما اعطاه قال عبد الرحمن بن زيد
كان ابي يقول اذا اعطيت رجلا شيا ورايت ان سلامك يثقل عليه فلا تسلم عليه
والعرب تمدح بترك المن وكتم النعمة وتذم على اظهاره والمن به قال قايلهم في المدح
بترك المن ۞ زاد معروفك عندي عظما ۞ انه عندك مستور حقير ۞ تتناساه كان لم
تاته ۞ وهو في العالم مشهور كبير ۞ وقال قايلهم يذم المنان بالعطا شعر ۞ اتيت
قليلا ثم اسرعت منه ۞ فنيلك ممنون كذلك قليل ۞ واما الاذى فهو ما يصل
الى الانسان من ضرر بقول او فعل اذا عرفت هذا فنقول المن هو اظهار المعروف
الى الناس والمن عليهم به والاذى هو ان يشكو منهم بسبب ما اعطاهم فحرم الله تعالى
على عباده المن بالمعروف والاذى فيه وذم فاعله فان قلت قد وصف الله تعالى
نفسه بالمنان فما الفرق قلت المنان في صفة الله تعالى معناه المتفضل فمن الله افضاله
على عباده واحسانه اليهم بجميع ما هم فيه منه سبحانه وتعالى ومن العباد تعيير وتكدير
فظهر الفرق بينهما وقوله تعالى فلهم اجرهم يعني ثوابهم عند ربهم يعني في الاخرة
ولا خوف عليهم يعني يوم القيامة ولا هم يحزنون يعني على ما خلفوا من الدنيا
قول معروف اي كلام حسن ورد جميل على الفقير السايل وقيل عدة حسنة لو عده بها
وقيل دعا صالح يدعو له بظهر الغيب ومغفرة اي تستر عليه خلته وفقره ولا تهتك

ستره وقيل هو ان يتجاوز عن الفقير اذا استطال عليه حالة رده خير من صدقة يعني هذا
القول المعروف والمغفرة خير من صدقة التي تدفعها الى الفقير يتبعها اذى وهو ان
يعطي الفقير الصدقة ويمن عليه بها ويعيبه بقول او يوذيه بفعل والله غني اي مستغن عن
صدقة العباد والغني الكامل الغنا الذي لا يحتاج الى احد وليس كذلك الا الله تعالى
حليم يعني انه تعالى حليم لا يعجل بالعقوبة على من يمن على عباده ويوذي بصدقته قوله تعالى
يا ايها الذين امنوا لا تبطلوا صدقاتكم يعني اجور صدقاتكم بالمن والاذى يعني على
السائل الفقير وقال ابن عباس بالمن على الله تعالى والاذى لصاحبها ثم ضرب الله تعالى
لهذا مثلا فقال تعالى كالذي اي كابطال الذي ينفق ماله رئاء الناس اي مراياة لهم
وسمعة ليروا النفقة ويقولوا انه سخي كريم ولا يومن بالله واليوم الاخر يعني ان الريا يبطل
الصدقة ولا تكون النفقة مع الريا من فعل المومنين لكن من فعل المنافقين لان الكافر
معلن بكفره غير مراء به فمثله اي مثل هذا المرائي بصدقته وسائر اعماله كمثل صفوان هو
الحجر الاملس الصلب وهو واحد وجمع فمن جعله جمعا قال واحده صفوانة ومن جعله
واحدا قال جمعه اصفن عليه تراب اي على ذلك الصفوان تراب فاصابه وابل يعني
المطر الشديد العظيم القطر فتركه صلدا يعني ترك المطر ذلك الصفوان صلدا املس
لا شي عليه من ذلك التراب فهذا مثل ضربه الله تعالى لنفقة المنافق والمرائي والمومن الذي يمن
بصدقته يوذي الناس بان لهولا اعمالا في الظاهر كما يرى التراب على هذا الصفوان فاذا
جا المطر اذهبه وازاله وكذلك حال هولا يوم القيامة تبطل اعمالهم وتضمحل لانها لم تكن لله تعالى
الوابل ما على الصفوان من التراب لا يقدرون على شي مما كسبوا اي لا يقدرون على ثواب
شي مما عملوا في الدنيا والله لا يهدي القوم الكافرين يعني الذين سبق في علمه انهم يموتون
على الكفر روى البغوي بسنده عن محمود بن لبيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
انما اخوف ما اخاف عليكم الشرك الاصغر قيل وما الشرك الاصغر قال الريا يقال لهم
يوم تجازي العباد باعمالهم اذهبوا الى الذين كنتم تراؤن فانظروا هل تجدون عنده جزا
عن ابي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تبارك وتعالى
انا اغنى الشركا عن الشرك من عمل عملا اشرك فيه غيري تركته وشركه قوله عز وجل
ومثل الذين ينفقون اموالهم ابتغا مرضات الله اي لطلب رضى الله وتثبيتا من انفسهم
يعني على الانفاق في طاعة الله تعالى وتصديقا بثوابه وقيل معناه ان انفسهم موقنة
مصدقة بوعد الله اياها فيما انفقت وقيل احتسابا وقيل تصديقا والمعنى انهم
يخرجون زكاة اموالهم وينفقون اموالهم في ساير البر والطاعات طيبة انفسهم
بما انفقوا على يقين بثواب الله وتصديقا بوعده يعلمون ان ما انفقوا خيرا
لهم مما تركوا وقيل معناه ويتثبتون في الموضع الذي يضعون صدقاتهم وقيل
كان الرجل اذا هم بصدقة تثبت فان كانت لله خالصة امضاها وان كانت

خالطة

خالطة منه او ريا امسك كمثل جنة اي بستان قال الفرا اذا كان في البستان نخل
فهو جنة وان كان فيه كرم فهو فردوس بربوة اسم للمكان المرتفع عن الارض
المستوي وانما ان ما ارتفع عن الارض عن سيل الما والاودية كان ثمرها احسن وازكى
اذا كان لها من الما ما يرويها وقيل هي الارض المستوية الجيدة الطيبة اذا اصابها
المطر انتفخت فاذا كانت الارض بهذه الصفة كثر ريعها وحملت اشجارها وربت
اصابها وابل وهو المطر الكثير الشديد ٥ ما روعنه من رياض الحزن معشبة ٥
خضرا جاد عليها وابل هطل ٥ اراد بالحزن ما غلظ وارتفع من الارض فاتت اكلها ضعفين
اي فاعطت ثمرها اراد بالضعف مثلين وقيل انها حملت في سنة من الريع ما يحمل غيرها
في سنتين وقيل اضعفت فحملت في السنة مرتين فان لم يصبها وابل فطل اي طش و
هو المطر الخفيف الضعيف والمعنى ان لم يكن اصابها وابل واصابها طل فذلك حال هذه
الجنة في تضاعف ثمرها فانها لا تنقص بالطل عن مقدار ثمرها بالوابل وهذا مثل ضربه الله تعالى
كما ان هذه الجنة تربع وتزكوا في حال ولا يخلف سوا كان المطر قليلا او كثيرا فكذلك يضعف
الله صدقة المومن المخلص في صدقته وانفاقه الذي لا يمن ولا يوذي سوا قلت
نفقته او كثرت والله بما تعملون بصير يعني ان الله تعالى لا يخفى عليه صدقة المخلص في
صدقته الذي لا يمن بها ولا يوذي والذي يمن بصدقته ويوذي قوله عز وجل ايود
احدكم ان تكون له جنة من نخيل واعناب هذه متصلة بما قبلها وهو قوله تعالى لا تبطلوا صدقاتكم
بالمن والاذى يعني ايحب احدكم ان تكون له جنة من نخيل واعناب انما خصها بالذكر
لانها اشرف الفواكه واحسنها ولما فيها من الغذا والتفكه تجري من تحتها الانهار يعني
جري الانهار فيها من تمام حسنها وسبب الزيادة ثمرها له فيها من كل الثمرات لان ذلك من
تمام كمال البستان وحسنه واصابه الكبر يعني صاحب هذه الجنة كثرت جهات حاجاته ولم
يكن له كسب غيرها فحينئذ يكون في غاية الاجتهاد الى تلك الجنة فان قلت كيف عطف
واصابه الكبر على ايود وكيف يجوز عطف الماضي على المستقبل قلت فيه وجهان احدهما
ان تكون الجنة حالها اصابه الكبر والوجه الثاني انه عطف على المعنى فكانه قيل ايود
احدكم لو كانت له جنة حالها اصابه الكبر وله ذرية ضعفا يعني له اولاد صغار عجزة عن
الحركة بسبب الضعف والصغر فاصابها يعني اصاب تلك الجنة اعصار فيه نار
فاحترقت الاعصار ريح ترتفع الى السما وتستدير كانها عمود وهذا مثل ضربه الله تعالى
لعمل المنافق والمرائي يقول مثل عمل المنافق والمرائي بعمله في حسنه كحسن جنة ينتفع
بها صاحبها فلما كبر وضعف وصار له اولاد صغار ضعاف اصاب جنته اعصار
فيه نار فاحترقها وهو احوج ما يكون اليها فحصل في قلبه من الغم والحسرة ما لا
يعلمه الا الله تعالى لكبره وضعف اولاده فهو لا يجد ما يعود به على اولاده وهم لا يجدون
ما يعودون به عليه فبقوا جميعا متحيرين عجزة لا حيلة بايديهم فكذلك حال من اتى

يوم القيمة باعمال حسنة لم يقصد بها وجه الله تعالى فيبطلها الله تعالى وهو في غاية الاحتياج
اليها حين لا يستعتب له ولا توبة وقال عبيد بن عمير قال عمر يوما لاصحاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم فيمن ترون نزلت هذه الاية ايود احدكم قالوا الله اعلم فغضب عمر
وقال قولوا نعلم ولا نعلم فقال ابن عباس في نفسي منها شي يا امير المومنين فقال عمر قل يا ابن
ابن اخي ولا تحقر نفسك فقال ضرب الله مثلا للعمل قال لاي عمل قال لرجل غني يعمل بطاعة
ثم بعث الله له الشيطان فعمل بالمعاصي ا حرق اعماله كلها كذلك يبين الله لكم الايات يعني
كما بين لكم امر النفقة المقبولة كذلك يبين الله لكم من الايات سوى ذلك لعلكم تتفكرون
اي تتعظون وقال ابن عباس لعلكم تتفكرون يعني في زوال الدنيا واقبال الاخرة قوله
عز وجل يا ايها الذين امنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم اي من خيار ما كسبتم وجيده وقيل
من حلاله ما كسبتم بالتجارة والصناعة وفيه دليل على اباحة الكسب وانه ينقسم الى
طيب وخبيث عن خولة الانصارية قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
ان هذا المال خضر حلو من اصابه بحقه بورك فيه ورب متخوض فيما شاءت نفسه
من مال الله ورسوله ليس له يوم القيامة الا النار اخرجه الترمذي المتخوض الذي ياخذ
للمال من غير وجهه كما يخوض الانسان في الما يمينا وشمالا خ عن ابي هريرة قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ياتي على الناس زمان لا يبالي المرء ما اخذ منه امن حلال ام من
حرام خ عن المقدام ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما اكل احد طعاما خيرا من
ان ياكل من عمل يده فان نبي الله داود كان ياكل من عمل يده عن عائشة ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ان اطيب ما اكلتم من كسبكم وان اولادكم من كسبكم اخرجه الترمذي
والنسائي واختلفوا في المراد بقوله انفقوا فقيل المراد به الزكاة المفروضة لان الامر للوجوب
والزكاة واجبة فوجب صرف الاية اليها وقيل المراد صدقة التطوع وقيل انه يتناول الفرض
والنفل جميعا لان المفهوم من هذا الامر ترجيح جانب الفعل على الترك وهذا المفهوم قدر
مشترك بين الفرض والنفل فوجب ان يدخل تحت هذا الامر فعلى القول الاول المراد من
هذا الانفاق هو الزكاة فيتفرع عليه مسائل المسالة الاولى ظاهر الاية يدل على وجوب
الزكاة في مال يكتسبه الانسان فيدخل فيه زكاة الذهب والفضة والنعم وعروض التجارة
وقال داود الظاهري لا تجب الزكاة بحكم التجارة في العروض الا ان ينوي بها التجارة
في حال تملكه ودليل الجمهور ما روي عن سمرة بن جندب قال كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يامرنا باخراج الصدقة من الذي نعد للبيع اخرجه ابو داود وعن ابي عمرو
ابن حماس ان اباه قال مررت بعمر بن الخطاب وعلى عنقي ادمة احملها فقال عمر
الا تودي زكاتك يا حماس فقلت مالي غير هذا واهب في القرظ قال ذاك مال فضع
فوضعها فحسبها فاخذ منها الزكاة فاذا حال الحول على عروض التجارة قوم فان
وقع قيمته عشرون دينارا او مايتا درهم اخرج منه ربع العشر المسالة الثانية

في قوله تعالى ومما اخرجنا لكم من الارض وظاهر الاية يدل على وجوب الزكاة في كل
ما خرج من الارض من النبات من زرع الادميين لكن جمهور العلما خصصوا
هذا العموم فاوجبوا الزكاة في النخيل والكروم وفيما يقتات ويدخر من الحبوب واوجب
ابو حنيفة الزكاة في كل ما يقصد من نبات الارض كالفواكه والبقول والخضروات
كالبطيخ والقثا والخيار ونحو ذلك دليل الجمهور ما روي عن معاذ انه كتب الى النبي
صلى الله عليه وسلم يسال عن الخضروات وهي البقول فقال ليس فيها شي اخرجه الترمذي
وقال هذا الحديث ليس بصحيح وليس يصح عن النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الباب شي
وانما يروى هذا عن موسى بن طلحة عن النبي صلى الله عليه وسلم والعمل على هذا عند
اهل العلم ان ليس في الخضروات صدقة قلت وحديث موسى بن طلحة اخرجه الشيخ
محي الدين ابو بركات عبد السلام بن عبد الله بن تيمية الحراني في احكامه عن
عطا بن السايب قال اراد عبد الله بن المغيرة ان ياخذ من ارض موسى بن طلحة
من الخضروات صدقة فقال موسى بن طلحة ليس ذلك لك ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم كان يقول في ذلك صدقة رواه الاثرم في سننه وهو اقوى المراسيل
لاحتجاج من ارسله به وقال الزهري والاوزاعي ومالك تجب الزكاة في الزيتون
وتجب الزكاة في الثمار عند بدو الصلاح وهو ان يحمر البسر او يصفر ووقت الاخراج
بعد الاجتنا والجفاف وفي الحبوب عند الاشتداد ووقت الاخراج بعد الدياس
والتصفية المسالة الثالثة يجب اخراج العشر فيما سقي بنضح او سانية ويدل على
ذلك ما روي عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فيما سقت السما
والعيون او كان عثريا العشر وما سقي بالنضح نصف العشر اخرجه البخاري ولابي
داود والنسائي قال فيما سقت السما والانهار والعيون او كان بعلا العشر
وما سقي بالسواقي والنضح نصف العشر قال ابو داود والبعل ما شرب بعروقه ولم
يتعن في سقيه قال وقال وكيع وهو الذي ينبت من ماء السما قوله او كان عثريا
اراد به العذي من الزرع وهو البعل وقد فسره في لفظ الحديث والنضح من الابل
وكذلك السانية وهي الدابة التي يستقى عليها سوا كانت من الابل او البقر ولا يجب العشر
في الزرع والثمار حتى يبلغ خمسة اوسق والوسق ستون صاعا وقال ابو حنيفة يجب
العشر في كل قليل وكثير من الثمار والزرع واحتج الجمهور في ايجاب النصاب بما روي عن ابي
سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ليس فيما دون خمسة اوسق صدقة
وليس فيما دون خمسة اواق صدقة وليس فيما دون خمسة ذود صدقة وفي رواية ليس
فيما دون خمسة اوساق من تمر او حب صدقة اخرجاه في الصحيحين ومن قال ان المراد
بقوله تعالى انفقوا من طيبات ما كسبتم ومما اخرجنا لكم من الارض صدقة التطوع احتج
بما روي عن انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من مسلم يغرس

عرسا او زرع زرعا فياكل منه طير او انسان او بهيمة الا كان به صدقة اخرجاه في الصحيحين
وقوله تعالى ولا تيمموا الخبيث اي ولا تقصدوا الخبيث يعني الردي من اموالكم منه تنفقون
اي من الخبيث عن البراء بن عازب في قوله ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون قال نزلت فينا
معاشر الانصار كنا اصحاب نخل فكان الرجل ياتي من نخله على قدر كثرته وقلته وكان
الرجل ياتي بالقنو والقنوين فيعلقه في المسجد وكان في اهل الصفة ليس لهم طعام
فكان احدهم اذا جاع اتى القنو فضربه بعصاه فيسقط فيسقط البسر والتمر فياكل
وكان ناس ممن لا يرغب في الخير ياتي بالقنو فيه الشيص والحشف وبالقنو قد انكسر
فيعلقه فانزل الله تعالى ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم باخذيه الا ان تغمضوا فيه
قال لو ان احدكم اهدي اليه مثل ما اعطى لم ياخذه الا على اغماض وحيا قال كنا بعد ذلك
ياتي احدنا بصالح ما عنده اخرجه الترمذي وقال هذا صحيح غريب وقيل كانوا يتصدقون
باشرار ثمارهم ورذالة اموالهم ويعزلون الجيد لانفسهم فانزل الله تعالى ولا تيمموا الخبيث
منه تنفقون يعني تتصدقون ولستم باخذيه يعني ذلك الشي الخبيث الردي الا ان تغمضوا
فيه الاغماض في اللغة غض البصر والجفن والمراد به هنا التجوز والمساهلة وذلك
ان الانسان اذا راى ما يكره اغمض عينيه لئلا يرى ذلك قال ابن عباس معناه لو ان لاحدكم
على رجل حقا فجاءه بهذا لم ياخذه الا وهو يرى انه قد اغمض عن حقه وتركه وقال البراء
هو لو اهدي ذلك ما اخذتموه الا على استحياء من صاحبه وغيظ فكيف ترضون لي
ما لا ترضون لانفسكم اذا كان المال كله جيدا فليس له اعطاء الردي لان اهل السهمان
شركاؤه فيما عنده وان كان كله رديا فلا باس باعطاء الردي واعلموا ان الله غني
يعني عن صدقاتكم لم يامركم بالتصدق لعوز واحتياج اليها حميد اي محمود في افعاله
وقيل حميد يعني حامد اي اجركم على ما تفعلون من الخير قوله عز وجل الشيطان يعدكم
الفقر اي يخوفكم الفقر يقال وعدته خيرا ووعدته شرا واذا لم تذكر الخير والشر يقال في
الخير وعدته وفي الشر اوعدته والفقر سوء الحال وقلة ذات اليد واصله من كسر فقار
الظهر ومعنى الاية ان الشيطان يخوفكم بالفقر ويقول للرجل امسك عليك مالك فانك
اذا تصدقت افتقرت ويامركم بالفحشاء يعني يوسوس لكم ويحسن لكم البخل ومنع الزكاة
والصدقة قال الكلبي كل فحشاء في القران فهو الزنا الا هذا الموضع وفي هذه الاية لطيفة
وهو ان الشيطان يخوف الرجل اولا بالفقر ثم يتوصل بهذا التخويف الى ان يامره بالفحشاء
وهو البخل وذلك لان البخل صفة مذمومة عند كل احد فلا يستطيع الشيطان
ان يحسن له البخل الا بتلك المقدمة وهي التخويف من الفقر فلهذا قال الشيطان يعدكم
الفقر ويامركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه يعني مغفرة لذنوبكم وفضلا يعني رزقا
وخلفا فالمغفرة اشارة الى منافع الاخرة والفضل اشارة الى منافع الدنيا وتحصيل
من الرزق والخلف عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان

للشيطان

للشيطان لمة بابن ادم وللملك لمة فاما لمة الشيطان فايعاد بالشر وتكذيب بالحق
واما لمة الملك فايعاد بالخير وتصديق بالحق فمن وجد ذلك فليعلم انه من الله تعالى
فليحمد الله ومن وجد الاخرى فليتعوذ من الشيطان ثم قرا الشيطان يعدكم الفقر و
يامركم بالفحشاء اخرجه الترمذي وقال هذا حديث حسن غريب قوله ان للشيطان لمة
يا ابن ادم اللمة الخطرة الواحدة من الالمام وهو القرب من الشي والمراد بهذه اللمة
التي تقع في القلب من فعل خير او شر والعزم فاما لمة الشيطان فوسوسته واما لمة
الملك فالهام من الله تعالى والله واسع يعني قادر على اغنائكم واخلاف ما تنفقونه
عليم بما تنفقونه لا يخفى عليه خافية ق عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ما من يوم يصبح فيه العباد الا وملكان ينزلان يقول احدهما اللهم اعط منفقا خلفا
ويقول الاخر اللهم اعط ممسكا تلفا ق عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال قال الله تعالى انفق ينفق عليك وفي رواية يد الله ملا ما لم ينقص ما في يمينه وفي
رواية لم يغض ما في يده وكان عرشه على الماء وبيده الميزان يخفض ويرفع وفي رواية
وبيده الاخرى الفيض او القبض يرفع ويخفض ق عن اسماء بنت ابي بكر قالت قال لي
رسول الله صلى الله عليه وسلم انفقي ولا تحصي فيحصي عليك ولا توعي فيوعي عليك قوله ولا
توعي اي لا تشحي فيشح عليك اي فيجازيك بالتقتير في رزقك ولا يخلف عليك ولا
يبارك لك ومعنى لا تحصي وتمنعي بل انفقي ولا تعدي ولا تشحي قوله عز وجل يؤتي
الحكمة من يشاء قال ابن عباس هي علم القران ناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه
ومقدمه ومؤخره وحلاله وحرامه وقال الضحاك القران والفهم فيه وانما قال ذلك
لتضمن القران الحكمة وقال في القران مائة وتسع ايات ناسخة ومنسوخة والف اية
حلال وحرام لا يسع المؤمنون تركهن حتى يتعلموهن ولا تكونوا كاهل النهروان يعني
الخوارج تاولوا ايات من القران في اهل القبلة وانما نزلت في اهل الكتاب جهلوا
علمها فسفكوا بها الدماء وانتهبوا الاموال وشهدوا على اهل السنة بالضلالة فعليكم
بعلم القران فانه من علم فيم نزل لم يختلف في شي منه وقيل هي القران والعلم و
الاصابة في القول والفعل وحاصل هذه الاقوال الى شيئين العلم والاصابة
فيه ومعرفة الاشياء بذواتها واصل الحكمة المنع ومنه حكمة الدابة لانها تمنعها قال
الشاعر ابني حنيفة احكموا سفهاءكم اي امنعوا سفهاءكم وقال السدي الحكمة
النبوة لان النبي يحكم بين الناس فهو حاكم وقيل الحكمة الورع في دين الله لان
الورع يمنع صاحبه من ان يقع في الحرام او ما لا يجوز له فعله ومن يؤت الحكمة
يعني ومن يؤته الله الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا تنكير تعظيم معناه فقد اوتي اي
خير كثير وما يذكر الا اولوا الالباب اي وما يتعظ بما وعظه الله الا ذوو العقول
الذين عقلوا عن الله امره ونهيه قوله عز وجل وما انفقتم من نفقة يعني فيما

وفرضه الله عليكم من اعطاء زكاة وغيرها او نذرتم من نذر يعني به ما اوجبتموه على انفسكم في
طاعة فوفيتم به والنذر ان يوجب الانسان على نفسه شيا ليس بواجب يقال نذر
لله نذرا واصله من الخوف لان الانسان انما يعقد على نفسه النذر من خوف التقصير
في الامر المهم والنذر في الشرع على ضربين مفسر وغير مفسر فالمفسر ان يقول لله علي
صوم او حج او عتق او صدقة فيلزمه الوفا به ولا يجزيه غيره وغير المفسر هو ان يقول
نذرت لله لا افعل كذا ثم يفعله او يقول لله علي نذر من غير تسمية شي فيلزمه كفارة
يمين خ عن عائشة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من نذر ان
يطيع الله فليطعه ومن نذر ان يعصي الله فلا يعصه عن ابن عباس ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال من نذر نذرا لم يسمه فكفارته كفارة يمين ومن نذر نذرا
في معصية فكفارته كفارة يمين ومن نذر نذرا فاطاقه فليف به اخرجه ابو داود عن
ابن عمر بن حصين قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نذر في معصية ولا فيما
لا يملك ابن ادم اخرجه النساي ق عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى
عن النذر وقال انه لا ياتي بخير وانما يستخرج به من البخيل م عن ابي هريرة ان النبي صلى
الله عليه وسلم قال ان النذر لا يقرب من ابن ادم شيا لم يكن الله قدره له ولكن
النذر يوافق القدر فيخرج بذلك من البخيل شيا لم يكن البخيل يريد ان يخرج وقال
بعض العلما يحتمل ان يكون سبب النهي عن النذر كون الناذر يصير ملتزما ما لا
فياتي به تكلفا بغير نشاط او يكون سببه كونه ياتي به على سبيل المعاوضة عن الامر
الذي طلبه فينقص اجره وشان العبادة ان تكون متمحضة لله تعالى وقال بعضهم
يحتمل ان يكون النهي لكونه قد يظن بعض الجهلة ان النذر يرد القدر او يمنع من
حصول المقدور فنهى عنه خوفا من اعتقاد ذلك وسياق الحديث يوكد هذا
وقوله في بعض روايات الحديث انه لا ياتي بخير فمعناه انه لا يرد شيا من القدر وقوله
فيخرج ذلك من البخيل ما لم يكن البخيل يريد ان يخرج معناه انه لا ياتي بهذه القربة
تطوعا محضا مبتدا وانما ياتي بها في مقابلة شي يريده كقوله ان شفى الله مريضي
فعلي كذا ونحو ذلك مما يحصل به النذر والله اعلم وقوله تعالى فان الله يعلمه اي
يعلم ما انفقتم ونذرتم فيجازيكم به وانما قال يعلمه ولم يقل يعلمهما لانه رد الضمير
على الاخر منهما فهو كقوله ومن يكسب خطيئة او اثما ثم يرم به بريئا وقيل ان
الكناية عادت على ما في قوله وما انفقتم لانها اسم فهو كقوله وما انزل عليكم من
الكتاب والحكمة يعظكم به ولم يقل بهما وما للظالمين يعني الواضعين الصدقة
في غير موضعها وقيل الذين يريدون بصدقاتهم الريا والسمعة وقيل هم الذين
يتصدقون بالمال الحرام من انصار اي اعوان يدفعون عنهم عذاب الله
ففيه وعيد عظيم لكل ظالم قوله تعالى ان تبدوا الصدقات اي تظهروا الصدقات

والصدقة

والصدقة ما يخرجه الانسان من ماله على وجه القربة فيدخل فيه الزكاة الواجبة وصدقة التطوع
فنعما هي اي فنعمت الخصلة هي وقيل معناه فنعم الشي هي وقيل معناه فنعم شيا
ابدا الصدقات وان تخفوها اي تستروا الصدقة وتوتوها الفقرا اي وتعطوها الفقرا
في السر فهو خير لكم يعني اخفا الصدقة افضل من العلانية وكل مقبول اذا كانت النية
صادقة واختلفوا في المراد بالصدقة المذكورة في الاية فقال الاكثرون المراد بها صدقة
التطوع واتفق العلما على ان كتمان صدقة التطوع افضل وكتمانها خير من اظهارها
لان ذلك ابعد من الريا واقرب الى الاخلاص ولان فيه بعدا عما توثره النفس من
اظهار الصدقة وفي صدقة السر ايضا فائدة ترجع الى الفقير الاخذ وهي انه اذا اعطي
في السر زال عنه الذل والانكسار واذا اعطي في العلانية يحصل له الذل والانكسار
ويدل على ان صدقة السر افضل ما روي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل الا ظله امام عادل وشاب نشا في
عبادة الله تعالى ورجل قلبه معلق بالمسجد اذا خرج منه حتى يعود اليه ورجلان تحابا
في الله اجتمعا على ذلك وافترقا عليه ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه من
خشية الله ورجل دعته امراة ذات منصب وجمال فقال اني اخاف الله ورجل
تصدق بصدقة فاخفاها حتى لا تعلم شماله ما انفقت يمينه اخرجاه في الصحيحين ووجه
جواز اظهار الصدقة يكون ذلك ممن قد امن على نفسه من مداخلة الريا في عمله او يكون
ممن يقتدى به في افعاله فاذا اظهر الصدقة تابعه غيره على ذلك واما الزكاة فاظهار
اخراجها افضل من كتمانها كالصلاة المكتوبة في الجماعة افضل وصلاة التطوع في البيت
افضل ولان في اظهار الزكاة نفي التهمة عن المزكي وقيل ان الاية واردة في زكاة
الفرض وكان اخفاوها خيرا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لانهم كانوا لا يظنون
باحد انه يمنع الزكاة فاما اليوم في زماننا فاظهار الزكاة افضل حتى لا يسا الظن
به وقيل ان الاية عامة في جميع الصدقات الواجبة والتطوع والاخفا افضل من كل
صدقة من زكاة وغيرها وقوله تعالى ويكفر عنكم من سياتكم قيل ان من صلة زائدة
تقديره ويكفر عنكم سياتكم قال ابن عباس جميع سياتكم وقيل من ادخل للتبعيض
ليكون العباد على وجل ولا يتكلوا والمعنى ويكفر عنكم الصغار من سياتكم واصل
التكفير في اللغة التغطية والستر والله بما تعملون خبير يعني من اظهار الصدقات
واخفايها قوله عز وجل ليس عليك هداهم قيل سبب نزول هذه الاية ان ناسا
من المسلمين كان لهم قرابات واصهار في اليهود وكانوا ينفعونهم وينفقون
عليهم قبل ان يسلموا فلما اسلموا كرهوا ان ينفعوهم وارادوا بذلك ان يسلموا
وقيل كانوا يتصدقون فقرا اهل المدينة فلما كثر المسلمون نهى رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن التصدق على المشركين كي تحملهم الحاجة على الدخول في الاسلام لحرصه

صلى الله عليه وسلم على اسلامهم فنزل ليس عليك هداهم ومعناه ليس عليك هداية من
خالفك يعني تمنعهم الصدقة لاجل ان يدخلوا في الاسلام فحينئذ تتصدق عليهم
فاعلمه الله تعالى انه بعثه بشيرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه واما كونهم مهتدين فليس
ذلك اليه ولكن الله يهدي من يشاء يعني ان الله تعالى يوفق من يشاء فيهديه الى
الاسلام واراد بالهداية هنا هداية التوفيق واما هداية البيان والدعوة فكانت
على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما نزلت هذه الاية فاعطوهم وتصدقوا عليهم
وما تنفقوا من خير اي من مال فلانفسكم اي تفعلون تنفعون به انفسكم وما تنفقون
الا ابتغاء وجه الله ظاهره خبر ومعناه نهي اي ولا تنفقوا الا ابتغاء وجه الله وقال الزجاج
هذا خاص للمؤمنين اعلمهم الله انه قد علم مرادهم بنفقتهم بما عنده وقيل معناه ولستم
في صدقتكم على اقاربكم من المشركين تقصدون الا وجه الله وقد علم الله هذا من قلوبهم
فانفقوا عليهم اذا كنتم انما تبتغون بذلك وجه الله تعالى في صلة الرحم وسد خلة مضطر
قال بعض العلماء لو انفقت على شر خلق الله لكان لك ثواب نفقتك واجمع العلماء
على انه لا يجوز صرف الزكاة الا الى المسلمين وهم اهل السهام المذكورون في سورة التوبة
وجوز ابو حنيفة صرف صدقة الفطر الى اهل الذمة وخالفه سائر العلماء في ذلك فعلى
هذا تكون الاية مختصة بصدقة التطوع اباح الله تعالى ان تصرف الى فقراء المسلمين والى
فقراء اهل الذمة فاما زكاة الفرض فلا يجوز صرفها الى اهل الذمة بحال وما تنفقوا من خير
يوف اليكم اي يوفى لكم جزاؤه وقال ابن عباس يجازيكم به يوم القيامة ومعناه
يؤدى اليكم ولهذا حسن ادخال الى مع التوفية لانها تضمن معنى التادية وانتم
لا تظلمون اي لا تنقصون شيئا من ثواب اعمالكم قوله عز وجل للفقراء الذين احصروا
اختلفوا في موضع اللام في قوله للفقراء فقيل هو مردود على موضع اللام من قوله فلانفسكم
كانه قال وما تنفقوا من خير فللفقراء وانما تنفقون لانفسكم وقيل معناه الصدقات التي
سبق ذكرها للفقراء وقيل خبره محذوف تقديره للفقراء الذين من صفتهم كذا وكذا حق
واجب وهم فقراء المهاجرين كانوا نحو من اربعمائة رجل لم يكن لهم بالمدينة مساكن ولا
عشائر وكانوا ياوون الى صفة بالمسجد يتعلمون القران بالليل ويرضخون النوى
بالنهار وكانوا يخرجون في كل سرية يبعثها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم اصحاب
الصفة فحث الله تعالى الناس على مواساتهم فكان من عنده فضل اتاهم به اذا امسى
وقوله الذين احصروا في سبيل الله يعني هم الذين حبسوا انفسهم على الجهاد في
سبيل الله وقيل حبسوا انفسهم على طاعة الله لا يستطيعون ضربا في الارض يعني
لا يتفرغون للتجارة وطلب المعاش والكسب وهم اهل الصفة الذين تقدم
ذكرهم وقيل حبسهم الفقر والعدم عن الجهاد في سبيل الله وقيل هم قوم اصابتهم
جراحات في الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فصاروا زمنى حبسهم

المرض والزمانة

المرض والزمانة عن الضرب في سبيل الله يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف اي يظن
من لم يختبر حالهم انهم اغنياء من التعفف وهو تفعل من العفة وهي ترك الشيء
والكف عنه يقال تعفف اذا ترك السؤال ولزم القناعة والمعنى يظنهم من لم
يعرف حالهم اغنياء لاظهارهم التجمل وتركهم المسالة تعرفهم بسيماهم السيما والسيميا
والسمة العلامة التي يعرف بها الشيء واختلفوا في معناها هنا فقيل هي التخشع
والتواضع وقيل هي اثر الجهد من الحاجة والفقر وقيل هي صفرة الوانهم من الجوع
ورثاثة ثيابهم من الضر لا يسالون الناس الحافا يعني الحاحا فقيل اذا كان عنده غداء
لا يسال عشاء واذا كان عنده عشاء لا يسال غداء وقيل لا يسالون الناس اصلا لانه قال
يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف وهو ترك المسالة فعلم بذلك انهم لا يسالون البتة
ولانه قال تعرفهم بسيماهم ولو كانت المسالة من شانهم لما كانت الى معرفتهم بالعلامة حاجة
فمعنى الاية ليس يصدر منهم سؤال حتى يقع فيه الحاف فهم لا يسالون الناس الحافا
ولا غير الحاف ق عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس الغنى
عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس ق عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
ليس المسكين الذي ترده اللقمة واللقمتان والتمرة والتمرتان ولكن المسكين الذي
لا يجد غنى يغنيه ولا يفطن به فيتصدق عليه ولا يقوم فيسال الناس لفظ البخاري
خ عن الزبير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لان ياخذ احدكم احبله ثم ياتي
الجبل فياتي بحزمة من حطب على ظهره فيبيعها خير له من ان يسال الناس اعطوه
ام منعوه عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سال الناس
وله ما يغنيه جاء يوم القيامة ومسالته في وجهه خموش او خدوش او كدوح
قيل يا رسول الله وما الغنى قال خمسون درهما او قيمتها من الذهب اخرجه
ابو داود والترمذي والنسائي عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم من سال وله قيمة اوقية فقد الحف اخرجه ابو داود وقال
زاد هشام في حديثه وكانت الاوقية على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم اربعين
درهما وفي رواية عطاء بن يسار من سال منكم وله اوقية او عدلها فقد سال
الحافا عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من سال وله اربعون درهما فهو ملحف اخرجه النسائي م عن ابي هريرة قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سال الناس تكثرا فانما يسال جمرا فليستقل او ليستكثر
وقوله تعالى وما تنفقوا من خير فان الله به عليم يعني انه تعالى يعلم مقادير الانفاق ويجازي
عليه ففيه حث على الصدقة والانفاق في الطاعة وقوله تعالى الذين ينفقون اموالهم
بالليل والنهار سرا وعلانية قال ابن عباس في رواية عنه نزلت هذه الاية في علي بن
ابي طالب كانت عنده اربعة دراهم لا يملك غيرها فتصدق بدرهم ليلا وبدرهم

نهارا او بدرهم سرا وبدرهم علانية وفي رواية عنه لما نزلت للفقرا الذين احصروا في
سبيل الله بعث عبد الرحمن بن عوف بدنانير كثيرة الى اهل الصفة وبعث علي بن
ابي طالب في الليل بوسق فيه تمر فانزل الله تعالى فيهما الذين ينفقون اموالهم
بالليل والنهار يعني بنفقة الليل نفقة علي وبالنهار نفقة عبد الرحمن وفي الاية اشارة
الى ان صدقة السر افضل من صدقة العلانية لانه تعالى قدم نفقة الليل على نفقة النهار
وقدم السر على العلانية وقيل نزلت الاية في الذين يربطون الخيل للجهاد في سبيل الله
لانهم يعلفونها بالليل والنهار سرا وعلانية خ عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من احتبس فرسا في سبيل الله ايمانا واحتسابا وتصديقا بوعده فان شبعه
وريه وروثه وبوله في ميزانه يوم القيامة يعني حسنات وقيل ان الاية عامة في الذين
ينفقون اموالهم في جميع الاوقات ويعمون بها اصحاب الحاجات الفاقات فلهم اجرهم عند
ربهم اي جزاء اعمالهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون يعني في الاخرة قوله عز وجل الذين
ياكلون الربا اي يعاملون به وانما خص بالاكل لانه معظم الامر المقصود من المال
لان المال لا يؤكل انما يصرف في الماكول ثم توكل فمنع الله التصرف في الربا بما ذكر فيه
من الوعيد م عن جابر قال لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم اكل الربا وموكله
وكاتبه وشاهديه وقال هم سوا واصل الربا في اللغة الزيادة يقال ربا الشي يربو
اذا زاد وكثر فالربا زيادة في المال لا يقومون يعني من قبورهم يوم القيامة الا كما
يقوم الذي يتخبطه الشيطان اي يصرعه واصل الخبط الضرب والوطي وهو ضرب
على غير استوا يقال ناقة خبوط للتي تضرب الارض بقوائمها وتطا الناس باخفافها
ومنه قولهم تخبط خبط عشوا للرجل الذي يتصرف في الامور على غير اهتدا ويتخبطه
الشيطان اذا مسه بخبل وجنون من المس يعني من الجنون يقال مس الرجل
فهو ممسوس اذا كان فيه جنون ومعنى الاية ان اكل الربا يبعث يوم القيامة مثل
المصروع الذي لا يستطيع الحركة الصحيحة لان الربا في بطونهم حتى اثقلهم فلا يقدرون
على الاسراع قال سعيد بن جبير تلك علامة اكل الربا اذا استحله يوم القيامة
وروى البغوي بسند الثعلبي عن ابي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
في قصة الاسرا قال فانطلق بي جبريل الى رجال كثير كل رجل بطنه مثل البيت الضخم
منضدين على سابلة ال فرعون وال فرعون يعرضون على النار غدوا وعشيا
فيقبلون مثل الابل المنهومة يخبطون الحجارة والشجر لا يسمعون ولا يعقلون فاذا
احس بهم اصحاب تلك البطون قاموا فتميل بهم بطونهم فيصرعون ثم يقوم
احدهم فتميل به بطنه فيصرع فلا يستطيعون ان يبرحوا حتى يغشاهم ال فرعون
فيردونهم مقبلين ومدبرين فذلك عذابهم في البرزخ بين الدنيا والاخرة
قال وال فرعون يقول اللهم لا تقم الساعة ابدا قال ويوم القيامة يقول ادخلوا

ال فرعون

ال فرعون اشد العذاب قلت يا جبريل من هولا قال هولا الذين ياكلون الربا لا يقومون
الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس قوله بطنه مثل البيت الضخم اي
العظيم الكبير الغليظ وقوله منضدين اي موضوعين بعضهم على بعض والسابلة
الطريق وقوله مثل الابل المنهومة النهم بالتحريك افراط في الشهوة في الطعام من
الجوع قوله تعالى ذلك بانهم قالوا انما البيع مثل الربا اي ذلك الذي نزل بهم من
العذاب بقولهم هذا واستحلالهم اياه وذلك ان اهل الجاهلية كان احدهم اذا حل
ماله على غريمه فيطالبه به فيقول الغريم لصاحب الحق زدني في الاجل حتى ازيدك
في المال فيفعلان ذلك وكانوا يقولون سوا علينا الزيادة في اول البيع بالربح
او عند المحل لاجل التاخير فكذبهم الله تعالى ورد عليهم ذلك بقوله واحل الله البيع
وحرم الربا يعني واحل الله الارباح في التجارة بالبيع والشرا وحرم الربا الذي هو
زيادة في المال لاجل تاخير الاجل وذلك لان الله تعالى خلق الخلق فهم عبيده
وهو مالكهم يحكم فيهم بما يشا ويستعبدهم بما يريد ليس لاحد ان يعترض عليه
في شي مما احل وحرم وانما على كافة الخلق الطاعة والتسليم لحكمه وامره ونهيه وذكر
بعض العلما الفرق بين البيع والربا فقال اذا باع ثوبا يساوي عشرة بعشرين
فقد جعل ذلك الثوب مقابلا للعشرين فلما حصل التراضي على هذا التقابل صار
كل واحد منهما مقابلا للاخر في المالية عندهما فلم يكن اخذ من صاحبه شيئا
بغير عوض اما اذا باع عشرة دراهم بعشرين فقد اخذ العشرة الزايدة بغير عوض
ولا يمكن ان يقال ان العوض هو الامهال لانه ليس مالا او شيئا يشار اليه حتى
يجعله عوضا عن العشرة الزايدة فقد ظهر الفرق بين الصورتين فصل في
حكم الربا وفيه مسايل المسئلة الاولى ذكروا في سبب تحريم الربا وجوها احدها
ان الربا يقتضي اخذ مال الغير بغير عوض لان من يبيع درهما بدرهمين نقدا كان
او نسيئة فقد حصل له زيادة درهم من غير عوض فهو حرام والوجه الثاني انما حرم
عقد الربا لانه يمنع الناس عن الاشتغال بالتجارة لان صاحب الدراهم
اذا تمكن من عقد الربا خف عليه تحصيل الزيادة من غير تعب ولا مشقة
فيفضي ذلك الى انقطاع منافع الناس بالتجارات وطلب الارباح الوجه
الثالث ان الربا هو سبب الى انقطاع المعروف بين الناس من القرض فلما
حرم الربا طابت النفوس بقرض الدراهم للمحتاج واسترجاع مثله لطلب
الاجر من الله تعالى الوجه الرابع ان تحريم الربا قد ثبت بالنص ولا يجب ان يكون
حكم جميع التكاليف معلومة للخلق فوجب القطع بتحريم الربا وان كنا لا نعقل
وجه الحكمة في ذلك المسئلة الثانية ان الربا في اللغة هو الزيادة وطلب الزيادة
بطريق التجارة غير حرام فثبت ان الزيادة المحرمة هي الربا وهو على صفة مخصوصة

في مال مخصوص بينه رسول الله صلى الله عليه وسلم خ عن عمر بن الخطاب قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم الذهب بالورق ربا الا هاء وهاء والبر بالبر ربا الا هاء وهاء والشعير بالشعير ربا
الا هاء وهاء والتمر بالتمر ربا الا هاء وهاء وفي رواية الورق بالورق ربا الا هاء وهاء والذهب بالذهب
ربا الا هاء وهاء م عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الذهب بالذهب وزنا
بوزن مثلا بمثل والفضة بالفضة وزنا بوزن مثلا بمثل فمن زاد او استزاد فقد
وفي رواية التمر بالتمر والحنطة بالحنطة والشعير بالشعير والملح بالملح مثلا بمثل يدا بيد
فمن زاد او استزاد فقد اربى الا ما اختلفت الوانه م عن عبادة بن الصامت
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الذهب بالذهب والفضة بالفضة والبر بالبر
والشعير بالشعير والتمر بالتمر والملح بالملح مثلا بمثل سواء بسواء يدا بيد فاذا اختلفت هذه
الاصناف فبيعوا كيف شئتم اذا كان يدا بيد فنص رسول الله صلى الله عليه وسلم
على جريان الربا في هذه الستة اشياء وهي النقدين واربعة اصناف من المطعومات وهي البر
والشعير والتمر والملح فذهب عامة اهل العلم الى ان حكم الربا ثبت في هذه الاشياء لاوصاف
فيها فيتعدى الى كل ما توجد تلك الاوصاف فيه ثم اختلفوا في تلك الاوصاف
فذهب قوم الى ان المعنى في جميعها هو واحد وهو النفع فاثبتوا الربا في جميع الاموال
وذهب الاكثرون الى ان الربا ثبت في الدراهم والدنانير بوصف وفي الاشياء المطعومة
بوصف اخر واختلفوا في ذلك الوصف فذهب الشافعي ومالك الى انه ثبت
في الدراهم والدنانير بوصف النقدية وذهب اصحاب الراي الى انه ثبت لعلة الوزن
فاثبتوا الربا في جميع الموزونات مثل الحديد والنحاس والقطن ونحو ذلك واما الاربعة اشياء
المطعومة فذهب اصحاب الراي الى ان الربا ثبت فيها لعلة الوزن والكيل فاثبتوا الربا
في جميع المكيلات والموزونات مطعوما كان او غير مطعوم كالجص والنورة ونحوهما وذهب
جماعة الى ان العلة فيها الطعم مع الكيل والوزن فكل مطعوم مكيل او موزون يثبت فيه
الربا ولا يثبت فيما سوى ذلك مما ليس بمكيل او موزون وهو قول سعيد بن المسيب
والشافعي في القديم وقال في الحديث يثبت الربا فيها بوصف الطعم فاثبت الربا في
جميع الاشياء المطعومة من الثمار والفواكه والبقول والادوية مكيلة كانت او موزونة
عن معمر بن عبد الله ارسل غلامه بصاع قمح فقال بعه ثم اشتر به شعيرا فذهب الغلام
فاخذ صاعا وزيادة بعض صاع فلما جاء معمرا اخبره بذلك فقال له معمر لم فعلت ذلك
انطلق فرده ولا تاخذن الا مثلا بمثل فاني كنت اسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول الطعام بالطعام مثلا بمثل وكان طعامنا الشعير قيل له فانه ليس بمثله قال اني اخاف
ان يضارع اخرجه مسلم فجملة مال الربا عند الشافعي ما كان ثمنا او مطعوما المسئلة
الثالثة الربا نوعان ربا فضل وهو الزيادة وربا نسيئة وهو الاجل فان باع مالا يدخل
فيه الربا بجنسه مثل ان باع احد النقدين بجنسه كالذهب بالذهب او المطعوم بجنسه

كالحنطة بالحنطة ونحو ذلك فيشترط فيه التماثل والمساواة بمعيار الشرع فان كان موزونا
كالدراهم والدنانير فيشترط فيه المساواة في الوزن وان كان مكيلا كالحنطة والشعير
يشترط في بيعه بجنسه المساواة في الكيل وشرط التقابض في مجلس العقد وان باع
ما يدخل فيه الربا بغير جنسه نظر فان باع بما لا يوافق في وصف الربا مثل ان باع مطعوما
باحد النقدين فلا ربا فيه كما لو باعه بمال الربا وان باعه بما يوافقه في الوصف
لا في الجنس مثل ان باع الدراهم بالدنانير او باع الحنطة بالشعير او كان مطعوما بمطعوم
اخر من غير جنسه فلا يثبت فيه ربا التفاضل فيجوز بيعه متفاضلا ويثبت فيه ربا
النسيئة فيشترط في بيعه التقابض في المجلس لقوله صلى الله عليه وسلم الا يدا بيد
وقوله هاء وهاء ففيه اشتراط التقابض في المجلس وتحريم النسيئة وقوله صلى الله عليه
وسلم الا سواء بسواء مثلا بمثل ففيه ايجاب المماثلة وتحريم التفاضل عند اتفاق الجنس
وقوله صلى الله عليه وسلم فاذا اختلفت هذه الاجناس فبيعوا كيف شئتم ففيه اطلاق التبايع
مع التفاضل عند اختلاف الجنس مع اشتراط التقابض في المجلس وهو قوله صلى الله عليه وسلم
اذا كان يدا بيد والله اعلم المسئلة الرابعة في القرض ومن قرض شيئا وشرط عليه ان يرد عليه
افضل منه فهو قرض جر منفعة وكل قرض جر منفعة فهو ربا يدل عليه ما روي عن مالك قال
بلغني ان رجلا اتى ابن عمر فقال اني اسلفت رجلا سلفا واشترطت عليه افضل مما اسلفته
فقال عبد الله بن عمر فذلك ربا اخرجه مالك في الموطا قال فان لم يشترط فضلا في وقت القرض
فرد المستقرض افضل مما اخذ جاز ويدل عليه ما روي عن مجاهد ان ابن عمر استلف دراهم
فقضى صاحبها خيرا منها فابى ان ياخذها وقال هذه خير من دراهمي فقال ابن عمر قد علمت
ولكن نفسي بذلك طيبة اخرجه مالك في الموطا وقوله تعالى فمن جاءه موعظة من ربه اي تذكير
وتخويف وانما ذكر الفعل لان تانيثه غير حقيقي فجاز تذكيره وذلك لان الوعظ والموعظة
شيء واحد فانتهى اي عن اكل الربا فله ما سلف اي ما مضى من ذنبه قبل النهي مغفور له
وامره الى الله يعني بعد النهي ان شاء عصمه حتى يثبت على الانتهاء وان شاء خذله يعود
الى اكل الربا وقيل معناه وامره الى الله فيما يامره وينهاه ويحل له ويحرم عليه وليس له
من امر نفسه شيء وقيل ان الاية فيمن يعتقد تحريم الربا ثم ياكله فامره الى الله ان شاء
عفى عنه وان شاء عذبه ومن عاد يعني الى اكل الربا بعد التحريم مستحلا له فاولئك
اصحاب النار هم فيها خالدون قوله عز وجل يمحق الله الربا اي ينقصه ويهلكه و
يذهب بركته قال ابن عباس لا يقبل الله منه صدقة ولا حجا ولا جهادا ولا صلاة ويربي
الصدقات اي يزيدها وينميها ويبارك فيها في الدنيا ويضاعف اجرها في الاخرة
ق عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تصدق احد بصدقة
من كسب طيب ولا يقبل الله الا الطيب الا اخذها الرحمن بيمينه وان كانت
تمرة فتربو في كف الرحمن حتى تكون اعظم من الجبل كما يربي احدكم فلوه او فصيله

لفظ مسلم وللبخاري من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب ولا يصعد الى الله ولا في رواية
ولا يقبل الله الا الطيب فان الله يقبلها بيمينه ثم يربيها لصاحبها كما يربي احدكم
فلوه حتى تكون مثل الجبل والله لا يحب كل كفار يعني كل مصر على كفره مقيم عليه
مستحل لاكل الربا اثيم يعني متماد في الاثم وفيما نهي عنه من اكل الربا لا ينزجر عنه
ولا يتركه وقيل يحتمل ان يكون الكفار راجعا الى مستحل الربا والاثيم راجع الى من يفعله
مع اعتقاد التحريم فتكون الاية جامعة للفريقين قوله تعالى ان الذين امنوا يعني
صدقوا بالله ورسوله وعملوا الصالحات يعني التي امرهم الله بها واقاموا الصلاة
اي المفروضة باركانها وحدودها في اوقاتها واتوا الزكاة يعني المفروضة عليهم في
اموالهم لهم اجرهم عند ربهم اي لهم ثواب اعمالهم في الاخرة ولا خوف عليهم ولا هم
يحزنون اي يوم القيامة قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وذروا
ما بقي من الربا قيل نزلت في العباس بن عبد المطلب وعثمان بن عفان وكانا
قد اسلفا في التمر فلما حضر وقت الجذاذ قال صاحب التمر لهما ان انتما اخذتما
حقكما لم يبق لي ما يكفي عيالي فهل لكما ان تاخذا النصف وتؤخرا النصف واضعف
لكما ففعلا فلما حل الاجل طلبا منه الزيادة فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم
فنهاهما وانزل الله عز وجل هذه الاية فسمعا واطاعا واخذا رؤوس اموالهما وقيل
نزلت في العباس وخالد بن الوليد وكانا شريكين في الجاهلية يسلفان في الربا
الى بني عمرو بن عمير ناس من ثقيف في الاسلام ولهما اموال عظيمة في الربا وانزل
الله تعالى الاية وقال النبي صلى الله عليه وسلم في خطبة حجة الوداع فيما رواه جابر من
افراد مسلم الا كل شيء من امر الجاهلية تحت قدمي موضوع ودماء الجاهلية موضوعة
وان اول دم اضع من دمائنا دم ابن ربيعة بن الحارث كان مسترضعا في بني سعد
فقتلته هذيل وربا الجاهلية موضوع واول ربا اضع ربا العباس بن عبد المطلب
فانه موضوع كله وقيل نزلت في اربعة اخوة من ثقيف وهم مسعود وعبد ياليل
وحبيب وربيعة بنو عمرو بن عمير بن عوف الثقفي وكانوا يداينون بني المغيرة
ابن عبد الله بن عمر بن مخزوم وكانوا يربون فلما ظهر النبي صلى الله عليه وسلم
على الطائف اسلم هؤلاء الاخوة بنو عمرو الثقفي وطلبوا رباهم من بني المغيرة
فقال بنو المغيرة والله ما نعطي الربا في الاسلام وقد وضعه الله تعالى عن المؤمنين
فاختصموا الى عتاب بن اسيد وكان عامل رسول الله صلى الله عليه وسلم فكتب بالقصة
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان ذلك مالا عظيما فانزل الله يا ايها الذين امنوا اتقوا الله اي خافوا
الله فيما امركم به والانتهاء عما نهاكم عنه وذروا اي واتركوا ما بقي من الربا يعني
واتركوا طلب ما بقي لكم من فضل على رؤوس اموالكم ان كنتم مؤمنين يعني ان كنتم
محققين لايمانكم قولا وفعلا فان لم تفعلوا اي لم تتركوا ما بقي من الربا بعد تحريمه

فاذنوا قرئ بكسر الذال والمد على وزن امنوا ومعناه فاعلموا غيركم انكم حرب
لله ورسوله وقرئ فاذنوا بفتح الذال مع القصر ومعناه فاعلموا انتم واتقنوا
بحرب من الله ورسوله قال ابن عباس يقال لاكل الربا يوم القيامة خذ سلاحك
للحرب قال اهل المعاني حرب الله النار وحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم السيف
واختلفوا في معنى هذه المحاربة فقيل المراد بها المبالغة في الوعيد والتهديد دون
نفس الحرب وقيل بل المراد منه نفس الحرب وذلك ان من اصر على اكل الربا وعلم
به الامام قبض عليه واجرى فيه حكم الله من التعزير والحبس الى ان تظهر منه التوبة
وان كان اكل الربا ذا شوكة وصاحب عسكر حاربه الامام كما يحارب الفئة الباغية
قال ابن عباس من كان مقيما على اكل الربا لا ينزع عنه فحق على امام المسلمين ان
يستتيبه فان نزع اي تاب والا ضرب عنقه وان تبتم اي فان تركتم اكل الربا
ورجعتم عنه فلكم رؤوس اموالكم لا تظلمون ولا تظلمون يعني لا تظلمون انتم
الغريم بطلب زيادة على راس المال ولا تظلمون انتم بنقصان راس المال فلما
نزلت هذه الاية قال بنو عمرو الثقفي ومن كان يعامل بالربا من غيرهم بل نتوب
الى الله تعالى فانه لا يدان لنا يعني لا قوة لنا بحرب الله ورسوله ورضوا برؤوس
اموالهم فشكا بنو المغيرة العسرة ومن كان عليه دين وقالوا اخرونا الى ان
ندرك الغلات فابوا ان يؤخروهم فانزل الله عز وجل وان كان ذو عسرة
يعني وان كانت الذي عليه الحق من غرمائكم معسرا والعسر نقيض اليسر وهو
تعذر وجدان المال واعسر الرجل اذا ضاق ولم يجد ما يؤديه في دينه فنظرة
اي فامهال الى ميسرة اي زمن اليسار وهو ضد الاعسار وهو وجدان المال
الذي يؤديه في دينه واختلفوا في حكم الاية وهل الانظار مختص بالربا ام هو
عام في كل دين على قولين القول الاول وهو قول ابن عباس وشريح والضحاك
والسدي ان الاية في الربا وذكر عن شريح ان رجلا خاصم رجلا اليه فقضى
عليه وامر بحبسه فقال رجل كان عند شريح انه معسر والله يقول في كتابه وان كان
ذو عسرة فنظرة الى ميسرة فقال شريح انما ذلك في الربا وان الله تعالى قال في
كتابه ان الله يامركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها واذا حكمتم بين الناس
ان تحكموا بالعدل ولا يامرنا الله بشيء ثم يعذبنا عليه والقول الثاني وهو قول مجاهد
وجماعة من المفسرين ان حكم الاية عام في كل دين على كل معسر واحتجوا بان الله
تعالى قال وان كان ذو عسرة ولم يقل ذا عسرة ليكون الحكم عاما في جميع المعسرين
وان تصدقوا خير لكم يعني وان تصدقوا على المعسر بما عليه من الدين فتتركوا
رؤوس اموالكم للمعسر خير لكم وانما جاز هذا الحذف للعلم به لانه قد جرى ذكر
المعسر وذكر راس المال فعلم ان التصدق راجع اليهما ان كنتم تعلمون يعني

ان التصدق خير لكم وافضل لان فيه الثنا الجميل في الدنيا والثواب الجزيل في العقبى
في ثواب انظار المعسر والوضع عنه وتشديد امر الدين والامر بقضايه م عن
ابي قتادة انه طلب غريما له فتوارى عنه ثم وجده فقال اني معسر قال فاني سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من سره ان ينجيه من كرب يوم القيامة
فلينفس عن معسر او يضع عنه م عن ابي اليسر قال سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول من انظر معسرا او وضع عنه اظله الله في ظله يوم لا ظل الا
ظله ق عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان فيمن قبلكم تاجرا
يداين الناس فان راى معسرا قال لفتيانه تجاوزوا عنه لعل الله ان يتجاوز عنا
فتجاوز الله عنه عن ابي موسى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان اعظم الذنوب
عند الله ان يلقاه به عبد بعد الكباير التي نهى الله عنها ان يموت رجل وعليه
دين لا يدع له قضا اخرجه ابو داود خ عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من اخذ اموال الناس يريد اداها ادى الله عنه ومن اخذ اموال الناس
يريد اتلافها اتلفه الله ق عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال مطل الغني ظلم زاد في رواية واذا اتبع احدكم على ملي فليتبع ق عن كعب
ابن مالك انه تقاضى ابن ابي حدرد دينا كان له في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
في المسجد فارتفعت اصواتهما حتى سمعها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في بيته فخرج
اليهما حتى كشف سجف حجرته فنادى فقال يا كعب قلت لبيك يا رسول الله فاشار
بيده ان ضع الشطر من دينك قال كعب قد فعلت يا رسول الله قال قم فاقضه
ق عن ابي هريرة قال كان لرجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم سن من الابل
فجاءه يتقاضاه فقال اعطوه فقالوا وفيته وفاك الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم
ان خيركم احسنكم قضا وفي رواية انه اغلظ لرسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تقاضا
حتى هم به بعض اصحابه فقال دعوه فان لصاحب الحق مقالا ثم امر له بافضل
من سنه م عن ابي قتادة الانصاري عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قام فيهم
فذكر لهم ان الجهاد في سبيل الله والايمان بالله افضل الاعمال فقام رجل فقال يا رسول
الله ارايت ان قتلت في سبيل الله تكفر عني خطاياي فقال له رسول الله صلى
الله عليه وسلم نعم ان قتلت في سبيل الله وانت صابر محتسب مقبل غير مدبر قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف قلت قال ارايت ان قتلت في سبيل الله
اتكفر عني خطاياي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم وانت صابر محتسب
مقبل غير مدبر الا الدين فان جبريل قال لي ذلك عن محمد بن جحش قال كنا جلوسا
عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فرفع راسه الى السما ثم وضع راحته على جبهته
ثم قال سبحان الله ماذا نزل من التشديد فسكتنا وفزعنا فلما كان من الغد

سالته يا رسول الله ما هذا التشديد الذي نزل فقال والذي نفسي بيده لو ان
رجلا قتل في سبيل الله ثم احيي ثم قتل ثم احيي وعليه دين ما دخل الجنة حتى يقضى
عنه دينه اخرجه النسائي قوله عز وجل واتقوا اي وخافوا يوما ترجعون فيه الى الله
قرئ بفتح التاء اي تصيرون فيه الى الله وقرئ بضم التاء وفتح الجيم اي تردون فيه
الى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت يعني من خير او شر وهم لا يظلمون اي في ذلك
اليوم وفي هذه الاية وعيد شديد وزجر عظيم قال ابن عباس هذه اخر اية نزلت
على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال جبريل ضعها على راس مايتين وثمانين من
سورة البقرة وعاش بعدها رسول الله صلى الله عليه وسلم احدى وعشرين يوما
وقيل تسع ليال وقيل سبع ومات صلى الله عليه وسلم لليلتين خلتا من ربيع الاول
في يوم الاثنين سنة احدى وعشرة من الهجرة وروى الشعبي عن ابن عباس ان اخر
اية نزلت اية الربا قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا اذا تداينتم بدين قال ابن
عباس لما حرم الله الربا اباح السلم وقال اشهد ان السلف المضمون الى اجل
مسمى قد احله الله في كتابه واذن فيه وقوله اذا تداينتم اي تعاملتم بالدين او
داين بعضكم بعضا والتداين تفاعل من الدين يقال داينته اذا عاملته بالدين وانما
قال بدين بعد قوله تداينتم لان المداينة قد تطلق على المجازاة وعلى المعاطاة فبقيده
بالدين ليعرف المراد من اللفظ ويخلص احد المعنيين من الاخر وقيل انما قال بدين
ليرجع الضمير اليه في قوله فاكتبوه اذ لو لم يذكر ذلك لوجب ان يقال فاكتبوا الدين
فلا يحصل النظم بذلك وقيل انما ذكره تاكيدا الى اجل مسمى يعني الى مدة معلومة الاول
والاخر مثل السنة والشهر ولا يجوز الى غير مدة معلومة كما لو قال الى الحصاد ونحوه
والاجل يلزم في الثمن في البيع وفي السلم حتى لا يكون لصاحب الحق الطلب قبل
محل الاجل بخلاف القرض فانه لا يلزم فيه الاجل عند اكثر اهل العلم ق عن ابن عباس
قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وهم يسلفون في التمر العام والعامين
فقال لهم من اسلف في تمر ففي كيل معلوم او وزن معلوم الى اجل معلوم وقوله تعالى
فاكتبوه اي اكتبوا الدين الذي تداينتم به بيعا كان ذلك او سلما او قرضا واختلفوا
في هذه الكتابة فقيل هي واجبة وهو مذهب عطا وابن جريج والنخعي واختيار محمد
ابن جرير الطبري وقيل الامر محمول على الندب والاستحباب فان تركه فلا باس وهو
قول جمهور العلما وقيل بل كانت الكتابة والاشهاد والرهن فرضا ثم نسخ بقوله تعالى
فان امن بعضكم بعضا فليؤد الذي اؤتمن امانته وهو قول الحسن والشعبي والحكم
ابن عيينة ثم بين الله تعالى كيفية الكتابة بقوله وليكتب بينكم كاتب اي ليكتب
الدين بين الطالب والمطلوب كاتب بالعدل اي بالحق من غير زيادة ولا
نقصان ولا تقديم اجل ولا تاخير وقيل ان فايدة الكتابة هي حفظ المال من الجانبين

لان صاحب الدين اذا علم ان حقه مقيد بالكتابة تعذر عليه طلب زيادة
او تقديم المطالبة قبل حلول الاجل ومن عليه الدين اذا عرف ذلك تعذر
عليه الجحود او النقص من اصل الدين الذي عليه فلما كانت هذه الفايدة في
الكتابة امر الله تعالى بها ولا ياب اي ولا يمتنع كاتب ان يكتب واختلفوا في وجوب الكتابة
على الكاتب وتحمل الشهادة على الشاهد فقيل بوجوبها لان ظاهر الكلام نهي عن الامتناع
من الكتابة وايجابها على كل كاتب فاذا طولب بالكتابة وتحمل الشهادة من هو من اهلها
وجب عليه ذلك وقيل هو من فرض الكفاية وهو قول الشعبي فان لم يوجد الا واحدا
وجب عليه ذلك وقيل هو على الندب والاستحباب وذلك ان الله تعالى لما علمه الكتابة
وشرفه بها استحب له ان يكتب ليقضي حاجة اخيه المسلم وشكر تلك النعمة التي انعم
الله بها عليه وقيل كانت الكتابة وتحمل الشهادة واجبتان على الكاتب والشاهد ثم
نسخها الله بقوله ولا يضار كاتب ولا شهيد كما علمه الله اي كما شرعه الله وامره
به فليكتب وذلك ان يكتب بحيث لا يزيد ولا ينقص ويكتب ما يصلح ان يكون
حجة عند الحاجة ولا يخص احد المتعاقدين بالاحتياط له دون الاخر وان يكون كل
واحد منهما امنا من ابطال حقه وان يكون ما يكتبه متفقا عليه عند العلما وان يحترز
من الالفاظ التي يقع النزاع فيها وهذه الامور لا تحصل الا ممن هو فقيه عالم باللغة
ومذاهب العلما وليملل الذي عليه الحق يعني ان المطلوب الذي عليه الحق يقر على
نفسه ليعلم ما عليه من الحق فيذكر قدره وجنسه وصفته والاجل ونحو ذلك والاملال
والاملا لغتان معناهما واحد وليتق الله ربه يعني المملي ولا يبخس اي ولا ينقص
منه اي من الحق الذي وجب شيا فان كان الذي عليه الحق سفيها اي جاهلا بالاملا
وقيل هو الطفل الصغير وقال الشافعي السفيه المبذر المفسد لماله ودينه او ضعيفا يعني
شيخا كبيرا وقيل هو ضعيف العقل لعته او جنون او لا يستطيع ان يمل هو يعني لخرس
او عمى او عجمة في كلامه او حبس او غيبة لا يمكنه الحضور عند الكاتب او يجهل بماله وعليه
فهولا كلهم لا يصح اقرارهم فلا بد ان يقوم غيرهم مقامهم وهو قوله تعالى فليملل وليه
يعني ولي كل واحد من هولا الثلاثة المحجور عليهم لانه مقامه في صحة الاقرار وقال
ابن عباس صاحب الدين يعني ان عجز الذي عليه الحق عن الاملا فليملل صاحب
الحق لانه اعلم بحقه بالعدل اي بالصدق واستشهدوا شهيدين من رجالكم يعني
واشهدوا على حقوقكم شاهدين لان المقصود من الكتابة هو الاشهاد من رجالكم
يعني من اهل ملتكم يعني من المسلمين الاحرار دون العبيد والصبيان وهذا قول اكثر اهل
العلم واجاز شريح وابن سيرين شهادة العبيد وحجة هذا القول ان قوله من رجالكم
عام يتناول العبيد وغيرهم وذلك لان عقل الانسان ودينه وعدالته تمنعه من
الكذب فاذا اجتمعت هذه الشرايط فيه كانت شهادته معتبرة وحجة جمهور العلما ولا ياب

الشهدا اذا ما دعوا وهذا النص يقتضي ان من تحمل شهادة وجب عليه الادا اذا طولب
بها والعبد ليس كذلك فان السيد اذا لم ياذن في ذلك حرم عليه الذهاب الى
ادا الشهادة فوجب ان لا يكون العبد من اهل الشهادة فان لم يكونا رجلين
فان لم يكن الشاهدان رجلين فرجل وامراتان اي فليشهد رجل وامراتان اجمع
الفقها على ان شهادة النسا مع الرجال جايزة في الاموال فيثبت الحق بشهادة رجل
وامراتين واختلفوا في غير الاموال فذهب سفيان الثوري واصحاب الراي الى انه يجوز
شهادة النسا مع الرجال في ساير الحقوق غير العقوبات وذهب جماعة الى ان غير المال
لا يثبت الا رجلين عدلين وذهب الشافعي الى ان ما يطلع عليه النسا غالبا كالولادة
والرضاع والبكارة والثيابة ونحوها تجوز شهادة رجل وامراتين او شهادة اربع نسوة واتفقوا على ان
شهادة النسا غير جايزة ولا مقبولة في العقوبات والحدود وقوله تعالى ممن ترضون من الشهدا يعني من كان
مرضيا عندكم في دينه وامانته والشرايط المعتبرة للعدالة وقبول الشهادة عشرة وهي الاسلام والحرية
والعقل والبلوغ والعدالة والمروة وان لا يجر بتلك الشهادة منفعة لنفسه ولا يدفع عنه بها
مضرة ولا يكون معروفا بكثرة الغلط والسهو وان لا يكون بينه وبين من شهد عليه عداوة
فشهادة الكافر مردودة لان الكذاب لا تقبل شهادته فالذي يكذب على الله تعالى اولى بان
ترد شهادته وجوز اصحاب الراي شهادة اهل الذمة بعضهم على بعض ولا تقبل شهادة العبيد
واجازها شريح وابن سيرين وهو قول انس والاقوال للمجنون معتبر حتى تصح شهادته ولا تجوز شهادة
الصبيان وسيل ابن عباس عن ذلك فقال لا يجوز لان الله تعالى قال ممن ترضون من الشهدا والعدالة
شرط وهو ان الشاهد مجتنبا عن الكباير غير مصر على الصغاير والمروة شرط وهي ما يتصل بآداب
النفس مما يعلم ان تاركه قليل الحيا وهي حسن الهيئة والسيرة والعشرة والصناعة فان كان
الرجل يظهر من نفسه شيا مما يستحي امثاله من اظهاره في الاغلب علم بذلك قلة مروته وترد
شهادته وانتفا التهمة شرط فلا تقبل شهادة العدو على العدو وان كان مقبول الشهادة
على غيره لانه متهم في حق عدوه لا في حق غيره ولا تقبل شهادة الرجل لولده ووالده وتقبل
شهادته عليهما ولا تقبل شهادة من يجر بشهادته الى نفسه نفعا عن عايشة قالت قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تجوز شهادة خاين ولا خاينة ولا مجلود حدا ولا ذي غمر
على اخيه ولا مجرب شهادة ولا القانع اهل البيت لهم ولا ظنين في ولا ولا قرابة قال
الفزاري القانع التابع اخرجه الترمذي قوله لا تجوز شهادة خاين اراد بالخيانة الخيانة
في الدين والمال والامانة فان من ضيع شيا من امانة الله تعالى او ارتكب شيا مما نهى الله
عنه لا يكون عدلا والغمر بكسر الغين الحقد والقانع هو السايل المستطعم وقيل هو المنقطع
الى قوم يخدمهم فترد شهادته للتهمة في جر النفع الى نفسه لان التابع لاهل البيت ينتفع
بما يصير اليهم والظنين بكسر الظا المتهم وقوله تعالى ان تضل احداهما اي تنسى احد المراتين
فتذكر احداهما الاخرى لان الغالب على طباع النسا النسيان فاقيمت المراتان مقام

الرجل الواحد حتى لو نسيت احداهما فتذكرها الاخرى فتقول حضرنا مجلس كذا وسمعنا كذا
فيحصل بذلك الذكرى وحكي عن سفيان بن عيينه انه قال هو من الذكر اي تجعل
احداهما الاخرى ذكرا والمعنى ان شهادتهما تصير كشهادة ذكر والقول الاول اصح لانه
معطوف على تضل وهو النسيان وقوله تعالى ولا ياب الشهدا اذا ما دعوا يعني اذا دعوا
لتحمل الشهادة وسماهم شهدا لانهم يكونوا شهدا وهذا امر ايجاب عند بعضهم وقال
قوم يجب اذا لم يكن غيره فان كان غيره فهو مخير وقيل هو ندب فهو مخير في جميع
الاحوال وقال بعضهم هذا في اقامة الشهادة وادائها ومعنى الاية ولا ياب الشهدا
اذا ما دعوا لادا الشهادة التي تحملوها وقيل الاية في الامرين جميعا يعني في التحمل والادا
والاقامة اذا كان فارغا وقيل الشاهد بالخيار ما لم يشهد فاذا شهد وجب عليه
الادا ولا تساموا اي ولا تملوا ولا تضجروا ان تكتبوه الضمير راجع الى الحق والدين
صغيرا كان او كبيرا يعني قليلا كان الحق او الدين او كثيرا الى اجله اي الى محل الحق و
الدين ذلكم يعني ذلك الكتاب اقسط عند الله يعني اعدل عند الله لانه هو امر به
واتباع امره اعدل من تركه واقوم للشهادة يعني ان الكتابة تذكر الشهود وادنى الا
ترتابوا يعني واحرى واقرب الى ان لا تشكوا في الشهادة الا ان تكون تجارة
حاضرة اي الا ان يقع تجارة حاضرة يدا بيد تديرونها بينكم اي فيما بينكم ليس فيها
اجل فليس عليكم جناح اي لا ضرر عليكم ان لا تكتبوها يعني التجارة الحاضرة
والتجارة تقليب الاموال وتصريفها لطلب النما والزيادة بالارباح وانما رخص
الله تعالى في الكتابة والاشهاد في هذا النوع من التجارة لكثرة ما يجري بين الناس
فلو كلفوا فيها الكتابة والاشهاد لشق ذلك عليهم ولانه اذا اخذ كل واحد
من المتبايعين حقه من صاحبه في ذلك المجلس لم يكن هناك خوف التجاحد
فلا حاجة الى الكتابة والاشهاد واشهدوا اذا تبايعتم يعني فيما جرت العادة
بالاشهاد عليه واختلفوا في هذا الامر فقيل هو للوجوب فيجب ان يشهد
في صغير الحق وكبيره ونقده ونسيه وقيل هو امر ندب واستحباب وهو قول
الجمهور وقيل انه منسوخ بقوله فان امن بعضكم بعضا فليود الذي ايتمن
امانته وقوله تعالى ولا يضار كاتب ولا شهيد هذا نهي عن المضارة واصله
يضارر بكسر الرا الاولى ومعناه لا يضار الكاتب فيابى ان يكتب والشاهد
فيابى ان يشهد او يضار الكاتب فيزيد او ينقص او يحرف ما املي عليه فيضر
صاحب الحق وكذا الشاهد وقيل اصله يضارر بفتح الرا الاولى ومعناه ان يدعو
الرجل الكاتب والشاهد وهما مشغولين فيقولان نحن على شغل مهم فاطلب غيرنا
فيقول الداعي ان الله امركما ان تجيبا اذا دعيتما ويلح عليهما فيشغلهما عن
حاجتهما فنهى عن مضارتهما وامر ان يطلب غيرهما وان تفعلوا يعني ما نهيتكم عنه

من الضرار

من الضرار فانه فسوق بكم اي معصية وخروج عن الامر واتقوا الله اي وخافوا الله
واحذروه فيما نهاكم عنه من المضارة وغيرها ويعلمكم الله يعني ما يكون ارشادا لكم في
امر الدنيا كما يكون ارشادا لكم في امر الدين والله بكل شي عليم يعني انه تعالى عليم بجميع
مصالح عباده لا يخفى عليه شي من ذلك قوله عز وجل وان كنتم على سفر اي في سفر
ولم تجدوا كاتبا يعني ولم تجدوا الات الكتابة فرهان جمع رهن وقرى فرهن
مقبوضة يعني فارتهنوا ممن تداينونه رهونا مقبوضة لتكون وثيقة لكم باموالكم
واصل الرهن من الدوام يقال رهن الشي اذا دام وثبت والرهن ما وضع عند
الانسان مما ينوب مناب ما اخذ منه دينا فان قلت لم شرط الارتهان في السفر مع
عدم الكاتب ولا يختص به سفر دون حضر وقد صح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
رهن درعه عند ابي الشحم اليهودي على طعام اخذه الى اجل ولم يكن ذلك في سفر ولا
عند عدم كاتب قلت ليس الغرض تجويز الارتهان في السفر خاصة دون الحضر
ولكن لما كان السفر مظنة لاعواز الكاتب والاشهاد امر الله به على سبيل الارشاد
الى حفظ الاموال لمن كان على سفر بان يقيم التوثيق بالارتهان مقام الكتابة
والاشهاد واتفق العلما على جواز الرهن في الحضر والسفر جميعا ومع وجود الكاتب
وعدمه وقال مجاهد لا يجوز الا في السفر عند عدم الكاتب لظاهر الاية واجاب
الجمهور عن ظاهر الاية ان الكلام انما خرج على الاعم الاغلب لا على سبيل الشرط
واتفق العلما على ان الرهن لا يتم الا بالقبض فلو رهن ولم يسلم لم يجبر الراهن على
التسليم فاذا سلم الرهن لزم من جهته حتى لا يجوز له ان يسترجعه ما دام شي من الحق
باقيا وقوله تعالى فان امن بعضكم بعضا يعني فان كان الذي عليه الحق امينا عند
صاحب الحق ولم يرتهن منه شيا لحسن ظنه به فليود الذي ايتمن امانته يعني فليود
المديون الذي عليه الحق الذي كان في ظن الداين الذي هو صاحب الحق امانته
يعني حقه سمي الدين امانة وان كان مضمونا لايتمانه عليه حيث امن من جحوده
فلم يكتب ولم يشهد عليه ولم ياخذ منه رهنا حثث المديون على ان يكون عند
ظن الداين الذي ايتمنه وان يود اليه حقه الذي ايتمنه ولم يرتهن منه عليه
شيا ثم زاد ذلك توكيدا بقوله وليتق الله ربه اي المديون في ادا الحق عند
حلول الاجل من غير مماطلة ولا جحود بل يعامله المعاملة الحسنة كما احسن ظنه فيه
ثم رجع الى خطاب الشهود فقال تعالى ولا تكتموا الشهادة يعني اذا دعيتم الى اقامتها
وادايها وذلك لان الشاهد متى امتنع عن اقامة الشهادة وكتمها فقد ابطل بذلك
حق صاحب الحق ولهذا نهى عن كتمان الشهادة وبالغ في الوعيد عليه فقال تعالى
ومن يكتمها فانه اثم قلبه اي فاجر قلبه والاثم الفاجر وانما اضيف الاثم الى القلب
لان الافعال من الدواعي والصوارف انما تحدث في القلب فلما كان الامر كذلك

اضيف الاثم الى القلب فقيل ما اوعد الله على شيء كايعاده على كتمان الشهادة فانه
تعالى قال فانه اثم قلبه واراد به مسخ القلب نعوذ بالله من ذلك والله بما تعملون عليم
يعني من بيان الشهادة وكتمانها ففيه وعيد وتحذير لمن كتم الشهادة ولم يظهرها قوله
تعالى لله ما في السموات وما في الارض ملكا وملكا واهلها عبيده وهو مالكهم وان تبدوا
ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله وهذا يتناول حديث النفس والخواطر الفاسدة
التي ترد على القلب ولا يتمكن من دفعها فالمواخذة بها تجري مجرى تكليف ما لا يطاق
واجيب عن هذا بان الخواطر الحاصلة في القلب على قسمين فمنها ما يوطن الانسان
نفسه عليه ويعزم على اظهاره الى الوجود فهذا مما يواخذ الانسان به والقسم الثاني ما يخطر
بالبال ولا يمكن دفعه عن نفسه لكن يكرهه ولا يعزم على فعله ولا اظهاره في الوجود فهذا
معفو عنه بدليل قوله لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت وقال قوم هذه الاية خاصة
ثم اختلفوا في وجه تخصيصها فقال بعضهم هي متصلة بالاية التي قبلها وانما نزلت
في كتمان الشهادة ومعنى الاية وان تبدوا ما في انفسكم ايها الشهود من كتمان الشهادة
او تخفوه اي تخفوا الكتمان يحاسبكم به الله وهذا ضعيف لان اللفظ عام وان
كان واردا عقيب قضية فلا يلزم صرفه اليها وقال بعضهم ان الاية نزلت في
من يتولى الكافرين من المومنين والمعنى وان تبدوا اي تظهروا ما في انفسكم يعني
من ولاية الكفار او تخفوه فلا تظهروه يحاسبكم به الله وذهب اكثر العلما الى ان الاية
عامة ثم اختلفوا فقال قوم هي منسوخة بالاية التي بعدها ويدل عليه ما روي
عن ابي هريرة قال لما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم لله ما في السموات
وما في الارض وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه الاية اشتد ذلك على اصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم فاتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم بركوا على الركب فقالوا
يا رسول الله كلفنا من الاعمال ما نطيق الصلاة والصوم والجهاد والصدقة وقد
انزلت عليك هذه الاية ولا نطيقها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتريدون
ان تقولوا كما قال اهل الكتابين من قبلكم سمعنا وعصينا بل قولوا سمعنا
واطعنا غفرانك ربنا واليك المصير فلما اقترأها القوم وذلت بها السنتهم انزل
الله في اثرها امن الرسول بما انزل اليه من ربه والمومنون كل امن بالله وملايكته
وكتبه ورسله لا نفرق بين احد من رسله وقالوا سمعنا واطعنا غفرانك ربنا و
اليك المصير فلما فعلوا ذلك نسخها الله تعالى فانزل الله عز وجل لا يكلف الله نفسا
لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تواخذنا ان نسينا او اخطانا قال نعم ربنا
ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا قال نعم ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة
لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا انت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين
قال نعم اخرجه مسلم وله عن ابن عباس نحوه وفيه قد فعلت بدل نعم وعن ابي هريرة

ان رسول

ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى تجاوز لامتي ما حدثت به انفسها ما لم يعملوا
او يتكلموا وفي رواية وما وسوست به صدورها وقال قوم ان الاية غير منسوخة لان
النسخ لا يرد الا على الامر والنهي ولا يرد على الاخبار وقول الله تعالى يحاسبكم به الله خبر
فلا يرد عليه النسخ ثم اختلفوا في تاويلها فقال قوم قد اثبت الله تعالى للقلب كسبا فقال
بما كسبت قلوبكم وليس لله عبد اسر عملا او اعلنه من حركة جارحة او همة قلب الا يعلمه
الله ثم يخبره ويحاسبه عليه ثم يغفر ما يشاء ويعذب بما يشاء وقال اخرون في معنى الاية
ان الله تعالى يحاسب خلقه بجميع ما ابدوا من اعمالهم او اخفوه ويعاقبهم عليه غير ان
معاقبتهم على ما اخفوه اخف مما لم يعملوا به وهو ما يحدث بهم في الدنيا من النوايب
والمصايب والامور التي يحزنوا عليها وهذا قول عايشة عن امية انها سالت عايشة
عن قول الله عز وجل ان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله وعن قوله من يعمل
سوا يجز به فقالت ما سالني عنها احد منذ سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت
هذه معاتبة الله العبد بما يصيبه من الحمى والنكبة حتى البضاعة يضعها في يد قميصه
فيفقدها فيفزع لها حتى ان العبد ليخرج من ذنوبه كما يخرج التبر الاحمر من الكير اخرجه
الترمذي وقال حديث حسن غريب وله عن انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال اذا اراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا واذا اراد بعبده الشر امسك
عليه بذنبه حتى يوافيه به يوم القيامة وقال قوم في معنى الاية وان تبدوا ما في انفسكم
يعني بما عزمتم عليه او تخفوه اي ولا تبدوه وانتم عازمون عليه يحاسبكم به الله فاما
حديث النفس مما لم تعزموا فان ذلك مما لا يكلف الله نفسا الا وسعها ولا يواخذ
به قال عبد الله بن المبارك قلت لسفيان ايواخذ العبد بالهمة فقال اذا كانت
عزما اخذ بها وقيل معنى المحاسبة الاخبار والتعريف فرجع معنى هذه المحاسبة الى
كونه تعالى عالما بكل ما في الضماير والسراير مما ظهر واخفي ومعنى الاية وان تبدوا
ما في انفسكم فتعملوا او تخفوه مما اضمرتم ونويتم يحاسبكم به الله اي يخبركم به ويعرفكم
اياه ثم يغفر للمومنين اظهارا لفضله ويعذب الكافرين اظهارا لعدله روي عن
ابن عباس ويدل عليه انه قال يحاسبكم به الله ولم يقل يواخذكم به لان المحاسبة
غير المواخذة ويدل عليه ايضا ما روي عن صفوان بن محرز المازني قال بينا ابن
عمر يطوف اذ عرض له رجل فقال يا ابا عبد الرحمن اخبرني ما سمعت من رسول الله
صلى الله عليه وسلم في النجوى قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يدنى
المومن من ربه حتى يضع عليه كنفه فيقرره بذنوبه تعرف ذنب كذا وكذا فيقول
اعرف رب اعرف مرتين فيقول سترتها عليك في الدنيا وانا اغفرها لك اليوم
ثم تطوى صحيفة حسناته واما الاخرون وهم الكفار والمنافقون فينادى بهم على
روس الخلايق هولاء الذين كذبوا على ربهم الا لعنة الله على الظالمين اخرجاه

في الصحيحين وقوله تعالى فيغفر لمن يشا ويعذب من يشا قال ابن عباس يغفر لمن يشا
الذنب العظيم ويعذب من يشا الذنب الصغير لا يسئال عما يفعل وهم يسالون
والله على كل شي قدير يعني انه تعالى قادر على كل شي كامل القدرة فيغفر للمومنين
فضلا ويعذب الكافرين عدلا قوله عز وجل امن الرسول بما انزل اليه من ربه
عن ابن عباس قال لما نزلت هذه الاية وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم
به الله دخل قلوبهم منه شي فقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم فانزل الله امن الرسول
بما انزل اليه من ربه والمومنون كل امن بالله وملايكته الاية لا يكلف الله نفسا
الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تواخذنا ان نسينا او اخطانا قال
قد فعلت ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا قال قد فعلت
ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا انت مولانا فانصرنا
على القوم الكافرين قال قد فعلت اخرجه الترمذي وقال حديث حسن قال الزجاج
لما ذكر الله في هذه السورة فرض الصلاة والزكاة والصوم والحج والطلاق والايلا
والحيض والجهاد واقاصيص الانبيا وما ذكر من كلام الحكما ختم السورة بذكر
تصديق نبيه صلى الله عليه وسلم والمومنين بجميع ذلك ومعنى امن الرسول
صدق الرسول يعني محمد صلى الله عليه وسلم والمعنى صدق الرسول ان هذا القران
وجملته ما فيه من الشرايع والاحكام منزل من عند الله عز وجل والمومنون
يعني وصدق المومنون بذلك ايضا كل اي كل واحد من المومنين امن
بالله وملايكته وكتبه ورسله فهذه اربع مراتب من اصول الايمان وضرورياته
فاما الايمان بالله فهو ان يومن بان الله واحد احد لا شريك له ولا نظير له
ويومن بجميع اسمايه الحسنى وصفاته العليا وانه حي عالم قادر على كل شي واما
الايمان بالملايكة فهو ان يومن بوجودهم وانهم معصومون مطهرون وانهم السفرة
الكرام البررة وانهم الوسايط بين الله تعالى وبين رسله واما الايمان بكتبه فهو
ان يومن بان الكتب المنزلة من عند الله هو وحي الله الى رسله وانها حق وصدق
من عند الله تعالى بغير شك ولا ارتياب وان القران لم يحرف ولم يبدل ولم يغير
وانه مشتمل على المحكم والمتشابه وان محكمه يكشف عن متشابهه واما الايمان بالرسل
فهو ان يومن بانهم رسل الله الى عباده وامناوه على وحيه وانهم معصومون
وانهم افضل الخلق وان بعضهم افضل من بعض وقد انكر بعضهم ذلك وتمسك
بقوله تعالى لا نفرق بين احد من رسله واجيب عنه بان المقصود من هذا الكلام
شي اخر وهو اثبات نبوة الانبيا والرد على اليهود والنصارى الذين يقرون
بنبوة موسى وعيسى وينكرون نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقد ثبت بالنص
الصريح تفضيل بعض الانبيا على بعض بقوله تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض

ويعني قوله لا نفرق بين احد من رسله فنومن ببعض ونكفر ببعض كما فعلت اليهود
والنصارى بل نومن بجميع رسله وفي الاية اضمار تقديره وقالوا يعني المومنين لا نفرق
بين احد من رسله وقالوا سمعنا واطعنا يعني سمعنا قول ربنا فيما امرنا به واطعنا
فيما الزمنا من فرايضه واستعبدنا من طاعته وسلمنا له فيما امرنا به ونهى عنه غفرانك
ربنا اي نسالك غفرانك ربنا او يكون المعنى اغفر لنا ربنا غفرانك واليك المصير
يعني قالوا واليك يا ربنا مرجعنا ومعادنا فاغفر لنا ذنوبنا روى البغوي بغير سند
عن حكيم بن جابر ان جبريل قال للنبي صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل قد اثنى عليك
وعلى امتك فاسئل تعطه فسال بتلقين الله تعالى غفرانك ربنا واليك المصير
قوله تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها قيل يحتمل ان يكون ابتدا خبر من الله تعالى ويحتمل
ان يكون حكاية عن المومنين وفيه اضمار كانه قال تعالى عنهم وقالوا لا يكلف الله
نفسا الا وسعها يعني طاقتها والوسع اسم لما يسع الانسان ولا يضيق عليه قال
ابن عباس واكثر المفسرين ان هذه الاية نسخت حديث النفس والوسوسة وذلك
انه لما نزل ان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه ضج المومنون منها وقالوا يا رسول الله
نتوب من عمل اليد والرجل واللسان فكيف نتوب من الوسوسة وحديث النفس
فنزلت هذه الاية والمعنى انكم لا تستطيعون ان تمتنعوا من الوسوسة وحديث النفس
كان ذلك مما لم تطيقوه وقال ابن عباس في رواية عنه هم المومنون خاصة وسع
الله عليهم امر دينهم ولا يكلفهم ما لا يستطيعون كما قال يريد الله بكم اليسر ولا يريد
بكم العسر وقال تعالى وما جعل عليكم في الدين من حرج سئل سفيان بن عيينة عن
قوله تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها قال الا يسرها ولم يكلفها طاقتها وهذا قول
حسن لان الوسع ما دون الطاقة وقيل معناه ان الله تعالى لا يكلف نفسا الا وسعها
فلا يتعبدها بما لا تطيق لها ما كسبت يعني للنفس ما عملت من خير فلها اجره وثوابه
وعليها ما اكتسبت يعني من الشر وعليها وزره وعقابه وقيل في معنى الاية ان الله تعالى
لا يواخذ احدا بذنب غيره قوله عز وجل ربنا لا تواخذنا وهذا تعليم من الله تعالى
عباده المومنين كيف يدعونه ومعنى قوله ربنا لا تواخذنا اي لا تعاقبنا وانما جا بلفظ
المفاعلة وهو فعل واحد لان المسي قد امكن من نفسه وطرق السبيل اليها بفعله فكانه
اعان عليه من يعاقبه بذنبه ويواخذه به ان نسينا او اخطانا فيه وجهان احدهما
انه من النسيان الذي هو السهو وهو عند التذكير قيل كانوا بنو اسرايل اذا نسوا شيئا
مما امروا به او اخطاوا واعجلت لهم فيحرم عليهم شيا مما كان حلالا لهم من مطعم ومشرب
على حسب ذلك الذنب فامر الله المومنين ان يسالوه ترك مواخذتهم بذلك فان
قلت اليس فعل الناسي في محل العفو بدليل قوله صلى الله عليه وسلم رفع عن امتي الخطا
والنسيان وما استكرهوا عليه فاذا كان النسيان في محل العفو قطعا فما معنى

طلب العفو عنه بالدعا قلت الجواب عنه من وجوه الاول ان النسيان على ضربين اما الاول
فهو ما كان من العبد على وجه التضييع والتفريط وهو ترك ما امر بفعله كمن راى على ثوبه
دما فاخر ازالته عنه ثم نسي فصلى فيه وهو على ثوبه فيعد مقصرا اذ كان يلزمه المبادرة الى ازالته
اما اذا لم يره فيعذر فيه وكذا لو ترك ما امر بفعله على وجه السهو او ارتكب منهيا عنه من غير
قصد اليه كاكل ادم عليه السلام من الشجرة التي نهي عنها على وجه النسيان من غير عزم على المخالفة
كما قال تعالى ولقد عهدنا الى ادم من قبل فنسي ولم نجد له عزما فمثل هذا يجب ان يسال الله
ان يعفو عنه ذلك واما الضرب الثاني فهو كمن ترك صلاة ثم نسيها او ترك دراسة القران
بعد ان حفظه حتى نسيه فهذا لا يعذر بنسيانه وسهوه لانه فرط فيثبت ان النسيان على ضربين
واذا كان كذلك صح طلب العفو والغفران عن النسيان الوجه الثاني من الجواب ان الصحابة
رضي الله عنهم كانوا من المتقين لله حق تقاته فان صدر منهم ما لا ينبغي فلا يكون الا على سبيل
السهو والنسيان فطلبهم العفو والغفران لما يقع منهم على سبيل السهو والنسيان انما هو لشدة
خوفهم وتقواهم الوجه الثالث ان المقصود من هذا الدعا هو التضرع والتذلل واما الخطا في قوله
او اخطانا فعلى وجهين ايضا احدهما ان ياتي العبد ما نهي عنه بقصد وارادة فذلك خطا منه
وهو به ماخوذ فيحسن طلب العفو والغفران لذلك الفعل الذي ارتكبه الوجه الثاني ان يكون
الخطا على سبيل الجهل والظن بان له فعله كمن ظن ان وقت الصلاة قد دخل وهو في يوم غيم
واخرها حتى خرج وقتها فهذا من الخطا الموضوع عن العبد لكن طلب العفو والغفران
بسبب تقصيره وقوله تعالى ربنا ولا تحمل علينا اصرا يعني عهدا ثقيلا وميثاقا غليظا فلا نستطيع
القيام به فتعذبنا بنقضه وتركه كما حملته على الذين من قبلنا يعني اليهود فلم يقوموا به
فعذبتهم عليه وقيل معناه ولا تشدد علينا كما شددت على اليهود من قبلنا وذلك
ان الله تعالى فرض عليهم خمسين صلاة وامرهم باداء ربع اموالهم زكاة ومن اصاب
ثوبه منهم نجاسة قطعها ومن اصاب ذنبا اصبح وذنبه مكتوب على بابه ونحو ذلك
من الاثقال والاصار التي كتبت عليهم فسال المومنون ربهم ان يصيبهم من امثال
هذه التغليظات والعهود الثقيلة وقد اجاب الله دعاهم برحمته وخفف عنهم بفضله
وكرمه فقال تعالى ما جعل عليكم في الدين من حرج وقيل الاصر ذنب لا توبة له فسال
المومنون ربهم ان يعصمهم من مثله ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به يعني لا تكلفنا من
الاعمال ما لا نطيق القيام به لثقل حمله علينا وتكليف ما لا يطيق على وجهين احدهما
ما ليس في قدرة العبد احتماله كتكليف الاعمى النظر والزمن العدو فهذا النوع من التكليف
الذي لا يكلف الله به عبده بحال الوجه الثاني من تكليف ما لا يطاق وهو ما في قدرة
العبد احتماله مع المشقة الشديدة والكلفة العظيمة لتكليف الاعمال الشاقة كالفرائض
الثقيلة كما كان في ابتدا الاسلام صلاة الليل واجبة ونحوه فهذا الذي سال المومنون ربهم
لا يحملهم ما لا طاقة لهم به ويستدل بهذه الاية من يقول ان تكليف ما لا يطاق جائز

اذ لو لم يكن جائزا لما حسن طلب تخفيفه بالدعا من الله تعالى وقيل في قوله ولا تحملنا ما لا
طاقة لنا به هو حديث النفس والوسوسة وقيل هو هيجان الغلمة وقيل هو الحب وقيل
هو شماتة الاعدا وقيل هو الفرقة والقطيعة وقيل هو مسخ القردة والخنازير نعوذ بالله
من ذلك كله قوله تعالى واعف عنا اي تجاوز عن ذنوبنا وامحها عنا واغفر لنا اي استر
علينا ذنوبنا ولا تفضحنا وارحمنا اي تغمدنا برحمة تنجينا بها من عقابك فانه ليس
بناج من عقابك الا من رحمته وقيل انا لا ننال العمل الا بطاعتك ولا نترك
معصيتك الا برحمتك واصل الرحمة رقة تقتضي الاحسان الى المرحوم واذا
وصف بها الله تعالى فليس يراد بها الا الاحسان المجرد والتفضل على العباد دون
الرقة وقيل ان طلب العفو هو ان يسقط عنه عقاب ذنوبه وطلب المغفرة
هو ان يستر عليه صونا له من الفضيحة كان العبد يقول اطلب منك العفو واذا
عفوت عني فاستره علي فاذا عفى الله عن العبد وستره طلب الرحمة التي هي
الانعام والاحسان ليفوز بالنعم والثواب انت مولانا اي ناصرنا وحافظنا
وولينا ومتولي امرنا فانصرنا على القوم الكافرين يعني الجاحدين الذين عبدوا
غيرك وجحدوا وحدانيتك قال ابن عباس في قوله تعالى غفرانك ربنا قال قد
غفرت لكم وفي قوله لا تواخذنا ان نسينا او اخطانا قال لا اخذكم ربنا ولا تحمل علينا
اصرا قال لا احمل عليكم واعف عنا واغفر لنا وارحمنا انت مولانا فانصرنا على
القوم الكافرين قال قد عفوت عنكم وغفرت لكم ورحمتكم ونصرتكم على القوم
الكافرين كان معاذ اذا ختم سورة البقرة قال امين عن عبد الله ابن مسعود
قال لما اسري برسول الله صلى الله عليه وسلم انتهي به الى سدرة المنتهى وهي في
السادسة واليها ينتهي ما يعرج من الارض فيقبض منها واليها ينتهي ما يهبط
من فوقها فيقبض منها قال اذ يغشى السدرة ما يغشى قال فراش من ذهب قال
فاعطي رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثا اعطي الصلوات الخمس وخواتيم سورة
البقرة وغفر لمن لا يشرك من امته شيا المقحمات قوله المقحمات الذنوب العظام التي
تولج مرتكبها النار واصل الاقحام الولوج ق عن ابن مسعود الانصاري قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم الايتان من اخر سورة البقرة من قراهما في ليلة
كفتاه كفتاه معنى كفتاه من كل هامة وشيطان فلا يقربه تلك الليلة وقيل كفتاه
من قيام الليل م عن ابن عباس قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم عنده جبريل
عليه السلام اذ سمع نقيضا من فوقه فرفع جبريل بصره الى السما فقال هذا باب
من السما فتح اليوم لم يفتح قط الا اليوم فنزل منه ملك فقال هذا ملك نزل
الى الارض لم ينزل قط الا اليوم فسلم وقال ابشر بنورين اوتيتهما لم يوتهما نبي
قبلك فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة ان تقرا بحرف منهم الا اعطيته

عن النعمان بن بشير عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله كتب كتابا قبل
ان يخلق السموات والارض بالفي عام انزل منه ايتين فختم بهما سورة البقرة
ولا يقران في دار ثلاث ليال فيقربه شيطان اخرجه الترمذي
وقال حديث حسن غريب والله اعلم بمراده
واسرار كتابه

تفسير سورة ال عمران

مدنية وهي مايتا اية وثلاثة الاف واربعماية وثمانون كلمة واربعة الفا
وخمسماية وخمسة وعشرون حرفا والله اعلم بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل
الم الله لا اله الا هو الحي القيوم قال المفسرون نزلت هذه في وفد نجران وكانوا
ستين راكبا قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيهم اربعة عشر رجلا
اشرافهم منهم ثلاثة نفر اليهم يوول امرهم وهم العاقب واسمه عبد المسيح وهو امير
القوم وصاحب مشورتهم الذي لا يصدرون الا عن رايه والسيد واسمه الايهم
وهو ثمالهم ثمال القوم غياثهم وقوامهم وصاحب رحلهم الذي يقوم بامر طعامهم
وشرابهم وابو حارثة بن علقمة وهو اسقفهم وحبرهم وكان ملك الروم يكرمونه لعلمهم
عن علمه واجتهاده في دينهم فدخلوا مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم حين يصلي العصر
وعليهم ثياب الحبرات جبب واردية في جمال رجال وكان الحارث بن كعب يقول
من راهم ما راينا وفدا مثلهم وقد حانت صلاتهم فقاموا للصلاة في مسجد رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعوهم فصلوا الى المشرق فلما فرغوا كلم السيد
والعاقب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهما اسلما قالا قد اسلمنا قبلك قال كذبتما
يمنعكما من الاسلام دعواكما لله ولدا وعبادتكما الصليب واكلكما الخنزير قالا ان لم يكن عيسى
ولد الله فمن ابوه وخاصموه جميعا في عيسى فقال النبي صلى الله عليه وسلم الستم تعلمون انه
لا يكون ولدا الا وهو يشبه اباه قالوا بلى قال الستم تعلمون ان ربنا حي لا يموت وان عيسى
ياتي عليه الموت قالوا بلى قال الستم تعلمون ان ربنا قيم على كل شي يحفظه ويرزقه قالوا بلى
قال فهل يملك عيسى من ذلك شيا قالوا لا قال الستم تعلمون ان الله لا يخفى عليه شي في الارض
ولا في السما قالوا بلى قال فهل يعلم عيسى من ذلك الا ما علم قالوا لا قال الستم تعلمون ان
ربنا صور عيسى في الرحم كيف شاء وربنا لا ياكل ولا يشرب قالوا بلى قال الستم تعلمون ان عيسى
حملته امه كما تحمل المراة ثم وضعته كما تضع المراة ولدها ثم غذي كما يغذى الصبي ثم كان يطعم
ويشرب ويحدث قالوا بلى قال فكيف يكون الها كما زعمتم فسكتوا فانزل الله صدر سورة
ال عمران الى بضع وثمانين اية منها زاد بعضهم فقالوا يا محمد الستم تزعم ان عيسى كلمة من الله
وروح منه قال بلى قالوا حسبنا ثم ابوا الا جحودا فانزل ردا عليهم الم الله لا اله الا هو يعني
ان كان منازعتكم يا معشر النصارى في معرفة الاله فهو الله لا اله الا هو فكيف تثبتون

له ولدا

له ولدا فبين تعالى ان احدا لا يستحق العبادة سواه لانه الواحد الاحد ليس معه اله
ولا اله ولد ثم ابتع ذلك بما يجري مجرى الدلالة عليه فقال تعالى الحي القيوم اما الحي فصفة
الله تعالى فهو الدايم الباقي الذي لا يصح عليه الموت اما القيوم فهو القايم بذاته والقايم
بتدبير الخلق ومصالحهم فيما يحتاجون اليه في معاشهم ومعادهم نزل عليك الكتاب
يعني القران بالحق اي بالصدق والعدل مصدقا لما بين يديه يعني لما قبله من الكتب
في التوحيد والنبوات والاخبار وبعض الشرايع وقوله لما بين يديه فيه مجاز
الكلام وذلك ان ما بين يديه فهو امامه فقيل لكل شي تقدم على الشي هو بين
يديه لغاية ظهوره واشتهاره وانزل التوراة والانجيل من قبل اي من قبل القران
فان قلت لم قيل نزل الكتاب وانزل التوراة والانجيل قلت لان القران نزل منجما
مفصلا في اوقات كثيرة ونزل هو للتكثير وانزل التوراة والانجيل جملة واحدة هدى
للناس يعني ان انزال التوراة والانجيل مثل القران كان هدى للناس فان قلت
كيف وصف القران في اول البقرة بانه هدى للمتقين ووصف هنا التوراة و
الانجيل بانهما هدى للناس قلت انما وصف القران بانه هدى للمتقين لانهم هم
الذين انتفعوا به واتبعوه ووصف هنا التوراة والانجيل بانهما هدى للناس
لان المناظرة كانت مع نصارى نجران وهم يعتقدون صحة التوراة والانجيل
فلهذا السبب قال هنا هدى للناس وقيل ان قوله هدى للناس يعود الى الكتب
الثلاثة يعني القران المتقدم ذكره والتوراة والانجيل وانما وصف هذه الكتب بانها
هدى للناس لما فيها من الشرايع والاحكام وانزل الفرقان يعني الفارق
بين الحق والباطل قيل اراد به القران وانما اعاد ذكره تعظيما لشانه ومدحا له
لكونه فارقا بين الحق والباطل انما اعاد ذكره ليبين انه تعالى انزله بعد التوراة
والانجيل ليجعله فارقا بين ما اختلف فيه اليهود والنصارى في امر عيسى عليه السلام
وقيل المراد به الكتب الثلاثة لان كلها هدى للناس ومفرقة بين الحلال والحرام
والحق والباطل وقال السدي في الاية تقديم وتاخير تقديره وانزل التوراة
والانجيل والفرقان هدى للناس ان الذين كفروا بايات الله يعني الكتب
المنزلة وغيرها قيل اراد بهم نصارى وفد نجران كفروا بالقران وبمحمد صلى الله عليه
وسلم وقيل ان خصوص السبب لا يمنع عموم اللفظ فهو يتناول كل من كفر بشي
من ايات الله لهم عذاب شديد والله عزيز اي غالب لا يغلب ذو انتقام
يعني ممن كفر به والانتقام المبالغة في العقوبة قوله عز وجل ان الله لا يخفى عليه
شي في الارض ولا في السما اي لا يخفى عليه شي من امر العالم وهو المطلع على احوالهم
فقوله ان الله لا يخفى عليه شي في الارض ولا في السما اشارة الى كمال علمه المتعلق
بجميع المعلومات هو الذي يصوركم في الارحام التصوير جعل الشي على صورة

والصورة هيئة يكون عليها الشيء بالتاليف والارحام جمع رحم كيف يشاء يعني الصور
المختلفة المتفاوتة في الخلق ذكرا او انثى ابيض واسود حسنا او قبيحا كاملا او ناقصا
والمعنى انه الذي يصوركم في ظلمات الارحام مختلفة في الشكل والطبع واللون وذلك
من نطفة (ق) عن عبد الله بن مسعود قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو
الصادق المصدوق ان خلق احدكم يجمع في بطن امه اربعين يوما نطفة ثم يكون
علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث اليه ملكا باربع كلمات يكتب
رزقه واجله وعمله وشقي او سعيد ثم ينفخ فيه الروح فوالذي لا اله غيره ان احدكم
ليعمل بعمل اهل الجنة حتى لا يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب
فيعمل بعمل اهل النار فيدخلها وان احدكم ليعمل بعمل اهل النار حتى لا يكون بينه
وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل اهل الجنة فيدخلها (ق) عن انس
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وكل الله بالرحم ملكا فيقول اي رب نطفة
اي رب علقة اي رب مضغة فاذا اراد الله ان يقضي خلقها قال يا رب اذكر
ام انثى اشقي ام سعيد فما الرزق فما الاجل فيكتب ذلك في بطن امه وقيل ان
الاية واردة في الرد على النصارى وذلك ان عيسى عليه السلام كان يخبر ببعض الغيب
فيقول اكلت في دارك كذا وصنعت كذا وانه احيى الموتى وابرا الاكمه والابرص
وخلق من الطين طيرا فادعت النصارى الهيته وقالوا ما قدر على ذلك الا انه
اله فرد الله عليهم في ذلك واخبر ان الاله المستحق لهذا الاسم هو الذي لا يخفى
عليه شيء في الارض ولا في السماء وانه المصور في الارحام كيف يشاء وان عيسى عليه
السلام ممن صوره في الرحم فنبه بكونه مصورا في الرحم على انه عبد مخلوق كغيره
وانه يخفى عليه ما لا يخفى على الله عز وجل لا اله الا هو العزيز الحكيم وهذا ايضا في الرد
على النصارى حيث قالوا عيسى ولد الله كانه قال كيف يكون ولدا وقد صوره
الله في الرحم قوله عز وجل هو الذي انزل عليك الكتاب يعني القران منه ايات
محكمات يعني مبينات مفصلات احكمت عبارتها من احتمال التاويل والاشتباه
سميت محكمات من الاحكام لانه تعالى احكمها فمنع الخلق من التصرف فيها
لظهورها ووضوح معناها هن ام الكتاب يعني هن اصل الكتاب الذي يعول
عليه في الاحكام ويعمل بها في الحلال والحرام فان قلت كيف قال هن ام الكتاب
ولم يقل امهات الكتاب قلت لان الايات في تكاملها واجتماعها كالاية
الواحدة وكلام الله كله شيء واحد وقيل ان كل اية يعني ان كل واحد منها اية واخر
جمع اخرى متشابهات يعني ان اللفظة يشبه لفظ غيره ومعناه يخالف معناه
فان قلت قد جعله هنا محكما ومتشابها وجعله في موضع اخر كله محكما فقال
الر كتاب احكمت اياته وجعله في موضع اخر كله متشابها فقال تعالى الله

نزل احسن

نزل احسن الحديث كتابا متشابها فكيف الجمع بين هذه الايات قلت حيث جعله كله محكما
اراد به كله حق وصدق وليس فيه عبث ولا هزل وحيث جعله كله متشابها
اراد ان بعضه يشبه بعضا في الحسن والحق والصدق وحيث جعله هنا بعضه
محكما وبعضه متشابها فقد اختلف عبارات العلماء فيه فقال ابن عباس المحكمات
الثلاث ايات التي في اخر سورة الانعام وهو قوله قل تعالوا اتل ما حرم ربكم
عليكم ونظيرها في بني اسرائيل وقضى ربك ان لا تعبدوا الا اياه الايات وعنه
ان المحكمات هي الناسخ والمتشابهات هي الايات المنسوخة وبه قال ابن مسعود
وقتادة والسدي وقيل ان المحكمات ما فيه احكام الحلال والحرام والمتشابهات
ما سوى ذلك يشبه بعضه بعضا ويصدق بعضه بعضا وقيل ان المحكمات
ما اطلع الله عباده على معناه والمتشابه ما استاثر الله بعلمه فلا سبيل لاحد الى
معرفته نحو الخبر عن اشراط الساعة مثل الدجال وياجوج وماجوج ونزول عيسى
عليه السلام وطلوع الشمس من مغربها وفناء الدنيا وقيام الساعة فجميع هذا
مما استاثر الله بعلمه وقيل ان المحكم ما لا يحتمل من التاويل الا وجها واحدا والمتشابه
ما يحتمل اوجها روي ذلك عن الشافعي وقيل المحكم ساير القران والمتشابه هي
حروف المقطعة في اوايل السور قال ابن عباس ان رهطا من اليهود منهم حيي
ابن اخطب وكعب بن الاشرف ونظايرهما اتوا النبي صلى الله عليه وسلم فقال
له حيي بلغنا انه انزل عليك الم فانشدك الله انزلت عليك قال نعم قال ان كان
ذلك حقا فاني اعلم مدة ملك امتك هي احدى وسبعون سنة فهل انزل عليك غيرها
قال نعم المص قال فهذه اكثر هي احدى وستون ومائة فهل انزل عليك غيرها قال نعم
هذه اكثر مايتان واحدى وثلاثون سنة فهل انزل عليك غيرها قال نعم المر قال
هذه اكثر هي مايتان واحدى وسبعون سنة ولقد اختلط علينا فلا ندري ابكثيره
ناخذ ام بقليله ونحن ممن لا يؤمن بهذا فانزل الله هذه الاية قوله فاما الذين في
قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه وقيل ان المحكم ما لم يتكرر الفاظه والمتشابه
ما تكررت الفاظه وقيل ان المحكم ما استقل بنفسه ولم يحتج الى بيان والمتشابه ما
احتاج الى بيان وقيل ان المحكم هو الامر والنهي والوعد والوعيد والمتشابه هو القصص
والامثال فان قلت انما نزل القران بيان الذنب وارشاد العباد وهدايتهم فما
فايدة المتشابه وهلا كان كله محكما قلت ذكر العلماء عن هذا السؤال اجوبة احدها
ان القران نزل بالفاظ العرب ولغاتهم وكلام العرب على ضربين احدهما الكلام
للاختصار والموجز الذي لا يخفى على سامعه ولا يحتمل غير ظاهره والاطالة لبيان
المراد والتوكيد الضرب الثاني المجاز والكنايات والاشارة والتلويحات
واغماض بعض المعاني وهذا الضرب هو المستحسن عند العرب والبديع

في كلامهم فانزل الله تعالى القران على هذين الضربين ليتحقق عجزهم عن الاتيان بمثله
فكانه قال عارضوه باي الضربين شيتم ولو نزل كله محكما واضحا لقالوا هلا نزل بالضرب
المستحسن عندنا الجواب الثاني ان الله تعالى انزل المتشابه لفايدة عظيمة وهي ان يشتغل
اهل العلم والنظر بردهم المتشابه الى المحكم فيطول بذلك فكرهم ويتصل بالبحث عن معانيه
اهتمامهم فيثابون على تعبهم كما اثيبوا على عباداتهم ولو انزل القران كله محكما لاستوى
في معرفته العالم والجاهل ولم يفضل العالم على غيره ولماتت الخواطر وخمدت الفكرة
ومع الغموض تقع الحاجة الى الفكرة والحيلة الى استخراج المعاني وقد قيل في عيب
الغنا انه يورث البلادة وفي فضيلة الفقر انه يبعث على الحيلة لانه اذا احتاج
احتال الجواب الثالث ان اهل كل علم يجعلون في علومهم معاني غامضة ومسايل دقيقة
ليختبروا بذلك اذهان المتعلمين منهم على انتزاع الجواب لانهم اذا قدروا على انتزاع
المعاني الغامضة كانوا على الواضح اقدر فلما كان ذلك حسنا عند العلما جاز ان يكون
ما انزل الله من المتشابه على هذا النحو الجواب الرابع ان الله تعالى انزل المتشابه في كتابه مختبرا
به عباده ليقف المومن عنده ويرد علمه الى عالمه فيعظم بذلك ثوابه ويرتاب به المنافق
فيداخله الزيغ فيستحق بذلك العقوبة كما ابتلى بني اسرايل بالنهر والله اعلم بمراده وقوله
تعالى فاما الذين في قلوبهم زيغ اي ميل عن الحق وقيل الزيغ الشك واختلفوا في المعني بهم
والمشار اليهم فقيل هم وفد نجران الذين خاصموا رسول الله صلى الله عليه وسلم في عيسى عليه السلام
وقالوا الست تزعم ان عيسى روح الله وكلمته قال بلى قالوا حسبنا فانزل الله هذه الاية
وقيل هم اليهود لانهم طلبوا معرفة بقا هذه الامة واستخراجه بحساب الجمل من الحروف المقطعة
في اوايل السور وقيل هم المنافقون وقيل هم الخوارج وكان قتادة يقول ان لم يكونوا
الحرورية والسبابية فلا ادري من هم وقيل هم جميع المبتدعة فيتبعون ما تشابه منه يعني
يحيلون المحكم على المتشابه والمتشابه على المحكم ويقولون ما بال هذه الاية عمل بها كذا وكذا
ثم نسخت وقيل كل من احتج لباطله بهذا المتشابه فهو المعني بهذه الاية ق عن عايشة قالت
تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي انزل عليك الكتاب منه ايات محكمات الى
الذين سمى الله فاحذروهم وقوله تعالى ابتغا الفتنة اي طلب الشرك والكفر وقيل
طلب الشبهات واللبس ليضلوا بها جهالهم وقيل طلب افساد ذلك البين وابتغا تاويله
اي تفسيره واصل التاويل في اللغة المرجع اليه والمصير والعاقبة تاويل الامر يصير اليه قال
ابن عباس في قوله وابتغا تاويله اي طلب بقا ملك محمد صلى الله عليه وسلم وقيل المراد
بهم الكفار طلبوا متى يبعثون وكيف احياوهم بعد الموت وقيل هو طلب تفسير المتشابه
وعلمه وما يعلم تاويله الا الله يعني تاويل المتشابه وقيل لا يعلم انقضا مدة هذه الامة
الا الله لان انقضاها معه قيام الساعة وذلك لا يعلمه الا الله وقيل يجوز ان يكون
للقران تاويل استاثر الله بعلمه لم يطلع عليه احدا من خلقه كعلم قيام الساعة ووقت

طلوع

طلوع الشمس من مغربها وخروج الدجال ونزول عيسى بن مريم وعلم الحروف المقطعة واشباه
ذلك مما استاثر الله بعلمه فالايمان به واجب وحقايق علومه مفوضة الى الله تعالى وهذا
قول اكثر المفسرين وهو مذهب ابن مسعود وابن عباس في رواية عنه وابي بن كعب
وعايشة واكثر التابعين فعلى هذا القول تم الكلام عند قوله الا الله فيوقف عليه ثم
ابتدا فقال تعالى والراسخون في العلم اي الثابتون في العلم وهم الذين اتقنوا علمهم بحيث
لا يدخل في علمهم شك يقولون امنا به قال ابن عباس سماهم راسخين في العلم بقولهم
امنا به فرسوخهم في العلم هو الايمان وقال عمر بن عبد العزيز في هذه الاية انتهى علم الراسخين
في العلم بتاويل القران الى ان قالوا امنا به كل من عند ربنا يعني المحكم والمتشابه والناسخ
والمنسوخ وما علمنا منه وما لم نعلم فنحن معتمدون في المتشابه بالايمان به ونكل معرفته
الى الله تعالى وفي المحكم يجب علينا الايمان به والعمل بمقتضاه روي عن ابن عباس انه
قال تفسير القران على اربعة اوجه منه تفسير لا يسع احد جهله وتفسير تعرفه العرب
بالسنتها وتفسير يعلمه العلما وتفسير لا يعلمه الا الله وقيل ان الواو في قوله والراسخون
في العلم واو العطف يعني ان تاويل المتشابه يعلمه الله ويعلمه الراسخون في العلم وهم
مع علمهم يقولون امنا به روي عن ابن عباس انه كان يقول انا من الراسخين في
العلم وعن مجاهد عنه انا ممن يعلم تاويله ووجه هذا القول بان الله تعالى انزل كتابه
لينتفع به عباده ولا يجوز ان يكون في القران شي لا يعرفه احد من الامة وفي المراد
بالراسخين في العلم هنا قولان احدهما انهم مومنوا اهل الكتاب مثل عبد الله بن
سلام واصحابه دليله قوله تعالى لكن الراسخون في العلم منهم والقول الثاني ان الراسخين
هم العلما العاملون بعلمهم سيل انس بن مالك عن الراسخين في العلم فقال العالم
العامل بما علم المتبع وقيل الراسخ في العلم من وجد في علمه اربعة اشيا التقوى فيما
بينه وبين الله والتواضع فيما بينه وبين الناس والزهد فيما بينه وبين الدنيا
والمجاهدة فيما بينه وبين الناس وما يذكر الا اولوا الالباب اي وما يتعظ بما في
القران الا ذووا العقول وهذا ثنا من الله عز وجل على الذين قالوا امنا به كل من عند
ربنا قوله تعالى ربنا لا تزغ قلوبنا اي ويقول الراسخون في العلم ربنا لا تزغ قلوبنا
اي لا تملها عن الحق والهدى كما ازغت قلوب الذين في قلوبهم زيغ بعد اذ
هديتنا اي وفقتنا لدينك والايمان بالمحكم والمتشابه من كتابك وهب لنا من
لدنك رحمة اي اعطنا توفيقا وتثبيتا للذي نحن عليه من الايمان والهدى و
قيل هب لنا تجاوزا ومغفرة انك انت الوهاب الهبة العطية الخالية عن الاعواض
والاغراض والوهاب من صفة الله تعالى انه يعطي كل احد على قدر استحقاقه م عن عبد الله
ابن عمرو بن العاص انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قلوب بني ادم
كلها بين اصبعين من اصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه حيث يشا ثم قال

رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك هذا من
احاديث الصفات وللعلماء فيه قولان احدهما الايمان به وامراره كما جاء من غير
تعرض لتاويل ولا تكليف ولا المعرفة معناه بل نؤمن به وانه حق ونكل علمه الى مراد
الله ورسوله صلى الله عليه وسلم هذا القول هو مذهب اهل السنة من سلف الامة
وخلفها من اهل الحديث وغيرهم والقول الثاني انه يتاول بحسب ما يليق به وانه
ظاهره غير مراد قال تعالى ليس كمثله شيء فعلى هذا المراد هو المجاز كما يقال فلان في قبضتي
وفي كفي يريد انه تحت قدرته وفي تصرفه لا انه حال في كفه فمعنى الحديث انه سبحانه
وتعالى يتصرف في قلوب عباده وغيرها كيف شاء لا يمتنع عليه منها شيء ولا يفوته
ما اراد منها كما لا يمتنع على الانسان ما بين اصبعيه فخاطب رسول الله صلى الله عليه
وسلم اصحابه بما يفهمونه ويعلمونه من انفسهم وانما ثنى لفظ الاصبعين والقدرة
واحدة لانه جرى على المعهود من التمثيل بحسب ما اعتادوه وان كان غير مقصود
به التثنية او الجمع وهذا مذهب جمهور المتكلمين وغيرهم من المتاخرين وانما
خص القلوب بالذكر لفائدة وهي ان الله تعالى جعل القلوب محلا للخواطر والارادات
والنيات وهي مقدمات الافعال ثم جعل سائر الجوارح تابعة للقلوب في الحركات والسكنات
والله اعلم قوله تعالى ربنا انك جامع الناس ليوم لا ريب فيه اي ليوم القضاء
وقيل اللام بمعنى في اي في يوم لا ريب فيه اي لا شك فيه انه كائن وهو يوم القيامة
ان الله لا يخلف الميعاد هذا من بقية دعاء الراسخين في العلم وذلك انهم لما طلبوا
من الله تعالى ان يصرف قلوبهم عن الزيغ وان يخصهم بالهداية والرحمة وذلك من
مصالح الدين والدنيا ثم انهم اتبعوا ذلك بقولهم ربنا انك جامع الناس للجزاء
في يوم القيامة ونعلم ان وعدك حق وانك لا تخلف الميعاد فمن ازغت قلبه
فهو هالك ومن مننت عليه بالرحمة والهداية فهو ناج من العذاب سعيد قوله
تعالى ان الذين كفروا يعني برسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس هم قريظة
والنضير لن تغني اي لن تنفع ولن تدفع عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله
شيئا اي من عذاب الله شيئا وقيل من بمعنى عند الله شيئا واولئك هم وقود
النار كداب ال فرعون قال ابن عباس كفعل ال فرعون وصنيعهم في الكفر
وقيل كسنة ال فرعون والمعنى ان عادة هؤلاء الكفار في تكذيب رسول الله صلى
الله عليه وسلم وجحود الحق كعادة ال فرعون فانهم كذبوا موسى وصدقوا فرعون
والذين من قبلهم يعني كفار الامم الماضية مثل عاد وثمود وغيرهم كذبوا باياتنا
يعني لما جاءتهم بها الرسل فاخذهم الله بذنوبهم اي فعل فيهم الله بحسب تكذيبهم
والله شديد العقاب وقيل في معنى الاية ان الذين كفروا لن تغني عنهم اموالهم
ولا اولادهم عند حلول النقمة والعقوبة مثل ال فرعون وكفار الامم الخالية

فاخذناهم

فاخذناهم فلم تغن عنهم اموالهم قوله عز وجل قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون قرئ بالياء
والتاء فيهما فمن قرا بالياء المنقوطة تحت فمعناه بلغهم يا محمد انهم سيغلبون ويحشرون
ومن قرا بالتاء المنقوطة فوق فمعناه قل لهم ستغلبون وتحشرون الى جهنم قيل اراد
بالذين كفروا مشركي قريش والمعنى قل لكفار مكة ستغلبون يوم بدر وتحشرون في
الاخرة الى جهنم فلما نزلت هذه الاية قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر ان الله غالبكم
وحاشركم الى جهنم وقيل ان ابا سفيان جمع جماعة من قومه بعد وقعة بدر فانزل الله
هذه الاية وقيل ان هذه الاية نزلت في يهود اهل المدينة قالوا لما هزم رسول الله صلى
الله عليه وسلم المشركين يوم بدر هذا والله النبي الذي بشر به موسى لا ترد له راية وارادوا
اتباعه ثم قال بعضهم لبعض لا تعجلوا حتى تنظروا وقعة اخرى فلما كان يوم احد ونكب
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم شكوا وغلب عليهم الشقاء فلم يسلموا وكان
بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد الى مدة فنقضوا العهد وانطلق كعب بن
الاشرف في ستين راكبا الى مكة ليستنفرهم فاجمعوا امرهم على قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم
فانزل الله هذه الاية وقال ابن عباس وغيره لما اصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشا
يوم بدر ورجع الى المدينة جمع اليهود في سوق بني قينقاع وقال يا معشر اليهود احذروا
من الله مثل ما نزل بقريش يوم بدر واسلموا قبل ان ينزل بكم مثل ما نزل بهم فقد عرفتم اني
نبي مرسل تجدون ذلك في كتابكم فقالوا يا محمد لا يغرنك انك لقيت قوما اغمارا لا علم لهم
بالحرب فاصبت منهم فرصة وانا والله لو قاتلناك لعرفت انا نحن الناس فانزل الله عز وجل
قل للذين كفروا يعني اليهود ستغلبون اي ستهزمون وتحشرون يعني في الاخرة الى جهنم وبئس
المهاد اي الفراش والمعنى بئس ما مهد لهم في النار قوله تعالى قد كان لكم اية في فئتين التقتا
قيل الخطاب للمؤمنين يروى ذلك عن ابن مسعود والحسن وقيل هو خطاب للكفار فيكون عطفا
على الذي قبله ويخرج على قول ابن عباس وقيل هو خطاب لليهود وقال ابن جرير فان قلت
لم قال قد كان لكم اية ولم يقل قد كانت لان الاية مؤنثة قلت كل ما ليس بمؤنث حقيقي
يجوز تذكيره وقيل انه رد المعنى الى البيان فمعناه قد كان لكم بيان فذهب الى المعنى وترك اللفظ
وقال الفراء انما ذكر لانه حالت الصفة بين الفعل والاسم المؤنث فذكر الفعل وكل ما جاء من هذا
فهذا وجهه ومعنى الاية قد كان لكم اية اي عبرة ودلالة على صدق ما اقول انكم ستغلبون في
فئتين اي فرقتين واصلها في اللغة الحزب لان بعضهم يفيء الى بعض اي يرجع التقتا يعني
يوم بدر فئة تقاتل في سبيل الله اي في طاعة الله وهم رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه
وكانوا ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا سبعة وسبعون رجلا من المهاجرين ومائتان وثلاثون رجلا
من الانصار وكان صاحب راية المهاجرين علي بن ابي طالب رضي الله عنه وصاحب راية
الانصار سعد بن عبادة وكان فيهم سبعون بعيرا وفرسان وكان معهم من السلاح ستة
ادرع وثمانية سيوف وقوله تعالى واخرى كافرة اي وفرقة اخرى كافرة وهم مشركوا مكة

وكانوا ستمائة وخمسين رجلا من المقاتلة وكان رئيسهم عتبة بن ربيعة بن عبد شمس
وكان فيهم مائة فرس وكانت وقعة بدر اول مشهد شهده رسول الله صلى الله عليه وسلم
بعد الهجرة وقوله تعالى يرونهم مثليهم رأي العين يعني يرى اهل مكة ضعفي المسلمين يا
معشر اليهود وذلك ان جماعة من اليهود وكانوا قد حضروا قتال بدر لينظروا على من
تكون الدائرة ولمن النصر فرأوا المشركين مثلي عدد المشركين ورأوا النصر للمسلمين
فكان ذلك معجزة وقرئ يرونهم بالياء واختلفوا في وجه قراءة الياء فجعل بعضهم الرؤيا
للمسلمين ثم له تأويلات احدها يرى المسلمون المشركين مثليهم كما هم فان قلت
كيف قال مثليهم وانما كانوا ثلاثة امثالهم قلت هذا مثل قول الرجل وعنده درهم
انا احتاج الى مثلي هذا الدرهم يعني الى مثليه سواه فيكون ثلاثة دراهم ووجه آخر وهو
ان يكون الله تعالى اظهر للمسلمين من عدد المشركين القدر الذي يعلم المؤمنون انهم
يغلبونهم لازالة الخوف من قلوبهم وهذا التأويل الثاني هو الصحيح فقلل الله المشركين
في اعين المسلمين حتى رأوهم مثليهم فان قلت كيف الجمع بين قوله تعالى ترونهم مثليهم
وبين قوله واذ يريكموهم اذ التقيتم في اعينكم قليلا ويقللكم في اعينهم وكيف يقال
ان المشركين استكثروا المسلمين او المسلمين استكثروا المشركين وان الفئتين تشاهدا
في استقلال احدهما الاخرى قلت ان التقليل والتكثير كان في حالين مختلفين
فان قلنا ان الفئة الرائية هي المسلمون فانهم رأوا عدد المشركين عند بداية القتال
على ما هم عليه ثم قلل الله المشركين في اعين المسلمين حتى اجترؤا عليهم فنصروا على
قتالهم بذلك السبب قال ابن مسعود نظرنا الى المشركين فرأيناهم يضعفون علينا
ثم نظرنا اليهم فما رأيناهم يزيدون علينا رجلا واحدا وفي رواية اخرى عنه قال لقد
قللوا في اعيننا حتى قلت لرجل الى جنبي تراهم سبعين قال اراهم مائة قال فاسرنا
منهم رجلا فقلنا كم كنتم قال الفا وان قلنا ان الفئة الرائية هم المشركون على قول
بعضهم ان الرؤية راجعة الى المشركين يعني يرى المشركون المسلمين مثليهم فقلل
الله المسلمين في اعين المشركين في اول القتال ليجترؤا عليهم ولا ينصرفوا فلما اخذوا
في القتال كثر الله المسلمين في اعين المشركين ليجبنوا فيكون ذلك سبب خذلانهم
وقد روي ان المشركين لما اسروا يوم بدر قالوا للمسلمين كم كنتم قالوا كنا ثلثمائة
وثلاثة عشر رجلا قالوا يعني المشركين ما كنا نراكم الا تضعفون علينا فكان في
وقعة بدر احوال في التكثير والتقليل وما ذلك الا اظهار القدرة التامة وقوله تعالى
رأي العين اي في رأي العين والله يؤيد اي يقوي بنصره من يشاء ان في ذلك
يعني الذي ذكر من النصر وقيل رؤية الجيش مثليهم لعبرة اي لآية والعبرة الدلالة
الموصلة الى اليقين المؤدية الى العلم واصلها كانه طريق يعبرونه فيوصلهم الى
مرادهم وقيل العبرة هي التي يعبر منها من منزلة الجهل الى منزلة العلم لاولي الابصار

لذوي

لذوي العقول والبصائر قوله عز وجل زين للناس قال اهل السنة المزين هو الله تعالى خالق
جميع افعال العباد ولان الله خلق جميع ملاذ الدنيا واباحها لعبيده واباحتها للعبد
تزيين لها قال الله تعالى هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا وقال تعالى قل من حرم زينة
الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق وقال تعالى انا جعلنا ما على الارض زينة لها
وقال تعالى كلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا فكل ذلك يدل على ان المزين هو الله تعالى
ومما يؤكد ذلك قراءة مجاهد زين بفتح الزاي على تسمية الفاعل وقال الحسن المزين هو
الشيطان وهو قول طائفة من المعتزلة ويدل على ذلك ان الله تعالى زهد في هذه
الاشياء بان اعلم عباده زوالها ولان الله تعالى اطلق حب الشهوات فيدخل فيه الشهوات
المحرمة والمزين لذلك هو الشيطان ولان الله ذكر هذه الاشياء في معرض الذم للدنيا
ويدل عليه آخر الآية وهو قوله تعالى والله عنده حسن المآب ونقل عن ابي علي الجبائي
من المعتزلة ان ما كان حراما كان المزين له هو الشيطان وكل ما كان مباحا من ذلك
كان المزين له هو الله تعالى والصحيح ما ذهب اليه اهل السنة لان الله تعالى خالق كل شيء
ولا شريك له في ملكه وقوله تعالى حب الشهوات يعني المشتهيات لان الشهوة توقان
النفس الى الشيء المشتهى من النساء انما بدأ بذكر النساء لان الالتذاذ بهن اكثر والاستئناس بهن
اتم ولانهن حبائل الشيطان واقرب الى الافتتان والبنين وانما خص البنين بالذكر لان
حب الولد الذكر اكثر من حب الانثى ووجه حبه ظاهر لانه يتكثر به ويعضده ويقوم
مقامه وقد جعل الله تعالى في قلب الانسان حب الزوجة والولد لحكمة بالغة وهي بقاء
التوالد ولولا تلك المحبة لما حصل ذلك والقناطير المقنطرة جمع قنطار وسمي قنطارا
من الاحكام والعقد يقال قنطرته اذا احكمته ومنه القنطرة المحكمة الطاق واختلفوا
في القنطار هل هو محدود او غير محدود على قولين انه محدود ثم اختلفوا في حده فروي
عن معاذ بن جبل ان القنطار الف ومائتا اوقية وقال ابن عباس الف ومائتا
مثقال وعنه انه اثنا عشر الف درهم او الف دينار دية احدكم وبه قال الحسن وقال
سعيد بن جبير هو مائة الف ومائة رطل ومائة مثقال ومائة درهم ولقد جاء الاسلام
يوم جاء وبمكة مائة رجل قد قنطروا وقال سعيد بن المسيب وقتادة هو ثمانون الفا وقال
مجاهد سبعون الفا وقال السدي هو اربعة آلاف مثقال والقول الثاني ان القنطار ليس
بمحدود وقال الربيع بن انس القنطار المال الكثير بعضه على بعض وروي عن ابي عبيدة انه
حكى عن العرب ان القنطار وزن لا يحد وهو اختيار ابن جرير الطبري وغيره وقال
الحاكم القنطار ما بين السماء والارض من مال وقال ابو نصر القنطار ملء مسك ثور
ذهبا او فضة وقيل القنطار من المال ما فيه عبور الحياة تشبيها بعبور القنطرة المقنطرة
اي المجموعة وقيل المضاعفة لان القناطير جمع واقله ثلاثة والمقنطرة المضاعفة فيحتمل
ان يكون ستة او تسعة وقيل المقنطرة المسكوكة المنقوشة من الذهب والفضة انما

بدا بهما من بين ساير اصناف الاموال لانهما قيم الاشيا وانما كانا محبوبين لان المالك
لهما مالك قادر على ما يريده وهذه صفة كمال وهي محبوبة قيل سمي الذهب ذهبا
لانه يذهب ولا يبقى والفضة فضة لانها تنفض اي تتفرق والخيل المسومة الخيل
جمع لا واحد له من لفظه كالقوم والرهط سميت الافراس خيلا لاختيالها في مشيتها
وقيل لان الخيل لا يركبها احد الا وجد في نفسه مخيلة اي عجبا واختلفوا في معنى
المسومة على ثلاثة اقوال القول الاول انها الراعية يقال اسمت الدابة وسومتها
اذا ارسلتها للرعي والمقصود انها اذا رعت زاد حسنها والقول الثاني انها من السيمة يعني
العلامة ثم القايلون بهذا القول اختلفوا في تلك العلامة فقيل هي الغرة والتحجيل التي
تكون في الخيل وقيل هي الخيل البلق وقيل هي المعلمة بالكي والقول الثالث انها المطهمة
الحسان وتسويمها حسنها والانعام جمع نعم وهي الابل والبقر والغنم ولا يقال للجنس الواحد
منها نعم الا الابل خاصة فانه غلب عليها والحرث يعني الزرع ذلك يعني ذلك الذي ذكر
من هذه الاصناف متاع الحياة الدنيا اي الذي يتمتع به في الحياة الدنيا وهي زايلة فانه
يشير الى ان الحياة الدنيا متاع يفنى والله عنده حسن الماب اي المرجع ففيه اشارة
الى التزهيد في الدنيا والترغيب في الاخرة وقيل فيها اشارة الى ان من اتاه الله الدنيا
كان الواجب عليه ان يصرفها فيما فيه صلاحه في الاخرة لانها السعادة القصوى قوله
تعالى قل اؤنبئكم اي اخبركم بخير من ذلكم يعني الذي ذكر من متاع الدنيا للذين اتقوا
قال ابن عباس في رواية عنه يريد المهاجرين والانصار اراد ان يعرفهم ويشوقهم
الى الاخرة قال العلماء ويدخل في هذا الخطاب كل من اتقى الشرك عند ربهم معناه
انه تعالى اخبر ان ما عنده خير مما كان في الدنيا وان كان محبوبا فحثهم على ترك ما يحبون
لما يرجون ثم فسر ذلك الخير فقال جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وازواج
مطهرة من الله ق عن ابي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
ان الله عز وجل يقول لاهل الجنة فيقولون لبيك ربنا وسعديك والخير كله في
يديك فيقول هل رضيتم فيقولون وما لنا لا نرضى وقد اعطيتنا ما لم تعط احدا من
خلقك فيقول الا اعطيكم افضل من ذلك فيقول احل عليكم رضواني فلا اسخط
عليكم بعده ابدا وقيل ان العبد اذا علم ان الله تعالى قد رضي عليه كان اتم لسروره
واعظم لفرحه والله بصير بالعباد يعني انه تعالى عالم بمن يوثر ما عنده ومن يوثر
شهوات الدنيا فيجازي كلا على عمله فيثيب ويعاقب على قدر الاعمال وقيل ان
الله تعالى بصير بالذين اتقوا فلذلك اعد لهم الجنات قوله عز وجل الذين يقولون ربنا
اننا امنا اي صدقنا فاغفر لنا ذنوبنا اي استر علينا وتجاوز عنا وقنا عذاب النار
قوله تعالى الصابرين يعني على اداء الواجبات وعن المحرمات والمنهيات وفي الباساء والضراء وحين
الباس وقيل الصابرين على دينهم وعلى ما اصابهم والصادقين يعني في ايمانهم وقال

ورضوان م

قتادة

قتادة هم قوم صدقت نياتهم واستقامت السنتهم وقلوبهم في السر والعلانية
والصدق يكون في الافعال والاقوال والنية فاما صدق القول فهو مجانبة
الكذب والصدق في الفعل هو عدم الانصراف عنه قبل اتمامه والصدق في
النية العزم على الفعل حتى يبلغه والقانتين يعني المطيعين لله وقيل هم المصلون
وهو عبارة عن دوام الطاعة والمواظبة عليها والمنفقين يعني اموالهم في طاعة
ويدخل فيه نفقة الرجل على نفسه وعلى اهله واقاربه وصلة رحمه والزكاة والنفقة
في جميع القربات والمستغفرين بالاسحار يعني المصلين بالسحر وهو الوقت السحر بعد
ظلمة الليل الى طلوع الفجر وقيل كانوا يصلون بالليل حتى اذا كان وقت السحر ابدوا
في الدعاء والاستغفار فكان هذا دابهم في ليلهم قال نافع كان ابن عمر يحيي الليل
ثم يقول يا نافع اسحرنا فاقول لا فيعاود الصلاة فاذا قلت نعم قعد يستغفر ويدعو حتى
يصلي الصبح ق عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ينزل ربنا تبارك و
تعالى كل ليلة الى سماء الدنيا حتى يبقى ثلث الليل الاخير فيقول من يدعوني فاستجيب
له من يسالني فاعطيه من يستغفرني فاغفر له وفي لفظ مسلم فيقول انا الملك
انا الملك من ذا الذي يدعوني الحديث وله في رواية اخرى فيقول هل من سايل
فيعطى هل من داع فيستجاب له هل من مستغفر فيغفر له حتى ينفجر الصبح هذا الحديث
من احاديث الصفات وللعلماء فيه وفي امثاله مذهبان معروفان مذهب السلف
الايمان بالله واجراؤه على ظاهره ونفي الكيفية عنه والمذهب الثاني هو مذهب
من يتاول احاديث الصفات قال ابو سليمان الخطابي انما ينكر هذا الحديث من يقيس
الامور على ما يشاهده من النزول الذي هو تدلي من اعلى الى اسفل وانتقال من فوق
الى تحت وهذا صفة الاجسام فاما نزول من لا يستولي عليه صفات الاجسام
فان هذه المعاني غير متوهمة فيه وانما هو خبر عن قدرته ورافته بعباده وعطفه
عليهم واستجابته دعاءهم ومغفرته لهم يفعل ما يشاء لا يتوجه على صفاته كيفية
ولا على افعاله كمية سبحانه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير وقيل في قوله والمستغفرين
بالاسحار وصف الله هولاء بما وصف ثم بين انهم مع ذلك لشدة خوفهم
ووجلهم انهم يستغفرون بالاسحار وروي ان لقمان قال لابنه يا بني لا تكن
اعجز من الديك فانه يصوت بالاسحار وانت نايم على فراشك وقيل هم
الذين يصلون صلاة الصبح في جماعة فعلى هذا القول انما سميت الصلاة
استغفارا لانهم طلبوا بفعلها المغفرة قوله عز وجل شهد الله انه لا اله الا هو
قيل في سبب نزول هذه الاية ان حبرين من احبار الشام قدما على رسول الله
صلى الله عليه وسلم فلما ابصرا المدينة قال احدهما لصاحبه ما اشبه هذه المدينة بصفة
مدينة النبي الذي يخرج اخر الزمان فلما دخلا على النبي صلى الله عليه وسلم عرفاه

بالصفة فقالا له انت محمد قال نعم قالا وانت احمد قال نعم قالا فانا نسألك عن شيء فان انت اخبرتنا
به امنا بك وصدقناك قال سلاني قالا اخبرنا عن اعظم شهادة في كتاب الله عز وجل فانزل الله
هذه الاية فاسلما الحبران فيما ادعوا في عيسى عليه السلام بقوله تعالى شهد الله يعني بين الله واظهر
لان معنى الشهادة تبيين واظهار وقيل معنى شهد الله حكم الله وقضى وقيل معناه اعلم الله انه
لا اله الا هو وذلك بيان الدلايل لما امكن التوصل الى معرفة الوحدانية فهو تعالى ارشد عباده
الى معرفته بما بين من عجايب مصنوعاته وغرايب مبتدعاته سئل بعض الاعراب ما الدليل
على وجود الصانع فقال ان البعرة تدل على البعير واثار القوم تدل على المسير فهيكل علوي بهذه
اللطافة ومركز سفلي بهذه الكثافة اما يدلان على وجود الصانع الخبير قال ابن عباس خلق
الله تعالى الارواح قبل الاجساد باربعة الاف سنة وخلق الارزاق قبل الارواح باربعة الاف
سنة فشهد لنفسه قبل ان خلق الخلق حين كان ولم يكن سما ولا ارض ولا بر ولا بحر فقال تعالى
شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة اي وشهد الملائكة ومعنى شهادة الله الاخبار والاعلام ومعنى
شهادة الملائكة والمومنين الاقرار والاعتراف بانه لا اله الا هو ولما كان كل واحد من هذين
الامرين يسمى شهادة حسن اطلاق لفظ الشهادة عليهما واولوا العلم اي وشهدوا اولوا
العلم بانه لا اله الا هو واختلفوا في اولي العلم فقيل هم الانبيا عليهم السلام لانهم اعلم الخلق
بالله تعالى وقيل هم علما اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين والانصار وقيل هم
علما مومني اهل الكتاب مثل عبد الله بن سلام واصحابه وقيل هم علما جميع المومنين قايما بالقسط
اي بالعدل نصب على الحال او القطع او المدح ومعناه انه تعالى قايم بتدبير خلقه كما يقال فلان
قايم بامر فلان يعني انه مدبر له ومتعهد لاسبابه وفلان قايم بحق فلان اي انه مجاز له فالله
مدبر لامر خلقه قايم بارزاقهم ومجازيهم باعمالهم لا اله الا هو انما كرره للتاكيد وقيل ان الاول
وصف وتوحيد والثاني رسم وتعليم اي قولوا لا اله الا هو وقيل فايدة التكرار الاعلام
بان هذه الكلمة اعظم الكلام واشرفه ففيه حث العباد على تكريرها والاشتغال بها فانه
من اشتغل بها فقد اشتغل بافضل العبادات العزيز اي الغالب الذي لا يعجز الحكيم يعني في جميع
افعاله ان الدين عند الله الاسلام يعني ان الدين المرضي عند الله هو الاسلام كما قال تعالى
ورضيت لكم الاسلام دينا وفيه رد على اليهود والنصارى وذلك لما ادعت اليهود انه
لا دين افضل من اليهودية وادعت النصارى انه لا دين افضل من النصرانية فرد الله
عليهم بذلك فقال ان الدين عند الله الاسلام وقرئ ان الدين بفتح الهمزة ردا على
ان الاولى والمعنى شهد الله انه لا اله الا هو وشهد ان الدين عند الله الاسلام واصل الدين
في اللغة الجزاء يقال كما تدين تدان ثم صار اسما للملة والشريعة ومعناه الانقياد والطاعة
والشريعة قال الزجاج الدين اسم لجميع ما تعبد الله به خلقه وامرهم بالاقامة عليه
والاسلام هو الدخول في السلم وهو الاستسلام والانقياد والدخول في الطاعة وروى
البغوي باسناد الثعلبي عن غالب القطان قال اتيت الكوفة في تجارة فنزلت قريبا

من الاعمش

من الاعمش فكنت اختلف اليه فلما كان ليلة اردت ان انحدر الى البصرة قام من الليل يتهجد
فمر بهذه الاية شهد الله انه لا اله الا هو العزيز الحكيم قال الاعمش وانا اشهد بما شهد الله به
واستودع الله هذه الشهادة وهي لي عند الله وديعة ان الدين عند الله الاسلام قالها مرارا
قلت سمع فيها شيا فصليت الصبح معه وودعته ثم قلت له اني سمعتك ترددها فما بلغك
فيها قال والله لا احدثك بها الى سنة فكتبت على بابه ذلك اليوم واقمت سنة فلما مضت
السنة قلت يا ابا محمد قد مضت السنة فقال حدثني ابو وايل عن عبد الله قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم يجا بصاحبها يوم القيامة فيقول الله عز وجل ان لعبدي هذا عندي عهدا
وانا احق من وفا بالعهد ادخلوا عبدي الجنة قوله عز وجل وما اختلف الذين اوتوا
الكتاب قال الكلبي نزلت في اليهود والنصارى حين تركوا الاسلام والمعنى وما اختلف
الذين اوتوا الكتاب في نبوة محمد صلى الله عليه وسلم الا من بعد ما جاءهم العلم يعني
بيان نعته وصفته في كتبهم وقال الربيع ان موسى عليه السلام لما حضره الموت دعى
سبعين رجلا من احبار بني اسرايل واودعهم التوراة واستخلف يوشع بن نون فلما
مضى القرن الاول والثاني والثالث وقع الفرقة والاختلاف بينهم وهم الذين اوتوا
الكتاب وهم من ابنا الملوك والسبعين حين اهرقوا الدما ووقع الشر والاختلاف
وذلك بعد ما جاءهم العلم يعني بيان ما في التوراة من الاحكام بغيا بينهم اي طلبا للملك
والرياسة فسلط الله عليهم الجبابرة وقيل نزلت في نصارى نجران ومعناه وما اختلف الذين
اوتوا الكتاب يعني الانجيل واختلافهم كان في امر عيسى عليه السلام وما ادعوا فيه بالالهية
الا من بعد ما جاءهم العلم يعني بان الله واحد احد وان عيسى عبده ورسوله بغيا بينهم يعني
المعاداة والمخالفة ومن يكفر بايات الله فان الله سريع الحساب فيه وعيد وتهديد لمن اصر
على الكفر من اليهود والنصارى الذين جحدوا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم قوله عز وجل فان
حاجوك اي خاصموك يا محمد في الدين وذلك ان اليهود والنصارى قالوا لسنا على ما سميتنا به يا محمد
انما اليهودية والنصرانية نسب والدين هو الاسلام ونحن عليه فامر الله سبحانه نبيه صلى الله
عليه وسلم ان يحتج عليهم بانه اتبع امر الله الذي هم مقرون به بقوله فقل اسلمت وجهي لله
اي انقدت له بقلبي ولساني وجميع جوارحي وانما خص الوجه بالذكر لانه اشرف جوارح
الانسان الظاهرة فاذا خضع وجهه لشي فقد خضع له ساير جوارحه وقيل اراد بالوجه العمل
اي اخلصت عملي لله وقصدت بعبادتي الى الله ومن اتبعن يعني ومن اسلم كما اسلمت
انا وقل للذين اوتوا الكتاب يعني اليهود والنصارى والاميين يعني مشركي العرب ءاسلمتم
لفظه استفهام ومعناه امر اي اسلموا فان اسلموا فقد اهتدوا يعني الى الفوز والنجاة
في الاخرة فلما قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الاية على اهل الكتاب قالوا قد
اسلمنا فقال لليهود اتشهدون ان عيسى كلمة الله وعبده ورسوله فقالوا معاذ الله
وقال للنصارى اتشهدون ان عيسى عبد الله ورسوله فقالوا معاذ الله ان يكون عيسى

عبدا قال الله تعالى وان تولوا اي اعرضوا فانما عليك البلاغ يعني تبليغ الرسالة وليس عليك
هدايتهم واختلف علماء الناسخ والمنسوخ في الاية فذهب طايفة الى انها محكمة والمراد بها
تسلية النبي صلى الله عليه وسلم لانه كان يحرص على ايمانهم ويتالم لتركهم الاجابة وذهب طايفة
الى انها منسوخة باية السيف لان المراد بها الاقتصار على التبليغ وهذا منسوخ باية السيف
والله بصير بالعباد يعني انه تعالى عالم بمن يومن وبمن لا يومن قوله عز وجل ان الذين يكفرون
بايات الله يعني يجحدون القران وينكرونه وهم اليهود والنصارى ويقتلون النبيين بغير
حق ويقتلون الذين يامرون بالقسط من الناس كان انبياء بني اسرايل ياتيهم الوحي
ولم يكن ياتيهم كتاب لانهم كانوا ملتزمين باحكام التوراة فكانوا يذكرون قومهم فيقتلون
انبياءهم فيقوم رجال ممن تبعهم وصدقهم فيذكرونهم ويامرونهم بالمعروف وينهونهم عن
المنكر فيقتلونهم ايضا فهم الذين يامرون بالقسط يعني بالعدل من الناس روى البغوي
بسنده الثعلبي عن ابي عبيدة بن الجراح قال قلت يا رسول الله اي الناس اشد عذابا يوم القيامة
قال رجل قتل نبيا او رجلا امر بالمنكر ونهى المعروف ثم قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقتلون
النبيين بغير حق ويقتلون الذين يامرون بالقسط من الناس الى ان انتهى الى قوله وما لهم
من ناصرين ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابا عبيدة قتلت بنو اسرايل ثلاثة واربعين
نبيا من اول النهار في ساعة واحدة فقام مائة واثنا عشر رجلا من عباد بني اسرايل فامروا
من قتلهم بالمعروف ونهوهم عن المنكر فقتلوهم جميعا من اخر النهار في ذلك اليوم فهم الذين
ذكرهم الله في كتابه وانزل الاية فيهم فبشرهم بعذاب اليم انما دخلت الفاء في قوله فبشرهم
مع انه خبر ان لانه في معنى الجزاء والتقدير من كفر فبشره بعذاب اليم يوم القيامة وهذا محمول
على الاستعارة وهو ان انذار الكفار بالعذاب قام مقام بشرى المحسنين بالثواب وفي هذه
الاية توبيخ لليهود الذين كانوا في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وان كان اسلافهم
الذين قتلوا الانبياء لانهم رضوا بفعلهم اولئك الذين حبطت اعمالهم في الدنيا والاخرة
وبطلان العمل هو ان لا يقبل في الدنيا ولا يجازى عليه في الاخرة وما لهم من ناصرين يعني
يمنعونهم من العذاب قوله تعالى الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب نزلت في اليهود
يدعون الى كتاب الله يعني القران وذلك ان اليهود دعوا الى حكم القران فاعرضوا عنه
قال ابن عباس ان الله جعل القران حكما فيما بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فحكم
القران على اليهود والنصارى انهم على غير الهدى فاعرضوا عنه وروي عن ابن عباس
ايضا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل بيت المدارس على جماعة من اليهود فدعاهم
الى الله عز وجل فقال له نعيم بن عمرو والحرث بن زيد على اي دين انت يا محمد فقال على
ملة ابراهيم قالا ان ابراهيم كان يهوديا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فهلموا الى التوراة
فهي بيننا وبينكم فابيا عليه فانزل الله هذه الاية فعلى هذا القول يكون المراد بكتاب الله
التوراة وروي عنه ايضا ان رجلا وامراة من اهل خيبر زنيا وكان في كتابهم الرجم فكرهوا رجمهما

لشرفهما

لشرفهما فيهم فرفعوا امرهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجوا ان يكون عنده
رخصة فحكم عليهما بالرجم فقال النعمان بن اوفى وبحري بن عمرو جرت عليهما يا محمد
وليس عليهما الرجم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بيني وبينكم التوراة فقالوا
قد انصفت فقال من اعلمكم بالتوراة قالوا رجل اعور يقال له عبد الله بن صوريا
يسكن فدك فارسلوا اليه فقدم المدينة وكان جبريل قد وصفه للنبي صلى الله عليه
وسلم فقال له صلى الله عليه وسلم انت ابن صوريا قال نعم انت اعلم اليهود بالتوراة
قال كذلك يزعمون فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتوراة وقال له اقرا فقرا
فلما اتى اية الرجم وضع يده عليها وقرا ما بعدها فقال عبد الله بن سلام يا رسول
الله قد جاوزها ثم قام ورفع كفه عنها وقرا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى
اليهود وفيها ان المحصن والمحصنة اذا زنيا وقامت عليهما البينة رجما وان كانت
المراة حبلى تربص بها حتى تضع ما في بطنها فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم باليهوديين
فرجما فغضبت اليهود لذلك فانزل الله عز وجل الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من
الكتاب يعني علمهم الذي علموه من التوراة يدعون الى كتاب الله يعني القران
او التوراة على اختلاف الروايتين ليحكم بينهم اي ليقضي بينهم واضافة الحكم الى الكتاب
هو على سبيل المجاز ثم يتولى فريق منهم يعني الروساء والعلماء وهم معرضون يعني عن
الحق وقيل الذين يتولون هم العلماء والذين اعرضوا هم الاتباع ذلك بانهم يعني
ذلك التولي والاعراض انما حصل بسبب انهم قالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودات
تقدم تفسيره في سورة البقرة وغرهم اي واطمعهم في دينهم ما كانوا يفترون اي
يختلقون ويكذبون وقيل هو قولهم نحن ابناء الله واحباؤه وقيل هو قولهم لن
تمسنا النار الا اياما معدودات وقيل غرهم قولهم نحن على الحق وانتم على
فكيف اذا جمعناهم اي فكيف يكون حالهم اذا جمعناهم ليوم اي في يوم لا ريب
فيه ووفيت كل نفس ما كسبت اي لا شك فيه انه كاين وواقع وهو يوم
القيامة وفيه تهديد لهم واستعظام لما اعد لهم في ذلك اليوم وانهم يقعون
فيما لا حيلة لهم فيه وان ما حدثوا به انفسهم وسهلوه عليها تعلل بباطل وطمع
فيما لا يكون ولا يحصل لهم قيل ان اول راية ترفع لاهل الموقف من رايات الكفار
راية اليهود فيفضحهم على رؤوس الاشهاد ثم يومر بهم الى النار وهم لا يظلمون
اي لا ينقص من حسناتهم ان كانت لهم حسنة ولا يزاد على سيئاتهم قوله عز وجل
قل اللهم مالك الملك قال قتادة ذكر لنا ان نبي الله صلى الله عليه وسلم سال
ربه عز وجل ان يجعل ملك فارس والروم في امته فانزل الله هذه الاية وقال ابن
عباس لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ووعد امته ملك فارس والروم
فقال المنافقون واليهود هيهات من اين محمد ملك فارس والروم وهم اعز وامنع

من ذلك الم يكف محمدا مكة والمدينة حتى طمع في ملك فارس والروم فانزل الله هذه الاية وقيل
ان اليهود قالوا والله لا نطيع رجلا جاء ينقل النبوة من بني اسرائيل الى غيرهم فنزلت هذه الاية
قل اللهم معناه يا الله لما حذف حرف النداء زيد الميم في اخره وقيل ان الميم فيه بمعنى ام
وهو يا الله امنا بخير اي اقصدنا مالك الملك اي مالك العباد وما ملكوا وقيل مالك
ملك السموات والارض وقيل معناه بيده الملك ووارثه يوم لا يدعي الملك احد غيره
وفي بعض كتب الله المنزلة انا الله مالك الملوك ونواصيهم بيدي فان العباد اطاعوني
جعلتهم عليهم رحمة وان هم عصوني جعلتهم عليهم عقوبة فلا تشتغلوا بسب الملوك
ولكن توبوا الي اعطفهم عليكم وقيل الملك هو القدرة والمالك هو القادر والمعنى انه
تعالى قادر على كل شيء ومالك على كل شيء ومملوكه قادر ومقدور وقيل معناه مالك الملك
اي جنس الملك يتصرف فيه كيف يشاء تؤتي الملك من تشاء يعني النبوة لانها اعظم
مراتب الملك وذلك لان النبي له الامر على بواطن الخلق وظواهرهم والملك ليس له
الامر الا على ظواهر بعض الخلق وهو من يطيعه منهم وطاعة النبي واجبة على الكافة وتنزع
الملك ممن تشاء يعني بذلك نزع النبوة من بني اسرائيل واتيانها محمدا صلى الله عليه وسلم فانه
لا نبي بعده ولم يشركه في نبوته ورسالته احد وقيل تؤتي الملك من تشاء يعني محمدا واصحابه
وتنزع الملك ممن تشاء يعني ابا جهل وصناديد قريش وقيل تؤتي الملك من تشاء يعني
محمدا وتنزع الملك ممن تشاء يعني فارس والروم وقيل تؤتي الملك من تشاء يعني
ادم وذريته وتنزع الملك ممن تشاء يعني ابليس وجنوده الذين كانوا في الارض قبل
ادم وتعز من تشاء يعني محمدا صلى الله عليه وسلم بالنبوة والرسالة وتذل من تشاء يعني
اليهود باخذ الجزية منهم وتنزع النبوة عنهم وقيل تعز المهاجرين والانصار وتذل
فارس والروم وقيل تعز من تشاء يعني محمدا واصحابه دخلوا مكة في عشرة الاف ظاهرين
عليها وتذل من تشاء يعني ابا جهل واصحابه حين قتلوا والقوا في قليب يوم بدر
وقيل وتعز من تشاء بالطاعة وتذل من تشاء بالفقر وقيل تعز من تشاء بالقناعة والرضى
وتذل من تشاء بالحرص والطمع بيدك الخير يعني النصر والغنيمة وقيل الالف واللام لتفيد
العموم والمعنى بيدك كل الخيرات فان قلت كيف قال بيدك الخير دون الشر قلت
لان الكلام انما وقع في الخير الذي يسوقه الله الى عباده المؤمنين وهو الذي انكرته
اليهود والمنافقون فقال بيدك الخير تؤتيه اولياءك على رغم اعدائك وقيل ان
قوله بيدك الخير لا ينافي ان يكون بيده غيره فيكون المعنى الخير بيدك وما سواه الا انه
خص الخير بالذكر لانه المنتفع به والمرغوب فيه انك على كل شيء قدير يعني ايتاء الملك
من تشاء واعزاز من تشاء واذلال من تشاء قوله تعالى تولج الليل في النهار الاية لما ذكر
الله تعالى انه مالك الملك اردفه بذكر قدرته الباهرة في حال الليل والنهار في المعاقبة
بينهما وحال اخراج الحي من الميت ثم عطف عليه انه يرزق من يشاء بغير حساب وذلك

دلالة على

دلالة على انه من قدر على تلك الافعال العظيمة المحيرة لذوي الافهام والعقول قادر على
ان ينزع الملك من فارس والروم واليهود ويذلهم وياتيه العرب ويعزهم فقوله تعالى
تولج الليل في النهار يعني تدخل الليل في النهار وهو ان يجعل الليل قصيرا وما نقص منه زيد
في النهار حتى يكون النهار خمسة عشر ساعة وذلك غاية طول النهار ويكون الليل تسع ساعات
وذلك غاية قصر النهار وتولج النهار في الليل حتى يكون الليل خمس عشرة ساعة وذلك غاية
طوله ويكون النهار تسع ساعات وذلك غاية قصره وقيل المراد بانه تعالى ياتي بسواد الليل عقيب
ضوء النهار وياتي بضوء النهار بعد ظلمة الليل والقول الاول اصح واقرب الى معنى الاية لانه اذا
نقص الليل كان ذلك القدر زيادة في النهار وبالعكس وهو معنى الولوج قوله تعالى وتخرج الحي
من الميت يعني انه تعالى يخرج الانسان الحي من النطفة وهي ميتة ويخرج النطفة من الانسان ويخرج
الفرخ وهو حي من البيضة وهي ميتة وبالعكس وكذلك سائر الحيوان وقيل يخرج النبات الغض
الاخضر من الحب اليابس ويخرج النخلة من النواة وبالعكس وقيل معناه انه تعالى يخرج
المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن لان المؤمن حي الفؤاد والكافر ميته وترزق من تشاء
بغير حساب يعني من غير تضييق ولا تقتير بل يبسط الرزق لمن يشاء ويوسع عليه قوله تعالى
لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء من دون المؤمنين قال ابن عباس كان الحجاج بن عمرو
وابن ابي الحقيق وقيس بن زيد يبطنون بنفر من الانصار ليفتنوهم عن دينهم فقال رفاعة
ابن المنذر وعبد الله بن جبير وسعيد بن خيثمة لاولئك النفر اجتنبوا هؤلاء اليهود لا يفتنوكم
عن دينكم فابى اولئك النفر الا مباطنتهم فانزل الله هذه الاية في حاطب بن ابي بلتعة
وغيرهم ممن كان يظهر المودة لكفار مكة وقيل نزلت في عبد الله بن ابي واصحابه كانوا
يتولون المشركين واليهود وياتونهم بالاخبار يرجون ان يكون لهم الظفر على رسول الله
صلى الله عليه وسلم فانزل الله هذه الاية ونهى المؤمنون عن مثل ذلك وقيل ان عبادة
ابن الصامت كان له حلفاء في اليهود فقال يوم الاحزاب يا رسول الله ان معي خمسمائة
من اليهود وقد رايت ان استظهر بهم على العدو فنزلت هذه الاية وقوله لا يتخذ المؤمنون
الكافرين اولياء يعني انصارا واعوانا من دون المؤمنين يعني من غير المؤمنين والمعنى لا
يجعل المؤمن ولايته لمن هو غير مؤمن نهى الله المؤمنين ان يوالوا الكفار او يلاطفوهم
لقرابة بينهم او محبة او معاشرة والمحبة في الله والبغض في الله باب عظيم واصل من
اصول الايمان ومن يفعل ذلك يعني موالاة الكفار من نقل الاخبار اليهم واظهار
عورة المسلمين او يودهم ويحبهم فليس من الله في شيء اي فليس من دين الله في شيء
وقيل معناه فليس من ولاية الله في شيء وهذا امر معقول من ولاية المولى معاداة
اعدائه وموالاة الله وموالاة الكفار ضدان لا يجتمعان الا ان تتقوا منهم تقاة
اي الا ان تخافوا منهم مخافة ومعنى الاية ان الله نهى المؤمنين عن موالاة الكفار
ومداهنتهم ومباطنتهم الا ان يكون الكفار غالبين ظاهرين او يكون المؤمن

في قوم كفار فيداريهم بلسانه وقلبه مطمئن بالايمان دفعا عن نفسه من غير ان يستحل
دما حراما او مالا حراما او غير ذلك من المحرمات او يظهر الكفار على عورات المسلمين والتقية
لا تكون الا مع خوف القتل مع سلامة النية قال الله تعالى الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان
ثم هذه التقية رخصة فلو صبر على اظهار ايمانه فقتل حتى كان له بذلك اجر عظيم وانكر قوم
التقية اليوم وقالوا انما كانت التقية في جدة الاسلام قبل استحكام الدين وقوة
المسلمين فاما اليوم فقد اعز الله الاسلام ان يتقوا من عدوهم قال يحيى البكا قلت
لسعيد بن جبير في ايام الحجاج ان الحسن يقول لكم التقية باللسان والقلب مطمئن بالايمان
فقال سعيد ليس في الاسلام تقاة انما التقاة في الحرب وقيل انما تجوز التقية لصون
النفس عن الضرر لان دفع الضرر عن النفس واجب بقدر الامكان ويحذركم الله نفسه
اي ويخوفكم الله ان تعصوه بان تركبوا المنهي او تخالفوا المامور او توالوا الكفار
فيستحقوا عقابه على ذلك كله والى الله المصير يعني ان الله يحذركم عقابه اذا صرتم اليه
في الاخرة قوله عز وجل قل ان تخفوا ما في صدوركم يعني ما في قلوبكم من موالاة الكفار و
مودتهم وانما ذكر الصدر لانه وعاء القلب او تبدوه يعني تبدوا مودة الكفار قولا وفعلا
وقيل معناه ان تخفوا ما في قلوبكم من تكذيب رسول الله صلى الله عليه وسلم او تبدوه
اي تظهروه بالحرب والمقاتلة له يعلمه الله اي يحفظه عليكم ويجازيكم به ويعلم ما في
السموات وما في الارض يعني انه اذا كان لا يخفى عليه حالكم وموالاتكم الكفار وميلكم
اليهم بقلوبكم والله على كل شيء قدير يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا يعني تجد
كل نفس جزاء ما عملت من خير محضرا يوم القيامة لم ينقص ولم يبخس منه شيء وما عملت
من سوء اي تجد ما عملت من الخير محضرا فتسر به وما عملت من سوء تود اي تتمنى
لو ان بينها وبينه اي وبين ما عملت من السوء امدا بعيدا اي مكانا بعيدا قيل كما بين
المشرق والمغرب والامد الاجل والغاية وقيل معناه تود انها لم تعمله ويكون بينها
وبينه امدا بعيدا ويحذركم الله نفسه انما كرره للتاكيد والوعيد والله رؤوف
بالعباد قيل معناه انه رؤوف بهم حيث حذرهم نفسه وعرفهم كمال قدرته وعلمه وانه
يمهل ولا يهمل وقيل معناه انه رؤوف بالعباد حيث امهلهم للتوبة والتدارك والعمل
الصالح وقيل انه تعالى لما قال ويحذركم الله نفسه وهو وعيد اتبعه بقوله والله رؤوف
بالعباد وهو وعد ليعلم العبد المؤمن ان رحمته ووعده غلبت وعيده وسخطه
قوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله نزلت في اليهود و
النصارى حيث قالوا نحن ابناء الله واحباؤه فنزلت هذه الاية فعرضها
رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم فلم يقبلوها وقال ابن عباس وقف
رسول الله صلى الله عليه وسلم على قريش في المسجد الحرام وقد نصبوا اصنامهم
وعلقوا عليها بيض النعام وجعلوا في اذانها الشنوف وهم يسجدون لها

فقال يا

فقال يا معشر قريش لقد خالفتم ملة ابيكم ابراهيم واسماعيل فقالت قريش انما نعبدها حبا لله
ليقربونا الى الله زلفى فنزلت هذه الاية وقيل ان نصارى نجران قالوا انما نقول هذا
القول في عيسى حبا لله وتعظيما له فانزل الله قل يا محمد ان كنتم تحبون الله فيما تزعمون فاتبعوني
يحببكم الله لانه قد ثبتت نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بالدلائل الظاهرة والمعجزات الباهرات
فوجب على كافة الخلق متابعته قل ان كنتم صادقين في ادعا محبة الله فكونوا منقادين
لاوامره ومطيعين له فاتبعوني فان اتباعي من محبة الله وطاعته وقال العلماء ان محبة
العبد لله عبارة عن اعظامه واجلاله وايثار طاعته واتباع امره ومجانبة نهيه ومحبة الله
للعبد ثناؤه عليه ورضاه وثوابه له وعفوه عنه فذلك قوله تعالى ويغفر لكم ذنوبكم يعني
ان من غفر له فقد ازال عنه العذاب والله غفور رحيم يعني انه تعالى يغفر ذنوب من احبه ويرحمه بفضله
وكرمه ولما نزلت هذه الاية قال عبد الله بن ابي بن سلول راس المنافقين لاصحابه ان محمدا
يجعل طاعته كطاعة الله ويامرنا ان نحبه كما احبت النصارى عيسى بن مريم فانزل الله عز وجل
قل اطيعوا الله والرسول يعني ان طاعة الله متعلقة بطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم فان
طاعته لا تتم مع عصيان رسوله صلى الله عليه وسلم ولهذا قال الشافعي رحمه الله كل امر ونهي ثبت
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم جرى ذلك في الفريضة واللزوم مجرى ما امر الله به في كتابه
او نهى عنه وقال ابن عباس فان طاعتكم لمحمد صلى الله عليه وسلم طاعتكم لي فاما ان تعصوا
محمدا فلن اقبل منكم فان تولوا اي اعرضوا عن طاعة الله ورسوله فان الله لا يحب الكافرين
اي لا يرضى فعلهم ولا يغفر لهم خ عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل امتي يدخلون
الجنة الا من ابى قال ومن يابى قال من اطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد ابى ق عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من اطاعني فقد اطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله ومن
يطع الامير فقد اطاعني ومن يعص الامير فقد عصاني قوله عز وجل ان الله اصطفى ادم ونوحا
قال ابن عباس قالت اليهود نحن من ابناء ابراهيم واسحاق ويعقوب ونحن على دينهم فانزل
الله هذه الاية والمعنى ان الله اصطفى هؤلاء بالاسلام وانتم يا معشر اليهود على غير دين الاسلام
ومعنى اصطفى اختار من الصفوة وهي الخالص من كل شيء ادم هو ابو البشر عليه السلام
ونوحا هو نوح بن لمك بن متوشلخ بن اخنوخ وهو ادريس عليه السلام وحكى ابن الجوزي
في تفسيره عن ابي سليمان الدمشقي ان اسم نوح السكن وانما سمي نوحا لكثرة نوحه
على نفسه وال ابراهيم قيل اراد بال ابراهيم ابراهيم نفسه وقيل ال ابراهيم اسماعيل واسحاق
ويعقوب وذلك ان الله تعالى جعل ابراهيم عليه السلام اصلا لشعبتين فجعل اسماعيل
ابن ابراهيم عليهما السلام اصلا للعرب ومحمد صلى الله عليه وسلم منهم فهو داخل في هذا
الاصطفاء وجعل اسحاق اصل لبني اسرائيل وجعل فيهم اسحاق اصل النبوة والملك الى
زمن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ثم جعل له ولامته النبوة والملك الى يوم القيامة و
قيل اراد بال ابراهيم من كان على دينه وال عمران واختلفوا في عمران هذا فقيل

هو عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوى بن يعقوب وهو والد موسى وهارون فيكون
ال عمران موسى وهارون او لنفسه وقيل هو عمران بن اشيم بن امون وقيل ابن ماثان
وهو من ولد سليمان بن داود عليهم السلام وعمران هذا هو والد مريم وابنها عيسى فعلى هذا
يكون المراد بال عمران مريم وابنها عيسى وانما خص هولا بالذكر لان الانبيا والرسل
من نسلهم على العالمين اى اختارهم واصطفاهم على العالمين بما خصهم من النبوة
والرسالة ذرية اى اصطفى ذرية واصلها من ذرا بمعنى خلق وقيل من الذر لان
الله تعالى استخرجهم من ظهر ادم كالذر وانما سمى الاباء والابنا ذرية لان الله خلق بعضهم
من بعض فالانبيا من ذرية الاباء والاباء من ذرية ادم وهو ممن ذراه الله اى خلقه
بعضها من بعض اى بعضها من ولد بعض وقيل بعضها من بعض فى التناصر والتعاضد
وقيل بعضها على دين بعض والله سميع عليم يعنى انه تعالى سميع لاقوال العباد عليم
بنياتهم وانما اصطفى لنبوته ورسالته من يعلم استقامته قولا وفعلا قوله تعالى
اذ قالت امرأة عمران اى حنة بنت فاقود ام مريم وعمران هو عمران بن ماثان وقيل
ابن اشيم وليس بعمران ابى موسى لان بينهما الف وثمانمائة سنة وكان بنو ماثان
روس بنى اسرايل فى ذلك الزمن واحبارهم وملوكهم رب انى نذرت لك ما فى
بطنى محررا اى جعلت الحمل الذى فى بطنى نذرا محررا منى لك والنذر ما يوجبه الانسان
على نفسه ومعنى محررا اى عتيقا خالصا مفرغا لعبادة الله وخدمة الكنيسة لا اشغله
بشى من امور الدنيا قيل كان المحرر عندهم اذا حرر جعل فى الكنيسة فيقوم عليها ويخدمها ولا
يبرح مقيما فيها حتى يبلغ الحلم ثم يخير فان احب اقام فيها وان احب ذهب حيث شا فان
اراد الخروج بعد ان اختار الاقامة فى الكنيسة لم يكن له ذلك ولم يكن احد من انبيا
بنى اسرايل وعلمايهم الا ومن اولاده محررة لخدمة بيت المقدس ولم يكن يحرر الا الغلمان
ولا تصلح الجارية لخدمة بيت المقدس لما يصيبها من الحيض والاذى فحررت ام مريم
ما فى بطنها وكانت القصة فى ذلك على ما ذكره اصحاب اخبار السير والاخبار ان
زكريا وعمران تزوجا اختين فكانت اشاع بنت فاقود وهى ام يحيى عند زكريا
وكانت حنة بنت فاقود اخت اشاع عند عمران وهى ام مريم وكان قد امسك
عن حنة الولد حتى اسنت وكبرت وكانوا اهل بيت صالحين وهم من الله بمكان
فبينما هى فى ظل شجرة ابصرت طايرا يطعم فرخا فتحركت نفسها بذلك الولد فدعت الله
ان يهب لها ولدا وقالت اللهم لك على ان رزقتنى ولدا ان اتصدق به على بيت
المقدس فيكون من خدمته فلما حملت بمريم حررت بما فى بطنها ولم تعلم ما هو
فقال لها زوجها ويحك ما صنعت ارايت ان كان فى بطنك انثى لا تصلح لذلك
فوقعا جميعا فى هم شديد من اجل ذلك ومات عمران قبل ان تضع حنة حملها
ثم قال تعالى حاكيا عنها فتقبل منى يعنى نذرى والتقبل اخذ الشى على الرضا واصله

من المقابلة

قالت رب انى وضعتها انثى

من المقابلة لانه يقابل بالجزا وهذا سوال من لا يريد بما فعله الا الطلب رضا الله تعالى
والاخلاص فى دعايه وعبادته انك انت السميع يعنى لتضرعى ودعاى العليم
يعنى بنيتى وما فى ضميرى قوله عز وجل فلما وضعتها اى ولدت حملها وانما قال وضعتها
لانه كان فى علم الله انها جارية قبل ان تضعه والله اعلم بما وضعت قرى بجزم التا
اخبارا عن الله تعالى والمعنى انه تعالى قال والله اعلم بالشى الذى وضعته وقرى وضعت برفع
التا وهو من كلام ام مريم على تقدير انها لما قالت رب انى وضعتها انثى خافت ان
يكون اخبرت الله بذلك فازالت هذه الشبهة بقولها والله اعلم بما وضعت
وليس الذكر كالانثى يعنى فى خدمة الكنيسة والعباد الذين فيها وفى الكلام تقديم وتاخير
تقديره وليس الانثى كالذكر الذى يصلح للخدمة فى الكنيسة ولا تصلح الانثى لذلك
لضعفها ولما يحصل لها من الحيض ولانها عورة ولا يجوز لها الحضور مع الحضور وقيل
فى معنى الاية ان المقصود منها هو تفضيل هذه الانثى على الذكر كانها قالت كان
الذكر مطلوبى لخدمة المسجد وهذه الانثى هى موهبة الله تعالى وليس الذكر الذى
طلبت كالانثى التى هى موهبة الله تعالى وكانت مريم من اجمل النسا وافضلهن فى
وقتها وانى سميتها مريم يعنى العابدة والخادمة وهو بلغتهم واردت بهذه التسمية
ان يفضلها الله على اناث الدنيا وانى اعيذها بك وذريتها اى امنعها واجيرها
بك وذريتها من الشيطان الرجيم يعنى اللعين الطريد وذلك ان حنة ام مريم لما فاتها
ما كانت تطلب من ان يكون ولدها ذكرا فاذا هى انثى تضرعت الى الله تعالى ان يحفظها
ويعصمها من الشيطان الرجيم وان يجعلها من الصالحات العابدات ق عن ابى هريرة قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من بنى ادم من مولود الا نخسه الشيطان
حين يولد فيستهل صارخا من نخسته اياه الا مريم وابنها ثم يقول ابو هريرة اقروا
ان شيتم وانى اعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم وللبخارى عنه قال كل ابن
ادم يطعن الشيطان فى جنبه باصبعيه حين يولد غير عيسى بن مريم ليطعن فطعن
فى الحجاب قوله تعالى فتقبلها ربها بقبول حسن يعنى تقبل الله مريم من حنة مكان الذكر
المحرر بمعنى قبل ورضى قال الزجاج الاصل فى العربية تقبلها بتقبيل ولكن قبول
محمول على قبلها قبولا كما يقال قبلت الشى قبولا ويجوز قبولا اذا رضيته وقال
ابو عمرو ليس فى المصادر فعول بفتح الفا الا هذا ولم اسمع فيه الضم وقيل معنى
التقبل والقبول واحد وهما سوا وهو ان يرى الشى ويأخذه وقيل معنى التقبل
التكفل فى التربية والقيام بشانها وانما قال بقبول للجمع بين الامرين يعنى التقبل الذى
بمعنى التكفل والقبول الذى هو بمعنى الرضى وانبتها نباتا حسنا معناه وانبتها فنبتت
هى نباتا حسنا قال ابن عباس فى قوله تعالى فتقبلها ربها بقبول حسن اى سلك بها
طريق السعدا وانبتها نباتا حسنا يعنى سوى خلقها من غير زيادة ولا نقصان

فكانت تنبت في اليوم ما تنبت المولود في عام وكفلها زكريا قال اهل الاخبار لما ولدت حنة مريم
اخذتها فلفتها في خرقة وحملتها الى المسجد فوضعتها عند الاحبار ابناء هارون وهم يومئذ
يلون من بيت المقدس ما يلي الحجبة من الكعبة وقالت دونكم النذيرة فتنافسوا فيها الاحبار
لانها كانت امامهم وصاحب قربانهم فقال لهم زكريا انا احق بها لان خالتها عندي
فقالت له الاحبار لو تركت لاحق الناس لتركت لامها التي ولدتها ولكنا نقترع عليها
فتكون عند من خرج سهمه بها فانطلقوا وكانوا تسعة وعشرين رجلا الى نهر جار يعني
الاردن فالقوا اقلامهم التي كانت بايديهم فارتفع قلم زكريا فوق الما ووقفت وانحدرت
اقلامهم ثم رسبت في النهر وجرى قلم زكريا مصعدا الى اعلى وجرت اقلامهم مع جري الما
الى اسفل فسهمهم زكريا وقرعهم وكان زكريا راس الاحبار ونبيهم فذلك قوله تعالى
وكفلها زكريا قرئ بتشديد الفا ومعناه وضمها الله زكريا وضمها اليه بالقرعة وقرئ بتخفيف
الفا ومعناه وضمها زكريا الى نفسه بالقرعة وقام بامرها وهو زكريا بن ادن بن مسلم بن
صدوق من اولاد سليمان بن داود عليهم السلام فلما ضم زكريا مريم الى نفسه بنى لها بيتا و
استرضع لها المراضع وقيل ضمها الى خالتها ام يحيى حتى اذا شبت وبلغت مبلغ النسا بنى لها
محرابا في المسجد وجعل بابه في وسطه ولا يرقى اليها الا بسلم ولا يصعد اليها غيره وكان ياتيها
بطعامها وشرابها كل يوم فذلك قوله تعالى كلما دخل عليها زكريا المحراب يعني الغرفة والمحراب
اشرف المجالس ومقدمها وكذلك هو من المسجد وقيل المحراب ما يرقى اليه بدرج وقيل
كان زكريا يغلق عليها سبعة ابواب فاذا دخل عليها المحراب وجد عندها رزقا يعني فاكهة من
غير وقتها فكان يجد عندها فاكهة الشتا في الصيف وفاكهة الصيف في الشتا قال يعني زكريا
يا مريم انى لك هذا اي من اين لك هذه الفاكهة قالت يعني قالت مريم مجيبة لزكريا هو من عند
الله يعني من الجنة وقيل ان مريم من حين ولدت لم تلقم ثديا بل كان ياتيها رزقها من الجنة
فيقول زكريا يا مريم انى لك هذا قالت هو من عند الله تكلمت وهي صغيرة في المهد كما تكلم ولدها
عيسى عليه السلام وهو صغير في المهد وقال محمد بن اسحاق اصابت بني اسرائيل ازمة وهي على ذلك
من حالها حتى ضعف زكريا عن حملها وكفالتها فخرج على بني اسرائيل فقال يا بني اسرائيل تعلمون
والله والله لقد كبرت سني وضعفت عن حمل بنت عمران فايكم يكفلها بعدي فقالوا والله لقد
جهدنا واصابنا من السنة ما ترى فتدافعوها بينهم ثم لم يجدوا من حملها بدا فتقارعوا عليها
بالاقلام فخرج السهم لرجل نجار يقال له يوسف بن يعقوب وكان ابن عم لمريم فعرفت مريم
في وجهه شدة ذلك عليه فقالت له يا يوسف احسن بالله الظن فان الله سيرزقنا فصار
يوسف يرزق لمكانها منه فكان ياتيها كل يوم من كسبه بما يصلحها فاذا ادخله عليها في
المحراب قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشا بغير حساب وهذا يحتمل ان يكون من
تمام كلام مريم او ابتدا كلام من الله عز وجل ومعناه انه تعالى يرزق من يشا بغير تقدير لكثرته
او من غير سبب وفي هذه الاية دليل على جواز كرامات الاوليا وظهور خوارق العادات

على ايديهم قال اهل الاخبار فلما راى زكريا ذلك قال ان الذي قدر عليها ان ياتي مريم
بالفاكهة في غير وقتها وحينها من غير سبب لقادر ان يصلح زوجي ويهب لي ولدا
من غير حينه مع الكبر فطمع في الولد وذلك ان اهل بيته كانوا قد انقرضوا وكان زكريا
قد كبر وشاخ وايس من الولد فذلك قوله تعالى هنالك دعا زكريا ربه يعني انه عليه
السلام دخل محرابه واغلق الابواب وسئل ربه الولد قال رب هب لي من لدنك
ذرية طيبة يعني انه قال يا رب اعطني من عندك ولدا مباركا تقيا صالحا رضيا والذرية
تطلق على الواحد والجمع والذكر والانثى والمراد بها هنا الواحد وانما قال طيبة لتانيث لفظ
الذرية انك سميع الدعاء اي سامعه ومجيبه قوله عز وجل فنادته الملائكة يعني جبريل
عليه السلام وانما اخبر عنه بلفظ الجمع تعظيما لشانه ولانه رئيس الملائكة وقيل لم يبعث
الا ومعه جمع الملائكة فجرى ذلك على مجرى العادة وهو قائم يصلي في المحراب اي في
المسجد وذلك ان زكريا عليه السلام كان الحبر الكبير الذي يقرب القربان ويفتح لهم الباب
فلا يدخلون حتى يوذن لهم في الدخول فبينما هو قائم يصلي في محرابه عند المذبح والناس
ينتظرون ان ياذن في الدخول اذ هو برجل شاب عليه ثياب بياض ففزع زكريا
منه فناداه جبريل عليه السلام يا زكريا ان الله يبشرك بيحيى اي بولد اسمه يحيى قال ابن
عباس سمي يحيى لان الله تعالى احيى به عقر امه وقيل لان الله احيا قلبه بالايمان وقيل
لان الله تعالى احياه بالطاعة حتى لم يهم بمعصية قط مصدقا بكلمة من الله يعني عيسى
بن مريم وانما سمي عيسى عليه السلام كلمة لان الله تعالى قال له كن فكان من غير اب
دلالة على كمال القدرة فوقع عليه اسم الكلمة لانه بها كان وقيل سمي كلمة لان عيسى
عليه السلام كان يرشد الخلق الى الحقائق والاسرار الالهية ويهتدى به كما يهتدى
بكلام الله تعالى فسمي كلمة بهذا الاعتبار وقيل سمي كلمة لان الله تعالى بشر به مريم على لسان
جبريل وقيل لان الله تعالى اخبر الانبيا الذين قبله في كتبه المنزلة انه يخلق نبيا من غير
واسطة اب فلما جا قيل هذا هو تلك الكلمة يعني الوعد الذي وعد انه يخلقه كذلك
وكان يحيى اول من امن بعيسى وصدقه وكان يحيى اكبر من عيسى بستة اشهر وكانا
ابني خالة وقتل يحيى قبل ان يرفع عيسى عليه السلام وقيل ان ام يحيى لقيت ام
عيسى وهما حاملتان فقالت ام يحيى لام عيسى اشعرت اني حامل فقالت مريم وانا
ايضا حامل فقالت ام يحيى اني لاجد ما في بطني يسجد لما في بطنك فذلك قوله مصدقا
بكلمة من الله يعني ان يحيى امن بعيسى وصدق به وسيدا من ساد يسود والسيد هو
الرئيس الذي يتبع وينتهى الى قوله وكان يحيى عليه السلام سيد المومنين ورئيسهم
في الدين والعلم والحلم وقيل السيد هو الحسن الخلق وقيل هو الذي يطيع ربه وقيل هو
الفقيه العالم وقيل سيدا في العلم والعبادة والورع وقيل السيد هو الحليم الذي لا يغضبه
شي وقيل السيد هو الذي يفوق قومه في جميع خصال الخير وقيل هو السخي قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم من سيدكم يا بني سلمة قالوا جد بن قيس على انا نبخله قال واي داء ادوى من البخل لكن سيدكم عمرو بن الجموح وقوله وحصورا قال ابن عباس وغيره من المفسرين الحصور الذي لا ياتي النسا ولا يقربهن فعلى هذا هو فعول بمعنى فاعل يعني انه حصر نفسه عن الشهوات او اصله من الحصر وهو الحبس وقيل هو العنين وقيل هو الفقير الذي لا مال له فيكون الحصور بمعنى محصور يعني الممنوع من النسا قال سعيد بن المسيب كان له مثل هدبة الثوب وقد تزوج مع ذلك ليغض بصره وفيه قول آخر وهو ان الحصور هو الممتنع عن الوطي مع القدرة عليه وانما تركه للعفة والزهد فيه وهذا القول هو الصحيح وهو قول جماعة من المحققين وهو اليق بمنصب الانبيا لان الكلام انما خرج مخرج المدح والثنا وذكر صفة النقص في معرض المدح لا يجوز وايضا فان منصب النبوة يدل من ان يضاف الى واحد منهم نقص او افة فحمل الكلام على منع النفس عن الوطي مع القدرة عليه اولى من حمله على ترك الوطي مع العجز عنه ونبيا من الصالحين يعني انه من اولاد الانبيا الصالحين قوله تعالى قال يعني زكريا رب اي رب قيل هو خطاب مع جبريل لان الاية المتقدمة دلت على ان الذين نادوه هم الملايكة فعلى هذا القول يكون الرب هنا بمعنى السيد والمربي اي يا سيدي وقيل انه خطاب مع الله تعالى فيكون الرب بمعنى المالك وذلك ان الملايكة لما بشروه بالولد تعجب ورجع في ازالة ذلك التعجب الى الله فقال رب انى يكون لي غلام يعني من اين يكون وكيف يكون لي غلام وقد بلغني الكبر قيل هو من المقلوب ومعناه وقد بلغت الكبر وشخت وقيل معناه وقد نالني الكبر وادركني الضعف فان قلت كيف انكر زكريا الولد مع تبشير الملايكة اياه به وما معنى هذه المراجعة ولم تعجب من ذلك بعد وعد الله اياه به الا كان شاكا في وعد الله او في قدرته قلت لم يشك زكريا عليه السلام في وعد الله ولا في قدرته وانما قال ذلك على سبيل الاستفهام والاستعلام والمعنى من اي جهة يكون لي الولد ايكون بازالة العقر عن زوجي ورد شبابي علي او يكون ونحن على حالنا من الكبر والضعف فاجابه بقوله كذلك الله يفعل ما يشا وقال عكرمة والسدي لما سمع زكريا نداء الملايكة جاءه الشيطان فقال يا زكريا ان الصوت الذي سمعت ليس هو من عند الله وانما هو من الشيطان ولو كان من الله لاوحاه اليك كما يوحي اليك في ساير الامور فقال ذلك زكريا دفعا للوسوسة واعترض على هذا الجواب بانه لا يجوز ان يشتبه على الانبيا كلام الشيطان اذ لو جوزنا لارتفع الموثوق باخبارهم عن الوحي السماوي واجيب عن هذا الاعتراض بانه لما دلت الدلايل على صدق الانبيا فيما يخبرون به عن الله تعالى بواسطة الملك فلا مدخل للشيطان فيه وذلك فيما يتعلق بالدين والشرايع فاما ما يتعلق بمصالح الدنيا وبالولد فقد يحتمل فيه حصول الوسوسة فسال زكريا ذلك ليزول هذه الوسوسة من خاطره قال الكلبي كان زكريا يوم بشر بالولد ابن اثنين وتسعين سنة وقيل ابن تسع وتسعين سنة وقال ابن عباس في رواية الضحاك كان ابن مائة وعشرين سنة وكانت امراته بنت ثمان وتسعين سنة فذلك قوله وقد بلغني الكبر وامراتي عاقر

اي عقيم لا تلد قال كذلك الله يفعل ما يشا يعني انه تعالى قادر على هبة الولد على الكبر يفعل ما يشا لا يعجزه شي قوله عز وجل قال يعني زكريا رب اجعل لي اية اي علامة اعلم بها وقت حمل امراتي فازيد في العبادة والشكر لك قال ايتك اي علامتك على الذي طلبت معرفة علمه ان لا تكلم الناس اي لا تقدر على تكليم الناس ثلاثة ايام اي مدة ثلاثة ايام بلياليها قال جمهور المفسرين عقد لسانه عن تكليم الناس ثلاثة ايام مع القدرة على التسبيح والذكر وكذلك قال تعالى في اخر الاية واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشي والابكار يعني في ايام منعك من تكليم الناس بامور الدنيا وذلك مع صحة الجسم وسلامة الجوارح من اعظم المعجزات وانما منع عن الكلام مع الناس ليخلص في هذه الايام لعبادة الله تعالى وذكره ولا يشتغل بشي اخر توفيرا منه على قضا حق هذه النعمة الجسيمة ويشكر الله على اجابته فيما طلب الاية من اجله وان يكون ذلك دليلا على وجود الحمل ليتم سروره بذلك وقال قتادة انما امسك لسانه عن الكلام عقوبة لسواله الاية بعد مشافهة الملايكة اياه ببشارة الولد فلم يقدر على الكلام ثلاثة ايام الا رمزا يعني الا اشارة والاشارة قد تكون باليد وبالعين وبالايما بالراس وكانت اشارته بالاصبع المسبحة وقيل الرمز قد يكون باللسان من غير تبيين كلام وهو الصوت الخفي شبه الهمس وقيل اراد به صوم ثلاثة ايام لانهم كانوا اذا صاموا لم يتكلموا والقول الاول اصح لموافقة اهل اللغة عليه واذكر ربك كثيرا وذلك مما منعه الله من الكلام في تلك المدة امره بالذكر فقال واذكر ربك كثيرا فانك لا تمنع من ذلك ولا يحال بينك وبينه وسبح اي وعظم ربك ونزهه عن النقايص وقيل وصل لربك وتسمية الصلاة سبحة لان فيها تنزيها للرب سبحانه وتعالى بالعشي والابكار فاما العشي فهو ما بين زوال الشمس الى غروبها ومنه سمي صلاتي الظهر والعصر صلاتي العشي والابكار هو ما بين طلوع الفجر الى الضحى قوله واذ قالت الملايكة يعني جبريل عليه السلام يا مريم ان الله اصطفاك اي اختارك وطهرك يعني من مسيس الرجال وقيل من الحيض والنفاس وكانت مريم لا تحيض وقيل من الذنوب واصطفاك اي واختارك على نسا العالمين اي عالمي زمانها وقيل على جميع نسا العالمين فان قلت هل من فرق بين الاصطفا الاول والثاني قلت ذكر العلما في معناهما وجوها يحصل منها الفرق فقيل في معنى الاصطفا الاول ان الله تعالى اختار مريم وقبلها ومنذورة محررة ولم يحرر قبلها انثى ولم يجعل ذلك لغيرها من النسا وان الله بعث اليها رزقها من عنده وكفلها زكريا ومعنى الاصطفا الثاني ان الله تعالى وهب لها عيسى من غير اب واسمعها كلام الملايكة ولم يحصل ذلك لغيرها من النسا ق عن علي بن ابي طالب قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول خير نسايها مريم بنت عمران وخير نسايها خديجة بنت خويلد قال ابو كريب واشار وكيع الى السما

والارض قيل اراد بهذه الاشارة لتفسير الضمير في قوله خير نسايها ومعناه انهما خير كل
نسا بين السما والارض قال الشيخ محي الدين النواوي والاظهر ان معناه ان كل واحدة
منهما خير نسا الارض في عصرها واما التفضيل بينهما فمسكوت عنه ق عن ابي موسى
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النسا الا
مريم بنت عمران واسية امراة فرعون وفضل عائشة على النسا كفضل الثريد على ساير
الطعام قال العلما معناه ان الثريد من كل طعام افضل من المرق وثريد اللحم افضل من
مرقة بلا ثريد وثريد بالا لحم فيه افضل من مرقة بغير ثريد وفضل عائشة على ساير
النسا كزيادة فضل الثريد على غيره وليس في هذا التصريح بتفضيلها على مريم واسية
لاحتمال ان المراد بتفضيلها على نسا هذه الامة عن انس قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم حسبك من نسا العالمين مريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة
بنت محمد واسية امراة فرعون اخرجه الترمذي قوله عز وجل يا مريم اقنتي لربك اي
قالت الملايكة لها شفاها اطيعي ربك وقيل معناه اطيلي القيام في الصلاة لربك
قال الاوزاعي لما قالت الملايكة لها ذلك قامت حتى تورمت قدماها وسالت
دما وقيحا وحكي عن مجاهد نحوه واسجدي واركعي مع الراكعين انما قدم السجود على
الركوع لان الواو لا تقتضي ترتيبا انما هي للجمع كانه قيل لها افعلي الركوع والسجود وقيل
انما قدم السجود على الركوع لانه كان كذلك في شريعتهم وقال ابن الانباري امرها امرا
عاما وحضها على فعل الخير فكانه قال استعملي السجود في حال والركوع في حال ولم يرد
السجود على الركوع بل اراد العموم بالامر على اختلاف الحالين وانما قال اركعي مع الراكعين
ولم يقل مع الراكعات لان لفظ الراكعين اعم فيدخل فيه الرجال والنسا والصلاة مع الرجال
افضل واتم وقيل معناه افعلي كفعل الراكعين وقيل المراد به الصلاة جماعة اي صلي مع
المصلين في جماعة قوله تعالى ذلك من انبا الغيب يقول الله عز وجل لمحمد صلى الله عليه وسلم
ذلك الذي ذكرت لك من حديث زكريا ويحيى ومريم وعيسى عليهم السلام من اخبار الغيب
نوحيه اليك يا محمد لانه لا يمكنك ان تعلم اخبار الامم الماضين الا بوحي منا اليك
وانما قال نوحيه لانه رد الضمير الى ذلك فلذلك ذكر اللفظ وما كنت يعني يا محمد لديهم
هنالك عندهم اذ يلقون اقلامهم يعني التي كانوا يكتبون بها في الماء لاجل الاقتراع
ايهم يكفل مريم يعني يربيها ويقوم بمصالحها قيل سبب تزول منازعتهم في كفالة مريم
حين اقترعوا على ذلك انها كانت بنت عمران وكان رئيسهم وكبيرهم فلاجل ذلك
رغبوا في كفالتها وقيل لان مريم حررت لعبادة الله وخدمة المسجد وكان ابوها قد
مات فلاجل ذلك رغبوا في كفالتها وما كنت لديهم اذ يختصمون يعني في كفالتها
وتربيتها الخ قالت الملايكة يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه معناه وما كنت لديهم يا محمد
اذ يختصمون وما كنت لديهم اذ قالت الملايكة يعني جبريل عليه السلام يا مريم ان الله

يبشرك

يبشرك والبشارة اخبار المرء بما يسره من خير بكلمة منه يعني برسالة من الله وخبر من
عنده فهو كقول القايل القى الي فلان كلمة سرني بها واخبرني خبرا فرحت فيه معنى
الاية اذ قالت الملايكة لمريم يا مريم ان الله يبشرك ببشرى من عنده وهو ولد يولد لك من
غير بعل ولا فحل وذلك الولد اسمه المسيح عيسى بن مريم وقال قتادة في قوله تعالى بكلمة منه هو
قوله تعالى كن فسماه الله كلمة لانه كان عن كلمة التي هي كن كما يقال لما قدر الله من شي هذا
قدر الله وقضا الله يعني ان هذا الامر عن قدره وقضايه حدث وقال ابن عباس الكلمة
هي عيسى عليه السلام وانما سماه كلمة لانه وجد عن الكلمة التي هي كن فان قلت ان كل مخلوق
انما يوجد بواسطة الكلمة التي هي كن فلم خص عيسى عليه السلام بهذا الاسم وسماه كلمة دون
غيره قلت ان كل مخلوق وان وجد حدوثه وخلقه بواسطة الكلمة الا ان هذا السبب
ما هو المتعارف ولما كان حدوث عيسى عليه السلام بمجرد الكلمة من غير واسطة اخرى
فلا جرم كان اضافة حدوثه الى الكلمة اتم واكمل ولهذا التاويل حسن ان يسمى عيسى عليه السلام
بنفس الكلمة لانه حدث عنها فان قلت الضمير في قوله اسمه عايد الى الكلمة وهي مونثة
فلم ذكر الضمير قلت لان المسمى بها مذكر فلهذا ذكر الضمير فان قلت لم قال اسمه المسيح
عيسى بن مريم وهذه ثلاثة الاسم منها واحد وهو عيسى واما المسيح فلقب وابن مريم صفة
قلت الضمير في قوله اسمه يرجع الى عيسى والمسمى علامة يعرف بها ويتميز عن غيره
فكانه قال الذي يعرف به ويتميز به عن من سواه هو مجموع هذه الثلاثة واختلفوا
لم سمي عيسى عليه السلام مسيحا وهل هو اسم مشتق او موضوع فقيل انه موضوع واصله
بالعبرانية مشيحا فغيرته العرب واصل عيسى ايشوع كما قالوا موسى واصله موشى
او ميشا وقال الاكثرون انه اسم مشتق ثم ذكروا فيه وجوها قال ابن عباس سمي عيسى
مسيحا لانه ما مسح ذا عاهة الا برا منها وقيل لانه مسح بالبركة وقيل لانه مسح من
الاقذار وطهر من الذنوب وقيل لانه خرج من بطن امه ممسوحا بالدهن وقيل لان
جبريل عليه السلام مسحه بجناحه حتى لا يكون للشيطان عليه سبيل وقيل لانه كان يمسح
الارض اي يقطعها مساحة فعلى هذا القول تكون الميم زايدة وقيل سمي مسيحا
لانه كان مسيح القدمين لا اخمص له وسمي الدجال مسيحا لانه ممسوح احدى العينين
وقيل المسيح هو الصديق وبه سمي عيسى عليه السلام وقد يكون المسيح بمعنى الكذاب
وبه سمي الدجال فعلى هذا تكون هذه الكلمة من الاضداد وقوله تعالى وجيها اي شريفا
رفيعا ذا جاه وقدر في الدنيا والاخرة اما وجاهته في الدنيا فبسبب النبوة
وانه كان يبرا الاكمه والابرص ويحيي الموتى واما وجاهته في الاخرة فبسبب
علو منزلته عند الله وهو قوله تعالى ومن المقربين يعني عند الله يوم القيامة لان
لاهل الجنة منازل ودرجات ومنازل الانبيا ودرجاتهم على من سواهم وقيل
فيه تنبيه على علو منزلته وانه رفع الى السما ويكلم الناس في المهد يعني ويكلم

الناس صغيرا وهو في المهد وذلك قبل بان الكلام ووقته والكلام الذي تكلم به هو
ما ذكره الله تعالى عنه وهو في سورة مريم وهو قوله اني عبد الله اتاني الكتاب الاية
وتكلم ببراءة امه لما رموها به اهل القرية من القذف ويحكى ان مريم قالت كنت اذا خلوت
انا وعيسى حدثني وحدثته فاذا شغلني عنه انسان سبح وهو في بطني وانا اسمع ولما تكلم
ببراءة امه سكت بعد ذلك فلم يتكلم الا في الوقت الذي يتكلم فيه الصغير قال ابن عباس
تكلم عيسى ساعة ثم سكت ثم لم يتكلم حتى بلغ مبلغ النطق وكهلا يعني ويكلم الناس في حالة
الكهولة والكهل في اللغة هو الذي اجتمع قوته وكمل شبابه والكهل عند العرب الذي
جاوز الثلاثين وقيل هو الذي خطه الشيب وهو السن الذي يستحكم فيه العقل ويستنبأ
الانبيا قال ابن قتيبة لما كان لعيسى ثلاثون سنة ارسله الله تعالى فمكث في رسالته ثلاثين
شهرا ثم رفعه الله تعالى وقال وهب بن منبه جاءه الوحي على راس ثلاثين سنة فمكث في
النبوة ثلاث سنين ثم رفعه الله فمعنى الاية ان يكلم الناس وهو في المهد ببراءة امه وهو
معجزة عظيمة ويكلم الناس في حال الكهولة بالدعوة والرسالة وقيل فيه بشارة لمريم
اخبرها بانه يبقى حتى يكتهل وقيل فيه اخبار بانه يتغير من حال الى حال ولو كان الها
كما زعمت النصارى لم يدخل عليه التغير ففيه رد على النصارى الذين يدعون فيه الالهية
وقال الحسين بن الفضل وكهلا يعني ويكلم الناس كهلا بعد نزوله من السماء وفي هذه نص
على انه ينزل من السماء الى الارض ويقتل الدجال وقال مجاهد الكهل الحليم والعرب تمدح
الكهولة لانها الحالة الوسطى في احتناك السن واستحكام العقل وجودة الراي والتجربة
ومن الصالحين يعني انه من العباد الصالحين مثل ابراهيم واسحاق ويعقوب وموسى
وغيرهم من الانبيا وانما ختم اوصاف عيسى عليه السلام بكونه من الصالحين بعدما وصفه
بالاوصاف العظيمة لان الصلاح من اعظم المراتب واشرف المقامات لانه لا يسمى المرء صالحا
حتى يكون مواظبا على النهج الاصلح والطريق الاكمل في جميع اقواله وافعاله فلما وصفه الله تعالى
بكونه وجيها في الدنيا والاخرة ومن المقربين وانه يكلم الناس في المهد وكهلا اردفه بقوله
ومن الصالحين ليكمل له اعلى الدرجات واشرف المقامات قوله عز وجل قالت يعني مريم رب يعني
يا سيدي تقوله لجبريل لما بشرها بالولد وقيل تقوله لله عز وجل انى يكون لي ولد ولم يمسسني
بشر اي ولم يصبني رجل وانما قالت ذلك تعجبا لا شكا في قدرة الله تعالى اذ لم تكن العادة
جرت ان يولد ولد من غير اب قال كذلك الله يخلق ما يشاء يعني هكذا يخلق الله منك
ولدا من غير ان يمسك بشر فيجعله اية للناس وعبرة فانه يخلق ما يشاء ويصنع ما يريد
وهو قوله اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون يعني كما يريد ويعلمه الكتاب والخط باليد
والحكمة يعني العلم والسنة واحكام الشرائع والتوراة يعني الذي انزلت على موسى والانجيل
يعني الذي انزلت عليه وهو اخبار من الله تعالى لمريم بما هو فاعل بالولد الذي بشرها به من
الكرامة وعلو المنزلة ورسولا الى بني اسرائيل ويجعله رسولا الى بني اسرائيل وكان اول انبيا

بني اسرائيل

بني اسرائيل يوسف بن يعقوب واخرهم عيسى بن مريم عليهم السلام فلما بعث اليهم قال
اني قد جئتكم باية من ربكم اي بعلامة من ربكم على صدق قولي وانما قال باية وقد جاء بايات كثيرة
لان الكل دل على شيء واحد وهو صدقه في الرسالة فلما قال عيسى ذلك لبني اسرائيل قالوا ما هذه
الاية قال اني اخلق اي اصور واقدر لكم من الطين كهيئة الطير والهيئة الصورة والمهيئة من
قولهم هيات الشيء اذا قدرته واصلحته فانفخ فيه اي في الطين المهيئ المصور فيكون طيرا
قرئ بلفظ الجمع لان الطير اسم جنس يقع على الواحد والاثنين والجمع وقرئ فيكون طائرا
على التوحيد على معنى يكون ما انفخ فيه طائرا او ما اخلقه يكون طائرا وقيل انه لم يخلق غير
الخفاش وهو الذي يطير في الليل وانما خص الخفاش لانه من اكمل الطير خلقا وذلك لانه يطير
بلا ريش وله اسنان ويقال ان الانثى منه لها ثدي وتحيض ذكروا ان عيسى عليه السلام لما ادعى
النبوة واظهر لهم المعجزات اخذوا يتعنتون عليه فطلبوا منه ان يخلق لهم خفاشا فاخذ
طينا وصوره كهيئة الخفاش ثم نفخ فيه فاذا هو طير يطير بين السما والارض قال وهب كان
يطير ما دام الناس ينظرون اليه فاذا غاب عنهم سقط ميتا ليتميز فعل المخلوق من فعل
الخالق وهو الله تعالى وليعلم ان الكمال لله تعالى باذن الله معناه بتكوين الله وتخليقه
والمعنى اني اعمل هذا التصوير انا فاما خلق الحياة فيه من الله تعالى على سبيل اظهار المعجزة
على يد عيسى عليه السلام وابرئ الاكمه والابرص اي واشفي الاكمه والابرص واصححهما
واختلفوا في الاكمه فقال ابن عباس هو الذي ولد اعمى وقيل هو الاعمى وان كان
البصر وقيل هو الاعشى وقيل هو الذي يبصر بالنهار ولا يبصر بالليل والابرص هو الذي
وضح وكان الغالب على زمان عيسى الطب فاراهم المعجزة من جنس ذلك الا انه
من جنس ذلك الا انه ليس في علم الطب ابراء الاكمه والابرص فكان ذلك معجزة له
ودليلا على صدقه قال وهب ربما اجتمع على عيسى من المرضى في يوم خمسون الفا
ممن اطاق ان يمشي اليه مشى ومن لم يطق مشى عيسى عليه السلام اليه وكان يداويهم
بالدعا على شرط الايمان برسالته واحيي الموتى باذن الله قال ابن عباس قد
احيى اربعة انفس عازر وابن العجوز وابنة العاشر وسام بن نوح وكلهم بقي
وولد له الا سام بن نوح فاما عازر فكان صديقا لعيسى فارسلت اليه اخت
عازر ان اخاك عازر يموت وكان بينهما مسيرة ثلاثة ايام فاتاه عيسى واصحابه
فوجدوه قد مات منذ ثلاثة ايام فقال لاخته انطلقي بنا الى قبره فانطلقت بهم
فدعا الله عيسى فقام عازر حيا باذن الله فخرج من قبره وعاش وولد له واما
ابن العجوز فانه مر به وهو ميت على عيسى محمول على سريره فنزل عن اعناق
الرجال ولبس ثيابه واتى اهله وعاش وولد له واما ابنة العاشر فكان ياخذ
العشور من الناس ماتت بنت له بالامس فدعا الله عيسى فاحياها بدعوته
فعاشت وولد لها واما ابن نوح عليه السلام جاء الى قبره ودعا الله بالاسم

الاعظم فخرج من قبره وقد شاب نصف راسه خوفا من قيام الساعة ولم يكونوا يشيبون
في ذلك الزمان فقال اقد قامت القيامة فقال عيسى لا ولكن دعوتك باسم الله الاعظم ثم
قال له مت فقال بشرط ان يعيذني الله من سكرات الموت مرة اخرى فدعا الله عيسى ففعل
وانبئكم يعني واخبركم بما تاكلون اي مما لم اعاينه وما تدخرون في بيوتكم اي وما ترفعونه
فتخبؤن في بيوتكم لتاكلوه فيما بعد ذلك قيل كان عيسى عليه السلام يخبر الرجل بما اكل
البارحة وبما ياكل اليوم وبما ادخره للعشا وقيل كان في الكتاب يحدث الغلمان بما يصنع
اباؤهم ويقول للغلام انطلق فقد اكل اهلك كذا وكذا وقد رفعوا لك كذا فينطلق
الصبي الى اهله فيبكي على اهله حتى يعطوه ذلك الشيء فيقولون من اخبرك بهذا فيقول عيسى
فحبسوا صبيانهم عنه وقالوا لا تلعبوا مع هذا الساحر وجمعوهم في بيت فجاء عيسى يطلبهم
فقالوا ليسوا هنا فقال وما في البيت قالوا خنازير قال كذلك يكون ففتحوا عليهم الباب
فاذا هم خنازير ففشى ذلك في بني اسرائيل وظهر فهموا به فخافت عليه امه فحملته على حمير
لها وخرجت هاربة الى مصر وقال قتادة انما كان هذا في نزول المائدة وكان خوانا
ينزل عليهم اينما كانوا فيه من طعام الجنة وامروا ان لا يخونوا ولا يدخروا لغد فخانوا وادخروا
منها فمسخهم الله خنازير وفي هذا دليل قاطع على صحة نبوة عيسى عليه السلام ومعجزة عظيمة
له وهو اخباره عن المغيبات مع ما تقدم له من الايات الباهرات من ابراء الاكمه والابرص واحيا
الموتى باذن الله تعالى واخباره عن الغيوب باعلام الله اياه وذلك مما لا سبيل
لاحد من البشر عليه الا الانبياء عليهم السلام فان قلت قد يخبر المنجم والكاهن عن مثل
ذلك فما الفرق قلت ان المنجم والكاهن لا بد لكل واحد منهما من مقدمات يرجع اليها
ويعتمد في اخباره عليها اما المنجم فانه يستعين على ذلك بواسطة معرفة الكواكب واما
الكاهن فانه يستعين براي الجن وقد يخطئ ايضا في كثير مما يخبر به واما اخبار الانبيا
عليهم السلام عن المغيبات فليس الا بالوحي السماوي وهو من الله تعالى وليس باستعانة
بواسطة حساب ولا غيره فحصل الفرق ان في ذلك يعني الذي تقدم ذكره من خلق الطير
من الطين باذن الله وابراء الاكمه والابرص والاخبار عن المغيبات لاية لكم اي لعبرة
ودلالة على صدقي اني رسول من الله اليكم ان كنتم مؤمنين يعني مصدقين بذلك ومصدقا
قيل انه عطف على قوله ورسولا وقيل هو عطف على اني قد جئتكم باية من ربكم والمعنى
وجئتكم مصدقا لما بين يدي من التوراة وذلك لان الانبيا عليهم السلام يصدق بعضهم
بعضا وكل واحد منهم يصدق الذي قبله ويصدق بما انزل الله من الكتب والشرايع و
الاحكام فلهذا قال عيسى عليه السلام ومصدقا لما بين يدي من التوراة ولاحل لكم بعض
الذي حرم عليكم قال وهب بن منبه ان عيسى كان على شريعة موسى عليهما السلام
وكان يسبت ويستقبل بيت المقدس وقال لبني اسرائيل اني لم ادعكم الى خلاف حرف
مما في التوراة الا لاحل لكم بعض الذي حرم عليكم واضع عنكم الاصار وذلك لان الله تعالى

كان قد

كان قد حرم على اليهود بعض الاشيا عقوبة لهم على بعض ما صدر منهم من الجنايات كما
قال تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم فبقي ذلك التحريم مستمرا على
اليهود الى ان جاء عيسى عليه السلام فرفع عنهم تلك التشديدات التي كانت عليهم قال
قتادة كان الذي جاء به عيسى الين مما جاء به موسى وكان قد حرم عليهم فيما جاء به موسى
لحوم الابل والثروب والشحوم واشيا من الطير والحيتان زاد غيره فجاءهم عيسى
بالتخفيف واحلها لهم وقال اخرون ان عيسى عليه السلام رفع كثيرا من احكام التوراة
ورفع السبت ووضع الاحد وكان ذلك كله بامر الله تعالى فكان ذلك ناسخا
لتلك الاحكام والشرايع والناسخ والمنسوخ حق وصدق وجئتكم باية من ربكم اي بحجة
واضحة شاهدة على صحة رسالتي ثم خوفهم بقوله فاتقوا الله يعني يا معشر بني اسرايل
فيما امركم به ونهاكم عنه واطيعون يعني فيما ادعوكم اليه لان طاعة الرسول من توابع
تقوى الله ومما ادعوكم اليه هو قولي ان الله ربي وربكم فاعبدوه لان جميع الرسل
كانوا على دين واحد وهو التوحيد ولم يختلفوا الله تعالى وفي هذه الاية حجة بالغة على
نصارى وفد نجران ومن قال بقولهم من ساير النصارى باخبار الله عن عيسى عليه
السلام انه كان بريا مما نسبه اليه النصارى وانه كان عبد الله وخص بنبوته ورسالته
ثم ختم ذلك بقوله هذا صراط مستقيم يعني التوحيد قوله عز وجل فلما احس عيسى منهم
الكفر اي وجد وعرف وقيل راى والاحساس عبارة عن وجدان الشيء بالحاسة
والمعنى انهم تكلموا بكلمة الكفر فاحس ذلك عيسى منهم وعرف اصرارهم عليه وعزمهم على
قتله ذكر سبب القصة قال اهل الاخبار والسير لما بعث الله عيسى عليه السلام الى بني
اسرايل وامره باظهار رسالته والدعا اليه نفوه واخرجوه من بينهم فخرج هو وامه
يسيحان في الارض فنزل في قرية على رجل فاضافهم واحسن اليهم وكان لتلك القرية
ملك جبار متعد فجا ذلك الرجل في بعض الايام وهو مهموم حزين فدخل منزله ومريم
عند امراته فقالت مريم ما شان زوجك اراه كئيبا حزينا قالت لا تساليني قالت
مريم اخبريني لعل الله يفرج كربته قالت المراة ان لنا ملكا جبارا وقد جعل على كل رجل
منا يوما يطعمه فيه هو وجنوده ويسقيهم الخمر وان لم يفعل عاقبه واليوم نوبتنا وليس
عندنا سعة لذلك فقالت قولي له لا يهتم لذلك فانا امر ابني ان يدعو له فيكفى ذلك
ثم قالت مريم لعيسى في ذلك فقال عيسى ان فعلت ذلك وقع شر قالت مريم لا تبالي
فانه قد احسن الينا واكرمنا فقال عيسى قولي له اذا قرب ذلك الوقت فاملأ قدورك
وخوابيك ماء ثم اعلمني ففعل الرجل ذلك ثم دعا الله عيسى عليه السلام فتحول ما القدور مرقا
ولحما وما الخوابي خمرا لم ير الناس مثله فلما جا الملك واكل من ذلك الطعام وشرب
من ذلك الخمر قال من اين لك هذا الخمر فقال الرجل هو من ارض كذا فقال الملك
ان خمري من تلك الارض وليست مثل هذه فقال هي من ارض اخرى فلما راه

للملك وقد اختلط سواد عليه فقال الرجل انا اخبرك ان عفيتنى على ما لا اسال الله شيا الا اعطانى
اياه وانه دعى الله تعالى فجعل للاحمر وكان للملك ابن يريد ان يستخلفه فى ملكه وقد مات
قبل ذلك بايام وكان يحبه حبا شديدا فقال الملك ان رجلا دعى الله حتى صار الاحمرا
بدعوته ليستجيبن له حتى يحيى ابنى فطلب عيسى وكلمه فى ذلك فقال له عيسى لا تفعل
فانه ان عاش وقع شر فقال الملك لا ابالى اليس اراه فقال عيسى اذا انا احييته تتركنى
وامى نذهب حيث نشا قال نعم فدعا الله عيسى فعاش الغلام فلما راه اهل مملكته الملك
قد عاش تبادروا الى السلاح وقالوا قد اكلنا هذا الملك حتى اذا دنا اجله يريد ان يستخلف
علينا ابنه فيا كلنا كما اكلنا ابوه فقاتلوه وظهر امر عيسى وقصدوا قتله وكفروا به وقيل
ان اليهود كانوا عارفين بانه المسيح المبشر به فى التوراة وانه ينسخ دينهم فلما اظهر عيسى
الدعوة اشتد ذلك عليهم واخذوا فى اذاه وطلبوا قتله وكفروا به فاستنصر عليهم كما
اخبر الله عز وجل عنه بقوله قال يعنى عيسى عليه السلام من انصارى الى الله اى مع الله
وقيل معناه الى ان ابين امر الله واظهر دينه وقيل الى بمعنى فى اى فى ذات الله وسبيله
وقيل الى فى موضعها والمعنى من يضم نصرته الى نصرة الله لى قال الحواريون نحن انصار
الله وذلك ان عيسى عليه السلام لما دعا بنى اسرايل الى الله تعالى تمردوا عليه وكفروا به
خرج يسيح فى الارض فمر بجماعة يصطادون السمك وكانوا اثنى عشر ورئيسهم شمعون
ويعقوب فقال عيسى عليه السلام ما تصنعون قالوا نصيد السمك قال افلا تمشون
حتى نصيد الناس قالوا ومن انت قال انا عيسى بن مريم عبد الله ورسوله فسالوه
اية تدل على صدقه وكان شمعون قد رمى شبكته فى الماء فدعا الله عيسى فاجتمع فى تلك
الشبكة من السمك ما كادت تتمزق من كثرته فاستعانوا باهل سفينة اخرى وملؤا السفينتين
من السمك فعند ذلك امنوا به وانطلقوا معه واختلفوا فى الحواريين فقيل كانوا
يصطادون السمك فلما امنوا بعيسى صاروا يصطادون الناس ويهدونهم الى
الدين سموا الحواريين لبياض ثيابهم فقيل احورت الشى بمعنى بيضته وقيل كانوا
قصارين سموا بذلك لانهم كانوا يحورون الثياب اى يبيضونها وقيل ان مريم سلمت
عيسى الى اعمال شتى وكان اخر من سلمته الى الحواريين وكانوا قصارين وصباغين
فدفعته الى رئيسهم ليتعلم منه فاجتمع عنده ثياب وعرض له سفر فقال لعيسى انك
قد تعلمت هذه الصنعة وانا خارج الى السفر ولا ارجع الى عشرة ايام وهذه ثياب
مختلفة الالوان وقد اعلمت كل واحد منها بخيط على اللون الذى يصبغ به فاريد
ان تفرغ منها وقت قدومى وخرج المعلم الى سفره فطبخ عيسى جبا واحدا على لون
واحد وادخل فيها جميع الثياب وقال كونى باذن الله على ما اريد منك ثم قدم الحوارى
والثياب كلها فى الجب فقال لعيسى ما فعلت فقال قد فرغت منها قال واين هى
قال فى الجب قال كلها قال نعم قال لقد افسدت على الثياب قال عيسى لا ولكن قم فانظر

وقام

وقام عيسى واخرج ثوبا احمر وثوبا اخضر وثوبا اصفر وثوبا اسود حتى اخرجها كلها
على الالوان التى يريد الحوارى فجعل الحوارى يتعجب من ذلك وعلم ان ذلك
من الله تعالى فقال للناس تعالوا فانظروا فامن به هو واصحابه وهم الحواريون
وقيل سموا حواريين لصفا قلوبهم ولما ظهر عليهم من اثر العبادة ونورها وقيل
الحواريون الاصفيا وكانوا اصفيا لعيسى وخاصته وقيل الحواريون هم الخلفا
وقيل هم الوزرا وكانوا خلفا عيسى ووزراه وقيل الحواريون هم الانصار والحوارى
الناصر والحوارى الرجل الذى يستعان به (ق) عن جابر بن عبد الله قال ندب النبى
صلى الله عليه وسلم الناس يوم الخندق فانتدب الزبير ثم ندبهم فانتدب الزبير
فقال النبى صلى الله عليه وسلم ان لكل نبى حوارى وحوارى الزبير قال الحواريون نحن
انصار الله يعنى انصار دين الله ورسوله واعوانه امنا بالله اى صدقنا بان الله
ربنا ورب كل شى واشهد يعنى انت يا عيسى بانا مسلمون قيل معناه واشهد
بانا منقادون لما تريد من نصرك والذب عنك ومستسلمون لامر الله عز وجل
وقيل هو اقرار منهم بان دينهم الاسلام وانه دين عيسى وكذا الانبيا قبله لا اليهودية
والنصرانية ربنا امنا بما انزلت يعنى قال الحواريون بعد اشهاد عيسى عليهم بانهم
مسلمون ربنا امنا بما انزلت يعنى بكتابك الذى انزلته على عيسى عليه السلام واتبعنا
الرسول يعنى عيسى فاكتبنا مع الشاهدين يعنى الذين شهدوا لانبيايك بالصدق
واتبعوا امرك ونهيك فاثبت اسمانا مع اسمايهم واجعلنا فى عدادهم ومعهم
فيما تكرمهم به وهذا يقتضى بان يكون للشاهدين الذين سالوا الحواريون ان يكونوا
معهم مزيد فضل عليهم فلهذا قال ابن عباس فى قوله تعالى فاكتبنا مع الشاهدين اى
مع محمد صلى الله عليه وسلم وامته لانهم المخصوصون بتلك الفضيلة فانهم يشهدون
للرسل بالبلاغ وقيل مع الشاهدين يعنى النبيين لان كل نبى شاهد على امته قوله عز
وجل ومكروا يعنى كفار بنى اسرايل الذين احس عيسى منهم الكفر واصل المكر صرف
الغير عما يطلبه بضرب من الحيلة وقيل هو السعى بالفساد فى الحقيقة فاما مكرهم بعيسى
فانهم دبروا فى قتله وهموا به وذلك ان عيسى عليه السلام بعد ان اخرجه قومه هو
وامه رجع مع الحواريين وصاح فيهم بالدعوة واظهر رسالته اليهم فهموا بقتله
والفتك به فذلك مكرهم والمكر من الخلق الخبث والخديعة والحيلة ومكر الله اى
جزاوهم على مكرهم فسمى الجزا باسم الابتدا لانه فى مقابلته وقيل مكر الله استدراج
العبد واخذه بغتة من حيث لا يحتسب ومكر الله فى هذه الاية خاصة هو القا
الشبه على صاحبهم الذى دلهم على عيسى حين ارادوا قتله حتى قتل قال ابن عباس
ان عيسى عليه السلام استقبل رهطا من اليهود فلما راوه قالوا قد جا الساحر والفاعل
ابن الفاعلة فقذفوه وامه فلما سمع عيسى ذلك دعا عليهم ولعنهم فمسخهم الله

خنازير فلما راى ذلك يهودا راس اليهود وملكهم فزع لذلك وخاف دعوته فاجتمعت
كلمة اليهود على قتل عيسى وثاروا اليه ليقتلوه فبعث الله عز وجل جبريل عليه السلام فادخله
خوخة في سقفها روزنة فرفعه من تلك الروزنة وامر يهودا ملك اليهود رجلا من
اصحابه يقال له ططيانوس ان يدخل الخوخة فيقتله فيها فلما دخل لم ير عيسى وابطا عليهم
فظنوا انه يقاتله فيها والقى الله عليه شبه عيسى فلما خرج ظنوا انه عيسى فاخذوه وقتلوه
وصلبوه قال وهب بن منبه ان اليهود طرقوا عيسى في بعض الليل ونصبوا له خشبة
ليصلبوه عليها فاظلمت الارض وارسل الله عز وجل الملايكة فحالت بينهم وبينه فجمع
عيسى الحواريين تلك الليلة واوصاهم وقال ليكفرن بي احدكم قبل ان يصيح الديك
ويبيعني بدراهم يسيرة فخرجوا وتفرقوا وكانت اليهود تطلبه فاتى احد الحواريين
الى اليهود وقال ما تجعلون لي ان دللتكم على المسيح فجعلوا له ثلاثين درهما واخذها
ودلهم عليه فلما دخل البيت الذي فيه المسيح القى الله شبه عيسى عليه ورفع الله عيسى
واخذ الذي دل عليه فقال انا الذي دللتكم عليه فلم يلتفتوا الى قوله فقتلوه وصلبوه
وهم يظنون انه عيسى فلما صلب الذي القي عليه شبه عيسى جاءت مريم وامراة اخرى
كان عيسى عليه السلام دعى لها فابراها من الجنون بدعوته فجعلتا تبكيان عند
الصليب فجاءهما عيسى عليه السلام وقال على من تبكيان ان الله عز وجل قد رفعني ولم
يصبني الا خير وهذا شي شبه لهم فلما كان بعد سبعة ايام قال الله تعالى اهبط الى مريم
المجدلانية وهو اسم موضوع فهو نسبتها اليه فانه لم يبك عليك احد بكاها ولم يحزن
عليك احد حزنها ثم لتجمع لك الحواريين فتبثهم في الارض دعاة الى الله عز وجل
فاهبطه الله عز وجل عليها فاشتعل الجبل نورا حين هبط فجمعت له الحواريين فبثهم دعاة
في الارض ثم رفعه الله فتلك الليلة التي تدخن فيه النصارى فلما اصبح الحواريين تكلم
كل واحد منهم بلغة من ارسله عيسى اليهم فذلك قوله تعالى ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين
يعني وهو افضل المجازين بالسيئة والعقوبة وقال السدي ان اليهود حبست عيسى في بيت
ومعه عشرة من الحواريين فدخل عليهم رجل منهم وكان قد نافق فالقي شبه عيسى فاخذ
وقتل وصلب وقال قتادة ذكر لنا ان نبي الله عيسى قال لاصحابه ايكم يقذف عليه شبهي
فانه مقتول فقال رجل منهم انا يا نبي الله فقتل ذلك الرجل ومنع الله عيسى ورفعه اليه وكساه
الريش والبسه النور وقطع عنه لذة المطعم والمشرب وصار مع الملايكة فهو معهم
حول العرش وصار انسيا ملكيا ارضيا سماويا قال اهل التاريخ حملت مريم بعيسى ولها
ثلاث عشر سنة وولدته ببيت لحم من ارض اوري شلم لمضي خمس وستين سنة
من غلبة الاسكندر على ارض بابل واوحى الله الى عيسى على راس ثلاثين سنة ورفعه
الله من بيت المقدس ليلة القدر من رمضان وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة فكانت
نبوته ثلاث سنين وعاشت امه مريم بعد رفعه ست سنين قوله عز وجل اذ قال

الله يا

الله يا عيسى اني متوفيك ورافعك الي اختلف في معنى التوفي ههنا على طريقين
فالطريق الاول ان الاية على ظاهرها من غير تقديم ولا تاخير وذكروا في معناها وجوها
الاول معناه اني قابضك ورافعك الي من غير موت من قولهم توفيت الشي واستوفيته
اذا اخذته وقبضته تاما والمقصود منه ان لا يصل اعداه من اليهود اليه بقتل ولا
غيره الوجه الثاني ان المراد بالتوفي النوم ومنه قوله عز وجل الله يتوفى الانفس حين
موتها والتي لم تمت في منامها فجعل النوم وفاة وكان عيسى قد نام فرفعه الله
وهو نايم لئلا يلحقه خوف فمعنى الاية اني منيمك ورافعك الي الوجه الثالث
ان المراد بالتوفي حقيقة الموت قال ابن عباس معناه اني مميتك قال وهب بن
منبه ان الله توفى عيسى ثلاث ساعات من النهار ثم رفعه اليه وقيل ان النصارى
يزعمون ان الله توفاه سبع ساعات من النهار ثم احياه ورفعه اليه الوجه الرابع ان
الواو في قوله ورافعك الي لا تفيد الترتيب والاية تدل على ان الله تعالى يفعل به
ما ذكر فاما كيف يفعل ومتى يفعل فالامر فيه موقوف على الدليل وقد ثبت في الحديث
ان عيسى سينزل ويقتل الدجال وسنذكره ان شا الله تعالى الوجه الخامس قال ابو بكر
الواسطي معناه اني متوفيك عن شهواتك وعن حظوظ نفسك ورافعك الي وذلك
ان عيسى عليه السلام لما رفع الى السما صارت حالته حالة الملايكة في زوال الشهوة
الوجه السادس ان معنى التوفي اخذ الشي وافيا ولما علم الله تعالى ان من الناس من
يخطر بباله ان الذي رفعه الله اليه هو روحه دون جسده كما زعمت النصارى ان
المسيح رفع لاهوته يعني روحه وبقي في الارض ناسوته يعني جسده فرد الله تعالى عليهم
بقوله اني متوفيك ورافعك الي فاخبر الله تعالى انه رفعه بتمامه الى السما بروحه وجسده
جميعا الطريق الثاني ان في الاية تقديما وتاخيرا تقديره اني رافعك الي ومطهرك من
الذين كفروا ومتوفيك بعد انزالك الى الارض وقيل لبعضهم هل تجد نزول عيسى
في القران قال نعم قوله تعالى وكهلا وذلك انه لم يكتهل في الدنيا وانما معناه وكهلا
بعد نزوله من السما ق عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده
ليوشكن ان ينزل فيكم ابن مريم حكما مقسطا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع
الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله احد زاد في رواية حتى تكون السجدة الواحدة خيرا
من الدنيا وما فيها ثم يقول ابو هريرة اقرءوا ان شئتم وان من اهل الكتاب الا ليومنن
به قبل موته وفي رواية كيف انتم اذا نزل ابن مريم فيكم وامامكم منكم وفي رواية
فامكم قلت تخبرني قال فامكم بكتاب ربكم عز وجل وسنة نبيكم صلى الله عليه وسلم
وفي افراد مسلم من حديث النواس بن سمعان قال فبينما هم كذلك اذ بعث الله
المسيح بن مريم عليه السلام فينزل عند المنارة البيضا شرقي دمشق عن ابي هريرة ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس بيني وبينه يعني عيسى نبي وانه نازل فاذا رايتموه

ما عرفوه فانه رجل مربوع الى الحمرة والبياض ينزل بين ممصرتين كان راسه يقطر وان لم
يصبه بلل فيقاتل الناس على الاسلام فيدق الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية
ويهلك الله في زمانه الملل كلها الا الاسلام ويهلك المسيح الدجال ثم يمكث في الارض
اربعين سنة ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون اخرجه ابو داود ونقل بعضهم ان عيسى عليه
السلام يدفن في حجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقوم ابو بكر وعمر يوم القيامة بين
نبيين محمد وعيسى صلى الله عليهما وسلم وقوله تعالى ومطهرك من الذين كفروا اي مخرجك
من بينهم ومنجيك منهم وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة يعني
وجاعل الذين اتبعوك في التوحيد وصدقوا قولك وهم اهل الاسلام من امة محمد
صلى الله عليه وسلم فوق الذين كفروا بالعز والنصر والغلبة بالحجة الظاهرة وقيل هم
الحواريون الذين اتبعوا عيسى في دينه وقيل هم النصارى فوق اليهود وذلك
لان ملك اليهود قد ذهب فلم يبق لهم ملك وملك النصارى باق فعلى هذا القول
يكون الاتباع بمعنى المحبة والادعاء لا اتباع الدين لان النصارى وان اظهروا متابعة
عيسى عليه السلام فهم اشد مخالفة له وذلك ان عيسى عليه السلام لم يرض بما هم عليه من الشرك
والقول الاول اصح لان الذين اتبعوه شهدوا انه عبد الله ورسوله وكلمته وهم المسلمون
وملكهم باق الى يوم القيامة ثم الي مرجعكم يعني يقول الله عز وجل الي مرجع الفريقين
في الاخرة الذين اتبعوا عيسى وصدقوا به والذين كفروا به فاحكم بينكم فيما كنتم فيه
تختلفون يعني من الحق في امر عيسى ثم بين الحكم فقال فاما الذين كفروا يعني الذين جحدوا
نبوة عيسى وخالفوا ملته وقالوا فيه ما قالوا من الباطل ووصفوه بما لا ينبغي من سائر اليهود
والنصارى فاعذبهم عذابا شديدا في الدنيا يعني بالقتل والسبي والذلة واخذ الجزية منهم
والاخرة اي واعذبهم في الاخرة بالنار وما لهم من ناصرين يعني مانعين يمنعونهم
من عذابنا واما الذين امنوا يعني بعيسى عليه السلام وصدقوا بنبوته وانه عبد الله ورسوله
وكلمته وعملوا الصالحات يعني عملوا بما فرضت عليهم وشرعت لهم فنوفيهم اجورهم
يعني جزاء اعمالهم لا ينقص منه شيء والله لا يحب الظالمين اي لا يحب من ظلم غيره حقا
له او وضع شيئا في غير موضعه والمعنى انه تعالى لا يرحمهم ولا يثني عليهم بجميل ثم قال تعالى
ذلك يعني الذي ذكرته لك من اخبار عيسى وامه مريم والحواريين وغير ذلك من القصص
نتلوه عليك اي نخبرك به يا محمد على لسان جبريل وانما اضاف ما يتلوه جبريل الى نفسه
سبحانه وتعالى لانه من عنده وبامره من غير تفاوت اصلا فاضافه اليه من الايات يعني
من القران وقيل الايات بمعنى العلامات الدالة على نبوتك يا محمد لانها اخبار لا يعلمها الا من
يقرا ويكتب او نبي يوحى اليه وانت امي لا تقرا ولا تكتب فثبت ان ذلك من الوحي
السماوي الذي انزل عليك والذكر الحكيم اي المحكم الممنوع من الباطل وقيل المراد من الذكر
الحكيم القران لانه حاكم يستفاد منه جميع الاحكام وقيل الذكر الحكيم اللوح المحفوظ

الذي منه

الذي منه تنزلت جميع كتب الله على رسله وهو لوح من درة بيضاء معلق بالعرش
قوله عز وجل ان مثل عيسى عند الله كمثل ادم خلقه من تراب الاية اجمع اهل التفسير
ان هذه الاية نزلت في محاجة نصارى وفد نجران قال ابن عباس ان رهطا من
اهل نجران قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم وكان فيهم السيد والعاقب فقالوا
للنبي صلى الله عليه وسلم ما شانك تذكر صاحبنا فقال من هو قالوا عيسى تزعم
انه عبد الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم اجل انه عبد الله فقالوا له فهل رايت
له مثلا او انبئت به ثم خرجوا من عنده فجاءه جبريل عليه السلام فقال له قل لهم اذا اتوك
ان مثل عيسى عند الله كمثل ادم خلقه من تراب وقيل ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
لهم انه عبد الله ورسوله وكلمته القاها الى مريم العذراء البتول فغضبوا وقالوا يا محمد
هل رايت انسانا قط من غير اب فانزل الله ان مثل عيسى عند الله اي في الخلق والانشاء
في كونه خلقه من تراب من غير اب وام ومعنى الاية ان صفة خلق عيسى من غير اب
كصفة خلق ادم في كونه خلقه من تراب لا من اب وام فمن اقر بان الله خلق ادم
من التراب اليابس وهو ابلغ في القدرة فلم لا يقر بان الله خلق عيسى بن مريم
من غير اب بل الشان في خلق ادم اعجب واغرب وتم الكلام عند قوله كمثل ادم
لانه تشبيه كامل ثم قال تعالى خلقه من تراب فهو خبر مستانف على جهة التفسير
لحال خلق ادم في كونه خلقه من تراب اي قدره جسدا من طين ثم قال له كن اي
انشاه خلقا بالكلمة وكذلك عيسى انشاه خلقا بالكلمة فعلى هذا القول ذكروا
في الاية اشكالا وهو انه تعالى قال خلقه من تراب ثم قال له كن فهذا يقتضي ان يكون
خلق ادم متقدما على قوله كن ولا تكوين بعد الخلق واجيب عن هذا الاشكال
بان الله تعالى اخبر انه خلقه من تراب لا من ذكر وانثى ثم ابتدا خبرا اخر فقال اني اخبركم
ايضا اني قلت له كن فيكون فكان من غير ترتيب في الخلق كما يكون في الولادة
ويحتمل ان يكون المراد انه تعالى خلقه جسدا من تراب ثم قال له كن بشرا فكان
فيصح النظم وقيل ان الضمير في قوله كن يرجع الى عيسى عليه السلام فعلى هذا فلا اشكال
في الاية فان قلت كيف شبه عيسى بادم وقد وجد عيسى من غير اب ووجد
ادم من غير اب ولا ام قلت هو مثله في احد الطرفين فلا يمنع اختصاصه دونه
بالطرف الاخر من تشبيهه به لان المماثلة مشاركة في بعض الاوصاف ولانه
شبه به في انه وجد وجودا خارجا عن العادة المستمرة وهما في ذلك نظيران لان
الوجود من غير اب وام اغرب في العادة من الوجود من غير اب فشبه الغريب
بالاغرب ليكون اقطع للخصم واحسم لمادة شبهته اذا نظر فيما هو اغرب مما استغربه
وحكي ان بعض العلماء اسر في بعض بلاد الروم فقال لهم لم تعبدون عيسى قالوا لانه
لا اب له قال فادم اولى لانه لا ابوين له قالوا وكان يحيي الموتى قال فحزقيل

اولى لان عيسى احيا اربعة نفر واحيا ح وقيل اربعة الاف فالوا وكان يبرا الاكمه
والابرص قال محبيس اولى لانه طبخ واحرق ثم قام سليما وقوله كن فيكون ث
قال ابن عباس معناه كن فكان فاريد بالمستقبل الماضى وقيل معناه ثم قال له
كن واعلم يا محمد ان ما قال له ربك كن فانه يكون لا محالة الحق من ربك
الذى اخبرتك به من تمثيل عيسى بادم هو الحق من ربك فلا تكن من الممترين
اى من الشاكين ان ذلك كذلك وهذا خطاب مع النبى صلى الله عليه وسلم لم يشك
قط فهو كقوله تعالى يا ايها النبى اذا طلقتم النسا والمعنى فلا تكن من الممترين يا ايها
السامع كاينا من كان لهذا التمثيل والبرهان الذى ذكر فهو من باب التهييج
بزيادة الثبات والطمانينة قوله تعالى فمن حاجك فيه اى ممن جادلك فى عيسى
وقيل فى الحق فقل تعالوا اى هلموا والمراد منه المجى واصله من العلو بالراى والعزم
كما تقول تعالى نتفكر بهذه المسئلة ندع ابناءنا وابناءكم اى كل منى ومنكم ابناءه و
نساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم قيل اراد بالابنا الحسن والحسين وبالنسا فاطمة
وبالنفس نفسه صلى الله عليه وسلم وعليا رضى الله عنه وقيل هو على العموم لجماعة
اهل الدين ثم نبتهل قال ابن عباس نتضرع فى الدعا وقيل معناه نجتهد ونبالغ
فى الدعا وقيل معناه نلتعن والابتهال الالتعان يقال عليه بهلة الله اى لعنة
الله فنجعل لعنة الله على الكاذبين يعنى منا ومنكم فى امر عيسى قال المفسرون لما قرا
رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الاية على وفد نجران ودعاهم الى المباهلة
قالوا حتى نرجع وننظر فى امرنا ثم ناتيك غدا فلما خلى بعضهم ببعض قالوا للعاقب
وكان كبيرهم وصاحب رايهم ما ترى يا عبد المسيح قال لقد عرفتم يا معشر النصارى
ان محمدا نبى مرسل ولين فعلتم ذلك لتهلكن فان ابيتم الا الاقامة على ما انتم
عليه من القول فى صاحبكم فوادعوا الرجل وانصرفوا الى بلادكم فاتوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقد احتضن الحسين واخذ بيد الحسن وفاطمة تمشى خلفه وعلى
يمشى خلفها والنبى صلى الله عليه وسلم يقول اذا دعوت فامنوا فلما راهم اسقف
نجران قال يا معشر النصارى انى لارى وجوها لو سالوا الله ان يزيل جبلا من مكانه
لازاله فلا تبتهلوا فتهلكوا ولا يبقى على وجه الارض نصرانى الى يوم القيامة فقالوا
يا ابا القاسم قد راينا ان لا نباهلك وان نتركك على دينك وتتركنا على ديننا فقال
لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فان ابيتم المباهلة فاسلموا يكن لكم ما للمسلمين
وعليكم ما عليهم فابوا ذلك فقال فانى انابذكم قالوا ما لنا بحرب العرب طاقة
ولكنا نصالحك على ان لا تغزونا ولا تخيفنا ولا تردنا عن ديننا وان نؤدى اليك
فى كل سنة الفى حلة الف فى صفر والف فى رجب زاد فى رواية وثلاثا وثلاثين
درعا عادية وثلاثا وثلاثين بعيرا واربعا وثلاثين فرسا غازية فصالحهم

رسول الله صلعم

رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك وقال والذى نفسى بيده ان العذاب تدلى على اهل
نجران ولو تلاعنوا لمسخوا قردة وخنازير ولاضطرم عليهم الوادى نارا ولاستاصل الله
نجران واهله حتى الطير على الشجر ولما حال الحول على النصارى كلهم حتى هلكوا فان قلت
ما كان دعاؤه الى المباهلة الا لتبيين الصادق من الكاذب منه ومن خصمه وذلك
يختص به ومن يباهله فما معنى ضم الابنا والنسا فى المباهلة قلت ذلك اكد فى الدلالة على
ثقته بحاله واستيقانه بصدقه حيث استجرا على تعريض اعزته وافلاذ كبده واحب
الناس اليه فلذلك ضمهم فى المباهلة ولم يقتصر على تعريض نفسه لذلك وعلى ثقته بكذب
خصمه حتى يهلك خصمه مع احبته واعزته هلاك استيصال ان تمت المباهلة وانما خص
الابنا والنسا لانهم اعز الاهل والصقهم بالقلب وربما فداهم الرجل بنفسه وحارب دونهم
حتى يقتل وانما قدمهم فى الذكر على النفس لينبه بذلك على لطف مكانهم وقرب منزلتهم
وفيه دليل قاطع وبرهان واضح على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لانه لم يرو احد من موافق
ومخالف انهم اجابوا الى المباهلة لانهم عرفوا صحة نبوته وما يدل عليها فى كتبهم وقوله
تعالى ان هذا يعنى الذى قص عليك يا محمد من خبر عيسى عليه السلام وانه عبد الله ورسوله لهو
القصص الحق واصله من القص وهو تتبع الاثر والقصص الخبر الذى يتتابع فيه المعانى
وما من اله الا الله انما دخلت لتوكيد النفى والمعنى ان عيسى ليس باله كما زعمت النصارى
ففيه رد عليهم وعلى جميع من ادعى من المشركين انهم الهة واثبات الالهية لله تعالى وحده
لا شريك له فى الالهية وان الله لهو العزيز اى الغالب المنتقم ممن عصاه وخالف امره
وادعى معه الها اخر الحكيم يعنى فى تدبيره فيه رد على النصارى لان عيسى لم يكن كذلك
فان تولوا فان الله عليم بالمفسدين اى الذين يعبدون غير الله ويدعون الناس الى
عبادة غيره وفيه وعيد وتهديد لهم قوله عز وجل قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء
بيننا وبينكم قال المفسرون لما قدم وفد نجران المدينة اجتمعوا اليهود واختصموا فى ابرهيم
عليه السلام فزعمت النصارى انه كان نصرانيا وهم على دينه واولى الناس به وقال اليهود
بل كان يهوديا وهم على دينه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلا الفريقين برى من
ابراهيم ودينه بل كان حنيفا مسلما وانا على دينه فاتبعوا دينه الاسلام فقالت اليهود
ما تريد الا ان نتخذك ربا كما اتخذت النصارى ربا وقالت النصارى يا محمد ما تريد الا ان
نقول فيك ما قالت اليهود فى عزير فانزل الله عز وجل قل يا اهل الكتاب تعالوا اى
هلموا الى كلمة يعنى فيها انصاف ولا ميل فيها لاحد على صاحبه والعرب تسمى كل قصة
او قصيدة كلمة اولها واخرها وشرح كلمة سوا اى عدل لا تختلف فيها التوراة والانجيل
والقران وتفسير الكلمة قوله ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا
بعضا اربابا من دون الله وذلك ان النصارى عبدوا غير الله وهو المسيح واشركوا
به وهو قولهم اب وابن وروح القدس فجعلوا الواحدة ثلاثة واتخذوا احبارهم

ورهبانهم اربابا من دون الله وذلك انهم يطيعونهم فيما يامرونهم به من الشرك ويسجدون
لهم فهذا معنى اتخاذ بعضهم بعضا اربابا من دون الله فثبت ان النصارى قد جمعوا
بين هذه الثلاثة اشيا ومعنى الاية قل يا محمد لليهود والنصارى هلموا الى امر عدل النصف
وهو ان لا نقول عزير ابن الله ولا نقول المسيح ابن الله لان كل واحد منهما بشر مخلوق
مثلنا ولا نطيع احبارنا ورهباننا فيما احدثوا من التحريم والتحليل من غير رجوع الى ما
شرع ولا يسجد بعضنا لبعض لان السجود لغير الله حرام فلا يسجد لغير الله وقيل معناه
ولا نطيع احدا في معصية الله فان تولوا يعني فان اعرضوا عن ما امرتهم به فقولوا
انتم لهم اشهدوا بانا مسلمون اي مخلصون بالتوحيد لله والعبادة له (ق) عن ابن عباس
ان ابا سفيان اخبره ان هرقل ارسل اليه في ركب من قريش وكانوا تجارا بالشام
في المدة التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ماد فيها ابا سفيان وكفار قريش
فاتوه وهم بايليا فدعاهم في مجلسه وحوله عظما الروم ثم دعا بكتاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم الذي بعث به مع دحية الى عظيم بصرى فدفعه الى هرقل فقراه فاذا
فيه بسم الله الرحمن الرحيم من محمد عبد الله ورسوله الى هرقل عظيم الروم سلام على
من اتبع الهدى اما بعد فاني ادعوك بدعاية الاسلام اسلم تسلم يوتك الله اجرك
مرتين فان توليت فانما عليك اثم الاريسيين ويا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سوا
بيننا وبينكم ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من
دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون لفظ الحديث احد روايات البخاري
وقد اخرجه باطول من هذا وفيه زيادة قوله اليريسيين وفي رواية الاريسين والاريس
الاكار وهو الزراع والفلاح وقيل هم اتباع عبد الله بن اريس رجل كان في الزمن الاول
بعثه الله فخالفه قومه وقيل هم الاروسيون وهم نصارى عبد الله بن اروس وهم
الاروسية وقيل هم الاريسيون بضم الهمزة وهم الملوك الذين يخالفون انبياءهم وقيل
هم المتجبرون وقيل هم اليهود والنصارى الذين صدوهم عن الاسلام واتبعوك على
كفرك قوله تعالى يا اهل الكتاب لم تحاجون في ابراهيم قال ابن عباس اجتمع عند النبي
صلى الله عليه وسلم نصارى نجران واحبار اليهود فتنازعوا عنده فقالت الاحبار
ما كان ابراهيم الا يهوديا وقالت النصارى ما كان ابراهيم الا نصرانيا فانزل الله فيهم
يا اهل الكتاب لم تحاجون في ابراهيم وما انزلت التوراة والانجيل الا من بعده ومعنى
الاية ان اليهود والنصارى لما اختصموا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم في شان
ابراهيم وادعت كل طائفة انه كان منهم وعلى دينهم فبرا الله عز وجل ابراهيم مما ادعوا
فيه واخبر ان اليهودية والنصرانية انما حدثت بعد نزول التوراة والانجيل فانهما ما نزلا
الا بعد ابراهيم بزمان طويل فكان بين ابراهيم وبين موسى ونزول التوراة عليه
خمسمائة سنة وخمس وسبعون سنة وبين موسى وعيسى الف وثمانمائة واثنان

وثلاثون

وثلاثون سنة وقال ابن اسحاق كان بين ابراهيم وموسى خمسمائة سنة وستون
سنة وبين موسى وعيسى الف سنة وتسعمائة وعشرون سنة واراد واعلى هذا
التاويل بان الاسلام ايضا انما حدث بعد ابراهيم وموسى وعيسى بزمان طويل وكذلك
انزل القران انما انزل بعد التوراة والانجيل فكيف يصح ما ادعيتم في ابراهيم انه كان
حنيفا مسلما واجيب عنه بان الله عز وجل اخبر في القران ان ابراهيم كان حنيفا
مسلما وليس في التوراة والانجيل ان ابراهيم كان يهوديا او نصرانيا فصح وثبت ما ادعاه
المسلمون وبطل ما ادعاه اليهود والنصارى وهو قوله افلا تعقلون يعني بطلان
قولكم يا معشر اليهود والنصارى حتى لا تجادلوا مثل هذا الجدال المحال ها انتم هؤلاء
ها للتنبيه وهي موضع النداء يعني يا هؤلاء والمراد بهم اهل الكتابين يعني يا معشر اليهود
والنصارى حاججتم اي جادلتم وخاصمتم فيما لكم به علم يعني فيما وجدتم في كتبكم وانزل عليكم
بيانه في امر موسى وعيسى وادعيتم انكم على دينهما وقد انزلت التوراة والانجيل عليكم فلم تحاجون
فيما ليس لكم به علم يعني انه ليس في كتابكم ان ابراهيم كان يهوديا او نصرانيا والله يعلم يعني
ما كان ابراهيم عليه من الدين وانتم لا تعلمون يعني ذلك والمعنى وانتم جاهلون بما تقولون
في ابراهيم ثم براه الله عز وجل عما قالوا فيه واعلمهم ان ابراهيم بري من دينهم فقال تعالى
ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا يعني لم يكن كما ادعوه ثم وصفه بما كان عليه من الدين
فقال ولكن كان حنيفا مسلما يعني مائلا عن الاديان كلها الى الدين المستقيم وهو الاسلام
وقيل الحنيف الذي يوحد ويختتن ويضحي ويستقبل الكعبة في صلاته وهو احسن الاديان
واسهلها واحبها الى الله تعالى وما كان من المشركين يعني الذين يعبدون الاصنام وقيل
فيه تعريض بكون النصارى مشركين لقولهم بالهية المسيح وعبادتهم له قوله عز وجل
ان اولى الناس بابراهيم يعني احقهم به واقربهم منه للذين اتبعوه يعني الذين كانوا
في زمانه وامنوا به واتبعوا شريعته وهذا النبي يعني محمدا صلى الله عليه وسلم والذين امنوا
يعني هذه الامة الاسلامية والله ولي المومنين يعني بالنصر والمعونة (ق) عن ابن مسعود
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لكل نبي ولاة من النبيين وان وليي ابي
وخليل ربي ابراهيم ثم قرا ان اولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين
امنوا والله ولي المومنين اخرجه الترمذي روى الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس
ورواه محمد بن اسحاق عن ابن شهاب باسناده حديث هجرة الحبشة قال لما هاجر جعفر
ابن ابي طالب واناس من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم الى ارض الحبشة واستقرت
بهم الدار وهاجر النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة وكان من امر بدر ما كان اجتمعت
قريش في دار الندوة وقالوا ان لنا في الذين عند النجاشي من اصحاب محمد صلى الله
عليه وسلم ثارا ممن قتل منكم ببدر فاجمعوا مالا واهدوه الى النجاشي لعله يدفع اليكم
من عنده من قومكم ولينتدب لذلك رجلان من ذوي رايكم فبعثوا عمرو بن العاص

وعمارة بن ابي معيط معهما الهدايا للادم وغيره فركبا البحر حتى اتيا الحبشة فلما
دخلا على النجاشي سجدا له وسلما عليه وقالا له ان قومنا لك ناصحون شاكرون
ولصاحبك محبون وانهم بعثونا اليك لنحذرك هولاء الذين قدموا عليك لانهم
قوم رجل كذاب خرج فينا يزعم انه رسول الله ولم يتابعه احد منا الا السفهاء وانا
كنا قد ضيقنا عليهم الامر والجاناهم الى شعب بارضنا لا يدخل عليهم احد ولا
يخرج منهم احد قد قتلهم الجوع والعطش فلما اشتد عليه الامر بعث اليك ابن عمه
ليفسد عليك دينك وملكك ورعيتك فاحذرهم وادفعهم الينا لنكفيكهم قالا
واية ذلك انهم اذا دخلوا عليك لا يسجدون لك ولا يحيونك بالتحية التي
يحييك بها الناس رغبة عن دينك وسنتك قال فدعاهم النجاشي فلما حضروا صاح
جعفر بالباب يستاذن عليك حزب الله فقال النجاشي مروا هذا الصائح فليعد
كلامه ففعل جعفر فقال النجاشي نعم فليدخلوا بامان الله وذمته فنظر عمرو الى صاحبه
وقال الا تسمع كيف يرطنون بحزب الله وما اجابهم به الملك فساءهما ذلك ثم دخلوا
عليه فلم يسجدوا له فقال عمرو بن العاص الا ترى انهم يستكبرون ان يسجدوا لك فقال لهم
النجاشي ما منعكم ان تسجدوا لي وتحيوني بالتحية التي يحييني بها من اتاني من الافاق قالوا
نسجد لله الذي خلقك وملكك وانما كانت تلك التحية لنا ونحن نعبد الاوثان
فبعث الله فينا نبيا صادقا فامرنا بالتحية التي رضيها الله وهي السلام تحية اهل الجنة فعرف
النجاشي ان ذلك حق وانه في التوراة والانجيل قال ايكم الهاتف يستاذن عليه حزب
الله قال جعفر انا قال فتكلم قال انك ملك من ملوك الارض من اهل الكتاب ولا
يصلح عندك كثرة الكلام ولا الظلم وانا احب ان اجيب عن اصحابي فمر هذين الرجلين
فليتكلم احدهما ولينصت الاخر فتسمع محاورتنا فقال عمرو لجعفر تكلم فقال جعفر للنجاشي
سل هذين الرجلين اعبيد نحن ام احرار فان كنا عبيدا ابقنا من اربابنا فارددنا عليهم
فقال النجاشي اعبيد هم ام احرار فقال بل احرار كرام فقال النجاشي نجوا من العبودية فقال
جعفر سلهما هل ارقنا دما بغير حق فيقتص منا فقال عمرو ولا قطرة قال جعفر سلهما
هل اخذنا اموال الناس بغير حق فعلينا قضاؤها قال النجاشي ان كان قنطارا فعلي قضاؤه
فقال عمرو ولا قيراط فقال النجاشي فما تطلبون منهم قال كنا وهم على دين واحد وعلى سنن
ابائنا فتركوا ذلك واتبعوا غيره فبعثنا قومنا لتدفعهم الينا فقال النجاشي وما هذا
الدين الذي كنتم عليه والدين الذي اتبعتموه فقال جعفر اما الدين الذي كنا عليه
فهو دين الشيطان كنا نكفر بالله ونعبد الحجارة واما الذي تحولنا اليه فهو دين الله
الاسلام جاءنا به من عند الله رسول وكتاب مثل كتاب ابن مريم موافقا له فقال
النجاشي يا جعفر تكلمت بامر عظيم فعلى رسلك ثم امر النجاشي فضرب الناقوس
فضرب فاجتمع اليه كل قسيس انشدكم الله الذي انزل الانجيل على عيسى هل تجدون

بين عيسى وبين يوم القيامة نبيا مرسلا قالوا اللهم نعم قد بشرنا به عيسى فقال من
امن به فقد امن بي ومن كفر به فقد كفر بي فقال النجاشي لجعفر ماذا يقول لكم هذا الرجل
وما يامركم به وما ينهاكم عنه فقال يقرا علينا كتاب الله ويامرنا بالمعروف وينهانا عن المنكر
ويامر بحسن الجوار وصلة الرحم وبر اليتيم ويامرنا ان نعبد الله وحده لا شريك له فقال
اقرا علي مما يقرا عليكم فقرا عليه سورة العنكبوت والروم ففاضت عينا النجاشي
واصحابه من الدمع وقالوا زدنا من هذا الحديث الطيب فقرا عليهم سورة الكهف
فاراد عمرو ان يغضب النجاشي فقال انهم يشتمون عيسى وامه فقال النجاشي فما تقولون
في عيسى وامه فقرا عليهم سورة مريم فلما اتى على ذكر مريم وعيسى رفع النجاشي من سواكه
قدر ما يقذي العين وقال والله ما زاد المسيح على ما تقولون هذا ثم اقبل على جعفر
واصحابه فقال اذهبوا فانتم سيوم بارضي يقول امنون من سبكم او اذاكم غرم ثم
قال ابشروا ولا تخافوا فلا دهورة اليوم على حزب ابراهيم قال هولاء الرهط وصاحبهم
الذي جاءوا من عنده ومن اتبعهم فانكر ذلك المشركون وادعوا دين ابراهيم ثم
رد النجاشي على عمرو وصاحبه المال الذي حملوه وقال انما هديتكم الي رشوة فاقبضوها
فان الله ملكني ولم ياخذ مني رشوة قال جعفر فانصرفنا فكنا في خير دار واكرم جوار وانزل
الله عز وجل ذلك اليوم على رسول الله صلى الله عليه وسلم في خصومتهم في ابراهيم
وهو في المدينة ان اولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين
امنوا والله ولي المومنين قوله عز وجل ودت طايفة من اهل الكتاب لو يضلونكم
نزلت في معاذ بن جبل وحذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر حين دعاهم اليهود
الى دينهم فنزلت فيهم ودت طايفة اي تمنت جماعة من اهل الكتاب يعني
اليهود لو يضلونكم يعني عن دينكم ويردونكم الى الكفر وما يضلون الا انفسهم لان
المومنين لا يقبلون قولهم فيحصل عليهم الاثم بتمنيهم اضلال المومنين وما يشعرون
يعني ان وبال الاضلال يعود عليهم لان العذاب يضاعف لهم بسبب ضلالهم
وبتمني اضلال المسلمين وما يقدرون على ذلك انما يضلون امثالهم واتباعهم و
اشياعهم يا اهل الكتاب الخطاب لليهود لم تكفرون بايات الله يعني القران وقيل
المراد بايات الله الواردة في التوراة والانجيل من نعت محمد صلى الله عليه وسلم
وصفته وسبب كفرهم بالتوراة والانجيل على هذا القول هو تحريفهم وتبديلهم ما فيهما
من بيان نعت محمد صلى الله عليه وسلم وصفته والبشارة بنبوته لانهم ينكرون
ذلك وانتم تشهدون يعني ان نعته وصفته مذكور في التوراة والانجيل وذلك
ان احبار اليهود كانوا يكتمون الناس نعته وصفته فاذا خلا بعضهم ببعض اظهروا
ذلك فيما بينهم وشهدوا انه حق يا اهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وذلك ان
علماء اليهود والنصارى كانوا يعلمون بقلوبهم ان محمدا صلى الله عليه وسلم رسول

من عند الله وان دينه حق وكانوا ينكرون ذلك بألسنتهم وكانوا يجتهدون في القاء
الشبهات والتشكيكات وذلك ان الساعي في اخفاء الحق لا يقدر على ذلك الا بهذه الامور
فقوله تعالى لم تلبسون الحق بالباطل معناه تحريف التوراة وتبديلها فيخلطون المحرف
الذي كتبوه بايديهم بالحق المنزل وقيل هو خلط الاسلام باليهودية والنصرانية وذلك
انهم تواطؤا على اظهار الاسلام في اول النهار والرجوع عنه في اخره والمراد بهذا التشكيك
الناس وقيل انهم كانوا يقولون ان محمدا صلى الله عليه وسلم معترف بصحة نبوة موسى
وانه حق ثم ان التوراة دالة على ان شرع موسى لا ينسخ فهذا من تلبيساتهم على الناس
وتكتمون الحق يعني نعت محمد صلى الله عليه وسلم وصفته في التوراة وانتم تعلمون يعني
انه رسول من عند الله وان دينه حق وانما كتمتم الحق حسدا وعنادا وانتم تعلمون ما
تستحقون على كتمان الحق من العقاب قوله عز وجل وقالت طائفة من اهل الكتاب امنوا
بالذي انزل على الذين امنوا وجه النهار واكفروا اخره وهذا نوع اخر من تلبيسات اليهود قيل
تواطا اثنا عشر حبرا من يهود خيبر وقرى عرينة فقال بعضهم لبعض ادخلوا في دين محمد
اول النهار باللسان دون اعتقاد القلب ثم اكفروا اخر النهار وقولوا انا نظرنا في كتبنا
وشاورنا علماءنا فوجدنا ان محمدا ليس هو بذلك المنعوت وظهر لنا كذبه فاذا فعلتم ذلك
شك اصحاب محمد في دينه واتهموه وقالوا انهم اهل الكتاب واعلم به منا فيرجعون عن دينهم
وقيل هذا في شان القبلة وذلك انه لما صرفت الى الكعبة شق ذلك على اليهود فقال
كعب الاشرف لاصحابه امنوا بالذي انزل على محمد من امر الكعبة وصلوا اليها اول النهار
ثم اكفروا وارجعوا الى قبلتكم اخر النهار لعلهم يرجعون فيقولون هولاء اهل كتاب وهم اعلم
فيرجعون الى قبلتنا فاطلع الله رسوله على سرهم وانزل هذه الاية ووجه النهار اوله
والوجه مستقبل كل شي لانه اول ما يواجه منه وانشدوا في معناه ° من كان مسرورا بمقتل مالك °
فليات نسوتنا بوجه نهار ° وقوله لعلهم يرجعون يعني عنه انا القينا هذه الشبهة لعلهم
يشكون في دينهم فيرجعون عنه ولما دبروا هذه الحيلة اخبر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم
بها فلم تتم لهم ولم يحصل لها اثر في قلوب المومنين ولولا هذا الاعلام من الله تعالى لكان ربما
اثر ذلك في قلوب بعض من كان في ايمانه ضعف قوله تعالى ولا تومنوا الا لمن تبع دينكم
هذا متصل بالاول وهو من قول اليهود يقول بعضهم لبعض ولا تومنوا اي لا تصدقوا الا لمن
تبع دينكم اي وافق ملتكم التي انتم عليها وهي اليهودية واللام في لمن صلة كقوله ردف
لكم اي ردفكم قل ان الهدى هدى الله اي ان الدين دين الله والبيان بيانه وهذا
خبر من الله تعالى ثم اختلفوا فيه فمنهم من قال هذا كلام معترض بين كلامين وما بعده
متصل بالكلام الاول وهو اخبار عن قول اليهود بعضهم لبعض ومعنى الاية ولا تومنوا
الا لمن تبع دينكم ولا تومنوا ان يوتى احد مثل ما اوتيتم من العلم والحكمة والكتاب والايات
من فلق البحر وانزال المن والسلوى عليكم وغير ذلك من الكرامات ولا تومنوا ان يحاجوكم

عند ربكم

عند ربكم لانكم اصح دينا منهم فلما اخبر الله تعالى عن اليهود بذلك قال في اثناء ذلك قل ان
الهدى هدى الله والمعنى ان الذي انتم عليه انما صار دينا بحكم الله وامره فاذا امر
بدين اخر وجب اتباعه والانقياد لحكمه لانه هو الذي هداك اليه وامر به وقيل معناه
قل لهم يا محمد ان الهدى هدى الله وقد جئتكم به ولن ينفعكم في دفعه هذا الكيد الضعيف
وقرا الحسن والاعمش ان يوتى بكسر الالف فيكون قول اليهود تاما عند قوله الا لمن
تبع دينكم وما بعده من قول الله تعالى والمعنى قل يا محمد ان الهدى هدى الله ان يوتى
احد مثل ما اوتيتم وتكون ان بمعنى الجحد اي ما يوتى احد مثل ما اوتيتم يا امة محمد
من الدين والهدى او يحاجوكم عند ربكم يعني الا ان يحاجكم اليهود بالباطل فيقولوا
نحن افضل منكم وقوله عند ربكم اي عند فعل ربكم ذلك بكم وقيل او في قوله او يحاجوكم
بمعنى حتى ومعنى الاية ما اعطى الله احدا مثل ما اعطاكم يا امة محمد من الدين والحجة حتى يحاجوكم
عند ربكم وقرا ابن كثير ان يوتى احد مثل ما اوتيتم يا معشر اليهود من الكتاب والحكمة
تحسدونه ولا تومنون به هذا قول قتادة والربيع قالا هذا من قول الله تعالى يقول
قل يا محمد ان الهدى هدى الله بان انزل كتابا مثل كتابكم وبعث نبيا مثل نبيكم حسدتموه
وكفرتم به قل ان الفضل بيد الله يوتيه من يشا وقوله او يحاجوكم على هذه القراة
رجوع الى خطاب المومنين ويكون او بمعنى ان لانهما حرفا شرط وجزا يوضع احدهما
موضع الاخر والمعنى او يحاجوكم يا معشر المومنين عند ربكم قل يا محمد ان الهدى هدى
الله ونحن عليه ويحتمل ان يكون الجميع خطابا للمومنين ويكون نظم الاية ان يوتى
احد مثل ما اوتيتم يا معشر المومنين فان حسدوكم فقل ان الفضل بيد الله فان حاجوكم
فقل ان الهدى هدى الله ويحتمل ان يكون الخبر عن اليهود وقد تم عند قوله لعلهم
يرجعون وقوله ولا تومنوا من كلام الله تعالى يثبت به قلوب المومنين لئلا يشكوا
عند تلبيس اليهود وتزويرهم في دينهم يقول لا تصدقوا يا معشر المومنين الا من تبع
دينكم ولا تصدقوا ان يوتى احد مثل ما اوتيتم من الدين والفضل ولا تصدقوا
ان يحاجوكم عند ربكم او يقدروا على ذلك فان الهدى هدى الله وان الفضل
بيد الله يوتيه من يشا والله واسع عليم فتكون الاية كلها خطابا للمومنين
عند تلبيس اليهود لئلا يرتابوا ولا يشكوا وقوله تعالى قل ان الفضل بيد الله يعني قل
لهم يا محمد ان التوفيق للايمان والهداية للاسلام بيد الله اي انه مالك له وقادر
عليه دونكم ودون ساير خلقه يوتيه من يشا يعني الفضل الذي هو دين الاسلام
يعطيه من يشا من عباده ويوفق له من اراد من خلقه وفيه تكذيب لليهود في
قولهم ان يوتى احد مثل ما اوتيتم فقال الله تعالى ردا عليهم قل لهم ليس ذلك
اليكم وانما الفضل بيد الله يوتيه من يشا واصل الفضل في اللغة الزيادة واكثر ما يستعمل
في زيادة الاحسان والفاضل الزائد على غيره في خصال الخير والله واسع اي ذو سعة يتفضل

على من يشاء اي يخص بتفضله عليه وهو للفضل اهل يختص برحمته يعني نبوته ورسالته وقيل
بدينه الذي هو الاسلام وقيل بالقرآن من يشاء يعني من خلقه وفيه دليل على ان النبوة
لا تحصل الا بالاختصاص والتفضل لا بالاستحقاق لانه تعالى جعلها من باب الاختصاص والتفضل على
ان يفعل ما يشاء الى من يشاء بغير استحقاق والله ذو الفضل العظيم قوله عز وجل ومن اهل
الكتاب من ان تامنه بقنطار يؤده اليك ومنهم من ان تامنه بدينار لا يؤده اليك نزلت
في اليهود اخبر الله عز وجل ان فيهم امانة وخيانة وقسمهم قسمين والقنطار عبارة
عن المال الكثير والدينار عبارة عن المال القليل يقول منهم من يؤدي الامانة وان
كثرت مثل عبد الله بن سلام واصحابه ومنهم من لا يؤديها وان قلت وهم كفار
اهل الكتاب مثل كعب بن الاشرف واصحابه قال ابن عباس في هذه الآية اودع
رجل من قريش عبد الله بن سلام الفا ومائتي اوقية من ذهب فاداها اليه فذلك
قوله ومن اهل الكتاب من ان تامنه بقنطار يؤده اليك ومنهم من ان تامنه
بدينار لا يؤده اليك يعني فنحاص بن عازوراء استودعه رجل من قريش دينارا فخانه
وجحده ولم يؤده اليه وقيل اهل الامانة هم النصارى واهل الخيانة هم اليهود لان
من مذهبهم انه يحل قتل من خالفهم في الدين واخذ ماله باي طريق كان الا ما دمت عليه
قائما قال ابن عباس يريد تقوم عليه وتطالبه بالالحاح والخصومة والملازمة وقيل
معناه الا مدة دوامك عليه يا صاحب الحق قائما على راسه متوكلا عليه بالمطالبة له
والتعنيف بالرفع الى الحاكم واقامة البينة عليه وقيل اراد انه اودعته شيئا ثم رجعته
منه في الحال وانت قائم على راسه لم تفارقه رده عليك وان اخرت جحد ما اودعته
وانكره ولم يرده عليك ذلك اي سبب ذلك الاستحلال والخيانة بانهم قالوا يعني اليهود
ليس علينا في الاميين سبيل يعني انهم يقولون ليس علينا اثم ولا حرج في اخذ
مال العرب وذلك ان اليهود قالوا اموال العرب حلال لنا لانهم ليسوا على ديننا ولا
حرمة لهم في كتابنا وكانوا يستحلون ظلم من خالفهم في دينهم وقيل ان اليهود قالوا
نحن ابناء الله واحباؤه والخلق لنا عبيد فلا سبيل علينا اذا اكلنا اموال عبيدنا
وقيل انهم قالوا ان الاموال كلها كانت لنا فما في يد العرب فهو لنا وانما ظلمونا
وغصبونا فلا سبيل علينا في اخذنا منهم باي طريق كان وقيل ان اليهود كانوا يبايعون
رجالا من المسلمين في الجاهلية فلما اسلموا تقاضوهم بقية اموالهم فقالوا ليس لكم
علينا حق ولا عندنا قضاء لانكم تركتم دينكم وانقطع العهد بيننا وبينكم وادعوا انهم
وجدوا ذلك في كتابهم فاكذبهم الله تعالى فقال ويقولون على الله الكذب يعني اليهود
وهم يعلمون يعني انهم كاذبون ثم انه تعالى رد على اليهود قولهم فقال بلى اي ليس
الامر كما قالوا بل عليهم سبيل ولفظة بلى لمجرد نفي ما قبلها فعلى هذا يحسن الوقف
عليها ثم يبتدئ من اوفى اي ولكن من اوفى بعهده اي بعهد الله الذي عهد عليه

في التوراة

في التوراة من الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وبالقرآن الذي انزل عليه وباداء
الامانة الى من ائتمنه عليها وقيل الهاء في قوله بعهده راجعة الى الوافي واتقى
يعني الكفر والخيانة ونقض العهد فان الله يحب المتقين يعني الذين يتقون
الشرك ق عن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اربع
من كن فيه كان منافقا خالصا ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى
يدعها اذا ائتمن خان واذا حدث كذب واذا عاهد غدر واذا خاصم فجر قوله تعالى
ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا قال عكرمة نزلت هذه الآية في احبار
اليهود ورؤسائهم في ابي رافع وكنانة بن ابي الحقيق وكعب بن الاشرف وحيي بن
اخطب الذين كتموا ما عهد الله اليهم في التوراة في شان محمد صلى الله عليه وسلم
فبدلوه وكتبوا بايديهم غيره وحلفوا انه من عند الله لئلا تفوتهم الرشى والماكل التي
كانوا ياخذونها من اتباعهم وسفلتهم وقيل نزلت في ادعاء اليهود الذين قالوا انه
ليس علينا في الاميين سبيل وكتبوا ذلك بايديهم وحلفوا انه من عند الله وقيل
نزلت في الاشعث بن قيس وخصم له ق عن عبد الله بن مسعود ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال من حلف على مال امرئ مسلم بغير حق لقي الله وهو عليه غضبان قال عبد الله
ثم قرأ علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مصداقه من كتاب الله عز وجل ان الذين
يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا الى اخر الآية وفي رواية قال من حلف على يمين
صبر يقتطع بها مال امرئ مسلم لقي الله وهو عليه غضبان فانزل الله عز وجل تصديق ذلك
ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا الآية فدخل الاشعث بن قيس الكندي
فقال ما يحدثكم ابو عبد الرحمن فقلنا كذا وكذا فقال صدق في نزلت كان بيني وبين رجل
خصومة في بئر فاختصمنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم شاهداك او يمينه قلت انه اذا يحلف ولا يبالي فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من حلف على يمين صبر يقتطع بها مال امرئ مسلم هو فيها فاجر لقي الله وهو عليه
غضبان ونزلت ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا الى اخر الآية واخرجه
الترمذي وابو داود وقالا ان الخصومة كانت بين الاشعث وبين رجل يهودي وقيل نزلت
هذه الآية في رجل اقام سلعة في السوق فحلف لقد اعطي بها ما لم يعط خ عن عبد الله بن
ابي اوفى ان رجلا اقام سلعة وهو في السوق فحلف لقد اعطي فيها ما لم يعط ليوقع
فيها رجلا من المسلمين فنزلت ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا الى اخر
الآية وقيل الاقرب حمل الآية على الكل فقوله تعالى ان الذين يشترون بعهد الله الآية
يدخل فيه ما امر الله به ويدخل فيه العهود والمواثيق الماخوذة من جهة الرسل ويدخل
فيه ما يلزم الرجل نفسه من عهد وميثاق فكل ذلك من عهد الله الذي يجب الوفاء
به ومعنى ان الذين يشترون يستبدلون بعهد الله يعني الامانة وايمانهم يعني الكاذبة

ثمنا قليلا يعني شيئا يسيرا من حطام الدنيا وذلك لان المشتري يأخذ شيئا ويعطي شيئا فكل واحد
من المعطي والمأخوذ ثمن للآخر فهذا معنى الشراء اولئك يعني من هذه صفته لا خلاق لهم
في الآخرة اي لا نصيب لهم في الآخرة ونعيمها وجميع منافعها ولا يكلمهم الله يعني كلاما يسرهم
به او ينفعهم وقيل هو بمعنى الغضب ولا ينظر اليهم يوم القيامة اي لا يرحمهم ولا يحسن اليهم
ولا ينيلهم خيرا ولا يزكيهم اي لا يطهرهم من الذنوب ولا يثني عليهم بجميل ولهم عذاب اليم
يعني في الآخرة ق عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ثلاثة لا يكلمهم الله يوم
القيامة ولا ينظر اليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم رجل حلف على سلعة لقد اعطي بها اكثر
مما اعطي وهو كاذب ورجل حلف على يمين كاذبة بعد العصر ليقتطع بها مال امرئ مسلم
ورجل منع فضل ماء فيقول الله له اليوم امنعك فضلي كما منعت فضل ما لم تعمل يداك
م عن ابي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة
ولا ينظر اليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم فقال فقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث
مرات فقلت خابوا وخسروا قالوا من هم يا رسول الله قال المسبل والمنان والمنفق
سلعته بالحلف الكاذب وللمنان المنان بما اعطى وللمسبل ازاره وللمنفق سلعته
بالحلف الكاذب م عن ابي امامة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اقتطع حق
امرئ مسلم بيمينه حرم الله عليه الجنة واوجب له النار قالوا يا رسول الله وان كان شيئا
يسيرا قال وان كان قضيبا من اراك قوله عز وجل وان منهم يعني من اليهود لفريقا يعني
طائفة وجماعة وهم كعب بن الاشرف ومالك بن الصيف وحيي بن اخطب وابو ياسر
وشعبة بن عمرو الشاعر يلوون اي يعطفون ويميلون واصل اللي الفتل من قولك
لويت يده اذا فتلتها السنتهم بالكتاب يعني بالتحريف والتغيير والتبديل وتحريف الكلام
تقليبه عن وجهه لان المحرف يلوي لسانه عن سنن الصواب بما يأتي به من عند
نفسه قال الواحدي ويحتمل ان يكون المعنى يلوون بالسنتهم الكتاب لانهم يحرفون
الكتاب عما هو عليه بالسنتهم فيأتون به على القلب ونقل الامام فخر الدين عن القفال
قال يلوون السنتهم معناه ان يعمدوا الى اللفظة فيحرفوها في حركات الاعراب تحريفا
يتغير به المعنى وهذا كثير في لسان العرب فلا يبعد مثله في العبرانية فلما فعلوا ذلك
في الآيات الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم من التوراة كان ذلك هو المراد من
قوله يلوون السنتهم بالكتاب وقيل انهم غيروا صفة النبي صلى الله عليه وسلم من التوراة
وبدلوها وآية الرجم وغير ذلك مما بدلوا وغيروا لتحسبوه من الكتاب يعني لتظنوا
ان الذي حرفوه وبدلوه من الكتاب الذي انزله الله على انبيائه وما هو من الكتاب
يعني ذلك الذي يزعمون انه من الكتاب ما هو منه ويقولون هو من عند الله وما
هو من عند الله يعني الذي يقولونه ويغيرونه وانما كرر هذا بلفظين مختلفين مع
اتحاد المعنى لاجل التأكيد ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون يعني انهم كاذبون

وقال ابن

وقال ابن عباس ان الآية نزلت في اليهود والنصارى جميعا وذلك انهم حرفوا التوراة
والانجيل وألحقوا في كتاب الله ما ليس فيه قوله تعالى ما كان لبشر ان يؤتيه الله الكتاب
والحكم والنبوة قيل لما قالت نصارى نجران ان عيسى امرهم ان يتخذوه ربا فقال الله ردا
عليهم ما كان لبشر يعني عيسى ان يؤتيه الله الكتاب يعني الانجيل وقال ابن عباس في قوله
ما كان لبشر يعني محمدا صلى الله عليه وسلم ان يؤتيه الله الكتاب يعني القرآن وذلك ان ابا رافع
من اليهود والسيد من نصارى نجران قالا يا محمد تريد ان نعبدك ونتخذك ربا فقال
معاذ الله ان آمر بعبادة غير الله وما بذلك امرني الله وما بذلك بعثني فانزل الله هذه
الآية ما كان لبشر اي وما ينبغي لبشر وهو جميع بني آدم لا واحد له من لفظه كالقوم والرهط
ويوضع موضع الواحد والجمع ان يؤتيه الله الكتاب والحكم يعني الفهم والعلم وقيل هو
امضاء الحكم عن الله تعالى والنبوة يعني المنزلة الرفيعة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي
من دون الله ومعنى الآية انه لا يجتمع لرجل نبوة مع القول للناس كونوا عبادا لي من
دون الله وكيف يدعو الناس الى عبادة نفسه من دون الله وقد آتاه الله ما
آتاه من الكتاب والحكم والنبوة وذلك ان الانبياء موصوفون بصفات لا يحصل معها ادعاء
الالهية والربوبية منها ان الله تعالى آتاهم الكتب السماوية ومنها ايتاء النبوة ولا تكون
الا بعد كمال العلم وكل هذه تمنع من هذه الدعوى ولكن كونوا ربانيين يعني ولكن يقول
لهم كونوا ربانيين فاضمر القول على حسب مذهب العرب في جواز الاضمار اذا كان في
الكلام ما يدل عليه واختلفوا في معنى الرباني فقال ابن عباس معناه كونوا فقهاء علماء
وعنه كونوا فقهاء معلمين وقيل معناه حكماء حلماء وقيل الرباني الذي يربي الناس بصغار
العلم قبل كباره وقيل الرباني العالم الذي يعمل بعلمه وقيل يعمل بعلمه وقيل الرباني العالم
بالحلال والحرام والامر والنهي وقيل الرباني الذي جمع بين علم البصيرة والعلم بسياسة
الناس ولما مات ابن عباس قال محمد بن الحنفية اليوم مات رباني هذه الامة قال
سيبويه الرباني المنسوب الى الرب يعني كونه عالما به ومواظبا على طاعته وزيادة
الالف والنون فيه للدلالة على كمال هذه الصفة وقال المبرد الربانيون ارباب العلم
واحدهم رباني وهو الذي يرب العلم ويرب الناس اي يعلمهم ويصلحهم والالف والنون
للمبالغة فعلى قول سيبويه الرباني منسوب الى الرب على معنى التخصيص بمعرفة الرب وطاعته
وعلى قول المبرد الرباني مأخوذ من التربية وقيل الربانيون هم ولاة الامر والعلماء وهم
الفريقان اللذان يطاعان ومعنى الآية على هذا التأويل لا ادعوكم الى ان تكونوا عبادا لي
ولكن ادعوكم الى ان تكونوا ملوكا وعلماء ومعلمين الناس الخير ومواظبين على طاعة
الله وعبادته وقال ابو عبيدة احسب ان هذه الآية ليست عربية انما هي عبرانية او
سريانية وسواء كانت عربية او عبرانية فهي تدل على الذي علم وعمل بما علم وعلم
الناس طرق الخير قوله تعالى بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون اي كونوا

ربانيين بسبب كونكم عالمين ومعلمين وبسبب دراستكم الكتاب فدلت الاية على ان العلم
والتعليم والدراسة توجب كون الانسان ربانيا فمن اشتغل بالعلم والتعليم لا لهذا المقصود
ضاع علمه وخاب سعيه قوله عز وجل ولا يامركم قرئ بنصب الراء عطفا على قوله ثم يقول فيكون
مردودا على البشر وقيل على اضمار ان اي ولا ان يامركم وقرئ برفع الراء على الابتداء وهو
ظاهر ومعناه ولا يامركم الله وقيل ولا يامركم محمد صلى الله عليه وسلم وقيل ولا يامركم عيسى وقيل
ولا يامركم الانبيا ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا يعني كفعل قريش والصابئين حيث
قالوا في المسيح والعزير ما قالوا وانما خص الملائكة والنبيين بالذكر لان الذين وصفوا بالعبادة
غير الله من اهل الكتاب لم يحك عنهم الا عبادة الملائكة وعبادة المسيح وعزير فلهذا المعنى
خصهم بالذكر ايامركم بالكفر بعد اذ انتم مسلمون انما قاله على طريق التعجب والانكار يعني
لا يقول هذا ولا يفعله قوله تعالى واذ اخذ الله ميثاق النبيين قال الزجاج موضع اذ نصب
المعنى واذكر في اقاصيصك اذ اخذ الله وقال الطبري معناه واذكروا يا اهل الكتاب اذ اخذ
الله ميثاق النبيين واصل الميثاق في اللغة عقد يؤكد بيمين ومعنى ميثاق النبيين
يعني حين اخذ الله ما وثقوا به على انفسهم من طاعة الله فيما امرهم به ونهاهم عنه
وذكروا في معنى اخذ الميثاق وجهين احدهما انه ماخوذ من الايثاق الثاني انه ماخوذ
لهم من غيرهم فلهذا السبب اختلفوا في المعنى بهذه الاية فذهب قوم الى ان الله تعالى
اخذ الميثاق من النبيين خاصة قبل ان يبلغوا كتاب الله ورسالته الى عباده ان
يصدق بعضهم بعضا واخذ العهد على كل نبي ان يؤمن بمن ياتي بعده من الانبيا وينصره
ان ادركه وان لم يدركه ان يامر قومه بنصرته ان ادركوه فاخذ الميثاق من موسى ان
يؤمن بعيسى ومن عيسى ان يؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم وهذا قول سعيد بن جبير والحسن
وطاوس وقيل انما اخذ الميثاق من النبيين في امر محمد صلى الله عليه وسلم خاصة وهو
قول علي وابن عباس وقتادة والسدي وعلى هذا القول اختلفوا فقيل انما اخذ الله الميثاق
على اهل الكتاب الذين ارسل اليهم النبيين ويدل عليه قوله ثم جاءكم رسول مصدق
لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه وانما كان محمد صلى الله عليه وسلم مبعوثا الى اهل الكتاب
دون النبيين وانما اطلق هذا اللفظ عليهم لانهم كانوا يقولون نحن اولى بالنبوة
من محمد لانا اهل كتاب والنبيون منا وقيل اخذ الله الميثاق على النبيين وانهم جميعا
في امر محمد صلى الله عليه وسلم فاكتفى بذكر الانبيا لان العهد مع المتبوع عهد مع الاتباع
وهو قول ابن عباس قال علي بن ابي طالب ما بعث الله نبيا ادم فمن بعده الا اخذ عليه
العهد في امر محمد صلى الله عليه وسلم واخذ هو العهد على قومه ليؤمنن به ولئن بعث
وهم احيا لينصرنه وقيل ان المراد من الاية ان الانبيا كانوا ياخذون العهد والميثاق
على اممهم انه اذا بعث محمد صلى الله عليه وسلم ان يؤمنوا به وينصروه وهذا قول كثير
من المفسرين وقوله لما اتيتكم من كتاب وحكمة قرئ بفتح اللام وكسرها مع التخفيف

في القراتين

في القراتين ممن قرا بفتح اللام فان معنى الاية واذ اخذ الله ميثاق النبيين من اجل الذي
اتاهم من الكتاب والحكمة ثم جاءكم رسول يعني ذكر محمد صلى الله عليه وسلم في التوراة
لتؤمنن به الذي عندكم في التوراة من ذكره ومن قرا بكسر اللام جعل قوله لتؤمنن به
من اخذ الميثاق كما يقال اخذت ميثاقك لتفعلن لان اخذ الميثاق بمنزلة الاستحلاف
فكان معنى الاية واذ استحلف الله النبيين للذي اتاهم من كتاب وحكمة ثم
جاءهم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه وقوله ثم جاءكم رسول يعني محمدا صلى
الله عليه وسلم مصدق لما معكم وذلك ان الله تعالى وصفه في كتب الانبيا المتقدمة
وشرح فيها احواله فاذا جاءت صفاته واحواله مطابقة لما في كتبهم المنزلة فقد صار مصدقا
لها فيجب الايمان به والانقياد له لقوله ولام قوله لتؤمنن به لام القسم تقديره والله
لتؤمنن به ولتنصرنه قال البغوي قال الله عز وجل للانبيا حين استخرج الذرية من صلب
ادم والانبيا فيهم كالمصابيح اخذ عليهم الميثاق في امر محمد صلى الله عليه وسلم ااقررتم
واخذتم على ذلكم اصري الاية وقال الامام فخر الدين الرازي يحتمل ان يكون هذا الميثاق
ما قرر في عقولهم من الدلالة على ان الانقياد من الله واجب فاذا جاء رسول
وظهرت المعجزات الدالة على صدقه فاذا اخبرهم بعد ذلك ان الله امر الخلق بالايمان به
عرفوا عند ذلك وجوبه فتقرير هذا الدليل في عقولهم فهذا هو المراد من الميثاق قال
ااقررتم يعني قال الله ااقررتم فان فسرنا ان اخذ الميثاق كان من النبيين كان معناه
قال الله تعالى للنبيين ااقررتم بالايمان به والنصرة له وان فسرنا بان اخذ الميثاق كان
على الامم كان معناه قال لكل نبي لامته ااقررتم وذلك لانه تعالى اضاف اخذ الميثاق
الى نفسه وان كان النبيون اخذوه على الامم فلذلك طلب هذا الاقرار واضافه الى
نفسه وان وقع من الانبيا والمقصود ان الانبيا بالغوا في اثبات هذا الميثاق وتاكيده
على الامم وطالبوه بالقبول واكدوا ذلك بالاشهاد واخذتم على ذلكم اصري اي عهدي و
الاصر العهد الثقيل وقيل سمي العهد اصرا لانه مما يوصر اي يشد ويعقد قالوا اقررنا اي قال
النبيون اقررنا بما الزمتنا من الايمان برسلك الذين ترسلهم مصدقين لما معنا من كتبك
قال فاشهدوا يعني قال الله عز وجل للنبيين فاشهدوا يعني انتم على انفسكم وقيل على اممكم
واتباعكم الذين اخذتم عليهم الميثاق وقيل قال الله تعالى للملائكة فاشهدوا فهو كناية
من غير مذكور وقيل معناه فاعلموا وبينوا لان اصل الشهادة العلم والبيان وانا معكم
من الشاهدين يعني قال الله يا معشر الانبيا وانا معكم من الشاهدين عليكم وعلى اتباعكم
او قال للملائكة وانا معكم من الشاهدين عليهم فمن تولى اي اعرض عن الايمان بمحمد صلى
الله عليه وسلم ونصرته بعد ذلك الاقرار فاولئك هم الفاسقون اي الخارجون عن
الايمان والطاعة قوله عز وجل افغير دين الله يبغون وذلك ان اهل الكتاب اختلفوا
فادعى كل فريق منهم انه على دين محمد صلى الله عليه وسلم وقيل ادعى كل فريق منهم انه

على دين ابراهيم فاختصموا الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
كلا الفريقين بري من دين ابراهيم فقالوا لا نرضى بقضايك ولا ناخذ بدينك فانزل
الله افغير دين الله الهمزة للاستفهام والمراد منه الانكار والتوبيخ يعني افبعد اخذ
الميثاق عليهم ووضوح الدلايل لهم ان دين ابراهيم هو دين الله الاسلام يبغون
قرى بالتا على خطاب الحاضر اى افغير دين الله تطلبون يا معشر اليهود والنصارى
وقرى بالياء على الغيبة ردا على قوله فمن تولى بعد ذلك فاولئك هم الفاسقون وله اسلم
اى خضع وانقاد من في السموات والارض طوعا وكرها الطوع الانقياد والاتباع بسهولة
والكره ما كان من ذلك بمشقة واباء من النفس واختلفوا في قوله طوعا وكرها فقيل
اسلم اهل السموات طوعا واسلم بعض اهل الارض طوعا وبعضهم كرها من خوف القتل و
السبى وقيل اسلم المومن طوعا وانقاد الكافر كرها وقيل هذا في يوم اخذ الميثاق وحين
قال الست بربكم قالوا بلى فمن سبقت له الشقاوة قال ذلك كرها وقيل اسلم المومن
طوعا فنفعه اسلامه يوم القيامة والكافر يسلم كرها عند الموت في وقت الياس ولم ينفعه
ذلك يوم القيامة وقيل انه لا سبيل لاحد من الخلق الى الامتناع على الله في مراده فاما
المسلم فينقاد لله تعالى فيما امره به او نهاه عنه طوعا واما الكافر فينقاد لله كرها في جميع ما يقضي
عليه ولا يمكنه دفع قضايه وقدره عنه واليه يرجعون قرى بالتا واليا والمعنى ان
مرجع الخلق كلهم الى الله يوم القيامة ففيه وعيد عظيم لمن خالفه في الدنيا قوله تعالى
قل امنا بالله لما ذكر الله عز وجل في الاية المتقدمة اخذ الميثاق على الانبيا في تصديق
الرسول الذي ياتي مصدقا لما معهم بين في هذه الاية ان من صفة محمد صلى الله عليه
وسلم مصدقا لما معهم فقال تعالى قل امنا بالله وانما وحد الضمير في قوله قل وجمع في
قوله امنا لانه انما خاطب بلفظ الوحدان ليدل هذا الكلام على انه لا يبلغ هذا
التكليف عن الله الى الخلق الا هو ثم قال امنا تنبيها على انه حين قال هذا القول
وافقه اصحابه فحسن الجمع في قوله امنا ومعنى الاية قل يا محمد صدقنا بالله انه ربنا
والهنا لا اله غيره ولا رب سواه وانما قدم الايمان بالله على غيره لانه الاصل وما
انزل علينا يعني وقل يا محمد وصدقنا ايضا بما انزل علينا من وحيه وتنزيله وانما
قدم ذكر القران لانه اشرف الكتب وانه لم يحرف ولم يبدل وغيره حرف وبدل وما
انزل على ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وما اوتي موسى
وعيسى انما خص هولا الانبيا بالذكر لان اهل الكتاب يعترفون بوجودهم ولم
يختلفوا في نبوتهم والاسباط هم اولاد يعقوب الاثنا عشر وكانوا انبيا ثم جمع
جميع الانبيا فقال والنبيون اى وما اوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين احد
منهم وذلك ان اهل الكتاب يومنون ببعض النبيين ويكفرون ببعض فامر
الله عز وجل نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم ان يخبر عن نفسه وعن امته انه يومن

يجميع

بجميع الانبيا فان قلت لم عدى انزل في هذه الاية بحرف الاستعلا وفيما تقدم
من مثلها في البقرة بحرف الانتها قلت لوجود المعنيين جميعا لان الوحي
ينزل من فوق وينتهي الى الرسل فجا تارة باحد المعنيين وتارة بالمعنى الاخر ونحن
له مسلمون اى موحدون مخلصون انفسنا له لا نجعل له شريكا في عبادتنا قوله عز
وجل ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه يعني ان الدين المقبول عند الله هو
دين الاسلام وان كل دين سواه غير مقبول عنده لان الدين الصحيح ما يامر الله به
ويرضى عن فاعله ويثيبه عليه وهو في الاخرة من الخاسرين يعني الذين وقعوا
في الخسارة وهو حرمان الثواب وحصول العقاب وروى ابن جرير الطبري عن عكرمة
في قوله ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه قالت اليهود فنحن مسلمون
فقال الله عز وجل لنبيه ولله على الناس حج البيت فلم يحجوا قوله تعالى كيف يهدي
الله قوما كفروا بعد ايمانهم نزلت في اثني عشر رجلا ارتدوا عن الاسلام وخرجوا
من المدينة فاتوا مكة كفارا منهم الحارث بن سويد الانصاري وطعمة ابن ابيرق
ووحوح ابن الاسلت وقال ابن عباس نزلت في اليهود والنصارى وذلك ان
اليهود كانوا قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم يستفتحون به على الكفار ويقرون به
ويقولون هذا ظل زمان نبي مبعوث فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم كفروا به بغيا
وحسدا ومعنى كيف يهدي الله كيف يرشد الله للصواب ويوفق للايمان قوما
كفروا اى جحدوا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بعد ايمانهم اى تصديقهم اياه واقرارهم
به وبما جا به من عند ربه وشهدوا ان الرسول حق يعني وبعد ان اقروا وشهدوا
ان محمدا صلى الله عليه وسلم رسول الله الى خلقه وانه حق وصدق وجاءهم البينات
يعني الحجج والبراهين والمعجزات الدالة على صحة النبوة التي بمثلها تثبت النبوة
والله لا يهدي القوم الظالمين اى لا يوفقهم الى الحق والصواب لما سبق في علمه تعالى
انهم ظالمون وقيل لا يهديهم في الاخرة الى الجنة والثواب فان قلت كيف قال في اول
الاية كيف يهدي الله قوما كفروا وقال في اخرها والله لا يهدي القوم الظالمين
وهذا تكرار قلت ليس فيه تكرار لان قوله كيف يهدي الله قوما كفروا انما هو
مختص باولئك المرتدين عن الاسلام ثم انه تعالى عم ذلك الحكم في اخر الاية فقال
والله لا يهدي القوم الظالمين يعني جميع الكفار المرتدين والكافر الاصلي وانما
سمى الكافر ظالما لانه وضع العبادة في غير موضعها اولئك جزاوهم يعني الذين
كفروا بعد ايمانهم ان عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين خالدين فيها
اى في عذاب اللعنة وقد تقدم تفسير هذه الاية في سورة البقرة لا يخفف
عنهم العذاب ولا هم ينظرون اى ولا يوخرون عن وقت العذاب ولا يوخر
عنهم من وقت الى وقت ثم استثنى سبحانه وتعالى فقال الا الذين تابوا من بعد

ذلك يعني من بعد ارتدادهم وكفرهم وذلك ان الحارث بن سويد الانصاري لما لحق بالكفار
ندم على ذلك فارسل الى قومه ان سلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم هل لي من توبة ففعلوا
فانزل الله الا الذين تابوا من بعد ذلك واصلحوا الاية فبعث بها اليه اخوه الجلاس
مع رجل من قومه فاقبل الى المدينة تائبا وقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم توبته وحسن
اسلامه واصلحوا اي وضموا الى التوبة الاعمال الصالحة فبين ان التوبة وحدها لا تكفي حتى
يضاف اليها العمل الصالح وقيل معناه واصلحوا باطنهم مع الحق بالمراقبات وظاهرهم مع الخلق
بالعبادات والطاعات فان الله غفور رحيم اي غفور لقبائحهم في الدنيا بالستر رحيم في الاخرة
بالعفو وقيل غفور بازالة العذاب رحيم باعطاء الثواب قوله عز وجل ان الذين
كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا لن تقبل توبتهم نزلت في اليهود وذلك انهم كفروا
بعيسى والانجيل بعد ايمانهم بموسى وغيره من انبيائهم ثم ازدادوا كفرا يعني كفرهم بمحمد صلى
الله عليه وسلم والقران وقيل نزلت في اليهود والنصارى وذلك انهم كفروا بمحمد
صلى الله عليه وسلم لما راوه بعد ايمانهم وقيل معناه لما ثبت عندهم من نعته وصفته في
كتبهم ثم ازدادوا كفرا يعني ذنوبا في حال كفرهم وقيل نزلت في جميع الكفار وذلك انهم
اشركوا بالله بعد اقرارهم بان الله خالقهم ثم ازدادوا كفرا يعني باقامتهم على كفرهم حتى
هلكوا عليه وقيل زيادة كفرهم هو قولهم نتربص بمحمد ريب المنون وقيل نزلت في احدى
عشر رجلا من اصحاب الحارث بن سويد الذين ارتدوا عن الاسلام فلما رجع الحارث
الى الاسلام اقاموا على كفرهم بمكة وقالوا نقيم على الكفر ما بدا لنا ومتى اردنا الرجعة ينزل فينا
مثل ما نزل في الحارث فلما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة فمن دخل منهم في الاسلام
قبلت توبته ونزل فيمن مات منهم على كفره ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار الاية
فان قلت قد وعد الله قبول التوبة ممن تاب فما معنى قوله تعالى لن تقبل توبتهم قلت
اختلف المفسرون في معنى قوله تعالى لن تقبل توبتهم فقال الحسن وقتادة وعطاء
والسدي لن تقبل توبتهم حين يحضرهم الموت وهو وقت الحشرجة لان الله تعالى قال
وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال اني تبت الان
فان الذي يموت على الكفر لا تقبل توبته كانه قال اليهود او الكفار او المرتدين الذين
فعلوا ما فعلوا ثم ماتوا على ذلك تقبل توبتهم وقال ابن عباس انهم الذين ارتدوا و
عزموا على اظهار التوبة لستر احوالهم والكفر في ضمائرهم وقال ابو العالية هم قوم تابوا
من ذنوب عملوها في حال الشرك ولم يتوبوا من الشرك فان توبتهم في حال الشرك
غير مقبولة وقال مجاهد لن تقبل توبتهم اذا ماتوا على الكفر وقال ابن جرير الطبري معنى
تقبل توبتهم مما ازدادوا من الكفر على كفرهم بعد ايمانهم لا من كفرهم لان الله تعالى وعد
ان يقبل التوبة عن عباده وانه قابل توبة كل تائب من كل ذنب لقوله الا الذين
تابوا من بعد ذلك واصلحوا فان الله غفور رحيم علم ان المعنى لا يقبل التوبة

منه غير

منه غير المعنى الذي يقبل منه فعلى هذا فالذي لا تقبل توبته هو الازدياد على الكفر
بعد الكفر لا يقبل الله منه توبته ما اقام على كفره لان الله تعالى لا يقبل عمل مشرك
ما اقام على شركه فاذا تاب من شركه وكفره واصلح فان الله كما وصف نفسه
غفور رحيم وقوله تعالى واولئك هم الضالون يعني هؤلاء الذين كفروا بعد ايمانهم
ثم ازدادوا كفرا هم الذين ضلوا عن سبيل الحق واخطاوا منهاجه قوله تعالى
ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار قال ابن عباس لما فتح رسول الله صلى الله عليه
وسلم مكة دخل من كان من اصحاب الحارث بن سويد حيا في الاسلام فنزلت
هذه الاية فيمن مات منهم على الكفر وقيل نزلت فيمن مات كافرا من جميع اصناف
الكفار من اليهود والنصارى وعبدة الاصنام فالاية عامة في جميع من مات
على الكفر فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا اي قدر ما يملا الارض من
شرقها الى غربها ولو افتدى به قيل معناه لو افتدى به والواو زائدة مقحمة
وقيل الواو على حالها وفائدتها انها للعطف والتقدير لو تقرب الى الله بملء الارض ذهبا
وقد مات على الكفر لن ينفعه ذلك لو افتدى من العذاب بملء الارض ذهبا لن يقبل
منه وهذا اوكد في التغليظ لانه تصريح بنفي القبول من جميع الوجوه فان قلت الكافر
لا يملك شيئا في الاخرة فما وجه قوله فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا قلت
الكلام ورد على سبيل الفرض والتقدير والمعنى لو ان للكافر قدر ملء الارض ذهبا
يوم القيامة لبذله في تخليص نفسه من العذاب ولكن لا يقدر على شيء من ذلك
قيل معناه لو ان الكافر انفق في الدنيا ملء الارض ذهبا ثم مات على كفره لم ينفعه
ذلك لان الطاعة مع الكفر غير مقبولة اولئك اشارة الى من مات لهم عذاب
اليم وما لهم من ناصرين يعني مانعين يمنعونهم من العذاب ق عن انس بن مالك
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يقول الله عز وجل لاهون اهل النار عذابا يوم القيامة
لو ان لك ما في الارض من شيء كنت تفتدي به فيقول نعم فيقول اردت منك
اهون من هذا وانت في صلب ادم ان لا تشرك بي شيئا فابيت الا الشرك لفظ مسلم
قوله عز وجل لن تنالوا البر قال ابن عباس يعني الجنة وقيل البر هو التقوى وقيل
هو الطاعة وقيل معناه لن تنالوا حقيقة البر ولن تكونوا ابرارا حتى تنفقوا مما تحبون
وقيل معناه لن تنالوا بر الله وهو ثوابه واصل البر التوسع في فعل الخير يقال بر العبد
ربه اي توسع في طاعته وقد يستعمل في الصدق وحسن الخلق لانهما من الخير المتوسع
فيه ق عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الصدق يهدي
الى البر وان البر يهدي الى الجنة وان الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقا
وان الكذب يهدي الى الفجور وان الفجور يهدي الى النار وان الرجل ليكذب
حتى يكتب عند الله كذابا م عن النواس بن سمعان قال سالت رسول الله صلى

عليه وسلم عن البر والاثم فقال البر حسن الخلق والاثم ما حاك في صدرك وكرهت ان
يطلع عليه الناس منك وعلى هذا يكون المعنى عليكم بالاعمال الصالحة حتى تكونوا
ابرارا وتدخلوا في زمرة الابرار ومن قال ان لفظة البر هو الجنة فقال معنى الاية لن
تنالوا ثواب البر المودي الى الجنة حتى تنفقوا مما تحبون يعني من جيد اموالكم وانفسها
عندكم قال الله تعالى ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون وقيل هو ان تنفق من مالك ما انت
محتاج اليه قال الله تعالى ويوثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة ق عن ابي هريرة
قال اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل فقال يا رسول الله اي الصدقة افضل قال
ان تصدق وانت صحيح شحيح تخشى الفقر وتامل الغنى ولا تمهل حتى اذا بلغت الحلقوم قلت
لفلان كذا وكذا الا وقد كان واختلفوا في هذا الانفاق فقال ابن عباس هو الزكاة
المفروضة والمعنى لن تنالوا البر حتى تخرجوا زكاة اموالكم وعلى هذا القول قيل ان الاية منسوخة
باية الزكاة وفيه بعد لانه رغب في اخراج الزكاة وقال ابن عمر المراد بها سائر الصدقات
وقال الحسن كل شي انفقه المسلم من ماله مما يبتغي به وجه الله ويطلب ثوابه حتى التمرة
فانه يدخل في قوله لن تنال البر حتى تنفقوا مما تحبون ق عن انس بن مالك قال كان ابو طلحة
اكثر انصاري بالمدينة مالا وكان احب ماله اليه بيرحاء وكانت مستقبلة المسجد وكان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب قال انس فلما نزلت
هذه الاية لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون قام ابو طلحة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال يا رسول الله ان الله تعالى يقول في كتابه لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وان
احب اموالي الي بيرحاء وانها صدقة لله عز وجل ارجو برها وذخرها عند الله فضعها
يا رسول الله حيث شئت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بخ بخ ذلك مال رابح او قال
ذلك مال رايح ارى ان تجعلها في الاقربين فقال ابو طلحة افعل يا رسول الله فقسمها ابو
طلحة في اقاربه وبني عمه قوله بخ بخ هي كلمة تقال عند المدح والرضى وتكرر للمبالغة
وهي مبنية على السكون فاذا وصلت جرت ونونت فقلت بخ بخ قوله مال رابح اي
ذو ربح وفي الرواية الاخرى ذلك مال رايح بالياء معناه يروح عليك نفعه وثوابه و
بيرحاء اسم موضع بالمدينة وهو حائط كان لابي طلحة وروي عن مجاهد قال كتب عمر بن
الخطاب لابي موسى الاشعري ان يبتاع له جارية من سبي جلولاء يوم فتحت فلما جاءت
اعجبته فقال عمر ان الله عز وجل يقول لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون فاعتقها
عمر عن حمزة بن عبد الله بن عمر ان عبد الله بن عمر خطرت على قلبه هذه الاية لن تنالوا
البر حتى تنفقوا مما تحبون قال عبد الله فذكرت ما اعطاني الله تعالى فما كان شي احب
الي من فلانة فقلت هي حرة لوجه الله تعالى قال ولولا اني اعود في شي جعلته لله
لنكحتها وعن عمرو بن دينار قال لما نزلت هذه الاية لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما
تحبون جاء زيد بن حارثة بفرس له يقال لها سبل كان يحبها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم

فقال تصدق

فقال تصدق بهذه يا رسول الله فاعطاها رسول الله صلى الله عليه وسلم اسامة بن زيد
بن حارثة فقال يا رسول الله انما اردت ان اتصدق بها فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم قد قبلت صدقتك وفي رواية كان زيدا وجد في نفسه فلما
راى ذلك منه النبي صلى الله عليه وسلم فقال اما ان الله قد قبلها وروي ان ابا ذر
نزل به ضيف فقال للراعي ائتني بخير ابلي فجاء بناقة مهزولة فقال للراعي خنتني
فقال الراعي وجدت خير الابل فحلها فذكرت يوم حاجتكم اليه فقال
ان يوم حاجتي اليه ليوم اوضع في حفرتي وقوله تعالى وما تنفقوا من شي يعني من
اي شي كان من طيب تحبونه او خبيث تكرهونه فان الله به عليم اي يعلمه
ويجازيكم به قوله تعالى كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه من
قبل ان تنزل التوراة سبب نزول هذه الاية ان اليهود قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم
انك تزعم انك على ملة ابراهيم وكان ابراهيم لا ياكل لحوم الابل والبانها وانت تاكل
ذلك كله فلست على ملته فقال النبي صلى الله عليه وسلم كان ذلك حلالا لابراهيم قالوا
كلما نحرمه اليوم كان ذلك حراما على نوح وابراهيم حتى انتهى الينا فانزل الله عز وجل
كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه وهو يعقوب من قبل ان تنزل
التوراة يعني ليس الامر على ما تدعيه اليهود من تحريم لحوم الابل على ابراهيم بل كان ذلك
حلالا على ابراهيم واسمعيل واسحاق ويعقوب وانما حرمه يعقوب لسبب من الاسباب
وبقيت تلك الحرمة في اولاده فانكر اليهود ذلك فامرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم باحضار
التوراة وطلب منهم ان يستخرجوا منها ان ذلك حراما على ابراهيم فعجزوا عن ذلك وافتضحوا
وبان كذبهم فيما ادعوا من حرمة هذه الاشياء على ابراهيم وقيل ان اليهود انكروا شرع محمد
صلى الله عليه وسلم وادعوا ان النسخ غير جائز فابطل الله ذلك عليهم واخبر ان كل الطعام
كان حلا لبني اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه فذلك الذي حرمه على نفسه كان
حلالا ثم صار حراما عليه وعلى اولاده فقد حصل النسخ وبطل قول اليهود بان النسخ غير جائز
فانكرت اليهود ذلك وقالوا بل كان ذلك حراما من زمن ادم الى هذا الوقت فالزمهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم باحضار التوراة وقال ان التوراة ناطقة بان انواع الطعام
انما حرم بسبب ان اسرائيل حرمه على نفسه فخاف اليهود من الفضيحة وامتنعوا من احضار
التوراة فحصل بذلك كذبهم وانهم ينسبون الى التوراة ما ليس فيها وبطل قولهم بان
النسخ غير جائز وفي هذا دليل على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وذلك انه صلى الله عليه وسلم
كان رجلا اميا لم يقرا الكتب ولم يعرف ما في التوراة علم ان الذي اخبر به صلى الله عليه وسلم
انه وحي من الله تعالى وقوله كل الطعام يعني كل انواع الطعام او سائر المطعومات كان حلا اي حلالا
لبني اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه هو يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم عليهم السلام واختلفوا
في الذي حرم يعقوب على نفسه فقيل حرم لحوم الابل والبانها وروى الطبري بسنده عن

ابن عباس ان عصابة من اليهود حضرت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا ابا القاسم
اخبرنا اى الطعام حرم اسرايل على نفسه من قبل ان تنزل التوراة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
انشدكم بالذى انزل التوراة على موسى هل تعلمون ان اسرايل يعقوب مرض مرضا شديدا فطال
سقمه منه فنذر لله نذرا لان عافاه الله من سقمه ليحرمن احب الطعام والشراب اليه
وكان احب الطعام اليه لحمان لحم الابل واحب الشراب اليه البانها فقالوا اللهم نعم وقال
ابن عباس هى العروق وكان سبب ذلك انه اشتكى عرق النسا وكان اصل وجعه فيما
روى عن الضحاك ان يعقوب كان نذر لئن وهب الله له اثنى عشر ولدا واتى بيت
المقدس صحيحا ان يذبح احدهم وفى رواية اخرهم فتلقاه ملك من الملايكة وقال يا يعقوب
انك رجل قوى فهل لك فى الصراع فعالجه فلم يصرع احدهما صاحبه فغمزه الملك
غمزة فعرض له عرق النسا من ذلك ثم قال اما انا لو شئت ان اصرعك لفعلت ولكن
غمزتك هذه الغمزة لانك نذرت ان اتيت بيت المقدس صحيحا ذبحت اخر ولدك فجعل
الله لك بهذه الغمزة من ذلك مخرجا فلما قدم يعقوب بيت المقدس اراد ذبح ولده
ونسى ما قال له الملك فاتاه الملك وقال له انما غمزتك للمخرج وقد وفى نذرك فلا سبيل
الى ذبح ولدك وقال ابن عباس فى اخرين اقبل يعقوب من حران يريد بيت المقدس
حين هرب من اخيه العيص وكان يعقوب رجلا بطشا قويا فلقيه ملك فى صورة
رجل فظن يعقوب انه لص فعالجه ان يصرعه فغمز الملك فخذ يعقوب وصعد الى السما
ويعقوب ينظر فهاج به عرق النسا ولقى منه شدة وكان لا ينام الليل من الوجع ويبيت
وله زقاء اى صياح فحلف يعقوب لئن شفاه الله ان لا ياكل عرقا ولا طعاما فيه عرق
فحرمه على نفسه فكان بنوه بعد ذلك يتبعون العروق فيخرجونها من اللحم ولا ياكلونها
وقيل لما اصاب يعقوب ذلك وصف له الاطبا ان يجتنب لحمان الابل فحرمها يعقوب
على نفسه وقيل انما حرم يعقوب لحوم الجزور تعبدا لله تعالى وسال ربه ان يجيز ذلك فحرمه
الله على ولده وهو ظاهر الاية لان الله تعالى قال كل الطعام كان حلا لبنى اسرايل ثم استثنى
ما حرمه اسرايل على نفسه فوجب بحكم الاستثنا ان يكون ذلك حراما على بنى اسرايل اما قوله
من قبل ان تنزل التوراة فمعناه من قبل انزال التوراة كان كل انواع الطعام كانت حلالا
لبنى اسرايل سوى ما حرمه اسرايل على نفسه اما بعد نزول التوراة فقد حرم الله عليهم اشيا
كثيرة من انواع الطعام ثم اختلفوا فى حال هذا الطعام المحرم على بنى اسرايل بعد نزول
التوراة فقال السدى حرم الله عليهم فى التوراة ما كانوا حرموه على انفسهم قبل نزولها وقال
عطية انما كان حراما عليهم بتحريم اسرايل فانه قال ان عافانى الله تعالى لا اكله
ولا ولدى ولم يكن ذلك محرما فى التوراة وقال الكلبى لم يحرمه الله فى التوراة وانما حرم
عليهم بعد نزول التوراة بظلمهم كما قال تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات
احلت لهم وقال تعالى وعلى الذين هادوا حرمنا الى ان قال ذلك جزيناهم ببغيهم

وانا الصادقون

وانا لصادقون فكانت بنو اسرايل اذا اصابوا ذنبا عظيما حرم الله عليهم طعاما طيبا او صب
عليهم رجزا وهو الموت وقال الضحاك لم يكن شى من ذلك حراما عليهم ولا حرمه الله فى
التوراة وانما حرموه على انفسهم اتباعا لابيهم ثم اضافوا تحريمه الى الله عز وجل فكذبهم الله
تعالى فقال تعالى قل فاتوا بالتوراة يعنى قل لهم يا محمد فاتوا بالتوراة فاتلوها اى فاقرؤها
وما فيها حتى يتبين ان الامر كما قلتم ان كنتم صادقين يعنى فيما ادعيتم فلم ياتوا بها وخافوا
الفضيحة فقال تعالى فمن افترى على الله الكذب الافترا اختلاق الكذب والقذف والافترا
واصله من فرى الاديم اى قطعه لان الكاذب يقطع القول من غير حقيقة له فى الوجود
من بعد ذلك اى من بعد ظهور الحجة بان التحريم انما كان من جهة يعقوب ولم يكن محرما قبله
فاولئك هم الظالمون اى هم المستحقون للعذاب لان كفرهم ظلم منهم لانفسهم ولمن اضلوه
عن الدين من بعدهم وهذا رد على اليهود وتكذيب لهم حيث ارادوا براءة ساحتهم مما نعى
عليهم مما نطق به القران من تعديد مساويهم التى كانوا يرتكبونها قل صدق الله يعنى يا محمد
صدق فيما اخبر ان ذلك النوع من الطعام صار حراما على اسرايل واولاده بعد ان كان حلالا
لهم فصح القول بالنسخ وبطل قول اليهود وقيل معناه صدق الله فى قوله ان لحوم الابل و
البانها كانت محللة لابرهيم وانما حرمت على بنى اسرايل بسبب تحريمها اسرايل على نفسه
وقيل صدق الله فى ان ساير الاطعمة تحل على بنى اسرايل وانما حرمت على اليهود جزا على
قبايح افعالهم ففيه تعريض بكذب اليهود والمعنى ثبت ان الله تعالى صادق فيما انزل
واخبر وانتم كاذبون يا معشر اليهود فاتبعوا ملة ابرهيم حنيفا اى اتبعوا ما يدعوكم اليه
محمد صلى الله عليه وسلم من ملة ابرهيم وهو الاسلام وهو الدين الصحيح وهو الذى عليه محمد ومن
امن معه وانما دعاهم الى ملة ابرهيم لانها ملة محمد صلى الله عليه وسلم وما كان من المشركين
اى لم يدع مع الله الها اخر ولا عبد سواه قوله عز وجل ان اول بيت وضع للناس للذى
ببكة سبب نزول هذه الاية ان اليهود قالوا للمسلمين بيت المقدس قبلتنا وهو افضل
من الكعبة واقدم وهو مهاجر الانبيا وقبلتهم وارض المحشر وقال المسلمون بل الكعبة افضل
فانزل الله هذه الاية وقيل لما ادعت اليهود والنصارى انهم على ملة ابرهيم فاكذبهم الله
واخبر ان ابرهيم كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين وامرهم باتباعه فقال تعالى فى الاية
المتقدمة واتبعوا ملة ابرهيم حنيفا ولما كان من اعظم شعاير ملة ابرهيم الحج الى الكعبة
ذكر فى هذه الاية فضيلة البيت ليفرع عليه ايجاب الحج وقوله ان اول بيت وضع للناس
الاول هو الفرد السابق المتقدم على ما سواه وقيل هو اسم للشى الذى يوجد ابتدا
سوا حصل عقيبه شى اخر او لم يحصل والمعنى ان اول بيت وضع اى وضعه الله موضعا
للطاعات والعبادات وقبلة للصلوات وموضعا للحج والطواف وتزداد فيه الخيرات وثواب الطاعات
وكونه وضع للناس يعنى يشترك فيه جميع الناس كما قال تعالى سوا العاكف فيه
والبادى فان قلت كيف اضافه الى نفسه مرة فى قوله وطهر بيتى واضافه الى

الناس مرة اخرى في قوله وضع للناس قلت اما اضافته الى نفسه فعلى سبيل التشريف
والتعظيم له كقوله ناقة الله واما اضافته الى الناس فلانه يشترك فيه جميع الناس
لانه موضع حجهم وقبلة صلاتهم للذي ببكة قيل هي مكة نفسها والعرب تعاقب
بين الباء والميم فيقول ضربة لازب ولازم وقيل بكة اسم موضع البيت ومكة اسم
للبلد وفي اشتقاق بكة وجهان احدهما انه من البك الذي هو عبارة عن الدفع
يقال بكه يبكه اذا دفعه وزاحمه فلهذا قال سعيد بن جبير سميت بكة لان الناس يتباكون
فيها اي يزدحمون في الطواف وهو قول محمد بن علي الباقر ومجاهد وقتادة الوجه
الثاني سميت بكة لانها تبك اعناق الجبابرة اي تدقها ولم يقصدها جبار بسوء
الا قصمه الله تعالى وهذا قول عبد الله بن الزبير واما مكة سميت بذلك لقلة مائها
من قول العرب مك الفصيل ضرع امه وامتكه اذا امتصه اي مص كل ما فيه من اللبن
وقيل لانها تمك الذنوب اي تزيلها وسميت ام رحم لان الرحمة تنزل بها والباطمة لانها
تحطم من استخف بحرمتها او لان الناس يحطم بعضهم بعضا من الزحمة وسميت ام القرى لانها
اصل كل بلد من تحتها دحيت الارض ح واختلف العلماء في كون البيت اول بيت وضع للناس
على قولين احدهما انه اول في الوضع والبناء قال مجاهد خلق الله هذا البيت قبل ان يخلق
شيئا من الارضين وفي رواية عنه ان الله خلق موضع البيت قبل ان يخلق شيئا من الارض
بالفي عام وقيل هو اول بيت ظهر على وجه الماء عند خلق السموات والارض خلقه قبل الارض
بالفي عام وكان زبدة بيضاء على وجه الماء فدحيت الارض من تحته وهذا قول ابن عمر
ومجاهد وقتادة والسدي وقيل هو اول بيت بني على الارض وروي عن علي بن الحسين
ابن علي ان الله تعالى وضع تحت العرش بيتا وهو البيت المعمور وامر الملائكة ان يطوفوا به
ثم امر الملائكة الذين في الارض ان يبنوا بيتا في الارض على مثاله وقدره فبنوا هذا البيت
واسمه الضراح وامر من في الارض ان يطوفوا به كما يطوف اهل السماء بالبيت المعمور وروي
ان الملائكة بنوه قبل خلق ادم بالفي عام وكانوا يحجونه فلما حجه ادم قالت الملائكة بر حجك
يا ادم قد حججنا هذا البيت قبلك بالفي عام وقال ابن عباس انه اول بيت بناه ادم
في الارض وقيل ان ادم لما اهبط الى الارض استوحش وشكى الوحشة فامره الله تعالى
ببناء الكعبة فبناها وطاف بها وبقي ذلك البناء الى زمن نوح فلما كان الطوفان رفع
الله البيت الى السماء وبقي موضع البيت اكمة بيضاء الى ان بعث الله ابراهيم عليه السلام
فامره ببنايه القول الثاني ان المراد من الاولية كون هذا اول بيت وضع للناس مباركا
ويدل عليه سياق الاية وهو قوله للذي ببكة مباركا روي ان رجلا قام الى علي بن ابي
طالب فقال الا تخبرني عن البيت اهو اول بيت وضع في الارض قال لا قد كان
قبله بيوت ولكنه اول بيت وضع للناس مباركا وهدى فيه مقام ابراهيم ومن
دخله كان امنا وقال الحسن هو اول مسجد عبد الله فيه وقال مطرف هو اول بيت

وضع

وضع للعبادة وقال الضحاك هو اول بيت وضع فيه البركة واول بيت وضع للناس
يحج اليه واول بيت جعل قبلة للناس ق عن ابي ذر قال سالت رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن اول مسجد وضع في الارض قال المسجد الحرام قلت ثم اي قال المسجد الاقصى
قلت كم بينهما قال اربعون عاما ثم الارض لك مسجد فحيث ما ادركت الصلاة
فصل زاد البخاري فان الفضل فيه وقوله تعالى مباركا يعني ذا بركة واصل البركة
النمو والزيادة وقيل هو ثبوت الخير الالهي فيه وقيل هو اول بيت خص بالبركة
وزيادة الخير وقيل لان الطاعات وساير العبادات تضاعف ويزداد ثوابها عنده
ق عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال صلاة في مسجدي افضل
من الف صلاة فيما سواه من المساجد سوى المسجد الحرام وهدى للعالمين يعني
انه قبلة للمومنين يهتدون به الى جهة صلاتهم وقيل لان فيه دلالة على وجود
الصانع المختار لما فيه من الايات التي لا يقدر عليها غيره وقيل هو هدى للعالمين الى الجنة
لان من قصده بان صلى اليه او حجه فقد اوجب الله تعالى له الجنة برحمته قوله تعالى
فيه ايات بينات اي فيه دلالات واضحات على حرمته ومزيد فضله ثم اختلفوا في
تفسير تلك الايات فقيل هي قوله مقام ابراهيم ومن دخله كان امنا وقيل الايات
غير مذكورة وهي ما يدل على فضل هذا البيت منها ان الطير لا تطير فوق الكعبة في
الهوى بل ينحرف عنه اذا وصلت اليه يمينا وشمالا ومنها ان الوحش لا يوذي
بعضها في الحرم حتى الكلاب لا تهيج الصيد ولا القطا ومنها ان الطير اذا مرض منها
شي استشفى بالكعبة ومنها تعجيل العقوبة لمن انتهك حرمة البيت وما قصده
جبار بسوء الا اهلكه الله كما اهلك اصحاب الفيل وغيرهم ومن الايات التي في
الحجر الاسود والملتزم والحطيم وزمزم ومشاعر الحج التي فيه كلها من الايات ومنها ان
الامر ببناء هذا البيت هو الجليل والمهندس له جبريل والباني له ابراهيم الخليل والمساعد
له هو اسماعيل عم فهذه فضيلة عظيمة لهذا البيت قوله تعالى مقام ابراهيم يعني الحجر الذي
كان يقوم عليه عند بناء البيت وكان فيه اثر قدمي ابراهيم فاندرس من كثرة المسح
بالايدي ومن دخله كان امنا قيل لما كانت الايات المذكورة عقيب قوله ان اول بيت
وضع للناس موجودة في جميع الحرم علم ان المراد بقوله ومن دخله كان امنا جميع
الحرم ويدل عليه ايضا دعوة ابراهيم حيث قال رب اجعل هذا البلد امنا يعني من
يهاج فيه وكانت العرب يقتل بعضهم بعضا ويغير بعضهم على بعض وكان من دخل الحرم
امن من القتل والغارة وهو المراد من حكم الاية على قول اكثر المفسرين قال الله تعالى
اولم يروا انا جعلنا حرما امنا ويتخطف الناس من حولهم وقيل في معنى الاية ومن دخله
عام عمرة القضاء مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كان امنا وقيل هو خبر بمعنى الامر
تقديره ومن دخله فامنوه وهو قول ابن عباس حتى ذهب ابو حنيفة الى ان من وجب

عليه القتل قصاصا كان او حدا فالتجى الى الحرم امن لكنه لا يطعم ولا يبايع ولا يشارى ولا يكلم
ولا يضيق عليه حتى يخرج من الحرم فيقام عليه الحد خارج الحرم وقال الشافعي اذا وجب عليه
القصاص خارج الحرم ثم لجى الى الحرم استوفى منه في الحرم واجمعوا على انه لو قتل
في الحرم او سرق او زنى فانه يستوفى منه الحد في الحرم عقوبة له وقيل معنى الاية
ومن دخله معظما له متقربا بذلك الى الله كان امنا من العذاب يوم القيامة وقيل
من دخله كان امنا من الذنوب التي اكتسبها قبل ذلك قوله عز وجل ولله على الناس
حج البيت اى ولله على الناس فرض حج البيت والحج احد اركان الاسلام ق عن ابن
عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بني الاسلام على خمس شهادة ان لا اله الا الله
وان محمدا رسول الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة والحج وصوم رمضان فعد النبي صلى الله
عليه وسلم الحج من اركانه الخمسة من استطاع اليه سبيلا يعني وفرض الحج واجب على من استطاع
من اهل التكليف وجد السبيل الى حج البيت الحرام فصل في فضل البيت والحج والعمرة
ق عن ابي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اول بيت وضع للناس مباركا
يصلى فيه الكعبة قلت ثم اى قال المسجد الاقصى قلت كم بينهما قال اربعون عاما عن ابن
عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل الحجر الاسود من الجنة وهو اشد بياضا
من اللبن وانما سودته خطايا بني ادم اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحجر والله ليبعثنه الله يوم القيامة له عينان
يبصر بهما ولسان ينطق به يشهد على من استلمه بحق وله عن عبد الله بن عمرو بن العاص
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الركن والمقام ياقوتتان من ياقوت
الجنة طمس الله نورهما لاضاءتا ما بين المشرق والمغرب قال الترمذي وهذا يروى عن
عمرو موقوفا ق عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تشد الرحال الا الى ثلاثة
مساجد المسجد الحرام ومسجد الرسول والمسجد الاقصى ق عن ابي سعيد الخدري ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد مسجدي هذا والمسجد الحرام
والمسجد الاقصى م عن ابي هريرة قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ايها الناس
قد فرض عليكم الحج فحجوا فقال رجل في كل عام يا رسول الله فسكت حتى قالها ثلاثا فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لو قلت نعم لوجبت لما استطعتم عن ابن عمر قال جاء رجل
الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ما يوجب الحج قال الزاد والراحلة اخرجه الترمذي
وقال حديث حسن وابراهيم بن يزيد الخوزي المكي قد تكلم فيه بعض اهل العلم من قبل
حفظه ق عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال العمرة الى العمرة كفارة
لما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة وفي رواية قال سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول من حج لله عز وجل وفي لفظ من حج هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق رجع
كيوم ولدته امه اخرجه الترمذي وقال غفر الله له ما تقدم من ذنبه عن ابن مسعود

ان رسول

ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تابعوا بين الحج والعمرة فانهما ينفيان الذنوب
والفقر كما ينفي الكير خبث الحديد والذهب والفضة وليس لحجة مبرورة ثواب الا الجنة
وما من مؤمن يظل يومه محرما الا غابت الشمس بذنوبه اخرجه الترمذي وقال
حديث حسن صحيح غريب وله عن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما من مسلم يلبي الا لبى من عن يمينه وشماله من حجر او شجر او مدر حتى تنقطع الارض من هاهنا
وهاهنا قال الترمذي هذا حديث غريب وله عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من طاف بالبيت خمسين مرة خرج من ذنوبه كيوم ولدته امه قال الترمذي
هذا حديث غريب فصل في احكام تتعلق بالحج قال العلماء الحج واجب على كل مسلم وهو
احد اركان الاسلام الخمسة ولوجوب الحج خمس شرائط الاسلام والعقل والبلوغ والحرية
والاستطاعة ولا يجب على الكافر والمجنون ولو حجا لم يصح لان الكافر ليس من اهل القربة
ولا حكم لقول المجنون ولا يجب على الصبي والعبد ولو حج صبي يعقل وعبد صح حجهما
تطوعا ولا يسقط الفرض فاذا بلغ الصبي وعتق العبد واجتمع فيهما شرائط الحج وجب
عليهما ان يحجا ثانيا ولا يجب على غير المستطيع الحج ولو حج صح حجه وسقط عنه فرض حجة الاسلام
والاستطاعة نوعان احدهما ان يكون مستطيعا بنفسه فهو ان يكون قويا قادرا على
الذهاب ووجد الزاد والراحلة لما تقدم من حديث ابن عمر في الزاد والراحلة قال ابن المنذر
وحديث الزاد والراحلة لا يثبت لانه ليس بمتصل وانما المرفوع انما رواه ابراهيم بن يزيد عن
محمد بن عباد عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم وابراهيم متروك الحديث قال يحيى بن معين
ابراهيم ليس بثقة قال ابن المنذر واختلف العلماء في قوله من استطاع اليه سبيلا فقالت طائفة
الاية على العموم اذ لا نعلم خبرا ثابتا عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا اجماعا لاهل العلم يوجب ان
يستثنى من ظاهر الاية بعضا فعلى كل مستطيع للحج يجد اليه السبيل باي وجه كانت الاستطاعة
الحج على ظاهر الاية قال روينا عن عكرمة انه قال الاستطاعة الصحة وقال الضحاك اذا كان
شابا صحيحا فليوجر نفسه باكله وعقبه حتى يقضي نسكه وقال مالك الاستطاعة على
اطاقة الناس الرجل يجد الزاد والراحلة ولا يقدر على المشي واخر يقدر على المشي على رجليه
وقالت طائفة الاستطاعة الزاد والراحلة كذلك قال الحسن وسعيد بن جبير ومجاهد
واحمد بن حنبل واحتجوا بحديث ابن عمر المتقدم وقال الشافعي الاستطاعة وجهان احدهما
ان يكون الرجل مستطيعا ببدنه واجدا من ماله ما يبلغه الحج فتكون استطاعته تامة فعليه فرض
الحج والثاني لا يقدر ان يثبت على الراحلة وهو قادر على من يطيعه اذا امره ان يحج عنه
او قادر على مال ويجد من يستاجره فيحج عنه فيكون هذا ممن لزمه فرض الحج اما حكم الزاد
والراحلة فهو ان يجد راحلة تصلح له ووجد من الزاد ما يكفيه لذهابه ورجوعه فاضلا عن
نفقته ونفقة من تلزمه نفقتهم وكسوتهم وعن دين ان كان عليه ووجد رفقة
يخرجون في وقت جرت العادة بخروج اهل البلد في ذلك الوقت فان خرجا قبله

اوا فوو الخروج الى وقت لا يصلون الا بقطع اكثر من مرحلة لا يلزمه الخروج معهم ويشترط ان يكون الطريق امنا فان كان فيه خوف من عدو مسلم او كافر او رصدي يطلب الخفارة لا يلزمه ويشترط ان يكون منازل الماء معلومة يجد فيها ما جرت العادة بوجوده من الماء والزاد فان تفرق اهلها بالجدب او غار مياهها فلا يلزمه الخروج ولو لم يجد الراحلة وهو قادر على المشي او لم يجد الزاد وهو قادر على الاكتساب لا يلزمه الحج عند من جعل وجدان الزاد والراحلة شرطا لوجوب الحج ويستحب له ان يفعل ذلك ويلزمه الحج عند مالك واما المستطيع بغيره فهو ان يكون الرجل عاجزا بنفسه بان كان زمنا او به مرض لا يرجى برؤه وله مال يمكنه ان يستاجر من يحج عنه فيجب عليه ان يستاجر من يحج عنه وان لم يكن له مال وبذل له ولده او اجنبي الطاعة في ان يحج عنه لزمه الحج ان كان يعتمد على صدقه لان وجوب الحج متعلق بالاستطاعة وعند ابي حنيفة لا يجب الحج ببذل الطاعة وعند مالك لا يجب الحج على من عضب اصلا وحجة من اوجب الحج ببذل الطاعة ما روي عن ابن عباس قال كان الفضل بن عباس رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءته امراة من خثعم تستفتيه فجعل الفضل ينظر اليها وتنظر اليه فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يصرف وجه الفضل الى الشق الاخر قالت يا رسول الله ان فريضة الله على عباده في الحج ادركت ابي شيخا كبيرا لا يستطيع ان يثبت على الراحلة افاحج عنه قال نعم وذلك في حجة الوداع اخرجاه في الصحيحين قوله تعالى ومن كفر فان الله غني عن العالمين يعني ومن جحد ما الزمه الله من فرض حج بيته وكفر به فان الله غني عنه وعن حجه وعمله وعن جميع خلقه وقيل نزلت فيمن وجد ما يحج به ومات ولم يحج فهو كفر به لما روي عن علي بن ابي طالب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ملك زادا وراحلة تبلغه الى بيت الله ولم يحج فلا عليه ان يموت يهوديا او نصرانيا وذلك ان الله تعالى يقول ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا اخرجه الترمذي وقال هذا حديث غريب لا نعرفه الا من هذا الوجه وفي اسناده مقال وهلال ابن عبد الله مجهول والحرث يضعف في الحديث وقيل هو الذي ان حج لم يره برا وان قعد لم يره اثما وقيل نزلت في اليهود وغيرهم من اصحاب الملل حيث قالوا انا مسلمون فنزلت ولله على الناس حج البيت فلم يحجوا وقالوا الحج الى مكة غير واجب وكفروا به فنزلت ومن كفر فان الله غني عن العالمين فعلى هذه الاقوال يكون هذه الاية متعلقة بما قبلها وقيل انها كلام مستانف ومعناه ومن كفر بالله واليوم الاخر فان الله غني عن العالمين قوله تعالى قل يا اهل الكتاب قيل الخطاب لعلماء اهل الكتاب الذين علموا صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل الخطاب لجميع اهل الكتاب اليهود والنصارى الذين انكروا نبوته لم تكفرون بايات الله يعني الايات الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وانه حق وصدق والمعنى لم تكفرون بايات

الله التي

الله التي دلتكم على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل المراد بايات الله القران ومحمد صلى الله عليه وسلم والله شهيد على ما تعملون اي والله شهيد على اعمالكم فيجازيكم عليها قل يا اهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من امن يعني لم تصرفون عن دين الله من امن وكان صدهم عن سبيل الله بالقاء الشبهة والشكوك وذلك بانكارهم صفة محمد صلى الله عليه وسلم في كتبهم تبغونها عوجا يعني زيغا وميلا عن الحق والعوج بالكسر الزيغ والميل عن الاستواء في الدين والقول والعمل وكل ما لا يرى فاما الشيء الذي يرى كالحائط والقناة ونحو ذلك فيقال فيه عوج بفتح العين والهاء في قوله تبغونها عائدة على السبيل والمعنى لم تطلبون الزيغ والميل في سبيل الله بالقاء الشبهة في قلوب الضعفة وانتم شهداء قال ابن عباس يعني وانتم شهداء ان في التوراة مكتوبا نعت محمد صلى الله عليه وسلم وصفته وان دين الله لا يقبل غيره هو الاسلام وقيل معناه وانتم تشهدون المعجزات التي تظهر على يد محمد صلى الله عليه وسلم الدالة على نبوته وما الله بغافل عما تعملون فيه وعيد وتهديد لهم وذلك انهم كانوا يجتهدون ويحتالون بالقاء الشبهة في قلوب الناس ليصدوهم عن سبيل والتصديق بمحمد صلى الله عليه وسلم فلذلك قال الله تعالى وما الله بغافل عما تعملون قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا ان تطيعوا فريقا من الذين اوتوا الكتاب الاية قال زيد بن اسلم مر شاس بن قيس اليهودي وكان شيخا عظيم الكفر شديد الطعن على المسلمين فمر بنفر من الاوس والخزرج وهم في مجلس يتحدثون فيه فغاظه ما راى من الفتهم وصلاح ذات بينهم في الاسلام بعد الذي كانت بينهم من العداوة في الجاهلية وقال قد اجتمع ملا بني قيلة بهذه البلاد والله ما لنا معهم اذا اجتمعوا من قرار فامر شابا من اليهود وكان معه فقال له اعمد اليهم واجلس معهم ثم ذكرهم يوم بعاث وما كان قبله وانشدهم بعض ما كانوا يتقاولون فيه من الاشعار وكان يوم بعاث يوما اقتتلت فيه الاوس والخزرج وكان الظفر فيه للاوس على الخزرج ففعل فتكلموا عند ذلك وتنازعوا وتفاخروا حتى تواثب رجلان من الحيين على الركب وهما اوس بن قيظي احد بني حارثة من الاوس وجبار بن صخر احد بني سلمة من الخزرج فتقاولا فقال احدهما لصاحبه ان شئتم والله رددناها الان جذعة وغضب الفريقان جميعا وقالا قد فعلنا السلاح موعدكم الظاهرة وهي الحرة فخرجوا اليها وانضمت الاوس والخزرج بعضهم الى بعض على دعواهم في الجاهلية فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج اليهم فيمن معه من المهاجرين حتى جاءهم فقال يا معشر المسلمين ابدعوى الجاهلية وانا بين اظهركم بعد اذ اكرمكم الله بالاسلام وقطع عنكم امر الجاهلية والف بينكم ترجعون الى ما كنتم عليه كفارا فعرف القوم انها نزغة من الشيطان وكيد

من عدوهم فالقوا السلاح من ايديهم وبكوا واعتنق بعضهم بعضا ثم انصرفوا مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم سامعين مطيعين قال جابر فما رايت يوما اقبح اولا واحسن
اخرا من ذلك اليوم فانزل عز وجل يا ايها الذين امنوا ان تطيعوا فريقا من الذين اوتوا
الكتاب يعني شاسا اليهودي واصحابه يردوكم بعد ايمانكم كافرين والكفر يوجب
الهلاك في الدنيا بوقوع العداوة والبغضا وهيجان الفتنة والحرب وسفك
الدما وفي الاخرة النار ثم قال تعالى وكيف تكفرون وانتم تتلى عليكم ايات الله
وفيكم رسوله وكلمة كيف تعجب والتعجب انما يليق بمن لا يعلم السبب وذلك
على الله محال فالمراد منه المنع والتغليظ وذلك لان تلاوة ايات الله وهي
القران حالا بعد حال وكون رسول الله صلى الله عليه وسلم يرشدكم الى مصالحكم وذلك
يمنع من وقوع الكفر فكان وقوع الكفر منهم بعيد على هذا الوجه قال قتادة في
هذه الاية علمان بينان كتاب الله ونبي الله صلى الله عليه وسلم اما نبي الله فقد
مضى واما كتاب الله فقد ابقاه الله بين اظهركم رحمة منه ونعمة عن زيد بن ارقم
قال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فينا خطيبا بما يدعى خما بين مكة
والمدينة فحمد الله واثنى عليه ووعظ وذكر ثم قال اما بعد الا ايها الناس انما انا بشر
يوشك ان ياتيني رسول ربي فاجيب واني تارك فيكم ثقلين اولهما كتاب الله
فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واهل بيتي اذكركم الله في اهل بيتي وقوله تعالى
ومن يعتصم بالله اي يمتنع بالله ويستمسك بدينه وطاعته واصل العصمة الامتناع
من الوقوع في افة وفيه حث لهم في الالتجا الى الله تعالى في دفع شر الكفار عنهم فقد هدي
الى صراط مستقيم اي طريق واضح وهو طريق الحق المودي الى الجنة قوله تعالى يا ايها
الذين امنوا اتقوا الله حق تقاته قال مقاتل بن حيان كان بين الاوس والخزرج
عداوة في الجاهلية وقتال فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة اصلح بينهم
فافتخر بعد ذلك منهم رجلان وهما ثعلبة بن غنم من الاوس واسعد بن زرارة
من الخزرج فقال الاوسي منا خزيمة بن ثابت ذو الشهادتين ومنا حنظلة غسيل
الملائكة ومنا عاصم بن ثابت بن افلح حمي الدبر ومنا سعد بن معاذ الذي اهتز
عرش الرحمن له ورضي الله بحكمه في بني قريظة وقال الخزرجي منا اربعة احكموا القران
ابي بن كعب ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت وابو زيد ومنا سعد بن عبادة
خطيب الانصار ورئيسهم فجرى الحديث بينهما فغضبا وانشدا الاشعار وتفاخرا فجا
الاوس والخزرج ومعهم السلاح فاتاهم النبي صلى الله عليه وسلم فاصلح بينهم فانزل الله
عز وجل هذه الاية يا ايها الذين امنوا اتقوا الله حق تقاته قال ابن عباس هو ان يطاع
فلا يعصى ويشكر فلا يكفر ويذكر فلا ينسى وقال مجاهد هو ان تجاهدوا في الله حق
جهاده ولا تاخذكم في الله لومة لائم وتقوموا لله بالقسط ولو على انفسكم واباءكم

وابنايكم

وابنائكم وعن انس قال لا يتقي الله عبد حق تقاته حتى يخزن لسانه وقيل حق تقاته
يعني واجب واجتناب المحارم واختلف العلما في هذا القدر من هذه الاية هل
هو منسوخ ام لا على القولين احدهما انه منسوخ وذلك انه لما نزلت هذه الاية
شق ذلك على المسلمين وقالوا يا رسول الله من يقوى على هذا فانزل الله الناسخ
وهو قوله تعالى في سورة التغابن فاتقوا الله ما استطعتم وهذا قول ابن عباس
وسعيد بن جبير وقتادة وابن زيد والسدي والقول الثاني انها محكمة غير
منسوخة وهو رواية عن ابن عباس ايضا وبه قال طاوس وموجب هذا
الاختلاف يرجع الى معنى الاية فمن قال انها منسوخة قال حق تقاته هو ان ياتي
العبد بكل ما يجب لله ويستحقه فهذا يعجز العبد عن الوفا به فتحصيله ممتنع
ومن قال بانها محكمة قال ان حق تقاته اداء ما يلزم العبد على قدر طاقته فكان
قوله فاتقوا الله ما استطعتم مفسرا لحق تقواه لا ناسخا ولا مخصصا فمن اتقى الله
ما استطاع فقد اتقاه حق تقواه وقيل حق تقاته كما يجب ان يتقى وذلك
ان يجتنب جميع معاصيه وقيل في معنى قول ابن عباس هو ان يطاع فلا يعصى
هذا صحيح والذي يصدر عن العبد على سبيل السهو والنسيان غير قادح فيه
لان التكليف في تلك الحال مرفوع عنه وكذلك قوله وان يشكر فلا يكفر
فواجب على العبد حضور ما انعم الله عليه بالبال فاما عند السهو فلا يجب عليه
وكذلك قوله وان يذكر ولا ينسى فان هذا انما يجب عند الدعا والعبادة
لا عن السهو والنسيان وقوله تعالى ولا تموتن الا وانتم مسلمون لفظ النهي واقع
على الموت والمعنى واقع على الامر بالاقامة على الاسلام المعنى كونوا على الاسلام
فاذا ورد عليكم الموت صادفكم على ذلك وقيل هذا في الحقيقة نهي عن ترك
الاسلام المعنى لا تتركوا الاسلام فان الموت لا بد منه فمتى جاكم صادفكم وانتم على
الاسلام لانه لما كان يمكنكم الثبات على الاسلام حتى اذا اتاهم الموت اتاهم وهم
على الاسلام صار الموت بمنزلة ما قد دخل في امكانهم وقيل معناه ولا تموتن
الا وانتم مسلمون مخلصون مفوضون الى الله اموركم محسنون الظن به عز وجل
عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قرا هذه الاية اتقوا الله حق
تقاته ولا تموتن الا وانتم مسلمون فقال لو ان قطرة من الزقوم قطرت في دار
الدنيا لافسدت على اهل الدنيا معايشهم فكيف بمن يكون طعامه اخرجه الترمذي
وقال حديث حسن صحيح قوله عز وجل واعتصموا بحبل الله جميعا اي تمسكوا بحبل الله
والحبل هو السبب الذي يتوصل به الى البغية وسمي الايمان حبلا لانه سبب
يتوصل به الى زوال الخوف وقيل حبل الله هو السبب الذي يتوصل اليه فعلى
هذا اختلفوا في معنى الاية فقال ابن عباس معناه تمسكوا بدين الله لانه

سبب يتوصل به وقيل حبل الله هو القرآن لانه ايضا سبب يوصل به وفي افراد
مسلم من حديث زيد بن ارقم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال واني تارك فيكم
ثقلين احدهما كتاب الله هو حبل الله من اتبعه كان على الهدى ومن تركه على
ضلالة الحديث عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان هذا القرآن
هو حبل الله المتين وهو النور المبين والشفا النافع عصمة لمن تمسك به ذكره
البغوي بغير سند وقال ابن مسعود هو الجماعة وقال عليكم بالجماعة فانها حبل الله
الذي امر به وانما تكرهون في الجماعة والطاعة خير مما تحبون في الفرقة وقيل
بحبل الله يعني بامر الله وطاعته ولا تفرقوا يعني كما تفرقت اليهود والنصارى
وقيل ولا تفرقوا يعني كما كنتم متفرقين في الجاهلية متدابرين يعادي بعضكم بعضا
ويقتل بعضكم بعضا وقيل معناه لا تحدثوا ما يكون عنه التفرق ويزول معه
الاجتماع والالفة التي انتم عليها ففيه النهي عن التفرق والاختلاف والامر
بالاتفاق والاجتماع لان الحق لا يكون الا واحدا وما عداه يكون جهلا وضلالا
واذا كانت كذلك وجب النهي عن الاختلاف في الدين وعن الفرقة لان كل
ذلك عادة اهل الجاهلية فنهوا عنه وروى البغوي بسنده عن ابي هريرة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله يرضى لكم ثلثا ويسخط لكم
ثلثا يرضى لكم ان تعبدوه ولا تشركوا به شيئا وان تعتصموا بحبل الله جميعا وان
تناصحوا من ولي الله امركم ويسخط لكم قيل وقال واضاعة المال وكثرة السوال
قوله تعالى واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته
اخوانا قال محمد بن اسحاق وغيره من اهل الاخبار كان الاوس والخزرج
اخوين لاب وام فوقعت بينهما عداوة وقتيل ثم تطاولت تلك العداوة والحروب
بينهم مائة وعشرين سنة الى ان اطفا الله ذلك بالاسلام والف بينهم بنبيه عليه
الصلاة والسلام وسبب ذلك ان سويد بن الصامت اخا بني عمرو بن عوف
وكان شريفا تسميه قومه الكامل لجلده ونسبه قدم مكة حاجا او معتمرا وكان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قد بعث وامر بالدعوة فتصدى له حين سمع به ودعاه الى الله
عز وجل والى الاسلام فقال له سويد فلعل الذي معك مثل الذي معي فقال له رسول
الله صلى الله عليه وسلم اعرضها علي فعرضها عليه فقال هذا الكلام حسن ومعي كلام
افضل من هذا قرآن انزله الله علي نور وهدى فتلى عليه القرآن ودعاه الى الاسلام
فلم يبعد منه وقال ان هذا القول حسن ثم انصرف الى المدينة فلم يلبث ان قتله
الخزرج يوم بعاث وان قومه يقولون قد قتل وهو مسلم ثم قدم ابو الحيسر انس
ابن رافع ومعه فتية من بني عبد الاشهل فيهم اياس بن معاذ يلتمسون
الحلف من قريش على قومهم من الخزرج فلما سمع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم

اتاهم

اتاهم وجلس اليهم وقال لهم هل لكم الى خير مما جئتم له قالوا وما هو قال انا رسول الله
قد بعثني الله الى العباد ادعوهم الى ان لا يشركوا به شيئا وانزل علي الكتاب ثم ذكر
الاسلام وتلى عليهم القرآن قال اياس بن معاذ وكان غلاما حدثا اي قوم هذا والله
خير مما جئتم به فاخذ ابو الحيسر حفنة من البطحاء فضرب بها وجه اياس وقال
دعنا منك فلعمري قد جئنا لغير هذا فصمت اياس وقام رسول الله صلى الله عليه
وسلم عنهم وانصرفوا الى المدينة فكانت وقعة بعاث بين الاوس والخزرج ثم لم
يلبث اياس بن معاذ ان هلك فلما اراد الله عز وجل اظهار دينه واعزاز
نبيه صلى الله عليه وسلم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في الموسم الذي لقيه
فيه النفر من الانصار فعرض نفسه على القبائل من العرب كما كان يصنع في
كل موسم فلقي عند العقبة رهطا من الخزرج واراد الله بهم خيرا وهم ستة نفر
اسعد بن زرارة وعوف بن حرث وهو ابن عفرا ونافع بن مالك العجلاني وقطبة
ابن عامر بن حديدة وعقبة بن عامر بن نابي وجابر بن عبد الله رضي الله عنهم
فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من انتم قالوا نفر من الخزرج قال امن
موالي اليهود قالوا نعم قال افلا تجلسون حتى اكلمكم قالوا بلى فجلسوا معه
فدعاهم الى الله عز وجل وعرض عليهم الاسلام وتلا عليهم القرآن قال وكان
مما صنع الله بهم في الاسلام ان اليهود كانوا معهم ببلادهم وكانوا اهل الكتاب
وعلم وهم اهل اوثان وشرك وكانوا اذا كان بينهم شيء قالوا ان نبيا الآن
مبعوث قد اظل زمانه نتبعه ونقتلكم معه قتل عاد وارم فلما كلم رسول الله
صلى الله عليه وسلم اولئك النفر ودعاهم الى الله قال بعضهم لبعض يا قوم تعلمون
والله انه النبي الذي توعدكم به اليهود فلا يسبقنكم اليه فاجابوه وصدقوه
واسلموا وقالوا انا قد تركنا قومنا ولا قوم بينهم العداوة والشر ما بينهم فعسى الله
ان يجمعهم بك وسنقدم عليهم وندعوهم الى امرك فان يجمعهم الله عليك
فلا رجل اعز منك ثم انصرفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعين الى بلادهم
فلما قدموا المدينة ذكروا لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعوهم الى الاسلام
حتى فشا فيهم فلم يبق دار من دور الانصار الا وفيها ذكر رسول الله صلى الله عليه
وسلم حتى اذا كان العام المقبل وافى الموسم من الانصار اثنا عشر رجلا وهم
اسعد بن زرارة وعوف ومعاذ ابنا عفرا ورافع بن مالك العجلاني وذكوان
بن عبد القيس وعبادة بن الصامت ويزيد بن ثعلبة وعباس بن عبادة
وعقبة بن عامر وقطبة بن عامر فهؤلاء خزرجيون وابو الهيثم بن التيهان
وعويم بن ساعدة من الاوس فلقوه بالعقبة وهي العقبة الاولى فبايعوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم على بيعة النساء على ان لا يشركوا بالله شيئا

ولا يسرقن ولا يزنين الاية فان وفيتم فلكم الجنة وان غشيتم شيا من ذلك فاخذتم
بحده في الدنيا فهو كفارة وان ستر عليكم فامركم الى الله عز وجل ان شا عذبكم وان
شا غفر لكم قال وذلك قبل ان يفرض الحرب قال فلما انصرف القوم بعث معهم
مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف وامره ان يقريهم القران ويعلمهم الاسلام
ويفقههم وكان يسمى مصعب بالمدينة المقرى وكان منزله على اسعد بن زرارة ثم ان
اسعد ابن زرارة خرج ومصعب فدخل به حايطا من حوايط بني ظفر فجلسا في
الحايط واجتمع اليهما رجال ممن اسلم فقال سعد بن معاذ لاسيد بن حضير انطلق الى
هذين الرجلين الذين اتيا دارنا ليسفها ضعفانا فازجرهما فان اسعد بن خالتي ولولا
ذلك لكفيتك وكان سعد بن معاذ واسيد بن حضير سيدي قومهما من بني عبد
الاشهل وهما يومئذ مشركان فاخذ اسيد بن حضير حربته ثم اقبل على مصعب واسعد
وهما جالسان في الحايط فلما راه اسعد ابن زرارة قال لمصعب هذا سيد قومه وقد جاءك
فاصدق الله فيه قال مصعب ان يجلس اكلمه فلما وقف عليهما متشتما وقال ما جايكما
الينا تسفهان ضعفانا اعتزلا ان كانت لكما في انفسكما حاجة فقال له مصعب او تجلس
فتسمع فان رضيت امرا قبلته وان كرهته كف عنك ما تكره قال انصفت ثم ركز حربته
وجلس اليهما فكلمه مصعب بالاسلام وقرا عليه القران قالا والله لعرفنا الاسلام في وجهه
قبل ان يتكلم في اشراقه وتسهله ثم قال ما احسن هذا واجمله كيف تصنعون اذا
اردتم ان تدخلوا في هذا الدين قالا تغتسل وتطهر ثوبك وتشهد شهادة الحق ثم تصلي
ركعتين ثم قال ان ورائي رجلا ان اتبعكما لم يتخلف عنه احد من قومه وسارسله اليكما
الان سعد بن معاذ ثم اخذ حربته فانصرف الى سعد وقومه وهم جلوس في ناديهم
فلما نظر سعد الى اسيد مقبلا قال احلف بالله لقد جاكم اسيد بغير الوجه الذي ذهب
به من عندكم فلما وقف اسيد على النادي قال له سعد ما فعلت قال كلمت الرجلين
فوالله ما رايت بهما باسا وقد نهيتهما فقالا لا نفعل الا ما احببت وقد حدثت
ان بني حارثة خرجوا الى اسعد بن زرارة ليقتلوه وذلك انهم عرفوا انه ابن خالتك
ليخفروك فقام سعد مغضبا للذي ذكره من بني حارثة فاخذ الحربة ثم قال والله ما اراك
اغنيت شيا فانصرف اليهما فلما راهما مطمينين عرف ان اسيدا انما اراد ان يسمع
منهما فوقف عليهما متشتما ثم قال لاسعد بن زرارة لولا ما بيني وبينك من القرابة
ما رمت هذا مني تغشانا في دارنا بما نكره وقد كان قال اسعد لمصعب جاءك والله
سيد قومه ان يتبعك لم يخالفك احد منهم فقال له مصعب او تقعد فتسمع فان
رضيت امرا ورغبت فيه قبلته وان كرهته عزلنا عنك ما تكره فقال سعد انصفت
ثم ركز الحربة وجلس فعرض عليه مصعب الاسلام وقرا عليه القران قالا فعرفنا
والله الاسلام في وجهه قبل ان يتكلم به في اشراق وجهه وتسهله ثم قال كيف

تصنعون اذا اسلمتم ودخلتم في هذا الدين قالا تغتسل وتطهر ثوبك ثم تشهد شهادة
الحق ثم تصلي ركعتين فقام فاغتسل وطهر ثوبه وشهد شهادة الحق وركع ركعتين
ثم اخذ حربته واقبل عامدا الى نادي قومه ومعه اسيد بن حضير فلما راوه مقبلا قالوا
نحلف بالله لقد رجع سعد اليكم بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم فلما وقف عليهم
قال يا بني عبد الاشهل كيف تعلمون امري فيكم قالوا سيدنا وافضلنا رايا وايمننا
نقيبة قال فان كلام رجالكم ونسائكم علي حرام حتى تومنوا بالله ورسوله قال فما امسى
في دار بني عبد الاشهل رجل ولا امراة الا مسلم ومسلمة ورجع اسعد بن زرارة ومصعب
بن عمير الى منزل اسعد فاقام عنده يدعو الناس الى الاسلام حتى لم يبق دار من دور
الانصار الا وفيها رجال ونسا مسلمون ومسلمات الا ما كان من دار امية بن زيد
وخطمة ووايل وواقف وذلك انه كان فيهم ابو قيس بن الاسلت الشاعر وكانوا
يسمعون منه ويطيعونه فوقف بهم عن الاسلام حتى هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى المدينة ومضى بدر واحد والخندق قالوا ثم ان مصعب بن عمير رجع الى مكة وخرج
معه من الانصار المسلمين سبعون رجلا مع حجاج قومهم من اهل الشرك حتى قدموا
مكة فواعدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم العقبة من اوسط ايام التشريق وهي
بيعة العقبة الثانية قال كعب بن مالك وكان قد شهد ذلك فلما فرغنا من الحج
وكانت الليلة التي وعدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعنا عبد الله بن عمرو بن
حرام ابو جابر اخبرناه وكنا نكتم من معنا من المشركين من قومنا امرنا فكلمناه و
قلنا يا ابا جابر انك سيد من ساداتنا وشريف من اشرافنا وانا نرغب بك عما
انت فيه ان يكون حطبا للنار غدا ودعوناه الى الاسلام واخبرناه بميعاد رسول
الله صلى الله عليه وسلم فشهد معنا العقبة وكان نقيبا فبتنا تلك الليلة مع قومنا
في رحالنا حتى اذا مضى ثلث الليل خرجنا لميعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم نتسلل
متخفين تسلل القطا حتى اجتمعنا في الشعب عند العقبة ونحن سبعون رجلا
ومعنا امراتان من نسائنا نسيبة بنت كعب ام عمارة احدى نسا بني النجار
واسما بنت عمرو بن عدي ام منيع احدى نسا بني سلمة فاجتمعنا بالشعب ننتظر
رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جانا ومعه عمه عباس بن عبد المطلب وهو
يومئذ على دين قومه الا انه احب ان يحضر امر ابن اخيه ويتوثق له فلما جلسنا
اول من تكلم العباس بن عبد المطلب فقال يا معشر الخزرج وكانت العرب
يسمون هذا الحي من الانصار الخزرج خزرجها واوسها ان محمدا منا حيث علمتم
وقد منعناه من قومنا ممن هو على مثل راينا وهو في عز من قومه ومنعة في
بلده وانه قد ابى الا الانقطاع اليكم واللحوق بكم فان كنتم ترون انكم وافون
له بما دعوتموه اليه ومانعوه ممن خالفه فانتم وما تحملتم به من ذلك وان

كنتم ترون انكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج اليكم فمن الان فدعوه فانه في عز
ومنعة قال فقلنا قد سمعنا ما قلت فتكلم يا رسول الله وخذ لنفسك ولربك
ما شئت قال فتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلا القران ودعا الى الله عز وجل
ورغب في الاسلام ثم قال ابايعكم على ان تمنعوني مما تمنعون منه انفسكم و
نساكم وابناكم قال فاخذ البرا ابن معرور بيده ثم قال والذي بعثك بالحق نبيا
لنمنعك مما نمنع منه ازرنا فبايعنا يا رسول الله فنحن اهل الحرب واهل الحلقة
ورثناها كابرا عن كابر فاعترض القول والبرا يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ابو
الهيثم بن التيهان فقال يا رسول الله ان بيننا وبين الناس حبالا يعني عهودا
وانا قاطعوها فهل عسيت ان فعلت ذلك ثم اظهرك الله ان ترجع الى قومك وتدعنا
فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال بل الدم الدم والهدم الهدم انتم مني وانا
منكم احارب من حاربتم واسالم من سالمتم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اخرجوا
الي منكم اثني عشر نقيبا كفلا على قومهم بما فيهم ككفالة الحواريين لعيسى ابن مريم
فاخرجوا اثني عشر نقيبا تسعة من الخزرج وثلاثة من الاوس قال عاصم بن عمرو
بن قتادة ان القوم لما اجتمعوا للبيعة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال العباس
بن عبادة بن نضلة الانصاري يا معشر الخزرج هل تدرون ما تبايعون هذا
الرجل انكم تبايعونه على حرب الاحمر والاسود فان كنتم ترون انكم اذا نهكت اموالكم
مصيبة واشرافكم قتلا اسلمتموه فمن الان فهو والله خزي في الدنيا والاخرة وان
كنتم ترون انكم وافون بما دعوتموه اليه على نهكة الاموال وقتل الاشراف فخذوه
فهو والله خير الدنيا والاخرة قالوا فانا ناخذه على مصيبة الاموال وقتل الاشراف
فما لنا بذلك يا رسول الله ان نحن وفينا قال الجنة قال ابسط يدك فبسط يده فبايعوه
واول من ضرب على يده البرا بن معرور ثم تتابع القوم قال فلما بايعنا رسول الله صلى
الله عليه وسلم صرخ الشيطان من راس العقبة بانفذ صوت سمعته قط يا اهل الجباجب
هل لكم في مذمم والصباة معه قد اجتمعوا على حربكم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
هذا عدو الله هذا ازب العقبة يعني شيطان اسمع اي عدو الله اما والله لافرغن لك
ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ارفضوا الى رحالكم فقال العباس بن عبادة
بن نضلة والذي بعثك بالحق لئن شئت لنميلن على اهل منى باسيافنا فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لم نؤمر بذلك ولكن ارجعوا الى رحالكم فرجعنا الى مضاجعنا
فنمنا عليها حتى اصبحنا فلما اصبحنا غدت علينا جلة قريش حتى جاونا في منازلنا
فقالوا يا معشر الخزرج بلغنا انكم جئتم صاحبنا هذا تستخرجونه من بين اظهرنا و
تبايعونه على حربنا وانه والله ما من حي من العرب ابغض الينا ان تنشب الحرب بيننا
وبينكم منكم قال فانبعث من هناك من مشركي قومنا يحلفون بالله ما كان من هذا

شي وما علمناه وصدقوا لم يعلموا به وبعضنا ينظر الى بعض وقام القوم وفيهم الحرث
ابن هشام بن المغيرة المخزومي وعليه نعلان جديدتان قال فقلت له كلمة كاني اريد
ان اشرك القوم بها فيما قالوا يا جابر اما تستطيع ان تتخذ وانت سيد من سادتنا مثل
نعلي هذا الفتى من قريش قال فسمعها الحرث فخلعهما من رجليه ورمى بهما الي وقال والله
لتنعلنهما قال ابو جابر مه والله احفظت الفتى فاردد اليه نعليه قال قلت لا اردهما
فال والله يا صالح لئن صدق الفال لاسلبنه قال ثم انصرف الانصار الى المدينة وقد شددوا
العقد فلما قدموها اظهروا الاسلام بها وبلغ ذلك قريش فاذوا اصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه ان الله قد جعل لكم اخوانا ودارا تامنون
فيها فامرهم بالهجرة الى المدينة واللحوق باخوانهم من الانصار فاول من هاجر الى المدينة ابو سلمة
بن عبد الاسد المخزومي ثم عامر بن ربيعة ثم عبد الله بن جحش ثم تتابع اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم ارسالا الى المدينة ثم هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة فجمع
الله عز وجل اهل المدينة اوسها وخزرجها بالاسلام واصلح ذات بينهم بنبيه عليه الصلاة والسلام
وانزل الله عز وجل واذكروا يا معشر الانصار نعمة الله عليكم يعني بالاسلام اذ كنتم اعدا
يعني قبل الاسلام فالف بين قلوبكم يعني بالاسلام وبنبيه عليه الصلاة والسلام فاصبحتم بنعمته
اخوانا يعني فصرتم برحمته وبدينه الاسلام اخوانا في الدين والولاية بعد العداوة وكنتم
يا معشر الاوس والخزرج على شفا حفرة من النار يعني على طرف حفرة مثل شفا البير ليس
بينكم وبين الوقوع في النار الا ان تموتوا على كفركم فانقذكم منها اي فخلصكم بالايمان من
الوقوع في النار كذلك يبين الله لكم اياته لعلكم تهتدون قوله تعالى ولتكن منكم امة
يدعون الى الخير ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر اللام في قوله ولتكن لام الامر
اي لتكن منكم امة دعاة الى الخير منكم وقيل ان كلمة من في قوله منكم للتبيين لا للتبعيض في ذلك
لان الله عز وجل اوجب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر على كل الامة في قوله كنتم خير امة
اخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر فيجب على كل مكلف الامر بالمعروف
والنهي عن المنكر اما بيده او بلسانه او بقلبه م عن ابي سعيد الخدري قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول من راى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع
فبقلبه وذلك اضعف الايمان فعلى هذا يكون معنى الاية كونوا امة دعاة الى الخير امرين
بالمعروف ناهين عن المنكر وممن قال بهذا القول قال ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر
فرض كفاية اذا قام به واحد سقط الفرض عن الباقين وقيل ان من هنا للتبعيض وذلك
لان في الامة من لا يقدر على الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لعجز او ضعف فحسن ادخال
لفظة من في قوله ولتكن منكم امة وقيل ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر انما يختص
بالعلما وولاة الامر فعلى هذا يكون المعنى ليكن بعضكم امرا بالمعروف ناهيا عن المنكر
خ عن النعمان بن بشير عن النبي صلى الله عليه وسلم قال مثل القايم في حدود الله

والواقع فيها كمثل قوم استهموا في سفينة فاصاب بعضهم اعلاها وبعضهم اسفلها فكان
الذين في اسفلها اذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا لو انا خرقنا في نصيبنا خرقا
ولم نوذ من فوقنا فان تركوهم وما ارادوا هلكوا جميعا وان اخذوا على ايديهم
نجوا جميعا والخير المذكور في الاية هو كل شي يرغب فيه من الافعال الحسنة وقيل هو
هنا كناية عن الاسلام والمعنى لتكن امة اي جماعة دعاة الى الاسلام والى كل فعل حسن
يستحسن في الشرع والعقل وقيل الدعوة الى فعل الخير يندرج تحتها نوعان احدهما الترغيب
في فعل ما ينبغي وهو الامر بالمعروف والثاني الترغيب في ترك ما لا ينبغي وهو النهي عن المنكر
فذكر الجنس اولا وهو الخير ثم اتبعه بنوعيه مبالغة في البيان والمعروف اسم لكل فعل
يعرف بالعقل والشرع حسنه والمنكر ضد ذلك وهو ما عرف بالشرع والعقل قبحه
وقوله تعالى واولئك هم المفلحون تقدم تفسيره قوله عز وجل ولا تكونوا كالذين تفرقوا
واختلفوا يعني ولا تكونوا يا معشر المومنين كالذين تفرقوا يعني اهل الكتاب وهم اليهود
والنصارى في قول اكثر المفسرين واختلفوا في دين الله وامره ونهيه وقيل تفرقوا واختلفوا
بمعنى واحد وانما ذكرهما للتاكيد وقيل تفرقوا بسبب العداوة واتباع الهوى واختلفوا
في الدين فصاروا فرقا مختلفين قال الربيع في هذه الاية هم اهل الكتاب نهى الله
اهل الاسلام ان يتفرقوا ويختلفوا كما تفرق واختلف اهل الكتاب قال ابن عباس امر الله
المومنين بالجماعة ونهاهم عن الاختلاف والفرقة واخبرهم انما هلك من كان قبلهم
بالمرى والخصومات في الدين وقال بعضهم هم المبتدعة من هذه الامة وقال ابو امامة
هم الحرورية قال عبد الله بن شداد وقف ابو امامة وانا معه على روس الحرورية
على درج جامع دمشق فذرفت عيناه ثم قال كلاب اهل النار وكانوا مومنين
فكفروا بعد ايمانهم بشر قتيل تحت اديم السما وخير قتيل تحت اديم السما الذين قتلهم
هولا قلت فما شانك دمعت عيناك قال رحمة لهم كانوا من اهل الاسلام فكفروا بعد
ايمانهم ثم اخذ بيدي وقال ان بارض منهم كثير في روايته ثم قرا بعد قوله فكفروا
بعد ايمانهم ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا الى قوله اكفرتم بعد ايمانكم وروى
الترمذي عن ابي غالب قال راى ابو امامة روسا منصوبة على درج دمشق فقال
ابو امامة كلاب اهل النار شر قتلى تحت اديم السما خير قتلى من قتلوه ثم قرا يوم تبيض
وجوه وتسود وجوه الى اخر الاية قلت لابي امامة انت سمعته من رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال لو لم اسمعه الا مرة او مرتين او ثلاث مرات او اربع حتى عد سبعا
ما حدثتكموه وقيل هذا حسن وقوله تعالى من بعد ما جاءهم البينات يعني الحجج الواضحات
فعلموها ثم خالفوها وانما قال جاءهم ولم يقل جاءتهم لجواز حذف علامة التانيث
من الفعل في التقديم تشبيها بعلامة التثنية والجمع واولئك لهم عذاب عظيم يعني لهولاء
الذين تفرقوا واختلفوا عذاب عظيم في الاخرة وفيه زجر عظيم للمومنين عن التفرق

والخلاف عن ابي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من فارق الجماعة شبرا فقد خلع
ربقة الاسلام من عنقه اخرجه ابو داود اراد بربقة الاسلام عقد الاسلام واصل الربقة
حبل فيه عدة عرى يشد به البهم الواحدة من العرى ربقة وروى البغوي بسنده عن
عمر بن الخطاب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من سره ان يسكن بحبوحة الجنة فعليه
بالجماعة فان الشيطان مع الفذ وهو مع الاثنين ابعد بحبوحة الجنة وسطها والفذ هو
الواحد قوله تعالى يوم تبيض وجوه وتسود وجوه يعني اذكروا يوم تبيض فيه وجوه المومنين
وتسود وجوه الكافرين وقيل تبيض وجوه اهل السنة وتسود وجوه اهل البدعة وقيل
تبيض وجوه المخلصين وتسود وجوه المنافقين وفي بياض الوجوه وسوادها قولان
احدهما ان البياض كناية عن الفرح والسرور والسواد عبارة عن الغم والحزن وهذا مجاز
مستعمل يقال لمن نال بغيته وظفر بمطلوبه ابيض وجهه يعني السرور والفرح ولمن ناله مكروه
اسود وجهه واربد لونه يعني من الحزن والغم قال تعالى واذا بشر احدهم بالانثى ظل وجهه
مسودا يعني من الحزن فعلى هذا بياض الوجوه اشراقها وسرورها واستبشارها بعملها وذلك
ان المومن اذا ورد القيامة على ما قدم من خير وعمل صالح استبشر بثواب الله ونعمه عليه
فاذا كان كذلك وسم وجهه ببياض اللون واشراقه واستنارته وابيضت صحيفته واشرقت
وسعى النور بين يديه وعن يمينه وشماله واما الكافر والظالم اذا ورد القيامة على ما قدم
من قبيح عمل وسيئات حزن واغتم لعلمه بعذاب الله فاذا كان كذلك وسم وجهه بسواد
اللون وكمودته واسودت صحيفته واظلمت واحاطت به من الظلمة من كل جانب
نعوذ بفضل الله وسعة رحمته من الظلمات يوم القيامة والقول الثاني بياض الوجوه وسوادها
حقيقة تحصل في الوجه فيبيض وجه المومن ويكتسي نورا ويسود وجه الكافر ويكتسي ظلمة
لان لفظ البياض والسواد حقيقة فيهما والحكمة في بياض الوجوه وسوادها ان اهل
الموقف اذا راوا بياض وجه المومن عرفوا انه من اهل السعادة واذا راوا سواد وجه
الكافر عرفوا انه من اهل الشقاوة فاما الذين اسودت وجوههم اكفرتم بعد ايمانكم فذوقوا
العذاب بما كنتم تكفرون اي فيقال لهم اكفرتم والهمزة للتوبيخ والتقريع فان قلت
كيف قال اكفرتم بعد ايمانكم وهم لم يكونوا مومنين فمن المراد بهولا الذين كفروا بعد
ايمانهم قلت اختلف العلما في ذلك فروي عن ابي بن كعب انه قال اراد به الايمان
يوم اخذ الميثاق حين قال لهم الست بربكم قالوا بلى فامن الكل فكل من كفر في الدنيا
فقد كفر بعد الايمان وقال الحسن هم المنافقون وذلك انهم تكلموا بالايمان بالسنتهم
وانكروه بقلوبهم وقال عكرمة هم اهل الكتاب وذلك انهم امنوا بمحمد صلى الله عليه
وسلم قبل مبعثه فلما بعث انكروه وكفروا به وقيل هم الذين ارتدوا في زمن ابي بكر
الصديق وهم اهل الردة (ق) عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
انا فرطكم على الحوض وليرفعن الي رجال منكم حتى اذا اهويت اليهم لاناولهم اختلجوا

دوني فاقول اي ربي اصحابي فيقال انك لا تدري ما احدثوا بعدك ق عن انس ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال ليردن على الحوض رجال ممن صاحبني حتى اذا رفعوا الي
اختلجوا دوني فلاقولن اي ربي اصحابي اصحابي فيقال لي لا تدري ما احدثوا بعدك
زاد في رواية فاقول سحقا لمن بدل بعدي خ عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال يرد على يوم القيامة رهط من اصحابي او قال من امتي فيحلؤون عن
الحوض فاقول يا رب اصحابي فيقول انه لا علم لك بما احدثوا بعدك انهم ارتدوا على
ادبارهم القهقرى وقيل هم الخوارج الذين خرجوا على علي بن ابي طالب وقتلهم وهم
الحرورية م عن زيد بن وهب انه كان في الجيش الذين كانوا مع علي الذين ساروا
الى الخوارج فقال علي ايها الناس اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يخرج
قوم من امتي يقرؤون القران ليس قراءتكم الى قراءتهم بشيء ولا صلاتكم الى صلاتهم بشيء ولا
صيامكم الى صيامهم بشيء يقرؤون القران يحسبون انه لهم وهو عليهم لا تجاوز صلاتهم
تراقيهم يمرقون من الاسلام كما يمرق السهم من الرمية وفي رواية سويد بن غفلة
عنه يقرؤون القران لا يجاوز ايمانهم حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية
فاينما لقيتموهم فاقتلوهم فان في قتلهم اجرا لمن قتلهم عند الله يوم القيامة ق عن يسير بن
عمرو قال قلت لسهل بن حنيف هل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في الخوارج
شيئا قال سمعته يقول واهوى بيده الى العراق يخرج منهم قوم يقرؤون القران لا
يجاوز تراقيهم يمرقون من الاسلام مروق السهم من الرمية وقيل انهم اهل البدع و
الاهواء من هذه الامة كالقدرية ونحوهم ومن قال بهذا القول يقول كفرهم بعد
ايمانهم هو خروجهم من الجماعة ومفارقتهم في الاعتقاد م عن ابي هريرة ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال بادروا بالاعمال فتنا كقطع الليل المظلم يصبح الرجل
مؤمنا ويمسي كافرا ويمسي مؤمنا ويصبح كافرا يبيع دينه بعرض من الدنيا وقال
الحرث الاعور سمعت علي بن ابي طالب يقول على المنبر ان الرجل ليخرج من اهله
فما يؤوب اليهم حتى يعمل عملا يستوجب به النار ثم قرأ يوم تبيض وجوه الاية ثم نادى
هم الذين كفروا بعد الايمان ورب الكعبة وقوله تعالى واما الذين ابيضت وجوههم
يعني المؤمنين المطيعين لله عز وجل ففي رحمة الله يعني ففي جنة الله وانما سميت
الجنة رحمة لانها دار رحمة وفيه اشارة الى ان العبد وان عمل بالطاعات لا يدخل
الجنة الا برحمة الله تعالى هم فيها خالدون قيل لم كرر كلمة في لان في كل واحدة
منهن معنى على الاخرى المعنى انهم في رحمة الله وانهم في الرحمة خالدون تلك
ايات الله يعني القران وقيل هذه الايات التي تقدمت نتلوها عليك بالحق اي
بالمعنى الحق لان المتلو حق وما الله يريد ظلما للعالمين يعني لا يعاقب احدا بغير جرم
ولا استحقاق العقوبة وانما ذكر الظلم هنا لانه قد تقدم ذكر العقوبة في قوله فاما الذين اسودت

وجوههم

وجوههم الى قوله فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون اخبر انما وقعوا فيها وقعوا فيه بسبب
افعالهم المنكرة وانه لا يظلم احدا من خلقه ولله ما في السموات وما في الارض لما ذكر الله انه
لا يريد ظلما للعالمين لانه لا حاجة به الى الظلم وذلك ان الظالم انما يظلم غيره ليزداد
مالا او عزا او سلطانا او يتم نفعا فيه بما يظلم غيره ولما كان الله عز وجل مستغن عن
ذلك وله صفة الكمال اخبر ان له ما في السموات وما في الارض وان جميع ما فيهما
ملكه واهلهما عبيده واذا كان ذلك كذلك يستحيل في صفته سبحانه وتعالى ان يظلم احدا
من خلقه لانهم عبيده وفي قبضته ثم قال والى الله ترجع الامور يعني والى الله مصير امور جميع
الخلائق المؤمن والكافر والطائع والعاصي فيجازي الكل على قدر استحقاقهم ولا يظلم احدا
منهم قوله عز وجل كنتم خير امة سبب نزول هذه الاية ان مالك بن الصيف ووهب
بن يهوذا اليهوديين قالا لعبد الله بن مسعود وابي بن كعب ومعاذ بن جبل وسالم مولى
حذيفة نحن افضل منكم وديننا خير من دينكم الذي تدعوننا اليه فانزل الله هذه الاية واختلف
في لفظة كان فقيل هي بمعنى الحدوث والوقوع والمعنى حدثتم ووجدتم وخلقتم خير امة وقيل
كان هنا ناقصة وهي عبارة عن وجود الشيء في زمان ماض ولا تدل على انقطاع طارئ
بدليل قوله وكان الله غفورا رحيما فعلى هذا التقدير يكون المعنى كنتم في علم الله خير امة وقيل
كنتم مذكورين في الامم الماضية بانكم خير امة وقيل كنتم في اللوح المحفوظ موصوفين بانكم
خير امة وقيل معناه كنتم منذ انتم خير امة وقيل قوله خير امة تابع لقوله فاما الذين ابيضت
وجوههم والتقدير انه يقال لهم عند دخول الجنة كنتم في دنياكم خير امة فلهذا استحققتم
ما انتم فيه من بياض الوجوه والنعيم المقيم وقيل كنتم بمعنى انتم وقيل يحتمل ان يكون
كان بمعنى صار فقوله كنتم اي صرتم خير امة فاما المخاطبون بهذا فهم فيه خلاف قال ابن
عباس في قوله كنتم خير امة هم الذين هاجروا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى
ابن جرير عن عمر بن الخطاب قال لو شاء الله تعالى انتم فكنا كلنا ولكن في خاصة من اصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم ومن صنع مثل ما صنعتم كانوا خير امة اخرجت للناس يامرون بالمعروف
وينهون عن المنكر وقال الضحاك هم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني انهم كانوا هم
الرواة الدعاة الذين امر الله عز وجل المسلمين باتباعهم وطاعتهم ق عن عمران بن حصين
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم قال
عمران فلا ادري اذكر بعد قرنه قرنين او ثلاثة ثم ان بعدهم قوما يشهدون ولا يستشهدون
ويخونون ولا يؤتمنون وينذرون ولا يوفون ويظهر فيهم السمن زاد في رواية
ويحلفون ولا يستحلفون ق عن ابن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يجيء قوم تسبق شهادة احدهم
يمينه ويمينه شهادته قوله خير الناس قرني يعني اصحابي والقرن اهل كل زمان ماخوذ
من الاقتران فكانه الزمان الذي يقترن فيه اهل ذلك الزمان في اعمارهم واحوالهم

وقيل القرن اربعون سنة وقيل ثمانون وقيل مائة سنة ق عن ابي سعيد الخدري قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا اصحابي فلو ان احدا انفق مثل احد ذهبا
ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه النصيف النصف وقال ابن عباس في رواية عطا في قوله
كنتم خير امة هم امة محمد صلى الله عليه وسلم قال الزجاج قوله كنتم خير امة الخطاب فيه مع
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكنه عام في كل الامة ونظيره قوله كتب
عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم كتب عليكم القصاص فان كل ذلك خطاب
مع الحاضرين بحسب اللفظ ولكنه عام في حق الكل كذا هم هنا عن بهز بن حكيم عن ابيه
عن جده انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول في قوله تعالى كنتم خير امة اخرجت للناس
قال انتم تتمون سبعين امة انتم خيرها واكرمها على الله اخرجه الترمذي وقال حديث
حسن واصل الامة الجماعة المجتمعة على النبي وامة محمد صلى الله عليه وسلم هم الجماعة
الموصوفون بالايمان بالله عز وجل وبمحمد صلى الله عليه وسلم خ عن ابي هريرة قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل امتي يدخلون الجنة الا من ابى قالوا ومن
يابى قال من اطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد ابى عن ابن عمر ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال ان الله لا يجمع امتي او قال امة محمد على ضلالة ويد الله على الجماعة ومن
شذ شذ في النار اخرجه الترمذي عن ابي موسى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
امتي امة مرحومة ليس عليها عذاب في الاخرة عذابها في الدنيا الفتن والزلازل
والقتل اخرجه ابو داود عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل امتي
كمثل المطر لا يدرى اوله خير ام اخره اخرجه الترمذي وله عن بريدة ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال اهل الجنة عشرون ومائة صف ثمانون منها من هذه الامة واربعون
من سائر الامم وله عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم باب امتي الذي
يدخلون منه الجنة عرضه مسيرة الراكب المسرع المجد ثلاثا ثم انهم ليتضاغطون عليه
حتى تكاد مناكبهم تزول قال الترمذي سالت محمدا يعني البخاري عن هذا الحديث فلم يعرفه
وقال لخالد بن ابي بكر مناكير عن سالم بن عبد الله زاد غيره في الحديث وهم شركا الناس
في سائر الابواب عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان من امتي من يشفع في الفئام من الناس ومنهم من يشفع في القبيلة ومنهم من
يشفع في العصبة ومنهم من يشفع للواحد اخرجه الترمذي خ عن سهل بن سعد قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليدخلن من امتي سبعون الفا او سبعمائة الف
متماسكين اخذ بعضهم ببعض حتى يدخل اولهم واخرهم الجنة وجوههم
على صورة القمر ليلة البدر عن ابي امامة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول وعدني ربي ان يدخل من امتي الجنة سبعين الفا لا حساب عليهم ولا عذاب
ومع كل الف سبعون الفا وثلاث حثيات من حثيات ربي اخرجه الترمذي وروى

البغوي باسناد الثعلبي عن عمر بن الخطاب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الجنة
حرمت على الانبيا كلهم حتى ادخلها وحرمت على الامم حتى تدخلها امتي وقوله تعالى
اخرجت للناس معناه خير الامم المخرجة للناس في جميع الاعصار ومعنى اخرجت اظهرت
للناس حتى تميزت وعرفت وقيل معناه كنتم للناس خير امة اخرجت خ عن ابي هريرة
قال كنتم خير امة اخرجت للناس قال خير الناس للناس ياتون بهم في السلاسل في
اعناقهم حتى يدخلون في الاسلام وقيل اخرجت صلة والتقدير كنتم خير امة للناس وقيل
معناه ما اخرج للناس امة خير من امة محمد صلى الله عليه وسلم تامرون بالمعروف و
تنهون عن المنكر هذا كلام مستانف المقصود منه بيان علة تلك الخيرية وكونهم خير
امة كما تقول زيد كريم يطعم الناس ويكسوهم ويقوم بمصالحهم والمعروف هو التوحيد
والمنكر هو الشرك والمعنى تامرون الناس بقول لا اله الا الله وتنهونهم عن الشرك وتؤمنون
بالله وتصدقون بالله وتخلصون له التوحيد والعبادة فان قلت لم قدم الامر بالمعروف
والنهي عن المنكر على الايمان بالله في الذكر مع ان الايمان يلزم ان يكون مقدما على كل
الطاعات والعبادات قلت الايمان بالله امر مشترك فيه جميع الامم المومنة وانما فضلت هذه
الامة الاسلامية بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر على سائر الامم واذا كان كذلك كان
الموثر في هذه الخيرة هو الامر بالمعروف والنهي عن المنكر واما الايمان بالله فهو شرط
في هذا الحكم لانه ما لم يوجد الايمان لم يصر شي من الطاعات مقبولا فثبت ان الموجب
لهذه الخيرية لهذه الامة هو كونهم امرين بالمعروف ناهين عن المنكر فلهذا السبب حسن
تقديم ذكر الامر بالمعروف والنهي عن المنكر على ذكر الايمان ولو امن اهل الكتاب يعني ولو امن اليهود
والنصارى بمحمد صلى الله عليه وسلم وبالدين الذي جاء به لكان خيرا لهم يعني مما هم عليه
من اليهودية والنصرانية وانما حملهم على ذلك حب الرياسة واستتباع العوام ولو امنوا
لحصلت لهم الرياسة في الدنيا والثواب العظيم في الاخرة وهو دخول الجنة منهم يعني
من اهل الكتاب المومنون يعني عبد الله بن سلام واصحابه الذين اسلموا من اليهود
والنجاشي واصحابه الذين اسلموا من النصارى واكثرهم الفاسقون اي المتمردون في الكفر
وقيل ان الكافر قد يكون عدلا في دينه وهولاء مع كفرهم فاسقون قوله تعالى لن يضروكم
الا اذى سبب نزول هذه الاية ان روسا اليهود عمدوا الى من امن منهم مثل عبد الله بن
سلام واصحابه فاذوهم لاسلامهم فانزل الله تعالى لن يضروكم الا اذى يعني لن يضروكم
ايها المومنون هولا اليهود الا اذى يعني باللسان من طعن في دينكم او تهديد او القاء
شبهة وتشكيك في الثبوت وكل ذلك يوجب الاذى والغم وان يقاتلوكم يولوكم
الادبار يعني منهزمين مخذولين ثم لا ينصرون يعني لا يكون لهم النصر عليكم بل تنصرون
عليهم وفيه تثبيت لمن اسلم من اهل الكتاب لانهم كانوا يوذونهم بالقول ويهددونهم
ويوبخونهم فاعلمهم الله تعالى انهم لا يقدرون ان يجاوزوا الاذى بالقول الى غيره من الضرر

ثم وعدهم الغلبة والانتقام منهم وان عاقبتهم الخذلان والذل فقال تعالى ضربت عليهم الذلة
يعني جعلت الذلة ملصقة بهم كالشي يضرب على الشي فيلتصق به والمراد بالذلة قتلهم
وسبيهم وغنيمة اموالهم وقيل الذلة ضرب الجزية عليهم لانها ذلة وصغار وقيل ذلتهم انك
لا ترى في اليهود ملكا قاهرا ولا رئيسا معتبرا بل هم مستضعفين في جميع البلاد اينما ثقفوا
اي حيث وجدوا وصودفوا الا بحبل من الله يعني الا بعهد من الله وهو ان يسلموا فتزول
عنهم الذلة وحبل من الناس يعني المؤمنين ببذل الجزية والمعنى ضربت عليهم الذلة
في عامة الاحوال الا في حال اعتصامهم بحبل الله وحبل الناس وهو ذمة الله وعهده وذمة
المسلمين وعهدهم لا عز لهم الا بهذه الواحدة وهي التجاؤهم الى الذمة لما قبلوه من بذل الجزية
وانما سمي العهد حبلا لانه سبب يوصل الى الامن وزوال الخوف وباؤا بغضب من الله
اي رجعوا بالغضب من الله مستوجبوه وقيل اصله من البواء وهو المكان والمعنى انهم
مكثوا في غضب من الله وحلوا فيه وضربت عليهم المسكنة يعني كما يضرب البيت على
اهله فهم ساكنون في المسكنة غير خارجين منها قال الحسن المسكنة هي الجزية وذلك لان
الله اخرج المسكنة عن الاستثناء وذلك يدل على انها باقية عليهم والباقي عليهم هو الجزية
فدل ان المسكنة هي الجزية وقيل المراد بالمسكنة هو ان اليهودي يظهر من نفسه الفقر وان
كان غنيا موسرا ذلك اشارة الى ما ذكر من ضرب الذلة والمسكنة والبواء بالغضب بانهم
اي بسبب انهم كانوا يكفرون بايات الله ويقتلون الانبيا بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا
يعتدون اي ذلك الذي نزل بهم بسبب عصيانهم لله عز وجل واعتدائهم لحدوده فنزل بهم
ما نزل قوله عز وجل ليسوا سوا قال ابن عباس لما اسلم عبد الله بن سلام واصحابه قال
احبار اليهود ما امن بمحمد الا اشرارنا ولولا ذلك ما تركوا دين ابائهم فانزل الله تعالى هذه الاية
وفي قوله ليسوا سوا قولان احدهما انه كلام تام يوقف عليه والمعنى ان اهل الكتاب
الذين سبق ذكرهم منهم المؤمنون واكثرهم الفاسقون ليسوا سوا وقيل معناه لا يستوي
اليهود وامة محمد صلى الله عليه وسلم القايمة بامر الله الثابتة على الحق والقول الثاني ان قوله ليسوا
سوا متعلق بما بعده ولا يوقف عليه وقوله من اهل الكتاب امة قائمة فيه اختصار واضمار
والتقدير ليسوا سوا من اهل الكتاب امة قائمة ومنهم امة مذمومة غير قائمة فترك ذكر الامة
الاخرى اكتفا بذكر احد الفريقين وهذا على مذهب العرب ان ذكر احد الضدين يغني عن
ذكر الاخر قال ابو ذويب دعاني اليها القلب اني لامرها مطيع فلا ادري ارشد طلابها اراد
ام غير رشد فاكتفى بذكر احد الرشدين دون الاخر وقال الزجاج لا حاجة الى اضمار الامة
المذمومة لانه قد جرى ذكر اهل الكتاب بقوله كانوا يكفرون بايات الله ويقتلون
الانبيا بغير حق فاعلم الله ان منهم امة قائمة فلا حاجة بنا الى ان نقول وامة غير قائمة وانما
ابتدا بذكر فعل الاكثر منهم وهو الكفر والمشاقة ثم ذكر من كان مباينا لهم في فعلهم فقال
ليسوا سوا من اهل الكتاب امة قائمة قال ابن عباس مهتدية اي مهتدية قائمة على

امر الله تعالى لم يضيعوه ولم يتركوه وقيل قائمة اي عادلة وقيل قائمة على كتاب الله وحدوده
وقيل قائمة في الصلاة يتلون ايات الله اي يقرؤن كلام الله عز وجل اناء الليل اي ساعاته
وهم يسجدون يعني يصلون عبر بالسجود عن الصلاة لان التلاوة لا تكون في السجود
وقيل هي صلاة التهجد بالليل وقيل هي صلاة العشا لان اليهود لا يصلونها وقيل يحتمل
انه اراد بالسجود الخضوع والخشوع لان العرب تسمي الخشوع سجودا وقال عطا في
قوله ليسوا سوا من اهل الكتاب امة قائمة يريد اربعين رجلا من اهل نجران من العرب
واثنين وثلاثين من الحبشة وثمانية من الروم كانوا على دين عيسى عليه السلام وصدقوا
بمحمد صلى الله عليه وسلم وامنوا به وكان عدة نفر من الانصار منهم اسعد بن زرارة
والبراء بن معرور ومحمد بن مسلمة وابو قيس صرمة بن انس كانوا قبل الاسلام موحدين
يغتسلون من الجنابة ويقومون بما عرفوا من شرايع الحنيفية حتى جاءهم الله عز
وجل بالنبي صلى الله عليه وسلم فامنوا به وصدقوه ثم وصفهم الله بصفات ما كانت
في اليهود فقال يؤمنون بالله واليوم الاخر وذلك لان ايمان اهل الكتاب فيه شرك
ويصفون اليوم الاخر بغير ما يصفه المؤمنون وقيل ان الايمان بالله يستلزم الايمان
بجميع انبيائه ورسله واليهود يؤمنون ببعض الانبيا ويكفرون ببعض والايمان باليوم
الاخر يستلزم الحذر من فعل المعاصي واليهود لا يحترزون منها فلم يحصل الايمان الحقيقي
بالله واليوم الاخر ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر يعني غير مداهنين كما
يداهن اليهود بعضهم بعضا وقيل يامرون بالمعروف يعني بتوحيد الله والايمان
بمحمد صلى الله عليه وسلم وينهون عن المنكر يعني عن الشرك وعن كتم صفة محمد صلى
الله عليه وسلم ويسارعون في الخيرات اي يبادرون اليها خوف الفوت وذلك
لان من رغب في امر سارع اليه وقام به غير متوان عنه وقيل يسارعون في الخيرات
غير متثاقلين لا كسالى واولئك اشارة الى الموصوفين بما وصفوا به من الصالحين
اي من جملة الصالحين الذين صلحت احوالهم عند الله ورضي عنهم واستحقوا ثناه
عليهم وذلك لان الصلاح ضد الفساد فاذا حصل الصلاح للانسان فقد حصل له
اعلى الدرجات واكمل المقامات وقيل يحتمل ان يريد بالصالحين المسلمين والمعنى واولئك
الذين تقدم وصفهم من جملة المسلمين قوله تعالى وما يفعلوا من خير فلن يكفروه
قرئ بالياء لان الكلام متصل بما قبله من ذكر مؤمني اهل الكتاب وذلك ان اليهود
لما قالوا لعبد الله بن سلام واصحابه انكم خسرتم بسبب هذا الدين الذي دخلتم فيه
فاخبر الله انهم فازوا بالدرجات العليا وما فعلوه من خير يجازيهم به ولا يمنع
من خصوص السبب عموم الحكم فيدخل فيه كل فاعل لخير وقرئ بالتاء على انه ابتدا
كلام وهو خطاب لجميع المؤمنين ويدخل فيه مؤمنو اهل الكتاب ايضا ومعنى الاية
وما تفعلوا من خير ايها المؤمنون فلن تكفروه اي فلن تعدموا ثوابه ولن تحرموه

او تمنعوه بل يشكره لكم ويجازيكم به والله عليم بالمتقين وفيه بشارة للمتقين بجزيل الثواب
ودلالة على انه لا يفوز عنده الا اهل الايمان والتقوى ان الذين كفروا لن تغني عنهم
اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا قال ابن عباس يريد بني قريظة والنضير وذلك
لان رؤسا اليهود مالوا الى تحصيل الاموال في معادات رسول الله صلى الله عليه وسلم
وانما كان مقصودهم بمعاداته تحصيل الرياسة والاموال فقال الله عز وجل لن تغني
عنهم اموالهم وقيل نزلت في مشركي قريش فان ابا جهل كان كثير الافتخار بالاموال
وانفق ابو سفيان مالا كثيرا في يومي بدر واحد على المشركين وقيل ان الاية عامة
في حق جميع الكفار لان اللفظ عام ولا دليل يوجب التخصيص فوجب اجرا اللفظ
على عمومه ومعنى الاية ان الذين كفروا لن تغني اي لن تدفع عنهم اموالهم بالفدية
لو افتدوا بها من عذاب الله ولا اولادهم بالنصر وانما خص الاموال والاولاد بالذكر
لان الانسان يدفع عن نفسه تارة بفدا الاموال وتارة بالاستعانة بالاولاد فاعلم
الله ان الكافر لا ينفعه شي من ذلك في الاخرة ولا يخلص له من عذاب الله وهو قوله
واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون لا يخرجون منها ولا يفارقونها قوله تعالى
مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا قيل اراد نفقة ابي سفيان واصحابه ببدر واحد
في معاداة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل اراد نفقة اليهود على علمائهم ورؤسائهم
وقيل اراد نفقات جميع الكفار وصدقاتهم في الدنيا وقيل اراد نفقة المرائي الذي لا يريد
بما ينفق وجه الله وذلك لان انفاقهم المال اما ان يكون لمنافع الدنيا او لمنافع
الاخرة فان كان لمنافع الدنيا لم يبق له اثر في الاخرة في حق المسلم فضلا عن الكافر
وان كان لمنافع الاخرة كمن يتصدق ويعمل اعمال البر وان كان كافرا فان الكفر يحبط
لجميع اعمال البر فلا ينتفع بما انفق في الدنيا لاجل الاخرة وكذلك المرائي الذي لا يريد
بما ينفق وجه الله فانه لا ينتفع بنفقته في الاخرة ثم ضرب لذلك الانفاق مثلا فقال
تعالى كمثل ريح فيها صر فيه وجهان احدهما وهو قول اكثر المفسرين واهل اللغة ان الصر
البرد الشديد وبه قال ابن عباس وقتادة والسدي وابن زيد والوجه الثاني ان الصر
هو السموم الحارة التي تقتل وهو رواية عن ابن عباس وبه قال ابن الانباري من
اهل اللغة وعلى الوجهين فالتشبيه صحيح والمقصود منه حاصل لانه سوا كان فيه برد فهو
مهلك او حر فهو مهلك ايضا اصابت يعني الريح التي فيها صر حرث قوم اي زرع قوم
ظلموا انفسهم يعني بالكفر والمعاصي ومنع حق الله فيه فاهلكته يعني فاهلكت الريح
الزرع ومعنى الاية مثل نفقات الكفار في ذهابها وقت الحاجة اليها كمثل زرع اصابته
ريح باردة فاهلكته او نار فاحرقته فلم ينتفع به صاحبه فان قلت الغرض في تشبيه
ما انفقوا وابطلوا به وعدم الانتفاع به بالحرث الذي هلك بالريح فكيف شبهه
بالريح المهلكة للحرث قلت هو من التشبيه المركب وهو ما حصلت فيه المشابهة بين

ماهو للمقصود

ما هو للمقصود من الجملتين وان لم تحصل المشابهة بين اجزا الجملتين فعلى هذا زال الاشكال
ومن التشبيه ما حصلت المشابهة بين المقصود من الجملتين وبين اجزا كل واحدة منهما
فان جعلنا هذا المثل من هذا القسم ففيه وجهان احدهما ان يكون التقدير مثل الكفار
في اهلاك ما ينفقون كمثل الريح المهلكة للحرث الوجه الثاني مثل ما ينفقون كمثل مهلك
الريح وهو الحرث والمقصود من ضرب هذا المثل فهو تشبيه ما ينفقون بشي يذهب
بالكلية ولا يبقى منه شي وقوله تعالى وما ظلمهم الله يعني بان لم تقبل نفقاتهم ولكن انفسهم
يظلمون يعني انهم عصوا الله فاستحقوا عقابه فابطل نفقاتهم واهلك حرثهم وقيل
ظلموا انفسهم حيث لم ياتوا بنفقاتهم مستحقة للقبول قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا
لا تتخذوا بطانة من دونكم الاية قال ابن عباس كان رجال من المسلمين يواصلون اليهود
لما بينهم من القرابة والصداقة والحلف والجوار والرضاع فانزل الله عز وجل هذه الاية
ونهاهم عن مباطنتهم خوف الفتنة عليهم ويدل على صحة هذا القول ان الايات المتقدمة
فيها ذكر اليهود فتكون هذه الاية كذلك وقيل كان قوم من المومنين يصافون المنافقين
ويفشون اليهم الاسرار ويطلعونهم على الاحوال الخفية فنهاهم الله عن ذلك وحجة
هذا القول ان الله ذكر في سياق هذه الاية قوله واذا لقوكم قالوا امنا واذا خلوا عضوا
عليكم الانامل من الغيظ وهذه صفة المنافقين لا صفة اليهود وقيل المراد بهذه جميع اصناف
الكفار ويدل على صحة هذا القول معنى الاية لان الله تعالى قال لا تتخذوا بطانة غير المومنين فيكون
ذلك نهيا عن جميع الكفار والبطانة خاصة الرجل المطلع على سره واشتقاقه من بطانة الثوب
بدلالة قولهم لبست فلانا اذا اختصصته ويقال فلان شعاري ودثاري والشعار
الذي يلي الجسد وكذلك البطانة والحاصل ان الذي يخصه الانسان بمزيد التقرب يسمى
بطانة لانه يستبطن امره ويطلع منه على ما لا يطلع عليه غيره من دونكم قيل من صلة
زائدة والتقدير لا تتخذوا بطانة دونكم وقيل من للتبيين اي لا تتخذوا بطانة من دون
اهل ملتكم ثم بين سبحانه وتعالى علة النهي عن مباطنتهم فقال لا يالونكم خبالا يعني لا
يقصرون ولا يتركون جهدهم فيما يورثكم الشر والفساد وهو الخبال لان اصل الخبال
الفساد والضرر الذي يلحق الانسان فيورثه نقصان العقل ودوا ما عنتم اي يودون
عنتكم وهو ما يشق عليكم من الضر والشر والهلاك والعنت المشقة قد بدت البغضا
من افواههم اي ظهرت العداوة من افواههم بالشتيمة والوقيعة بين المسلمين وقيل
هو اطلاع المشركين على الاسرار وما تخفي صدورهم يعني من العداوة والغيظ اكبر اي
اعظم مما يظهرونه قد بينا لكم الايات يعني الدالة على وجوب الاخلاص في
الدين من موالاة المومنين ومعاداة الكافرين ان كنتم تعقلون يعني ما بين
لكم فتعملون به قوله تعالى ها انتم ها تنبيه وانتم كناية للمخاطبين من الذكور واولا
اسم للمشار اليه في قوله تحبونهم والمعنى انتم ايها المومنون تحبون هولا اليهود

الذين تبطنكم عن سباطنهم للاسباب التي بينكم وبينهم من القرابة والرضاع والمعاهدة والحلف ولا يحبونكم يعني اليهود لما بينكم وبينهم من المخالفة في الدين وقيل يحبونهم يريدون لهم الاسلام وهو خير الاشيا ولا يحبونكم لانهم يريدون لكم الكفر وهو شر الاشيا لان فيه هلاك الابد وقيل هم المنافقون تحبونهم لما اظهروا من الايمان وانتم لا تعلمون ما في قلوبهم ولا يحبونكم لان الكفر ثابت في قلوبهم وقيل تحبونهم وذلك بان تفشوا اليهم اسراركم ولا يحبونكم اي لا يفعلون ذلك معكم وتؤمنون بالكتاب كله يعني وهم لا يؤمنون وانما ذكر الكتاب بلفظ الواحد والمراد به الجمع لانه ذهب به الى الجنس كقولهم كثر الدرهم في ايدي الناس والمعنى انكم تؤمنون بالكتب كلها وهم لا يؤمنون بشي من كتابكم واذا لقوكم قالوا امنا يعني ان الذين وصفهم في هذه الاية بهذه الصفة اذا لقوا المؤمنين قالوا امنا كايمانكم وصدقنا كتصديقكم وهذه صفة المنافقين وقيل هم اليهود واذا خلوا اي خلا بعضهم الى بعض عضوا عليكم الانامل من الغيظ الانامل جمع انملة وهي طرف الاصبع والمعنى اذا خلا بعضهم ببعض اظهروا العداوة وشدة الغيظ على المؤمنين لما يرون من ايتلافهم واجتماع كلمتهم وصلاح ذات بينهم وعض الانامل عبارة عن شدة الغيظ وهذا من مجاز الامثال وان لم يكن هناك عض كما يقال عض يده من الغيظ والغضب قل موتوا بغيظكم وهذا دعا عليهم ان يزداد غيظهم حتى يهلكوا به وذلك لما يرون من قوة الاسلام وعزة اهله وما لهم في ذلك من الذل والخزي والمعنى ابقوا الى الممات بغيظكم ان الله عليم بذات الصدور يعني بالخواطر القائمة بالقلب والدواعي والصوارف الموجودة فيه وهي لكونها حالة في القلب ملتبسة به سميت بذات الصدور والمعنى انه تعالى عالم بكل ما يحصل في قلوبكم من الخواطر فاخبرهم انه عليم بما يسرونه من عض الانامل غيظا اذا خلوا وانه عليم بما هو اخفى منه وهو ما يسرونه في قلوبهم قوله عز وجل ان تمسسكم اي تصبكم ايها المؤمنون واصل المس باليد ثم يسمى كل ما يصل الى شي ماسا له على سبيل التشبيه كما يقال مسه نصب وتعب اي اصابه حسنة المراد بالحسنة هنا منافع الدنيا مثل ظهور على عدو واصابة غنيمة منهم وتتابع الناس في الدخول في دينكم وخصب معايشكم تسؤهم اي تحزنهم وتغمهم والسوء ضد الحسنى وان تصبكم سيئة اي مساءة من اخفاق سرية لكم او اصابة عدو منكم او اختلاف يقع بينكم او جدب او نكبة ومكروه تصبكم يفرحوا بها اي بما اصابكم من ذلك المكروه وان تصبروا يعني على اذاهم وقيل وان تصبروا على طاعة الله وما ينالكم فيها من شدة وتتقوا اي تخافوا ربكم وقيل وتتقوا ما نهاكم عنه وتتوكلوا عليه لا يضركم اي لا ينقصكم كيدهم اي عداوتهم ومكرهم شيئا اي لانكم في عناية الله وحفظه ان الله بما يعملون فرى بالياء على الغيبة والمعنى انه عالم بما يعملون في عداوتكم واذاكم فيعاقبهم عليه وقرئ بالتاء على خطاب الحاضر والمعنى انه عالم بما تعملون يا ايها المؤمنون من الصبر والتقوى فيجازيكم عليه محيط اي عالم بجميع ذلك حافظ له لا يعزب عنه شي

منه قوله

منه قوله تعالى واذ غدوت من اهلك تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال قال جمهور المفسرين ان هذا كان في يوم احد وهو قول عبد الرحمن بن عوف وابن مسعود وابن عباس والزهري وقتادة والسدي والربيع واسحاق وقال الحسن ومجاهد ومقاتل انه يوم الاحزاب ونقل عن الحسن ايضا انه يوم بدر قال ابن جرير الطبري الاول اصح لقوله تعالى اذ همت طائفتان منكم ان تفشلا وقد اتفق العلماء على ان ذلك كان يوم احد قال مجاهد والكلبي والواقدي غدا رسول الله صلى الله عليه وسلم من منزل عائشة فمشى على رجليه الى احد فجعل يصف اصحابه للقتال كما يقوم القدح قال محمد بن اسحاق والسدي عن رجالهما ان المشركين نزلوا باحد يوم الاربعا فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم نزولهم استشار اصحابه ودعا عبد الله بن ابي بن سلول ولم يدعه قط قبلها فاستشاره عبد الله بن ابي واكثر الانصار يا رسول الله اقم بالمدينة ولا تخرج اليهم فوالله ما خرجنا منها الى عدو قط الا اصاب منا ولا دخل علينا الا اصبنا منه فكيف وانت فينا فدعهم يا رسول الله فان اقاموا بشر مجلس وان دخلوا قاتلهم الرجال في وجوههم ورماهم النسا والصبيان بالحجارة من فوقهم وان رجعوا رجعوا خائبين فاعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الراي وقال بعض اصحابه يا رسول الله اخرج بنا الى هذه الاكالب لئلا يرون انا جبنا عنهم وضعفنا وخفناهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني قد رايت في منامي بقرا فاولتها خيرا ورايت في ذباب سيفي ثلما فاولتها هزيمة ورايت اني ادخلت يدي في درع حصينة فاولتها المدينة فان رايتم ان تقيموا بالمدينة وتدعوهم فان اقاموا اقاموا بشر وان دخلوا علينا المدينة قاتلناهم فيها وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعجبه ان يدخلوا عليه المدينة فيقاتلهم في الازقة فقال رجال من المسلمين ممن فاتهم يوم بدر واكرمهم الله بالشهادة يوم احد اخرج بنا الى اعدائنا فلم يزالوا برسول الله صلى الله عليه وسلم من حبهم للقا العدو حتى دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم منزله ولبس لامته فلما راوه قد لبس السلاح ندموا وقالوا بئس ما صنعنا نشير على رسول الله صلى الله عليه وسلم والوحي ياتيه فقاموا واعتذروا اليه وقالوا يا رسول الله اصنع ما شئت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينبغي لنبي ان يلبس لامته فيضعها حتى يقاتل وكان قد اقام المشركون باحد يوم الاربعا والخميس وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة بعد ما صلى باصحابه الجمعة وكان قد مات في ذلك اليوم رجل من الانصار فصلى عليه ثم خرج اليهم فاصبح بالشعب من احد يوم السبت للنصف من شوال سنة ثلاث من الهجرة وقيل كان نزوله في جانب الوادي وجعل ظهره واصحابه الى احد وامر عبد الله بن جبير على الرماة وقال ادفعوا عنا بالنبل حتى لا ياتونا من ورائنا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اثبتوا في هذا المقام فاذا عاينوكم ولوا الادبار فلا تطلبوا المدبرين ولا تخرجوا من هذا المقام ولما خالف رسول الله صلى الله عليه وسلم راي عبد الله بن سلول شق عليه ذلك وقال لاصحابه اطاع الولدان وعصاني ثم قال لاصحابه ان محمدا انما يظفر بعدوه بكم وقد وعد اصحابه ان اعداهم اذا عاينوهم انهزموا فاذا رايتم اعداهم

فانهزموا انتم فيستتبعونكم فيصير الامر الى خلاف ما قاله محمد لاصحابه فلما التقى الجمعان
وكان عسكر المسلمين الفا وكان المشركون ثلاثة الاف فانخذل عبد الله بن ابي بن سلول
بثلثمائة من اصحابه من المنافقين وبقي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نحو سبعمائة
من اصحابه فقواهم الله تعالى وثبتهم حتى هزموا المشركين فلما راى المومنون انهزام
المشركين طمعوا في ان تكون هذه الواقعة كواقعة بدر فطلبوا المدبرين وخالفوا
امر رسول الله صلى الله عليه وسلم فاراد الله ان يفطمهم عن هذا الفعل لئلا يقدموا
على مثله في مخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وليعلموا ان ظفرهم يوم بدر انما
كان ببركة طاعة الله وطاعة رسوله ثم ان الله تعالى نزع الرعب من قلوب المشركين
فكروا راجعين على المسلمين فانهزم المسلمون وبقي رسول الله صلى الله عليه وسلم في جماعة
من اصحابه منهم ابو بكر وعلي والعباس وطلحة وسعد وكسرت رباعية رسول الله صلى
الله عليه وسلم وشج وجهه يومئذ وكان من امر غزوة احد ما كان فذلك قوله تعالى
واذ غدوت اي واذكر اذ غدوت من اهلك يعني من منزل عائشة ففيه منقبة
عظيمة لعائشة رضي الله عنها لقوله من اهلك فنص الله تعالى على انها من اهله تبوئ المومنين
اي تنزل المومنين مقاعد للقتال اي مواضع ومواطن للقتال وقيل تتخذ معسكرا
للقتال والله سميع يعني لاقوالكم عليم يعني بنياتكم وما في ضمائركم قوله عز وجل اذ
همت طائفتان منكم ان تفشلا اي تجبنا وتضعفا عن القتال والطائفتان بنو سلمة
من الخزرج وبنو حارثة من الاوس وكانا جناحي العسكر وذلك ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم خرج الى احد في الف رجل وقيل في تسعمائة وخمسين رجلا وكان
المشركون ثلاثة الاف فلما بلغوا الشوط فخذل عبد الله بن ابي بثلث الناس ورجع
في ثلثمائة وقال علام يقتل انفسنا واولادنا فتبعه ابو جابر السلمي فقال انشدكم الله
في نبيكم وانفسكم فقال عبد الله بن ابي لو نعلم قتالا لاتبعناكم وهمت الطائفتان
بالانصراف مع عبد الله بن ابي فعصمهم الله فثبتوا ومضوا مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال ابن عباس اضمروا ان يرجعوا فعزم الله لهم على الرشد فثبتوا فذكرهم
الله عظيم نعمته عليهم فقال اذ همت الطائفتان منكم ان تفشلا والله وليهما اي
ناصرهما وحافظهما ومتولي امرهما بالتوفيق والعصمة فان قلت الهم العزم
على فعل الشيء والاية تدل على ان الطائفتين عزمتا على الفشل وترك القتال وذلك
معصية فكيف مدحهما الله تعالى بقوله والله وليهما قلت الهم قد يراد به العزم
وقد يراد به حديث النفس واذا كان كذلك حمل الهم على حديث النفس في
هذه الاية اولى والله تعالى لا يواخذ بحديث النفس ويعضده قول ابن عباس
انهم اضمروا ان يرجعوا فلما عزم الله لهم على الرشد وثبتوا مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم مدحهم الله بقوله والله وليهما عن جابر قال نزلت فينا اذ همت الطائفتان

منكم ان تفشلا والله وليهما قال نحن الطائفتان بنو حارثة وبنو سلمة وما يسرني انها لم تنزل لقول
الله والله وليهما ففيه الاستبشار بما حصل لهم من الشرف العظيم وانزاله فيهم ابدا ناطقة مفصحة بان الله
وليهم وان تلك الهمة التي هموا بها ما اخرجتهم عن ولاية الله تعالى وقوله تعالى وعلى الله فليتوكل المومنون
التوكل تفعل من وكل امره الى غيره اذا اعتمد عليه في كفايته والقيام به وقيل التوكل هو العجز
والاعتماد على الغير وقيل هو تفويض الامر الى الله تعالى ثقة بحسن تدبيره فامر الله عباده المومنين
ان لا يتوكلوا الا عليه ولا يفوضوا امرهم الا اليه قوله عز وجل ولقد نصركم الله ببدر بدر اسم
موضع بين مكة والمدينة معروف وقيل هو اسم لبئر هناك وكانت البئر لرجل يقال له بدر
فسميت به ذكر الله المومنين منته عليهم بالنصر يوم بدر وانتم اذلة جمع ذليل وهو جمع قلة
واراد به قلة العدد فان المسلمين كانوا ثلثمائة وبضعة عشر وفي رواية وثلاثة عشر
رجلا والمراد بذلتهم ضعف الحال وقلة السلاح والمركوب والمال وعدم القدرة على مقاومة
العدو وذلك انهم خرجوا على نواضح وكان النفر منهم يتعقب على البعير الواحد وكان
اكثرهم رجالة ولم يكن معهم الا فرس واحد وكان عدوهم من كفار قريش في حال الكثرة
زهاء الف مقاتل ومعهم مائة فرس وكان معهم السلاح والشوكة فنصر الله المومنين مع قلة عددهم
على عدوهم مع كثرتهم فاتقوا الله يعني في الثبات مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلكم
تشكرون يعني بتقواكم ما انعم به عليكم من نصرته قوله تعالى اذ تقول للمومنين الن يكفيكم ان يمدكم
ربكم بثلاثة الاف من الملائكة منزلين اختلف المفسرون في ان هذا الوعد اول الذي باتي بانزال
الملائكة ما حصل يوم بدر بانزال الملائكة هل حصل يوم بدر او يوم احد على قولين احدهما انه كان
يوم بدر قال قتادة كان هذا يوم بدر امدهم الله بالف من الملائكة كما قال اذ تستغيثون ربكم
فاستجاب لكم اني ممدكم بالف من الملائكة مردفين ثم صاروا ثلاثة الاف ثم صاروا خمسة الاف
كما ذكرها هنا بلى ان تصبروا وتتقوا وياتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة الاف
من الملائكة فصبروا يوم بدر واتقوا فامدهم الله بخمسة الاف كما وعد قال ابن عباس لم تقاتل
الملائكة في معركة الا يوم بدر وفيما سوى ذلك يشهدون القتال ولا يقاتلون انما يكونون عددا
او مددا وقال الحسن هولاء الخمسة الالاف ردء للمومنين الى يوم القيامة وقال الشعبي بلغ رسول
الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين يوم بدر ان كرز بن جابر المحاربي يريد ان يمد
المشركين فشق ذلك عليهم فانزل الله الن يكفيكم الى قوله مسومين فبلغ الكرز
الهزيمة فرجع ولم ياتهم ولم يمدهم فلم يمدهم الله ايضا بالخمسة الاف وكانوا قد امدوا
بالف من الملائكة وفي صحيح البخاري من حديث ابن عباس ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال يوم بدر هذا جبريل اخذ براس فرسه عليه اداة الحرب ويحتج لصحة هذا
القول ايضا بان الله تعالى قال قبل هذه الاية ولقد نصركم الله ببدر وانتم اذلة
وظاهر هذا يقتضي ان الله نصرهم حين قال النبي صلى الله عليه وسلم للمومنين الن
يكفيكم ان يمدكم ربكم الاية ولان العدد كانت يوم بدر قليلة فكان الاحتياج

الى الامداد اكثر القول ان هذا الوعد بامداد الملائكة كان يوم الاحد وهو قول عكرمة والضحاك
ومقاتل قال عمير بن اسحاق لما كان يوم احد انجلى القوم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
وبقي سعد بن مالك يرمي وفتى شاب يتنبل له كلما فني النبل اتاه به فنثره وقال
ارم ابا اسحاق ارم ابا اسحاق مرتين فلما انجلت المعركة سئل عن ذلك الرجل فلم يعرف
ق عن سعد بن ابي وقاص قال رأيت عن يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن شماله
يوم احد رجلين عليهما ثياب بيض يقاتلان عنه كاشد القتال ما رأيتهما قبل ولا بعد
يعني جبريل وميكائيل واحتج لصحة هذا القول بان المدد كان يوم بدر بالف من الملائكة
كما نص عليه في سورة الانفال ولم يكن بثلاثة الاف وبخمسة الاف كما هنا وايضا فان
الكفار كانوا يوم بدر الفا او ما يقرب منه وكان المسلمون على الثلث منه وذلك فانهم
كانوا ثلثمائة وبضعة عشر فانزل الله يوم بدر الفا من الملائكة في مقابلة عدد الكفار فوقع
النصر يومئذ للمسلمين والهزيمة للكفار وكان عدد المسلمين يوم احد الفا وعدد الكفار
ثلاثة الاف فناسب ان يكون المدد يومئذ للمسلمين ثلاثة الاف من الملائكة ليكون
ذلك مقابلا لعدد الكفار كما في يوم بدر واجيب عن الاحتجاج الاول لهذا القول
بان الله تعالى امدكم يوم بدر بالف كما ذكر في سورة الانفال ثم لما سمع اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم بامداد كرز الكفار قريش شق عليهم وعدوا بان يمدوا بثلاثة الاف
وبخمسة الاف لتقوى قلوبهم بذلك واجيب عن الثاني هو ان الكفار كانوا يوم
بدر الفا فانزل الله الفا وفي يوم احد ثلاثة الاف فانزل الله ثلاثة الاف بان هذا تقريب
حسن ولله ان يزيد ما يشاء في اي وقت شاء ولهذا قال عكرمة في قوله بلى ان تصبروا وتتقوا
ويأتوكم من فورهم هذا قال اليوم بدر قال فلم يصبروا ولم يتقوا يوم احد فلم يمدوا ولو امدوا
لم يهزموا يومئذ وقيل لم يصبروا ولم يتقوا الا في يوم الاحزاب فامدهم الله بالملائكة حين
حاصروا قريظة ق عن عائشة قالت لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الخندق
ووضع السلاح واغتسل اتاه جبريل فقال له قد وضعت السلاح والله ما وضعناه اخرج
اليهم قال الى اين قال ها هنا واشار الى بني قريظة فخرج النبي صلى الله عليه وسلم خ عن انس قال كاني انظر
الى الغبار ساطعا في زقاق بني غنم موكب جبريل حين سار رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى بني قريظة وقال عبد الله بن ابي اوفى كنا محاصرين قريظة والنضير ما شاء الله فلم يفتح
فرجعنا فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بغسل فهو يغسل راسه اذ جاءه جبريل عليه السلام
فقال وضعتم اسلحتكم ولم تضع الملائكة اوزارها فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بخرقة
فلف بها راسه ولم يغسله ثم نادى فينا فقمنا حتى اتينا قريظة والنضير فيومئذ امدنا
الله بثلاثة الاف من الملائكة ففتح لنا فتحا يسيرا وقال ابن جرير الطبري واولى الاقوال
بالصواب ان الله تعالى اخبر عن نبيه صلى الله عليه وسلم انه قال للمؤمنين الن يكفيكم ان يمدكم
ربكم بثلاثة الاف من الملائكة فوعدهم بثلاثة الاف من الملائكة مددا لهم ثم وعدهم

بخمسة

بخمسة الاف ان صبروا لاعدائهم واتقوا الله ولا دلالة في الاية على انهم امدوا بهم
ولا على انهم لم يمدوا بهم فقد يجوز ان الله امدهم ويجوز ان لا يكون امدهم ولا يثبت
ذلك الا بنص لقوم به الحجة في ذلك وقد ثبت بنص القران انهم امدوا يوم بدر
بالف من الملائكة في سورة الانفال فاما يوم احد فالدلالة على انهم لم يمدوا ابين
منها بانهم امدوا وذلك انهم لو امدوا لم يهزموا ولم ينل منهم ما نيل منهم فان قلت فما تصنع
بحديث سعد بن ابي وقاص المتقدم في يوم احد وانه راى ملكين عن يمين النبي صلى
الله عليه وسلم وشماله قلت انما كان ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم خاصة لانه صبر ولم
ينهزم كما انهزم اصحابه يوم احد واما التفسير فقوله تعالى اذ تقول للمؤمنين قول من قال
ان هذا كان يوم بدر قال تعلق الاية وبعد نصركم الله ببدر وانتم اذلة اذ تقول للمؤمنين
ومن قال هذا يوم احد لقول نظم الاية ان الله ذكر قصة احد ثم اتبعه بقوله ولقد نصركم
الله ببدر وانتم اذلة فكذلك هو القادر على ان ينصركم في ساير المواطن ثم رجع الى
قصة احد فقال اذ تقول للمؤمنين الن يكفيكم ومعنى الكفاية هو سد الخلة والقيام بالامر
مع بلوغ المراد ان يمدكم ربكم الامداد اعانة الجيش فما كان على جهة القوة والاعانة
يقال له امده امدادا وما كان على جهة الزيادة يقال فيه مده مدا وقيل المد في الشر والامداد
في الخير بثلاثة الاف من الملائكة منزلين انما وعدهم بنزول الملائكة لتقوى قلوبهم
ويثقوا بنصر الله وليعزموا على الثبات بلى تصديق لوعد الله اي بلى يمدكم وقيل بلى
ايجاب لما بعد لن يعني يكفيكم الامداد بهم فاوجب الكفاية ان تصبروا اي على
لقاء عدوكم وتتقوا يعني معصية الله ومخالفة نبيه صلى الله عليه وسلم ويأتوكم يعني
المشركين من فورهم هذا قال ابن عباس ابتداء الامر يوجد فيه ثم يوصل باخر يعني
قال يعني من فورهم من وجههم ارادوا ابتداء مخرجهم يوم بدر ومن قال معناه من غضبهم
اراد ابتداء غضبهم لقتلاهم يوم بدر لانهم رجعوا للحرب يوم احد من غضبهم ليوم بدر
يمددكم ربكم بخمسة الاف من الملائكة لم يرد خمسة الاف سوى الثلاثة المتقدمة
بل اراد معهم ممن قال ان هذا الامداد كان يوم بدر قال ان الله تعالى امدهم بالف
فلما سمعوا ان كرز بن جابر المحاربي يريد ان يمد المشركين فشق ذلك على المسلمين
فقال النبي صلى الله عليه وسلم الن يكفيكم ان يمدكم ربكم الاية على التقدير ان يجي المشركين
المدد فلم يمدوا ولم يمد الله المؤمنين بغير الالف وروى ابن الجوزي في تفسيره عن جبير
بن مطعم عن علي بن ابي طالب قال بينا انا امتح في قليب بدر جاءت ريح شديدة
لم ار اشد منها الا التي قبلها ثم جاءت ريح شديدة لم ار اشد منها الا التي قبلها فكانت
الريح الاولى جبريل نزل في الف من الملائكة وكان بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم
وكانت الريح الثانية ميكائيل نزل بالف من الملائكة وكانوا عن يمين رسول الله صلى
الله عليه وسلم وكنت عن يساره ويهزم الله اعداءه ومن الناس من ضم العدد القليل

الى الكثير لان الله تعالى ذكر الالف في سورة الانفال وذكر هنا ثلاثة الاف وخمسة الاف فيكون
المجموع تسعة الاف فان حملناه على غزوة احد فيكون المجموع ثمانية الاف ليس فيها ذكر الالف
المفردة مسومين قرئ بفتح الواو وكسرها فمن فتح الواو اراد ان الله سومهم ومعناه معلمين
وقد سوموا فهم مسومون والسيما العلامة وهذه العلامة يعلم بها الفارس يوم اللقاء ليعرف بها
قال عنترة ٥ فتعرفوني انني انا ذاكم ٥ شاك السلاح في الحوادث معلم ٥ ومن كسر الواو
نسب الفعل الى الملائكة والمعنى انهم علموا انفسهم بعلامات مخصوصة او علموا خيلهم واختلفوا
في تلك العلامة فقال عروة بن الزبير كانت الملائكة على خيل بلق وعليهم عمائم صفر وقال
علي وابن عباس كان عليهم عمائم بيض قد ارسلوها بين اكتافهم وقال هشام بن عروة والكلبي
كانت عمائم صفر مرخاة على اكتافهم وقال قتادة والضحاك كانوا قد علموا بالعهن يعني الصوف
المصبوغ في نواصي خيلهم واذنابها وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه يوم بدر
تسوموا فان الملائكة قد تسومت بالصوف الابيض في قلانسهم ومغافرهم ذكره البغوي
بغير سند وقيل كانت عمامة الزبير يوم بدر صفرا فنزلت الملائكة كذلك وقيل كانوا قد سوموا
انفسهم بسيما القتال قوله تعالى وما جعله الله يعني هذا الوعد والمدد الا بشرى لكم يعني بشارة
بانكم تنصرون فتستبشرون به ولتطمئن اي ولتسكن قلوبكم به اي فلا تجزعوا من كثرة عدوكم
وقلة عددكم وما النصر الا من عند الله يعني ولا تجعلوا النصر على الملائكة والجند وكثرة العدد
فان النصر من الله لا من غيره والغرض ان يكون توكلهم على الله لا على الملائكة
الذين امدوا بهم وفيه تنبيه على الاعراض عن الاسباب والاقبال على مسبب الاسباب.
العزيز الحكيم يعني فاستعينوا به فتوكلوا عليه لان العز وهو كمال القدرة والقوة والحكم
وهو كمال العلم له فلا يخفى عليه مصالح عباده ليقطع طرفا من الذين كفروا هذا متعلق بقوله
لقد نصركم الله ببدر والمعنى ان المقصود من نصركم ببدر ليقطع طرفا اي ليهلك
طائفة من الذين كفروا وقيل معناه ليهدم ركنا من اركان الشرك بالقتل والاسر
فقتل يوم بدر من قادتهم وسادتهم سبعون واسر سبعون ومن حمل الاية على غزوة
احد قال قد قتل منهم ستة عشر وكان النصر فيه للمسلمين حتى خالفوا امر رسول الله صلى الله
عليه وسلم او يكبتهم اصل الكبت في اللغة صرع الشيء على وجهه والمعنى انه يصرعهم على
وجوههم والمراد منه القتل والهزيمة والاهلاك او اللعن والخزي فينقلبوا خائبين
اي بالخيبة لم ينالوا شيئا من الذي املوه من الظفر بكم قوله تعالى ليس لك من الامر
شيء او يتوب عليهم او يعذبهم اختلفوا في سبب نزول هذه الاية فقيل انها نزلت في
اهل بئر معونة وهم سبعون رجلا من القراء بعثهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى بئر معونة وهي بين مكة وعسفان وارض هذيل وذلك في صفر سنة اربع
من الهجرة على راس اربعة اشهر من احد بعثهم ليعلموا الناس القرآن والعلم وامر عليهم
المنذر بن عمرو فقتلهم عامر بن الطفيل فوجد رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك

وجدا شديدا

وجدا شديدا وقنت شهرا في الصلوات كلها يدعو على جماعة من تلك القبائل باللعن خ
عن ابن عمر انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رفع راسه من الركوع في الركعة الاخيرة
من الفجر يقول اللهم العن فلانا وفلانا بعد ما يقول سمع الله لمن حمده ربنا لك الحمد فانزل
الله عليه ليس لك من الامر شيء الى قوله فانهم ظالمون ق عن ابي هريرة قال لما رفع
رسول الله صلى الله عليه وسلم من الركعة الثانية قال اللهم انج الوليد بن الوليد وسلمة
بن هشام وعياش ابن ابي ربيعة والمستضعفين بمكة اللهم اشدد وطاتك على مضر
اللهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف زاد في رواية اللهم العن فلانا وفلانا
لاحياء من العرب حتى انزل الله ليس لك من الامر شيء الاية سماهم في رواية يونس
اللهم العن رعلا وذكوان وعصية عصت الله ورسوله قال ثم بلغنا انه ترك ذلك
لما انزل الله ليس لك من الامر شيء او يتوب عليهم او يعذبهم فانهم ظالمون وقيل انها
نزلت يوم احد ثم اختلفوا في سببها فقيل ان عتبة بن ابي وقاص شج وجه رسول
الله صلى الله عليه وسلم وكسر رباعيته م عن انس بن مالك ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم كسرت رباعيته وشج راسه فجعل يسلت الدم عنه ويقول كيف يفلح
قوم شجوا نبيهم وكسروا رباعيته وهو يدعوهم الى الله فانزل الله ليس لك من الامر شيء
وقيل اراد النبي صلى الله عليه وسلم ان يدعو عليهم بالاستئصال فنزلت هذه الاية
وذلك لعلمه ان اكثرهم يسلمون وقيل ان النبي صلى الله عليه وسلم لما وقف على عمه حمزة
وراى ما صنعوا به من المثلة فاراد ان يدعو عليهم فنزلت هذه الاية قال العلماء وهذه
الاشياء كلها محتملة فلا يبعد حمل الاية على كلها ومعنى الاية ليس لك من امر مصالح عبادي
شيء الا ما اوحي اليك فان الله تعالى هو مالك امرهم فاما ان يتوب عليهم ويهديهم
فيسلموا او يهلكهم ويعذبهم ان اصروا على الكفر وقيل ليس لك مسئلة هلاكهم والدعاء عليهم
لانه تعالى اعلم بمصالحهم فربما تاب على من شاء منهم وقيل معناه ليس لك من امر خلقي
شيء الا ما وافق امري انما انت عبد مبعوث لانذارهم ومجاهدتهم وقيل ان قوله او
يتوب عليهم معطوف على قوله ليقطع طرفا وقوله ليس لك من الامر شيء كلام معترض
بين المعطوف والمعطوف عليه والتقدير ليقطع طرفا من الذين كفروا او يكبتهم او
يتوب عليهم او يعذبهم فانهم ظالمون ليس لك من الامر شيء بل الامر امري في ذلك كله
قال بعض العلماء والحكمة في منعه صلى الله عليه وسلم من الدعاء عليهم ولعنهم ان الله تعالى
علم من حال بعض الكفار انه سيسلم فيتوب عليه وسيولد لهم ولد يكون مسلما برا تقيا
فلاجل هذا المعنى منعه الله من الدعاء عليهم لان دعوته صلى الله عليه وسلم مجابة
فلو دعا عليهم بالهلاك لهلكوا جميعا لكن اقتضت حكمة الله وما سبق في علمه
ابقاءهم ليتوب على بعضهم ويستخرج من بعضهم ذرية مؤمنة صالحة ويهلك بعضهم بالقتل
والموت وهو قوله او يعذبهم فيحتمل ان يكون المراد العذاب في الدنيا وهو القتل

والا سر وفي الاخرة وهو عذاب النار فانهم ظالمون هو كالتعليل لعذابهم والمعنى انما نعذبهم
لانهم ظالمون ثم قال تعالى ولله ما في السموات وما في الارض وهذا تاكيد لما قبله من قوله
ليس لك من الامر شيء والمعنى انما يكون لمن له ما في السموات وما في الارض وليس
ذلك الا الله تعالى وليس لاحد معه امر يغفر لمن يشاء بفضله ورحمته ويعذب من
يشاء بعدله يحكم فيهم بما يشاء لا منازع له في فعله والله غفور رحيم يعني انه تعالى يستر
ذنوب عباده ويغفر لهم ويرحمهم بترك العقوبة عنهم عاجلا وانما يفعل ذلك
على سبيل التفضل والاحسان الى عباده لا على سبيل الوجوب عليه لانه تعالى لو ادخل جميع
خلقه الجنة كان ذلك برحمته ولو ادخل جميع خلقه النار كان ذلك بعدله لكن جانب
المغفرة والرحمة غالب قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تاكلوا الربا اضعافا مضاعفة اراد
به ما كانوا يفعلونه في الجاهلية عند حلول الدين من زيادة المال وتاخير الاجل فيه
الجاهلية اذا كان له على انسان دين فاذا جاء الاجل ولم يكن للمديون ما يودي قال
له صاحب الدين زدني في المال حتى ازيدك في الاجل فربما فعلوا ذلك مرارا فيصيروا
الدين اضعافا مضاعفة فنهى الله عز وجل عن ذلك وحرم اصل الربا ومضاعفته
واتقوا الله يعني في امر الربا فلا تاكلوه لعلكم تفلحون اي لكي تسعدوا بثوابه في الاخرة
وقيل ان الفلاح يتوقف على التقوى فلو اكل ولم يتق لم يحصل الفلاح وفيه دليل على ان
الربا من الكبائر ولهذا عقبه بقوله واتقوا النار التي اعدت للكافرين يعني واتقوا
ايها المومنون ان تستحلوا شيئا مما حرم الله فان من استحل شيئا مما حرم الله فهو كافر بالاجماع
ويستحق النار بذلك قال ابن عباس هذا تهديد للمومنين ان يستحلوا ما حرم الله عليهم من
الربا وغيره مما اوجب الله فيه النار قال بعضهم هذه الاية اخوف اية في القران حيث
اوعد الله المومنين بالنار المعدة للكافرين ان لم يتقوه ويجتنبوا محارمه وقال الواحدي وفي
هذه الاية تقوية لرجاء المومنين رحمة من الله تعالى لانه قال اعدت للكافرين فجعلها معدة للكفار
دون المومنين واطيعوا الله يعني فيما امركم به او نهاكم عنه من اكل الربا وغيره والرسول اي
واطيعوا الرسول ايضا فان طاعته طاعة الله قال محمد بن اسحاق في هذه الاية معاتبة للذين
عصوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد لعلكم ترحمون اي لكي ترحموا ولا تعذبوا فاذا اطعتم
الله ورسوله فان طاعة الله مع معصية رسوله ليست طاعة قوله عز وجل وسارعوا الى مغفرة
من ربكم يعني وبادروا وسابقوا الى ما يوجب المغفرة من ربكم وهي الاعمال الصالحة المامور بفعلها
قال ابن عباس الى الاسلام ووجهه ان الله تعالى ذكر المغفرة على سبيل التنكير والمراد منه المغفرة
العظيمة وذلك لا يحصل الا بسبب الاسلام لانه يجب ما قبله وعن ابن عباس ايضا الى التوبة
لان التوبة من الذنوب توجب المغفرة وقال علي بن طالب الى اداء الفرائض لان اللفظ
مطلق فيعم الكل وكذا وجه من قال الى جميع الطاعات وروي عن انس بن مالك وسعيد بن جبير
انها التكبيرة الاولى يعني تكبيرة الاحرام وقيل الى الاخلاص في الاعمال لان المقصود من

جميع العبادات

من جميع العبادات هو الاخلاص وقيل الى الهجرة وقيل الى الجهاد وجنة اي وسارعوا
الى جنة وانما فصل بين المغفرة والجنة لان المغفرة هي ازالة العقاب والجنة هي حصول
الثواب وفيه اشعار بانه لا بد من المسارعة الى التوبة الموجبة للمغفرة وذلك بترك
المنهيات والمسارعة الى الاعمال الصالحة المودية الى الجنة عرضها اي عرض الجنة السموات
والارض يعني كعرض السموات والارض لان طبق السموات والارض ليس عرضا للجنة
والمراد سعتها وانما خص الارض للمبالغة لان الطول في العادة يكون اكثر من العرض يقول هذا
صفة عرضها فكيف طولها والمراد وصف الجنة بالسعة والبسط فشبهت باوسع شيء علمه
الناس وذلك لانه لو جعلت السموات والارض طبقا طبقا ثم وصل البعض بالبعض حتى يكون
طبقا واحدا كان ذلك مثل عرض الجنة فاما طولها فلا يعلمه الا الله تعالى وقيل المراد بالعرض السعة
كما تقول العرب بلاد عريضة اي واسعة عظيمة قال الشاعر "كان بلاد الله وهي عريضة
على الخائف المطلوب كفة حابل" والاصل فيه ان ما اتسع عرضه لم يضق ولم يدق وما
ضاق عرضه دق فجعل العرض كناية عن السعة وروي ان هرقل ارسل الى النبي صلى الله
عليه وسلم انك كنت تدعوني الى جنة عرضها السموات والارض فاين النار فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم سبحان الله فاين الليل اذا جاء النهار قيل معناه والله اعلم بذلك انه اذا دار
الفلك حصل النهار في جانب والليل في ضد ذلك الجانب فكذلك الجنة في جهة العلو والنار
في جهة السفل وروي ان طارق بن شهاب ان ناسا من اليهود سالوا عمر بن الخطاب
وعنده اصحابه فقالوا ارايتم قولكم وجنة عرضها السموات والارض فاين النار فقال عمر ارايتم
اذا جاء الليل فاين يكون النهار واذا جاء النهار فاين يكون الليل فقال ان مثلها في التورية
ومعناه حيث يشاء الله تعالى فان قلت قال تعالى وفي السماء رزقكم وما توعدون واراد بالذي
وعدنا به الجنة ومذهب اهل السنة انها في السموات وان كانت الجنة في السماء فكيف يكون
عرضها السموات والارض قلت المراد من قولنا انها في السموات انها فوق السموات وتحت العرش
كما سئل انس بن مالك عن الجنة افي السماء هي ام في الارض فقال فهاي ارض وسماء تسع
الجنة قيل له فاين هي فقال فوق السموات تحت العرش وقد وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم
الفردوس فقال وسقفها عرش الرحمن قال قتادة كانوا يرون ان الجنة فوق السموات
السبع وان جهنم تحت الارضين السبع وقيل ان باب الجنة في السماء وعرضها كعرض السموات
والارض اعدت للمتقين اي هيئت للمتقين وفيه دليل على ان الجنة والنار مخلوقتان الان
قوله تعالى الذين ينفقون في السراء والضراء يعني في اليسر والعسر لا يتركون الانفاق في كلتي الحالتين
في الغنى والفقر والرخاء والشدة ولا في حال فرح وسرور ولا في حال محنة وبلاء وسواء كان الواحد
منهم في عرس او في حبس فانهم لا يدعون الاحسان الى الناس واول ما ذكر الله من اخلاقهم
الموجبة للجنة السخاء لانه اشق على النفس وكانت الحاجة الى اخراج المال في ذلك
الوقت اعظم الاحوال للحاجة اليه في مجاهدة الاعداء ومواساة الفقراء المسلمين عن ابي هريرة

ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال السخي قريب من الله قريب من الناس قريب من الجنة
والبخيل بعيد من الله بعيد من الناس بعيد من الجنة قريب من النار وجاهل السخي احب
الى الله من عابد بخيل اخرجه الترمذي ق عن ابي هريرة انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول مثل البخيل والمنفق كمثل رجلين عليهما جبتان من حديد من ثديهما الى تراقيهما
فاما المنفق فلا ينفق الا سبغت او وفرت على جلده حتى تخفي بنانه وتعفو اثره واما
البخيل فلا يريد ان ينفق شيئا الا لزقت كل حلقة مكانها فهو يوسعها فلا تتسع الجبة ادرع
من الحديد عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من يوم يصبح العباد فيه
الا وملكان ينزلان فيقول احدهما اللهم اعط منفقا خلفا ويقول الاخر اللهم اعط ممسكا
تلفا ق عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال الله تبارك وتعالى انفق ينفق عليك
ق عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من انفق زوجين في سبيل الله دعاه خزنة الجنة
كل خزنة باب اي قل هلم فقال ابو بكر يا رسول الله ذاك الذي لا توى عليه فقال رسول
صلى الله عليه وسلم اني لارجو ان تكون منهم قوله اي قل يعني يا فلان وليس بترخيم والتوى
الهلاك يعني ذاك الذي لا هلاك عليه وقوله تعالى والكاظمين الغيظ يعني والحابسين
الغيظ عند امتلاء نفوسهم منه والكظم حبس الشي عند امتلائه وكظم الغيظ هو ان يمتلي
غيظا فيرده في جوفه ولا يظهره بقول ولا فعل ويصبر عليه ويسكت عنه ومعنى الاية انهم
يكفون غيظهم عن الامضاء ويردون غيظهم في اجوافهم وهذا الوصف من اقسام
الصبر والحلم عن سهل بن معاذ بن انس الجهني عن ابيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
من كظم غيظا وهو يستطيع ان ينفذه دعاه الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق حتى
يخيره في اي الحور شاء اخرجه الترمذي وابو داود ق عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ليس الشديد بالصرعة انما الشديد من يملك نفسه عند الغضب وروي
عن عائشة ان خادما لها غاظها فقالت لله در التقوى ما تركت لذي غيظ شفاء وقوله تعالى والعافين
عن الناس يعني اذا جنى عليهم احد لم يؤاخذوه فتكون الاية على العموم وقيل اراد بالناس
المماليك ليستوا دب يقع منهم فتكون على الخصوص وقيل يعفون عمن ظلمهم واساء
اليهم وهو قريب من القول الاول والله يحب المحسنين يحتمل ان يكون اللام للجنس ويحتمل
ان يكون للعهد فيكون اشارة الى المذكورين في الاية والاحسان الى الغير اما ان يكون بايصال
النفع اليه او بدفع الضرر عنه وقيل الاحسان ان تحسن الى من اساء اليك فان الاحسان
الى المحسن متاجرة وقيل المحسن هو الذي يعم احسانه كل احد كالشمس والمطر والريح وقيل
الاحسان وقت الامكان وليس عليك في كل وقت احسان وقيل الاحسان هذه الخصال
المذكورة في هذه الاية فمن فعلها فهو محسن ولما كانت هذه الخصال احسانا الى الغير
ذكر الله ثوابها فقال والله يحب المحسنين فان محبة الله تعالى للعبد اعظم درجات
الثواب قوله عز وجل والذين اذا فعلوا فاحشة قال ابن مسعود قال المؤمنون

للنبي عم

للنبي صلى الله عليه وسلم يا رسول الله كانت بنو اسرائيل اكرم على الله منا كان احدهم اذا اذنب
ذنبا اصبحت كفارة ذنبه مكتوبة على عتبة بابه اجدع انفك اذنك افعل كذا فسكت
رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله هذه الاية وروى عطاء عن ابن عباس انها نزلت
في نبهان التمار اتته امراة حسناء تبتاع منه تمرا فقال لها ان هذا التمر ليس بجيد وفي البيت
اجود منه فذهب بها الى بيته فضمها وقبلها فقالت له اتق الله فتركها وندم على ذلك
فاتى النبي صلى الله عليه وسلم وذكر له ذلك فنزلت هذه الاية وفي رواية ابي صالح عن
ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اخى بين رجلين احدهما انصاري والاخر
ثقفي فخرج الثقفي في غزوة واستخلف اخاه الانصاري على اهله فاشترى لهم ذات
يوم لحما فلما ارادت المراة ان تاخذ منه دخل على اثرها وقبل يدها ثم ندم وانصرف
ووضع التراب على راسه وهام على وجهه فلما رجع الثقفي لم يستقبله الانصاري فسال
امراته عن حاله فقالت لا اكثر الله في الاخوان مثله وذكرت له الحال والانصاري
يسيح في الجبال تائبا مستغفرا فطلبه الثقفي حتى وجده فاتى به الى ابي بكر رجاء ان يجد
عنده راحة وفرجا فقال الانصاري هلكت وذكر القصة فقال ابو بكر ويحك اما علمت
ان الله يغار للغازي ما لا يغار للمقيم ثم لقيا عمر فقال لهما مثل ذلك فاتيا النبي
صلى الله عليه وسلم فقال لهما مثل مقالتهما فانزل الله عز وجل والذين اذا فعلوا فاحشة
يعني فعلة فاحشة خارجة عن اذن الله فيه والفاحشة ما عظم قبحه من الاقوال
والافعال واصل الفحش القبح والخروج عن الحد قال جابر الفاحشة الزنا وقوله او ظلموا
انفسهم وظلم النفس هو اي ذنب كان ذكروا الله يعني ذكروا وعيد الله وعقابه
وان الله سائلهم عن ذلك يوم العرض الاكبر وقيل ذكروا اجلال الله والحياء منه وقيل
ذكروا الله باللسان عند الذنوب وهو قوله فاستغفروا لذنوبهم يعني لاجل ذنوبهم
فتابوا منها واقلعوا عنها نادمين على فعلها عازمين على ان لا يعودوا اليها وهذه
شروط صحة التوبة المقبولة ومن يغفر الذنوب الا الله وصف نفسه بسعة الرحمة
وقرب المغفرة وان التائب من الذنب عنده كمن لا ذنب له وانه لا مفزع للمذنبين
الا الى فضله وكرمه واحسانه وعفوه وسعة رحمته وفيه تنبيه على ان العبد لا يطلب
المغفرة الا منه لانه القادر على عقاب المذنب وكذلك هو القادر على ازالة ذلك
العقاب عنه فثبت انه لا يجوز طلب المغفرة الا منه ولم يصروا على ما فعلوا يعني ولم
يقيموا على الذنوب ولم يثبتوا عليها ولكن تابوا منها واتابوا واستغفروا وقيل الاصرار
هو ترك الاستغفار عن ابي بكر الصديق ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
ما اصر من استغفر ولو عاد في اليوم سبعين مرة اخرجه ابو داود وقال حديث
غريب وعنده عوض ولو عاد ولو فعل وهم يعلمون قال ابن عباس وهم يعلمون
انها معصية وقيل وهم يعلمون ان الاصرار ضار وقيل معناه وهم يعلمون ان الله

لا يتعاظمه العفو عن الذنب وان كثر وقيل معناه وهم يعلمون انهم ان استغفروه غفر
لهم قال ثابت البناني بلغني ان ابليس بكى حين نزلت هذه الاية والذين اذا فعلوا فاحشة
الى اخرها **فصل** في فضل الاستغفار عن علي بن طالب رضي الله عنه قال كنت اذا الى اخر
سمعت حديثا من رسول الله صلى الله عليه وسلم نفعني الله منه بما شاء ان ينفعني واذا
حدثني احد من اصحابه استحلفته فاذا حلف لي صدقته وانه حدثني ابو بكر وصدق
ابو بكر انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من عبد مومن او قال ما من
رجل مومن يذنب ذنبا فيقوم فيتطهر ثم يصلي ثم يستغفر الله الا غفر له ثم قرا هذه
الاية والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم ذكروا الله الى اخر الاية اخرجه ابو
داود والترمذي وقال هذا حديث قد رواه غير واحد عن عثمان بن المغيرة فرفعوه
ورواه مسعود وسفيان عن عثمان بن المغيرة فوقفاه ولم يرفعاه ولم يعرف
لاسما الا هذا الحديث عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من لزم
الاستغفار جعل الله له من كل ضيق مخرجا ومن كل هم فرجا ورزقه من حيث لا يحتسب
اخرجه ابو داود م عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده
لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولاتى بقوم يذنبون فيستغفرون فيغفر لهم ق عنه عن
النبي صلى الله عليه وسلم فيما يحكي عن ربه تبارك وتعالى قال اذا اذنب عبد ذنبا فقال اللهم
اغفر لي ذنبي قال الله تبارك وتعالى اذنب عبدي ذنبا علم ان له ربا يغفر الذنوب
ويواخذ بالذنب ثم عاد فاذنب قال اي رب اغفر لي ذنبي فقال تبارك وتعالى عبدي
اذنب ذنبا فعلم ان له ربا يغفر الذنوب ويواخذ بالذنب وفي رواية اعمل ما شئت
قد غفرت لك قال عبد الاعلى لا ادري قال في الثالثة او الرابعة اعمل ما شئت عن
انس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تبارك وتعالى يا ابن
ادم انك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا ابالي يا ابن ادم
لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ولا ابالي يا ابن ادم
لو اتيتني بقراب الارض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا لاتيتك بقرابها مغفرة
اخرجه الترمذي وقال حديث حسن عنان السماء بفتح العين قيل هو السحاب وقيل
هو ما عن لك منها اي ما ظهر لك منها وقراب الارض بضم القاف وروي بكسرها والضم
اشهر وهو ما يقارب ملاها عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال
استغفر الله الذي لا اله الا هو الحي القيوم واتوب اليه غفرت ذنوبه وان كان قد
فر من الزحف اخرجه ابو داود والترمذي والحاكم وقال حديث صحيح على شرط البخاري
ومسلم عن ابي الدردا قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كل ذنب
عسى الله ان يغفره او قال عسى ان يغفره الله الا من مات مشركا او قتل مومنا
متعمدا اخرجه ابو داود وقوله تعالى اولئك اشارة الى من تقدم ذكره في قوله والذين

اذا فعلوا

اذا فعلوا فاحشة الاية جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الانهار معنى
الاية ان المطلوب بالتوبة امران احدهما الامن من العقاب واليه الاشارة بقوله
مغفرة من ربهم والثاني ايصال الثواب واليه الاشارة بقوله وجنات تجري من تحتها
الانهار اي ذلك لهم دخلا بجنس واجلا بوكس خالدين فيها اي في الجنة ونعم
اجر العاملين اي ونعم ثواب المطيعين يعني الجنة قوله عز وجل قد خلت من قبلكم
سنن يعني قد انقضت من قبلكم سنة الله في الامم الماضية بالهلاك والاستيصال
لانهم خالفوا الانبيا والرسول للحرص على الدنيا وطلب لذاتها والبقا فيها فانقرضوا
ولم يبق منهم احد وقيل في معنى السنة الطريقة المستقيمة والمثال المتبع لكل امة سنة و
منهاج اذا اتبعوه رضي الله عنهم بذلك وقيل سنن اي شرايع وقيل سنن اي امم
والسنة الامة ومعنى الاية قد مضت وسلفت مني سنن فيمن كان قبلكم من الامم
الماضية الكافرة بامهالي واستدراجي اياهم حتى يبلغ الكتاب اجله فيهم الذي اجلت
لهم في اهلاكهم ولنصر محمد صلى الله عليه وسلم واوليايه وهلاك اعدايه قوله تعالى
هذا يعني القران وقيل هو اشارة الى ما تقدم من امره ونهيه ووعده ووعيده بيان
للناس يعني عامة وهدى يعني من الضلالة وموعظة للمتقين يعني خاصة وقيل في الفرق
بين البيان والهدى والموعظة لان العطف يقتضي المغايرة فالبيان هو الدلالة التي
تفيد ازالة الشبهة بعد ان كانت حاصلة والهدى هو طريق الرشد المامور بسلوكه دون
طريق الغي والموعظة هي الكلام الذي يفيد الزجر عما لا ينبغي في طريق الدين فالحاصل ان البيان
جنس تحته نوعان احدهما الكلام الهادي الى ما ينبغي في الدين وهو الهدى والثاني الكلام
الزاجر عما لا ينبغي في الدين وهو الموعظة لانهم هم المنتفعون بهما دون غيرهم قوله عز وجل
ولا تهنوا ولا تحزنوا نزلت بعد يوم احد حين امر النبي صلى الله عليه وسلم اصحابه بطلب القوم
مع ما اصابهم من الجراح فاشتد ذلك على المسلمين فانزل الله هذه الاية وحث فيها اصحاب
النبي صلى الله عليه وسلم على الجهاد على ما اصابهم من الجراح والقتل وكان قد قتل يوم احد من
الانصار سبعون رجلا ومن المهاجرين خمسة رجال منهم حمزة بن عبد المطلب عم رسول الله صلى
الله عليه وسلم ومصعب بن عمير ومعنى الاية ولا تهنوا اي ولا تضعفوا عن الجهاد ولا تحزنوا
يعني على من قتل منكم لانهم في الجنة وانتم الاعلون يعني بالنصر والغلبة عليهم فان العاقبة لكم
وقال ابن عباس انهزم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في الشعب فاقبل خالد بن الوليد
في خيل المشركين يريد ان يعلوا عليهم الجبل فقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم لا يعلون علينا
اللهم لا قوة لنا الا بك وثاب نفر من المسلمين رماة فصعدوا الجبل ورموا خيل المشركين
حتى انهزموا وعلى المسلمون الجبل فذلك قوله وانتم الاعلون وقيل وانتم الاعلون لان
حالكم خير من حالهم لان قتلاكم في الجنة وقتلاهم في النار وانتم تقاتلون على حق وهم
يقاتلون على الباطل وقيل وانتم الاعلون في العاقبة لانكم تظفرون بهم وتستولون

عليهم ان كنتم مومنين اي ان كنتم مومنين وقيل معناه ان كنتم مصدقين مومنين
بان ناصركم هو الله تعالى ان يمسسكم قرح قرئ بضم القاف وفتحها وهما لغتان ومعناهما
واحد وقيل انه بالفتح مصدر وبالضم اسم وقيل انه بالفتح اسم الجراحة وبالضم الم الجراحة والآية
خطاب للمسلمين حين انصرفوا من احد مع الحزن والكآبة يقول ان يمسسكم ايها المسلمون
قرح يوم احد فقد مس القوم يعني الكفار قرح مثله يعني في يوم بدر وقيل ان الكفار
قد نالهم يوم احد مثل ما نالكم من الجراح والقتل فقد قتلت منهم نيف وعشرون رجلا و
كثرت الجراحات فيهم وتلك الايام نداولها بين الناس المداولة نقل الشيء من واحد الى
آخر يقال تداولته الايدي اذا انتقل من واحد الى آخر ويقال الدنيا دول اي تنتقل من قوم
الى آخرين ثم منهم الى غيرهم والمعنى ان ايام الدنيا هي دول بين الناس فيوم لهؤلاء
ويوم لهؤلاء فكانت الدولة للمسلمين على المشركين يوم بدر حتى قتلوا منهم سبعين
رجلا واسروا سبعين واديل المشركون من المسلمين يوم احد حتى جرحوا منهم سبعين
وقتلوا خمسا وسبعين خ عن البراء بن عازب قال جعل النبي صلى الله عليه وسلم على
الرجالة يوم احد وكانوا خمسين رجلا وهم الرماة عبد الله بن جبير فقال ان رايتمونا
تخطفنا الطير فلا تبرحوا مكانكم حتى ارسل اليكم وان رايتمونا هزمنا القوم واوطاناهم
فلا تبرحوا حتى ارسل اليكم فهزمهم قال فانا والله رايت النساء يشتددن قد بدت خلاخلهن
واسوقهن رافعات ثيابهن فقال اصحاب عبد الله بن جبير الغنيمة اي القوم الغنيمة
ظهر اصحابكم فما تنتظرون فقال عبد الله بن جبير انسيتم ما قال لكم رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقالوا والله لناتين الناس فلنصيبن من الغنيمة فلما اتوهم صرفت
وجوههم فاقبلوا منهزمين فذاك قوله والرسول يدعوكم في اخراكم فلم يبق مع النبي
صلى الله عليه وسلم وقد اصاب من المشركين اسيرا وسبعين قتيلا فقال ابو سفيان
افي القوم محمد ثلاث مرات فنهاهم النبي صلى الله عليه وسلم ان يجيبوه ثم قال افي القوم
ابن ابي قحافة ثلاث مرات ثم قال افي القوم عمر بن الخطاب ثلاث مرات ثم
رجع الى اصحابه فقال اما هؤلاء فقد قتلوا فما ملك عمر نفسه فقال كذبت والله
يا عدو الله ان الذين عددت لاحياء كلهم وقد بقي لك ما يسوءك قال يوم بيوم
والحرب سجال انكم ستجدون في القوم مثلة لم آمر بها ولم تسؤني ثم اخذ يرتجز
اعل هبل فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تجيبوه قالوا يا رسول الله ما نقول قال
قولوا الله اعلى واجل قال ابو سفيان لنا العزى ولا عزى لكم فقال النبي صلى الله
عليه وسلم لا تجيبوه قالوا يا رسول الله ما نقول قال قولوا الله مولانا ولا مولى لكم
قال البغوي وقد روي هذا المعنى عن ابن عباس وفي حديثه قال ابو سفيان
يوم بيوم وان الايام دول والحرب سجال فقال عمر لا سواء قتلانا في الجنة
وقتلاكم في النار قال الزجاج الدولة تكون للمسلمين على الكفار لقوله وان جندنا

لهم الغالبون

لهم الغالبون فكانت يوم احد للكفار على المسلمين لمخالفتهم امر رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقوله وليعلم الله الذين آمنوا يعني انما جعل الدولة للكفار على المسلمين ليميز المومن
المخلص ممن يرتد عن الدين اذا اصابته نكبة وشدة وقيل معناه وليعلم الله الذين آمنوا
بما يظهر من صبرهم على جهاد عدوهم اي ليعرفهم باعيانهم الا ان سبب العلم وهو
ظهور الصبر حذف هنا وقيل معناه ليعلم الله ذلك واقعا منهم لان الله تعالى يعلم الشيء
قبل وجوده ولا يحتاج الى سبب حتى يعلم والمعنى ليقع ما علمه غيبا مشاهدة للناس
والمجازاة انما تقع على الواقع دون المعلوم الذي لم يوجد وقيل معناه ليعلم اولياء الله
فاضاف علمهم الى نفسه تفخيما وقيل معناه ليحكم الله بالامتياز بين المومن والمنافق
فوضع العلم موضع الحكم لان الحكم لا يحصل الا بعد العلم ويتخذ منكم شهداء اي وليكرم منكم
قوما بالشهادة ممن اراد ان يكرمه بها وذلك لان قوما من المسلمين فاتهم يوم بدر
وكانوا يتمنون لقاء العدو وان يكون لهم يوم كيوم بدر فيقاتلون فيه العدو
ويلتمسون فيه الشهادة والشهداء جمع شهيد وهو من قتل من المسلمين بسيف الكفار في
المعركة واختلفوا في معنى الشهيد فقيل الشهيد الحي لقوله تعالى بل احياء عند ربهم فارواحهم
حية حضرت دار السلام وشهدتها وارواح غيرهم لا تشهدها وقيل سمي شهيدا لان
الله شهد له بالجنة وقيل سموا شهداء لانهم يشهدون يوم القيامة مع الانبياء والصديقين
على الامم لان الشهادة تكون للافضل فالافضل من الامة ولان منصب الشهادة منصب عظيم
ودرجة عالية والله لا يحب الظالمين يعني المشركين وقيل هم الذين ظلموا انفسهم بالمعاصي
وقيل هم المنافقون الذين يظهرون الايمان بالسنتهم ويسرون الكفر والمعنى والله
لا يحب من لا يكون ثابتا على الايمان صابرا على الجهاد وليمحص الله الذين آمنوا اي
وليطهرهم من ذنوبهم ويزيلها عنهم واصل المحص في اللغة التنقية والازالة ويمحق الكافرين
اي يفنيهم ويهلكهم ومعنى الآية ان قتلكم الكافرون فهو شهادة وتطهير لكم وان قتلتموهم
انتم فهو محقهم واستيصالهم قوله عز وجل ام حسبتم اي بل حسبتم وظننتم والمراد به الانكار
والمعنى لا تحسبوا ايها المومنون ان تدخلوا الجنة وتنالوا كرامتي وثوابي ولما يعلم الله
الذين جاهدوا منكم قال الامام فخر الدين الرازي ظاهر الآية يدل على وقوع النفي على العلم
والمراد وقوعه على نفي المعلوم والتقدير ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يصدر الجهاد عنكم
وتقريره ان العلم متعلق بالمعلوم كما هو عليه فلما حصلت هذه المطابقة لا جرم حسن
اقامة كل واحد منهما مقام الآخر وقال الواحدي النفي في الآية واقع على العلم ومعنى
على الجهاد دون العلم وذلك لما فيه من الايجاز في انتفاء جهاد لو كان يعلمه والتقدير
ولما يكن المعلوم من الجهاد الذي اوجب عليكم فجرى النفي على العلم للايجاز على سبيل
التوسع في الكلام اذ المعنى مفهوم من غير اخلال وقال الزجاج المعنى ولما يقع العلم
بالجهاد والعلم بصبر الصابرين اي ولما يعلم الله ذلك واقعا منكم لانه يعلمه غيبا

واثما يجازيهم على علمهم وقال الطبري يقول ولما يتبين لعبادي المؤمنين ما المجاهدين
منكم بما امرته به وليعلم الصابرين يعني في الحرب وعلى ما نالهم في ذات الله عز وجل
من جراح والم ومكروه وفي هذه الاية معاتبة لمن انهزم يوم احد والمعنى ام حسبتم ايها
المنهزمون ان تدخلوا الجنة كما دخلها الذين قتلوا وبذلوا مهجهم لربهم وصبروا على الم
الجرح والضرب وثبتوا للعدو وهم عيران تسلكوا طريقهم وتصبروا صبرهم قوله تعالى ولقد
كنتم تمنون الموت من قبل ان تلقوه قال ابن عباس لما اخبر الله المؤمنين على لسان
نبيه صلى الله عليه وسلم بما فعل بشهدائهم يوم بدر من الكرامة رغبوا في ذلك فتمنوا
قتالا يستشهدون فيه فيلحقون باخوانهم فاراهم الله يوم احد فلم يلبثوا ان انهزموا
الا من شاء الله منهم فانزل الله هذه الاية وقيل ان قوما من المسلمين تمنوا يوما
كيوم بدر ليقاتلوا فيه ويستشهدون فاراهم الله يوم احد ومعنى قوله تمنون
الموت اي تطلبون اسباب الموت وهو القتال والجهاد من قبل ان تلقوه يعني
من قبل ان تلقوا يوم احد فقد رايتموه يعني فقد رايتم ما كنتم تمنون والهاء
في رايتموه عايد الى الموت اي رايتم اسبابه معاينين له شاهدين قتل من قتل
من اخوانكم بين ايديكم وانتم تنظرون قيل ذكره تاكيدا وقال الزجاج معناه فقد رايتموه
وانتم بصراء كما تقول رايت كذا وكذا وليس في عينك علة اي رايته حقيقة وقيل
معناه وانتم تنظرون ما تمنيتم فلم انهزمتم قوله عز وجل وما محمد الا رسول قد خلت
من قبله الرسل قال اهل المغازي خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل
بالشعب من احد في سبعمائة رجل وجعل عبد الله بن جبير على الرجالة وكانوا
خمسين رجلا وقال اقيموا باصل الجبل وانضحوا عنا بالنبل حتى لا ياتونا من خلفنا
فان كانت لنا او علينا لا تبرحوا من مكانكم حتى ارسل اليكم فانا لن نزال غالبين ما
ثبتم مكانكم وكانت قريش وعلى ميمنتهم خالد بن الوليد وعلى ميسرتهم عكرمة بن
ابي جهل ومعهم النساء يضربون بالدفوف وينشدن الاشعار فقاتلوا حتى حميت
الحرب وحمل النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه على المشركين فهزموهم وكان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قد اخذ سيفا وقال من ياخذ هذا السيف بحقه ويضرب به العدو
حتى يثخن فاخذه ابو دجانة سماك بن خرشة الانصاري فلما اخذه اعتم بعمامة
حمراء وجعل يتبختر في مشيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انها لمشية يبغضها الله ورسوله
الا في هذا الموضع فلما نظرت الرماة الى المشركين وقد انكشفوا وراوا اصحابهم ينتهبون
الغنيمة اقبلوا يريدون النهب فلما راى خالد بن الوليد قلة الرماة واشتغال المسلمين
بالغنيمة وراى ظهورهم خالية صاح في خيله وحمل على اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
ورمى عبد الله بن قميئة رسول الله بحجر فكسر انفه ورباعيته وشجه في وجهه فاثقله
وتفرق عنه اصحابه ونهض رسول الله صلى الله عليه وسلم الى صخرة ليعلوها فلم يستطع

وكان قد ظاهر بين درعين فجلس تحته طلحة حتى استوى على الصخرة فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم اوجب طلحة ووقعت هند والنسوة معها يمثلن بالقتلى
من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يجدعن الاذان والانوف حتى اتخذت من
ذلك قلايد واعطتها وحشيا وبقرت عن كبد حمزة رضي الله عنه وكان قد قتل يومئذ
فاخذت منها قطعة فلاكتها فلم تسغها فلفظتها واقبل عبد الله بن قميئة يريد قتل
النبي صلى الله عليه وسلم فذب عنه مصعب بن عمير وهو صاحب راية رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقتله ابن قميئة وهو يرى انه قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم
فرجع وقال اني قد قتلت محمدا وصاح صارخ الا ان محمدا قد قتل ويقال ان الصارخ
ابليس اللعين فانكفا الناس وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الي عباد الله
الي عباد الله فاجتمع اليه ثلاثون رجلا فحموه حتى كشفوا عنه المشركين ورمى
سعد بن ابي وقاص حتى اندقت سية قوسه ونثل له رسول الله صلى الله عليه
وسلم كنانته وقال ارم فداك ابي وامي وكان ابو طلحة رجلا راميا شديد النزع
كسر يومئذ قوسين او ثلاثة وكان الرجل يمر ومعه جعبة النبل فيقول انثرها
لابي طلحة وكان اذا رمى تشرف رسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر موضع نبله
واصيبت يد طلحة ابن عبيد الله فيبست وقى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم
واصيبت عين قتادة بن النعمان يومئذ حتى وقعت على وجنته فردها رسول
الله صلى الله عليه وسلم فعادت كاحسن ما كانت فلما انصرف رسول الله صلى الله
عليه وسلم ادركه ابي بن خلف الجمحي وهو يقول لا نجوت ان نجوت فقال القوم
يا رسول الله الا يعطف عليه رجل منا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعوه
حتى اذا دنا منه وكان ابي قبل ذلك يلقى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول
عندي رمكة اعلفها كل يوم فرق ذرة اقتلك عليها فيقول رسول الله صلى
الله عليه وسلم بل انا اقتلك ان شاء الله فلما دنا منه تناول رسول الله صلى الله
عليه وسلم الحربة من الحارث ثم استقبله وطعنه في عنقه وخدشه خدشة فتدهدا
عن فرسه وهو يخور كما يخور الثور ويقول قتلني محمد فاحتمله اصحابه وقالوا
ليس عليك باس فقال بل لو كانت هذه الطعنة بربيعة ومضر لقتلتهم اليس
قال لي انا اقتلك فلو بزق علي بعد تلك المقالة لقتلني بها فلم يلبث بعد
ذلك الا يوما حتى مات بموضع يقال له سرف خ عن ابن عباس قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اشتد غضب الله على من قتله نبي في سبيل الله
اشتد غضب الله على قوم ادموا وجه نبي الله قالوا وفشا في الناس ان محمدا
قد قتل فقال بعض المسلمين ليت لنا رسولا الى عبد الله بن ابي فياخذ لنا امانا
من ابي سفيان وجلس بعض الصحابة والقوا بايديهم وقال اناس

من المنافقين ان كان محمد قد قتل فالحقوا بدينكم الاول وقال انس بن النضر عم انس
بن مالك يا قوم ان كان محمد قد قتل فان رب محمد لم يقتل وما تصنعوا بالحياة بعد رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقاتلوا على ما قاتل عليه وموتوا على ما مات عليه ثم قال اللهم
اني اعتذر اليك مما يقول هولا يعني المسلمين وابرا اليك مما جاء به هولا يعني المشركين
ثم شد بسيفه فقاتل حتى قتل ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم انطلق الى الصخرة
وهو يدعوا الناس فاول من عرف رسول الله صلى الله عليه وسلم كعب بن مالك قال
فقد عرفت عينيه تزهر تحت المغفر فناديت باعلى صوتي يا معشر المسلمين ابشروا
هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاشار الي ان اسكت فانحازت اليه طائفة من
اصحابه فلامهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على الفرار فقالوا يا نبي الله فديناك
باباينا وامهاتنا اتانا الخبر بانك قد قتلت فرعبت قلوبنا فولينا مدبرين فانزل الله
عز وجل وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل ومعنى الاية فسيخلو محمد كما خلت
الرسل من قبله فكما ان اتباعهم بقوا متمسكين بدينهم بعد خلو انبيائهم فعليكم انتم
ان تتمسكوا بدينه بعد خلوه لان الغرض من بعثة الرسول تبليغ الرسالة والزام الحجة
لا وجوده بين ظهراني قومه ومحمد اسم علم لرسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه اشارة
الى وصفه بذلك وتخصيصه بمعناه وهو الذي كثرت خصاله المحمودة والمستحق لجميع
المحامد بانه الكامل في نفسه صلى الله عليه وسلم فاكرم الله نبيه صلى الله عليه وسلم
وسماه باسمين مشتقين من اسمه المحمود سبحانه وتعالى فسماه محمد واحمد وفي ذلك يقول
حسان بن ثابت ٥ الم تر ان الله ارسل عبده ٥ ببرهانه والله اعلى وامجد ٥ اغر عليه للنبوة
خاتم ٥ من الله مشهور يلوح ويشهد ٥ وشق له من اسمه ليجله ٥ فذو العرش محمود وهذا
محمد ٥ خ م عن جبير بن مطعم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لي خمسة اسما انا محمد
وانا احمد وانا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر وانا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي وانا
العاقب والعاقب الذي ليس بعده نبي وسماه الله رؤفا رحيما م عن ابي موسى الاشعري
قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمي لنا نفسه اسما فقال انا محمد وانا احمد وانا
المقفي ونبي التوبة ونبي الرحمة قوله المقفي هو اخر الانبيا الذي لا نبي بعده والرسول
هو المرسل ويكون بمعنى الرسالة والمراد به ههنا المرسل بدليل قوله وانك لمن المرسلين
افان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم يعني انتقلبون على اعقابكم ان مات محمد
او قتل وترجعون الى دينكم الاول يقال لكل من رجع الى ما كان عليه رجع وراءه ونكص
على عقبيه وحاصل الكلام ان الله تعالى بين ان موت محمد صلى الله عليه وسلم او قتله لا يوجب
ضعفا في دينه ولا الرجوع عنه بدليل موت سائر الانبيا قبله وان اتباعهم ثبتوا على
دين انبيائهم بعد موتهم ومن ينقلب على عقبيه يعني فيرتد عن دينه ويرجع الى الكفر
فلن يضر الله شيئا يعني بارتداده لان الله تعالى لا يضره كفر الكافرين لانه تعالى غني عن العالمين

وانما يضر

وانما يضر المرتد والكافر نفسه وسيجزي الله الشاكرين يعني الثابتين على دينهم الذين
لم ينقلبوا عنه لانهم شكروا النعمة الله عليهم بالاسلام بثباتهم عليه فسماهم شاكرين
لما فعلوا والمعنى وسيثبت الله من شكره على توفيقه وهدايته وروى ابن جبير
عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه في قوله وسيجزي الله الشاكرين قال الثابتين
على دينهم ابا بكر واصحابه وكان علي يقول ابو بكر امين الشاكرين وامين احباب
الله وكان اشكرهم واحبهم الى الله تعالى قوله تعالى وما كان لنفس ان تموت
الا باذن الله اي بامر الله وبقضائه وقدره وعلمه وذلك ان يامر ملك الموت
بقبض الارواح فلا يموت احد الا باذن الله وامره والمراد من الاية تحريض المسلمين على
الجهاد وتشجيعهم على لقا العدو واعلامهم ان الجبن لا ينفع والحذر لا يدفع المقدر
وان احدا لا يموت قبل اجله وان خاطر المهالك واقتحم المعارك واذا جا الاجل
لم يدفع الموت بحيلة فلا فايدة في الخوف وفي الاية ايضا ذكر حفظ الله رسوله
صلى الله عليه وسلم عند غلبة العدو وتخليصه منهم عند التفافهم عليه واسلام اصحابه
له فانجاه الله تعالى من عدوه سالما مسلما لم يضره شي كتابا موجلا يعني موقتا له
اجله معلوم لا يتقدم ولا يتاخر والمعنى ان الله تعالى كتب لكل نفس اجلا لا يقدر
احد على تقديمه او تاخيره وقيل الكتاب هو اللوح المحفوظ لان فيه اجال جميع
الخلق ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها يعني من يرد بعمله وطاعته الدنيا
ويعمل لها نؤته منها ما يكون جزا لعمله والمعنى نؤته منها ما نشا مما قدرناه له
نزلت في الذين تركوا المركز يوم احد وطلبوا الغنيمة ومن يرد ثواب الاخرة نؤته
منها يعني من اراد بعمله الاخرة نؤته ثوابه فيها نزلت في الذين ثبتوا مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم يوم احد واعلم ان هذه الاية وان نزلت في الجهاد
خاصة لكنها عامة في جميع الاعمال وذلك لان الاصل في ذلك كله يرجع
الى نية العبد فان كان يريد بعمله الدنيا فليس له جزا الا فيها وكذلك من
اراد بعمله الدار الاخرة فجزاؤه ايضا فيها ق عن عمر بن الخطاب قال سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول انما الاعمال بالنيات وفي رواية بالنية وانما لكل
امرئ ما نوى فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن
كانت هجرته الى دنيا يصيبها او امراة يتزوجها وفي رواية ينكحها فهجرته الى
ما هاجر اليه وروى البغوي بسنده عن انس بن مالك ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال من كانت نيته طلب الاخرة جعل الله غناه في قلبه وجمع له شمله
واتته الدنيا وهي راغمة ومن كانت نيته طلب الدنيا جعل الفقر بين عينيه
وشتت عليه امره ولا ياتيه منها الا ما كتب له وقوله تعالى وسنجزي الله الشاكرين
يعني المومنين المطيعين الذين لم يشغلهم شي عن الجهاد ولم يريدوا باعمالهم الا الله

والدار الاخرة قوله عز وجل وكاين من نبي قتل معه وقرئ قاتل معه فمن قرا قتل بضم
القاف فله اوجه احدها ان يكون القتل راجعا على النبي صلى الله عليه وسلم وحده
فعلى هذا يكون الوقف على قتل لانه كلام تام وفيه اضمار تقديره قتل ومعه ربيون
كثير او يكون معناه قتل حال ما كان معه ربيون كثير والمعنى ان كثيرا من الانبيا قتلوا
والذين بقوا بعدهم فما وهنوا في دينهم ولا استكانوا بل استمروا على جهاد عدوهم
ونصرة دينهم فكان ينبغي لكم ان تكونوا امثالهم الوجه الثاني ان القتل نال النبي
ومن معه من الربيون ويكون المراد البعض ويكون قوله فما وهنوا راجعا الى
الباقين والمعنى وكاين من نبي قتل وبعض من كان معه فما ضعف الباقون لقتل
من قتل من اخوانهم بل مضوا على جهاد عدوهم فكان ينبغي لكم ان تكونوا
كذلك الوجه الثالث ان يكون القتل نال الربيون لا النبي والمعنى وكاين من نبي قتل
من كان معه وعلى دينه ربيون كثير ومن قرا قاتل معه ربيون كثير فالمعنى وكاين من
نبي قاتل معه العدد الكثير من اصحابه فاصابهم من عدوهم قروح وجراحات فما وهنوا
لما اصابهم بل استمروا على جهاد عدوهم لان الذي اصابهم انما هو في سبيل الله
وطاعته واقامة دينه ونصرة نبيه فكان ينبغي لكم ان تفعلوا مثل ذلك يا امة
محمد وحجة هذه القراة ما روي عن سعيد بن جبير انه قال ما سمعنا ان نبيا قتل في القتال
وقوله ربيون كثير قال ابن عباس جموع كثيرة وقيل الربيون الالوف وقيل الربية
الواحدة عشرة الاف وقيل الف وقيل ربيون يعني فقهاء علماء وقيل الربيون جم الاتباع
فما وهنوا لما اصابهم في سبيل الله اي فما جبنوا عن الجهاد في سبيل الله لما اصابهم وما ضعفوا
يعني عن مجاهدة عدوهم بما نالهم من الم الجراح وقتل الاصحاب وما استكانوا يعني وما
استسلموا وما خضعوا لعدوهم ولكنهم صبروا على امر ربهم وطاعة نبيهم وجهاد عدوهم
وهذا تعريض بما اصابهم يوم احد من الوهن والانكسار عند الارجاف بقتل رسول الله
صلى الله عليه وسلم وضعفهم عن مجاهدة المشركين واستكانتهم لهم حين ارادوا ان
يعتضدوا بالمنافق عبد الله بن ابي في طلب الامان من ابي سفيان والمقصود من
الاية حكاية ما جرى لساير الانبيا واتباعهم لتقتدي هذه الامة بهم وترغيب الذين
كانوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجهاد والله يحب الصابرين يعني في الجهاد
والمعنى ان من صبر على تحمل الشدايد في طلب الاخرة ولم يظهر الجزع والعجز فان الله يحبه
ومحبة الله للعبد عبارة عن اكرامه واعزازه وايصال الثواب له وادخال الجنة مع اوليائه
واصفيائه ثم قال تعالى وما كان قولهم يعني قول الربانيين الا ان قالوا ربنا اغفر لنا
ذنوبنا فيدخل فيه جميع الذنوب الصغاير والكباير واسرافنا في امرنا يعني وما اسرفنا
فيه فتخطينا العظام من الذنوب لان الاسراف الافراط في الشي ومجاوزة الحد فيه فيكون
المعنى اغفر لنا ذنوبنا الصغاير منها والكباير وثبت اقدامنا يعني لكي لا تزول عند لقا

العدو

العدو وذلك يكون بازالة الخوف والرعب من قلوبهم وانصرنا على القوم الكافرين
لان النصر على الاعدا لا يكون الا من عند الله بين الله تعالى انهم كانوا مستعدين عند
لقا العدو بالدعا والتضرع وطلب الاعانة والنصر من الله تعالى والغرض منه ان
يقتدى بهم في هذه الطريقة الحسنة امة محمد صلى الله عليه وسلم يقول هلا فعلتم مثل
ما فعلوا وقلتم مثل ما قالوا فاتاهم الله ثواب الدنيا يعني النصر والغنيمة وقهر الاعدا
والثنا الجميل وغفران الذنوب والخطايا وحسن ثواب الاخرة يعني الجنة وما فيها
من النعيم المقيم وانما خص ثواب الاخرة بالحسن تنبيها على جلاله وعظمته لانه غير زايل
ولم يشب بتنغيص ولم يصف ثواب الدنيا بالحسن لقلته ولانه سريع الزوال
مع ما يشوبه من التنغيص والله يحب المحسنين يعني الذين يفعلون مثل الذي فعل
هولا وهذا التعليم من الله تعالى لعباده المومنين ان يقولوا مثل هذا عند لقا العدو وفيه
دقيقة لطيفة وهي انهم لما اعترفوا بذنوبهم وكونهم مسيئين سماهم الله محسنين قوله تعالى
يا ايها الذين امنوا ان تطيعوا الذين كفروا يعني اليهود والنصارى وقيل المنافقين
وذلك في قولهم للمومنين عند الهزيمة يوم احد ارجعوا الى اخوانكم وادخلوا في دينهم
وقيل معناه ان تطيعوهم فيما يامرونكم به من ترك الجهاد يردوكم على اعقابكم يعني يرجعوكم
الى امركم الاول وهو الكفر والشرك بالله بعد الايمان به لان قبول قولهم في الدعوة
الى الكفر كفر فتنقلبوا خاسرين يعني مغبونين في الدنيا والاخرة اما خسار الدنيا فهو
طاعة الكفار والتذلل للاعدا واما خسار الاخرة فهو دخول النار وحرمان دار القرار بل
الله مولاكم اي وليكم وناصركم وحافظكم فاستعينوا به وهو خير الناصرين يعني انه تعالى
قادر على نصركم والمعنى انكم انما تطيعوا الكفار لينصروكم ويعينوكم وهم عاجزين عن
نصر انفسهم فضلا عن غيرهم فاطلبوا النصر من الله تعالى فهو خير الناصرين قوله عز وجل سنلقي
في قلوب الذين كفروا الرعب وذلك ان ابا سفيان ومن معه لما ارتحلوا يوم احد
متوجهين الى مكة فلما بلغوا بعض الطريق ندموا وقالوا بيس ما صنعنا قتلناهم حتى
اذا لم يبق منهم الا الشريد تركناهم ارجعوا اليهم فاستاصلوهم فلما عزموا على ذلك
القى الله في قلوبهم الرعب يعني الخوف الشديد حتى رجعوا عما هموا به فعلى هذا القول
يكون الوعد بالقا الرعب في قلوب الكفار مخصوص بيوم احد وقيل انه عام وكان السبب
خاصا لقوله صلى الله عليه وسلم نصرت بالرعب مسيرة شهر فكانه تعالى قال سنلقي في قلوب
الذين كفروا الرعب منهم حتى تقهروهم وتظهروا دينكم على ساير الاديان وقد فعل الله ذلك
بفضله وكرمه حتى صار دين الاسلام ظاهرا على جميع الاديان والملل كما قال تعالى ليظهره
على الدين كله بما اشركوا بالله يعني انما كان القا الرعب في قلوبهم بسبب اشراكهم بالله
ما لم ينزل به سلطانا يعني حجة وبرهانا وسميت الحجة سلطانا لان السلطان مشتق من التسليط
وهو ما يتطبع به وقيل السلطان القدرة والقوة وسميت الحجة سلطانا لقوتها على دفع

الباطل وماواهم النار لما بين الله تعالى حال الكفار في الدنيا وهو القاء الرعب والخوف
في قلوبهم بين حالهم في الآخرة فقال تعالى وماواهم النار اي مسكنهم وبيس مثوى الظالمين
اي المسكن الذي يستقرون به ويقيمون فيه وكلمة بيس تستعمل في جميع المذام والمعنى
وبيس مقام الظالمين الذين ظلموا انفسهم بارتكاب ما اوجب لهم عذاب النار و
الاقامة فيها قوله تعالى ولقد صدقكم الله وعده قال محمد بن كعب القرظي لما رجع رسول
الله صلى الله عليه وسلم واصحابه الى المدينة من احد وقد اصابهم ما اصابهم قال ناس من
الصحابة من اين اصابنا هذا وقد وعدنا الله النصر فانزل الله ولقد صدقكم الله وعده
يعني بالنصر والظفر وذلك ان الظفر كان للمسلمين في الابتداء وقيل ان الله تعالى وعد المؤمنين
النصر باحد فنصرهم فلما خالفوا امر رسول الله صلى الله عليه وسلم وطلبوا الغنيمة هزموا
اذ تحسونهم يعني اذ تقتلون الكفار قتلا ذريعا وقيل معنى تحسونهم تستاصلونهم بالقتل
باذنه اي بعلم الله وامره وقيل بقضاء الله وقدره حتى اذا فشلتم وتنازعتم في الامر وعصيتم
قال الفراء فيه تقديم وتاخير تقديره حتى اذا تنازعتم في الامر وعصيتم فشلتم وقيل معناه
ولقد صدقكم الله وعده بالنصر الى ان كان منكم الفشل والتنازع والمعصية وقيل فيه
معنى الشرط وجوابه محذوف تقديره حتى اذا فشلتم وتنازعتم في الامر وعصيتم منعكم الله
النصر ومعنى فشلتم ضعفتم والفشل الضعف مع جبن ومعنى التنازع الاختلاف
وكان اختلافهم وتنازعهم ان الرماة الذين كانوا مع عبد الله بن جبير لما انهزم المشركون
قال بعضهم لبعض اي قوم ما نصنع بمقامنا ههنا وقد انهزم المشركون ثم اقبلوا على الغنيمة
وقال بعضهم لا تجاوزوا امر رسول الله صلى الله عليه وسلم وثبت عبد الله بن جبير امير القوم
في نفر يسير دون العشرة ممن كان معه فلما راوا خالد بن الوليد وعكرمة بن ابي جهل
ذلك حملوا على الرماة الذين ثبتوا مع عبد الله بن جبير فقتلوا عبد الله بن جبير واصحابه
واقبلوا على المسلمين وتحولت الريح دبورا بعد ما كانت صبا وانتقضت صفوف
المسلمين واختلطوا فجعلوا يقتلون على غير شعار يضرب بعضهم بعضا وما يشعرون
بذلك من الدهش ونادى ابليس ان محمدا قد قتل فكان ذلك سبب هزيمة المسلمين
وقوله وعصيتم يعني امر رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما امركم به من لزوم المركز من بعد
ما اراكم ما تحبون يعني من النصر والظفر والغنيمة يا معشر المسلمين منكم من يريد الدنيا
يعني الذين تركوا المركز واقبلوا على النهب ومنكم من يريد الآخرة يعني الذين ثبتوا
مع اميرهم عبد الله بن جبير حتى قتلوا قال عبد الله بن مسعود ما شعرت ان احدا من
اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يريد الدنيا حتى كان يوم احد ونزلت هذه الآية ثم
صرفكم عنهم يعني يا معشر المسلمين عنهم عن المشركين بالهزيمة ليبتليكم يعني ليمتحنكم
وقيل لينزل عليكم البلاء لتتوبوا اليه وتستغفروه وقيل معناه ليختبركم وهو اعلم فيتميز
المؤمن من المنافق ومن يريد الدنيا ممن يريد الآخرة ولقد عفا عنكم ولقد عفى الله

عنكم ايها المخالفون امر رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يستاصلكم بعد المخالفة والمعصية
وقيل عفى عن عقوبتكم ايها المخالفون والله ذو فضل على المؤمنين وهذا من تمام
نعمه على عباده المؤمنين لانه نصرهم اولا ثم عفى عن المذنبين منهم ثانيا لانه ذو الفضل
والطول والاحسان وفي الآية دليل على ان صاحب الكبيرة مؤمن وان الله تعالى يعفوا
بفضله وكرمه ان شاء لان الله سماهم مؤمنين مع ما ارتكبوه من مخالفة امر رسول
الله صلى الله عليه وسلم وهو كبيرة وعفى عنهم بعد ذلك قوله عز وجل اذ تصعدون
قيل هو متعلق بما قبله والتقدير ولقد عفى عنكم اذ تصعدون لان عفوه عنهم
لا بد وان يتعلق بامر اقترفوه وذلك الامر هو ما بينه بقوله اذ تصعدون يعني هاربين
في الجبل وقيل هو ابتداء كلام لا تعلق له بما قبله والمعنى اذكروا اذ تصعدون قراءة
الجمهور بضم التاء وكسر العين من الاصعاد وهو الذهاب في الارض والابعاد فيها
وقرا الحسن تصعدون بفتح التاء من الصعود وهو الارتقاء من الاسفل الى الاعلى
كالصعود في الجبل وعلى السلم ونحوه وللمفسرين في معنى الآية قولان احدهما انه صعودهم
في الجبل عند الهزيمة والثاني انه الابعاد في الارض في حال الهزيمة ووقت الهرب
ولا تلوون على احد اي لا تعرجون ولا تقيمون على احد ولا يلتفت بعضكم الى بعض
من شدة الهرب والرسول يدعوكم في اخراكم اي في اخركم ومن ورائكم يقول الي عباد
الله انا رسول الله من كر اي رجع فله الجنة فاثابكم غما بغم يعني فجازاكم بفراركم عن نبيكم
صلى الله عليه وسلم وفشلكم عن عدوكم غما بغم فسمى العقوبة التي عاقبهم بها ثوابا
على سبيل المجاز لان لفظ الثواب لا يستعمل في الاغلب الا في الخير وقد يجوز استعماله
في الشر لانه ماخوذ من ثاب اذا رجع فاصل الثواب كل ما يعود الى الفاعل من
جزاء فعله سواء كان خيرا او شرا فمتى حملنا لفظ الثواب على اصل اللغة كان الكلام
صحيحا ومتى حملناه على الاغلب كان على سبيل المجاز فهو كقول الشاعر ٭ اخاف زيادا
ان يكون عطاؤه ٭ اداهم سودا او محدرجة سمرا ٭ فجعل العطاء مكان العقاب
لان الاداهم السود هي القيود الثقال والمحدرجة هي السياط والباء في قوله غما
بغم بمعنى مع او بمعنى على لان حروف الجر ينوب بعضها عن بعض وقيل الباء على بابها
والمعنى غما متصلا بغم واختلفوا في معنى الغمين فقيل الغم الاول هو ما فاتهم
من الظفر والغنيمة والغم الثاني هو ما نالهم من القتل والهزيمة وقيل الغم الاول
ما اصابهم من القتل والجراح والغم الثاني هو ما سمعوا ان محمدا صلى الله عليه وسلم
قد قتل فانساهم غمهم الاول وقيل الغم الاول هو انهم غموا رسول الله صلى الله عليه وسلم
بمخالفة امره فجازاهم الله بذلك الغم القتل والهزيمة وقيل ان غمهم الاول بسبب اشراف
خالد بن الوليد مع خيل المشركين عليهم والغم الثاني حين اشرف ابو سفيان عليهم
وذلك ان ابا سفيان واصحابه وقفوا بباب الشعب فلما نظر المسلمون اليهم غمهم

ذلك وظنوا انهم يميلون عليهم فيقتلونهم فاهمهم ذلك وقوله تعالى لكيلا في لفظة لا قولان احدهما انها باقية على اصلها ومعناها النفي فعلى هذا يكون الكلام متصل بقوله ولقد عفا عنكم والمعنى ولقد عفا عنكم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما اصابكم لان عفوه يذهب كل هم وحزن وقيل معناه فاثابكم غما انساكم الحزن على ما فاتكم وما اصابكم وقد روي انهم لما سمعوا بان النبي صلى الله عليه وسلم قد قتل نسوا ما اصابهم وما فاتهم والقول الثاني ان لفظة لا صلة ومعنى لكيلا لكي تحزنوا على ما فاتكم واصابكم عقوبة لكم على مخالفتكم قال ابن عباس الذي فاتهم الغنيمة والذي اصابهم القتل والهزيمة والله خبير بما تعملون اي هو عالم بجميع اعمالكم خيرها وشرها فيجازيكم عليها قوله تعالى ثم انزل عليكم يا معشر المسلمين من بعد الغم الذي اصابكم امنة نعاسا يعني امنا والامنة والامن واحد وقيل الامن يكون مع زوال الخوف والامنة مع بقاء سبب الخوف وكان سبب الخوف بعد باق والنعاس اخف من النوم والمعنى اعقبكم بما نالكم من الخوف والرعب ان امنكم امنا تنامون معه لان الخائف لا يكاد ينام فنام منهم بعد خوفهم يغشى طائفة منكم قال ابن عباس امنهم يومئذ بنعاس يغشاهم وانما ينعس من يامن والخائف لا ينام خ عن انس عن ابي طلحة قال كنت فيمن تغشاه النعاس يوم احد حتى سقط سيفي من يدي مرارا يسقط واخذه واخرجه الترمذي عنه قال غشينا النعاس ونحن في مصافنا يوم احد وذكره نحو رواية البخاري وزاد والطائفة الاخرى المنافقين ليس لهم هم الا انفسهم اجبن قوم وارعبه واخذله للحق وفي رواية اخرى له قال رفعت راسي يوم احد فجعلت ارى وما منهم يومئذ الا يميد تحت حجفته من النعاس فذلك قوله ثم انزل عليكم من بعد الغم امنة نعاسا وقال الزبير بن العوام لقد رايتني مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين اشتد علينا الخوف ارسل الله تعالى علينا النوم والله اني لاسمع قول معتب بن قشير والنعاس يغشاني ما اسمعه الا كالحلم يقول لو كان لنا من الامر شي ما قتلنا ههنا فقوله تعالى يغشى طائفة منكم يعني المومنين وطائفة قد اهمتهم انفسهم يعني المنافقين اراد الله ان يميز المومنين من المنافقين فاوقع النعاس على المومنين حتى امنوا ولم يوقع النعاس على المنافقين فبقوا في الخوف وفي القا النعاس على المومنين دون المنافقين اية عظيمة ومعجزة باهرة لان النعاس كان سبب امن المومنين وعدم النعاس عن المنافقين كان سبب خوفهم وهو قوله تعالى وطائفة قد اهمتهم انفسهم يعني حملتهم انفسهم على الهم لان اسباب الخوف وهي قصد الاعدا كانت حاصلة عندهم يظنون بالله غير الحق يعني يظنون ان الله لا ينصر محمدا واصحابه وقيل ان محمدا صلى الله عليه وسلم قد قتل وان امره

يضمحل

يضمحل والمعنى يظنون بالله غير الظن الحق الذي يجب ان يظن به ظن الجاهلية اي كظن اهل الجاهلية يقولون يعني المنافقين هل لنا اي ما لنا من الامر من شي وذلك انه لما شاور النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله بن ابي بن سلول راس المنافقين في هذه الواقعة فاشار عليه ان لا يخرج من المدينة فلما خالفه النبي صلى الله عليه وسلم وخرج وقتل من قتل قيل لعبد الله بن ابي قد قتل بنو الخزرج قال هل لنا من الامر من شي وهو استفهام على سبيل الانكار اي ما لنا من امر يطاع وقيل المراد بالامر النصر والظفر يعني ما لنا من هذا الذي يعدنا محمد به من النصر والظفر من شي انما هو للمشركين قل يعني قل يا محمد لهولا المنافقين ان الامر كله لله يعني النصر والظفر والقضا والقدر كله لله وبيده يصرفه حيث يشا ويدبره كيف احب يخفون في انفسهم ما لا يبدون لك يعني من الكفر والشك في وعد الله عز وجل وقيل يخفون الندم على خروجهم مع المسلمين وقيل الذي اخفوه هو قوله تعالى حكاية عنهم يقولون لو كان لنا من الامر شي ما قتلنا ههنا وذلك ان المنافقين قال بعضهم لبعض لو كان لنا عقول لم نخرج مع محمد الى قتال اهل مكة ولم يقتل روساونا وقيل كانوا يقولون لو كنا على الحق ما قتلنا ههنا عن ابن عباس في قوله تعالى يظنون بالله غير الحق يعني التكذيب بالقدر وهو قولهم لو كان لنا من الامر شي ما قتلنا ههنا قيل ان الذي قال هل لنا من الامر من شي هو عبد الله بن ابي بن سلول المنافق والذي قال لو كان لنا من الامر شي هو معتب بن قشير قل اي قل يا محمد لهولا المنافقين لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل اي قضي عليهم القتل وقدر عليهم الى مضاجعهم يعني الى مصارعهم الذي يصرعون بها وقت القتل ومعنى الاية ان الحذر لا ينفع من القدر والتدبير لا يقاوم التقدير فالذين قدر عليهم القتل وقضاه وحكم به عليهم لا بد ان يقتلوا والمعنى لو جلستم في بيوتكم لخرج منها ولظهر الذين قضى الله عليهم القتل الى حيث يقتلوا فيه وليبتلي الله ما في صدوركم اي وليختبر ما في صدوركم ليعلمه مشاهدة كما علمه غيبا لان المجازاة انما تقع على ما علمه مشاهدة وقيل معناه ليعاملكم معاملة المبتلي المختبر لكم وقيل معناه ليبتلي اوليا الله ما في صدوركم فاضاف الابتلا اليه تعظيما لشان اوليائه المومنين وليمحص ما في قلوبكم قال قتادة اي ليطهرها من الشك والارتياب بما يريكم من عجائب صنعه في القا الامنة وصرف العدو واظهار سرائر المنافقين فعلى هذا يكون الخطاب للمومنين خاصة وقيل معناه وليبين وليظهر ما في قلوبكم يعني من الاعتقاد لله ولرسوله وللمومنين من العداوة فعلى هذا يكون الخطاب للمنافقين خاصة والله عليم بذات الصدور يعني بالاشيا الموجود في الصدور وهي الاسرار والضمائر بانه عالم بجميع المعلومات قوله عز وجل ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان اي انهزموا وهربوا يا معشر المسلمين فهو خطاب لمن كان مع

النبي صلى الله عليه وسلم من المؤمنين يوم احد باجد وكان قد انهزم اكثر المؤمنين ولم
يبق مع النبي صلى الله عليه وسلم الا ثلاثة عشر رجلا وقيل اربعة عشر من المهاجرين
سبعة ومن الانصار سبعة فمن المهاجرين ابو بكر وعمر وعلي وطلحة بن عبيد الله
وعبد الرحمن بن عوف والزبير وسعد بن ابي وقاص رضي الله عنهم انما استزلهم
الشيطان اي طلب زللهم كما يقال استعجلته اي طلبت عجلته وقيل حملهم على الزلة
وهي الخطيئة وذلك بالقاء الوسوسة في قلوبهم لانه امرهم ببعض ما كسبوا يعني
بمعصيتهم النبي صلى الله عليه وسلم وتركهم المركز وقيل استزلهم الشيطان بتذكير خطايا
سلفت لهم فكرهوا ان يقتلوا قبل اخلاص التوبة منها وهذا اختيار الزجاج لانه قال لئلا
يتولوا على جهة المعاندة ولا على الفرار من الزحف رغبة في الدنيا وانما ذكرهم الشيطان خطايا
سلفت لهم فكرهوا لقاء الله الا على حالة يرضاها ولقد عفا الله عنهم يعني ولقد تجاوز الله
عن الذين تولوا يوم التقى الجمعان فلم يعاقبهم بذلك وغفر لهم وقيل ان عثمان عوتب
في هزيمته يوم احد فقال ان ذلك وان كان خطأ لكن الله قد عفا عنه وقرأ هذه الاية
ان الله غفور يعني لمن تاب واناب حليم يعني لا يعجل بالعقوبة ولا يستأصلهم بالقتل
قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تكونوا كالذين كفروا يعني المنافقين عبد الله بن ابي واصحابه
وقالوا لاخوانهم يعني في النفاق والكفر وقيل لاخوانهم في النسب وكانوا مسلمين اذا ضربوا
في الارض يعني اذا سافروا في الارض لتجارة وغيرها او كانوا غزى جمع غاز اي في غزاة
في الكلام حذف دل المعنى على ذلك الحذف وهو اذا ضربوا في الارض فماتوا او كانوا غزى فقتلوا
لو كانوا عندنا يعني مقيمين ما ماتوا وما قتلوا ليجعل الله ذلك يعني قولهم وظنهم حسرة في
قلوبهم يعني غما وتأسفا والله يحيي ويميت هذا رد لقول المنافقين لو كانوا عندنا ما ماتوا
وما قتلوا والمعنى ان الامر بيد الله لان المحيي والمميت هو الله فقد يحيي المسافر والغازي ويميت
المقيم والقاعد عن الغزو كما يشاء فكيف ينفع الجلوس في البيت وهل ينجي احدا من الموت
والله بما تعملون بصير يعني انه تعالى مطلع على ما تعملون من خير وشر فيجازيكم به فلا تقولوا ولا تكونوا
مثل المنافقين لان مقصودهم تنفير المؤمنين عن الجهاد بقولهم لو كانوا عندنا ما ماتوا وما
قتلوا فان الله هو المميت فمن قدر له البقاء لم يقتل في الجهاد ومن قدر له الموت لم يبق وان
قام بين اهله فلا تقولوا انتم ايها المؤمنون لمن يريد الخروج الى الجهاد لا تخرج فتقتل فلان
يموت في الجهاد فيستوجب الثواب فان ذلك خير له من ان يموت في بيته ولا فائدة واليه
الاشارة بقوله تعالى ولئن قتلتم في سبيل الله او متم لمغفرة من الله ورحمة خير يعني في العاقبة
مما يجمعون يعني من الغنائم والمعنى ولئن تم عليكم ما تخافونه من القتل في سبيل الله او الهلاك
بالموت فان ما تنالونه من المغفرة والرحمة بالموت والقتل في سبيل الله خير مما يجمعون من
الدنيا ومنافعها لو لم تموتوا ولئن متم او قتلتم لالى الله تحشرون يعني لالى الله الرحيم
الواسع الرحمة والمغفرة المثيب العظيم الثواب تحشرون في الاخرة فيجازيكم باعمالكم
وقد قسم بعض مقامات العبودية ثلاثة اقسام فمن عبد الله خوفا من ناره امنه

مما يخاف واليه الاشارة بقوله تعالى لمغفرة من الله ومن عبد الله شوقا الى جنته اناله
ما يرجو واليه الاشارة بقوله ورحمة لان الرحمة من اسماء الجنة ومن عبد الله شوقا
الى وجهه الكريم لا يريد غيره فهذا هو العبد المخلص الذي يتجلى له الحق سبحانه وتعالى
في دار كرامته واليه الاشارة بقوله لالى الله تحشرون قوله عز وجل فبما رحمة من الله
اي فبرحمة من الله وما صلة لنت لهم اي سهلت لهم اخلاقك وكثرة احتمالك
ولم تسرع اليهم بالتعنيف على ما كان منهم يوم احد ومعنى فبما رحمة من الله هو
توفيق الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم للرفق والتلطف بهم وان الله تعالى
القى في قلب نبيه صلى الله عليه وسلم داعية الرحمة واللطف حتى فعل ذلك معهم
ولو كنت فظا يعني جافيا غليظ القلب يعني قاسي القلب سيء الخلق قليل الاحتمال
لانفضوا من حولك اي لتفرقوا من حولك وتفرقوا حتى لا يبقى منهم احد عندك
فاعف عنهم اي تجاوز عن زلاتهم وما اتوا يوم احد واستغفر لهم اي واسأل الله
المغفرة لهم حتى تشفعك فيهم وقيل فاعف عنهم فيما يختص بك واستغفر لهم فيما
يختص بحقوق الله وذلك من تمام الشفقة عليهم وشاورهم في الامر اي
استخرج اراءهم واعلم ما عندهم واختلف العلماء في معنى الذي من اجله امر الله عز
وجل نبيه صلى الله عليه وسلم بالمشاورة لهم مع كمال عقله وجزالة رايه ونزول
الوحي عليه ووجوب طاعته على كافة الخلق فيما احبوا او كرهوا فقيل هو عام
مخصوص والمعنى وشاورهم فيما ليس عندك من الله فيه عهد وذلك في امر
الحرب ونحوه من امور الدنيا لتستظهر برأيهم فيما تشاورهم فيه وقيل امر الله عز وجل
نبيه صلى الله عليه وسلم بمشاورتهم تطييبا لقلوبهم فان ذلك اعطف لهم عليه واذهب
لاضغانهم فان سادات العرب كانوا اذا لم يشاوروا في الامور شق ذلك عليهم
وقال الحسن قد علم الله تعالى انه ما به الى مشاورتهم حاجة ولكن اراد ان يستن به
من بعده من امته وقيل انما امر الله بمشاورتهم ليعلم مقادير عقولهم وافهامهم لا ليستفيد
منهم رأيا وروى البغوي بسنده عن عائشة انها قالت ما رأيت رجلا اكثر استشارة
للرجال من رسول الله صلى الله عليه وسلم اتفق العلماء على ان كل ما نزل فيه وحي
من الله عز وجل لم يجز لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان يشاور فيه الامة وانما
امر ان يشاور فيما سوى ذلك من امر الدنيا ومصالح الحرب ونحو ذلك وقيل
ان يشاورهم في امر الدين والدنيا فيما لم ينزل عليه شيء لان النبي صلى الله عليه وسلم
شاورهم في اسارى بدر وهو من امر الدين قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه
الاستشارة عين الهداية وقد خاطر من استغنى برأيه والتدبر قبل العمل يؤمنك
من الندم وقال بعض الحكماء ما استنبط الصواب بمثل المشاورة ومن فوائد المشاورة
انه قد يعزم الانسان على امر فيشاور فيه فيتبين الصواب في قول غيره فيعلم

بذلك عجز نفسه عن الاحاطة بفنون المصالح ومنها اذا لم ينجح امره علم ان امتناع النجاح
محض قدر فلم يلم نفسه وقال بعضهم في مدح المشاورة ؎ وشاور اذا شاورت كل
مهذب ؎ لبيبا اخا حزم لترشد في الامر ؎ ولا تك ممن يستبد برأيه ؎ فتعجز او لا تسترح
من الفكر ؎ الم تر ان الله قال لعبده ؎ وشاورهم في الامر حتما بلا نكر ؎ وقوله تعالى
فاذا عزمت يعني على المشاورة فتوكل على الله اي فاستعن بالله في امورك كلها وثق
به ولا تعتمد الا عليه فانه ولي الاعانة والعصمة والتسديد والمقصود ان لا يكون للعبد
اعتماد على شيء الا على الله تعالى في جميع اموره وان المشاورة لا تنافي التوكل ان الله يحب
المتوكلين يعني المتوكلين عليه في جميع امورهم قوله تعالى ان ينصركم الله يعني ان يعنكم
بنصره ويمنعكم من عدوكم كما فعل يوم بدر فلا غالب لكم يعني من الناس لان الله هو
المتولي نصركم وان يخذلكم كما فعل يوم احد فلم ينصركم ووكلكم الى انفسكم لمخالفتكم امره وامر
رسوله صلى الله عليه وسلم فمن ذا الذي ينصركم من بعده اي من بعد خذلانه وعلى الله
فليتوكل المؤمنون لا على غيره لان الامر كله لله ولا راد لقضائه ولا رافع لحكمه فيجب
ان يتوكل العبد في كل اموره على الله تعالى لا على غيره وقيل التوكل ان لا تعصي الله من اجل
رزقك ولا تطلب لنفسك ناصرا غيره ولعملك شاهدا سواه م عن عمران بن حصين قال
قال نبي الله صلى الله عليه وسلم يدخل الجنة من امتي سبعون الفا بغير حساب قالوا ومن هم
يا رسول الله قال هم الذين لا يكتوون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون فقام
عكاشة بن محصن فقال يا رسول الله ادع الله ان يجعلني منهم فقال انت منهم فقام آخر
فقال يا نبي الله ادع الله ان يجعلني منهم فقال سبقك بها عكاشة عن عمر بن الخطاب
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو انكم تتوكلون على الله حق توكله
لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا اخرجه الترمذي وقال حديث حسن
قوله عز وجل وما كان لنبي ان يغل قال ابن عباس نزلت هذه الاية وما كان لنبي ان
يغل في قطيفة حمراء فقدت يوم بدر فقال بعض القوم لعل رسول الله صلى الله عليه وسلم
اخذها فانزل الله هذه الاية الى آخرها اخرجه ابو داود والترمذي وقال حديث حسن
غريب وروي عن الضحاك قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يقسم للطلائع
فانزل الله تعالى وما كان لنبي ان يغل وروى ابن جرير الطبري عن ابن عباس في قوله
وما كان لنبي ان يغل يقول ما كان لنبي ان يقسم لطائفة من المسلمين ويترك
طائفة ويجور في القسم ولكن يقسم بالعدل ويأخذ فيه بامر الله ويحكم فيه بما انزل
الله يقول ما كان الله ليجعل نبيا يغل من اصحابه فاذا فعل ذلك النبي استنوا به وقال
مقاتل والكلبي نزلت في غنائم حين ترك الرماة المركز للغنيمة وقالوا نخشى ان يقول
النبي صلى الله عليه وسلم من اخذ شيئا فهو له وان لا يقسم الغنائم كما لم يقسم يوم بدر
فتركوا المركز ووقعوا في الغنائم فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم الم اعهد اليكم ان

لا تتركوا المركز حتى يأتيكم امري قالوا تركنا بقية اخواننا وقوفا فقال النبي صلى الله عليه وسلم
بل ظننتم انا نغل فلا نقسم فانزل الله هذه الاية وقال قتادة ذكر لنا انها نزلت في طائفة
غلت من اصحابه وقيل ان الاغنياء الحوا عليه يسألونه من المقسم فانزل الله وما كان
لنبي ان يغل يعني فيعطي قوما ويمنع آخرين بل عليه ان يقسم بينهم بالسوية وقال محمد بن
كعب القرظي ومحمد بن اسحاق بن يسار هذا في شأن الوحي يقول وما كان لنبي
ان يكتم شيئا من الوحي رغبة او رهبة او مداهنة والغلول هو الخيانة واصله اخذ الشيء
في خفية يقال غل فلان يغل وقرئ يغل بفتح الياء وضم الغين اي وما كان لنبي ان يخون لان
النبوة والخيانة لا يجتمعان لان منصب النبوة اعظم المناصب واشرفها واعلاها
فلا يليق به الخيانة لانها في نهاية الدناءة والخسة والجمع بين الضدين محال فثبت
بذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يخن امته في شيء من الغنائم ولا من الوحي وقيل
المراد به الامة لانه قد ثبت براءة ساحة النبي صلى الله عليه وسلم من الغلول والخيانة
فدل ذلك على ان المراد بالغلول غيره وقيل اللام فيه منقول معناه ما النبي ليغل على
نفي الغلول عن الانبياء وقيل معناه ما كان لنبي الغلول اراد ما غل نبي قط فنفى عن
الانبياء الغلول وقيل معناه وما كان يحل لنبي الغلول واذا لم يحل لم يفعله وحجة هذه القراءة
انهم نسبوا النبي صلى الله عليه وسلم الى الغلول في بعض الروايات فنفى الله تعالى بهذه
الاية ان هذه الخصلة لا تليق به ونفى عنه ذلك بقوله وما كان لنبي ان يغل وقرئ
بضم الياء وفتح الغين ولها معنيان احدهما ان يكون من الغلول ايضا ومعناه
وما كان لنبي ان يخان اي يخونه امته والثاني ان يكون من الاغلال ومعناه
ان يكون لنبي ان يخون اي ينسب الى الخيانة ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة
يعني بالشيء الذي غله بعينه يحمله على ظهره يوم القيامة ليزداد فضيحة بما يحمله يوم
القيامة وقيل يمثل له ذلك الشيء في النار ثم يقال انزل فخذه فينزل فيحمله على
ظهره فاذا بلغ موضعه وقع ذلك الشيء في النار فيكلف ان ينزل اليه فيخرجه فيفعل
به ذلك ما شاء الله تعالى وقيل معناه انه يأت بإثم ما غله فيجازى به يوم القيامة
وهو قوله تعالى ثم توفى كل نفس ما كسبت يعني من خير او شر والمعنى ان كل من كسب
خيرا كان ذلك الكسب او شرا فهو مجزي به يوم القيامة وموفى جزاء عمله وهم
لا يظلمون يعني بل يعدل بينهم يوم القيامة في الجزاء فيجازى كل على عمله فصل
في ذكر الاحاديث التي وردت في الغلول ووعيد الغال قد تقدم ان اصل الغلول
هو اخذ الشيء في خفية وانه الخيانة الا انه قد صار في العرف مخصوصا بالخيانة في
الغنيمة وبهذا وردت الاحاديث ق عن ابي هريرة قال قام فينا رسول الله صلى
الله عليه وسلم ذات يوم فذكر الغلول فعظمه وعظم امره حتى قال لا الفين احدكم
يجيء يوم القيامة على رقبته بعير له رغاء يقول يا رسول الله اغثني فاقول لا املك

لك من الله شيا فقد ابلغتك لا القين احدكم يوم القيامة على رقبته فرس له حمحمة
فيقول يا رسول الله اغثني فاقول لا املك لك من الله شيا قد ابلغتك لا القين احدكم
يجي يوم القيامة على رقبته شاة لها ثغا فيقول يا رسول الله اغثني فاقول لا املك من
الله شيا قد ابلغتك لا القين احدكم يجي يوم القيامة على رقبته نفس لها صياح فيقول
يا رسول الله اغثني فاقول لا املك لك من الله شيا قد ابلغتك لا القين احدكم يجي يوم
القيامة على رقبته رقاع تخفق فيقول يا رسول الله اغثني فاقول لا املك لك من
الله شيا قد ابلغتك لا القين احدكم يجي يوم القيامة على رقبته صامت فيقول يا رسول
الله اغثني فاقول لا املك لك من الله شيا قد ابلغتك لفظ مسلم الرغا صوت البعير
والثغا صوت الشاة والرقاع الثياب والصامت الذهب والفضة ق عن ابي هريرة
قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى خيبر ففتح الله علينا فلم نغنم ذهبا ولا
ورقا غنمنا المتاع والطعام والثياب ثم انطلقنا الى الوادي يعني وادي القرى ومع رسول
الله عبد له وهبه له رجل من جذام يدعى رفاعة بن زيد من بني الضبيب فلما نزلنا الوادي
قام عبد رسول الله صلى الله عليه وسلم يحل رحله فرمي بسهم فكان فيه حتفه فقلنا هنيئا
له الشهادة يا رسول الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلا والذي نفس محمد بيده
ان الشملة لتلتهب عليه نارا اخذها من الغنائم يوم خيبر لم تصبها المقاسم قال ففزع
الناس فجاء رجل بشراك او بشراكين فقال اصبتها يوم خيبر فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم شراك من نار وفي رواية نحوه وفيه ومعه عبد يقال له مدعم اهداه له احد
بني الضباب وفيه اذ جاءه سهم عاير الشراك سير النعل الذي يكون على ظهر القدم
ومثله شسع النعل والسهم العاير هو السهم الذي لا يدرى من رماه خ عن عبد الله بن
عمرو بن العاص كان على ثقل رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل يقال له كركرة فمات
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هو في النار فذهبوا ينظرون اليه فوجدوا عباءة
قد غلها عن زيد بن خالد الجهني ان رجلا من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم مات
فقال صلوا على صاحبكم فتغيرت وجوه الناس لذلك فقال صاحبكم غل في سبيل الله
ففتشنا متاعه فوجدنا خرزا من خرز اليهود لا تساوي درهمين عن عمر بن الخطاب
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من غل فاحرقوا متاعه واضربوه اخرجه ابو
داود والترمذي عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم وابا بكر وعمر حرقوا متاع الغال وضربوه زاد في رواية ومنعوه سهمه اخرجه
ابو داود قوله تعالى افمن اتبع رضوان الله يعني فترك الغلول فلم يغل كمن باء اي
رجع بسخط من الله يعني بغضب من الله والمعنى فغل والسخط الغضب الشديد
المقتضي للعقوبة وهو من الله انزال العقوبة بمن سخط عليه وقيل في معنى الآية
ان النبي صلى الله عليه وسلم لما امر المسلمين باتباعه والخروج معه يوم احد تبعه

المومنون

المومنون وتخلف عنه جماعة من المنافقين فاخبر الله بحال من اتبعه بقوله افمن
اتبع رضوان الله وبحال من تخلف عن النبي صلى الله عليه وسلم بقوله كمن باء
بسخط من الله وماواه جهنم وبئس المصير يعني الغال او المتخلف عن النبي صلى
الله عليه وسلم هم درجات عند الله والله بصير بما يعملون يعني هم ذوو درجات
عند الله قال ابن عباس يعني من اتبع رضوان الله ومن باء بسخط من الله
مختلفوا المنازل عند الله فلمن اتبع رضوان الله الثواب العظيم ولمن باء
بسخط من الله العذاب الاليم والمعنى افمن اتبع رضوان الله كمن باء بسخط
من الله ليسوا سواء بل هم درجات عند الله على حسب اعمالهم وقيل الضمير
في قوله هم درجات عايد الى قوله افمن اتبع رضوان الله فقط لان
الغالب في العرف استعمال الدرجات لاهل الثواب والدركات لاهل العذاب
ولان الله وصف من باء بسخط من الله ان ماواه جهنم وبئس المصير فدل
على ان الضمير في قوله هم درجات عند الله وفيه تحريض على العمل بطاعته و
تحذير من العمل بمعاصيه قوله عز وجل لقد من الله على المومنين يعني احسن اليهم
وتفضل عليهم والمنة النعمة العظيمة وذلك في الحقيقة لا يكون الا من الله تعالى
ومنه قوله تعالى لقد من الله على المومنين اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم يعني من
جنسهم عربيا مثلهم ولد ببلدهم ونشا بينهم يعرفون نسبه وليس حي من احياء
العرب الا وقد ولده وله فيهم نسب الا بني تغلبة فانهم كانوا نصارى ونشوا
على النصرانية وطهر الله رسوله صلى الله عليه وسلم من ان يكون فيهم نسب وقيل
اراد بالمومنين جميع المومنين ومعنى قوله تعالى من انفسهم اي بالايمان والشفقة
لا بالنسب ومن جنسهم ليس بملك ولا احد من غير بني ادم وقيل من انفسهم
يعني انه من ولد اسماعيل ابن ابراهيم الخليل عليهم الصلاة والسلام وجه المنة في الانعام
على المومنين ببعثة الرسول صلى الله عليه وسلم لكونه داعيا لهم الى ما يخلصهم
من العذاب العظيم ويوصلهم الى الثواب في جنات النعيم وكونه من انفسهم
ومن جنسهم لانه اذا كان اللسان واحدا سهل الاخذ عنه فيما يجب عليهم
وكانوا واقفين على جميع احواله واشغاله يعرفون صدقه وامانته فكان ذلك
اقرب الى التصديق والوثوق به وفي كونه من انفسهم شرف لهم وكان
فيما خطب به ابو طالب حين زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم خديجة بنت
خويلد رضي الله عنها وقد حضر ذلك بنو هاشم وروساء مضر فقال الحمد لله الذي
جعلنا من ذرية ابراهيم وزرع اسماعيل وضئضئ معد وعنصر مضر وجعلنا
سدنة بيته وسواس حرمه وجعل لنا بيتا محجوجا وحرما امنا وجعلنا الحكام
على الناس وان ابني هذا محمد بن عبد الله لا يوزن به فتى الا رجح وهو والله

بعد هذا النبا عظيم وخطب جليل وقيل في وجه المنة ببعثة الرسول صلى الله عليه وسلم ان
الخلق جبلوا على الجهل ونقصان العقل وقلة الفهم وعدم الدراية فمن الله عليهم خلقه
وانعم عليهم وحسن اليهم بان بعث فيهم رسولا من انفسهم انقذهم به من الضلالة
وبصرهم به من الجهالة وهداهم به الى صراط مستقيم وانما خص المؤمنين بالذكر لانهم
هم المنتفعون بما جاء به دون غيرهم يتلوا عليهم اياته يعني يقرأ عليهم كتابه الذي
انزل عليه بعد ان كانوا اهل جاهلية لم يطرق اسماعهم شيء من الوحي السماوي
ويزكيهم اي ويطهرهم من دنس الكفر ونجاسة المحرمات والخبائث ويعلمهم الكتاب
والحكمة يعني القران والسنة التي سنها لهم على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم وان
كانوا من قبل اي من قبل بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم لفي ضلال مبين يعني
لفي جهالة وحيرة عن الهدى عميا لا يعرفون معروفا ولا ينكرون منكرا فهداهم الله
بنبيه صلى الله عليه وسلم قوله تعالى اولما اصابتكم مصيبة يعني ما اصابهم يوم احد
قد اصبتم مثليها يعني يوم بدر وذلك ان المشركين قتلوا من المسلمين يوم احد سبعين
وقتل المسلمون من المشركين يوم بدر سبعين واسروا سبعين وقيل ان المسلمين هزموا
المشركين يوم بدر وهزموهم في اول الامر يوم احد فلما عصوا الله ورسوله هزمهم
المشركين فحصل انهزام المشركين مرتين وانهزام المسلمين مرة واحدة قلتم انى هذا اي
من اين لنا هذا القتل والهزيمة ونحن مسلمون ورسول الله صلى الله عليه وسلم فينا وهو
استفهام انكار قل هو من عند انفسكم يعني انما وقعتم فيما وقعتم فيه بشوم ذنوبكم وهو
مخالفتكم امر رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك انه صلى الله عليه وسلم اختار الاقامة في
المدينة على الخروج الى العدو واختار هو الخروج اليه والضا امر الرماة بالاقامة
في الموضع الذي عينه لهم فخالفوه وتركوا المركز لاجل الغنيمة فكان ذلك سبب القتل
والهزيمة وروى عبيدة بن السلماني عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال جاء جبريل
عليه السلام الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان الله تعالى قد كره ما صنع قومك
في اخذهم الفدى من الاسارى وقد امرك ان تخيرهم بين ان يضربوا اعناق
الاسارى وبين ان ياخذوا الفدا على ان يقتل منهم عدتهم فذكر ذلك رسول الله
صلى الله عليه وسلم للناس فقالوا يا رسول الله عشايرنا واخواننا بل ناخذ فداهم
فنتقوى به على قتال عدونا ويستشهد منا عدتهم فقتل منهم يوم احد سبعون عدد
اسارى اهل بدر لم يسنده البغوي واسنده ابن جرير الطبري فذلك معنى قوله قل هو
من عند انفسكم يعني باخذكم الفدا واختياركم القتل ان الله على كل شيء قدير
يعني من نصركم مع الطاعة وترك نصركم مع المخالفة قوله عز وجل وما اصابكم
لقتل والجراح والهزيمة يوم التقى الجمعان يعني جمع المؤمنين وجمع المشركين و
ذلك باحد يوم احد فباذن الله يعني فبعلمه وقضايه وقدره وحكمه وعينه [illegible]

للمؤمنين لما

للمؤمنين لما حصل لهم يوم احد من القتل والهزيمة ولا تقع التسلية الا اذا علموا ان
ذلك كان واقعا بقضاء الله وقدره وحينئذ يرضون بما قضى الله عليهم وليعلم
الذين نافقوا اي ليظهر ايمان المؤمنين بثبوتهم على ما نالهم ويظهر نفاق المنافقين بقلة
صبرهم على ما نزل بهم فالمراد من العلم المعلوم والتقدير ليتبين المؤمن من المنافق و
ليتميز احدهما من الاخر والمنافق هو الذي اظهر الايمان بلسانه واضمر خلافه واشتقاقه
من النفق وهو السرب في الارض النافذ ومنه نفاق اليربوع لان له جحرا في الارض
له بابان اذا طلب من احدهما خرج من الاخر فكذلك المنافق صنع له طريقان احدهما
اظهار الايمان بلسانه والاخر اضمار الكفر بقلبه من ايهما طلب خرج من الاخر وقيل
لانه دخل في الايمان من باب وخرج من باب اخر والنفاق اسم اسلامي لم تكن العرب
تعرفه قبل الاسلام وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله او ادفعوا المقول له عبد الله
ابن ابي بن سلول المنافق واصحابه وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خرج
الى احد في الف رجل حتى اذا كان بالشوط بين احد والمدينة انخزل عبد الله بن ابي
ابن سلول بثلث الناس وقال ما ندري علام نقتل انفسنا فرجع بمن معه من المنافقين
فتبعهم ابو جابر عبد الله عمرو بن حرام الانصاري اخو بني سلمة وهو يقول يا قوم اذكركم
الله ان تخذلوا نبيكم عند حضور عدوكم فذلك قوله تعالى وقيل لهم يعني للمنافقين
عبد الله بن ابي واصحابه تعالوا قاتلوا في سبيل الله اي لاجل دين الله وطاعته
او ادفعوا يعني عن اموالكم واهليكم وقيل معناه تعالوا كثروا سواد المسلمين
ان لم تقاتلوا ليكون ذلك دفعا وقمعا للعدو قالوا يعني المنافقين لو نعلم قتالا
لاتبعناكم اي لو نعلم ان اليوم يجري فيه قتال لاتبعناكم ولم نرجع ولو علموا ما اتبعوهم
ونحن قتالا لاتبعناكم هم للكفر يعني المنافقين الى الكفر يومئذ اقرب منهم للايمان
اي الى الايمان انما قال تعالى يومئذ لانهم قبل ذلك اليوم لم يظهروا ما اظهروه من
المعاندة والرجوع عن المسلمين وقولهم لو نعلم قتالا لاتبعناكم وانما كانوا قبل ذلك
يظهرون كلمة الاسلام ويضمرون الكفر يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم يعني
يظهرون بالسنتهم الايمان وليس هو في قلوبهم وانما في قلوبهم الكفر والنفاق وهذه
صفة المنافقين لا صفة المؤمنين لان صفة المؤمن المخلص مواطاة القلب واللسان
على شيء واحد وهو التوحيد والله اعلم بما يكتمون يعني من النفاق الذين قالوا
لاخوانهم نزلت في عبد الله بن ابي المنافق واصحابه وفي باخوانهم قولان احدهما
ان المراد باخوانهم الذين استشهدوا باحد فيكون اخوانهم في النسب لا في الدين
والقول الثاني ان المراد باخوانهم المنافقين فعلى القول الاول يكون معنى الاية الذين
قالوا في اخوانهم وعن اخوانهم الذين قتلوا باحد لو اطاعونا ما قتلوا لانهم بعد
ان قتلوا لا يخاطبون وعلى القول الثاني يكون معنى الاية الذين قالوا وهم

عبد الله بن ابي واصحابه لاخوانهم يعني في النفاق وقعدوا يعني عن الجهاد لو اطاعونا يعني هولا الذين خرجوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لو اطاعونا يعني في القعود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والانصراف عنه ما قتلوا اليومئذ فرد الله عليه بقوله قل يعني قل لهم يا محمد فادرءوا اي فادفعوا عن انفسكم الموت ان كنتم صادقين يعني ان الحذر لا ينفع من القدر وفي الاية دليل على ان المقتول يموت باجله خلافا لمن زعم ان القتل قطع عن المقتول اجله قوله عز وجل ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا قيل نزلت في شهدا بدر وكانوا اربعة عشر رجلا ستة من المهاجرين وثمانية من الانصار وقال اكثر المفسرين انها نزلت في شهدا احد ويدل على ذلك ما روي عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم انه لما اصاب اخوانكم باحد جعل الله ارواحهم في جوف طيور خضر ترد انهار الجنة تاكل من ثمارها وتاوي الى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش فلما وجدوا طيب ماكلهم ومشربهم ومقيلهم قالوا من يبلغ اخواننا عنا انا احيا في الجنة لئلا يزهدوا في الجنة ولا ينكلوا عند الحرب فقال الله تعالى انا ابلغهم عنكم وانزل الله ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احيا عند ربهم الاية اخرجه ابو داود وعن مسروق قال سئلنا عبد الله عن هذه الاية ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احيا عند ربهم يرزقون قال اما انا قد سالنا عن ذلك فقال ارواحهم في جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش تسرح من الجنة حيث شات ثم تاوي الى تلك القناديل فاطلع اليهم ربهم اطلاعة فقال هل تشتهون شيا قالوا اي شي نشتهي ونحن نسرح من الجنة حيث شينا ففعل ذلك بهم ثلاث مرات فلما راوا انهم لم يتركوا من ان يسالوا قالوا يا رب نريد ان ترد ارواحنا في اجسادنا حتى نقتل في سبيلك مرة اخرى فلما راى ان ليس لهم حاجة تركوا اخرجه مسلم قوله في هذا الحديث قول مسروق سالنا عبد الله كذا جا عبد الله غير منسوب وقد نسبه بعض الناس فقال عبد الله بن عمرو وقد ذكره ابو مسعود الدمشقي والحميدي في مسند عبد الله بن مسعود وهو الصحيح وهذا الحديث مرفوع لقوله اما انا قد سالنا عن ذلك فقال يعني النبي صلى الله عليه وسلم وفي الحديث دليل على ان الجنة مخلوقة الآن خلافا للمعتزلة لقوله صلى الله عليه وسلم تسرح في الجنة حيث شات وهو مذهب اهل السنة وفيه دليل على ان الارواح باقية لا تفنى بفناء الجسد وان المحسن ينعم ويجازى بالثواب وان المسي يعذب ويجازى بالعقاب قبل يوم القيامة وهو مذهب اهل السنة ايضا قوله ارواحهم في جوف طير خضر وهذا ليس ببعيد لا سيما مع القول لان الارواح اجسام لطيفة وقيل ان المنعم والمعذب من الارواح جزء من الجسد يبقى فيه الروح وهو الذي يتلذذ بالنعيم ويتالم بالعقاب فغير مستحيل ان يصور الله ذلك الجزء طايرا ويجعل في جوف طير فيسرح في الجنة وتاوي الى تلك القناديل وقد تعلق بهذا الحديث من يقول بالتناسخ من المبتدعة والقول بانتقال الارواح وتنعيمها في الصور الحسان المرفهة وتعذيبها في الصور القبيحة المسخرة ويزعمون ان هذا هو الثواب والعقاب

وهذا ضلال

وهذا ضلال بين وقول سخيف وبدعة باطلة لما في هذا القول من ابطال ما جات به الشرايع من الحشر والنشر والمعاد والجنة والنار وقد جا في بعض روايات هذا الحديث من يرد عليهم وهو قوله حتى يرجعه الله الى جسده يوم يبعثه يعني يحيي جميع جسده يوم يبعثه وهو يوم القيامة والله اعلم عن جابر قال لقيني رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا مهتم فقال ما لي اراك منكسرا قلت يا رسول الله استشهد ابي يوم احد وترك عيالا ودينا فقال الا ابشرك بما لقي الله به اباك قلت بلى قال ما كلم الله احدا قط الا من وراء حجاب وانه احيا اباك وكلمه كفاحا وقال يا عبدي تمن علي اعطيك قال يا رب تحييني فاقتل ثانية قال سبحانه انه قد سبق مني انهم لا يرجعون فنزلت ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا الاية اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب وقيل ان الاية نزلت في شهدا بير معونة وهي بير بين مكة وعسفان وارض هذيل قال محمد بن اسحاق عن اشياخه من اهل العلم قالوا قدم ابو عامر بن مالك بن جعفر ملاعب الاسنة وكان سيد بني عامر بن صعصعة على رسول الله صلى الله عليه وسلم واهدى له هدية فابى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقبلها وقال اني لا اقبل هدية مشرك ثم عرض عليه الاسلام واخبره بما له فيه وما اعد الله للمومنين وقرا عليه القران فلم يسلم ولم يبعد وقال يا محمد ان الذي تدعوا اليه حسن جميل فلو بعثت رجالا من اصحابك الى اهل نجد يدعوهم الى امرك رجوت ان يستجيبوا لك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني اخشى عليهم اهل نجد فقال ابو برا انا لهم جار فابعثهم فليدعوا الناس الى امرك فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم المنذر بن عمرو اخا بني ساعدة في سبعين رجلا من خيار المسلمين وكان يقال لهم القرا منهم الحرث بن الصمة وحرام بن ملحان وعروة بن اسما بن الصلت ونافع بن زيد بن ورقا الخزاعي وعامر بن فهيرة مولى ابي بكر وذلك في صفر سنة اربع من الهجرة بعد احد باربعة اشهر فساروا حتى نزلوا بير معونة وهي ارض بين ارض بني عامر وحرة بني سليم قال بعضهم لبعض ايكم يبلغ رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل هذا الما فقال حرام بن ملحان انا فخرج بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عامر بن الطفيل وكان على ذلك الما فلما اتاهم حرام بن ملحان لم ينظر عامر بن الطفيل في كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال حرام بن ملحان يا اهل بير معونة اني رسول رسول الله اليكم واني اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فامنوا بالله ورسوله فخرج اليه رجل من كسر البيت فضربه برمح في جنبه حتى خرج من الشق الاخر فقال الله اكبر فزت ورب الكعبة ثم استصرخ عامر بن الطفيل بني عامر على المسلمين فابوا ان يجيبوه الى ما دعاهم اليه وقالوا لن نخفر ابا برا فقد عقد لهم عقدا وجوارا فاستصرخ عليهم قبايل بني سليم عصية ورعلا وذكوان فجاووهم

ثم خرجوا حتى لقوا عشوا القوم فاحاطوا بهم في رحالهم فلما راوهم اخذوا السيوف
فقاتلوهم حتى قتلوا عن اخرهم الا كعب بن زيد فانهم تركوه وبه رمق فارتث
بين القتلى فعاش حتى قتل يوم الخندق وكان في سرح القوم عمرو بن امية
الضمري ورجل من الانصار احد بني عمرو بن عوف فلم ينبئهما بمصاب
اصحابهما الا الطير تحول على العسكر فقالا والله ان لهذا الطير لشانا فاقبلا لينظرا
فاذا القوم في دمائهم واذا الخيل التي اصابتهم واقفة فقال الانصاري لعمرو بن
امية ماذا ترى قال نلحق برسول الله صلى الله عليه وسلم ونخبره فقال الانصاري
لكني لا ارغب عن موطن قتل فيه المنذر بن عمرو ثم قاتل حتى قتل واخذ عمرو بن امية اسيرا فلما اخبرهم انه من مضر
اطلقه عامر بن الطفيل وجز ناصيته واعتقه عن رقبة زعم انها كانت على امه
فقدم عمرو بن امية على رسول الله صلى الله عليه وسلم واخبره الخبر فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم هذا عمل ابي براء وقد كنت لهذا كارها متخوفا فبلغ ذلك
ابا براء فشق عليه اخفار عامر بن الطفيل اياه وما اصاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم بسببه وجواره وكان فيمن اصيب عامر بن فهيرة مولى ابي بكر الصديق
فروى محمد بن اسحاق عن هشام بن عروة عن ابيه ان عامر بن الطفيل كان يقول
من الرجل منهم لما قتل رايته رفع بين السماء والارض حتى رايت السماء من دونه
قالوا هو عامر بن فهيرة قالوا وبلغ ربيعة بن ابي براء ان عامر بن الطفيل اخفر ذمة
ابيه فحمل على عامر بن الطفيل فطعنه فخر عن فرسه قلت وذكر ابن الاثير الجزري
في كتاب جامع الاصول له في قسم الاسماء في ترجمة عامر بن الطفيل ان عامر بن الطفيل
قدم على النبي صلى الله عليه وسلم وهو ابن بضع وثمانين سنة ولم يسلم وعاد من عنده
فخرج له خراج في اصل اذنه اخذه منه مثل النار فاشتد عليه ومات منه ق عن انس قال
بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم اقواما من بني سليم الى بني عامر في سبعين وفي
رواية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خاله اخا لام سليم واسمه حرام في سبعين
راكبا فلما قدموا قال لهم خالي اتقدمكم فان امنوني حتى ابلغهم عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم والا كنتم مني قريبا فتقدم فامنوه فبينما يحدثهم عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذ اومؤا الى رجل منهم فطعنه فانفذه فقال الله اكبر فزت
ورب الكعبة ثم مالوا على بقية اصحابه فقتلوهم الا رجلا اعرج صعد الجبل قال
همام واراه اخر معه فاخبر جبريل عليه السلام النبي صلى الله عليه وسلم انهم قد لقوا ربهم
فرضي عنهم وارضاهم فكنا نقرا ان بلغوا قومنا ان قد لقينا ربنا فرضي عنا و
ارضانا ثم نسخ بعد فدعا عليهم اربعين صباحا على رعل وذكوان وبني عصية
الذين عصوا الله ورسوله وفي رواية ان رعلا وذكوان وبني لحيان استمدوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم فامدهم بسبعين رجلا من الانصار كنا نسميهم

القراني

القراني في زمانهم كانوا يحتطبون بالنهار ويصلون بالليل حتى اذا كانوا ببئر معونة قتلوهم
وغدروا بهم فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقنت عليهم شهرا يدعو في الصبح
على احياء من العرب على رعل وذكوان وعصية وبني لحيان قال انس فقرانا
فيهم قرانا ثم ان ذلك رفع بلغوا قومنا ان قد لقينا ربنا فرضي عنا وارضانا و
لمسلم قال جاء ناس الى النبي صلى الله عليه وسلم فسالوا ان ابعث معنا رجالا يعلمون القران
والسنة فبعث اليهم سبعين رجلا من الانصار وذكر نحو ما تقدم وقيل ان اولياء الشهداء
واهليهم كانوا اذا اصابتهم نعمة وخير تحسروا على الشهداء وقالوا نحن في النعمة والرخاء
واباؤنا وابناؤنا واخواننا في القبور فانزل الله هذه الاية تطييبا لقلوبهم وتنفيسا
عنهم واخبارا عن حال قتلاهم فقال تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله اي فلا تظن
خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولكل احد من امته والمعنى لا يظن ظان بان الذين
قتلوا في سبيل الله امواتا يعني كاموات غيرهم ممن لم يقتل في سبيل الله بل احياء اي بل هم احياء
وظاهر الاية يدل على كون من قتل في سبيل الله حي فاما ان يكون المراد انهم احياء في الحال
وعلى تقدير انهم احياء في الحال هل يكون المراد اثبات الحياة الروحانية او اثبات الحياة
الجثمانية فهذه ثلثة اوجه في معنى احتمال الحياة فمن قال بالوجه الاول وهو انهم سيصيرون
احياء في الاخرة قال معنى الاية بل هم احياء في الذكر وانهم يذكرون بخير اعمال وانهم استشهدوا
في سبيل الله وقيل بل هم احياء في الدين وهذا القول ليس بصواب لان الله اثبت لهم الحياة
في الحال بقوله احياء يعني في حال ما قتلوا فانهم يحيون وهو الاحتمال الثاني واختلفوا في معنى
هذه الحياة هل هي للروح او الجسم والروح معا فمن اثبت الحياة للروح دون الجسم قال يدل على
ذلك قوله صلى الله عليه وسلم ارواح الشهداء في حواصل طير فخص الارواح دون الاجساد وقال
بعض المفسرين ان ارواح الشهداء تركع وتسجد كل ليلة تحت العرش الى يوم القيامة ومن اثبت
الحياة للروح والجسم معا قال يدل عليه سياق الاية وهو قوله عند ربهم يرزقون فاخبر
سبحانه وتعالى انهم يرزقون وياكلون ويتنعمون كالاحياء وقيل ان الشهيد لا يبلى في قبره
ولا تاكله الارض كغيره وروي انه لما اراد معاوية ان يجري الماء على قبور الشهداء امر بان
ينادي من كان له قتيل فليخرجه وليحوله من هذا الموضع قال جابر فخرجنا اليهم فاخرجناهم
رطاب الابدان فاصاب المسحاة اصبع رجل منهم فانبعثت دما وذكر البغوي بغير سند
عن عبيد الله بن عمير قال مر رسول الله صلى الله عليه وسلم حين انصرف من احد على مصعب
بن عمير وهو مقتول فوقف عليه ودعا له ثم قرا من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله
عليه ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهد ان هؤلاء شهداء عند الله يوم القيامة
فاتوهم وزوروهم وسلموا عليهم فوالذي نفسي بيده لا يسلم عليهم احد الى يوم القيامة
الا ردوا عليه وقوله عند ربهم يعني في محل كرامته وفضله يرزقون يعني من ثمار الجنة
وتحفها فرحين بما اتاهم الله من فضله يعني بما اعطاهم الله من الثواب والكرامة

والاحسان والافضال في دار النعيم ويستبشرون اي يفرحون والاستبشار الفرح والسرور
الذي يحصل للانسان عند البشارة بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم يعني من اخوانهم
الذين تركوهم احياء في الدنيا على منهج الايمان والجهاد لعلمهم بانهم اذا استشهدوا ولحقوا
بهم ونالوا من الكرامة مثل ما نالوا فهم بذلك مستبشرين وقيل ان الشهدا سالوا الله عز
وجل ان يخبر اخوانهم بما نالوا من الخير والكرامة ليرغبوا في الجهاد فاخبرهم الله عز وجل
اني قد انزلت على نبيكم محمد صلى الله عليه وسلم وقد اخبرت اخوانكم بذلك فيفرحوا بذلك
واستبشروا الا خوف عليهم يعني في الآخرة ولا هم يحزنون يعني على ما فاتهم من نعيم الدنيا
يستبشرون بنعمة من الله وفضل لما بين الله تعالى ان الشهدا يستبشرون بالذين لم يلحقوا
بهم من خلفهم ذكر ايضا انهم يستبشرون لانفسهم بما رزقوا من النعيم والفضل والاستبشار
الاول كان بغيرهم والاستبشار الثاني لانفسهم خاصة وان الله لا يضيع اجر المومنين يعني
كما انه تعالى لا يضيع اجر المجاهدين والشهدا كذلك لا يضيع اجر المومنين فصل في فضل الجهاد
والشهادة في سبيل الله ق عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تضمن الله
لمن خرج في سبيله لا يخرجه الا جهاد في سبيلي وايمان بي وتصديق برسلي فهو علي ضامن
ان ادخله الجنة او ارجعه الى مسكنه الذي خرج منه نايلا ما نال من اجر او غنيمة والذي
نفس محمد بيده ما من كلم يكلم في سبيل الله الا جا يوم القيامة كهيئته حين كلم لونه لون
دم وريحه ريح مسك والذي نفس محمد بيده لولا ان اشق على المسلمين ما قعدت خلف
سرية تغزو في سبيل الله ابدا ولكن لا اجد سعة فاحملهم ولا يجدون سعة ويشق عليهم
ان يتخلفوا عني والذي نفس محمد بيده لوددت اني اغزو في سبيل الله فاقتل ثم اغزو
فاقتل ثم اغزو فاقتل لفظ مسلم ق عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لغزوة
في سبيل الله او روحة خير من الدنيا وما فيها خ عن سهل بن سعد ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها وموضع سوط احدكم من الجنة
خير من الدنيا وما عليها عن فضالة بن عبيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل
ميت يختم على عمله الا المرابط في سبيل الله فانه ينمى له عمله الى يوم القيامة ويومن من فتنة
القبر اخرجه ابو داود والترمذي عن معاذ بن جبل انه سمع رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول من قاتل في سبيل الله فواق ناقة وجبت له الجنة ومن سال الله القتل في
سبيل الله صادقا من نفسه ثم مات او قتل كان له اجر شهيد ومن جرح جرحا في سبيل الله
او نكب نكبة فانها تجي يوم القيامة كاغزر ما كانت لونها لون الزعفران وريحها ريح
المسك ومن خرج به خراج في سبيل الله فان عليه طابع الشهدا اخرجه ابو داود والنسائي
واخرجه الترمذي مفرقا في موضعين ق عن ابي سعيد قال اتى رجل رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال اي الناس افضل قال مومن يجاهد بنفسه وماله في سبيل الله قال
ثم من قال رجل في شعب من الشعاب يعبد الله وفي رواية يتقي الله ويدع الناس

من شره

من شره خ عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من احتبس فرسا
في سبيل الله ايمانا واحتسابا وتصديقا بوعده فان شبعه وريه وروثه وبوله في ميزانه
يوم القيامة يعني حسنات ق عن انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ما احد يدخل الجنة يحب ان يرجع الى الدنيا وله ما على الارض من شي الا الشهيد
يتمنى ان يرجع الى الدنيا فيقتل عشر مرات لما يرى من الكرامة وفي رواية لما يرى
من فضل الجهاد م عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال يغفر للشهيد كل ذنب الا الدين عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
ما يجد الشهيد من مس القتل الا كما يجد احدكم من القرصة اخرجه الترمذي وللنسائي نحوه
عن ابي الدردا قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يشفع الشهيد في سبعين من اهل
بيته اخرجه ابو داود قوله تعالى الذين استجابوا لله والرسول الاية قال اكثر المفسرين
ان ابا سفيان واصحابه لما انصرفوا من احد فبلغوا الروحا ندموا على انصرافهم وتلاوموا
فقالوا لا محمدا قتلتم ولا الكواعب اردفتم قتلتموهم حتى اذا لم يبق الا الشريد تركتموهم ارجعوا
فاستاصلوهم فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فاراد ان يرهب العدو ويريهم
من نفسه واصحابه قوة فندب اصحابه للخروج في طلب ابي سفيان فانتدب عصابة
منهم مع ما بهم من الم الجراح والقرح الذي اصابهم يوم احد ونادى منادي رسول الله صلى
الله عليه وسلم الا لا يخرجن معنا احد الا من حضر بالامس فكلمه جابر بن عبد الله فقال
يا رسول الله ابي كان خلفني على اخوات لي سبع وقال لي يا بني انه لا ينبغي لي ولك ان
نترك هن ولا النسوة ولا رجل فيهن ولست بالذي اوثرك على نفسي بالجهاد مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم فتخلف على اخواتك فتخلفت عليهن فاذن له رسول الله صلى الله عليه
وسلم فخرج معه وانما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مرهبا للعدو وليبلغهم انه خرج في
طلبهم فيظنوا به قوة وان الذين اصابهم لم يوهنهم فينصرفوا فخرج رسول الله صلى الله عليه
وسلم ومعه ابو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف
وابو عبيدة بن الجراح وعبد الله بن مسعود وحذيفة بن اليمان في سبعين رجلا من اصحابه
حتى بلغوا حمرا الاسد وهي من المدينة على ثمانية اميال ق عن عائشة في قوله الذين
استجابوا لله والرسول من بعد ما اصابهم القرح للذين احسنوا منهم واتقوا اجر عظيم قالت
لعروة يا ابن اختي كان ابواك منهم والزبير وابو بكر لما اصاب نبي الله صلى الله عليه وسلم
ما اصاب يوم احد فانصرف المشركون خاف ان يرجعوا فقال من يذهب في اثرهم
فانتدب منهم سبعون رجلا كان منهم ابو بكر والزبير قال فمر برسول الله صلى الله عليه وسلم
معبد الخزاعي بحمرا الاسد وكانت خزاعة مسلمهم وكافرهم عيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم
بتهامة صفقتهم معه لا يخفون عنه شيئا كان بها ومعبد يومئذ مشرك فقال يا محمد
والله لقد عز علينا ما اصابك في اصحابك ولوددنا ان الله كان قد اعفاك منهم

ثم خرج معبد من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا قد اصبنا جل اصحابه وقادتهم لنكرت
على بقيتهم ولنفرغن منهم فلما راى ابو سفيان معبدا قال له ما وراءك يا معبد قال
محمد قد خرج في اصحابه يطلبكم في جمع لم ار مثله قط يتحرقون عليكم تحرقا وقد اجتمع معه من كان
تخلف عنه في يومكم وندموا على صنيعهم وفيهم من الحنق عليكم شيء لم ار مثله قط قال
ابو سفيان ويلك ما تقول قال والله ما اراك ترحل حتى ترى نواصي الخيل قال فوالله
لقد اجمعنا الكرة عليهم لنستاصل بقيتهم فقال فاني انهاك عن ذلك فوالله لقد حملني
ما رايت على ان قلت ابياتا قال وما قلت قال قلت شعر ۞ كادت تهد من الاصوات راحلتي ۞
اذ سالت الارض بالجرد الابابيل ۞ تردي باسد كرام لا تنابلة ۞ عند اللقاء ولا ميل معازيل
فقلت ويل ابن حرب من لقائكم ۞ اذا تغطمطت البطحاء بالجيل ۞ اني نذير لاهل البسل
ضاحية ۞ لكل ذي اربة منهم ومعقول ۞ من جيش احمد لا وخش تنابلة ۞ وليس
يوصف ما انذرت بالقيل ۞۞ قالوا فثنى ذلك ابا سفيان ومن معه ومر ركب من
عبد القيس فقال اين تريدون قالوا نريد المدينة لاجل الميرة قال فهل انتم مبلغون
عني محمدا رسالة واحمل لكم ابلكم زبيبا بعكاظ اذا وافيتموها قالوا نعم قال فاذا وافيتموه
فاخبروه انا قد اجمعنا السير اليه والى اصحابه لنستاصل بقيتهم وانصرف ابو سفيان
الى مكة ومر الركب برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بحمراء الاسد فاخبروه بالذي قال
ابو سفيان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه حسبنا الله ونعم الوكيل ثم انصرف
رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعا الى المدينة بعد ثالثة وقال مجاهد وعكرمة نزلت
هذه الاية في غزوة بدر الصغرى وذلك ان ابا سفيان يوم احد حين اراد ان ينصرف قال
يا محمد موعد ما بيننا وبينك موسم بدر الصغرى القابل ان شئت فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ذلك بيننا وبينك ان شاء الله فلما كان العام القابل خرج ابو سفيان في اهل مكة
حتى نزل مجنة من ناحية مر الظهران ثم القى الله الرعب في قلبه فبدا له الرجوع فلقي نعيم
بن مسعود وقد قدم معتمرا فقال له ابو سفيان يا نعيم اني قد واعدت محمدا واصحابه ان
نلتقي بموسم بدر الصغرى وهذا عام جدب ولا يصلحنا الا عام نرعى فيه الشجر ونشرب
اللبن وقد بدا لي ان لا اخرج اليها واكره ان يخرج محمد ولا اخرج انا فيزيدهم ذلك
جراة ولان يكون الخلف من قبلهم احب الي من ان يكون من قبلي فالحق بالمدينة
فثبطهم واعلمهم انا في جمع كثير لا طاقة لهم بنا ولك عندي عشرة من الابل اضعها
لك على يد سهيل بن عمرو ويضمنها لك قال وجاء سهيل فقال له نعيم يا ابا يزيد اتضمن لي
هذه القلائص وانطلق الى محمد واثبطه قال نعم فخرج نعيم حتى اتى المدينة فوجد قال لهم
الناس يتجهزون لميعاد ابي سفيان فقال نعيم اين تريدون قالوا واعدنا ابو سفيان
ان نلتقي بموسم بدر الصغرى فقال نعيم بئس الراي رايتم اتوكم في دياركم وقراركم
فلم يفلت منكم الا الشريد افتريدون ان تخرجوا اليهم وقد جمعوا لكم عند الموسم

والله لا يفلت منكم احد فكره اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الخروج فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لاخرجن ولو وحدي فاما الجبان
فانه رجع واما الشجاع فانه تاهب للقتال وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل في اصحابه
حتى وافوا بدر الصغرى فجعلوا يلقون المشركين فيسالونهم عن قريش فيقولون
قد جمعوا لكم يريدون بذلك ان يرعبوا المسلمين فيقول المؤمنون حسبنا الله ونعم الوكيل
حتى بلغوا بدر الصغرى وكانت موضع سوق لهم في الجاهلية يجتمعون اليها في كل عام
ثمانية ايام فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ببدر ينتظر ابا سفيان وقد انصرف
ابو سفيان من مجنة الى مكة فلم يلق رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه احدا من
المشركين ووافوا السوق وكان معهم تجارات ونفقات فباعوا واصابوا بالدرهم درهمين
وانصرفوا الى المدينة سالمين غانمين فذلك قوله تعالى الذين استجابوا لله والرسول
اي اجابوا الله واطاعوه في جميع اوامره واطاعوا الرسول ايضا من بعد ما اصابهم القرح
يعني من بعد ما اصابهم من الم الجراح للذين احسنوا منهم واتقوا يعني احسنوا الطاعة لرسول
الله صلى الله عليه وسلم واجابوه الى الغزو واتقوا معصيته والتخلف عنه اجر عظيم يعني
لهم ثواب جزيل وهو الجنة قوله عز وجل الذين قال لهم الناس هذه الاية متعلقة بالاية
التي قبلها لان المراد بالذين من تقدم ذكره وهم الذين استجابوا لله والرسول وفي المراد بالناس
وجوه احدها انه نعيم بن مسعود الاشجعي فيكون اللفظ عاما اريد به الخاص وانما جاز اطلاق
لفظ الناس على الانسان الواحد لان ذلك الواحد اذا فعل فعلا وقال قولا ورضي به غيره
حسن اضافة ذلك الفعل والقول الى الجماعة وان كان الفاعل واحدا فهو كقوله تعالى
واذ قتلتم نفسا والقاتل واحد والوجه الثاني ان المراد بالناس الركب من عبد القيس قاله
ابن عباس ومحمد بن اسحاق الوجه الثالث المراد بالناس المنافقين وذلك انهم لما راوا النبي
صلى الله عليه وسلم يتجهز لميعاد ابي سفيان نهوا اصحابه عن الخروج معه وقالوا لهم ان القوم قد
اتوكم في دياركم فقتلوا الاكثر منكم فان خرجتم اليهم لم يبق منكم احد ان الناس يعني ابا سفيان
واصحابه من رؤساء المشركين قد جمعوا لكم يعني الجموع الكثيرة لان العرب تسمي الجيش جمعا
ويجمعونه جموعا فاخشوهم اي خافوهم واحذروهم فانه لا طاقة لكم بهم فزادهم ايمانا
يعني فزاد المسلمين ذلك التخويف تصديقا ويقينا وقوة في دينهم وثبوتا على نصرة نبيهم صلى
الله عليه وسلم وفي هذه الاية دليل لمن يقول بزيادة الايمان ونقصانه لان الله تعالى نص
على زيادة ووقوع في الايمان وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل اي كافينا الله هو الذي يكفينا
امرهم فهو كقول امرئ القيس وحسبك من غنى شبع وري اي يكفيك الشبع والري
ونعم الوكيل يعني نعم الموكول اليه في الامور كلها وقيل الوكيل هو الكافي والمعنى يكفينا الله
ونعم الكافي هو وقيل الوكيل هو الكفيل ووكيل الرجل في ماله هو الذي كفله وقام به
والوكيل في صفة الله هو الكفيل بارزاق العباد ومصالحهم وهو الذي يستقل بامورهم

كلها خ عن ابن عباس قال فى قوله تعالى ان الناس قد جمعوا لكم الى قوله وقالوا حسبنا
الله ونعم الوكيل قالها ابرهيم حين القى فى النار وقالها محمد صلى الله عليه وسلم حين قال
لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم قوله تعالى فانقلبوا اى فانصرفوا ورجعوا بعد خروجهم
والمعنى وخرجوا فانقلبوا فحذف الخروج لان الانقلاب يدل عليه بنعمة من الله
اى بعافية لم يلقوا عدوا وفضل اى تجارة وربح وهو ما اصابوا فى سوق بدر من
الربح وقيل النعمة منافع الدنيا والفضل ثواب الاخرة لم يمسسهم سوء اى لم يصبهم اذى
ولا مكروه من قتل وجراح واتبعوا رضوان الله يعنى فى طاعة الله وطاعة رسوله وقيل
انهم قالوا هل يكون هذا غزوا فاعطاهم الله ثواب الغزو ورضى عنهم بخروجهم مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم والله ذو فضل عظيم يعنى انه تعالى تفضل عليهم بالتوفيق لما فعلوا
وقيل تفضل عليهم بالقاء الرعب فى قلوب المشركين حتى رجعوا قوله عز وجل انما ذلكم الشيطان
يعنى انما ذلكم التخويف والشيطان هو الشيطان يخوف بالوسوسة بان القى ذلك فى افواههم
ليرهبوا المؤمنين ويخوفوهم ويجبنوهم وقوله اولياءه يعنى الشيطان يخوفكم يا معشر المؤمنين
باوليائه وقيل معناه يعظم اولياءه فى صدوركم لتخافوهم وقيل معناه يخوف اولياءه المنافقين
ليقعدوا عن قتال المشركين واولياء الشيطان هم الكفار والمنافقون الذين يطيعونه
ويؤثرون امره واولياء الله هم المؤمنون الذين لا يخافون الشيطان اذا خوفهم ولا يطيعونه
اذا امرهم فلا تخافوهم يعنى فلا تخافوا اولياء الشيطان ولا تقعدوا عن قتالهم ولا تجبنوا
عنهم وخافون اى تجاهدوا فى سبيلى مع رسولى فانى وليكم وناصركم ان كنتم مؤمنين يعنى مصدقين
بوعدى اى تكفل لكم بالنصر والظفر قوله تعالى ولا يحزنك الذين يسارعون فى الكفر
قيل هم كفار قريش وقيل هم المنافقون ورؤساء اليهود وقيل هم قوم ارتدوا عن الاسلام
والمعنى ولا يحزنك يا محمد من يسارع فى الكفر ويجمع الجموع لمحاربتك فان هذا المقصود لا يحصل
لهم وقيل يسارعهم فى الكفر مظاهرتهم الكفار على النبى صلى الله عليه وسلم والمعنى يسارعون
فى نصرة الكفر فلا يحزنك فعلهم فانك منصور عليهم انهم لن يضروا الله شيئا يعنى بمسارعتهم
فى الكفر انما يضرون انفسهم بذلك وقيل معناه لن يضروا اولياء الله شيئا يريد الله ان
لا يجعل لهم حظا فى الاخرة يعنى لا يجعل لهم نصيبا فى ثواب الاخرة فلذلك خذلهم حتى سارعوا
فى الكفر وفى الاية دليل على ان الخير والشر بارادة الله وفيه رد على القدرية والمعتزلة ولهم
عذاب عظيم يعنى فى الاخرة ان الذين اشتروا الكفر بالايمان يعنى المنافقين امنوا ثم كفروا
والمعنى انهم استبدلوا الكفر بالايمان فكانهم اعطوا الايمان واخذوا الكفر كما يفعل المشترى من
اعطاء شىء واخذ غيره بدلا عنه لن يضروا الله شيئا يعنى باستبدالهم الكفر بالايمان وانما
يضروا انفسهم بذلك ولهم عذاب اليم يعنى فى الاخرة قوله عز وجل ولا يحسبن الذين كفروا
قرئ يحسبن بالتاء والياء فمن قرا بالتاء فمعناه ولا تحسبن يا محمد املاءنا الكفار خيرا لانفسهم ومن
قرا بالياء فمعناه ولا يحسبن الكفار املاءنا لهم خير نزلت فى مشركى مكة وقيل نزلت فى يهود

بنى قريظة

بنى قريظة والنضير انما نملى لهم الاملاء الامهال والتاخير واصله من الملاوة وهى المدة
من الزمان والمعنى لا يظنن الذين كفروا ان امهالنا اياهم بطول العمر والانساء فى الاجل
خير لانفسهم ثم قال تعالى انما نملى لهم ليزدادوا اثما يعنى انما نمهلهم ونؤخر فى اجالهم ليزدادوا اثما
ولهم عذاب مهين يعنى فى الاخرة روى البغوى بسنده عن عبد الرحمن بن ابى بكرة عن ابيه قال
سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم اى الناس خير قال من طال عمره وحسن عمله قيل فاى الناس
شر قال من طال عمره وساء عمله وروى ابن جرير الطبرى بسنده عن الاسود قال عبد الله ما من
نفس برة ولا فاجرة الا والموت خير لها وقرا ولا يحسبن الذين كفروا انما نملى لهم خير
لانفسهم انما نملى لهم ليزدادوا اثما ولهم عذاب مهين وقرا نزلا من عند الله وما عند الله
خير للابرار قال ابن الانبارى قال جماعة من اهل العلم انزل الله هذه الاية فى قوم يعاندون
الحق سبق فى علمه عز وجل انهم لا يؤمنون فقال انما نملى لهم ليزدادوا اثما بمعاندتهم الحق
وخلافهم الرسول صلى الله عليه وسلم وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رايت الله
يعطى على المعاصى فان ذلك استدراج من الله بخلقه ثم تلا هذه الاية قال الزجاج هؤلاء
قوم اعلم الله نبيه صلى الله عليه وسلم انهم لا يؤمنون ابدا وان بقاءهم يزيدهم كفرا واثما
وهذه الاية حجة ظاهرة على القدرية حيث اخبر الله تعالى انه يطيل اعمار قوم ويمهلهم ليزدادوا
كفرا واثما وعتيا قوله تعالى ما كان الله ليذر المؤمنين على ما انتم عليه حتى يميز الخبيث من
الطيب اختلف العلماء فى سبب نزول هذه الاية فقال الكلبى قالت قريش يا محمد تزعم ان
من خالفك فهو فى النار والله عليه غضبان وان من اطاعك وتبعك على دينك فهو فى
الجنة والله عنه راض فاخبرنا بمن يؤمن بك ومن لا يؤمن بك فانزل الله هذه الاية وقال
السدى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عرضت على امتى فى صورها فى الطين كما عرضت على
ادم واعلمت من يؤمن بى ومن يكفر بى فبلغ ذلك المنافقين فقالوا استهزاء زعم محمد انه
يعلم من يؤمن به ومن يكفر ممن لم يخلق بعد ونحن معه وما يعرفنا فبلغ ذلك رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقام على المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم قال ما بال اقوام طعنوا فى علمى لا تسالونى
عن شىء فيما بينكم وبين الساعة الا انباتكم به فقام عبد الله بن حذافة السهمى فقال من ابى
يا رسول الله قال حذافة فقام عمر فقال يا رسول الله رضينا بالله ربا وبالاسلام دينا
وبالقران اماما وبك نبيا فاعف عنا عفى الله عنك فقال النبى صلى الله عليه وسلم فهل
انتم منتهون ثم نزل عن المنبر فانزل الله هذه الاية وقيل ان المؤمنين سالوا ان يعطوا
اية يفرقون بها بين المؤمن والمنافق فنزلت هذه الاية وقيل ان قوما من المنافقين
ادعوا ان ايمانهم كايمان المؤمنين فاظهر الله نفاقهم يوم احد وانزل هذه الاية واختلفوا
فى معنى الاية وحكمها فقال ابن عباس هو اكثر المفسرين الخطاب للكفار والمنافقين والمعنى
ما كان الله ليذر المؤمنين على ما انتم عليه يا معشر الكفار والمنافقين من الكفر
والنفاق حتى يميز الخبيث من الطيب وقيل الخطاب للمؤمنين والمعنى ما كان الله ليذر

المومنين يا معشر المومنين على ما انتم عليه من اختلاط المومن بالمنافق والتباس بعضهم
ببعض حتى يميز الخبيث من الطيب يعني المنافق من المومن المخلص فميز الله المومنين
من المنافقين يوم احد وتخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل انه حصل
التميز يوم احد بالقا الجميع في الخوف والقتل والهزيمة فمن كان مومنا ثبت على ايمانه
وتصديقه ولم يتزلزل ومن كان منافقا شهر نفاقه وكفره وقيل في معنى الاية حتى
يميز المومن من المنافق والكافر بالجهاد والهجرة وقيل في معنى الاية ما كان الله ليذر
المومنين في اصلاب الرجال المشركين وارحام النسا المشركات والمعنى ما كان الله
ليدع اولادكم الذين جرى بهم الحكم بالايمان على ما انتم عليه من الشرك حتى يميز
الخبيث من الطيب يعني يفرق بينكم وبين من في اصلابكم وارحام نسايكم من المومنين
فيحكم لاهل الايمان بالجنة ولاهل الشرك والكفر والنفاق بالنار وما كان الله ليطلعكم
على الغيب الخطاب في قوله ليطلعكم لكفار قريش الذين قالوا يا محمد اخبرنا عمن
يومن بك ومن لا يومن والمعنى وما كان الله ليبين لكم ايها الكفار المومن من
الكافر فيقول فلان مومن وفلان كافر او منافق لانه لا يعلم الغيب احد غيره ولان
سنة الله جارية انه لا يطلع على غيبه احاد الناس فلا سبيل الى معرفة المومن من
الكافر والمنافق الا بالامتحان بالافات والمصايب فيتميز المومن المخلص بثباته على ايمانه
وتزلزل المنافق عند المحن والبلايا وقيل في معنى الاية وما كان الله ليطلع محمدا
على الغيب فيخبركم بالمومن من الكافر ولكن الله يجتبي من رسله من يشا يعني ولكن
الله يصطفي ويختار من رسله من يشا فيطلعه على ما يشا من غيبه فامنوا بالله
ورسوله يعني لما قامت الدلايل على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فلم يبق الا الايمان
بالله ورسوله محمدا صلى الله عليه وسلم وانما قال ورسله على الجمع ولم يقل ورسوله
على التوحيد لقوله والله يجتبي من رسله من يشا ولانه اذا اقر بجميع الرسل كان مقرا
باحدهم وهذه صفة المومنين لانهم امنوا بجميع الرسل وان تومنوا وتتقوا يعني
وان تصدقوا من اجتبيته برسالتي واطلعته على ما اشا من غيبي واعلمته بالمنافق
منكم وللمومن المخلص وتتقوا ربكم فيما امركم به ونهاكم عنه فلكم اجر عظيم يعني فلكم
بايمانكم واتقايكم ثواب جزيل وهو الجنة قوله عز وجل ولا يحسبن الذين يبخلون
بما اتاهم الله من فضله هو خيرا لهم يعني ولا يحسبن الذين يبخلون البخل خيرا لهم بل
هو يعني البخل شر لهم والبخل هو امساك المقتنيات عما لا يحوج حبسها عنه والبخيل هو
الذي يكثر منه البخل والاية دالة على ذم البخيل عن عبد الله بن عمر قال خطب
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اياكم والشح فانما هلك من كان قبلكم بالشح
امرهم بالبخل فبخلوا وامرهم بالفجور ففجروا اخرجه ابو داود وعن ابي سعيد الخدري قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خصلتان لا يجتمعان في مومن البخل وسو الخلق

اخرجه الترمذي

اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب واختلف العلما فيمن نزلت هذه الاية
فقال عبد الله بن مسعود وابو هريرة وابن عباس في رواية ابي صالح عنه والشعبي ومجاهد
نزلت هذه الاية في الذين يبخلون ان يودوا زكوة اموالهم ووجه هذا القول ان
اكثر العلما ذهبوا الى ان البخل عبارة عن منع الواجب وان من منع التطوع لا يكون
بخيلا ويدل عليه الوعيد الشديد في سياق الاية وهو قوله تعالى سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة
وهذا لا يكون الا في ترك الواجب لا في التطوع وقال ابن عباس في رواية عطية عنه وابن
جريج عن مجاهد انها نزلت في احبار اليهود الذين كتموا صفة محمد صلى الله عليه وسلم ونبوته وهذا
القول هو اختيار الزجاج ووجه هذا القول ان البخل عبارة عن منع الخير والنفع ويدخل فيه
العلم كما يقال فلان يبخل بعلمه وصحح الطبري القول الاول واختاره وقوله سيطوقون ما بخلوا
به يوم القيامة اي سيلزمون وبال ما بخلوا به الزام الطوق فان حملنا معنى الاية على منع الزكاة
والبخل بها فقال ابن مسعود وابن عباس يجعل ما منعه من الزكاة حية تطوق في عنقه يوم القيامة
تنهشه من فوقه الى قدمه ويدل على صحة هذا التاويل ما روي عن ابي هريرة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من اتاه الله مالا فلم يود زكاته مثل له يوم القيامة شجاع اقرع له
زبيبتان يطوقه يوم القيامة ثم ياخذ بلهزمتيه يعني شدقيه ثم يقول انا مالك انا كنزك
ثم تلا ولا يحسبن الذين يبخلون بما اتاهم الله الاية اخرجه البخاري وقوله زبيبتان هما النكتتان
السوداوان فوق عيني الحية وقيل هما نقطتان يكتنفان فاها وقيل هما زبدتان في
شدقيها وقد جا في الحديث تفسير لهزمتيه بانهما شدقيه وقيل انهما مضيغتان في اصل
الحنك وقيل هما عند منحنى اللحيين اسفل من الاذنين وكله متقارب عن ابي ذر
قال انتهيت الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو جالس في ظل الكعبة فلما راني قال هم الاخسرون
ورب الكعبة قال فجيت حتى جلست فلم اتقارب ان قمت فقلت يا رسول الله فداك
ابي وامي من هم قال هم الاكثرون اموالا الا من قال هكذا وهكذا وهكذا من بين يديه
ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله وقليل ما هم من صاحب ابل ولا بقر ولا غنم لا
يودي زكاتها الا جات يوم القيامة اعظم ما كانت واسمنه تنطحه بقرونها وتطاه
باظلافها كلما نفذت اخراها عادت عليه اولاها حتى يقضى بين الناس لفظ مسلم
واخرجه البخاري بمعناه في موضعين وقيل معنى الاية بانه يجعل في اعناقهم اطواقا من
نار وقيل يكلفون يوم القيامة ان ياتوا بما بخلوا به من اموالهم في الدنيا وان حملنا
تفسير البخل بالبخل بالعلم وكتمانه فقال ابن عباس في قوله سيطوقون ما بخلوا الاية
اي يحملون وزره واثمه فيكون على طريق التمثيل كما يقال قلدتك هذا الامر و
جعلته في عنقك وقيل يجعل في رقابهم طوقا من نار ويدل عليه ما روي عن ابي
هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سيل علما يعلمه فكتمه الجم بلجام
من نار اخرجه الترمذي وفي رواية عن ابي داود من سيل عن علم فكتمه الجمه الله

بلجام من نار يوم القيامة وقيل في معنى الحديث انهم لما سئلوا عن العلم فكتموه ولم
ينطقوا به بالسنتهم ولم يخرجوه من افواههم عوضوا عن ذلك بلجام من نار في
افواههم عقوبة لهم والله اعلم وقوله تعالى ولله ميراث السموات والارض يعني انه سبحانه
وتعالى الباقي الدائم بعد فناء خلقه وزوال املاكهم فيموتون ويبقى املاكهم فيورثها سبحانه
والمقصود من الاية انه يبطل ملك جميع المالكين ويبقى الملك لله سبحانه وتعالى وقيل
في معنى الاية ولله ميراثهما بما يتوارثه اهلهما من مال وعلم وغير ذلك فما لهولاء البخلاء يبخلون
عليه بملكه ولا ينفقونه في سبيله والله بما تعملون خبير قرئ يعملون بالياء على الغيبة
على طريق الالتفات وهو ابلغ في الوعيد والمعنى والله بما يعملون يعني البخلاء من منعهم الحقوق
خبير فيجازيهم عليها وقرئ بالتاء على خطاب الحاضرين قوله تعالى لقد سمع الله قول الذين
قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء قال الحسن وقتادة لما نزلت هذه الاية من ذا الذي
يقرض الله قرضا حسنا قال اليهود ان الله فقير يستقرض منا ونحن اغنياء وذكر الحسن
ان القائل هذه المقالة هو حيي بن اخطب وقال عكرمة والسدي ومقاتل ومحمد بن
اسحاق كتب النبي صلى الله عليه وسلم مع ابي بكر الصديق الى يهود بني قينقاع يدعوهم
الى الاسلام والى اقام الصلاة وايتاء الزكاة وان يقرضوا الله قرضا حسنا فدخل ابو بكر
ذات يوم بيت مدارسهم فوجد ناسا كثيرا قد اجتمعوا على فنحاص بن عازوراء و
كان من علمائهم ومعه حبر اخر يقال له اشيع فقال ابو بكر لفنحاص اتق الله واسلم
فوالله انك لتعلم ان محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جاءكم بالحق من عند الله
تجدونه مكتوبا عندكم في التوراة فامن وصدق واقرض الله قرضا حسنا
يدخلك الجنة ويضاعف لك الثواب فقال فنحاص يا ابا بكر تزعم ان ربنا يستقرض من
اموالنا وما يستقرض الا الفقير من الغني فان كان ما تقول حقا فان الله اذا فقير
ونحن اغنياء فغضب ابو بكر وضرب وجه فنحاص ضربة شديدة وقال والذي نفسي
بيده لولا العهد الذي بيننا وبينكم لضربت عنقك يا عدو الله فذهب فنحاص
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا محمد انظر ما صنع بي صاحبك فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لابي بكر ما حملك على ما صنعت فقال يا رسول الله ان هذا
عدو الله قال قولا عظيما زعم ان الله فقير وهم اغنياء فغضبت لله وضربت وجهه
فجحد ذلك فنحاص فانزل الله تصديقا لابي بكر وتكذيبا لفنحاص وردا عليه لقد سمع
الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء وهذه المقالة وان كانت قد صدرت
من واحد من اليهود لكنهم رضوا بالمقالة فنسبت هذه الى جميعهم ولا يخلو اما ان يكونوا
قالوا هذه المقالة عن اعتقاد لذلك القول او قالوها استهزاء بها كان فهذه المقالة
عظيمة القبح لا تصدر عن عاقل وانما صدرت عن كافر متمرد في كفره وضلاله
سنكتب ما قالوا يعني قولهم ان الله فقير ونحن اغنياء لان ذلك كذب وافتراء

والمعنى

والمعنى سنحفظ عليهم ما قالوا وقيل سنثبت ذلك القول في صحايف اعمالهم التي تكتبها
الحفظة عليهم حتى يوافوا بها يوم القيامة فهو وعيد وتهديد لهم وقتلهم الانبياء
بغير حق قيل سنكتب ما قال هولاء اليهود ونكتب ما قالوا اسلافهم فنجازي كلا الفريقين
بما هو اهله وانما نسب قتل الانبياء الى اليهود الذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه
وسلم وانما فعله اسلافهم واوائلهم لانهم رضوا بفعلهم فنسب اليهم وقيل في معنى الاية
سنكتب على هولاء ما قالوا بانفسهم ونكتب عليهم ايضا رضاهم بقتل ابائهم الانبياء
والفائدة في ضم قتلهم الانبياء الى ما وصفوا الله به من الفقر اعلاما بذلك انهما اخوان
في العظم وان هذا القول منهم ليس باول ما ارتكبوه من العظائم وانهم اصلاء في الكفر
والجهل والضلال ولهم في ذلك سوابق وان من قتل الانبياء يبعد منه الاجتراء
على مثل هذا القول العظيم الفحش والقبح ونقول يعني لهولاء الذين قالوا هذه المقالة
ذوقوا عذاب الحريق اي ننتقم منهم بان نقول لهم يوم القيامة ذوقوا عذاب الحريق كما
اذقتم المسلمين الغصص في الدنيا ذلك اي ذلك العذاب المحرق جزاء فعلكم حيث وصفتم
الله بالفقر واقدمتم على قتل الانبياء بما قدمت ايديكم انما ذكر الايدي على سبيل المجاز لان الفاعل
هو الانسان لا اليد الا ان اليد لما كانت الة الفعل حسن اسناد الفعل اليها ولان اكثر الاعمال
تكون باليد فجعل كل عمل كالواقع بالايدي على سبيل التغليب وان الله ليس بظلام للعبيد اي فيعذب
بغير ذنب بل هو سبحانه وتعالى عادل ومن العدل ان يعاقب المسيء ويثيب المحسن قوله عز وجل الذين
قالوا ان الله عهد الينا قال الكلبي نزلت في كعب بن الاشرف ومالك بن الصيف ووهب
بن يهودا وزيد بن التابوت وفنحاص بن عازوراء وحيي بن اخطب قالوا يا محمد تزعم ان الله
قد بعثك الينا رسولا وانزل عليك كتابا وان الله عهد الينا في التوراة ان لا نؤمن لرسول
يزعم انه جاء من عند الله حتى ياتينا بقربان تاكله النار فان جئتنا به صدقناك فانزل الله
الذين قالوا يعني قد سمع الله قول الذين قالوا ان الله عهد الينا يعني امرنا واوصانا في كتبه
ان لا نؤمن لرسول حتى ياتينا بقربان تاكله النار فيكون ذلك دليلا على صدقه وذكر الواحدي
عن السدي انه قال ان الله تعالى امر بني اسرائيل في التوراة من جاءكم يزعم انه رسول الله فلا تصدقوه
حتى ياتيكم بقربان تاكله النار حتى ياتيكم المسيح ومحمد فاذا اتياكم فامنوا بهما فانهما ياتيان بغير
قربان زاد غير الواحدي عنه قال وكانت هذه العادة باقية فيهم الى مبعث المسيح عليه السلام ثم ارتفعت
وزالت وقيل ان ادعاء هذا الشرط كذب على التوراة وهو من كذب اليهود وتحريفهم ويدل على ذلك
ان المقصود في الدلالة على صدق النبي هو ظهور المعجزة الخارقة للعادة فاي معجزة اتى بها النبي
صلى الله عليه وسلم قبلت منه وكانت دليلا على صدقه وقد اتى النبي صلى الله عليه وسلم بالمعجزات
الباهرات الدالة على صدقه فوجب على كافة الخلق اتباعه والتصديق به والقربان كل ما يتقرب
به العبد الى الله عز وجل من اعمال البر من نسك وصدقة وذبح وكل عمل صالح ويدل على ذلك
قوله صلى الله عليه وسلم الصوم جنة والصلاة قربان يعني انها مما يتقرب به الى الله تعالى وكانت

القرابين والغنائم لا تحل لبني اسرائيل وكانوا اذا قربوا قربانا او غنموا غنيمة جمعوا ذلك وجاءت
نار بيضاء من السماء لا دخان لها ولها دوي وحفيف فتأكل ذلك القربان او الغنيمة
وتحرقه فيكون ذلك دليلا وعلامة على القبول واذا لم يقبل بقي على حاله ولم تنزل نار
وقال عطاء كانت بنو اسرائيل يذبحون لله فيأخذون الثروب واطايب اللحم فيضعونها
في وسط بيت والسقف مكشوف فيقوم نبيهم عليه السلام في البيت ويناجي
ربه عز وجل وبنو اسرائيل خارجون حول البيت فتنزل نار بيضاء لها دوي وحفيف
ولا دخان لها فتأكل ذلك القربان ثم قال الله عز وجل مجيبا عن هذه الشبهة التي ذكرها
هؤلاء اليهود واقامة للحجة عليهم قل يعني قل يا محمد لهؤلاء اليهود قد جاءكم يعني يا معشر اليهود
رسل من قبلي يعني مثل زكريا ويحيى وعيسى عليهم السلام بالبينات يعني بالدلالات الواضحات
الدالة على صدقهم وبالذي قلتم يعني ما طلبوه من القربان فلم قتلتموهم يعني فلم قتلتم
الانبياء الذين اتوا بما طلبتم منهم مثل زكريا ويحيى وسائر من قتلوا من الانبياء واراد
بذلك فعل اسلافهم وانما خاطب بذلك اليهود الذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم
لانهم كانوا راضين بفعل اسلافهم ان كنتم صادقين يعني في دعواكم ومعناه تكذيبهم
اياك يا محمد مع علمهم بصدقك كقتل آبائهم الانبياء مع اتيانهم بالقربان ثم قال تعالى
مسليا لرسوله صلى الله عليه وسلم فان كذبوك يعني هؤلاء اليهود فقد كذب رسل من قبلك
يعني مثل نوح وهود وصالح وابراهيم وغيرهم من الرسل جاؤا بالبينات يعني بالدلالات الواضحات
والمعجزات الباهرات والزبر اي الكتب واحدها زبور وكل كتاب فيه حكمة فهو زبور واصله من
الزبر وهو الزجر وسمي الكتاب الذي فيه حكمة زبورا لانه يزبر اي يزجر عن الباطل
ويدعو الى الحق والكتاب المنير اي الواضح المضيء وانما عطف الكتاب المنير على الزبر
لشرفه وفضله وقيل اراد بالزبر الصحف وبالكتاب المنير التوراة والانجيل قوله تعالى
كل نفس ذائقة الموت يعني ان كل مخلوقة ذائقة الموت ولا بد لها منه قيل لما
نزلت قل يتوفاكم ملك الموت قالوا يا رسول الله انما نزل في بني آدم فاين ذكر الموت
للجن والانعام والوحوش والطير فنزلت هذه الآية وقيل لما خلق الله آدم عليه السلام
اشتكت الارض الى ربها عز وجل لما اخذ منها فوعدها ان يرد فيها ما اخذ منها فما احد
يموت الا ويدفن في التربة التي خلق منها فان قلت الحور والولدان نفوس مخلوقة
في الجنة لا تذوق الموت فما حكم لفظة كل في قوله كل نفس ذائقة الموت قلت لفظة كل
لا تقتضي الشمول والاحاطة بدليل قوله تعالى واوتيت من كل شيء ولم تؤت ملك سليمان
فتكون الآية من العام المخصوص ويحتمل ان يكون المراد بهم المكلفين بدليل سياق
الآية وهو قوله وانما توفون اجوركم يعني جزاء اعمالكم يوم القيامة ان كان خيرا فخير
وان كان شرا فشر فمن زحزح عن النار وادخل الجنة فقد فاز يعني فمن نجا وابعد عن
النار وادخل الجنة فقد ظفر بالنجاة ونجا من الخوف وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور

يعني ان العيش في هذه الدار الفانية يغر الانسان بما تمنيه من طول البقاء وسينقطع عن
قريب فوصف بانها متاع الغرور لانها تغر ببذل المحبوب وتخيل للانسان انه يدوم
وليس بدائم والمتاع كل ما يستمتع به الانسان من مال وغيره وقيل المتاع كالفاس و
القدر والقصعة ونحوه والغرور ما يغر الانسان مما لا يدوم وقيل الغرور الباطل ومعنى
الآية ان منفعة الانسان بالدنيا كمنفعته بهذه الاشياء التي يستمتع بها ثم تزول عن قريب
وقيل متاع متروك يوشك ان يضمحل ويزول فخذوا من هذا المتاع واعملوا فيه بطاعة
الله ما استطعتم قال سعيد بن جبير هي متاع الغرور لمن لم يشتغل بطلب الآخرة فاما من
يشتغل بطلب الآخرة فهي له متاع وبلاغ الى ما هو خير منها (ق) عن ابي هريرة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين
رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر واقرؤا ان شئتم فلا تعلم نفس ما اخفي
لهم من قرة اعين جزاء بما كانوا يعملون زاد الترمذي وفي الجنة شجرة يسير الراكب
في ظلها مائة عام لا يقطعها واقرؤا ان شئتم وظل ممدود وموضع سوط في الجنة
خير من الدنيا وما فيها واقرؤا ان شئتم فمن زحزح عن النار وادخل الجنة فقد فاز
وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور قوله عز وجل لتبلون اللام لام القسم تقديره والله
لتبلون اي لتختبرن فيوقع عليكم المحن ليعلم المؤمن من غيره والاختبار طلب المعرفة
ليعرف الجيد من الردي وذلك في وصف الله محال لان الله تعالى عالم بحقائق
الاشياء قبل ان يخلقها فعلى هذا يكون معنى الاختبار في وصف الله تعالى انه يعامل
العبد معاملة المختبر في اموالكم يعني بالابتلاء في الاموال بالنقصان منها وقيل باداء
ما فرض فيها من الحقوق وانفسكم يعني بالمصائب والامراض والقتل وفقد الاقارب
والعشائر خوطب بهذه المسلمون ليوطنوا انفسهم على احتمال الاذى وما سيلقون
من الشدائد والمصائب ليصبروا على ذلك حتى اذا لقوها وهم مستعدون بالصبر
لها لا يرهقهم ما يرهق غيرهم ممن تصيبه الشدة بغتة فينكرها ويشمئز منها ولتسمعن
من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا اذى كثيرا قال عكرمة
نزلت في ابي بكر الصديق وفنحاص بن عازوراء وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم
بعث ابا بكر الى فنحاص سيد بني قينقاع يستمده وكتب معه كتابا وقال لابي بكر
لا تفتاتن علي بشيء حتى ترجع فجاء ابو بكر وهو متوشح بالسيف فاعطاه الكتاب
فلما قرأه قال فنحاص قد احتاج ربك حتى نمده فهم ابو بكر ان يضربه بالسيف
ثم ذكر قول النبي صلى الله عليه وسلم لا تفتاتن علي بشيء حتى ترجع فنزلت الآية وقال الزهري
نزلت هذه الآية في النبي صلى الله عليه وسلم وكعب بن الاشرف اليهودي وذلك
انه كان يهجو النبي صلى الله عليه وسلم ويسب المسلمين ويحرض المشركين على قتالهم
في شعره (ق) عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لكعب بن الاشرف

فانه اذى الله ورسوله فقال محمد بن مسلمة اتحب ان اقتله قال نعم قال ائذن لي فلاقل قال قل
فاتاه فقال له وذكر ما بينهم وقال ان هذا الرجل قد اراد الصدقة وقد عنانا فلما سمعه
قال وايضا والله لتملنه قال انا قد اتبعناه ونكره الان ان ندعه حتى ننظر الى اي شيء يصير
امره قال وقد اردت ان تسلفني سلفا قال فما ترهنني ارهنوني نساءكم قال انت اجمل العرب
انرهنك نساءنا قال له ترهنون اولادكم قال يسب ابن احدنا فيقال رهن في وسقين
من تمر ولكن نرهنك اللامة يعني السلاح قال نعم وعده ان ياتيه بالحارث وابي عبس بن جبر
وعباد بن بشر قال فجاءوا فدعوه ليلا فنزل اليهم قالت امراته اني لاسمع صوتا كانه صوت
دم قال انما هو محمد ورضيعي ابو نائلة ان الكريم لو دعي الى طعنة ليلا لاجاب قال محمد اني
اذا جاء فسوف امد يدي الى راسه فاذا استمكنت منه فدونكم قال فلما نزل نزل وهو متوشح
فقالوا نجد منك ريح الطيب قال نعم تحتي فلانة اعطر نساء العرب قال فتاذن لي ان
اشم منه قال نعم فشم فتناول فشم ثم قال اتاذن لي ان اعود قال فاستمكن من راسه ثم
قال دونكم فقتلوه زاد في رواية ثم اتوا النبي صلى الله عليه وسلم فاخبروه وزاد اصحاب
المغازي فاختلف عليه اسيافهم فلم تغن شيئا قال محمد بن مسلمة فذكرت مغولا
في سيفي فاخذته وقد صاح عدو الله صيحة لم يبق حولنا حصن الا اوقدت عليه نار
قال فوضعته في ثندوته ثم تحاملت عليه حتى بلغت عانته ووقع عدو الله وقد اصيب
الحرث بن اوس بجرح في راسه اصابه بعض اسيافنا فخرجنا وقد ابطا علينا صاحبنا
الحرث ونزفه الدم فوقفنا له ساعة حتى اتانا يتبع اثارنا فحملناه وجئنا به رسول الله
صلى الله عليه وسلم اخر الليل وهو قائم يصلي فسلمنا عليه فخرج علينا فاخبرناه بقتل كعب بن
الاشرف وجئنا براسه وتفل على جرح صاحبنا فرجعنا الى اهلنا فاصبحنا وقد خافت
اليهود وقعتنا بعدو الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ظفرتم به من رجال اليهود
فاقتلوه فانزل الله عز وجل في شان كعب الاشرف اليهودي لتبلون في اموالكم
وانفسكم ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم يعني اليهود والنصارى
ومن الذين اشركوا يعني مشركي العرب اذى كثيرا يعني بالاذى قول اليهود ان الله فقير
ونحن اغنياء وما اشبه ذلك من افترائهم وكذبهم على الله ورسوله وما كان كعب بن
الاشرف يهجو النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين فهذا هو الاذى الكثير وان تصبروا وتتقوا
الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وللمسلمين يعني وان تصبروا على اذاهم وتتقوا فيما امركم
به ونهاكم عنه لان الصبر عبارة عن احتمال الاذى والمكروه والتقوى عبارة عن
الاحتراز عما لا ينبغي فان ذلك من عزم الامور اي من صواب التدبير الذي لا شك
ان الرشد فيه ولا ينبغي لعاقل تركه واصله من قولك عزمت عليك كذا اي الزمتك
ان تفعله لا محالة ولا تتركه وقيل معناه فان ذلك مما قد عزم عليكم فعله اي
الزمتكم الاخذ به قوله تعالى واذ اخذ اي واذكر يا محمد وقت اذ اخذ الله ميثاق الذين

اولوا الكتاب

اوتوا الكتاب يعني اليهود والنصارى والمراد منهم العلماء خاصة وقيل المراد بالذين اوتوا
الكتاب الاحبار من اليهود خاصة واخذ الميثاق هو التوكيد والالزام لبيان ما
اوتوه من الكتاب وهو قوله عز وجل لتبيننه للناس يعني لتبينن ما في الكتاب وتظهرنه
للناس حتى يعلمونه وذلك ان الله اوجب على علماء التوراة والانجيل ان يشرحوا للناس
ما في هذين الكتابين من الدلائل الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ولا يكتمونه يعني
ولا يخفون ذلك عن الناس فنبذوه يعني الكتاب وقيل الميثاق وراء ظهورهم اي
فطرحوه وضيعوه وتركوا العمل به واشتروا به ثمنا قليلا يعني الماكل والرشى التي كانوا
ياخذونها من عوامهم وسفلتهم فبئس ما يشترون ذمهم الله تعالى على فعلهم ذلك واعلم
ان ظاهر هذه الاية وان كان مخصوصا بعلماء اهل الكتاب وهم اليهود والنصارى فلا
يبعد ان يدخل فيه علماء هذه الامة الاسلامية لانهم اهل كتاب وهو القران وهو اشرف
الكتب قال قتادة هذا ميثاق اخذه الله تعالى على اهل العلم فمن علم شيئا فليعلمه واياكم و
كتمان العلم فانه هلكة وقال ايضا مثل علم لا يقال به كمثل كنز لا ينفق منه ومثل حكمة لا تخرج
كمثل صنم لا ياكل ولا يشرب وقال ايضا طوبى لعالم ناطق ومستمع واع هذا علم علما فبذله
وهذا سمع خيرا فوعاه وقبله عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سئل
علما يعلمه فكتمه الجمه الله بلجام من نار اخرجه الترمذي ولابي داود من سئل عن علم فكتمه
الجمه الله بلجام من نار يوم القيامة وقال ابو هريرة لولا ما اخذ الله عز وجل على اهل الكتاب
ما حدثتكم بشيء ثم تلا هذه الاية واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب الاية وقال الحسن
بن عمارة اتيت الزهري بعد ان ترك الحديث فالفيته على بابه فقلت ارايت ان تحدثني فقال
اما علمت اني قد تركت الحديث فقلت اما ان تحدثني واما ان احدثك قال حدثني فقلت
حدثني الحكم بن عتيبة عن يحيى بن الجزار قال سمعت علي بن ابي طالب رضي الله عنه يقول
ما اخذ الله على اهل الجهل ان يتعلموا حتى اخذ على اهل العلم ان يعلموا قال فحدثني باربعين حديثا
قوله عز وجل لا تحسبن قرئ بالتاء على الخطاب اي ولا تحسبن يا محمد الفرحين وقرئ بالياء اي ولا
يحسبن الفارحون والمفعول لا تحسبن الذين يفرحون فرحهم منجيا لهم من العذاب نزلت هذه
الاية في المنافقين (ق) عن ابي سعيد الخدري ان رجالا من المنافقين على عهد رسول الله
صلى الله عليه وسلم كانوا اذا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الغزو تخلفوا عنه وفرحوا
بمقعدهم خلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم
اعتذروا اليه وحلفوا له واحبوا ان يحمدوا بما لم يفعلوا فنزلت ولا تحسبن الذين يفرحون بما اتوا
الاية وقيل نزلت في اليهود (ق) عن حميد بن عبد الرحمن بن عوف ان مروان قال اذهب
يا رافع لبوابه الى ابن عباس فقل لئن كان كل امرئ منا فرح بما اتى واحب ان يحمد بما لم يفعل
معذبا لنعذبن اجمعون قال ابن عباس ما لكم ولهذه الاية انما نزلت هذه الاية في اهل
الكتاب ثم تلا ابن عباس واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس

الاية وقال ابن عباس لا تحسبن الذين يفرحون بما اتوا ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا قال
ابن عباس سالهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شي فكتموه اياه واخبروه بغيره
فخرجوا وقد اروه ان قد اخبروه بما سالهم عنه واستحمدوا بذلك اليه وفرحوا بما اتوا
من كتمانه اياه ما سالهم عنه بما اتوا يعني يفرحون بما فعلوا ويحبون ان يحمدوا بما لم
يفعلوا يعني ويحبون ان يحمدهم الناس على شي لم يفعلوه قيل عني بذلك قوم من
احبار اليهود كانوا يفرحون باضلالهم الناس وكنسبة الناس اليهم الى العلم قال
ابن عباس واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب الى قوله ولهم عذاب اليم يعني فنحاص
واشيع واشباههما من الاحبار الذين يفرحون بما يصيبون من الدنيا على ما زينوا للناس
من الضلالة ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا ان يقول الناس لهم علما وليسوا باهل علم
وقيل هم اليهود فرحوا باجتماع كلمتهم على تكذيب محمد صلى الله عليه وسلم وذلك انهم كتبوا
الى يهود العراق والشام واليمن ومن يبلغهم كتابهم من اليهود في الارض كلها ان محمدا
ليس بنبي فاثبتوا على دينكم فاجتمعت كلمتهم على الكفر ففرحوا بذلك وقالوا نحن
اهل الصوم والصلاة واحبوا ان يحمدوا على ذلك وقيل فرحوا بما اتوا من تبديلهم التوراة
واحبوا ان يحمدهم الناس على ذلك وقيل ان يهود خيبر اتت الى النبي صلى الله عليه وسلم
فقالوا نحن نعرفك ونصدقك وقالوا لاصحابه نحن على رايكم ونحن لكم ردء وليس ذلك
في قلوبهم واحبوا ان يحمدهم النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين على ذلك فلا تحسبنهم بمفازة
من العذاب اي فلا تظننهم بمنجاة من العذاب الذي اعده الله لهم في الدنيا من القتل والاسر
وضرب الجزية والذلة والصغار ولهم عذاب اليم يعني في الاخرة وهذه الاية وان كانت
قد نزلت في اليهود او المنافقين خاصة فان حكمها عام في كل من احب ان يحمد بما لم يفعل
من الخير والصلاح وينسب الى العلم وليس هو كذلك قوله تعالى ولله ملك السموات والارض
يعني انه تعالى مالك لما فيهما جميعا يتصرف فيه كيف شاء وفيه تكذيب لمن قال ان الله فقير
ونحن اغنياء لقول الله عز وجل ان من له جميع ما حوته السموات والارض من شي فكيف
يكون من هذا ملكه فقيرا والله على كل شي قدير يعني انه قادر على تعجيل العقوبة لهم على
ذلك القول ولكنه تفضل على خلقه بامهالهم قوله عز وجل ان في خلق السموات والارض
واختلاف الليل والنهار لايات لاولي الالباب قال ابن عباس ان اهل مكة
سالوا النبي صلى الله عليه وسلم ان ياتيهم باية فنزلت هذه الاية والمعنى تفكروا
واعتبروا ايها الناس فيما خلقته وانشاته من السموات والارض لمعاشكم وارزاقكم
وفيما عقبت من ذلك بين الليل والنهار واختلافهما في الطول والقصر فجعلتهما
يختلفان ويتعقبان عليكم لكي تتصرفوا فيهما لمعاشكم وطلب ارزاقكم في النهار
وتسكنون بالليل لراحة اجسادكم فاعتبروا وتفكروا يا اولي الالباب يعني يا ذوي
العقول الصافية الذين يفتحون بصائرهم للنظر والاستدلال والاعتبار لا ينظرون

اليها نظر البهايم غافلين عما فيها من عجايب مخلوقاته وغرايب مبتدعاته ق عن ابن عباس
انه بات عند ميمونة ام المومنين وهي خالته قال فقلت لانظرن الى صلاة رسول الله
صلى الله عليه وسلم فطرحت لرسول الله صلى الله عليه وسلم وسادة فاضطجعت في عرض
الوسادة واضطجع رسول الله صلى الله عليه وسلم واهله في طولها فنام رسول الله
صلى الله عليه وسلم حتى انتصف الليل او قبله بقليل او بعده بقليل ثم استيقظ رسول
الله صلى الله عليه وسلم فجلس يمسح النوم عن وجهه بيده ثم قرا العشر ايات الخواتم من
سورة ال عمران ثم قام الى شن معلقة فتوضا منها فاحسن وضوءه ثم قام يصلي قال عبد الله
ابن عباس فقمت فصنعت مثل ما صنع ثم ذهبت الى جنبه فوضع رسول الله صلى الله
عليه وسلم يده اليمنى على راسي واخذ باذني يفتلها فصلى ركعتين ثم ركعتين ثم ركعتين ثم
اوتر ثم اضطجع حتى جاءه المؤذن فقام فصلى ركعتين خفيفتين ثم خرج فصلى الصبح وفي رواية
فقمت عن يساره فاخذني فجعلني عن يمينه وفي رواية قال بت في بيت خالتي ميمونة
فتحدث رسول الله صلى الله عليه وسلم مع اهله ساعة ثم رقد فلما كان ثلث الليل الاخر
قعد فنظر الى السما فقال ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لايات ١
لاولي الالباب وذكره قوله تعالى الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم قال علي
بن ابي طالب وابن مسعود وابن عباس وقتادة هذا في الصلاة يعني الذين يصلون قياما
فان عجزوا فعلى جنوبهم والمعنى انهم لا يتركون الصلاة في حال من الاحوال بل يصلون
في كل حال خ عن عمران بن حصين قال كانت لي بواسير فسالت النبي صلى الله عليه وسلم
عن الصلاة فقال صل قائما فان لم تستطع فقاعدا فان لم تستطع فعلى جنب اخرجه الترمذي
وقال فيه سالته عن صلاة المريض وذكر نحوه قال الشافعي رضي الله عنه اذا صلى المريض
مضطجعا وجب عليه ان يصلي على جنب ويومي براسه ايماء وقال ابو حنيفة رحمه الله بل يصلي
مستلقيا على ظهره فان وجد خفة قعد وحجة الشافعي ظاهر الاية وهو قوله وعلى جنوبهم
وقوله لعمران بن حصين فان لم تستطع فعلى جنب فنص على الجنب دون غيره وقال اكثر
المفسرين اراد به المداومة على الذكر في غالب الاحوال لان الانسان قل ان يخلو من
احدى هذه الثلاث حالات وهي القيام والقعود وكونه نايما على جنبه م عن عايشة
قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الله عز وجل في كل احيانه عن ابي هريرة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قعد مقعدا لم يذكر الله فيه كانت عليه
من الله ترة ومن اضطجع مضجعا لا يذكر الله فيه كانت عليه من الله ترة وما مشى احد
ممشى لا يذكر الله فيه الا كانت عليه من الله ترة اخرجه ابو داود والترة النقص
وقيل هي هنا التبعة وقوله تعالى ويتفكرون في خلق السموات والارض اصل
الفكر اعمال الخاطر بالشي وتردد القلب في ذلك الشي وهو قوة مطرقة للعلم الى
المعلوم والتفكر جريان تلك القوة بحسب نظر العقل ولا يمكن التفكر الا فيما له

صورة في القلب ولهذا قيل تفكروا في آلاء الله ولا تفكروا في الله اذ كان الله منزها
ان يوصف بصورة فلذلك اخبره عن عباده الصالحين بانهم يتفكرون في
خلق السموات والارض وما ابدع فيهما من عجايب مصنوعاته وغرايب مبتدعاته
ليدلهم ذلك على كمال قدرة الصانع سبحانه وتعالى ويعلمون ان لها خالقا قادرا مدبرا
حكيما لان عظم آثاره وافعاله يدل على عظم خالقها سبحانه وتعالى كما قيل وفي كل شي
له آية تدل على انه واحد وقيل ان الفكر مقلوب عن الفكر لان الفكر مستعمل في المعاني
وهو فرك الامور وبحثها طلبا للوصول الى حقيقتها وقيل الفكرة تذهب الغفلة
وتحدث للقلب الخشية كما يحدث الما للزرع النما وما جليت القلوب بمثل الاحزان
ولا استنارت بمثل الفكرة ربنا اي ويقولون ربنا وقيل معناه ويتفكرون في خلق
السموات والارض قايلين ربنا ما خلقت هذا باطلا يعني عبثا وهزلا بل خلقته دليلا
على وحدانيتك وان لك جنة ونارا فقنا عذاب النار والمقصود من قوله سبحانك
فقنا عذاب النار تعليم عباده كيفية الدعا فمن اراد ان يدعو فليقدم الثنا
على الله اولا ويدل عليه قوله سبحانك وبعد ذلك الثنا ياتي بالدعا ويدل عليه قوله
فقنا عذاب النار ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته يعني اهنته واذللته وقيل
اهلكته وقيل فضحته وابلغت في اخزايه والخزي ضرب من الاستخفاف او انكسار يلحق
الانسان وهو الحيا المفرط فان قلت قد تمسكت المعتزلة بهذه الاية وقد اخبر الله انه
لا يخزي النبي والذين معه فوجب ان كل من يدخل النار لا يكون مومنا لقوله انك
من تدخل النار فقد اخزيته والمومن لا يخزى قلت قد ذكر العلما في الجواب وجوها احدها
ما روي عن انس في تفسير قوله انك من تدخل النار فقد اخزيته قال من تخلده و
روي نحوه عن سعيد بن المسيب قال هي خاصة بمن لا يخرج منها وهذا الجواب انما
يصح على مذهب اهل السنة الذين يرون اخراج الموحدين من النار اما على مذهب اهل
الاعتزال فلا يصح هذا الجواب لان مذهبهم ان الفاسق مخلد في النار فهو داخل في قوله
فقد اخزيته الوجه الثاني في الجواب ان المدخل في النار مخزي في حال دخوله وان
كانت عاقبته ان يخرج منها ومعنى الاية على هذا فقد اخزيته بدخوله فيها وتعذيبه بها
ويدل على صحة هذا المعنى ما روي عن عمرو بن دينار قال قدم علينا جابر بن عبد الله
في عمرة فانتهيت اليه انا وعطا فسالته عن هذه الاية ربنا انك من تدخل النار
فقد اخزيته وما اخزاه حين احرقه بالنار ان دون ذا الخزيا وهذا الوجه هو اختيار
ابن جرير الطبري ان من ادخل النار فقد خزي بدخوله اياها وان اخرج منها وذلك الخزي
هو هتك المخزي وفضيحته وقال ابن الانباري حمل الاية على العموم اولى من نقلها الى
الخصوص لا دليل عليه الوجه الثالث في الجواب ما قاله اهل المعاني وهو ان الخزي
يحتمل معان منها الاهانة والاهلاك والابعاد وهذا للكفار ومنها الاخجال يقال

خزي قرابته اذا استحيى واذا عمل عملا يستحيي منه ويخجل فيكون خزي المومن الذي يدخل النار
الحيا من المومنين بدخوله النار الى ان يخرج منها وخزي الكافر الهلاك بالخلود في
النار وحاصل هذا الجواب ان لفظ الاخزا مشترك بين التخجيل والاهلاك واللفظ المشترك
لا يمكن حمله في طرفي النفي والاثبات على معنييه جميعا وهذا سقط الاستدلال الوجه
الرابع في الجواب وهو الذي اختاره الفخر الرازي وصححه ان قوله تعالى يوم لا يخزي
الله النبي والذين امنوا معه لا يقتضي نفي الاخزا مطلقا وانما يقتضي ان لا يحصل
الاخزا حال ما يكونوا مع النبي وهذا النفي لا يناقضه اثبات الاخزا في الجملة لاحتمال
ان يحصل ذلك الاثبات في وقت اخر والله اعلم وقوله تعالى وما للظالمين يعني المشركين
الذين وضعوا العبادة في غير موضعها من انصار يعني ينصرونهم يوم القيامة او يمنعونهم
من العذاب قوله عز وجل ربنا اننا سمعنا مناديا ينادي للايمان قال ابن عباس واكثر
المفسرين المنادي هو محمد صلى الله عليه وسلم ويدل على صحة هذا قوله ادع الى سبيل
ربك بالحكمة وقوله وداعيا الى الله باذنه وقال محمد بن كعب القرظي المنادي هو
القران قال اذ ليس كل احد يلقى النبي صلى الله عليه وسلم وجه هذا القول ان كل احد
يسمع القران ويفهمه فاذا وفقه الله تعالى للايمان به فقد فاز به وذلك لان القران
مشتمل على الرشد والهدى وانواع الدلايل الدالة على الوحدانية فصار كالداعي
اليها واللام في للايمان بمعنى الى يعني ينادي الى الايمان ان امنوا بربكم فامنا اي
فصدقنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا اي كباير ذنوبنا وكفر عنا سياتنا اي صغاير ذنوبنا
وقيل ان الغفر هو الستر والتغطية وكذلك التكفير فهما بمعنى واحد وانما ذكرهما
للتاكيد لان الالحاح في الدعا والمبالغة فيه مندوب اليه وقيل معناه اغفر لنا
ما تقدم من ذنوبنا وكفر عنا سياتنا في المستقبل وقيل يريد بالغفران ما يزول بالتوبة
من الذنوب وبالتكفير ما يكفر بالطاعات من الذنوب وتوفنا مع الابرار يعني في
جملتهم وزمرتهم والابرار هم الانبيا والصالحون والمعنى توفنا على مثل اعمالهم
حتى نكون في درجتهم يوم القيامة وقيل توفنا في جملة اتباعهم واشياعهم ربنا واتنا
ما وعدتنا على رسلك يعني على السنة رسلك وقيل معناه واتنا ما وعدتنا على تصديق
رسلك فان قلت كيف سالوا الله انجاز ما وعد والله لا يخلف الميعاد قلت معناه
انهم طلبوا من الله تعالى التوفيق فيما يحفظ عليهم اسباب انجاز الميعاد وقيل هو من
باب اللجا الى الله والتذلل له واظهار الخضوع والعبودية كما ان الانبيا عليهم السلام
يستغفرون الله مع علمهم انهم مغفور لهم يقصدون بذلك التذلل لربهم سبحانه
وتعالى والتضرع اليه واللجا اليه الذي هو سيما العبودية وقيل معناه ربنا واجعلنا
ممن يستحق ثوابك وتوتيهم ما وعدتهم على السنة رسلك لانهم لم يتيقنوا استحقاقهم
لتلك الكرامة فسالوه ان يجعلهم مستحقين لها وقيل انما سالوه تعجيل ما وعدهم

من النصر على الاعداء قالوا قد علمنا انك لا تخلف الميعاد ولكن لا صبر لنا على حلمك فعجل هلاكهم والنصرة عليهم ولا تخزنا يوم القيامة يعني ولا تهلكنا ولا تفضحنا ولا تهنا في ذلك اليوم فان قلت قوله واتنا ما وعدتنا على رسلك يدل على طلب الثواب ومتى حصل الثواب اندفع العقاب لا محالة فما معنى قوله ولا تخزنا وهو طلب دفع العقاب عنهم قلت المقصود من الاية طلب التوفيق على الطاعة والعصمة عن فعل المعصية كانهم قالوا وفقنا للطاعات واذا وفقتنا لها فاعصمنا عن فعل ما يبطلها ويوقعنا في الخزي وهو الهلاك ويحتمل ان يكون قوله ولا تخزنا يوم القيامة سبب لقوله تعالى وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون فانه ربما يظن انه على عمل صالح فاذا كان يوم القيامة ظهر انه على غير ما ظن فيحصل الخجل والحسرة والندامة في موقف القيامة فسالوا الله تعالى ان يزيل عنهم فقالوا ولا تخزنا يوم القيامة انك لا تخلف الميعاد قوله تعالى فاستجاب لهم ربهم يعني اجاب دعاءهم واعطاهم ما سالوه اني اي وقال لهم اني لا اضيع عمل عامل منكم يعني لا احبط عملكم ايها المؤمنون بل اثيبكم عليها واجزيكم بها من ذكر او انثى يعني لا اضيع عمل عامل ذكرا كان او انثى عن ام سلمة قالت قلت يا رسول الله لا اسمع الله تعالى ذكر النساء في الهجرة بشيء فانزل الله تعالى اني لا اضيع عمل عامل منكم من ذكر او انثى بعضكم من بعض الى والله عنده حسن الثواب اخرجه الترمذي وغيره قوله تعالى بعضكم من بعض يعني في الدين والنصرة والموالاة وقيل كلكم من ادم وحوى وقيل من بمعنى الكاف اي بعضكم كبعض في الثواب على الطاعة والعقاب على المعصية فهو كما يقال فلان مني يعني على خلقي وسيرتي وقيل ان الرجال والنساء في الطاعة على شكل واحد فالذين هاجروا واخرجوا من ديارهم واوذوا في سبيلي يعني المهاجرين الذين هجروا اوطانهم واهليهم واذاهم المشركون بسبب اسلامهم ومتابعتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرجوا مهاجرين الى الله ورسوله وتركوا اوطانهم وعشائرهم لله ورسوله ومعنى في سبيلي في طاعتي وديني وابتغاء مرضاتي وهم المهاجرون الذين اخرجهم المشركون من مكة فهاجر طائفة الى الحبشة وطائفة الى المدينة قبل هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعد هجرته فلما استقر رسول الله صلى الله عليه وسلم في المدينة رجع اليه من كان هاجر الى الحبشة من المسلمين وقاتلوا وقتلوا يعني وقاتلوا العدو واستشهدوا في جهاد الكفار لاكفرن عنهم سيئاتهم يعني لامحون عنهم ذنوبهم ولاغفرنها لهم ولادخلنهم جنات تجري من تحتها الانهار ثوابا من عند الله يعني ذلك الذي اعطاهم من تكفير سيئاتهم وادخالهم الجنة ثوابا من فضل الله واحسانه اليهم والله عنده حسن الثواب وهذا تاكيد لكون ذلك الثواب الذي اعطاهم من فضله وكرمه لانه جواد كريم روى ابن جرير الطبري بسنده عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان اول ثلاثة تدخل الجنة فقراء

المهاجرين الذين يتقى بهم المكاره اذا امروا سمعوا واطاعوا وان كانت لرجل منهم حاجة الى سلطان لم يقض له حتى يموت وهي في صدره فان الله عز وجل يدعو يوم القيامة الجنة فتاتي بزخرفها وزينتها فيقول اين عبادي الذين قاتلوا في سبيلي وقتلوا واوذوا في سبيلي وجاهدوا في سبيلي ادخلوا الجنة فيدخلونها بغير عذاب ولا حساب وتاتي الملائكة فيسجدون ويقولون ربنا نحن نسبح لك الليل والنهار ونقدس لك من هؤلاء الذين اثرتهم علينا فيقول الرب عز وجل هؤلاء عبادي الذين قاتلوا في سبيلي واوذوا في سبيلي فتدخل الملائكة عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار قال بعضهم في هذه الاية تعليم من الله لعباده كيف يدعو وكيف يبتهل اليه ويتضرع وتكرير ربنا من باب الابتهال واعلام بما يوجب حسن الاجابة وقال جعفر الصادق من حزنه امر فقال خمس مرات ربنا انجاه الله مما يخاف واعطاه ما اراد وقرا هذه الاية وقال الحسن حكى الله عنهم انهم قالوا خمس مرات ربنا اخبر انه استجاب لهم قوله عز وجل لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد نزلت في المشركين وذلك انهم كانوا في رخاء ولين من العيش يتجرون ويتنعمون فقال بعض المؤمنين ان اعداء الله فيما نرى من الخير ونحن في الجهد فانزل الله هذه الاية لا يغرنك المخاطب رسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره من الامة لانه صلى الله عليه وسلم لم يغتر قط والمعنى لا يغرنك ايها السامع تقلب الذين كفروا في البلاد يعني ضربهم في الارض وتصرفهم في البلاد للتجارات وطلب الارباح والمكاسب متاع قليل اي ذلك متاع قليل وبلغة فانية ونعمة زائلة ثم ماواهم يعني مصيرهم في الاخرة جهنم وبئس المهاد اي وبئس الفراش هي قوله تعالى لكن الذين اتقوا ربهم فيما امرهم به من العمل بطاعته واتباع مرضاته واجتناب ما نهاهم عنه من معاصيه لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها نزلا اي جزاء وثوابا والنزل ما يهيا للضيف عند قدومه من عند الله يعني من فضل الله وكرمه واحسانه وما عند الله يعني من الخير والكرامة والنعيم الدائم الذي لا ينقطع خير للابرار يعني ذلك الفضل والنعمة التي اعدها الله للمطيعين الابرار خير مما يتقلب فيه هؤلاء الكفار من نعيم الدنيا ومتاعها فانه قليل زائل (ق) عن عمر بن الخطاب قال جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو في مشربة وانه لعلى حصير ما بينه وبينه شيء وتحت راسه وسادة من ادم حشوها ليف وان عند رجليه قرظا مصبورا وعند راسه اهب معلقة فرايت اثر الحصير في جنبه فبكيت فقال ما يبكيك قلت يا رسول الله ان كسرى وقيصر فيما هم فيه وانت يا رسول الله فقال اما ترضى ان تكون لهم الدنيا ولنا الاخرة لفظ البخاري المشربة الغرفة والعلية والمشارب العلالي قوله عز وجل وان من اهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما انزل اليكم وما

انزل اليهم قال ابن عباس نزلت في النجاشي ملك الحبشة واسمه اصحمه ومعناه
بالعربية عطية وذلك انه لما مات نعاه جبريل عليه السلام لرسول الله صلى الله
عليه وسلم في اليوم الذي مات فيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه
اخرجوا فصلوا على اخ لكم بغير ارضكم النجاشي فخرج الى البقيع وكشف له الى ارض
الحبشة فابصر سرير النجاشي فصلى عليه وكبر اربع تكبيرات واستغفر له فقال
المنافقون انظروا الى هذا يصلي على حبشي نصراني لم يره قط وليس على دينه فانزل
الله هذه الاية وقيل نزلت في اربعين رجلا من اهل نجران اثنين وثلاثين من
الحبشة وثمانية من الروم كانوا على دين عيسى فامنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم وصدقوه
وقيل نزلت في عبد الله بن سلام واصحابه الذين امنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم
وقيل نزلت في جميع مومني اهل الكتاب وهذا القول اولى لانه لما ذكر احوال الكفار
واحوال اهل الكتاب وان مصيرهم الى النار ذكر حال من امن من اهل الكتاب
يعني لبعض اليهود والنصارى اهل التوراة والانجيل لمن يومن بالله يعني من
يقر بوحدانية الله وما انزل اليكم يعني ويومن بما انزل اليكم ايها المومنون يعني
القران وما انزل اليهم يعني من الكتب المنزلة مثل التوراة والانجيل والزبور خاشعين
لله يعني خاضعين لله ومتواضعين له غير مستكبرين لا يشترون بايات الله ثمنا قليلا
يعني لا يغيرون كتبهم ولا يحرفونها ولا يكتمون صفة محمد صلى الله عليه وسلم لاجل الرياسة
والماكل والرشى كما يفعل غيرهم من روسا اليهود اولئك اشارة الى من هذه صفته
من اهل الكتاب لهم اجرهم عند ربهم يعني لهم ثواب اعمالهم التي عملوها لله وذلك الثواب
لهم ذخر عند الله يوفيه اليهم يوم القيامة ان الله سريع الحساب يعني انه تعالى عالم بجميع
المعلومات لا يخفى عليه شي من اعمال عباده فيجازي كل احد على قدر عمله لانه سريع
الحساب قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اصبروا يعني على دينكم الذي انتم عليه ولا تدعوه لشدة
ولا لغيرها واصل الصبر حبس النفس عما لا تقتضيه شرع ولا عقل والصبر لفظ عام تحته
انواع من المعاني قال بعض الحكما الصبر على ثلاثة اقسام ترك الشكوى وقبول القضا وصدق
الرضا وقيل في معنى الاية اصبروا على طاعة الله وقيل على ادا الفرايض وقيل على تلاوة
القران وقيل اصبروا على ما امر الله وقيل اصبروا على البلا وقيل على الجهاد وقيل اصبروا
على احكام الكتاب والسنة وصابروا يعني الكفار والاعدا وجاهدوهم ورابطوا
يعني وداوموا على جهاد المشركين واثبتوا عليه واصل المرابطة ان يربط هولاء
خيولهم وهولا خيولهم بحيث يكون كل من الخصمين مستعد القتال الاخر ثم قيل لكل
مقيم بثغر يدفع عمن وراه مرابط وان لم يكن له مركب مربوط خ عن سهل بن
سعد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا
وما عليها وموضع سوط احدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها والروحة يروحها

يروحها العبد في سبيل الله او الغدوة خير من الدنيا وما عليها م عن سلمان الخير قال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه
وان مات فيه جرى عليه عمله الذي كان يعمله واجري عليه رزقه وامن الفتان وقيل
المراد بالمرابطة انتظار الصلاة بعد الصلاة قال ابو سلمة بن عبد الرحمن لم يكن في زمن النبي
صلى الله عليه وسلم غزو يرابط فيه ولكنه انتظار الصلاة خلف الصلاة ويدل على
صحة هذا التاويل ما روي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ادلكم
على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات قالوا بلى يا رسول الله قال اسباغ الوضو
على المكاره وكثرة الخطا الى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط خ م
مسلم واتقوا الله لعلكم تفلحون قال محمد بن كعب القرظي يقول الله عز وجل واتقوا الله فيما
بيني وبينكم لعلكم تفلحون غدا اذا لقيتموني وقال اهل المعاني في هذه الاية يا ايها
الذين امنوا اصبروا على بلاي وصابروا على نعماي ورابطوا على مجاهدة اعداي
واتقوا محبة سواي لعلكم تفلحون بلقاي وقيل اصبروا على النعما وصابروا على البأسا
والضرا ورابطوا في دار الاعدا واتقوا اله الارض والسما لعلكم تفلحون في دار البقا وقيل
اصبروا على الدنيا ومحنها رجا السلامة وصابروا عند القتال بالثبات والاستقامة ورابطوا
على مجاهدة النفس اللوامة واتقوا ما يعقبكم الندامة لعلكم تفلحون غدا في دار
الكرامة والله اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة النسا

مدنية وهي مائة وخمس وسبعون اية وثلاث الاف وخمس واربعون كلمة
وستة عشر الف وثلاثون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل يا ايها الناس
خطابا للكافة فهو كقوله يا بني ادم اتقوا ربكم اي احذروا اوامر ربكم ان تخالفوه
فيما امركم به او نهاكم عنه ثم وصف نفسه بكمال القدرة فقال تعالى الذي خلقكم
من نفس واحدة يعني من اصل واحد وهو ادم ابو البشر عليه السلام وانما انث
الوصف على لفظ النفس وان كان المراد به الذكر فهو كما قال بعضهم ابوك خليفة
ولدته اخرى وانت خليفة ذاك الكمال انما قال ولدته اخرى لتانيث الخليفة
وخلق منها زوجها يعني حوى وذلك ان الله تعالى لما خلق ادم عليه السلام القى
عليه النوم ثم خلق حوى من ضلع من اضلاعه اليسرى وهو قصير فلما استيقظ
راها جالسة عند راسه فقال لها ما انت قالت امراة قال لها لماذا خلقت قالت
خلقت لتسكن الي فمال اليها والفها لانها خلقت منه واختلفوا في اي وقت
خلقت حوى فقال كعب الاحبار ووهب وابن اسحاق خلقت قبل دخول الجنة
وقال ابن مسعود وابن عباس انما خلقت في الجنة بعد دخوله اياها وبث منهما
يعني نشر واظهر من ادم وحوى رجالا كثيرا ونسا انما وصف الرجال بالكثرة

دون النسا ان حال الرجال اتم واكمل وهذا كالتنبيه على ان اللايق بحال الرجال الظهور والاشتهار
وبحال النسا الاختفا والخمول واتقوا الله الذى تسالون به ان كرر ذلك التقوى
للتاكيد وانه اهل ان يتقى والتسال بالله هو كقوله اسالك بالله واحلف عليك
بالله واستشفع اليك بالله والارحام قرى بفتح الميم ومعناه واتقوا الارحام ان
تقطعوها وقرى بكسر الميم فهو كقولك سالتك بالله والرحم وناشدتك بالله
وبالرحم لان العرب كان من عادتهم ان يقولوا ذلك والرحم القرابة وانما استعير
اسم الرحم للقرابة لانهم خرجوا من رحم واحد وقيل هو مشتق من الرحمة لان القرابة
يتراحمون ويعطف بعضهم على بعض وفى الاية دليل على تعظيم حق الرحم والنهى
عن قطعها ويدل على ذلك ايضا الاحاديث الواردة فى ذلك ق عن عائشة
قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الرحم معلقة بالعرش تقول من وصلنى
وصله الله ومن قطعنى قطعه الله ق عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال من سره ان يبسط عليه رزقه وينسا فى اثره فلينظر الى رحمه وليصلها
قوله ينسا فى اثره اى يوخر له فى اجله ق عن جبير بن مطعم ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال لا يدخل الجنة قاطع قال سفيان فى روايته يعنى قاطع رحم وعن
حسن قال من سالك بالله فاعطه ومن سالك بالرحم فاعطه وعن ابن
عباس قال الرحم معلقة بالعرش فاذا اتاها القاطع احتجبت عنه ان الله
كان عليكم رقيبا يعنى حافظا والرقيب فى صفة الله تعالى هو الذى لا يغفل عما
خلق فيلحقه نقص ويدخل عليه خلل وقيل هو الحافظ الذى لا يغيب عنه شى
من امر خلقه فبين بقوله ان الله كان عليكم رقيبا انه يعلم السر واخفى واذا كان
كذلك فهو جدير بان يخاف ويتقى قوله تعالى واتوا اليتامى اموالهم نزلت فى رجل
من غطفان كان معه مال كثير لابن اخ له يتيم كان فى حجره فلما بلغ اليتيم طلب
المال الذى معه فمنعه عمه فترافعا الى النبى صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الاية
فلما سمعها العم قال اطعنا الله واطعنا الرسول نعوذ بالله من الحوب الكبير
ودفع الى اليتيم ماله فقال النبى صلى الله عليه وسلم من يوق شح نفسه ويطع ربه
هكذا فانه يحل داره يعنى جنته فلما قبض الصبى ماله انفقه فى سبيل فقال النبى
صلى الله عليه وسلم ثبت الاجر وبقى الوزر فقال كيف بقى الوزر قال ثبت الاجر
للغلام وبقى الوزر على والده والخطاب فى قوله تعالى واتوا للاوليا والاوصيا
واليتامى جمع يتيم وهو الصبى الذى مات ابوه واليتيم فى اللغة الانفراد ومنه
الدرة اليتيمة لانفرادها واسم اليتيم يقع على الصغير والكبير لغة لبقائه على الانفراد
عن الاب لكن فى العرف اختص اسم اليتيم بمن لم يبلغ مبلغ الرجال فاذا بلغ
الصبى وصار يستغنى بنفسه عن غيره زال عنه اسم اليتيم وسئل ابن عباس عن اليتيم متى

ينقطع

ينقطع عنه اسم اليتيم قال اذا اونس منه الرشد وانما سماهم يتامى بعد البلوغ على مقتضى اللغة
او لقرب عهدهم باليتم وان كان قد زال عنهم بالبلوغ وقيل المراد باليتامى الصغار الذين
لم يبلغوا والمعنى واتوا اليتامى اموالهم بعد البلوغ وتحقق الرشد وقيل معناه واتوا
اليتامى الصغار ما يحتاجون اليه من نفقة وكسوة والقول الاول هو الصحيح ان المراد
باليتامى البالغين لانه لا يجوز دفع المال الى اليتيم الا بعد البلوغ وتحقق الرشد ولا تتبدلوا
اى ولا تستبدلوا الخبيث بالطيب يعنى بالخبيث الذى هو حرام عليكم بالحلال من اموالكم
واختلفوا فى هذا التبديل فقال سعيد بن المسيب والنخعى والزهرى والسدى كان
اوليا اليتامى ياخذون الجيد من مال اليتيم ويجعلون مكانه الردى فربما كان احدهم
ياخذ الشاة السمينة ويجعل مكانها المهزولة وياخذ الدرهم الجيد ويجعل مكانه الزيف
ويقول شاة بشاة ودرهم بدرهم فذلك تبديلهم فنهوا عنه وقال عطا هو الربح
فى مال اليتيم وهو صغير لا علم له بذلك وقيل انه ليس بابدال حقيقة وانما هو اخذه مستهلكا
وذلك ان اهل الجاهلية كانوا لا يورثون النسا والصغار وانما كان ياخذ الميراث
الاكابر من الرجال وقيل هو اكل مال اليتيم عوضا عن اكل اموالهم فنهوا عن ذلك ولا
تاكلوا اموالهم الى اموالكم يعنى مع اموالكم وقيل معناه ولا تضموا اموالهم الى اموالكم
فى الانفاق واعلم ان الله تعالى نهى عن اكل مال اليتيم واراد به جميع التصرفات المهلكة للمال
وانما ذكر عن الاكل لانه معظم المقصود انه كان حوبا كبيرا يعنى ان من اكل مال اليتيم بغير الحق
اثم عظيم والحوب الاثم قوله عز وجل وان خفتم ان لا تقسطوا فى اليتامى يعنى وان
خفتم يا اوليا اليتامى ان لا تعدلوا فيهن اذا نكحتموهن فانكحوا غيرهن من الغرايب ق
عن عروة انه سال عائشة عن قوله تعالى وان خفتم الا تقسطوا فى اليتامى فانكحوا ما
طاب لكم من النسا الى قوله او ما ملكت ايمانكم قالت يا ابن اختى هذه اليتيمة تكون فى
حجر وليها فيرغب فى جمالها ومالها ويريد ان ينتقص صداقها فنهوا عن نكاحهن الا
ان يقسطوا لهن فى اكمال الصداق وامروا بنكاح من سواهن قالت عايشة فاستفتى
الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك فانزل الله ويستفتونك فى النسا الى
وترغبون ان تنكحوهن فبين الله لهم فى هذه الاية ان اليتيمة اذا كانت ذات جمال ومال
رغبوا فى نكاحها ولم يلحقوها بسنتها فى اكمال الصداق وان كانت مرغوبة عنها فى قلة المال
والجمال تركوها والتمسوا غيرها من النسا قال فكما يتركونها حين يرغبون عنها فليس لهم
ان ينكحوها اذا رغبوا فيها الا ان يقسطوا لها ويعطوها حقها الاوفى من الصداق وقال
حسن كان الرجل من اهل المدينة يكون عنده الايتام وفيهن من يحل له نكاحها فيتزوجها
لاجل مالها وهى لا تعجبه كراهية ان يدخل غريب فيشاركه فى مالها ثم يسى صحبتها ويتربص
بها الى ان تموت فيرثها فعاب الله ذلك عليهم فانزل هذه الاية وقال عكرمة فى رواية
عن ابن عباس كان الرجل من قريش يتزوج العشر من النسا واكثر فاذا صار معدما

من مونة نسائه مال الى مال اليتيمة التي في حجره فانفقه فقيل لهم لا تزيدوا على اربع حتى لا يحوجكم الى اخذ اموال اليتامى وقيل كانوا يتحرجون عن اموال اليتامى ويترخصون في النسا فيتزوجون ما شاؤا فربما عدلوا وربما لم يعدلوا فلما انزل الله تعالى في اموال اليتامى وآتوا اليتامى اموالهم انزل هذه الآية وان خفتم ان لا تقسطوا في اليتامى يقول فكما خفتم ان لا تقسطوا في اليتامى فكذلك خافوا في النسا ان لا تعدلوا فيهن فلا تتزوجوا اكثر مما يمكنكم القيام بحقهن لان النسا في الضعف كاليتامى وهذا قول سعيد بن جبير وقتادة والضحاك والسدي ثم رخص في نكاح اربع فقال تعالى فانكحوا ما طاب لكم من النسا يعني ما حل لكم من النسا واستدلت الظاهرية بهذه الآية على وجوب النكاح قالوا لان قوله فانكحوا امر والامر للوجوب واجيب عنه بان قوله تعالى فانكحوا انما هو بيان لما يحل من العدد في النكاح وتمسك الشافعي في بيان ان النكاح ليس بواجب بقوله ومن لم يستطع منكم طولا ان ينكح الى قوله ذلك لمن خشي العنت منكم وان تصبروا خير لكم الآية فحكم في هذه السورة بان ترك النكاح خير من فعله وذلك يدل على انه ليس بواجب ولا مندوب وقوله تعالى مثنى وثلاث ورباع معناه اثنين اثنين وثلاثا ثلاثا واربعا اربعا وهو غير منصرف لانه اجتمع فيها امران العدل والوصف والواو بمعنى او في هذا الفصل لانها لما كانت او بمنزلة واو النسق جاز ان تكون الواو بمنزلة او وقيل ان الواو افادت انه يجوز لكل احد ان يختار لنفسه قسما من هذه الاقسام بحسب حاله فان قدر على نكاح اثنتين فاثنتين وان قدر على ثلاث فثلاث وان قدر على اربع فاربع لانه لفظ عدد واجمعت الامة على انه لا يجوز لاحد ان يزيد على اربع نسوة وان الزيادة على اربع من خصائص رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي لا يشاركه فيه احد من الامة ويدل على ان الزيادة غير جائزة وانه حرام ما روي عن الحارث بن قيس او قيس بن الحارث قال اسلمت وعندي ثمان نسوة فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اختر منهن اربعا اخرجه ابو داود وعن ابن عمر ان غيلان بن سلمة الثقفي اسلم وله عشر نسوة في الجاهلية فاسلمن معه فامره صلى الله عليه وسلم ان يختار منهن اربعا اخرجه الترمذي قال العلما فيجوز للحر ان يجمع بين اربع نسوة حرائر ولا يجوز للعبد ان ينكح اكثر من امراتين وهو قول اكثر العلما لانه خطاب لمن ولي وملك وذلك للاحرار دون العبيد وقال مالك في احدى الروايتين عنه وربيعة يجوز للعبد ان يتزوج باربع نسوة واستدل بهذه الآية مختصة بالاحرار ويدل عليه آخر الآية وهو قوله فان خفتم ان لا تعدلوا فواحدة او ما ملكت ايمانكم والعبد لا يملك شيا فثبت بذلك ان المراد من حكم الآية الاحرار دون العبيد وقوله تعالى فان خفتم يعني فان خشيتم وقيل فان علمتم ان لا تعدلوا يعني بين الازواج الاربع فواحدة يعني فانكحوا واحدة او ما ملكت ايمانكم

يعني وما

يعني وما ملكتموهن من السراري لانه لا يلزم فيهن من الحقوق ما يلزم في الحرائر ولانهم لهن ذلك ادنى اي اقرب ان لا تعولوا معناه ذلك اقرب من ان لا تعولوا فحذف لفظة من لدلالة الكلام عليه ومعنى الآية لا تعولوا اي لا تميلوا ولا تجوروا وهو قول اكثر المفسرين لان اصل العول الميل يقال عال الميزان اذا مال وقيل معناه لا تجاوزوا ما فرض الله عليكم ومنه عول الفرائض اذا جاوزت سهامها وقيل معناه ذلك ادنى ان لا تضلوا وقال الشافعي معناه ان لا تكثر عيالكم وقد انكر على الشافعي من ليس له احاطة بلغة العرب فقال انما يقال من كثرة العيال اعال الرجل يعيل اعالة اذا كثر عياله قال وهذا من خطا الشافعي لانه انفرد به من الكل على الشافعي وخطاه من لا علم له بلغة العرب فقد روى الازهري في كتابه تهذيب اللغة عن عبد الرحمن بن زيد بن اسلم في قوله ان لا تعولوا اي لا تكثر عيالكم وروى الازهري عن الكسائي قال عال الرجل اذا افتقر واعال اذا كثر عياله وقال من العرب الفصحا من يقول عال يعول اذا كثر عياله قال الازهري وهذا يقوي قول الشافعي لان الكسائي لا يحكي عن العرب الا ما حفظه وضبطه وقول الشافعي نفسه حجة لانه عربي فصيح والذي اعترض وخطاه عجل ولم يتثبت فيما قال وينبغي للحضري ان لا يعجل الى انكار ما لم يحفظه من لغات العرب هذا آخر كلام الازهري وبسط الامام فخر الدين الرازي في هذا الموضع من تفسيره ورد على ابي بكر الرازي وقال الطعن لا يصدر الا عن كثرة الغباوة وقلة المعرفة وحكى البغوي عن ابي حاتم قال كان الشافعي اعلم بلسان العرب منا ولعله لغة ويقال هي لغة حمير وقرا طلحة بن مصرف ان لا تعيلوا بضم التا وهو حجة للشافعي وآتوا النسا صدقاتهن قال الكلبي وجماعة هذا الخطاب للاوليا قال ابو صالح كان الرجل اذا زوج ايمه اخذ صداقها دونها فنهاهم الله عن ذلك وقيل ان ولي المراة كان اذا زوجها فان كانت معه في العشيرة لم يعطها من مهرها قليلا ولا كثيرا وان كان زوجها غريبا حملوها اليه على بعير ولا يعطونها من مهرها غير ذلك فنهاهم الله عن ذلك وامرهم ان يدفعوا الحق الى اهله وقال الحضرمي كان اوليا النسا يعطي هذا اخته على ان يعطيه الآخر اخته ولا مهر بينهما وهذا هو الشغار فنهاهم الله عن ذلك وامرهم بتسمية المهر في العقد عن ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن الشغار في العقد والشغار ان يزوج الرجل ابنته على ان يزوجه الرجل ابنته وليس بينهما صداق وقيل الخطاب للازواج وهذا اصح وهو قول الاكثرين لان الخطاب فيما قبل مع الناكحين وهم الازواج امرهم الله بايتاء النسا الصداق والصدقات المهور واحدها صدقة بفتح الصاد وضم الدال نحلة يعني فريضة مسماة وقيل عطية وهبة وقيل نحلة يعني عن طيب نفس واصل النحلة العطية على سبيل التبرع وهو اخص من الهبة وسمي الصداق نحلة من حيث انه لا يجب في مقابلته

غير التمتع دون عرض مالي ق عن عقبة بن عامر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
احق الشروط ان توفوا بها ما استحللتم به الفروج وقوله تعالى فان طبن يعني
النسا المتزوجات لكم يعني للازواج عن شي منه يعني من الصداق ومنه هاهنا
لبيان الجنس لا للتبعيض لانها لو وهبت المراة لزوجها جميع صداقها جاز نفسا
نصب على التمييز والمعنى فان طابت نفوسهن عن شي من ذلك الصداق المعين
فوهبن ذلك لكم فنقل الفعل من النفوس الى اصحابها فخرجت النفس مفسرا
فلذلك وحد النفس وقيل لفظه واحد ومعناه الجمع فكلوه يعني ما وهبنه لكم
هنيئا مريئا يعني طيبا سايغا وقيل الهني الطيب المساغ الذي لا ينقصه شي
والمري المحمود العاقبة وفي الاية دليل على اباحة هبة المراة صداقها وانها تملكه
ولا حق للولي فيه قوله تعالى ولا تؤتوا السفها اموالكم اختلفوا في هولا السفها من هم فقيل
هم النسا فنهى الله الرجال ان يؤتوا النسا اموالهم سواكن ازواجا او بنات او امهات
وقيل هم الاولاد خاصة يقول لا تعط ولدك السفيه مالك الذي هو قيامك بعد
الله فيفسده عليك وقيل امراتك وابنك السفيه قال ابن عباس لا تعمد الى مالك
الذي خولك الله وجعله لك معيشة فتعطيه امراتك وبنيك فيكونوا هم الذين
يقومون عليك ثم تنظر الى ما في ايديهم امسك مالك واصلحه وكن انت الذي تنفق
عليهم في رزقهم ومؤنتهم وقال الكلبي اذا علم الرجل ان امراته سفيهة مفسدة وان
ولده سفيه مفسد لا ينبغي له ان يسلط واحدا منهما على ماله فيفسده وقال سعيد بن جبير
هو مال اليتيم يكون عندك يقول لا تؤته اياه وانفق عليه منه حتى يبلغ وانما اضاف
المال الى الاوليا لانهم قوامها ومدبروها واصل السفه الخفة ويستعمل في خفة النفس
لنقصان العقل في الامور الدنيوية والدينية والسفيه المستحق للحجر هو الذي يكون
مبذرا في ماله ومفسدا في دينه فلا يجوز لوليه ان يدفع اليه ماله وقيل ان السفه المذكور
في هذه الاية ليس هو صفة ذم لهولا وانما سموا سفها لخفة عقولهم ولنقصان تمييزهم
وضعفهم عن القيام بحفظ المال فقوله تعالى ولا تؤتوا السفها يعني الجهال بموضع الحق
اموالكم التي جعل الله لكم قياما يعني قوام معايشكم يقول المال هو قوام الناس وقوام
معايشهم كن انت قيمهم اهلك تنفق عليهم ولا تعط مالك امراتك وولدك فيكونوا
هم الذين يقومون عليك ولما كان المال سبب القيام بالمعاش سمي به اطلاقا لاسم
المسبب على السبب على سبيل المبالغة لان به قيام الحج والجهاد واعمال البر وفكاك
الرقاب من النار وارزقوهم فيها اي اطعموهم واكسوهم يعني لمن يجب عليكم رزقه
وكسوته وذلك لما نهى الله عن ايتا المال للسفيه امر ان يجرى له رزقه وكسوته وانما قال
فارزقوهم فيها ولم يقل منها لانه اراد اجعلوا لهم فيها رزقا والرزق من الله تعالى
هو العطية من غير حد ولا قطع ومعنى الرزق من العباد هو الاجر الموظف المعلوم

لوقت معلوم محدود وقولوا لهم قولا معروفا يعني قولا جميلا لان القول الجميل
يؤثر في القلب ويزيل السفه وقيل معناه عدوهم عدة جميلة من البر والصلة
قال عطا تقول اذا ربحت اعطيتك وان غنمت قسمت لك حظا وقيل معناه
الدعا اي ادعوا لهم قال ابن زيد ان لم يكن ممن يجب عليك نفقته فقل له عافانا
الله واياك بارك الله فيك وقيل معناه قولوا لهم قولا تطيب به انفسهم
وهو ان يقول الولي لليتيم السفيه مالك عندي وانا امين عليه فاذا بلغت
ورشدت اعطيتك مالك وقال الزجاج معناه علموهم مع اطعامكم وكسوتكم
اياهم امر دينهم وما يصلحهم مما يتعلق بالعلم وبالعمل قوله عز وجل وابتلوا اليتامى
الاية نزلت في ثابت بن رفاعة وفي عمه وذلك ان رفاعة مات وترك ابنه ثابتا
وهو صغير فجا عمه الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال له ان ابن اخي يتيم في حجري فما يحل لي من
ماله ومتى ادفع اليه ماله فانزل الله هذه الاية وابتلوا اليتامى يعني اختبروهم في عقولهم
واديانهم وحفظهم اموالهم حتى اذا بلغوا النكاح اي مبلغ الرجال والنسا فان انستم
اي ابصرتم وعرفتم منهم رشدا يعني عقلا وصلاحا في الدين وحفظا للمال وعلما بما
يصلحه فصل في احكام تتعلق بالحجر وفيه مسايل المسئلة الاولى الابتلا يختلف باختلاف
احوال اليتامى فان كان ممن يتصرف بالبيع والشرا في الاسواق يدفع اليه شيا
يسيرا من المال وينظر في تصرفه وان كان ممن لا يتصرف في الاسواق فيختبر بنفقة
على اهله وعبيده واجرائه وتصرفه في احوال داره وتختبر المراة في امر بيتها وحفظ
متاعها وغزلها واستغزالها فاذا راى حسن تدبير اليتيم وحسن تصرفه في الامور مرارا
يغلب على الظن رشده دفع اليه ماله بعد بلوغه ولا يدفع اليه ماله وان كان شيخا
يغلب عليه السفه حتى يونس منه الرشد المسئلة الثانية قال الامام ابو حنيفة تصرف
الصبي العاقل المميز باذن الولي صحيح وقال الشافعي غير صحيح واحتج ابو حنيفة على قوله
بهذه الاية وذلك لان قوله وابتلوا اليتامى حتى اذا بلغوا النكاح يقتضي ان هذا الابتلا
انما يحصل قبل البلوغ والمراد من هذا الابتلا اختبار حاله في جميع تصرفاته فثبت ان
قوله وابتلوا اليتامى امر للاوليا بالاذن لهم في البيع والشرا قبل البلوغ اجاب الشافعي
بان قال ليس المراد بقوله وابتلوا اليتامى الاذن لهم في التصرف حال الصغر بدليل
قوله فان انستم منهم رشدا فادفعوا اليهم اموالهم وانما يدفع اليهم اموالهم بعد البلوغ
وايناس الرشد فثبت بموجب هذه الاية انه لا يدفع اليه ماله حال الصغر فوجب
ان لا يصح تصرفه حال الصغر وانما المراد من الابتلا هو اختبار عقله واستبراء حاله في معرفة
المصالح والمفاسد المسئلة الثالثة في بيان البلوغ وذلك باربعة اشيا اثنان
يشترك فيهما الرجال والنسا واثنان يختصان بالنسا فاما الذي يشترك فيه الرجال
والنسا فاحدهما السن فاذا استكمل المولود خمسة عشر سنة حكم ببلوغه غلاما

كانا او جارية ويدل عليه ما روى عن ابن عمر قال عرضت على رسول الله صلى الله عليه وسلم
عام احد وانا ابن اربعة عشر سنة فردني ثم عرضت عليه عام الخندق وانا ابن خمسة عشر
سنة فاجازني اخرجاه في الصحيحين وهذا قول اكثر اهل العلم وقال ابو حنيفة بلوغ الجارية
باستكمال سبعة عشر سنة وبلوغ الغلام باستكمال ثمانية عشر سنة والثاني الاحتلام وهو
انزال المني الدافق سواء انزل باحتلام او جماع واذا وجد ذلك من الصبي والجارية حكم
ببلوغه لقوله تعالى واذا بلغ الاطفال منكم الحلم ولقوله صلى الله عليه وسلم خذ من كل حالم
دينارا اما انبات الشعر الخشن حول الفرج فهو يدل على البلوغ في اولاد المشركين لما روى
عن عطية القرظي قال كنت من سبي قريظة فكانوا ينظرون فمن انبت الشعر قتل ومن لم
ينبت لم يقتل فكنت ممن لم ينبت وهل يكون ذلك علامة على البلوغ في اولاد المسلمين
فيه قولان احدهما انه يكون بلوغا كما في اولاد المشركين والثاني لا يكون ذلك
بلوغا في حق اولاد المسلمين لانه يمكن الوقوف على مواليد اولاد المسلمين والرجوع الى
قول ابائهم بخلاف الكفار لانه لا يوقف على مواليدهم ولا يقبل في ذلك قول ابائهم لكفرهم
فجعل الانبات الذي هو امارة البلوغ بلوغا في حقهم واما الذي يختص بالنساء فهو
الحيض والحبل فاذا حاضت الجارية بعد استكمال تسع سنين حكم ببلوغها وكذلك اذا
ولدت حكم ببلوغها قبل الوضع بستة اشهر لانها اقل الحمل المسئلة الرابعة في بيان الرشد
وهو ان يكون مصلحا في دينه وماله فالصلاح في الدين هو اجتناب الفواحش والمعاصي
التي تسقط بها العدالة والصلاح في المال هو ان لا يكون مبذرا والتبذير ان ينفق ماله
فيما لا يكون محمدة دنيوية ولا مثوبة اخروية او لا يحسن التصرف فيغبن في البيع والشرا
فاذا بلغ الصبي وهو مفسد لماله ودينه لم ينفك عنه الحجر ولا ينفذ تصرفه في ماله وبه قال الشافعي
وقال ابو حنيفة اذا كان مصلحا لماله زال عنه الحجر وان كان مفسدا لدينه واذا كان مفسدا
لماله لا يدفع اليه حتى يبلغ خمسة وعشرين سنة غير انه ينفذ تصرفه قبله والقران حجة
للشافعي في استدامة الحجر عليه فان الله تعالى قال فان انستم منهم رشدا فادفعوا اليهم اموالهم
امر بدفع المال بعد البلوغ وايناس الرشد والفاسق لا يكون رشيدا وبعد بلوغه خمسة
وعشرين سنة وهو مفسد لماله بالاتفاق غير رشيد فوجب ان لا يجوز دفع المال اليه كما قبل
بلوغ هذا السن المسئلة الخامسة اذا بلغ الصبي والجارية واونس منه الرشد زال عنه الحجر
ودفع اليه ماله سواء تزوج او لم يتزوج وقال مالك ان كانت امراة لا يدفع اليها المال ما لم
تتزوج فاذا تزوجت دفع اليها مالها ولا ينفذ تصرفها الا باذن الزوج ما لم تكبر وتجرب
المسئلة السادسة اذا بلغ الصبي رشيدا او زال عنه الحجر فلو عاد سفيها ينظر فان كان مبذرا لماله
حجر عليه وان كان مفسدا في دينه فعلى وجهين احدهما ان يعاد عليه الحجر كما يستدام اذا
بلغ وهو بهذه الصفة والثاني لا يحجر عليه لان حكم الدوام اقوى من حكم الابتداء وعند
ابي حنيفة لا حجر على الحر العاقل البالغ بحال والدليل على اثبات الحجر من اتفاق الصحابة

ماروى عن

ما روى عن هشام بن عروة عن ابيه ان عبد الله بن جعفر ابتاع ارضا سبخة بستين
الف درهم فقال علي لاتين عثمان ولاحجرن عليك فاتى ابن جعفر الزبير فاعلمه بذلك
فقال الزبير انا شريكك في بيعك فاتى علي عثمان فقال احجر على هذا فقال الزبير انا
شريكه فقال عثمان كيف احجر على رجل في بيع شريكه فيه الزبير فكان اتفاقا منهم على
جواز الحجر حتى احتال الزبير لدفعه وقوله تعالى فادفعوا اليهم اموالهم ولا تاكلوها اسرافا
الخطاب للاولياء يعني يا معشر الاولياء لا تاكلوا اموال اليتامى بغير حق وبدارا ان يكبروا يعني الابتدار
واكبرهم ورشدهم فتفرطون في انفاقها وتقولون ينفق كما نشتهي قبل ان يكبروا فيلزمكم
بتسليمها اليهم ثم بين تعالى حال الاولياء وقسمهم قسمين فقال تعالى ومن كان غنيا فليستعفف
اي فليمتنع من اكل مال اليتيم ولا يرزاه قليلا ولا كثيرا ومن كان فقيرا الغني محتاجا الى مال
اليتيم وهو يحفظه فلياكل بالمعروف روى ابو داود عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده
ان رجلا اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اني فقير وليس لي شي ولي يتيم فقال كل
من مال يتيمك غير مسرف ولا مبذر ولا متاثل واختلف العلماء في حكم هذه الاية فروى عن عمر
وابن عباس وابن جبير وابي العالية وعبيدة السلماني وابي وائل ومجاهد ومقاتل ان ياخذ
من مال اليتيم على وجه القرض واختلفوا في انه هل يلزمه القضا فذهب قوم الى انه يلزمه القضا
اذا ايسر وهو المراد من قوله تعالى فلياكل بالمعروف والمعروف القرض اي يستقرض من مال
اليتيم اذا احتاج اليه فاذا ايسر قضاه وهو قول مجاهد وسعيد بن جبير قال عمر بن الخطاب
اني انزلت نفسي من مال الله بمنزلة مال اليتيم ان استغنيت استعففت وان افتقرت اكلت
بالمعروف فاذا ايسرت قضيت وقال قوم لا ضمان عليه ولا قضا بل يكون ما ياكله كالاجرة
له على عمله وهو قول الحسن والشعبي والنخعي وقتادة قال الشعبي لا ياكله الا ان يضطر الى الميتة
ثم القايلون بجواز الاكل من مال اليتيم اختلفوا في قوله فلياكل بالمعروف فقال عطاء وعكرمة
ياكل باطراف اصابعه ولا يسرف ولا يكتسي منه ولا يلبس الكتان ولا الحلل لكن ياكل
ما يسد به الجوع ويلبس ما يستر به العورة وقال الحسن ياكل من ثمر نخله ولبن مواشيه بالمعروف
ولا قضا عليه فاما الذهب والفضة فلا ياخذ منه شيا فان اخذ وجب عليه رده وقال الكلبي
هو ركوب الدابة وخدمة الخادم وليس له ان ياكل من ماله شيا وروى ان رجلا قال لابن
عباس ان لي يتيما وان له ابلا افاشرب من لبن ابله فقال ابن عباس ان كنت تبغي ضالة
ابله وتهنا جرباها وتليط حوضها وتسقيها يوم وردها فاشرب غير مضر بنسل ولا ناهك
في الحلب وقال قوم المعروف ان ياخذ من ماله بقدر قيامه واجرة عمله ولا قضا عليه وهو قول
عائشة وجماعة من اهل العلم وقوله تعالى فاذا دفعتم اليهم اموالهم فاشهدوا عليهم هذا
امر ارشاد وليس بواجب امر الله تعالى الولي بالاشهاد على دفع المال الى اليتيم بعد البلوغ
ليزول عنه التهمة وتنقطع الخصومة لانه اذا كانت عليه بينة كان ابعد من ان يدعى عليه عدم
القبض وتظهر بذلك امانة الوصي ويسقط عنه اليمين عند انكار اليتيم القبض وكفى

بالله حسيبا يعني محاسبا ومجازيا وشاهدا به قوله تعالى للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون نزلت هذه الاية في اوس بن ثابت الانصاري توفي وترك امراته ويقال لها ام كجة وثلاث بنات منها فقام رجلان هما ابنا عم الميت ووصياه يقال لهما سويد وعرفجة فاخذا ماله ولم يعطيا امراته ولا بناته شيا من ماله وذلك انهم كانوا في الجاهلية لا يورثون النسا ولا الصغير من الذكور وانما كانوا يورثون الرجال ويقولون لا يعطى الارث الا من قاتل وحاز الغنيمة وحمى الحوزة فجاءت ام كجة امراة اوس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله مات اوس بن ثابت وترك ثلاث بنات وانا امراته وليس عندي ما انفق عليهن وقد ترك ابوهن مالا حسنا وهو عند سويد وعرفجة ولم يعطياني ولا البنات شيا وهن في حجري ولا يطعمن ولا يسقين فدعاهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالا يا رسول الله ان ولدها لا يركبن فرسا ولا يحملن كلا ولا ينكين عدوا فانزل الله عز وجل هذه الاية وبين ان الارث غير مختص بالرجال بل هو امر مشترك فيه الرجال والنسا فقال تعالى للرجال يعني الذكور من اولاد الميت وعصبته نصيب اي حظ مما ترك الوالدان والاقربون يعني من الميراث وللنسا نصيب مما ترك الوالدان والاقربون يعني وللاناث من اولاد الميت حظ مما قل منه او كثر يعني من المال المخلف عن الميت نصيبا مفروضا يعني معلوما والفرض ما فرضه الله تعالى وهو اكد من الواجب فلما نزلت هذه الاية مجملة ولم يبين كم هو النصيب ارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى سويد وعرفجة لا تفرقا من المال شيا فان الله تعالى قد جعل لبناته نصيبا مما ترك ولم يبين كم هو حتى انظر ما ينزل فيهن فانزل الله تعالى يوصيكم الله في اولادكم الاية فلما نزلت ارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى سويد وعرفجة ان ادفعا الى ام كجة الثمن مما ترك والى بناته الثلثين ولكما باقي المال قوله تعالى واذا حضر القسمة يعني قسمة الميراث فعلى هذا القول يكون الخطاب للوارثين اولوا القربى يعني القرابة الذين لا يرثون واليتامى والمساكين انما قدم اليتامى لشدة ضعفهم وحاجتهم فارزقوهم منه اي فارضخوا لهم من المال قبل القسمة واختلف العلما في حكم هذه الاية فقال قوم هذه الاية منسوخة باية المواريث فلما نزلت اية المواريث جعلت لاهلها ونسخت هذه الاية وهو رواية مجاهد عن ابن عباس وقول سعيد بن المسيب وعكرمة والضحاك وقتادة وقال قوم هي محكمة غير منسوخة وهو الرواية الاخرى عن ابن عباس وهو قول ابي موسى الاشعري والحسن وابي العالية والشعبي وعطا بن ابي رباح وسعيد بن جبير ومجاهد والنخعي والزهري ثم اختلف العلما بعد القول بانها محكمة هل هذا الامر امر وجوب او ندب على قولين احدهما انه واجب فقيل ان كان الوارث كبيرا وجب عليه ان يرضخ لمن حضر القسمة شيا من المال بقدر ما تطيب نفسه فان كان الوارث صغيرا وجب على الولي ان يعتذر اليهم ويقول اني لا املك

هذا المال وهو لهولاء الضعفا قال ابن عباس ان كان الورثة كبارا رضخوا لهم وان كانت الورثة صغارا اعتذر اليهم فيقول الولي او الوصي اني لا املك هذا المال وانما هو للصغار ولو كان لي منه شي لاعطيتكم وان يكبروا فسيعرفون حقكم هذا هو القول المعروف وقال بعضهم هذا حق واجب في مال الصغار والكبار فان كان الورثة كبارا تولوا اعطاهم بانفسهم وان كانوا صغارا اعطى وليهم وروى محمد بن سيرين ان عبيدة السلماني قسم اموال الايتام فامر بشاة فذبحت وصنعت طعاما لاجل هذه الاية وقال لولا هذه الاية لكان هذا من مالي وقال الحسن والنخعي هذا الرضخ مختص بقسمة الاعيان فاذا آل الامر الى قسمة الارضين والرقيق وما شبه ذلك قالوا لهم قولا معروفا وقيل كانوا يعطون التابوت والاواني ورث الثياب والمتاع الذي يستحيى من قسمته والقول الثاني ان هذا الامر امر ندب واستحباب لا على سبيل الفرض والايجاب وهذا القول هو الاصح الذي عليه العمل اليوم واحتجوا لهذا القول بانه لو كان لهولاء حق معين لبينه الله تعالى كما بين سائر الحقوق فحيث لم يبين علمنا ان ذلك غير واجب وقيل في معنى الاية ان المراد بالقسمة الوصية فاذا حضر الوصية من لا يرث من الاقربا واليتامى والمساكين امر الله الموصي ان يجعل لهم نصيبا من تلك الوصية ويقول لهم مع ذلك قولا معروفا وهو ان لا يتبع العطية بالمن والاذى قوله تعالى وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا يعني اولادا صغارا خافوا عليهم يعني الفقر قيل هذا خطاب للذين يجلسون عند المريض وقد حضره الموت فيقولون له انظر لنفسك فان اولادك وورثتك لا يغنون عنك شيا قدم لنفسك اعتق وتصدق واعط فلان كذا وفلان كذا حتى ياتي على عامة ماله فنهاهم الله عن ذلك وامرهم بان يامروه بالنظر لولده ولا يزيد على الثلث في وصيته ولا يجحف والمعنى كما انكم تكرهون بقا اولادكم في الضعف والجوع من غير مال فاخشوا الله ولا تحملوا المريض على ان يحرم اولاده الضعفا من ماله وحاصل هذا الكلام كما انك لا ترضى مثل هذا الفعل لنفسك فلا ترضه لاخيك المسلم وقال ابن عباس لو كان هذا القائل الموصي لسره ان يحبسه من يحضره على حفظ ماله لولده ولا يدعهم عالة يتكففون الناس مع ضعفهم وعجزهم وقيل هو الرجل يحضره الموت ويريد ان يوصي بشي فيقول له من حضره من الرجال اتق الله وامسك مالك لولدك فيمنعوه من الوصية لاقاربه المحتاجين وقيل يحتمل ان تكون الاية خطابا لمن قرب اجله ويكون المقصود نهيه عن تكثير الوصية لئلا تبقى ورثته فقرا ضعفا ضايعين بعد موته ثم ان كانت هذه الاية نزلت قبل تقدير الثلث كان المراد منها ان لا يجعل الوصية مستغرقة للتركة وان كانت قد نزلت بعد تقدير الثلث كان المراد منها ان يوصي بالثلث او باقل منه اذا خاف على ورثته كما روي عن كثير من الصحابة انهم وصوا بالقليل لاجل ذلك وكانوا يقولون الخمس في الوصية افضل من الربع والربع افضل من الثلث ومن ورد في الصحيح الثلث والثلث

كبارا لان تذر ورثتك اغنيا خير من ان تذرهم عالة يتكففون الناس يعني يسالونهم
لاكفهم وقيل هو خطاب لاوليا اليتامى وليخش من يخاف على ولده من بعد موته ان
يضيع مال اليتيم الضعيف الذي هو ذرية غيره اذا كان في حجره والمقصود من الاية
ان من كان في حجره يتيم فليحسن اليه وليا او وصيه وليفعل به ما يحب ان يفعل
باولاده من بعده فليتقوا الله يعني في الامر الذي تقدم ذكره وليقولوا قولا سديدا
يعني عدلا وصوابا فالقول السديد من الجالسين عند المريض هو ان يامروه بان
يتصدق بدون الثلث ويترك الباقي لولده وورثته وان لا يحيف في وصيته
والقول السديد من الاوصيا واوليا اليتامى ان يكلموهم كما يكلمون اولادهم ولا
يوذوهم بقول ولا فعل قوله عز وجل ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما قال مقاتل
وابن حيان نزلت في رجل من غطفان يقال له مرثد بن زيد ولي مال يتيم وكان
اليتيم ابن اخيه فاكله فانزل الله هذه الاية ان الذين ياكلون اموال اليتامى
ظلما يعني حراما بغير حق انما ياكلون في بطونهم نارا يعني سياكلون يوم القيامة نارا
فسمي الذين ياكلون نارا بما يوول اليه امرهم يوم القيامة قال السدي يبعث
آكل مال اليتيم ظلما يوم القيامة ولهب النار يخرج من فيه ومن مسامعه واذنيه
وعينيه وانفه يعرفه من رآه باكل مال اليتيم وفي حديث ابي سعيد الخدري قال حدثنا
النبي صلى الله عليه وسلم عن ليلة اسري به قال نظرت فاذا انا بقوم لهم مشافر كمشافر
الابل وقد وكل بهم من ياخذ بمشافرهم ثم يجعل في افواههم صخرا من نار قلت يا جبريل
من هولا قال هولا الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما انما ياكلون في بطونهم نارا
وقيل انما ذكر اكل النار على سبيل التمثيل والتوسع في الكلام والمراد ان اكل مال اليتيم
ظلما يفضي به الى النار وانما خص الاكل بالذكر وان كان المراد سائر انواع الاتلافات
وجميع التصرفات الردية المتلفة للمال لان الضرر يحصل بكل ذلك لليتيم فعبر
عن جميع ذلك بالاكل لانه معظم المقصود وانما ذكر البطون للتاكيد فهو كقولك
رايت بعيني وسمعت باذني وسيصلون سعيرا يعني باكلهم اموال اليتامى ظلما والسعير
النار الموقدة المسعرة ولما نزلت هذه الاية ثقل ذلك على الناس واحترزوا من
مخالطة اليتامى واموالهم بالكلية فشق ذلك على اليتامى فنزل قوله وان تخالطوهم
فاخوانكم وقد توهم بعضهم ان قوله وان تخالطوهم ناسخ بهذه الاية وهذا غلط
عن توهمه لان هذه واردة في المنع من اكل اموال اليتامى ظلما وهذا لا يصير
منسوخا لان اكل مال اليتيم بغير حق من اعظم الآثام وقوله وان تخالطوهم فاخوانكم
فانها واردة على سبيل الاصلاح في اموال اليتامى والاحسان اليهم وهو من اعظم القرب
قوله تعالى يوصيكم الله في اولادكم للذكر مثل حظ الانثيين اختلف العلماء في سبب
نزول هذه الاية فروي عن جابر قال مرضت فاتاني رسول الله صلى الله عليه وسلم

يعودني و

يعودني وابو بكر وهما ماشيان فوجداني اغمي علي فتوضا رسول الله صلى الله
عليه وسلم ثم صب وضوءه علي فافقت فاذا النبي صلى الله عليه وسلم وقال مقاتل
والكلبي نزلت في ام كجة امراة اوس بن ثابت وبناته وقال عطا نزلت في سعد
بن الربيع النقيب استشهد يوم احد وترك امراة وبنتين واخا وعن جابر رضي الله عنه
قال جاءت امراة سعد بن الربيع بابنتيها من سعد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت
يا رسول الله هاتان ابنتا سعد بن الربيع قتل ابوهما معك يوم احد شهيدا وان عمهما اخذ
مالهما فلم يدع لهما مالا ولا تنكحان الا ولهما مال قال يقضي الله في ذلك فنزلت اية الميراث
فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عمهما فقال اعط ابنتي سعد الثلثين واعط امهما
الثمن وما بقي فهو لك اخرجه الترمذي قال السدي كان اهل الجاهلية لا يورثون الجواري
ولا الضعفا من الغلمان لا يرث الرجل من ولده الا من اطاق القتال فمات عبد الرحمن اخو
حسان الشاعر وترك امراة وخمس بنات فجاءت الورثة واخذوا ماله فشكت امراته الى
النبي صلى الله عليه وسلم فانزل الله هذه الاية وقبل الشروع في تفسير هذه الاية الكريمة نقدم
فصولا تتضمن احكام الفرايض واصول قواعدها **فصل** في الحث على تعلم الفرايض اعلم
ان علم الفرايض من اعظم العلوم قدرا واشرفها ذخرا وافضلها ذكرا وهي ركن من اركان
الشريعة وفرع من فروعها في الحقيقة اشتغل الصدر الاول من الصحابة بتحصيلها وتكلموا
في فروعها واصولها ويكفي في فضلها ان الله عز وجل قسمها بنفسه وانزلها في كتابه مبينة من
محل قدسه وقد حث رسول الله صلى الله عليه وسلم على تعلمها فيما رواه ابو هريرة قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعلموا الفرايض والقران وعلموا الناس فاني مقبوض اخرجه
الترمذي وقال فيه اضطراب واخرجه احمد بن حنبل وزاد فيه فاني امرؤ مقبوض والعلم
مرفوع ويوشك ان يختلف اثنان في الفريضة فلا يجدان احدا يخبرهما عن ابي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعلموا الفرايض وعلموها فانه نصف العلم وهو
اول علم ينسى وهو اول شي ينزع من امتي اخرجه ابن ماجه والدارقطني **فصل** في بيان احكام
الفرايض اذا مات الميت وله مال يبدا بتجهيزه من ماله ثم بقضاء ديونه ان كان عليه دينا
ثم انفاذ وصاياه وما فضل بعد ذلك من ماله يقسم بين ورثته والوارثون من الرجال
عشرة الابن وابن الابن وان سفل والاب والجد وان علا والاخ سوا كان لاب
وام او لاب او لام وابن الاخ للاب والام او للاب وان سفل والعم للاب والام
او للاب وابناوهما وان سفلوا والزوج والمعتق والوارثات من النسا سبع البنت
وبنت الابن وان سفلت والام والجدة وان علت والاخت من كل الجهات والزوجة والمعتقة
وستة من هولا لا يلحقهم حجب الحرمان بالغير وهم الابوان والولدان والزوجان لانه
ليس بينهم وبين الميت واسطة ثم الورثة ثلاثة اصناف صنف يرث بالفرض المجرد
وهم الزوجان والبنات والاخوات والامهات والجدات واولاد الام وصنف يرث بالتعصيب

وهم البنون والاخوة وبنوهم والاعمام وبنوهم وصنف يرث بالتعصيب تارة وبالفرض
اخرى وهم الاب والجد فيرث بالتعصيب اذا لم يكن للميت ولد فان كان له
ابن ورث الاب بالفرض السدس وان كانت بنت ورث السدس بالفرض
واخذ الباقي بالتعصيب والعصبة اسم لمن ياخذ جميع المال اذا انفرد وياخذ ما
فضل عن اصحاب الفرائض **فصل** واسباب الارث ثلاثة نسب ونكاح وولا
فالنسب القرابة يرث بعضهم بعضا والنكاح هو ان يرث احد الزوجين من
صاحبه بسبب النكاح والولا ان المعتق وعصباته يرثون العتيق والاسباب التي
تمنع الميراث اربعة اختلاف الدين فلا يرث المسلم ولا المسلم يرث الكافر لما روي
عن اسامة بن زيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يرث المسلم الكافر ولا الكافر
المسلم اخرجاه في الصحيحين فاما الكفار فيرث بعضهم بعضا مع اختلاف مللهم واديانهم
لان الكفر ملة واحدة وذهب بعضهم الى ان اختلاف الملل والكفر يمنع التوارث
ايضا حتى لا يرث اليهودي من النصراني ولا النصراني من المجوسي والى هذا ذهب الزهري
والاوزاعي واحمد واسحاق لما روي عن جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يتوارث
بين اهل ملتين اخرجه الترمذي وقال حديث غريب عن عبد الله بن عمرو بن العاص
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يتوارث اهل ملتين شتى اخرجه ابو داود وحمله
الاولون على الاسلام والكفر لان الكفر عندهم ملة واحدة فيورث بعضهم من بعض
لا يكون فيه اثبات التوارث بين ملتين شتى والرق يمنع الارث لان الرقيق ملك
ولا ملك له فلا يرث ولا يورث والقتل يمنع الارث عمدا كان القتل وخطا لما روي عن
ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال القاتل لا يرث اخرجه الترمذي وقال هذا حديث
لا يصح والعمل عليه عند اهل العلم ان القاتل لا يرث سوا كان القتل خطا فانه يرث وهو
قول مالك وعمي الموت وهو ان يخفى موت المتوارثين وذلك بان غرقا او انهدم عليهما
بنا فلم يدر ايهما سبق موته فلا يرث احدهما الاخر بل يكون كل واحد منهما لمن كان في
حياته بقي بعد موته من ورثته **فصل** والسهام المحدودة في الفرائض المذكورة في كتاب
الله عز وجل ستة النصف والربع والثمن والثلثان والثلث والسدس فالنصف فرض
خمسة فرض الزوج عند عدم الولد وفرض البنت الواحدة للصلب او بنت الابن عند
عدم بنت الصلب وفرض الاخت الواحدة للاب والام وفرض الاخت الواحدة
للاب اذا لم يكن ولد لاب وام والربع فرض الزوج مع الولد وفرض الزوجة مع عدم
الولد والثمن فرض الزوجة مع الولد والثلثان فرض البنتين فصاعدا او لبنات الابن
عند عدم ولد الصلب وفرض الاختين فصاعدا للاب والام والثلث فرض ثلاثة
فرض الام اذا لم يكن للميت ولد ولا اثنان من الاخوة والاخوات الا في مسئلتين احدهما
زوج وابوان والاخرى زوجة وابوان فان للام فيهما ثلث الباقي بعد نصيب الزوج

او الزوجة وفرض الاثنين فصاعدا من اولاد الام ذكرهم واناثهم فيه سوا وفرض الجد
مع الاخوة اذا لم يكن في المسئلة صاحب فرض وكان الثلث خيرا للجد من المقاسمة مع الاخوة
والسدس فرض سبعة فرض الاب اذا كان للميت ولد ومع الاخوة اذا كان في المسئلة صاحب
فرض وكان السدس خيرا للجد من المقاسمة مع الاخوة وفرض الجدة والجدات وفرض الواحد
من اولاد الام ذكرا كان او انثى وفرض بنات الابن مع بنت الصلب تكملة الثلثين
وفرض الاخوات للاب مع الاخت للاب والام تكملة الثلثين ق عن ابن عباس قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم الحقوا الفرائض باهلها فما بقي فهو لاولى رجل ذكر خ عن ابن عباس
قال كان المال للولد والوصية للوالدين فنسخ الله من ذلك ما احب فجعل للذكر مثل حظ
الانثيين وجعل للابوين لكل واحد منهما السدس والثلث وجعل للمراة الثمن والربع وللزوج
الشطر والربع **فصل** روي عن زيد بن ثابت قال ولد الابنا بمنزلة الابنا اذا لم يكن دونهم
ابن ذكرهم وانثاهم كذكرهم وانثاهم يرثون كما يرثون ويحجبون كما يحجبون ولا يرث
ولد ابن مع ابن ذكر فان ترك ابنة وابن ابن ذكرا كان للبنت النصف ولابن الابن
ما بقي لقوله صلى الله عليه وسلم الحقوا الفرائض باهلها فما بقي فهو لاولى رجل ذكر ففي الحديث
دليل على ان بعض الورثة يحجب البعض والحجب حجبان حجب نقصان وحجب حرمان اما الاول
وهو حجب النقصان فهو ان الولد وولد الابن يحجب الزوج من النصف الى الربع والزوجة
من الربع الى الثمن والام من الثلث الى السدس واما الثاني وهو حجب الحرمان فهو ان
الام تسقط الجدات واولاد الام وهم الاخوة للام يسقطون باربعة بالاب والجد وان
علا وبالولد وولد الابن واولاد الاب والام وهم الاخوة للاب والام يسقطون بثلاثة
بالاب والابن وابن الابن وان سفل ولا يسقطون بالجد على مذهب زيد بن ثابت
وهو قول عمر وعثمان وعلي وابن مسعود وبه قال مالك والاوزاعي والشافعي واحمد واولاد
الاب يسقطون بهولا الثلاثة وبالاخ للاب والام وذهب قوم الى ان الاخوة جميعا
يسقطون بالجد كما يسقطون بالاب وهو قول ابي بكر الصديق وابن عباس ومعاذ وابي
الدردا وعائشة وبه قال الحسن وعطا وطاوس وابو حنيفة والاقرب من العصبات
يسقط الابعد منهم فاقربهم الابن ثم ابن الابن وان سفل ثم الاب ثم الجد وان علا فان
كان مع الجد احد من الاخوة والاخوات للاب والام او للاب فيشتركان في الميراث
فان لم يكن جد فالاخ للاب والام ثم الاخ للاب ثم بنو الاخوة يقدم اقربهم سوا كان
لاب وام او لاب فان استويا في الدرجة فالذي هو لاب وام اولى ثم العم لاب وام
ثم لاب ثم بنوهم على ترتيب بني الاخوة ثم عم الاب ثم عم الجد على هذا الترتيب فان
لم يكن احد من عصبات النسب وعلى الميت ولا فالميراث للمعتق فان لم يكن
حيا فلعصبات المعتق وارثه من الذكور يعصبون الاناث الا الابن وابن الابن
والاخ للاب والام والاخ للاب فلو مات عن ابن وبنت او عن اخ واخت

لاب وام اولاب يكون المال بينهما للذكر مثل حظ الانثيين ولا فرض للبنت والاخت
وكذلك ابن الابن يعصب من في درجته من الاناث ومن فوقه اذا لم ياخذ من الثلثين
شيا حتى لو مات عن بنتين وبنت ابن فللبنتين الثلثان ولا شي لبنت الابن فان كان
في درجتها ابن ابن او اسفل منها ابن ابن كان الباقي بينهما للذكر مثل حظ الانثيين والاخت
للاب والام او للاب تكون مع البنت عصبة حتى لو مات عن بنت واخت كان للبنت النصف
والباقي وهو النصف للاخت ولو مات عن بنتين واخت كان للبنتين الثلثان والباقي للاخت
ويدل على ذلك ما روي عن هذيل بن شرحبيل قال سئل ابو موسى عن ابنة وابنة ابن واخت
فقال للابنة النصف وللاخت النصف وايت ابن مسعود فسئل ابن مسعود واخبر بقول
ابو موسى فقال ابن مسعود لقد ضللت اذا وما انا من المهتدين ثم قال اقضي فيها بقضاء
رسول الله صلى الله عليه وسلم للابنة النصف ولابنة الابن السدس تكملة الثلثين وما بقي
فللاخت فاخبر ابو موسى بقول ابن مسعود فقال لا تسألوني ما دام هذا الحبر فيكم اخرجه
البخاري واما التفسير فقوله تعالى يوصيكم الله اي يعهد اليكم ويفرض عليكم في اولادكم
يعني في امر اولادكم اذا متم والوصية من الله ايجاب ولما بدا الله تعالى بذكر ميراث
الاولاد لان تعلق قلب الانسان بولده اشد من تعلقه بغيره فلهذا قدم الله ذكر ميراثهم
للذكر مثل حظ الانثيين يعني ان الولد الذكر له من الميراث ضعفي سهام الانثى فللذكر
سهمان وللانثى سهم فلو حصل مع الاولاد غيرهم من الورثة من اهل الفروض كالابوين
اخذوا فروضهم وما بقي بعد ذلك كان بين الاولاد للذكر مثل حظ الانثيين فان كن
يعني المتروكات من الاولاد نساء فوق اثنتين يعني بنتين فلهن ثلثا ما ترك يعني فصاعدا
واجمعت الامة على ان للبنتين الثلثين الا ما روي عن ابن عباس انه ذهب الى ظاهر
الاية وقال الثلثان فرض الثلاث من البنات لان الله تعالى قال فان كن نساء فوق اثنتين
فجعل الثلثين للنساء اذا زدن على اثنتين وعنده ان فرض البنتين النصف كفرض الواحدة
واجيب عنه بوجوه منها حجة للمذهب الجمهور ايضا الوجه الاول ان الله تعالى قال وان كانت
واحدة فلها النصف نصيبا للبنت الوجه الثاني ان في الاية تقديما وتاخيرا والتقدير فان
كن نساء اثنتين فما فوقهما فلهن الثلثان الوجه الثالث ان لفظة فوق ههنا صلة
والتقدير وان كن نساء اثنتين فهو كقوله فاضربوا فوق الاعناق يعني فاضربوا الاعناق
وانما سمى الاثنتين نساء بلفظ الجمع لان العرب يطلق على الاثنين جماعة بدليل قوله تعالى
فقد صغت قلوبكما الوجه الرابع قال الجمهور انما اعطين البنتين الثلثين بنا وبالقران
لان الله تعالى جعل للبنت الواحدة النصف بقوله وان كانت واحدة فلها النصف وجعل
للاخت الواحدة النصف بقوله ان امرؤ هلك ليس له ولد وله اخت فلها نصف ما ترك
ثم جعل للاختين الثلثين بقوله وان كانتا اثنتين فلهما الثلثان فلما جعل
للاختين الثلثان علمنا ان للبنتين الثلثين قياسا على الاختين الوجه الخامس

ان النبي صلعم

ان النبي صلى الله عليه وسلم قضى بالثلثين لابنتي سعد بن الربيع وهذا نص واضح
في المسألة وقوله تعالى وان كانت واحدة يعني البنت واحدة فلها النصف يعني
فرضا لها ولابويه يعني ابوي الميت كناية عن غير مذكور وهما والداه لكل واحد
منهما السدس مما ترك ان كان له ولد يعني ان للاب والام مع وجود الولد وولد
الابن لكل ميت وترك ابوين وولدا ذكرا او واحدا كان او اكثر وترك بنات فان
للام السدس بالفرض وللاب السدس مع الولد الذكر بالفرض ومع البنات له السدس
فرضا والباقي بالتعصيب ولو مع البنت الواحدة السدس بالفرض والباقي بالتعصيب
فان لم يكن له ولد يعني للميت وورثه ابواه فلامه الثلث يعني ان الميت اذا مات عن
ابوين وليس له وارث سواهما فان الام تاخذ الثلث بالفرض وياخذ الاب باقي
المال بالفرض والتعصيب فيكون المال بينهما اثلاثا للذكر مثل حظ الانثيين فان كان
مع الابوين احد الزوجين فيفرض للام ثلث الباقي بعد نصيب الزوج او الزوجة فان كان
له يعني للميت اخوة يعني ذكورا او اناثا فلامه السدس يعني لام الميت سدس التركة اذا كان
معها اب واجمع العلماء على ان الثلاثة يحجبون الام من الثلث الى السدس وان الاخ الواحد
والاخت الواحدة لا تحجب الام من الثلث الى السدس واختلفوا في الاخوين فالاكثرون
من الصحابة يقولون ان الاخوين يحجبان الام من الثلث الى السدس وهذا قول عمر وعثمان
وعلي وزيد بن ثابت والجمهور وقال ابن عباس لا يحجب الاخوة الام من الثلث
الى السدس الا ان يكونوا ثلاثة قال ابن عباس لعثمان لم صار الاخوان يردان الام
من الثلث الى السدس وانما قال الله تعالى فان كان له اخوة والاخوان في لسان قومك
ليسا باخوة فقال عثمان يا بني ان قومك حجبوها باخوين ولا استطيع نقض امر قد كان
قبلي وانما نشا هذا الاختلاف لانهم اختلفوا في اقل الجمع وفيه قولان احدهما ان اقل
الجمع اثنان وهو قول القاضي ابي بكر الباقلاني وحجة هذا القول انك اذا جمعت واحدا
الى واحد فهما جماعة لان اصل الجمع ضم شي الى شي وقال ابن الانباري التثنية عند العرب
اول الجمع ومشهور في كلامهم اتباع الجمع على التثنية فمن ذلك قوله تعالى وكنا لحكمهم
شاهدين وهما داود وسليمان ومن قوله تعالى فقد صغت قلوبكما يريد قلبيكما والقول
الثاني ان اقل الجمع ثلاثة وهو قول جمهور العلماء وهو الاصح انما حجب العلماء الام بالاخوين
لدليل اتفقوا عليه وهو ان لفظ الاخوة ينطلق على الاخوين فما زاد وذلك جائز في
اللغة لما تقدم ثم ان الاخوة اذا حجبوا الام من الثلث الى السدس فانهم لا يرثون
شيا البتة بل ياخذ الاب الباقي كرجل مات عن ابوين واخوين فان للام السدس
والباقي وهو خمسة اسداس للاب سدس بالفرضية والباقي بالتعصيب قال قتادة
وانما حجب الاخوة الام من غير ان يرثوا مع الاب شيا معونة للاب لانه يقوم
بشانهم وينفق عليهم دون الام من بعد وصية يوصي بها او دين يعني ان هذه

الا الضيعة والسهام انما يقسم بعد قضا الدين وانفاذ وصية الميت في ثلثه وذكر الوصية مقدم
على الدين في اللفظ لا في الحكم لان لفظة او لا توجب الترتيب وانما هي لاحد الشيئين كانه
قال من بعد احد هذين مفردا او مضموما الى الاخر قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه انكم
تقرأون الوصية قبل الدين وبدا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالدين قبل الوصية وهذا
اجماع ان الدين مقدم على الوصية والارث موخر عنهما لان الدين حق على الميت والوصية
حق له وهما يتقدمان على حق الورثة قوله تعالى اباؤكم وابناؤكم لا تدرون ايهم اقرب لكم
نفعا قيل هذا الكلام معترض بين ذكر الوارثين وانصبائهم وبين قوله فريضة من الله
ولا تعلق لمعناه بمعنى الاية ومعنى هذا الكلام في قول ابن عباس ان الله يشفع المومنين
بعضهم في بعض فاطوعكم لله تعالى من الاباء والابناء ارفعكم درجة فان كان الولد ارفع
درجة من والده رفع الله والده وان كان الوالد ارفع درجة من ولده رفع الله اليه ولده
لتقر بذلك اعينهم فقال تعالى لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا لان احدهما لا يعرف منفعة
صاحبه له في الجنة وسبقه الى منزلة عالية يكون سببا لرفعته اليها وقيل ان هذا الكلام
معترض بينهما ومعناه متعلق بمعنى الاية يقول اباؤكم وابناؤكم يعني الذين يرثونكم لا تدرون
ايهم اقرب لكم نفعا اي لا تعلمون ايهم انفع لكم في الدين والدنيا فمنكم من يظن ان
الاب انفع له فيكون الابن انفع له ومنكم من يظن ان الابن انفع له فيكون الاب
انفع له ولكن الله تعالى هو الذي دبر امركم على ما فيه المصلحة لكم فاتبعوه ولو وكل ذلك اليكم
لم تعلموا ايهم انفع لكم فتعطون من لا يستحق من الميراث وتمنعون من يستحق الميراث فريضة
من الله يعني ما قدر من المواريث لاهلها فريضة واجبة ان الله كان عليما حكيما يعني كان
عليما بالاشيا قبل خلقها حكيما فيما قدر من الفرايض وفرض من الاحكام وقيل معناه
عليما بخلقه قبل ان يخلقهم حكيما حيث فرض للصغار مع الكبار ولم يخص بالكبار بالميراث
كما كانت العرب تفعل وفي معنى لفظة كان ثلاثة اقوال احدها ان الله تعالى كان عليما قبل
خلقها ولم يزل كذلك الثاني حكى الزجاج عن سيبويه انه قال ان القوم لما شاهدوا علما وحكمة
ومغفرة وتفضلا فقيل لهم ان الله كان كذلك ولم يزل الله على ما شاهدتم الثالث
قال الخليل الخبر عن الله عز وجل بمثل هذه الاشيا كالخبر بالحال والاستقبال لان صفات الله
لا يجوز عليها الزوال والتقليب قوله عز وجل ولكم نصف ما ترك ازواجكم ان لم يكن
لهن ولد فان كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن من بعد وصية يوصين بها او دين
هذا ميراث الازواج من الزوجات وقال تعالى في ميراث الزوجات من الازواج ولهن يعني
للزوجات الربع مما تركتم ان لم يكن لكم ولد فان كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم
من بعد وصية توصون بها او دين لما جعل الله في الموجب النسب حظ الرجل مثل حظ
الانثيين جعل في الموجب السبب للرجل مثل حظ الانثيين واعلم ان الواحدة من النسا
لها الربع والثمن وكذلك لو كن اربع زوجات فانهن يشتركن في الربع والثمن واسم الولد يطلق

على الذكر

على الذكر والانثى ولا فرق بين الولد وولد الابن وولد البنت في ذلك سوا كان
الولد للرجل من الزوجة او من غيرها قوله تعالى وان كان رجل يورث كلالة او امراة
تقدير الاية وان كان رجل او امراة يورث كلالة واختلفوا في الكلالة فذهب اكثر
الصحابة الى ان الكلالة من لا ولد له ولا والد روى الشعبي قال سئل ابو بكر الصديق
عن الكلالة فقال ساقول فيها قولا برايي فان كان صوابا فمن الله وان كان خطا
فمني ومن الشيطان اراه ما خلا الوالد والولد فلما استخلف عمر قال اني لاستحي الله ان ارد
شيا قاله ابو بكر وعلى هذا قول علي وابن مسعود وزيد بن ثابت واحد الروايتين عن عمر
وابن عباس وهذا القول هو الصحيح المختار ويدل على صحته ان اشتقاق الكلالة من
كلت الرحم بين فلان وفلان اذا تباعدت القرابة بينهم فسميت القرابة البعيدة كلالة
من هذا الوجه وقيل ان الكلالة في اصل اللغة عبارة عن الاحاطة ومنه الاكليل
لاحاطته بالراس فمن عدا الوالد والولد من القرابة انما سموا كلالة لانهم كالدايرة
المحيطة بالانسان اما نسبة الولادة فليست كذلك لان فيها تفرع البعض عن البعض
وتولد البعض من البعض فهو كالشي الواحد الذي يتزايد على نسق واحد فاما القرابة
المغايرة لقرابة الولادة وهم الاخوة والاخوات والاعمام والعمات وغيرهم فانما
يحصل نسبهم اتصال واحاطة بالمنسوب اليه فثبت بذلك ان الكلالة عبارة عمن
عدا الوالد والولد والرواية الاخرى عن عمر وابن عباس ان الكلالة من لا ولد له وبه
قال طاوس واحتج لهذا القول بقوله تعالى قل الله يفتيكم في الكلالة ان امرؤ هلك ليس
له ولد وبيانه عند عامة العلما ماخوذ من حديث جابر بن عبد الله لان الاية نزلت
فيه ولم يكن يوم نزولها اب ولا ابن لان اباه قتل يوم احد واية الكلالة نزلت في اخر
عمر النبي صلى الله عليه وسلم فصار شان جابر بيانا لمراد الاية التي في اخر السورة لنزولها
فيه واختلفوا في ان الكلالة اسم لمن فمنهم من قال هو اسم للميت وهو قول علي بن
ابي طالب وابن مسعود وابن عباس لانه مات عن ذهاب طرفيه فكل عمود نسبه
وقيل هو اسم للحي من الورثة وهو قول ابي بكر الصديق وعليه جمهور العلما الذين قالوا
ان الكلالة من دون الوالد والولد ويدل عليه حديث جابر انما يرثني كلالة اي يرثني
ورثة ليسوا بولد ولا والد فان كان المراد بالكلالة الميت الموروث فالمراد ورثة غير
الوالد والولد وان كان المراد الوارثين فهم غير الوالد والولد وقال ابن زيد الكلالة الذي
لا ولد له ولا والد والحي والميت كلهم كلالة فهذا يرث بالكلالة وهذا يورث بالكلالة
وقال ابو الخير سال رجل عقبة عن الكلالة فقال الا تعجبون من هذا يسالني عن الكلالة
وما اعضل باصحاب النبي صلى الله عليه وسلم شي ما اعضلت بهم الكلالة (م) عن عمر قال
ثلاث وددت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عهد الينا فيهن عهدا ننتهي
اليه الجد والكلالة وابواب من ابواب الربا وهذا طرف حديث في ذكر الخمر (م) عن معدان

ابن ابي طلحة قال خطب عمر بن الخطاب فقال اني لا ادع بعدي شيئا اهم عندي من
الكلالة ما راجعت رسول الله صلى الله عليه وسلم في شي ما راجعته في الكلالة
وما اغلظ لي في شي ما اغلظ لي في الكلالة حتى طعن باصبعه في صدري وقال يا عمر
الا يكفيك اية الصيف التي في اخر سورة النسا واني ان اعش اقض فيها بقضية
يقضي بها من يقرا القران ومن لا يقرا القران بلفظ مسلم قوله الا يكفيك اية الصيف
اراد ان الله عز وجل انزل في الكلالة ايتين احدهما في الشتا وهي التي في اول سورة
النسا والاية الاخرى في الصيف وهي التي في اخر السورة وفيها من البيان ما
ليس في اية الشتا فلذلك احاله عليها وقوله عز وجل وله اخ او اخت فلكل واحد
منهما السدس اراد به الاخ والاخت للام باتفاق العلما وقرا سعد بن ابي وقاص
وله اخ واخت من ام فان قلت ان الله تعالى قال وان كان رجل يورث كلالة
او امراة ثم قال وله اخ فذكر الرجل ولم يذكر المراة فما السبب فيه قلت هذا على
عادة العرب فانهم اذا ذكروا اسمين ثم اخبروا عنهما وكانا في الحكم سوا ربما
اضافوا احدهما الى الاخر وربما اضافوا اليهما فهو كقوله تعالى واستعينوا بالصبر
والصلاة ثم قال تعالى وانها لكبيرة وقال الفرا اذا جا حرفان في معنى واحد جاز اسناد
التفسير الى ايهما اريد ويجوز اسناده اليهما ايضا فان كانوا اكثر من ذلك
فهم شركا في الثلث وهذا اجماع العلما ان اولاد الام اذا كانوا اثنين فصاعدا
يشتركون في الثلث ذكرهم وانثاهم فيه سوا قال ابو بكر الصديق في خطبته الا ان
الاية التي انزل الله في اول سورة النسا في شان الفرايض انزلها في الولد والوالد
والام والاية الثانية في الزوج والزوجة والاخوة من الام والاية الثالثة التي
ختم بها سورة النسا في الاخوة والاخوات من الاب والام والاية التي ختم بها
سورة الانفال انزلها الله في اولي الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله
وقوله تعالى من بعد وصية يوصى بها او دين تقدم تفسيره وبقي شي من الاحكام
يذكر هنا وذلك ان ظاهر الاية يدل على جواز الوصية بكل المال وببعضه وفي
معنى الاية ما روي عن نافع عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ما حق امري له شي يوصي فيه وفي رواية له شي يريد ان يوصي به يبيت
ليلتين وفي رواية ثلاث ليال الا ووصيته مكتوبة عنده قال نافع سمعت عبد الله
ابن عمر يقول ما مرت علي ليلة منذ سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول ذلك
الا وعندي وصيتي مكتوبة اخرجاه في الصحيحين ففي ظاهر الاية والحديث ما يدل على
اطلاق الوصية لكن ورد في السنة ما يدل على تقييد هذا المطلق وتخصيصه وهو
قوله صلى الله عليه وسلم في حديث سعد بن ابي وقاص قال الثلث والثلث
كثير انك ان تذر ورثتك اغنيا خير من ان تذرهم عالة يتكففون الناس

اخرجاه في الصحيحين ففي هذا الحديث دليل على ان الوصية لا تجوز باكثر من الثلث
وان النقصان على الثلث جايز ولا تجوز الوصية لوارث ويدل عليه ما روي
عن عمرو بن خارجة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله
عز وجل اعطى كل ذي حق حقه فلا وصية لوارث والولد للفراش وللعاهر الحجر
اخرجه الترمذي والنسائي عن ابي امامة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول ان الله اعطى كل ذي حق حقه فلا وصية لوارث اخرجه ابو داود وقوله تعالى
غير مضار يعني غير مدخل الضرر على الورثة بمجاوزة الثلث في الوصية وهو ان يوصي
باكثر من الثلث وقيل هو ان يوصي بدين ليس عليه ويقر بماله او اكثر ماله لاجنبي
ويترك ورثته عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الرجل
ليعمل والمراة بطاعة الله ستين سنة ثم يحضرهما الموت فيضاران في الوصية
فتجب لهما النار ثم قرا ابو هريرة من بعد وصية يوصى بها او دين الى قوله ذلك الفوز
العظيم اخرجه ابو داود والترمذي وقال قتادة كره الله الضرار في الحياة وعند الموت
ونهى عنه وقدم فيه وقيل ان الاضرار في الوصية يدل على ان ذلك من الكباير
واعلم ان الاولى بالانسان ان ينظر عند الموت في قدر ما يخلف من المال ومن يخلف
في الورثة ثم يجعل وصيته بحسب ذلك فان كان ماله قليلا وفي الورثة كثرة
فالاولى به ان لا يوصي بشي لقوله صلى الله عليه وسلم لسعد بن ابي وقاص انك ان
تذر ورثتك اغنيا خير من ان تذرهم عالة يتكففون الناس وان كان في المال كثرة
اوصى بحسب المال وبحسب الورثة وحاجتهم بعده في القلة والكثرة وقوله تعالى
وصية من الله يعني فريضة من الله وقيل عهدا من الله اليكم فيما يجب لكم من ميراث
من مات منكم والله عليم يعني انه تعالى عليم بمصالح عباده ومضارهم بما فرض
عليهم من الاحكام وقيل عليم بمن يجور في وصيته وبمن لا يجور حليم يعني انه تعالى
ذو حلم وذو اناة في ترك العقوبة عمن جار في وصيته وقال ابو سليمان
الخطابي الحليم ذو الصفح والاناة الذي لا يستفزه غضب ولا يستخفه جهل جاهل
والحليم هو الصفوح مع القدرة المتاني الذي لا يعجل بالعقوبة قوله عز وجل تلك
حدود الله يعني الاحكام التي تقدم ذكرها في هذه السورة في مال اليتامى والوصايا
والانكحة والمواريث وانما سماها حدودا لان الشرايع كالحدود المضروبة للمكلفين
فلا يجوز لهم ان يتجاوزوها وقال ابن عباس يريد ما حد الله من فرايضه ومن يطع
الله ورسوله يعني في شان المواريث ورضي بما قسم الله وحكم عليه يدخله جنات
تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم ومن يعص الله ورسوله
يعني في شان المواريث ولم يرض بقسمة الله ورسوله ويتعد حدوده يعني
ويتجاوز ما امر الله تعالى يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين فان قلت كيف

مقطع للعاصي بالخلود في النار في هذه الآية وهل فيها دليل للمعتزلة على قولهم ان
العصاة والفساق من اهل الايمان يخلدون في النار قلت قال الضحاك المعصية
هنا الشرك وروي عن عكرمة عن ابن عباس في معنى الآية من لم يرض بقسمة
الله ويتعدى ما قال الله يدخله نارا وقال الكلبي يكفر بقسمة المواريث ويتعدى
حدود الله استحلالا اذا ثبت ذلك فمن رد حكم الله ولم يرض بقسمته كفر بذلك واذا
كفر كان حكمه حكم الكفار في الخلود في النار اذا لم يتب قبل موته وان مات وهو مصر
على ذلك كان مخلدا في النار بكفره فلا دليل في الآية للمعتزلة والله اعلم قوله تعالى
واللاتي هو جمع وهي كلمة يخبر بها عن المونث خاصة يأتين الفاحشة يعني يفعلن
الفاحشة يقال اتيت امرا قبيحا اذا فعلته والفاحشة في اللغة عبارة عن كل فعل او قول
يعظم قبحه في النفوس ويقبح ذكره في الالسنة حتى يبلغ الغاية في جنسه وذلك مخصوص
بشهوة الفرج الحرام ولذلك اجمعوا على ان الفاحشة ههنا هي الزنا وانما سمي الزنا
فاحشة لزيادة قبحه من نسائكم قيل هن الزوجات وقيل المراد بهن جنس النساء فاستشهدوا
عليهن اربعة منكم يعني من المسلمين وهذا خطاب للازواج اي اطلبوا اربعة من الشهود يشهدوا
عليهن وقيل هو خطاب للحكام اي اسمعوا شهادة اربع عليهن ويشترط في هذه الشهادة
العدالة والذكورة قال عمر بن الخطاب انما جعل الله الشهود اربعة سترا لكم به دون فواحشكم فان
شهدوا يعني الشهود بالزنا فامسكوهن في البيوت اي فاحبسوهن في البيوت والحكمة
في حبسهن ان المراة انما تقع في الزنا عند الخروج والبروز للرجال فاذا حبست في البيت لم
تقدر على الزنا حتى يتوفاهن الموت يعني تتوفاهن ملائكة الموت عند انقضاء اجلهن
او يجعل الله لهن سبيلا وهذا الحكم كان في اول الاسلام قبل نزول الحدود وكانت المراة اذا زنت
حبست في البيت حتى تموت ثم نسخ الحبس بالحدود وجعل الله لهن سبيلا م عن عبادة بن
الصامت قال كان نبي الله صلى الله عليه وسلم اذا انزل عليه كرب لذلك وتربد وجهه قال فانزل
الله عليه ذات يوم فلقي كذلك فلما سري عنه قال خذوا عني فقد جعل الله لهن سبيلا
البكر بالبكر جلد مائة ونفي سنة والثيب بالثيب جلد مائة والرجم فصل اتفق العلماء على
ان هذه الآية منسوخة ثم اختلفوا في ناسخها فذهب بعضهم الى ان ناسخها هو حديث
عبادة بن الصامت المتقدم وهذا على مذهب من يرى نسخ القرآن بالسنة وذهب بعضهم
الى ان الآية منسوخة بآية الحد التي في سورة النور وقيل ان الآية منسوخة بالحديث والحديث
منسوخ بآية الجلد وقال ابو سليمان الخطابي لم يحصل النسخ في هذه الآية ولا في الحديث وذلك
لان قوله تعالى فامسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت او يجعل الله لهن سبيلا يدل
على ان امساكهن في البيوت ممدود الى غاية ان يجعل الله لهن سبيلا وان ذلك السبيل كان
مجملا فلما قال صلى الله عليه وسلم خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلا الحديث فصار هذا
الحديث بيانا لتلك الآية المجملة لا ناسخا لها واجمع العلماء على جلد البكر الزاني مائة ورجم

المحصن

المحصن وهو الذي اجتمع فيه اربعة اوصاف البلوغ والعقل والحرية والاصابة
في نكاح صحيح وهو الثيب واختلفوا في جلد الثيب ورجمه فذهب طائفة الى انه
يجب الجمع بينهما وبه قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه والحسن البصري واسحاق
بن راهويه وداود واهل الظاهر وروي عن علي بن ابي طالب انه جلد شراحة
الهمدانية يوم الخميس ورجمها يوم الجمعة وقال جلدتها بكتاب الله ورجمتها
بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال جماهير العلماء الواجب على المحصن الزاني
الرجم وحده لان النبي صلى الله عليه وسلم رجم ماعزا والغامدية ولم يجلدهما واما
تغريب البكر الزاني ونفيه سنة فمذهب الشافعي وجماهير العلماء وجوب ذلك
وقال ابو حنيفة وحماد لا يقضى بالنفي احد الا ان يراه الحاكم تعزيرا وقال مالك و
الاوزاعي لا نفي على النساء وروي مثله عن علي لان المراة عورة وفي نفيها تضييع
لها وتعريض لها للفتنة وحجة الشافعي وجماهير العلماء ظاهر حديث عبادة بن
الصامت وهو قوله صلى الله عليه وسلم البكر بالبكر جلد مائة ونفي سنة وروى نافع
عن ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم ضرب وغرب وان ابا بكر ضرب وغرب وان
عمر ضرب وغرب وان كان الزاني عبدا فعليه جلد خمسين وفي تغريبه قولان
فان قلنا انه يغرب ففيه قولان اصحهما انه يغرب نصف سنة قياسا على حده وان
كان الزاني مجنونا او غير بالغ فلا حد عليه وقوله عز وجل واللذان هو تثنية الذي
يأتيانها يعني يأتيان الفاحشة منكم يعني من رجالكم ونسائكم وقيل هما البكران
اللذان لم يحصنا وهما غير المعنيين بالآية الاولى وقيل المراد بمن ذكر في الاولى النساء
وهذه للرجال لان الله تعالى حكم في الآية الاولى بالحبس في البيت على النساء وهو
اللائق بحالهن لان المراة انما تقع في فعل الفاحشة عند الخروج فاذا حبست في
البيت انقطعت مادة المعصية واما الرجل فلا يمكن حبسه في البيت لانه يحتاج
الى الخروج في اصلاح معاشه والاكتساب لقوت عياله فجعلت عقوبة الرجل الزاني الاذية
بالقول والفعل فآذوهما يعني عيروهما بالقول باللسان وهو ان يقال اما خفت الله
اما استحييت من الله حيث زنيت وقال ابن عباس سبوهما واشتموهما وفي رواية عنه
قال هو باللسان واليد يؤذى بالتعيير ويضرب بالنعال فان تابا يعني من الفاحشة
واصلحا يعني بالعمل فيما بعد فاعرضوا عنهما اي اتركوهما ولا تؤذوهما ان الله كان
توابا رحيما يعني انه يعود على عبده بفضله ومغفرته ورحمته اذا تاب عليه وهذا
حكم كان في ابتداء الاسلام كان حد الزاني الاذى بالتوبيخ والتعيير بالقول باللسان فلما نزلت
الحدود وثبتت الاحكام نسخ ذلك الاذى بالآية التي في سورة النور وهي قوله تعالى
الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله
الآية فثبت الجلد على البكر بنص الكتاب وثبت الرجم على الثيب المحصن بسنة رسول

الله صلى الله عليه وسلم فقد صح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رجم ماعزا وكان قد احصن
وسواء في هذا الحكم المسلم واليهودي لانه ثبت في الصحيح ان النبي صلى الله عليه وسلم رجم يهوديين
زنيا وكانا قد احصنا وقال ابو حنيفة لا رجم على اليهودي لان المشرك ليس بمحصن
واجيب عنه بان المراد بهذا الاحصان احصان العفاف لا احصان الفرج قوله تعالى
انما التوبة على الله يعني التوبة التي يقبلها الله فتكون على بمعنى عند وقيل على بمعنى من
اي من الله وقال اهل المعاني ان الله عز وجل وعد قبول التوبة من المومنين في قوله كتب
ربكم على نفسه الرحمة واذا وعد الله شيئا انجز ميعاده وصدق وعده فمعنى قوله على الله اوجب
على نفسه من غير ايجاب احد عليه لانه تعالى يفعل ما يريد للذين يعملون السوء يعني الذنوب
والمعاصي سميت سوء لسوء عاقبتها اذا لم يتب منها بجهالة قال قتادة اجمع اصحاب النبي
صلى الله عليه وسلم على ان كل شيء عصى الله به فهو جهالة عمدا كان او غيره وكل من عصى الله
فهو جاهل وقال ابن عباس من عمل السوء فهو جاهل من جهالته عمل السوء فكل من عصى الله
سمي جاهلا وسمي فعله جهالة وانما سمي من عصى الله جاهلا لانه لم يستعمل ما معه من العلم
بالثواب والعقاب واذا لم يستعمل ذلك سمي جاهلا بهذا الاعتبار وقيل معنى الجهالة ان يأتي
الانسان بالذنب مع العلم بانه ذنب لكنه يجهل عقوبته وقيل معنى الجهالة هو اختيار اللذة
الفانية على اللذة الباقية ثم يتوبون من قريب يعني يتوبون بعد الاقلاع عن الذنب
بزمان قريب لئلا يعد في زمرة المصرين وقيل القريب ان يتوب في صحته قبل مرض موته
وقيل قبل موته وقيل قبل معاينة ملك الموت ومعاينة اهوال الموت وانما سمي هذه المدة قريبة
لان كل ما هو آت فهو قريب وفيه تنبيه على ان عمر الانسان وان طال فهو قليل والانسان
يتوقع في كل ساعة ولحظة نزول الموت به عن ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله
يقبل توبة العبد ما لم يغرغر اخرجه الترمذي الغرغرة ان يجعل المشروب في فم المريض فيردده
في الحلق ولا يصل اليه ولا يقدر على بلعه وذلك عند بلوغ الروح الى الحلقوم وروى
البغوي بسنده عن ابي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الشيطان
قال وعزتك يا رب لا ابرح اغوي عبادك ما دامت ارواحهم في اجسادهم فقال الرب
تبارك وتعالى وعزتي وجلالي وارتفاعي في مكاني لاغفر لهم ما استغفروني وقيل في معنى الاية
ان القريب يتوب الانسان قبل ان يحيط السوء بحسناته فيحبطها فاولئك يتوب الله يتوب عليهم
عليهم يعني يقبل توبتهم وكان الله عليما حكيما قال ابن عباس علم ما في قلوب المومنين
من التصديق واليقين فحكم بالتوبة قبل الموت ولو بقدر فواق ناقة وقيل معنى الاية
علم انه اتى بتلك المعصية بسبيل الشهوة والجهالة عليه فحكم بالتوبة لمن تاب عنها
واناب عن قريب قوله عز وجل وليست التوبة للذين يعملون السيئات قال ابن عباس
يريد الشرك وقال ابو العالية وسعيد بن جبير هم المنافقون وقال سفيان الثوري هم المسلمون
الا ترى انه قال ولا الذين يموتون وهم كفار حتى اذا حضر احدهم الموت يعني وقع في النزع

وعاين

وعاين ملائكة الموت وهو حالة السوق حين تساق الروح للخروج من جسده قال اني
تبت الآن قال المحققون قرب الموت لا يمنع من قبول التوبة بل المانع من قبولها مشاهدة
الاحوال التي لا يمكن معها الرجوع الى الدنيا بحال ولذلك لم تقبل توبة فرعون ولا ايمانه
وهو قوله تعالى حتى اذا ادركه الغرق قال امنت انه لا اله الا الذي امنت به بنوا اسرائيل
وانا من المسلمين الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين ويدل على ذلك ايضا
قوله تعالى فلم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا باسنا فان قلت قد تعلقت الوعيدية بهذه
الاية وقالوا اخبر الله ان عصاة المومنين اذا اهملوا امرهم الى القضاء اجالهم حصلوا
على عذاب الآخرة مع الكفار لان الله تعالى جمعهم في قوله اولئك اعتدنا لهم عذابا
اليما وايضا انه تعالى اخبر انه لا توبة لهم عند معاينة الموت واسبابه قلت ليس الامر
على ما زعموا فقد روي عن ابن عباس وليست التوبة للذين يعملون السيئات يريد
الشرك وقال سعيد بن جبير نزلت الاية الاولى في المومنين يعني قوله انما التوبة على الله
والوسطى في المنافقين يعني قوله وليست التوبة والاخرى في الكافرين يعني قوله ولا
الذين يموتون وهم كفار واذا كانت الاية نازلة في الكفار والمنافقين فلا وجه
لحملها على المومنين وعلى التقدير ان تكون الاية نازلة في عصاة المومنين فقد روي
عن ابن عباس في قوله وليست التوبة للذين يعملون السيئات الاية ثم انزل الله بعد ذلك
ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فحرم الله المغفرة على من مات
وهو كافر وارجى اهل التوحيد الى مشيته ولم يويسهم من المغفرة فعلى هذا القول تكون الاية
منسوخة في حق المومنين وقوله تعالى ولا الذين يموتون وهم كفار معناه لا توبة للكفار
اذا ماتوا على كفرهم وانما لم تقبل توبتهم في الآخرة لرفع التكليف في الآخرة ومعاينة ما
وعدوا به من العقاب اولئك اعتدنا لهم اي هيأنا لهم عذابا اليما قوله تعالى يا ايها الذين امنوا
لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها نزلت في اهل المدينة وذلك انهم كانوا في الجاهلية في اول الاسلام
اذا مات الرجل وخلف امراة جاء ابنه من غيرها او قريبه من ذوي عصبته فالقى ثوبه على تلك
المراة او على خبائها فصار احق بها من نفسها ومن غيره فان شاء تزوجها بغير صداق الا
الصداق الاول الذي اصدقها الميت وان شاء زوجها غيره واخذ هو صداقها وان شاء
عضلها ومنعها من الازواج يضارها بذلك لتفتدي منه بما ورثت من الميت او تموت
هي فيرثها فان ذهبت المراة الى اهلها قبل ان يلقي عليها ولي زوجها ثوبه كانت احق
بنفسها وكانوا على ذلك حتى توفي ابو قبيس بن الاسلت الانصاري وترك امراته كبيشة
بنت معن الانصارية فقام ابن له من غيرها يقال له حصن وقيل اسمه قيس بن ابي
قيس فطرح ثوبه عليها فورث نكاحها ثم تركها ولم ينفق عليها يضارها بذلك لتفتدي
منه فاتت كبيشة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ان ابا قيس توفي
وورث نكاحي ابنه فلا هو ينفق علي ولا هو يدخل بي ولا يخلي سبيلي فقال اقعدي في بيتك

حتى تأتي امر الله فيك فأنزل الله عز وجل يا ايها الذين امنوا لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها يعني بارث نكاح النساء وقيل معناه ان ترثوا اموالهن كرها يعني وهن كارهات ولا تعضلوهن اي ولا تمنعوهن من الازواج واصل العضل المنع لتذهبوا ببعض ما اتيتموهن يعني لتضجر فتفتدي ببعض مالها قيل هو خطاب للازواج قال ابن عباس هذا في الرجل يكون له امراة وهو كاره لها ولصحبتها ولها عليه مهر فيضارها لتفتدي منه وترد اليه من المهر فنهى الله عن ذلك وقيل كان الرجل يطلق امراته ثم يراجعها ثم يطلقها يضارها بذلك فنهوا عن ذلك وقيل هو خطاب لاولياء الميت فنهاهم الله عن عضل المراة ثم قال تعالى الا ان ياتين بفاحشة مبينة يعني فيحل لكم ضرارهن لتفتدي منكم واختلفوا في الفاحشة المبينة فقيل هي النشوز وسوء الخلق وايذاء الزوج واهله وقيل الفاحشة هي الزنا يعني ان المراة اذا نشزت او زنت حل للزوج ان يسألها الخلع وقيل كانت المراة اذا اصابت فاحشة اخذ منها زوجها ما ساق اليها واخرجها فنسخ الله ذلك بالحدود وعاشروهن بالمعروف قيل هو راجع الى الكلام الذي قبله والمعنى واتوا النساء صدقاتهن نحلة وعاشروهن بالمعروف والمعاشرة بالمعروف هي الاجمال في القول والمبيت والنفقة وقيل هو ان تصنع لها كما تحب ان تصنع لك فان كرهتموهن يعني فان كرهتم عشرتهن وصحبتهن واردتم فراقهن فعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا قال ابن عباس ربما رزق منها ولدا صالحا فيجعل الله ولدها خيرا كثيرا فتنقلب تلك الكراهية محبة و النفرة رغبة وقيل في الاية ندب الى امساك المراة مع الكراهية لها لانه اذا كره صحبتها وتحمل ذلك المكروه طلبا للثواب وانفق عليها واحسن هو صحبتها استحق الثناء الجميل في الدنيا والثواب الجزيل في العقبى وقيل في معنى الاية انكم ان كرهتموهن ورغبتم في فراقهن فربما جعل الله في تلك المفارقة لهن خيرا كثيرا وذلك بان تخلص من هذا الزوج الكاره لها وتزوج غيره خيرا منه قوله عز وجل وان اردتم استبدال زوج مكان زوج يعني الرجال واراد بالزوج الزوجة قال المفسرون لما ذكر الله في الاية الاولى مضارة الزوجات اذا اتين بفاحشة وهي اما النشوز او الزنا بين في هذه الاية تحريم المضارة اذا لم يكن من قبلها نشوز ولا زنا ونهى عن بخس الرجل حق المراة اذا اراد طلاقها واستبدال غيرها واتيتم احداهن قنطارا يعني وان كان ذلك الصداق مالا كثيرا وفي الاية دليل على جواز المغالاة في المهر روي ان عمر قال على المنبر الا لا تغالوا في مهور نسائكم فقامت امراة فقالت يا ابن الخطاب الله يعطينا وانت تمنعنا وتلت الاية فقال كل الناس افقه من عمر وفي رواية امراة اصابت وامير اخطا ورجع عن كراهة المغالاة وقد تغالى الناس في صدقات النساء حتى بلغوا الالوف وقيل ان خير المهور ايسرها واسهلها

فلا تاخذوا

فلا تاخذوا منه شيئا يعني من القنطار الذي اتيتموهن لو جعلتم ذلك القدر لهن صداقا فلا تاخذوا منهن شيئا وذلك ان سوء العشرة اما ان يكون من قبل الزوج او من قبل الزوجة فان كان من قبل الزوج واراد طلاق المراة لا يحل له ان ياخذ شيئا من صداقها وان كان النشوز من قبل المراة جاز له ذلك اتاخذونه بهتانا استفهام بمعنى التوبيخ بهتانا يعني ظلما وقيل باطلا واثما مبينا يعني اتاخذونه مباهتين اثمين فلا تفعلوا مثل هذا الفعل مع ظهور قبحه في الشرع والعقل ثم قال تعالى وكيف تاخذونه كلمة تعجب والمعنى لاي وجه تفعلون مثل هذا الفعل وكيف يليق بالعاقل ان يسترد شيئا بذله لزوجته عن طيب نفس وقيل هو استفهام معناه التوبيخ والتعظيم لاخذ المهر بغير حله ثم ذكر السبب في ذلك فقال وقد افضى بعضكم الى بعض اصل الافضاء في اللغة الوصول يقال افضى اليه اي وصل اليه ثم للمفسرين في معنى الافضاء في هذه الاية قولان احدهما انه كناية عن الجماع وهو قول ابن عباس ومجاهد والسدي واختيار الزجاج وابن قتيبة ومذهب الشافعي لان عنده ان الزوج اذا طلق قبل المسيس فله ان يرجع بنصف المهر وان خلا بها والقول الثاني في معنى الافضاء هو ان يخلو بها وان لم يجامعها قال الكلبي الافضاء ان يكون معها في لحاف واحد جامعها او لم يجامعها وهذا القول هو اختيار الفراء ومذهب ابي حنيفة لان الخلوة الصحيحة عنده تقرر المهر واخذن منكم ميثاقا غليظا هو قول العاقد عند العقد زوجتكها على ما اخذ الله للنساء على الرجال من امساك بمعروف او تسريح باحسان وقيل هو كلمة النكاح المعقودة على الصداق وهي الكلمة التي تستحل بها فروج النساء ويدل على ذلك ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم وهو انه قال اتقوا الله في النساء فانكم اخذتموهن بامانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله قوله تعالى ولا تنكحوا ما نكح اباؤكم من النساء قال المفسرون كان اهل الجاهلية يتزوجون ازواج ابائهم فنهاهم الله عن ذلك بهذه الاية وروي انها نزلت لما توفي ابو قيس وكان من صالحي الانصار خطب ابنه قيس امراة ابيه فقالت اني اتخذتك ولدا وانت من صالحي قومك ولكني اتي رسول الله صلى الله عليه وسلم واستامره فاتته فاخبرته فانزل الله عز وجل ولا تنكحوا ما نكح اباؤكم من النساء الا ما قد سلف يعني الا ما مضى في الجاهلية قبل نزول التحريم فانه معفو عنه انه كان فاحشة انما سماه فاحشة لان زوجة الاب في منزلة الام ونكاح الامهات حرام فلما كان ذلك كذلك سماه الله فاحشة لانه من اقبح المعاصي ومقتا يعني انه يورث مقت الله والمقت اشد البغض وغاية الخزي والخسار وساء سبيلا اي وبئس ذلك طريقا لانه يؤدي الى مقت الله والعرب تسمي ولد الرجل من امراة ابيه مقتيا وكان منهم الاشعث بن قيس وابو معيط بن ابي عمرو بن امية روى البغوي بسنده عن البراء بن عازب قال مر بي خالي ومعه لواء فقلت اين تذهب قال بعثني النبي صلى الله عليه وسلم الى رجل تزوج امراة ابيه اتيه براسه قوله عز وجل حرمت عليكم امهاتكم بين الله عز وجل في هذه الاية المحرمات من النساء بسبب الوصلة اما بسبب او نسب خ عن ابن عباس قال حرم من النسب سبع ومن الصهر سبع ثم قرا حرمت عليكم امهاتكم الاية فجملة المحرمات من النساء بنص القرآن اربعة عشر صنفا فاما المحرمات بالنسب فقوله حرمت عليكم

امهاتكم جمع ام واصل امهات امات وانما زيدت الها للتوكيد والام هي الوالدة القريبة
ويدخل في حكمها كل امراة رجع النسب اليها من جهة الاب او من جهة الام بدرجة او درجات
وهن جميع الجدات وان علون فيحرم نكاح الام وجميع الجدات وبناتكم والبنت عبارة
عن كل انثى رجع نسبها اليك بالولادة بدرجة او بدرجات باناث كبنت البنت
وان سفلت وكذا بنت الابن واخواتكم جمع اخت وهي عبارة عن كل امراة شاركتك
في اصلك فيدخل فيه الاخوات من الاب والام والاخوات من الاب والاخوات
من الام وعماتكم جمع عمة وهي كل امراة شاركت اباك في اصله وهن جميع اخوات
الاب واخوات ابائه وان علون وقد تكون العمة من جهة الام ايضا وهي اخت
ابي الام وخالاتكم جمع خالة وهي كل امراة شاركت الام في اصلها فيدخل فيهن جميع
اخوات الام واخوات امهاتها وقد تكون الخالة من جهة الاب ايضا وهي اخت ام
الاب وبنات الاخ وبنات الاخت وهي عبارة عن كل امراة لاخيك او لاختك عليها
ولادة ويرجع نسبها الى الاخ او الاخت فيدخل فيهن جميع بنات اولاد الاخ والاخت
وان سفلت فهذه الاصناف السبعة محرمة بسبب النسب بنص الكتاب وجملته انه
يحرم على الرجل اصوله وفصوله وفصول اصوله واول فصل من كل اصل بعده اصل فالاصول
هن الامهات والجدات والفصول هن البنات وبنات الاولاد وفصول الاخوة والاخوات
واول فصل من كل اصل بعده اصل هن العمات والخالات وان علون قال العلماء كل
امراة حرم الله نكاحها بالنسب والرحم محرمة مؤبدة لا تحل بوجه من الوجوه الصنف الثاني
المحرمات بالسبب وهن سبع الاول والثاني المحرمات بالرضاع وذلك في قوله تعالى
وامهاتكم اللاتي ارضعنكم واخواتكم من الرضاعة كل انثى انتسب باللبن اليها فهي
امك وبنتها اختك وانما نص الله على ذكر الام والاخت ليدل بذلك على جميع الاصول
والفروع فنبه بذلك على انه تعالى اجرى الرضاع مجرى النسب ويدل على ذلك
ما روي عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يحرم من الرضاع ما يحرم
من الولادة اخرجاه في الصحيحين ق عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم في بنت حمزة انها لا تحل لي يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب وانها ابنة
اخي من الرضاع فكل من حرمت بسبب النسب حرم نظيرها بسبب الرضاعة وانما
سمى الله المرضعات امهات لاجل الحرمة فيحرم عليه نكاحها ويحل له النظر اليها و
الخلوة بها والسفر معها ولا يترتب عليه جميع احكام العمومية من كل وجه فلا توارث
ولا يجب على كل واحد منهما نفقة الاخر وغير ذلك من الاحكام وانما تثبت حرمة
الرضاع بشرطين احدهما ان يكون ارضاع الصبي في حال الصغر وذلك الى تمام السنتين
من ولادته لقوله تعالى والوالدات يرضعن اولادهن حولين كاملين وقوله تعالى
وفصاله في عامين عن ام سلمة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحرم من الرضاع

الا ما فتق الامعاء في الثدي وكان قبل الفطام اخرجه الترمذي عن ابن مسعود قال
لا رضاعة الا ما كان في الحولين اخرجه مالك في الموطا باطول من هذا واخرجه
ابو داود مختصرا قال قال عبد الله بن مسعود لا رضاع الا ما شد العظم وانبت اللحم وقال ابو حنيفة مدة
الرضاع ثلاثون شهرا لقوله وحمله وفصاله ثلاثون شهرا وحمله الجمهور على اقل مدة
الحمل واكثر مدة الرضاع لان مدة الحمل داخلة فيه واقله ستة اشهر الشرط الثاني ان
يوجد خمس رضعات متفرقات روي ذلك عن عائشة وبه قال عبد الله بن الزبير
واليه ذهب الشافعي ويدل على ذلك ما روي عن عائشة ان النبي صلى الله عليه
وسلم قال لا تحرم المصة ولا المصتان اخرجه مسلم عن ام الفضل ان نبي الله صلى الله عليه
وسلم قال لا تحرم الاملاجة ولا الاملاجتان وفي رواية ان رجلا من بني عامر بن صعصعة
قال يا نبي الله هل تحرم الرضعة الواحدة قال لا م عن عائشة قالت فيما انزل من القران
عشر رضعات معلومات يحرمن ثم نسخن بخمس معلومات فتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهن فيما يقرا من القران قولها فتوفي رسول الله وهن فيما يقرا من القران يحتمل انه
لم يبلغها نسخ ذلك واجمعوا على ان هذا لا يتلى فهو مما نسخ تلاوته وبقي حكمه
وذهب جمهور العلماء الى ان قليل الرضاع وكثيره يحرم وهو قول ابن عباس وابن عمر
وبه قال سعيد بن المسيب واليه ذهب الثوري والاوزاعي ومالك وابن المبارك
وابو حنيفة واحمد في احدى الروايتين عنه والرواية الاخرى كمذهب الشافعي
واحتج مذهب الجمهور بمطلق الاية لانه عمل بعموم القران وظاهره ولم يذكر عددا
واجاب الشافعي ومن وافقه في هذه المسئلة بان السنة مبينة للقران ومفسرة له
وقوله تعالى وامهات نسائكم يعني اذا تزوج الرجل بامراة حرمت عليه امها الصلبية
وجميع جداتها من قبل الاب والام من النسب والرضاع ايضا ومذهب اكثر الصحابة وجميع
التابعين وكل العلماء ان تزوج امراة حرمت عليه امها بنفس العقد سواء دخل بها او لم
يدخل بها وذهب جمع من الصحابة الى ان ام المراة انما تحرم بالدخول بابنتها وهو قول
علي وزيد بن ثابت وابن عمر وابن الزبير وجابر واظهر الروايات عن ابن عباس والعمل
اليوم على القول الاول وهو مذهب الجمهور ويدل على ذلك ما روي عن عمرو بن
شعيب عن ابيه عن جده ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ايما رجل نكح امراة
فلا يحل له نكاح ابنتها وان لم يكن دخل بها فلينكح ابنتها وايما رجل نكح امراة فلا يحل له ان
ينكح امها دخل بها او لم يدخل اخرجه الترمذي وقوله تعالى وربائبكم اللاتي في حجوركم من
نسائكم اللاتي دخلتم بهن فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم الربائب جمع
ربيبة وهي بنت المراة من رجل اخر سميت ربيبة لتربيته اياها في حجر الرجل وقوله دخلتم
بهن كناية عن الجماع لا نفس العقد فيحرم على الرجل بنات امراته وبنات اولادها وان
سفلن من النسب والرضاع بعد الدخول بالزوجة فلو فارق زوجته قبل الدخول بها

او ماتت قبل دخوله بها جاز له ان يتزوج بنتها ولا يجوز له ان يتزوج امها لان الله تعالى
اطلق تحريم الامهات وعلق تحريم البنات بالدخول بالام وقوله تعالى وحلائل ابنائكم يعني ازواج
ابنائكم واحدتها حليلة والرجل حليل سميا بذلك لان كل واحد منهما يحل لصاحبه وقيل
لان كل واحد يحل حيث يحل صاحبه في ازار واحد وقيل لان كل واحد منهما يحل ازار صاحبه
من الحل بفتح الحا وجملته انه يحرم على الرجل ازواج ابنائه وابناء اولاده وان سفلوا من النسب
والرضاع وذلك بنفس العقد الذين من اصلابكم انما قال من اصلابكم احترازا عن المتبنى ليعلم
ان زوجة المتبنى لا تحرم على الرجل الذي تبناه لانه كان في صدر الاسلام بمنزلة الابن فنسخ
الله ذلك وقال تعالى ادعوهم لاباىهم وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم زوجة زيد بن
حارثة وكان قد تبناه فقال المشركون تزوج زوجة ابنه فانزل الله وما جعل ادعياءكم
ابناءكم وقال تعالى لكيلا يكون على المؤمنين حرج في ازواج ادعيائهم وقوله تعالى وان تجمعوا بين
الاختين يعني لا يجوز للرجل ان يجمع بين الاختين في نكاح واحد سوا كانت الاخوة بينهما بنسب
او رضاع والجمع بين الاختين يقع على ثلاثة اوجه احدها ان يجمع بينهما بعقد واحد فهذا العقد
فاسد لا يصح فلو تزوج احد الاختين ثم تزوج الاخرى بعد ما فرق بينهما حكم ببطلان نكاح
الثانية فلو طلق الاولى طلاقا باينا جاز له نكاح اختها الوجه الثاني من صور الجمع بين الاختين
وهو ان يجمع بينهما بملك اليمين فلا يجوز ان يجمع بينهما الى الوطي فاذا وطي احدهما حرمت عليه
الثانية حتى يحرم الاولى ببيع وهبة او عتق او كتابة الوجه الثالث من صور الجمع بين الاختين
وهو ان يتزوج احداهما ويشتري الاخرى فيملكها بملك اليمين فذهب بعض العلما انه
لا يجوز الجمع بينهما لان ظاهر هذه الاية يقتضي تحريم الجمع مطلقا فوجب ان يحرم الجمع بينهما على
جميع الوجوه وذهب بعضهم الى جوازه والقول الاول اصح واولى لما روي قبيصة بن ذويب
ان رجلا سال عثمان عن اختين مملوكتين لرجل هل يجمع بينهما فقال عثمان احلتهما اية وحرمتهما
اية فاما انا فلا احب ان اصنع ذلك فخرج من عنده فلقي رجلا من اصحاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم فساله عنه فقال اما انا فلو كان لي من الامر شي لم اجد احدا فعل ذلك الا
جعلته نكالا قال ابن شهاب اراه علي بن ابي طالب قال مالك انه بلغه عن الزبير بن العوام
مثل ذلك اخرجه مالك في الموطا وقوله تعالى الا ما قد سلف لكن ما قد مضى فهو معفو عنه
بدليل قوله تعالى ان الله كان غفورا رحيما وقيل ان فائدة هذا الاستثنا ان انكحة الكفار
كانت صحيحة فلو اسلم عن اختين قيل له اختر ايهما شئت ويدل عليه ما روي عن الضحاك بن
فيروز عن ابيه قال قلت يا رسول الله اني اسلمت وتحتي اختان قال طلق ايهما شئت اخرجه
ابو داود فروع تتعلق بحكم الاية الاول لا يجوز الجمع بين المراة وعمتها ولا بين المراة
وخالتها ويدل على ذلك ما روي عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
لا يجمع بين المراة وعمتها ولا بين المراة وخالتها اخرجاه في الصحيحين قال بعض العلما
في حد ما يحرم الجمع كل امراتين بينهما قرابة او لبن ولو كان ذلك بينك وبين المراة

لم يجز لك

لم يجز لك الجمع بينهما الفرع الثاني المحرمات بالنسب سبعة اصناف ذكرت في الاية
نصا والمحرمات بالسبب صنفان صنف يحرم بالرضاع وهن الامهات والاخوات على ما
تقدم ذكره وصنف يحرم بالمصاهرة وهن ام المراة وحليلة الابن وزوج الاب
وقد تقدم ذكرها في قوله تعالى ولا تنكحوا ما نكح اباؤكم من النسا الاية والربايب على
التفصيل المذكور والجمع بين الاختين الفرع الثالث التحريم الحاصل بسبب المصاهرة
انما يحصل بنكاح صحيح فلو زنا بامراة لم تحرم عليه بنتها ولا امها لو اراد ان يتزوج بهن
وكذلك لا تحرم المزني بها على ابا الزاني ولا ابنايه انما يتعلق الحرمة بنكاح صحيح
او بنكاح فاسد يحصل لها به الصداق وتجب عليها العدة ويلحق به الولد وهذا
قول علي وابن عباس وبه قال سعيد بن المسيب وعروة بن الزبير والزهري واليه ذهب
مالك والشافعي وفقها الحجاز وذهب قوم الى ان الزنا يتعلق به تحريم المصاهرة
يروى ذلك عن عمران بن حصين وابي هريرة وبه قال جابر بن زيد والحسن واهل العراق
ولو لمس امراة اجنبية بشهوة او قبلها بشهوة هل يجعل ذلك كالدخول في اثبات
تحريم المصاهرة وكذلك لو لمس امراة بشهوة هل يجعل كالوطي في تحريم الربيبة فيه قولان
اصحهما انه يثبت به تحريم المصاهرة وهو قول اكثر اهل العلم والثاني لا يثبت به كما
لا يثبت بالنظر بشهوة وقوله تعالى والمحصنات يعني حرمت المحصنات من النسا واصل الاحصان
في اللغة المنع والمحصنات بالفتح المراة العفيفة ويطلق الاحصان على المراة ذات الزوج
والحرة والعفيفة والمراة المسلمة والمراد من الاحصان في قوله والمحصنات ذوات الازواج
من النسا فلا يحل لاحد نكاحهن قبل مفارقة ازواجهن وهذه هي السابعة من النسا
اللاتي حرمت بالسبب قال ابو سعيد الخدري نزلت هذه الاية في نسا كن هاجرن
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهن ازواج فتزوجهن بعض المسلمين ثم قدم ازواجهن
مهاجرين فنهى الله المسلمين عن نكاحهن ثم استثنى فقال الا ما ملكت ايمانكم يعني
السبايا اللاتي سبين ولهن ازواج في دار الحرب فيحل لمالكهن وطيهن بعد الاستبرا
لان السبي يرتفع به النكاح بينها وبين زوجها قال ابو سعيد الخدري بعث رسول الله
صلى الله عليه وسلم جيشا الى اوطاس فاصابوا سبايا لهن ازواج من المشركين فكرهوا
غشيانهن فانزل الله هذه الاية وقال ابن مسعود اراد انه اذا باع الجارية المزوجة
فتقع الفرقة بينها وبين زوجها ويكون بيعها طلاقا فيحل للمشتري وطيها وقال عطا
اراد بقوله الا ما ملكت ايمانكم ان تكون امته في نكاح عبده فيجوز له ان
ينزعها منه وقيل اراد بالمحصنات من النسا الحراير ومعناه ان ما فوق الاربع منهن
فانه عليكم حرام الا ما ملكت ايمانكم فانه لا عدد عليكم في الجواري ولا حصر
كتاب الله عليكم يعني حرمت عليكم امهاتكم كتب عليكم هذا كتابا وقيل معناه
الزموا كتاب الله وقيل معناه كتابا من الله عليكم بمعنى كتب تحريم ما حرم عليكم

من ذلك وتحليل ما حلل كتابا واحل لكم ما وراء ذلكم يعني واحل الله لكم ما سوى ذلكم الذي
ذكر من المحرمات وظاهر الاية يقتضي حل كل من سوى المذكورات من الاصناف المحرمات
لكن قد دل الدليل من السنة بتحريم اصناف سوى ما ذكر فمن ذلك انه يحرم الجمع
بين المراة وعمتها وبين المراة وخالتها ومن ذلك المطلقة ثلاثا فلا تحل لزوجها الاول
حتى تنكح زوجا غيره ومن ذلك نكاح المعتدة فلا تحل للازواج حتى تنقضي عدتها ومن
ذلك من كان في نكاحه حرة لم يجز له ان يتزوج بامة والقادر على طول الحرة لم يجز له ان يتزوج
بامة ومن ذلك ان من كان عنده اربع نسوة حرم عليه ان يتزوج بخامسة ومن ذلك
الملاعنة فانها محرمة على الملاعن على التابيد فهذه اصناف من المحرمات سوى ما
ذكر في الاية فعلى هذا يكون قوله تعالى واحل لكم ما وراء ذلكم ورد بلفظ العموم لكن
العموم دخله التخصيص فيكون عاما مخصوصا وقوله تعالى ان تبتغوا باموالكم فيه
اضمار تقديره واحل لكم ان تبتغوا اي تطلبوا باموالكم يعني تنكحوا بصداق او تشتروا
بثمن وفي الاية دليل على ان الصداق لا يتقدر بشيء فيجوز على القليل والكثير لاطلاق
قوله تعالى وان تبتغوا باموالكم محصنين يعني متزوجين وقيل متعففين غير مسافحين
يعني غير زانيين والسفاح والفجور واصله من السفح وهو الصب وانما سمي الزنا سفاحا
لان الزاني لا غرض له الا صب النطفة فقط فقوله تعالى فما استمتعتم به منهن اختلفوا
في معناه فقال الحسن ومجاهد اراد ما انتفعتم وتلذذتم بالجماع من النساء بنكاح صحيح لان
اصل الاستمتاع في اللغة الانتفاع وكل ما انتفع به فهو متاع فاتوهن اجورهن يعني
مهورهن وانما سمي المهر اجرا لانه بدل المنافع ليس ببدل الاعيان كما سمي بدل منافع
الدار والدابة اجرا وقال قوم المراد من حكم الاية هو نكاح المتعة وهو ان ينكح امراة
الى مدة معلومة بشيء معلوم فاذا انقضت تلك المدة بانت منه بغير طلاق ويستبري رحمها وليس
بينهما ميراث وكان هذا في ابتداء الاسلام ثم نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المتعة وحرمها
م عن ابن سبرة بن سعيد الجهني انه كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ايها الناس
اني كنت اذنت لكم في الاستمتاع من النساء وان الله قد حرم ذلك الى يوم القيامة فمن كان عنده
منهن شيء فليخل سبيله ولا تاخذوا مما اتيتموهن شيئا والى هذا ذهب جمهور العلماء من الصحابة
فمن بعدهم ان نكاح المتعة حرام والاية منسوخة اختلفوا في ناسخها فقيل نسخت بالسنة وهو
ما تقدم من حديث سبرة الجهني ق عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال نهى رسول الله صلى
الله عليه وسلم عن متعة النساء يوم خيبر وعن اكل لحوم الحمر الانسية وهذا على مذهب من يقول
ان السنة تنسخ القران ومذهب الشافعي ان السنة لا تنسخ القران فعلى هذا قيل ان ناسخ هذه
الاية قوله تعالى في سورة المؤمنون والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم او ما ملكت
ايمانهم فانهم غير ملومين والمنكوحة في المتعة ليست بزوجة ولا ملك يمين واختلفت
الروايات عن ابن عباس في المتعة فروي عنه ان الاية محكمة وكان يرخص في المتعة قال

عمارة

عمارة سالت ابن عباس عن المتعة اسفاح هي ام نكاح فقال لا سفاح ولا نكاح قلت
فما هي قال متعة قال الله تعالى قلت هل لها عدة قال نعم حيضة قلت هل يتوارثان قال لا وروي
ان الناس لما ذكروا الاشعار في فتيا ابن عباس في المتعة فقال قاتلهم الله انا ما افتيت باحلالها
على الاطلاق لكني قلت انما تحل للمضطر كما تحل الميتة له وروي انه رجع عنه وقال بتحريمها وروى
عطاء الخراساني عن ابن عباس في قوله فما استمتعتم به منهن انها صارت منسوخة بقوله يا ايها
النبي اذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن وروى سالم بن عبد الله بن عمر ان عمر بن الخطاب
صعد المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم قال ما بال اقوام ينكحون هذه المتعة وقد نهى رسول الله صلى
الله عليه وسلم عنها الا اجد رجلا نكحها الا رجمته بالحجارة وقال هدم المتعة النكاح والطلاق والعدة
والميراث قال الشافعي لا اعلم في الاسلام شيئا احل ثم حرم ثم احل ثم حرم غير المتعة وقال ابو عبيد
المسلمون اليوم مجمعون على ان متعة النساء قد نسخت بالتحريم نسخها الكتاب والسنة هذا قول
اهل العلم جميعا من اهل الحجاز والشام والعراق من اصحاب الاثر والراي وانه لا رخصة فيها
لمضطر ولا لغيره وقال ابن الجوزي في تفسيره وقد تكلف قوم من مفسري القران المراد بهذه الاية
نكاح المتعة ثم نسخت بما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه نهى عن متعة النساء وهذا
تكلف لا يحتاج اليه لان النبي صلى الله عليه وسلم اجاز المتعة ثم هو منع منها وحرمها فكان قوله
منسوخا بقوله واما الاية فانها لم تتضمن جواز المتعة لانه تعالى قال فيها ان تبتغوا باموالكم
محصنين غير مسافحين اي عاقدين التزويج وقال ابن جرير الطبري اولى التاويلين في ذلك
بالصواب تاويل من تاوله فما نكحتموه منهن فجامعتموهن فاتوهن اجورهن لقيام الحجة
بتحريم الله متعة النساء على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم فريضة يعني لازمة وواجبة ولا جناح
عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة اختلفوا فيه فمن حمل ما قبله على نكاح المتعة قال
اراد انهما اذا عقدا عقدا الى اجل على مال فاذا تم الاجل فان شاءت المراة زادت
في الاجل وزاد الرجل في الاجر وان لم يتراضيا فارقها وقد تقدم ان ذلك كان جائزا
ثم نسخ وحرم ومن حمل الاية على الاستمتاع بالنكاح الصحيح قال المراد بقوله ولا جناح عليكم فيما
تراضيتم به يعني من الابراء من المهر والافتداء والاعتياض وقال الزجاج معناه لا جناح
عليكم ان تهب المراة للزوج مهرها وان يهب الرجل للمراة التي لم يدخل بها نصف المهر
الذي لا يجب عليه ان الله كان عليما يعني بما يصلحكم ايها الناس في مناكحكم وغيرها
من ساير اموركم حكيما يعني فيما دبر لكم من التدبير وفيما يامركم به او ينهاكم عنه ولا يدخل
حكمه خلل ولا ذلل فصل في قدر الصداق وما يستحب منه اعلم انه لا تقدير لاكثر الصداق
لقوله واتيتم احداهن قنطارا فلا تاخذوا منه شيئا والمستحب ان لا يغالى فيه قال
عمر بن الخطاب رضي الله عنه الا لا تغلوا في صدقة النساء فانها لو كانت مكرمة في الدنيا وتقوى
عند الله لكان اولاكم بها نبي الله صلى الله عليه وسلم ما علمت رسول الله صلى الله عليه وسلم
نكح شيئا من نسائه ولا انكح شيئا من بناته على اكثر من اثنتي عشرة اوقية اخرجه الترمذي

ولابي داود نحوه م عن ابي سلمة قال سالت عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم كان صداق رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت كان صداقه لازواجه ثنتي عشرة اوقية ونش قالت اتدري ما النش قلت لا قالت نصف اوقية فذلك خمسمائة درهم واختلف العلما في اقل الصداق فذهب جماعة الى انه لا تقدير لاقله بل كل ما جاز ان يكون مبيعا او ثمنا جاز ان يكون صداقا وهو ربيعة وسفيان الثوري والشافعي واحمد واسحاق وقال قوم يتقدر الصداق بنصاب السرقة وهو قول مالك وابي حنيفة غير ان النصاب السرقة عند مالك ثلاث دراهم وعند ابي حنيفة عشرة دراهم والدليل على ان الصداق لا يتقدر ما روي عن سهل بن الساعدي قال جات امراة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله قد وهبت نفسي لك فنظر اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فصعد النظر اليها وصوبه ثم طاطا رسول الله صلى الله عليه وسلم راسه فلما رات المراة انه لم يقض فيها شيا جلست فقام رجل من اصحابه فقال يا رسول الله ان لم يكن لك بها حاجة فزوجنيها فقال هل عندك من شي قال لا والله يا رسول الله فقال اذهب الى اهلك فانظر هل تجد شيا فذهب ثم رجع فقال لا والله ما وجدت شيا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انظر ولو خاتما من حديد فذهب ثم رجع فقال لا والله يا رسول الله ولو خاتما من حديد ولكن ازاري هذا قال سهل ما له ردا فلها نصفه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تصنع بازارك ان لبسته لم يكن عليها منه شي وان لبسته لم يكن عليك منه شي فجلس الرجل حتى اذا طال مجلسه قام فراه النبي صلى الله عليه وسلم موليا فامر به فدعي فلما جا قال ما معك من القران قال معي سورة كذا وسورة كذا لعددها قال تقراهن عن ظهر قلبك قال نعم قال اذهب فقد ملكتكها بما معك من القران اخرجاه في الصحيحين وهذا لفظ الحميدي ففي هذا الحديث دليل على انه لا تقدير لاقل الصداق لانه قال التمس شيا فهذا يدل على ان جواز اي شي كان من المال ثم قال ولو خاتما من حديد ولا قيمة له الا القليل التافه وفيه دليل على انه يجوز ان يجعل تعليم القران صداقا وهو قول الشافعي ومنعه اصحاب الراي عن جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اعطى في صداق امراة ملا كفيه سويقا او تمرا فقد استحل وجه ابو داود عن عبد الله بن عامر عن ابيه ان امراة من بني فزارة تزوجت على نعلين فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ارضيت من نفسك ومالك بنعلين قالت نعم فاجازه اخرجه الترمذي وقال عمر بن الخطاب ثلاث قبضات من زبيب مهر قوله عز وجل ومن لم يستطع منكم طولا يعني فضلا وسعة وانما سمي الغنى طولا لانه لا ينال به المراد ما لا ينال مع الفقر والطول هنا كناية عما يصرف الى المهر والنفقة ان ينكح المحصنات يعني الحراير المومنات فمن ما ملكت ايمانكم يعني جارية اخيك المومن فان الانسان لا يجوز له ان يتزوج بجارية نفسه من فتياتكم المومنات المعنى من لم يقدر على مهر الحرة المومنة فليتزوج الامة المومنة والفتيات الجواري المملوكات جمع فتاة يقال للامة فتاة وللعبد فتى ففي الاية دليل على انه لا يجوز للحر نكاح الامة الا بشرطين احدهما ان لا يجد مهر حرة لانه جرت العادة في الاما

بتخفيف مهورهن ونفقتهن وسبب ذلك اشتغالهن بخدمة ساداتهن الشرط الثاني هو خوف العنت على نفسه وهو قوله ذلك لمن خشي العنت منكم قال ابن عباس وسعيد بن جبير وطاوس ومسروق ومكحول وعمرو بن دينار والية ذهب مالك والشافعي واحمد وروي عن علي والحسن البصري وابن المسيب ومجاهد والزهري انه يجوز للحر ان ينكح الامة وان كان موسرا وهو مذهب ابي حنيفة الا ان يكون في نكاحه حرة والسبب في منع الحر من نكاح الامة الا عند خوف العنت ان الولد يتبع الام في الرق والحرية فاذا كانت الام رقيقة كان الولد رقيقا وذلك نقص في حق الحر وفي حق ولده ولان حق السيد اعظم من حق الزوج فربما احتاج الزوج اليها فلا يجد اليها سبيلا لان السيد يحبسها لخدمته ولان مهرها ملك السيد فلا تقدر على هبته من زوجها ولا ان تبريه بخلاف الحرة فلهذا السبب منع الله من نكاح الامة الا على سبيل الرخصة والاضطرار ويجوز للعبد نكاح الامة وان كان في نكاحه حرة عند ابي حنيفة لا يجوز له اذا كان تحته حرة كما يقول في الحر وفي الاية دليل انه لا يجوز للمسلم حرا كان او عبدا نكاح الامة الكتابية لقوله تعالى من فتياتكم المومنات يفيد جواز نكاح الامة المومنة دون الكتابية لان فيها فرعين من النقص وهما الرق والكفر بخلاف الامة لان فيها نقص واحد وهو الرق وهذا قول مجاهد والحسن واليه ذهب مالك والشافعي وقال ابو حنيفة يجوز التزويج بالامة الكتابية وبالاتفاق يجوز وطي الامة الكتابية بملك اليمين قوله تعالى والله اعلم بايمانكم قال الزجاج اي اعملوا على الظاهر في الايمان فانكم متعبدون بما ظهر والله يتولى السراير والحقايق وقيل معناه لا تتعرضوا للباطن في الايمان وخذوا بالظاهر فان الله اعلم بايمانكم بعضكم من بعض يعني ان كلكم من نفس واحدة فلا تستنكفوا من نكاح الاما عند الضرورة وانما قيل لهم ذلك لان العرب كانت تفتخر بالانساب والاحساب ويسمون ابن الامة الهجين فاعلم الله تعالى ان ذلك امر لا يلتفت اليه فلا يتداخلنكم شموخ ونخوة من التزويج بالاما فانكم متساوون بالنسب الى ادم وقيل معناه ان دينكم واحد وهو الايمان وانتم مشتركون فيه فمتى وقع لاحدكم الضرورة جاز له ان يتزوج بالامة عند خوف العنت وقال ابن عباس يريد ان المومنين بعضهم اكفا بعض فانكحوهن باذن اهلهن يعني اخطبوا الاما الى ساداتهن واتفق العلما على ان نكاح الامة بغير اذن سيدها باطل لان الله تعالى جعل اذن السيد في جواز نكاح الامة واتوهن اجورهن يعني مهورهن بالمعروف يعني من غير مطل ولا اضرار وقيل معناه واتوهن مهورهن امثالهن واجمعوا على ان المهر للسيد لانه ملكه وانما اضيف ايتا المهر الى الاما لانه ثمن بضعهن محصنات يعني عفايف غير مسافحات يعني غير زانيات ولا متخذات اخدان جمع خدن وهو الصاحب الذي يكون معك في كل امر ظاهر وباطن واكثر ما يستعمل فيمن يصاحب بشهوة يقال خدن المراة

ذلك صح

وخدنيها يعني حبيبها الذي يزني بها سرا قال الحسن المسافحة هي التي لكل من دعاها تبعته وذوات
اخدان هي التي تختص بواحد ولا تزني مع غيره وكانت العرب في الجاهلية تحرم الاولى
وتجوز الثانية فلما كان هذا الفرق معتبرا عندهم لاجرم ان الله افرد كل واحد من هذين
القسمين بالذكر ونص على تحريمهما معا فاذا احصن قرئ بفتح الالف والصاد ومعناه
حفظن فروجهن وقيل معناه اسلمن وقرئ احصن بضم الالف وكسر الصاد ومعناه
زوجن فان اتين بفاحشة يعني زنا فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب يعني
فعلى الاماء اللاتي زنين نصف ما على الحرائر الابكار اذا زنين من الجلد فيجلد العبد للزنا
اذا زنا خمسين جلدة ولا فرق بين المملوك المتزوج وغير المتزوج فانه يجلد خمسين ولا رجم
عليه هذا قول اكثر العلماء ويروى عن ابن عباس وبه قال طاوس انه لا حد على من لم
تتزوج من المماليك لان الله تعالى قال فاذا احصن والذي لم تتزوج ليس بمحصن واجيب
عنه بان معنى الاحصان هنا عند الاكثر الاسلام وان كان المراد منه التزويج فليس المراد
منه ان التزويج شرط لوجوب الحد عليه بل المراد منه التنبيه على ان المملوك وان كان
محصنا فلا رجم عليه انما حده الجلد بخلاف الحر فحد الامة ثابت بهذه الاية وبيان انه الجلد
لا الرجم ثابت بالحديث وهو ما روي عن ابي هريرة قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول اذا زنت امة احدكم فتبين زناها فليجلدها الحد ولا يثرب
عليها ثم ان زنت الثالثة فتبين زناها فليبعها ولو بحبل من شعر اخرجاه في الصحيحين
قوله ولا يثرب عليها لا يعيرها والتثريب كالتانيب والتعيير والاستقصاء في اللوم
قال الشيخ محي الدين النواوي وهذا البيع المامور به في الحديث مستحب وليس بواجب
عندنا وعند الجمهور وقال داود واهل الظاهر وعند الجمهور وقال داود واهل الظاهر
هو واجب وفيه جواز بيع الشيء الثمين بالثمن الحقير وهذا البيع المامور به يلزم صاحبه
ان يبين حالها للمشتري فانه عيب والاخبار بالعيب واجب فان قلت كيف يكره
شيئا ويرتضيه لاخيه المسلم فالجواب لعلها تستعف عند المشتري بان يعفها بنفسه
او يصونها بهيبته او بالاحسان اليها او يزوجها او غير ذلك والله اعلم ذلك اشارة
الى نكاح الامة لمن خشي العنت منكم يعني الزنا والمعنى ذلك لمن خاف ان تحمله
شدة الشبق والغلمة وشدة الشهوة على الزنا وانما سمي الزنا بالعنت لما يعقبه
من المشقة وهي شدة العقوبة فاباح الله تعالى نكاح الامة بثلاث شرائط عدم
القدرة على نكاح الحرة وخوف العنت وكون الامة مومنة وان تصبروا يعني
عن نكاح الاماء متعففين خير لكم يعني كي لا يكون الولد عبدا رقيقا والله غفور
رحيم وهذا كالتوكيد لما تقدم يعني انه تعالى غفر لكم ورحمكم حيث اباح لكم
ما انتم محتاجون اليه قوله تعالى يريد الله ليبين لكم اللام في قوله ليبين لكم معناه
ان يبين وقيل معناه يبين انزال هذه الايات من اجل ان يبين لكم دينكم

ولوضح لكم

ولوضح لكم شرعكم ومصالح اموركم وقيل يبين لكم ما يقربكم منه وقيل يبين ان الصبر عن نكاح
الاماء خير لكم ويهديكم اي ويرشدكم سنن الذين من قبلكم اي شرائع من قبلكم في تحريم
الامهات والبنات والاخوات فانها كانت محرمة على من قبلكم وقيل معناه يرشدكم الى ما لكم
فيه مصلحة كما بينه لمن كان قبلكم وقيل معناه ويهديكم الى الملة الحنيفية وهي ملة ابراهيم
عليه السلام ويتوب عليكم يعني ويتجاوز عن ما اصبتم قبل ان يبين لكم ويرجع بكم من المعصية
التي كنتم عليها الى طاعته وقيل لما بين لنا امر الشرائع والمصالح وارشدنا الى طاعته وما وقع
منا تقصير وتفريط فيما امر به وبينه فلا جرم انه تعالى قال ويتوب عليكم والله عليم يعني بمصالح
عباده في امر دينهم ودنياهم حكيم يعني فيما دبره من امورهم والله يريد ان يتوب عليكم
قال ابن عباس معناه يريد ان يخرجكم من كل ما يكره الى ما يحب ويرضى وقيل معناه يدلكم
على ما يكون سببا لتوبتكم التي يغفر لكم بها ما سلف من ذنوبكم وقيل معناه ان وقع منكم
تقصير في دينه فيتوب عليكم ويغفر لكم ويريد الذين يتبعون الشهوات قيل هم اليهود
والنصارى وقيل هم اليهود خاصة لانهم يقولون ان نكاح بنت الاخت من الاب حلال
وقيل هم المجوس لانهم يستحلون نكاح الاخوات وبنات الاخوة فلما حرمهن الله قالوا انكم
تحلون بنت الخالة وبنت العمة والخالة والعمة عليكم حرام فانكحوا بنات الاخ والاخت
فنزلت هذه الاية وقيل هم الزناة يريدون ان تكونوا مثلهم ان تميلوا عن الحق وقصد
السبيل بالمعصية ميلا عظيما يعني باتيانكم ما حرم الله عليكم يريد الله ان يخفف عنكم يعني بالتسهيل
عليكم احكام الشرائع فهو عام في كل احكام الشرع وجميع ما يسره لنا وسهله علينا احسانا منه الينا
وتفضلا ولطفا علينا ولم يثقل التكاليف علينا كما ثقلها على بني اسرائيل فهو كقوله تعالى
يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وقوله وما جعل عليكم في الدين من حرج كما روي عن
النبي صلى الله عليه وسلم انه قال بعثت بالحنيفية السهلة السمحة وقوله تعالى وخلق الانسان
ضعيفا يعني في قلة الصبر عن النساء فلا صبر له عنهن وقيل انه لضعفه يستميله هواه
فهو ضعيف في اصل الخلقة لانه خلق من ماء مهين قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا
لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل يعني بالحرام الذي لا يحل في الشرع كالربا والقمار والغصب
والسرقة والخيانة وشهادة الزور واخذ المال باليمين الكاذبة ونحو ذلك وانما خص
الاكل بالذكر ونهى عنه تنبيها على غيره من جميع التصرفات الواقعة على وجه الباطل
لان معظم المقصود من الاموال الاكل وقيل يدخل فيه اكل مال نفسه بالباطل
ومال غيره اما اكل ماله بالباطل فهو انفاقه بالمعاصي واما اكل مال غيره فقد تقدم معناه
وقيل يدخل في اكل المال بالباطل جميع العقود الفاسدة وقوله تعالى الا ان تكون تجارة
عن تراض منكم هذا استثناء منقطع لان التجارة عن تراض ليست من جنس اكل المال بالباطل
فكان الا هنا بمعنى لكن يحل اكله بالتجارة عن تراض يعني بطيب نفس كل واحد
منكم وقيل ان يخير كل واحد من المتبايعين صاحبه بعد البيع فيلزم والا فلها

الخيار ما لم يتفرقا لما روى عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا تبايع الرجلان
فكل واحد منهما بالخيار ما لم يتفرقا وكانا جميعا او يخير احدهما الاخر فان خير احدهما الاخر
فتبايعا على ذلك فقد وجب البيع وان تفرقا بعد ان تبايعا ولم يترك واحد منهما
البيع فقد وجب البيع اخرجاه في الصحيحين وقوله تعالى ولا تقتلوا انفسكم اى لا يقتل بعضكم
بعضا وانما قال انفسكم لانهم اهل دين واحد فهم كنفس واحدة وصح عن النبى صلى الله عليه وسلم
انه قال في حجة الوداع لا ترجعوا بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض وقيل هذا
نهى للانسان عن قتل نفسه ق عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من
تردى من جبل فقتل نفسه فهو في نار جهنم يتردى فيها خالدا مخلدا فيها ابدا ومن
تحسى سما فقتل نفسه فسمه في يده يتحساه في نار جهنم خالدا مخلدا فيها ابدا ومن قتل
نفسه بحديدة فحديدته في يده يتوجأ بها في بطنه في نار جهنم خالدا مخلدا فيها ابدا
قوله يتردى التردى هو الوقوع من موضع عال الى اسفل قوله يتوجأ يقال وجأته
بالسكين اذا ضربته بها وهو يتوجأ بها اى يضرب بها نفسه ق عن جندب عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان برجل جراح فقتل نفسه فقال الله تبارك وتعالى
بدرنى عبدى بنفسه حرمت عليه الجنة وفي رواية قال كان فيمن كان قبلكم رجل به
جرح فجزع فاخذ سكينا فحز بها يده فما رقأ الدم حتى مات فقال الله تعالى بادرنى عبدى
بنفسه حرمت عليه الجنة وقيل في معنى قتل الانسان نفسه اى لا تفعل شيئا يستحق به
القتل مثل ان يقتل فيقتل به فيكون هو الذى تسبب في قتل نفسه وقيل معناه ولا تقتلوا
انفسكم باكل المال بالباطل وقيل معناه ولا تهلكوا انفسكم بان تعملوا عملا ربما ادى
الى قتلها ان الله كان بكم رحيما يعنى انه تعالى من رحمته بكم نهاكم عن كل شيء تستوجبون
به مشقة او محنة وقيل انه تعالى امر بنى اسرائيل بقتل انفسهم فيكون ذلك توبة لهم
وكان بامة محمد رحيما حيث لم يكلفكم تلك التكاليف المشقة الصعبة ومن يفعل
ذلك يعنى ما سبق ذكره من قتل النفس المحرمة لان الضمير يعود الى اقرب المذكورات
وقيل انه يعود الى قتل النفس واكل المال بالباطل لانهما مذكوران في اية واحدة
وقيل انه يعود الى كل ما نهى الله عنه من اول السورة الى هنا عدوانا وظلما يعنى
تجاوز الحد فيضع الشيء في غير موضعه فلذلك قيده بالعدوان والظلم لانه قد يكون
القتل بحق وهو القصاص وكذلك قد يكون اخذ المال بحق فلهذا السبب قيده بالوعيد
بما كان على وجه العدوان والظلم وهو قوله تعالى فسوف نصليه نارا اى ندخله
في الاخرة نارا يصلى فيها وكان ذلك على الله يسيرا اى هينا لانه تعالى قادر على
ما يريد قوله تعالى ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه اجتناب الشيء المباعدة عنه وتركه
جانبا والكبيرة ما كبر وعظم من الذنوب وعظمت عقوبته وقيل ذكر التفسير نذكر
الاحاديث الواردة في الكبائر فمن ذلك عن ابى بكرة قال كنا عند رسول الله

صلى الله عليه وسلم فقال الا انبئكم باكبر الكبائر ثلاثا قلنا بلى يا رسول الله قال الاشراك
بالله وعقوق الوالدين الا وشهادة الزور وقول الزور وكان متكئا فجلس فما زال
يكررها حتى قلنا ليته سكت اخرجاه في الصحيحين ق عن انس بن مالك قال ذكر رسول
الله صلى الله عليه وسلم الكبائر فقال الشرك بالله وعقوق الوالدين وقتل النفس وقال
الا انبئكم باكبر الكبائر قول الزور او قال شهادة الزور ق عن ابى هريرة ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال اجتنبوا السبع الموبقات قيل يا رسول الله وما هن فقال الشرك بالله
والسحر وقتل النفس التى حرم الله الا بالحق واكل مال اليتيم والربا والتولى يوم الزحف
وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات ق عن ابن مسعود قال سالت رسول الله صلى الله
عليه وسلم اى الذنب اعظم عند الله قال ان تجعل لله ندا وهو خلقك قلت ان ذلك
لعظيم ثم اى قال ان تقتل ولدك مخافة ان يطعم معك قلت ثم اى قال ان تزانى
حليلة جارك خ عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان النبى صلى الله عليه وسلم قال الكبائر
الاشراك بالله وعقوق الوالدين وقتل النفس واليمين الغموس وفي رواية ان
اعرابيا جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ما الكبائر قال الاشراك بالله
ثم ماذا قال اليمين الغموس قلت وما اليمين الغموس قال الذى يقتطع مال امرئ
مسلم بيمين هو فيها كاذب ق عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان من الكبائر
شتم الرجل والديه قالوا وهل يشتم الرجل والديه قال نعم يسب الرجل ابا الرجل وامه
فيسب اباه وامه وفي رواية من اكبر الكبائر ان يلعن الرجل والديه وذكر الحديث
وقال عبد الله بن مسعود اكبر الكبائر الاشراك بالله والامن من مكر الله والقنوط
من رحمة الله واليأس من رحمة الله وعن سعيد بن جبير ان رجلا سال ابن عباس
عن الكبائر اسبع هى قال هى الى السبع مائة اقرب وفي رواية الى السبعين اقرب الا
انه لا كبيرة مع استغفار ولا صغيرة مع اصرار وقال كل شيء عصى الله به فهو كبيرة فمن عمل
شيئا منها فليستغفر الله فان الله لا يخلد في النار من هذه الامة الا من كان عن
الاسلام او جاحدا فريضة او راجعا مكذبا بقدر وقال على بن ابى طالب كل ذنب
ختمه الله بنار او غضب او لعنة او عذاب فهو كبيرة وقال سفيان الثورى الكبائر
ما كان فيه المظالم فيما بينك وبين العباد والصغائر ما كان بينك وبين الله تعالى
لان الله تعالى كريم يغفر ويعفو واحتج لذلك بما روى عن انس بن مالك قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ينادى مناد من بطنان العرش يوم القيامة يا امة محمد ان الله
قد عفى عنكم جميعا المؤمنين والمؤمنات تواهبوا المظالم وادخلوا الجنة برحمتى وقال
مالك بن مغول الكبائر ذنوب اهل البدع والسيئات ذنوب اهل السنة وقيل الكبائر ذنوب
العمد والسيئات الخطا والنسيان وما اكره عليه وحديث النفس المرفوع عن هذه الامة
وقال السدى الكبائر ما نهى الله عنه من الذنوب الكبائر والسيئات مقدماتها وتوابعها

التي تقع فيها الصالح والفاسق مثل النظرة واللمسة والقبلة واشباه ذلك عن ابي
هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كتب على ابن ادم نصيبه من الزنا مدرك ذلك
لا محالة العينان زناهما النظر والاذنان زناهما الاستماع واللسان زناه الكلام واليد
زناها البطش والرجل زناها الخطا والقلب يهوى ويتمنى ويصدق ذلك الفرج
او يكذبه لفظ مسلم وقيل الكباير الشرك وما يؤدي اليه وما دونه فهو من السيات
فقد ثبت بما تقدم من الادلة ان من الذنوب كباير وصغاير والى هذا ذهب
الجمهور من السلف والخلف وثبت بدلايل الكتاب والسنة ولو انبت انقسام
المعاصي الى صغاير وكباير فقوله تعالى ان تجتنبوا كباير ما تنهون عنه وهي كل ذنب
عظم قبحه وعظمت عقوبته اما في الدنيا بالحدود واما في الاخرة بالعذاب عليه نكفر
عنكم سياتكم يعني نسترها عليكم حتى تصير بمنزلة ما لم يعمل لان اصل التكفير الستر والتغطية
فصغار الذنوب تكفر بالحسنات ولا يكفر كبارها الا بالتوبة والاقلاع عنها كما ورد
في الصحيح عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الصلوات الخمس والجمعة
الى الجمعة كفارات لما بينهن زاد في رواية ما لم يغش الكباير وزاد في رواية اخرى
ورمضان الى رمضان مكفرات لما بينهن اذا اجتنبت الكباير اخرجه مسلم وقوله تعالى
وندخلكم مدخلا كريما يعني حسنا شريفا وهو الجنة والمعنى اذا اجتنبتم الكباير واتيتم
بالطاعات ندخلكم مدخلا تكرمون فيه قوله عز وجل ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم
على بعض اصل التمني ارادة الشي وتشهي حصول ذلك الامر المرغوب فيه ومنه حديث
النفس بما يكون وربما لا يكون وقيل التمني تقدير الشي في النفس وتصوره فيها
وذلك قد يكون عن تخمين وظن وقد يكون عن روية واكثر التمني تصور ما لا
حقيقة له وقيل التمني عبارة عن ارادة ما يعلم او يظن انه لا يكون عن مجاهد عن
ام سلمة قالت قلت يا رسول الله تغزو الرجال ولا تغزو النسا وانما لنا نصف
الميراث فانزل الله ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض قال مجاهد وانزل
ان المسلمين والمسلمات وكانت ام سلمة اول ظعينة قدمت المدينة مهاجرة اخرجه
الترمذي وقال هذا حديث مرسل وقيل لما جعل الله للذكر مثل حظ الانثيين من
الميراث قالت النسا نحن احق واحوج الى الزيادة من الرجال لان ضعفا وهم
اقوى واقدر على طلب المعاش منا فانزل الله هذه الاية وقيل لما نزلت للذكر
مثل حظ الانثيين قال الرجال انا لنرجو ان نفضل على النسا في الحسنات في الاخرة
فيكون لنا اجرنا على ضعف اجر النسا كما فضلنا عليهن في الميراث وقال النسا
انا لنرجو ان يكون الوزر علينا نصف ما على الرجال كما لنا في الميراث النصف من
نصيبهم فنزلت هذه الاية والتمني على قسمين احدهما ان يتمنى الانسان ان يحصل له
مال غيره مع زوال تلك النعمة عن ذلك الغير فهذا القسم هو الحسد وهو

مذموم

مذموم لان الله تعالى يفيض النعمة على من يشا من عباده وهذا الحاسد يعترض
على الله فيما يفعل وربما اعتقد في نفسه انه احق بتلك النعمة من ذلك الانسان
فهذا اعتراض على الله ايضا وهو مذموم القسم الثاني ان يتمنى مثل ما لغيره ولا يحب
ان يزول ذلك المال عن الغير هذا هو الغبطة وهذا ليس بمذموم ومن الناس
من يمنع منه ايضا قال لان تلك النعمة ربما كانت مفسدة في حقه في الدين او
الدنيا قال الحسن لا تتمن مال فلان ولا مال فلان ولا تدري لعل هلاكك في
ذلك المال فليعلم العبد ان الله عز وجل اعلم بمصالح عباده فليرض بقضايه ولتكن
امنيته الزيادة من عمل الاخرة وليقل اللهم اعطني ما يكون صلاحا في ديني ودنياي
ومعادي وقوله تعالى للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنسا نصيب مما اكتسبن قال
ابن عباس يعني مما ترك الوالدان والاقربون من الميراث يقول للذكر مثل حظ الانثيين
وقيل هذا الاكتساب في الاجر يعني ان الرجال والنسا في الاجر في الاخرة سوا لان
الحسنة بعشر امثالها والسيئة بمثلها يستوي في ذلك الرجال والنسا وان فضل
الرجال في الدنيا على النسا وقيل للرجال نصيب مما اكتسبوا من امر الجهاد وللنسا
نصيب مما اكتسبن يعني من طاعة الازواج وحفظ الفروج واسئلوا الله من
فضله قال ابن عباس يعني من رزقه وقيل من عبادته وهو سوال التوفيق للعبادة
وقيل لم يامر الله عباده بالمسئلة الا ليعطيهم وفيه تنبيه على ان العبد لا يعين شيا
في الدعا والطلب ولكن يطلب من فضل الله ما يكون سببا لصلاح دينه ودنياه
وقيل لما تمنى النسا ان يكونوا رجالا وان يكون لهم مثل ما للرجال فنهاهم الله عن ذلك
وامرهم ان يسالوه من فضله فانه اعلم بمصالح عباده ان الله بكل شي عليما يعني
انه تعالى عليم بما يكون صلاحا للسايلين فليقتصر السايل على المجمل في الطلب فان
الله عليم بما يصلحه فلا يتمنى غير الذي قدر له قوله تعالى ولكل جعلنا من الرجال والنسا
جعلنا موالي يعني ورثة من بني عم واخوة وساير العصبات مما ترك يعني يرثون
مما ترك الوالدان والاقربون من ميراثهم فعلى هذا الوالدان والاقربون هم
الذين يرثون وقيل ان قوله موالي مما ترك يعني ممن تركهم الميت ثم فسر الموالي
فقال الوالدان والاقربون فعلى هذا الوالدان والاقربون هم الوارثون والمعنى
ولكل شخص جعلنا ورثة ممن تركهم وهم والداه واقربوه والقول الاول اصح
لانه مروي عن ابن عباس وغيره والذين عقدت ايمانكم وقري عقدت بغير
الف مع التخفيف والمعاقدة المحالفة والمعاهدة والايمان جمع يمين يحتمل
ان يراد بها القسم او اليد او هما جميعا وذلك انهم كانوا اذا تحالفوا اخذ كل
واحد منهم بيد صاحبه وتحالفوا على الوفا بالعهد والتمسك بذلك العقد
وكان الرجل يحالف الرجل في الجاهلية ويعاقده فيقول دمي دمك وهدمي

بدمك وثاري ثارك وحربي حربك وسلمي سلمك ترثني وارثك وتطلب بي و
اطلب بك وتعقل عني واعقل عنك فيكون لكل واحد من الحليفين السدس
من مال الاخر وكان هذا الحكم ثابتا في الجاهلية وابتدا الاسلام فلذلك قال تعالى فاتوهم
نصيبهم يعني اعطوهم حظهم من الميراث ثم نسخ الله هذا الحكم بقوله واولوا الارحام بعضهم
اولى ببعض في كتاب الله وقال ابن عباس نزلت هذه الاية في الذين اخا بينهم رسول
الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين والانصار لما قدموا المدينة وكانوا يتوارثون بتلك
المواخاة دون النسب والرحم فلما نزلت ولكل جعلنا موالي مما ترك نسختها ثم قال
والذين عاقدت ايمانكم من النصر والموافاة والنصيحة وقد ذهب الميراث ويوصي
له وفي رواية اخرى عنه قال والذين عاقدت ايمانكم فاتوهم نصيبهم كان الرجل يحالف
الرجل بينهما نسب فيرث احدهما الاخر فنسخ ذلك بسورة الانفال فقال واولوا الارحام
بعضهم اولى ببعض وقال سعيد بن المسيب كانوا يتوارثون بالتبني بهذه الاية ثم نسخ ذلك
وذهب قوم ان الاية ليست بمنسوخة بل حكمها باق والمراد بقوله والذين عاقدت
ايمانكم الحلفا والمراد بقوله فاتوهم نصيبهم يعني من النصرة والنصيحة والموافاة والمصافاة
ونحو ذلك فعلى هذا لا تكون منسوخة وقيل نزلت في عبد الرحمن بن ابي بكر الصديق
عن داود بن الحصين قال كنت اقرا على ام سعد بنت الربيع وكانت يتيمة في حجر
ابي بكر الصديق فقرات والذين عاقدت ايمانكم فقالت لا تقرا والذين عقدت
ايمانكم انما نزلت في ابي بكر وابنه عبد الرحمن حين ابى الاسلام فحلف ابي بكر ان لا يرث
فلما اسلم امره الله ان يورثه اخرجه ابو داود وعلى هذا فلا نسخ ايضا ممن قال ان
حكم الاية باق قال انما كانت المعاهدة في الجاهلية على النصر لا غير فالاسلام غير
ذلك ويدل عليه ما روي عن جبير بن مطعم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا
حلف في الاسلام وانما الحلف كان في الجاهلية لم يزده الاسلام الا شدة اخرجه مسلم
وقوله تعالى ان الله كان على كل شيء شهيدا قال عطا يريد انه لم يغب عنه علم
ما خلق وبرا فعلى هذا الشهيد بمعنى الشاهد والمراد منه علمه بجميع الاشيا وقيل الشهيد الشاهد
على الخلق يوم القيامة بكل ما عملوه فعلى هذا الشهيد بمعنى المخبر وفيه وعد للطائعين
ووعيد للعصاة المخالفين قوله عز وجل الرجال قوامون على النسا نزلت
في سعد بن الربيع وكان من النقبا وفي امراته حبيبة بنت زيد بن ابي زهير
وقيل امراته بنت محمد بن مسلمة وذلك انها نشزت عليه فلطمها فانطلق ابوها
معها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال افرشته كريمتي فلطمها فقال النبي صلى الله
عليه وسلم لتقتص من زوجها فانصرفت مع ابيها لتقتص منه فقال النبي صلى الله عليه وسلم
اردنا امرا واراد الله امرا والذي اراد الله خير ورفع القصاص بقوله تعالى الرجال قوامون
على النسا اي مسلطون على تاديب النسا والاخذ على ايديهن قال ابن عباس امروا

عليهن

عليهن فعلى المراة ان تطيع زوجها في طاعة الله والقوام هو القائم بالمصالح والتدبير والتاديب
فالرجل يقوم بامر المراة ويجتهد في حفظها ولما اثبت القيام للرجال على النسا بين السبب
في ذلك فقال تعالى بما فضل الله بعضهم على بعض يعني ان الله تعالى فضل الرجال بامور منها
زيادة العقل والدين والولاية والشهادة والجهاد والجمعة والجماعات وبالامامة لان منهم
الانبيا والائمة والخلفا ومنها ان الرجل يتزوج باربع نسوة ولا يجوز للمراة غير زوج
واحد ومنها زيادة النصيب في الميراث والتعصيب في الميراث وبيده الطلاق والنكاح
والرجعة واليه الانتساب فكل هذا يدل على فضل الرجال على النسا قال تعالى وبما انفقوا
من اموالهم يعني وبما اعطوا من مهور النسا والنفقة عليهن عن ابي هريرة ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال لو كنت امرا احدا ان يسجد لاحد لامرت الزوجة ان تسجد
لزوجها اخرجه الترمذي فالصالحات يعني المحسنات العاملات بالخير قانتات
اي مطيعات لازواجهن وقيل مطيعات لله ورسوله حافظات للغيب لفروجهن
في غيبة ازواجهن لئلا يلحق الزوج العار بسبب زناها ويلحق به الولد الذي هو من
غيره وقيل معناه حفظ سر زوجها وحفظ ماله وما يجب على المراة من حفظ متاع
البيت في غيبة زوجها عن ابي هريرة قال قيل يا رسول الله اي النسا خير قال التي
تسره اذا نظر اليها وتطيعه اذا امر ولا تخالفه في نفسها ولا مالها بما يكره اخرجه النسائي
ورواه البغوي بسند الثعلبي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير النسا
امراة ان نظرت اليها سرتك وان امرتها اطاعتك وان غبت عنها حفظتك في مالها
ونفسها ثم تلا الرجال قوامون على النسا الاية وقوله تعالى بما حفظ الله يعني بما
حفظهن الله حين اوصى بهن الازواج وامرهم باداء المهر والنفقة اليهن ق عن
ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم استوصوا بالنسا فان المراة خلقت من ضلع وان
اعوج ما في الضلع اعلاه فان ذهبت تقيمه كسرته وان تركته لم يزل اعوج فاستوصوا
بالنسا وقيل في معنى الاية بما حفظهن الله وعصمهن ووفقهن لحفظ الغيب وقيل
بما حفظ الله من حقوقهن على ازواجهن حيث امرهم بالعدل فيهن وامساكهن
بمعروف وتسريحهن باحسان واللاتي تخافون اي تعلمون وقيل تظنون نشوزهن
اي تعلمون واصل النشوز الارتفاع ونشوز المراة هو بغضها لزوجها ورفع نفسها
عن طاعته والتكبر عليه وقيل دلالات النشوز قد تكون بالقول والفعل فالقول
مثل ان كانت تلبيه اذا دعاها وتخضع له اذا خاطبها والفعل مثل ان كانت تقوم له
اذا دخل عليها وتسارع الى امره اذا امرها فان خالفت هذه الاحوال بان رفعت
صوتها عليه او لم تجبه اذا دعاها ولم تبادر الى امره اذا امرها ودل ذلك على نشوزها
على زوجها فعظوهن يعني اذا ظهر من امارات النشوز فعظوهن بالتخويف بالقول
وهو ان يقول لها اتقي الله وخافيه فان لي عليك حقا وارجعي عما انت عليه

واعلمي ان طاعته فرض عليك ونحو ذلك فان اصرت على ذلك هجرها في المضجع وهو قوله تعالى
واهجروهن في المضاجع يعني ان لم ينزعن عن ذلك بالقول فاهجروهن في المضاجع
عن ابن عباس هو ان يوليها ظهره في الفراش ولا يكلمها وقيل هو ان يعتزل عنها في فراش
اخر واضربوهن يعني ان لم ينزعن بالهجران فاضربوهن يعني ضربا غير مبرح ولا شائن قيل
هو ان يضربها بالسواك ونحوه وقال الشافعي الضرب مباح وتركه افضل عن عمرو بن الاحوص انه
سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع يقول بعد ان حمد الله واثنى عليه وذكر ووعظ
وذكر في الحديث قصة فقال الا فاستوصوا بالنساء خيرا فانما هن عوان عندكم ليس تملكون منهن
شيئا غير ذلك الا ان ياتين بفاحشة مبينة فان فعلن فاهجروهن في المضاجع واضربوهن
ضربا غير مبرح فان اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا اخرجه الترمذي بزيادة فيه قوله عوان
جمع عانية اي اسيرة شبه المراة ودخولها تحت حكم زوجها بالاسير والضرب المبرح الشديد
الشاق وقوله فان اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا اي لا تطلبوا عليهن طريقة تحتجون بها
عليهن اذا اطعن بواجب حقكم عن حكيم بن معوية عن ابيه قال قلت يا رسول الله ما حق
زوجة احدنا عليه قال ان تطعمها اذا طعمت وتكسوها اذا اكتسيت ولا تضرب الوجه
ولا تقبح ولا تهجر الا في البيت اخرجه ابو داود وقوله لا تقبح اي لا تقل قبحك الله ق عن عبد الله بن
ربيعة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجلد احدكم امراته جلد العبد ثم لعله يجامعها
او قال يضاجعها من اخر اليوم عن اياس بن عبد الله بن ابي ذباب قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا تضربوا النساء فجاء عمر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ذئرن النساء
على ازواجهن فرخص في ضربهن فاطاف بال رسول الله صلى الله عليه وسلم نساء كثير يشكون ازواجهن
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد طاف بال محمد نساء كثير يشكون ازواجهن ليس اولئك
بخياركم اخرجه ابو داود واياس بن عبد الله هذا قد اختلف في صحبته وقال البخاري لا تعرف
له صحبة قوله ذئرن يقال ذئرت المراة على زوجها اذا نشزت واجترات عليه واطاف
بالشيء اذا احاط به ففي هذه الاحاديث دليل على ان الاولى ترك الضرب للنساء فان احتاج
الى ضربها للتاديب فلا يضربها ضربا شديدا وليكن ذلك مفرقا ولا يوالي بالضرب على موضع
واحد من بدنها وليتق الوجه لانه مجمع المحاسن ولا يبلغ بالضرب عشرة اسواط وقيل
ينبغي ان يكون بالمنديل واليد ولا يضرب بالسوط والعصا وبالجملة فالتخفيف بابلغ شيء
اولى في هذا الباب واختلف العلماء فقال بعضهم حكم الاية مشروع على الترتيب فان ظاهر
اللفظ وان دل على الجمع الا ان مجرى الاية يدل على الترتيب قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه
يعظها بلسانه فان انتهت فلا سبيل له عليها فان ابت هجر مضجعها فان ابت ضربها
فان لم تتعظ بالضرب بعث الحكم وقال اخرون هذا الترتيب يراعى عند خوف النشوز
اما عند تحقق النشوز فلا باس بالجمع بين الكل وقيل ان له ان يعظها عند خوف النشوز
وهل له ان يهجرها فيه احتمال وله عند ظهور النشوز ان يعظها وان يهجرها ويضربها

عن عمر

عن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يسال الرجل فيم ضرب امراته اخرجه ابو داود ق
عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دعا الرجل امراته الى فراشه فابت
ان تجيء فبات غضبان عليها لعنتها الملائكة حتى تصبح وفي رواية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال والذي نفسي بيده ما من رجل يدعو امراته الى فراشه فتابى عليه الا كان الذي في
السماء ساخطا حتى يرضى عنها وفي رواية اذا باتت مهاجرة فراش زوجها لعنتها الملائكة
حتى تصبح وفي اخرى حتى ترجع عن طلق بن علي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال اذا دعا الرجل امراته لحاجته فلتاته وان كانت على التنور اخرجه الترمذي وله
عن معاذ بن جبل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تؤذي امراة زوجها في
الدنيا الا قالت زوجته من الحور العين لا تؤذيه قاتلك الله فانما هو دخيل عندك
يوشك ان يفارقك الينا وله عن ام سلمة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ايما امراة ماتت وزوجها راض عنها دخلت الجنة وقوله تعالى فان اطعنكم يعني فان
رجعن عن النشوز الى طاعتكم عند هذا التاديب فلا تبغوا عليهن سبيلا يعني
فلا تطلبوا عليهن الضرب والهجران على سبيل التعنت والايذاء وقيل معناه ازيلوا
عنهن التعرض بالاذى والتوبيخ ولا تجنوا عليهن الذنوب وقيل معناه لا تكلفوهن
محبتكم فان القلب ليس بايديهن ان الله كان عليا كبيرا العلي في صفة الله تعالى معناه
هو الرفيع الذي يعلو عن وصف الواصفين ومعرفة العارفين العلي بالاطلاق
الذي يستحق جميع صفات المدح والكبير هو المستغني عن غيره وذلك هو الله تعالى الموصوف
بالجلال والعظمة والكبرياء وكبر الشان الذي يصغر كل احد لكبريائه وعظمته والمعنى ان الله تعالى
متعاليا من ان يكلف عباده ما لا يطيقونه وقيل ان النساء وان ضعفن عن دفع
ظلم الرجال عنهن فان الله علي كبير قادر على ان ينتصف لهن ممن ظلمهن من الرجال
وقيل معناه ان الله مع علوه وكبريائه يقبل توبة العاصي اذا تاب ويغفر له اذا تابت
المراة من نشوزها فالاولى لكم ان تقبلوا توبتها وتتركوا معاتبتها واعلموا ان قدرته
عليكم اعظم من قدرتكم على من تحت ايديكم فانتم احق بالعفو عمن جنى عليكم قوله
تعالى وان خفتم يعني وان علمتم وتيقنتم وقيل معناه الظن اي ظننتم شقاق بينهما يعني
بين الزوجين واصل الشقاق المخالفة وكون كل واحد من المتخالفين في شق غير شق
صاحبه او يكون اصله من شق العصا وهو ان يقول كل واحد من الزوجين ما يشق
على صاحبه سماعه وذلك انه اذا ظهر بين الزوجين شقاق ومخالفة واشتبه حالهما
ولم يفعل الزوج الصلح ولا الصفح ولا الفرقة وكذا الزوجة لا تؤدي الحق ولا الفدية
وخرجا الى ما لا يحل قولا وفعلا وقوله تعالى فابعثوا حكما من اهله وحكما من اهلها اختلفوا
في المخاطبين بهذا ومن المامور ببعثة الحكمين فقيل المخاطب بذلك هو الامام او نائبه
لان تنفيذ الاحكام الشرعية اليه وقيل المخاطب بذلك كل احد من صالحي الامة

لان قوله فابعثوا خطاب للجمع وليس حمله على البعض اولى من حمله على البقية فوجب
على الكل فعلى هذا يجب ان يكون امر الاحاد الامة سواء وجد الامام او لم يوجد فللصالحين
ان يبعثوا حكما من اهله وحكما من اهلها وايضا فهذا يجري مجرى دفع الضرر فلكل احد
ان يقوم به وقيل هو خطاب للزوجين فاذا حصل بينهما شقاق بعثا حكمين حكما
من اهله وحكما من اهلها ان يريدا اصلاحا يعني الحكمين وقيل الزوجين يوفق الله بينهما
يعني بالصلاح والالفة روى الشافعي بسنده عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه انه جاءه
رجل وامرأة مع كل واحد منهما فئام من الناس فقال علي ما شان هذين قالوا وقع
بينهما شقاق قال علي فابعثوا حكما من اهله وحكما من اهلها ثم قال للحكمين تدريان
ما عليكما ان رايتما ان تجمعا جمعتما وان رايتما ان تفرقا فرقتما فقالت المرأة رضيت بكتاب
الله بما علي فيه ولي وقال الرجل اما الفرقة فلا فقال علي كذبت والله حتى تقر بمثل ما اقرت به
قال الشافعي والمستحب ان يبعث الحاكم عدلين ويجعلهما حكمين والاولى ان يكون واحد من اهله
وواحد من اهلها لانه اعرف بحالهما من الاجانب واشد طلبا للاصلاح فان كانا
اجنبيين جاز وفائدة الحكمين ان يخلو كل واحد منهما بصاحبه ويستكشف حقيقة الحال ليعرف
ان رغبته في الاقامة على النكاح او في المفارقة ثم يجتمعان فيفعلان ما فيه الصواب من ايقاع طلاق
او خلع والحكمان وكيلان للزوجين وقيل يجوز لهما تنفيذ امر يلزم الزوجين دون رضاهما واذنهما في
ذلك ومثل ان يطلق حكم الرجل او يفتدي حكم المرأة بشيء من مالها فللشافعي في ذلك قولان
احدهما انه لا يجوز الا برضاهما وليس لحكم الزوج ان يطلق الا باذنه ولا لحكم المرأة ان تختلع
بشيء من مالها الا باذنها وهو مذهب ابي حنيفة واحمد لان عليا توقف حين لم يرض
الزوج وذلك حين قال اما الفرقة فلا فقال له علي كذبت حتى تقر بمثل ما اقرت به فثبت
ان تنفيذ الامر موقوف على اقراره ورضاه ومعنى قول علي للزوج كذبت اي لست بمنصف
في دعواك حيث لم تفعل مثل ما فعلت من الرضا بحكم كتاب الله لها وعليها والقول الثاني
انه يجوز بعث الحكمين دون رضاهما ويجوز لحكم الزوج ان يطلق دون رضاه ولحكم المرأة
ان تختلع دون رضاها اذا رايا الصلاح في ذلك كالحاكم يحكم بين الخصمين وان لم يكن على
وفق مرادهما وبه قال مالك ومن قال بهذا القول قال ليس المراد من قول علي للزوج حتى
تقر ان رضاه شرط بل معناه ان المرأة لما رضيت بما في كتاب الله فقال الرجل اما
الفرقة فلا يعني ليست الفرقة في كتاب الله فقال له علي كذبت حيث انكرت ان تكون
الفرقة في كتاب الله بل هي في كتاب الله فان قوله يوفق الله بينهما يشتمل على الفراق
وعلى غيره لان التوفيق ان يخرج كل واحد منهما من الاثم والوزر ويكون تارة بالفراق
وتارة باصلاح حالهما في الوصلة وقوله تعالى ان الله كان عليما خبيرا يعني انه تعالى يعلم كيف
يوفق بين المختلفين ويجمع بين المتفرقين وفيه وعيد شديد للزوجين والحكمين
ان سلكوا غير طريق الحق قوله عز وجل واعبدوا الله يعني وحدوه واطيعوه وعبادة

الله تعالى

الله تعالى عبارة عن كل فعل ياتي به العبد لمجرد الله تعالى ويدخل فيه جميع افعال القلوب
واعمال الجوارح ولا تشركوا به شيئا يعني واخلصوا له في العبادة ولا تجعلوا له في الربوبية
والعبادة شريكا لان من عبد مع الله غيره فقد اشرك به ولا يكون مخلصا عن معاذ
ابن جبل قال كنت ردف رسول الله صلى الله عليه وسلم على حمار يقال له عفير قال يا معاذ
هل تدري ما حق الله على عباده وما حق العباد على الله قلت الله ورسوله اعلم قال
فان حق الله على العباد ان يعبدوه ولا يشركوا به شيئا وحق العباد على الله ان لا يعذب
من لا يشرك به شيئا فقلت يا رسول الله افلا ابشر الناس قال لا تبشرهم فيتكلوا قوله
هل تدري ما حق الله على عباده معناه ما يستحقه مما اوجبه وجعله متحتما عليه ثم فسر
ذلك الحق بقوله ان يعبدوه ولا يشركوا به شيئا وقوله وما حق العباد على الله انما
قال حقهم على سبيل المقابلة لحقه عليهم لا لانهم يستحقون عليه ويجوز ان يكون
من قول الرجل لصاحبه حقك علي واجب اي متاكد قيامي به وقوله افلا ابشر الناس
الى اخره فيتكلوا الا انه صلى الله عليه وسلم راى ذلك اصلح لهم واحرى ان لا يتكلوا على هذه
البشارة ويتركوا العمل الذي يرفع لهم به الدرجات في الجنة وقوله تعالى وبالوالدين احسانا
تقديره واحسنوا بالوالدين احسانا يعني برا بهما وانما قرن بر الوالدين بعبادته وتوحيده
لتاكيد حقهما على الولد واعلم ان الاحسان الى الوالدين هو ان يقوم بخدمتهما ولا يرفع
صوته عليهما ويسعى في تحصيل مرادهما والانفاق عليهما بقدر القدرة (ق) عن ابي هريرة قال
جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله من احق الناس بحسن صحابتي قال
امك قال ثم من قال ثم امك قال ثم من قال ثم امك قال ثم من قال ثم ابوك وفي رواية قال
امك ثم امك ثم امك ثم اباك ثم ادناك فادناك قوله ثم اباك فيه حذف تقديره ثم بر اباك (م) عنه
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول رغم انفه رغم انفه رغم انفه قيل من يا رسول
الله قال من ادرك والديه عند الكبر او احدهما ثم لم يدخل الجنة وقوله تعالى وبذي القربى واحسنوا
الى ذي القرابة وهم ذوو رحمه من قبل ابيه وامه (ق) عن انس بن مالك قال سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول من سره ان يبسط له في رزقه وينسا له في اثره فليصل رحمه يعني
ينسا له في اثره يؤخر له في اجله وعمره وقوله تعالى واليتامى والمساكين اي واحسنوا الى اليتامى
انما امر بالاحسان اليهم لان اليتيم مخصوص بنوعين من العجز الصغر وعدم المشفق والمسكين
هو الذي ركبه ذل الفاقة والفقر فتمسكن لذلك (خ) عن سهل بن سعد قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم انا وكافل اليتيم في الجنة هكذا واشار بالسبابة والوسطى وفرج بينهما
شيئا وعن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الساعي على الارملة والمسكين كالمجاهد
في سبيل الله واحسبه قال وكالقائم الذي لا يفتر وكالصائم لا يفطر قوله تعالى والجار ذي
القربى والجار الجنب اي واحسنوا الى الجار ذي القربى وهو الذي قرب جواره منك والجار
الجنب هو الذي بعد جواره عنك وقيل الجار ذي القربى هو القريب والجار الجنب

هو الجنب الذي ليس بينك وبينه قرابة ق عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت انه سيورثه وعن عائشة مثله خ عن عائشة قالت
قلت يا رسول الله ان لي جارين فالى ايهما اهدي قال اقربهما بابا منك م عن ابي ذر قال
جيرانك وفي رواية قال اوصاني خليلي صلى الله عليه وسلم قال اذا طبخت مرقا فاكثر ماءه
ثم انظر الى اهل بيت من جيرانك فاصبهم منها بمعروف ق عن ابي هريرة ان النبي صلى
الله عليه وسلم قال والله لا يؤمن والله لا يؤمن والله لا يؤمن قيل من يا رسول الله قال الذي
لا يامن جاره بوائقه ولمسلم لا يدخل الجنة من لا يامن جاره بوائقه البوائق الغوائل والشرور
عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا نساء المؤمنات لا تحقرن جارة لجارتها ولو فرسن
شاة وهو الظلف واراد به الشيء الحقير ق عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من كان
يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا او ليسكت
وقوله تعالى والصاحب بالجنب قال ابن عباس هو الرفيق في السفر وقيل هي المرأة تكون معك
الى جنبك وقيل هو الذي يصحبك رجاء نفعك عن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم خير الاصحاب عند الله تعالى خيرهم لصاحبه وخير الجيران عند الله تعالى خيرهم لجاره
اخرجه الترمذي وقال حديث حسن وقوله تعالى وابن السبيل يعني المسافر المجتاز بك الذي قد انقطع
به قال الاكثرون المراد بابن السبيل الضيف يمر بك فتكرمه وتحسن اليه ق عن ابي شريح خويلد
بن عمرو العدوي قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من كان يؤمن بالله
واليوم الآخر فليكرم ضيفه جائزته قالوا وما جائزته يا رسول الله قال يومه وليلته و
الضيافة ثلاثة ايام فما كان وراء ذلك فهو صدقة عليه وقال من كان يؤمن بالله واليوم
الآخر فليقل خيرا او ليصمت زاد في رواية ولا يحل لرجل مسلم ان يقيم عند اخيه حتى يؤثمه
قالوا يا رسول الله وكيف يؤثمه قال يقيم عنده ولا شيء له يقريه قوله جائزته يومه وليلته
الجائزة العطية اي يقري الضيف ثلاثة ايام ثم يعطيه ما يجوز به من منهل الى منهل وقيل
ان يكرم الضيف فاذا سافر اعطاه ما يكفيه يومه وليلته حتى يصل الى موضع آخر وقوله ولا يقيم
عنده حتى يؤثمه اي يوقعه في الاثم لانه اذا اقام عنده ولم يقر به اثم بذلك وقوله تعالى
وما ملكت ايمانكم يعني المماليك فاحسنوا اليهم ان لا تكلفوهم ما لا يطيقون ولا يؤذوهم بالكلام
الخشن وان يعطيهم من الطعام والكسوة ما يحتاجون اليه بقدر الكفاية عن ابي بكر الصديق
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل الجنة سيء الملكة اخرجه الترمذي عن رافع بن
مكيث ان النبي صلى الله عليه وسلم قال حسن الملكة نماء وسوء الخلق شؤم اخرجه ابو داود
وله عن علي بن ابي طالب قال كان آخر كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة الصلاة اتقوا
الله فيما ملكت ايمانكم ق عن المعرور بن سويد قال رايت ابا ذر عليه حلة وعلى غلامه
مثلها فسالته عن ذلك فذكر انه ساب رجلا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فعيره
بامه فاتى الرجل النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له فقال له النبي صلى الله عليه وسلم انك

امرؤ فيك

امرؤ فيك جاهلية قلت على ساعتي هذه من كبر السن قال نعم هم اخوانكم وخولكم
جعلهم الله تحت ايديكم فمن كان اخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس
ولا تكلفوهم ما يغلبهم فان كلفتموهم فاعينوهم عليه وقوله تعالى ان الله لا يحب من كان
مختالا المختال المتكبر العظيم في نفسه الذي لا يقوم بحقوق الناس فخورا الفخور هو
الذي يفخر على الناس ويعدد مناقبه تكبرا وتطاولا على من دونه وقيل هو الذي يفخر
على عباد الله بما اعطاه الله من نعمه ولا يشكره عليها وانما ختم الله هذه الآية بهذين
الوصفين المذمومين لان المختال والفخور يانف من اقاربه الفقراء ومن جيرانه الضعفاء
فلا يحسن اليهم ولا يلوي بنظره عليهم ولان المختال هو المتكبر فلا يقوم بحقوق الناس
ق عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا ينظر الله يوم القيامة الى من جر ثوبه
خيلاء ق عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا ينظر الله يوم القيامة
الى من جر ازاره بطرا ق عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بينما رجل
يمشي في حلة تعجبه نفسه مرجل رأسه يختال في مشيته اذ خسف الله به الارض فهو
يتجلجل في الارض الى يوم القيامة خ عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال بينما رجل ممن كان قبلكم يجر ازاره من الخيلاء خسف به فهو يتجلجل في الارض الى
يوم القيامة ق عن ابي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الفخر
والخيلاء في الفدادين من اهل الوبر والسكينة في اهل الغنم الفدادون هم
الفلاحون والحراثون واصحاب الابل والبقر المستكثرون منها المتكبرون على الناس
بها قوله تعالى الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل نزلت في اليهود الذين بخلوا ببيان
صفة محمد صلى الله عليه وسلم وكتموها فعلى هذا يكون المراد بالبخل كتمان العلم وقال ابن
عباس نزلت في كردم بن زيد وحيي بن اخطب ورفاعة بن زيد بن التابوت
واسامة بن حبيب ونافع بن ابي نافع وبحري بن عمرو وكانوا يأتون رجالا من الانصار
ويخالطونهم يقولون لهم لا تنفقوا اموالكم فانا نخشى عليكم الفقر ولا تدرون ما يكون
فانزل الله هذه الآية وقيل ان ذلك يحتمل ان يكون المراد بالبخل كتمان العلم ومنع المال
لان البخل في كلام العرب منع السائل من فضل ما لديه وامساك المقتنيات وفي الشرع
البخل عبارة عن امساك الواجب ومنعه واذا كان ذلك امكن حمله على منع المال
ومنع العلم ويكتمون ما آتاهم الله من فضله يعني اليهود كتموا صفة محمد صلى الله عليه وسلم
وما عندهم من العلم وقيل هم الاغنياء الذين كتموا الغنى واظهروا الفقر وبخلوا بالمال
واعتدنا للكافرين يعني الجاحدين نعمة الله عليهم عذابا مهينا يعني في الآخرة عن
ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خصلتان لا تجتمعان في مؤمن
البخل وسوء الخلق اخرجه الترمذي وقال حديث غريب قوله عز وجل والذين ينفقون
اموالهم رئاء الناس يعني للفخر والسمعة وليقال ما اسخاهم وما اجودهم ولا يريدون

بما انفقوا وجه الله م عن ابي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
قال الله تبارك وتعالى انا اغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا اشرك معي فيه
غيري تركته وشركه نزلت هذه الاية في اليهود وقيل في المنافقين لان الرياء ضرب
من النفاق وقيل نزلت في مشركي مكة المنفقين اموالهم في عداوة رسول الله
صلى الله عليه وسلم ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر يعني ولا يصدقون بتوحيد الله
ولا بالمعاد الذي فيه جزاء الاعمال انه كاين ومن يكن الشيطان له قرينا فساء
قرينا يعني من يكن الشيطان صاحبه وخليله فبئس الصاحب وبئس الخليل
الشيطان وانما اتصل الكلام ههنا بذكر الشيطان تقريعا لهم على طاعة الشيطان
والمعنى من يكن عمله بما يسول له الشيطان فبئس العمل عمله وقيل هذا في الاخرة
يجعل الله الشياطين قرناءهم في النار يقرن مع كل كافر شيطان في سلسلة من النار
ثم وبخهم الله وعيرهم على ترك الايمان فقال وماذا عليهم يعني واي شيء عليهم واي
وبال وتبعة تلحقهم لو امنوا بالله واليوم الاخر وانفقوا مما رزقهم الله اي وبال عليهم في
الايمان بالله والانفاق في سبيله وابتغاء مرضاته وكان الله بهم عليما يعني لا يخفى عليه
شيء من اعمال هؤلاء الذين ينفقون اموالهم لاجل الرياء والسمعة وفيه وعيد وتهديد
لهم قوله عز وجل ان الله لا يظلم مثقال ذرة نظم الكلام وماذا عليهم لو امنوا وانفقوا
فان الله لا يظلم ولا يبخس ولا ينقص احدا من ثواب عمله مثقال ذرة يعني وزن ذرة
وقال ابن عباس الذرة راس نملة حمراء وقيل الذرة كل جزء من اجزاء الهباء الذي يرى
في الكوة اذا كان فيه ضوء الشمس لا وزن لها وهذا مثل ضربه الله تعالى لاقل الاشياء والمعنى
ان الله لا يظلم احدا شيئا من قليل ولا كثير فخرج الكلام على اصغر شيء يعرفه الناس
وان تك حسنة يضاعفها يعني حسنة بعشرة امثالها وقيل هذا عند الحساب فمن
بقي له من الحسنات مثقال ذرة ضاعفها له الى سبعمائة والى اجر عظيم قال قتادة لان تفضل
حسناتي مثقال ذرة احب الي من الدنيا وما فيها عن انس بن مالك في قوله تعالى ان
الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الله لا يظلم مؤمنا حسنة يعطى بها في الدنيا ويجزى بها في الاخرة واما الكافر فيطعم
بحسنات ما عمل بها لله في الدنيا حتى اذا افضى بها الى الاخرة لم يكن له حسنة يجزى بها عن
عبد الله بن عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى سيخلص
رجلا من امتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة فينشر له تسعة وتسعين سجلا كل سجل مثل
مد البصر ثم يقول اتنكر من هذا شيئا اظلمك كتبتي الحافظون فيقول لا يا رب فيقول
افلك عذر فقال لا يا رب فيقول تعالى بلى ان لك عندنا حسنة فانه لا ظلم عليك
اليوم فيخرج بطاقة فيها اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا عبده ورسوله فيقول
احضر وزنك فيقول يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات فقال فانك لا تظلم

فيوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة ولا يثقل
مع اسم الله شيء اخرجه الترمذي ق عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ثم يضرب الجسر على جهنم وتحل الشفاعة ويقولون اللهم سلم سلم قيل يا رسول الله وما
الجسر قال دحض مزلة فيه خطاطيف وكلاليب وحسكة تكون بنجد فيها شويكة
يقال لها السعدان فيمر المؤمنون كطرف العين وكالبرق وكالريح وكاجاود الخيل والركاب
فناج مسلم ومخدوش مرسل ومكدوس في نار جهنم حتى اذا خلص المؤمنون من النار
فوالذي نفسي بيده ما من احد منكم باشد مناشدة لله في استيفاء الحق من المؤمنين لله
يوم القيامة لاخوانهم الذين في النار وفي رواية فما انتم باشد مناشدة في الحق قد
تبين لكم من المؤمنين يومئذ للجبار اذا راوا انهم قد نجوا في اخوانهم فيقولون ربنا
اخوانهم كانوا يصومون معنا ويصلون ويحجون فيقال لهم اخرجوا من عرفتم فتحرم صورهم
على النار فيخرجون خلقا كثيرا قد اخذت النار الى نصف ساقه والى ركبته ثم يقولون
ربنا ما بقي فيها احد ممن امرتنا به فيقال ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال دينار
من خير فاخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها ممن امرتنا احدا
ثم يقول ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من خير فاخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا
ثم يقولون ربنا لم نذر فيها خيرا وكان ابو سعيد يقول ان لم تصدقوني بهذا الحديث
فاقرؤوا ان شئتم ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه
اجرا عظيما فيقول الله تعالى شفعت الملائكة وشفع النبيون ولم يبق الا ارحم الراحمين
فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوما من النار لا يعملون خيرا قط قد عادوا حمما
فيلقيهم في نهر في افواه الجنة يقال له نهر الحياة فيخرجون كما تخرج الحبة من حميل
السيل الا ترونها الى الحجر او الى الشجر ما يكون الى الشمس اصيفر واخيضر وما يكون
منها الى الظل يكون ابيض فقالوا يا رسول الله كانك كنت ترعى بالبادية قال
فيخرجون كاللؤلؤ في رقابهم الخواتيم يعرفهم اهل الجنة هؤلاء عتقاء الله الذين ادخلهم
الجنة فما رايتموه فهو لكم فيقولون ربنا اعطيتنا ما لم تعط احدا من العالمين فيقول
لكم عندي افضل من هذا فيقولون ربنا اي شيء افضل من هذا فيقول رضاي فلا
اسخط عليكم ابدا لفظ مسلم وهو بعض حديث وقال بعضهم هذه الاية واردة في الخصوم
ويدل عليه ما روي عن عبد الله بن مسعود قال اذا كان يوم القيامة جمع الله الاولين
والاخرين ثم ينادي مناد من عند الله الا من كان يطلب مظلمة فليجئ الى حقه فلياخذه
قال فيفرح المرء ان يكون له الحق على والده او ولده او زوجته او اخيه فياخذ منه وان
كان صغيرا ومصداق ذلك في كتاب الله فاذا نفخ في الصور فلا انساب بينهم
يومئذ ولا يتساءلون ويؤتى بالعبد وينادي مناد على رؤوس الاولين والاخرين
هذا فلان ابن فلان من كان له عليه حق فليات الى حقه ثم يقال له ات هؤلاء

حقوقهم فيقول اي رب من اين وقد ذهبت الدنيا فيقول الله تعالى للملائكة انظروا
في اعماله الصالحة فاعطوهم منها فان بقي مثقال ذرة من حسنة فيقول للملائكة ضعفوها
لعبدي وادخلوه بفضل رحمتي الجنة ومصداق ذلك في كتاب الله ان الله
لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه اجرا عظيما اي الجنة
وان كان عبدا شقيا قالت الملائكة الهنا فنيت حسناته وبقي طالبون كثير
فيقول الله تبارك وتعالى خذوا من سيئاتهم فاضيفوها الى سيئاته ثم اكتبوا له كتابا
الى النار اخرجه البغوي بغير سند عن ابن مسعود موقوفا عليه واسنده ابن جرير
الطبري عن ابن مسعود ومعنى الاية على هذا التاويل ان الله لا يظلم مثقال ذرة للخصم
على خصمه بل ياخذ له منه ولا يظلم مثقال ذرة تبقى له بل يثيبه عليها ويضاعفها
له فذلك قوله وان تك حسنة يضاعفها اي يجعلها اضعافا كثيرة ويؤت من لدنه
يعني من عنده اجرا عظيما يعني الجنة والمعنى ويعط من عنده اجرا عظيما يعني عوضا
من حسنته وذلك العوض هو الجنة وقال ابو هريرة اذا قال الله عز وجل اجرا عظيما
فمن يقدر قدره قوله تعالى فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد يعني فكيف يكون
حال هؤلاء المشركين والمنافقين يوم القيامة اذا جئنا من كل امة بشهيد قال ابن
عباس يريد نبيها والمعنى انه يؤتى بنبي كل امة يشهد عليها ولها وجئنا بك يا محمد
على هؤلاء شهيدا يعني تشهد على هؤلاء الذين سمعوا القران وخوطبوا به بما عملوا ق
عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرا علي القران فقلت يا رسول
الله اقرا عليك وعليك انزل قال اني احب ان اسمعه من غيري قال فقرات
عليه سورة النساء حتى جئت الى هذه الاية فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد
وجئنا بك على هؤلاء شهيدا قال حسبك الان قال فالتفت اليه فاذا عيناه :
تذرفان زاد مسلم شهيدا ما دمت فيهم او قال ما كنت فيهم شك احد رواته قوله
تعالى يومئذ يعني يوم القيامة يود اي يتمنى الذين كفروا يعني جحدوا وحدانية الله تعالى
وعصوا الرسول يعني فيما امرهم به من توحيد الله عز وجل لو تسوى بهم الارض يعني
لو صاروا فيها وسويت عليهم وقيل انهم ودوا لو لم يبعثوا لانهم انما كانوا في
الارض وهي مستوية عليهم وقال الكلبي يقول الله تعالى للبهائم والوحوش والطيور
والسباع كونوا ترابا فتسوى بهن الارض فعند ذلك يتمنى الكافر لو كان ترابا
ولا يكتمون الله حديثا قال ابن عباس في رواية عطاء ودوا لو تسوى بهم الارض
انهم لم يكونوا كتموا امر محمد صلى الله عليه وسلم ولا كفروا به ولا نافقوه فعلى هذا
القول يكون الكتمان ما كتموا في الدنيا من صفة محمد صلى الله عليه وسلم ونعته
وهو كلام متصل بما قبله وقيل هو كلام مستانف قال سعيد بن جبير سال رجل
ابن عباس فقال اني اجد في القران اشياء تختلف علي قال ما يختلف عليك قال

منها قوله

منها قوله تعالى ولا يكتمون الله حديثا ومنها قوله تعالى والله ربنا ما كنا مشركين فقد كتموا
فقال يغفر الله لاهل الاسلام ذنوبهم ويدخلهم الجنة فيقول المشركون تعالوا نقول ما
كنا مشركين فيقولون والله ربنا ما كنا مشركين رجاء ان يغفر لهم فيختم على افواههم
وتنطق ايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون فعند ذلك عرفوا ان الله لا يكتم حديثا
وعنده يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الارض فلا يختلف عليك
القران فان كلا من عند الله وقال الحسن انها مواطن ففي موطن لا يتكلمون ولا
تسمع الا همسا وفي موطن يتكلمون ويكذبون ويقولون والله ربنا ما كنا مشركين
وما كنا نعمل من سوء وفي موطن يعترفون على انفسهم وهو قوله فاعترفوا بذنوبهم
وفي موطن لا يتساءلون وفي موطن يسالون الرجعة واخر تلك المواطن ان يختم
على افواههم وتتكلم جوارحهم فهو قوله ولا يكتمون الله حديثا قوله تعالى
يا ايها الذين امنوا لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى جمع سكران سبب نزول
هذه الاية ما روي عن علي بن ابي طالب قال صنع لنا ابن عوف طعاما فدعانا
فاكلنا وسقانا خمرا قبل ان تحرم الخمر فاخذت منا وحضرت الصلاة فقدموني فقرات
قل يا ايها الكافرون اعبد ما تعبدون ونحن نعبد ما تعبدون قال فخلطت قال
فنزلت لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون اخرجه الترمذي وقال
حديث حسن غريب واخرجه ابو داود ولفظه ان رجلا من الانصار دعاه وعبد الرحمن
ابن عوف فسقاهما قبل ان تحرم الخمر فحضرت الصلاة فامهم علي في المغرب فقرا
قل يا ايها الكافرون فخلط فيها فنزلت لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى حتى تعلموا ما
تقولون وروى ابن جرير الطبري عن ابن عباس ان رجالا كانوا ياتون الصلاة وهم سكارى
قبل ان تحرم الخمر فقال الله عز وجل يا ايها الذين امنوا لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى الاية
فعلى هذا ففي المراد بالصلاة قولان احدهما انه نفس الصلاة ذات الركوع والسجود وهو
قول الاكثرين والمعنى لا تصلوا وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون والقول الثاني ان
المراد بالصلاة موضع الصلاة وهو المسجد واطلاق لفظ الصلاة على المسجد محتمل فيكون
من باب حذف المضاف والمعنى لا تقربوا مواضع الصلاة فانتم سكارى وحذف
المضاف جائز سائغ ويدل عليه قوله تعالى لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد والمراد
بالصلاة مواضعها فثبت ان اطلاق لفظ الصلاة والمراد موضعها جائز واعلم ان هذا
النهي عن قربان الصلاة في حالة السكر انما كان قبل تحريم الخمر فكانوا يشربونها في غير
اوقات الصلاة ثم نزل تحريم الخمر بعد ذلك ونسخت هذه الاية وقال الضحاك المراد بالسكر
سكر النوم يعني لا تقربوا الصلاة عند غلبة النوم ويدل عليه ما روي عن عائشة ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال اذا نعس احدكم وهو يصلي فليرقد حتى يذهب عنه النوم فان
احدكم اذا صلى وهو ناعس لا يدري لعله يذهب يستغفر فيسب نفسه اخرجاه في الصحيحين

وقوله تعالى ولا جنبا يعني ولا تقربوا الصلاة وانتم جنب والجنب يستوي فيه الواحد
والجمع والمذكر والمؤنث بانه اسم جرى مجرى المصدر الذي هو الاجناب واصل الجنابة
البعد سمي الذي اصابه الجنابة جنبا لانه يجتنب الصلاة والمسجد وقيل لمجانبته الناس
حتى يغتسل الا عابري سبيل العابر هنا فاعل من العبور وهو قطع الطريق من هذا الجانب
الى الجانب الاخر واختلف العلماء في معنى قوله الا عابري سبيل على قولين احدهما ان المراد
بالعبور هو العبور في المسجد وذلك ان قوما من الانصار كانت ابوابهم في المسجد فتصيبهم
الجنابة ولا ماء عندهم ولا ممر لهم الا في المسجد فرخص لهم العبور فيه فعلى هذا القول يكون المراد
بالصلاة موضع الصلاة والمعنى لا تقربوا المسجد وانتم جنب الا مجتازين فيه اما للخروج منه
او للدخول فيه مثل ان يكون قد نام في المسجد فاجنب فيجب الخروج منه او يكون
الماء في المسجد فيدخل اليه او يكون طريقه عليه فيمر فيه من غير اقامة وهذا قول ابن مسعود وانس
ابن مالك والحسن وسعيد بن المسيب وعكرمة والضحاك وعطاء الخراساني والنخعي والزهري
واليه ذهب الشافعي واحمد القول الثاني ان المراد بقوله الا عابري سبيل المسافرين والمعنى
ولا تقربوا الصلاة وانتم جنب الا ان تكونوا مسافرين ولم تجدوا الماء فتيمموا فمنع الجنب من
الصلاة حتى يغتسل الا ان يكون في سفر ولا ماء معه فيتيمم ويصلي الى ان يجد الماء فيغتسل
وهذا قول علي وابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد وقتادة فمن جعل عابري سبيل
المسافر منع الجنب من العبور في المسجد وهو قول ابي حنيفة ورجح ابن جرير الطبري والواحدي
القول الاول ويدل على صحته وجهان احدهما ان المسافر الجنب لا تصح صلاته بدون
التيمم ولم يذكر التيمم هنا فيحتاج الى اضمار شيئين عدم الماء وذكر التيمم وعلى القول الاول
لا يحتاج الى اضمار شيء الوجه الثاني ان الله تعالى ذكر حكم السفر وعدم الماء وجواز التيمم
بعد هذا فلا يحمل هذا على حكم معاد في الاية ويدل عليه ان جميع القراء استحبوا الوقف
على قوله حتى تغتسلوا يعني الى ان تغتسلوا وفيه دليل على ان حكم الجنابة باق على
الجنب الى غاية هي الاغتسال **فصل** في احكام تتعلق بالاية اختلف العلماء في العبور
في المسجد فاباحه قوم على الاطلاق وهو قول الحسن وبه قال مالك والشافعي ومنعه
بعضهم على الاطلاق وهو قول اصحاب الراي وقال قوم يتيمم للعبور في المسجد واختلف
العلماء في المكث في المسجد ايضا للجنب فمنعه اكثر اهل العلم وقالوا لا يجوز للجنب
المكث في المسجد بحال لما روي عن عائشة قالت جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم
ووجوه بيوت اصحابه شارعة في المسجد فقال وجهوا هذه البيوت عن المسجد ثم
دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يصنع القوم شيئا رجاء ان ينزل لهم رخصة
فخرج اليهم بعد فقال وجهوا هذه البيوت عن المسجد فاني لا احل المسجد لحائض
ولا جنب اخرجه ابو داود وجوز احمد المكث في المسجد بشرط الوضوء وبه قال المزني
من اصحاب الشافعي واجاب احمد عن حديث عائشة بانه في بعض رواته مجهول وقال

عبد الحق

عبد الحق لا يثبت من قبل اسناده واستدل احمد لمذهبه بما روي عن عطاء بن يسار
قال رايت رجالا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يجلسون في المسجد وهم
مجنبون اذا توضؤوا وضوء الصلاة اخرجه سعيد بن منصور في سننه واحتج لمذهب
الجمهور بعموم الاية وبما روي عن ام سلمة قالت دخل النبي صلى الله عليه وسلم صرحة هذا
المسجد فنادى باعلى صوته ان المسجد لا يحل لجنب ولا حائض اخرجه ابن ماجه
ويحرم على الجنب الطواف وقراءة القران كما يحرم عليه فعل الصلاة ويدل على ذلك ايضا
ما روي عن علي بن ابي طالب قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقضي حاجته
ثم يخرج فيقرا القران وياكل معنا اللحم ولا يحجبه وربما قال ولا يحجزه من القران شيء ليس
الجنابة اخرجه ابو داود والنسائي والترمذي ولفظه كان يقرئنا القران على كل حال
ما لم يكن جنبا وقال حديث حسن صحيح وعن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا يقرا القران الجنب ولا الحائض ولا النفساء من القران شيئا اخرجه الدارقطني ويجب الغسل
باحد شيئين بانزال المني وهو الماء الدافق وبايلاج الحشفة في الفرج وان لم ينزل ويدل
على ذلك ايضا ما روي عن علي بن ابي طالب قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقضي حاجته ثم يخرج فيقرا القران الى قوله ولا النفساء وما روي عن عائشة قالت سئل
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الرجل يجد البلل ولا يذكر احتلاما قال يغتسل وعن
الرجل يرى انه احتلم ولا يجد بللا قال لا غسل عليه قالت ام سلمة والمراة ترى ذلك
اعليها غسل قال نعم اخرجه ابو داود والترمذي ق عن ابي هريرة ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال اذا جلس بين شعبها الاربع ثم جهدها فقد وجب الغسل زاد
في رواية وان لم ينزل قوله تعالى وان كنتم مرضى جمع مريض واراد به المرض الذي يضر
معه امساس الماء مثل الجدري والقروح ونحو ذلك وان كان على بعض اعضائه
جراحة او به قروح يخاف من استعمال الماء التلف او زيادة الوجع فانه يتيمم ويصلي مع
وجود الماء وان كان بعض اعضائه صحيحا وبعضها جريحا غسل الصحيح وتيمم للجريح في الوجه
لما روي عن جابر قال خرجنا في سفر فاصاب رجلا منا حجر فشجه في راسه ثم اذا كان
اكثر اعضائه او بدنه صحيحا غسل الصحيح ولا يتيمم عليه وان كان الاكثر جريحا اقتصر على التيمم
والحديث يحتمل لمن اوجب الجمع بين الغسل والتيمم وقوله تعالى او على سفر يعني او كنتم
مسافرين لما روي عن ابي ذر قال اجتمعت غنيمة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال يا ابا ذر ابد فيها فبدوت الى الربذة فكانت تصيبني الجنابة فامكث الخمس
والست فاتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابو ذر فسكت فقال ثكلتك
ابا ذر لامك الويل فدعا بجارية سوداء فاغتسلت فجاءت بعس فيه ماء فسترتني
بثوب واستترت بالراحلة فكاني القيت عني جبلا فقال الصعيد الطيب وضوء المسلم
ولو الى عشر سنين فاذا وجدت الماء فامسه جلدك فان ذلك خير اخرجه ابو داود

العس فيرح من فخار يجعل فيه الما للوضوء والاغتسال اما اذا لم يكن الرجل مريضا ولا على سفر
وعدم الما في موضع لا يعدم فيه غالبا فانه يتيمم ويصلي ويعيد اذا وجد الما وقدر عليه وبه
قال الشافعي وقال مالك والاوزاعي لا اعادة عليه وقال ابو حنيفة يوخر الصلاة حتى يجد
الما وقوله تعالى او جا احد منكم من الغائط الغائط المكان المطمئن من الارض وجمعه الغيطان
وكانت عادة العرب اتيان الغائط للحدث فكنوا به عن الحدث وذلك ان الرجل منهم
اذا اراد قضاء الحاجة طلب غائطا من الارض يعني مكانا منخفضا من الارض يحجبه عن
اعين الناس فسمي الحدث بهذا فهو من باب تسمية الشي باسم مكانه وقوله تعالى او لامستم
النسا قراهنا وفي سورة المائدة لامستم النسا ولمستم بغير الف واختلف العلما في معنى
الملامسة على قولين احدهما انه الجماع وهو قول علي وابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة
ووجه هذا القول ان الله تعالى كنى باللمس عن الجماع لانه باللمس يتوصل اليه قال ابن عباس
ان الله حيي كريم يكني عن الجماع بالملامسة والقول الثاني المراد باللمس هنا التقا البشرتين
سوا كان بجماع او بغير جماع وهو قول ابن مسعود وابن عمر والشعبي والنخعي ووجه هذا القول
ان اللمس حقيقة في اللمس باليد فاما حمله على الجماع فمجاز والاصل حمل الكلام على الحقيقة
لا المجاز واما قراة من قرا او لمستم والملامسة مفاعلة من اللمس لا يدل على المجامعة ايضا
على الاطلاق لانه قد ورد في الحديث النهي عن الملامسة قال ابو عبيدة في معناها هو
ان يقول اذا لمست ثوبي او لمست ثوبك فقد وجب البيع فالملامسة في الحديث يعني
اللمس باليد واذا كانت مستعملة في المجامعة لم يدل قوله تعالى او لامستم النسا على صريح الجماع
بل يحمل على الاصل الموضوع له وهو اللمس باليد **فصل** في احكام تتعلق بالاية وفيه مسايل
المسئلة الاولى اذا افضى الرجل بشي من بدنه الى شي من بدن المراة ولا حايل بينهما انتقض
وضوءهما وهو قول ابن مسعود وابن عمر وبه قال الزهري والاوزاعي والشافعي لما روى الشافعي
بسنده عن ابن عمر انه قال قبلة الرجل امراته وجسها بيده فعليه الوضوء واخرجه مالك في
الموطا قال الشافعي وبلغنا عن ابن مسعود مثله وقال مالك والليث بن سعد واحمد واسحاق
اذا كان اللمس بشهوة انتقض الوضوء وان لم يكن بشهوة فلا ويدل عليه ما روي عن عائشة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل امراة من نسايه ثم خرج الى الصلاة ولم يتوضا قال عروة
ومن هي الا انت فضحكت اخرجه ابو داود واجيب عن هذا الحديث بانه ليس بثابت قال
الترمذي انه لا يصح اسناده بحال وسمعت محمد بن اسماعيل يضعف هذا الحديث وقال
حبيب بن ثابت لم يسمع من عروة وضعف يحيى بن سعيد القطان هذا الحديث وقال
هو شبه لا شي وفيه ضعف من وجه اخر وهو ان عروة هذا ليس بعروة بن الزبير
ابن اخت عائشة انما هو شيخ مجهول قال البيهقي يعرف بعروة المزني وانما المحفوظ
عن عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقبل وهو صايم كذا رواه الثقات عن
عائشة وقال ابو حنيفة لا ينقض الوضوء باللمس الا ان يحدث الانتشار وقال قوم

ينتقض

لا ينتقض بحال وهو قول ابن عباس وبه قال الحسن والثوري واحتج من لم يوجب الوضوء
باللمس بما روي عن عائشة انها قالت كنت انام بين يدي رسول الله صلى الله عليه
وسلم ورجلاي في قبلته فاذا سجد غمزني فقبضت رجلي فاذا قام بسطتهما والبيوت
يومئذ ليس فيها مصابيح اخرجاه في الصحيحين واجاب من اوجب الوضوء باللمس عن هذا
الحديث بانه يحتمل ان يكون غمزه لها على حايل المسئلة الثانية اختلف قول الشافعي
في لمس المحرم كالبنت والام والاخت واجنبية صغيرة فاصح القولين انه لا ينتقض الوضوء
به والثاني انه ينتقض الوضوء به ومأخذ القولين عند اصحاب الشافعي التردد بين
التعلق بعموم الاية في قوله او لامستم النسا والنظر الى المعنى في النقض باللمس وهو
تحرك الشهوة فاذا اخذنا بعموم الاية فينتقض الوضوء بلمس المحارم وان اخذنا بالمعنى
ففي الملموس قولان والملموس هو الذي لا فعل منه في المباشرة رجلا كان او امراة واللامس
هو الفاعل للمس وان لم يقصد المباشرة فاحد القولين انه ينتقض وضوء اللامس والملموس
لعموم الاية لانه لمس وقع بين الرجل والمراة فينتقض وضوءهما معا والقول الثاني انه
ينتقض وضوء اللامس دون الملموس لما روي عن عائشة قالت فقدت رسول الله
صلى الله عليه وسلم ليلة من الفراش فالتمسته فوضعت يدي على اخمص قدميه وهو
ساجد وهما منصوبتان وهو يقول اللهم اني اعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك
من عقوبتك واعوذ بك منك لا احصي ثنا عليك انت كما اثنيت على نفسك اخرجه
مسلم فلو انتقض وضوءه صلى الله عليه وسلم لقطع الصلاة ولو مس شعر امراة او سنها
او ظفرها فلا وضوء عليه الثالثة في الحدث وهو الخارج من السبيلين عينا كان كالبول
والغائط او اثرا كالريح ونحوها فاذا حصل شي من ذلك فلا تصح صلاته ما لم يتوضا او يتيمم
عند عدم الما لما روي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقبل
الله صلاة احدكم اذا احدث حتى يتوضا فقال رجل من اهل حضرموت ما الحدث يا ابا
هريرة قال فسا او ضراط اخرجاه في الصحيحين اما خروج النجاسة من غير السبيلين كالفصد
والحجامة والرعاف والقي ونحوها فذهب قوم الى انه لا وضوء من خروج هذه الاشياء
يروى ذلك عن ابن عمر وابن عباس وبه قال عطا وطاوس والحسن وابن المسيب
واليه ذهب مالك والشافعي لما روي عن انس قال احتجم رسول الله صلى الله عليه
وسلم وصلى ولم يتوضا ولم يزد على غسل محاجمه اخرجه الدارقطني وذهب قوم الى
ايجاب الوضوء من ذلك منهم سفيان الثوري وابن المبارك واصحاب الراي
واحمد واسحاق واتفق هؤلا على ان خروج القليل منه لا ينقض الوضوء ويدل على انتقاض
الوضوء بخروج هذه الاشيا ما روي عن معدان بن ابي طلحة عن ابي الدرداء ان النبي
صلى الله عليه وسلم قا فتوضا قال معدان فلقيت ثوبان في مسجد دمشق فذكرت
له ذلك فقال صدق انا صببت له وضوءه اخرجه الترمذي وقال هو اصح شي في هذا

الباب المسئلة الرابعة من نواقض الوضوء زوال العقل بجنون او اغماء او نوم لما روي عن
علي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم العينين وكاء السه فمن نام فليتوضا اخرجه
ابو داود وابن ماجه ويستثنى من ذلك النوم اليسير قاعدا مفضيا بمحل الحدث الى الارض
ويدل على ذلك ما روي عن انس قال كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ينتظرون
العشاء الاخرة حتى تخفق رؤسهم ثم يصلون ولا يتوضئون اخرجه ابو داود وذهب قوم
الى ان النوم لا ينقض الوضوء بكل حال وهو قول ابي هريرة وعائشة وبه قال الحسن واسحاق
والمزني وذهب قوم الى انه لو نام قايما او قاعدا او ساجدا وهو في الصلاة فلا وضوء عليه
حتى يضطجع وبه قال سفيان الثوري وابن المبارك واصحاب الراي لما روي عن ابن
عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ليس على من نام ساجدا وضوء حتى يضطجع فانه اذا
اضطجع استرخت مفاصله اخرجه احمد بن حنبل وضعف بعضهم هذا الحديث المسئلة
الخامسة من نواقض الوضوء مس الفرج من نفسه او غيره فذهب قوم الى انه يوجب الوضوء
وهو قول عمر وابن عمر وابن عباس وسعد بن ابي وقاص وابي هريرة وعائشة وبه قال
سعيد بن المسيب وسليمان بن يسار واليه ذهب الاوزاعي والشافعي واحمد واسحاق
غير ان الشافعي قال ينقض الوضوء اذا مس ببطن الكف والرجل والمراة في ذلك سوا
ويدل على ذلك ما روي عن بسرة بنت صفوان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
من مس ذكره فلا يصلي حتى يتوضا اخرجه الترمذي وقال حديث صحيح ولابي داود والنسائي
نحوه وعن ام حبيبة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من مس فرجه فليتوضا
اخرجه ابن ماجه وصححه ابو زرعة وعن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من افضى
بيده الى ذكره ليس دونه ستر فقد وجب عليه الوضوء اخرجه احمد بن حنبل وذهب قوم
الى ان مس الذكر لا يوجب الوضوء وهو قول علي وابن مسعود وابي الدردا وحذيفة وبه قال
الحسن واليه ذهب الثوري وابن المبارك واصحاب الراي واحتجوا بما روي عن طلق
بن علي قال قدمنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء رجل كانه بدوي فقال يا نبي الله
ما ترى في مس الرجل ذكره بعد ما توضا قال هل هو الا مضغة او قال بضعة منه اخرجه
ابو داود والترمذي والنسائي نحوه واجاب من اوجب الوضوء من مس الذكر عن حديث
طلق بن علي بان قدومه على رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في اول الهجرة وهو يبني
المسجد وابو هريرة ممن اخرهم اسلاما وقد روى انتقاض الوضوء بمس الذكر فصار حديث
ابي هريرة ناسخا لحديث طلق بن علي وايضا فان حديث طلق يرويه عنه قيس بن
طلق وهو ليس بالقوي عند اهل الحديث وقوله فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا
واعلم ان التيمم من خصائص هذه الامة خصها الله به لتسهيل عليهم اسباب العبادة
ويدل على ذلك ما روي عن حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فضلنا على
الناس بثلاث جعلت صفوفنا كصفوف الملائكة وجعلت لنا الارض كلها مسجدا

وجعلت

وجعلت تربتها لنا طهورا اذا لم نجد الماء اخرجه مسلم وكان سبب بدء التيمم ما روي عن
عائشة قالت خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض اسفاره حتى اذا كنا
بالبيدا او بذات الجيش انقطع عقد لي فاقام رسول الله صلى الله عليه وسلم على التماسه
واقام الناس معه وليسوا على ماء وليس معهم ماء فاتى الناس الى ابي بكر فقالوا الا ترى الى
ما صنعت عائشة اقامت برسول الله صلى الله عليه وسلم والناس معه وليسوا على ماء
وليس معهم ماء فجاء ابو بكر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واضع راسه على فخذي قد نام
فقال حبست رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس وليسوا على ماء وليس معهم ماء قالت
عائشة فعاتبني ابو بكر وقال ما شاء الله ان يقول وجعل يطعن بيده في خاصرتي فلا يمنعني
من التحرك الا مكان رسول الله صلى الله عليه وسلم على فخذي فنام رسول الله صلى الله عليه
وسلم حتى اصبح على غير ماء فانزل الله عز وجل اية التيمم فتيمموا فقال اسيد بن حضير وهو
احد النقباء ما هي باول بركتكم يا ال ابي بكر قالت عائشة فبعثنا البعير الذي كنت
عليه فوجدنا العقد تحته اخرجاه في الصحيحين قولها بالبيدا البيدا المفازة القفر وكل
صحراء فهي بيداء وجمعها بيد وذات الجيش اسم لموضع وهو على بريد من المدينة وقولها
فبعثنا البعير اي اثرناه قوله تعالى فلم تجدوا ماء هذا معطوف على ما قبله والمعنى او جاء
احد منكم من الغائط او لامستم النساء فطلبتم الماء للتطهر وابه فلم تجدوه يعني فاعوزكم
فلم تجدوه بثمن ولا بغير ثمن لان المحدث مامور بالتطهر بالماء فاذا اعوزه الماء
عدل عنه الى التيمم بعد طلب الماء قال الشافعي اذا دخل وقت الصلاة طلب الماء
فان لم يجده تيمم وصلى ثم اذا دخل وقت الصلاة الثانية وجب عليه الطلب مرة اخرى
وقال ابو حنيفة لا يجب عليه الطلب للصلاة الثانية حجة الشافعي قوله تعالى
فلم تجدوا ماء فعدم الوجدان يشعر بسبق الطلب فلا بد في كل مرة من سبقه الطلب
واجمعوا على انه لو وجد الماء لكنه يحتاج اليه لعطشه او عطش حيوان محترم فانه
يجوز له التيمم مع وجدان ذلك الماء وقوله تعالى فتيمموا صعيدا طيبا اصل التيمم
في اللغة القصد يقال تيممت فلانا اذا قصدته وهو في الشرع عبارة عن افعال
مخصوصة عند عدم الماء لتادية الصلاة واختلفوا في الصعيد الطيب
فقال قتادة الصعيد الارض التي ليس فيها شجر ولا نبات وقال ابن زيد الصعيد
المستوي من الارض وكذلك قال الليث الصعيد الارض المستوية التي
لا شيء فيها وقال الفراء الصعيد هو التراب وكذلك قال ابو عبيد في قوله صلى
الله عليه وسلم اياكم والقعود بالصعدات قال الصعدات الطرق ماخوذ من
الصعيد وهو التراب وقيل الصعيد وجه الارض البارز وهو اختيار الزجاج
قال الصعيد وجه الارض ولا يبالي اكان في الموضع تراب او لا لان الصعيد
ليس هو التراب انما هو وجه الارض ونقل الربيع عن الشافعي في تفسير الصعيد

فقال لا يقع اسم الصعيد الا على تراب ذي غبار واما البطحا الغليظة والرقيقة فلا يقع
عليها اسم الصعيد فان خالطه تراب او مدر يكون له غبار كان الذي خالطه هو
الصعيد قال ولا يتيمم بنورة ولا كحل ولا زرنيخ كل هذا حجارة هذا كلام الشافعي في تفسير
الصعيد وهو القدوة في اللغة وقوله في ذلك حجة وقد وافقه في ذلك الفرا وابو
عبيد في انه التراب وجميع الاقوال في الصعيد صحيحة في اللغة لكن المراد به ههنا
هو التراب وقد قال ابن عباس في قوله صعيدا هو التراب واختلف اهل العلم
فيما يجوز به التيمم فذهب الشافعي الى انه يختص بما يقع عليه التراب مما له غبار يعلق
بالوجه واليدين لان اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم راووا عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال جعلت لي الارض مسجدا وترابها طهورا فخص التراب بالطهور ولان الله تعالى
وصف الصعيد بالطيب والطيب من الارض هو الذي ينبت فيها بدليل قوله والبلد
الطيب يخرج نباته فدل على ان ما لا ينبت فليس بطيب ولنا ايضا قوله تعالى في سورة
المايدة فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه وكلمة من للتبعيض ههنا ولا يتاتى ذلك في الصخر
الذي لا تراب عليه وايضا فانه يقال للغبار صعيد لانه ماخوذ من الصعود وهو
الارتفاع ولا يكون ذلك في الصخر وما اشبهه وذهب ابو حنيفة ومالك الى انه يجوز
التيمم بكل ما هو من جنس الارض كالرمل والجص والنورة والزرنيخ ونحو ذلك
حتى لو ضرب يده على صخرة ملسا لا غبار عليها صح تيممه عندهم واحتج ابو حنيفة
ومن وافقه بظاهر الاية قالوا لان التيمم هو القصد والصعيد اسم لما تصاعد
من الارض فقوله تعالى فتيمموا صعيدا طيبا اي اقصدوا ارضا فوجب ان يكون
هذا القدر كافيا واجيب عنه بما تقدم من الدليل في قوله منه وان لفظة من
تكون للتبعيض قالوا ولما روي عن جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال وجعلت
لي الارض مسجدا وطهورا واجيب عنه بان هذا مجمل يفسره ما تقدم من حديث حذيفة
في تخصيص التراب والمفسر يقضي على المجمل وجوز بعضهم التيمم بكل ما هو متصل بالارض
من شجر ونبات ومدر ونحو ذلك قالوا لان اسم الصعيد يقع على ما تصاعد على الارض
واجيب عنه بما تقدم من الادلة وقوله تعالى فامسحوا بوجوهكم وايديكم الوجه الممسوح
في التيمم هو المحدود في الوضوء واختلف العلما فيما يجب مسحه من اليد فذهب اكثر
اهل العلم منهم علي وابن عمر وابنه سالم والحسن وهو مذهب ابي حنيفة والشافعي انه يمسح الوجه
واليدين الى المرفقين بضربتين وصورة ذلك ان يضرب بكفيه على التراب و
يمسح بهما وجهه ولا يجب ايصال التراب الى منابت الشعور ثم يضرب ضربة اخرى
وليفرق اصابعه فيمسح يديه الى المرفقين ويدل عليه ما روي عن جابر عن النبي صلى
الله عليه وسلم التيمم ضربتان ضربة للوجه وضربة لليدين الى المرفقين رواه البيهقي
ولم يضعفه وروى الشافعي عن ابراهيم بن محمد عن ابي الحويرث عن الاعرج عن ابن

الصمة قال

الصمة قال مررت على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يبول فسلمت عليه فلم يرد علي
حتى قام الى الجدار فحته بعصا كانت معه ثم وضع يديه على الجدار فمسح وجهه
وذراعيه ثم رد علي هذا حديث منقطع لان الاعرج وهو عبد الرحمن بن هرمز
لم يسمع هذا من ابن الصمة انما سمعه من عمير مولى ابن عباس عن ابن الصمة
وكذا هو مخرج في الصحيحين عن عمير مولى ابن عباس قال دخلنا على ابي جهيم بن الحارث
فقال ابو الجهيم اقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم من نحو بير جمل فلقيه رجل
فسلم عليه فلم يرد النبي صلى الله عليه وسلم حتى اقبل على الجدار فوضع يده على الحائط فمسح
بوجهه ويديه ثم رد عليه السلام ولابي داود عن نافع قال انطلقت مع ابن عمر في
حاجة الى ابن عباس فلما انقضى حاجته وكان من حديثه يومئذ ان قال مر رجل
في سكة من سكك المدينة فلقي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد خرج من غائط
او بول فسلم عليه الرجل فلم يرد عليه حتى اذا كاد الرجل ان يتوارى في السكة ضرب
رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده على حائط ومسح بها وجهه ثم ضرب ضربة
اخرى فمسح بها ذراعيه ثم رد عليه السلام وقال لم يمنعني ان ارد عليك السلام الا
اني لم اكن على طهر وفي رواية فمسح ذراعيه الى المرفقين فهذا اجود ما في هذا
الباب فان البيهقي اشار الى صحة اسناده وفيه دليل على الحكمين يعني مسح الوجه
واليدين بضربتين وايصال المسح الى المرفقين وفيه دليل على ان التيمم لا يصح ما
لم يعلق بالوجه واليدين غبار التراب لان النبي صلى الله عليه وسلم حت الجدار
بالعصا ولو كان مجرد الضرب كافيا ما كان حته وذهب الزهري الى انه يمسح
اليدين الى المنكبين ويدل عليه ما روي عن عمار بن ياسر قال تمسحوا وهم مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم بالصعيد لصلاة الفجر فضربوا باكفهم الصعيد ثم مسحوا بوجوههم
مسحة ثم عادوا فضربوا باكفهم الصعيد مرة اخرى فمسحوا بايديهم كلها الى المناكب
والاباط من بطون ايديهم اخرجه ابو داود وذهب جماعة الى ان التيمم ضربة واحدة
للوجه والكفين وهو قول علي وابن عباس وبه قال الشعبي وعطا ومكحول واليه
ذهب الاوزاعي ومالك واحمد واسحاق وداود الظاهري واحتجوا بما روي عن
عمار بن ياسر قال بعثني النبي صلى الله عليه وسلم في حاجة فاجنبت فلم اجد الما فتمرغت
في الصعيد كما تمرغ الدابة ثم اتيت النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فقال انما
يكفيك ان تقول بيديك هكذا ثم ضرب بيديه الارض ضربة واحدة ثم مسح الشمال
على اليمين وظاهر كفيه وباطنهما ووجهه وفي رواية انما يكفيك ان تقول هكذا وضرب بيديه
الارض فنفض يديه فمسح وجهه وكفيه اخرجاه في الصحيحين وحجته ان اليد اسم لهذه
الجارحة وحدها عند اهل اللغة من اطراف الانامل الى الكوع وهذا هو المقطوع

في السرقة وقال ابو اسحاق الزجاج حد يا من اطراف الاصابع الى الكتف ممن ذهب الى ان
الممسوح في التيمم هو الانف قال ان حد اليد هو المقطوع في حد السرقة ومن ذهب الى ان
الممسوح في التيمم الى المناكب والاباط نظر الى ان مسح اليد يطلق على جميعها ومن ذهب
الى ان الممسوح في التيمم الى المرفقين قال ان التيمم بدل عن الوضوء واليد المغسولة في الوضوء
هي الممسوحة في التيمم فيحمل المطلق الذي في قوله تعالى فامسحوا بوجوهكم وايديكم على المقيد
الذي في قوله تعالى في اية الوضوء فاغسلوا وجوهكم وايديكم الى المرافق واجاب من ذهب
الى هذا عن حديث عمار بان المراد منه بيان صورة الضرب وليس المراد منه جميع ما
يحصل به التيمم **فصل** واركان التيمم خمسة الاول تراب طاهر خالص له غبار يعلق
بالوجه واليدين ويجوز بالرمل ان كان عليه غبار الثاني قصد نقل الصعيد فلم تعرض الريح
لم يكفه ولم ييممه غيره باذنه مع عجزه جاز وان كان قادرا فوجهان الثالث نقل التراب الى
الوجه واليدين الرابع نية استباحة الصلاة فلو نوى رفع حدث لم يصح والكمال ان ينوي
استباحة الفرض والنفل الخامس مسح الوجه واليدين الى المرفقين بضربتين والترتيب ولا يصح
التيمم لصلاة قبل دخول وقتها ولا يجوز الجمع بين صلاتي فرض بتيمم واحد وهو قول علي وابن
عباس وابن عمر وبه قال الشعبي والنخعي وقتادة واليه ذهب مالك والشافعي واحمد واسحاق
وذهب جماعة الى ان التيمم كالوضوء فيجوز تقديمه على اول الوقت ويجوز ان يصلي به ما شاء من
الفرائض ما لم يحدث وهو قول سعيد بن المسيب والحسن والزهري والثوري واصحاب
الراي واتفقوا على انه يجوز ان يصلي بتيمم واحد ما شاء من النوافل قبل الفرض وبعده الى ان
يدخل وقت الصلاة الاخرى وان يقرا القران ان كان جنبا ويشترط طلب الماء في السفر
بان يطلبه في رحله وعند رفقائه ان كان في صحرا ولا حايل دون نظره نظر حواليه وان
كان دون نظره حايل قريب من تل او جدار او نحوه عدل عنه لان الله تعالى قال فلم تجدوا
ماء فتيمموا ولا يقال لم يجد الا لمن طلب ولا يشترط طلب عند ابي حنيفة فان راى الماء ولا يقدر
عليه لمانع من عدو او سبع يمنعه من الذهاب اليه او كان الماء بيئر وليس معه الة الاستقا
كالعدم فيتيمم ويصلي ولا اعادة عليه والله اعلم قوله تعالى ان الله كان عفوا يعني متجاوزا
عن ذنوب عباده ويعفو ويصفح عنهم غفورا ستورا على عباده يغفر الذنوب و
يسترها وفيه تنبيه على ان الله تعالى رخص لعباده امر العبادة ويسرها عليهم لان من كان عادته
يغفر الذنوب ويعفو عنها بان رخص للعاجزين امر العبادة كان اولى قوله عز وجل الم تر
الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب نزلت في يهود المدينة وقال ابن عباس نزلت
في رفاعة بن زيد ومالك بن دخشم اليهوديين كانا اذا تكلم رسول الله صلى الله عليه
وسلم لويا السنتهما وعاباه فانزل الله الم تر يعني الم ينتبه علمك يا محمد الى هولا الذين
اوتوا نصيبا من الكتاب يعني اعطوا حظا من علم التوراة وذلك انهم عرفوا نبوة

موسى منا

موسى من التوراة وانكروا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم منها فلذلك اتى بمن التي هي للتبعيض
وقيل انهم علموا التوراة ولم يعملوا العمل بها يشترون الضلالة يعني يوثرون تكذيب
محمد صلى الله عليه وسلم لياخذوا بذلك الرشي ويحصل لهم الرياسة وانما ذكره
بلفظ الشرا لاستبدال الشي بشي وقيل فيه اضمار يعني يستبدلون الضلالة بالهدى
ويريدون يعني اليهود ان تضلوا السبيل يعني عن السبيل والمعنى انهم يتوصلون الى
اضلال المومنين والتلبيس عليهم لكي يجتنبوا عن الاسلام والله اعلم باعدائكم يعني انه
سبحانه وتعالى اعلم بكنه ما في قلوب اليهود من العداوة والبغضا لكم يا معشر المومنين
فلا تنصحوهم فانهم اعداوكم وكفى بالله وليا يعني متوليا امركم والقايم به ومن كان الله
وليه لم يضره عداوة احد وكفى بالله نصيرا يعني فهو ينصركم عليهم فثقوا بولايته و
نصره قوله تعالى من الذين هادوا قيل هو بيان للذين اوتوا نصيبا من الكتاب والتقدير
الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب من الذين هادوا وقيل هو متعلق بما
قبله والتقدير وكفى بالله نصيرا من الذين هادوا وقيل هو ابتدا الكلام وفيه حذف
تقديره من الذين هادوا قوم يحرفون الكلم اي يزيلونه ويغيرونه ويبدلونه عن مواضعه
يعني يغيرون صفة محمد صلى الله عليه وسلم من التوراة قال ابن عباس كانت اليهود
ياتون رسول الله صلى الله عليه وسلم ويسالونه عن الامر فيخبرهم به فيرى انهم ياخذون
بقوله فاذا خرجوا من عنده حرفوا كلامه وقيل المراد بالتحريف القا الشبهة الباطلة
والتاويلات الفاسدة وهو تحريف اللفظ من معناه الحق الى معنى باطل ويقولون سمعنا
وعصينا يعني سمعنا قولك وعصينا امرك وذلك انهم كانوا اذا امرهم النبي صلى
الله عليه وسلم بشي قالوا في الظاهر سمعنا وقالوا في الباطن عصينا وقيل انهم كانوا
يظهرون ذلك القول عنادا واستخفافا واسمع غير مسمع هذه كلمة تحتمل المدح
والذم فاما معناها في المدح اسمع غير مسمع مكروها واما معناها في الذم فانهم كانوا
يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم اسمع ثم يقولون في انفسهم لا سمعت وقيل معناه
غير مقبول منك ما تدعوا اليه وقيل معناه غير مسمع جوابا يوافقك لاطلاعك على ما في نفسه
وراعنا اي ويقولون راعنا يريدون بذلك النسبة الى الرعونة وقيل معناه
ارعنا سمعك اي اصرف سمعك الى كلامنا وانصت الى قولنا ومثل هذا لا
يخاطب به الانبيا بل انما يخاطبون بالاجلال والتعظيم والتفخيم والتبجيل ليا بالسنتهم
وطعنا في الدين اصله لويا بالالسنة من لويت الشي اذا فتلته والمعنى انهم يفتلون
الحق فيجعلونه باطلا لان راعنا من المراعاة فيجعلونه من الرعونة وكانوا يقولون
لاصحابهم انما نشتمه ولا يعرف ولو كان نبيا لعرف ذلك فاظهره الله تعالى على
خبث ضمايرهم وما في قلوبهم من العداوة والبغضا ثم قال تعالى ولو انهم قالوا
سمعنا واطعنا يعني ولو انهم قالوا بدل سمعنا وعصينا سمعنا واطعنا واسمع

يعني بدل قولهم لا سمعت واطعنا يعني بدل قولهم راعنا اي انظر الينا لكان خيرا لهم يعني عند الله واقوم يعني اعدل واصوب ولكن لعنهم الله بكفرهم يعني طردهم الله وابعدهم من رحمته يعني بمحمد صلى الله عليه وسلم فلا يؤمنون الا قليلا يعني لا يؤمن منهم الا نفر قليل مثل عبد الله بن سلام واصحابه وقيل اراد بذلك القليل هو اعترافهم بان الله خلقهم ورزقهم قوله تعالى يا ايها الذين اوتوا الكتاب خطاب لليهود امنوا بما نزلنا يعني القران مصدقا لما معكم يعني التوراة وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم كلم احبار اليهود عبد الله بن صوريا وكعب بن الاشرف فقال يا معشر اليهود اتقوا الله واسلموا فوالله انكم لتعلمون ان الذي جئتكم به الحق فقالوا ما نعرف ذلك واصروا على الكفر فانزل الله عز وجل هذه الاية وامرهم بالايمان وقرن بهذا الامر الوعيد الشديد فقال تعالى من قبل ان نطمس وجوها اصل الطمس ازالة الاثر بالمحو وذكروا في المراد بالطمس ههنا وجهين احدهما ان يحمل على حقيقته والثاني ان يحمل على مجازه اما من حمله على الحقيقة قال هو تخطيط صور الوجه قال ابن عباس يجعلها كخف البعير وقيل نعميها فيكون المراد بالوجه العين فنردها على ادبارها يعني فنجعلها على هيئة ادبارها وهي الاقفاء وقيل نديرها فنجعل الوجوه الى خلف والاقفاء الى قدام وانما جعل الله هذا عقوبة لهم لما فيه من تشويه الخلقة والمثلة والفضيحة وعند هذا يحصل لهم الغم ويكثر الحسرات فعلى هذا يكون هذا الوعيد يختص بيوم القيامة واما من حمل الطمس على المجاز فقال المراد به نطمسها عن الهدى فنردها على ادبارها يعني على ضلالتها وقيل المراد بالطمس طمس القلب والبصيرة فنردها على ادبارها يعني فنغير احوالهم فنلبسهم الصغار والذلة بعد العز وقيل المراد بالطمس محوا اثارهم من المدينة وردهم الى اذرعات واريحا من ارض الشام من حيث جاؤوا وهو اجلاء بني النضير فان قلت قد اوعدهم وهددهم بطمس الوجوه ان لم يؤمنوا ولم يؤمنوا فلم يفعل بهم ذلك قلت هذا الاشكال انما يرد على من فسر الطمس بتغير الوجوه وهو تخطيطها وحمله على حقيقته والجواب عنه ان هذا مشروط بعدم الايمان وقد امن منهم ناس فرفع عن الباقين روي ان عبد الله بن سلام لما سمع هذه الاية جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم قبل ان ياتي اهله فاسلم وقال يا رسول الله ما كنت ارى ان اصل اليك حتى يحول وجهي الى قفاي وكذلك روي عن كعب الاحبار انه لما سمع هذه الاية في خلافة عمر بن الخطاب اسلم وقال يا رب اسلمت مخافة ان يصيبني وعيد هذه الاية فكان هذا الوعيد مشروطا بان لا يؤمن احد منهم وهذا الشرط لم يوجد لانه امن منهم جمع كثير في زمن النبي صلى الله عليه وسلم كعبد الله بن سلام واصحابه ففات الشرط لفوات المشروط وقيل ان الطمس باق في اليهود فيكون فيهم طمس ومسخ قبل يوم القيامة وقيل انه تعالى جعل الوعيد باحد شيئين اما بالطمس او باللعنة وهو قوله او نلعنهم كما لعنا اصحاب السبت اي نجعلهم قردة كما فعلنا باوايلهم وقيل المراد

من لعنهم

من لعنتهم الطرد والابعاد من الرحمة والكناية في نلعنهم تعود الى المخاطبين في قوله يا ايها الذين اوتوا الكتاب وهذا على طريقة الالتفات كما في قوله حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم وقد يحتمل ان يكون معناه من قبل ان نطمس وجوها ونلعن اصحاب الوجوه فيجعل الكناية في قوله او نلعنهم في ذكر اصحاب الوجوه اذ كان في الكلام دلالة عليهم وقوله تعالى وكان امر الله مفعولا يعني لا بد وان يقع بهم ذلك ان لم يؤمنوا فلا راد لحكمه ولا ناقض لامره على معنى انه لا يمتنع عليه شيء يريد ان يفعله وقيل معناه وقيل مامور الله مفعولا والامر هنا في موضع المامور سمي امرا لانه عن امره كان والمعنى وكان امر الله مفعوله قوله عز وجل ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك قال ابن جرير الطبري معناه يا ايها الذين اوتوا الكتاب امنوا بما نزلنا فان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فعلى هذا يكون في الاية دلالة على ان اليهودي يسمى مشركا في عرف الشرع وقيل ان الاية نزلت في وحشي واصحابه وذلك لما قتل حمزة رضي الله عنه ورجع الى مكة ندم هو واصحابه فكتبوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انا قد ندمنا على ما صنعنا وانه ليس يمنعنا من الاسلام الا انا سمعناك بمكة تقول والذين لا يدعون مع الله الها اخر الى اخر الاية وقد دعونا مع الله الها اخر وقتلنا النفس التي حرم الله وزنينا فلولا هذه الايات لاتبعناك فنزلت الا من تاب وامن وعمل عملا صالحا الايتين فبعث بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم فلما قراوها كتبوا اليه ان هذا شرط شديد ونخاف ان لا نعمل عملا صالحا فنزلت ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فبعث بها اليهم فبعثوا اليه انا نخاف ان لا نكون من اهل المشيئة فنزلت قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله الاية فبعث بها اليهم فدخلوا في الاسلام ورجعوا الى النبي صلى الله عليه وسلم فقبل منهم ثم قال لوحشي اخبرني كيف قتلت حمزة فلما اخبره قال ويحك غيب وجهك عني فلحق بالشام فكان به الى ان مات وقيل لما نزلت قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم الاية قام رجل فقال يا رسول الله والشرك فسكت ثم قام اليه مرتين او ثلاثا فنزلت هذه الاية ومعنى الاية ان الله لا يغفر لمشرك مات على شركه ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء من اصحاب الذنوب والاثام ففي الاية دليل على ان صاحب الكبيرة اذا مات من غير توبة فانه في خطر المشيئة ان شاء عفا عنه وادخله الجنة بفضله وكرمه وان شاء عذبه بالنار ثم يدخله الجنة برحمته واحسانه لان الله تعالى وعد المغفرة لما دون الشرك فان مات على الشرك فهو مخلد في النار لقوله ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وفي الاية رد على المعتزلة والقدرية حيث قالوا لا يجوز في الحكمة ان يغفر لصاحب كبيرة وعند اهل السنة ان الله تعالى يفعل ما يشاء لا مكره له ولا حجر عليه ويدل على ذلك ايضا ما روي عن ابن عمر قال كنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مات الرجل على كبيرة شهدنا انه من اهل النار حتى نزلت

هذه الاية ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشا فامسكنا عن
الشهادة وقال ابن عباس لعمر بن الخطاب يا امير المومنين الرجل يعمل من الصالحات
لم يدع من الخير شيا الا عمله غير انه مشرك قال عمر هو في النار فقال ابن عباس
الرجل لم يدع شيا من الشر الا عمله غير انه لم يشرك بالله شيا قال عمر الله اعلم قال ابن
عباس اني لارجو له كما انه لا ينفع مع الشرك عمل كذلك لا يضر مع التوحيد ذنب
فسكت عمر عن علي بن ابي طالب قال ما في القران احب الي من هذه الاية ان الله
لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشا اخرجه الترمذي وقال حديث
غريب م عن جابر قال جا اعرابي الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ما
الموجبات فقال من مات لا يشرك بالله شيا دخل الجنة ومن مات يشرك به دخل النار
قوله تعالى ومن يشرك بالله يعني يجعل معه شريكا غيره فقد افترى اي اختلق اثما عظيما يعني
ذنبا عظيما غير مغفور ان مات عليه قوله تعالى الم تر الى الذين يزكون انفسهم نزلت
في رجال من اليهود اتوا باطفالهم الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد هل على هولاء
من ذنب قال لا قالوا ما نحن الا كهيئتهم ما عملناه بالنهار يكفر عنا بالليل وما عملناه بالليل
يكفر عنا بالنهار فانزل الله هذه الاية وقيل نزلت في اليهود والنصارى حين قالوا نحن
ابنا الله واحباوه وقوله لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى والتزكية هنا عبارة
عن مدح الانسان نفسه بالصلاح والدين ومنه تزكية الشاهد حتى يصير عدلا قال الله تعالى
فلا تزكوا انفسكم هو اعلم بمن اتقى وذلك لان التزكية متعلقة بالتقوى وهي صفة في
الباطن فلا يعلم حقيقتها الا الله تعالى ولا تصح التزكية الا من عند الله فلهذا قال الله تعالى
بل الله يزكي من يشا ويدخل في هذا النهي كل من زكى نفسه بصلاح ووصفها بزكي العمل
العمل وبزيادة الطاعة والتقوى وبزيادة الزلفى عند الله وهذه الاشيا لا يعلمها
الا الله تعالى فلهذا قال فلا تزكوا انفسكم هو اعلم بمن اتقى ومعنى يزكون انفسهم انهم
ازكيا لانهم بروا انفسهم من الذنوب فقال الله تعالى ردا عليهم بل الله يزكي من يشا
فيجعله زكيا ولا يظلمون فتيلا يعني ان الذين يزكون انفسهم يعاقبون على تلك التزكية
من غير ظلم وقيل معناه ان الذين زكاهم الله لا ينقصون من ثواب طاعتهم شيا
والفتيل المفتول سمي فتيلا لانه يكون في شق النواة فتيلا لكونه على هيئته وقيل الفتيل هو ما
تفتله بين اصابعك من وسخ وغيره لتضرب به المثل في الشي الحقير الذي لا قيمة له انظر
الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم انظر يا محمد الى هولا اليهود كيف يفترون على الله الكذب يعني
قولهم انهم لا ذنوب لهم وتزكيتهم انفسهم وكفى به اي بذلك الكذب اثما مبينا قوله
عز وجل الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يومنون بالجبت والطاغوت نزلت
في كعب بن الاشرف وسفيان ركبا من اليهود قدموا مكة بعد وقعة احد ليحالفوا
قريشا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وينقضوا العهد الذي بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم

فنزل كعب بن الاشرف على ابي سفيان فاحسن مثواه ونزلت اليهود على قريش في
دورهم فقال اهل مكة انكم اهل كتاب ومحمد صاحب كتاب ولا نامن ان يكون هذا
مكرا منكم فان اردتم ان نخرج معكم فاسجدوا لهذين الصنمين ففعلوا ذلك فذلك قوله
تعالى يومنون بالجبت والطاغوت ثم قال كعب بن الاشرف لاهل مكة ليجي منكم ثلاثون
رجلا ومنا ثلاثون فنلزق اكبادنا بالكعبة فنعاهد رب هذا البيت لنجهدن على
قتال محمد ففعلوا ثم قال ابو سفيان لكعب بن الاشرف انك امرو تقرا الكتاب وتعلم
ونحن اميون ولا نعلم فاينا اهدى سبيلا نحن ام محمد فقال كعب اعرض علي دينكم فقال
ابو سفيان نحن ننحر للحجيج الكوما ونسقيهم الما ونقري الضيف ونفك العاني ونصل
الرحم ونعمر بيت ربنا ونطوف به ونحن اهل الحرم ومحمد فارق دين ابايه وقطع الرحم
وفارق الحرم وديننا القديم ودين محمد الحديث فقال كعب انتم والله اهدى سبيلا مما عليه
محمد فانزل الله الم تر يعني يا محمد الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يعني كعب بن
الاشرف واصحابه اليهود يومنون بالجبت والطاغوت يعني به سجودهم للصنمين واختلف
العلما فيهما فقيل الجبت والطاغوت كل معبود دون الله عز وجل وقيل هما صنمان كانا
لقريش وهما اللذان سجد اليهود لهما مرضاة قريش وقيل الجبت اسم للاصنام والطاغوت
شياطين الاصنام ولكل صنم شيطان يعبر عنها ويكلم الناس فيغتروا بذلك وقيل الجبت
الكاهن والطاغوت الساحر عن قطن بن قبيصة عن ابيه قال سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول العيافة والطيرة والطرق من الجبت اخرجه ابو داود وقال الطرق الزجر
والعيافة الخط وقيل العيافة زجر الطير وذلك ان اهل الجاهلية كان احدهم اذا خرج
لامر زجر طيرا فان اخذ ذات اليمين مضى في حاجته وان اخذ ذات الشمال رجع فنهوا
عن ذلك والطرق هو ضرب الحجارة والحصى على طريق الكهانة فنهوا عنه والطيرة هو
ان يتطير بالشي فيرى الشوم فيه والشر منه وقيل من التطير وهو زجر الطاير والخط
هو ضرب الرمل لاستخراج الضمير وقيل الجبت كل ما حرم الله تعالى والطاغوت كل ما يطغي
الانسان وقيل الجبت حيي بن اخطب والطاغوت كعب بن الاشرف اليهوديان وكانا
طاغية اليهود ويقولون يعني كعب بن الاشرف واصحابه للذين كفروا يعني
لكفار قريش هولا يعني انتم يا هولا اهدى من الذين امنوا سبيلا يعني طريقا اولئك
الذين لعنهم الله يعني كعب بن الاشرف واصحابه ومن يلعن الله يعني يطرده
من رحمته فلن تجد له نصيرا يعني ينصره قوله تعالى ام لهم نصيب من الملك هذا استفهام
انكار يعني ليس لهم من الملك شي البتة وذلك ان اليهود كانوا يقولون نحن اولى
بالملك والنبوة فكيف نتبع العرب فكذبهم الله تعالى وابطل دعواهم فاذا لا يوتون
الناس نقيرا هذا جواب لجزا مضمر تقديره ولين كان لهم نصيب وحظ من الملك
فلا يوتون الناس منه نقيرا وصفهم بالبخل في هذه الاية ووصفهم بالجهل في الاية

المتقدمة ووصفهم بالجبت الاية الاتية وهي الخصال كلها مذمومة فكيف يدعون الملك
وهي حاصلة عنهم والنقير هو النقطة التي تكون في ظهر النواة ومنها تنبت النخلة ويضرب به المثل
في الشيء الحقير التافه الذي لا قيمة له قوله عز وجل ام يحسدون الناس على ما اتاهم الله من فضله اصل
الحسد تمني زوال النعمة عن من هو مستحق لها وربما يكون ذلك مع سعي في زوالها ووصف الله اليهود
بشر خصلة وهي الحسد والمراد بالناس محمد صلى الله عليه وسلم وحده وانما جاز ان يقع عليه لفظ الجمع
وهو واحد لانه صلى الله عليه وسلم اجتمع فيه من خصال الخير والبركة ما لا يجتمع مثله في جماعة ومن هذا
القبيل يقال فلان امة وحده يعني انه يقوم مقام امة وقيل المراد بالناس النبي صلى الله عليه وسلم
واصحابه لان لفظ الناس جمع وحمله على الجمع اولى والمراد بالفضل النبوة لانها اعظم المناصب
واشرف المراتب وقيل حسدوه على ما احل الله له من النسا وكان له يومئذ تسع نسوة فقالت
اليهود لو كان نبيا لشغله امر النبوة عن الاهتمام بامر النسا فاكذبهم الله ورد عليهم بقوله فقد اتينا
ال ابراهيم الكتاب والحكمة يعني انه قد حصل في اولاد ابراهيم عليه السلام جماعة كثيرون جمعوا بين الملك
والنبوة مثل داود وسليمان عليهما السلام فلم يشغلهم الملك عن النبوة والمعنى كيف تحسدون محمد
صلى الله عليه وسلم على ما اتاه الله من فضله فقد اتينا ال ابراهيم الكتاب والحكمة وانتم لا تحسدونهم
والمراد بالكتاب التوراة وبالحكمة النبوة واتيناهم ملكا عظيما يعني فلم يشغلهم عن النبوة فمن فسر الفضل
بكثرة النسا فسر الملك العظيم في حق داود وسليمان بكثرة النسا فانه كان لداود مائة ولسليمان الف امراة
ثلثمائة حرة وسبعمائة سرية ولم يكن لرسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ الا تسع نسوة ولما لم يكن
ذلك مستبعدا في حقهم ولا نقصا في نبوتهم فلا يكون مستبعدا في حق محمد صلى الله عليه وسلم ولا نقصا
في نبوته فمنهم يعني من اليهود من امن به يعني بالنبي صلى الله عليه وسلم وما انزل اليه كعبد الله بن
سلام واصحابه ومنهم من صد عنه اي اعرض عنه ولم يؤمن وكفى بجهنم سعيرا يعني وكفى في عذاب
من لم يؤمن بالنبي صلى الله عليه وسلم سعيرا قوله تعالى ان الذين كفروا باياتنا سوف نصليهم نارا
هذا وعيد من الله عز وجل للذين اقاموا على كفرهم وتكذيبهم بما انزل الله على محمد صلى الله عليه وسلم
من اليهود وغيرهم من ساير الكفار والمعنى ان الذين جحدوا ما انزل على رسوله محمد من اياته الدالة
على توحيده وصدق رسوله محمد صلى الله عليه وسلم سوف نصليهم نارا اي ندخلهم نارا نشويهم
فيها كلما نضجت جلودهم يعني احترقت بدلناهم جلودا غيرها يعني غير الجلود المحترقة قال ابن عباس
يبدلون جلودا بيضا كامثال القراطيس وروي ان هذه الاية قريت عند عمر بن الخطاب
فقال عمر للقاري اعدها فاعادها وكان عنده معاذ بن جبل فقال معاذ عندي تفسيرها تبدل في كل
ساعة مائة مرة فقال عمر هكذا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكره البغوي بغير سند وقال
الحسن تاكلهم النار في كل يوم سبعين الف مرة ق عن ابي هريرة يرفعه ما بين منكبي الكافر
في النار مسيرة ثلاثة ايام للراكب المسرع م عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرس الكافر
او قال ناب الكافر مثل احد وغلظ جلده مسيرة ثلاثة فان قلت كيف تعذب جلود لم تكن
في الدنيا ولم تعص قلت يعاد الجلد الاول في كل مرة وانما قال جلودا غيرها لتبديل صفتها

كما نقول

كما نقول صنعت من خاتمي خاتما غيره فالثاني هو الاول غير ان الصنعة بدلت الصفة
وقيل ان العذاب للجملة الحساسة وهي النفس التي عصت واذا كان كذلك فغير
مستحيل ان يخلق الله للكافر في كل ساعة من الجلود ما لا يحصى لتحرق ويصل المها اليه وقيل
المراد بالجلود السرابيل وهو قوله سرابيلهم من قطران والمعنى كلما نضجت سرابيلهم
واحترقت بدلناهم سرابيل من قطران غيرها لان الجلود لو احترقت لفنيت وفي فنائها
راحتها وقد اخبر الله عنهم انهم لا يموتون فيها ولا يخفف عنهم من عذابها ولان الجلد احد
اجزاء الجسم فثبت ان التبديل انما هو للسرابيل وقيل يبدل الجلد من لحم الكافر فيخرج
من لحمه جلدا وقيل ان الله تعالى يلبس اهل النار جلودا لا تالم لتكون زيادة في عذابهم
كلما احترق جلد بدلهم جلدا غيره وقوله تعالى ليذوقوا العذاب اي انما فعلنا بهم ذلك
ليجدوا الم العذاب وكربه وشدته وانما اتى بلفظ الذوق مع ما ينالهم من عظم العذاب
الذي نالوه اخبارا بان احساسهم به في كل حال كاحساس الذايق في تجديد وجدان
الذوق من غير نقصان في الاحساس ان الله كان عزيزا يعني في انتقامه ممن ينتقم من خلقه
لا يغلبه شيء ولا يمتنع عليه احد حكيما يعني في تدبيره وقضائه فانه لا يفعل الا ما هو
الصواب والذين امنوا وعملوا الصالحات سندخلهم يعني سوف ندخلهم جنات
تجري من تحتها الانهار خالدين فيها يعني باقين فيها ابدا يعني ذلك الخلود لغير نهاية ولا
انقطاع لهم فيها يعني في الجنات ازواج مطهرة يعني مطهرات من الحيض والنفاس
وساير اقذار الدنيا وندخلهم ظلا ظليلا يعني كنينا وذلك الظل لا تنسخه الشمس ولا
يؤذيهم فيه حر ولا برد وذلك الظل هو ظل الجنة فان قلت اذا لم يكن في الجنة شمس
يؤذي حرها فما فايدة وصفها بالظل الظليل قلت انما خاطبهم بما يعقلون ويعرفونه
وذلك لان بلاد العرب في غاية الحرارة فكان الظل عندهم من اعظم اسباب
الراحة واللذاذة فهو كقوله ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا قوله تعالى ان الله يامركم
ان تؤدوا الامانات الى اهلها قال البغوي نزلت في عثمان بن طلحة الحجبي من بني
عبد الدار وكان سادن الكعبة فلما دخل النبي صلى الله عليه وسلم يوم الفتح اغلق عثمان
باب البيت وصعد السطح فطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم المفتاح فقيل له انه
مع عثمان فطلب منه فابى وقال لو علمت انه رسول الله لم امنعه المفتاح فلوى
علي بن ابي طالب يده واخذ منه المفتاح وفتح الباب ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم
البيت وصلى فيه ركعتين فلما خرج ساله العباس ان يعطيه المفتاح وان يجمع له بين
السقاية والسدانة فانزل الله هذه الاية فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا
ان يرد المفتاح الى عثمان ويعتذر اليه ففعل ذلك فقال له عثمان اكرهت ثم جئت
ترفق فقال علي لقد انزل الله عز وجل في شانك قرانا وقرا عليه الاية فقال عثمان
اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فاسلم فكان المفتاح معه الى ان مات

ثم دفعه الى اخيه شيبة فالمفتاح والسدانة في اولادهم الى يوم القيامة قلت ومما ذكره البغوي رحمه الله من اسلام عثمان بن طلحة يوم الفتح ومنعه المفتاح وقوله لو اعلم انه رسول الله لم امنعه المفتاح فغلط والصحيح ما حكاه ابو عمر بن عبد البر وابن منده وابن الاثير ان عثمان بن طلحة هاجر الى المدينة في هدنة الحديبية سنة ثمان مع خالد بن الوليد ولقيهما عمرو بن العاص مقبلا من عند النجاشي فرافقهما وهاجر معهما فلما راهم النبي صلى الله عليه وسلم قال رمتكم مكة بافلاذ كبدها يعني انهم وجوه اهل مكة فاسلموا وسلم عثمان بن طلحة المفتاح الى النبي صلى الله عليه وسلم يوم الفتح فرده النبي صلى الله عليه وسلم اليه وقال خذوها يا بني طلحة خالدة مخلدة لا ينزعها منكم الا ظالم ولم يذكروا سوال العباس من السدانة والله اعلم وثبت في الصحيحين من حديث ابن عمر قال اقبل النبي صلى الله عليه وسلم عام الفتح وهو مردف اسامة على القصوى ومعه بلال وعثمان حتى اناخ عند البيت ثم قال لعثمان ائتنا بالمفتاح فجاءه بالمفتاح ففتح الباب وذكر الحديث وذكر ابن الجوزي في تفسيره هذه من رواية ابي صالح عن ابن عباس قال ان النبي صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة طلب مفتاح البيت من عثمان بن طلحة فذهب ليعطيه اياه فقال العباس بابي انت وامي اجمعه لي مع السقاية فكف عثمان يده مخافة ان يعطيه فقال النبي صلى الله عليه وسلم هات المفتاح فاعاد العباس قوله وكف عثمان يده فقال النبي صلى الله عليه وسلم هات المفتاح ان كنت تومن بالله واليوم الاخر فقال هاكه يا رسول الله بامانة الله فاخذ المفتاح ففتح البيت ونزل جبريل بهذه الاية فدعا عثمان ودفعه اليه ففي هذه الرواية ايضا ما يدل على تقدم اسلام عثمان بن ابي طلحة على فتح مكة لان قوله صلى الله عليه وسلم لعثمان ان كنت تومن بالله واليوم الاخر ما يدل على ذلك فعلى هذا القول يكون الخطاب في قوله ان الله يامركم للنبي صلى الله عليه وسلم وهو ان الله عز وجل امره ان يرد مفتاح البيت الى عثمان بن ابي طلحة وقيل الخطاب في قوله ان الله يامركم ان تودوا الامانات الى اهلها لولاة امور المسلمين من الامراء والحكام وغيرهم ويدل عليه سياق الاية وهو قوله واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل ومعنى الاية ان الله يامركم يا ولاة الامر ما ايتمنتكم عليه من امور رعيتكم وان توفوهم حقوقهم وان تعدلوا بينهم وقيل ان الاية عامة في جميع الامانات ولا يمتنع من خصوص السبب عموم الحكم فيدخل في ذلك جميع الامانات مطلب التي يحملها الانسان وينقسم ذلك الى ثلاثة اقسام القسم الاول رعاية الامانة في عبادة الله عز وجل وهو فعل المامورات وترك المنهيات قال ابن مسعود الامانة لازمة في كل شيء حتى في الوضوء والغسل من الجنابة والصلاة والزكاة والصوم وساير انواع العبادات القسم الثاني وهو رعاية الامانة مع نفسه وهو ما انعم الله به عليه من ساير اعضائه فامانة اللسان حفظه من الكذب والغيبة والنميمة ونحو ذلك واما العين غضها عن المحارم واما السمع ان لا يشغله بسماع شيء من اللهو والفحش والاكاذيب ونحوه ثم ساير الاعضاء على نحو ذلك القسم الثالث هو رعاية امانة العبد مع ساير عباد الله تعالى فيجب عليه

رد الودايع والعواري الى اربابها الذين ايتمنوه عليها ولا يخونهم فيها عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اد الامانة الى من ائتمنك ولا تخن من خانك اخرجه ابو داود والترمذي وقال حديث حسن غريب ويدخل في ذلك وفاء الكيل والميزان فلا يطفف فيهما ويدخل في ذلك ايضا عدل الامراء والملوك في الرعية ونصح العلماء للعامة فكل هذه الاشياء من الامانات التي امر الله عز وجل باداءها الى اهلها وروى البغوي بسنده قال قل ما خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الا قال لا ايمان لمن لا امانة له ولا دين لمن لا عهد له وقوله تعالى واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل فيجب على الحاكم ان ياخذ الحق ممن وجب عليه لمن وجب له واصل العدل المساواة في الاشياء فكل ما خرج عن الظلم والاعتداء سمي عدلا قال بعض العلماء ينبغي للقاضي ان يسوي بين الخصمين في خمسة اشياء في الدخول عليه والجلوس بين يديه والاقبال عليهما والاستماع منهما والحكم بالحق فيما لهما وعليهما وحاصل الامر فيه ان يكون مقصود الحاكم بحكمه ايصال الحق الى مستحقه وان لا يمتزج ذلك بغرض اخر م عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين الذين يعدلون في حكمهم واهليهم وما ولوا عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احب الناس الى الله يوم القيامة وادناهم عنده مجلسا امام عادل وابغض الناس الى الله وابعدهم منه مجلسا امام جاير اخرجه الترمذي وقوله تعالى ان الله نعما يعظكم به اي نعم الشيء الذي يعظكم به وهو اداء الامانات والحكم بالعدل ان الله كان سميعا بصيرا يعني انه تعالى سميع لما يقولون وبصير بما يفعلون فاذا حكمتم فهو يسمع حكمكم واذا اديتم الامانة فهو يبصر فعلكم قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم ق عن ابن عباس قال نزلت قوله اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم الاية في عبد الله بن حذافة بن قيس بن عدي السهمي اذ بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم في سرية وقال السدي نزلت في خالد بن الوليد وذلك انه بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم في سرية وفيها عمار بن ياسر فلما قربوا من القوم هربوا منهم وجاء رجل الى عمار وقد اسلم فامنه عمار فرجع الرجل فجاء خالد واخذ مال الرجل فقال عمار اني قد امنته وقد اسلم فقال خالد اتجير علي وانا الامير فتنازعا وقدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجاز امان عمار ونهاه ان يجير الثانية على امير فانزل الله تعالى اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم واصل الطاعة الانقياد وهو امتثال الامر فطاعة الله عز وجل امتثال امره فيما امر والانقياد لذلك الامر وطاعة الله واجبة على كافة الخلق وكذا طاعة رسوله صلى الله عليه وسلم واجبة لقوله تعالى واطيعوا الرسول فاوجب طاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم على الخلق واختلف العلماء في اولي الامر الذين اوجب الله طاعتهم بقوله واولي الامر منكم

قال ابن عباس وجابر هم الفقهاء والعلماء الذين يعلمون الناس معالم دينهم وهو قول الحسن
والضحاك ومجاهد وقال ابو هريرة الامراء والولاة وهو رواية عن ابن عباس ايضا قال
على بن ابى طالب حق على الامام ان يحكم بما انزل الله ويؤدي الامانة واذا فعل ذلك فحق
على الرعية ان يسمعوا ويطيعوا ق عن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال على
المرء المسلم السمع والطاعة فيما احب او كره الا ان يؤمر بمعصية فان امر بمعصية فلا
سمع ولا طاعة خ عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اسمعوا واطيعوا
وان استعمل عليكم عبد حبشي كان رأسه زبيبة ما اقام فيكم كتاب الله وقال ميمون بن
مهران هم امراء السرايا والبعوث وهي رواية عن ابن عباس ايضا ووجه هذا القول
ان الاية نازلة فيهم وقال عكرمة اراد باولي الامر ابا بكر وعمر لما روي عن حذيفة قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى لا ادري ما بقائي فيكم فاقتدوا بالذين من بعدي
ابي بكر وعمر اخرجه الترمذي وقيل هو جميع الصحابة لما روي عن عمر قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم اخرجه رزين في كتابه وروى
البغوي بسنده عن الحسن عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل اصحابي
في امتي كالملح في الطعام لا يصلح الطعام الا بالملح قال الحسن فقد ذهب ملحنا فكيف
نصلح قال الطبري واولى الاقوال بالصواب قول من قال هم الامراء والولاة لصحة الاخبار
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالامر بطاعة الائمة والولاة فيما كان لله عز وجل
طاعة وللمسلمين مصلحة وقال الزجاج وجملة اولي الامر من يقوم بشأن المسلمين
في امر دينهم وجميع ما ادى اليه صلاحهم قال العلماء طاعة الامام واجبة على الرعية
ما دام على الطاعة فاذا زال الكتاب والسنة فلا طاعة له وانما تجب طاعته فيما
وافق الحق قوله تعالى فان تنازعتم في شيء يعني اختلفتم في شيء من امر دينكم والتنازع
اختلاف الاراء واصلها من انتزاع الحجة وهو ان كل واحد من المتنازعين ينزع الحجة
بنفسه فردوه الى الله والرسول اي ردوا ذلك الامر الذي تنازعتم فيه الى كتاب
الله عز وجل والى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما دام حيا وبعد وفاته فردوه الى
سنته والرد الى كتاب وسنة رسول الله واجب فان وجد ذلك الحكم في كتاب
الله اخذ به وان لم يوجد في كتاب الله ففي سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم
فان لم يوجد في السنة فسبيله الاجتهاد وقيل الرد الى الله ورسوله ان يقول لما لا يعلم
الله ورسوله اعلم ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الاخر يعني افعلوا ذلك الذي امرتكم
به ان كنتم تؤمنون بالله وان طاعته واجبة عليكم وتؤمنون بالمعاد الذي
فيه جزاء الاعمال قال العلماء في الاية دليل على ان من لا يعتقد وجوب طاعة الله
وطاعة الرسول ومتابعة السنة والحكم بالاحاديث الواردة عن النبي صلى الله عليه
وسلم لا يكون مؤمنا بالله واليوم الاخر ذلك خير يعني رد الحكم الى الله ورسوله

خير واحسن تأويلا يعني واحمد عاقبة وقيل معناه ذلك ان ردكم ما اختلفتم فيه الى الله
ورسوله احسن تأويلا منكم له واعظم اجرا قوله تعالى الم تر الى الذين يزعمون انهم امنوا
بما انزل اليك وما انزل من قبلك يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت وقد امروا
ان يكفروا به قال ابن عباس نزلت في رجل من المنافقين يقال له بشر كان بينه
وبين يهودي خصومة فقال اليهودي ننطلق الى محمد وقال المنافق بل ننطلق
الى كعب بن الاشرف وهو الذي سماه الطاغوت فابى اليهودي ان يخاصمه الا الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما راى المنافق ذلك اتى معه الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم لليهودي فلما خرجا من عنده لزمه المنافق
وقال ننطلق بنا الى عمر فاتيا عمر فقال اليهودي اختصمت انا وهذا الى محمد فقضى
لي فلم يرض بقضائه وزعم انه مخاصمي اليك فقال عمر للمنافق اكذلك قال نعم فقال
لهما عمر رويدا حتى اخرج اليكما فدخل عمر البيت واخذ السيف واشتمل عليه ثم خرج فضرب
به المنافق حتى برد وقال هكذا اقضي بين من لم يرض بقضاء الله وقضاء رسول الله صلى
الله عليه وسلم فنزلت هذه الاية وقال جبريل ان عمر فرق بين الحق والباطل فسمي الفاروق
وقال السدي كان ناس من اليهود قد اسلموا ونافق بعضهم وكانت قريظة والنضير
في الجاهلية وكانت قريظة حلفاء الخزرج والنضير حلفاء الاوس وكان اذا قتل رجل
من بني قريظة رجلا من بني النضير قتل به او اخذ ديته مائة وسق من تمر واذا قتل رجل
من النضير رجلا من قريظة لم يقتل به واعطى ديته ستون وسقا فلما جاء الاسلام وهاجر
النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة فقتل رجل من النضير رجلا من قريظة فاختصموا في
ذلك بنو النضير فقال بنو النضير كنا وانتم قد اصطلحنا على ان نقتل منكم ولا تقتلوا
منا وديتنا مائة وسق وديتكم ستون وسقا فنحن نعطيكم ذلك فقال الخزرج هذا شيء
كنتم تفعلونه في الجاهلية لكثرتكم وقلتنا فقهرتمونا على ذلك واليوم نحن اخوة في
الدين ولا فضل لكم علينا فقال المنافقون منهم ننطلق الى ابي بردة الكاهن الاسلمي وقال
المسلمون من الفريقين بل ننطلق الى النبي صلى الله عليه وسلم فابى المنافقون وانطلقوا
الى ابي بردة الكاهن ليحكم بينهم فقال اطعموا اللقمة يعني الخطر فقالوا لك عشرة اوسق
فقال لا بل مائة وسق ديتي قالوا ان نعطوه الا عشرة اوسق وابى ان يحكم بينهم وانزل
الله عز وجل اية القصاص وانزل هذه الاية الم تر الى الذين يزعمون انهم امنوا بما انزل اليك
وما انزل من قبلك الزعم والزعم بضم الزاي وفتحها لغتان واكثر ما يستعمل الزعم بمعنى القول
الذي لا يتحقق وقيل هو حكاية قول يكون مظنة للكذب ولهذا قيل زعم مطية الكذب
والمراد به في هذه الاية الكذب لان الاية نازلة في المنافقين وظاهر الاية يدل على
انها نازلة في الذين نافقوا من مؤمني اهل الكتاب ويدل عليه قوله امنوا بما انزل اليك
وما انزل من قبلك يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت يعني كعب بن الاشرف في قول

ابن عباس سماه الله طاغوتا لافراطه في الطغيان وعداوته رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل
هو ابو بردة الكاهن في قول السدي وقد امروا ان يكفروا به يعني بالطاغوت لان الكفر
بالطاغوت ايمان بالله عز وجل ويريد الشيطان ان يضلهم يعني عن طريق الهدى والحق
ضلالا بعيدا واذا قيل لهم يعني للمنافقين تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول يعني هلموا
الى حكم الله الذي انزله في كتابه والى الرسول ليحكم بينكم به رايت المنافقين يصدون
عنك صدودا يعني يعرضون عنك وعن حكمك اعراضا اي اعراض وانما اعرض
المنافقون عن حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم لانهم علموا انه صلى الله عليه وسلم
يحكم بينهم بالحق الصريح ولا يقبل الرشى قوله عز وجل فكيف اذا اصابتهم مصيبة يعني
فكيف حال هؤلاء المنافقين وكيف يصنعون اذا اصابتهم مصيبة يعجزون عنها بما
قدمت ايديهم يعني تصيبهم عقوبة بسبب ما قدمت ايديهم وهو التحاكم الى غير رسول
الله صلى الله عليه وسلم وهذا وعيد لهم على سوء صنيعهم ورضاهم بحكم الطاغوت دون
حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل المصيبة هي قتل عمر بذلك المنافق وقيل هي
كل مصيبة تصيب المنافقين في الدنيا والاخرة ثم جاؤك يعني المنافقين حين تصيبهم
المصائب يعتذرون اليك يحلفون بالله ان اردنا اي ما اردنا بالتحاكم الى غيرك
الا احسانا يعني في التحاكم الى غيرك لا اساءة وتوفيقا يعني بين الخصمين لا مخالفة لك
في حكمك وقيل جاء اولياء المنافق الذي قتله عمر يطلبون ديته وقالوا ما اردنا بالتحاكم
الى عمر الا ان يحسن الى صاحبنا فاهدر الله دم ذلك المنافق اولئك الذين يعلم الله
ما في قلوبهم يعني من النفاق فاعرض عنهم يعني عن عقوبتهم وقيل عن قبول عذرهم
وعظهم يعني باللسان والمراد به زجرهم بالوعظ عن النفاق والكفر والكذب وخوفهم بعذاب
الاخرة وقل لهم في انفسهم قولا بليغا يعني يبلغ التاثير في قلوبهم موقعه وهو التخويف
بالله عز وجل وقيل هو ان يوعدهم بالقتل ان لم يتوبوا من النفاق وقيل هو ان
يقول لهم ان اظهرتم ما في قلوبكم من النفاق قتلتم لان هذا القول يبلغ في نفوسهم
كل مبلغ وقيل معناه فاعرض عنهم في الملا وقل لهم في انفسهم اذا خلوت بهم
قولا بليغا اي اغلظ لهم في القول خاليا بهم ليس معهم غيرهم مسارا لهم بالنصيحة لانها
في السر انجع وقيل هذا الاعراض منسوخ باية القتال وقد تكلم العلماء في حد البلاغة
فقال بعضهم البلاغة ايصال المعنى الى الفهم في صورة من اللفظ وقيل البلاغة حسن
العبارة مع صحة المعنى وقيل البلاغة سرعة الايجاز مع الافهام وحسن التصرف
من غير اضجار وقيل احسن الكلام ما قلت الفاظه وكثرت معانيه وقيل خير الكلام
ما شوق اوله الى سماع اخره وقيل لا يستحق الكلام اسم البلاغة الا اذا سابق لفظه
معناه ومعناه لفظه ولم يكن لفظه الى السمع اسبق من معناه الى القلب وقيل
المراد بالقول البليغ في الاية ان يكون حسن الالفاظ وحسن المعاني مشتملا

على الترغيب

على الترغيب والترهيب والاعذار والانذار والوعد والوعيد بالثواب والعقاب فان
الكلام اذا كان كذلك عظم وقعه في القلوب والاثر في النفوس قوله عز وجل وما ارسلنا
من رسول قال الزجاج لفظة من هنا صلة مؤكدة والمعنى وما ارسلنا رسولا الا ليطاع
باذن الله يعني بامر الله والمعنى انما وجبت طاعة الرسول بامر الله وقيل معناه بعلم الله وقضائه
اي طاعته تكون باذن الله لانه اذن فيه فتكون طاعة الرسول طاعة الله و
معصيته معصية الله والمعنى وما ارسلنا من رسول الا فرضت طاعته على من ارسلته
اليهم وانت يا محمد من الرسل الذين فرضت طاعتهم على من ارسلتك اليهم ففيه توبيخ
وتقريع للمنافقين الذين تركوا حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضوا بحكم الطاغوت
ولو انهم اذ ظلموا انفسهم يعني الذين تحاكموا الى الطاغوت ظلموا انفسهم بالتحاكم
اليها جاؤك يعني جاؤك تائبين من النفاق والتحاكم الى الطاغوت متنصلين بما ارتكبوا
من المخالفة فاستغفروا الله يعني من ذلك الذنب بالاخلاص وبالقول في الاعتذار اليك
من ايذائك برد حكمك والتحاكم الى غيرك واستغفر لهم الرسول يعني من مخالفته والتحاكم الى
غيره وانما قال واستغفر لهم الرسول ولم يقل واستغفرت لهم اجلالا لرسول الله صلى الله
عليه وسلم وتفخيما له وتعظيما لاستغفاره وانهم اذا جاؤه فقد جاؤا من خصه الله
برسالته وجعله سفيرا بينه وبين خلقه ومن كان كذلك فان الله تعالى لا يرد شفاعته
فلهذا السبب عدل الى طريقة الالتفات من لفظ الخطاب الى لفظ الغيبة لوجدوا الله توابا رحيما
يعني لو انهم تابوا من ذنوبهم ونفاقهم واستغفرت لهم لعلموا ان الله يتوب عليهم ويتجاوز عنهم
ويرحمهم قوله عز وجل فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم نزلت هذه الاية
في الزبير بن العوام ورجل من الانصار ق عن عروة بن الزبير عن ابيه ان رجلا من الانصار
خاصم الزبير عند النبي صلى الله عليه وسلم في شراج الحرة التي يسقون بها النخل فقال الانصاري
سرح الماء يمر فابى عليه فاختصما عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم
للزبير اسق يا زبير ثم ارسل الى جارك فغضب الانصاري ثم قال يا رسول الله ان كان
ابن عمتك فتلون وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال للزبير اسق يا زبير ثم احبس
الماء حتى يرجع الى الجدر فقال الزبير والله اني لاحسب هذه الاية نزلت في ذلك فلا
وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم زاد البخاري فاستوعى رسول الله صلى الله عليه
وسلم حينئذ للزبير حقه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ذلك قد اشار على الزبير برأي
اراد سعة له وللانصاري فلما احفظ رسول الله صلى الله عليه وسلم استوعى رسول الله
صلى الله عليه وسلم للزبير حقه في صريح الحكم قال الزبير والله ما احسب هذه الاية نزلت
الا في ذلك فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم قوله اختصما في شراج الحرة
الشراج مسايل الماء التي تكون من الجبل وتنزل الى السهل الواحد شرجة بسكون الراء والحرة
الارض الحرا الملتبسة بالحجارة السود وقوله فتلون وجه رسول الله يعني تغير وهو

قوله فلما احفظ اى اغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله حتى يرجع الى الجدار
هو بفتح الجيم يعنى اصل الجدار فاستوعى له اى استوفى له حقه فى صريح الحكم وهو
ان من كان ارضه اقرب الى فم الوادى فهو اولى باول الوادى وحقه تمام السقى
ورسول الله صلى الله عليه وسلم اذن للزبير فى السقى على وجه المسامحة فلما ابى خصمه
ذلك ولم يعترف بما اشار به رسول الله صلى الله عليه وسلم من المسامحة لاجله امر
الزبير باستيفا حقه على التمام وحمل خصمه على امر الحق فعلى هذا القول تكون الاية
مستانفة لا تعلق لها بما قبلها قال البغوى وروى انهما لما خرجا مرا على المقداد فقال
لمن كان القضا قال الانصارى لابن عمته ولوى شدقه ففطن له يهودى كان مع المقداد
فقال قاتل الله هولا يشهدون انه رسول الله ثم يتهمونه فى قضا يقضى بينهم وايم الله
لقد اذنبنا ذنبا مرة فى حياة موسى فدعا موسى الى التوبة منه فقال فاقتلوا
انفسكم ففعلنا فبلغ قتلانا سبعين الفا فى طاعة ربنا فقال ثابت بن قيس بن شماس
اما والله ان الله ليعلم منى الصدق ولو امرنى محمد ان اقتل نفسى لفعلت وقال مجاهد
والشعبى نزلت فى بشر المنافق واليهودى الذين اختصما الى الطاغوت وعلى هذا القول
تكون الاية متصلة بما قبلها فلا وربك معناه فوربك فعلى هذا تكون لا مزيدة لتاكيد
معنى القسم وقيل ان لا رد لكلام سبق قال ليس الامر كما يزعمون انهم امنوا وهم يخالفون
حكمك ثم استانف القسم فقال تعالى فلا وربك لا يومنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم
يعنى فيما اختلفوا فيه من الامور واشكل عليهم حكمه وقيل فيما التبس عليهم يقال شاجره
فى الامر اذا نازعه فيه واصله التداخل والاختلاط وشجر الكلام اذا دخل بعضه فى بعض
واختلط ثم لا يجدوا فى انفسهم حرجا مما قضيت يعنى ضيقا مما قضيت وقيل شكا
فيما قضيت بل يرضوا بما قضيت ويسلموا تسليما يعنى وينقادوا لامرك انقيادا
ولا يعارضونك فى شى من امرك وقيل معناه يسلموا ما تنازعوا فيه لحكمك قوله
تعالى ولو انا كتبنا عليهم يعنى فرضنا واوجبنا عليهم الضمير فى عليهم يعود الى المنافقين
وقيل يعود الضمير على الكافة فيدخل فيه المنافق وغيره ان اقتلوا انفسكم او اخرجوا
من دياركم يعنى كما كتبنا على بنى اسرائيل القتل والخروج من مصر ما فعلوه الا قليل منهم
نزلت فى ثابت بن قيس بن شماس وذلك ان رجلا من اليهود قال والله لقد كتب
علينا القتل والخروج ففعلنا فقال ثابت والله لو كتب الله علينا ذلك لفعلنا
وهو من القليل الذى استثناه الله وقيل لما نزلت هذه الاية قال عمر وعمار بن ياسر
وابن مسعود وناس من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو القليل الذين
ذكرهم الله والله لو امرنا لفعلنا والحمد لله الذى عافانا فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم
فقال ان من امتى لرجال الايمان فى قلوبهم اثبت من الجبال الرواسى ومن قال ان
الضمير عليهم يعود الى المنافقين قال معنى ما فعلوه الا قليل منهم يعنى ريا وسمعة

والمعنى انا

والمعنى انا لو كتبنا عليهم الا طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم والرضى بحكمه ولو انا كتبنا عليهم
القتل والخروج من الدور والوطن ما كان فعله الا نفر يسير منهم وقرى الا قليلا منهم
بالنصب وتقديره الا ان يكون قليلا منهم ولو انهم فعلوا ما يوعظون به يعنى
ولو انهم فعلوا ما كلفوا به من طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم والرضى بحكمه لكان خيرا لهم
يعنى فى الدنيا والاخرة وانما سمى ذلك التكليف وعظا لان اوامر الله تعالى وتكاليفه مقرونة
بالوعد والوعيد والثواب والعقاب وما كان كذلك يسمى وعظا واشد تثبيتا يعنى تحقيقا
وتصديقا لايمانهم والمعنى ان ذلك اقرب الى ثبات ايمانهم وتصديقهم واذا لاتيناهم
من لدنا اجرا عظيما يعنى ثوابا واخراجا واذا جواب لسوال مقدر كانه قيل ماذا يكون
من هذا الخير والتثبيت قيل هو ان نوتيهم من لدنا اجرا عظيما ولهديناهم صراطا مستقيما
قال ابن عباس معناه ولارشدناهم الى دين مستقيم يعنى دين الاسلام وقيل معناه ولهديناهم
الى الاعمال الصالحة التى تودى الى الصراط المستقيم وهو الصراط الذى يمر عليه المومنون الى
الجنة لان الله تعالى ذكر الاجر العظيم اولا ثم ذكر الصراط المستقيم بعده لانه هو المودى الى الجنة
قوله عز وجل ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم الاية نزلت فى ثوبان
مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم كان شديد الحب لرسول الله صلى الله عليه وسلم قليل
الصبر عنه فاتاه ذات يوم وقد تغير لونه يعرف الحزن فى وجهه فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ما غير لونك قال يا رسول الله ما بى مرض ولا وجع غير انى اذا لم اراك استوحشت
وحشة شديدة حتى القاك ثم انى اذا ذكرت الاخرة اخاف لا اراك لانك ترفع الى عليين
مع النبيين وانى وان دخلت الجنة كنت فى منزلة هى ادنى من منزلتك وان لم ادخل
الجنة لا اراك ابدا فنزلت هذه الاية وقيل ان بعض اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم
قال كيف يكون الحال وانت يا رسول الله فى الدرجات العلى ونحن اسفل منك فكيف
نراك فانزل الله هذه الاية ومن يطع الله يعنى ادا الفرايض واجتناب النواهى اى
ويطع الرسول فى السنن التى سنها فاولئك مع الذين انعم الله عليهم يعنى بالهداية والتوفيق
فى الدنيا وبدخول الجنة فى الاخرة من النبيين يعنى ان المطيعين مع النبيين فى الجنة
لا تفوتهم روية الانبيا فى الجنة ومجالستهم لا انهم يكونون فى درجتهم فى الجنة لان
ذلك يقتضى التسوية بين الفاضل والمفضول والصديقين الصديق الكثير الصدق
فقيل من الصدق والصديقون هم اتباع الرسل الذين اتبعوهم على مناهجهم
بعدهم حتى لحقوا بهم وقيل الصديق هو الذى صدق بكل الدين حتى لا يخالجه
فيه شك والمراد بالصديقين فى هذه الاية افاضل اصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم كابى بكر هو الذى يسمى بالصديق من هذه الامة وهو افضل اتباع الرسل
والشهدا هم الذين استشهدوا فى سبيل الله وقيل هم الذين استشهدوا يوم احد
والصالحين جمع صالح وهو الذى استوى سريرته وعلانيته فى الخير وقيل الصالح

من اعتقاده صوابا وعمله في سنة وطاعة وقيل المراد بالنبيين هنا محمد صلى الله عليه وسلم وبالصديقين ابو بكر وبالشهدا عمر وعثمان وعلي وبالصالحين ساير الصحابة وحسن اولئك رفيقا يعني المنظر اليهم وهم النبيون والصديقون والشهدا والصالحون وفيه معنى التعجب كانه قال وما احسن اولئك رفيقا يعني في الجنة والرفيق الصاحب سمي رفيقا لارتفاقك به وبصحبته وانما وحد الرفيق وهو صفة الجمع لان العرب تعبر به عن الجمع والواحد وقيل معناه وحسن كل واحد من اولئك رفيقا (خ) عن انس ان رجلا سال النبي صلى الله عليه وسلم على الساعة فقال متى الساعة قال وما اعددت لها قال لا شي الا اني احب الله ورسوله فقال انت مع من احببت قال انس فما فرحنا بشي اشد من فرحنا بقول النبي صلى الله عليه وسلم انت مع من احببت قال انس فانا احب النبي صلى الله عليه وسلم وابا بكر وعمر فارجوا ان اكون معهم بحبي اياهم وان لم اعمل باعمالهم وقوله تعالى ذلك اشارة الى ما تقدم ذكره من وصف الثواب الفضل من الله يعني الذي اعطى الله المطيعين من الاجر العظيم وكفى بالله عليما يعني بجزا من اطاعه وقيل معناه وكفى بالله عليما بعباده فهو يوفقهم بطاعته وفيه دليل على انهم لم ينالوا تلك الدرجة بطاعتهم بل انما نالوها بفضل الله ورحمته ويدل عليه ما روي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لن يدخل احدا منكم عمله الجنة قالوا ولا انت يا رسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدني الله منه بفضل ورحمة لفظ البخاري ولمسلم نحوه قوله تعالى يا ايها الذين امنوا خذوا حذركم الحذر احتراز عن مخوف والمعنى احذروا من عدوكم ولا تمكنوه من انفسكم وقيل المراد بالحذر هنا السلاح يعني خذوا سلاحكم وعدتكم لقتال عدوكم وانما سمي السلاح حذرا لان به يتقى ويحذر وقيل معناه احذروا عدوكم ولقايل ان يقول اذا كان المقدور كاينا فما ينفع الحذر فالجواب عنه انه لما كان الكل بقضا الله وقدره فانفروا ثبات اي اخرجوا سرايا متفرقين سرية بعد سرية او انفروا جميعا يعني او اخرجوا جميعا كلكم مع نبيكم صلى الله عليه وسلم الى جهاد عدوكم وان منكم لمن ليبطئن نزلت في المنافقين وانما قال منكم لاجتماعهم مع اهل الايمان من الجنسية والنسب واظهار كلمة الاسلام لا في حقيقة الايمان والمعنى وان منكم لمن ليتثاقلن وليتخلفن عن الجهاد وهو عبد الله بن ابي بن سلول المنافق وكان راس المنافقين فان اصابتكم مصيبة اي قتل وهزيمة قال يعني هذا المنافق قد انعم الله علي يعني بالقعود اذ لم اكن معهم يعني مع المومنين شهيدا يعني حاضرا الوقعة فيصيبني ما اصابهم ولين اصابكم فضل من الله اي فتح وغنيمة ليقولن يعني هذا المنافق كان لم يكن بينكم وبينه مودة اي معرفة ومودة في الدين والمعنى كانه ليس من اهل دينكم وذلك ان المنافقين يوادون المومنين

في الظاهر يا ليتني كنت معهم في تلك الغزوة التي غنم فيها المومنون فافوز فوزا عظيما اي فاخذ نصيبا وافرا من الغنيمة قوله عز وجل فليقاتل في سبيل الله هذا خطاب للمنافق اي فليخلص الايمان وليقاتل في سبيل الله وقيل هو خطاب للمومنين المخلصين اي فليقاتل المومنون في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالاخرة اي يبيعون يقال شريت بمعنى بعت لانه استبدال عوض بعوض والمعنى فليقاتل المومنون الكافرين الذين يبغون حياتهم في الحياة الدنيا بثواب الاخرة وما وعد الله فيها لاهل الايمان والطاعة وقيل معناه فليقاتل في سبيل الله المومنون الذين يبتغون الحياة الدنيا ويختارون الاخرة وثوابها على الدنيا الفانية ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل اي فيستشهد او يغلب يعني يظفر بعدوه من الكفار فسوف نوتيه يعني في كلا الحالتين الشهادة والظفر نوتيه منها اجرا عظيما يعني ثوابا وافرا (ق) عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تضمن الله لمن خرج في سبيله لا يخرجه الا جهاد في سبيلي وايمان بي وتصديق برسلي فهو علي ضامن ان ادخله الجنة او ارجعه الى مسكنه الذي خرج منه نايلا ما نال من اجر وغنيمة لفظ مسلم قوله تعالى وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله قال المفسرون هذا حض من الله على الجهاد في سبيله لاستنقاذ المومنين المستضعفين من ايدي الكفار وفيه دليل على ان الجهاد واجب والمعنى لا عذر لكم في ترك الجهاد وقد بلغ حال المستضعفين ما بلغ من الضعف والاذى والمستضعفين من الرجال والنسا والولدان قال ابن عباس ر ع ان قوما من المسلمين استضعفوا وحبسوا وعذبوا وقيل كان هولا بمكة يلقون من المشركين اذى شديدا وكان اهل مكة قد اجتهدوا ان يفتنوا قوما من المومنين عن دينهم بالاذى لهم وكانوا مستضعفين في ايديهم فلم يكن لهم بمكة قوة يمتنعون بها من المشركين فعلى هذا يكون معنى الاية وما لكم لا تقاتلون في سبيل وفي خلاص المستضعفين لان المراد صرف الاذى عنهم (خ) عن ابن عباس في قوله وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين الاية قال كنت انا وامي من المستضعفين وفي رواية ابن ابي مليكة قال تلا ابن عباس المستضعفين من الرجال والنسا والولدان قال كنت انا وامي ممن عذر الله انا من الولدان وامي من النسا فعلى هذه الرواية الثانية من حديث ابن عباس يكون معنى المستضعفين الا المستضعفين من الرجال والنسا والولدان فانهم ممن عذر الله عن ترك القتال والولدان جمع وليد وهو الصبي الصغير الذين يقولون ربنا اخرجنا من هذه القرية يعني مكة الظالم اهلها يعني الظالم اهلها انفسهم بالشرك لقوله تعالى ان الشرك لظلم عظيم وذلك ان المستضعفين لما منعهم المشركون من الهجرة من مكة الى المدينة دعوا الله عز وجل فقالوا ربنا اخرجنا من هذه القرية يعني مكة الظالم اهلها بالشرك واجعل لنا من لدنك وليا يعني وليا يلي امرنا واجعل لنا من لدنك نصيرا يعني ينصرنا ويمنعنا من العدو

فاستجاب الله دعاءهم وجعل لهم من لدنه خير ولي وخير ناصر وهو محمد صلى الله عليه
وسلم فتولى امرهم ونصرهم واستنقذهم من ايدي المشركين يوم فتح مكة واستعمل
عليهم عتاب بن اسيد وكان ابن ثمانية عشر سنة فكان ينصر المظلوم من
من الظالمين ويأخذ للضعيف من القوي قوله عز وجل الذين امنوا يقاتلون في
سبيل الله يعني في طاعة الله واعلاء كلمته وابتغاء مرضاته والذين كفروا يقاتلون
في سبيل الطاغوت يعني في طاعة الشيطان فقاتلوا اولياء الشيطان اي فقاتلوا
ايها المومنون حزب الشيطان وجنوده وهم الكفار ان كيد الشيطان كان ضعيفا
الكيد السعي في الفساد على جهة الاحتيال ويعني بكيده ما كاد المومنين به من تحزيبه
اولياءه الكفار يوم بدر فكان النصر لاولياء الله وحزبه على اولياء الشيطان وحزبه
وادخال كان في قوله كان ضعيفا للتاكيد ضعف كيد الشيطان قوله تعالى الم تر
الى الذين قيل لهم كفوا ايديكم واقيموا الصلاة واتوا الزكاة قال الكلبي نزلت في
عبد الرحمن بن عوف الزهري والمقداد بن الاسود الكندي وقدامة بن مظعون
الجمحي وسعد بن ابي وقاص وجماعة من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كانوا يلقون
من المشركين اذى كثيرا بمكة قبل ان يهاجروا وكانوا يقولون يا رسول الله ايذن لنا
في قتالهم فانهم قد اذونا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كفوا ايديكم فاني
لم اومر بقتالهم واقيموا الصلاة واتوا الزكاة يعني قيل لهم كفوا ايديكم عن قتالهم وادوا
ما افترض من الصلاة والزكاة وفيه دليل على ان فرض الصلاة والزكاة كان قبل فرض
الجهاد فلما كتب عليهم القتال اي فرض عليهم جهاد المشركين وامروا بالخروج الى بدر
اذا فريق منهم يعني اذا جماعة من الذين سالوا ان يفرض عليهم الجهاد يخشون الناس
يعني يخافون مشركي مكة كخشية الله او اشد خشية او بمعنى الواو يعني واشد خشية وقالوا
ربنا لم كتبت علينا القتال يعني لم فرضت علينا الجهاد لولا اخرتنا الى اجل قريب يعني
هلا تركتنا ولم تفرض علينا القتال حتى نموت باجالنا والقايلون لهذا القول هم
المنافقون لان هذا القول لا يليق بالمومنين وقيل قاله بعض المومنين وانما قالوا
ذلك خوفا وجبنا لا اعتقادا ثم تابوا من هذا القول قل اي قل لهم يا محمد متاع
الدنيا قليل يعني ان منفعتها بالاستمتاع بالدنيا قليل لانه فان زايل والاخرة
يعني وثواب الاخرة خير لمن اتقى يعني اتقى الشرك ومعصية الرسول صلى الله عليه
وسلم ولا تظلمون فتيلا اي ولا تنقصون من اجوركم قدر فتيل م عن المستورد بن
شداد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الدنيا في الاخرة الا مثل ما يجعل احدكم
اصبعه هذه واشار يعني بالسبابة في اليم فلينظر بم ترجع قوله عز وجل اينما تكونوا
يدرككم الموت نزلت في المنافقين الذين قالوا في قتلى احد لو كانوا عندنا ما
ماتوا وما قتلوا فرد الله عليهم بهذه الاية وقيل في الذين قالوا ربنا لم كتبت علينا

القتال

القتال فرد الله عليهم بقوله اينما تكونوا يدرككم الموت فبين الله تعالى انه لا خلاص لهم
من الموت واذا كان لا بد من الموت كان القتل في سبيل الله وجهاد اعدائه افضل
من الموت على الفراش لان الجهاد موت يحصل به سعادة الاخرة ثم بين تعالى انه
لا بد لهم من الموت وانه لا ينجي منه شي بقوله ولو كنتم في بروج مشيدة البروج في
كلام العرب الحصون والقلاع والمشيدة المرفوعة المطولة وقيل هي المطلية بالشيد
وهو الجص وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله نزلت في المنافقين واليهود
وذلك ان المدينة كانت ذات خير وارزاق ونعم عند مقدم النبي صلى الله عليه وسلم
فلما ظهر نفاق المنافقين وعناد اليهود امسك الله عنهم بعض الامساك فقال
المنافقون واليهود ما زلنا نعرف النقص في ثمارنا ومزارعنا منذ قدم علينا هذا
الرجل واصحابه فقال الله تعالى وان تصبهم يعني المنافقين واليهود حسنة اي خصب
الثمار ورخص في السعر يقولوا هذه من عند الله يعني من قبل الله وان تصبهم سيئة اي
جدب في الثمار وغلاء في السعر يقولوا هذه من عندك يعني من شوم محمد واصحابه
وقيل المراد بالحسنة الظفر والغنيمة يوم بدر وبالسيئة القتل والهزيمة يوم احد ومعنى
من عندك انت الذي حملتنا عليه يا محمد فعلى هذا القول يكون هذا اخبارا عن المنافقين
خاصة قل اي قل لهم يا محمد كل من عند الله يعني الحسنة والسيئة والخصب والجدب
والغنيمة والهزيمة والظفر والقتل فاما الحسنة فانعام من الله واما السيئة فابتلا منه
فما لهولاء القوم اي فما شان هولاء القوم المنافقين واليهود الذين قالوا ما قالوا
لا يكادون يفقهون حديثا يعني لا يفهمون معاني القران وان الاشيا كلها من عند الله
عز وجل خيرها وشرها قوله تعالى ما اصابك من حسنة يعني من خير ونعمة فمن الله يعني من
فضل الله عليك تفضل بها احسانا منه اليك وما اصابك من سيئة يعني من شدة
ومكروه ومشقة واذى فمن نفسك يعني فمن قبل نفسك وبذنب اساته نفسك
استوجبت ذلك به وفي المخاطب بهذا الكلام قولان احدهما انه عام وتقديره ما اصابك
ايها الانسان والثاني انه خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره من الامة والنبي
صلى الله عليه وسلم بري لان الله عز وجل قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر وقد عصمه
من حين ابتعثه فهو معصوم فيما يستقبل حتى يموت ويدل على ان المراد بهذه الخطاب
غيره قوله عز وجل يا ايها النبي اذا طلقتم النسا خاطبه وحده ثم جمع الكل بقوله اذا طلقتم
النسا ومعنى قوله فمن نفسك اي عقوبة لذنبك يا ابن ادم كذا قاله قتادة وقال
الكلبي ما اصابك من خير فالله هداك واعانك عليه وما اصابك من امر تكرهه
فبذنبك عقوبة لك لذلك الذنب وقد تعلق بظاهر هذه الاية القدرية وقالوا
نفى الله السيئة عن نفسه ونسبها الى الانسان بقوله وما اصابك من سيئة فمن
نفسك ولا متعلق لهم بها لانه ليس المراد من الاية حسنة الكسب من الطاعات

ولا السيات المكتسبة من فعل المعاصي بل المراد من الحسنة والسيات في هذه الاية ما يصيب
الانسان من النعم والمحن وذلك ليس من فعل العبد لانه لا يقال في الطاعة والمعصية
اصابتني انما يقال اصبتها ويقال في المنعم والمحن اصابتني بدليل انه لم يذكر عليه ثوابا
ولا عذابا فهو كقوله تعالى واذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وان تصبهم سيئة يطيروا
ومن معه ولما ذكر الله حسنات الكسب وسيئاته وعد عليها بالثواب والعقاب فقال
تعالى من جاء بالحسنة فله عشر امثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها فبطل بهذا قول
القدرية وقال بعضهم لو كانت الاية على ما يقوله اهل القدر لقال ما اصبت من حسنة
وما اصبت من سيئة ولم يقل ما اصابك لان العادة جرت بقول الانسان اصابني خير
او مكروه واصبت او سيئة وقيل معنى الاية ما اصابك من حسنة اي النصر والظفر
يوم بدر فمن الله اي فمن فضل الله وما اصابك من سيئة اي قتل وهزيمة يوم احد
فمن نفسك يعني فبذنوبك وهو مخالفتهم اياك فان قلت كيف وجه الجمع بين
قوله تعالى قل كل من عند الله وبين قوله وما اصابك من سيئة فمن نفسك فاضاف
السيئات الى فعل العبد في هذه الاية قلت اما اضافة الاشيا كلها الى الله تعالى في قوله
قل كل من عند الله فعلى الحقيقة لان الله تعالى هو خالقها وموجدها واما اضافة الشي
الى فعل العبد فعلى المجاز تقديره وما اصابك من سيئة فمن الله بذنب نفسك عقوبة
لك وقيل اضافة السيات الى فعل العبد على سبيل الادب فهو كقوله تعالى واذا
مرضت فهو يشفين فاضاف المرض الى نفسه على طريق الادب ولا شك ان
الممرض هو الله وقيل هذه متصلة بما قبلها وفيه اضمار وتقديم وتاخير تقديره
فما لهؤلا القوم لا يكادون يفقهون حديثا ويقولون ما اصابك من حسنة فمن الله
وما اصابك من سيئة فمن نفسك قل كل من عند الله وقال ابن الانباري في معنى الاية
ما اصابك الله به من حسنة وما اصابك من سيئة فالفعلان راجعان الى الله تعالى
قوله تعالى وارسلناك للناس رسولا يعني وارسلناك يا محمد الى كافة الناس رسولا
لتبلغهم رسالتي وما ارسلناك به ولست رسولا الى العرب خاصة كما قال بعض
اليهود بل انت رسول الى الخلق كافة العرب وغيرهم وكفى بالله شهيدا يعني على ارسالك
للناس كافة فما ينبغي لاحد ان يخرج عن طاعتك واتباعك وقيل معناه وكفى
بالله شهيدا على تبليغك ما ارسلت به الى الناس وقيل معناه وكفى بالله شهيدا على
ان الحسنة من الله قوله عز وجل من يطع الرسول فقد اطاع الله سبب نزول هذه
الاية ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من اطاعني فقد اطاع الله ومن احبني فقد
احب الله فقال بعض المنافقين ما يريد هذا الرجل الا ان نتخذه ربا كما اتخذت النصارى
عيسى بن مريم ربا فانزل الله هذه الاية من يطع الرسول يعني فيما امر به ونهى عنه فقد
اطاع الله يعني ان طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم طاعة الله تعالى لانه هو امر بها

وقال الحسن

وقال الحسن جعل الله طاعة رسوله صلى الله عليه وسلم طاعته وقامت به الحجة على المسلمين
وقال الشافعي ان كل فريضة فرضها الله تعالى في كتابه كالحج والصلاة والزكاة لولا بيان رسول
الله صلى الله عليه وسلم لها ما كنا نعرف كيف ناتيها ولا كان يمكننا اداء شي من العبادات
واذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم بهذه المنزلة من الشريعة كانت طاعته على الحقيقة
طاعة الله ومن تولى اي اعرض عن طاعته فما ارسلناك عليهم حفيظا يعني حافظا تحفظ
اعمالهم عليهم بل كل امرهم الى الله قال المفسرون وكان هذا قبل ان يؤمر بالقتال ثم نسخ ذلك
باية القتال قوله تعالى ويقولون طاعة نزلت في المنافقين وذلك ان المنافقين كانوا يقولون
بالسنتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم امنا بك وصدقناك فمرنا بامرك طاعة اي امرنا وشاننا
طاعة فاذا برزوا من عندك اي خرجوا من عندك بيت طائفة منهم غير الذي تقول
التبييت كل امر يفعل بالليل يقال هذا امر مبيت اذا دبر بليل وقضي بليل فقد بيت والمعنى
انهم قالوا وقدروا امرا بالليل غير الذي اعطوك بالنهار من الطاعة وقيل معنى بيت غير
وبدل طائفة منهم غير الذي تقول يعني غير الذي عهدت اليهم فعلى هذا يكون التبييت بمعنى
التبديل وانما خص طائفة من المنافقين بالتبييت في قوله منهم وكلمة من للتبعيض لانه تعالى
علم ان منهم من يبقى على كفره ونفاقه ومن يرجع عنه ويتوب فخص من يصر على
النفاق بالذكر وقيل ان طائفة منهم اجتمعوا في الليل وبيتوا ذلك القول فخصهم
بالذكر والله يكتب اي يثبت ويحفظ عليهم ما يبيتون يعني ما يزورون ويغيرون
ويقدرون وقال ابن عباس يكتب ما يسرون من النفاق فاعرض عنهم اي لا
تعاقبهم يا محمد ولا تحدث نفسك بالانتقام منهم وخلهم وخل النهم فانا منتقم
منهم وقيل لا تخبر باسمائهم وتوكل على الله اي فوض امرك الى الله في شانهم
فان الله يكفيك امرهم وينتقم لك منهم وكفى بالله وكيلا يعني ناصرا لك عليهم
قوله عز وجل افلا يتدبرون القران اصل التدبر النظر في عواقب الامور والتفكر في
ادبارها ثم استعمل في كل تفكر وتامل يقال تدبرت الشي اذا نظرت في عاقبته
ومعنى تدبر القران تامل معانيه والتفكر في حكمه وتبصر ما فيه من الايات قال
ابن عباس افلا يتدبرون القران فيتفكرون فيه فيرون تصديق بعضه لبعض
وما فيه من المواعظ والذكر والامر والنهي وان احدا من الخلق لا يقدر عليه قال
العلماء ان الله تعالى احتج بالقران والتدبر فيه على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم والحجة
في ذلك من ثلاثة اوجه احدها فصاحته التي عجز الخلائق عن الاتيان بمثله
في اسلوبه الثاني اخباره عن الغيوب وهو ما يطلع الله نبيه صلى الله عليه وسلم
على احوال المنافقين وما يخفونه من مكرهم وكيدهم فيفضحهم بذلك وغير ذلك
من الاخبار عن احوال الاولين واخبارهم وما ياتي في المستقبل من امور الغيبة
التي لا يعلمها الا الله تعالى الثالث سلامته عن الاختلاف والتناقض وهو

المراد بقوله تعالى ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا قال ابن
عباس يعني تفاوتا وتناقضا وفي رواية عنه لو كان من عند مخلوق لكان فيه
كذب واختلاف وقيل معناه لوجدوا في اخباره عن الغيب بما يكون وبما
قد كان اختلافا كثيرا لان الغيب لا يعلمه الا الله واذا كان كذلك ثبت انه
من عند الله وانه ليس فيه اختلاف ولا تناقض وقيل لو كان من عند غير الله
لوجدوا فيه اختلافا كثيرا من جهة المبالغة والفصاحة والمعنى لو كان من عند
مخلوق لكان على قياس الكلام المخلوق بعضه فصيح بليغ حسن وبعضه مردود
ركيك فاسد فلما كان القران جميعه على منهاج واحد في الفصاحة والبلاغة
ثبت انه من عند الله والمعنى افلا يتفكرون في القران فيعرفوا بعدم التناقض
فيه وصدق ما يخبر به عن الغيوب انه كلام الله عز وجل وان ما يكون من عند غير الله لا
يخلوا عن تناقض واختلاف فاما كان القران ليس فيه تناقض واختلاف علم انه من عند
قادر على ما لا يقدر عليه غيره عالم بما لا يعلمه سواه قوله تعالى واذا جاءهم امر من الامن او الخوف
اذاعوا به وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يبعث البعوث والسرايا فاذا غلبوا
او غلبوا بادر المنافقون يستخبرون عن حالهم ثم يشيعونه ويتحدثون به قبل ان يحدث
به رسول الله صلى الله عليه وسلم فيضعفون به قلوب المومنين فانزل الله هذه الاية واذا
جاءهم المنافقين امر من الامن يعني جاءهم خبر بفتح وغنيمة او الخوف يعني القتل والهزيمة
اذاعوا به فافشوا ذلك الخبر واشاعوه بين الناس يقال اذاع السر واذاع به لغتان اذا اشاعه
واظهره شعر ❁ اذاع به في الناس حتى كانه ❁ بعلياء نار اوقدت بثقوب ❁ ولو ردوه
يعني الامر الذي تحدثوا به الى الرسول يعني انهم لم يتحدثوا به حتى يكون الرسول صلى الله عليه وسلم
الذي يتحدث به ويظهره والى اولي الامر منهم يعني ذوي العقول والراي والبصر بالامور
منهم وهم كبار الصحابة كابي بكر وعمر وعثمان وعلي وقيل هم امراء السرايا والبعوث وانما قال منهم
على حسب الظاهر ولان المنافقين كانوا يظهرون الايمان فلهذا قال والى اولي الامر منهم
لعلمه الذين يستنبطونه منهم اي يستخرجون تدبيره بذكائهم وفطنتهم وتجاربهم ومعرفتهم
بامور الحرب ومكايدها فاوهم العلماء الذين علموا ما ينبغي ان يكتم من الامور وما ينبغي
ان يذاع منها والنبط الماء الذي يخرج من البير اول ما تحفر واستنباطه استخراجه فاستعير
لما يخرجه الرجل بفضل ذكائه وصفاء ذهنه وفطنته من المعاني والتدبير فيما يعضل ويهم
يقال استنبط الفقيه المسئلة اذا استخرجها باجتهاده وفهمه وفي الاية دليل على جواز
القياس وان من العلم ما يدرك بالنص وهو الكتاب والسنة ومنه ما يدرك بالاستنباط
وهو القياس عليهما ومعنى الاية ولو ان هولاء المنافقين والمذيعين ردوا الامر من
الامن او الخوف الى الرسول والى اولي الامر وطلبوا معرفة الحال فيه من جهتهم لعلموا
حقيقة ذلك منهم وانهم اولى بالبحث عنه فانهم اعلم بما ينبغي ان يشاع او يكتم

قوله عز وجل

قوله عز وجل ولولا فضل الله عليكم ورحمته يعني ولولا فضل الله عليكم ببعثة محمد
صلى الله عليه وسلم وانزال القران ورحمته بالتوفيق والهداية لاتبعتم الشيطان
يعني لبقيتم على الكفر والضلالة الا قليلا اختلف العلماء في هذا الاستثناء والى ماذا يرجع
فقيل هو راجع الى الاذاعة وهو قول ابن عباس التقدير واذا جاءهم امر من الامن
او الخوف اذاعوا به الا قليلا فاخرج بعض المنافقين والمومنين من هذه
الاذاعة لانهم لم يذيعوا ما علموا من امر السرايا وهذا القول اختيار الفراء وابن
جرير الطبري وقيل هو راجع الى المستنبطين وهو قول الحسن وقتادة واختاره ابن
قتيبة وتقديره لعلمه الذين يستنبطونه منهم الا قليلا فعلى هذين القولين في الاية
تقديم وتاخير وقيل انه يرجع الى اتباع الشياطين وهو قول الضحاك واختاره
الزجاج ومعلوم ان صرف الاستثناء الى ما يليه ويتصل به اولى من صرفه الى الشيء
البعيد وتقديره ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان الا قليلا
منكم وهم قوم امنوا واهتدوا قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وانزال
القران مثل زيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل وقس بن ساعدة الايادي
قوله تعالى فقاتل في سبيل الله لا تكلف الا نفسك نزلت في مواعدة رسول الله
صلى الله عليه وسلم ابا سفيان بن حرب وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم واعده موسم
بدر الصغرى بعد حرب احد وذلك في ذي القعدة فلما بلغ الميعاد دعا رسول الله صلى الله عليه
وسلم الناس الى الخروج فكرهه بعضهم فانزل الله هذه الاية فقاتل في سبيل الله يعني لا تدع
جهاد العدو والانتصار للمستضعفين من المومنين لا تكلف الا نفسك يعني لا تكلف
فرض غيرك بل جاهد في سبيل الله فلو وحدك فان الله ناصرك لا الجنود وقد وعدك النصر
عليهم وهولا تخلف الميعاد فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبعين راكبا الى بدر
الصغرى فكفاهم الله القتال ورجعوا سالمين غانمين وعاتب الله من تخلف
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه الاية على سبيل ترك الجهاد والخروج معه وفي
الاية دليل على ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اشجع الناس واعلمهم بامور القتال ومكايده
لان الله تعالى امره بالقتال وحده ولو لم يكن اشجع الناس لما امره بذلك ولقد اقتدى به ابو بكر
الصديق في قتال اهل الردة من بني حنيفة الذين منعوا الزكاة فعزم على الخروج الى قتالهم ولو وحده
وحرض المومنين يعني حضهم على الجهاد ورغبهم في الثواب وليس عليك في شانهم الا التحريض يعني
فحسب لا التعنيف بهم عسى الله اي لعل الله ان يكف باس الذين كفروا يعني لعل الله
ان يمنع باس الكفار وشدتهم وقد فعل وذلك ان ابا سفيان بدا له عن القتال فلم
يخرج الى الموعد والله اشد باسا اي اعظم صولة واشد تنكيلا يعني واشد عذابا وعقوبة
من غيره قوله عز وجل من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها الشفاعة ماخوذ
من الشفع وهو ان يصير الانسان بنفسه شفيعا لصاحب الحاجة حتى يجتمع معه على

المسئلة الى المشفوع اليه فعلى هذا قيل ان المراد بالشفاعة المذكورة في الاية هي
شفاعة الانسان لغيره ليجلب له بشفاعته نفعا او يخلصه من بلا نزل به وقيل هي
الاصلاح بين الناس وقيل معنى الاية من يصير شفعا لوترا صحابك يا محمد فيشفعهم
في جهاد عدوهم يكن له نصيب منها اي حظ وافر من اجر شفاعته وهو ثواب الله
وكرامته ومن يشفع شفاعة سيئة قيل هي النميمة ونقل الحديث لايقاع العداوة
بين الناس وقيل المراد بالشفاعة الحسنة دعاء اليهود على المسلمين وقيل معناه
ومن يشفع كفره بقتال المؤمنين يكن له كفل اي ضعف وقيل نصيب منها اي من
وزرها وكان الله على كل شيء مقيتا قال ابن عباس يعني مقتدرا اي مجازيا وانشد
على الشيء قدر عليه قال الشاعر وذي ضغن كففت النفس عنه وكنت على اساءته
مقيتا يعني قادرا على الاساءة عليه وقيل معناه شاهدا وحفيظا على الاشيا
ن عن ابي موسى قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا فجاء رجل يسال فاقبل
علينا بوجهه وقال اشفعوا تؤجروا ويقضي الله على لسان رسوله ما شا وقيل رواية
كان اذا جاءه طلب حاجة اقبل على جلسائه فقال اشفعوا تؤجروا وذكره قوله عز
وجل واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها التحية تفعلة من حيي واصلها من الحياة
ثم جعل السلام تحية لكونه خارج عن حصول الحياة وسبب الحياة في الدنيا او في الاخرة
والتحية ان يقال حياك الله اي جعل لك حياة وذلك اخبار ثم يجعل دعاء وهذه اللفظة
كانت العرب تقولها فلما جاء الاسلام بدل ذلك بالسلام وهو المراد به في الاية يعني اذا سلم
عليكم المسلم فاجيبوه باحسن مما سلم عليكم به وانما اختير لفظ السلام على لفظ حياك
الله لانه اتم واحسن به واكمل لان معنى السلام السلامة من الافات فاذا دعا الانسان
بطول الحياة بغير سلامة كانت حياته مذمومة منغصة واذا كان في حياته سليما كان
اتم واكمل فلهذا السبب اختير لفظة السلام او ردوها اي ردوا عليه كما سلم عليكم
ان الله كان على كل شيء حسيبا يعني محاسبا او مجازيا والمعنى انه تعالى على كل شيء من رد
السلام بمثله او باحسن منه مجازي عليه **فصل** في فضل السلام والحث عليه ق
عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان رجلا سال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اي الاسلام خير قال تطعم الطعام وتقرا السلام على من عرفت ومن لم تعرف قوله اي
الاسلام خير معناه اي خصال الاسلام خير م عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا اولا ادلكم على شيء اذا فعلتموه
تحاببتم افشوا السلام بينكم عن عبد الله بن سلام قال سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول ايها الناس افشوا السلام واطعموا الطعام وصلوا الارحام وصلوا والناس
نيام تدخلون الجنة بسلام اخرجه الترمذي وقال حديث صحيح عن ابي امامة قال امرنا
نبينا ان نفشي السلام اخرجه ابن ماجه **فصل** في احكام تتعلق بالسلام وفيه

مسايل

مسايل المسئلة الاولى في كيفية السلام ق عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال لما خلق الله تعالى ادم قال اذهب فسلم على اولئك نفر من الملائكة
جلوس فاستمع ما يحيونك فانها تحيتك وتحية ذريتك فقال السلام عليكم
فقالوا السلام عليك ورحمة الله فزادوه ورحمة الله قال العلماء يستحب لمن يبتدي
بالسلام ان يقول السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فياتي بضمير الجمع وان كان
المسلم عليه واحدا ويقول المجيب وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته فياتي
بواو العطف في قوله وعليكم عن عمران بن حصين قال جاء رجل الى النبي صلى الله
عليه وسلم فقال السلام عليكم فرد عليه ثم جلس فقال النبي صلى الله عليه وسلم
عشر ثم جاء اخر فقال السلام عليكم ورحمة الله فرد عليه فجلس فقال عشرون
ثم جاء اخر فقال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فرد عليه وجلس فقال ثلاثون
اخرجه الترمذي وابو داود وقال الترمذي حديث حسن وقيل اذا قال المسلم السلام
عليكم فيقول المجيب وعليكم السلام ورحمة الله فيزيده ورحمة الله واذا قال
السلام عليكم ورحمة الله فيقول وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته فيزيده
وبركاته واذا قال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فيرد عليه مثله ولا يزاد عليه
وروي ان رجلا سلم على ابن عباس فقال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته
ثم زاد شيئا فقال ابن عباس ان السلام انتهى الى البركة ويستحب للمسلم ان يرفع
صوته بالسلام ليسمع المسلم عليه فيجيبه ويشترط ان يكون الرد على الفور فان
اخره ثم رد لم يعد جوابا وكان اثما بترك الرد المسئلة الثانية في حكم السلام الابتدا
بالسلام سنة مستحبة ليس بواجب وهو سنة على الكفاية فان كانوا جماعة فسلم
واحد منهم كفى عن جميعهم ولو سلم كلهم كان افضل واكمل قال القاضي حسين
من اصحاب الشافعي ليس لنا سنة على الكفاية الا هذه وفيه نظر لان تشميت العاطس
سنة كفاية ايضا كالسلام ولو دخل على جماعة في بيت او مجلس او مسجد وجب
عليه ان يسلم على الحاضرين لقوله صلى الله عليه وسلم افشوا السلام والامر للوجوب
او يكون ذلك سنة موكدة لان السلام من شعار اهل الاسلام فيجب اظهاره او
يتاكد استحبابه اما الرد على المسلم فقد اجمع العلماء على وجوبه ويدل عليه قوله تعالى
واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها او ردوها والامر للوجوب ولان في ترك
الرد اهانة للمسلم فيجب ترك الاهانة فان كان المسلم عليه واحدا وجب الرد
عليه واذا كانوا جماعة كان رد السلام في حقهم فرض كفاية فلو رد واحد منهم سقط
فرض الرد عن الباقين وان تركوه كلهم اثموا عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يجزي عن الجماعة اذا مروا احدهم ويجزي عن الجلوس
ان يرد احدهم اخرجه ابو داود المسئلة الثالثة في ادب السلام السنة ان يسلم

الراكب على الماشي والماشي على القاعد والقليل على الكثير والصغير على الكبير عن ابي هريرة
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يسلم الراكب على الماشي والماشي على القاعد والقليل على
الكثير وفي رواية للبخاري قال يسلم الصغير على الكبير والمار على القاعد والقليل على الكثير
اذا التقا رجلان فالمستحب بالسلام هو افضل لما روي عن ابي امامة الباهلي قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اولى الناس بالله عز وجل من بداهم بالسلام اخرجه ابوداود
واخرجه الترمذي ولفظه قال قيل يا رسول الله الرجلان يلتقيان ايهما يبدا بالسلام قال
اولاهما بالله قال الترمذي حديث حسن ويستحب ان يبدا بالسلام قبل الكلام والحاجة
والسنة اذا مر بجماعة صبيان صغار ان يسلم عليهم لما روي عن انس انه مر على صبيان فسلم عليهم وقال
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعله اخرجاه في الصحيحين وفي رواية لابي داود
ان النبي صلى الله عليه وسلم مر على غلمان يلعبون فسلم عليهم واما السلام على النسا فان كن
جمعا جالسات في موضع او مسجد فيستحب ان يسلم عليهن اذا لم يخف على نفسه وعليهن
فتنة لما روي عن اسما بنت يزيد قالت مر علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في نسوة فسلم
علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم اخرجه ابوداود وفي رواية للترمذي ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم مر في المسجد يوما وعصبة من النسا قعود فالوى بيده بالتسليم قال
الترمذي حديث حسن واذا مر على امراة مفردة اجنبية فان كانت جميلة فلا يسلم عليها ولو سلم
فلا ترد هي عليه لانه لم يجوز الرد وان كانت عجوزا لا يخاف عليه ولا عليها الفتنة سلم
عليها وهي ترد عليه وحكم النسا مع النسا كحكم الرجال مع الرجال في السلام فيسلم بعضهن على
بعض المسئلة الرابعة في الاحوال التي يكره السلام فيها فمن ذلك الذي يبول او يتغوط
او يجامع ونحو ذلك لا يسلم عليه فلا يستحق المسلم جوابا لما روي عن ابن عمر ان رجلا مر ورسول
الله صلى الله عليه وسلم يبول فسلم فلم يرد عليه اخرجه مسلم قال الترمذي انما يكره اذا كان على
الغائط والبول ويكره التسليم على من في الحمام وقيل ان كانوا متزرين بالميازر سلم عليهم
والا فلا ويكره التسليم على النائم والناعس والمصلي والموذن في حال الاذان والتالي
في حال الصلاة والاذان والتلاوة ويكره الابتدا بالتسليم في حال الخطبة لان السامعين
ماموروں بالانصات للخطبة ويكره ان يبدا المبتدع بالتسليم عليه وكذلك المعلن
بفسوق وكذلك الظلمة ونحوهم فلا يسلم على هولا المسئلة الخامسة في حكم السلام على
اهل الذمة واليهود والنصارى اختلف العلما فيه فذهب اكثرهم الى انه لا يجوز ابتداوهم
وقال بعضهم انه ليس بحرام بل هو مكروه كراهة تنزيه ويدل على ذلك ما روي عن
ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تبدوا اليهود ولا النصارى بالسلام
فاذا لقيتم احدهم في طريق فاضطروه الى اضيقه اخرجه مسلم واذا سلم يهودي
او نصراني على مسلم فيرد عليه ويقول عليك بغير واو العطف لما روي عن انس
ان يهوديا اتى على رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه فقال السام عليكم

فرد عليه

فرد عليه القوم فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم هل تدرون ما قال قالوا الله و
رسوله اعلم سلم يا نبي الله قال لا ولكن قال كذا وكذا ردوه علي فردوه فقال قلت
السام عليكم قال نعم قال النبي صلى الله عليه وسلم عند ذلك اذا سلم عليكم احد من اهل
الكتاب فقولوا عليك اي عليك ما قلت اخرجه الترمذي فلو اتى بواو العطف وميم
الجمع فقال وعليكم جاز لانا نجاب عليهم في الدعا ولا يجابون علينا ويدل على
ذلك ما روي عن جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مر عليه ناس من اليهود
فقالوا السام عليك يا ابا القاسم فقال وعليكم فقالت عائشة وغضبت الم تسمع
ما قالوا قال بلى قد سمعت فرددت عليهم وانا نجاب عليهم ولا يجابون علينا
اخرجه مسلم واذا مر المسلم على جماعة فيهم مسلمون ويهود ونصارى يسلم عليهم ويقصد
بتسليمه المسلمين لما روي عن اسامة بن زيد ان النبي صلى الله عليه وسلم مر على مجلس
فيه اخلاط من المسلمين واليهود فسلم عليهم اخرجه الترمذي والله اعلم قوله عز وجل
الله لا اله الا هو ليجمعنكم هذه لام القسم تقديره والله الذي لا اله الا هو ليجمعنكم الله
في الموت وفي القبور الى يوم القيامة يعني الى يوم الحشر والبعث سميت القيامة
قيامة لقيام الناس من قبورهم بعد الموت وقيل لقيامهم للحساب نزلت هذه
الاية في منكري البعث لا ريب فيه يعني لا شك في ذلك اليوم انه كائن ومن
اصدق من الله حديثا يعني لا احد اصدق من الله فانه لا يخلف الميعاد ولا يجوز
عليه الكذب والمعنى ان القيامة كائنة لا شك فيها ولا ريب قوله عز وجل فما لكم في
المنافقين فئتين اختلفوا في سبب نزول هذه الاية فقيل نزلت في الذين تخلفوا
يوم احد من المنافقين فلما رجعوا قال بعض اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
لرسول الله صلى الله عليه وسلم اقتلهم يا رسول الله فانهم منافقون وقال بعضهم اعف
عنهم فانهم قد تكلموا بكلمة الاسلام خ عن زيد بن ثابت قال لما خرج رسول الله صلى الله
عليه وسلم الى احد رجع ناس ممن خرج معه فكان اصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم فيهم فرقتين فرقة تقول نقتلهم وقالت فرقة لا نقتلهم فنزلت فما لكم في المنافقين
فئتين وقال النبي صلى الله عليه وسلم انها طيبة تنفي الرجال كما تنفي الكير خبث الحديد
وقيل نزلت في قوم خرجوا الى المدينة واسلموا ثم استاذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
في الخروج الى مكة ليأتوا ببضائع لهم يتجرون فيها فخرجوا واقاموا بمكة فاختلف المسلمون
فيهم فقائل يقول هم منافقون وقائل يقول مؤمنون وقيل نزلت في ناس من قريش
قدموا المدينة فاسلموا ثم ندموا على ذلك فخرجوا كهيئة المتنزهين فلما بعدوا عن
المدينة كتبوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انا على الذي فارقناك عليه من الايمان
ولكنا اجتوينا المدينة واشتقنا الى ارضنا ثم انهم خرجوا في تجارة الى الشام فبلغ
ذلك المسلمين فقال بعضهم نخرج اليهم ونقتلهم وناخذ ما معهم لانهم رغبوا عن ديننا

وقالت طائفة منهم كيف تقتلون قوما على دينكم وان لم يذروا ديارهم وكان هذا القتال بين
النبي صلى الله عليه وسلم وهو ساكت لا ينهى احد الفريقين فنزلت هذه الاية وقيل نزلت
في قوم اسلموا بمكة ولم يهاجروا وكانوا يظاهرون المشركين وقيل نزلت في عبد الله بن
ابي بن سلول المنافق لما تكلم في حديث الافك ومعنى الاية فما لكم يا معشر المؤمنين
في المنافقين فئتين اي صرتم في امرهم فرقتين فرقة تذب عنهم وفرقة تباينهم
وتعاديهم فنهى الله الفرقة الذين يذبون عنهم وامر المؤمنين جميعا ان يكونوا على نهج
واحد في التباين لهم والتبري منهم ثم اخبر عن كفرهم بقوله والله اركسهم يعني نكسهم
في كفرهم وارتدادهم الى احكام الكفار بما كسبوا اي بسبب ما كسبوا من اعمالهم الخبيثة وقيل
بما اظهروا من الارتداد بعد ما كانوا على النفاق اتريدون ان تهدوا من اضل الله هذا خطاب
للفئة التي دافعت عن المنافقين والمعنى اتبغون ايها المؤمنون هداية هؤلاء المنافقين
الذين اضلهم الله عن الهدى ومن يضلل الله يعني عن الهدى فلن تجد له سبيلا
يعني فلن تجد له طريقا يهتدي به الى الهدى والحق قوله عز وجل ودوا يعني تمنى اولئك
الذين رجعوا عن الايمان الى الارتداد والكفر لو تكفرون يعني تكفرون انتم يا معشر المؤمنين
كما كفروا فتكونون سوا في الكفر فلا تتخذوا منهم اولياء يعني من الكفار منع المؤمنين من
موالاتهم حتى يهاجروا يعني يسلموا ويهاجروا في سبيل الله معكم وهي هجرة اخرى فالهجرة على
ثلاثة اوجه الاول هجرة المؤمنين في اول الاسلام من مكة الى المدينة الثانية هجرة المؤمنين
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبيل الله مخلصين صابرين محتسبين كما حكى الله عنهم
في هذه الاية منع المؤمنين عن موالاة المنافقين حتى يهاجروا في سبيل الله والهجرة الثالثة
هجرة المؤمنين ما نهاهم الله عنه فان تولوا يعني فان اعرضوا عن الاسلام والهجرة واختاروا
الاقامة على الكفر فخذوهم الخطاب للمؤمنين اي خذوهم ايها المؤمنين واقتلوهم حيث
وجدتموهم يعني ان وجدتموهم في الحل والحرم ولا تتخذوا منهم وليا يعني في هذه الحالة
ولا نصيرا يعني ينصركم على اعدائكم لانهم اعداكم ثم استثنى الله عز وجل طائفة منهم فقال تعالى
الا الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق هذا الاستثناء يرجع الى القتل لا الى الموالاة
لان موالاة الكفار والمنافقين لا تجوز بحال ومعنى يصلون ينتسبون اليهم ويتصلون اليهم
ويدخلون معهم بالحلف والجوار وقال ابن عباس يريد يلجاون الى قوم بينكم وبينهم
ميثاق اي عهد وهم الاسلميون وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وادع هلال بن عويمر
الاسلمي عند خروجه الى مكة على ان لا يعينه ولا يعين عليه ومن وصل الى هلال من قومه
ومن غيرهم ولجا اليه فلهم الجوار مثل ما لهلال وفي رواية عن ابن عباس قال اراد بالقوم
الذين بينكم وبينهم ميثاق بني بكر بن زيد مناة كانوا في الصلح والهدنة وقيل هم خزاعة
والمعنى ان من دخل في عهد من كان داخلا في عهدكم فهم ايضا داخلون في عهدكم او جاؤكم
حصرت صدورهم يحتمل ان يكون عطفا على الذين وتقديره الى الذين يصلون

بالمعاهدين او يتصلون بالذين حصرت صدورهم فلا تقاتلوهم وقيل يحتمل ان يكون
عطفا على صفة قوم وتقديره الا الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم عهد او يصلون
الى قوم حصرت صدورهم فلا تقاتلوهم ومعنى حصرت اي ضاقت صدورهم عن
المقاتلة فلا يريدون قتالكم لانكم مسلمون ولا يريدون قتالهم لانهم اقاربهم وهم بنوا
مدلج كانوا عاهدوا ان لا يقاتلوا المسلمين وعاهدوا قريشا ان لا يقاتلوهم ان يقاتلوكم
يعني ضاقت صدورهم عن قتالكم للعهد الذي بينكم وبينهم او يقاتلوا قومهم يعني من
امن منهم وقيل معناه انهم لا يقاتلونكم مع قومهم ولا يقاتلون قومهم معكم قد ضاقت
صدورهم لذلك عن قتالكم والقتال معكم وهم قوم هلال الاسلميون وبنو بكر نهى الله
عن قتال هؤلاء المرتدين اذا اتصلوا باهل عهد المسلمين لان من انضم الى قوم ذوي عهد فله
حكمهم في حقن الدم وذلك ان الله تعالى اوجب قتال الكفار الا من كان معاهدا او لجا الى
معاهد او ترك القتال فانه لا يجوز قتل هؤلاء وعلى هذا القول فالقول بالنسخ لازم لان
الكافر وان ترك فقتاله جايز وقال جماعة من المفسرين معاهدة المشركين وموادعتهم
في هذه الاية منسوخة باية السيف وذلك لان الله تعالى لما اعز الاسلام واهله امر ان لا
يقبل من مشركي العرب الا الاسلام او القتل ولو شاء الله لسلطهم عليكم فلقاتلوكم
يذكر الله تعالى منته على المسلمين بكف باس المعاهدين وذلك لما القى الرعب في قلوبهم
وكفهم عن قتالكم ومعنى التسليط هنا هو لتقوية قلوبهم على قتال المسلمين ولكن قذف
الرعب في قلوبهم وكفهم عن المسلمين فان اعتزلوكم يعني فان اعتزلوا عن قتالكم
فلم يقاتلوكم ويقال فلم يقاتلوكم يوم فتح مكة مع قومهم والقوا اليكم السلم يعني
الانقياد والصلح فانقادوا واستسلموا فما جعل الله لكم عليهم سبيلا يعني بالقتل و
القتال وقال بعض المفسرين ان هذا منسوخ باية القتال وهي قوله اقتلوا المشركين
حيث وجدتموهم وقال بعضهم هي غير منسوخة لانا اذا حملنا على المعاهدين فكيف
يمكن ان يقال انها منسوخة قوله عز وجل ستجدون اخرين قال ابن عباس هم اسد و
غطفان كانوا من حاضري المدينة فتكلموا بكلمة الاسلام رياء وهم غير مسلمين وكان
الرجل منهم يقول له قومه بماذا امنت يقول امنت بهذا القرد والعقرب والخنفسا
واذا لقوا اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا انا على دينكم يريدون بذلك
الامن من الفريقين وفي رواية اخرى عن ابن عباس انها نزلت في عبد الدار
بهذه الصفة يريدون ان يامنوكم يعني يريدون باظهار الايمان لكم ان يامنوكم
فلا تتعرضوا لهم ويامنوا قومهم يعني باظهار الكفر لهم فلا يتعرضوا لهم كلما ردوا الى
الفتنة يعني كلما دعوا الى الشرك اركسوا فيها اي رجعوا الى الشرك وعادوا اليه
منكوسين على رؤسهم فيه فان لم يعتزلوكم يعني فان لم يكفوا عن قتالكم حتى يسيروا
الى مكة ويلقوا اليكم السلم اي ولم يلقوا الصلح ولم يكفوا عن قتالكم فخذوهم

يعني اسرا فاقتلوهم حيث ثقفتموهم يعني حيث ادركتموهم واولئكم يعني اهل هذه الصفة
جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا يعني حجة ظاهرة بالقتل والقتال وقيل الحجة الواضحة هو ظهور
عداوتهم وانكشاف حالهم بالكفر والعداوة قوله تعالى وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا
الا خطأ الاية نزلت في العياش بن ابي ربيعة المخزومي وذلك انه اتى رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهو بمكة قبل الهجرة فاسلم ثم خاف ان يظهر اسلامه لاهله فخرج هاربا الى المدينة
وتحصن في اطم من اطامها والاطم الحصن فجزعت امه لذلك جزعا شديدا وقالت
لابنيها الحرث وابي جهل بني هشام وهما اخوا عياش ابن ابي ربيعة لامه لا والله لا يظلني
سقف ولا اذوق طعاما ولا شرابا حتى تأتوني به فخرجا في طلبه وخرج معهم الحرث بن زيد
ابن ابي انيسة حتى اتوا الى المدينة فاتوا عياشا وهو في الاطم فقالا انزل فان امك لم يؤوها
سقف بعدك وقد حلفت لا تاكل ولا تشرب حتى ترجع اليها ولك عهد الله علينا ان
لا نكرهك على شيء ولا نحول بينك وبين دينك فلما ذكرا له جزع امه واوثقا له العهد بالله نزل
اليهم فاخرجوه من المدينة واوثقوه بنسعة فلما اتوا بها قالت لا احلك من وثاقك حتى
تكفر بالذي امنت به ثم تركوه موثقا في الشمس ما شاء الله فاعطاهم الذي ارادوه فاتاه
الحرث بن زيد فقال يا عياش هذا الذي كنت عليه لئن كان هدى لقد تركت الهدى ولئن
كان ضلالة لقد كنت عليها فغضب عياش من مقالته وقال والله لا القاك خاليا الا
قتلتك ثم ان عياشا اسلم بعد ذلك وهاجر واسلم حرث بن زيد بعده وهاجر الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم وليس عياش حاضرا يومئذ ولم يشعر باسلامه فبينا عياش يسير بظهر
قبا اذ لقي الحرث فقتله فقال له الناس ويحك يا عياش اي شيء صنعت انه قد اسلم فرجع
عياش الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله انه كان من امري وامر الحرث
ما قد علمت واني لم اشعر باسلامه حتى قتلته فنزل وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا الا خطأ
ومعنى الاية وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا البتة وما كان له سبب جواز قتله وقيل معناه
ما كان له ذلك فيما اتاه من ربه وعهد اليه فيه تحريم قتل المؤمن من كل وجه وقوله تعالى الا خطأ
استثناء منقطع معناه لكن ان وقع خطأ فتحرير رقبة وقيل معناه ما كان لمؤمن ان يقتل
مؤمنا البتة الا ان يخطى المؤمن فكفارة خطائه ما ذكر من بعد والخطأ فعل الشيء من غير قصد
ولعمد ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة يعني فعليه اعتاق رقبة مؤمنة كفارة ودية
مسلمة الى اهله اي وعليه دية كاملة مسلمة الى اهل القتيل الذين يرثونه الا ان يصدقوا
يعني الا ان يتصدق اهل القتيل على القاتل بالدية ويعفوا عنه فان كان يعني المقتول من
قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة اراد انه اذا كان رجل مسلم في دار الحرب
وهو منفرد مع قوم كفار فقتله من لم يعلم باسلامه فلا دية عليه وعليه الكفارة وقيل
المراد منه اذا كان المقتول مسلما في دار الاسلام وهو من نسب قوم كفار واهله الذين
يرثونه في دار الحرب وهم حرب للمسلمين ففيه الكفارة ولا دية لاهله وكان الحرث

ابن زيد

ابن زيد من قوم كفار حرب للمسلمين فكان فيه الكفارة تحرير رقبة دون الدية لانه لم يكن
بين قومه وبين المسلمين عهد فان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق اي عهد فدية
مسلمة الى اهله وتحرير رقبة مؤمنة يعني انه اذا كان المقتول كافرا معاهدا او ذميا
فيجب فيه الدية والكفارة فمن لم يجد يعني الرقبة فصيام شهرين متتابعين اي
فعليه صيام شهرين متتابعين بدلا عن الرقبة توبة من الله يعني جعل الله ذلك
توبة لقاتل الخطأ وكان الله عليما يعني بمن قتل خطأ حكيما يعني فيما حكم به عليه من
الدية والكفارة **فصل** في احكام تتعلق بالاية وفيه مسائل المسئلة الاولى
في بيان صفة القتل قال الشافعي القتل على ثلاثة اقسام عمد وشبه عمد وخطأ العمد
المحض هو ان يقصد قتل انسان بما يقتل به غالبا فقتل به ففيه القصاص عند وجود
التكافي او دية حالة مغلظة في دية القاتل واما شبه العمد فهو ان يقصد ضرب
انسان بما لا يقتل غالبا مثل ان ضربه بعصا خفيفة او رماه بحجر صغير فمات فلا قصاص
عليه ويجب عليه دية مغلظة على عاقلته مؤجلة الى ثلاث سنين واما الخطأ المحض
فهو ان لا يقصد قتله بل قصد شيئا اخر فاصابه فمات منه فلا قصاص عليه ويجب
عليه دية مخففة على عاقلته مؤجلة الى ثلاث سنين ومن صور قتل الخطأ ايضا ان
يقصد قتل انسان يظنه مشركا بان كان عليه لباس المشركين او شعارهم فالصورة
الاولى خطأ في الفعل والثانية خطأ في القصد المسئلة الثانية في حكم الديات
ودية الحر المسلم مائة من الابل فاذا عدمت الابل فيجب قيمتها من الدراهم والدنانير
في قول وفي قول بدل مقدر وهو الف دينار او اثنى عشر الف درهم ويدل
على ذلك ما روي عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال كانت الدية على عهد رسول الله
صلى الله عليه وسلم ثمانمائة دينار او ثمانية الاف درهم قال وكانت
دية اهل الكتاب يومئذ على النصف من دية المسلم فكانت كذلك حتى استخلف
عمر فقام خطيبا فقال ان الابل قد غلت ففرضها عمر على اهل الذهب الف دينار
وعلى اهل الورق اثنى عشر الف درهم وعلى اهل البقر مائتي بقرة وعلى اهل
الشاة الفي شاة وعلى اهل الحلل مائتي حلة قال وترك اهل الكتاب فلم يرفعها
فيما رفع من الدية اخرجه ابو داود وذهب قوم الى ان الواجب في الدية مائة
من الابل او الف دينار او اثنى عشر الف درهم وهو قول عروة بن الزبير
والحسن البصري وبه قال مالك والشافعي وذهب قوم الى انها مائة من
الابل او الف دينار او عشرة الاف درهم وهو قول الثوري واصحاب الرأي
ودية المرأة نصف دية الذكر الحر ودية اهل الذمة والعهد ثلث دية المسلم
ان كان كتابيا وان كان مجوسيا فخمس الثلث ثمانمائة درهم وهو قول سعيد
بن المسيب واليه ذهب الشافعي وذهب قوم الى ان دية الذمي والمعاهد

دية حر

مثل دية المسلم روي ذلك عن ابن مسعود وهو قول سفيان الثوري واصحاب الراي وقال قوم دية الذمي نصف دية المسلم وهو قول عمر بن عبد العزيز وبه قال مالك واحمد والاصل في ذلك ما روي عن ابن شعيب عن ابيه عن جده ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال دية المعاهد نصف دية الحر اخرجه ابو داود وعنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال عقل اهل الذمة نصف عقل المسلمين وهم اليهود والنصارى اخرجه النسائي ومن ذهب الى ان دية اهل الذمة ثلث دية المسلم اجاب عن هذا الحديث لان الاصل في ذلك كان النصف ثم رفع زمن عمر الى ثلث دية المسلم ولم يرفع دية الذمي فبقي على اصلها وهو قدر الثلث من دية المسلمين والدية في العمد وفي شبه العمد مغلظة فيجب ثلاثون حقة وثلاثون جذعة واربعون خلفة في بطونها اولادها وهذا قول عمر وزيد بن ثابت وبه قال عطا واليه ذهب الشافعي لما روي عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قتل متعمدا دفع الى اولياء المقتول فان شاؤا قتلوا وان شاؤا اخذوا الدية وهي ثلاثون حقة وثلاثون جذعة واربعون خلفة وما صولحوا عليه فهو لهم وذلك لتشديد العقل اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب وعن عقبة بن اوس عن رجل من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال خطب النبي صلى الله عليه وسلم يوم الفتح فقال الا ان قتيل العمد بالسوط والعصا والحجر مائة من الابل اربعون ثنية الى بازل عامها كلهن خلفة وفي رواية اخرى الا ان كل قتيل خطا العمد او شبه العمد قتيل السوط والعصا مائة من الابل منها اربعون في بطونها اولادها اخرجه النسائي وذهب قوم الى ان الدية المغلظة ارباع خمس وعشرون بنت لبون وخمس وعشرون حقة وخمس وعشرون جذعة وهذا قول الزهري وربيعة واليه ذهب مالك واحمد واصحاب الراي واما دية الخطا فمخففة وهي اخماس بالاتفاق غير انهم اختلفوا في تقسيمها فذهب قوم الى انها عشرون بنت مخاض وعشرون بنت لبون و عشرون ابن لبون وعشرون حقة وعشرون جذعة وهذا قول عمر بن عبد العزيز وسليمان بن يسار والزهري وربيعة وبه قال مالك والشافعي وابدل قوم بني اللبون ببنات المخاض يروى ذلك عن ابن مسعود وبه قال احمد واصحاب الراي والدية في قتيل الخطا وشبه العمد على العاقلة وهم العصبات من الذكور ولا يجب على الجاني منها شي لان النبي صلى الله عليه وسلم اوجبها على العاقلة ودية الاعضا والاطراف حكمها مبين في كتب الفقه ودية اعضا المراة على النصف من دية اعضا الرجل والله اعلم المسئلة الثالثة في حكم الكفارة والكفارة اعتاق رقبة مومنة ويجب في مال القاتل سوا كان المقتول مسلما او معاهدا رجلا كان او امراة حرا كان او عبدا فمن لم يجد الرقبة فعليه صيام شهرين متتابعين فالقاتل ان كان واجدا للرقبة او قادرا على تحصيلها بوجود الثمن فاضلا عن نفقته ونفقة عياله وحاجته من مسكن ونحوه فعليه

الاعتاق ولا يجوز له ان ينتقل الى الصوم فان عجز عن الرقبة وعن تحصيل ثمنها فعليه صوم شهرين متتابعين فان افطر يوما متعمدا في خلال الشهرين او نسي النية او نوى صوما اخر وجب عليه استئناف الشهرين وان افطر يوما بعذر مرض او سفر هل ينقطع التتابع اختلف العلما فيه فمنهم من قال ينقطع التتابع وعليه استئناف الشهرين وهو قول النخعي واظهر قولي الشافعي لانه افطر مختارا ومنهم من قال لا ينقطع التتابع وعليه ان يبني وهو قول سعيد بن المسيب والحسن والشعبي ولو حاضت المراة في خلال الشهرين افطرت ايام الحيض ولا ينقطع التتابع فاذا طهرت بنت لانه امر كتبه الله على النسا ولا يمكن الاحتراز عنه فان عجز عن الصوم فهل ينتقل عنه الى الاطعام فيطعم ستين مسكينا فيه قولان احدهما انه ينتقل الى الاطعام كما في كفارة الظهار والثاني لا ينتقل لان الله تعالى لم يذكر له بدلا فقال فصيام شهرين متتابعين توبة من الله فنص على الصوم وجعل ذلك توبة لقاتل الخطا والله اعلم قوله عز وجل ومن يقتل مومنا متعمدا نزلت في مقيس بن صبابة الكناني وكان قد اسلم هو واخوه هشام فوجد اخاه هشاما قتيلا في بني النجار فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا من بني فهر الى بني النجار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يامركم ان علمتم قاتل هشام بن صبابة ان تدفعوه الى اخيه مقيس فيقتص منه وان لم تعلموه ادفعوا اليه ديته فابلغهم الفهري ذلك فقالوا سمعا وطاعة لله ولرسوله ما نعلم له قاتلا ولكنا نودي اليه ديته فاعطوه مائة من الابل فانصرفا راجعين نحو المدينة فاتى الشيطان مقيسا فوسوس اليه فقال له تقبل دية اخيك فتكون عليك مسبة اقتل الفهري الذي معك فيكون نفس مكان نفس وفضل الدية فتغفل الفهري فرماه بصخرة فقتله ثم ركب بعيرا من الابل وساق بقيتها راجعا الى مكة كافرا وقال في ذلك شعر * قتلت به فهرا واحملت عقله * سراة بني النجار ارباب فارع * وادركت ثاري واضطجعت موسدا * وكنت الى الاصنام اول راجع * فنزلت فيه ومن يقتل مومنا متعمدا يعني قاصدا لقتله فجزاوه جهنم خالدا فيها يعني بكفره وارتداده وهو الذي استثناه النبي صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة عمن امنه من اهلها فقتل وهو متعلق باستار الكعبة وغضب الله عليه يعني لاجل كفره وقتله المومن متعمدا ولعنه يعني وطرده من رحمته واعد له عذابا عظيما اختلف العلما في حكم هذه الاية هل هي منسوخة ام لا وهل لمن قتل مومنا متعمدا توبة ام لا فروي عن سعيد بن جبير قال قلت لابن عباس المن قتل مومنا متعمدا من توبة قال لا فتلوت عليه الاية التي في الفرقان والذين لا يدعون مع الله الها اخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق الى اخر الاية قال هذه الاية مكية نسختها اية مدنية ومن يقتل مومنا متعمدا فجزاوه جهنم وفي رواية قال اختلف اهل الكوفة في قتل المومن فرحلت الى ابن عباس فقال نزلت في اخر ما نزل ولم ينسخها شي

وفي رواية اخرى قال ابن عباس نزلت هذه الاية والذين لا يدعون مع الله الها اخر الى قوله مهانا فقال المشركون وما يغني عنا الاسلام وقد عدلنا بالله وقد قتلنا النفس التي حرم الله واتينا الفواحش فانزل الله الا من تاب وامن وعمل عملا صالحا الى اخر الاية زاد في رواية فاما من دخل في الاسلام وعقله ثم قتل فلا توبة له اخرجاه في الصحيحين وروي عن علي بن ابي طالب انه ناظر ابن عباس في هذه الاية فقال من اين لك من انها محكمة فقال ابن عباس تكاثف الوعيد فيها وقال ابن مسعود انها محكمة وما تزداد الا شدة وعن خارجة بن زيد قال سمعت زيد بن ثابت يقول انزلت هذه الاية ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها بعد التي في الفرقان والذين لا يدعون مع الله الها اخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق بستة اشهر اخرجه ابو داود والنسائي وزاد في رواية له بثمانية اشهر وقال زيد بن ثابت لما نزلت الاية التي في الفرقان والذين لا يدعون مع الله الها اخر عجبنا من لينها فلبثنا سبعة اشهر ثم نزلت الغليظة بعد اللينة فنسخت اللينة واراد بالغليظة هذه الاية التي في سورة النساء واللينة اية الفرقان وذهب الاكثرون من علماء السلف ان هذه الاية منسوخة واختلفوا في ناسخها فقال بعضهم نسختها التي في الفرقان وليس هذا القول بالقوي لان اية الفرقان نزلت قبل اية النساء والمتقدم لا ينسخ المتأخر وذهب جمهور من قال بالنسخ الى ان ناسخها الاية التي في النساء ايضا وهو قوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء واجاب من ذهب الى انها منسوخة عن حديث ابن عباس المتقدم المخرج في الصحيحين بان هذه الاية والنسخ لا يدخل الاخبار ولئن سلمنا انه يدخل النسخ لكن الجمع بين الايتين ممكن بحيث لا يبقى بينهما تعارض وذلك بان يحمل مطلق اية النساء على تقييد اية الفرقان فيكون المعنى فجزاؤه جهنم الا من تاب وقال بعضهم وما ورد عن ابن عباس انما هو على سبيل التشديد والمبالغة والزجر عن القتل فهو كما روي عن سفيان بن عيينة انه قال ان لم يقتل يقال له لا توبة لك وان قتل ثم ندم وجاء تائبا فيقال له لك توبة وقيل انه قد روي عن ابن عباس مثله وروي عنه ايضا ان توبته تقبل وهو قول اهل السنة ويدل عليه الكتاب والسنة اما الكتاب فقوله تعالى واني لغفار لمن تاب وامن وعمل صالحا ثم اهتدى وقوله ان الله يغفر الذنوب جميعا واما السنة فما روي عن جابر بن عبد الله قال جاء اعرابي الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ما الموجبات فقال من مات لا يشرك به شيئا دخل الجنة ومن مات يشرك به دخل النار اخرجه مسلم ق عن عبادة بن الصامت قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في مجلس فقال تبايعوني على ان لا تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق وفي رواية ولا تقتلوا اولادكم ولا تأتون ببهتان تفترونه بين ايديكم وارجلكم ولا تعصوني في معروف فمن منكم فاجره على الله ومن اصاب شيئا من ذلك فستره الله عليه فامره الى الله ان شاء عفا عنه وان شاء عذبه فبايعناه

على ذلك

على ذلك **فصل** وقد تعلقت المعتزلة والوعيدية بهذه الاية لصحة مذهبهم على ان الفاسق يخلد في النار واجاب علماء السنة بان الاية نازلة في كافر قتل مسلما وهو مقيس بن صبابة فتكون الاية على هذا مخصوصة وقيل هذا الوعيد لمن قتل مسلما مستحلا لقتله ومن استحل قتل مؤمن كان كافرا وهو مخلد في النار بسبب كفره وعن ابي مجلز في قوله ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم قال هي جزاؤه فان شاء الله ان يتجاوز عن جزائه فعل اخرجه ابو داود وقيل ان الخلود لا يقتضي التأبيد بل معناه دوام الحالة التي هو عليها ويدل عليه قول العرب للايام خوالد وذلك لطول مكثها لا لدوام بقائها واذا ذكر الخلود في حق الكفار قرنه بذكر التأبيد كقوله خالدين فيها ابدا فاذا قرن الخلود بهذه اللفظة علم ان المراد منه الدوام الذي لا ينقطع واذا ثبت هذا كان معنى الخلود المذكور في الاية ان الله تعالى يعذب قاتل المؤمن عمدا في النار الى حيث يشاء الله ثم يخرجه منها بفضل رحمته وكرمه فانه قد ثبت في احاديث الشفاعة الصحيحة اخراج جميع الموحدين من النار وقيل ان قاتل المؤمن عمدا عدوانا اذا تاب قبلت توبته بدليل قوله ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ولان الكفر اعظم من هذا القتل واذا كانت توبة الكافر من كفره مقبولة بدليل قوله قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف فلان تقبل من القاتل اولى والله اعلم قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذا ضربتم في سبيل فتبينوا الاية قال ابن عباس نزلت في رجل من بني مرة بن عوف يقال له مرداس بن نهيك وكان من اهل فدك ولم يسلم من قومه غيره فسمعوا بسرية رسول الله صلى الله عليه وسلم تريدهم وكان على السرية رجل يقال له غالب بن فضالة الليثي فهربوا منه واقام ذلك الرجل المسلم فلما راى الخيل خاف ان لا يكونوا مسلمين فالجأ غنمه الى عاقول من الجبل وصعد هو الجبل فلما تلاحقت سمعهم يكبرون فعرف انهم من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فكبر ونزل وهو يقول لا اله الا الله محمد رسول الله السلام عليكم فتغشاه اسامة بن زيد بسيفه فقتله واستاق غنمه ثم رجعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبروه الخبر فوجد رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك وجدا شديدا وقد كان سبقهم الخبر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقتلتموه ارادة ما معه ثم قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم على اسامة بن زيد هذه الاية فقال اسامة يا رسول الله استغفر لي فقال كيف انت بلا اله الا الله يقولها ثلاث مرات قال اسامة فما زال رسول الله صلى الله عليه وسلم يكررها حتى وددت اني لم اكن اسلمت الا يومئذ ثم استغفر لي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اعتق رقبة وروى ابو ظبيان عن اسامة قال قلت يا رسول الله انما قالها خوفا من السلاح فقال افلا شققت عن قلبه حتى تعلم قالها خوفا ام لا وفي رواية عن ابن عباس قال مر رجل من بني سليم على نفر من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه غنم فسلم عليهم فقالوا انما سلم عليكم ليتعوذ منكم فقاموا اليه فقتلوه واخذوا غنمه فاتوا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله عز وجل يا ايها الذين امنوا

اذا ضربتم في سبيل الله يعني اذا سافرتم الى الجهاد فتبينوا من البيان يقال تبينت الامر اذا تاملته
قبل الاقدام عليه وقرئ فتثبتوا من التثبت وهو خلاف العجلة والمعنى وتثبتوا حتى
تعرفوا المومن من الكافر وتعرفوا حقيقة الامر الذي تقدموا عليه ولا تقولوا لمن القى اليكم السلام
يعني التحية يعني لا تقولوا لمن حياكم بهذه التحية انه انما قالها تعوذا فتقدموا عليه بالسيف
لتاخذوا ماله ولكن كفوا عنه واقبلوا منه ما اظهره لكم وقرئ السلم بفتح السين من غير الف
ومعناه الاستسلام والانقياد اي استسلم وانقاد لكم وقال لا اله الا الله محمد رسول الله
وقيل السلام والسلم بمعنى واحد اي لا تقولوا لمن سلم عليكم لست مومنا يعني لست من اهل الايمان
فتقتلوه بذلك قال العلما اذا راى الغزاة في بلد او قرية او حي من العرب شعار الاسلام لما
روي عن عصام المزني قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا بعث جيشا او سرية يقول
لهم اذا رايتم مسجدا او سمعتم موذنا فلا تقتلوا احدا اخرجه ابو داود والترمذي وقال اكثر الفقها
لو قال اليهودي او النصراني انا مومن لا يحكم بايمانه لانه يدعي ان الذي هو عليه ايمان ولو قال
لا اله الا الله محمد رسول الله فعند بعض العلما لا يحكم باسلامه حتى يتبرا من دينه الذي كان
عليه ويعترف انه دين باطل و ذلك ان بعض اليهود يزعم ان محمدا رسول للعرب خاصة
لا انه رسول الى الكافة فاذا اعترف ان محمدا رسول الى كافة الخلق وان الذي كان
عليه من التهود والتنصر باطل صح اسلامه وحكم بصحته وقوله تعالى تبتغون عرض الحياة الدنيا
يعني تطلبون الغنيمة التي هي حطام من حطام الدنيا سريع النفاذ والذهاب وعرض
الدنيا منافعها ومتاعها فعند الله مغانم كثيرة اي من غنايم كثيرة ورزق يغنيكم بها
يغنيكم بها عن قتل من يظهر الاسلام ويتعوذ به وقيل معناه فعند الله ثواب كثيرة
لمن اتقى قتل المومن كذلك كنتم من قبل يعني كما كان هذا الذي القى اليكم السلام فقلتم
له لست مومنا فقتلتموه كنتم انتم من قبل ان يعز الله دينه كنتم تستخفون انتم بدينكم
كما استخفى هذا الذي قتلتموه بدينه من قومه حذرا على نفسه منهم وقيل معناه كذلك كنتم
تامنون في قومكم بهذه الكلمة فلا تخفروا من قالها ولا تقتلوه وقيل معناه كذلك كنتم من
قبل مشركين فمن الله عليكم يعني بالاسلام والهداية فلا تقتلوا من قال لا اله الا الله وقيل
معناه من عليكم باعلان الاسلام بعد الاخفا وقيل من عليكم بالتوبة فتبينوا اي فلا
تعجلوا بقتل مومن وهو تاكيد للامر بالتبيين ان الله كان بما تعملون خبيرا اي فلا تتهافتوا
بالقتل وكونوا متحرزين من ذلك محتاطين فيه قوله عز وجل لا يستوي القاعدون من
المومنين غير اولي الضرر الاية خ عن زيد بن ثابت قال املى علي رسول الله صلى الله
عليه وسلم لا يستوي القاعدون من المومنين والمجاهدون في سبيل الله باموالهم وانفسهم
فجاءه ابن ام مكتوم وهو يمليها علي فقال والله يا رسول الله لو استطيع الجهاد لجاهدت
وكان اعمى فانزل الله عز وجل على رسوله صلى الله عليه وسلم وفخذه على فخذي فثقلت
علي حتى خفت ان ترض فخذي ثم سري عنه فانزل الله عز وجل غير اولي الضرر ق

عن البرا ابن عازب لما نزلت لا يستوي القاعدون من المومنين دعا رسول الله
زيدا فجاء بكتف فكتبها وشكى ابن ام مكتوم ضرارته فنزلت لا يستوي القاعدون
من المومنين غير اولي الضرر وفي رواية اخرى لما نزلت لا يستوي القاعدون من
المومنين قال النبي صلى الله عليه وسلم ادعوا فلانا فجاءه ومعه الدواة واللوح والكتف
فقال اكتب لا يستوي القاعدون من المومنين والمجاهدون في سبيل الله وخلف
النبي صلى الله عليه وسلم ابن ام مكتوم فقال يا رسول الله انا ضرير فنزلت مكانها لا يستوي
القاعدون من المومنين غير اولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله هذه الرواية
الثانية اخرجها ابن الاثير في كتاب جامع الاصول واضافها الى البخاري ومسلم لم
اجدها في كتاب الجمع بين الصحيحين للحميدي وفي هذه الاية فضل الجهاد في سبيل الله
والحث عليه فقوله تعالى لا يستوي القاعدون من المومنين لا يعدل المتخلفون
عن الجهاد في سبيل الله من المومنين يعني والمجاهدون في سبيل الله غير اولي الضرر
يعني غير اولي الزمانة والضعف في البدن والبصر فانهم يساوون المجاهدين
لان العذر اقعدهم عن الجهاد م عن جابر قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
في غزاة فقال صلى الله عليه وسلم ان بالمدينة رجالا ما سرتم مسيرا ولا قطعتم واديا
الا كانوا معكم حبسهم المرض خ عن انس قال رجعنا من غزوة تبوك مع النبي صلى الله
عليه وسلم فقال ان اقواما خلفنا بالمدينة ما سلكنا شعبا ولا واديا الا وهم معنا
حبسهم العذر خ عن ابن عباس قال لا يستوي القاعدون من المومنين عن بدر
والخارجون اليها وقوله تعالى فضل الله المجاهدين باموالهم وانفسهم على القاعدين
درجة يعني فضيلة في الاخرة قال ابن عباس اراد بالقاعدين هنا اولي الضرر وفضل
الله المجاهدين على اولي الضرر درجة لان المجاهد باشر الجهاد بنفسه وماله مع النية
واولي الضرر كانت لهم نية ولم يباشروا الجهاد فنزلوا عن المجاهدين درجة وكلا يعني
المجاهدين والقاعدين وعد الله الحسنى يعني الجنة بايمانهم وفضل الله المجاهدين
يعني في سبيل الله على القاعدين يعني لا عذر لهم ولا ضرر اجرا عظيما يعني ثوابا وافرا ثم
فسر ذلك الاجر العظيم فقال تعالى درجات منه قال قتادة كان يقال للاسلام درجة والهجرة
في الاسلام درجة والجهاد في الهجرة درجة والقتل في الجهاد درجة وقال ابن زيد
الدرجات هي سبع وهي التي ذكرها الله تعالى في سورة براءة حين قال ذلك بانهم لا يصيبهم
ظما ولا نصب ولا مخمصة الى قوله ولا يقطعون واديا الا كتب لهم وقال ابن محيريز
والدرجات سبعون درجة ما بين كل درجتين حضر الفرس الجواد المضمر سبعين سنة
م عن ابي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من رضي بالله ربا
وبالاسلام دينا وبمحمد رسولا وجبت له الجنة فعجب لها ابو سعيد فقال اعدها علي
يا رسول الله فاعادها عليه ثم قال واخرى يرفع الله بها العبد مائة درجة

في الجنة ما بين كل درجتين كما بين السماء والارض قال وما هي يا رسول الله قال الجهاد في سبيل
الله خ عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من امن بالله ورسوله واقام
الصلاة واتى الزكاة وصام رمضان وحج كان حقا على الله ان يدخله الجنة جاهد في سبيل الله
او جلس في ارضه التي ولد فيها قالوا افلا نبشر الناس بقولك فقال ان في الجنة
مائة درجة اعدها الله للمجاهدين في سبيل الله ما بين الدرجتين كما بين السماء والارض فاذا
سألتم الله فاسألوه الفردوس الاعلى فانه اوسط الجنة واعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن
ومنه تتفجر انهار الجنة فان قلت قد ذكر الله عز وجل في الاية الاولى درجة واحدة وذكر
في هذه الاية درجات فما وجه الحكمة في ذلك قلت اما الدرجة الاولى فتفضيل المجاهدين
على القاعدين بوجود الضرر والعذر واما الدرجة الثانية فلتفضيل المجاهدين على
القاعدين من غير ضرر ولا عذر ففضلوا عليهم بدرجات كثيرة وقيل يحتمل ان تكون
الدرجة الاولى درجة المدح والتعظيم والدرجات درجات الجنة ومنازلها كما في
الحديث قوله تعالى ومغفرة يعني لذنوبهم يسترها ويصفح عنها ورحمة يعني رأفة بهم
وكان الله غفورا يعني لذنوب عباده المؤمنين رحيما يعني بهم يتفضل عليهم بمغفرته
ورحمته عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يحكي عن ربه عز وجل قال ايما عبد
من عبادي خرج مجاهدا في سبيل الله ابتغاء مرضاتي ضمنت له ان ارجعته ارجعته بما
اصاب من اجر او غنيمة وان قبضته غفرت له ورحمته اخرجه النسائي فصل اعلم
ان الجهاد ينقسم الى فرض عين وفرض كفاية ففرض العين ان يدخل العدو دار قوم
من المؤمنين وبلادهم فيجب على كل مكلف من الرجال ممن لا عذر له من اهل تلك
البلدة الخروج الى عدوهم دفعا عن انفسهم واهليهم وجيرانهم وسواء في ذلك الحر
والعبد والغني والفقير فيجب على الكافة وهو في حق من بعد عنهم من المسلمين فرض
كفاية فان لم تقع الكفاية بمن نزل بهم العدو فيجب مساعدتهم على من قرب منهم من
المسلمين او بعد عنهم وان وقعت الكفاية بالمنزول بهم فلا فرض على الابعدين الا على
طريق الاختيار ولا يدخل في هذا الفرض اعني فرض الكفاية الفقراء والعبيد واذا كان
الكفار قارين في بلادهم فعلى الامام ان لا يخلي كل سنة من غزاة يغزوهم فيها بنفسه
او سراياه حتى لا يتعطل الجهاد والاختيار للمطيق الجهاد مع وقوع الكفاية بغيره ان لا
يقعد عنه ولكن لا يفرض عليه لان الله تعالى وعد المجاهدين والقاعدين الثواب
بقوله وكلا وعد الله الحسنى ولو كان فرضا على الكفاية لاستحق القاعدون عن الجهاد العقاب
لا الثواب والله اعلم قوله تعالى ان الذين توفاهم الملائكة ظالمي انفسهم الاية نزلت
في اناس تكلموا بالاسلام ولم يهاجروا منهم قيس بن الفاكه بن المغيرة وقيس بن الوليد
بن المغيرة واشباههما فلما خرج المشركون الى بدر خرجوا معهم فقتلوا مع الكفار فانزل
الله هذه الاية ان الذين توفاهم الملائكة يعني ملك الموت واعوانه وهم ستة ثلاثة

يلون قبض

يلون قبض ارواح المؤمنين وثلاثة يلون ارواح الكفار وقيل اراد به ملك الموت
وحده وانما ذكره بلفظ الجمع على سبيل التعظيم كما يخاطب الواحد بلفظ الجمع وفي التوفي
هنا قولان احدهما انه قبض ارواحهم والثاني حشرهم الى النار فعلى القول الثاني
يكون المراد بالملائكة الزبانية الذين يلون تعذيب الكفار ظالمي انفسهم يعني بالشرك
وقيل بالمقام في دار الشرك وذلك لان الله لم يقبل الاسلام من احد بعد هجرة النبي
صلى الله عليه وسلم حتى يهاجر اليه ثم نسخ ذلك بعد فتح مكة لقوله صلى الله عليه وسلم
لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية اخرجاه في الصحيحين وقيل ظالمي انفسهم بخروجهم مع
المشركين يوم بدر وتكثير سوادهم حتى قتلوا معهم فضربت الملائكة وجوههم قالوا
فيم كنتم سؤال توبيخ وتقريع يعني قالت الملائكة لهؤلاء الذين قتلوا في اي الفريقين
كنتم في فريق المسلمين او في فريق المشركين فاعتذروا بالضعف عن مقاومة المشركين
وهو قوله تعالى اخبارا عنهم قالوا كنا مستضعفين يعني عاجزين في الارض يعني في ارض
مكة قالوا يعني قال لهم الملائكة الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها يعني الى المدينة
وتخرجوا من بين اظهر المشركين فاكذبهم الله في قولهم كنا مستضعفين واعلمنا بكذبهم فاولئك
يعني من هذه صفته مأواهم يعني منزلهم جهنم وساءت مصيرا يعني بئس المصير مصيرهم
الى جهنم ثم استثنى اهل العذر ومن علم ضعفه منهم فقال الا المستضعفين من الرجال
والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة يعني لا يقدرون على حيلة ولا نفقة ولا قوة لهم
على الخروج من مكة ولا يهتدون سبيلا يعني ولا يعرفون طريقا يسلكونه من مكة الى المدينة
فاولئك يعني المستضعفين واهل الاعذار عسى الله ان يعفو عنهم يعني يتجاوز عنهم بفضله
واحسانه وعسى من الله واجب لانه اطماع وترج والله تعالى اذا اطمع عبدا اوصله اليه
وكان الله عفوا غفورا قال ابن عباس كنت انا وامي ممن عذر الله يعني من المستضعفين
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو لهؤلاء المستضعفين في الصلاة ق عن ابي
هريرة قال لما رفع رسول الله صلى الله عليه وسلم راسه من الركعة الثانية قال اللهم انج الوليد
ابن الوليد وسلمة بن هشام وعياش بن ربيعة والمستضعفين بمكة اللهم اشدد وطأتك
على مضر اللهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف قوله عز وجل ومن يهاجر في سبيل الله
يجد في الارض مراغما كثيرا وسعة قال الزجاج معنى مراغما مهاجرا يعني في الارض مهاجرا
لان المهاجر لقومه والمراغم لهم بمنزلة واحدة وان اختلف اللفظان وهو مأخوذ
من الرغام وهو التراب يقال رغم انفه اذا الصق بالتراب وذلك لان الانف عضو
شريف والتراب ذليل حقير فجعلوا قولهم رغم انفه كناية عن حصول الذل له ويقال
راغمت فلانا يعني هجرته وعاديته ولم ابال به رغم انفه وليقوي ذلك قول بعض
اهل اللغة هو الخروج من بلاد العدو وبرغم انفه وقيل معناه ان الرجل اذا هاجر
خرج عن قومه خرج مراغما لهم اي مغاضبا لهم ومقاطعا وقال الفراء المراغم المضطرب

والمذهب في الارض واستشهد الزجاج في المعنى الى بلد غير ذاتي المحل بعيد المراغم والمضطرب مغلبا نه
يكون معنى الاية يجد مذهبا يذهب اليه اذا راى ما يكرهه هذا قول اهل اللغة في معنى
المراغمة وقال ابن عباس يجد متحولا يتحول من ارض الى ارض وقال مجاهد يجد متزحزحا
عما يكره وقيل يجد منقلبا ينقلب اليه وقيل المراغمة والمهاجرة واحد يقال راغمت
قومي اي هاجرتهم وسميت المهاجرة مراغمة لانه يهاجر قومه برغمهم وقوله وسعة يعني
في الرزق وقيل يجد سعة من الضلالة الى الهدى وقيل يجد سعة في الارض التي يهاجر
اليها قال ابن عباس لما نزلت الاية التي قبل هذه سمعها رجل من بني ليث شيخ كبير
مريض يقال له جندع بن ضمرة فقال والله ما انا ممن استثنى الله عز وجل واني لاجد حيلة
ولي من المال ما يبلغني الى المدينة والبعد منها والله لا ابيت الليلة بمكة اخرجوني فخرجوا
به يحملونه على سرير حتى اتوا به التنعيم فادركه الموت فصفق بيمينه على شماله ثم قال
اللهم هذه لك وهذه لرسولك ابايعك على ما بايعك رسولك ثم مات فبلغ خبره اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا لو وافى المدينة لكان اتم واوفى اجرا وضحك
المشركون وقالوا ما ادرك ما طلب فانزل الله عز وجل ومن يخرج من بيته مهاجرا الى
الله ورسوله ثم يدركه الموت يعني قبل بلوغه الى مهاجره فقد وقع اجره على الله يعني
فقد وجب اجر هجرته على الله بايجابه على نفسه بحكم الوعد والتفضل والكرم لا وجوب
استحقاق وحتم قال بعض العلماء ويدخل في حكم الاية من قصد فعل طاعة من الطاعات ثم عجز
عن اتمامها كتب الله له ثواب تلك الطاعة كاملا وقال بعضهم انما يكتب له اجر ذلك
القدر الذي عمل واتى به اما تمام الاجر فلا والقول الاول اصح لان الاية انما نزلت
في معرض الترغيب في الهجرة وان من قصدها ولم يبلغها بل مات دونها فقد حصل له
ثواب الهجرة كاملا فكذلك كل من قصد طاعة ولم يقدر على اتمامها كتب له ثوابها كاملا
وكان الله غفورا رحيما يعني ويغفر الله له ما كان من القعود قبل الهجرة الى ان خرج
مهاجرا قوله عز وجل واذا ضربتم في الارض يعني اذا سافرتم فيها فليس عليكم جناح اي حرج
ان تقصروا من الصلاة يعني من اربع ركعات الى ركعتين وذلك في صلاة الظهر والعصر والعشاء واصل الى ركعتين حج
القصر في اللغة التضييق وقيل هو ضم الشيء الى اصله وفسر ابن الجوزي القصر بالنقص ولم ار
لاحد من اهل التفسير واللغة وقيل معنى قصر الصلاة جعلها قصيرة بترك بعض ركعاتها
او بعض اركانها رخصا ولهذا السبب ذكروا في تفسير قصر الصلاة المذكورة في الاية قولين
انه في عدد الركعات وهو رد الصلاة الرباعية الى ركعتين والقول الثاني ان المراد من القصر
ادخال التخفيف في ادائها وهو ان يكتفي بالايماء والاشارة عن الركوع والسجود والقول الاول
اصح ويدل عليه لفظة من قوله ان تقصروا من الصلاة ولفظة من هنا للتبعيض وذلك
يوجب جواز في الاقتصار على بعض الصلاة فثبت بهذا ان تفسير القصر باسقاط بعض
ركعات الصلاة اولى ان خفتم ان يفتنكم يعني يقتلكم ويقتلكم في الصلاة الذين كفروا

ذهب داود

ذهب داود الظاهري الى ان جواز القصر مخصوص بحال الخوف واستدل على صحة مذهبه
بقوله تعالى ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا ولان عدم الشرط يقتضي عدم المشروط فعلى
هذا لا يجوز القصر عند الامن ولا يجوز رفع هذا الشرط بخبر الاحاد لانه يقتضي نسخ القران
بخبر الاحاد وذهب جمهور اهل العلم الى ان القصر في حال الامن في السفر جائز ويدل
عليه ما روي عن يعلى بن امية قال قلت لعمر بن الخطاب ليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلاة
ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا وقد امن الناس فقال عجبت مما عجبت منه فسالت
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته
اخرجه مسلم وعن عبد الله بن خالد بن اسيد انه قال لابن عمر كيف تقصروا الصلاة
وانما قال الله عز وجل ليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلاة ان خفتم ان يفتنكم الذين
كفروا فقال ابن عمر يا ابن اخي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتانا ونحن في ضلال فعلمنا
فكان فيما علمنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم امرنا ان نصلي ركعتين في السفر اخرجه
النسائي وعن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج من المدينة الى مكة لا
يخاف الا رب العالمين فصلى ركعتين اخرجه الترمذي والنسائي واجاب الجمهور
عن قوله ان خفتم ان كلمة ان لا تفيد حصول الشرط ولا يلزم عند عدم الشرط عدم
المشروط فقوله تعالى ان خفتم يقتضي ان عند عدم الخوف لا تحصل رخصة القصر
واذا كان كذلك كانت الاية ساكتة عن حال الامن فاثبات الرخصة بخبر الواحد يكون
اثباتا لحكم سكت عنه القران وذلك غير ممتنع اثبات الحكم بخبر الواحد على خلاف ما دل
عليه القران فان قلت اذا كان هذا الحكم ثابتا في حال الامن والخوف فما فايدة تقييده
بحال الخوف قلت انما نزلت الاية على غالب اسفار النبي صلى الله عليه وسلم واكثرها لم يخل عن
خوف العدو فذكر الله عز وجل هذا الشرط من حيث انه الاغلب في الوقوع وقوله تعالى ان
الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا اي ظاهر العداوة فلعلهم بها اذا رخصت لكم في قصر الصلاة
لئلا يجدوا الى قتلكم واغتيالكم سبيلا وانما قال عدوا ولم يقل اعداء لانه يستوي فيه الواحد والجمع
فصل في احكام تتعلق بالاية وفيه مسايل المسئلة الاولى في حكم القصر وقصر الصلاة في حالة
السفر جائز باجماع الامة وانما اختلفوا في جواز الاتمام في حال السفر فذهب اكثر العلماء الى
ان القصر واجب في السفر وهو قول عمر وعلي وابن عمر وجابر وابن عباس وبه قال الحسن
وعمر بن عبد العزيز وقتادة وهو قول مالك وابي حنيفة ويدل على ذلك ما روي عن
عائشة قالت فرض الله الصلاة حين فرضها ركعتين ثم اتمها في الحضر واقرت صلاة
ركعتين حج السفر على الفريضة الاولى وفي رواية اخرى قالت فرض الله الصلاة حين فرضها ركعتين
في الحضر والسفر فاقرت صلاة السفر وزيد في صلاة الحضر اخرجاه في الصحيحين وذهب قوم
الى جواز الاتمام في السفر ولكن القصر افضل يروى ذلك عن عثمان وسعد بن ابي وقاص
واليه ذهب الشافعي واحمد وهو رواية عن مالك ايضا ويدل على ذلك ما روى البغوي بسنده

الشافعي عن عائشة قالت كل ذلك قد فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم قصر واتم وعن عائشة
انها اعتمرت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة الى مكة حتى اذا قدمت مكة قالت
يا رسول الله بابي انت وامي قصرت واتممت وافطرت وصمت قال احسنت يا عائشة
وما عاب علي اخرجه النسائي وظاهر القران يدل على ذلك لان الله تعالى قال فليس عليكم جناح
انما يستعمل في الرخصة لا فيما يكون حتما واجيب عن حديث عائشة فرض الله الصلاة ركعتين
بان معناه فرضت ركعتين اولا وزيد في صلاة الحضر ركعتان على سبيل الحتم واقرت صلاة
السفر على جواز الاقتصار عليها وثبت جواز الاتمام بدليل اخر فوجب المصير اليه ليمكن
الجمع بين الاحاديث ودلايل الشرع المسئلة الثانية اختلف في صلاة المسافر اذا صلى ركعتين
ركعتين هل هي مقصورة ام غير مقصورة فذهب قوم الى انها غير مقصورة وانما فرض صلاة
المسافر ركعتان تمام غير قصر روي ذلك عن ابن عمر وابن عباس وجابر بن عبد الله واليه
ذهب سعيد بن جبير والسدي وابو حنيفة فعلى هذا يكون معنى القصر المذكور في الاية
هو تخفيف ركوعها وسجودها وقد تقدم الجواب عنه وذهب قوم الى انها مقصورة
وليست باصل وهو قول مجاهد وطاوس واليه ذهب الشافعي واحمد المسئلة الثالثة ذهب
الشافعي ومالك واحمد وجمهور انه يجوز القصر في كل سفر مباح وشرط بعضهم كونه سفر حج
او عمرة او جهاد او سفر طاعة ولا يجوز القصر في سفر المعصية وقال ابو حنيفة والثوري
يجوز ذلك المسئلة الرابعة اختلف العلما في مسافة القصر فقال داود واهل الظاهر يجوز
القصر في قصير السفر وطويله ويروى ذلك عن انس ايضا وقال عمرو بن دينار قال لي جابر
ابن زيد اقصر بعرفة واما عامة اهل العلم فانهم لا يجوزون القصر في السفر القصير واختلفوا
في حد الطويل الذي يجوز فيه القصر فقال الاوزاعي مسيرة يوم وكان ابن عمر وابن عباس
يفطران ويقصران في مسيرة اربعة برد وهي ستة عشر فرسخا واليه ذهب مالك واحمد واسحاق
وقول الحسن والزهري قريب من ذلك فانهما قالا مسيرة يومين واليه ذهب الشافعي فقال
مسيرة ليلتين قاصدتين ستة عشر فرسخا كل فرسخ ثلاثة اميال فيكون ثمانية واربعين
ميلا بالهاشمي والميل سبعة الاف ذراع والذراع اربعة وعشرون اصبعا معترضة
معتدلة والاصبع ست شعيرات معترضات معتدلات وقال الثوري وابو حنيفة واهل
الكوفة ولا قصر في اقل من ثلاثة ايام فصل وقيل في قوله تعالى ان خفتم ان يفتنكم الذين
كفروا كلام متصل بما بعده منفصل عن ما قبله تقديره وان خفتم روي عن ابي ايوب
الانصاري انه قال لما نزلت قوله تعالى فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلاة هذا
القدر ثم بعد حول سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صلاة الخوف فنزل
ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا ان الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا واذا كنت فيهم
الاية ومثل هذا في القران كثير يجي الخبر بتمامه ثم ينسق عليه خبر اخر هو في الظاهر
كالمتصل به وهو منفصل عنه قوله عز وجل واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلاة الاية

روى عن

روى عن ابن عباس وجابر ان المشركين لما راوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
واصحابه قاموا الى الظهر يصلون جميعا ندموا ان لا كانوا اكبوا عليهم فقال بعضهم
لبعض دعوهم فان لهم بعدها صلاة هي احب اليهم من ابايهم وامهاتهم يعني صلاة
العصر فاذا قاموا اليها فشدوا عليهم فاقتلوهم فنزل جبريل فقال يا محمد انها صلاة
الخوف وان الله عز وجل يقول واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلاة فعلمه صلاة الخوف
وروى عن ابن عياش الزرقي في سبب نزول هذه الاية قال كنا مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم بعسفان وعلى المشركين خالد بن الوليد فصلينا الظهر فقال المشركون لقد اصبنا
غرة وفي رواية غفلة ولو حملنا عليهم وهم في الصلاة فنزلت الاية بين الظهر والعصر
قوله تعالى واذا كنت فيهم هذا خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعني واذا كنت يا محمد في اصحابك
وشهدت معهم القتال فاقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك يعني اذا حان وقت
الصلاة واقمتها لاصحابك فاجعلهم فرقتين فلتقف فرقة منهم معك فتصلي بهم و
ليأخذوا اسلحتهم اختلفوا في هؤلا الذين امرهم الله باخذ السلاح فقيل اراد بهم
الذين قاموا معه الى الصلاة فانهم ياخذون اسلحتهم في الصلاة فعلى هذا القول
انما ياخذون من السلاح ما لا يشغلهم عن الصلاة الى جنبه كالسيف والخنجر وذلك لانه
اقرب الى الاحتياط وامنع للعدو من الاقدام عليهم فان كان السلاح يشغل بحركته
وثقله عن الصلاة كالترس الكبير او يوذي من الى جنبه كالرمح فلا ياخذه وقيل اراد
بهم الطائفة الذين بقوا في وجه العدو فانهم ياخذون اسلحتهم للحراسة وقيل يحتمل
ان يكون امرا للفريقين بحمل السلاح لان ذلك اقرب الى الاحتياط فاذا سجدوا فليكونوا
من ورائكم يعني اذا صلوا الذين معك وفرغوا من الصلاة فليكونوا من ورائكم يعني
فلينصرفوا الى مكان الذين هم في وجه العدو للحراسة ولتات طائفة اخرى لم يصلوا يعني
ولتات الطائفة التي كانت في وجه العدو فليصلوا معك الركعة الثانية التي بقيت
عليك ويتموا البقية صلاتهم وليأخذوا حذرهم واسلحتهم يعني ان الله تعالى جعل الحذر
وهو التحرز والتيقظ آلة يستعملها الغازي في دفع العدو فلذلك جعله ماخوذا مع
السلاح فان قلت لم ذكر في اول الاية الاسلحة فقط وذكر هنا الحذر والاسلحة قلت لان
العدو لم ينتبه للمسلمين في اول الصلاة بل يظنون كونهم قائمين في المحاربة والمقاتلة فاذا
قاموا الى الركعة الثانية ظهر للكفار ان المسلمين في الصلاة فحينئذ ينتهزون الفرصة في الاقدام
على المسلمين فلا جرم ان الله تعالى امرهم في هذا الموضع بزيادة الحذر من الكفار مع اخذ الاسلحة
ود الذين كفروا يعني تمنى الكفار لو تغفلون يعني لو وجدوهم غافلين عن اسلحتكم وامتعتكم
يعني حوايجكم التي بها بلاغكم في اسفاركم فتغفلون عنها فيميلون عليكم ميلة واحدة يعني
فيقصدونكم فيصيبون منكم غرة فيقتلونكم فصل في احكام تتعلق بالاية وصفة صلاة
الخوف وفيه مسائل المسئلة الاولى قال ابو يوسف والحسن بن زياد من اصحاب ابي حنيفة صلاة

للخوف كانت خاصة بالنبي صلى الله عليه وسلم ولا يجوز لغيره لعبده فعلها وقال المزني من اصحاب
الشافعي كانت ثابتة ثم نسخت واحتجوا لصحة هذا القول بان الله تعالى خاطب نبيه صلى الله عليه
وسلم وقال تعالى واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلاة وظاهر هذا يدل على ان اقامة الصلاة
مشروطة بكون النبي صلى الله عليه وسلم فيهم فدل على تخصيصه بها ولان كلمة اذا تفيد الشرط
وذهب جمهور الفقهاء والعلماء الى ان هذا الحكم لما ثبت في حق النبي صلى الله عليه وسلم بهذه الآية
وجب ان يثبت في حق غيره من امته لقوله تعالى فاتبعوه ولقوله صلى الله عليه وسلم صلوا كما
رايتموني اصلي ولان ذلك اجماع الصحابة على فعلها وقد روي عن علي بن ابي طالب انه صلى
باصحابه صلاة الخوف ليلة الهرير وكذلك ابو موسى صلى باصحابه صلاة الخوف وكذلك حذيفة
ابن اليمان صلاها باصحابه بطبرستان وليس لها ولا مخالف في الصحابة واجيب عن قوله تعالى
واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلاة بان هذا وان كان قد خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم فان
سائر امته داخلون في هذه الكلمة فهو كقوله يا ايها النبي اذا طلقتم النساء الا ان يرد نص بتخصيصه
صلى الله عليه وسلم بحكم دون امته كقوله خالصة لك من دون المؤمنين ونظير قوله واذا كنت فيهم قوله خذ من اموالهم
صدقة فاذا كان هو المخاطب بها وقد ثبت حكم اخذ الزكاة فيمن بعده من الائمة كان كذلك
قوله واذا كنت فيهم واجيب عن لفظة اذا بان مقتضاه الثبوت عند الثبوت واما العدم
عند العدم فغير مسلم المسئلة الثانية قال الخطابي صلاة الخوف انواع صلاها النبي صلى الله عليه وسلم
في ايام مختلفة واشكال متباينة يتحرى في ذلك كله ما هو الاحوط للصلاة والابلغ في الحراسة فهي
مع اختلاف صورها متفقة المعنى فمن انواع صلاة الخوف ما كان العدو في غير جهة القبلة فرق
الامام اصحابه فرقتين فتقف طائفة وجاه العدو فتحرس ويصلي بالطائفة الاولى ركعة فاذا
قام الى الركعة الثانية اتموا لانفسهم وذهبوا الى وجاه العدو فتحرس وتاتي الطائفة الثانية
التي كانت تحرس فيصلي بهم الركعة الثانية ويثبت جالسا في التشهد حتى يتموا لانفسهم الصلاة
ثم يسلم بهم ويدل على ذلك ما روي عن يزيد بن رومان عن صالح بن خوات عمن صلى
مع النبي صلى الله عليه وسلم يوم ذات الرقاع صلاة الخوف ان طائفة صلت معه وطائفة
وجاه العدو فصلى بالتي معه ركعة ثم ثبت قائما واتموا لانفسهم ثم انصرفوا وجاه العدو وجاءت
الطائفة الاخرى فصلى بهم الركعة التي بقيت من صلاته ثم ثبت جالسا فاتموا لانفسهم ثم سلم بهم
اخرجاه في الصحيحين الذي صلى مع النبي صلى الله عليه وسلم هو سهل ابن ابي حثمة وقد اخرجاه من رواية
اخرى عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى باصحابه فذكر نحوه وهذا هو مختار الشافعي لانه اشد موافقة
لظاهر القران واحوط للصلاة وابلغ في حراسة العدو اما كونه اشد موافقة للقران فان قوله
فلتأت طائفة اخرى لم يصلوا فليصلوا معك وهذا يدل على ان الطائفة الاولى قد صلت
وقوله فليصلوا معك ظاهره يدل على ان جميع صلاة الطائفة الثانية حصلت مع الامام
وكونها احوط لامر الصلاة من حيث انه لا يكثر فيها العمل من المجيء والذهاب وكونها احوط
لامر الحرب والحراسة من حيث انه اذا لم يكونوا في الصلاة كان امكن للحراسة وللكر والفر

والهرب

والهرب ان احتاجوا اليه وذهب قوم الى ان الطائفة الاولى تصلي مع الامام ركعة
ثم تذهب الى وجه العدو فتحرس وهم على صلاتهم ثم تاتي الطائفة الثانية فتصلي مع الامام
الركعة الثانية ويسلم الامام ولا يسلمون بل يذهبون الى وجه العدو وترجع الطائفة الاولى
الى موضع الامام فتقضي بقية صلاتها ثم تذهب ثم تاتي الطائفة الثانية الى موضع الامام
فتقضي بقية صلاتها روي عن ابن مسعود وهو مذهب ابي حنيفة ويدل على ذلك
ما روي عن ابن عمر قال صلى النبي صلى الله عليه وسلم صلاة الخوف قال فكبر وصف خلفه
طائفة منا وطائفة مواجهة العدو فركع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعة وسجد
سجدتين ثم انصرفوا ولم يسلموا واقبلوا على العدو فصفوا وجاءت الطائفة الاخرى فصفوا خلف
رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى بهم ركعة وسجدتين ثم سلم رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقد تم ركعتين واربع سجدات ثم قامت الطائفتان فصلى كل انسان منهم لنفسه ركعة
وسجدتين اخرجه النسائي قال ابو بكر النيسابوري سمع الزهري من ابن عمر ولم يسمع هذا منه والذي اخرجاه
في الصحيحين عن ابن عمر قال صلى النبي صلى الله عليه وسلم صلاة الخوف باحدى الطائفتين ركعة
والطائفة الاخرى مواجهة العدو ثم انصرفوا وقاموا في مقام اصحابهم مقبلين على العدو
وجاء اولئك فصلى بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعة ثم قضى هؤلاء ركعة وهؤلاء ركعة وفي
رواية اخرى قال صلى الله عليه وسلم صلاة الخوف في بعض ايامه فقامت طائفة معه وطائفة
بازاء العدو فصلى بالذين معه ركعة وجاء الاخرون فصلى بهم ركعة وقضت الطائفتان ركعة
ركعة وبهذه الرواية المخرجة في الصحيحين اخذ الاوزاعي واشهب المالكي وهو جائز عند الشافعي
ثم قيل ان الطائفتين قضوا ركعتهم الباقية معا وقيل متفرقين وهو الصحيح والفرق بين
الروايتين ان الطائفة الاولى ادركت اول الصلاة وهم في حكم من خلف الامام واما
الطائفة الثانية فلم تدرك اول الصلاة والمسبوق فيما يقضي كالمنفرد في حكم صلاته
المسئلة الثالثة فيما اذا كان العدو في ناحية القبلة وصورة هذه الصلاة ما روي عن
جابر بن عبد الله قال شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الخوف فصففنا
صفين خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم والعدو بيننا وبين القبلة فكبر النبي صلى الله عليه
وسلم وكبرنا جميعا ثم رفع راسه من الركوع ورفعنا جميعا ثم انحدر بالسجود والصف
الذي يليه وقام الصف المؤخر في وجه العدو فلما قضى النبي صلى الله عليه وسلم السجود
وقام الصف الذي يليه انحدر الصف المؤخر بالسجود وقاموا ثم تقدم الصف المؤخر وتاخر
الصف المقدم ثم ركع النبي صلى الله عليه وسلم وركعنا جميعا ثم رفع راسه من الركوع ورفعنا
جميعا ثم انحدر بالسجود والصف الذي يليه الذي كان مؤخرا في الركعة الاولى فقام
الصف المؤخر في نحو العدو فلما قضى النبي صلى الله عليه وسلم السجود والصف الذي يليه
انحدر الصف المؤخر بالسجود فسجدوا ثم سلم النبي صلى الله عليه وسلم وسلمنا جميعا قال جابر
كما يصنع حرسكم هؤلاء بامرائهم اخرجه مسلم بتمامه واخرج البخاري طرفا منه انه صلى صلاة

الخوف مع النبي صلى الله عليه وسلم في الغزوة السابقة غزوة ذات الرقاع وبهذا الحديث اخذ الشافعي ومن وافقه فيما اذا كان العدو في جهة القبلة المسئلة الرابعة اذا اشتد الحرب والتحم القتال فصلوا رجالا وركبانا يومون بالركوع والسجود الى اي جهة كانت هذا مذهب الشافعي ومذهب ابي حنيفة انهم لا يصلون في هذه الحالة فاذا امنوا قضوا ما فاتهم من الصلاة ولصلاة الخوف صور اخرى مذكورة في كتب الفقه وليس هذا موضعها والله اعلم قوله تعالى ولا جناح عليكم اي ولا اثم ولا حرج عليكم ان كان بكم اذى من مطر او كنتم مرضى ان تضعوا اسلحتكم قال ابن عباس رخص الله لهم في وضع السلاح في حال المطر وحال المرض لان السلاح يثقل حمله في هاتين الحالتين وخذوا حذركم يعني راقبوا عدوكم ولا تغفلوا عنه امرهم الله بالتحفظ والتحرز والاحتياط لئلا يجترئ العدو عليهم قال ابن عباس نزلت في النبي صلى الله عليه وسلم وذلك انه غزى بني محارب وبني انمار فنزلوا ولا يرون من العدو احدا فوضع الناس السلاح فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجة حتى قطع الوادي والسماء ترش بالمطر فسال الوادي فحال السيل بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين اصحابه فجلس تحت شجرة فبصر به غورث بن الحارث المحاربي فقال قتلني الله ان لم اقتله ثم انحدر من الجبل ومعه السيف فلم يشعر به رسول الله صلى الله عليه وسلم الا وهو قائم على راسه وقد سل السيف من غمده وقال يا محمد من يمنعك مني الان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله ثم قال اللهم اكفني غورث بن الحارث بما شئت فاهوى غورث بالسيف ليضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم به فاكب لوجهه زلخة زلخها فندر السيف من يده فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذ السيف ثم قال يا غورث من يمنعك مني الان فقال لا احد فقال اتشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله قال لا ولكن اشهد ان لا اقاتلك ولا اعين عليك عدوا فاعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم سيفه فقال غورث لانت خير مني فقال النبي صلى الله عليه وسلم اجل انا احق بذلك منك فرجع غورث الى اصحابه فقال لهم لقد اهويت اليه بالسيف لاضربه فوالله ما ادري من زلخني بين كتفي فخررت لوجهي وذكر لهم حاله مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وسكن الوادي فقطع رسول الله صلى الله عليه وسلم الوادي الى اصحابه واخبرهم الخبر وقرا هذه الاية ولا جناح عليكم ان كان بكم اذى من مطر او كنتم مرضى قال ابن عباس كان عبد الرحمن بن عوف جريحا فنزلت فيه ان تضعوا اسلحتكم وخذوا حذركم يعني من عدوكم ان الله اعد للكافرين عذابا مهينا يعني يهانون فيه قوله عز وجل فاذا قضيتم الصلاة يعني فاذا فرغتم من صلاة الخوف فاذكروا الله يعني بالتحميد والتسبيح والتهليل والتكبير واثنوا على الله في جميع احوالكم قياما وقعودا وعلى جنوبكم فان ما انتم عليه من الخوف جدير بالمواظبة على ذكر الله عز وجل والتضرع اليه ؤ عن عائشة

قالت كان

قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الله على كل احيانه وقيل المراد بالذكر الصلاة يعني فصلوا لله قياما وقعودا وعلى جنوبكم يعني في حال الزمانة والجراح فاذا اطمأننتم يعني فاذا امنتم وسكنت قلوبكم واصل الطمانينة سكون القلب فاقيموا الصلاة يعني فاتموها اربعا فعلى هذا يكون المراد بالطمانينة ترك السفر والمعنى فاذا صرتم مقيمين في اوطانكم فاقيموا الصلاة تامة اربعا من غير قصر وقيل معناه فاقيموا الصلاة باتمام ركوعها وسجودها فعلى هذا يكون المراد بالطمانينة سكون القلب عن الاضطراب والامن بعد الخوف ان الصلوة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا يعني فرضا موقوتا والكتاب ههنا بمعنى المكتوب يعني مكتوبة موقتة في اوقات محدودة فلا يجوز اخراجها عن اوقاتها على اي حال كان من خوف او امن وقيل معناه فرضا واجبا مقدرا في الحضر اربع ركعات وفي السفر ركعتين قوله تعالى ولا تهنوا في ابتغاء القوم سبب نزول هذه الاية ان ابا سفيان واصحابه لما رجعوا يوم احد بعث النبي صلى الله عليه وسلم في اثارهم فشكوا من الم الجراحات فقال الله تعالى ولا تهنوا يعني ولا تضعفوا ولا تتوانوا في ابتغاء القوم يعني في طلب ابي سفيان واصحابه ثم اورد عليهم الحجة في ذلك والزمهم بها فقال تعالى ان تكونوا تالمون فانهم يالمون كما تالمون يعني ان حصول الالم قدر مشترك بينكم وبينهم وليس ما تجدون من الوجع والم الجراح مختصا بكم بل هم كذلك فاذا لم يكن الالم مانعا لهم عن قتالكم فكيف يكون مانعا لكم عن قتالهم وكيف لا تصبرون مثل صبرهم مع انكم اولى بالصبر منهم لانكم تعرفون بالحشر والنشر والثواب والعقاب والمشركون لا يعرفون ذلك كله فانتم ايها المؤمنون اولى بالجهاد منهم وهو قوله تعالى وترجون من الله ما لا يرجون يعني وتاملون من الله من الثواب في الاخرة ما لا يرجون وقيل ترجون النصر والظفر في الدنيا واظهار دينكم على الاديان كلها وكان الله عليما حكيما يعني انه تعالى لا يامركم بشيء الا وهو يعلم انه مصلحة لكم قوله عز وجل انا انزلنا اليك الكتاب بالحق قال ابن عباس نزلت هذه الاية في رجل من الانصار يقال له طعمة بن ابيرق من بني ظفر بن الحرث سرق درعا من جار له يقال له قتادة بن النعمان وكانت الدرع في جراب فيه دقيق فجعل الدقيق ينتثر من خرق في الجراب حتى انتهى الى داره ثم خباها عند رجل من اليهود يقال له زيد السمين فالتمست الدرع عند طعمة فحلف بالله ما اخذها وما له بها من علم فقال اصحاب الدرع لقد راينا اثر الدقيق حتى دخل داره فلما حلف تركوه واتبعوا اثر الدقيق الى منزل اليهودي فاخذوه منه فقال اليهودي دفعها الي طعمة ابن ابيرق زاد في الكشاف وشهد له جماعة من اليهود وقال البغوي وجاء بنو ظفر قوم طعمة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسالوه ان يجادل عن صاحبهم طعمة فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يعاقب اليهودي وان يقطع يده فانزل الله هذه الاية وقيل ان زيد السمين اودع الدرع عند طعمة فانزل الله هذه الاية انا انزلنا اليك يعني يا محمد الكتاب يعني القران بالحق يعني بالصدق

وبالامر والنهي والفصل لتحكم بين الناس بما اراك الله يعني بما علمك الله واوحى اليك
وانما سمي العلم اليقيني رؤية لانه جرى مجرى الرؤية في قوة الظهور روي عن عمر انه
قال لا يقولن احدكم قضيت بما اراني الله فان الله لم يجعل ذلك الا لنبيه صلى الله عليه وسلم
ولكن ليجتهد رأيه لان الرأي من رسول الله صلى الله عليه وسلم مصيبا لان الله تعالى كان
يريه اياه وان رأي احدنا يكون ظنا ولا يكون علما قال المحققون دلت هذه الآية ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان يحكم الا بالوحي الالهي والنص المنزل عليه ولا تكن يعني يا محمد
للخائنين خصيما يعني ولكن لاجل الخائنين وهم قوم طعمة تخاصم عنهم وتجادل عن طعمة
مدافعا عنه ومعينا له واستغفر الله يعني بما هممت به من معاقبة اليهودي وقيل من جدالك
عن طعمة ان الله كان غفورا يعني لذنوب عباده يستر عليهم ويغفر لهم رحيما يعني
لعباده المؤمنين **فصل** وقد تمسك بهذه الآية من يرى جواز صدور الذنب من الانبياء و
قالوا لو لم يقع من الرسول صلى الله عليه وسلم ذنب لما امر بالاستغفار واجيب عما تمسكوا
به من وجوه احدها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفعل المنهي عنه في قوله ولا تكن
للخائنين خصيما ولا خاصم عن طعمة لما سأله قوم طعمة ان يذب عنه وان يلحق السرقة
باليهودي فتوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم وانتظر ما يأتيه من الوحي السماوي والامر
الالهي فنزلت هذه الآية واعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم بان طعمة كذاب وان اليهودي
بري من السرقة وانما مال صلى الله عليه وسلم الى نصرة طعمة وهم بذلك بسبب انه في
الظاهر من المسلمين فامره الله بالاستغفار من هذا القدر الوجه الثاني ان قوم طعمة لما شهدوا
عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ببراءة طعمة من السرقة ولم يظهر في الحال لرسول الله صلى الله عليه وسلم
ما يوجب القدح في شهادتهم هم بان يقضي على اليهودي بالسرقة فلما اطلعه الله على كذب
قوم طعمة عرف انه لو وقع ذلك الامر لكان خطأ في نفسه فامره الله بالاستغفار منه
وان كان معذورا الوجه الثالث يحتمل ان الله تعالى امره بالاستغفار لقوم طعمة لذبهم
عن طعمة فان استغفاره صلى الله عليه وسلم يحتمل ان يكون لذنب قد سبق قبل النبوة
وان يكون لذنوب امته الوجه الرابع ان درجة النبي صلى الله عليه وسلم اعلى الدرجات
ومنصبه اشرف المناصب فلعلو درجته وشرف منصبه وكمال معرفته بالله عز وجل
فما يقع منه على وجه التأويل او السهو او امر من امور الدنيا فانه ذنب بالنسبة الى
منازلهم ودرجاتهم والله اعلم قوله تعالى ولا تجادل عن الذين يختانون انفسهم يعني ولا
تجادل عن الذين يظلمون انفسهم بالخيانة وهم طعمة ومن عاونه وذب عنه من قومه
وانما سماهم خائنين لان من اقدم على ذنب فقد خان نفسه لانه اوقعها في العذاب
وحرمها من الثواب ولهذا قيل لمن ظلم غيره وانما ظلم نفسه وقيل المراد بهذا الجمع كل
من خان خيانة فلا تخاصم لخائن ولا تجادل عنه ان الله لا يحب من كان خوانا اثيما
يعني خوانا بسرقة الدرع اثيما برميه اليهودي وهو بري وانما قال تعالى خوانا اثيما على

المبالغة لان الله تعالى علم من طعمة الافراط في الخيانة وركوب المآثم ويدل على ذلك
انه لما نزل فيه القرآن لحق بمكة مرتدا عن دينه ثم عدا على الحجاج بن علاط فنقب عليه بيته
فسقط عليه حجر من الحائط فلما اصبحوا اخرجوه من مكة فلقي ركبا فتعرض لهم وقال ابن
سبيل ومنقطع به فحملوه حتى جن الليل عدا عليهم فسرقهم ثم انطلق فركبوا في طلبه
فادركوه فرموه بالحجارة حتى مات ومن كانت هذه حالة كان كثير الخيانة والاثم فلذلك
وصفه الله تعالى بالمبالغة في الخيانة والاثم قال بعضهم اذا عثرت من رجل على سيئة فاعلم
ان لها اخوات ويروى عن عمر انه امر بقطع يد سارق فجاءت امه تبكي وتقول هذه اول سرقة
سرقها فاعف عنه يا امير المؤمنين فقال كذبت ان الله لا يؤاخذ عبده في اول مرة وقوله عز
وجل يستخفون من الناس يعني يستترون حياء من الناس يريد بذلك بني ظفر بن الحارث
وهم قوم طعمة ابن ابيرق ولا يستخفون من الله يعني ولا يستترون من الله ولا يستحيون منه
واصل الاستخفاء الاستتار وانما فسر الاستخفاء بالاستحياء على المعنى لان الاستحياء من الناس يوجب
الاستتار منهم وهو معهم يعني والله معهم بالعلم والقدرة لا يخفى عليه شيء من حالهم لانه تعالى
لا يخفى عليه خافية وكفى بذلك زاجرا للانسان عن ارتكاب الذنوب اذ يبيتون ما لا يرضى
من القول يعني يضمرون ويقدرون ويزورون في اذهانهم واصل التبييت تدبير الفعل
بالليل وذلك ان قوم طعمة قالوا فيما بينهم نرفع الامر الى النبي صلى الله عليه وسلم فانه يسمع
قول طعمة ويقبل يمينه لانه مسلم ولا يقبل قول اليهودي لانه كافر فلم يرض الله تعالى بذلك
منهم فاطلع نبيه صلى الله عليه وسلم على سرهم وما هموا به وكان الله بما يعملون محيطا يعني
انه تعالى لا يخفى عليه شيء من امور عباده وهو مطلع عليهم ومحيط بهم لا يخفى عليه خافية ها انتم
هؤلاء للتنبيه يعني يا هؤلاء الذين هو خطاب لقوم من المؤمنين كانوا يذبون عن طعمة
وعن قومه جادلتم عنهم يعني خاصمتم عنهم بسبب انهم كانوا يرونهم في الظاهر مسلمين
واصل الجدال شدة الفتل لان كل واحد من الخصمين يريد ان يفتل صاحبه عما هو
عليه والمعنى هبوا انكم خاصمتم وجادلتم عن طعمة في الحياة الدنيا فمن يجادل الله
عنهم يوم القيامة يعني اذا اخذه الله بعذابه فهو استفهام بمعنى التوبيخ والتقريع ام من
يكون عليهم وكيلا يعني حافظا ومحاميا عنهم من بأس الله اذا نزل به قوله تعالى
ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه نزلت هذه الآية في ترغيب طعمة في التوبة وعرضها
عليها وقيل نزلت في قومه الذين جادلوا عنه وقيل هي عامة في كل شيء ومذنب
لان خصوص السبب لا يمنع من اطلاق الحكم ومعنى الآية ومن يعمل سوءا يسوء به غيره
كما فعل طعمة بالسرقة من قتادة وانما خص ما يتعدى الى الغير باسم السوء لان ذلك
يكون في الاكثر ايصالا للضرر الى الغير او يظلم نفسه يعني فيما يختص به من الحلف الكاذب
ونحو ذلك وقيل معناه ومن يعمل سوءا اي قبيحا او يظلم نفسه برميه البري وقيل السوء
كل ما يأثم به الانسان والظلم هو الشرك فما دونه ثم يستغفر الله يعني من ذنوبه يجد الله

عفورا رحيما ففي هذه الاية دليل على حكمين احدهما ان التوبة مقبولة عن جميع الذنوب
الكباير والصغاير لان قوله ومن يعمل سوا او يظلم نفسه عم الكل والحكم الثاني ان ظاهر
الاية يقتضي ان مجرد الاستغفار كاف وقال بعضهم انه مقيد بالتوبة لانه لا ينفع الاستغفار
مع الاصرار على الذنوب ومن يكسب اثما يعني ومن يعمل ذنبا يأثم به فانما يكسبه على نفسه
يعني انما يعود وبال كسبه عليه والكسب عبارة عن ما يفيد جر منفعة او دفع مضرة فكانه تعالى
يقول يا ايها الانسان ان الذنب الذي ارتكبته انما عادت مضرته عليك فاني منزه عن الضرر
والنفع فاكثر من الاستغفار ولا تياس من قبول التوبة والى الغفار لمن تاب وهذه الاية
نزلت في طعمة ايضا وكان الله عليما يعني بسارق الدرع حكيما يعني اذ احكم عليه بالقطع
وقيل معناه عليما بما في قلب عبده عند اقدامه على التوبة حكيما تقتضي حكمته ان يتجاوز
عن التايب ويغفر له ويقبل توبته ومن يكسب خطيئة او اثما وانما قيل ان الخطيئة هي
الصغيرة من الذنوب والاثم هو الكبيرة وقيل الخطيئة هي الذنب المختص بفاعله والاثم
الذنب المتعدي الى الغير وقيل ان الخطيئة هي سرقة الدرع والاثم هو يمينه الكاذبة
ثم يرم به بريا يعني ثم يقذف بما جناه بريا منه وهو نسبة السرقة الى اليهودي ولم يسرق
فان قلت الخطيئة والاثم اثنان فكيف وحد الضمير في قوله ثم يرم به بريا قلت معناه
ثم يرم باحد هذين المذكورين بريا وقيل معناه ثم يرم بهما فاكتفى باحدهما عن الاخر
وقيل انه يعود الضمير على الاثم وحده لانه اقرب مذكور وقيل ان الضمير يعود الى الكسب
ومعناه ثم يرم بما كسب بريا فقد احتمل بهتانا البهتان من البهت وهو الكذب
الذي يتحير من عظمه واثما مبينا يعني ذنبا بينا لانه بكسب الاثم ثم برمي به البري فقد
جمع بين الامرين قوله عز وجل ولولا فضل الله عليك ورحمته وهذه الاية متعلقة
بقصة طعمة بن ابيرق وقومه حيث لبسوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم امر
صاحبهم فقوله تعالى ولولا فضل الله عليك يعني يا محمد بالنبوة ورحمته يعني بالعصمة
وما اوحى اليك من الاطلاع على اسرارهم فهو خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم
لهمت طايفة منهم يعني من بني ظفر وهم قوم طعمة ان يضلوك يعني عن القضا
بالحق وتوخي طريق العدل وقيل معناه يخطوك في الحكم ويلبسوا عليك الامر
حتى تدفع عن طعمة وذلك لان قوم طعمة عرفوا انه سارق ثم سالوا النبي صلى الله
عليه وسلم ان يدفع عنه ويبرئه عن السرقة ويرمي بها اليهودي وما يضلون الا
انفسهم يعني ان وبال ذلك يرجع عليهم بسبب تعاونهم على الاثم وشهادتهم له انه
بري فهم لما اقدموا على ذلك رجع وباله عليهم وما يضرونك من شي يعني انهم
وان وسعوا في القايك في الباطل فانت ما وقعت فيه لانك بنيت الامر على ظاهر الحال
وما خطر ببالك ان الامر على خلاف ذلك وقيل معناه وما يضرونك من شي في المستقبل
بوعده الله بادامة العصمة وانه لا يضره احد وانزل الله عليك الكتاب يعني القران

والحكمة

والحكمة يعني القضا به بقين واوجب بهما بناء الحكم على الظاهر فكيف يضرونك بالقايك
في الشبهات وعلمك ما لم تكن تعلم يعني من احكام الشرع وامور الدين وقيل علمك
من علم الغيب ما لم تكن تعلم وقيل معناه وعلمك من خفيات الامور واطلعك على
ضماير القلوب وعلمك احوال المنافقين وكيدهم ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك
عظيما يعني ولم يزل فضل الله عليك يا محمد عظيما فاشكره على ما اولاك من احسانه
ومن عليك بنبوته وعلمك ما انزل عليك من كتابه وحكمته وعصمك ممن حاول
اضلالك فان الله هو الذي تولاك بفضله وشملك باحسانه وكفاك غايلة
من ارادك بسوء ففي هذه الاية تنبيه من الله عز وجل لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم
على ما حباه من الطاقة وما شمله من فضله واحسانه ليقوم بواجب حقه قوله تعالى
لا خير في كثير من نجواهم يعني من نجوى قوم طعمة وقيل هي عامة في جميع ما يتناجى الناس
به والنجوى هو السرار في التدبير وقيل النجوى ما تفرد بتدبيره قوم سرا كان ذلك
او جهرا او ناجيته ساررته واصله ان يخلوا في نجوة من الارض وقيل اصله من النجاة
والمعنى لا خير في كثير مما يدبرونه ويتناجون فيه الا من امر بصدقة يعني الا في نجوى
من امر بصدقة وقيل معناه لا خير فيما يتناجى فيه الناس ويخوضون فيه من الحديث
الا فيما كان من اعمال الخير وقيل هو استثنا منقطع تقديره ولكن من امر بصدقة
وحث عليها او معروف يعني او امر بطاعة الله وما يجيزه الشرع واعمال البر كلها معروف
لان العقول تعرفها او اصلاح بين الناس يعني الاصلاح بين المتباينين والمختصمين
ليتراجعا الى ما كانا فيه من الالفة والاجتماع على ما اذن الله فيه وامر به عن ابي الدرداء
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا اخبركم بافضل من درجة الصيام والصلاة
والصدقة قالوا بلى قال اصلاح ذات البين وان فساد ذات البين هي الحالقة
اخرجه الترمذي وابو داود وقال الترمذي ويروى عن النبي صلى الله عليه وسلم
هي الحالقة لا اقول تحلق الشعر لكن تحلق الدين خ عن سهل بن سعد ان اهل
قبا اقتتلوا حتى تراموا بالحجارة فاخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اذهبوا
بنا نصلح بينهم ق عن ام كلثوم بنت عقبة بن ابي معيط قالت سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول ليس الكذاب الذي يصلح بين اثنين او قال بين
الناس فيقول خيرا او ينمي خيرا زاد مسلم في رواية له قالت ولم اسمعه يرخص في شي
مما يقول الناس الا في ثلاث يعني الحرب والاصلاح بين الناس وحديث الرجل
زوجته وحديث المراة زوجها ومن يفعل ذلك يعني هذه الاشيا التي ذكر ابتغا
مرضات الله يعني طلبا رضاه لان الانسان اذا فعل ذلك خالصا لوجه الله نفعه
وان فعلها ريا وسمعة لم ينفعه ذلك لقوله صلى الله عليه وسلم انما الاعمال
بالنيات الحديث فسوف نوتيه يعني في الاخرة اذا فعل ذلك ابتغا مرضات

اسما اجرا عظيما الاجد له لان الله سماه عظيما واذا كان كذلك فلا يعلم قدره الا الله ومن يشاقق
الرسول نزلت في طعمة ايضا وذلك انه لما سرق وظهر عليه السرقة خاف على نفسه القطع والفضيحة
هرب الى مكة كافرا مرتدا عن الدين فانزل الله عز وجل ومن يشاقق الرسول يعني يخالفه في التوحيد
والايمان واصله من المشاقة وهو كون كل واحد منهما في شق غير شق الآخر من بعد ما تبين
له الهدى اي وضح له التوحيد والحدود وظهر له صحة الاسلام وذلك لان طعمة كان قد
تبين له بما انزل فيه واظهر من سرقته ما يدل على صحة دين الاسلام فعادى الرسول صلى الله
عليه وسلم واظهر الشقاق ورجع عن الاسلام ويتبع غير سبيل المومنين يعني ويتبع غير طريق
المومنين وما هم عليه من الايمان ويتبع عبادة الاوثان نوله ما تولى اي نكله في الآخرة
الى ما تولى في الدنيا نتركه وما اختار لنفسه ونصله جهنم يعني ونلزمه جهنم واصله
من الصلا وهو لزوم النار وقت الاستدفا وساءت مصيرا يعني وبئس المرجع الى النار
روي ان الشافعي سئل عن اية من كتاب الله تدل على ان الاجماع حجة فقرا القرآن
ثلثمائة مرة حتى استخرج هذه الاية وهي قوله ويتبع غير سبيل المومنين وذلك لان اتباع
سبيل المومنين ولزوم جماعتهم واجبا وذلك لان الله تعالى الحق الوعيد بمن يشاقق
الرسول ويتبع غير سبيل المومنين فثبت بهذا ان اجماع الامة حجة قوله تعالى ان الله لا
يغفر ان يشرك به نزلت في طعمة بن ابيرق ايضا لكونه مات مشركا وقال ابن عباس
نزلت هذه الاية في شيخ من الاعراب جا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا نبي
الله اني شيخ منهمك في الذنوب غير اني لم اشرك بالله منذ عرفته وامنت به
ولم اتخذ من دونه وليا ولم اواقع المعاصي جراة على الله عز وجل وما توهمت طرفة عين
اني اعجز الله هربا واني لنادم تايب مستغفر فما حالي عند الله فانزل الله هذه الاية
ان الله لا يغفر ان يشرك به فهذا نص صريح بان الشرك غير مغفور واذا مات
صاحبه عليه لانه قد ثبت ان المشرك اذا تاب من شركه وامن قبلت توبته
وصح ايمانه وغفرت ذنوبه كلها التي عملها في حال الشرك ويغفر ما دون ذلك
يعني ما دون الشرك لمن يشا يعني لمن يشا من اهل التوحيد قال العلما لما اخبر الله انه
يغفر الشرك بالتوبة وهذه المشية في من لم يتب من ذنوبه من اهل التوحيد
فاذا مات صاحب الكبيرة او الصغيرة من غير توبة فهو في خطر المشية ان شا غفر له
وادخله الجنة بفضل رحمته وان شا عذبه ثم يدخله الجنة بعد ذلك ومن يشرك بالله
فقد ضل ضلالا بعيدا يعني فقد ذهب عن طريق الهدى وحرم الخير كله اذا مات
على شركه فان قلت لم كررت هذه الاية بلفظ واحد في موضعين من هذه
السورة وما فايدة ذلك قلت فايدة ذلك للتاكيد اولان الاية المتقدمة
نزلت في سبب ونزلت هذه الاية في سبب اخر وهو ان الاية المتقدمة
نزلت في سبب سرقة طعمة بن ابيرق ونزلت هذه الاية في سبب ارتداده

ومونه على الشرك قوله عز وجل ان يدعون من دونه الا اناثا نزلت في اهل مكة يعني ما
يعبدون من دون الله الا اناثا لان كل من عبد شيا فقد دعاه لحاجته وفي قوله اناثا
اقوال احدها انهم كانوا يسمون اصنامهم باسما الاناث فيقولون اللات والعزى
ومناة قال الحسن كانوا يقولون لصنم كل قبيلة انثى بني فلان والقول الثاني
اناثا يعني امواتا قال الحسن كل شي لا روح فيه كالحجر والخشبة هي اناث قال الزجاج
والموات كلها يخبر عنها كما يخبر عن المونث تقول هذه الحجر تعجبني وهذه الدراهم تنفعني
ولان الانثى انزل درجة من الذكر والميت انزل درجة من الحي كما ان الموات
ارذل من الحيوان وقد يطلق اسم الانثى على الجمادات القول الثالث ان بعضهم
كان يعبد الملايكة ويقول هم بنات الله وان يدعون اي وما يعبدون الا شيطانا
مريدا قال ابن عباس لكل صنم شيطان يدخل في جوفه ويترايا للسدنة والكهنة
ويكلمهم فلذلك قال الله تعالى وان يدعون الا شيطانا مريدا وقيل هو ابليس لانه
هو اغواهم واغراهم على عبادتها فاطاعوه فجعلت طاعتهم له عبادة والمريد
والمارد هو المتمرد العاتي الخارج عن الطاعة لعنه الله اي ابعده الله وطرده
عن رحمته وقال يعني ابليس لاتخذن من عبادك نصيبا مفروضا يعني حظا مقدرا
معلوما فكل ما اطيع فيه ابليس فهو نصيبه ومفروضه واصل الفرض القطع والنصيب
هم الذين يتبعون خطواته ويقبلون وساوسه ولاضلنهم عن طريق الحق والمراد به التزيين
والوسوسة والا فليس له من الاضلال شي ولامنينهم قال ابن عباس يريد تسويف
التوبة وتاخيرها وقال الكلبي امنيهم انه لا جنة ولا نار ولا بعث وقيل امنيهم ادراك الجنة
مع عمل المعاصي وقيل ازين لهم ركوب الاهوا والاهوال الداعية الى العصيان وقيل امنيهم
طول البقا في الدنيا ونعيمها ليوثروها على الاخرة ولامرنهم فليبتكن اذان الانعام يعني
يقطعونها ويشقونها وهي البحيرة وذلك انهم كانوا يشقون اذن الناقة اذا ولدت
خمسة ابطن وجا الخامس ذكرا وحرموا على انفسهم الانتفاع بها ولا يردونها عن ماء
ولا مرعى وسول لهم ابليس ان هذا قربة ولامرنهم فليغيرن خلق الله قال ابن عباس
يعني دين الله وتغيير دين الله هو تحليل الحرام وتحريم الحلال وقيل تغيير خلق الله هو
تغيير الفطرة التي فطر الخلق عليها ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد
على الفطرة فابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه وقيل يحتمل ان يحمل هذا التغيير
على تغيير احوال تتعلق بظاهر الخلق مثل الوشم ووصل الشعر ويدل عليه قوله صلى الله
عليه وسلم لعن الله الواشمات والمتوشمات والمتنمصات والمتفلجات للحسن
المغيرات خلق الله اخرجاه في رواية ابن مسعود ولهما عن اسما قالت لعن النبي صلى
الله عليه وسلم الواصلة والمستوصلة وقيل تغيير خلق الله هو الاختصا وقطع
الاذان حتى ان بعض العلما حرمه وكره انس اختصا الغنم وجوزه بعض العلما لان

فيه غرضا ظاهرا ق عن سعد بن ابي وقاص قال لولا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
رد على عثمان بن مظعون التبتل لاختصينا التبتل هو ترك النكاح والانقطاع
للعبادة عن نافع قال كان ابن عمر يكره الاختصا ويقول ان فيه نما الخلق اخرجه مالك
في الموطا ومعناه في ترك الاختصا نما الخلق يعني زيادته وقال ابن زيد هو التخنث
وهو ان يتشبه الرجل بالنسا في حركاتهن وكلامهن ولباسهن ونحو ذلك وقيل
تغيير خلق الله هو ان الله تعالى خلق البهايم والانعام للركوب والاكل فحرموه
على انفسهم وخلق الشمس والقمر والنجوم والاحجار والنار لمنفعة الناس فعبدوها
من دون الله ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله يعني يتخذه ربا يطيعه فيما يامره
به وقيل الولي من الموالات وهو الناصر فقد خسر خسرانا مبينا لان طاعة الشيطان
توصله الى نار جهنم وهي غاية الخسران وبقي في الاية سوالان الاول قال لاتخذن
من عبادك نصيبا مفروضا والنصيب المفروض هو الشي المقدر القليل وقال في موضع
اخر لاحتنكن ذريته الا قليلا وقال لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين
وهذا استثنا القليل من الكثير فكيف وجه الجمع فالجواب ان الكفار الذين هم حزب
الشيطان وان كانوا اكثر من المومنين في العدد لكنهم اقل من المومنين في الفضل
والشرف وعلو الدرجة عند الله والمومنون وان كانوا اقل من الكفار لكنهم اكثر
منهم لان الفضل لهم والشرف والسودد والغلبة في الدنيا وعلو الدرجة في الاخرة
وانشد بعضهم فقال ع وهم الاقل اذا يعد عشيرة ع والاكثرون اذا يعد السودد ع
وقيل ان ابليس لما لم ينل من ادم ما اراد ورأى الجنة والنار علم ان لهذه اهل ولهذه
اهل فقال لاتخذن من عبادك نصيبا مفروضا يعني الذين هم اهل النار السوال الثاني
من اين لابليس العلم بالعواقب حتى يقول ولاضلنهم ولاغوينهم ولامرنهم وقال
في الاعراف ولا تجد اكثرهم شاكرين وقال في بني اسرايل لاحتنكن ذريته الا قليلا
فالجواب من ثلاثة اوجه احدها ان ابليس ظن انه يقع منهم هذه الامور التي
يريدها منهم فيحصل له ما ظنه ويدل على ذلك قوله ولقد صدق عليهم ابليس
ظنه فاتبعوه الوجه الثاني قال الانباري المعنى لاجتهدن ولاحرصن في ذلك
لا انه كان يعلم الغيب الوجه الثالث قال الماوردي من الجايز ان يكون قد علم
ذلك من الملايكة بخبر من الله تعالى ان اكثر الخلايق لا يومنون وقوله تعالى يعدهم
ويمنيهم يعني الشيطان يعد حزبه واولياءه ويمنيهم بوعده وتمنيته اياهم الا يوقع
في قلب الانسان من طول العمر ونيل ما اراد من الدنيا ومن نعيمها ولذاتها وكل
ذلك غرور فيجب على العاقل ان لا يلتفت لشي منها فربما لم يطل عمره ولم يحصل له ما
اراد منها ولئن طال عمره وحصل مقصوده فالموت وراءه ينغص عليه ما هو فيه
وقيل يعدهم ويمنيهم ان لا جنة ولا نار ولا بعث فاجتهدوا في تحصيل اللذات

الدنيوية وما يعدهم الشيطان الا غرورا يعني باطلا وضلالا اولئك يعني الذين
اتخذوا الشيطان وليا ماواهم جهنم يعني مرجعهم ومستقرهم جهنم ولا يجدون عنها
عنها محيصا يعني مفرا ومعدلا يعني لا يعدلون عنها الى غيرها ولا بد لهم من ورودها والخلود
فيها لما ذكر وعيد الكفار اتبعه بوعد المومنين فقال تعالى والذين امنوا وعملوا الصالحات
سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار يعني من تحت المساكن والغرف خالدين فيها
يعني في الجنات ابدا بلا انتها ولا غاية والابد عبارة عن مدة الزمان الممتد الذي لا انقطاع
له ولا يتجزى كما يتجزى بعض من الازمنة لانه لا يقال ابد كذا كما يقال زمن كذا وفي قوله خالدين
فيها ابدا دليل على ان الخلود لا يفيد التابيد والدوام لانه لو افاد ذلك لزم التكرار وهو خلاف
الاصل فعلم بذلك ان الخلود عبارة عن طول الزمان لا على الدوام فلما اتبع الخلود بالابد علم
انه يراد به الدوام الذي لا ينقطع وقوله تعالى وعد الله حقا يعني وعد الله ذلك الذي ذكر
وعدا حقا ومن اصدق من الله قيلا يعني ليس احد اصدق من الله وهو توكيد بليغ لقوله
وعد الله حقا قوله تعالى ليس بامانيكم ولا اماني اهل الكتاب الامانية فعولة من التمنية
والتمني تقدير شي في النفس وتصويره فيها والامنية هي الصورة الحاصلة في النفس من تمني الشي
اذا وقع في نفسه واراد وقوله المخاطب بقوله ليس بامانيكم ولا اماني اهل الكتاب قولان
احدهما انه خطاب للمسلمين واهل الكتاب اليهود والنصارى وذلك انهم افتخروا فقال اهل الكتاب
نبينا قبل نبيكم وكتابنا قبل كتابكم فنحن اولى بالله منكم وقال المسلمون نبينا خاتم النبيين وكتابنا
يقضي على الكتب وقد امنا بكتابكم ولم تومنوا بكتابنا فنحن اولى بالله منكم والقول الثاني انه خطاب
لمشركي مكة في قولهم لا نبعث ولا نحاسب وخطاب لاهل الكتاب في قولهم لن تمسنا النار
الا اياما معدودة والمعنى ليس الامر بالاماني انما الامر بالعمل الصالح ومن يعمل سوا يجز به قال
الضحاك يقول ليس لكم ما تمنيتم وليس لاهل الكتاب ما تمنوا ولكن من عمل سوا يعني شركا
فمات عليه يجز به النار وقال الحسن هذا في حق الكفار خاصة لانهم يجازون بالعقاب على الصغير
والكبير ولا يجزى المومن بسي عمله يوم القيامة ولكن يجزى باحسن عمله ويتجاوز عن سيايه
ويدل على صحة هذا القول سياق الاية وهو قوله ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا وهذا
هو الكافر واما المومن فله ولي ونصير وقال الاخرون هذه الاية في حق كل من يعمل سوا من مسلم
وكافر وقال ابن عباس هي عامة في حق كل من يعمل سوا يجز به الا ان يتوب قبل ان يموت
فيتوب الله عليه قال ابن عباس في رواية ابي صالح عنه لما نزلت هذه الاية شقت على المسلمين
مشقة شديدة وقالوا يا رسول الله واينا لم يعمل سوا غيرك فكيف الجزا قال منه ما يكون في
الدنيا فمن يعمل حسنة فله عشر حسنات ومن جوزي بالسيية نقصت واحدة من عشرة
وبقيت له تسع حسنات فويل لمن غلب احاده اعشاره واما ما كان جزا في الاخرة
فيقابل بين حسناته وسيياته فيلقى مكان كل سيية حسنة وينظر في الفضل فيعطى الجزا في الجنة
فيوتى كل ذي فضل فضله ويدل على صحة هذا القول ما روي عن ابي هريرة قال لما نزلت

من يعمل سوا يجز به وبلغت من المسلمين مبلغا شديدا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قاربوا
وسددوا ففي كل ما يصاب به المسلم كفارة حتى النكبة ينكبها والشوكة يشاكها اخرجه مسلم
وعن ابي بكر الصديق قال كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت من يعمل سوا
يجز به ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا اقريك
اية نزلت علي قلت بلى يا رسول الله فاقرانيها فلا اعلم الا اني وجدت انقصاما في
ظهري فتمطات لها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما شانك يا ابا بكر قلت يا رسول
الله بابي انت وامي وايّنا لم يعمل سوا وانا لمجزيون باعمالنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اما انت يا ابا بكر والمومنون فيجزون بذلك في الدنيا حتى تلقوا الله وليس لكم ذنوب
واما الاخرون فيجمع لهم ذلك حتى يجزوا به يوم القيامة اخرجه الترمذي وقال هذا حديث
غريب وفي اسناده مقال وقد روي هذا الحديث من غير وجه عن ابي بكر وليس له اسناد
صحيح وقوله ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا قال ابن عباس يريد وليا يمنعه ولا
نصيرا ينصره فان قلت ان هذه الاية خاصة في حق الكفار فما وجه ما ظاهرها قلت
انها في حق كل عامل سوا مسلم او كافر فانه لا ولي لاحد من دون الله يوم القيامة ولا
ناصر فالمومنون لا ولي لهم غير الله وشفاعة الشافعين تكون باذن الله فليس يملك
احد احدا عن الله وقوله تعالى ومن يعمل من الصالحات من ذكر او انثى وهو مومن قال المفسرون
لما نزلت ومن يعمل سوا يجز به قال اهل الكتاب نحن وانتم سوا فنزلت هذه قال المفسرون
بين الله بهذه الاية فضيلة المومنين على غيرهم ولفظة من في قوله من الصالحات
للتبعيض لان احدا لا يقدر ان يستوعب جميع الصالحات بالعمل فاذا عمل بعضها استحق
الثواب فاولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا النقير نقرة في ظهر النواة ومنها
تنبت النخلة قال ابن عباس يريد لا ينقصون قدر النواة وهذا على سبيل المبالغة
في نفي الظلم ووعد بتوفيته جزا اعمالهم من غير نقصان قوله عز وجل ومن احسن دينا
ممن اسلم وجهه لله وهو محسن لما بين الله تعالى ان الجنة لمن يعمل من الصالحات وهو مومن
شرح الايمان فقال تعالى ومن احسن دينا يعني ومن احكم دينا والدين هو المشتمل
على اظهار كمال العبودية والخضوع والانقياد لله عز وجل وهو الدين الذي كان عليه
ابرهيم عليه الصلاة والسلام واعلم ان دين الاسلام مبني على امرين احدهما الاعتقاد
واليه الاشارة بقوله اسلم وجهه لله يعني انقاد لله وخضع له في سره وعلانيته وقيل
معناه اخلص طاعته لله وقيل فوض امره الى الله الامر الثاني من مباني الاسلام العمل
واليه الاشارة بقوله وهو محسن يعني في عمله لله فيدخل فيه فعل الحسنات والمفروضات
والطاعات وترك السيئات وقال ابن عباس في تفسير قوله وهو محسن يريد وهو موحد لله عز وجل
لا يشرك به شيا قال العلما وانما صار دين الاسلام احسن الاديان لان فيه طاعة الله
ورضاه وهما احسن الاعمال وانما خص الوجه بالذكر في قوله اسلم وجهه لله لانه اشرف

الاعضا فاذا انقاد الوجه لله وخضع له فقد انقاد لله جميع الاعضا لانها تابعة له واتبع
ملة ابرهيم يعني دين ابرهيم عليه السلام حنيفا يعني مسلما خالصا والحنيف المايل ومعناه
المايل عن الاديان كلها الى الاسلام لان كل ما سواه من الاديان باطل وحنيفا يجوز
ان يكون حالا لابرهيم ويجوز ان يكون حالا للمتبع كما تقول رايته راكبا قال ابن عباس
ومن دين ابرهيم عليه السلام الصلاة الى الكعبة والطواف بها ومناسك الحج والختان
ونحو ذلك فان قلت ان ظاهر هذه الاية يقتضي ان شرع محمد صلى الله عليه وسلم هو
نفس شرع ابرهيم عليه السلام وعلى هذا لم يكن لمحمد صلى الله عليه وسلم شرع يستقل
به وليس الامر كذلك فما الجواب قلت ان شرع ابرهيم وملته داخلان في شرع محمد صلى الله
عليه وسلم وملته مع زيادات كثيرة حسنة خص الله بها محمدا صلى الله عليه وسلم فقد اتبع
ملة ابرهيم عليه السلام لانها داخلة في ملة محمد صلى الله عليه وسلم وشرع ابرهيم داخل في شرع
محمد صلى الله عليه وسلم وانما قال تعالى واتبع ملة ابرهيم لان ابرهيم عليه السلام كان يدعوا
الى توحيد الله وعبادته ولهذا خصه بالذكر لانه كان مقبولا عند جميع الامم فان
العرب كانوا يفتخرون بالانتساب اليه وكذلك اليهود والنصارى فاذا ثبت هذا وان
شرعه كان مقبولا عند الامم وان شرع محمد صلى الله عليه وسلم وملته هو شرع
ابرهيم وملته لزم الخلق الدخول في دين محمد صلى الله عليه وسلم وقبول شرعه وملته
وقوله تعالى واتخذ الله ابرهيم خليلا يعني صفيا والخلة صفا المودة وقيل الخلة الانقطاع
والانقطاع فخليل الله المنقطع اليه وسمي ابرهيم خليلا لانه انقطع الى الله في كل حال
وقيل الخلة الاصطفا والاختصاص وسمي ابرهيم خليلا لانه والى في الله وعادا
لله وقيل لانه تخلق باخلاق حسنة وخلال كريمة وقيل الخليل المحب الذي ليس
في محبته خلل وسمي ابرهيم خليل الله لانه احبه محبة كاملة ليس فيها نقص ولا خلل
وانشد في معنى الخلة التي هي بمعنى المحبة شعر ٥ لقد تخللت مسلك الروح مني ٥
وبه سمي الخليل خليلا ٥٥ وقيل الخليل من الخلة بفتح وهي الحاجة سميت خلة للاختلال
الذي يلحق الانسان فيها وسمي ابرهيم خليلا لانه جعل فقره وفاقته وحاجته الى
الله عز وجل وخلة الله للعبد هي تمكينه من طاعته وعصمته وتوفيقه وستر خلله
ونصره والثنا عليه فقد اثنى الله عز وجل على ابرهيم عليه السلام وجعله اماما للناس
يقتدى به واختلفوا في السبب الذي من اجله اتخذ الله ابرهيم خليلا فقال ابن
عباس كان ابرهيم عليه الصلاة والسلام ابا الضيفان وكان منزله على ظهر الطريق يضيف
من مر به من الناس فاصاب الناس سنة فحط فقصد الناس باب ابرهيم يطلبون
منه الطعام وكانت الميرة تاتيه من صديق له بمصر فبعث ابرهيم غلمانه الى
خليله الذي بمصر فقال خليله لغلمانه ابرهيم لو كان ابرهيم انما يريد الطعام لنفسه
احتملنا ذلك له وقد دخل علينا مثل ما دخل على الناس من الشدة فرجع غلمانه

ابراهيم بغير طعام ببطحا من الرمل سهلة فقالوا لو حملنا من هذه البطحا ليرى الناس انا قد جينا
بميرة فانا نستحي ان نمر بهم وابلنا فارغة فملؤا ذلك الرمل الغرائر التي معهم ثم اتوا ابراهيم
عليه الصلوة والسلام فاعلموه وسارة نايمة فاهتم لذلك ولمكان الناس ببابه فغلبته
عيناه فنام واستيقظت سارة وقد ارتفع النهار فقالت سبحان الله ما جا الغلمان قالوا
بلى قالت فجاوا بشي قالوا نعم فقامت الى الغرائر ففتحتها فاذا هي ملى باجود دقيق
فيكون حوارى فامرت الخبازين فخبزوا واطعموا الناس فاستيقظ ابراهيم فوجد
ريح الطعام فقال يا سارة من اين لكم هذا فقالت من عند خليلك المصري فقال هذا
من عند خليلي الله قال فيومئذ اتخذه الله خليلا وقيل لما اراه ملكوت السموات
والارض وحاج قومه في الله ودعاهم الى توحيده ومنعهم من عبادة النجوم والشمس
والقمر والاوثان وبذل نفسه للالقاء في النيران وبذل ولده للقربان وماله للضيفان
اتخذه الله خليلا وجعله اماما للناس يقتدى به وجعل النبوة فيه وفي ذريته وقيل
ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام لما كسر الاصنام وعادى قومه في الله عز وجل اتخذه الله
خليلا وقيل لما دخل عليه الملايكة في شبه الضيف فقرب اليهم عجلا سمينا وقال كلوا على
شرط ان تسموا الله في اوله وتحمدوه في اخره فقال جبريل انت خليل الله فمن يومئذ
سمى ابراهيم خليل الله م عن انس قال جا رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال يا خير البرية فقال صلى الله عليه وسلم ذاك ابراهيم خليل الله **فصل** وقد اتخذ الله
محمدا صلى الله عليه وسلم خليلا كما اتخذ ابراهيم خليلا فقد ثبت في الصحيحين عن ابي
سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لو كنت متخذا خليلا غير ربي لاتخذت
ابا بكر خليلا وعن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم لو كنت متخذا خليلا لاتخذت
ابا بكر خليلا ولكنه اخي وصاحبي وقد اتخذ الله صاحبكم خليلا اخرجه مسلم فقد ثبت
بهذين الحديثين الخلة للنبي صلى الله عليه وسلم وزاد على ابراهيم عليه السلام بالمحبة فمحمد صلى الله
عليه وسلم خليل الله وحبيبه فقد جا في حديث عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه
وسلم قال الا وانا حبيب الله ولا فخر اخرجه الترمذي باطول منه قوله تعالى ولله ما في السموات
وما في الارض قال اهل المعاني لما دعا الله الخلق الى طاعته وعبادته والانقياد
لامره بين سعة ملكه ليرغب الخلق اليه بالطاعة له وانما قال ما في السموات وما في
الارض ولم يقل من لانه ذهب به مذهب الجنس والذي يعقل اذا ذكر واريد به
الجنس ذكر بلفظة ما وكان الله بكل شي محيطا يعني عالما علم احاطة وهو العلم بالشي
من كل وجه حتى لا يشذ عليه نوع الا علمه وقيل يجوز ان يكون معناه محيطا بالقدرة
عليه قوله عز وجل ويستفتونك في النسا قل الله يفتيكم فيهن الاية قال ابن عباس
نزلت في بنات ام كحة وقد تقدمت قصتهن في اول السورة وقالت عايشة
هي اليتيمة تكون في حجر الرجل وهو وليها فيرغب في نكاحها اذا كانت ذات جمال ومال

باقل من

باقل من سنة صداقها واذا كانت غير مرغوب فيها لقلة المال والجمال تركها وفي رواية
قالت هي اليتيمة تكون في حجر الرجل وقد شركته في ماله فيرغب عنها فلا يتزوجها لدمامتها
ويكره ان يزوجها غيره فيدخل عليه ويشركه في ماله فيحبسها حتى تموت فنهاهم الله
عن ذلك وانزل هذه الاية فقال يستفتونك يعني ويستخبرونك يا محمد في شان
النسا وحالهن والاستفتا طلب الفتوى وهي اظهار ما اشكل من الاحكام الشرعية
وكشفه وتبيينه قال المفسرون والذي استفتوه فيه هو ميراث النسا وذلك انهم
كانوا لا يورثون النسا ولا الصغار من الاولاد فلما نزلت اية الميراث قالوا يا رسول
الله كيف ترث المراة والصغير فاجابهم بهذه الاية قل الله يفتيكم فيهن يعني قل يا محمد
الله يفتيكم في شان النسا وحالهن وما يتلى عليكم في الكتاب يعني يفتيكم فيما يتلى
عليكم والمعنى ان الله يفتيكم في النسا بما انزل في كتابه عليكم وقيل المراد بالكتاب
اللوح المحفوظ والغرض منه تعظيم هذه الاية التي تتلى عليكم وانها في اللوح المحفوظ
وان العدل والانصاف في حقوق اليتامى من اعظم امور عند الله تعالى التي يجب
مراعاتها وان المخل بها ظالم في يتامى النسا قيل معناه في النسا اليتامى وقيل
في اليتامى اولاد النسا لان الاية نزلت في يتامى ام كحة اللاتي لا تؤتونهن ما كتب
لهن يعني ما فرض لهن من الميراث وهو على قول من يقول ان الاية نازلة في ميراث اليتامى
والصغار وعلى القول الاخر معناه ما كتب لهن من الصداق وترغبون ان تنكحوهن
يعني وترغبون في نكاحهن لمالهن وجمالهن باقل من صداقهن وقيل معناه و
ترغبون عن نكاحهن لقبحهن ودمامتهن وتمسكوهن رغبة في اموالهن ق عن عايشة
قالت هذه اليتيمة تكون في حجر وليها فيرغب في جمالها ومالها ويريد ان ينتقص صداقها
فنهوا عن نكاحهن الا ان يقسطوا لهن في اكمال الصداق وامروا بنكاح من سواهن
قالت عايشة فاستفتى الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك فانزل الله عز
وجل يستفتونك في النسا الى قوله وترغبون ان تنكحوهن فبين لهم ان اليتيمة اذا كانت
ذات جمال ومال رغبوا في نكاحها ولم يلحقوها بسنتها في اكمال الصداق واذا كانت مرغوبة
عنها في قلة المال والجمال تركوها والتمسوا غيرها قال فكما يتركونها حين يرغبون عنها
فليس لهم ان ينكحوها اذا رغبوا فيها الا ان يقسطوا لها ويعطوها حقها الاوفى
من الصداق وقوله تعالى والمستضعفين من الولدان يعني ويفتيكم في المستضعفين
من الولدان وهم الصغار ان يعطوهم حقوقهم لان العرب في الجاهلية كانوا لا
يورثون الصغار الضعاف فنهاهم الله عن ذلك وامرهم ان يعطوهم حقهم من
الميراث وان تقوموا لليتامى بالقسط يعني بالعدل في مهورهن ومواريثهن وما
تفعلوا من خير فان الله كان به عليما يعني فيجازيكم عليه قوله تعالى وان امراة خافت
من بعلها نشوزا او اعراضا ق عن عايشة في قوله تعالى وان امراة خافت من بعلها

نشوزا او اعراضا قالت نزلت في المراة تكون عند الرجل لا يستكثر منها فيريد طلاقها ويتزوج
غيرها فتقول له امسكني لا تطلقني ثم تزوج غيري وانت في حل من النفقة والقسم لي قالت
فذلك قوله تعالى فلا جناح عليهما ان يصالحا بينهما صلحا والصلح خير وقيل نزلت في عمرة بنت
محمد بن مسلمة ويقال اسمها خولة وفي زوجها سعد بن الربيع ويقال رافع بن خديج تزوجها
وهي شابة فلما كبرت تزوج عليها امراة اخرى شابة فاثرها عليها وجفا الاولى فاتت
ابنة محمد بن مسلمة تشكوا زوجها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الاية وقيل
كان رجل له امراة قد كبرت وله منها اولاد فاراد ان يطلقها ويتزوج غيرها فقالت لا
تطلقني ودعني اقوم على اولادي واقسم لي كل شهرين ان شئت وان شئت فلا تقسم
لي فقال ان كان يصلح ذلك فهو احب الي فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر
ذلك له فانزل الله هذه الاية وان امراة خافت يعني علمت وقيل ظنت وقيل بل المراد
نفس الخوف لان الخوف لا يحصل الا عند ظهور الامارات الدالة عليه وموعده من بعلها
يعني من زوجها والبعل هو السيد وسمي الزوج بعلا لانه سيد المراة نشوزا يعني بغضا
وقيل هو ترك مضاجعتها واصلها من النشز وهو المرتفع من الارض والنشوز قد
يكون من الزوجين وهو ان يكره كل واحد منهما صاحبه فنشوز الزوج هو ان يعرض
عن المراة وهو قوله تعالى او اعراضا يعني بوجهه عنها او يعبس في وجهها او يترك
مضاجعتها او يسيء عشرتها او يشتغل بغيرها وقيل المراد من النشوز اظهار الخشونة في القول
والفعل والمراد من الاعراض السكوت عن الخير والشر والايذا بل يعرض عنها بوجهه او يشغل
بغيرها فلا جناح عليهما يعني فلا حرج ولا اثم على الزوج والمراة ان يصالحا من المصالحة وقرئ
ان يصلحا بضم اليا وكسر اللام من الاصلاح بينهما صلحا يعني في القسمة والنفقة وهو ان
يقول الزوج للمراة انك قد كبرت ودخلت في السن وانا اريد ان اتزوج امراة شابة جميلة
او ثرها عليك في القسمة ليلا ونهارا فان رضيت فاقيمي وان كرهت ذلك فارقتك
وخليت سبيلك فان رضيت بذلك كانت هي المحسنة ولا تجبر على ذلك وان لم ترض
بدون حقها كان على الزوج ان يوفيها حقها من القسم والنفقة او يسرحها باحسان وان
امسكها او وفاها حقها مع الكراهة لها كان هو المحسن قال ابن عباس فان صالحته على بعض
حقها من القسمة والنفقة جاز وان انكرت ذلك بعد الصلح كان ذلك لها ولها
حقها والصلح خير يعني اقامتها بعد تخييره اياها والمصالحة على ترك بعض حقها من القسم
والنفقة خير من الفرقة عن ابن عباس قال خشيت سودة ان يطلقها رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقالت لا تطلقني وامسكني واجعل يومي لعائشة ففعل فنزلت فلا
جناح عليهما ان يصالحا بينهما صلحا والصلح خير فما اصطلحا عليه من شيء فهو جائز
اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقسم لعائشة يومين يومها ويوم سودة واحضرت الانفس الشح الشح

البخل وحقيقته الحرص على منع الخير وانما قال واحضرت الانفس الشح لانه كالامر
اللازم للنفوس لانها مطبوعة عليه ومعنى الاية ان كل واحد من الزوجين يشح
بنصيبه من الاخر فالمراة تشح على مكانها من زوجها والرجل يشح عليها بنفسه
اذا كان غيرها احب اليه منها وان تحسنوا وتتقوا هذا خطاب للازواج يعني
وان تحسنوا ايها الازواج الصحبة والعشرة وتتقوا الله في حق المراة فانها امانة
عندكم وقيل معناه وان تحسنوا بالاقامة معها على الكراهية وتتقوا ظلمها والجور
عليها فان الله كان بما تعملون خبيرا يعني فيجازيكم باعمالكم قوله عز وجل ولن تستطيعوا
ان تعدلوا بين النسا يعني ولن تقدروا ان تسووا بين النسا في الحب وميل القلب
لان ذلك مما لا يقدرون عليه وليس من كسبكم ولو حرصتم يعني على العدل والتسوية
بينهن وقيل معناه ولو حرصتم على ذلك فلا تميلوا كل الميل يعني الى التي تحبونها في
القسم والنفقة والمعنى انكم لستم منتهين عن حصول التفاوت في الميل القلبي لان
ذلك خارج عن قدرتكم ووسعكم ولكنكم منتهيون عن اظهار ذلك الميل بالقول والفعل
عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من كانت له امراتان فمال الى احدهما
جا يوم القيامة وشقه مايل عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقسم ويعدل فيقول اللهم هذا قسمي فيما املك فلا تلمني فيما تملك ولا املك يعني
القلب اخرجه ابو داود والترمذي والنسائي وقوله تعالى فتذروها كالمعلقة يعني
فتدعوا الاخرى التي تميلون عنها كالمعلقة لا ايما ولا ذات بعل كالشيء المعلق
لا هو في السما ولا على الارض وقيل معناه فتذروها كالمسجونة لا هي مخلصة فتتزوج
ولا هي ذات بعل فيحسن اليها وان تصلحوا يعني بالعدل في القسم وتتقوا يعني الجور في
القسم فان الله كان غفورا يعني لما حصل من الميل الى بعضهن دون بعض رحيما
يعني بكم حيث لم يكلفكم ما لا تقدرون عليه وان يتفرقا يعني ان لم يصطلحا واختارا
الفرقة يغن الله كلا من سعته يعني من فضله ورزقه والمعنى يغني الزوج بامراة
اخرى والمراة بزوج اخر وقيل معناه يعوض الزوج بما يحب والمراة بما تحب ويوسع
عليهما وفي هذا تسلية لكل واحد من الزوجين بعد الطلاق وكان الله واسعا يعني
واسع الفضل والرحمة وقيل هو الواسع القدرة والعلم والرزق وقيل هو الغني الذي
وسع جميع مخلوقاته غناه حكيما يعني فيما امر به ونهى عنه **فصل** في ما يتعلق بحكم
الاية وجملته ان الرجل اذا كان تحته امراتان او اكثر يجب عليه التسوية بينهن في القسم
فان ترك التسوية بينهن في فعل القسم عصى الله عز وجل في ذلك وعليه القضاء
للمظلومة والتسوية تشترط في البيتوتة اما في الجماع فلا لان ذلك يدور على النشاط
وميل القلب وليس ذلك اليه ولو كانا في نكاحه حرة وامة قسم للحرة ليلتين وللامة
ليلة واحدة واذا تزوج جديدة على قديمات كن عنده فانه يخص الجديدة بان يبيت

عندها سبع ليال ان كانت الجديدة بكرا وان كانت ثيبا خصها بثلاث ليال ثم انه يستانف
القسم ويسوي بينهن ولا يجب عليه قضا عوض هذه الليالي للقديمات ويدل عليه
ما روى ابو قلابة عن انس قال من السنة اذا تزوج البكر على الثيب اقام عندها سبعا وقسم
واذا تزوج الثيب اقام عندها ثلاثا وقسم قال ابو قلابة لو شئت لقلت ان انسا رفعه
الى النبي صلى الله عليه وسلم اخرجاه في الصحيحين واذا سافر الرجل الى سفر حاجة جاز له ان يحمل معه
بعض نسائه بشرط ان يقرع بينهن ولا يجب عليه ان يقضي للباقيات عوض مدة سفره و
ان طالت اذا لم يزد مقامه في البلد على مدة المسافرين ويدل على ذلك ما روي عن عائشة
قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اراد سفرا اقرع بين نسائه فايتهن خرج
سهمها خرج بها معه اخرجه البخاري مع زيادة فيه واذا اراد الرجل سفر نقلة وجب عليه
اخذ نسائه معه قوله تعالى ولله ما في السموات وما في الارض يعني عبيدا وملكا قال اهل
المعاني لما ذكر الله تعالى انه يغني من سعته وفضله اشار الى ما يوجب الرغبة اليه في طلب
الخير منه لان له ملك السموات والارض لا تفنى خزائنه ولقد وصينا الذين
اوتوا الكتاب من قبلكم يعني اليهود والنصارى واصحاب الكتب القديمة واياكم
يعني ووصيناكم يا اهل القران في كتابكم ان اتقوا الله اي بان تتقوا الله وتوحدوه
وتطيعوه وتحذروه ولا تخالفوا امره والمعنى ان الامر بتقوى الله شريعة قديمة
اوصى الله بها جميع الامم السالفة في كتبهم وان تكفروا يعني وان تجحدوا ما اوصاكم به فان
لله ما في السموات وما في الارض يعني فان لله ملائكة في السما وفي الارض اهم اطوع
له منكم وقيل معناه انه تعالى خلق السموات والارض وما فيهن ومالكهن والمنعم
عليهم باصناف النعم ومن كان كذلك فحق لكل احد ان يتقيه ويرجوه وكان الله
غنيا عن جميع خلقه غير محتاج اليهم ولا الى طاعتهم حميدا يعني محمودا على نعمه عليهم
ولله ما في السموات وما في الارض وكفى بالله وكيلا قال ابن عباس يعني شهيدا على ان
له فيهن عبيد وقيل معناه وكفى بالله دافعا ومجيرا فان قلت ما الفايدة في تكرير
قوله تعالى ولله ما في السموات وما في الارض قلت الفايدة في ذلك ان لكل اية معنى يخص
به اما الاية الاولى فمعناها فان لله ما في السموات وما في الارض وهو يوصيكم بتقوى
فاقبلوا وصيته وقيل لما قال الله تعالى وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته بين ان
له ما في السموات وما في الارض وانه قادر على اغنا جميع الخلايق وهو المستغني
عنهم واما الاية الثانية فانه تعالى قال وان تكفروا فان لله ما في السموات وما في الارض
والمراد منه انه تعالى منزه عن طاعات الطايعين وعن ذنوب المذنبين وانه لا يزداد
جلاله بالطاعات ولا ينقص بالمعاصي وقيل لما بين ان له ما في السموات وما في الارض
وقال بعد ذلك وكان الله غنيا حميدا فالمراد منه ان الله تعالى هو الغني وله الملك
فاطلبوا منه ما تطلبون فهو يعطيكم لان له ما في السموات وما في الارض واما الثالث

فقال تعالى

وفقال تعالى ولله ما في السموات وما في الارض وكفى بالله وكيلا اي فتوكلوا عليه
ولا تتوكلوا على غيره فانه المالك لما في السموات والارض وقيل تكريرها
تقرير لما هو موجب تقواه ليتقوه ويطيعوه ولا يعصوه لان التقوى والخشية
اصل كل خير قوله عز وجل ان يشا يذهبكم ايها الناس قال ابن عباس يريد المشركين
والمنافقين ويات باخرين يعني بغيركم هم خير منكم واطوع له ففيه تهديد للكفار والمعنى
انه يهلككم ايها الكفار كما اهلك من كان قبلكم اذ كفروا به وكذبوا رسله وكان الله
على ذلك قديرا يعني وكان الله على ذلك الاهلاك واعادة غيركم قادرا بليغا في القدرة
لا يمتنع عليه شي اراده لم يزل ولا يزال موصوفا بالقدرة على جميع الاشيا قوله من
كان يريد ثواب الدنيا يعني من كان يريد بعمله عرضا من اغراض الدنيا نزلت
في مشركي العرب وذلك انهم كانوا يقرون بان الله خالقهم ولا يقرون بالبعث
يوم القيامة فكانوا يتقربون الى الله ليعطيهم من خير الدنيا ويصرف عنهم شرها
وقيل نزلت في المنافقين لانهم كانوا يطلبون بجهادهم مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم عاجل الدنيا وهو ما ينالونه من الغنيمة فعند الله ثواب الدنيا والاخرة يعني
ان الذين يطلبون باعمالهم وجهادهم ثواب الدنيا وما ينالونه من الغنيمة مخطئون
في قصدهم لان الله عنده ثواب الدنيا وثواب الاخرة فلو كانوا عقلا لطلبوا
ثواب الاخرة حتى يحصل لهم ذلك فيحصل لهم ثواب الدنيا على سبيل التبعية والمعنى
ان من اراد بعمله الدنيا اتاه الله منها ما اراد وصرف عنه من شرها ما اراد وليس
له ثواب في الاخرة يجزى به ومن اراد بعمله وجه الله والدار الاخرة فعند الله ثواب
الدنيا والاخرة يؤتيه من الدنيا ما قدر له ويجزى في الاخرة خير الجزا وكان الله
سميعا يعني لاقوالهم وما يسرونه من طلب ثواب الدنيا بصيرا يعني بنياتهم
وما في نفوسهم وقيل بصيرا بمن يطلب الدنيا بعمله ومن يطلب الاخرة بعمله
قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا كونوا قوامين بالقسط شهدا لله قال السدي
ان فقيرا وغنيا اختصما الى النبي صلى الله عليه وسلم فكان صغوه مع الفقير يرى
ان الفقير لا يظلم الغني فانزل الله هذه الاية وامر بالقيام بالقسط مع الغني و
الفقير وقيل ان هذه الاية متعلقة بقصة طعمة بن ابيرق فهي خطاب لقومه
الذين جادلوا عنه وشهدوا له بالباطل فامرهم الله تعالى ان يكونوا قايمين بالقسط
شاهدين لله على كل حال ولو على انفسهم واقاربهم فقال تعالى كونوا قوامين
بالقسط القوام مبالغة في القيام بالعدل في جميع الشهادات واجتناب
الجور فيها قال ابن عباس كونوا قوامين بالعدل في الشهادات على من كانت
شهدا لله يعني اقيموا شهاداتكم لوجه الله كما امركم فيها فيقول الحق في شهادته
ولو على انفسكم يعني ولو كانت الشهادة على انفسكم امر الله العبد ان يشهد على

لنفسه بالحق وهو ان يقر على نفسه وذلك الاقرار سمي شهادة لكونه موجبا للحق عليه
او الوالدين والاقربين يعني ولو كانت الشهادة على الوالدين من ذوي رحمه والقارب
والمعنى قولوا الحق ولو على انفسكم وعلى الوالدين او على الاقارب فاقيموا الشهادة
عليهم لله ولا تحابوا غنيا لغناه ولا ترحموا فقيرا لفقره فلذلك قوله تعالى ان يكن غنيا
يعني المشهود عليه غنيا او فقيرا فالله اولى بهما منكم والمعنى كلوا امرهما الى الله تعالى فهو اعلم
بهم وبحالهم وانما قال بهما على التثنية لان رد الضمير الى المعنى دون اللفظ يعني فالله اولى
بالفقير وبالغني فلا تتبعوا الهوى ان تعدلوا يعني فلا تتبعوا الهوى واتقوا الله ان تعدلوا
عن الحق في اداء الشهادة وقيل معناه اتركوا متابعة الهوى حتى تصيروا موصوفين بصفة
العدل لان العدل عبارة عن ترك متابعة الهوى وان تلووا قرئ بالواوين ومعناه
ان يلوي الشاهد لسانه الى غير الحق قال ابن عباس يلوي لسانه بغير الحق ولا يقيم
الشهادة على وجهها او تعرضوا يعني او يعرض الشاهد فيكتمها ولا يقيمها يقال لويته
حقه اذا دفعته عنه ومطلته به وقيل معناه وان تلووا عن القيام باداء الشهادة
او تعرضوا عنها فتتركوها وقيل معناه التحريف والتبديل في الشهادة من قولهم
لويت الشيء اذا فتلته وقيل هو خطاب مع الحكام يقول وان تلووا يعني تميلوا مع
احد الخصمين دون الاخر او تعرضوا عنه بالكلية وقرئ تلوا بواو واحدة من الولاية
فهو خطاب للحكام ايضا ومعناه فان تلوا امور المسلمين وتضيعوا حقهم او تعرضوا عنهم
فان الله كان بما تعملون خبيرا يعني انه تعالى يجازي المحسن باحسانه والمسيء باساءته
فيجازيكم باعمالكم قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا امنوا بالله ورسوله قال ابن عباس نزلت
في عبد الله بن سلام واسد واسيد ابني كعب وثعلبة بن قيس وسلام بن اخت عبد الله
بن سلام وسلمة بن اخيه ويامين بن يامين فهؤلاء مؤمنوا اهل الكتاب اتوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقالوا انا نؤمن بك وبكتابك وبموسى والتوراة وعزير ونكفر بما
سوى ذلك من الكتب والرسل فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم بل امنوا بالله وبرسوله
محمد والقران وبكل كتاب كان قبله فانزل الله هذه الاية يا ايها الذين امنوا يعني بمحمد
والقران وبموسى والتوراة امنوا بالله ورسوله اسم جنس يعني امنوا بجميع رسله وقيل هو
خطاب لاهل الكتاب جميعا والمعنى يا ايها الذين امنوا بموسى والتوراة وبعيسى والانجيل
امنوا بمحمد والقران وقيل هو خطاب للمنافقين والمعنى يا ايها الذين امنوا بالسنتهم
ولم تؤمن قلوبهم امنوا بقلوبكم حتى ينفعكم الايمان لان الايمان باللسان لا ينفع من
غير مواطاة القلب وقيل هو خطاب للمؤمنين والمعنى يا ايها الذين امنوا في الماضي
والحال امنوا في المستقبل ودوموا واثبتوا على الايمان والكتاب الذي نزل على
رسوله يعني القران والكتاب الذي انزل من قبل يعني وامنوا بالقران وجميع الكتب
التي انزلها على انبيائه قبل القران فيكون الكتاب اسم جنس لجميع الكتب

ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر فقد ضل ضلالا بعيدا قوله عز
وجل ان الذين امنوا ثم كفروا ثم امنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا قال ابن عباس نزلت
في اليهود امنوا بموسى ثم كفروا بعبادتهم العجل ثم امنوا بعد ذلك ثم كفروا بعيسى
والانجيل ثم ازدادوا كفرا بمحمد صلى الله عليه وسلم والقران وقيل انهم امنوا بموسى
ثم كفروا بعده ثم امنوا بداود ثم كفروا بعيسى ثم ازدادوا كفرا بمحمد صلى الله عليه وسلم
وقيل نزلت في المنافقين وذلك انهم امنوا ثم كفروا بعد الايمان ثم امنوا يعني
بالسنتهم وهو اظهارهم الايمان ليجري عليهم احكام المؤمنين ثم ازدادوا كفرا يعني
بموتهم على كفرهم وقيل بذنوب احدثوها في الكفر وقيل هم قوم امنوا ثم ارتدوا الى الكفر
ثم ازدادوا كفرا يعني بموتهم عليه وذلك لان من تكرر منه الايمان بعد الكفر والكفر
بعد الايمان مرات كثيرة يدل على انه لا وقع للايمان في قلبه ومن كان كذلك
لم يكن مؤمنا بالله ايمانا صحيحا وازديادهم الكفر هو استهزاؤهم وتلاعبهم بالايمان
ومثل هذا المتلاعب بالدين قيل لا تقبل توبته اصلا حكي عن علي بن ابي طالب انه قال
لا تقبل توبته بل يقتل وذهب اكثر اهل العلم الى ان توبته مقبولة وقوله تعالى
لم يكن الله ليغفر لهم يعني ما اقاموا على الكفر وماتوا عليه وذلك لان الله تعالى اخبر انه
يغفر الكفر اذا تاب منه بقوله قل للذين كفروا ان ينتهوا يعني عن الكفر يغفر لهم
ما قد سلف يعني من كفرهم ولا ليهديهم سبيلا يعني طريق هدى وقيل لا يجعلهم بكفرهم
مهتدين قوله تعالى بشر المنافقين بان لهم عذابا اليما يعني اخبرهم يا محمد وانما
وضع بشر مكان اخبر تهكما بهم وقيل البشارة كل خبر تتغير به بشرة الوجه سواء
كان ذلك الخبر سرا او غير سر وقيل معناه اجعل موضع بشارتك لهم العذاب
لان العرب تقول تحيتك الضرب اي هذا بدل من تحيتك قال الشاعر ۵
وخيل قد دلفت لها بخيل ۵ تحية بينهم ضرب وجيع ۵ ثم وصف الله المنافقين
فقال تعالى الذين يتخذون الكافرين اولياء من دون المؤمنين يعني يتخذون اليهود
اولياء وانصارا وبطانة من دون المؤمنين وذلك ان المنافقين كانوا يقولون
ان محمدا لا يتم امره فيتولون اليهود فقال الله تعالى ردا على المنافقين ايبتغون
عندهم العزة يعني يطلبون من عند اليهود القوة والاعانة والظهور على محمد صلى
الله عليه وسلم واصحابه فان العزة لله جميعا يعني فان القوة والقدرة والغلبة لله
جميعا وهو الذي يعز اولياءه واهل طاعته كما قال تعالى ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين
وقد نزل عليكم يعني يا معشر المؤمنين في الكتاب يعني القران ان اذا سمعتم ايات
الله يكفر بها ويستهزا بها قال المفسرون الذي انزل عليهم في النهي عن مجالستهم
هو قوله تعالى في سورة الانعام واذا رايت الذين يخوضون في اياتنا فاعرض
عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره وهذا نزل بمكة لان المشركين كانوا يخوضون

في القران ويستهزون به في مجالسهم ثم ان احبار اليهود بالمدينة كانوا يفعلون مثل
فعل المشركين وكان المنافقون يجلسون اليهم ويخوضون معهم في الاستهزا بالقران
فنهى الله المومنين عن القعود معهم بقوله فلا تقعد معهم حتى يخوضوا في حديث
غيره يعني حتى ياخذوا في حديث غير الاستهزا بالقران وبمحمد صلى الله عليه وسلم
قال ابن عباس دخل في هذه الاية كل محدث في الدين وكل مبتدع الى يوم القيامة انكم
اذا مثلهم يعني انكم يا ايها الجالسون مع المستهزين بايات الله ورضيتم بذلك فانتم
وهم في الكفر سوا قال العلما وهذا يدل على ان من رضي بالكفر فهو كافر ومن رضي
بمنكر او خالط اهله كان في الاثم بمنزلتهم اذا رضي به وان لم يباشره فان جلس
اليهم ولم يرض بفعلهم بل كان ساخطا له وانما جلس على سبيل التقية والخوف
فالامر فيه اهون من المجالسة مع الرضى وان جلس مع صاحب بدعة او منكر
ولم يخض في بدعته او منكره فيجوز الجلوس معه مع الكراهة وقيل لا يجوز بحال
والاول اصح ان الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا يعني انهم كما اجتمعوا
في الدنيا على الاستهزا بايات الله فكذلك يجمعهم في عذاب جهنم يوم القيامة
قوله عز وجل الذين يتربصون بكم نزلت في المنافقين والمعنى ينتظرون ما يحدث
بكم من خير او شر فان كان لكم فتح من الله اي ظفر على عدو وغنيمة تنالونها منهم
قالوا يعني المنافقين لكم الم نكن معكم يعني في الوقعة والفتح فاعطونا من الغنيمة
وقيل معناه الم نكن على دينكم وان كان للكافرين نصيب يعني دولة وظفر على
المسلمين قالوا يعني المنافقين للكفار الم نستحوذ عليكم الاستحواذ هو الاستيلا والغلبة
يقال استحوذ على فلان اي غلب عليه والمعنى الم نغلبكم ونتمكن منكم ومن قتالكم واسركم
ثم لم نفعل ذلك وقيل معناه الم نغلبكم على رايكم ونمنعكم من المومنين يعني من الايمان
والدخول في دينهم وقيل معناه الم ندفع عنكم المومنين بتخذيلهم عنكم ومراسلتنا اياكم
باخبارهم واسرارهم فهاتوا نصيبا مما اصبتم منهم ومراد المنافقين اظهار المنة على الكفار
فان قلت لم سمى ظفر المنافقين فتح وسمى ظفر الكافرين نصيب قلت تعظيما لشان
المومنين وتخسيسا لحظ الكفار لان ظفر المسلمين امر عظيم يفتح له ابواب السما حتى ينزل
النصر على المسلمين واما ظفر الكفار فما هو الا حظ دني ونصيب خسيس لا يبقى منه
الا ما نالوه في الدنيا ولهم في الاخرة العقوبة الشديدة على ذلك النصيب الذي نالوه
من المسلمين فالله يحكم بينكم يوم القيامة يعني الفريقين فريق المومنين وفريق المنافقين
والمعنى انما وضع السيف على المنافقين في الدنيا الا جل كرامتهم بل اخر عذابهم
الى يوم القيامة ولن يجعل الله للكافرين على المومنين سبيلا وفيه قولان احدهما
وهو قول علي بن ابي طالب وابن عباس ان المراد به في القيامة بدليل انه عطف
قوله فالله يحكم بينكم يوم القيامة روي ان رجلا سال علي بن ابي طالب عن هذه

الاية ولن

الاية ولن يجعل الله للكافرين على المومنين سبيلا وهم يقتلونا فقال ولن يجعل الله
للكافرين يوم القيامة على المومنين سبيلا والقول الثاني ان هذا في الدنيا والمعنى
ان حجة المومنين غالبة في الدنيا على الكافرين وليس لاحد ان يغلبهم في الحجة وقيل معناه
ان الله لن يجعل للكافرين على المومنين سبيلا بان يمحوا دولة المومنين بالكلية
او يستبيحوا بيضتهم فلا يبقى احد من المومنين وقيل معناه ان الله لا يجعل للكافرين
على المومنين سبيلا بالشرع فان شريعة الاسلام ظاهرة الى يوم القيامة ويتفرع على ذلك
مسايل من احكام الفقه منها ان الكافر لا يرث المسلم ومنها ان الكافر اذا استولى على
مال المسلم لم يملكه بدليل هذه الاية ومنها ان الكافر ليس له ان يشتري عبدا مسلما
ومنها ان المسلم لا يقتل بالذمي بدليل هذه الاية قوله تعالى ان المنافقين يخادعون
الله وهو خادعهم يعني يعاملون الله وهو يجازيهم على خداعهم وقيل معناه يخادعون
رسول الله صلى الله عليه وسلم لانهم يظهرون له الايمان ويبطنون الكفر وهو خادعهم
يعني فالله يجازيهم بالعقاب وقيل انهم يعطون نورا يوم القيامة كما يعطى المومنون فيمضي
المومنون بنورهم على الصراط ويطفى نور المنافقين واذا قاموا الى الصلاة قاموا
كسالى يعني متثاقلين وسبب هذا الكسل انهم يتعبونها بالا انهم لا يرجون بفعلها ثوابا
ولا يرون بها وجه الله عز وجل ولا يخافون على تركها عقابا الا ان الداعي الى فعلها
خوف الناس فلذلك وقع فعلها على وجه الكسل والفتور يراون الناس يعني انهم
لا يقومون الى الصلاة الا لاجل الريا والسمعة لا لاجل الدين ولا يرون انها واجبة
عليهم قال قتادة والله لولا الناس ما صلى المنافق ولا يذكرون الله الا قليلا قال ابن
عباس انما قل ذلك لانهم يفعلونه ريا وسمعة ولو ارادوا بذلك القليل وجه الله
لكان كثيرا وقيل المراد بذكر الله الصلاة والمعنى انهم لا يصلون الا قليلا لانهم متى لم
يكن معهم احد من المومنين فانهم لا يصلون واذا كانوا مع المومنين يتكلفون فعلها
مذبذبين بين ذلك يعني انهم متحيرين مترددين بين الكفر والايمان لانهم
ليسوا مع المومنين المخلصين ولا مع المشركين المصرحين بالشرك وهو قوله تعالى
لا الى هولا ولا الى هولا يعني ليسوا من المومنين حتى يجب لهم ما يجب للمومنين وليسوا
من الكفار ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا يعني طريقا الى الهدى خ عن ابن عمر
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال مثل المنافق كمثل الشاة العايرة بين الغنمين
تعير الى هذه مرة والى هذه مرة قوله كمثل الشاة العايرة بالعين المهملة ومعناه
المتحيرة المترددة لا تدري لاي الغنمين تتبع ومعنى تعير تردد وتذهب يمينا و
شمالا مرة والى هذه مرة لا تدري اين تذهب وهذا مثل المنافق مرة مع المومنين
ومرة مع الكافرين او ظاهره مع المومنين وباطنه مع الكافرين قوله عز وجل
يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا الكافرين اوليا من دون المومنين لما ذكر الله عز وجل

الكافرين اولياء من دون المؤمنين وذم الله عز وجل المنافقين لقوله مذبذبين بين ذلك
نهى الله المؤمنين ان يتخلقوا باخلاق المنافقين يقول لا تتولوا الكفار من دون
اهل ملتكم ودينكم فتكونوا مثلهم او حيث له النار من المنافقين والسبب في هذا
النهي ان الانصار بالمدينة كان لهم من بني قريظة حلف ومودة ورضاع فقالوا يا رسول
الله من نتولى فقال المهاجرين اتريدون ان تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا يعني اتريدون
ايها المتخذون الكفار اولياء ان تجعلوا لله عليكم حجة بينة باتخاذكم الكفار اولياء من
دون المؤمنين فتستوجبوا بذلك النار ثم بين مقر المنافقين من النار فقال تعالى
ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار يعني في الطبق الذي في قعر جهنم وللنار سبع
دركات بعضها فوق بعض سميت طبقات جهنم دركات لانها متداركة متتابعة وقيل
الدرك بيت مقفل عليهم تتوقد فيه النار من فوقهم ومن تحتهم وقيل هي توابيت
من حديد مقفلة عليهم في النار فان قلت لم كان المنافق اشد عذابا من الكافر قلت
ان المنافق مثل الكافر في الكفر واخبث منه وهو الاستهزاء بالاسلام والمسلمين وافشاء
اسرار المسلمين ونقلها الى الكفار فلهذا السبب جعل الله عذاب المنافقين اشد عذابا
من الكفار والمنافق من اظهر الايمان وابطن الكفر وقيل هو الذي يصف الاسلام
بلسانه ولم يعمل بشرائعه ولا ينقيد بعقوده ولا يدخل تحت احكامه واما التسمية من
ارتكب ما يفسق به منافقا فللتغليظ ومنه قوله صلى الله عليه وسلم ثلاث من كن فيه
فهو منافق وان صام وصلى وزعم انه مسلم من اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا
ائتمن خان فان هذه الخصال صفات المنافقين فمن فعلها فقد تشبه بالمنافقين وقوله
تعالى ولن تجد لهم نصيرا يعني ولن تجد يا محمد لهؤلاء المنافقين ناصرا ينصرهم من عذاب الله
اذا نزل بهم ثم استثنى الله عز وجل من تاب من المنافقين فقال الا الذين تابوا يعني
من النفاق واصلحوا يعني اصلحوا الاعمال فعملوا بما امر الله به وادوا فرائضه وانتهوا
عما نهاهم عنه واعتصموا بالله يعني وتمسكوا بعهد الله ووثقوا به واخلصوا دينهم لله
يعني واخلصوا طاعتهم واعمالهم التي عملوها لله وارادوه بها ولم يريدوا رياء وسمعة
فهذه الامور الاربعة اذا حصلت فقد كمل الايمان فلذلك قال تعالى فاولئك يعني
التائبين من النفاق مع المؤمنين يعني في الجنة وقيل مع بمعنى من اي من المؤمنين
وسوف يؤت الله المؤمنين اجرا عظيما يعني في الاخرة قوله تعالى ما يفعل الله بعذابكم
ان شكرتم وامنتم هذا استفهام تقرير معناه انه تعالى لا يعذب الشاكر المؤمن فان
تعذيبه لا يزيد في ملكه وتركه عقوبته لا ينقص من سلطانه لانه الغني الذي لا
يحتاج الى شيء من ذلك فان عاقب احدا فانما يعاقبه لامر اوجبه العدل والحكمة
فان قمتم بشكر نعمته وامنتم به فقد ابعدتم انفسكم من عذابه وقال اهل المعاني
فيه تقديم وتاخير تقديره ان امنتم وشكرتم لان الايمان مقدم على سائر الطاعات

ولان الشكر

ولان الشكر لا ينفع مع عدم الايمان ولان الواو لا توجب الترتيب وقيل هو على اصله والمعنى
ان العاقل ينظر بعين بصيرته اولا الى ما عليه من النعمة العظيمة في ايجاده وخلقه فيشكر على
ذلك شكرا عظيما مبهما ثم اذا تم النظر ثانيا انتهى به النظر الى معرفة المنعم امن به ثم شكره شكرا
مفصلا فكان ذلك الشكر المبهم مقدما على الايمان فلذلك قدم الشكر على الايمان في الذكر
وكان الله شاكرا يعني مثيبا عباده المؤمنين موفيا اجورهم والشكر من الله الرضا بالقليل
من اعمال عباده واضعاف الثواب عليه وقيل لما امر الله عباده بالشكر سمى الجزاء شكرا
على سبيل الاستعارة فالمراد من الشكر في صفة الله كونه مثيبا على الشكر عليما يعني بحق شكركم
وايمانكم فيجازيكم على ذلك قوله عز وجل لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم قال اهل
المعاني يعني انه تعالى لا يحب الجهر بالسوء ولا غير الجهر به ايضا من القول يعني من القول القبيح الا من
ظلم قيل هو استثناء متصل والمعنى الا جهر من ظلم وقيل هو استثناء منقطع ومعناه لكن المظلوم
يجوز ان يجهر بظلم الظالم قال العلماء لا يجوز اظهار احوال الناس المستورة المكتومة لان ذلك يصير
سببا لوقوع الناس في الغيبة ووقوع ذلك الشخص في الريبة لكن من ظلم فيجوز له اظهار
ظلمه فيقول سرق مني او غصب ونحو ذلك وان شتم جاز له ان يشتم بمثله ولا يزيد شيئا
على ذلك ويدل على ذلك ما روي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المستبان
ما قالا فعلى الاول وفي رواية فعلى البادئ منهما حتى يعتدي المظلوم اخرجه مسلم قال ابن عباس
لا يحب الله ان يدعو احد على احد الا ان يكون مظلوما فانه قد ارخص له ان يدعو على
من ظلمه وذلك قوله الا من ظلم وان صبر فهو خير له وقال الحسن البصري هو الرجل يظلم الرجل
فلا يدع عليه ولكن ليقل اللهم اعني عليه اللهم استخرج لي حقي اللهم حل بينه وبين ما يريده ونحوه
من الدعاء وقيل نزلت الاية في الضيف اذا نزل بقوم فلم يقروه ولم يحسنوا ضيافته فله
ان يشكو ما صنع به قال مجاهد هو الرجل ينزل بالرجل فلا يحسن ضيافته فيخرج من عنده
اساء ضيافتي وقال مقاتل نزلت في ابي بكر الصديق وذلك ان رجلا نال منه والنبي صلى الله عليه
وسلم حاضر فسكت عنه ابو بكر مرارا ثم رد عليه فقام النبي صلى الله عليه وسلم فقال ابو بكر يا رسول
الله شتمني فلم تقل له شيئا حتى اذا رددت عليه قمت قال ان ملكا كان يجيب عنك
فلما رددت عليه ذهب الملك وجاء الشيطان فقمت فنزلت هذه الاية وكان الله سميعا
يعني لدعاء المظلوم عليما بما في قلبه فليتق الله ولا يقول الا الحق قوله تعالى ان تبدوا خيرا
قال ابن عباس يريد من اعمال البر كالصيام والصدقة والضيافة والصلة وقيل معناه
ان تبدوا خيرا بدلا من السوء او تخفوه يعني تخفوا الخير فلم تظهروه وقيل معناه ان تبدوا
حسنة فتعملوا بها كتب لكم عشرا وان هممتم بها ولم تعملوها كتبت لكم واحدة وقيل ان
جميع مقاصد الخيرات على كثرتها محصورة في قسمين احدهما صدق النية مع الحق
والثاني التخلق مع الخلق والذي يتعلق بالخلق ينحصر في قسمين ايضا وهما
ايصال النفع اليهم في السر والعلانية واليه الاشارة بقوله ان تبدوا خيرا او تخفوه

او دفع ضر عنهم واليه الاشارة بقوله او تعفوا عن سوء فيدخل في ما بين الكلمتين
جميع اعمال البر وجميع دفع الضر وقيل المراد بالخير المال والمعنى ان تبدوا الصدقة
فتعطوها الفقراء جهرا او تخفوها فتعطوها سرا او تعفوا عن مظلمة فان الله كان عفوا
قديرا يعني لم يزل ذا عفو مع قدرته على الانتقام فاعفوا انتم عن من ظلمكم واقتدوا
بسنة الله عز وجل يعفوا عنكم يوم القيامة لانه اهل للتجاوز والعفو عنكم وقيل
معناه ان الله كان عفوا لمن عفا قديرا على ايصال الثواب اليه قوله عز وجل ان الذين
يكفرون بالله ورسله نزلت في اليهود وذلك بانهم امنوا بموسى والتوراة وكفروا
بعيسى والانجيل وبمحمد صلى الله عليه وسلم وعليهم اجمعين والقران وقيل نزلت في
اليهود والنصارى جميعا وذلك ان اليهود امنوا بموسى وكفروا بعيسى ومحمد صلى
الله عليه وسلم ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر
ببعض يعني ويريدون ان يفرقوا الايمان بالله والايمان برسله ولا يصح الايمان
بالله مع التكذيب ببعض رسله ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا يعني بين
الايمان بالبعض دون البعض يتخذون مذهبا يذهبون اليه ودينا يدينون
به اولئك يعني من هذه صفته هم الكافرون حقا يعني يقينا وانما قال ذلك توكيدا لكفرهم
لئلا يتوهم ان الايمان ببعض الرسل يزيل اسم الكفر عنهم وليعلم ان الكفر ببعض الانبيا
كالكفر بكلهم لان الدليل الذي يدل على نبوة البعض وهو المعجزة لجميع الانبيا فلزم
الايمان بجميعهم واعتدنا يعني وهيانا للكافرين عذابا مهينا يعني يهانون فيه والذين
امنوا بالله ورسله يعني والذين صدقوا بوحدانية الله وبنبوة جميع انبيائه وان جميع
ما جاوا به من عند الله حق وصدق ولم يفرقوا بين احد منهم اولئك يعني من هذه صفته
سوف نؤتيهم اجورهم يعني جزاء ايمانهم بالله وبجميع كتبه ورسله وكان الله غفورا
رحيما يعني انه تعالى لما وعدهم بالثواب اخبرهم انه يتجاوز عن سياتهم ويغفرها لهم
ويرحمهم فهو كالترغيب لليهود والنصارى في الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم لانهم اذا
امنوا غفر لهم ما كان منهم في حال الكفر قوله تعالى يسئلك اهل الكتاب يعني يسالك
يا محمد اهل الكتاب وهم اليهود وذلك ان كعب بن الاشرف وفنحاص بن عازوراء
واليهود قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان كنت نبيا فاتنا بكتاب جملة واحدة
كما اتى موسى بالتوراة وقيل سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينزل عليهم كتابا من
السما مختصا بهم وقيل سالوه ان ينزل عليهم كتابا الى فلان وكتابا الى فلان يشهد
لك بانك رسول الله وكان هذا السوال من اليهود سوال تعنت واقتراح لا سوال
استرشاد وانقياد والله تعالى لا ينزل الايات على اقتراح العباد ولان معجزة الرسول
صلى الله عليه وسلم كانت قد تقدمت وظهرت فكان طلب الزيادة من باب التعنت
وقوله تعالى فقد سالوا موسى اكبر من ذلك يعني اعظم من الذي سالوك يا محمد وفيه تسلية

للنبي صلى

للنبي صلى الله عليه وسلم وتوبيخ وتقريع لليهود فقد سالوا الرسول الله صلى الله عليه وسلم
تعنتا يعني لا يعظمن عليك يا محمد مسالتهم ذلك فانهم من فرط جهلهم واجترائهم على الله
لو اتيتهم بكتاب من السما لما امنوا بك وانما اسند السوال الى اليهود الذين كانوا
في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وان وجد هذا السوال من ابائهم الذين كانوا في ايام
موسى عليه السلام لانهم كانوا على مذهبهم وراضين بسوالهم ومشاكلين لهم في التعنت
فقالوا يعني اسلاف هذا اليهود ارنا الله جهرة يعني عيانا والمعنى ارناه جهرة وذلك
ان سبعين من بني اسرائيل خرجوا مع موسى عليه الصلاة والسلام الى الجبل فقالوا ذلك
وقد تقدمت القصة في سورة البقرة فاخذتهم الصاعقة بظلمهم يعني بسبب ظلمهم
وسوالهم الروية ثم اتخذوا العجل يعني الها وهم الذين خلفهم موسى مع اخيه هارون
حين خرج الى الميقات ربه من بعد ما جاءتهم البينات يعني الدلالات الواضحات الدالة على
صدق موسى وهي العصا واليد وفلق البحر وغير ذلك من المعجزات الباهرة فعفونا
عن ذلك يعني عن ذلك الذنب العظيم فلم نستاصل عبدة العجل والمقصود من هذه
التسلية للنبي صلى الله عليه وسلم والمعنى ان هولاء الذين يطلبون منك يا محمد ان تنزل
عليهم كتابا من السما انما يطلبونه عنادا او لجاجا فاني قد انزلت التوراة جملة واحدة
على موسى واتيته من المعجزات الباهرة والايات البينات ما فيه كفايته ثم انهم طلبوا الروية
على سبيل العناد وعبدوا العجل وكل ذلك يدل على جهلهم وانهم مجبولون على
اللجاج والعناد في قوله فعفونا عن ذلك استدعا الى التوبة والمعنى ان اولئك
الذين اجرموا لما تابوا عفونا عنهم فتوبوا انتم نعفوا عنكم واتينا موسى سلطانا
مبينا يعني معجزة واضحة تدل على صدقه وهي المعجزات الباهرات التي اعطاها الله عز
وجل لموسى عليه السلام قوله عز وجل ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم يعني ورفعنا
فوقهم الجبل المسمى بالطور بسبب اخذ ميثاقهم وذلك ان بني اسرائيل امتنعوا من قبول
التوراة والعمل بما فيها فرفع الله فوقهم الطور حتى اظلهم ليخافوا فلا ينقضوا العهد
والميثاق وقلنا لهم يعني والطور يظلهم ادخلوا الباب سجدا فخالفوا ودخلوا
وهم يزحفون على استاههم وقلنا لهم لا تعدوا في السبت يعني وقلنا لهم لا
يجاوزوا في يوم السبت الى ما لا يحل لكم فيه وذلك انهم نهوا ان يصطادوا السمك
يوم السبت فتجاوزوا او اصطادوا واعتدوا فيه وقيل المراد به النهي عن العمل والكسب
في يوم السبت واخذنا منهم ميثاقا غليظا يعني واخذنا منهم عهدا موكدا شديدا بانهم
يعملون بما امرهم الله وان ينتهوا عما نهاهم عنه ثم انهم نقضوا ذلك الميثاق
وهو قوله فبما نقضهم ميثاقهم يعني فبنقضهم وما مزيدة للتوكيد والمعنى فبسبب
نقضهم ميثاقهم لعناهم وسخطنا عليهم وفعلنا بهم ما فعلنا وكفرهم بايات الله
وبجحودهم بايات الله الدالة على صدق انبيائهم وقتلهم الانبيا يعني لعبد قيام الحجة

حسبي الله وحده
من الكتب التي وقفها الفقير
الى الاء ربه ذي المواهب
محمد المدعو عبد ... الصمد ...
عفي عنه

والدلالة على صحة نبوتهم بغير حق يعني بغير استحقاق لذلك القتل وقولهم قلوبنا غلف يعني
يقولون على قلوبنا اغطية وغشاوة فهي لا تفقه ما تقول جمع اغلف وقيل هو جمع غلاف
يعني قلوبنا اوعية للعلم فلا حاجة لنا الى ما تدعونا اليه فرد الله عليهم بقوله بل طبع الله
عليها بكفرهم يعني بل ختم الله على قلوبهم بسبب كفرهم فلا يؤمنون الا قليلا يعني بما انهم
بموسى والتوراة وكفرهم بما سواه من الانبيا والكتب وقيل لا يؤمنون قليلا ولا كثيرا
وقيل المراد بالقليل هو عبد الله بن سلام واصحابه الذين امنوا من اليهود وبكفرهم وقولهم
على مريم بهتانا عظيما يعني حين رموها بالزنا وذلك انهم انكروا قدرة الله تعالى على خلق
الولد من غير اب ومنكر قدرة الله كافر فالمراد بقوله وبكفرهم هو انكارهم قدرة الله
تعالى فالمراد بقولهم على مريم بهتانا عظيما هو رميهم اياها بالزنا وانما سماه بهتانا عظيما
لانه قد ظهر عند ولادة مريم من المعجزات ما يدل على براءتها من ذلك فلهذا السبب
وصف الله قول اليهود على مريم بالبهتان العظيم قوله عز وجل وقولهم انا قتلنا المسيح
عيسى بن مريم رسول الله ادعت اليهود انهم قتلوا عيسى عليه السلام وصدقهم النصارى
على ذلك فكذبهم الله عز وجل جميعا ورد عليهم بقوله وما قتلوه وما صلبوه وفي قوله
رسول الله قولان احدهما انه من قول اليهود فيكون المعنى انه رسول الله على زعمه والثاني
انه من قول الله لا على وجه الحكاية عنهم وذلك ان الله تعالى ابدل ذكرهم في عيسى عليه السلام
القول القبيح بالقول الحسن رفعا لدرجته عما كانوا يذكرونه من القول القبيح وقوله تعالى
ولكن شبه لهم يعني القي شبه عيسى على غيره حتى قتل وصلب واختلف العلما في صفة
التشبيه الذي شبه على اليهود في امر عيسى عليه السلام فروى الطبري عن وهب بن
منبه انه قال اتى اليهود عيسى عليه السلام ومعه سبعة عشر من الحواريين في بيت فاحاطوا
به فلما دخلوا عليهم صورهم الله كلهم على صورة عيسى فقالوا لهم سحرتمونا لتبرزن لنا
عيسى او لنقتلنكم جميعا فقال عيسى لاصحابه من يشتري نفسه منكم اليوم بالجنة فقال
رجل منهم انا فخرج اليهم وقال انا عيسى وقد صوره الله على صورة عيسى فاخذوه
فقتلوه وصلبوه فمن ثم شبه لهم وظنوا انهم قد قتلوا عيسى والنصارى مثل ذلك
ورفع الله عيسى من يومه وفي رواية اخرى عن وهب ان عيسى عليه السلام قال
ليكفرن بي احدكم قبل ان يصيح الديك ثلاث مرات وليبيعني بدراهم يسيرة و
ليأكلن ثمني فخرجوا وتفرقوا وكانت اليهود تطلبه فاخذوا شمعون احد الحواريين
فقالوا هذا من اصحاب عيسى فجحد وقال ما انا بصاحبه فتركوه ثم اخذه اخر فجحد كذلك
فلما اصبح اتى بعض الحواريين الى اليهود وكان منافقا فقال ما تجعلوا لي ان دللتكم
على المسيح فجعلوا له ثلاثين درهما فدلهم عليه فالقى الله شبه عيسى على ذلك المنافق الذي
دل عليه فاخذوه وقتلوه وصلبوه وهم يظنون انه عيسى وقال قتادة ان اعدا
الله اليهود زعموا انهم قتلوا عيسى وصلبوه وذكر لنا ان نبي الله عيسى بن مريم عليه

السلام قال

السلام قال لاصحابه ايكم يقذف عليه شبهي وله الجنة فانه مقتول فقال رجل منهم
انا يا نبي الله فاخذ ذلك الرجل فقتل وصلب ورفع الله عيسى الى السما وقيل
ان اليهود حبسوا عيسى في بيت وجعلوا عليه رقيبا يحفظه فالقى الله شبه عيسى
على ذلك الرقيب فاخذ وقتل وصلب ورفع الله عيسى في ذلك الوقت قال
الطبري واولى الاقوال بالصواب ما ذكرنا عن وهب بن منبه من ان شبه عيسى
عليه السلام القي على جميع من كان مع عيسى في البيت حين احيط به وبهم من غير
مسئلة اياه ولكن ليخزي الله بذلك اليهود وينقذ نبيه عيسى عليه السلام من كل
مكروه ارادوا به من قتل وغيره وليبتلي به من اراد ابتلاه من عباده ويحتمل
ان يكون القي شبهه على بعض اصحابه بعد ما تفرق عنه اصحابه ورفع الله
عيسى عليه السلام وبقي ذلك فاخذوا وقتل وصلب وظن اصحابه واليهود ان
الذي قتلوه وصلبوه هو عيسى لما راوا من شبهه به وخفي عيسى عليهم وكان حقيقة
ذلك الامر عند الله تعالى فلذلك قال الله تعالى وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم
وان الذين اختلفوا فيه يعني في قتل عيسى وهم اليهود لفي شك منه يعني من قتله
وذلك ان اليهود لما قتلوا ذلك الشخص المشبه بعيسى وكان قد القي الشبه على
وجه ذلك الشخص دون جسده فلما قتلوه نظروا الى جسده فراوه غير جسد عيسى
فقالوا الوجه وجه عيسى والجسد جسد غيره فهذا هو اختلافهم فيه وقيل ان اليهود
لما حبسوا عيسى واصحابه في البيت دخل عليهم رجل منهم ليخرجه اليهم فالقى الله
شبه عيسى على ذلك الرجل فاخذ وقتل ورفع الله عز وجل عيسى الى السما وفقدوا
صاحبهم فقالوا انا كنا قتلنا المسيح فاين صاحبنا وان كنا قتلنا صاحبنا فاين المسيح
فهذا هو اختلافهم فيه وقيل ان الذين اختلفوا فيه هم النصارى فبعضهم يقول ان
القتل وقع على ناسوت عيسى دون لاهوته وبعضهم يقول وقع القتل عليهما جميعا
وبعضهم يقول رايناه قتل وبعضهم يقول رايناه رفع الى السما فهذا هو اختلافهم فيه
قال الله تعالى ما لهم به من علم يعني انهم اختلفوا من قتلوا على شك منهم فيه ولم يعرفوا حقيقة
ذلك المقتول هل هو عيسى ام غيره الا اتباع الظن يعني يتبعون الظن في قتله ظنا منهم
انه عيسى لا عن علم وحقيقة وما قتلوه يقينا قال ابن عباس يعني لم يقتلوا ظنهم يقينا
فعلى هذا القول يكون الها في قتلوه عايد على الظن والمعنى ما قتلوا ذلك الظن يقينا
ولم يزل ظنهم ولم يرتفع ما وقع لهم من الشبه في قتله فهو كقول العرب قتله علما وقتله
يقينا يعني علمه علما تاما واصل ذلك ان القتل للشي يكون عن قهر واستيلا وغلبة
ومعنى الاية على هذا لم يكن علمهم بقتل عيسى علما كاملا تاما انما كان ظنا منهم انهم قتلوه
ولم يكن كذلك حقيقة وقيل ان الها في قتلوه عايد على عيسى والمعنى وما قتلوا
المسيح يقينا كما زعموا انهم قتلوه وقيل ان قوله يقينا يرجع الى ما بعده لتقديره

وما قتلوه بل رفعه الله اليه يقينا والمعنى انهم لم يقتلوا عيسى ولم يصلبوه ولكن الله رفعه
اليه وطهره من الذين كفروا وخلصه ممن اراده بسوء وقد تقدم كيف كان رفعه في سورة
ال عمران بما فيه كفاية وقوله تعالى وكان الله عزيزا يعني في اقتداره على من يشاء من عباده
حكيما يعني في انجاء عيسى عليه السلام وتخليصه من اليهود وقيل عزيزا يعني منيعا منتقما من اليهود
فسلط عليهم بيطيوس بن استيانوس الرومي فقتل منهم مقتلة عظيمة حكيما حكم
باللعنة والغضب على اليهود حيث ادعوا هذه الدعوة الكاذبة قوله تعالى وان من اهل
الكتاب يعني وما من احد من اهل الكتاب الا ليؤمنن به يعني بعيسى عليه السلام
وانه عبد الله ورسوله وروحه وكلمته هذا قول ابن عباس واكثر المفسرين وقال
عكرمة في قوله الا ليؤمنن به يعني بمحمد صلى الله عليه وسلم وهذا القول لا وجه له لانه
لم يجر للنبي صلى الله عليه وسلم ذكر قبل هذه الاية حتى يرجع الضمير اليه وقول الاكثرين
اولى لانه تقدم ذكر عيسى عليه السلام فكان عود الضمير اليه اولى قبل موته اختلف
المفسرون في هذا الضمير الى من يرجع فقال ابن عباس واكثر المفسرين ان الضمير
يرجع الى الكتابي والمعنى وما من احد من اهل الكتاب الا امن بعيسى قبل موت ذلك
الكتابي ولكن ذلك الايمان عند الحشرجة حين لا ينفعه ايمانه قال ابن عباس
معناه انه اذا وقع في الياس حين لا ينفعه ايمانه سواء احترق او تردى من شاهق
او سقط عليه جدار او اكله سبع او مات فجاة فقيل له ارايت من خر من فوق بيت
قال يتكلم به في الهوا فقيل له ارايت ان ضربت عنقه هل يتلجلج بها لسانه وقال شهر بن
حوشب ان اليهودي اذا احضره الموت ضربت الملائكة وجهه ودبره وقالوا يا
عدو الله اتاك موسى نبيا فكذبت به فيقول امنت انه عبد الله ورسوله وتقول
للنصراني اتاك عيسى نبيا فزعمت انه الله وابن الله فيقول امنت انه عبد الله فاهل
الكتاب يؤمنون به ولكن حيث لا ينفعهم ذلك الايمان وذهب جماعة من اهل
التفسير الى ان الضمير يرجع الى عيسى عليه السلام وهو رواية ابن عباس ايضا والمعنى
وما من احد من اهل الكتاب الا ليؤمنن بعيسى قبل موت عيسى وذلك عند نزوله
من السما في اخر الزمان فلا يبقى احد من اهل الكتابين الا امن بعيسى حتى تكون
الملة واحدة وهي ملة الاسلام قال عطا اذا نزل عيسى الى الارض لا يبقى يهودي ولا
نصراني واحد يعبد غير الله الا امن بعيسى وانه عبد الله وكلمته ويدل على صحة هذا
القول ما روي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي
بيده ليوشكن ان ينزل فيكم ابن مريم حكما مقسطا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير
ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله احد زاد في رواية وحتى تكون السجدة الواحدة
خيرا من الدنيا وما فيها ثم يقول ابو هريرة اقرؤا ان شئتم وان من اهل الكتاب
الا ليؤمنن به قبل موته الاية وفي رواية قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

والله لينزلن

والله لينزلن ابن مريم حكما عادلا فليكسرن الصليب وليقتلن الخنزير وليضعن الجزية
وليتركن القلاص فلا يسعى عليها ولتذهبن الشحنا والتباغض والتحاسد و
ليدعون الى المال فلا يقبله احد اخرجاه في الصحيحين ففي هذا الحديث دليل على ان
عيسى ينزل اخر الزمان في هذه الامة ويحكم بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم وانه لا ينزل
نبيا برسالة مستقلة وبشريعة ناسخة بل يكون حاكما من حكام هذه الامة واماما
من ائمتهم لقوله صلى الله عليه وسلم فليكسرن الصليب يعني يكسره حقيقة ويبطل ما تزعمه
النصارى من تعظيمه وكذلك قتله الخنزير وقوله يضع الجزية يعني لا يقبلها من احد
من اليهود والنصارى ولا يقبل من احد الا الاسلام او القتل وعلى هذا قد يقال هذا
خلاف ما هو حكم الشرع اليوم لان الكتابي اذا بذل الجزية وجب قبولها منه ولا
يجوز قتله ولا اجباره على الاسلام والجواب ان هذا الحكم ليس مستمرا الى يوم القيامة بل
هو مقيد بما قبل نزول عيسى عليه السلام وقد اخبر النبي صلى الله عليه وسلم بنسخه وليس
الناسخ هو عيسى بل الناسخ لهذا الحكم هو نبينا صلى الله عليه وسلم لانه هو المبين للنسخ
وان عيسى عليه السلام يحكم بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم فدل على ان الامتناع من
قبول الجزية في ذلك الوقت هو شرع نبينا صلى الله عليه وسلم قال الزجاج هذا القول
بعيد يعني قول من قال ان ايمان اهل الكتاب بعيسى انما يكون عند نزوله في اخر
الزمان لعموم قوله وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قال والذين يبقون
يومئذ يعني عند نزوله شرذمة قليلة منهم واجاب اصحاب هذا القول يعني الذين
يقولون ان ايمان اهل الكتاب بعيسى انما يكون عند نزوله في اخر الزمان ولا ينكر
ان هذا على العموم ولكن المراد بهذا العموم الذين يشاهدون ذلك الوقت ويدركون
نزوله فيؤمنون به ويكون معنى الاية وما من احد من اهل الكتاب ادرك ذلك
الوقت الا امن بعيسى عند نزوله من السما وصحح الطبري هذا القول وقال عكرمة في
معنى الاية وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن بمحمد صلى الله عليه وسلم قبل موت
الكتابي فلا يموت يهودي ولا نصراني حتى يؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم وذلك عند
الحشرجة حين لا ينفعه ايمانه وقوله تعالى ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا يعني
يكون عيسى عليه السلام شاهدا على اليهود انهم كذبوه وطعنوا فيه وعلى النصارى
انهم اتخذوه ربا واشركوا به وشاهدا على تصديق من صدقه منهم وامن به قال
قتادة معناه انه يكون شهيدا يوم القيامة انه قد بلغ رسالة ربه واقر على نفسه
بالعبودية قوله عز وجل فبظلم من الذين هادوا يعني فبسبب ظلم منهم حرمنا عليهم
طيبات احلت لهم يعني ما حرمنا عليهم الطيبات التي كانت حلالا لهم الا لظلم عظيم ارتكبوه
وذلك الظلم هو ما ذكره من نقضهم الميثاق وما عدد عليهم من انواع الكبائر والكبائر
العظيمة مثل قولهم اجعل لنا الها كما لهم الهة وكقولهم ارنا الله جهرة وكعبادتهم العجل

فبسبب هذه الامور حرم الله عليهم طيبات كانت حلالا لهم وهي ما ذكره في سورة الانعام
بقوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر الاية وقال الطبري في معنى الاية حرمنا على اليهود الذين
نقضوا ميثاقهم الذين واقروا ربهم وكفروا بايات الله وقتلوا انبياءهم وقالوا البهتان على
مريم وفعلوا ما وصفهم الله في كتابه طيبات من الماكل وغيرها التي كانت لهم حلالا عقوبة
لهم بظلمهم الذي اخبر الله عنهم في كتابه وروى عن قتادة قال عوقب القوم بظلم ظلموه
وبغي بغوه حرمت عليهم اشياء ببغيهم وظلمهم ونقل الواحدي وابن الجوزي عن مقاتل
قال كان الله حرم على اهل التوراة ان ياكلوا الربا ونهاهم ان ياكلوا اموال الناس ظلما
فاكلوا الربا واكلوا اموال الناس ظلما بالباطل وصدوا عن سبيل الله وعن الايمان بمحمد
صلى الله عليه وسلم فحرم الله عليهم عقوبة لهم ما ذكر في قوله وعلى الذين هادوا حرمنا
كل ذي ظفر الاية قال الواحدي فاما وجه تحريم الطيبات عليهم كيف ومتى كان وعلى لسان
من حرم عليهم فلم اجد فيه شيئا انتهى فتركته ولقد انصف الواحدي فيما قال ان هذه
الاية في غاية الاشكال وبيانه ان الله تعالى لا يعاقب على ذنب قبل وقوعه ولقد ذكر
المفسرون في معنى الظلم المذكور في الاية ما تقدم ذكره وكان هذا ذنوب في المستقبل فاذا
قلت علم الله تعالى وقوع هذه الذنوب منهم قبل وقوعها فحرم عليهم ما حرم من الطيبات
التي كانت لهم حلالا عقوبة لهم على ما سيقع منهم قلت جوابه ما تقدم وهو ان الله تعالى
لا يعاقب على ذنب قبل وقوعه ولهذا لم يذكر الامام فخر الدين في تفسير هذه الاية ما ذكره
المفسرون بل ذكر تفسيرا اجماليا فقال اعلم ان انواع الذنوب محصورة في نوعين
الظلم للخلق والاعراض عن الدين الحق اما ظلم الخلق فاليه الاشارة بقوله وبصدهم
عن سبيل الله كثيرا واخذهم الربا وقد نهوا عنه ثم انهم مع ذلك في غاية الحرص على
طلب المال فتارة يحصلونه بطريق الربا مع انهم قد نهوا عنه وتارة يحصلونه بطريق
الرشى وهو المراد بقوله واكلهم اموال الناس بالباطل فهذه الاربعة هي الذنوب التي
شدد عليهم بسببها في الدنيا والاخرة اما التشديد في الدنيا فهو ما تقدم من تحريم الطيبات
عليهم واما التشديد عليهم في الاخرة فهو المراد بقوله واعتدنا للكافرين منهم عذابا اليما
قال المفسرون انما قال منهم لان الله علم ان قوما منهم سيؤمنون فيؤمنون من العذاب
قوله تعالى لكن الراسخون في العلم منهم يعني من اليهود وهذا استثناء استثنى الله تعالى من امن
من اهل الكتاب ممن تقدم وصفهم وصفتهم في الايات التي تقدمت فبين فيما تقدم حال
كفار اليهود والجهال منهم وبين في هذه الاية حال من هداه لدينه وارشده للعمل بما علم
فقال لكن الراسخون في العلم ولكن ههنا بمعنى الاستدراك والاستثناء والراسخون في العلم
البالغون فيه اولوا البصائر الثاقبة والعقول الصافية وهم عبد الله بن سلام واصحابه
الذين اسلموا من اهل الكتاب لانهم رسخوا في العلم وعرفوا حقيقته فاوصلهم ذلك الى
الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والمؤمنون يعني بالله ورسوله يؤمنون بما انزل اليك يعني

بالقران الذي انزل اليك وما انزل من قبلك يعني ويؤمنون بسائر الكتب التي انزلها
الله على انبيائه من قبلك يا محمد وفي المراد بالمؤمنين ههنا قولان احدهما انهم اهل الكتاب
فيكون المعنى لكن الراسخون في العلم منهم وهم المؤمنون والقول الثاني انهم المهاجرون
والانصار من هذه الامة فيكون قوله والمؤمنون ابتداء الكلام مستانف يؤمنون بما انزل
اليك يعني انهم يصدقون بالقران الذي انزل اليك يا محمد وما انزل من قبلك والمقيمين
الصلاة اختلف العلماء في وجه نصبه فحكي عن عائشة وابان بن عثمان انه غلط من الكتاب
ينبغي ان يكتب والمقيمون الصلاة وقال عثمان بن عفان ان في المصحف لحنا ستقيمه
العرب بالسنتها فقيل له الا تغيره فقال دعوه فانه لا يحل حراما ولا يحرم حلالا وذهب
عامة الصحابة وسائر العلماء من بعدهم الى انه لفظ صحيح ليس فيه خطا من كاتب ولا غيره
واجيب عما روي عن عثمان وعائشة وابان بن عثمان ان هذا بعيد جدا لان الذين
جمعوا القران هم اهل اللغة والفصاحة والقدرة على ذلك فكيف يتركون في كتاب الله
لحنا يصلحه غيرهم فلا ينبغي ان ينسب هذا اليهم قال ابن الانباري ما روي عن عثمان لا يصح
لانه غير متصل ومحال ان يؤخر عثمان شيئا فاسدا ليصلحه غيره ولان القران منقول بالتواتر
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف يمكن ثبوت اللحن فيه وقال الزمخشري في
الكشاف ولا يلتفت الى ما زعموا من وقوعه لحنا في خط المصحف وربما التفت اليه
من لم ينظر في الكتاب يعني كتاب سيبويه ولم يعرف مذاهب العرب وما لهم في النصب
على الاختصاص من الافتنان وهو باب واسع قد ذكره سيبويه على امثلة وشواهد وربما
غبي عليه ان السابقين الاولين كانوا ابعد همة في الغيرة على الاسلام وذب المطاعن
عنه من ان يتركوا في كتاب الله عز وجل ثلمة ليسدها من بعدهم وخرقا يرفوه من يلحق
بهم ثم اختلف العلماء في المقيمين الصلاة اهم الراسخون في العلم ام غيرهم على قولين
احدهما انهم هم وانما نصب على المدح والمعنى اذكر المقيمين الصلاة وهم المؤمنون
الزكاة قالوا والعرب تفعل ذلك في صفة الشيء الواحد ونعته اذا تطاولت بمدح
او ذم فربما خالفوا بين اعراب اوله واوسطه احيانا ثم رجعوا باخره الى اعراب اوله
وربما اجروا اعراب اخره على اعراب اوسطه وربما اجروا ذلك على نوع واحد من
الاعراب واستشهدوا والمعنى الاية لا يبعدن قومي الذين هم سم العداة وافة
الجزر النازلين بكل معترك والطيبون معاقد الازر وهذا على معنى اذكر النازلين
وهم الطيبون ومن هذا المعنى يقول جاءني قومك المطعمين وهم المعينون والقول
الثاني المقيمين الصلاة غير الراسخين في العلم وموضع والمقيمين الصلاة خفض
بالعطف على قوله بما انزل اليك وعلى هذا القول يكون معنى الاية والمؤمنون يؤمنون
بما انزل اليك وما انزل من قبلك وبالمقيمين الصلاة وهم الانبياء لانه لم يخل شرع
احد منهم عن اقامة الصلاة وقيل المراد بهم الملائكة لانهم يسبحون الليل والنهار

لا يفترون وصحح الزجاج القول الاول واختاره وصحح الطبري القول الثاني واختاره وقوله تعالى
والمؤتون الزكاة عطف على والمؤمنون لانه من صفتهم والمؤمنون بالله واليوم الآخر يعني
والمصدقون بوحدانية الله وبالبعث بعد الموت والثواب والعقاب اولئك يعني من
هذه الاوصاف صفته سنؤتيهم اجرا عظيما يعني سنعطيهم على ما كان منهم من طاعة الله
واتباع امره ثوابا عظيما وهو الجنة قوله تعالى انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح و
النبيين من بعده قال ابن عباس قال سكين وعدي بن زيد يا محمد ما نعلم ان الله
انزل على بشر من شيء من بعد موسى فانزل الله هذه الآية وقيل هو جواب لاهل الكتاب
عن سوالهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينزل عليهم كتابا من السما جملة واحدة فاجاب
الله عز وجل عن سوالهم بهذه الآية فقال انا اوحينا اليك يا محمد كما اوحينا الى نوح و
النبيين من بعده والمعنى انكم يا معشر اليهود تقرون بنبوة نوح وبجميع الانبيا المذكورين في
هذه الآية وهم اثنى عشر نبيا والمعنى ان الله تعالى اوحى الى هولا الانبيا وانتم يا معشر اليهود
معترفون بذلك وما انزل الله على احد من هولا المذكورين كتابا جملة واحدة مثل ما انزل
على موسى فلما لم يكن عدم انزال الكتاب جملة واحدة على احد منهم ولا الانبيا قادحا في
نبوته فكذلك لم يكن انزال القران على محمد صلى الله عليه وسلم قادحا في نبوته بل قد انزل عليه
كما انزل عليهم قال المفسرون وانما بدا الله عز وجل بذكر نوح عليه السلام لانه اول نبي بعث
بشريعة واول نذير على الشرك وانزل الله عليه عشر صحايف وكان اول من عذبت امته
لردهم دعوته واهلك اهل الارض بدعايه وكان ابا البشر كادم عليهما السلام وكان
اطول الانبيا عمرا عاش الف سنة لم تنقص قوته ولم يشب ولم ينقص له سن وصبر
على اذى قومه طول عمره ثم ذكر الله الانبيا من بعد جملة بقوله والنبيين من بعده
ثم خص جماعة من الانبيا بالذكر لفضلهم وشرفهم فقال واوحينا الى ابراهيم واسمعيل
واسحق ويعقوب والاسباط وهم اولاد يعقوب وكانوا اثنى عشر وعيسى وايوب
ويونس وهارون وسليمان واتينا داود زبورا يعني واتينا داود كتابا مزبورا يعني مكتوبا
وقيل الزبور بالفتح اسم للكتاب الذي انزل على داود وهو مائة وخمسون سورة ليس فيها
حكم ولا احلال ولا حرام بل كلها تسبيح وتقديس وتحميد وثنا على الله عز وجل ومواعظ وكان داود
عليه السلام يخرج الى البرية فيقوم ويقرا الزبور ويقوم علما بني اسرائيل خلفه ويقوم الناس
خلف العلما ويقوم الجن خلف الناس والشياطين خلف الجن وتجي الدواب التي في
الجبال فيقمن بين يديه وترفرف الطير على روس الناس يسمعون لقراة داود ويتعجبون منها
فلما قارف الذنب زال عنه ذلك وقيل له كان ذلك انس الطاعة وهذا ذل المعصية
عن ابي موسى الاشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو رايتني البارحة وانا استمع
لقراتك لقد اعطيت مزمارا من مزامير ال داود وقال الحميدي زاد البرقاني فقلت والله
يا رسول الله لو علمت انك تسمع لقراتي لحبرتها لك تحبيرا التحبير تحسين الصوت بالقراة

قال بعض العلما انما لم يذكر موسى عليه السلام في هذه الآية لان الله تعالى انزل عليه التوراة
جملة واحدة ولما كان المقصود بذكر من ذكر من الانبيا في الآية انه لم ينزل على واحد منهم
كتابا جملة واحدة فلهذا لم يذكره فانزل الله هذه الآية وفيه ذكر موسى عليه السلام بقوله
تعالى ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل لما نزلت هذه الآية المتقدمة قالت اليهود
ما لموسى لم يذكر فانزل الله هذه الآية وفيه ذكر موسى عليه السلام والمعنى واوحينا الى
رسل قد قصصناهم عليك من قبل يعني سميناهم في القران وعرفناك اخبارهم والى
من بعثوا ورد عليهم قومهم ورسلا لم نقصصهم عليك اي لم نسمهم لك ولم نعرفك اخبارهم
قال اهل المعاني الذين لم يذكرهم الله بذكرهم من الانبيا يدل على تفضيلهم على من لم يذكرهم ولم
يسمهم وقوله وكلم الله موسى تكليما يعني خاطبه مخاطبة من غير واسطة لان تاكيد الكلم بالمصدر
يدل على تحقيق الكلام وان موسى عليه السلام سمع كلام الله بلا شك لان افعال المجاز
لا تؤكد بالمصادر فلا يقال اراد الحايط ان يسقط ارادة وهذا رد على من يقول ان الله
خلق كلاما في محل فسمع موسى ذلك الكلام وقال الفرا العرب تسمي كل ما يوصل الى الانسان
كلاما باي طريق لكن لا تحققه بالمصدر فاذا حقق بالمصدر لم يكن الا حقيقة الكلام
فدل قوله تعالى تكليما على ان موسى سمع كلام الله حقيقة من غير واسطة وروى
الطبري بسنده عن عدة طرق عن كعب الاحبار قال ما كلم الله عز وجل موسى عليه السلام
كلمه بالالسنة كلها قبل كلامه يعني كلام موسى بلسانه فجعل موسى يقول يا رب لا
افهم حتى كلمه بلسانه اخر الالسنة فقال يا رب هذا كلامك قال لو سمعت كلامي يعني
على جهته لم تك شيئا قال موسى يا رب هل في خلقك شي يشبه كلامك قال لا واقرب
خلق شبها بكلامي اشد ما يسمع الناس من الصواعق قال بعض العلما كان الله تعالى
خص موسى عليه السلام بالتكليم وشرفه به ولم يكن ذلك قادحا في نبوة غيره من الانبيا
فكذلك انزال التوراة عليه جملة واحدة لم يكن قادحا في نبوة من انزل عليه
متفرقا من الانبيا قوله عز وجل رسلا مبشرين ومنذرين يعني انا اوحينا اليك كما
اوحينا الى نوح والنبيين من بعده ومن اولئك النبيين رسلا الى خلقي مبشرين من
اطاعني واتبع امري وصدق رسلي بالثواب الجزيل في جنته ومنذرين من عصاني وخالف
امري وكذب رسلي بالعذاب الاليم في النار وقيل هو جواب عن سوال اليهود وانزال
الكتاب جملة واحدة والمعنى ان المقصود من بعثة الرسل هو ارشاد الخلق الى معرفة الله
وتوحيده والايمان به والاشتغال بعبادته وانذار من خالف ذلك وهذا المقصود
يحصل بانزال الكتاب جملة واحدة وبانزاله نجوما متفرقة بل انزاله متفرقا اولى وذلك
ان النفوس قبل بعثة الرسل وانزال الكتب عليهم لم تكن تعرف شيئا من العبادات ولم تالفها
فاذا انزل الكتاب جملة واحدة وفيه جميع التكاليف ربما حصل في بعض نفوس العباد
نفور من تلك التكاليف وتثقل عليهم كما اخبر الله عن قوم موسى بقوله تعالى واذ نتقنا

الجبل فوقهم كانه ظلة وظنوا انه واقع بهم خذوا ما اتيناكم بقوة واذكروا ما فيه فلم يقبلوا
احكام التوراة الا بعد شدة فلهذا السبب كان انزال الكتاب نجوما متفرقة اولى وقوله لئلا
يكون للناس على الله حجة بعد الرسل يعني بعد ارسال الرسل وانزال الكتاب والمعنى لئلا يحتج الناس
على الله في ترك التوحيد والطاعة بعدم الرسل فيقولوا ما ارسلت الينا رسولا وما انزلت علينا كتابا
ففيه دليل على انه لو لم يبعث الرسل لكان للناس عليه حجة في ترك التوحيد والطاعة وفيه دليل
على ان الله تعالى لا يعذب الخلق قبل بعثة الرسل كما قال تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا
وفيه دليل لمذهب اهل السنة على ان معرفة الله تعالى لا تثبت الا بالسمع لان قوله لئلا يكون
للناس على الله حجة بعد الرسل يدل على ان قبل بعثة الرسل يكون لهم الحجة قبل الرسل والخلق
محجوبون بما نصب من الادلة التي النظر فيها موصل الى معرفته ووحدانيته كما قيل شعر وفي كل
شيء له اية تدل على انه واحد قلت الرسل منبهون من رقاد الغفلة والجهالة وباعثون
للخلق على النظر في تلك الدلائل التي تدل على وحدانيته سبحانه وتعالى ومبينون لها وهم وسائط
بين الله وخلقه ومبينون لاحكام الله التي فرضها على عباده ومبلغون رسالاته اليهم
(ق) عن المغيرة بن شعبة قال قال سعد بن عبادة لو رايت رجلا مع امراتي لضربته بالسيف
غير مصفح فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اتعجبون من غيرة سعد والله لانا
اغير منه والله اغير مني ومن اجل غيرة الله حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا احد احب اليه
العذر من الله من اجل ذلك بعث المنذرين والمبشرين ولا احد احب اليه المدحة من الله
عز وجل من اجل ذلك وعد الجنة بلفظ البخاري وفي لفظ مسلم ولا شخص احب اليه العذر من الله
ومن اجل ذلك بعث الله المرسلين مبشرين ومنذرين وقوله تعالى وكان الله عزيزا يعني في انتقامه
ممن خالف امره وعصى رسله حكيما يعني في ارساله وقوله تعالى لكن الله يشهد بما انزل اليك قال ابن
عباس دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم جماعة من اليهود فقال لهم اني والله اعلم انكم
لتعلمون اني رسول الله فقالوا ما نعلم ذلك فانزل الله هذه الاية وفي رواية عن ابن عباس
ان رؤساء مكة اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد انا سالنا عنك اليهود وعن
صفتك في كتابهم فزعموا انهم لا يعرفونك فانزل الله عز وجل لكن الله يشهد بما انزل
اليك يعني ان جحدك هؤلاء اليهود يا محمد وكفروا بما اوحينا اليك وقالوا ما انزل الله على بشر
من شيء فقد كذبوا فيما ادعوا فان الله يشهد لك بالنبوة ويشهد بما انزل اليك من كتابه
ووحيه والمعنى ان اليهود وان شهدوا ان القران لم ينزل عليك يا محمد لكن الله يشهد بانه
انزله عليك وشهادة الله انما عرفت بسبب انه انزل هذا القران البالغ في الفصاحة
والبلاغة الى حيث عجز الاولون والاخرون عن معارضته والاتيان بمثله فكان ذلك معجزا
واظهار المعجزة شهادة بكون المدعي صادقا فلا جرم قال الله تعالى لكن الله يشهد لك
يا محمد بالنبوة بواسطة هذا القران الذي انزله عليك انزله بعلمه يعني انه تعالى لما قال
لكن الله يشهد بما انزل اليك بين صفة ذلك الانزال وهو انه تعالى انزله بعلم تام

وحكم بالغة

وحكم بالغة معناه انزله وهو عالم بانك اهل لانزاله عليك وانك مبلغه الى عباده
وقيل معناه انزله لما علم من مصالح عباده في انزاله عليك والملائكة يشهدون بان
الله انزله عليك ويشهدون بتصديقك وانما عرفت شهادة الملائكة لان الله تعالى
اذا شهد بشيء شهدت الملائكة بذلك الشيء وقد ثبت ان الله شهد بانه انزله بعلمه فلذلك
الملائكة يشهدون بذلك وكفى بالله شهيدا يعني وحسبك يا محمد ان الله يشهد لك
وكفى بالله شهيدا وان لم يشهد معه احد غيره ففيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم
عن شهادة اهل الكتاب له فان الله يشهد له وملائكته بذلك قوله عز وجل ان الذين
كفروا يعني جحدوا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وهم اليهود وصدوا عن سبيل الله يعني
منعوا غيرهم عن الايمان به بكتمان صفته والقاء الشبهات في قلوب الناس وهو
قولهم لو كان محمد رسولا لاتى بكتاب من السماء جملة واحدة كما اتى به موسى قد ضلوا
ضلالا بعيدا يعني عن طريق الهدى ان الذين كفروا وظلموا يعني كفروا بالله وظلموا
محمدا صلى الله عليه وسلم بكتمان صفته وظلموا غيرهم بالقاء الشبهات في قلوبهم
لم يكن الله ليغفر لهم يعني لمن علم منهم انهم يموتون على الكفر وقيل معناه لم يكن
الله ليستر عليهم قبائح اعمالهم بل يفضحهم في الدنيا ويعاقبهم عليها بالقتل والسبي
والجلاء وفي الاخرة بالنار وهو قوله ولا ليهديهم طريقا يعني ينجون فيها من النار
وقيل ولا ليهديهم طريق الاسلام لانه قد سبق في علمه انهم لا يؤمنون الا طريق
جهنم يعني لكنه تعالى يهديهم الى طريق يؤدي الى جهنم وهي اليهودية لما سبق في علمه
انهم اهل لذلك خالدين فيها يعني في جهنم ابدا وكان ذلك على الله يسيرا يعني
هينا قوله تعالى يا ايها الناس هذا خطاب عام يدخل فيه جميع الكفار من اليهود
والنصارى وعبدة الاصنام وغيرهم وقيل هو خطاب لمشركي العرب قد جاءكم
الرسول يعني محمدا صلى الله عليه وسلم بالحق يعني بدين الاسلام الذي ارتضاه الله
لعباده وقيل جاء بالقران الذي هو الحق من ربكم يعني من عند ربكم فامنوا خيرا لكم
يعني فامنوا بما جاءكم به محمد صلى الله عليه وسلم يكن الايمان بذلك خيرا لكم يعني
من الكفر الذي انتم عليه وان تكفروا يعني وان تجحدوا رسالة محمد صلى الله عليه
وسلم وتكذبوا بما جاءكم به من الحق من ربكم فان لله ما في السموات والارض يعني
فان الله هو الغني عن ايمانكم لان له ما في السموات والارض ملكا وعبيدا ومن
كان كذلك لم يكن محتاجا الى شيء وانه قادر على ما يشاء وكان الله عليما يعني بما
يكون منكم لا يخفى عليه شيء من اعمال عباده فيجزي كل عامل بعمله حكيما يعني
في تكليفكم مع علمه بما يكون منكم قوله عز وجل يا اهل الكتاب نزلت هذه
الاية في النصارى وذلك ان الله تعالى لما اجاب عن شبه اليهود فيما تقدم
من الايات اتبع ذلك بابطال ما تعتقده النصارى واصناف النصارى اربعة

يعني يشهدون ح

اليعقوبية والملكانية والنسطورية والمرقوسية فاما اليعقوبية والملكانية فقالوا
في عيسى انه الله وقالت النسطورية انه ابن الله وقالت المرقوسية ثالث ثلاثة وقيل
انهم يقولون ان عيسى جوهر واحد ثلاثة اقانيم اقنوم الاب واقنوم الابن واقنوم
روح القدس وانهم يريدون باقنوم الاب الذات وباقنوم الابن عيسى وباقنوم روح
القدس الحياة الحالة فيه فتقدير الالهة ثلاثة وقيل انهم يقولون في عيسى باسوتية و
الوهية فناسوتية من قبل الام والوهية من قبل الاب تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا
يقال ان الذي اظهر هذا للنصارى رجل من اليهود يقال له بولص فتنصر ودس هذا في دين
النصارى ليضلهم بذلك وسياتي قصته في سورة التوبة ان شا الله تعالى وقيل يحتمل
ان يكون المراد باهل الكتاب اليهود والنصارى جميعا فانهم غلوا في امر عيسى عليه السلام فاما
اليهود فانهم بالغوا في التقصير في امره حتى حطوه عن منزلته حيث جعلوه مولودا لغير
رشده وغلت النصارى في رفع عيسى عن منزلته ومقداره حتى جعلوه الها فقال الله تعالى
ردا عليهم جميعا يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم واصل الغلو مجاوزة الحد وهو في الدين
حرام والمعنى لا تفرطوا في امر عيسى فلا تحطوه عن منزلته ولا ترفعوه فوق قدره ومنزلته
ولا تقولوا على الله الا الحق يعني لا تقولوا ان له شريكا وولدا وقيل معناه لا تصفوه بالحلول
والاتحاد في بدن الانسان ونزهوا الله تعالى عن ذلك فلما منعهم الله من الغلو في دينهم
ارشدهم الى طريق الحق في امر عيسى عليه السلام وقال تعالى انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله
يقول انما المسيح هو عيسى بن مريم ليس له نسب غير هذا وانه رسول الله فمن زعم غير هذا فقد
كفر واشرك وكلمته هي قوله تعالى كن فكان بشرا من غير اب ولا واسطة القاها الى مريم يعني
اوصلها الى مريم وروح منه يعني انه كسائر الارواح التي خلقها الله وانما اضافه الى نفسه على
سبيل التشريف والتكريم كما يقال بيت الله وناقة الله وهذه نعمة من الله يعني انه هو
تفضل بها وقيل الروح هو الذي نفخ فيه جبريل في جيب درع مريم فحملت باذن الله وانما
اضافه الى نفسه بقوله منه لانه وجد بامر الله قال بعض المفسرين ان الله لما خلق
ارواح البشر جعلها في صلب ادم عليه السلام وامسك عنده روح عيسى فلما اراد الله
ان يخلقه ارسل بروحه مع جبريل الى مريم فنفخ في جيب درعها فحملت بعيسى عليه السلام
وقيل ان الروح والريح متقاربان في كلام العرب فالروح عبارة عن نفخ جبريل عليه
السلام وقوله منه يعني ان ذلك النفخ كان بامره واذنه وقيل ادخل النكرة في قوله
وروح على سبيل التعظيم والمعنى وروح واي روح من الارواح البشرية القدسية
العالية المطهرة وقوله منه اضافة لتلك الروح الى نفسه لاجل التشريف والتكريم
ق عن عبادة بن الصامت قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من شهد ان لا اله
الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله وان عيسى عبد الله ورسوله وكلمته
القاها الى مريم وروح منه والجنة والنار حق ادخله الله الجنة على ما كان من العمل قوله تعالى

فامنوا بالله

فامنوا بالله ورسله يعني فصدقوا يا اهل الكتاب بوحدانية الله وانه لا ولد له وصدقوا
رسله فيما جاؤكم به من عند الله وصدقوا بان عيسى عليه السلام من رسل الله فصدقوا
به ولا تجعلوه الها وهو قوله تعالى ولا تقولوا ثلاثة يعني ولا تقولوا الالهة ثلاثة وذلك
ان النصارى يقولون اب وابن وروح القدس وقيل انهم يقولون ان الله بالجوهر
ثلاثة اقانيم وذلك انهم اثبتوا ذاتا موصوفا بصفات ثلاثة بدليل انهم يجوزون على
تلك الذات الحلول في عيسى وفي مريم فاثبتوا ذواتا متعددة ثلاثة وهذا هو محض
الكفر فقال الله تعالى ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيرا لكم يعني يكون الانتها عن هذا القول خيرا
لكم من القول بالتثليث ثم نزه الله تعالى نفسه عن قول النصارى بالتثليث فقال تعالى
انما الله اله واحد ثم نزه نفسه عن الولد فقال سبحانه ان يكون له ولد يعني لا ينبغي ان يكون
له ولد لان الولد جزء من الاب وتعالى الله عن التجزئة وعن صفات الحدوث له ما في
السموات وما في الارض يعني انه تعالى له ملك السموات والارض وما فيهما عبيده وملكه واذا
كانا عبيدا له فكيف يعقل مع هذا ان له ولدا او زوجة تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا
وهذا بيان لتنزيهه مما نسب اليه من الولد والمعنى ان جميع ما في السموات والارض
خلقه وملكه فكيف يكون بعض ملكه جزءا منه لان التجزئة انما تصح في الاجسام والله
تعالى منزه من صفات الاجسام والاعراض وكفى بالله وكيلا يعني انه تعالى كاف في تدبير
جميع خلقه فلا حاجة له الى غيره وكل الخلق محتاجون اليه وفقرا اليه وهو غني عنهم
قوله تعالى لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله وذلك ان وفد نجران قالوا يا محمد انك
تعيب صاحبنا فتقول انه عبد الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم انه ليس بعار على عيسى
ان يكون عبدا لله فنزلت لن يستنكف المسيح يعني لن يانف ولن يتعظم والاستنكاف
الاستكبار مع الانفة يقال نكفت من كذا واستنكفت منه اي انفت منه واصله من
نكفت الشي نحيته ونكفت الدمع اذا نحيته باصبعك من خدك والمعنى لن ينقبض
ولا يمتنع ولن يانف المسيح بان يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون يعني ولن يستنكف
الملائكة المقربون وهم حملة العرش والكروبيون وافاضل الملائكة مثل جبريل وميكائيل
واسرافيل وعزرائيل يكونوا عبيدا لله لانهم في ملكه ومن جملة خلقه وقيل لما ادعت
النصارى في عيسى انه ابن الله وذلك لما راوا منه خوارق العادات من احيا الموتى وابرا
الاكمه والابرص وغير ذلك من المعجزات اجاب الله تعالى عن هذه الشبهة التي وقعت للنصارى
بان عيسى مع شرف قدره وكرامته لن يستنكف ان يكون عبدا لله وكذلك الملائكة المقربون
فانهم مع كرامتهم وعلو منزلتهم لن يستنكفوا ان يكونوا عبيدا لله وقد يستدل بهذه
الاية من يقول بتفضيل الملائكة ولا يرتقي الا من الادنى الى الاعلى ولا حجة لهم فيه والجواب
عنه ان الله تعالى لم يقل ذلك رفعا لمقامهم على مقام البشر بل قاله ردا على من يقول
ان الملائكة بنات الله وانهم الهة كما رد على النصارى قولهم ان المسيح ابن الله وقاله

ايضا ردا على النصارى فانهم يقولون بتفضيل الملائكة يعني كما ان المسيح عبد الله فكذلك الملائكة عبيد الله وقوله تعالى ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر يعني ومن يتعظم عن عبادة الله ويانف من التذلل له والخضوع بالطاعة من جميع خلقه فسيحشرهم اليه جميعا يعني فسيبعثهم يوم القيامة لموعدهم الذي وعدهم حيث لا يملكون لانفسهم شيئا فاما الذين امنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم يعني يوفيهم جزاء اعمالهم الصالحة ويزيدهم من فضله يعني ويزيدهم على ما اعطاهم من الثواب على اعمالهم الصالحة من التضعيف على ذلك ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر واما الذين استنكفوا واستكبروا يعني الذين انفوا وتكبروا عن عبادة الله تعالى فيعذبهم عذابا اليما ولا يجدون لهم من دون الله يعني من سوى الله لانفسهم وليا يعني ينجيهم من عذابه ولا نصيرا يعني ولا ناصرا ينصرهم منه ويدفع عنهم عقوبته بقي في الاية سؤال وهو ان التفصيل غير مطابق للمفصل لان التفصيل يشتمل على ذكر فريقين وهو قوله فاما الذين امنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم واما الذين استنكفوا واستكبروا والمفصل يشتمل على ذكر فريق واحد وهو قوله ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر والجواب انه لا اشكال فيه فهو مثل قولك جمع الامام الخوارج فمن لم يخرج عليه كساه وحمله ومن خرج عليه نكل به وصحة ذلك لوجهين احدهما يدل على ذكر الثاني والوجه الثاني ان الاحسان الى غيرهم مما يغمهم فكان داخلا في جملة التنكيل بهم فكانه قال ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيعذبهم بالحسرة والغم اذا راى اجور المطيعين العاملين لله تعالى قوله عز وجل يا ايها الناس خطاب للكافة قد جاءكم برهان من ربكم يعني محمدا صلى الله عليه وسلم وما جاء به من البينات من ربه عز وجل وانما سماه برهانا لما معه من المعجزات الباهرات التي تشهد بصدقه ولان البرهان دليل على اقامة الحق وابطال الباطل والنبي صلى الله عليه وسلم كان كذلك ولان الله تعالى جعله حجة قاطعة قطع به عذر جميع الخلائق وانزلنا اليكم نورا مبينا يعني القران وانما سماه نورا لان به تتبين الاحكام كما تتبين الاشياء بالنور بعد الظلام ولانه سبب لوقوع نور الايمان في القلب فسماه نورا لهذا المعنى فاما الذين امنوا بالله يعني صدقوا بوحدانيته وبما ارسل من رسول وانزل من كتاب واعتصموا به يعني بالله في ان يثبتهم على الايمان ويصونهم عن زيغ الشيطان وقيل فيه معنى واعتصموا به اي وتمسكوا بالنور وهو القران الذي انزله على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم فسيدخلهم في رحمة منه يعني فسيدخلهم في رحمته التي ينجيهم بها من اليم عذابه قال ابن عباس الرحمة الجنة وفضل يعني ما يتفضل به عليهم بعد ادخالهم الجنة مما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ويهديهم اليه صراطا مستقيما يعني ويوفقهم لاصابة فضله الذي تفضل به عليهم ويسددهم

لسلوك

لسلوك منهج من انعم عليه من اهل طاعته ويرشدهم لدينه الذي ارتضاه لعباده وهو دين الاسلام قوله تعالى يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة نزلت في جابر بن عبد الله الانصاري (ق) عن جابر بن عبد الله قال مرضت فاتاني رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر يعوداني ماشيين فاغمي علي فتوضأ النبي صلى الله عليه وسلم ثم صب علي من وضوئه فافقت فاذا النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله كيف اصنع في مالي كيف اقضي في مالي فلم يرد علي شيئا حتى نزلت اية الميراث يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة وفي رواية فقلت يا رسول الله انما يرثني كلالة فنزلت اية الميراث قال شعبة فقلت لمحمد بن المنكدر يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة فقال هكذا انزلت وفي رواية الترمذي وكان لي تسع اخوات حتى نزلت اية الميراث يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة ولابي داود قال اشتكيت وعندي سبع اخوات فدخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم فنفخ في وجهي فافقت فقلت يا رسول الله الا اوصي لاخواتي بالثلثين قال احسن ثم خرج وتركني فقال يا جابر لا اراك ميتا من وجعك هذا وان الله قد انزل فبين الذي لاخواتك فجعل لهن الثلثين قال فكان جابر يقول انزلت هذه الاية في يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة وروى الطبري عن قتادة ان الصحابة اهمهم شان الكلالة فسالوا عنها نبي الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله هذه الاية وروى عن ابن سيرين قال نزلت يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة والنبي صلى الله عليه وسلم في مسير له والى جنبه حذيفة بن اليمان فبلغها النبي صلى الله عليه وسلم حذيفة وبلغها حذيفة عمر بن الخطاب وهو يسير خلفه فلما استخلف عمر سال حذيفة عنها ورجا ان يكون عنده تفسيرها فقال له حذيفة والله انك لعاجز ان ظننت ان امارتك تحملني ان احدثك عنها ما لم احدثك يومئذ فقال عمر لم ارد هذا رحمك الله واما التفسير فقوله تعالى يستفتونك يعني يسالونك ويستخبرونك يا محمد عن حكم الكلالة يا محمد قل الله يفتيكم في الكلالة يعني ان الله هو يخبركم عما سالتم عنه من امر الكلالة وقد تقدم في اول السورة الكلام على معنى الكلالة من حيث الاشتقاق وغيره وان اسم الكلالة يقع على الوارث وعلى الموروث فان وقع على الوارث فهو من سوى الوالد والولد وان وقع على الموروث فهو من مات ولا يرثه احد الابوين ولا احد الاولاد وقوله تعالى ان امرؤ هلك يعني مات سمي الموت هلاكا لانه اعدام في حقيقته ليس له ولد يعني ولا والد فاكتفى بذكر احدهما عن الاخر ويدل على المحذوف ان السؤال عن الفتيا انما كان في الكلالة وقد تقدم ان الكلالة من ليس له ولد ولا والد وله اخت يعني وكذلك الهالك اخت واراد بالاخت من ابيه وامه او من ابيه فلها نصف ما ترك يعني فللاخت الميت نصف تركته وهو فرضها اذا انفردت وباقي المال لبيت المال اذا لم يكن للميت عصبة وهذا مذهب

زيد بن ثابت وبه قال الشافعي وعند ابي حنيفة واهل العراق يرد الباقي عليها فان كان
للميت بنت اخذت النصف بالفرض وتاخذ الاخت النصف الباقي بالتعصيب
لا بالفرض لان الاخوات مع البنات عصبة وقوله تعالى وهو يرثها ان لم يكن لها ولد يعني ان
الاخت اذا ماتت وتركت اخا من الاب والام او من الاب فانه يستغرق جميع ميراث
الاخت اذا انفرد ولم يكن للاخت ولد وهذا اصل في جميع العصبات واستغراقهم جميع المال
وقد تقدم بيانه فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك اراد اثنتين فصاعدا وهو ان
من مات وترك اختين او اخوات فاما الاخ من الام فانه صاحب فرض لا يستغرق جميع المال
فلهن الثلثان مما ترك الميت وان كانوا اخوة رجالا ونساء فللذكر مثل حظ الانثيين يعني
وان كان المتروكون من الاخوة رجالا ونساء فللذكر منهم مثل نصيب اثنتين من اخواته
الاناث يبين الله لكم ان تضلوا يعني يبين الله لكم هذه الفرائض والاحكام لئلا تضلوا وقيل
معناه كراهية ان تضلوا وقيل يبين الله الضلالة لتجتنبوها والله بكل شيء عليم يعني من مصالح
عباده التي حكم بها من قسمة المواريث وبيان الاحكام وغير ذلك لان علمه محيط بكل شيء
ق عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال ان اخر سورة نزلت تامة سورة التوبة وان اخر
اية نزلت اية الكلالة وفي رواية لمسلم قال اخر اية نزلت يستفتونك وروي عن ابن عباس
ان اخر اية نزلت اية الربا واخر سورة نزلت اذا جاء نصر الله والفتح وروي عنه ان اخر اية نزلت
واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله ويروى ان النبي صلى الله عليه وسلم عاش بعد نزول سورة
النصر سنة نزلت بعدها سورة براءة وهي اخر سورة نزلت كاملة فعاش بعدها ستة اشهر
هكذا ذكر البغوي وفيه نظر لانه قد ثبت في الصحيحين من حديث ابي بكر الصديق ان النبي صلى الله عليه وسلم
بعثه في الحجة التي امره عليها قبل حجة الوداع في رهط يؤذن في الناس يوم النحر الا لا يحج بعد
العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ثم اردف النبي صلى الله عليه وسلم بعلي بن ابي طالب
فامره ان يؤذن ببراءة قال ابو هريرة فاذن معنا في اهل منى ببراءة الا لا يحج بعد العام مشرك
ولا يطوف بالبيت عريان وكانت امارة ابي بكر هذه سنة تسع قبل حجة الوداع بسنة قال البغوي ثم نزلت
في طريق حجة الوداع يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة فسميت اية الصيف ثم نزلت
وهو واقف بعرفة اليوم اكملت لكم دينكم فعاش بعدها احدى وثمانين يوما ثم نزلت اية
الربا ثم نزلت واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله وعاش النبي صلى الله عليه وسلم بعدها احدى
وعشرين يوما اخر تفسير سورة النساء

والله اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة المائدة

نزلت بالمدينة الا قوله اليوم اكملت لكم دينكم فانها نزلت بعرفة في حجة الوداع والنبي
صلى الله عليه وسلم واقف فقرأها النبي صلى الله عليه وسلم في خطبته وقال يا ايها الناس
ان سورة المائدة من اخر سورة القران الا فاحلوا حلالها وحرموا حرامها فان قلت

لم خص النبي

لم خص النبي صلى الله عليه وسلم هذه السورة من بين سور القران بقوله فاحلوا حلالها
وحرموا حرامها مع انه لا يجوز ترك حلال ولا حرامه قلت هو كذلك وانما خص هذه السورة لزيادة الاعتنا
بها فهو كقوله تعالى ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا منها اربعة حرم فلا تظلموا فيهن
انفسكم فالاجتناب الظلم في هذه الاربعة اشهر وان كان لا يجوز الظلم في شيء من جميع شهور
السنة وانما افرد الاربعة الاشهر بالذكر لزيادة الاعتنا بها وقيل انما خص النبي صلى الله
عليه وسلم هذه السورة لان فيها ثمانية عشر حكما لم تنزل في غيرها من سور القران قال
البغوي روي عن ميسرة قال ان الله تعالى انزل في هذه السورة ثمانية عشر حكما لم ينزلها
في غيرها وهي قوله والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما اكل السبع الا ما ذكيتم
وما ذبح على النصب وان تستقسموا بالازلام وما علمتم من الجوارح مكلبين وطعام
الذين اوتوا الكتاب حل لكم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين اوتوا
الكتاب وتمام بيان الطهور في قوله اذا قمتم الى الصلاة والسارق والسارقة ولا تقتلوا
الصيد وانتم حرم ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام وقوله شهادة
بينكم اذا حضر احدكم الموت والله اعلم بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل يا ايها الذين
امنوا اوفوا بالعقود يعني العهود قاله جماعة واختلفوا في المراد بهذه العقود التي
امر الله تعالى بالوفاء بها فقال ابن جريج هذا خطاب لاهل الكتاب والمعنى يا ايها الذين امنوا
بالكتب المتقدمة اوفوا بالعقود التي عهدتها اليكم في شان محمد صلى الله عليه وسلم
والايمان به وقيل هو خطاب للمؤمنين امرهم بالوفاء بالعقود قال ابن عباس هي عهود
الايمان وما اخذه على عباده في القران فيما احل وحرم وقيل هي العقود التي كانت في
الجاهلية كان يعاقد بعضهم بعضا على النصرة والموازرة على من حاول ظلمه او بغاه
بسوء وذلك هو معنى الحلف الذي كانوا يتعاقدون بينهم قال قتادة ذكر لنا ان النبي
صلى الله عليه وسلم كان يقول اوفوا بعقد الجاهلية ولا تحدثوا عقدا في الاسلام
وقيل بل هي العقود التي يتعاقدها الناس بينهم وما يعقدها الانسان على نفسه والعقود
خمس عقد اليمين وعقد النكاح وعقدة العهد وعقدة البيع وعقدة الشركة زاد
بعضهم وعقدة الحلف قال الطبري واولى الاقوال عندنا بالصواب ما قاله ابن
عباس ان معناه اوفوا ايها المؤمنون بعقود الله التي اوجبها عليكم وعقدها
فيما احل وحرم عليكم والزمكم فرضه وبين لكم حدوده وانما قلنا ان هذا القول اولى
بالصواب لان الله تعالى اتبعه بالبيان عما احل لعباده وحرم عليهم فقال تعالى
احلت لكم بهيمة الانعام وهذا خطاب للمؤمنين خاصة والبهيمة اسم لكل ذي اربع
من الحيوان لكن خص في التعارف بما عدا السباع والضواري من الوحوش وانما
سميت بهيمة لانها ابهمت عن العقل والتمييز قال الزجاج كل حي لا يميز فهو بهيمة
والانعام جمع النعم وهي الابل والبقر والغنم ولا يدخل فيها الحافر في قول جميع

اهل اللغة واختلفوا في معنى الاية فقال الحسن وقتادة بهيمة الانعام الابل والبقر
والغنم والمعز وعلى هذا القول انما اضاف البهيمة الى الانعام على جهة التوكيد
وقال الكلبي بهيمة الانعام وحشيها كالظباء وبقر الوحش وحمر الوحش وعلى هذا انما
اضاف البهيمة الى الانعام ليعرف جنس الانعام وما احل منها لانه لو افرد لقال
البهيمة لدخل فيه ما يحل ويحرم من البهائم فلهذا قال تعالى احلت لكم بهيمة الانعام وقال
ابن عباس هي الاجنة التي توجد ميتة في بطون امهاتها اذا ذبحت او نحرت ذهب
اكثر العلماء الى تحليله وهو مذهب الشافعي ويدل عليه ما روي عن ابي سعيد عن النبي صلى
الله عليه وسلم انه قال في الجنين ذكاته ذكاة امه اخرجه الترمذي وابن ماجه وفي رواية
ابي داود قال قلنا يا رسول الله ننحر الناقة ونذبح البقرة والشاة ونجد في بطنها الجنين
انلقيه ام ناكله قال كلوه ان شئتم فان ذكاته ذكاة امه وروى الطبري عن ابن عمر في
قوله احلت لكم بهيمة الانعام قال ما في بطنها قال عطية العوفي قلت ان خرج ميتا اكله
قال نعم هو بمنزلة رئتها وكبدها وعن ابن عباس قال الجنين من بهيمة الانعام وعنه ان
بقرة نحرت فوجد في بطنها جنين فاخذ ابن عباس بذنب الجنين وقال هذا من
بهيمة الانعام وشرط بعضهم الاشعار وتمام الخلق قال ابن عمر ذكاة ما في بطنها ذكاتها
اذا تم خلقه ونبت شعره ومثله عن سعيد بن المسيب وقال ابو حنيفة لا يحل اكل الجنين
اذا خرج ميتا بعد ذكاة الام وقوله تعالى الا ما يتلى عليكم يعني في القران تحريمه واراد به
قوله تعالى حرمت عليكم الميتة الى اخر الاية فهذا من المتلو علينا وهو ما استثنى الله عز وجل
من بهيمة الانعام غير محلي الصيد وانتم حرم يعني احلت لكم الانعام كلها والوحشية
ايضا من الظباء والبقر والحمر غير محلي صيدها وانتم محرمون في حال الاحرام فلا يجوز للمحرم
ان يقتل صيدا في حال احرامه ان الله يحكم ما يريد يعني ان الله يقضي في خلقه ما يشاء
ان يقضيه من تحليل ما اراد تحليله وتحريم ما اراد تحريمه وفرض ما شاء ان يفرضه عليهم
من احكامه وفرائضه مما فيه مصلحة لعباده قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تحلوا
شعائر الله نزلت في الحطم واسمه شريح بن هند بن ضبيعة البكري اتى المدينة وحده
وخلف خيله خارج المدينة ودخل وحده على النبي صلى الله عليه وسلم فقال للنبي صلى
الله عليه وسلم الى ما تدعو الناس فقال الى شهادة ان لا اله الا الله واقام الصلاة
وايتاء الزكاة فقال حسن الا ان لي امراء لا اقطع امرا دونهم ولعلي اسلم واتي بهم
فخرج من عنده وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه يدخل عليكم
رجل من ربيعة يتكلم بلسان شيطان فلما خرج بن شريح قال النبي صلى الله عليه وسلم
لقد دخل بوجه كافر وخرج بقفا غادر وما الرجل بمسلم فمر بسرح من سرح المدينة
فاستاقه وانطلق به وهو يرتجز ويقول * قد لفها الليل بسواق حطم * ليس
براعي ابل ولا غنم * ولا بجزار على ظهر وضم * باتوا نياما وابن هند لم ينم *

بات يقاسيها غلام كالزلم * خدلج الساقين ممسوح القدم * فتبعوه ولم يدركوه
فلما كان العام القابل خرج شريح حاجا في حجاج بكر بن وائل من اليمامة ومعه تجارة
عظيمة وقد قلد الهدي فقال المسلمون يا رسول الله هذا الحطم قد خرج حاجا
فخل بيننا وبينه فقال النبي صلى الله عليه وسلم انه قد قلد الهدي فقالوا يا رسول
الله هذا شيء كنا نفعله في الجاهلية فابى النبي صلى الله عليه وسلم فانزل الله
يا ايها الذين امنوا لا تحلوا شعائر الله قال ابن عباس هي المناسك وكان
المشركون يحجون ويهدون فاراد المسلمون ان يغيروا عليهم فنهاهم الله عن
ذلك وقيل الشعائر الهدايا المشعرة واشعارها ان تطعن في صفحة سنام البعير
بحديدة حتى يسيل دمه فيكون ذلك علامة بانها هدي وهو سنة في الابل والبقر
دون الغنم ويدل عليه ما روي عن عائشة قالت فتلت قلائد بدن النبي صلى
الله عليه وسلم ثم اشعرها وقلدها ثم بعث بها الى البيت فما حرم عليه شيء كان له
حلالا اخرجاه في الصحيحين م عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى
الظهر بذي الحليفة ثم دعا بناقته فاشعرها في صفحة سنامها الايمن وسلت الدم
عنها وقلدها نعلين ثم ركب راحلته فلما استوت به على البيداء اهل بالحج وعند ابي
حنيفة لا يجوز اشعار الهدي بل قال يكره ذلك وقال ابن عباس في معنى الاية
لا تحلوا شعائر الله هي ان تصيد وانت محرم وقيل شعائر الله معالم
دينه والمعنى لا تحلوا شيئا من فرائضه التي افترض عليكم واجتناب نواهيه التي
نهى عنها ولا الشهر الحرام اي ولا تحلوا الشهر الحرام بالقتال فيه والشهر الحرام هو الذي
كانت العرب تعظمه وتحرم القتال فيه في الجاهلية فلما جاء الاسلام لم ينقض هذا الحكم
بل اكده والمراد بالشهر الحرام ذو القعدة وقيل رجب ذكرهما ابن جريج وقيل
المراد باحلال الشهر الحرام النسيء قال مقاتل كان جنادة بن عوف يقوم في سوق عكاظ
فيقول الا اني قد احللت كذا وحرمت كذا يعني به الاشهر فنهى الله عن ذلك وسياتي
تفسير النسيء في سورة براءة ولا الهدي ولا القلائد الهدي ما يهدى الى بيت الله من
بعير او بقرة او شاة او غير ذلك مما يتقرب به الى الله تعالى والقلائد جمع قلادة وهي
التي تشد في عنق البعير وغيره والمعنى ولا الهدي ذوات القلائد قال الشاعر *
حلفت برب مكة والمصلى * واعناق الهدي مقلدات * فعلى هذا القول انما
عطف القلائد على الهدي مبالغة في التوصية بها لانها من اشرف البدن المهداة
والمعنى ولا تحلوا الهدي وخصوصا المقلدات منها وقيل اراد اصحاب القلائد
وذلك ان العرب في الجاهلية كانوا اذا ارادوا الخروج من الحرم قلدوا انفسهم
وابلهم من لحاء شجر الحرم فكانوا يامنون بذلك فلا يتعرض لهم احد فنهى المؤمنين
عن ذلك الفعل ونهاهم عن استحلال نزع شيء من شجر الحرم ولا امين البيت الحرام

يعني ولا تحلوا القاصدين الى البيت الحرام وهو الكعبة شرفها الله وعظمها يبتغون يعني يطلبون
فضلا من ربهم يعني الرزق والارباح في التجارة ورضوانا يعني ويطلبون رضى الله عنهم بزعمهم
لان الكافر لا حظ له في الرضوان لكن يظن انه بفعله ذلك طالبا للرضوان فيجوز ان
يوصف به بناء على ظنه وقيل ان المشركين كانوا يقصدون بحجهم ابتغاء رضوان الله وانه
كانوا لا ينالونه فلا يبعد ان يحصل لهم بسبب ذلك القصد نوع من الحرمة وهو الامن
على انفسهم وقيل كان المشركين يلتمسون في حجهم ما يصلح لهم دنياهم ومعاشهم فهذا
وقيل ابتغاء الفضل هو للمؤمنين والمشركين عامة وابتغاء الرضوان للمؤمنين خاصة وذلك
انهم كانوا يحجون جميعا **فصل** اختلف علماء الناسخ والمنسوخ في هذه الاية فقال قوم
هذه الاية منسوخة الى هنا لان قوله لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام يقتضي حرمة
القتل في الشهر الحرام وفي الحرم وذلك منسوخ بقوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم
وقوله تعالى ولا امين البيت الحرام يقتضي حرمة منع المشركين عن البيت الحرام وذلك
منسوخ بقوله فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا فلا يجوز ان يحج مشرك ولا يامن بالهدي
ولا القلائد كافر وهذا قول ابن عباس ومجاهد والحسن وقتادة واكثر المفسرين قال الشعبي
لم ينسخ من سورة المائدة الا هذه الاية وقيل المنسوخ منها قوله ولا امين البيت الحرام
نسختها اية براءة اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وقوله فلا يقربوا المسجد الحرام بعد
عامهم هذا قال ابن عباس كان المؤمنون والمشركون يحجون البيت جميعا فنهى الله المؤمنين
ان يمنعوا احدا يحج البيت او يتعرضوا له من مؤمن او كافر ثم انزل الله بعد هذا انما المشركون
نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وقال اخرون لم ينسخ من ذلك شيء سوى
القلائد التي كانت الجاهلية يتقلدونها من لحا شجر الحرم قال الواحدي وذهب جماعة الى انه
لا منسوخ في هذه السورة وان هذه الاية محكمة قال ما ندبنا الى ان نخيف من يقصد بيته
من اهل شريعتنا في الشهر الحرام ولا في غيره وفضل الشهر الحرام عن غيره بالذكر تعظيما له
تفضيلا وحرم علينا اخذ الهدي من المهدين وصرفه عن بلوغ محله وحرم علينا القلائد
التي كانوا يفعلونها في الجاهلية وهذا غير مقبول والظاهر ما عليه جمهور العلماء من نسخ
هذه الاية لاجماع العلماء على ان الله عز وجل قد احل قتال اهل الشرك في الاشهر الحرم وغيرها
وكذلك اجمعوا على ان المشرك لو قلد عنقه وذراعيه جميع لحا الشجر لم يكن ذلك امانا
له من القتل اذا لم يكن قد تقدم له عقد ذمة وامان وكذلك اجمعوا على منع من قصد
البيت بحج او عمرة من المشركين لقوله تعالى انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام
بعد عامهم هذا والله اعلم قوله تعالى واذا حللتم يعني من احرامكم فاصطادوا هذا امر اباحة
لان الله حرم الصيد على المحرم حالة احرامه بقوله غير محلي الصيد وانتم حرم واباحه له
اذا حل من احرامه بقوله واذا حللتم فاصطادوا وانما قلنا انه امر اباحة لانه
ليس بواجب على المحرم اذا حل من احرامه ان يصطاد ومثله قوله تعالى فاذا قضيت

الصلاة

الصلاة فانتشروا في الارض ومعناه انه قد ابيح لكم ذلك بعد الفراغ من الصلاة
ولا يجرمنكم قال ابن عباس لا يحملنكم وقيل معناه لا يكسبنكم ولا يدعونكم شنآن قوم يعني
بغض قوم وعداوتهم ان صدوكم يعني لان صدوكم عن المسجد الحرام والمعنى لا يحملنكم
عداوة قوم على الاعتداء لان صدوكم عن المسجد الحرام لان هذه السورة نزلت بعد
قصة الحديبية فكان الصد قد تقدم ان تعتدوا عليهم يعني بالقتل واخذ المال وتعاونوا
على البر والتقوى يعني ليعن بعضكم بعضا على ما يكسب البر والتقوى قال ابن عباس
البر متابعة السنة ولا تعاونوا على الاثم والعدوان يعني ولا يعن بعضكم بعضا على الاثم
وهو الكفر والعدوان وهو الظلم وقيل الاثم المعاصي والعدوان البدعة م عن النواس
ابن سمعان قال سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البر والاثم قال البر حسن
الخلق والاثم ما حاك في صدرك وكرهت ان يطلع عليه الناس واتقوا الله اي واحذروا
الله ان تعتدوا ما امركم به وتجاوزوا الى ما نهاكم عنه ان الله شديد العقاب يعني لمن
خالف امره فيه وعيد وتهديد عظيم قوله عز وجل حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير
لما بين الله تعالى في اول السورة ما احل للناس بهيمة الانعام ثم انه تعالى استثنى من ذلك
بقوله الا ما يتلى عليكم فذكر ذلك المستثنى بقوله حرمت عليكم الميتة فكل ما فارقته الروح
مما يذبح بغير ذكاة فهو ميتة وسبب تحريم الميتة ان الدم لطيف جدا فاذا مات الحيوان
حتف انفه احتبس ذلك الدم وبقي في العروق فيفسد ويحصل منه ضرر عظيم والدم
فهو المسفوح الجاري وكانت العرب في الجاهلية تجعل الدم في المصارين وتشويه
وتاكله فحرم الله ذلك كله ولحم الخنزير واراد به جميع اجزائه واعضائه وانما خص اللحم
بالذكر لانه المقصود بالاكل وقد تقدم في سورة البقرة احكام هذه الثلاثة اشيا
وما استثنى الشارع من الميتة والدم وهو السمك والجراد والكبد والطحال وذكرنا
الدليل على اباحة ذلك واختلاف العلماء في ذلك وقوله تعالى وما اهل لغير الله به
يعني ما ذكر على ذبحه غير اسم الله وذلك ان العرب في الجاهلية كانوا يذكرون اسماء
اصنامهم عند الذبح فحرم الله ذلك بهذه الاية وبقوله ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله
عليه والمنخنقة قال ابن عباس كان اهل الجاهلية يخنقون الشاة حتى اذا ماتت
اكلوها فحرم الله ذلك والمنخنقة من جنس الميتة لانها لما ماتت لا يسيل دمها والفرق
بينهما ان الميتة تموت بلا سبب احد والمنخنقة تموت بسبب الخنق والموقوذة يعني
المقتولة بالخشب كانت العرب في الجاهلية يضربون الشاة بالعصا حتى تموت
وياكلونها فحرم الله ذلك والمتردية يعني التي تتردى من مكان عال فتموت او في بير
فتموت والتردي هو السقوط من سطح او من جبل ونحوه وهذه المتردية تلحق بالميتة
فيحرم اكلها ويدخل في هذا الحكم اذا رمى بسهمه صيدا فتردى ذلك الصيد من جبل
او مكان عال فانه يحرم اكله لانه لا يعلم هل مات بالتردي او بالسهم والنطيحة التي

ينطحها شاة اوغيرها حتى تموت وكانت العرب في الجاهلية تاكل ذلك فحرمها الله تعالى
لانها في حكم الميتة فاما الها في هذه الكلمات التي تقدمت اعني المنخنقة والموقوذة والمتردية
والنطيحة فانما دخلت لانها صفات لموصوف مونث وهو الشاة كانه قال حرمت
عليكم الشاة المنخنقة والموقوذة والمتردية وخصت الشاة لانها من اعم ما ياكله
الناس والكلام انما يخرج على الاعم الاغلب ثم يلحق به غيره فان قلت لم اثبت الها
في النطيحة مع انها في الاصل منطوحة فعدلوا الى النطيحة وفي مثل هذا الموضع تكون
الها محذوفة تقول كف خضيب وعين كحيل يعني كف مخضوبة وعين مكحولة قلت
انما تحذف الها من الفعيلة اذا كانت صفة لموصوف يتقدمها فاذا لم يذكر الموصوف
وذكرت الصفة وضعتها موضع الموصوف تقول رايت قتيلة بني فلان بالها لانك
ان لم تدخل الها لم تعرف رجل هو او امراة فعلى هذا انما دخلت الها في النطيحة لانها صفة
لموصوف غير مذكور وهو الشاة وقال ابن السكيت قد ياتي فعيلة بالها وهي في تاويل
مفعول بها تخرج مخرج الاسما ولا يذهب بها مذهب النعوت نحو النطيحة والذبيحة
والفريسة واكيلة السبع ومررت بقتيلة بني فلان وقوله تعالى وما اكل السبع قال
قتادة كان اهل الجاهلية اذا جرح السبع شيا فقتله او اكل منه اكلوا ما بقي منه فحرمه
الله تعالى والسبع اسم يقع على كل حيوان له ناب ويعدو على الناس والدواب فيفترس
بنابه كالاسد والذيب والنمر والفهد ونحوه وفي الاية محذوف تقديره وما اكل
السبع منه لان ما اكله السبع قد نفد فلا حكم له انما الحكم للباقي منه الا ما ذكيتم يعني الا
ما ادركتموه وقد بقيت فيه حياة مستقرة من هذه الاشيا المذكورة والظاهر ان هذا
الاستثنا يرجع الى جميع المحرمات المذكورة في الاية من قوله تعالى والمنخنقة الى وما
اكل السبع وهذا قول علي بن ابي طالب وابن عباس والحسن وقتادة قال ابن عباس
يقول الله تعالى ما ادركتم من هذا كله وفيه روح فاذبح فهو حلال وقال الكلبي هذا
الاستثنا مما اكل السبع خاصة والقول هو الاول واما كيفية ادراكها فقال اكثر اهل
العلم من المفسرين ان ادركت ذكاته بان توجد له عين تطرف او ذنب يتحرك
فاكله جايز قال ابن عباس اذا طرفت بعينها او ركضت برجلها او تحركت فاذبح
فهو حلال وذهب بعض اهل العلم الى ان السبع اذا جرح فاخرج الحشوة او قطع
الجوف قطعا يوس منه الحياة فلا ذكاة لذلك وان كان به حركة ورمق صار
الى حركة وحالة لا يوثر فيها الذبح وهو مذهب مالك واختار الزجاج وابن
الانباري لان معنى التذكية ان يلحقها وفيها بقية تشخب معها الاوداج وتضطرب
اضطراب المذبوح لوجود الحياة فيه قبل ذلك والا فهو كالميتة واصل الذكاة في اللغة
تمام الشي فالمراد من التذكية تمام قطع الاوداج وانهار الدم ويدل عليه ما روي عن
رافع بن خديج عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما انهر الدم وذكر اسم الله عليه فكلوه ليس

السن

السن والظفر وساحدثكم عن ذلك اما السن فعظم واما الظفر فمدى الحبشة
اخرجاه في الصحيحين واقل الذبح في الحيوان المقدور عليه قطع المري والحلقوم
واكمله قطع الودجين مع ذلك والحلقوم بعد الفم وهو موضع النفس والمري
مجرى الطعام والودجان عرقان يقطعان عند الذبح واما الة الذبح فكل
ما انهر الدم وفرى الاوداج من حديد وغيره الا السن والظفر لما تقدم من
نهي النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك قوله تعالى وما ذبح على النصب يعني وحرمت
ما ذبح على النصب والنصب يحتمل ان يكون جمعا واحده نصاب وان يكون واحدا
جمعه انصاب وهو الشي المنصوب قيل كان حول الكعبة ثلثمائة وستون
حجرا منصوبة كان اهل الجاهلية يعبدونها ويعظمونها ويذبحون لها وليست
هذه الحجارة باصنام انما الاصنام الصور المنقوشة وقال ابن عباس هي الاصنام
المنصوبة والمعنى وما ذبح على اسم النصب فهو حرام وان تستقسموا بالازلام
يعني وحرم عليكم الاستقسام بالازلام وهو طلب القسم والحكم من الازلام وهي
القداح وكانت ازلامهم سبع قداح مستوية مكتوبة على واحد منها امرني ربي
وعلى واحد نهاني ربي وعلى واحد منكم وعلى واحد من غيركم وعلى واحد ملصق
وعلى واحد العقل وعلى واحد غفل اي ليس عليه شي وكانت العرب في الجاهلية
اذا ارادوا سفرا او تجارة او نكاحا واختلفوا في امر نسب او امر قتيل وتحمل
عقل وغير ذلك من الامور العظام جاوا الى هبل وكانت اعظم صنم لقريش
بمكة وجاوا بمائة درهم واعطوها صاحب القداح حتى يجيلها لهم فان خرج امرني
ربي فعلوا ذلك الامر وان خرج نهاني ربي لم يفعلوه واذا جالوا على نسب فان
خرج منكم كان وسطا فيهم وان خرج من غيركم كان حليفا فيهم وان خرج ملصق
كان على حاله وان اختلفوا في العقل وهو الدية فمن خرج عليه قدح العقل تحمله
وان خرج الغفل جالوا ثانيا حتى يخرج المكتوب عليه فنهاهم الله عن ذلك وحرمه
وسماه فسقا وقيل الازلام كعاب فارس والروم التي كانوا يقامرون بها وقيل
كانت الازلام للعرب والكعاب للعجم وهي النرد وكلها حرام لا يجوز اللعب بشي
منها عن قطن بن قبيصة عن ابيه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول العيافة والطيرة والطرق من الجبت اخرجه ابو داود وقال الطرق الضرب
بالحصى والجبت كل ما عبد من دون الله وقيل الجبت الكاهن وروى البغوي بسند
الثعلبي عن ابي الدردا قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تكهن او استقسم
بالازلام او تطير طيرة ترده عن سفره لم ينظر الى الدرجات العلى يوم القيامة ذلكم
فسق يعني ما ذكر من هذه المحرمات في هذه الاية لان المعنى حرم عليكم تناول كذا وكذا
فانه فسق والفسق ما يخرج من الحلال الى الحرام وقيل ان الاشارة عائدة على

الاستقسام بالازلام والاصح اليوم يئس الذين كفروا من دينكم يعني يئسوا ان يرجعوا عن
دينكم الى دينهم كفارا وذلك ان الكفار كان يطمعون في ان يعود المسلمون الى دينهم
فلما قوي الاسلام ايسوا من ذلك وذلك هو اليوم الذي دخل رسول الله صلى الله
عليه وسلم مكة عام حجة الوداع فعند ذلك يئس الكفار من بطلان دين الاسلام وقيل ان
ذلك هو يوم عرفة فنزلت هذه والنبي صلى الله عليه وسلم واقف بعرفة وقيل لم يرد
يوما بعينه وانما المعنى الان يئس الذين كفروا من دينكم فهو كما تقول اليوم قد كبرت
تريد الان قد كبرت وتقول فلان كان يزورنا وهو اليوم يزورنا وهو اليوم يجفونا
لم ترد يوما بعينه يعني وهو الان يجفونا ولم تقصد به اليوم قال الشاعر فيوم علينا
ويوم لنا فيوم نساء ويوم نسر اراد فزمان علينا وزمان لنا ولم يقصد ليوم
واحد معين فلا تخشوهم فلا تخافوا الكفار ايها المومنون الذين امنوا ان يظهروا
على دينكم فقد زال الخوف عنكم باظهار دينكم واخشوني اي وخافوا مخالفة امري
واخلصوا الخشية لي قوله عز وجل اليوم اكملت لكم دينكم نزلت هذه الاية في يوم الجمعة
بعد العصر في يوم عرفة والنبي صلى الله عليه وسلم واقف بعرفات على ناقته العضباء
فكادت عضد الناقة تندق وبركت لثقل الوحي وذلك في حجة الوداع سنة عشر من
الهجرة ق عن طارق بن شهاب قال جاء رجل من اليهود الى عمر بن الخطاب فقال يا امير المؤمنين
اية في كتابكم تقرأونها لو علينا نزلت معشر اليهود لاتخذنا ذلك اليوم عيدا قال
فاي اية قال اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا فقال
عمر اني لاعلم اليوم الذي انزلت فيه والمكان الذي نزلت فيه نزلت على رسول الله صلى
الله عليه وسلم بعرفات في يوم الجمعة اشار عمر الى ان ذلك اليوم كان عيدا لنا وعن ابن
عباس انه قرأ اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا
وعنده يهودي فقال لو انزلت هذه الاية علينا لاتخذناها عيدا فقال ابن عباس فانها
نزلت في يوم عيدين في يوم جمعة ويوم عرفة اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب
قال ابن عباس كان في ذلك اليوم خمسة اعياد يوم جمعة ويوم عرفة وعيد اليهود
وعيد النصارى وعيد المجوس ولم تجتمع اعياد لاهل الملل في يوم واحد قبله ولا بعده
وروي انها لما نزلت هذه الاية بكى عمر فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ما يبكيك يا عمر
فقال ابكاني انا كنا في زيادة من ديننا فاما اذ كمل فانه لم يكمل شي الا نقص قال
صدقت فكانت هذه الاية نعي رسول الله صلى الله عليه وسلم عاش بعدها احدا
وثمانين يوما ومات صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين لليلتين خلتا من ربيع الاول
وقيل لاثنتي عشرة ليلة وهو الاصح سنة احدى عشرة من الهجرة واما تفسير الاية فقوله
تعالى اليوم اكملت لكم دينكم يعني بالفرائض والسنن والحدود والاحكام والحلال والحرام
فلم ينزل بعد هذه حلال ولا حرام ولا شي من الفرائض هذا معنى قول ابن عباس

وقال سعيد

وقال سعيد بن جبير وقتادة معنا اكملت لكم دينكم حيث لم يحج معكم مشرك وخلا
الموسم لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللمسلمين وقيل معناه اني اظهرت دينكم
على الاديان وامنتكم من عدوكم بان كفيتهم ما كنتم تخافونه وقيل كمال الدين لهذه
الامة انهم امنوا بكل نبي وكل كتاب ولم يكن لغير هذه الامة وقال ابن الانباري
اليوم اكملت شرائع الاسلام على غير نقصان كان قبل هذا الوقت وذلك ان الله تعالى
كان يتعبد خلقه بالشي في وقت ثم يزيد عليه في وقت اخر فيكون الوقت الاول
تاما في وقته وكذلك الوقت الثاني تاما في وقته فهو كما يقول القائل عندي عشرة كاملة
ومعلوم ان العشرين اكمل منها والشرائع تعبد الله عز وجل بها عباده فكمل الله عز وجل
الشرائع في اليوم الذي ذكره وهو يوم عرفة ولم يوجب ذلك ان الدين كان ناقصا
في وقت من الاوقات ونقل الامام فخر الدين الرازي عن القفال واختاره ان الدين
ما كان ناقصا البتة بل كان ابدا كاملا كانت الشرائع النازلة من عند الله كافية في ذلك
الوقت الا انه تعالى كان عالما في اول وقت البعثة بان ما هو كامل في هذا اليوم ليس بكامل
في الغد ولا يصلح فيه لا جرم كان ينسخ بعد الثبوت وكان يزيد بعد العدم واما في اخر زمان
البعثة فانزل شريعة كاملة وحكم ببقائها الى يوم القيامة فالشرع ابدا كان كاملا
الا ان الاول كمال الى يوم مخصوص والثاني كمال الى يوم القيامة فلاجل هذا المعنى قال
اليوم اكملت لكم دينكم ثم قال تعالى واتممت عليكم نعمتي يعني باكمال الدين والشريعة لانه
لا نعمة اتم من الاسلام قال ابن عباس حكم لهم بدخول الجنة وقيل معناه انه تعالى انجز لهم ما
وعدهم في قوله ولاتم نعمتي عليكم فكان من تمام النعمة ان دخلوا مكة امنين وحجوا
مطمئنين لم يخالطهم احد من المشركين ورضيت لكم الاسلام دينا يعني واخترت لكم
الاسلام دينا من بين الاديان وقيل معناه ورضيت لكم الاسلام لامري والانقياد
لطاعتي فيما شرعت لكم من الفرائض والاحكام والحدود ومعالم الدين التي كملتها لكم وانما
قال تعالى ورضيت لكم الاسلام دينا يوم نزلت هذه الاية وان كان الله تعالى لم يزل راضيا
بدين الاسلام فيما مضى قبل نزول هذه الاية لانه لم يزل يصرف من حال الى حال
وينقلهم من مرتبة الى مرتبة اعلى منها حتى اكمل لهم شرائع الاسلام ومعالمه وبلغ لهم
اقصى درجاته ومراتبه ثم انزل عليهم هذه الاية ورضيت لكم الاسلام دينا يعني بالصفة
التي هو اليوم بها وهي نهاية الكمال وانتم الان عليه فالزموه ولا تفارقوه روى
البغوي بسنده عن جابر بن عبد الله قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
قال جبريل قال الله عز وجل هذا دين ارتضيته لنفسي ولن يصلحه الا السخاء وحسن الخلق
فاكرموه بهما ما صحبتموه وروى الطبري عن قتادة قال ذكر لنا انه يمثل لاهل كل دين
دينهم يوم القيامة فاما الايمان فيبشر اصحابه واهله ويعدهم في الخير حتى يجي
الاسلام فيقول اياك اليوم اقبل وبك اليوم اجزي وقوله تعالى فمن اضطر في

مخمصة غير متجانف لاثم هذه الاية من تمام ما تقدم ذكره في المطاعم التي حرمها الله تعالى
ومتصلة بها والمعنى ان المحرمات وان كانت محرمة الا انها قد تحل في حالة الاضطرار اليها
ومن قوله تعالى ذلكم فسق الى هنا اعتراض وقع بين الكلامين والغرض منه تاكيد ما تقدم
ذكره من معنى التحريم لان تحريم هذه الخبائث من جملة الدين الكامل والنعمة التامة والاسلام
الذي هو المرضي عند الله ومعنى الاية فمن اضطر اي اجهد واصيب بالضر الذي لا يمكنه
معه الامتناع من اكل الميتة وهو قوله تعالى في مخمصة يعني في مجاعة والمخمصة خلو البطن
من الغذا عند الجوع غير متجانف لاثم يعني غير مايل الى اثم ومنحرف اليه والمعنى فمن اضطر
الى اكل الميتة اول غير مايل في المجاعة فليا كل غير متجانف لاثم وهو ان ياكل فوق الشبع
وهو قول فقهاء العراق وقيل معناه غير متعرض لمعصية في مقصده وهو قول فقهاء
الحجاز فان الله غفور رحيم يعني لمن اكل من الميتة في حال الجوع والاضطرار قوله
تعالى يسالونك ماذا احل لهم روى الطبري بسنده عن ابي رافع قال جاء جبريل الى النبي صلى الله
عليه وسلم يستاذن عليه فاذن له فلم يدخل فقال قد اذنا لك يا رسول الله قال اجل ولكن
لا ندخل بيتا فيه كلب قال ابو رافع فامرني ان اقتل كل كلب في المدينة ففعلت حتى
انتهيت الى امراة عندها كلب ينبح عليها فتركته رحمة لها ثم جيت الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فاخبرته فامرني بقتله فرجعت الى الكلب فقتلته فجاوا الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقالوا يا رسول الله ما يحل لنا من هذه الامة التي امرت بقتلها قال فسكت رسول الله
صلى الله عليه وسلم فانزل الله عز وجل يسالونك ماذا احل لهم قل احل لكم الطيبات وما
علمتم من الجوارح مكلبين تعلمونهن وروي عن عكرمة ان النبي صلى الله عليه وسلم
بعث ابا رافع في قتل الكلاب فقتل حتى بلغ العوالي فدخل عاصم وسعد بن خيثمة وعويم
ابن ساعدة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ماذا احل لنا فنزلت يسالونك
ماذا احل لهم قل احل لكم الطيبات وما علمتم من الجوارح مكلبين قال ابن الجوزي واخرج
حديث ابي رافع الحاكم في صحيحه قال البغوي فلما نزلت هذه الاية اذن رسول الله صلى الله
عليه وسلم في اقتنا الكلاب التي ينتفع بها ونهى عن امساك ما لا نفع فيه منها (خ) عن ابي
هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من امسك كلبا فانه ينقص كل يوم من عمله
قيراط الا كلب حرث وماشية ولمسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اقتنى كلبا
ليس بكلب صيد ولا ماشية ولا ارض فانه ينقص من اجره قيراطان كل يوم وقال
سعيد بن جبير نزلت هذه الاية في عدي بن حاتم وزيد بن المهلهل الطائيين وهو زيد
الخيل الذي سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد الخير قالا يا رسول الله انا قوم نصيد
بالكلاب وبالبزاة فماذا يحل لنا فنزلت هذه الاية قال البغوي وهذا القول اصح في نزولها
واما التفسير فقوله تعالى يسالونك يعني يسالك اصحابك يا محمد ما الذي احل لهم اكله
من الطعام والماكل كانه لما تلي عليهم من خبايث الماكل ما تلي سالوا عما احل لهم قل

احل لكم

احل لكم الطيبات يعني قل لهم يا محمد احل لكم الطيبات يعني ما ذبح على اسم الله عز وجل
وقيل الطيبات كل ما تستطيبه العرب وتستلذه من غير ان يرد بتحريمه نص
من كتاب او سنة واعلم ان العبرة في الاستطابة والاستلذاذ باهل المروة والاخلاق
الجميلة من العرب فان اهل البادية منهم يستطيبون اكل جميع الحيوانات فلا عبرة بهم
لقوله تعالى ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث فان الخبيث غير مستطاب
فصارت هذه الاية الكريمة نصا فيما يحل ويحرم من الاطعمة وقوله تعالى وما علمتم من
الجوارح مكلبين يعني واحل صيد ما علمتم من الجوارح فحذف ذكر الصيد وهو مراد في
الكلام لدلالة الباقي عليه ولانهم سالوا عن الصيد وقيل ان قوله وما علمتم من الجوارح
ابتدا الكلام جزؤه فكلوا مما امسكن عليكم وعلى هذا القول يصح معنى الكلام من غير اضمار
والجوارح جمع جارحة وهي الكواسب من السباع والطير كالفهد والنمر والكلب ومن الباز
والصقر والعقاب والشاهين والباشق من الطير مما يقبل التعليم سميت جوارح
من الجرح لانها تجرح الصيد عند امساكه وقيل سميت جوارح لانها تكسب والجوارح الكواسب
من جرح واجترح اذا اكتسب ومنه قوله تعالى الذين اجترحوا السيئات يعني اكتسبوا وقوله
ويعلم ما جرحتم بالنهار اي اكتسبتم مكلبين يعني معلمين والمكلب هو الذي يغري
الكلاب على الصيد وقيل هو مودب الجوارح ومعلمها وانما اشتق له هذا الاسم
من الكلب لانها اكثر احتياجا الى التعليم من غيرها من الجوارح تعلمونهن يعني تعلمون
الجوارح الاصطياد مما علمكم الله يعني من العلم الذي علمكم الله ففي الاية دليل على انه
لا يجوز صيد جارحة ما لم تكن معلمة وصفة التعليم هو ان الرجل يعلم جارحة الصيد
وذلك بان يوجد فيها امور منها انه اذا اشليت على الصيد استشلت واذا زجرت
انزجرت واذا اخذت الصيد امسكت ولم تاكل منه شيا ومنها ان لا تنفر منه اذا اراد
ان يجيبه اذا دعاه فهذا هو تعليم جميع الجوارح فاذا وجد ذلك منها مرارا كانت
معلمة واقلها ثلاث مرات فانه يحل قتل مقتولها اذا جرحت بارسال صاحبها (ق)
عن عدي بن حاتم قال سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت انا قوم نصيد
بهذه الكلاب فقال اذا ارسلت كلابك المعلم وذكرت اسم الله فكل مما امسكن
عليك الا ان ياكل الكلب فلا تاكل فاني اخاف ان يكون انما امسك على نفسه
وان خالطها كلاب من غيرها فلا تاكل فانما سميت
على كلبك ولم تسم على غيره وفي رواية فانك لا تدري ايها قتل وسالته عن صيد
المعراض فقال اذا اصبت بحده فكل واذا اصبت بعرضه فقتل فانه وقيذ فلا تاكل
واذا رميت الصيد فوجدته بعد يوم او يومين ليس به الا اثر سهمك فكل فان
وقع في الما فلا تاكل واختلف العلماء فيما اذا اخذت الكلاب الصيد واكلت
منه شيا فذهب اكثر اهل العلم الى تحريمه روي ذلك عن ابن عباس وهو قول

عطا وطاوس والشعبي وبه قال الثوري وابن المبارك واصحاب الراي وهو اصح قولي
الشافعي ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم وان اكل فلا تاكل فانما امسك على نفسه ورخص
بعضهم في اكله يروى ذلك عن ابن عمر وسلمان الفارسي وسعد بن ابي وقاص وبه
قال مالك لما روي عن ابي ثعلبة الخشني قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في صيد اذا ارسلت
كلبك وذكرت اسم الله فكل وان اكل منه اخرجه ابو داود اما غير المعلم من الجوارح اذا
اخذت صيدا او المعلم اذا خرج بغير ارسال صاحبه فاخذ وقتل فانه لا يحل الا ان يدركه
حيا فيذبحه فيحل (ق) عن ابي ثعلبة الخشني قال قلت يا رسول الله انا بارض قوم اهل كتاب
افناكل في انيتهم وبارض صيد اصيد بقوسي وبكلبي الذي ليس بمعلم وبكلبي المعلم
فما يصلح لي فقال اما ما ذكرت من انية اهل الكتاب فان وجدتم غيرها فلا تاكلوا فيها
وان لم تجدوا فاغسلوها وكلوا فيها وما صدت بقوسك فذكرت اسم الله عليه فكل
وما صدت بكلبك غير المعلم فادركت ذكاته فكل وقوله تعالى فكلوا مما امسكن عليكم
دخلت من في قوله مما للتبعيض لانه انما احل بعض الصيد وهو اللحم دون الفرث والدم
وقيل من زايدة فهو كقوله كلوا من ثمره اذا اثمر واذكروا اسم الله عليه قال ابن عباس
يعني اذا ارسلت جارحك فقل بسم الله فان نسيت فلا حرج ومنه قوله صلى الله عليه وسلم
لعدي اذا ارسلت كلبك وذكرت اسم الله فكل فعلى هذا يكون الضمير في عليه عايد
الى ما علمتم من الجوارح اي سموا الله عليه عند ارساله وقيل الضمير عايد الى ما امسكن
عليكم والمعنى سموا الله عليه اذا ادركتم ذكاته وقيل يحتمل ان يكون الضمير عايدا الى الاكل
يعني واذكروا اسم الله عليه فعلى هذا تكون التسمية شرطا عند ارسال الجوارح وعند
الذبيحة وعند الاكل وسياتي بيان هذه المسئلة في سورة الانعام عند قوله ولا تاكلوا
مما لم يذكر اسم الله عليه واتقوا الله يعني واحذروا وخافوا الله فيما احل لكم وحرم عليكم
ان الله سريع الحساب يعني اذا حاسب عباده يوم القيامة ففيه تخويف لمن
خالف امره وفعل ما نهاه قوله عز وجل اليوم احل لكم الطيبات انما كرر احلال الطيبات
للتاكيد لانه قال اليوم احل لكم الطيبات التي سالتم عنها ويحتمل ان يراد باليوم اليوم
الذي انزلت فيه هذه الاية او اليوم الذي تقدم ذكره في قوله اليوم يئس الذين كفروا
من دينكم او اليوم اكملت لكم دينكم ويكون الغرض من هذا الكلام انه تعالى قال اليوم
اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي فبين انه كما اكمل الدين واتم النعمة فكذلك اتم النعمة
باحلال الطيبات وقيل ليس المراد باليوم يوما معينا وقد تقدم الكلام في ذلك اليوم
وفي معنى الطيبات في الاية المتقدمة وقوله تعالى وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم
يعني وذبايح اهل الكتاب حل لكم وهم اليهود والنصارى ومن دخل في دينهم من ساير
الامم قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم حلال لكم فاما من دخل في دينهم بعد مبعث النبي
صلى الله عليه وسلم وهو من تنصر من العرب من بني تغلب فلا تحل ذبيحته روي عن علي بن

ابي طالب قال لا تاكلوا من ذبايح نصارى العرب بني تغلب فانهم لم يتمسكوا بشي من
النصرانية الا بشرب الخمر وبه قال ابن مسعود وهو مذهب الشافعي انه من دخل في دين
اهل الكتاب بعد نزول القران فانه لا تحل ذبيحته وسيل ابن عباس عن ذبايح نصارى
العرب فقال لا باس به ثم قرا ومن يتولهم منكم فانه منهم وهذا قول الحسن وعطا
ابن ابي رباح والشعبي وعكرمة وقتادة والزهري والحكم وحماد وهو مذهب ابي
حنيفة ومالك واحدى الروايتين عن احمد والرواية الاخرى مثل مذهب الشافعي
واجمعوا على تحريم ذبايح المجوس وساير اهل الشرك من مشركي العرب وعبدة
الاصنام ومن لا كتاب له واجمعوا على ان المراد بطعام الذين اوتوا الكتاب ذبايحهم
خاصة لان ما سوى الذبايح فهي محللة قبل ان كانت لاهل الكتاب وبعد ان صارت
لهم فلا يبقى لتخصيصها باهل الكتاب فايدة ولان ما قبل هذه الاية في بيان حكم الصيد
والذبايح فحمل هذه الاية عليه اولى ولان ساير الطعام لا يختلف من تولاه من كتابي
او غيره انما تختلف الذكاة فلما خص اهل الكتاب بالذكر دل على ان المراد بطعامهم
ذبايحهم واختلف العلما فيما لو ذبح يهودي او نصراني على غير اسم الله فقال ابن عمر لا يحل
ذلك وهو قول ابن ربيعة وذهب اكثر اهل العلم الى انه يحل سيل الشعبي وعطا عن
النصراني يذبح باسم المسيح فقالا يحل فان الله قد احل ذبايحهم وهو يعلم ما يقولون وقال
الحسن اذا ذبح اليهودي والنصراني وذكر غير اسم الله وانت تسمع فلا تاكل واذا غاب
عنك فكل فقد احله الله لك وقد زعم قوم ان هذه الاية اقتضت اباحة ذبايح اهل
الكتاب مطلقا وان ذكروا غير اسم الله فيكون ذلك ناسخا لقوله ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم
الله عليه وليس الامر كذلك ولا نسخ لان الاصل انهم يذكرون الله عند الذبايح فيحمل امرهم
على هذا فان تيقنا انهم ذبحوا على غير اسم الله لم ناكله ولا وجه للنسخ وقوله تعالى وطعامكم
حل لهم يعني ان ذبايحنا لهم حلال وهذا يدل على انهم مخاطبون بشريعتنا وقال الزجاج
معناه ويحل لكم ان تطعموهم من طعامكم فجعل الخطاب للمومنين على معنى ان التحليل
يعود الى اطعامنا اياهم لا اليهم لانه لا يمتنع ان يحرم الله تعالى ان يطعمهم من ذبايحنا
وقيل ان الفايدة في ذكر ذلك ان اباحة المناكحة غير حاصلة من الجانبين واباحة
الذبايح كانت حاصلة في الجانبين لا جرم ذكر الله ذلك تنبيها على التمييز بين النوعين
ثم قال تعالى والمحصنات من المومنات قال مجاهد من الحراير فعلى هذا القول لا تدخل
الامة المومنة في هذا التحليل ومن اجاز نكاحهن اجازه بشرطين خوف العنت و
عدم طول الحرة وقال ابن عباس المحصنات العفايف فعلى هذا القول يحل نكاح
الزانية لانها لم تدخل في هذا التحليل واباح العلما نكاحها اذا تابت وحسنت توبتها
روى طارق بن شهاب ان رجلا اراد ان يزوج اخته فقالت اني اخشى ان افضحك
اني قد بغيت فاتى عمر فذكر له ذلك عنها فقال اليس قد تابت قال بلى قال

بطعام الذين
ساء

فزوجها وقيل انما خص المحصنات بالذكر وهن الحراير والعفايف ليحث المومنين على تخير
النسا ليكون الولد كريم الاصل من الطرفين وقوله تعالى والمحصنات من الذين اوتوا
الكتاب من قبلكم يعني واحل لكم المحصنات من اهل الكتاب اليهود والنصارى قال ابن
عباس يعني الحراير من اهل الكتاب وقال الحسن والشعبي والنخعي والضحاك يريد العفايف
من اهل الكتاب فعلى قول ابن عباس لا يجوز التزوج بالامة الكتابية وهو مذهب
الشافعي قال لانه اجتمع في حقها نوعان من النقصان الكفر والرق وعلى قول الحسن ومن
وافقه يجوز التزويج بالامة الكتابية وهو مذهب ابي حنيفة لعموم هذه الاية واختلف
العلما في حكم هذه المسئلة فذهب جمهور الفقها الى جواز التزوج بالاماء من اليهود والنصارى
روى ان عثمان بن عفان تزوج نايلة بنت الفرافصة على نسايه وهي نصرانية وان
طلحة بن عبيد الله تزوج يهودية وروي عن ابن عمر كراهية ذلك ويحتج بقوله تعالى ولا تنكحوا
المشركات حتى يومن وكان يقول لا اعلم شركا اعظم من قولها ان ربها عيسى واجاب الجمهور
عن قوله ولا تنكحوا المشركات حتى يومن بانه عام خص بهذه الاية فاباح الله المحصنات
من اهل الكتاب وحرم من سواهن من اهل الشرك وقال سعيد بن المسيب والحسن
يجوز التزوج بالذميات والحربيات من اهل الكتاب لعموم قوله تعالى والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب
من قبلكم واجاب جمهور العلما بان ذلك مخصوص بالذميات دون الحربيات من اهل
الكتاب قال ابن عباس من نسا اهل الكتاب من تحل لنا ومنهم من لا تحل لنا وقرا قاتلوا الذين
لا يومنون بالله الى قوله حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون والمراد بهم اهل الذمة دون
اهل الحرب من اهل الكتاب وقوله اذا اتيتموهن اجورهن يعني مهورهن وهو العوض
الذي يبذله الزوج للمراة محصنين غير مسافحين يعني متعففين بالتزويج غير زانين ولا متخذي
اخدان يعني ولا منفردين ببغية واحدة قد خادنها وخادنته واتخذها لنفسه صديقة
يفجر بها وحده وحرم الله الجماع على جهة السفاح وهو الزنا واتخاذ الصديق وهو الخدن
واحله على جهة الاحصان وهو التزوج بعقد صحيح ومن يكفر بالايمان يعني ومن يجحد
ما امر الله به من التوحيد ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به من عند الله فقد حبط
عمله يعني فقد بطل ثواب عمله الذي كان عمله في الدنيا وخاب وخسر في الدنيا و
الاخرة وقيل في معنى الاية ومن يكفر بشرايع الايمان وتكاليفه فقد خاب وخسر
وقال قتادة ذكر لنا ان ناسا من المسلمين قالوا كيف نتزوج نساهم يعني نسا اهل
الكتاب وهن على غير ديننا فانزل الله ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله وهو في الاخرة
من الخاسرين وقيل لما اباح الله نكاح الكتابيات قلن فيما بينهن لولا ان الله قد رضي
اعمالنا لم يبح للمومنين تزويجنا فانزل الله هذه الاية والمعنى ان تزوج المسلمين اياهن
ليس بالذي يخرجهن من الكفر وقيل ان اهل الكتاب وان حصلت لهم فضيلة
في الدنيا باباحة ذبايحهم ونكاح نسايهم الا ان ذلك غير حاصل لهم في الاخرة لان كل

من كفر بالله

من كفر بالله او جحد بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم فقد حبط عمله وهو في الاخرة من
الخاسرين وقيل ان من احل ما حرم الله او حرم ما احل الله او جحد بشي مما انزل الله
فقد كفر بالله وحبط عمله المتقدم وهو في الاخرة من الخاسرين وقيل ان من احل
ما حرم الله او حرم ما احل الله او جحد بشي مما انزل الله فقد كفر بالله وحبط عمله المتقدم
وهو في الاخرة من الخاسرين اذا مات على ذلك وهذا الشرط لا بد منه لانه اذا تاب
وامن قبل الموت قبلت توبته وصح ايمانه قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا اذا قمتم
الى الصلاة يعني اذا اردتم القيام الى الصلاة ومثله قوله تعالى فاذا قرات القران
فاستعذ بالله اي اذا اردت قراة القران فاستعذ بالله ومثله في الكلام اذا اتجرت
فاتجر في البر اي اذا اردت التجارة وعلى هذا القول يقتضي وجوب الوضو عند كل
صلاة وهو ظاهر الاية ومذهب داود الظاهري وذهب جمهور العلما من الصحابة فمن
بعدهم الى انه يجوز عدة صلاة بوضو واحد واجيب عن ظاهر الاية لان المعنى
اذا قمتم الى الصلاة وانتم على غير طهر فحذف ذلك لدلالة المعنى عليه وهذا احد
اختصارات القران وهو كثير جدا ولان النبي صلى الله عليه وسلم جمع يوم الخندق
بين اربع صلوات بوضو واحد وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لا يقبل الله صلاة احدكم اذا احدث حتى يتوضا اخرجاه في الصحيحين وقيل في
معنى الاية اذا قمتم الى الصلاة من النوم وقيل هو امر ندب ندب من قام الى
الصلاة ان يجدد لها طهارة وان كان على طهر ويدل عليه ما روي عن ابن عمر
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من توضا على طهر كتب له به عشر حسنات
اخرجه الترمذي وقيل هذا اعلام من الله الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
لا وضو عليه الا اذا قام الى الصلاة دون غيرها من الاعمال ويدل عليه ما روي عن
ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج يوما من الخلا فقدم اليه طعام
فقالوا الا ناتيك بوضو فقال انما امرت بالوضو اذا قمت الى الصلاة اخرجه مسلم
والقول الاول هو المختار في معنى الاية وفرض الوضو المذكورة في هذه الاية اربعة
الاول غسل الوجه وهو قوله تعالى فاغسلوا وجوهكم واستدل الشافعي على وجوب
النية عند غسل الوجه بهذه الاية وحجته ان الوضو مامور به وكل مامور به يجب
ان يكون منويا ولما روي في الصحيحين من حديث عمر بن الخطاب ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرئ ما نوى والوضوء من الاعمال
فيجب ان يكون منويا واذا ثبت ان الوضو مامور به وانه من اعمال الدين
لقوله تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين والاخلاص عبارة
عن النية الى الصحة ومتى كانت النية الى الصحة معتبرة كان اصل النية في جميع
الاعمال التي يتقرب بها الى الله تعالى معتبرا واستدل ابو حنيفة لعدم وجوب

النية في الوضوء بهذه الاية وقال ان النية ليست شرطا لصحة الوضوء لان الله اوجب غسل
الاعضاء الاربعة في هذه الاية ولم يوجب النية فيها فايجاب النية زيادة على النص و
الزيادة على النص نسخ ونسخ القران بخبر الواحد وبالقياس غير جائز واجيب عنه بانا اوجبنا
النية في الوضوء بدلالة القران وهو قوله وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين واما
حد الوجه فمن منابت شعر الراس الى منتهى الذقن طولا ومن الاذن الى الاذن عرضا
لانه ماخوذ من المواجهة فيجب غسل جميع الوجه في الوضوء ويجب ايصال الما الى ما تحت
الحاجبين واهداب العينين والعذارين والشارب والعنفقة وان كانت كثة واما اللحية
فان كانت كثة لا ترى البشرة من تحتها لا يجب غسل ما تحتها ويجب غسل ما تحت اللحية وهل يجب
امرار الما على ظاهر ما نزل من اللحية عن الذقن فيه قولان احدهما وبه قال ابو حنيفة لا يجب
لان الشعر النازل عن حد الراس لا يكون حكمه حكم الراس في المسح فكذلك حكم الشعر
النازل عن حد الوجه والقول الثاني يجب امرار الما على ظاهره لان الوجه ماخوذ من
المواجهة فيدخل جميع اللحية في حكم الوجه والفرض الثاني قوله تعالى وايديكم الى المرافق
يعني واغسلوا ايديكم الى المرافق والمرفق بالكسر هو من الانسان اعلى الذراع واسفل
العضد وذهب جمهور العلما الى وجوب ادخال المرفقين في الغسل ونقل عن مالك
والشعبي وزفر وابي بكر بن داود الفاهدي انه لا يجب ادخال المرفقين في الغسل واختاره
ابن جرير الطبري ونقل عن مالك وقد سئل عن قول الله عز وجل فاغسلوا وجوهكم وايديكم
الى المرافق فقال الذي امر به ان يبلغ المرفقين في الغسل لا يجاوزهما وحجة هذا القول ان
كلمة الى لانتهاء الغاية وما يجعل غاية للحكم يكون خارجا عنه كما في قوله تعالى ثم اتموا الصيام
الى الليل ولان الحد لا يدخل في المحدود فوجب ان لا يجب غسل المرفقين في الوضوء
وحجة الجمهور ان حرف كلمة الى هنا بمعنى مع ومنه قوله تعالى ولا تاكلوا اموالهم الى اموالكم
ويعضد عن السنة ما صح من حديث ابي هريرة انه توضا فغسل وجهه فاسبغ الوضوء
ثم غسل يده اليمنى حتى اشرع في العضد ثم يده اليسرى حتى اشرع في العضد ثم قال هكذا
رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتوضا والجواب عن حجة المتقدمة ان الحد
اذا كان من جنس المحدود دخل فيه كما في هذه الاية لان المرفق من جنس اليد واذا لم
يكن من جنس المحدود لم يدخل فيه كما في قوله ثم اتموا الصيام الى الليل لان النهار من
غير جنس الليل فلا يدخل فيه الفرض الثالث قوله تعالى وامسحوا برؤسكم اختلف العلما
في هذا القدر الذي يجب مسحه من الراس فقال مالك يجب مسح جميعه وهو احدى الروايتين
عن احمد والرواية الاخرى عنه انه يجب مسح اكثره وقال ابو حنيفة يجب ربعه وفي رواية
اخرى يجب مسح قدر ثلث اصابع منه وقال الشافعي الواجب مسح ما ينطلق عليه اسم المسح
والمراد الصادق المسح بالراس وماسح بعضه ومستوعبه بالمسح كلاهما يصدق المسح بالراس
فاخذ مالك بالاحتياط فاوجب الاستيعاب واخذ الشافعي باليقين فاوجب مسح ما يقع عليه

اسم المسح واخذ ابو حنيفة ببيان السنة وهو ما روي عن المغيرة بن شعبة ان النبي
صلى الله عليه وسلم توضا فمسح بناصيته وعلى العمامة والخفين متفق عليه وقدر الناصية
بربع الراس الفرض الرابع قوله تعالى وارجلكم الى الكعبين اختلف العلما في هذا الحكم
وهو فرض الرجلين الغسل او المسح فروي عن ابن عباس انه قال الوضوء غسلتان ومسحتان
وروي ذلك عن قتادة ايضا وروي عن انس انه قال نزل القران بالمسح والسنة بالغسل
وعن عكرمة قال ليس على الرجلين غسل انما نزل فيهما المسح وعن الشعبي انه قال انما هو
المسح على الرجلين الا ترى انه ما كان عليه الغسل جعل عليه التيمم وما كان المسح همل وهو
مذهب الامامية من الشيعة ان الواجب في الرجلين المسح وقال جمهور العلما من الصحابة
والتابعين فمن بعدهم والائمة الاربعة واصحابهم ان فرض الرجلين هو الغسل وقال
داود الظاهري يجب الجمع بينهما وقال الحسن البصري ومحمد بن جرير الطبري المكلف مخير
بين الغسل والمسح وسبب هذا الاختلاف اختلاف القرا في هذا الحرف فقرا نافع وابن
عامر والكسائي وحفص عن عاصم وارجلكم بفتح اللام عطفا على الغسل فيكون من مؤخر
الذي معناه التقديم ويكون المعنى فاغسلوا وجوهكم وايديكم الى المرافق وارجلكم الى
الكعبين وامسحوا برؤسكم وقال اصحاب هذه القراة انما امر الله عباده بغسل الارجل
دون مسحها ويدل عليه ايضا فعل النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين فمن بعدهم وقرا
ابن كثير وابو عمرو وحمزة وابو بكر عن عاصم وارجلكم بكسر اللام عطفا على المسح اما قراة
النصب فالمعنى فيها ظاهر لانه عطف على المغسول لوجوب غسل الرجلين على مذهب
الجمهور ولا يقدح قول من خالف واما قراة الكسر فقد اختلفوا في معناه والجواب عنه فقال
ابو حاتم وابن الانباري وابو علي الكسر عطف على الممسوح غير ان المراد بالمسح في الارجل الغسل
وقال ابو زيد المسح خفيف الغسل تقول العرب تمسحت للصلاة بمعنى توضات لها وتقول
ما انمسح به للصلاة بمعنى التوضا قال ابو حاتم وذلك ان المتوضي يصب الما على اعضائه
حتى يمسها مع الغسل فيسمى الغسل مسحا بهذا الاعتبار فعلى هذا الراس والارجل ممسوحان الا
ان مسح الراس اخف والذي يدل على ان المراد بالمسح في الارجل الغسل ذكر التحديد
وهو قوله تعالى الى الكعبين لان التحديد انما جا في المغسول ولم يجي في الممسوح فلما وقع التحديد
مع المسح علم انه في حكم الغسل وقال جماعة من العلما ان الارجل منسوقة على الرؤس في
الظاهر والمراد فيها الغسل لانه قد ينسق بالشي على غيره والحكم فيهما مختلف كما قال الشاعر
ياليت بعلك قد غدا ؞ متقلدا سيفا ورمحا ؞ والمعنى وحاملا رمحا لان الرمح لا يتقلد
به وكذلك قول الشاعر علفتها تبنا وما باردا ؞ يعني وسقيتها ما باردا وكذلك المعنى
في الاية وامسحوا برؤسكم واغسلوا ارجلكم فلما لم يذكر الغسل وعطفت الارجل على الرؤس
في الظاهر اكتفي بقيام الدليل على ان الارجل مغسولة من مفهوم الاية والاحاديث
الصحيحة الواردة بغسل الرجلين في الوضوء واما كسر اللام في الارجل على مجاورة اللفظ

دون الكلم واستدل بقوله جحر ضب خرب وقال الخرب نعت للجحر لا للضب وانما
اخذ هم اعراب الضب للمجاورة فليس بجيد لان الكسر على المجاورة انما يحمل لاجل الضرورة
في الشعر او يصار اليه حيث يحصل الامن من الالتباس لان الخرب لا يكون نعتا
للضب بل للجحر ولان الكسر للجوار انما يكون بدون حرف العطف اما مع حرف العطف
فلم تتكلم به العرب وقوله تعالى الى الكعبين فيه دليل قاطع على وجوب غسل الرجلين
كما في قوله تعالى وايديكم الى المرافق والمعنى واغسلوا ارجلكم مع الكعبين وقد تقدم
اختلاف العلما في ذلك عند قوله الى المرافق والكعبان هما العظمان الناشزان
عند مفصل الساق والقدم هذا قول جمهور العلما من اهل اللغة والفقه وشذت الشيعة
ومن قال بمسح الرجلين فقالوا الكعب عبارة عن عظم مستدير على ظهر القدم ويدل على
بطلان هذا القول ان الكعب لو كان على ما ذكروه لكان في كل رجل كعبا واحدا فكان
ينبغي ان يقال وارجلكم الى الكعاب كما في قوله وايديكم الى المرافق فلما قال الى الكعبين
علم ان لكل رجل كعبان فبطل ما قالوه وثبت قول الجمهور **فصل** قد تقدم ان الفروض
المذكورة في هذه الاية اربعة وهي غسل الوجه وغسل اليدين الى المرفقين ومسح الراس
وغسل الرجلين الى الكعبين وقد تقدم استدلال الشافعي على وجوب النية في الوضوء فصار
فرضا خامسا وذهب الشافعي ومالك واحمد الى وجوب الترتيب في الوضوء وهو ان يغسل
الاعضاء على الولا كما ذكر الله في هذه الاية فيغسل اولا وجهه ثم يديه ثم يمسح راسه ثم يغسل
رجليه فصار الترتيب فرضا سادسا وذهب ابو حنيفة الى ان الترتيب في الوضوء غير واجب
واحتج الشافعي على وجوب الترتيب بهذه الاية وذلك ان الله امر بغسل الوجه ثم بغسل اليدين
ثم بمسح الراس ثم بغسل الرجلين فوجب ان يقع الفعل مرتبا كما امر الله ولقوله صلى الله عليه
وسلم في حديث حجة الوداع ابدوا بما بدا الله به وهذا الحديث وان ورد في قصة السعي بين الصفا
والمروة فان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ولان افعال النبي صلى الله عليه وسلم في الوضو
ما وردت الا مرتبة كما ورد في نص الاية ولم ينقل عنه ولا عن غيره من الصحابة انه توضا
منكسا او غير مرتب فثبت ان ترتيب افعال الوضو كما امر الله ونص عليه في هذه الاية
واجب واحتج ابو حنيفة لمذهبه بهذه الاية ايضا وذلك ان الواو لا توجب الترتيب
فاذا قلنا بوجوب الترتيب صار ذلك زيادة على النص وذلك غير جائز واجيب عنه
بانه لم ينقل عن النبي صلى الله عليه وسلم انه توضا الا مرتبا كما ذكر وبيان الكتاب انما يوخذ من
السنة **فصل** في ذكر الاحاديث التي وردت في صفة الوضو وفضله ق عن حمران مولى
عثمان بن عفان دعا باناء فافرغ على كفيه ثلاث مرار فغسلهما ثم ادخل يمينه في الاناء
فتمضمض واستنشق ثم غسل وجهه ثلاثا ويديه الى المرفقين ثلاث مرات ثم مسح براسه ثم غسل
رجليه ثلاث مرات الى الكعبين ثم قال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم توضا نحو
وضوئي هذا ثم قال من توضا نحو وضوئي هذا ثم صلى ركعتين لا يحدث فيهما نفسه غفر له

ما تقدم من

ما تقدم من ذنبه ق عن عبد الله بن زيد بن عاصم الانصاري قيل له توضا لنا وضوء رسول
الله صلى الله عليه وسلم فدعا باناء فاكفا منه على يديه ثلاثا ثم ادخل يده فاستخرجها فغسل
وجهه واستنشق من كف واحد ففعل ذلك ثلاثا ثم ادخل يده فاستخرجها فغسل وجهه ثلاثا
ثم ادخل يده فاستخرجها فغسل يديه الى المرفقين مرتين مرتين ثم ادخل يده فاستخرجها فمسح
براسه فاقبل بيديه وادبر ثم غسل رجليه الى الكعبين ثم قال هكذا كان وضوء رسول
الله صلى الله عليه وسلم زاد في رواية بعد قوله فاقبل بيديه وادبر بدا بمقدم راسه ثم
ذهب بهما الى قفاه ثم ردهما حتى رجع الى المكان الذي بدا منه عن عبد خير قال اتانا
علي كرم الله وجهه وقد صلى فدعا بطهور فقلنا ما يصنع بالطهور وقد صلى ما يريد الا
ليعلمنا فاتي باناء فيه ماء وطست فافرغ من الاناء على يمينه فغسل يديه ثلاثا ثم تمضمض واستنثر
ثلاثا فمضمض ونثر من الكف الذي ياخذ منه ثم غسل وجهه ثلاثا وغسل يده اليمنى ثلاثا وغسل
الشمال ثلاثا ثم جعل يده في الاناء فمسح راسه مرة واحدة ثم غسل رجله اليمنى ثلاثا ورجله
الشمال ثلاثا ثم قال من سره ان يعلم وضوء رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو هذا اخرجه
ابو داود وعن عبد الله بن عمرو بن العاص ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول
الله كيف الطهور فدعا بماء في اناء فغسل كفيه ثلاثا ثم غسل ذراعيه ثلاثا ثم مسح براسه
فادخل اصبعيه السباحتين في اذنيه ومسح بابهاميه على ظاهر اذنيه ثم غسل رجليه
ثلاثا ثم قال هكذا الوضوء فمن زاد على هذا او نقص فقد اساء وظلم او قال ظلم واساء
اخرجه ابو داود وعن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مسح براسه واذنيه ظاهرهما
وباطنهما اخرجه الترمذي وصححه ق عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم راى رجلا لم يغسل
عقبه فقال ويل للاعقاب من النار م عن جابر قال اخبرني عمر بن الخطاب ان
رجلا توضا فترك موضع ظفر على قدمه فابصره النبي صلى الله عليه وسلم فقال ارجع فاحسن
وضوءك فرجع فتوضا ثم صلى اخرجه مسلم عن خالد عن بعض اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
ان النبي صلى الله عليه وسلم راى رجلا يصلي وفي قدمه لمعة قدر الدرهم لم يصبها الماء
فامره النبي صلى الله عليه وسلم ان يعيد الوضوء والصلاة اخرجه ابو داود ق عن عبد الله بن
عمرو بن العاص قال تخلف عنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفرة سافرناها فادركنا
وقد ارهقتنا الصلاة ونحن نتوضا فجعلنا نمسح ارجلنا فنادى باعلى صوته ويل
للاعقاب من النار مرتين او ثلاثا عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم توضا
مرة مرة اخرجه البخاري عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم توضا مرتين مرتين
اخرجه ابو داود والترمذي وقال وقد روي عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه
وسلم توضا ثلاثا ثلاثا م عن عقبة بن عامر قال كانت علينا رعاية الابل فجاءت نوبتي
ارعاها فروحتها بعشي فادركت رسول الله صلى الله عليه وسلم قائما يحدث الناس فادركت
من قوله ما من مسلم يتوضا فيحسن وضوءه ثم يقوم فيصلي ركعتين يقبل عليهما بقلبه

وجهه الا وجبت له الجنة فقلت ما اجود هذا فاذا قايل بين يدي يقول التي قبلها
اجود فنظرت فاذا عمر بن الخطاب فقال اني قد رايتك جيت انفا فقال ما منكم
من احد يتوضا فيبلغ الوضو او يسبغ الوضو ثم يقول اشهد ان لا اله الا الله وحده
لا شريك له واشهد ان محمدا عبده ورسوله الا فتحت له ابواب الجنة الثمانية يدخل
من ايها شا م عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا توضا العبد
المسلم او المومن فغسل وجهه خرج من وجهه كل خطيئة نظر اليها بعينيه مع الما او مع اخر
قطر الما فاذا غسل يديه خرج من يديه خطيئة بطشتها يداه مع الما او مع اخر قطر
الما حتى يخرج نقيا من الذنوب ق عن نعيم بن عبد الله المجمر عن ابي هريرة ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال ان من امتي يدعون يوم القيامة غرا محجلين من اثار الوضو
فمن استطاع منكم ان يطيل غرته فليفعل وفي رواية قال رايت ابا هريرة يتوضا
فغسل وجهه فاسبغ الوضو ثم غسل يده اليمنى حتى شرع في العضد ثم غسل يده
اليسرى حتى شرع في العضد ثم غسل رجله اليمنى حتى شرع في الساق ثم غسل رجله
اليسرى حتى شرع في الساق ثم قال هكذا رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوضا
وقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انتم الغر المحجلون يوم القيامة من اسباغ الوضو
فمن استطاع منكم فليطل غرته وتحجيله وفي رواية لمسلم قال سمعت خليلي صلى الله عليه وسلم
يقول تبلغ الحلية من المومن حيث يبلغ الوضو عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال من توضا على طهر كتب له عشر حسنات اخرجه الترمذي عن ابي هريرة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا صلاة لمن لا وضو له ولا وضو لمن لم يذكر اسم الله عليه اخرجه
ابو داود وابن ماجة وقوله تعالى وان كنتم جنبا فاطهروا اي فاغتسلوا امر الله بالاغتسال
من الجنابة وذلك يجب على الرجل والمراة باحد شيين اما بخروج المني على اي صفة
كان من احتلام او غيره او بالتقا الختانين وان لم يكن معه انزال فاذا حصل احدهما وجب
الغسل ق عن عايشة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا اغتسل من الجنابة
بدا فغسل يديه ثم يفرغ بيمينه على شماله فيغسل فرجه ثم يتوضا كما يتوضا للصلاة
ثم يدخل اصابعه في الما فيخلل بها اصول شعره ثم يصب الما على راسه ثلاث
غرفات بيده ثم يفيض الما على ساير جسده اما قوله وان كنتم مرضى او على سفر
او جا احد منكم من الغايط الى قوله او لامستم النسا فلم تجدوا ما فتيمموا صعيدا طيبا
فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه فقد تقدم تفسيره واحكامه في تفسير سورة النسا
وفي قوله تعالى منه دليل على انه يجب مسح الوجه واليدين بالصعيد وهو التراب
وقوله تعالى ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج يعني من ضيق فرض عليكم من الوضو
والغسل والتيمم عند عدم الما ولكن يريد ليطهركم يعني من الاحداث والذنوب
والخطايا لان الوضو تكفير للذنوب وليتم نعمته عليكم يعني ببيان الشرايع و

والاحكام وما نحتاج اليه من امر دينكم لعلكم تشكرون يعني تشكرون نعمة عليكم بان
طهركم من الاحداث والذنوب وما جعل عليكم في الدين من حرج قوله تعالى واذكروا
نعمة الله عليكم يعني ما انعم به عليكم من النعم كلها لان كثرة النعم وذكرها يوجب مزيد
الشكر من المنعم عليه والاشتغال بطاعة المنعم بها والانقياد لامره وهو الله تعالى و
ميثاقه الذي واثقكم به يعني واذكروا عهده الذي عاهدكم به ايها المومنون اذ قلتم
سمعنا واطعنا وذلك حين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة فيما
احبوا وكرهوا وقيل الميثاق هو الذي اخذه عليهم في يوم الست بربكم قالوا بلى
واتقوا الله يعني فيما اخذه عليكم من الميثاق فلا تنقضوه ان الله عليم بذات الصدور
يعني انه تعالى عالم بما في قلوب عباده من خير او شر قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا كونوا
قوامين لله قال ابن عباس يريد انهم يقومون لله بحقه ومعنى ذلك هو ان يقوم لله
بالحق في كل ما يلزمه القيام به من العمل بطاعته واجتناب نواهيه شهدا بالقسط يعني
وتشهدون بالعدل يقول لا تحاب في شهادتك اهل ودك وقرابتك ولا تمنع
شهادتك اهل بغضك واعدايك بل اقم شهادتك لهم وعليهم بالصدق والعدل
ولا يجرمنكم شنان قوم ولا يحملنكم بغض قوم على ان لا تعدلوا على ترك العدل فيهم
لعداوتهم اعدلوا امر الله بالعدل في كل احد القريب والبعيد والصديق والعدو
هو اقرب للتقوى واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون يعني انه تعالى خبير بجميع اعمالكم
ومطلع عليها وخبير بمن عدل ومن لم يعدل قوله تعالى وعد الله الذين امنوا وعملوا
الصالحات يعني عملوا بما امرهم الله ووفوا بالعهود الذي عاهدهم عليها لهم مغفرة
واجر عظيم هذا بيان للوعد كانه لما تقدم ذكر الوعد فقيل اي شي هذا الوعد فقال
لهم مغفرة واجر عظيم واذا وعدهم انجز لهم الوعد فانه تعالى لا يخلف الميعاد
والذين كفروا وكذبوا باياتنا يعني والذين جحدوا وحدانية الله ونقضوا عهوده
ومواثيقه وكذبوا بما جات به الرسل من عنده اولئك يعني من هذه صفته اصحاب
الجحيم يعني هذه الاية نص قاطع في ان الخلود في النار ليس الا للكفار لان الصاحب
يقتضي الملازمة كما يقال فلان صاحب فلان يعني الملازم له قوله عز وجل يا ايها
الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم يعني اذكروا نعمة الله عليكم بالدفع عنكم مع
ساير نعمه التي انعم بها عليكم ثم وصف تلك النعمة التي ذكرهم بها وامرهم بالشكر عليها
فقال تعالى اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم يعني بالقتل والبطش بكم فصرفهم عنكم
وحال بينكم وبين ما ارادوه بكم ثم اختلف اهل التفسير في سبب نزول هذه الاية
وفي صفة هذه النعمة التي امر الله تعالى اصحاب نبيه صلى الله عليه وسلم بذكرها
والشكر عليها وقال قتادة نزلت هذه الاية ورسول الله صلى الله عليه وسلم ببطن نخلة
حين اراد بنو ثعلبة وبنو محارب ان يفتكوا برسول الله صلى الله عليه وسلم

وباصحابه اذ اشتغلوا بالصلاة فاطلع الله نبيه صلى الله عليه وسلم على ذلك وانزل صلاة الخوف وقال حسن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم محاصرا غطفان بنخل رجل من المشركين هل لكم ان اقتل محمدا قالوا وكيف تقتله قال افتك به قالوا وددنا انك فعلت ذلك فاتى النبي صلى الله عليه وسلم والنبي صلى الله عليه وسلم متقلد سيفه فقال يا محمد ارني سيفك فاعطاه اياه فجعل الرجل يهز السيف وينظر اليه مرة والى النبي صلى الله عليه وسلم مرة ثم قال من يمنعك مني يا محمد قال الله فتهدده اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاغمد السيف ومضى فانزل الله هذه الاية وقال مجاهد وعكرمة والكلبي بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم المنذر بن عمرو الساعدي وهو احد النقبا ليلة العقبة في ثلاثين راكبا من المهاجرين والانصار الى بني عامر بن صعصعة فخرجوا فلقوا عامر بن الطفيل على بير معونة وهي من مياه بني عامر فاقتتلوا فقتل المنذر واصحابه الا ثلاثة نفر كانوا في طلب ضالة لهم احدهم عمرو بن امية الضمري فلم يرعهم الا والطير يحوم في السما يسقط من بين مناقيرها علق الدم فقال احد النفر الثلاثة قتل اصحابنا ثم تولى يشتد حتى لقي رجلا من المشركين فاختلفا ضربتين فلما خالطته الضربة رفع راسه الى السما وفتح عينيه فقال الله اكبر الجنة ورب العالمين ورجع صاحباه فلقيا رجلين من بني سليم وكان بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين قومهما موادعة فانتسبا لبني عامر فقتلاهما وقدم قومهما الى النبي صلى الله عليه وسلم يطلبون الدية فخرج النبي صلى الله عليه وسلم ومعه ابو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة وعبد الرحمن بن عوف حتى دخلوا على كعب بن الاشرف وبني النضير يستعينهم في عقلهما وكانوا قد عاهدوا النبي صلى الله عليه وسلم على ترك القتال وعلى ان يعينوه في الديات وقيل اراد ان يستقرض منهم دية رجلين فقالوا نعم يا ابا القاسم قد ان لك ان تاتينا وتسئلنا حاجة اجلس حتى نطعمك ونعطيك الذي سالت فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه فخلا بعض اليهود ببعض وقالوا انكم لن تجدوا محمدا اقرب منه الان فمن يظهر منكم على هذا البيت فيطرح عليه صخرة فيريحنا منه فقال عمرو بن جحاش انا فجاء الى رحا عظيمة ليطرحها على النبي صلى الله عليه وسلم فامسك الله يده ونزل جبريل فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم فخرج صلى الله عليه وسلم راجعا الى المدينة قال وخرج معه علي بن ابي طالب فقال النبي صلى الله عليه وسلم لعلي لا تبرح مكانك حتى يخرج اليك اصحابي فمن خرج اليك منهم فسالك عني فقل توجه الى المدينة ففعل ذلك علي حتى تناهوا اليه ثم تبعوه الى المدينة وانزل الله هذه الاية يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم يعني اليهود ان يبسطوا اليكم ايديهم يقال بسط يده اليه اذا بطش به وهو اذا مدها الى المبطوش به ليقتله فكف ايديهم عنكم يعني انه تعالى منعهم مما ارادوه بكم واتقوا الله يعني فيما امركم به ونهاكم عنه وعلى الله فليتوكل المؤمنون امر الله المؤمنين

بالتوكل

بالتوكل عليه لانه الكافي في عباده جميع امورهم فاذا فعلوا ذلك وتوكلوا عليه حفظهم ورعاهم ممن ارادهم بسوء كما كف ايدي اليهود عنهم لما ارادوا ان يقتلوهم وهذه القصة اولى بالصواب لانه عقب الاية بذم اليهود وذكر قبيح افعالهم وخيانتهم وذلك قوله تعالى ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل لما ذكر الله في الاية المتقدمة بعض غدرات اليهود وما ارادوا به من كيد رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه تبعه بذكر اسلافهم وما نقضوه من المواثيق والعهود ومعنى ان الله اخذ ميثاقهم ان يعبدوه ولا يشركوا به شيا وان يعملوا بما في التوراة من الاحكام والتكاليف وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا اختلف العلما في معنى النقيب فقال ابن عباس النقيب الضمين وقال قتادة هو الشهيد على قومه وقيل هو الامين الكفيل وقيل هو الباحث عن القوم وعن احوالهم ذكر القصة في ذلك قال اصحاب الاخبار والسير ان الله عز وجل وعد موسى عليه السلام ان يورثه وقومه الارض المقدسة وكان يسكنها الكنعانيون الجبارون فامر الله موسى ان يسير ببني اسرائيل الى الارض المقدسة فاني قد كتبتها لكم دارا وقرارا فاخرج اليها وجاهد من فيها من العدو فاني ناصرك عليهم وخذ من قومك اثني عشر نقيبا من كل سبط نقيبا يكون كفيلا على قومه بالوفا منهم على ما امروا به فاختار موسى النقبا وسار ببني اسرائيل حتى قربوا من اريحا وهي مدينة الجبارين فبعث هولا النقبا يتجسسون له الاخبار ويعلمون علمها فلقيهم رجل من الجبارين يقال عوج بن عنق وعناق هي امه وهي احدى بنات ادم عليه السلام وكان طوله ثلاثة الاف ذراع وثلث ذراع هكذا نقله البغوي وفيه نظر لان ادم عليه السلام كان طوله على ما ورد في الاحاديث الصحيحة ستين ذراعا قال وكان عوج يحتجز بالسحاب ويشرب من مائه ويتناول الحوت من قعر البحر ويشويه في عين الشمس ويروى ان الما لما طغى على الارض من جبل وعنزه ما بلغ ركبتي عوج وقال لنوح عليه السلام احملني معك في سفينتك فقال له نوح عليه السلام اخرج عني يا عدو الله فاني لم اومر بك وعاش عوج ثلاثة الاف سنة حتى اهلكه الله على يد موسى عليه السلام وذلك انه قد اقتلع صخرة من الجبل على قدر عسكر موسى وكان فرسخا في فرسخ وحملها على راسه ليطبقها عليهم فبعث الله الهدهد فنقب الصخرة ونقرها بمنقاره فوقعت في عنقه فصرعته واقبل موسى عليه السلام عليه وهو مصروع فقتله فلما لقي عوج النقبا اخذهم وجعلهم في حجزته وكان على راسه حزمة حطب وانطلق بهم الى امراته وقال لها انظري الى هولا الذين يريدون قتالنا وطرحهم بين يديها وقال الا اطحنهم برجلي فقالت امراته بل خل عنهم حتى يخبروا قومهم بما راوا وقيل انه جعلهم في كمه واتى بهم الى الملك فنثرهم

بين يديه وقال لهم الملك ارجعوا الى قومكم فاخبروهم بما رايتم وكان ثمارا وان
العنقود من العنب لا يحمله الا خمسة انفس منهم بينهم في خشبة ويدخل في شطر
الرمانة اذا نزع منها حبها خمسة انفس فرجع النقبا وقال بعضهم لبعض يا قوم انكم
ان اخبرتم بني اسرايل خبر القوم رجعوا عن نبي الله موسى ولا يقاتلونهم معه اكتموا عن
بني اسرايل خبر القوم واخبروا موسى وهارون بما رايتم فيريان رايهما فاخذ بعض النقبا
على بعض الميثاق بذلك فلما رجعوا الى بني اسرايل نكثوا العهد والميثاق واخبر كل رجل
سبطه بما راى الا رجلان منهم وهم يوشع بن نون وكالب بن يوقنا فانهما وفيا بالعهد ولم
ينكثا الميثاق فذلك قوله تعالى ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرايل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا
وقال الله اني معكم فيه حذف تقديره وقال للنقبا اني معكم يعني بالنصر والمعونة وقيل هو
خطاب لعامة بني اسرايل والقول الاول اولى لان الضمير يعود الى اقرب مذكور فكان
عوده الى النقبا اولى ثم ابتدا الكلام فكان مخاطبا لبني اسرايل لئن اقمتم الصلاة وهذه
جملة شرطية فالشرط مركب من خمسة امور وهي قوله تعالى لئن اقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة
وآمنتم برسلي وعزرتموهم واقرضتم الله قرضا حسنا وجزا الشرط قوله لاكفرن عنكم سياتكم
فذلك اشارة الى ازالة العقاب فقوله تعالى ولادخلنكم جنات تجري من تحتها الانهار
اشارة الى ايصال الثواب ومعنى الاية لئن اقمتم الصلاة المكتوبة وآتيتم الزكاة المفروضة
وآمنتم برسلي يعني بجميع رسلي وانما اخر ذكر الايمان بالرسل لان اليهود كانوا مقرين
باقامة الصلاة وايتا الزكاة والايمان ببعض الرسل فقال الله لهم انه لا ينفعكم ذلك
ولا يحصل المقصود الا بالايمان بجميع الرسل وقوله تعالى وعزرتموهم يعني ونصرتموهم و
اصل التعزير في اللغة الردع فمعنى وعزرتموهم نصرتموهم بان تردوا اعداهم عنهم وقيل
معناه ووقرتموهم وعظمتموهم والقول هو الاول واقرضتم الله قرضا حسنا يعني به الصدقات
المندوبة لان الزكاة تقدم ذكرها فلا فايدة في تفسير هذا القرض بالزكاة فان قلت
كيف قال واقرضتم الله قرضا حسنا ولم يقل اقراضا حسنا لان مصدر اقرضتم الاقراض
قلت ان قوله قرضا اخرج مصدرا من معناه لا من لفظه وذلك ان اقرض بمعنى قرض
فكان معنى الكلام واقرضتم الله فقرضتم قرضا حسنا ونظير ذلك قوله تعالى والله انبتكم
من الارض نباتا اذ كان معناه فنبتم نباتا وقوله تعالى لاكفرن عنكم سياتكم يعني اذا
فعلتم سابر ما امرتكم به لامحون عنكم سياتكم واغفرها لكم ولادخلنكم جنات تجري من
تحتها الانهار فمن كفر بعد ذلك منكم يعني بعد اخذ العهد والميثاق فقد ضل سوا السبيل
يعني فقد اخطا الطريق المستقيم وهو طريق الدين الذي شرعه والهدى الذي امرنا
باتباعه قوله تعالى فبما نقضهم ميثاقهم اي فبسبب نقضهم الميثاق وذلك ان بني
اسرايل نقضوا ميثاق الله وعهده بان كذبوا الرسل الذين جاوا من بعد موسى وقتلوا
انبيا الله ونبذوا كتابه وضيعوا فرايضه لعناهم يعني جازيناهم على ذلك بان

ابعدناهم وطردناهم عن رحمتنا واصل اللعنة الابعاد عن الرحمة وجعلنا
قلوبهم قاسية يعني غليظة يابسة لا تلين لان القسوة خلاف اللين والرقة
وقيل معناه ان قلوبهم ليست خالصة الايمان بل ايمانهم مشوب بالكفر
والنفاق يحرفون الكلم عن مواضعه يعني يغيرون حدود التوراة واحكامها
وقيل هو تبديلهم صفة محمد صلى الله عليه وسلم ونعته في التوراة وقيل هو
تحريفهم معاني الالفاظ بسوء التاويل ونسوا حظا مما ذكروا به يعني وتركوا
نصيب انفسهم مما امروا به من الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وبيان نعته
وصفته ولا تزال تطلع على خاينة منهم قال ابن عباس يعني على معصية منهم
وكانت خيانتهم نقض العهد ومظاهرتهم المشركين على حرب رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهمهم بقتله وسمه ونحو من خياناتهم التي ظهرت الا
قليلا منهم يعني منهم لم يخونوا ولم ينقضوا العهد وهم عبد الله بن سلام واصحابه
الذين اسلموا من اهل الكتاب فاعف عنهم واصفح اي فاعف عن زلاتهم
يا محمد واصفح عن جرمهم وعن مواخذتهم وهذا الامر بالعفو والصفح عن اهل
الكتاب منسوخ بقوله قاتلوا الذين لا يومنون بالله ولا باليوم الاخر الاية التي
في سورة براة قاله قتادة وقيل انها غير منسوخة بل نزلت في قوم كان بينهم وبين النبي صلى الله
عليه وسلم عهد فغدروا ونقضوا ذلك العهد فاظهر الله تعالى نبيه على ذلك وانزل هذه الاية
ولم تنسخ وذلك انه يجوز ان يعفوا عن غدرة فعلوها ما لم ينصبوا حربا ولم يمتنعوا من ادا
الجزية والصغار وعلى هذا القول بانها غير منسوخة يكون معنى الاية فاعف عن جرمهم
ولا تواخذهم بما سلف منهم قبل ذلك وقيل معناه فاعف عن صغاير زلاتهم
ما داموا باقين على العهد ان الله يحب المحسنين قوله عز وجل ومن الذين قالوا
انا نصارى اخذنا ميثاقهم لما ذكر الله نقض اليهود والميثاق اتبعه بذكر نقض
النصارى الميثاق وان سبيل النصارى مثل سبيل اليهود في نقض الميثاق وانما قال
تعالى ومن الذين قالوا انا نصارى ولم يقل ومن النصارى لانهم الذين ابتدعوا هذا
الاسم وسموا به انفسهم لا ان الله تعالى سماهم به اخذنا ميثاقهم يعني كتبنا عليهم في الانجيل
ان يومنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم فنسوا حظا مما ذكروا به يعني فتركوا ما امروا به من الايمان
بمحمد صلى الله عليه وسلم فاغرينا يعني اوقعنا بينهم العداوة والبغضا الى يوم القيامة
قال قتادة لما تركوا العمل بكتاب الله وعصوا رسله وضيعوا فرايضه وعطلوا حدوده
القى العداوة والبغضا بينهم وقيل العداوة والبغضا هي الاهوا المختلفة فالهاء والميم
في قوله تعالى بينهم قولان احدهما ان المراد بهم اليهود والنصارى فان العداوة والبغضا
بينهم حاصلة الى يوم القيامة والقول الثاني ان المراد بهم فرق النصارى فان كل فرقة
تكفر بالاخرى وسوف ينبيهم الله بما كانوا يصنعون يعني انه تعالى يجزيهم في الاخرة

باعمالهم التي عملوها في الدنيا ففيه وعيد وتهديد قوله تعالى يا اهل الكتاب يعني اليهود
والنصارى قد جاءكم رسولنا يعني محمدا صلى الله عليه وسلم يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون
من الكتاب يعني ان محمدا صلى الله عليه وسلم يبين كثيرا مما خفوا وكتموا من احكام
التوراة والانجيل وذلك انهم خفوا اية الرجم وصفة محمد صلى الله عليه وسلم وغير
ذلك ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بين ذلك واظهر وهذا معجزة للنبي صلى
الله عليه وسلم لانه لم يقرا كتابهم ولم يعلم ما فيه فكان اظهاره ذلك معجزة له ويعفوا
عن كثير يعني مما يكتمونه فلا يتعرض له ولا يواخذهم به لانه لا حاجة الى اظهاره
والفايدة في ذكر ذلك انهم يعلمون كون النبي صلى الله عليه وسلم عالما بما يخفونه
وهو معجزة له ايضا فيكون ذلك داعيا لهم الى الايمان به قد جاءكم من الله نور يعني
محمدا صلى الله عليه وسلم انما سماه الله نورا لانه كما يهتدى به يهتدى بالنور في الظلام
وقيل النور هو الاسلام وكتاب مبين يعني القران يهدي به الله يعني بالكتاب المبين من
اتبع رضوانه اي اتبع ما رضيه الله وهو دين الاسلام لانه مدحه واثنى عليه سبل
السلام قال ابن عباس يريد دين الله وهو الاسلام وسبيله دينه الذي شرع لعباده
وبعث به رسله وامر عباده باتباعه وقيل سبل السلام طرق السلامة وقيل سبل السلام
دار السلام فيكون من باب حذف المضاف ويخرجهم من الظلمات الى النور يعني
من ظلمات الكفر الى نور الايمان باذنه يعني بتوفيقه وهدايته ويهديهم الى صراط
مستقيم يعني دين الاسلام قوله عز وجل لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن
مريم قال ابن عباس هولاء نصارى نجران فانهم قالوا هذه المقالة وهو مذهب
اليعقوبية والملكانية من النصارى انهم يقولون في المسيح انه الله تعالى عما يقولون
علوا كبيرا وانما قالوا هذه المقالة الخبيثة لانهم يقولون بالحلول وان الله قد حل
في بدن عيسى فلما كان اعتقادهم ذلك لا جرم حكم الله عليهم بالكفر ثم ذكر الله
ما يدل على فساد مذهبهم فقال تعالى قل يعني يا محمد لهولاء النصارى الذين يقولون
هذه المقالة فمن يملك لكم يعني يقدر ان يدفع من الله شيئا يعني من امر الله شيئا
ان اراد ان يهلك المسيح بن مريم وامه يعني يعدم المسيح وامه ومن في الارض جميعا
ووجه الاحتجاج على النصارى بهذا ان المسيح لو كان الها كما يقولون لقدر على
دفع امر الله اذا اراد اهلاكه واهلاك امه وعجز عنها ولله ملك السموات والارض
وما بينهما انما قال وما بينهما ولم يقل وما بينهن لانه اراد وما بين هذين النوعين
او الصنفين من الاشياء فانه مالكه واهلها عبيده وعيسى وامه من جملة عبيده
يخلق ما يشاء يعني من غير اعتراض عليه فيما يخلق لانه خلق ادم وخلق عيسى من ام
بلا اب وخلق ساير الحيوانات من اب وام والله على كل شيء قدير يعني انه تعالى
لا يعجزه شيء اراده فلا اعتراض لاحد من خلقه عليه قوله تعالى وقالت اليهود

والنصارى

والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه قال ابن عباس اتى رسول الله صلى الله عليه
وسلم نعمان بن اضاء وبحري بن عمرو وشاس بن عدي فكلموه وكلمهم رسول الله صلى
الله عليه وسلم ودعاهم الى الله وحذرهم نقمته فقالوا ما تخوفنا نحن والله ابناء الله و
احباؤه كقول النصارى فانزل الله فيهم وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه
الاية وسبب هذه المقالة ما حكاه السدي قال اما اليهود فانهم قالوا ان الله اوحى
الى بني اسرائيل ان ولدك بكري من الولد فادخلهم النار فيكثون فيها اربعين يوما حتى
تطهرهم وتاكل خطاياهم ثم ينادي مناد ان اخرجوا كل مختون من ولد اسرائيل فاخرجهم
فذلك قوله لن تمسنا النار الا اياما معدودات واما النصارى فان فريقا منهم قال
المسيح ابن الله وكذبوا فيما قالوا على الله تعالى فاما وجه قول اليهود فانهم يعنون انه
من جذبه وعطفه عليهم كالاب الشفيق على الولد واما وجه قول النصارى فانهم لما
قالوا في المسيح انه ابن الله وادعوا انه منهم فكانهم قالوا نحن ابناء الله بهذا السبب وقيل
ان اليهود انما قالوا هذه المقالة من باب حذف المضاف والمعنى نحن ابناء رسول الله
واما النصارى فانهم تاولوا قول المسيح اذهب الى ابي وابيكم وقوله اذا صليتم فقولوا يا ابانا
الذي في السماء تقدس اسمك فذهبوا الى ظاهر هذه المقالة ولم يعلموا ما اراد المسيح
عليه السلام ان صحت هذه المقالة عنه فان تاويلها انه في بره ورحمته وعطفه على
عباده الصالحين كالاب الرحيم لولده وجملة الكلام في ذلك ان اليهود والنصارى كانوا
يرون لانفسهم فضلا على من سواهم بسبب اسلافهم الافاضل حتى انتهوا في تعظيم انفسهم
الى ان قالوا هذه المقالة نحن ابناء الله واحباؤه فابطل الله عز وجل دعواهم وكذبهم
فيما قالوا بقوله تعالى قل فلم يعذبكم بذنوبكم معناه ان كان الامر على ما تزعمون فلم يعذبكم الله
وانتم قد اقررتم على انفسكم انه يعذبكم اربعين يوما وهل رايتم والدا يعذب ولده بالنار
هل يطيب نفس محب ان يعذب حبيبه في النار بل انتم بشر ممن خلق يعني بل انتم يا معشر
اليهود والنصارى كساير بني ادم مجزيون بالاساءة والاحسان وقوله تعالى يغفر لمن يشاء يعني
من تاب من اليهودية والنصرانية ويعذب من يشاء يعني من مات على اليهودية او النصرانية
وقيل معناه يهدي من يشاء فيغفر له ويميت من يشاء على كفره فيعذبه ولله ملك السموات والارض
وما بينهما يعني انه تعالى يملك ذلك المغفرة لمن يشاء والتعذيب لمن يشاء وفيه دليل على انه
تعالى لا ولد له لان من يملك السموات والارض يستحيل ان يكون له فيه من خلقه او شريك
في ملكه واليه المصير يعني والى الله يرجع العباد في الاخرة فيجازيهم باعمالهم قوله تعالى يا اهل
الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل قال ابن عباس قال معاذ بن جبل
وسعد بن عبادة وعقبة بن وهب لليهود يا معشر اليهود اتقوا الله فوالله انكم
لتعلمون انه رسول الله لقد كنتم تذكرونه لنا قبل مبعثه وتصفونه لنا بصفته فقال
رافع بن حريملة ووهب بن يهودا ما قلنا هذا لكم وما انزل الله من كتاب بعد موسى

ولا رسل بشيرا ولا نذيرا بعده فانزل الله هذه الاية يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يعني محمدا صلى الله عليه وسلم يبين لكم يعني احكام الدين والشرايع على فترة من الرسل قال ابن عباس يعني على انقطاع من الرسل واختلف العلماء في قدر مدة الفترة فروي عن سلمان قال فترة ما بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم ستماية سنة اخرجه البخاري وما شاء الله من ذلك وعنه انها خمسماية سنة وستون سنة وقال ابن السايب خمسماية واربعون سنة وقال الضحاك اربعماية وبضع وثلاثون سنة ونقل ابن الجوزي عن ابن عباس على فترة من الرسل قال على انقطاع منهم قال وكان بين ميلاد عيسى ومولود محمد صلى الله عليه وسلم خمسماية سنة وتسعة وستون سنة وهي الفترة وكان بين عيسى ومحمد بعد عيسى اربعة من الرسل فذلك قوله عز وجل اذ ارسلنا اليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث قال والرابع لا ادري من هو فكان تلك سنين مائة واربع وثلاثون سنة نبوة وسايرها فترة وقال ابو سليمان الدمشقي والرابع والله اعلم خالد بن سنان الذي قال عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم نبي ضيعه قومه قال الامام فخر الدين الرازي والفايدة في بعثة محمد صلى الله عليه وسلم عند فترة الرسل هي ان التغيير والتحريف كان قد تطرق الى الشرايع المتقدمة لتقادم عهدها وطول ازمانها وسبب ذلك اختلاط الحق بالباطل والكذب بالصدق فصار ذلك عذرا ظاهرا في اعراض الخلق عن العبادات لان لهم ان يقولوا الهنا عرفنا انه لا بد من عبادتك ولكنا ما عرفنا كيف نعبدك فبعث الله عز وجل في هذا الوقت محمدا صلى الله عليه وسلم لازالة هذا العذر وذلك قوله عز وجل ان تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير يعني لئلا تقولوا وقيل معناه كراهية ان تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير في هذا الوقت فقد جاءكم بشير ونذير يعني فقد ارسلت اليكم محمدا صلى الله عليه وسلم لازالة هذا العذر والله على كل شي قدير يعني انه تعالى قادر على بعثة الرسل في وقت الحاجة اليهم قوله عز وجل واذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم قال ابن عباس اذكروا عافية الله وقيل معناه اذكروا ايادي الله عندكم وايامه التي انعم فيها عليكم قال الطبري وهذا تعريف من الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قديم وهو تمادي هولاء اليهود في الغي وبعدهم عن الحق وسوء اختيارهم لانفسهم وشدة مخالفتهم لانبيائهم مع كثرة نعم الله عليهم وتتابع اياديه والائه لديهم ومسليا نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم عما نزل به من مقاساتهم ومعالجتهم في ذات الله عز وجل اذ جعل فيكم انبياء يعني ان موسى عليه السلام ذكر قومه بني اسرائيل بايام الله عندهم وبما انعم به عليهم فقال اذكروا نعمة الله عليكم اذ فضلكم بان جعل فيكم انبياء قال الكلبي هم السبعون الذين اختارهم موسى من قومه وانطلق بهم الى الجبل وايضا فان بني اسرائيل هم من اولاد يعقوب بن اسحاق بن

ابراهيم عليهم السلام وهولاء لا شك انهم من اكابر الانبياء واولاد يعقوب وهم الاسباط انبياء على قول الاكثرين وموسى وهارون عليهما السلام وايضا فان الله تعالى اعلم موسى انه يبعث من بعده في بني اسرائيل الانبياء فكان هذا شرفا عظيما لهم ونعمة ظاهرة عليهم وجعلكم ملوكا يعني وجعلكم احرارا تملكون انفسكم بعد ان كنتم عبيدا في ايدي القبط قال ابن عباس يعني جعلكم اصحاب خدم وحشم قال قتادة كانوا اول من ملك الخدم ولم يكن لمن قبلهم خدم وروي عن ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كانوا بني اسرائيل اذا كان لاحدهم خادم وامراة ودابة يكتب ملكا ذكره البغوي بغير سند وسال رجل عبد الله بن عمرو بن العاص فقال الناس من فقراء المهاجرين فقال له عبد الله الك امراة تاوي اليها قال نعم قال الك مسكن تسكنه قال نعم قال فانت من الاغنياء قال فان لي خادما قال فانت من الملوك وقال الضحاك كانت منازلهم واسعة فيها مياه جارية ومن كان مسكنه واسعا وفيه ماء جار فهو ملك واتاكم ما لم يؤت احدا من العالمين يعني من عالمي زمانكم يذكرهم ما انعم الله به عليهم من فلق البحر لهم واهلاك عدوهم وانزال المن والسلوى عليهم واخراج الماء من الحجر لهم وتظليل الغمام فوقهم الى غير ذلك من النعم التي انعم الله بها عليهم قوله تعالى يا قوم ادخلوا الارض المقدسة التي كتب الله لكم لما ذكر الله موسى قومه ما انعم الله عليهم امرهم بالخروج الى جهاد عدوهم فقال يا قوم ادخلوا الارض المقدسة يعني المطهرة وسميت مقدسة لانها طهرت من الشرك وصارت مسكنا للانبياء والمومنين وقيل المقدسة المباركة قال الكلبي صعد ابراهيم عليه السلام جبل لبنان فقيل له انظر فما ادرك بصرك فهو مقدس وهو ميراث لذريتك والارض هي الطور وما حوله وقيل هي اريحا وفلسطين وبعض الاردن وقيل هي دمشق وقيل هي الشام كلها قال كعب الاحبار وجدت في كتاب الله المنزل ان الشام كنز الله من ارضه وبها اكثر عباده التي كتب الله لكم يعني كتب الله لكم في اللوح المحفوظ انها لكم مساكن وقيل فرض الله عليكم دخولها وامركم بسكناها وقيل وهبها لكم فان قلت كيف قال الله تعالى ادخلوا الارض المقدسة التي كتب الله لكم وقوله فانها محرمة عليهم وكيف الجمع بينهما قلت فيه وجوه احدها انها كانت هبة من الله ثم حرمها الله عليهم بشوم تمردهم وعصيانهم الوجه الثاني ان اللفظ وان كان عاما لكن المراد منه الخصوص فصار كانه مكتوب لبعضهم وحرام على بعضهم فان يوشع بن نون وكالب بن يوفنا دخلاها وكانا ممن خوطب من اليهود الوجه الثالث ان هذا الوعد كان مشروطا بالطاعة فلما لم يوجد الشرط لم يوجد المشروط الوجه الرابع انه قال محرمة عليهم اربعين سنة فلما مضت الاربعون دخلوها وصارت مساكن لهم كما وعدهم الله تعالى ولا ترتدوا على ادباركم يعني ولا ترجعوا القهقرى مرتدين على اعقابكم الى ورائكم ولكن امضوا الى امر الله الذي امركم به فان فعلتم خلاف ما امركم الله به فتنقلبوا خاسرين يعني فترجعوا خائبين لانكم رددتم امر الله قوله عز وجل قالوا يعني قوم موسى

يا موسى ان فيها يعني في الارض المقدسة قوما جبارين يعني قوما عاتين لا طاقة لنا
بهم ولا قوة لنا بقتالهم وسموا اولئك القوم جبارين لشدة بطشهم وعظم خلقهم
وكانوا ذوا اجسام عظيمة واشكال هائلة وكانوا من العمالقة بقية قوم عاد واصل الجبار
في صفة الانسان فعال من جبره على الامر يعني اجبره عليه وهو العاتي الذي يجبر الناس على
ما يريد وقيل انه ماخوذ من قولهم نخلة جبارة اذا كانت طويلة مرتفعة لا تصل الايدي
اليها ويقال رجل جبار اذا كان طويلا عظيما قويا تشبيها بالجبار من النخل وانا
لن ندخلها يعني ارض الجبارين التي امرهم الله بدخولها حتى يخرجوا منها فان يخرجوا
منها حتى يخرج الجبارون من الارض المقدسة وانما قالوا ذلك استبعادا لخروج الجبابرة
من ارضهم فانا داخلون يعني اليها قال العلماء بالاخبار ان النقباء لما خرجوا يتجسسون
الاخبار لموسى عليه السلام فلما رجعوا الى موسى عليه السلام واخبروه خبر القوم وما
عاينوه منهم قال لهم موسى عليه السلام لا تخبروا بني اسرائيل بهذا فيجبنوا او يضعفوا
عن قتالهم وقيل ان النقباء الاثني عشر لما خرجوا من ارض الجبارين قال بعضهم
لبعض لا تخبروا بني اسرائيل بما رايتم فلما رجعوا اخبروا موسى امرهم ان لا يخبروا بني
اسرائيل بذلك فما لقوا امره ونقضوا العهد واخبر كل رجل من النقباء سبطه بما راى
الا يوشع بن نون وكالب فانهما كتما ووفيا بالعهد فلما علم ذلك بنو اسرائيل
وفشا ذلك فيهم رفعوا اصواتهم بالبكاء وقالوا يا ليتنا متنا في ارض مصر ولا يدخلنا
الله ارضهم فتكون نساؤنا واولادنا واموالنا غنيمة لهم وجعل الرجل من بني اسرائيل
يقول لصاحبه تعالوا نجعل لنا راسا وننصرف الى مصر فلما قال بنو اسرائيل ذلك وهموا
بالانصراف الى مصر خر موسى وهارون ساجدين وخرق يوشع وكالب ثيابهما وهما
اللذان اخبر الله عنهما بقوله تعالى قال رجلان من الذين يخافون يعني يخافون الله
ويراقبونه انعم الله عليهما يعني بالهداية والوفاء بالعهد ادخلوا عليهم الباب
يعني قال الرجلان وهما يوشع بن نون وكالب بن يوفنا لبني اسرائيل ادخلوا
على الجبارين باب مدينتهم فاذا دخلتموه فانكم غالبون لان الله وعدكم بالنصر
وان الله منجز لكم وعده وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين يعني يقول الرجلان
لقوم موسى ثقوا بالله فانه معكم وناصركم ان كنتم مصدقين بان الله ناصركم
ولا يهولنكم عظم اجسامهم فان اجسامهم عظيمة وقلوبهم ضعيفة فلما قالا ذلك
اراد بنو اسرائيل ان يرجموهما بالحجارة وعصوا امرهما وقالوا ما اخبر عنهم بقوله تعالى قالوا
يا موسى انا لن ندخلها ابدا يعني قال قوم موسى لموسى انا لن ندخل مدينة الجبارين ابدا يعني
مدة حياتنا ما داموا فيها يعني مقيمين فيها فاذهب انت وربك فقاتلا انا ها هنا قاعدون
انما قالوا هذه المقالة لان مذهب اليهود التشبيه فكانوا يجوزون الذهاب والمجيء
على الله تعالى تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا قال بعض العلماء ان كانوا قالوا هذا على وجه

الذهاب من

الذهاب من مكان الى مكان فهو كفر وان كانوا قالوه على وجه الخلاف لامر الله وامر
نبيه موسى فهو فسق وقال بعضهم انما قالوه على وجه المجاز والمعنى اذهب انت وربك
معين لك لكن قوله فقاتلا يفسد هذا التاويل وقال بعضهم انما ارادوا بقولهم و
ربك اخاه هارون لانه كان اكبر من موسى والاصح انما قالوا ذلك جهلا منهم بالله
تعالى وما قدروا الله حق قدره خ عن ابن مسعود قال شهدت من المقداد بن الاسود
مشهدا لان اكون صاحبه احب الي مما عدل به اتى النبي صلى الله عليه وسلم وهو
يدعو على المشركين يوم بدر فقال يا رسول الله انا لا نقول كما قالت بنو اسرائيل
لموسى اذهب انت وربك فقاتلا انا ها هنا قاعدون ولكن امض ونحن معك
فكانه سري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي رواية لكنا نقاتل عن يمينك
وعن شمالك ومن بين يديك ومن خلفك فرايت رسول الله صلى الله عليه وسلم
اشرق وجهه وسره وقوله تعالى قال يعني قال موسى عليه السلام رب اي يا رب اني
لا املك الا نفسي واخي يعني انا لا املك الا نفسي واخي لا يملك الا نفسه وقيل معناه
لا املك الا نفسي ونفس اخي لانه كان يطيعه واذا كان كذلك فقد ملكه وانما قال
موسى لا املك الا نفسي واخي وان كان معه وفي طاعته يوشع بن نون وكالب بن
يوفنا لاختصاص هارون به ولمزيد الاعتناء باخيه ويحتمل ان يكون معناه واخي
في الدين ومن كان على دينه وطاعته فهو اخوه في الدين فعلى هذا الاحتمال يدخل
الرجلان في قوله واخي ثم قال فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين اي افصل وحل
احكم بيننا وبين القوم الفاسقين يعني الخارجين عن طاعتك وانما قال موسى
ذلك لما راى من بني اسرائيل وما فعلوه من مخالفة امر الله وهمهم بيوشع و
كالب غضب موسى لذلك ودعا عليهم فاجاب الله دعاء موسى عليه السلام
فقال عز وجل فانها محرمة عليهم يعني فان الارض المقدسة محرمة عليهم ومعناه ان تلك
البلدة محرمة عليهم ابدا ولم يرد تحريم تعبد وانما اراد تحريم منع فاوحى الله الى موسى بي حلفت
لاحرمن عليهم دخول الارض المقدسة غير عبدي يوشع وكالب ولاتيهنهم في هذه
البرية اربعين سنة مكان كل يوم من الايام التي كانوا يتجسسون فيها سنة ولالقين
جيفهم في هذه القفار واما ابناؤهم لم يعملوا الشر فيدخلونها فذلك قوله تعالى فانها
يعني الارض المقدسة محرمة عليهم قال اكثر اهل العلم هذا تحريم منع لا تحريم تعبد وقيل
وقيل يحتمل ان يكون تحريم تعبد فيجوز ان يكون الله تعالى امرهم بان يمكثوا في تلك
المفازة في الشدة والبلية عقابا لهم على سوء صنيعهم اربعين سنة ثم من قال ان الكلام
تم عند قوله فانها محرمة عليهم قال اربعين سنة يتيهون في الارض فاما المحرمة فانها مؤبدة
حتى يموتوا ويدخلها ابناؤهم وقيل معناه ان الارض المقدسة محرمة عليهم اربعين
سنة ثم يدخلونها وتفتح لهم وقوله تعالى يتيهون في الارض يعني يتحيرون فيها

يقال تاه يتيه اذا تحير واختلفوا في مقدار الارض التي تاهوا فيها فقيل مقدار ستة فراسخ وقيل
ست فراسخ في اثني عشر فرسخا وقيل تسع فراسخ في ثلاثين فرسخا وكان القوم ستمائة
الف مقاتل وكانوا يرحلون ويسيرون يومهم اجمع فاذا امسوا اذا هم في الموضع الذي
رحلوا منه وكان ذلك التيه عقوبة لبني اسرائيل ما خلا موسى وهارون ويوشع وكالب
فان الله سهله عليهم واعانهم عليه كما سهل على ابرهيم النار وجعلها بردا وسلاما
فان قلت كيف يعقل بقا هذا الجمع العظيم في هذا المقدار الصغير من الارض اربعين
سنة بحيث لم يخرج منهم احد قلت هذا من باب خوارق العادات وخوارق العادات
في زمن الانبيا غير مستبعد ان الله على كل شي قدير وقيل ان حصرنا ذلك التحريم
بتحريم التعبد زال ذلك الاشكال لان الله حرم عليهم الخروج من تلك الارض بل امر
بالمكث اربعين سنة في المشقة والمحنة جزاهم على سو صنيعهم ومخالفتهم امر الله
ولما حصل بنوا اسرائيل في التيه شكوا الى موسى عليه السلام حالهم فانزل الله عليهم
المن والسلوى واعطوا من الكسوة ما هي قائمة لهم فينشو الناشي منهم فتكون
معه على مقداره وهيئته وسال موسى ربه ان يسقيهم فاتى بحجر ابيض من جبل
الطور فكان اذا نزل ضربه بعصاه فيخرج منه اثني عشر عينا لكل سبط منهم عين
وارسل الله عليهم الغمام يظلهم في التيه ومات في التيه كل من دخله ممن جاوز عشرين
سنة غير يوشع بن نون وكالب بن يوفنا ولم يدخل اريحا ممن قال انا لن ندخلها
ابدا واختلفوا في ان موسى مات في التيه ام خرج منه فقيل ان موسى وهارون
ماتا في التيه جميعا قصة وفات موسى وهارون عليهما السلام فاما هارون فانه
كان اكبر من موسى بسنة قال السدي اوحى الله الى موسى اني متوفي هارون فات
به جبل كذا وكذا فانطلق موسى وهارون نحو ذلك الجبل فاذا شجرة لم ير مثلها واذا
بيت مبني وفيه سرير عليه فراش وفيه رائحة طيبة فلما راى هارون ذلك البيت
اعجبه وقال يا موسى اني احب ان انام على هذا السرير قال نم قال اني اخاف
ان ياتي رب هذا البيت فيغضب علي قال لا تخف انا اكفيك رب هذا البيت
فنم قال يا موسى فنم انت معي فان جا رب هذا البيت غضب علي وعليك جميعا
فلما ناما فاخذ هارون الموت فلما وجد مسه قال يا موسى خدعتني فلما قبض
هارون رفع البيت والسرير وهارون عليه وذهبت الشجرة فرجع موسى الى بني اسرائيل
وليس هارون معه فقال بنوا اسرائيل حسد موسى لهارون فقتله احبنا اياه
قال موسى ويحكم ان هارون كان اخي افتروني اقتله فلما اكثروا عليه قام موسى فصلى
ركعتين ثم دعا الله عز وجل فنزل السرير وعليه هارون فنظروا اليه وهو بين السما
والارض فصدقوه ثم رفع وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه صعد موسى
وهارون الجبل فمات هارون وبقي موسى فقالت بنوا اسرائيل انت قتلته واذوه

فامر الله

فامر الله الملائكة فحملوه حتى مروا به على بني اسرائيل وتكلمت الملائكة بموته فصدقت
بنوا اسرائيل انه مات وبرا الله موسى مما قالوا ثم ان الملائكة حملوه ودفنوه
فلم يطلع على موضع قبره احد الا الرخم فجعله الله اصم ابكم واما وفات موسى عليه
السلام فقال ابن اسحاق كان صفي الله موسى عليه السلام قد كره الموت واعظمه
فاراد الله ان يحبب اليه الموت فنبى يوشع بن نون فكان موسى يغدو ويروح
اليه ويقول له يا نبي الله ما احدث الله اليك فيقول له يوشع يا نبي الله الم اصحبك
كذا وكذا سنة فهل كنت اسال عن شي مما احدث الله اليك حتى تكون انت الذي تبتدي
به وتذكره لي ولا يذكر له شيا فلما راى موسى ذلك كره الحياة واحب الموت ق عن ابي
هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ارسل ملك الموت الى موسى فلما جاه صكه
ففقا عينه فرجع الى ربه فقال ارسلتني الى عبد لا يريد الموت فرد الله اليه عينه فقال
ارجع اليه فقل له يضع يده على متن ثور فله بكل ما غطت يده من شعره سنة قال
اي رب ثم ماذا قال الموت قال فالان فسال الله ان يدنيه من الارض المقدسة رمية
بحجر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فلو كنت ثم لاريتكم قبره الى جانب الطريق عند
الكثيب الاحمر وفي رواية لمسلم قال جا ملك الموت لموسى فقال اجب ربك قال فلطم
موسى عين ملك الموت ففقاها ثم ذكر معنى ما تقدم قال الشيخ محي الدين النواوي
قال المازري وقد انكر بعض الملاحدة هذا الحديث وانكر تصوره قالوا كيف يجوز على
موسى فقا عين ملك الموت واجاب العلما عنه باجوبة احدها انه لا يمتنع ان يكون
الله قد اذن لموسى في هذه اللطمة ويكون ذلك امتحانا للملطوم والله يفعل في خلقه
ما يشا ويمتحنهم بما اراد الثاني ان موسى لم يعلم انه ملك من عند الله وظن انه رجل قصده
يريد نفسه فدافعه عنها فادت المدافعة الى فقي عينه لا انه قصدها بالفقي قال الشيخ
وهذا جواب الامام ابي بكر بن خزيمة وغيره من المتقدمين واختاره المازري والقاضي
عياض قالوا وليس في الحديث تصريح بانه قصد فقا عينه فان قيل كيف اعترف
موسى حين جاءه ثانيا بانه ملك الموت فالجواب انه اتاه في المرة الثانية بعلامة علم
انه ملك الموت فاستسلم له بخلاف المرة الاولى والله اعلم واما سوال موسى الادنا من
الارض المقدسة فلشرفها وفضلها وفضل من بها من المدفونين من الانبيا وغيرهم
وفيه دليل على استحباب الموت في المواضع الفاضلة والمواطن المباركة والقرب من
من مدافن الصالحين قال بعض العلما وانما سال موسى الادنا ولم يسال نفس بيت
المقدس لانه خاف ان يكون قبره مشهورا عندهم فيفتتن به الناس والله اعلم قال
وهب بن منبه خرج موسى لبعض حاجته فمر برهط من الملائكة يحفرون قبرا لم ير شيا
قط احسن منه ولا مثل ما فيه من الخضرة والنضرة والبهجة فقال لهم يا ملائكة الله لمن تحفرون
هذا القبر فقالوا لعبد كريم على ربه فقال ان هذا العبد من الله بمنزلة ما رايت كاليوم

قط احسن منه فقالت الملايكة يا صفي الله تحب ان يكون لك قال وددت قالوا فانزل
واضطجع فيه وتوجه الى ربك فنزل واضطجع وتوجه الى ربه عز وجل ثم تنفس اسهل نفس
فقبض الله روحه ثم سوت الملايكة عليه التراب وقيل ان ملك الموت اتاه بتفاحة من
الجنة فشمها فقبض روحه وكان عمر موسى عليه السلام مايه سنة وعشرون سنة فلما مات
موسى عليه السلام وانقضت الاربعون سنة وبعث الله يوشع نبيا الى بني اسرايل واخبرهم ان
الله تعالى قد امره بقتال الجبارين فصدقوه وتابعوه فتوجه بني اسرايل الى اريحا وهي ارض
الجبارين ومعه تابوت الميثاق فاحاط بمدينته ان لها ستة اشهر فلما كان في السابع
فنفخوا في القرون وضج الشعب ضجة واحدة فسقط سور المدينة فدخلوها وقاتلوا الجبارين
وهزموهم وهجموا عليهم يقتلونهم فكانت العصابة من بني اسرايل يجتمعون على عنق
الرجل من الجبارين يضربونها حتى يقطعونها وكانت القتال والفتح يوم الجمعة فبقيت
منهم بقية وكادت الشمس ان تغرب وتدخل ليلة السبت فقال اللهم اردد علي الشمس
وقال للشمس انك في طاعة الله وانا في طاعة الله وسال الشمس ان تقف وسال
القمران يقف حتى ينتقم من اعدا الله قبل دخول السبت فرد الله عليه الشمس وزيد في النهار
حتى قتلهم اجمعين وتتبع ملوك الشام فاستباح منهم احدا وثلاثين ملكا حتى غلب على جميع
ارض الشام وصارت كلها لبني اسرايل وفرق عماله وجمع الغنايم فجاءت النار لتاكلها
فلم تطعمها فقال ان فيكم غلولا فليبايعني من كل قبيلة رجل ففعلوا فلصقت يد
رجل بيده فقال فيكم الغلول فجاوا براس ثور من ذهب مكلل باليا قوت والجوهر
قد غله رجل منهم فجعله في القربان وجعل الرجل معه فجاءت النار فاكلت الرجل والقربان
وفي الحديث الصحيح ما يدل على صحة هذا وهو ما روي عن ابي هريرة قال قال النبي صلى الله عليه
وسلم غزا نبي من الانبيا فقال لقومه لا يتبعني رجل ملك بضع امراة وهو يريد ان يبني
بها ولم يبن بها ولا احد بنى بيوتا ولم يرفع سقوفها ولا رجل اشترى غنما او خلفات
وهو ينتظر اولادها فغزا فدنا من القرية صلاة العصر او قريبا من ذلك فقال للشمس
انك مامورة وانا مامور اللهم احبسها علينا فحبست حتى فتح الله عليه فجمع الغنايم
فجاءت يعني النار لتاكلها فلم تطعمها فقال ان فيكم غلولا فليبايعني من كل قبيلة رجل
فلزقت يد رجل بيده فقال فيكم الغلول فجاوا براس مثل راس بقرة من الذهب
فوضعها فجاءت النار فاكلتها زاد في رواية فلم تحل الغنايم لاحد قبلنا ثم احل الله
لنا الغنايم لما راى ضعفنا وعجزنا فاحلها لنا اخرجه البخاري ومسلم شرح غريب هذا
الحديث قال لا يتبعني رجل ملك بضع امراة البضع بضم البا كناية عن فرج المراة
ولم يبن بها اي لم يدخل بها والخلفات النوق الحوامل وقوله للشمس انك مامورة
وانا مامور اللهم احبسها علي قال الشيخ محي الدين قال القاضي عياض اختلف الناس
في حبس الشمس المذكور هنا فقيل ردت الى ورايها وقيل وقفت ولم ترد

وقيل يطي

وقيل بطي حركتها وكل ذلك من معجزات النبوة قال ويقال ان الذي حبست عليه
الشمس يوشع بن نون قال القاضي وقد روي ان نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم
حبست له الشمس مرتين احدهما يوم الخندق حين شغلوا عن صلاة العصر حتى
غربت الشمس فردها الله عليه حتى صلى العصر وذكر ذلك الطحاوي وقال رواته
ثقات والثانية صبيحة ليلة الاسرا حين انتظر العير اخبر بوصولها مع شروق الشمس
ذكره يونس بن بكير في زيادته على سيرة ابن اسحاق قال وهب ثم مات يوشع
بن نون ودفن في جبل افراييم وكان عمره مايه سنة وستة وعشرون سنة وكان
تدبيره امر بني اسرايل بعد موسى سبعا وعشرين سنة وقيل ان الذي فتح اريحا
هو موسى عليه السلام وكان يوشع على مقدمته فسار اليهم بمن بقي من بني اسرايل
فدخلها يوشع وقاتل الجبابرة ثم فتحها ثم دخلها موسى واقام بها ما شا الله ثم
قبضه الله اليه ولا يعلم احد قبره وهذا اصح الاقاويل لاتفاق العلما على ان موسى
عليه السلام هو الذي قتل عوج بن عناق وهذا القول هو اختيار الطبري ونقل
عن السدي قال غضب موسى على قومه فدعا عليهم فقال رب اني لا املك الا
واخي الاية فقال الله عز وجل انها محرمة عليهم اربعين سنة يتيهون في الارض فلما
ضرب عليهم التيه ندم موسى واتاه قومه الذين كانوا يطيعونه فقالوا له ما صنعت
بنا يا موسى فمكثوا في التيه فلما خرجوا منه رفع المن والسلوى والبقول والتقى موسى
وعوج فنزا موسى في السما عشرة اذرع وكانت عصاه عشرة اذرع وكان طوله عشرة
اذرع فاصاب كعب عوج فقتله قال الطبري ولو كان قتل موسى اياه قبل مصيره
في التيه لم يجزع بنو اسرايل لانه كان من اعظم الجبارين وروي عن نوف قال كان
سرير عوج ثمانماية ذراع وقال وان اهل العلم باخبار الاولين مجمعون على ان بلعم بن
باعورا كان ممن اعان الجبابرة بالدعا على موسى لانه كان يعلم اسم الله الاعظم
فدعا عليه موسى وسنذكر قصته في سورة الاعراف ان شا الله تعالى قوله تعالى
فلا تاس على القوم الفاسقين يعني ولا تحزن عليهم لانهم اهل مخالفتهم وخروج
عن الطاعة وقيل لما ندم موسى على ما دعا على قومه اوحى الله اليه فلا تاس على
القوم الفاسقين قال الزجاج وجايز ان يكون خطابا لمحمد صلى الله عليه وسلم اي لا
تحزن يا محمد على قوم لم يزل شانهم المعاصي ومخالفتهم الرسل قوله عز وجل واتل
عليهم نبا ابني ادم بالحق يعني اذكر لقومك واخبرهم بخبر ابني ادم وهما هابيل
وقابيل في قول جمهور المفسرين ونقل عن الحسن والضحاك ان ابني ادم اللذين
قربا القربان ما كانا ابني ادم لصلبه وانما كانا رجلين من بني اسرايل ويدل
عليه قوله تعالى في اخر القصة من اجل ذلك كتبنا على بني اسرايل انه من قتل نفسا
بغير نفس الاية والصحيح ما ذهب اليه جمهور المفسرين لان الله تعالى قال في اخر

الفضيحة فبعث الله غرابا يبحث في الارض لان القاتل جهل ما يصنع بالمقتول حتى تعلم من
فعل الغراب بالحق اي اخبرهم خبرا متلبسا بالحق والصدق لانه من عند الله وموافقا
لما في الكتب المتقدمة وهم يعلمون صحته ومقصود هذا الخبر هو تقبيح الحسد لان
المشركين واهل الكتاب كان يحسدون رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ قربا قربانا
القربان اسم لما يتقرب به الى الله عز وجل من صدقة او ذبيحة او نسك او غير ذلك
مما يتقرب به ذكر قصة القربان وسببه وقصة قتل قابيل هابيل ذكر اهل العلم بالاخبار
والسير ان حوى كان تلد لادم في كل بطن غلاما وجارية فكان جميع ما ولدت اربعون
ولدا في عشرين بطنا اولهم قابيل وتوامته اقليما واخرهم عبد المغيث وتوامته ام
المغيث ثم بارك الله في نسل ادم قال ابن عباس لم يمت ادم حتى بلغ ولده وولد
ولده اربعين الفا واختلفوا في مولد قابيل وهابيل فقال بعضهم غشي ادم حوى
بعد مهبطهما الى الارض بمائة سنة فولدت له قابيل وتوامته اقليما في بطن ثم هابيل
وتوامته ليوذا في بطن وقال محمد بن اسحاق عن بعض اهل العلم بالكتاب الاول ان
ادم كان يغشى حوى في الجنة قبل ان يصيب الخطيئة فحملت بقابيل واخته فلم تجد
عليهما وحما ولا وصبا ولا طلقا ولم تر وقت الولادة فلما هبطا الى الارض تغشاها
حملت بهابيل وتوامته فوجدت عليهما الوحم والوصب والطلق والدم وكان اذا
كبر اولاده يزوج غلام هذا البطن جارية بطن اخرى وكان الرجل منهم يتزوج اخوته
شاء غير توامته التي ولدت معه لانه لم يكن يومئذ نساء الا اخواتهم فلما كبر قابيل
واخوه هابيل فكان بينهما سنتين فلما بلغوا امر الله ادم ان يزوج قابيل ليوذا اخت
هابيل ويزوج هابيل اقليما اخت قابيل وكانت اقليما احسن من ليوذا فذكر ادم
ذلك لهما فرضي هابيل وسخط قابيل وقال هي اختي وانا احق بها فقال له ادم انها لا تحل
لك فابى ان يقبل ذلك وقال ان الله لم يامرك بهذا وانما هو من رايك فقال لهما ادم
قربا لله قربانا فايكما يقبل قربانه فهو احق بها وكانت القرابين اذا كانت مقبولة نزلت
من السماء نار بيضاء فاكلتها وان لم تكن مقبولة لم تنزل النار بل تاكله الطير والسباع
فخرجا من عند ادم ليقربا القربان وكان قابيل صاحب زرع فقرب صبرة من طعام
ردي واضمر في نفسه لا نبالي اقبل ام لا لا يتزوج اختي احد غيري وكان هابيل صاحب غنم
فعمد الى كبش فقرب به واضمر في نفسه رضى الله فوضعا قربانهما على جبل ثم دعا ادم فنزلت
النار من السماء فاكلت قربان هابيل ولم تاكل قربان قابيل فذلك قوله تعالى فتقبل من
احدهما يعني هابيل ولم يتقبل من الاخر يعني قابيل فغضب قابيل اذ لم يتقبل قربانه
فاضمر لاخيه الحسد الى ان اتى ادم مكة لزيارة البيت وغاب عنهم فاتى قابيل هابيل
وهو في غنمه قال لاقتلنك قال هابيل ولم تقتلني قال قابيل لان الله تقبل قربانك ورد
قرباني وتريد ان تنكح اختي الحسناء وانكح اختك الذميمة فيتحدث الناس بانك خير مني

ويغفر ولدك

ويغفر ولدك على ولدي فقال هابيل وما ذنبي انما يتقبل الله من المتقين يعني ان
حصول التقوى شرط في قبول الاعمال فلذلك كان اجر القربان مقبولا دون الاخر
ولان التقوى من اعمال القلوب وكان قد اضمر في قلبه الحسد لاخيه على تقبل قربانه
ولو عده بالقتل وقال انما اتيت من قبل نفسك لانسلاخها من لباس التقوى
وانما يتقبل الله من المتقين فاجابه بجواب مختصر وقيل يحتمل ان يكون خطابا للنبي
صلى الله عليه وسلم فكان الله تعالى بين للنبي صلى الله عليه وسلم انما لم يتقبل قربانه
لانه لم يكن متقيا وانما يتقبل من المتقين ثم قال تعالى اخبارا عن هابيل لئن بسطت
الي يدك يعني لئن مددت الي يدك لتقتلني ما انا بباسط يدي اليك لاقتلك
يعني ما انا بمنتصر لنفسي بل استسلم لامر الله وقيل معناه ما مبتديك بالقتل وذلك ان
الله كان قد حرم عليهم قتل نفس بغير نفس ظلما وقال مجاهد قد نزل عليهم اذا اراد الرجل
ان يقتل رجلا تركه ولم يمتنع منه وقيل ان المقتول كان اقوى من القاتل والبطش منه
ولكن تحرج عن قتل اخيه فاستسلم له خوفا من الله في بسط يدي اليك ان بسطت ما اقتلك
بعاقبني على ذلك قوله عز وجل اخبارا عن هابيل اني اريد ان تبوء باثمي يعني ترجع باثم قتلي
واثمك يعني ترجع باثم قتلي الى اثم معاصيك التي عملتها من قبل فان قلت كيف قال
هابيل اني اريد وارادة المعصية والقتل من الغير لا تجوز قلت اجاب ابن الانباري
عن هذا بان قال ان قابيل لما قال لاخيه هابيل لاقتلنك وعظه هابيل وذكره الله
واستعطفه وقال لئن بسطت يدك الي لتقتلني الاية فلم يرجع فلما راه هابيل قد صمم
على القتل واخذ له الحجارة ليرميه بها قال له هابيل عند ذلك اني اريد ان تبوء باثمي
واثمك اي اذا قتلتني ولم تندفع فيلك اياي الا بقتلي اياك فحينئذ يلزمك اثم قتلي
اذا قتلتني فكان هذا عدلا من هابيل واليه اشار الزجاج فقال معناه ان قتلتني فاني انا
مريد ذلك فهذه الارادة منه شرطا ان يكون قاتلا له والان اذ لا يخفى ان يكون اثم
دمه على قاتله لم يلم على ذلك وعلى هذا التاويل قال بعضهم معناه اني اريد ان تبوء
بعقاب اثمي واثمك فحذف المضاف وما تاثم بعقاب ذلك الاثم ذكره الواحدي
وقال الزمخشري ليس ذلك بحقيقة الارادة لكنه لما علم انه يقتله لا محالة ووطن
نفسه على الاستسلام للقتل طلبا للثواب فكانه صار مريدا لقتله مجازا وان لم يكن
مريدا حقيقة فتكون من اصحاب النار يعني الملازمين لها وذلك جزاء الظالمين
يعني جهنم جزاء من قتل اخاه ظلما قوله تعالى فطوعت له نفسه قتل اخيه يعني زينت
له وسهلت عليه القتل وذلك ان الانسان اذا تصور ان قتل النفس من اكبر
الكبائر صار ذلك صارفا له عن القتل فلا يقدم عليه فاذا سهلت نفسه هذا
الفعل فعله من غير كلفة فهذا هو المراد من قوله تعالى فطوعت له نفسه قتل اخيه
فقتله قال ابن جرير لما قصد قابيل قتل هابيل لم يدر كيف يقتله فتمثل له ابليس

وقد اخذ طيرا فوضع راسه على حجر ثم رضخه بحجر اخر وقابيل ينظر فعلمه القتل فرضخ قابيل
راس هابيل بين حجرين وهو مستسلم صابر وقيل بل اغتاله وهو نائم فقتله واختلف
في موضع قتله فقال ابن عباس على جبل ثور وقيل على عقبة حراء وقيل بالبصرة عند
مسجدها الاعظم وكان عمر هابيل يوم قتل عشرين سنة وقوله تعالى فاصبح من الخاسرين
قال ابن عباس خسر دنياه واخرته اما دنياه فاسخط والديه وبقي بلا اخ واما اخرته
فاسخط ربه وصار الى النار ف عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لا تقتل نفس ظلما الا كان على ابن ادم الاول كفل من دمها لانه اول
من سن القتل قوله تعالى فبعث الله غرابا يبحث في الارض ليريه كيف يواري سوأة
اخيه قال اصحاب الاخبار لما قتل قابيل هابيل تركه بالعراء ولم يدر ما يصنع به لانه اول ميت
من بني ادم على وجه الارض فقصده السباع لتاكله فحمله قابيل على ظهره في جراب اربعين
يوما وقال ابن عباس سنة حتى اروح وانتن فاراد الله ان يري قابيل سنته في موتى بني ادم
في الدفن فبعث الله غرابين فاقتتلا فقتل احدهما الاخر فحفر له بمنقاره ورجله حفرة
ثم القاه فيها وواراه بالتراب وقابيل ينظر فذلك قوله تعالى فبعث الله غرابا يبحث
في الارض يعني يحفرها ويثير ترابها ليريه كيف يواري سوأة اخيه يعني ليري الله ولير
الغراب قابيل كيف يواري ويستر جثة اخيه فلما راى ذلك قابيل من فعل الغراب
قال يا ويلتا اي لزمنا الويل وحضره وهي كلمة تحسر وتلهف وتستعمل عند وقوع الداهية
وذلك انه ما كان يعلم كيف يدفن المقتول فلما علم ذلك من فعل الغراب علم ان
الغراب اكثر علما منه وعلم انه انما قدم على قتل اخيه بسبب جهله وعدم معرفته فعند
ذلك تلهف وتحسر على ما فعله فقال يا ويلتا وفيه اعتراف على نفسه باستحقاق العذاب
اعجزت ان اكون مثل هذا الغراب يعني مثل هذا الغراب الذي يواري الغراب
الاخر فاواري سوأة اخي فاستر جيفته وعورته عن الاعين فاصبح من النادمين
يعني على حمله على ظهره مدة سنة لا على قتله وقيل انه ندم لاجل ذلك لا لانه جنى جناية
واقترف ذنبا عظيما بقتله فلم يكن ندمه لتوبة وخوف واشفاق من فعله فلاجل
ذلك لم ينفعه الندم قال المطلب بن عبد الله بن حطب لما قتل ابن ادم اخاه رجفت
الارض بمن عليها سبعة ايام وشربت الارض دم المقتول كما تشرب الماء فناداه الله تعالى
اين اخوك هابيل فقال ما ادري ما كنت عليه رقيبا فقال الله تعالى ان دم اخيك
ليناديني من الارض فلم قتلت اخيك قال فاين دمه ان كنت قتلته فحرم الله على
الارض من يومئذ ان تشرب دما بعده ابدا وروي عن ابن عباس قال لما قتل
قابيل كان ادم بمكة فاشتاك الشجر وتغيرت الاطعمة وحمضت الفواكه واغبرت
الارض فقال ادم قد حدث في الارض حدث فاتى الهند فوجد قابيل قد قتل
هابيل وقيل لما رجع ادم سال قابيل عن اخيه فقال ما كنت عليه وكيلا فقال

بل قتلته

بل قتلته ولذلك اسود جلدك وقيل ان ادم مكث بعد قتل هابيل مائة سنة لا يضحك
وانه رثاه بشعر فقال ¤ تغيرت البلاد ومن عليها ¤ فوجه الارض مغبر قبيح ¤ تغير كل
ذي طعم ولون ¤ وقل بشاشة الوجه الصبيح ¤ ويروى عن ابن عباس انه قال من
قال ان ادم قال شعرا فقد كذب وان محمدا صلى الله عليه وسلم كلهم في النهي سواء ولكن
لما قتل هابيل رثاه ادم وهو سرياني فلما قال ادم مرثيته قال لشيث يا بني انت وصيي
احفظ هذا الكلام ليتوارث فيرق الناس عليه فلم يزل ينقل حتى وصل الى يعرب بن
قحطان وكان يتكلم بالعربية والسريانية وهو اول من خط العربية وكان يقول
الشعر فنظر في المرثية فرد المقدم الى المؤخر والمؤخر الى المقدم فوزنه شعرا وزاد
فيه ابياتا منها ¤ وما لي لا اجود بسكب دمع ¤ وهابيل تضمنه الضريح ¤ ارى طول
الحياة علي غما ¤ وهل انا من حياتي مستريح ¤ قال الزمخشري ويروى انه رثاه بشعر
وهو كذب بحت وما الشعر الا منحول ملحون وقد صح ان الانبياء عليهم السلام معصومون
من الشعر قال الامام فخر الدين الرازي ولقد صدق صاحب الكشاف فيما قال
فان ذلك الشعر في غاية الركاكة لا يليق الا بالحمقى من المعلمين فكيف ينسب الى
من جعل الله علمه حجة على الملائكة قال اصحاب الاخبار فلما مضى من عمر ادم مائة و
ثلاثون سنة وذلك بعد قتل هابيل بخمسين سنة ولدت له حواء شيثا وتفسيره
هبة الله يعني انه خلف من هابيل وعلمه الله تعالى ساعات الليل والنهار وعلمه
عبادة الخلق في كل ساعة وانزل عليه خمسين صحيفة وصار وصي ادم وولي
عهده واما قابيل فقيل له اذهب طريدا شريدا فزعا مرعوبا لا تامن من تراه فاخذ بيد
اخته اقليما وهرب بها الى عدن من ارض اليمن فاتاه ابليس وقال له انما اكلت
النار قربان هابيل لانه كان يعبد النار فانصب انت نارا تكون لك ولعقبك
فبنى بيت النار فهو اول من عبد النار وكان قابيل لا يمر به احد الا رماه بالحجارة
فاقبل ابن لقابيل اعمى ومعه ابنه فقال ابن الاعمى لابيه هذا ابوك قابيل فرماه
بحجارة فقتله فقال ابن الاعمى لابيه قتلت اباك قابيل فرفع الاعمى يده ولطم
ابنه فمات فقال الاعمى ويل لي قتلت ابي برميتي وقتلت ابني بلطمتي فلما مات
قابيل عقلت احدى رجليه لفخذه وعلق بها فهو معلق بها الى يوم القيامة ووجهه
الى الشمس حيث دارت عليه حظيرة من نار في الصيف وحظيرة من ثلج في الشتاء
فهو يعذب بذلك الى يوم القيامة قال واتخذ اولاد قابيل الات اللهو من الطبول
والزمور والعيدان والطنابير وانهمكوا في اللهو وشرب الخمر وعبادة النار و
الفواحش حتى اغرقهم الله جميعا في الطوفان في زمن نوح عليه السلام فلم يبق من ذرية
قابيل احد وابقى الله ذرية شيث ونسله الى يوم القيامة قوله تعالى من اجل
ذلك يعني بسبب ذلك القتل الذي حصل وقيل الاجل في اللغة الجناية يقال

اجل عليهم شرا اى جنا عليهم شرا كتبنا اى فرضنا واوجبنا على بنى اسرائيل فان قلت
من اجل ذلك معناه من اجل ما مر من قصة قابيل وهابيل كتبنا على بنى اسرائيل وهذا
مشكل لانه لا مناسبة بين واقعة قابيل وهابيل وبين وجوب القصاص على بنى اسرائيل
قلت قال بعضهم هو من تمام الكلام الذى قبله والمعنى فاصبح من النادمين من اجل
ذلك يعنى من اجل انه قتل هابيل ولم يواره ويروى عن نافع انه كان يقف على قوله من
اجل ذلك ويجعله تمام الكلام الاول فعلى هذا يزول الاشكال لكن جمهور المفسرين واصحاب
المعانى على ان قوله من اجل ذلك ابتداء الكلام ولا يوقف عليه فعلى هذا قال بعضهم ان قوله
من اجل ذلك ليس هو اشارة الى قصة قابيل وهابيل بل هو اشارة الى ما مر ذكره
فى هذه القصة من انواع المفاسد الحاصلة بسبب هذا القتل الحرام منها قوله فاصبح
من الخاسرين وفيه اشارة الى انه حصلت له خسارة فى الدين والدنيا والآخرة ومنها
قوله فاصبح من النادمين وفيه اشارة الى انه حصل فى انواع من الندم والحسرة والحزن
مع انه لا دافع لذلك البتة فقوله من اجل ذلك كتبنا على بنى اسرائيل اى من اجل
ذلك الذى ذكرنا فى اثناء القصة من انواع المفاسد المتولدة من القتل العمد المحرم شرعنا
القصاص على القاتل فان قلت فعلى هذا يكون شرعية القصاص حكما ثابتا فى جميع
الامم فما الفائدة فى تخصيصه ببنى اسرائيل قلت ان وجوب القصاص وان كان عاما
فى جميع الاديان والملل الا ان التشديد المذكور هنا فى حق بنى اسرائيل غير ثابت فى
جميع الاديان والملل لانه تعالى حكم فى هذه الآية بان من قتل نفسا فكانما قتل الناس جميعا
ولا شك ان المقصود منه المبالغة فى عقاب قاتل النفس عدوانا وان اليهود مع علمهم
بهذه المبالغة العظيمة اقدموا على قتل الانبياء والرسل وذلك يدل على قساوة قلوبهم وبعدهم
عن الله عز وجل ولما كان الغرض من ذكر هذه القصة تسلية النبى صلى الله عليه وسلم على ما
اقدم عليه اليهود من القتل بالنبى صلى الله عليه وسلم واصحابه فتخصيص بنى اسرائيل فى هذه القصة
بهذه المبالغة مناسب للكلام وتوكيد للمقصود والله اعلم بمراده وقوله عز وجل انه من قتل
نفسا ظلما بغير نفس يعنى بغير قتل نفس لا على وجه القصاص فيقتل من قاتل
النفس على وجه العدوان الجرم او فساد فى الارض هو عطف على غير نفس يعنى بغير
فساد فى الارض فيستحق به القتل لان القتل على اسباب كثيرة منها القصاص وهو المراد
من قوله قتل نفسا بغير نفس ومنها الشرك والكفر بعد الايمان ومنها قطع الطريق ونحو
ذلك وهو المراد من قوله او فساد فى الارض فكانما قتل الناس جميعا قال مجاهد من قتل
نفسا محرمة يصلى النار بقتلها كما يصلاها لو قتل الناس جميعا ومن سلم من قتلها فكانما
سلم من قتل الناس جميعا وقال ابن عباس من قتل نبيا او امام عدل فكانما قتل الناس
جميعا ومن شد عضد نبى او امام عدل فكانما احيا الناس جميعا وقيل معناه انه من قتل
نفسا محرمة يجب عليه من القصاص مثل الذى يجب عليه لو قتل الناس جميعا ومن احياها

يعنى من

يعنى من غرق او حرق او وقوع فى هلكة فكانما احيا الناس جميعا يعنى ان له من الثواب
مثل ثواب من احيا الناس جميعا وقيل معناه من استحل قتل مسلم بغير حق فكانما استحل قتل
الناس جميعا لانهم لا يسلمون منه ومن تورع عن قتل مسلم فكانما تورع عن قتل الناس جميعا
فقد سلموا منه قال اهل المعانى قوله ومن احياها على المجاز لان المحيى هو الله تعالى فى الحقيقة فيكون
المعنى ومن نجاها من الهلاك فكانما نجا جميع الناس منه سئل الحسن عن هذه الآية هى لنا كما
كانت لبنى اسرائيل فقال اى والذى لا اله غيره ما كانت دماء بنى اسرائيل اكرم على الله من
دمائنا وقوله تعالى ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات يعنى ولقد جاءت بنى اسرائيل رسلنا ببيان
الاحكام والشرايع والدلالات الواضحة ثم ان كثيرا منهم بعد ذلك يعنى مجى الرسل وبعد
ما كتبنا عليهم تحريم القتل فى الارض لمسرفون يعنى بالقتل لا ينتهون عنه وقيل معناه
لمجاوزون حد القتل وانما قال الله تعالى منهم لعلمه ان منهم من يؤمن بالله ورسوله وهم قليل
من كثير قوله عز وجل انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله الآية قال ابن عباس نزلت فى
قوم من اهل الكتاب كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد وميثاق
فنقضوا العهد وافسدوا فى الارض فخير الله رسوله صلى الله عليه وسلم ان شاء ان يقتل
وان شاء ان يصلب وان شاء ان يقطع ايديهم وارجلهم من خلاف وهذا قول الضحاك
ايضا وقال الكلبى نزلت فى قوم هلال بن عويمر وذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم وادع
هلال بن عويمر على ان لا يعينه ولا يعين عليه ومن مر بهلال الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فهو امن لا يهاج فمر قوم من بنى كنانة يريدون الاسلام بقوم هلال ولم يكن هلال
شاهدا فشدوا اليهم فقتلوهم واخذوا اموالهم فنزل جبريل عليه السلام بالقضاء فيهم بهذه
الآية وقال سعيد بن جبير نزلت هذه الآية فى قوم من عرينة وعكل اتوا الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم وبايعوه على الاسلام وهم كذبة فاستوخموا المدينة فبعثهم رسول
الله صلى الله عليه وسلم الى ابل الصدقة فارتدوا وقتلوا الراعى واستاقوا الابل خ عن
انس بن مالك ان ناسا من عكل وعرينة قدموا على النبى صلى الله عليه وسلم وتكلموا بالاسلام
فقالوا يا نبى الله انا كنا اهل ضرع ولم نكن اهل ريف واستوخموا المدينة فامر لهم النبى
صلى الله عليه وسلم بذود وراع وامرهم ان يخرجوا فيه فيشربوا من البانها فانطلقوا
حتى اذا كانوا ناحية الحرة كفروا بعد الاسلام وقتلوا راعى النبى صلى الله عليه وسلم
واستاقوا الذود فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم فبعث الطلب فى اثرهم فامر بهم
فسمروا اعينهم وقطعوا ايديهم وتركوا فى ناحية الحرة حتى ماتوا على حالهم قال قتادة
بلغنا ان النبى صلى الله عليه وسلم كان بعد ذلك يحث على الصدقة وينهى عن المثلة
زاد فى رواية قال قتادة فحدثنى ابن سيرين ان ذلك قبل ان تنزل الحدود وفى رواية
للبخارى ان ناسا من عرينة اجتووا المدينة فرخص لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان يأتوا ابل الصدقة فيشربوا من البانها فقتلوا الراعى واستاقوا الذود فارسل

رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتي بهم فقطعوا ايديهم وارجلهم وسمر اعينهم وتركهم في الحرة
يعضون الحجارة زاد في رواية قال ابو قلابة واي شي اشد مما صنع هولا ارتدوا
عن الاسلام وقتلوا وسرقوا وفي رواية ابي داود ان قوما من عكل او قال من عرينة
قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجتووا المدينة فامر لهم النبي صلى الله عليه
وسلم بلقاح وامرهم ان يشربوا من البانها فانطلقوا فلما اصحوا قتلوا راعي رسول الله
صلى الله عليه وسلم واستاقوا النعم فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم خبرهم من اول النهار
فارسل في اثارهم فما ارتفع النهار حتى جي بهم فامر بهم فقطعت ايديهم وارجلهم
وسمر اعينهم والقوا في الحرة يستسقون فلا يسقون قال ابو قلابة فهولا قوم سرقوا
وقتلوا وكفروا بعد ايمانهم وحاربوا الله ورسوله زاد في رواية له وانزل الله عز وجل انما
جزا الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا الاية شرح غريب هذا
الحديث وحكمه قولهم انا كنا اهل ضرع يعني اهل ماشية وبادية يعيشون باللبن ولسنا من اهل
الريف والريف هي الارض التي فيها زرع وخصب والجمع ارياف قوله استوخموا المدينة
يعني انها لم توافق مزاجهم وكذا قوله فاجتووا المدينة وهي في معناه والذود من الابل
ما بين الثلاثة الى العشرة والحرة ارض ذات حجارة سود وهي هنا اسم لارض بظاهر المدينة
معروفة وقوله فسمر اعينهم معناه انه حمى مسامير الحديد وكحل بها اعينهم حتى ذهب بصرها
وقوله ونهى عن المثلة المثلة ان يقطع اطراف الحيوان ويشوه خلقته ومثلة القتيل
ان يقطع انفه واذنيه ومذاكيره ونحو ذلك واختلف العلما في حكم هذا الحديث فقيل هو
منسوخ لنهي النبي صلى الله عليه وسلم عن المثلة وقيل حكمه ثابت الا التسمير والمثلة وقيل ان
هذه الاية ناسخة لما فعله النبي صلى الله عليه وسلم بهم وقيل كان ذلك قبل ان تنزل الحدود
فلما نزلت الحدود وجب الاخذ بها والعمل بمقتضاها وقيل نزلت هذه الاية معاتبة لرسول
الله صلى الله عليه وسلم وتعليما من الله تعالى اياه عقوبتهم وما يجب عليهم فقال تعالى انما جزا
الذين يحاربون الله ورسوله واعلم ان المحاربة لله غير ممكنة وفي معناها للعلما قولان
احدهما ان المحاربون لله المخالفون امره الخارجون عن طاعته لان كل من خالف امر
انسان فهو حرب له فيكون المعنى يخالفون الله ورسوله ويعصون امرهما والقول الثاني
معناه يحاربون اوليا الله واوليا رسوله فهو من باب حذف المضاف ويسعون
في الارض فسادا يعني بحمل السلاح والخروج على الناس وقتل النفس واخذ الاموال وقطع
الطريق واختلفوا في حكم هولا المحاربين الذين يستحقون هذا الحد فقال قوم هم الذين
يقطعون الطريق ويحملون السلاح والمكابرون في البلد وهذا قول الاوزاعي ومالك
والليث بن سعد والشافعي وقال ابو حنيفة المكابرون في الامصار ليس لهم حكم المحاربين
في استحقاق هذا الحد ثم ذكر الله تعالى عقوبة هولا المحاربين وما يستحقونه فقال ان يقتلوا
او يصلبوا او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف او ينفوا من الارض وللعلما في لفظة

او المذكورة

او المذكورة في هذه الاية قولان احدهما انها للتخيير وهو قول ابن عباس في رواية عنه
وبه قال الحسن وسعيد بن المسيب والنخعي ومجاهد وهو ان الامام مخير في امر المحاربين
فان شا قتل وان شا صلب وان شا قطع وان شا نفى من الارض كما هو ظاهر الاية
والقول الثاني ان لفظة او للبيان وليست للتخيير وهو الرواية الثانية عن ابن عباس
وهو قول اكثر العلما لان الاحكام تختلف فتترتب هذه العقوبات على ترتيب الجرايم وهذا
كما روي عن ابن عباس في قطاع الطريق قال اذا قتلوا واخذوا المال قتلوا وصلبوا واذا
قتلوا ولم ياخذوا المال قتلوا واذا اخذوا المال ولم يقتلوا قطعت ايديهم وارجلهم من
خلاف واذا اخافوا السبيل ولم يقتلوا ولم ياخذوا مالا نفوا من الارض وهذا قول قتادة
والاوزاعي والشافعي واصحاب الراي واختلفوا في كيفية الصلب فقيل يصلب حيا ثم يطعن
في بطنه برمح حتى يموت قال الشافعي يقتل اولا ويصلى عليه ثم يصلب وانما يجمع بين
القتل والصلب اذا قتل واخذ المال ويصلب على الطريق وفي ممر الناس ليكون ذلك
زاجرا لغيره عن الاقدام على مثل هذه المعصية واختلفوا في تفسير النفي من الارض
المذكور في الاية فقيل ان الامام يطلبهم في كل بلد وجدوا فيه نفوا عنه وهو قول سعيد بن
جبير وعمر بن عبد العزيز وقيل يطلبون حتى تقام عليهم الحدود وهو قول ابن عباس والليث
ابن سعد والشافعي وقال ابو حنيفة واهل الكوفة النفي هو الحبس لانه نفي من الارض
لان المحبوس لا يرى احدا من احبابه ولا ينتفع بلذات الدنيا وطيباتها فهو منفي من
الارض في الحقيقة الا من تلك البقعة الضيقة التي هو فيها قال مكحول ان عمر بن الخطاب
اول من حبس في السجون يعني من هذه الامة وقال احبسه حتى اعلم منه التوبة ولا انفيه
الى بلد اخر فيوذيهم ثم قال تعالى ذلك يعني الذي ذكر في هذه الاية من الحدود لهم يعني
للمحاربين في الدنيا خزي وهو عذاب وهوان وفضيحة ولهم في الاخرة عذاب عظيم
هذا الوعيد في حق الكفار الذين نزلت الاية فيهم فاما من اجرى حكم الاية على المحاربين
من المسلمين فينفي العذاب العظيم عنهم في الاخرة لان المسلم اذا عوقب بجنايته
في الدنيا كانت عقوبته كفارة له وان لم يعاقب في الدنيا فهو في خطر المشية ان شا
عذبه بجنايته ثم يدخله الجنة وان شا عفى عنه وادخله الجنة هذا مذهب اهل السنة
وقوله تعالى الا الذين تابوا من قبل ان تقدروا عليهم يعني لكن الذين تابوا من شركهم
وحربهم لله ولرسوله ومن السعي في الارض بالفساد من قبل ان تقدروا عليهم يعني فلا
سبيل لكم بشي من العقوبات المذكورة في الاية المتقدمة فاعلموا ان الله غفور يعني لمن
تاب من الشرك رحيم يعني به اذا رجع عما يسخط الله عز وجل وهذا قول معظم اهل التفسير
ان المراد بهذه الاستثنا المشرك المحارب اذا امن واصلح قبل القدرة عليه سقط
عنه جميع الحدود التي ذكرها الله عز وجل في هذه الاية وانه لا يطالب بشي مما اصاب
من مال او دم قال ابو اسحاق جعل الله التوبة للكفار تدرا عنهم الحدود التي وجبت

عليهم في كفرهم ليكون ذلك داعيا لهم الى الدخول في الاسلام فهذا حكم المشرك المحارب اذا امن واصلح وكذا الوامن بعد القدرة عليه لم يطالب بشي بالاجماع واما المسلم المحارب اذا تاب وجا من قبل القدرة عليه فقال السدي هو كالكافر اذا امن لم يطالب بشي واذا اصيب عنده مال بعينه فانه يرده على اهله وهذا مذهب مالك والاوزاعي عن ان مالكا قال يوخذ بالدم اذا طلب به وليه فاما ما اصاب من الدما والاموال ولم يطلبها اولياوها فلا يتبعه الامام بشي من ذلك وهذا حكم علي بن ابي طالب في حارثة بن زيد وكان قد خرج محاربا فتاب من قبل ان يقدر عليه فامنه علي على نفسه وكذا جا رجل من مراد الى ابي موسى الاشعري وهو على الكوفة في خلافة عثمان بعد ما صلى المكتوبة فقال يا ابا موسى هذا مقام العايذ بك انا فلان بن فلان المرادي كنت قد حاربت الله ورسوله وسعيت في الارض بالفساد واني قد تبت من قبل ان يقدر علي فقام ابو موسى فقال هذا فلان المرادي وانه كان حارب الله ورسوله وسعى في الارض فسادا وانه قد تاب من قبل ان يقدر عليه فلا يتعرض له احد الا بخير وقال الشافعي يسقط عنه بتوبته قبل القدرة عليه حد الله ولا يسقط بها ما كان من حقوق بني ادم من قصاص او مظلمة في مال او غيره واما اذا تاب بعد القدرة عليه فظاهر الاية ان التوبة لا تنفعه وتقام عليه الحدود قال الشافعي ويحتمل ان يسقط كل حد لله عز وجل بالتوبة قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا الله اي خافوا الله بترك المنهيات وابتغوا اليه الوسيلة يعني واطلبوا اليه القربة بطاعته والعمل بما يرضي وانما قلنا ذلك لان مجامع التكاليف محصورة في نوعين لا ثالث لهما احد النوعين ترك المنهيات واليه الاشارة بقوله اتقوا الله والثاني التقرب الى الله تعالى بالطاعات واليه الاشارة بقوله وابتغوا اليه الوسيلة والوسيلة فعيلة من وسل اليه اذا تقرب اليه ومنه قول الشاعر ان الرجال لهم اليك وسيلة اي قربة وقيل معنى الوسيلة المحبة اي تحببوا الى الله عز وجل وجاهدوا في سبيله اي وجاهدوا العدو في طاعته وابتغاء مرضاته لعلكم تفلحون يعني لكي تسعدوا في جنته لان الفلاح اسم جامع للخلاص من كل مكروه والفوز بكل محبوب قوله عز وجل ان الذين كفروا لو ان لهم ما في الارض جميعا ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة ما تقبل منهم يعني ان الكافر لو ملك الدنيا ودنيا اخرى مثلها معها ثم فدى نفسه من العذاب يوم القيامة لم يقبل منه ذلك الفدا ولهم عذاب اليم والمقصود من هذا ان العذاب لازم للكفار وانه لا سبيل لهم الى الخلاص منه بوجه من الوجوه ق عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تبارك وتعالى لاهون اهل النار عذابا لو كانت لك الدنيا كلها اكنت مفتديا بها فيقول نعم فيقول قد اردت منك ايسر من هذا وانت في صلب ادم ان لا تشرك بي ولا ادخلك النار وادخلك الجنة فابيت الا الشرك هذا لفظ مسلم وفي رواية للبخاري قال يجا بالكافر يوم القيامة فيقال له

ارايت

ارايت لو كان لك ملء الارض ذهبا اكنت تفتدي به فيقول نعم فيقال له لقد كنت سئلت ما هو ايسر من ذلك ان لا تشرك بي يريدون ان يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها فيه وجهان احدهما انهم يقصدون الخروج من النار ويطلبونه ولكن لا يستطيعون ذلك قيل اذا حملهم لهب النار الى فوق طلبوا الخروج منها فلا يقدرون عليه والوجه الثاني انهم يتمنون الخروج من النار بقلوبهم ولهم عذاب مقيم يعني ولهم عذاب دايم ثابت لا يزول عنهم ولا ينتقل ابدا قوله عز وجل والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما قال ابن السايب نزلت في طعمة بن ابيرق وقد مضت قصته في سورة النسا وانما سمي السارق سارقا لانه ياخذ الشي الذي ليس له اخذه في خفا ومنه استرق السمع مستخفيا والسارق هنا مرفوع بالابتدا لانه لم يقصد واحدا بعينه انما هو كقولك من سرق فاقطع يده والمراد باليد المذكورة في الاية اليمين قاله الحسن والشعبي والسدي وكذلك هو في قراة عبد الله بن مسعود فاقطعوا ايمانهما وانما قال ايديهما ولم يقل يديهما لانه اراد يمينا من هذا ويمينا من هذه فجمع لانه ليس للانسان الا يمين واحدة وكل شي من موحد من اعضا الانسان اذا ذكر مضافا الى اثنين فصاعدا جمع والمراد باليد هنا الجارحة وحدها عند جمهور اهل اللغة من روس الاصابع الى الكوع فيجب قطعها في حد السرقة من الكوع قوله تعالى جزا بما كسبا يعني ذلك القطع جزا على فعلهم نكالا من الله يعني عقوبة من الله والله عزيز يعني في انتقامه ممن عصاه حكيم يعني فيما اوجبه من قطع يد السارق فصل في بيان حكم الاية وفيه مسايل المسئلة الاولى اقتضت هذه وجوب القطع على كل سارق وقطع رسول الله صلى الله عليه وسلم في السرقة ق عن عائشة ان قريشا اهمهم شان المخزومية التي سرقت فقالوا من يكلم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا ومن يجترئ عليه الا اسامة بن زيد حب رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلمه اسامة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتشفع في حد من حدود الله ثم قام فاختطب ثم قال انما اهلك من قبلكم انهم كانوا اذا سرق فيهم الشريف تركوه واذا سرق فيهم الضعيف اقاموا عليه الحد وايم الله لو ان فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها وعن عائشة قالت اتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بسارق فقطعه فقالوا ما كنا نراك تبلغ به هذا قال لو كانت فاطمة لقطعتها اخرجه النسائي ق عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعن الله السارق يسرق البيضة فتقطع يده ويسرق الحبل فتقطع يده قال الاعمش يرون انه بيض الحديد وان من الحبال ما يساوي دراهم اخرجه البخاري ومسلم اما السارق الذي يجب عليه القطع فهو البالغ العاقل العالم بتحريم السرقة فلو كان حديث عهد بالاسلام ولا يعلم ان السرقة حرام فلا قطع عليه المسئلة الثانية اختلف العلما في قدر النصاب الذي يقطع به فذهب اكثر العلما الى انه ربع دينار فان سرق

ربع دينار او متاعا قيمته ربع دينار يقطع وهذا قول ابي بكر وعمر وعثمان وعلي وبه قال
عمر بن عبد العزيز والاوزاعي والشافعي ويدل عليه ما روي عن عائشة ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال لا تقطع يد السارق الا في ربع دينار فصاعدا اخرجه
في الصحيحين وذهب مالك واحمد واسحاق الى انه ثلاث دراهم او قيمتها لما روي عن ابن
عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قطع سارقا في مجن قيمته ثلاثة دراهم اخرجه
الجماعة المجن الترس ويروى عن ابي هريرة ان قدر النصاب الذي تقطع به اليد
خمسة دراهم وبه قال ابن ابي ليلى لما روي عن النبي قال قطع ابو بكر في مجن قيمته خمسة
دراهم وفي رواية قطع رسول الله صلى الله عليه وسلم اخرجه النسائي وقال رواية
الاول اصح وذهب قوم الى انه لا قطع في اقل من دينار او عشرة دراهم يروى
ذلك عن ابن مسعود واليه ذهب سفيان الثوري وابو حنيفة لما روي عن ابن عباس
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اول من قطع في مجن قيمته دينار او عشرة دراهم
اخرجه ابو داود فاذا سرق نصابا من المال من حرز لا شبهة له فيه قطعت يده
اليمنى من الكوع ولا يجب القطع بسرقة ما دون النصاب وقال ابن عباس وابن الزبير
والحسن القدر غير معتبر فيجب القطع في القليل والكثير وكذا الحرز غير معتبر ايضا عندهم
والغير ذهب داود الظاهري واحتجوا بعموم الاية فان قوله تعالى والسارق والسارقة
فاقطعوا ايديهما يتناول القليل والكثير وسوا سرق من حرز او غير حرز المسئلة
الثالثة الحرز هو ما جعل للسكنى وحفظ الاموال كالدور والمضارب والخيم التي
يسكنها الناس ويحفظون امتعتهم فيها فكل حرز وان لم يكن فيه حافظ ولا عنده
وسوا سرق من ذلك وهو مفتوح الباب او مغلق فاما ما كان في غير بنا ولا خيمة
فانه ليس بحرز الا ان يكون عنده من يحفظه واما نباش القبور فانه يقطع وهو
قول مالك واحمد والشافعي وقال ابن ابي ليلى والثوري والاوزاعي وابو حنيفة
لا قطع عليه وان سرق شيا من غير حرز كثمر من بستان لا حارس له او حيوان
في برية ولا راعي له او متاع في بيت منقطع من البيوت فلا قطع عليه عن عبد الله
ابن عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن الثمر المعلق فقال
من اصاب بفيه من ذي حاجة غير متخذ خبنة فلا شي عليه اخرجه الترمذي و
ابو داود والنسائي وزاد فيه ومن خرج بشي منه فعليه غرامة مثله والعقوبة قوله
غير متخذ خبنة الخبنة بالخاء المعجمة والبا الموحدة من تحت ثم نون وهو ما يحمله
الانسان في حضنه وقيل هو ما ياخذه في خبنة ثوبه وهو ذيله واسفله والجرين
موضع التمر الذي يجفف فيه مثل البيدر للحنطة وروى مالك في الموطا عن ابي
حسين المكي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا قطع في ثمر معلق ولا في حريسة
الجبل فاذا اواه المراح والجرين فالقطع فيما بلغ ثمن المجن هكذا رواه مالك

منقطعا و

منقطعا وهو رواية من حديث عبد الله بن عمرو المتقدم فان هذه الرواية عن ابن حسين
عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده وجده هو عبد الله بن عمرو بن العاص ولا
حريسة الجبل من العلما من يجعل الحريسة السرقة نفسها يقال حرس يحرس حرسا اذا
سرق ومنهم من يجعلها المحروسة ومعنى الحديث انه ليس فيما يحرس في الجبل اذا سرق
قطع لانه ليس بحرز وقيل حريسة الجبل هي الشاة التي يدركها الليل قبل ان تصل ماواها
والمراح لغنم الغنم هو الموضع التي تاوي اليه الماشية بالليل عن جابر ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال ليس على خاين ولا منتهب ولا مختلس قطع اخرجه الترمذي والنسائي
المسئلة الرابعة اذا سرق مالا له فيه شبهة كالولد يسرق مال والده او الوالد يسرق من
مال ابنه او العبد يسرق من مال سيده او الشريك يسرق من مال شركته فلا قطع على
احد من هولا فيه المسئلة الخامسة اذا سرق اول مرة قطعت يده اليمنى من الكوع
واذا سرق ثانية قطعت رجله اليسرى من مفصل القدم واختلفوا فيما اذا سرق مرة
ثالثة فذهب اكثرهم الى انه تقطع يده اليسرى فان سرق مرة رابعة قطعت رجله
اليمنى ثم اذا سرق بعد ذلك يعزر ويحبس حتى تظهر توبته يروى هذا عن ابي بكر
وهو قول قتادة وبه قال مالك والشافعي لما روي عن ابن عباس ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال في السارق ان سرق فاقطعوا يده ثم ان سرق فاقطعوا
رجله ذكره البغوي بغير سند وذهب قوم الى انه ان سرق بعد ما قطعت يده و
رجله فلا قطع عليه بل يحبس روي عن علي انه قال اني استحيي ان لا ادع له يدا يستنجي
بها ولا رجلا يمشي بها وهذا قول الشعبي والنخعي والاوزاعي وبه قال احمد واصحاب
الراي قوله تعالى فمن تاب من بعد ظلمه يعني من بعد ما ظلم نفسه بالسرقة واصلح
يعني واصلح العمل في المستقبل فان الله يتوب عليه يعني فان الله يغفر له ويتجاوز
عنه انه غفور يعني لمن تاب رحيم به فصل وهذه التوبة مقبولة فيما بينه وبين
الله تعالى فاما القطع فلا يسقط عنه بالتوبة عند اكثر العلما لان الحد جزاء على الجناية ولا بد
من التوبة بعد القطع وتوبته الندم على ما مضى والعزم على تركه في المستقبل عن
ابي امية المخزومي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتي بلص قد اعترف
اعترافا ولم يوجد معه متاع فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اخالك
سرقت فقال بلى فاعاد عليه مرتين او ثلاثا كل ذلك يعترف فامر به فقطع ثم
جي به فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم استغفر الله وتب اليه فقال
الرجل استغفر الله واتوب اليه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم تب
عليه اخرجه ابو داود والنسائي بمعناه واذا قطع السارق يجب عليه غرم ما سرق
من المال عند اكثر اهل العلم وقال الثوري واصحاب الراي لا غرم عليه فلو كان
المسروق باقيا عنده يجب عليه ان يرده على صاحبه وقطع يده لان القطع حق الله

والغرم على الادمى فلا يمتنع احدهما بالاخر والله اعلم قوله عز وجل الم تعلم ان الله له ملك السموات
والارض الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به جميع الناس وقيل معناه الم تعلم ايها
الانسان فيكون الخطاب لكل فرد من الناس ان الله له ملك السموات والارض يعني ان الله
مدبر لامر ما في السموات والارض ومصرفه وخالق من فيهما ومالكه لا يمتنع عليه شي مما اراده
فيهما لان ذلك كله في ملكه واليه امره يعذب من يشا ويغفر لمن يشا قال ابن عباس يعذب
من يشا على الصغيرة ويغفر لمن يشا على الكبيرة وقيل يعذب من يشا على معصيته وكفره بالقتل
والقطع وغير ذلك في الدنيا ويغفر لمن يشا منهم بالتوبة عليه فينقذه من الهلكة و
العذاب وانما قدم التعذيب على المغفرة لانه في مقابلة قطع السرقة على التوبة وهذه
الاية فاضحة للقدرية والمعتزلة في قولهم بوجوب الرحمة للمطيع ووجوب العذاب
للعاصي لان الاية دالة على ان التعذيب والرحمة مفوضة للمشية والوجوب ينافي ذلك
وجواب اخر وهو انه تعالى اخبر ان له ملك السموات والارض والمالك له ان يتصرف في ملكه
كيف يشا واراد لا اعتراض لاحد عليه في ملكه ولو كد ذلك قوله والله على كل شي قدير
يعني انه تعالى قادر على تعذيب من اراد تعذيبه من خلقه وغفران ذنوب من اراد اسعاده
واستنقاذه من الهلكة من خلقه لان الخلق كلهم عبيده وفي ملكه قوله تعالى يا ايها الرسول
خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وهو خطاب تشريف وتكريم وتعظيم وقد خاطبه الله عز وجل
بيا ايها النبي في مواضع كثيرة من كتابه وبيا ايها الرسول في موضعين هذا احدهما والاخر
قوله يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك وقوله لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر
يعني لا تهتم بموالاة الكفار ولا تبال بهم فاني ناصرك عليهم وكافيك شرهم من الذين قالوا
امنا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم يعني المنافقين لانهم اظهروا الايمان بالقول وكتموا الكفر
وهذه صفة المنافقين ومن الذين هادوا اي وطايفة من اليهود قال الزجاج هذا
يحتمل وجهين احدهما ان الكلام تم عند قوله ومن الذين هادوا ثم ابتدا الكلام بقوله
سماعون للكذب ويكون تقدير الكلام لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من المنافقين
ومن الذين هادوا ثم وصف الكل بكونهم سماعون للكذب والوجه الثاني ان الكلام تم
عند قوله ولم تؤمن قلوبهم ثم ابتدا فقال تعالى ومن الذين هادوا سماعون للكذب
اي ومن الذين سماعون للكذب والمعنى انهم قابلون للكذب اي يسمعون الكذب
من روسايهم ويقبلونه منهم والسمع يستعمل والمراد منه القبول كما تقول لا تسمع من فلان
اي لا تقبل منه وقيل معناه سماعون لاجل ان يكذبوا عليك وذلك انهم كانوا يسمعون
من رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرجون من عنده ويقولون سمعنا منه كذا وكذا
ولم يسمعوا ذلك منه بل يكذبوا عليه وقوله تعالى سماعون يعني بني قريظة يعني انهم جواسيس
وعيون القوم اخرين وهم اهل خيبر لم ياتوك يعني اهل خيبر لم ياتوك ولم يحضروا عندك
يا محمد ذكر القصة في ذلك قال علماء التفسير ان رجلا وامراة من اشراف يهود خيبر زنيا

وكانا محصنين وكان حدهما الرجم عندهم في حكم التوراة فكرهت اليهود رجمهما لشرفهما
فقالوا ان هذا الرجل بيثرب يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم وليس في كتابه الرجم
ولكنه الضرب فارسلوا الى اخوانكم بني قريظة فانهم جيرانه وصلح معه فليسالوه عن
ذلك فبعثوا رهطا منهم مستخفين وقالوا لهم اسالوا محمدا عن الزانيين اذا احصنا
ما حدهما فان امركم بالجلد فاقبلوا منه وان امركم بالرجم فاحذروه ولا تقبلوا منه و
ارسلوا معهم الزانيين فقدم الرهط حتى نزلوا على بني قريظة والنضير وقالوا لهم
انكم جيران هذا الرجل ومعه في بلده وقد حدث فينا حدث وذلك ان فلانا و
فلانة قد زنيا وقد احصنا فنحب ان تسالوه لنا عن قضايه في ذلك فقالت
لهم بنو قريظة والنضير اذا والله يامركم بما تكرهون ثم انطلق قوم منهم فيهم كعب
ابن الاشرف وكعب بن اسد وسعيد بن عمرو ومالك بن الصيف وكنانة بن
ابي الحقيق وغيرهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد اخبرنا عن الزاني
والزانية اذا احصنا ما حدهما في كتابك فقال هل ترضون بقضايي قالوا نعم فنزل
جبريل عليه السلام باية الرجم فاخبرهم بذلك فابوا ان ياخذوا به فقال جبريل للنبي
صلى الله عليه وسلم اجعل بينك وبينهم ابن صوريا ووصفه له فقال لهم النبي صلى
الله عليه وسلم هل تعرفون شابا امرد ابيض اعور يسكن فدك يقال له ابن صوريا قالوا
نعم قال فاي رجل هو فيكم فقالوا هو اعلم يهودي بقي على وجه الارض بما انزل الله على
موسى عليه السلام في التوراة قال فارسلوا اليه ففعلوا فاتاهم فقال له النبي صلى الله عليه
وسلم انت ابن صوريا قال نعم قال انت اعلم يهودي قال كذلك يقولون فقال
النبي صلى الله عليه وسلم لليهود تجعلونه بيني وبينكم قالوا نعم قال النبي صلى الله عليه
وسلم لابن صوريا انشدك بالله الذي لا اله الا هو الذي انزل التوراة على موسى
واخرجكم من مصر وفلق لكم البحر وانجاكم واغرق ال فرعون وبالذي ظلل عليكم الغمام
وانزل عليكم المن والسلوى وانزل عليكم كتابه فيه حلاله وحرامه هل تجدون في
كتابكم الرجم على المحصن فقال ابن صوريا اللهم نعم والذي ذكرتني به لولا خشيت
ان ينزل علينا العذاب ان كذبت او غيرت ما اعترفت لك ولكن كيف
هي في كتابك يا محمد قال اذا شهد اربعة رهط عدول انه ادخله فيها كما يدخل
الميل في المكحلة وجب عليه الرجم فقال ابن صوريا والذي انزل التوراة على
موسى هكذا انزله الله في التوراة على موسى فقال له النبي صلى الله عليه وسلم
فما كان اول ما ترخصتم به في امر الله تعالى فقال ابن صوريا كنا اذا اخذنا الشريف
تركناه واذا اخذنا الضعيف اقمنا عليه الحد فكثر الزنا في اشرافنا حتى زنا ابن
عم ملك لنا فلم يرجمه ثم زنا رجل اخر بامراة من قومه فاراد الملك رجمه فقام قومه
دونه وقالوا والله لا ترجمه حتى ترجم فلانا ابن عم الملك فقلنا تعالوا نجتمع فلنضع

شيئا دون الرجم يكون على الشريف والوضيع فوضعنا الجلد والتحميم وهو ان يجلد اربعين جلدة
بحبل مطلي بقار ثم يسود وجههما ثم يحملان على حمارين وجوههما من قبل دبر الحمار
ويطاف بهما فجعلوا هذا مكان الرجم فقالت اليهود لابن صوريا ما اسرع ما اخبرته به وما
اثنينا عليك باهل ولكنك كنت غائبا فكرهنا ان نغتابك فقال لهم ابن صوريا انه
قد نشدني بالتوراة ولولا خشيت ان ينزل علينا العذاب ما اخبرته فامر النبي صلى الله عليه
وسلم بهما فرجما عند باب المسجد وقال اللهم اني اول من احيا امرك اذ اماتوه فانزل الله
هذه الاية ق عن ابن عمر قال ان اليهود جاءوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكروا
له ان امراة منهم ورجلا زنيا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تجدون في التوراة
في شان الرجم قالوا نفضحهم ويجلدون فقال عبد الله بن سلام كذبتم ان فيها الرجم
فاتوا بالتوراة فنشروها فوضع احدهم يده على اية الرجم فقرا ما قبلها وما بعدها فقال
له عبد الله بن سلام ارفع يدك فرفع يده فاذا فيها اية الرجم فقالوا صدق يا محمد
فيها اية الرجم فامر بهما النبي صلى الله عليه وسلم فرجما قال فرايت الرجل يجني على المراة
يقيها الحجارة وفي رواية اخرى لهما قال اتي النبي صلى الله عليه وسلم برجل وامراة من
اليهود قد زنيا فقال لليهود ما تصنعون بهما قالوا نسخم وجوههما ونخزيهما قال
فاتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين فجاءوا بها فقالوا لرجل ممن يرضون اعور
اقرا فقرا حتى انتهى الى موضع منها فوضع يده عليها فقال ارفع يدك فرفع يده
فاذا اية الرجم تلوح فقال يا محمد ان فيها الرجم ولكنا نتكاتمه بيننا فامر بهما فرجما
فرايته يجانئ زاد في رواية اخرى فرجما قريبا من موضع الجنائز قرب المسجد م عن
البراء بن عازب قال مر على النبي صلى الله عليه وسلم بيهودي محمم مجلود فدعاهم
فقال هكذا تجدون حد الزاني في كتابكم قالوا نعم فدعا رجلا من علمائهم فقال
انشدك بالله الذي انزل التوراة على موسى هكذا تجدون حد الزاني في كتابكم قال
لا ولولا انك نشدتني بهذا لم اخبرك نجد الرجم ولكنه كثر في اشرافنا فكنا اذا
اخذنا الشريف تركناه واذا اخذنا الضعيف اقمنا عليه الحد فقلنا تعالوا فل
نجتمع على شيء نقيمه على الشريف والوضيع فجعلنا التحميم والجلد مكان الرجم فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اني اول من احيا امرك اذ اماتوه فامر به
فرجم فانزل الله تعالى يا ايها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر الى قوله
ان اوتيتم هذا فخذوه يقول ائتوا محمدا فان امركم بالتحميم والجلد فخذوه وان
افتاكم بالرجم فاحذروا فانزل الله تبارك وتعالى ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك
هم الكافرون ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الظالمون ومن لم يحكم بما انزل
الله فاولئك هم الفاسقون في الكفار كلها التحميم هو تسويد الوجه بالحمم وهو
الفحم وقوله ما تجدون في التوراة حد الزاني قال العلماء هذا السؤال من النبي صلى

الله عليه وسلم

عليه وسلم ليس لتقليدهم ولا لمعرفة الحكم منهم وانما هو لالزامهم بما يعتقدونه
في كتابهم ولعله صلى الله عليه وسلم اوحي اليه ان الرجم في التوراة الموجودة
في ايديهم ولم يغيروه كما غيروا اشياء منها او اخبره بذلك من اسلم من اهل الكتاب
وهو عبد الله بن سلام كما في حديث ابن عمر المتفق عليه ولذلك لم يخف عليه
صلى الله عليه وسلم حين كتموه وقوله تعالى يحرفون الكلم يعني يغيرون حدود الله
التي اوجبها عليهم في التوراة وذلك انهم بدلوا الرجم بالجلد والتحميم وقال الحسن
انهم يغيرون ما يسمعونه من النبي صلى الله عليه وسلم بالكذب عليه وقال ابن
جرير الطبري يحرفون حكم الكلم فحذف ذكر الحكم لمعرفة السامعين به من بعد مواضعه
يعني من بعد ان وضعه الله مواضعه وفرض فروضه واحل حلاله وحرم حرامه
فان قلت قد قال الله عز وجل هنا يحرفون الكلم من بعد مواضعه وقال في موضع
اخر يحرفون الكلم عن مواضعه فهل من فرق بينهما قلت نعم بينهما فرق وذلك انا
اذا فسرنا يحرفون الكلم عن مواضعه بالتاويلات الباطلة فيكون معنى قوله
يحرفون الكلم عن مواضعه انهم يذكرون التاويلات الفاسدة لتلك النصوص
وليس فيه بيان انهم يحرفون تلك اللفظة من الكتاب واما قوله يحرفون الكلم من
بعد مواضعه ففيه دلالة على انهم جمعوا بين الامرين يعني انهم كانوا يذكرون التاويلات
الفاسدة وكانوا يحرفون اللفظة من الكتاب ففي بيان قوله يحرفون الكلم عن
مواضعه اشارة الى التاويل الباطل وفي قوله من بعد مواضعه اشارة الى
اخراجه من الكتاب بالكلية وقوله تعالى يقولون يعني اليهود ان اوتيتم هذا فخذوه
يعني ان افتاكم محمد بالجلد والتحميم فاقبلوا منه وان لم تؤتوه فاحذروا يعني وان
لم يفتكم بذلك وافتاكم بالرجم احذروا ان تقبلوه ومن يرد الله فتنته يعني كفره
وضلالته فلن تملك له من الله شيئا يعني فلن تقدر على دفع امر الله فيه اولئك
الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم قال ابن عباس معناه ان تخلص نياتهم وقيل
ان معناه لم يرد الله ان يهديهم وفي هذه الاية دلالة على ان الله تعالى لم يرد اسلام
الكافر وانه لم يطهر قلبه من الشرك ولو فعل ذلك لامن وهذه الاية من اشد
الايات على القدرية لهم في الدنيا خزي يعني للمنافقين واليهود اما خزي المنافقين
فالفضيحة وهتك استارهم باظهار نفاقهم وكفرهم واما خزي اليهود فبالاخذ الجزية
والقتل والسبي والاجلاء من ارض الحجاز الى غيرها ولهم في الاخرة عذاب عظيم يعني
الخلود في النار للمنافقين واليهود قوله عز وجل سماعون للكذب اكالون للسحت
نزلت في حكام اليهود مثل كعب بن الاشرف ونظرائه كانوا يرتشون ويقضون
لمن رشاهم قال الحسن كان الحاكم منهم اذا اتاه احدهم برشوة جعلها في كمه ثم يريها
اياه ويتكلم بحاجته فيسمع منه ولا ينظر الى خصمه فيسمع الكذب وياكل الرشوة

وهي السحت واصل السحت الاستيصال يقال سحته اذا استاصله وسميت الرشوة في الحكم
سحتا لانها تستاصل دين المرتشي والسحت كل حرام يحمل عليه شدة الشهوة وهو يرجع
الى الحرام الخسيس الذي لا يكون له بركة ولا لاخذه مروة ويكون في حصوله عار بحيث
يخفيه لا محالة ومعلوم ان حال الرشوة كذلك فكذلك حرمت الرشوة على الحاكم عن ابي
هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن الراشي والمرتشي في الحكم اخرجه الترمذي
واخرجه ابو داود عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال الحسن انما ذلك في الحكم اذا
رشوته ليحق لك باطلا او يبطل عنك حقا وقال ابن مسعود الرشوة في كل شي فمن شفع
شفاعة ليرد بها حقا او يدفع بها ظلما فاهدي اليه فقبل فهو سحت فقيل له يا ابا عبد
الرحمن ما كنا نرى ذلك الا الاخذ على الحكم فقال الاخذ على الحكم كفر قال الله تعالى ومن لم
يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون قوله عز وجل فان جاوك يعني اليهود فاحكم
بينهم او اعرض عنهم وان تعرض عنهم فلن يضروك شيئا خير الله رسوله صلى الله عليه وسلم
في الحكم بينهم فان شا حكم وان شا ترك قال الحسن ومجاهد والسدي نزلت في اليهوديين
اللذين زنيا وقال قتادة نزلت في رجلين من قريظة والنضير قتل احدهما الاخر قال ابن زيد
كان حيي بن اخطب قد جعل للنضري ديتين وللقرظي دية لانه كان من بني النضير فقالت
قريظة لا نرضى بحكم حيي ونتحاكم الى محمد فانزل الله هذه الاية يخير نبيه صلى الله عليه وسلم في الحكم
بينهم **فصل** اختلف علما التفسير في حكم هذه الاية على قولين احدهما انها منسوخة وذلك
ان اهل الكتاب كانوا اذا ترافعوا الى النبي صلى الله عليه وسلم كان مخيرا فان شا حكم بينهم وان
شا اعرض عنهم ثم نسخ ذلك بقوله وان احكم بينهم بما انزل الله فلزمه الحكم بينهم وزال
التخيير وهذا القول يروى عن ابن عباس وعطا ومجاهد وعكرمة والسدي والقول الثاني
انها محكمة وحكام المسلمين بالخيار اذا ترافعوا اليهم ان شاوا حكموا بينهم وان شاوا اعرضوا
عنه وهذا القول يروى عن الحسن والشعبي والنخعي والزهري وبه قال احمد لانه لا منافاة
بين الايتين اما قوله فاحكم بينهم او اعرض عنهم ففيه التخيير بين الحكم والاعراض واما قوله
وان احكم بينهم بما انزل الله ففيه كيفية الحكم اذا حكم بينهم قال الامام فخر الدين الرازي
ومذهب الشافعي انه يجب على حاكم المسلمين ان يحكم بين اهل الكتاب اذا تحاكموا اليه لان في
امضا حكم الاسلام صغارا لهم فاما المعاهدون الذين لهم مع المسلمين عهد الى مدة فليس
بواجب على الحاكم ان يحكم بينهم بل يتخير في ذلك وهذا التخيير المذكور في هذه الاية مخصوص
بالمعاهدين واما اذا تحاكم مسلم وذمي وجب على الحاكم الحكم بينهما لا يختلف القول فيه لانه لا يجوز
للمسلم الانقياد لحكم اهل الذمة والله اعلم وقوله تعالى وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط يعني
بالعدل والاحتياط ان الله يحب المقسطين يعني العادلين فيما ولوا وحكموا فيه (م) عن
عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المقسطين
عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين الذين يعدلون في حكمهم

واهليهم

واهليهم وما ولوا هذا من احاديث الصفات فمن العلما من قال نؤمن بها
ولا نتكلم في تاويلها ولا نعرف معناها لكن نعتقد ان ظاهرها غير مراد وان لها معنى
يليق بالله وهذا مذهب جماهير السلف وطوائف من المتكلمين ومنهم من قال انها
تاول بتاويل يليق بها وهذا قول اكثر المتكلمين فعلى هذا قال القاضي عياض المراد بكونهم
عن اليمين الحالة الحسنة والمنزلة الرفيعة والعرب تنسب الفعل المحمود والاحسان
الى اليمين وضده الى اليسار قالوا واليمين ماخوذة من اليمن وقوله وكلتا يديه يمين
تنبيه على انه ليس المراد باليمين الجارحة تعالى الله عن ذلك فانها مستحيلة في حقه سبحانه
وقوله وما ولوا بفتح الواو وضم اللام المخففة هكذا ذكره الشيخ محي الدين في شرح مسلم قال
ومعناه وما كانت لهم عليه ولاية وهذا الفضل لمن عدل في تقلده من الاحكام والله اعلم
قوله تعالى وكيف يحكمونك وعندهم التوراة هذا تعجيب من الله لنبيه صلى الله عليه وسلم
في تحكيم اليهود اياه مع علمهم بما في التوراة وتركهم قبول ذلك الحكم مع اعتقادهم
صحته وعدولهم الى حكم يجحدون نبوته طلبا للرخصة لا جرم ان الله اظهر جهلهم وعنادهم
لانهم حكموا النبي صلى الله عليه وسلم في امر الزانيين ثم اعرضوا عن حكمه وفي هذه الاية
تقريع لليهود والمعنى وكيف يجعلونك حكما بينهم فيرضون بحكمك وعندهم التوراة
فيها حكم الله يعني الرجم الذي تحاكموا اليك من اجله ثم يتولون من بعد ذلك ثم يعرضون
عن حكمك الموافق لما في كتابهم وما اولئك بالمؤمنين يعني بكتابهم كما
يزعمون وقيل معناه وما اولئك بالمصدقين لك قوله عز وجل انا انزلنا التوراة فيها
هدى ونور سبب نزول هذه الاية استفتاء اليهود رسول الله صلى الله عليه وسلم في امر
الزانيين وقد سبق بيانه والهدى هو البيان لان التوراة مبينة صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم
ومبينة ما تحاكموا فيه والنور هو الكاشف للشبهات الموضح للمشكلات والتوراة كذلك وقيل
الفرق بين الهدى والنور ان الهدى محمول على بيان الاحكام والشرائع والنور محمول
على بيان احكام التوحيد والنبوات والمعاد يحكم بها النبيون الذين اسلموا للذين هادوا
اراد بالنبيين الذين بعثوا بعد موسى عليه السلام وذلك ان الله بعث في بني اسرائيل الوفا
من الانبيا وليس معهم كتاب انما بعثوا باقامة التوراة واحكامها ومعنى اسلموا انقادوا
لامر الله والعمل بكتابه وهذا على سبيل المدح لهم وفيه تعريض باليهود لانهم بعدوا عن
الاسلام الذي هو دين الانبيا عليهم السلام وقال الحسن والزهري وعكرمة وقتادة والسدي
يحتمل ان يكون المراد بالنبيين الذين اسلموا هو محمد صلى الله عليه وسلم لان النبي صلى الله عليه وسلم
حكم على اليهود بالرجم وكان هذا الحكم في التوراة قال ابن الانباري هذا رد على اليهود و
النصارى لان الانبيا عليهم السلام ما كانوا موصوفين باليهودية والنصرانية بل كانوا
مسلمين لله منقادين لامره ونهيه للذين هادوا يعني لليهود يعني يحكم بالتوراة لهم
وفيما بينهم ويحملهم على احكامها كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم من حملهم على حكم

الرجم كما هو في التوراة ولم يوافقهم على ما ارادوه من الجلد وقال الزجاج وجايز ان يكون
المعنى على التقديم والتاخير على معنى انا انزلنا التوراة فيها هدى ونور للذين هادوا يحكم
بها النبيون الذين اسلموا والربانيون والاحبار اما الربانيون فقد تقدم تفسيره في
سورة ال عمران واما الاحبار فقال ابن عباس هم الفقهاء وقيل هم العلماء الاحبار
واحده حبر بفتح الحا وكسرها لغتان وقال الفرا انما هو حبر بكسر الحا وانما سمي به لمكان الحبر
الذي يكتب به وذلك لانه صاحب كتاب قال ابو عبيد انما هو حبر بفتح الحا والحبر
العالم بما يبقى من اثر علومه في قلوب الناس وافعاله الحسنة التي يقتدى بها وجمعه
احبار ومنه كعب الاحبار وقيل الحبر الاثر المستحسن ومنه الحديث يخرج من النار
رجل قد ذهب حبره وسبره اي جماله وبهاوه وانما سمي العالم حبرا لما عليه من اثر
جمال العلم وهل فرق بين الربانيين والاحبار ام لا فيه خلاف فقيل لا فرق و
الربانيون والاحبار بمعنى واحد وهم العلماء والفقهاء وقيل الربانيون اعلى درجة
من الاحبار لان الله قدمهم في الذكر على الاحبار وقيل الربانيون هم الولاة والحكام
والاحبار هم العلماء وقيل الربانيون علماء النصارى والاحبار علماء اليهود ومعنى
الاية يحكم بالتوراة النبيون ولذلك يحكم بها الربانيون والاحبار وقوله تعالى بما
استحفظوا من كتاب الله يعني بما استودعوا من كتاب الله وقيل هو ان يحفظوا كتاب الله
فلا ينسوه وقيل هو ان يحفظوه فلا يضيعوا احكامه وشرايعه وقد اخذ الله على العلما
حفظ كتابه من هذين الوجهين معا وذلك بان يحفظوا كتاب الله في صدورهم و
يدرسونه بالسنتهم لئلا ينسوه وان لا يضيعوا احكامه ولا يهملوا شرايعه فاذا فعلوا
ذلك كانوا قايمين بحفظه وكانوا عليه شهدا يعني ان هولا النبيين والربانيين و
الاحبار كانوا شهدا على كتاب الله ويعلمون انه حق وصدق وانه من عند الله فلا تخشوا
الناس واخشون هذا خطاب لحكام اليهود الذين كانوا في زمان رسول الله صلى
الله عليه وسلم يعني لا تخافوا احدا من الناس في اظهار صفة محمد صلى الله عليه وسلم والعمل
بالرجم واخشوني يعني في كتمان ذلك ولا تشتروا باياتي ثمنا قليلا يعني ولا تستبدلوا بايات
الله واحكامه ثمنا قليلا يعني الرشوة في الاحكام والجاه عند الناس ورضاهم والمعنى
كما نهيتكم عن تغيير الاحكام لاجل خوف الناس كذلك انهاكم عن التغيير والتبديل
لاجل الطمع في المال والجاه واخذ الرشوة فان كل متاع الدنيا قليل ومن لم يحكم بما انزل
الله فاولئك هم الكافرون يعني ان اليهود لما انكروا حكم الله تعالى المنصوص عليه
في التوراة وقالوا انه غير واجب عليهم فهم كافرون على الاطلاق بموسى والتوراة
وبمحمد والقران واختلف العلما فيمن نزلت هذه الثلاث ايات وهي قوله ومن
لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الفاسقون فقال جماعة من المفسرين ان الايات
الثلاث نزلت في الكفار ومن غير حكم الله من اليهود لان المسلم وان ارتكب كبيرة

لاالقائل انه

لا القائل انه كافر وهذا قول ابن عباس وقتادة والضحاك ويدل على صحة هذا القول ما روي
عن البرا بن عازب قال انزل الله تبارك وتعالى ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم
الكافرون ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الفاسقون في الكفار كلها اخرجه
مسلم وعن ابن عباس قال ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون الى قوله
الفاسقون هذه الثلاث ايات في اليهود خاصة قريظة والنضير اخرجه ابو داود وقال
مجاهد في هذه الايات الثلاث من ترك الحكم بما انزل الله في كتاب الله فهو كافر ظالم
فاسق وقال عكرمة ومن لم يحكم بما انزل الله جاحدا به فقد كفر ومن اقر به ولم يحكم به
فهو ظالم فاسق وهو قول ابن عباس ايضا واختيار الزجاج لانه قال من زعم ان
حكما من احكام الله التي اتت بها الانبيا باطل فهو كافر وقال طاوس قلت لابن عباس
الكافر من لم يحكم بما انزل الله فقال به كفر وليس بكفر ينقل عن الملة كمن كفر بالله وملايكته
وكتبه ورسله واليوم الاخر ونحو هذا وروي عن عطا قال هو كفر دون كفر قال ابن مسعود
والحسن والنخعي هذه الايات الثلاث عامة في اليهود وفي هذه الامة فكل من ارتشى
وبدل الحكم فحكم بغير حكم الله فقد كفر وظلم وفسق واليه ذهب السدي لانه ظاهر الخطاب
وقيل هذا فيمن علم نص حكم الله ثم رده عيانا عمدا وحكم بغيره واما من خفي عليه النص
او اخطا في التاويل فلا يدخل في هذا الوعيد والله اعلم بمراده قوله تعالى وكتبنا عليهم
فيها ان النفس بالنفس يعني وفرضنا على بني اسرايل في التوراة ان نفس القاتل
بنفس المقتول وفا فيقتل به وذلك ان الله تعالى حكم في التوراة على الزاني
المحصن الرجم واخبر ان اليهود بدلوه وغيروه واخبر ايضا ان في التوراة ان النفس
بالنفس وان هولا اليهود غيروا هذا الحكم وبدلوه ففضلوا بني النضير على بني قريظة
وكان بنوا النضير اذا قتلوا من قريظة ادوا اليهم نصف الدية فغيروا حكم الله الذي
انزل في التوراة قال ابن عباس اخبر الله بحكمه في التوراة وهو ان النفس بالنفس والعين
بالعين والانف بالانف والاذن بالاذن والسن بالسن والجروح قصاص قال
فانهم يخالفون فيقتلون النفس بالنفس ويفقون العين بالعين ومعنى الاية
ان النفس بالنفس يقتل بها اذا تكافا الدمان ومذهب الشافعي انه لا يقتل مسلم بكافر
لما صح من حديث علي بن ابي طالب ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يقتل مسلم بكافر
الحديث اخرجاه في الصحيحين وقوله تعالى والعين بالعين يعني تفقا بها والانف
بالانف يعني يجدع به والاذن بالاذن يعني يقطع بها والسن بالسن يعني يقلع
واما ساير الاطراف والاعضا فيجري فيها القصاص كذلك وقوله تعالى والجروح
قصاص يعني فيما يمكن ان يقتص منه وهذا تعميم بعد التخصيص لان الله تعالى
ذكر النفس والعين والانف والاذن فخص هذه الاربعة بالذكر ثم قال تعالى
والجروح قصاص على سبيل العموم فيما يمكن ان يقتص منه كاليد والرجل والذكر

والانثيين وغيرهما واما ما لا يمكن القصاص فيه كرض في لحم او كسر في عظم او جراحة في البطن يخاف منها التلف فلا قصاص في ذلك وفيه الارش والحكومة واعلم ان هذه الاية دالة على ان هذا الحكم كان شرعا في التوراة فمن قال شرع من قبلنا يلزمنا الا ما نسخ منه بالتفصيل قال هذه الاية حجة في شرعنا ومن انكره قال انها ليست بحجة في شرعنا واصل هذه المسئلة ان النبي صلى الله عليه وسلم وامته بعد البعثة هل هم متعبدون بشرع من تقدم من الانبيا فنقل عن اصحاب ابي حنيفة وبعض اصحاب الشافعي وعن احمد في احدى الروايتين عنه انه كان متعبدا بما صح من شرائع من قبله بطريق الوحي اليه لا من جهة كتبهم المبدلة ونقل اربابها واختار ابن الحاجب من المتاخرين هذا المذهب وهو انه صلى الله عليه وسلم كان بعد البعثة متعبدا بشرع من قبله فيما لم ينسخ من الاحكام الثابتة قبل شريعته لكنه لم يتعبد قبل الوحي وهو الحق والا لم يبق للنزاع معنى اذ لا ينكر احد كون النبي صلى الله عليه وسلم متعبدا بعد البعثة بما اوحى الله اليه سوا كان من شريعة من قبله ام لا وذهب الاشاعرة والمعتزلة الى المنع من ذلك وهو اختيار السيف الامدي من المتاخرين واحتج الاولون بصحة مذهبهم وان الاجماع منعقد على صحة الاستدلال بقوله وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس الاية مع انه من شريعة من تقدم لانه مذكور في التوراة ومكتوب على بني اسرائيل ولولا انا متعبدون بشريعة من قبلنا لما صح هذا الاستدلال وقوله تعالى فمن تصدق به يعني بالقصاص فلم يقتص من الجاني فهو كفارة له في الهاء في له قولان احدهما ان الهاء في له كناية عن المجروح وولي المقتول وذلك ان المجروح وولي المقتول اذا تصدق بالقصاص كان ذلك كفارة لذنوبه وهو قول ابن مسعود وعبد الله بن عمرو بن العاص والحسن ويدل عليه ما روي عن ابي الدرداء قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من رجل يصاب بشي من جسده فيتصدق به الا رفعه الله به درجة وحط به عنه خطيئة اخرجه الترمذي وعن انس قال ما رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم رفع اليه شي فيه قصاص الا امر فيه بالعفو اخرجه ابو داود والنسائي والقول الثاني ان الضمير في قوله له يعود الى الجارح والقاتل يعني ان المجني عليه اذا عفا عن الجاني كان ذلك العفو كفارة لذنب الجاني لا يواخذ به في الاخرة وهذا قول ابن عباس ومجاهد ومقاتل كما ان القصاص كفارة له فاما اجر العافي فعلى الله تعالى وقوله تعالى ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الظالمون يعني لانفسهم حيث لم يحكموا بما انزل الله قوله عز وجل وقفينا على اثارهم يعني وعقبنا على اثار النبيين الذين اسلموا بعيسى ابن مريم مصدقا لما بين يديه من التوراة يعني ان عيسى عليه السلام كان مصدقا ان التوراة منزلة من عند الله عز وجل وكان العمل بها واجبا قبل ورود النسخ عليها فان عيسى عليه السلام نسخ بعض احكام التوراة وخالفها واتيناه الانجيل فيه هدى ونور يعني فيه هدى من الجهالة وضيا من عمى البصيرة ومصدقا لما بين يديه من التوراة هذا ليس بتكرير للاول لان في الاول الاخبار بان عيسى مصدق لما بين يديه من التوراة

وفي الثاني

وفي الثاني الاخبار بان الانجيل مصدق بالتوراة فظهر الفرق بين اللفظين وانه ليس بتكرار وهدى وموعظة للمتقين انما قال وهدى مرة اخرى لان الانجيل يتضمن البشارة بمحمد صلى الله عليه وسلم فيكون سببا لاهتدا الناس الى نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فاما كون الانجيل موعظة فلما فيه من المواعظ البليغة والزواجر والامثال وانما خص المتقين بالذكر لانهم هم الذين ينتفعون بالمواعظ قوله تعالى وليحكم اهل الانجيل بما انزل الله فيه قال اهل المعاني قوله وليحكم يحتمل وجهين احدهما ان يكون المعنى وقلنا ليحكم اهل الانجيل فيكون هذا اخبارا عما فرض عليهم في وقت انزاله عليهم من الحكم بما تضمنه الانجيل ثم حذف القول لان ما قبله من قوله وكتبنا وقفينا يدل عليه وحذف القول كثير والوجه الثاني ان يكون قوله وليحكم ابتدا وفيه امر للنصارى بالحكم بما في كتابهم وهو الانجيل فان قلت على هذا الوجه كيف جاز ان يومروا بالحكم بما في الانجيل بعد نزول القران قلت ان المراد بهذا الحكم الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم لان ذكره في الانجيل موجود ووجوب التصديق بنبوته فاذا امنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم فقد حكموا بما في الانجيل وقوله ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الفاسقون يعني فاولئك هم الخارجون عن طاعة الله عز وجل قوله عز وجل وانزلنا اليك الكتاب خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعني وانزلنا اليك يا محمد القران بالحق يعني بالصدق الذي لا شك فيه انه من عند الله مصدقا لما بين يديه من الكتاب يعني انه يصدق جميع الكتب التي انزلها الله على انبيائه ومهيمنا عليه قال ابن عباس يعني شاهدا على الكتب التي قبله ومنه قول الشاعر ٭ ان الكتاب مهيمن لنبينا ٭ والحق يعرفه ذووا الالباب ٭ يريد انه شاهد ومصدق لنبينا صلى الله عليه وسلم وانما كان القران مهيمنا على الكتب التي قبله لانه الكتاب الذي لا ينسخ ولا يغير ولا يبدل واذا كان القران كذلك كانت شهادته على التوراة والانجيل والزبور وجميع الكتب المنزلة حق وصدق وقيل المهيمن الامين وانما كان القران امينا على الكتب التي قبله فيما اخبر اهل الكتب عن كتبهم فان كان ذلك في القران فقد صدقوا والا فلا فاحكم بينهم بما انزل الله يعني اذا ترافع اهل الكتاب اليك يا محمد فاحكم بينهم بالقران الذي انزله الله اليك ولا تتبع اهواءهم يعني ولا تتبع اهوا اليهود في الحكم قال ابن عباس لا تاخذ باهوائهم في جلد المحصن عما جاءك من الحق يعني ولا تنحرف عن الحق الذي جاءك من عند الله متبعا اهواءهم وقوله ولا تتبع اهواءهم عما جاءك من الحق وان كان خطابا للنبي صلى الله عليه وسلم لكن المراد به غيره لانه صلى الله عليه وسلم لم يتبع اهواءهم قط لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا الخطاب في قوله منكم للامم الثلاثة امة موسى وامة عيسى وامة محمد صلى الله عليه وسلم بدليل ان الله عز وجل قال قبل هذه انا انزلنا التوراة فيها هدى ونور ثم قال بعد ذلك وقفينا على اثارهم بعيسى ابن مريم ثم قال وانزلنا اليك الكتاب ثم جمع فقال لكل جعلنا منكم شرعة

ومنهاجا الشرعة الشريعة يعني لكل امة شريعة فللتوراة شريعة وللانجيل شريعة وللقران
شريعة والدين واحد وهو التوحيد واصل الشريعة من الشرع وهو البيان والاظهار
يقال شرع بين واوضح وقيل هو من الشروع في الشي والشريعة في كلام العرب المشرعة
التي يشرعها الناس فيشربون ويستقون منها وقيل الشريعة الطريقة ثم استعير
ذلك للطريق الالهية المودية للدين والمنهاج الطريق الواضح وقال بعضهم الشريعة
والمنهاج عبارتان عن معنى واحد والتكرير للتاكيد والمراد بهما الدين وقال اخرون
بينهما فرق لطيف وهو ان الشريعة هي التي امر الله بها عباده والمنهاج الطريق
الواضح المودي الى الشريعة قال ابن عباس في قوله شرعة ومنهاجا سنة وسبيلا
قال قتادة سبيلا وسنة فالسنن مختلفة للتوراة شريعة وللانجيل شريعة وللقران
شريعة يحل الله فيها ما يشاء ويحرم ما يشاء ليعلم من يطيعه ممن يعصيه والدين الذي
لا يقبل غيره هو التوحيد والاخلاص لله الذي جاءت به جميع الرسل عليهم السلام
وقال علي بن ابي طالب الايمان منذ بعث ادم عليه السلام شهادة ان لا اله الا الله
والاقرار بما جاء من عند الله فلكل قوم شريعة ومنهاج قال العلماء وردت ايات
دالة على عدم التباين في طريقة الانبياء والرسل منها قوله شرع لكم من الدين ما وصى
به نوحا الى قوله ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ومنها قوله اولئك الذين هدى
الله فبهداهم اقتده ووردت ايات دالة على حصول التباين بينهم منها هذه الاية
وهي قوله لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا وطريق الجمع بين هذه الايات ان كل اية
دلت على عدم التباين فهي دالة على اصول الدين من الايمان بالله وملائكته و
كتبه ورسله واليوم الاخر فكل ذلك جاءت به الرسل من عند الله ولم يختلفوا فيه
واما الايات الدالة على حصول التباين بينهم فمحمولة على الفروع وما يتعلق بظواهر العبادات
فجائز ان يتعبد الله عباده في كل وقت بما شاء فهذه طريق الجمع بين هذه الايات
والله اعلم باسرار كتابه واحتج بهذه من قال ان شرع من قبلنا لا يلزمنا لان قوله
لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا يدل على ان كل رسول جاء بشريعة خاصة فلا يلزم
امة رسول الاقتداء بشريعة رسول اخر ثم قال تعالى ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة
يعني جماعة متفقة على شريعة واحدة ودين واحد لا اختلاف فيه ولكن ليبلوكم يعني
ولكن اراد ان يختبركم فيما اتاكم يعني من الشرائع المختلفة هل تعملون بها امتثالا فيتبين
بذلك المطيع من العاصي والموافق من المخالف فاستبقوا الخيرات هذا خطاب لامة
محمد صلى الله عليه وسلم يعني بادروا يا امة محمد بالاعمال الصالحة التي تقربكم الى الله تعالى
الى الله مرجعكم جميعا يعني المطيع والعاصي والموافق والمخالف فينبئكم بما كنتم فيه
تختلفون يعني فيخبركم في الاخرة بما كنتم فيه تختلفون من امر الدين في الدنيا يعني
فيخبركم في الاخرة بما لا تشكون معه فيفصل بين المحق والمبطل والطائع والعاصي

بالثواب

بالثواب والعقاب قوله تعالى وان احكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع اهواءهم قال ابن عباس
ان كعب بن اسيد وعبد الله بن صوريا وشاس بن قيس قال بعضهم لبعض اذهبوا
بنا الى محمد لعلنا نفتنه عن دينه فاتوه فقالوا يا محمد قد عرفت انا احبار اليهود
واشرافهم وساداتهم وانا ان اتبعناك اتبعنا اليهود ولم يخالفونا وان بيننا وبين
قومنا خصومة فنحاكمهم اليك فاقض لنا عليهم نومن بك ونصدقك فابى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله هذه الاية وان احكم بينهم بما انزل الله يعني
احكم بينهم يا محمد بالحكم الذي انزله الله في كتابه ولا تتبع اهواءهم يعني فيما امروك به
قال العلماء ليس في هذه الاية تكرار لما تقدم وانما نزلتا في حكمين مختلفين اما الاية الاولى
فنزلت في شان رجم المحصن وان اليهود طلبوا منه ان يجلده وهذه الاية نزلت
في شان الدماء والديات حين تحاكموا اليه في امر قتيل كان بينهم قال بعض العلماء هذه الاية
ناسخة للتخيير في قوله فاحكم بينهم او اعرض عنهم وقوله تعالى واحذرهم ان يفتنوك عن
بعض ما انزل الله اليك يعني واحذر يا محمد هولاء اليهود الذين جاؤوا اليك ان يردوك
ويصدوك بمكرهم وكيدهم فيحملوك على ترك العمل ببعض ما انزل الله اليك في كتابه
واتباع اهواءهم فان تولوا يعني فان اعرضوا عن الايمان بك والرضا بالحكم بما انزل الله
فاعلم انما يريد الله ان يصيبهم ببعض ذنوبهم يعني فاعلم يا محمد ان الله يريد ان يعجل لهم
العقوبة في الدنيا ببعض ذنوبهم وانما خص بعض الذنوب لان الله جازاهم في الدنيا
على بعض ذنوبهم بالقتل والسبي والجلاء واخر مجازاتهم على باقي ذنوبهم الى الاخرة وان كثيرا
من الناس لفاسقون يعني اليهود لانهم ردوا حكم الله تعالى افحكم الجاهلية يبغون افحكم
الجاهلية يطلب هولاء اليهود وقال ابن عباس يعني بحكم الجاهلية ما كانوا عليه من الضلالة والجور
في الاحكام وتحريفهم اياها عما امر الله بها وقال مقاتل كانت بين بني النضير وقريظة دماء وهما
حيان من اليهود وذلك قبل ان يبعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فلما بعث وهاجر الى المدينة
تحاكموا اليه فقالت بنو قريظة بنو النضير اخواننا ابونا واحد وديننا واحد وكتابنا
واحد فان قتل بنو النضير منا قتيلا اعطونا سبعين وسقا من تمر وان قتلنا منهم
قتيلا اخذوا منا مائة واربعين وسقا وارش جراحاتنا على النصف من جراحاتهم
فاقض بيننا وبينهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاني احكم ان دم القرظي وفاء
من دم النضيري ودم النضيري وفاء من دم القرظي ليس لاحدهما فضل على الاخر في دم
وعقل ولا جراحة فغضب بنو النضير وقالوا لا نرضى بحكمك فانك لنا عدو وانك
ما تالوا في وضعنا وتصغيرنا فانزل الله افحكم الجاهلية يبغون وقرئ بالتاء على الخطاب
والمعنى قل لهم يا محمد افحكم الجاهلية تبغون ومن احسن من الله حكما لقوم يوقنون
يعني اي حكم احسن من حكم الله ان كنتم موقنين ان لكم ربا وانه عدل في احكامه قوله عز
وجل يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء اختلف المفسرون في سبب

نزول هذه الاية وان كان حكمها عاما لجميع المومنين لان خصوص السبب لا يمنع من
عموم الحكم فقال قوم نزلت هذه الاية في عبادة بن الصامت رضي الله عنه وعبد الله
ابن ابي بن سلول راس المنافقين وذلك انهما اختصما فقال عبادة ان لي
اوليا من اليهود كثير عددهم شديدة شوكتهم واني ابرا الى الله والى رسوله من
ولايتهم ولا مولى لي الا الله ورسوله فقال عبد الله بن ابي لكني لا ابرا من ولاية
اليهود فاني اخاف الدواير ولا بد لي منهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا ابا الحباب
ما نفست به من ولاية اليهود على عبادة بن الصامت فهو لك دونه فقال
اذن اقبل فانزل الله هذه الاية وقال السدي لما كانت واقعة احد اشتد الامر
على طايفة من الناس وتخوفوا ان يدال عليهم الكفار فقال رجل من المسلمين انا الحق
بفلان اليهودي واخذ منه امانا اني اخاف ان يدال علينا اليهود وقال رجل اخر
الحق بفلان النصراني من اهل الشام واخذ منه امانا فانزل الله هذه الاية نهاهما
من موالات اليهود والنصارى وقال عكرمة نزلت في ابي لبابة ابن عبد المنذر
لما بعثه النبي صلى الله عليه وسلم الى بني قريظة حين حاصرهم فاستشاروه في النزول
وقالوا ماذا يصنع بنا اذا نزلنا فجعل اصبعه على حلقه اشارة انه الذبح وانه يقتلكم فانزل
الله يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اوليا فنهى الله المومنين جميعا
ان يتخذوا اليهود والنصارى اوليا او انصارا واعوانا على اهل الايمان بالله ورسوله
واخبر انه من اتخذهم انصارا وحلفا من دون الله ورسوله والمومنين فانه منهم وان
الله ورسوله والمومنين منه برا بعضهم اوليا بعض يعني ان بعض اليهود انصارا
لبعض على المومنين وان النصارى كذلك يد واحدة على من خالفهم في دينهم وملتهم
ومن يتولهم منكم فانه منهم يعني ومن يتولى اليهود والنصارى دون المومنين فينصرهم
على المومنين فهو من اهل دينهم وملتهم لانه لا يتولى متول احدا الا وهو راض به وبدينه
واذا رضيه ورضي دينه صار منهم وهذا تعليم من الله عز وجل وتشديد عظيم في مجانبة
اليهود والنصارى وكل من خالف دين الاسلام ان الله لا يهدي القوم الظالمين
يعني ان الله لا يوفق من وضع الولاية في غير موضعها فتولى اليهود والنصارى
مع علمه بعداوتهم لله ولرسوله وللمومنين روي ان ابا موسى الاشعري قال قلت
لعمر بن الخطاب ان لي كاتبا نصرانيا فقال ما لك وله قاتلك الله الا اتخذت حنيفا
يعني مسلما اما سمعت قول الله عز وجل يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا اليهود و
النصارى اوليا بعضهم اوليا بعض قلت له دينه ولي كتابته فقال لا اكرمهم
اذا اهانهم الله ولا اعزهم اذ اذلهم الله ولا ادنيهم اذ ابعدهم الله قلت انه لا يتم
امر البصرة الا به قال مات النصراني والسلام يعني هب انه مات فما تصنع بعده
فما تعمله بعد موته فاعمله الان واستغن عنه بغيره من المسلمين قوله تعالى فترى

الذين في

الذين في قلوبهم مرض يعني فترى يا محمد الذين في قلوبهم شك ونفاق يسارعون
فيهم يعني يسارعون في مودة اليهود وموالاتهم ومناصحتهم لانهم كانوا اهل ثروة
ويسار فكانوا يغشونهم ويخالطونهم لاجل ذلك نزلت في عبد الله بن ابي المنافق
وفي اصحابه من المنافقين يقولون يعني المنافقين نخشى ان تصيبنا دايرة
الدايرة من دواير الدهر كالدولة التي تدول والمعنى ويقول المنافقون انما
نخالط اليهود لانا نخشى ان يدور علينا الدهر بمكروه ويعنون بذلك المكروه
الهزيمة في الحرب والقحط والجدب والحوادث المخوفة قال ابن عباس معناه
نخشى ان لا يتم امر محمد فيدور علينا الامر كما كان قبل محمد فعسى الله ان ياتي بالفتح
او امر من عنده قال المفسرون عسى من الله واجب لان الكريم اذا اطمع في خير فعله
وهو بمنزلة الوعد لتعلق النفس به ورجايها له والمعنى فعسى الله ان ياتي بالفتح
لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم على اعدايه واظهار دينه على الاديان كلها
واظهار المسلمين على اعدايهم من الكفار واليهود والنصارى وقد فعل الله ذلك
بمنه وكرمه فاظهر دينه ونصر عبده وقيل اراد بالفتح فتح مكة وقيل فتح قرى اليهود
مثل فدك وخيبر ونحوهما من بلادهم او امر من عنده يعني انه تعالى يقطع اصل اليهود
من ارض الحجاز ويخرجهم من بلادهم بلا كلفة وتعب ولا يكون للناس فيه فعل
البتة كما القى في قلوبهم الرعب فاخلوا ديارهم واخربوها بايديهم ورحلوا الى الشام
قوله تعالى فيصبحوا على ما اسروا في انفسهم نادمين يعني فيصبح المنافقون الذين
كانوا يوالون اليهود نادمين على ما حدثوا به انفسهم ان امر محمد لا يتم وقيل ندموا
على دس الاخبار الى اليهود ويقول الذين امنوا يعني ويقول الذين امنوا في وقت
اظهار الله نفاق المنافقين اهولا الذين اقسموا بالله جهد ايمانهم انهم لمعكم و
ذلك ان المومنين كانوا يتعجبون من حال المنافقين عند ما اظهروا الميل الى
موالات اليهود والنصارى وقالوا ان المنافقين حلفوا بالله جهد ايمانهم انهم لمعنا
ومن انصارنا والان كيف صاروا موالين لاعداينا من اليهود ومحبين للاختلاط
بهم فبان كذب المنافقين في ايمانهم الباطلة حبطت اعمالهم اي بطل كل خير
عملوه لاجل ما اظهروا من النفاق وموالاة اليهود فاصبحوا خاسرين يعني انهم خسروا
في الدنيا بافتضاحهم وخسروا في الاخرة باحباط ثواب اعمالهم وحصلوا في العذاب
الدايم المقيم قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا من يرتد منكم عن دينه يعني يرجع منكم
عن دينه الحق الذي هو عليه وهو دين الاسلام فيبدله بغيره بدخوله في الكفر
بعد الايمان فيختار اما اليهودية واما النصرانية او غير ذلك من اصناف الكفر
فلن يضر الله شيا وانما ضر نفسه برجوعه عن الدين الصحيح الذي هو دين الاسلام
قال الحسن علم الله تعالى ان قوما سيرجعون عن الاسلام بعد موت نبيهم صلى الله عليه

وسلم فاخبر الله انه سياتي بقوم يحبهم ويحبونه وذكر صاحب الكشاف ان احدى عشر فرقة
من العرب ارتدت ثلاثة في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم بنو مدلج ورئيسهم
ذو الحمار وهو الاسود العنسي وكان كاهنا تنبا باليمن واستولى على بلاده واخرج
عمال رسول الله صلى الله عليه وسلم الى معاذ ابن جبل والى سادات اليمن فاهلكه الله
تعالى على يد فيروز الديلمي فبيته وقتله فاخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين
بقتله ليلة قتل فسر المسلمون بذلك وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم من الغد
واتى خبر قتله في اخر ربيع الاول وبنو حنيفة وهم قوم مسيلمة الكذاب تنبا وكتب
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من مسيلمة رسول الله الى محمد رسول الله اما بعد
فان الارض نصفها لي ونصفها لك فكتب اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم
من محمد رسول الله الى مسيلمة الكذاب اما بعد فان الارض لله يورثها من يشاء
من عباده والعاقبة للمتقين وسياتي قصة قتله فيما بعد وبنو اسد وهم قوم
طليحة بن خويلد تنبا فبعث الى رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد
فقاتله فانهزم بعد القتال الى الشام ثم اسلم بعد ذلك وحسن اسلامه وارتد سبع
فرق في خلافة ابي بكر الصديق وهم فزارة قوم عيينة بن حصن الفزاري وغطفان
قوم قرة بن سلمة القشيري وبنو سليم قوم الفجاءة بن عبد ياليل وبنو يربوع قوم مالك
بن نويرة اليربوعي وبعض تميم قوم سجاح بنت المنذر المتنبئة التي زوجت نفسها
من مسيلمة الكذاب وكندة قوم الاشعث بن قيس الكندي وبنو بكر بن وائل قوم
الحطم بن زيد فكفى الله امرهم على يد ابي بكر الصديق رضي الله عنه وفرقة واحدة
ارتدت في خلافة عمر بن الخطاب وهم غسان قوم جبلة بن الايهم واختلف العلماء
في المعني بقوله تعالى فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه فقال علي بن ابي طالب
والحسن وقتادة هم ابو بكر الصديق واصحابه الذين قاتلوا اهل الردة ومانعي الزكاة
وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قبض ارتد عامة العرب كما تقدم تفصيله الا
اهل المدينة واهل مكة واهل البحرين من بني عبد القيس فانهم ثبتوا على الاسلام ونصر الله
بهم الدين ولما ارتد من ارتد من العرب ومنعوا الزكاة هم ابو بكر بقتالهم فكره ذلك
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال عمر كيف نقاتل الناس وقد قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فمن قالها
فقد عصم مني دمه وماله الا بحقه وحسابه على الله قال ابو بكر والله لاقاتلن من فرق
بين الصلاة والزكاة فان الزكاة حق المال والله لو منعوني عناقا او قال عقالا كانوا
يؤدونها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعها قال انس بن مالك كرهت
الصحابة قتال مانعي الزكاة وقالوا هم اهل القبلة فتقلد ابو بكر سيفه وخرج وحده
فلم يجدوا بدا من الخروج على اثره فقال ابن مسعود كرهنا ذلك في الابتداء ثم حمدناه

عليه في الانتهاء وقال ابو بكر بن عياش سمعت ابا حصين يقول ما ولد بعد النبيين
افضل من ابي بكر الصديق لقد قام مقام نبي من الانبياء في قتال اهل الردة وقالت
عائشة توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وارتدت العرب واشرأب النفاق
ونزل بابي بكر ما لو نزل بالجبال الراسيات لهاضها وبعث ابو بكر الصديق خالد بن الوليد
في جيش كثير الى بني حنيفة باليمامة وهم قوم مسيلمة الكذاب فاهلك الله تعالى مسيلمة
الكذاب على يد وحشي غلام مطعم بن عدي الذي قتل حمزة وهو خير الناس وفي حال
اسلامه قتل مسيلمة الكذاب وهو شر الناس وقال قوم المراد بقوله تعالى فسوف
يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه الاشعريون قوم ابي موسى الاشعري روي عن عياض
ابن غنم الاشعري قال لما نزلت هذه الاية فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم هم قوم هذا يعني ابا موسى الاشعري اخرجه الحاكم في المستدرك
وقيل هم اهل اليمن (ق) عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاكم اهل
اليمن هم ارق افئدة والين قلوبا الايمان يمان والحكمة يمانية وقال السدي
نزلت في الانصار لانهم هم الذين نصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم واعانوه على
اظهار الدين وقيل هم احياء من اليمن الفان من النخع وخمسة الاف من كندة
وبجيلة وثلاثة الاف من اخلاط الناس جاهدوا في سبيل الله يوم القادسية في ايام
عمر وعلى هذا التقدير تكون هذه الاية اخبارا عن الغيب وقد وقع الخبر على وفقه بحمد
الله تعالى فتكون هذه الاية معجزة واما معنى المحبة فيقال احببت فلانا بمعنى جعلت
قلبي معرضا بان يحبه والمحبة ارادة ما تراه وتظنه خيرا فمحبة الله العبد انعامه عليه و
توفيقه وهدايته الى طاعته والعمل بما يرضى عنه وان يثيبه احسن الثواب على
طاعته وان يثني عليه ويرضى عنه ومحبة العبد لله عز وجل ان يسارع الى طاعته
وابتغاء مرضاته وان لا يفعل ما يوجب سخطه وعقوبته وان يتحبب اليه بما يوجب
له الزلفى لديه جعلنا الله ممن يحبهم ويحبونه بمنه وكرمه وقوله عز وجل اذلة على
المؤمنين اعزة على الكافرين وهذه من صفات الذين اصطفاهم الله ووصفهم
بقوله يحبهم ويحبونه يعني انهم ارقاء رحماء لاهل دينهم واخوانهم من المؤمنين ولم يرد
ذل الهوان لكن لين جانبهم لاخوانهم المؤمنين وهم مع رقتهم ورحمتهم ولين
جانبهم اشداء اقوياء غلظاء على اعدائهم الكافرين قال علي بن ابي طالب اذلة على
المؤمنين يعني اهل رقة على اهل دينهم اعزة على الكافرين اهل غلظة على من خالفهم
في دينهم وقال ابن عباس تراهم كالولد لوالده وكالعبد لسيده وهم في
الغلظة على الكافرين كالسبع على فريسته وقال ابن الانباري اثنى الله على
هؤلاء المؤمنين بانهم يتواضعون للمؤمنين اذا لقوهم ويعنفون بالكافرين اذا
لقوهم وقيل ان الذل هنا بمعنى الشفقة والرحمة كانه قال راحمين للمؤمنين

مشفقين عليهم بل وجه التذلل والتواضع وانما اتى بلفظة على حتى يدل على علو منصبهم
وفضلهم وشرفهم لا لاجل كونهم ذليلين في انفسهم بل ذلك التذلل لاجل انهم ضموا
الى علو منصبهم فضيلة التواضع ويدل على صحة هذا سياق الاية وهو قوله اعزة على
الكافرين يعني انهم اشداء اقوياء في انفسهم وعلى اعدائهم يجاهدون في سبيل الله يعني
انهم ينصرون دين الله ولا يخافون لومة لائم يعني لا يخافون عذل عاذل في نصرهم
للدين وذلك ان المنافقين كانوا يراقبون الكفار ويخافون لومهم فبين الله في
هذه الاية ان من كان قويا في الدين فانه لا يخاف في نصرة لدين الله بيده او بلسانه
لومة لائم وهذه صفة المؤمنين المخلصين الذين لله تعالى (ق) عن عبادة بن الصامت
قال بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط
والمكره وعلى ان لا ننازع الامر اهله وعلى ان نقول بالحق اين ما كنا لا نخاف في الله
لومة لائم ثم قال تعالى ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء اشارة الى ما تقدم من وصفهم بالمحبة
لله ولين جانبهم للمؤمنين وشدتهم على الكافرين وانهم يجاهدون في سبيل الله ولا
يخافون لومة لائم كل ذلك من فضل الله تعالى تفضل به عليهم ومن احسانه اليهم
والله واسع عليم يعني انه تعالى واسع الفضل عليم بمن يستحقه قوله تعالى انما وليكم الله ورسوله
والذين امنوا قال ابن عباس نزلت هذه الاية في عبادة بن الصامت حين تبرأ من موالاة
اليهود وقال اتولى الله ورسوله والمؤمنين يعني اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وقال جابر
ابن عبد الله نزلت في عبد الله بن سلام وذلك انه جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقال ان قومنا قريظة والنضير قد هجرونا وفارقونا واقسموا ان لا يجالسونا فنزلت هذه
الاية فقراها عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عبد الله بن سلام رضينا بالله ربا
وبرسوله وبالمؤمنين اولياء وقيل الاية عامة في حق جميع المؤمنين لان المؤمنين بعضهم
اولياء بعض فعلى هذا يكون قوله تعالى الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون
صفة لكل مؤمن ويكون المراد بذكر هذه الصفات تمييز المؤمنين عن المنافقين لان
المنافقين كانوا يدعون انهم مؤمنون الا انهم لم يكونوا يداومون على فعل الصلاة
والزكاة فوصف الله المؤمنين بانهم يقيمون الصلاة يعني باتمام ركوعها في مواقيتها
ويؤتون الزكاة يعني ويؤدون زكاة اموالهم اذا وجبت عليهم اما قوله تعالى وهم
راكعون فعلى هذا التفسير فيه وجوه احدها ان المراد من الركوع هنا الخضوع
والمعنى ان المؤمنين يصلون ويزكون وهم منقادون خاضعون لاوامر الله
ونواهيه والوجه الثاني ان يكون المراد منه من شانهم اقامة الصلاة وايتاء الزكاة
وانما خص الركوع بالذكر تشريفا له الوجه الثالث قيل ان هذه الاية نزلت وهم
راكعون وقيل نزلت في شخص معين وهو علي بن ابي طالب قال السدي مر بعلي
سائل وهو راكع في المسجد فاعطاه خاتمه فعلى هذا قال العلماء العمل القليل في الصلاة

لا يفسدها

لا يفسدها والقول بالعموم اولى وان كان قد وافق وقت نزولها صدقة علي بن
ابي طالب وهو راكع ويدل على ذلك ما روي عن عبد الملك بن سليمان قال
سالت ابا جعفر محمد بن علي الباقر عن هذه الاية انما وليكم الله ورسوله والذين
امنوا من هم فقال المؤمنون فقلت ان ناسا يقولون هو علي فقال فعلي من الذين
امنوا قوله تعالى ومن يتول الله ورسوله والذين امنوا يعني ومن يتول القيام
بطاعة الله ونصر رسوله والمؤمنين قال ابن عباس يريد المهاجرين والانصار ومن
ياتي بعدهم فان حزب الله يعني انصار دين الله هم الغالبون لان الله ناصرهم على عدوهم
والحزب في اللغة اصحاب الرجل الذين يكونون معه على رايه وهم القوم الذين
يجتمعون لامر حزبهم يعني اهمهم قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا الذين
اتخذوا دينكم هزوا ولعبا قال ابن عباس كان رفاعة بن سويد بن التابوت
وسويد بن الحارث قد اظهرا الاسلام ثم نافقا وكان رجال من المسلمين يوادونهما فانزل
الله هذه الاية ومعنى اتخذوا دينكم هزوا ولعبا هو اظهار الاسلام بالسنتهم قولا وهم
مع ذلك يبطنون الكفر ويسرونه من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم يعني اليهود والكفار
يعني عبدة الاصنام وانما فصل بين اهل الكتاب وبين الكفار وان كان اهل الكتاب
من الكفار لان كفر المشركين من عبدة الاصنام اغلظ وافحش من كفر اهل الكتاب
اولياء يعني لا تتخذوهم اولياء والمعنى ان اهل الكتاب والكفار اتخذوا دينكم يا معشر المؤمنين
هزوا وسخرية فلا تتخذوهم انتم اولياء وانصارا واتقوا الله ان كنتم مؤمنين يعني مؤمنين
حقا لان المؤمن يابى موالاة اعداء الله عز وجل قوله واذا ناديتم الى الصلاة اتخذوها
هزوا ولعبا قال الكلبي كان منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نادى الى الصلاة
وقام المسلمون اليها قالت اليهود قد قاموا لا قاموا وصلوا لا صلوا ويضحكوا على
طريق الاستهزاء فانزل الله هذه الاية وقال السدي نزلت هذه الاية في رجل من الانصار
كان بالمدينة اذا سمع المؤذن يقول اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول
الله يقول حرق الكاذب فدخل خادمه ذات ليلة بنار وهو واهله نيام فطارت
شرارة في حرق البيت واحترق هو واهله وقيل ان الكفار والمنافقين كانوا
اذا سمعوا الاذان للمسلمين على ذلك ثم دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقالوا يا محمد لقد ابدعت شيئا لم نسمع بمثله فيما مضى من الامم قبلك فان كنت
تدعي النبوة فقد خالفت الانبياء قبلك ولو كان فيه خير لكان اولى الناس به الانبياء
فمن اين لك صياح كصياح العير فما اقبح هذا الصوت وما اسمج هذا الامر فانزل الله
ومن احسن قولا ممن دعا الى الله الاية وانزل واذا ناديتم الى الصلاة اتخذوها
هزوا ولعبا ذلك بانهم قوم لا يعقلون يعني ان هزوهم ولعبهم من افعال السفهاء
والجهال الذين لا عقل لهم قوله تعالى قل يا اهل الكتاب الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم

يعني قل يا محمد لهؤلاء اليهود والنصارى الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا هل تنقمون منا
يعني هل تكرهون منا وتعيبون علينا الا ان امنا بالله وما انزل الينا وما انزل من قبل
وهذا على سبيل التعجب من فعل اهل الكتاب والمعنى هل تجدون علينا في الدين الا
الايمان بالله وبما انزل الينا وبما انزل على جميع الانبياء من قبل وهذا ليس بعيب بل هو
مدح كما قيل ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب
يعني انه ليس فيهم عيب الا ذلك وهذا ليس بعيب بل هو مدح عظيم لهم قال ابن عباس
اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم نفر من اليهود فيهم ابو ياسر بن اخطب ورافع بن ابي
رافع وعازر وزيد وخالد وازار بن ابي ازار واشيع فسالوه عمن يؤمن به فقال
اؤمن بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابراهيم واسمعيل واسحاق ويعقوب الى قوله ونحن
له مسلمون الاية فلما ذكر عيسى جحدوا نبوته وقالوا والله لا نؤمن بمن امن به فانزل الله هذه
الاية وقيل انهم قالوا والله ما نعلم اهل دين اقل حظا في الدنيا والاخرة منكم ولا دينا
شرا من دينكم فانزل الله هذه الاية قل يا اهل الكتاب هل تنقمون منا الا ان امنا بالله
وهذا هو ديننا الحق وطريقنا المستقيم فهل تنقمونه علينا وان اكثركم فاسقون يعني انكم
انما كرهتم ايماننا وتنقمونه علينا مع علمكم بانا على الحق بسبب فسقكم واقامتكم على
الدين الباطل لحب الرياسة واخذ الاموال بالباطل وانما قال اكثرهم لان الله علم ان
من اهل الكتاب من يؤمن بالله ورسوله قوله عز وجل قل هل انبئكم بشر من ذلك
هذا جواب اليهود حين قالوا ما نعرف دينا شرا من دينكم والمعنى قل يا محمد لهؤلاء
اليهود الذين قالوا هذه المقالة هل اخبركم بشر من ذلك الذي ذكرتم ونقمتم علينا
من ايماننا بالله وبما انزل علينا مثوبة عند الله يعني جزاء فان قلت المثوبة مختصة
بالاحسان لانها في معنى الثواب فكيف جاءت في الاساءة قلت وضعت المثوبة موضع
العقوبة على طريقة قوله تحية بينهم ضرب وجيع ومنه قوله تعالى فبشرهم بعذاب
اليم والمعنى قل هل انبئكم بشر من اهل ذلك الدين مثوبة فان قلت هذا يقتضي
ان الموصوفين بذلك الدين محكوم عليهم بالشر لانه تعالى قال بشر من ذلك ومعلوم
ان الامر ليس كذلك فما جوابه قلت جوابه ان الكلام خرج على حسب قولهم واعتقادهم
فان اليهود حكموا بان اعتقاد ذلك الدين شر فقيل لهم هب ان الامر كذلك لكن
من لعنه الله وغضب عليه ومسخ صورته شر من ذلك وقوله تعالى من لعنه الله معناه
هل انبئكم بمن لعنه الله وهو من لعنه الله ومعنى لعنه الله ابعده وطرده عن رحمته
وغضب عليه يعني وانتقم منه لان الغضب ارادة الانتقام من العصاة وجعل
منهم القردة والخنازير يعني من اليهود من لعنه الله وغضب عليه ومنهم من جعله
قردة وخنازير قال ابن عباس ان الممسوخين كلاهما من اصحاب السبت فشبانهم
مسخوا قردة ومشايخهم مسخوا خنازير وقيل ان مسخ القردة كان في اصحاب السبت

من اليهود

من اليهود ومسخ الخنازير كان في الذين كفروا بعد نزول المائدة في زمن عيسى عليه
السلام ولما نزلت هذه الاية عير المسلمون اليهود وقالوا لهم يا اخوان القردة والخنازير
فافتضحوا بذلك وعبد الطاغوت يعني وجعل منهم عبد الطاغوت يعني من
اطاع الشيطان فيما سول له والطاغوت هو الشيطان وقيل هو العجل وقيل هو
الكهان والاحبار وجملته ان كل من اطاع احدا في معصية الله فقد عبده
وهو الطاغوت اولئك يعني الملعونين والمغضوب عليهم والممسوخين شر مكانا
يعني من غيرهم ونسب الشر الى المكان والمراد به اهله فهو من باب الكناية
وقيل اراد ان مكانهم سقر ولا مكان اشد شرا منه واضل عن سواء السبيل
يعني واخطأ عن قصد طريق الحق قوله تعالى واذا جاؤكم قالوا امنا قال قتادة نزلت
في ناس من اليهود دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبروه انهم مؤمنون
راضون بالذي جاء به وهم متمسكون بضلالتهم وكفرهم فكان هؤلاء يظهرون
الايمان وهم في ذلك منافقون فاخبر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بحالهم وشانهم
وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به يعني انهم دخلوا كافرين وخرجوا كما دخلوا
كافرين لم يتعلق بقلوبهم شيء من الايمان كافرون في حالتي الدخول والخروج والله
اعلم بما كانوا يكتمون يعني من الكفر الذي في قلوبهم قوله عز وجل ترى كثيرا منهم
خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعني وترى يا محمد كثيرا من اليهود وكلمة من تحتمل ان
تكون للتبعيض ولعل ان هذه الافعال المذكورة في هذه الاية ما كان يفعلها
كل اليهود فلهذا قال تعالى وترى كثيرا منهم يسارعون والمسارعة في الشيء المبادرة
اليه بسرعة لكن لفظة المسارعة انما تستعمل في الخيرات ومنه قوله تعالى يسارعون
في الخيرات وضدها العجلة وتقال في الشر في الاغلب وانما ذكرت لفظ المسارعة
في قوله يسارعون في الاثم والعدوان واكلهم السحت لفائدة وهي انهم كانوا
يقدمون على هذه المنكرات كانهم محقون فيها والاثم اسم جامع لجميع المعاصي
والمنهيات فيدخل تحت العدوان واكل السحت فلهذا ذكرا بعده العدوان واكل
السحت بعد الاثم والمعاصي وقيل الاثم ما كتموا من التوراة والعدوان ما زادوا فيها
والسحت هو الرشى وما كانوا ياكلونه من غير وجهه لبئس ما كانوا يعملون يعني
لبئس العمل كان هؤلاء اليهود يعملون وهو مسارعتهم الى الاثم والعدوان واكلهم
السحت قوله تعالى لولا يعني هلا وهي هنا بمعنى التحضيض والتوبيخ ينهاهم
الربانيون والاحبار قال الحسن الربانيون علماء اهل الانجيل والاحبار علماء
اهل التوراة وقال غيره كلهم من اليهود لانه متصل بذكرهم عن قولهم الاثم يعني
الكذب واكلهم السحت والمعنى هلا ينهى الاحبار والرهبان اليهود عن قول
الاثم واكل السحت لبئس ما كانوا يصنعون يعني الاحبار والربانيون اذ لم ينهوا

عجزهم عن المعاصي ونهيا يدل على ان ترك النهي عن المنكر بمنزلة مرتكبه لان الله تعالى سمى الفريقين في هذه الاية قال ابن عباس ما في القران اشد توبيخا من هذه الاية وقال الضحاك ما في القران اية اخوف عندي منها قوله عز وجل وقالت اليهود يد الله مغلولة نزلت هذه الاية في فنحاص اليهودي قال ابن عباس ان كان قد بسط على اليهود حتى كانوا اكثر الناس اموالا واخصبهم ناحية فلما عصوا الله في محمد صلى الله عليه وسلم وكذبوا به كف عنهم ما بسط عليهم من السعة فعند ذلك قال فنحاص يد الله مغلولة يعني محبوسة مقبوضة عن الرزق والبذل والعطا فنسبوا الله الى البخل والقبض تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا ولما قال هذه المقالة الخبيثة فنحاص ولم ينهه بقية اليهود ورضوا بقوله لا جرم ان الله تعالى اشركهم معه في هذه المقالة فقال تعالى اخبارا عنهم وقالت اليهود يد الله مغلولة يعني نعمته مقبوضة عنا وقيل معناه يد الله مكفوفة عن عذابنا فليس يعذبنا الا بقدر ما يبر به قسمه وذلك قدر ما عبد اباونا العجل والقول الاول اصح لقوله ينفق كيف يشا واعلم ان غل اليد وبسطها مجاز عن البخل والجود بدليل قوله تعالى والسبب ان اليد الة لكل الاعمال لا سيما لدفع المال والانفاقة ولما كان فاطلقوا اسم السبب على المسبب واسند الجود والبخل الى اليد مجازا فقيل للجواد الكريم فياض اليد ومبسوط اليد وقيل للبخيل مقبوض اليد وقوله تعالى غلت ايديهم ولعنوا بما قالوا يعني امسكت ايديهم عن كل خير وطردوا عن رحمة الله تعالى وقال الزجاج رد الله تعالى عليهم فقال انا الجواد الكريم وهم البخلا وايديهم هي المغلولة الممسوكة وقيل هذا دعا على اليهود علمنا الله كيف ندعوا عليهم وقال غلت ايديهم في نار جهنم فعلى هذا هو من الغل حقيقة اي شدت ايديهم الى اعناقهم وطرحوا في النار جزاء لهم على هذا القول ومعنى ولعنوا بما قالوا عذبوا بسبب ما قالوا ومن لعنتهم انهم مسخوا في الدنيا قردة وخنازير وضربت عليهم الذلة والمسكنة والجزية وفي الاخرة لهم عذاب النار وقوله تعالى بل يداه مبسوطتان يعني ان الله تعالى جواد كريم ينفق كيف يشا وهذا جواب لليهود ورد عليهم عما افتروه واختلقوه على الله تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا وانما اجيبوا بهذا الجواب على قدر كلامهم واما الكلام في اليد فقد اختلف العلما في معناها على قولين احدهما وهو مذهب جمهور السلف وعلما اهل السنة وبعض المتكلمين ان يد الله صفة من صفات ذاته كالسمع والبصر والوجه فيجب علينا الايمان بها والتسليم ونمرها كما جاءت في الكتاب والسنة بلا كيف ولا تشبيه ولا تعطيل قال الله تعالى لما خلقت بيدي وقال النبي صلى الله عليه وسلم عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين والقول الثاني قول جمهور المتكلمين واهل التاويل فانهم قالوا اليد تذكر في اللغة على وجوه احدها الجارحة وهي معلومة وثانيها النعمة يقال فلان عندي يد اشكره عليها

وثانيها

وثالثها القدرة قال الله تعالى اولي الايدي والابصار فسروه بذوي القوى والعقول ويقال لا يدان لك بهذا الامر والمعنى سلب كمال القدرة ورابعها الملك يقال هذه الضيعة في يد فلان اي في ملكه ومنه قوله تعالى الذي بيده عقدة النكاح اي يملك ذلك اما الجارحة فمنتفية في صفة الله عز وجل لان العقل دل على انه يمتنع ان تكون يد الله عبارة عن جسم مخصوص وعضو مركب من الاجزا والابعاض تعالى الله عن الجسمية والكيفية والتشبيه علوا كبيرا وامتنع بذلك ان تكون يد الله بمعنى الجارحة واما ساير المعاني التي فسرت اليد بها فحاصلة لان اكثر العلما من المتكلمين زعموا ان اليد في حق الله عبارة عن القدرة وعن الملك وعن النعمة وههنا اشكالان احدهما ان اليد اذا فسرت انها بمعنى القدرة فقدرة الله واحدة ونص القران ناطق باثبات اليدين في قوله بل يداه مبسوطتان واجيب عن هذا الاشكال بان اليهود لما جعلوا قولهم يد الله مغلولة كناية عن البخل اجيبوا على وفق كلامهم فقال بل يداه مبسوطتان اي ليس الامر على ما وصفتموه من البخل بل هو جواد كريم على سبيل الكمال فان من اعطى بيديه فقد اعطى على كمال الوجوه الاشكال الثاني ان اليد اذا فسرت بالنعمة فنص القران ناطق باثبات اليد ونعم الله غير محصورة ولا معدودة ومنه قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها واجيب عن هذا الاشكال بان التثنية بحسب الجنس ثم يدخل تحت كل واحد من الجنسين انواع كثيرة لا نهاية مثل نعمة الدنيا ونعمة الدين ونعمة الظاهر ونعمة الباطن ونعمة النفع ونعمة الدفع فالمراد بالتثنية المبالغة في وصف النعمة اجاب اصحاب القول الاول عن هذا بان قالوا ان الله تعالى اخبر عن ادم انه خلقه بيده ولو كان معنى خلقه لادم بقدرته او نعمته او بملكه لم يكن لخصوصية ادم بذلك وجه معلوم لان جميع خلقه مخلوقون لقدرته وجميعهم في ملكه ومتقلبين في نعمه فلما خص الله ادم عليه السلام بقوله تعالى لما خلقت بيدي دون خلقه علم بذلك اختصاصه وتشريفه على غيره ونقل الامام فخر الدين الرازي عن ابي الحسن الاشعري قولا ان اليد صفة قايمة بذات الله وهي صفة سوى القدرة من شانها التكوين على سبيل الاصطفا قال والذي يدل عليه انه تعالى جعل وقوع خلق ادم بيديه على سبيل الكرامة لادم واصطفايه له فلو كانت اليد عبارة عن القدرة امتنع كون ادم مصطفى بذلك لان ذلك حاصل في جميع المخلوقات فلا بد من اثبات صفة اخرى ورا القدرة يقع بها الخلق والتكوين على سبيل الاصطفا هذا اخر كلامه واجيب عن قولهم ان التثنية بحسب الجنس ثم يدخل تحت كل واحد من الجنسين انواع كثيرة لان الاسم اذا ثني لا يودي في كلام العرب الا عن اثنين باعيانهما دون الجمع ولا يودي عن الجنس ايضا قالوا وخطا في كلام العرب ان يقال ما اكثر الدرهمين في ايدي الناس بمعنى ما اكثر الدراهم في ايديهم لان الدرهم اذا ثني لا يودي

في كلام العرب الا عن اثنين باعيانهما ولكن الواحد يؤدي عن جنسه كما تقول العرب ما اكثر الدرهم في ايدي الناس يعني ما اكثر الدراهم في ايديهم لان الواحد يؤدي عن الجميع فثبت بهذا البيان قول من قال ان اليد صفة لله تليق بجلاله وانها ليست بجارحة كما تقول المجسمة تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا ينفق كيف يشاء يعني انه تعالى يرزق كما يريد ويختار فيوسع على من يشاء ويقتر على من يشاء لا اعتراض عليه في ملكه ولا في فعله ق عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال الله تبارك وتعالى انفق انفق عليك وقال يد الله ملأى لا يغيضها نفقة سحاء الليل والنهار ارأيتم ما انفق منذ خلق السموات والارض فانه لم ينقص ما بيده وكان عرشه على الماء وبيده الميزان يرفع ويخفض وهذا الحديث ايضا من احاديث الصفات فيجب الايمان به وامراره كما جاء من غير تشبيه ولا تكييف وقوله تعالى وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا يعني كلما نزلت عليك اية من القران كفروا بها فازدادوا شدة في كفرهم وطغيانا مع طغيانهم والمراد بالكثير علماء اليهود وقيل ان اقامتهم على كفرهم زيادة منهم فيه والقينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة يعني القينا العداوة والبغضاء بين اليهود والنصارى وقيل القى ذلك بين طوائف اليهود فجعلهم مختلفين في دينهم متعادين متباغضين الى يوم القيامة فان بعض اليهود جبرية وبعضهم قدرية وبعضهم مشبهة وكذلك النصارى فرقا كالملكية والنسطورية واليعقوبية والمارونية فان قلت هذا المعنى ايضا حاصل بين المسلمين فكيف يكون ذلك عيبا على اليهود والنصارى حتى يذموا به قلت هذه البدع التي حدثت بالمسلمين انما حدثت بعد عصر النبي صلى الله عليه وسلم وعصر الصحابة و التابعين اما في الصدر الاول فلم يكن شيء من ذلك حاصلا بينهم فحسن جعل ذلك عيبا على اليهود والنصارى في ذلك العصر الذي نزل فيه القران على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى كلما اوقدوا نارا للحرب اطفاها الله يعني كلما افسدوا اليهود وخالفوا حكم الله بعث الله عليهم من يهلكهم فافسدوا فبعث الله عليهم بخت نصر البابلي ثم افسدوا فبعث الله عليهم طيطوس الرومي ثم افسدوا فسلط الله عليهم المجوس وهم اهل الفرس ثم افسدوا وقالوا يد الله مغلولة فبعث الله المسلمين فلا يزال اليهود في ذلة ابدا وقال مجاهد معنى الاية كلما مكروا مكرا في حرب محمد صلى الله عليه وسلم اطفاه الله تعالى وقال السدي كلما اجمعوا امرهم على شيء ليفسدوا امر محمد صلى الله عليه وسلم فرقه الله وكلما اوقدوا نارا في حرب محمد اطفاها الله واخمد نارهم واطفأ حسدهم وقذف في قلوبهم الرعب وقهرهم ونصر نبيه ودينه ويسعون في الارض فسادا يعني ويجتهدون في دفع الاسلام ومحو ذكر محمد صلى الله عليه وسلم من كتبهم وقيل انهم يسعون بالمكر والكيد والحيل ليس يقدرون على شيء غير ذلك والله لا يحب المفسدين يعني ان الله لا يحب من كانت هذه صفته قال قتادة

لا تلقى اليهود

لا تلقى اليهود ببلدة الا وجدتهم اذل الناس فيها وهم ابغض خلق الله اليه قوله تعالى ولو ان اهل الكتاب امنوا يعني بمحمد صلى الله عليه وسلم وصدقوه فيما جاء به واتقوا يعني اليهودية والنصرانية لكفرنا عنهم سيئاتهم يعني لمحونا عنهم ذنوبهم التي عملوها قبل الاسلام لان الاسلام يجب ما قبله ولادخلناهم جنات النعيم يعني مع المسلمين يوم القيامة ولو انهم اقاموا التوراة والانجيل يعني اقاموا احكامهما وحدودهما وعملوا بما فيهما من الوفاء بالعهود والتصديق بمحمد صلى الله عليه وسلم لان نعته وصفته موجودان فيهما فان قلت كيف يأمر اهل الكتاب باقامة التوراة والانجيل مع انهما منسوخان ومبدلان قلت انما امرهم الله تعالى باقامة ما فيهما من الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم واتباع شريعته وهذا غير منسوخ لانه موافق لما في القران قوله تعالى وما انزل اليهم من ربهم فيه قولان احدهما ان المراد به كتب انبيائهم القديمة مثل كتاب شعيا وكتاب ارميا وزبور داود ففي هذه الكتب ايضا ذكر محمد صلى الله عليه وسلم فيكون المراد باقامة هذه الكتب الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والقول الثاني ان المراد بما انزل اليهم من ربهم هو القران لانهم مأمورون بالايمان به فكأنه نزل اليهم من ربهم لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم يعني ان اليهود لما اصروا على تكذيب محمد صلى الله عليه وسلم وثبتوا على يهوديتهم وكفرهم اصابهم الله بالقحط والشدة حتى بلغوا الى حيث قالوا يد الله مغلولة فاخبر الله تعالى انهم لو تركوا اليهودية والكفر الذي هم عليه لانقلبت تلك الشدة بالخصب والسعة وهو قوله تعالى لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم قال ابن عباس معناه لانزلت عليهم المطر واخرجت لهم النبات والمراد من ذلك توسعة الرزق عليهم منهم امة مقتصدة اي عادلة والاقتصاد الاعتدال في العمل من غير غلو ولا تقصير واصله من القصد لان من عرف مقصوده طلبه من غير اعوجاج عنه والمراد بالامة المقتصدة من امن من اهل الكتاب مثل عبد الله بن سلام واصحابه والنجاشي واصحابه الذين اسلموا وكثير منهم يعني من اهل الكتاب الذين اقاموا على كفرهم مثل كعب بن الاشرف ورؤساء اليهود ساء ما يعملون يعني بئس ما يعملون من اقامتهم على الكفر قال ابن عباس عملوا بالقبيح مع التكذيب بالنبي صلى الله عليه وسلم قوله عز وجل يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك الاية روي عن الحسن ان الله تعالى لما بعث رسوله صلى الله عليه وسلم ضاق ذرعا وعلم ان من الناس من يكذبه فانزل الله هذه الاية وقيل نزلت في عيب اليهود وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم دعاهم الى الاسلام فقالوا اسلمنا قبلك وجعلوا يستهزئون به ويقولون تريد ان نتخذك حنانا كما اتخذ النصارى عيسى حنانا فلما رأى النبي صلى الله عليه وسلم ذلك منهم سكت فانزل الله هذه الاية وامره بان يقول لهم يا اهل الكتاب لستم على شيء الاية وقيل نزلت

هذه الاية في امر الجهاد وذلك ان المنافقين كرهوه فكان النبي صلى الله عليه وسلم يمسك
في بعض الاحايين عن الحث على الجهاد لما علم من كراهية بعضهم له فانزل الله هذه الآية
وقيل نزلت في قصة الرجم والقصاص وما سال عنه اليهود ومعنى الاية يا ايها الرسول
بلغ جميع ما انزل اليك مجاهرا به ولا تراقبن احدا ولا تتركن شيا مما انزل اليك من ربك
وان اخفيت شيا من ذلك في وقت من الاوقات فما بلغت رسالته وهو قوله وان لم تفعل
فما بلغت رسالته وفي رسالاته قال ابن عباس يعني ان كتمت اية مما انزل اليك من ربك
لم تبلغ رسالته يعني انه صلى الله عليه وسلم لو ترك ابلاغ البعض كان كمن لم يبلغ شيا وحاشا
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يكتم شيا مما اوحي اليه روى مسروق عن عائشة قالت
ومن حدثك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كتم شيا مما انزل اليه فقد كذب ثم قرأت
يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك اخرجاه في الصحيحين بزيادة فيه قوله تعالى والله
يعصمك من الناس يعني يحفظك يا محمد ويمنعك منهم والمراد بالناس هنا الكفار فان قلت
النبي قد شج راسه وكسرت رباعيته يوم احد وقد اوذي بضروب من الاذى فكيف يجمع
بين ذلك وبين قوله والله يعصمك من الناس قلت المراد منه انه يعصمه من القتل فلا يقدر
عليه احد اراده بالقتل ويدل على صحة ذلك ما روي عن جابر انه غزا مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم قبل نجد فلما قفل رسول الله صلى الله عليه وسلم قفل معه فادركتهم القائلة في واد
كثير العضاه فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفرق الناس يستظلون بالشجر فنزل رسول
الله صلى الله عليه وسلم تحت شجرة فعلق بها سيفه ونمنا نومة فاذا رسول الله صلى الله عليه
وسلم يدعونا واذا عنده اعرابي فقال ان هذا اخترط علي سيفي وانا نائم فاستيقظت وهو في
يده صلتا فقال من يمنعك مني فقلت الله ثلاثا ولم يعاقبه وجلس وفي رواية اخرى قال
جابر كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بذات الرقاع فاذا اتينا على شجرة ظليلة تركناها
للنبي صلى الله عليه وسلم فجاء رجل من المشركين وسيف رسول الله صلى الله عليه وسلم معلق بالشجرة
فاخترطه فقال تخافني فقال لا قال من يمنعك مني قال الله فتهدده اصحاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم اخرجاه في الصحيحين وزاد البخاري في رواية له ان اسم ذلك الرجل غورث بن الحارث
(ق) عن عائشة قالت سهر رسول الله صلى الله عليه وسلم مقدمه المدينة ليلة فقال ليت
رجلا صالحا من اصحابي يحرسني الليلة قالت فبينا نحن كذلك سمعنا خشخشة السلاح فقال من
هذا قال سعد بن ابي وقاص قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما جاء بك فقال وقع
في نفسي خوف على رسول الله صلى الله عليه وسلم فجئت احرسه فدعا له رسول الله صلى الله
عليه وسلم ثم نام وعن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرس الليل حتى نزل
والله يعصمك من الناس فاخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم راسه من القبة فقال
لهم يا ايها الناس انصرفوا فقد عصمني الله اخرجه الترمذي وقال هذا حديث غريب وقيل
في الجواب عن هذا ان هذه الاية نزلت بعد ما شج راسه في يوم احد لان سورة المائدة

من اخر القرآن

من اخر القرآن نزولا وقوله تعالى ان الله لا يهدي القوم الكافرين قال ابن عباس
معناه لا يرشد من كذبك واعرض عنك وقال ابن جرير الطبري معناه ان الله
لا يوفق للرشد من حاد عن سبيل الحق وجار عن قصد السبيل وجحد ما جئت به من عند الله
ولم ينته الى امر الله وطاعته فيما فرض عليه واوجبه قوله تعالى قل يا اهل الكتاب لستم
على شيء يعني قل يا محمد لهؤلاء اليهود والنصارى لستم على شيء من الدين الحق المرتضى عند الله
ولستم على شيء مما تدعون انكم عليه مما جاءكم به موسى عليه السلام يا معشر اليهود ولا ما
جاءكم به عيسى يا معشر النصارى فانكم احدثتم وغيرتم قال ابن عباس جاء رسول الله صلى
الله عليه وسلم رافع بن حارثة وسلام بن مشكم ومالك بن الصيف ورافع بن حريملة
وقالوا يا محمد الست تزعم انك على ملة ابراهيم ودينه وتؤمن بما عندنا من التوراة
وتشهد انها حق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بلى ولكنكم احدثتم وجحدتم ما فيها
مما اخذ عليكم من الميثاق وكتمتم منها ما امرتم ان تبينوه للناس فانا بريء من احداثكم
قالوا فانا ناخذ بما في ايدينا فانا على الحق والهدى ولا نؤمن لك ولا نتبعك فانزل
الله عز وجل قل يا اهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والانجيل وما انزل
اليكم من ربكم الاية وقد تقدم معنى اقامة التوراة والانجيل وانه يلزمهم العمل بما
فيهما وهو الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وتقدم تفسير ما انزل اليكم من ربكم وليزيدن
كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا وقوله تعالى فلا تاس على القوم
الكافرين يعني لا تحزن يا محمد على هؤلاء اليهود الذين جحدوا نبوتك ولم يؤمنوا بك
فانما يعود ضرر ذلك الكفر عليهم قوله عز وجل ان الذين امنوا والذين هادوا
والصابئون والنصارى لما بين الله عز وجل ان اهل الكتاب ليسوا على شيء ما لم
يؤمنوا بين في هذه الاية ان هذا الحكم عام في كل اهل الملل وانه لا يحصل لاحد منهم
فضيلة ولا منقبة الا اذا امن بالله واليوم الاخر وعمل صالحا يرضاه ومن العمل
الصالح الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم لانه لا يتم الايمان الا به وقد تقدم تفسير هذه
الاية في سورة البقرة وقوله تعالى والصابئون فظاهر الاعراب يقتضي ان يقول
والصابئين وكذا قراءة ابي بن كعب وابن مسعود وابن كثير من السبعة وقراءة
الجمهور بالرفع ومذهب الخليل وسيبويه انه ارتفع الصابئون بالابتداء على نية التاخير
كانه قيل ان الذين امنوا والذين هادوا والنصارى من امن بالله واليوم الاخر وعمل صالحا
فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والصابئون كذلك فحذف خبره والفائدة في ذكر عطفهم
على من قبلهم هو ان الصابئين اشد الفرق المذكورين في هذه الاية ضلالا فكانه قال
كل هؤلاء الفرق اذا امنوا واتوا بالعمل الصالح قبل الله توبتهم حتى الصابئون فانهم اذا
امنوا كانوا ايضا كذلك وانما سموا صابئين لانهم صبوا عن الاديان كلها بمعنى خرجوا
لانهم صبوا الى اتباع الهوى والشهوات في دينهم ولم يتبعوا ما جاءت به الرسل من عند الله

فان قلت قد قال تعالى في اول الاية من امن فما فايدة هذا التكرار قلت فايدته ان
المنافقين كانوا يظهرون ويزعمون انهم مومنون ففي هذا التكرار اخراجهم من قبيل المومنين
فيكون معنى الايمان الذين امنوا بالسنتهم لا بقلوبهم ثم قال من امن يعني من ثبت على ايمانه
ورجع عن نفاقه منهم وقيل فيه فايدة اخرى وهي ان الايمان يدخل تحته اقسام كثيرة
واشرفها الايمان بالله واليوم الاخر ففايدة التكرير التنبيه على ان اشرف اقسام الايمان
هذين القسمين وفي قوله من امن بالله حذف تقديره من امن بالله واليوم الاخر منهم وانما
حسن هذا الحذف لكونه معلوما عند السامعين وعمل صالحا يعني وضم الى ايمانه العمل الصالح
وهو الذي يراد به وجه الله فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون يعني في الاخرة قوله عز وجل
لقد اخذنا ميثاق بني اسرايل يعني اخذنا العهد عليهم في التوراة بان يعملوا بما ضمنها من
التوحيد والعمل بما امرناهم به والانتهاء عما نهيناهم عنه وارسلنا اليهم رسلا يعني ليبينوا
الشرايع والاحكام كلما جاءهم رسول بما لا تهوى انفسهم يعني بما يخالف هواهم ولفساد
نفوسهم من مشاق التكليف والعمل بالشرايع فريقا كذبوا يعني من الرسل الذين جاءتهم
وفريقا يقتلون يعني من الرسل فكان فيمن كذبوا عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم وكان
فيمن قتلوا زكريا ويحيى عليهما السلام وانما فعلوا ذلك لنقضهم الميثاق وجراة على
الله عز وجل ومخالفة لامره قوله تعالى وحسبوا يعني فظن هولاء الذين كذبوا الرسل وقتلوا
الانبياء ان لا تكون فتنة يعني ان لا يعذبهم الله ولا يبتليهم بذلك الفعل الذي
فعلوه وانما حملهم على هذا الظن الفاسد انهم كانوا يعتقدون ان كل رسول جاءهم
بشرع او غير شرعهم يجب عليهم تكذيبه وقتله فلهذا قال وحسبوا ان لا تكون عليهم
ذلك فتنة ليتمسكوا بها وقيل انما اصروا على ذلك لاعتقادهم ان اباهم واسلافهم يدفعون
عنهم العذاب في الاخرة فعموا وصموا يعني انهم عموا عن الحق فلم يبصروه وصموا
عنه فلم يسمعوه وهذا العمى هو كناية عن عمى البصيرة لا البصر وكذلك الصمم هو كناية
عن منع نفوذ الحق الى قلوبهم وسبب ذلك شدة جهلهم وقوة كفرهم واعراضهم عن
قبول الحق قال بعض المفسرين سبب هذا العمى والصمم عبادتهم العجل في زمن موسى
عليه السلام ثم تاب الله عليهم يعني انهم لما تابوا من عبادتهم العجل تاب الله عليهم ثم عموا وصموا
يعني بذلك في زمن زكريا ويحيى وعيسى عليهم السلام لانهم كذبوا عيسى وقتلوا يحيى وزكريا
وقيل ان العمى والصمم الاول كان بعد موسى ثم تاب الله عليهم يعني ببعثة عيسى عليه
السلام ثم عموا وصموا يعني بسبب الكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم كثير منهم من اليهود لان
بعضهم امن بمحمد صلى الله عليه وسلم مثل عبد الله بن سلام واصحابه والله بصير بما يعملون
يعني من قتل الانبياء وتكذيب الرسل قوله عز وجل لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح
ابن مريم لما حكى الله عن اليهود ما حكاه من نقضهم الميثاق وقتلهم الانبياء وتكذيبهم
الرسل وغير ذلك شرع في الاخبار عن كفر النصارى وما هم عليه من فساد الاعتقاد

فقال تعالى

فقال تعالى لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم وهذا قول اليعقوبية والملكانية
من النصارى لانهم يقولون ان الاله جل وعلا حل في ذات عيسى واتحد به فصار
الها تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وقال المسيح يا بني اسرايل اعبدوا الله ربي وربكم
يعني وقد كان المسيح قال هذا لبني اسرايل عند مبعثه اليهم وهذا تنبيه على ما هو
الحجة القاطعة على فساد قول النصارى ذلك لانه عليه السلام لم يفرق بينه وبين
غيره في العبودية والاقرار لله بالربوبية وان دلايل الحدوث ظاهرة عليه
انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة يعني انه من يجعل له شريكا من خلقه
فقد حرم الله عليه الجنة يعني اذا مات على شركه وماواه النار يعني وانه يصير الى
النار في الاخرة وما للظالمين يعني وما للمشركين الذين ظلموا انفسهم بالشرك
من انصار يعني ما لهم من انصار ينصرونهم ويمنعونهم من العذاب يوم القيامة قوله
تعالى لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة وهذا قول المرقوسية والنسطورية من
النصارى ولتفسير قول النصارى طريقان احدهما وهو قول المفسرين انهم ارادوا
بهذه المقالة ان الله ومريم وعيسى الهة ثلاثة وان الالهية مشتركة بينهم وان لكل
واحد منهم اله وبيان ذلك قوله تعالى للمسيح انت قلت للناس اتخذوني وامي
الهين من دون الله فقوله ثالث ثلاثة فيه اضمار تقديره ان الله احد ثلاثة الهة
او واحد من ثلاثة الهة قال الواحدي ولا يكفر من يقول ان الله ثالث ثلاثة ولم يرد
به ثالث ثلاثة الهة ما من اثنين الا والله ثالثهما بالعلم ويدل عليه قوله تعالى ما يكون
من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم
لابي بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما والطريق الثاني ان المتكلمين حكوا عن النصارى
انهم يقولون جوهر واحد ثلاثة اقانيم اب وابن وروح القدس وهذه الثلاثة
اله واحد كما ان الشمس اسم يتناول القرص والشعاع والحرارة وعنوا بالاب
الذات وبالابن الكلمة وبالروح الحياة واثبتوا الذات والكلمة والحياة وقالوا ان
الكلمة التي هي كلام الله اختلطت بجسد عيسى اختلاط الماء باللبن وزعموا ان
الاب اله والابن اله والروح اله والكل اله واحد واعلم ان هذا الكلام معلوم البطلان
ببديهة العقل فان الثلاثة لا تكون واحدا والواحد لا يكون ثلاثة ولا يرى
في الدنيا مقالة اشد فسادا ولا اظهر بطلانا من مقالة النصارى وعلى هذا فالذي
اخبر الله عنهم في قوله لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة فهذا معنى مذهبهم
وان لم يصرحوا بانه واحد من ثلاثة الهة فذلك لازم لهم وانما يمتنعون من
هذه العبارة لانهم اذا قالوا كل واحد من الاقانيم اله فقد جعلوا ثالث ثلاثة
وقولهم بعد هذا هو اله واحد فيه مناقضة لما قالوا اولا فهذا بيان فساد قول
النصارى ثم رد الله عز وجل عليهم فقال تعالى وما من اله الا اله واحد يعني انه ليس

فى الوجود اله واحد موصوف بالوحدانية لا ثانى له ولا شريك له ولا ولد له ولا والد له
له ولا صاحبة له الا الله تعالى وان لم ينتهوا عما يقولون يعنى وان لم تنته النصارى
عن هذه المقالة الخبيثة ليمسن الذين كفروا منهم عذاب اليم يعنى ليصيبن الذين قالوا
على هذا القول الخبيث وهذا الدين الذى ليس بمرضى عذاب وجيع فى الاخرة وانما
قال تعالى منهم لعلمه السابق ان من النصارى من سيؤمن ويخلص ويترك هذا القول ويعلم
انه فاسد ثم ندب سائر النصارى الى التوبة من هذه المقالة الخبيثة فقال تعالى افلا يتوبون
الى الله يعنى من قولهم بالتثليث ويستغفرونه وهذا استفهام بمعنى الامر اى توبوا الى
الله واستغفروه من هذا الذنب العظيم فانه تعالى يغفر الذنوب والله غفور يعنى لمن
استغفره وتاب اليه رحيم به وبسائر خلقه قوله عز وجل ما المسيح بن مريم الا رسول
قد خلت من قبله الرسل يعنى ان المسيح رسول من الله عز وجل ليس باله كما ان الرسل
الذين كانوا من قبله لم يكونوا الهة واتى عليه السلام بالمعجزات الدالة على صدقه
كما ان الذين قبله اتوا بالمعجزات الدالة على صدقهم وامه صديقة يعنى انها كثيرة الصدق
وقيل سميت مريم صديقة لانها صدقت بايات الله وكتبه وقوله تعالى كانا ياكلان
الطعام فيه احتجاج على فساد قول النصارى بالهية المسيح يعنى ان المسيح وامه مريم كانا
بشرين ياكلان الطعام ويعيشان به كسائر بنى ادم فكيف يكون الها من يحتاج الى الطعام
ولا يعيش الا به وقيل معناه انه لو كان الها كما يزعمون لدفع عن نفسه الم الجوع والم
العطش وقيل هذا كناية عن الحدث وذلك ان من اكل وشرب لا بد له من الغائط
والبول ومن كانت هذه صفته فكيف يكون الها وبالجملة فان فساد قول النصارى اظهر
من ان يحتاج الى اقامة دليل عليه ثم قال تعالى انظر خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم اى
انظر يا محمد كيف نبين لهم الايات يعنى الدلالة على بطلان قولهم ثم انظر انى يؤفكون
اى كيف يصرفون عن استماع الحق وقبوله قوله تعالى قل اتعبدون من دون الله خطاب
للنبى صلى الله عليه وسلم اى قل يا محمد لهؤلاء النصارى اتعبدون من دون الله ما لا يملك
لكم ضرا ولا نفعا يعنى لا يستطيع ان يضركم بمثل ما يضركم الله به من البلايا والمصائب
فى الانفس والاموال ولا يقدر ان ينفعكم بمثل ما ينفعكم الله من صحة الابدان وسعة
الارزاق فان الضار والنافع هو الله تعالى لا ان تعبدون من دونه ومن لا يقدر على
النفع والضر لا يكون الها والله هو السميع العليم يعنى انه تعالى سميع لاقوالكم وكفركم
عليم بما فى ضمايركم قوله عز وجل قل يا اهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم الغلو مجاوزة الحد
والتقصير مذموم فى الدين غير الحق يعنى لا تغلوا فى دينكم غلوا باطلا غير حق وذلك
انهم خالفوا الحق فى دينهم ثم غلوا فيه بالاصرار عليه وكلا الفريقين من اليهود والنصارى
غلوا فى عيسى عليه السلام اما غلو اليهود فبالتقصير فى حقه حتى جعلوه الها وكلا الغلوين
مذموم ولا تتبعوا اهوا قوم قد ضلوا من قبل الاهوا جمع هوى وهو ما تدعو اليه شهوة

النفس لبيه قال الشعبى ما ذكر الله تعالى الهوى فى القران الا وذمه وقال ابو عبيد لم نجد
الهوى يوضع الا موضع الشر لانه لا يقال فلان يهوى الخير انما يقال يحب الخير
ويريده والخطاب فى قوله تعالى ولا تتبعوا اهوا قوم لليهود والنصارى الذين كانوا
فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهوا عن اتباع اسلافهم فيما ابتدعوه من
الضلالة باهوائهم وهو المراد بقوله اهوا قوم قد ضلوا من قبل فبين الله تعالى
انهم كانوا على ضلالة واضلوا كثيرا يعنى من اتبعهم على ضلالتهم واهوائهم وضلوا
عن سوا السبيل يعنى واخطاوا عن قصد طريق الحق قوله تعالى لعن الذين كفروا من
بنى اسرائيل على لسان داود وقال اكثر المفسرين هم اصحاب السبت لما اعتدوا فى السبت
واصطادوا الحيتان فيه قال داود عليه السلام اللهم العنهم واجعلهم قردة فمسخوا
قردة وستاتى قصتهم فى سورة الاعراف وعيسى بن مريم يعنى وعلى لسان عيسى بن مريم
وهم كفار اصحاب المائدة لما اكلوا منها وادخروا ولم يؤمنوا قال عيسى عليه السلام اللهم العنهم
واجعلهم خنازير فمسخوا خنازير وستاتى قصتهم وقال بعضهم ان اليهود كانوا يفتخرون
باباءهم ويقولون نحن من اولاد الانبيا واخبر الله تعالى بانهم ملعونون على السنة الانبيا
عليهم السلام وقيل ان داود وعيسى بشرا بمحمد صلى الله عليه وسلم ولعنا من يكفر به ذلك
بما عصوا وكانوا يعتدون يعنى ذلك اللعن بسبب عصيانهم واعتدائهم ثم فسر المعصية
والاعتدا فقال تعالى كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه اى لا ينهى بعضهم بعضا عن المنكر
وقيل معناه لا يتناهون عن معاودة منكر فعلوه ولا عن الاصرار عليه لبئس ما كانوا
يفعلون اللام فى لبئس لام القسم اى اقسم لبئس ما كانوا يفعلون يعنى من ارتكاب المعاصى
والعدوان عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اول ما دخل
النقص على بنى اسرائيل انه كان الرجل يلقى الرجل فيقول يا هذا اتق الله ودع ما تصنع فانه
لا يحل لك ثم يلقاه من الغد وهو على حاله فلا يمنعه ذلك ان يكون اكيله وشريبه وقعيده
فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض ثم قال لعن الذين كفروا من بنى
اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون
عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما
قدمت لهم انفسهم الى قوله فاسقون ثم قال كلا والله لتامرن بالمعروف ولتنهون
عن المنكر ثم لتاخذن على يد الظالم ولتاطرنه على الحق اطرا او لتقصرنه على الحق
قصرا زاد فى رواية او ليضربن الله قلوب بعضكم ببعض ثم يلعنكم كما لعنهم اخرجه ابو داود
واخرجه الترمذى عنه فقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما وقعت بنو اسرائيل فى
المعاصى نهتهم علماوهم فلم ينتهوا فجالسوهم فى مجالسهم وواكلوهم وشاربوهم فضرب
الله قلوب بعضهم ببعض ولعنهم على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا
يعتدون فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان متكيا فقال لا والذى نفسى بيده

حتى ناظروهم على الحق اطرافا قال الترمذي هذا حديث حسن غريب قوله اكيله وشريبه هو
المواكل والمشارب والمقاعد فعيل بمعنى فاعل وقوله لتاطرنه الاطر العطف يعني لتعطفنه
ولتردنه الى الحق الذي خالفه والقصر القهر على الشي قوله عز وجل ترى كثيرا منهم يعني من
اليهود مثل كعب بن الاشرف واصحابه يتولون الذين كفروا يعني يوالون المشركين من اهل
مكة وذلك حين خرجوا اليهم ليجيشوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ابن عباس
معناه ترى كثيرا من المنافقين يتولون اليهود لبئس ما قدمت لهم انفسهم يعني بئس
ما قدموا من العمل لمعادهم في الاخرة ان سخط الله عليهم يعني بما فعلوا من موالاة الكفار
وفي العذاب هم خالدون يعني في الاخرة ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي يعني ولو كان
هؤلاء الذين يتولون الكفار يؤمنون بالله ويصدقون بمحمد صلى الله عليه وسلم وانه
نبي مبعوث الى كافة الخلق وما انزل اليه من ربه ما اتخذوهم اولياء يعني ما اتخذوا الكفار
انصارا واعوانا من دون المؤمنين ولكن كثيرا منهم فاسقون يعني ولكن اكثرهم
خارجين عن طاعة الله وامره وانما قال كثيرا لانه علم ان منهم من سيؤمن مثل عبد الله
بن سلام واصحابه قوله تعالى لتجدن اشد الناس عداوة للذين امنوا اليهود والذين
اشركوا اللام في قوله لتجدن لام القسم تقديره والله يا محمد انك لتجدن اشد الناس
عداوة للذين امنوا بك وصدقوك اليهود والذين اشركوا وصف الله شدة
عداوة اليهود وصعوبة اجابتهم الى الحق وجعلهم قرناء المشركين عبدة الاصنام
في عداوة المؤمنين وذلك حسدا منهم للمؤمنين ولتجدن اقربهم مودة للذين امنوا
الذين قالوا انا نصارى ووصف لين عريكة النصارى وسهولة قبولهم الحق وقال
بعضهم مذهب اليهود انه يجب عليهم ايصال الشر والاذى الى من خالفهم في الدين باي
طريق كان مثل القتل ونهب المال وبانواع من المكر والكيد والحيل ومذهب النصارى
خلاف اليهود فان الايذاء في مذهبهم حرام فحصل الفرق بين اليهود والنصارى وقيل
ان اليهود مخصوصون بالحرص الشديد على الدنيا وطلب الرياسة ومن كان كذلك
كان شديد العداوة لغيره واما النصارى فان فيهم من هو معرض عن الدنيا ولذاتها
وترك طلب الرياسة ومن كان كذلك لا يحسد احدا ولا يعاديه بل يكون لين
عريكة في طلب الحق فلهذا قال تعالى ذلك بان منهم يعني من النصارى قسيسين و
رهبانا وانهم لا يستكبرون ولم يرد به كل النصارى في عداوة المسلمين كاليهود بل الاية
نزلت فيمن امن من النصارى مثل النجاشي واصحابه والقس والقسيس اسم رئيس
النصارى والجمع قسيسون وقال قطرب القس والقسيس العالم بلغة الروم وهذا مما
وقع الوفاقية بين اللغتين يعني العربية والرومية واما الرهبان فهو جمع راهب
وقيل الرهبان واحد وجمعه رهابين وهم سكان الصوامع فان قلت كيف مدحهم
الله بذلك مع قوله ورهبانية ابتدعوها قلت انما مدحهم في مقابلة ذم اليهود

ووصفهم

ووصفهم بشدة العداوة للمؤمنين ولا يلزم من هذا القدر ان يكون مدحا على
الاطلاق وقيل انما مدح من امن منهم بمحمد صلى الله عليه وسلم فوصفهم بالتمسك بدين
عيسى الى ان بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فامنوا به واتبعوه فان قلت كفر
النصارى اشد واغلظ من كفر اليهود واقبح لان النصارى ينازعون في الالهيات
فيدعون ان لله ولدا واليهود انما ينازعون في النبوات فينكرون بعض النبيين
ويكفرون ببعضهم والاول اقبح فلم ذم اليهود ومدح النصارى قلت انما هو مدح
في مقابلة ذم وليس هو مدح على الاطلاق وقد تقدم الفرق بين شدة عداوة
اليهود ولين النصارى فذلك ذم اليهود ومدح النصارى الذين امنوا منهم
واختلف العلماء فيمن نزلت هذه الاية فقيل نزلت في النجاشي ملك حبشة واسمه
اصحمة واصحابه الذين اسلموا معه ذكر قصة الهجرة الاولى وسبب نزول هذه الاية
قال ابن عباس وغيره من المفسرين في قوله تعالى ولتجدن اقربهم مودة للذين
امنوا الذين قالوا انا نصارى قالوا ان قريشا ائتمرت ان يفتنوا المؤمنين عن دينهم
فوثبت كل قبيلة على من امن منهم فاذوهم وعذبوهم فافتتن من افتتن منهم
وعصم الله من شاء منهم ومنع الله رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم بعمه ابي طالب
فلما راى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما نزل باصحابه ولم يقدر ان يمنعهم من المشركين
ولم يؤمر بالجهاد امر اصحابه بالخروج الى ارض الحبشة وقال ان بها ملكا صالحا لا يظلم
ولا يظلم عنده احد فاخرجوا اليه حتى يجعل الله للمسلمين فرجا فخرج اليها احد عشر
رجلا واربع نسوة سرا وهم عثمان بن عفان وزوجته رقية بنت رسول الله صلى
الله عليه وسلم والزبير بن العوام وعبد الله بن مسعود وعبد الرحمن بن عوف
وابو حذيفة بن عتبة وامراته سهلة بنت سهيل بن عمرو ومصعب بن مظعون
وعامر بن ربيعة وامراته ليلى بنت ابي حثمة وحاطب بن عمرو وسهيل بن بيضاء
فخرجوا الى البحر واخذوا سفينة بنصف دينار الى ارض الحبشة وذلك في رجب
في السنة الخامسة من مبعث النبي صلى الله عليه وسلم وهذه الهجرة الاولى ثم
خرج بعدهم جعفر بن ابي طالب وتتابع المسلمون فكان جميع من هاجر الى ارض
الحبشة من المسلمين اثنان وثمانون رجلا سوى النساء والصبيان فلما علمت
قريش بذلك وجهوا عمرو بن العاص وصاحبه بهدايا الى النجاشي وبطارقته
ليردهم اليهم فدخل اليه عمرو وقال يا ايها الملك انه قد خرج فينا رجل سفه عقول
قريش واحلامها وزعم انه نبي وانه قد بعث اليك رهطا من اصحابه ليفسدوا
عليك قومك فاحببنا ان ناتيك ونخبرك خبرهم وان قومهم يسالونك ان
تردهم اليهم فقال حتى اسالهم فامر بهم فاحضروا فلما اتوا باب النجاشي قالوا
يستاذن اولياء الله فقال ائذنوا لهم فمرحبا باولياء الله فلما دخلوا عليه سلموا

فقال الرهط من المشركين ايها الملك الا ترى انا صدقناك انهم لم يحيوك بتحيتك التي
تحيا بها فقال لهم الملك ما منعكم ان تحيوني بتحيتي فقالوا انا حييناك بتحية اهل الجنة
وتحية الملائكة فقال لهم النجاشي ما يقول صاحبكم في عيسى وامه فقال جعفر بن ابي
طالب يقول هو عبد الله ورسوله وكلمة الله وروح منه القاها الى مريم العذراء ويقول
في مريم انها العذراء البتول قال فاخذ النجاشي عودا من الارض وقال والله ما زاد صاحبكم
على ما قال عيسى قدر هذا العود فكره المشركون قوله وتغيرت وجوههم فقال هل تعرفون
شيا مما انزل على صاحبكم قالوا نعم قال اقرأوا فقرأ جعفر سورة مريم وهناك قسيسون و
رهبان وساير النصارى فعرفوا ما قرا فانحدرت دموعهم مما عرفوا من الحق فانزل الله فيهم
ذلك بان منهم قسيسين ورهبانا وانهم لا يستكبرون الى اخر الايتين فقال النجاشي لجعفر
واصحابه اذهبوا فانتم سيوم بارضي انتم امنون فرجع عمرو وصاحبه خائبين واقام المسلمون
عند النجاشي بخير دار وخير جوار الى ان هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة وعلا امره
وقهر اعداءه وذلك في سنة ست من الهجرة وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى النجاشي
على يد عمرو بن امية الضمري ان يزوجه ام حبيبة بنت ابي سفيان وكانت قد هاجرت مع زوجها
ومات عنها فارسل النجاشي جارية يقال لها ابرهة الى ام حبيبة يخبرها ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قد خطبها فسرت بذلك واعطت الجارية اوضاحا كانت لها واذنت لخالد بن
سعيد في نكاحها فانكحها رسول الله صلى الله عليه وسلم على صداق مبلغه اربعمائة دينار وكان
الخاطب لرسول الله صلى الله عليه وسلم النجاشي وانفذ اليها بجميع الصداق على يد جاريته
فلما جاءتها بالدنانير وهبتها منها خمسين دينارا فلم تاخذها وقالت ان الملك امرني ان
لا اخذ منك شيا وقالت انا صاحبة دهن الملك وثيابه وقد صدقت محمدا صلى الله عليه
وسلم وامنت به وحاجتي اليك ان تقريه مني السلام قالت نعم وقالت قد امر الملك نساءه
ان يبعثن اليك بما عندهن من دهن وعود فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يراه
عندها فلا ينكره قالت ام حبيبة فخرجنا الى المدينة ورسول الله صلى الله عليه وسلم محاصر
خيبر فخرج من خرج اليه معه وقدم من الحبشة واقمت بالمدينة حتى قدم رسول الله صلى الله
عليه وسلم فدخلت عليه فكان يسالني عن النجاشي فقرات عليه السلام من ابرهة جارية الملك
فرد رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها السلام وانزل الله عز وجل عسى الله ان يجعل بينكم
وبين الذين عاديتم منهم مودة يعني ابا سفيان وذلك بتزويج رسول الله صلى الله عليه وسلم
ام حبيبة فلما بلغ ابا سفيان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج ام حبيبة قال
ذلك الفحل لا يجدع انفه وبعث النجاشي بعد خروج جعفر واصحابه الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم ابنه ارهى في ستين رجلا من اصحابه وكتب اليه يا رسول الله اني اشهد انك
رسول الله صادقا مصدقا وقد بايعتك وبايعت ابن عمك جعفر واسلمت لله رب
العالمين وقد بعثت اليك ابني ارهى وان شيت ان اتيك بنفسي فعلت والسلام عليك

يا رسول الله

يا رسول الله فركبوا في سفينة في اثر جعفر حتى اذا كانوا في وسط البحر غرقوا ووافى جعفر
واصحابه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بخيبر ووافى مع جعفر سبعون رجلا عليهم
الثياب الصوف منهم اثنان وستون رجلا من الحبشة وثمانية من اهل الشام فقرا عليهم رسول
الله صلى الله عليه وسلم سورة يس الى اخرها فبكى القوم حين سمعوا القران وامنوا
وقالوا ما اشبه هذا بما كان ينزل على عيسى عليه السلام فانزل الله عز وجل فيهم هذه الاية
ولتجدن اقربهم مودة للذين امنوا الذين قالوا انا نصارى يعني وفد النجاشي الذين
قدموا مع جعفر وهم السبعون وكانوا من اصحاب الصوامع وقيل نزلت في ثمانين
رجلا اربعين من نصارى نجران من بني الحرث ابن كعب واثنين وثلاثين من الحبشة
وثمانية روميون من اهل الشام قال قتادة نزلت في ناس من اهل الكتاب كانوا
على شريعة من الحق مما جاء بها عيسى عليه السلام فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم امنوا به
وصدقوه فاثنى الله عليهم بقوله ولتجدن اقربهم مودة للذين امنوا الذين قالوا انا
نصارى ذلك بان منهم قسيسين ورهبانا وانهم لا يستكبرون يعني لا يتعظمون عن
الايمان والاذعان للحق قوله عز وجل واذا سمعوا ما انزل الى الرسول يعني واذا سمعوا
القران الذي انزل الى الرسول يريد محمدا صلى الله عليه وسلم ترى اعينهم تفيض من الدمع يقال
فاض الاناء اذا امتلا حتى يخرج منه ما فيه وصفهم الله تعالى بسيل الدمع عند البكاء ورقة القلب
عند سماع القران قال ابن عباس يريد النجاشي واصحابه لما قرا عليهم جعفر بن ابي طالب
سورة مريم فما زالوا يبكون حتى فرغ جعفر من القراءة مما عرفوا من الحق يعني الذي نزل
على محمد صلى الله عليه وسلم وهو الحق يقولون يعني القسيسين والرهبان الذين سمعوا القران
من جعفر عند النجاشي ربنا امنا يعني بالقران وشهدنا انه حق وصدق فاكتبنا مع الشاهدين
يعني مع امة محمد صلى الله عليه وسلم الذين يشهدون بالحق وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا
من الحق قال ابن عباس لما رجع الوفد من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم لامهم
قومهم على ترك دينهم وقيل ان اليهود عيروهم وقالوا تركتم دينكم فاجابوهم بهذا الجواب
ومعنى الاية وما لنا ان لا نؤمن بوحدانية الله وما جاءنا من الحق من عنده على لسان
رسول الله صلى الله عليه وسلم ونطمع يعني ونرجوا بذلك الايمان ان يدخلنا ربنا مع القوم
الصالحين يعني مع امة محمد صلى الله عليه وسلم قوله تعالى فاثابهم الله بما قالوا يعني بالتوحيد
الذي قالوا وانما علق الثواب وهو قوله جنات تجري من تحتها الانهار بمجرد القول
لانه قد سبق وصفهم بما يدل على اخلاصهم فيما قالوا وهو المعرفة والبكاء المؤذنان
بحقيقة الاخلاص واستكانة القلب والقول اذا اقترن بالمعرفة فهو الايمان الحقيقي
الموعود عليه بالثواب وقال ابن عباس بما قالوا يريد بما سالوا وهو قولهم فاكتبنا
مع الشاهدين خالدين فيها يعني في الجنات وذلك جزاء المحسنين يعني المؤمنين الموحدين
المخلصين في ايمانهم والذين كفروا وكذبوا باياتنا لما ذكر الله تعالى الوعد لمؤمني اهل

الكتاب وما اعد لهم في الجنات ذكر الوعيد لمن اقام منهم على كفره وتكذيبه واطلق
القول بذلك ليكون هذا الوعيد لهم ولمن جرا مجراهم في الكفر والتكذيب فقال
والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب الجحيم قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا لا
تحرموا طيبات ما احل الله لكم قال علما التفسير ذكر ان النبي صلى الله عليه وسلم
ذكر الناس يوما ووصف القيامة فرق الناس وبكوا فاجتمع عشرة من الصحابة
في بيت عثمان بن مظعون الجمحي وهم ابو بكر وعلي وابن مسعود وعبد الله بن عمر
وابو ذر الغفاري وسالم مولى ابي حذيفة والمقداد بن الاسود وسلمان الفارسي
ومعقل بن مقرن وتشاوروا واتفقوا على انهم يترهبوا ويلبسوا المسوح ويجبوا
مذاكيرهم ويصوموا الدهر ويقوموا الليل ولا يناموا على الفرش ولا ياكلوا اللحم والودك
ولا يقربوا النسا ولا الطيب ويسيحوا في الارض فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم
فاتى دار عثمان بن مظعون فلم يصادفه فقال لامراته احق ما بلغني عن زوجك
واصحابه فكرهت ان تكذب وكرهت ان تبدي سر زوجها فقالت يا رسول الله
ان كان قد اخبرك عثمان فقد صدق فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما
جا عثمان اخبرته بذلك فاتى هو واصحابه العشرة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الم انبا انكم اتفقتم على كذا وكذا فقالوا بلى
يا رسول الله وما اردنا الا الخير فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لم اومر
بذلك ثم قال صلى الله عليه وسلم ان لانفسكم عليكم حقا فصوموا وافطروا وقوموا
وناموا فاني اقوم وانام واصوم وافطر واكل اللحم والدسم واتي النسا فمن رغب
عن سنتي فليس مني ثم جمع الناس وخطبهم فقال ما بال اقوام حرموا النسا والطعام
والطيب وشهوات الدنيا فاني لست امركم ان تكونوا قسيسين ورهبانا فانه
ليس في ديني ترك اللحم والنسا ولا اتخاذ الصوامع وان سياحة امتي الصوم ورهبانيتهم
الجهاد اعبدوا الله ولا تشركوا به شيا وحجوا واعتمروا واقيموا الصلاة واتوا الزكاة
وصوموا رمضان واستقيموا يستقم لكم فانما هلك من كان قبلكم بالتشديد شددوا
على انفسهم فشدد الله عليهم فتلك بقاياهم في الديارات والصوامع فانزل الله عز
وجل هذه الاية يا ايها الذين امنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم يعني الطيبات
اللذيذات التي تشتهيها الانفس وتميل اليها القلوب من المطاعم الطيبة والمشارب
اللذيذة فاعلم الله عز وجل بهذه الاية ان شريعة نبيه صلى الله عليه وسلم غير ما عزموا
عليه من ترك الطيبات وانه لا ينبغي ان يجتنب الطيبات والمباحات ومعنى لا تحرموا لا تعتقدوا
تحريم الطيبات المباحات فان من اعتقد تحريم شي احله الله فقد كفر فاما ترك لذات الدنيا
وشهواتها والانقطاع الى الله والتفرغ لعبادته من غير اضرار بالنفس ولا تفويت حق
على الغير ففضيلة لا منع منها بل مامور بها وقوله تعالى ولا تعتدوا يعني لا تجاوزوا

الحلال الى الحرام وقيل معناه ولا تجبوا انفسكم فسمى جب المذاكير اعتدا وقيل معناه ولا تعتدوا
بالاسراف في الطيبات ان الله لا يحب المعتدين يعني المجاوزين الحلال الى الحرام
وقوله تعالى وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا يعني وكلوا ايها المومنون من رزق الله
الذي رزقكم واحله لكم من المطاعم والمشارب قال عبد الله بن المبارك الحلال ما اخذته
من وجهه والطيب ما غذا وانما فاما الجامد كالطين والتراب وما لا يغذي فمكروه
الا على وجه التداوي قال ابن عباس ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول
الله اني اذا اصبت اللحم انتشرت للنسا واخذتني شهوتي فحرمت اللحم فانزل الله يا ايها
الذين امنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين
وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب وله عن
عايشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب الحلو والعسل وله عن ابي
هريرة قال اتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بلحم فرفع اليه الذراع وكانت تعجبه فنهش
منها قالت عايشة وكان الذراع احب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن
كان لا يجد اللحم الا غبا وكان يعجل اليه الذراع لانه اعجلها نضجا اخرجه الترمذي ايضا
وقوله تعالى واتقوا الله الذي انتم به مومنون هذا تاكيد للوصية بما امر به وزاده
تاكيدا بقوله انتم مومنون لان الايمان به يوجب التقوى في الانتها الى ما امر به
وعما نهى عنه وفي الاية دليل على ان الله عز وجل قد تكفل برزق كل احد من عباده
فانه تعالى لو لم يتكفل بذلك لما قال وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واذا تكفل
برزق العبد وجب ان لا يبالغ في الطلب والحرص على الدنيا وان يعول على
ما وعده الله وتكفل به فانه تعالى اكرم من ان يخلف الوعد قوله تعالى لا يواخذكم
الله باللغو في ايمانكم قال ابن عباس لما نزلت يا ايها الذين امنوا لا تحرموا طيبات
ما احل الله لكم قالوا يا رسول الله كيف نصنع بايماننا التي حلفنا عليها وكانوا
قد حلفوا على ما اتفقوا عليه فانزل الله عز وجل هذه الاية لا يواخذكم الله باللغو
في ايمانكم وقد تقدم تفسير اللغو في الايمان في سورة البقرة وقوله تعالى ولكن
يواخذكم بما عقدتم الايمان يعني ولكن يواخذكم بما تعمدتم وقصدتم به اليمين
ومنه قول الفرزدق ولست بماخوذ بلغو تقوله اذا لم تعمد عاقدات العزايم
وفي الاية حذف تقديره ولكن يواخذكم بما عقدتم الايمان اذا حنثتم فحذف هذا
لانه معلوم عند السامع فكفارته يعني فكفارة ايمانكم التي عقدتموها اذا حنثتم
اطعام عشرة مساكين من اوسط ما تطعمون اهليكم يعني من افضل ذلك لان
من الناس من يسرف في اطعام اهله ومنهم من يقتر عليهم فامر الله بالعدل
في ادا الكفارة وقيل اراد بالاوسط في القيمة فلا يكون غاليا من اعلى الموجود
ولا خسيس الثمن من اردى الموجود بل الوسط في القيمة وقيل اراد بالاوسط

الافضل قال ابن عباس كل شي في كتاب الله اوسط فهو افضل فعلى هذا يكون المعنى
من خير ما تطعمون اهليكم وافضله او كسوتهم هذا معطوف على محل اوسط اي كما
تطعمون المساكين من اوسط ما تطعمون اهليكم فكذلك فاكسوهم من اوسط الكسوة
او تحرير رقبة يعني عتق رقبة والمراد به جملة الشخص فصل في حكم الاية وفيه مسايل
المسئلة الاولى في بيان الكفارة وهي اربعة انواع النوع الاول من الكفارات الاطعام
فيجب اطعام عشرة مساكين واختلفوا في قدر ما يطعم لكل مسكين فذهب قوم الى انه
يطعم لكل مسكين مدا من الطعام بمد النبي صلى الله عليه وسلم وهو رطل وثلث بالبغدادي
من غالب قوت البلد وكذلك ساير الكفارات وهذا قول ابن عباس وابن عمر
وزيد بن ثابت وبه قال سعيد بن المسيب والقاسم بن محمد وسليمان بن يسار وعطا
والحسن واليه ذهب مالك والشافعي ويروى عن عمر وعلي وعايشة ان يطعم لكل
مسكين مدان من بر وهو نصف صاع وبه قال اهل العراق وقال ابو حنيفة ان اطعم
من الحنطة فنصف صاع وان اطعم من غيرها فصاع وهو قول الشعبي والنخعي وسعيد
بن جبير ومجاهد وقال احمد بن حنبل يطعم لكل مسكين مدا من البر ونصف صاع
من غيرها مثل التمر والشعير ومن شرط الاطعام تمليك الطعام للمساكين فلو غداهم
وعشاهم لم يجزه وقال ابو حنيفة يجزيه ذلك ولا يجوز اخراج القيمة في الكفارة كالدراهم
والدنانير وقال ابو حنيفة يجوز ذلك ولا اخراج الدقيق والخبز في الكفارة بل يجب اخراج
الحب وجوزه ابو حنيفة ولا يجوز صرف الكل الى مسكين واحد في عشرة ايام النوع الثاني
من الكفارات الكسوة واختلف العلما في قدرها فذهب قوم الى انه يكسو لكل
مسكين ثوبا واحدا مما يقع عليه اسم الكسوة ازارا وردا وقميصا وسراويل وعمامة
او كسا ونحو ذلك وهذا قول ابن عباس والحسن ومجاهد وعطا وطاوس واليه ذهب
الشافعي وقال مالك يجب ان يكسو لكل مسكين ما تجوز فيه الصلاة فيكسو الرجل ثوبا
والمراة ثوبين درعا وخمارا وقال احمد للرجل ثوبا وللمراة ثوبين درعا وخمارا وهو
ادنى ما يجزي في الصلاة وقال ابن عمر يجب قميص وازار ورداء وقال ابو موسى الاشعري
يجب ثوبان وهو قول سعيد بن المسيب وابن سيرين وقال ابراهيم النخعي
يجب ثوب جامع كالملحفة النوع الثالث من الكفارات العتق فيجب اعتاق
رقبة مومنة وكذلك يجب في جميع الكفارات واجاز ابو حنيفة والثوري اعتاق الرقبة
الكافرة في جميع الكفارات الا كفارة القتل لان الله قيد الرقبة فيه بالايمان في كفارة
القتل ومذهب الشافعي ان المطلق يحمل على المقيد ولا يجوز اعتاق المرتد في الكفارة
بالاجماع ويشترط ان تكون الرقبة سليمة الرق حتى لو اعتق في الكفارة مكاتبا او ام
ولد او عبدا اشتراه بشرط العتق او اشترى قريبه الذي يعتق عليه فكل هؤلاء لا يجزي
في اعتاق الكفارة وجوز اصحاب الراي عتق المكاتب في الكفارة اذا لم يود من

نجوم الكفارة

من نجوم الكتابة شيا وجوزوا عتق القريب في الكفارة ويشترط ان تكون الرقبة
سليمة من كل عيب يضر بالعمل فلا يجزي مقطوع اليد او الرجل ولا الاعمى ولا الزمن
والمجنون المطبق ويجوز عتق الاعور والاصم ومقطوع الاذنين والانف لان
هذه العيوب كلها لا تضر بالعمل وعند ابي حنيفة كل عيب يفوت جنسا من المنفعة
يمنع الجواز فيجوز عتق مقطوع احد اليدين ولم يجز عتق مقطوع الاذنين في الكفارة
النوع الرابع من الكفارات الصوم وهو قوله تعالى فمن لم يجد يعني الكفارة فصيام
ثلاثة ايام يعني فاذا عجز من لزمه كفارة اليمين عن الاطعام او الكسوة او العتق
وجب صيام ثلاثة ايام وهو قوله تعالى فصيام ثلاثة ايام يعني فعليه صيام ثلاثة
ايام قال الشافعي اذا كان عنده قوته وقوت عياله ليومه وليلته وفضل ما
يطعم عشرة مساكين لزمته الكفارة بالاطعام وان لم يكن عنده هذا القدر جاز له
الصيام وقال ابو حنيفة يجوز له الصيام اذا لم يكن عنده من المال ما يجب فيه الزكاة
فجعل من لا زكاة عليه عادما وقال الحسن اذا لم يجد درهمين صام وقال سعيد بن
جبير ثلاثة دراهم واختلفوا في وجوب التتابع في الصيام عن كفارة اليمين على قولين
احدهما انه يجب التتابع فيه قياسا على كفارة الظهار والقتل وهو قول ابن عباس ومجاهد
وطاوس وعطا وقتادة وهو مذهب ابي حنيفة واحمد واصح قولي الشافعي والقول الثاني
انه لا يجب التتابع في كفارة اليمين فان شا تابع وان شا فرق والتتابع افضل وبه قال
الحسن ومالك وهو القول الثاني للشافعي المسئلة الثانية كلمة او للتخيير بين الاطعام
والكسوة والعتق فان شا اطعم وان شا كسا وان شا اعتق فبايها اخذ المكفر فقد
اصاب وخرج من العهدة المسئلة الثالثة لا يجوز صرف شي من الكفارات الا الى مسلم
محتاج فلو صرف الى ذمي او عبد او غني لا يجزيه وجوز ابو حنيفة صرفها الى اهل الذمة
واتفقوا على ان صرف الزكاة الى اهل الذمة لا يجوز المسئلة الرابعة اختلفوا في تقديم
الكفارة على الحنث فذهب قوم الى جوازه لما روي عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم من حلف على يمين فراى غيرها خيرا منها فليكفر عن يمينه وليفعل الذي
هو خير اخرجه الترمذي ق عن عبد الرحمن بن سمرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يا عبد الرحمن لا تسال الامارة فانك ان اعطيتها عن مسئلة وكلت اليها وان اعطيتها
عن غير مسئلة اعنت عليها واذا حلفت على يمين فرايت غيرها خيرا منها فات الذي
هو خير وكفر عن يمينك وهذا قول عمر وابن عباس وعايشة وبه قال الحسن وابن
سيرين واليه ذهب مالك والاوزاعي والشافعي الا ان الشافعي قال ان كفر بالصوم
قبل الحنث فانه لا يجوز لانه بدني انما يجوز بالطعام او الكسوة او العتق وقال ابو حنيفة
لا يجوز تقديم الكفارة على الحنث وقوله ذلك اشارة الى ما تقدم من الاطعام او
الكسوة او العتق او الصوم عند العجز عن الكفارة كفارة ايمانكم اذا حلفتم يعني

وحنثتم لان الكفارة لا تجب بمجرد اليمين انما تجب بالحنث بعد اليمين وفيه اشارة الى
ان تقديم الكفارة عن اليمين لا يجوز بل بعد اليمين وقبل الحنث كما تقدم واحفظوا
ايمانكم يعني فقللوا ايمانكم ففيه النهي عن كثرة الحلف ومنه قول الشاعر ؎ قليل
الالايا حافظ ليمينه ؎ وصفه بانه قليل الحلف وقيل في معنى الاية احفظوا ايمانكم عن الحنث
اذا حلفتم لئلا تحتاجوا الى التكفير وهذا اذا لم يحلف على ترك مندوب او فعل مكروه
فان حلف على ذلك فالافضل بل الاولى ان يحنث نفسه ويكفر لما روي عن
ابي موسى الاشعري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اني والله ان شاء الله
لا احلف على يمين فارى غيرها خيرا منها الا كفرت عن يميني واتيت الذي هو خير اخرجاه
في الصحيحين وقوله تعالى كذلك يبين الله لكم اياته يعني كما بين لكم كفارة ايمانكم اذا حنثتم
كذلك يبين لكم جميع ما تحتاجون اليه في امر دينكم لعلكم تشكرون يعني نعمة الله
التي انعم بها عليكم اي يبين لكم اياته ومعالم شريعته قوله عز وجل يا ايها الذين
امنوا انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس لما انزل الله تعالى يا ايها الذين
امنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم وقوله كلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا وكانت
الخمر والميسر مما يستطاب عندهم فبين الله في هذه الاية ان الخمر والميسر غير داخلين
في جملة الطيبات المحللات بل هما من جملة المحرمات والخمر كل ما خامر العقل فغطاه والميسر
القمار وقد تقدم تفسيرهما في سورة البقرة والانصاب هي الحجارة التي كانوا ينصبونها
للعبادة ويذبحون عندها والازلام هي القداح التي كانوا يستقسمون بها وتقدم
تفسير ذلك الرجس في اللغة المستقذر من عمل الشيطان يعني من تزيينه واغوائه
ودعائه اياكم اليها وليس المراد انها من عمل يديه فاجتنبوه يعني كونوا جانبا منه والضمير
في قوله فاجتنبوه عائد الى الرجس لانه اسم جامع للكل كانه قال ان هذه الاشياء الاربعة
كلها رجس فاجتنبوه لعلكم تفلحون يعني لكي تدركوا الفلاح اذا اجتنبتم هذه المحرمات
التي هي رجس قوله تعالى انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر
اختلفوا في سبب نزول هذه الاية فروى ابو ميسرة ان عمر بن الخطاب قال اللهم بين
لنا في الخمر بيانا شافيا فنزلت الاية التي في سورة البقرة يسألونك عن الخمر والميسر
قل فيهما اثم كبير الاية فدعي عمر فقرئت عليه فقال اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا
فنزلت التي في النساء يا ايها الذين امنوا لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى فدعي عمر فقرئت
عليه ثم قال اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا فنزلت التي في المائدة انما يريد الشيطان
ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر الى قوله فهل انتم منتهون فدعي عمر
فقرئت عليه فقال انتهينا انتهينا اخرجه الترمذي من طريقين وقال رواية ابي ميسرة هذا اصح
واخرجه ابو داود والنسائي وروى مصعب بن سعد عن ابيه قال صنع رجل من الانصار
طعاما فدعانا فشربنا وذلك قبل ان تحرم حتى انتشينا فتفاخرت الانصار

وقريش فقالت الانصار نحن افضل منكم فقال سعد بن ابي وقاص المهاجرون
خير منكم فاخذ رجل من الانصار لحي جمل فضرب به انف سعد ففزره فاتى سعد
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره فنزلت هذه الاية يا ايها الذين امنوا انما
الخمر والميسر الى قوله فهل انتم منتهون وقال ابن عباس نزلت تحريم الخمر في قبيلتين
من قبائل الانصار شربوا حتى اذا ثملوا عبث بعضهم ببعض فلما صحوا جعل الرجل
يرى الاثر بوجهه ولحيته فيقول لي هذا اخي فلان وكانوا اخوة ليس في قلوبهم
ضغاين فانزل الله تحريم الخمر في هذه الاية يا ايها الذين امنوا انما الخمر والميسر
والانصاب والازلام الى قوله فهل انتم منتهون واما التفسير للاية فقوله تعالى انما
يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء يعني انما زين لكم الشيطان شرب
الخمر بالقداح والقمار وهو الميسر وحسن ذلك لكم ارادة ان يوقع بينكم العداوة
والبغضاء بسبب شرب الخمر والميسر اما العداوة والبغضاء بسبب شرب الخمر
لانها تزيل عقل شاربها فيتكلم بالفحش وربما افضى ذلك الى المقاتلة وذلك سبب
ايقاع العداوة والبغضاء بين شاربيها واما الميسر فقال قتادة كان الرجل في الجاهلية
يقامر على اهله وماله فيقمر فيقعد حزينا سليبا ينظر الى ماله في يد غيره فيورثه
ذلك العداوة والبغضاء فنهى الله عن ذلك وقدم فيه والله اعلم بما يصلح خلقه
فظهر بذلك ان الخمر والميسر سببان عظيمان في ايقاع العداوة والبغضاء
بين الناس وهذا فيما يتعلق بامر الدنيا وفيهما مفاسد تتعلق بامر الدين وهي
قوله تعالى ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة لان شرب الخمر يشغل عن ذكر الله فان
قلت لم جمع الخمر والميسر مع الانصاب والازلام في الاية الاولى ثم افرد الخمر و
الميسر في هذه الاية قلت لان الخطاب مع المومنين بدليل قوله تعالى يا ايها الذين امنوا
والمقصود نهيهم عن شرب الخمر واللعب والقمار وانما ضم الانصاب والازلام
الى الخمر والميسر لتاكيد تحريم الخمر والميسر فلما كان المقصود من الاية النهي عن شرب
الخمر والميسر لا جرم افردهما بالذكر في اخر الاية والله اعلم وقوله تعالى فهل انتم منتهون
لفظه استفهام ومعناه الامر اي انتهوا وهذا من ابلغ ما ينهى به لانه تعالى ذم الخمر والميسر
واظهر قبحهما للمخاطب كانه قيل قد تلي عليكم فيهما من انواع الصوارف والموانع فهل
انتم منتهون مع هذه الامور ام انتم على ما كنتم عليه كانكم لم توعظوا ولم تزجروا وفي
هذه الاية دليل على تحريم شرب الخمر لان الله تعالى قرن شرب الخمر والميسر بعبادة
الاصنام وعدد انواع المفاسد الحاصلة بهما ووعد بالفلاح عند اجتنابهما
وقال فهل انتم منتهون ومعناه الامر وقد صح من حديث عائشة ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال كل شراب اسكر فهو حرام اخرجاه في الصحيحين وزاد الترمذي وابو
داود ما اسكر الفرق منه فملء الكف منه حرام الفرق بالتحريك اناء يسع ستة

عشر رطلا عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من شرب الخمر لم يقبل له صلاة اربعين صباحا فان تاب تاب الله عليه فان عاد في الرابعة لم يقبل الله له صلاة اربعين صباحا فان تاب لم يتب الله عليه وسقاه من نهر الخبال قالوا يا عبد الرحمن وما نهر الخبال قال صديد اهل النار اخرجه الترمذي وقال حديث حسن واخرجه النسائي وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن الله الخمر وشاربها وساقيها وبائعها ومبتاعها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة اليه اخرجه ابو داود قوله عز وجل واطيعوا الله واطيعوا الرسول يعني فيما امركم به ونهاكم عنه واحذروا يعني واحذروا مخالفة الله في رسوله صلى الله عليه وسلم فيما امركم به او نهاكم عنه فان توليتم يعني فان اعرضتم عما امركم به ونهاكم عنه فاعلموا انما على رسولنا البلاغ المبين وهذا وعيد وتهديد لمن اعرض عن امر الله ونهيه كانه قال فاعلموا انكم بسبب توليكم واعراضكم قد استحققتم العذاب والسخط قوله تعالى ليس على الذين امنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا الاية عن البراء بن عازب قال مات ناس من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وهم يشربون الخمر فلما نزل تحريم الخمر قال ناس من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كيف باصحابنا الذين ماتوا وهم يشربونها قال فنزلت ليس على الذين امنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا الاية اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح عن ابن عباس قال قالوا يا رسول الله ارايت الذين ماتوا وهم يشربون الخمر لما نزل تحريم الخمر فنزلت ليس على الذين امنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا الاية اخرجه الترمذي وقال حديث حسن ومعنى الاية ليس على الذين امنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا اي لا حرج ولا اثم عليهم فيما شربوا من الخمر واكلوا من مال القمار في وقت الاباحة قبل التحريم قال ابن قتيبة يقال لم اطعم خبزا ولا ماء ولا نوما قال الشاعر

فان شئت حرمت النساء سواكم ❊ وان شئت لم اطعم نقاخا ولا بردا

النقاخ الماء والبرد النوم اذا ما اتقوا يعني اذا اتقوا الشرك وقيل اتقوا ما حرم عليهم ثم امنوا يعني بالله ورسوله وعملوا الصالحات اي وازدادوا من عمل الصالحات ثم اتقوا وامنوا يعني اتقوا الخمر والميسر بعد التحريم فعلى هذا تكون الاولى اخبارا عن حال من مات وهو يشربها قبل التحريم انه لا جناح عليه والثانية خطاب لمن بقي بعد التحريم امروا باتقائها والايمان بتحريمها ثم اتقوا يعني ما حرم عليهم في المستقبل واحسنوا يعني العمل وقيل المراد بالاتقاء الاول فعل التقوى وبالثاني المداومة عليها وبالثالث اتقاء الظلم مع ضم الاحسان اليه وقيل ان المقصود من التكرير التاكيد والمبالغة في الحث على الايمان والتقوى وضم الاحسان اليهم قال تعالى والله يحب المحسنين يعني انه تعالى يحب المتقربين اليه بالايمان والاعمال الصالحة والتقوى والاحسان وهذا ثناء ومدح لهم على الايمان والتقوى والاحسان لان هذه المقامات من اشرف الدرجات واعلاها م عن عبد الله بن مسعود قال لما نزلت هذه الاية ليس على الذين امنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا الى اخر الاية قال

رسول الله

رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل لي انت منهم ومعناه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل له ان ابن مسعود منهم يعني من الذين امنوا وعملوا الصالحات والتقوى والاحسان قال نعم قوله تعالى يا ايها الذين امنوا ليبلونكم الله بشيء من الصيد نزلت هذه الاية عام الحديبية وكانوا محرمين فابتلاهم الله بالصيد فكانت الوحوش تغشى رحالهم من كثرتها فهموا باخذها وصيدها فانزل الله هذه الاية يا ايها الذين امنوا ليبلونكم الله اللام في ليبلونكم لام القسم اي ليختبرن طاعتكم من معصيتكم والمعنى يعاملكم معاملة المختبر بشيء من الصيد يعني بصيد البر دون البحر وقيل اراد الصيد في حال الاحرام دون الاحلال وليعلم انه ليس بفتنة من الفتن العظام التي تنزل عندها اقدام الثابتين ويكون التكليف فيها صعبا شاقا كالابتلاء ببذل المال والارواح وانما هو ابتلاء سهل كما ابتلى اصحاب السبت من صيد السمك فيه لكن الله عز وجل بفضله وكرمه عصم امة محمد صلى الله عليه وسلم فلم يصطادوا شيئا في حالة الابتلاء ولم يعصم اصحاب السبت فمسخوا قردة وخنازير وقوله تعالى تناله ايديكم يعني الفرخ والبيض وما لا يقدر يفر من صغار الصيد ورماحكم يعني كبار الصيد مثل حمر الوحش ونحوها قال ابن عباس في قوله تناله ايديكم ورماحكم هو الضعيف من الصيد وصغيره يبتلي الله به عباده في احرامهم حتى لو شاؤا نالوه بايديهم فنهاهم الله ان يقربوه ليعلم الله اي ليرى الله لانه قد علمه فهو مجاز لانه تعالى علم لم يزل والمعنى يعاملكم معاملة المختبر وقيل معناه ليظهر المعلوم وهو خوف الخائف وقيل هو من باب حذف المضاف والتقدير ليعلم اولياء الله من يخافه بالغيب يعني من يخاف الله ولم يره فلا يصطاد في حال الاحرام شيئا فمن اعتدى بعد ذلك يعني فصاد في حالة الاحرام بعد النهي فله عذاب اليم يعني في الدنيا قال ابن عباس هو ان يوسع ظهره وبطنه جلدا ويسلب ثيابه وهذا قول اكثر المفسرين في معنى هذه الاية لانه قد سمى الجلد عذابا هو قوله وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا لا تقتلوا الصيد وانتم حرم جمع حرام اي لا تقتلوا الصيد وانتم محرمون بالحج او العمرة وقيل المراد منه دخول الحرم يقال احرم اذا عقد الاحرام واحرم اذا دخل الحرم وقيل هما مرادان بالاية فلا يجوز قتل الصيد للمحرم ولا في الحرم نزلت هذه الاية في ابي اليسر شد على حمار وحش فقتله وهو محرم ثم صار هذا الحكم عاما فلا يجوز قتل الصيد ولا التعرض له ما دام محرما ولا في الحرم والمراد بالصيد كل حيوان متوحش ماكول اللحم وهذا قول الشافعي وقال ابو حنيفة هو كل حيوان متوحش سواء كان ماكولا او لم يكن فيجب عنده الضمان على من قتل سبعا او نمرا او نحو ذلك واستثنى الشارع خمس فواسق فاجاز قتلهن ق عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خمس من الدواب ليس على المحرم في قتلهن

جناح الغراب والحداة والعقرب والفارة والكلب العقور وفي رواية خمس لا جناح
على من قتلهن في الحرم والاحرام ف عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
خمس من الدواب كلهن فاسق يقتلن في الحرم الغراب والحداة والعقرب والفارة
والكلب العقور ولمسلم خمس يقتلن في الحل والحرم وذكر نحوه وفي رواية النسائي قال
خمس يقتلهن المحرم الحية والعقرب والفارة والغراب الابقع والكلب العقور قال
ابن عيينة الكلب العقور كل سبع ضار يعقر وقاس الشافعي عليهن جميع ما لا يؤكل
لحمه قال لان الحديث يشتمل على اجناس بعضها سباع ضارية وبعضها هوام قاتلة
وبعضها طير لا تدخل في معنى السباع ولا في معنى الهوام وانما هو حيوان مستخبث اللحم
وتحريم اللحم يجمع الكل فاعتبره ورتب عليه الحكم وذهب اصحاب الراي الى وجوب
الجزا في كل ما لا يوكل لحمه الا الاعيان المذكورة في الحديث وقاسوا عليها الذيب فلم
يوجبوا فيه كفارة وقوله تعالى ومن قتله منكم متعمدا قال مجاهد والحسن وابن زيد
هو الذي يتعمد قتل الصيد مع نسيان الاحرام فعليه الجزا اما اذا تعمد قتل الصيد ذاكرا
لاحرامه فلا جزا عليه لانه اعظم من ان يكون له كفارة وقال ابن عباس والجمهور
يحكم عليه بالجزا وان تعمد القتل مع ذكر الاحرام وهذا مذهب عامة الفقها اما اذا
قتل الصيد خطا بان قصد غيره بالرمي فاصابه فهو كالعمد في وجوب الجزا وهذا
مذهب جمهور المفسرين والفقها قال الزهري نزل القران بالعمد وجرت السنة
في الخطا يعني الحقت المخطي بالمتعمد في وجوب الجزا وقال سعيد بن جبير لا ارى
في الخطا شيا وهذا قول شاذ لا يوخذ به فجزا مثل ما قتل من النعم يعني فعليه جزا
من النعم مثل ما قتل والمثل والشبه واحد واختلفوا في هذه المماثلة اي بالخلقة ام القيمة
والذي عليه جمهور العلما من الصحابة فمن بعدهم ان المماثلة في الخلقة معتبرة لان
ظاهر الاية يدل على ذلك وما لا مثل له فالقيمة وقال ابو حنيفة المثل الواجب
في قتل الصيد هو القيمة لان الصيد المقتول اذا لم يكن له مثل فانه يضمن بالقيمة
وهذا لا نزاع فيه فكان المراد بالمثل هو القيمة في هذه الصورة فوجب ان يكون
في ساير الصور كذلك لان اللفظ الواحد لا يجوز حمله الا على معنى واحد واجيب
عنه بان حقيقة المماثلة امر معلوم فيجب رعايتها باقصى الامكان وان لم يكن
رعايتها الا بالقيمة وجب الاكتفا به للضرورة وحجة الشافعي ومن وافقه في اعتبار
المماثلة بالخلقة ان الصحابة حكموا في بلدان شتى وازمان مختلفة بالمثل من النعم
فحكموا في النعامة ببدنة وهي لا تساوي بدنة وفي حمار الوحش ببقرة وهي لا تساوي
بقرة وكذا في الضبع بكبش فدل ذلك على انهم انما نظروا الى ما يقرب من الصيد
شبها من حيث الخلقة فحكموا به ولم يعتبروا القيمة ويجب في الظبي شاة وفي الارنب
سخل وفي الضب سخلة وفي اليربوع جفرة ويجب في الحمام وكل ما عب وهدر

كالفواخت والقمري وذوات الاطواق شاة وما سواها من الطير ففيه القيمة
في المكان الذي اصيب فيه وروي عن عثمان وابن عباس انهما حكما في حمام
الحرم بشاة وروي عن عمر انه قضى في الضبع بكبش وفي الغزال بعنز وفي الارنب
بعناق وفي اليربوع بجفرة وقوله تعالى يحكم به ذوا عدل منكم يعني يحكم بالجزا في قتل
الصيد رجلان صالحان عدلان من اهل ملتكم ودينكم وينبغي ان يكونا فقيهين
فينظران في اشبه الاشيا به من النعم فيحكمان به قال ميمون بن مهران جا اعرابي
الى ابي بكر الصديق فقال اني اصبت من الصيد كذا وكذا فسال ابو بكر ابي
ابن كعب فقال الاعرابي اني اتيتك اسالك وانت تسال غيرك فقال ابو بكر
وما انكرت من ذلك قال الله تعالى يحكم به ذوا عدل منكم فشاورت صاحبي فاذا
اتفقنا على شي امرناك به وقوله تعالى هديا بالغ الكعبة يعني ان الكفارة هديا
تساق الى الكعبة وسميت الكعبة كعبة لارتفاعها والعرب تسمي كل بيت مرتفع
كعبة وانما اريد بالكعبة كل الحرم لان الذبح لا يقع في الكعبة وعندها ملاصقا
انما يقع في الحرم وهو المراد بالبلوغ فيذبح الهدي بمكة ويتصدق به على مساكين
الحرم هذا مذهب الشافعي وقال ابو حنيفة له ان يتصدق به حيث شا اذا
وصل الهدي الى الكعبة او كفارة طعام مساكين او عدل ذلك صياما ذهب
الشافعي ومالك وابو حنيفة الى ان كلمة او في هذه الاية للتخيير وقال
احمد وزفر من اصحاب ابي حنيفة انها للترتيب وهما روايتان عن ابن عباس
قال الشافعي اذا قتل صيدا له مثل فهو مخير بين ثلاثة اشيا ان شا ذبح المثل من
النعم وتصدق به على مساكين الحرم وان شا قوم المثل بدراهم ودنانير و
اشترى به طعاما وتصدق به على مساكين الحرم وان شا صام عن كل مد
من الطعام يوما وقال ابو حنيفة يصوم عن كل نصف صاع يوما وعن احمد
روايتان كالقولين واصل هذه المسئلة ان الصوم مقدر بطعام اليوم
فعند الشافعي مقدر بالمد وعند ابي حنيفة مقدر بنصف صاع وله ان
يصوم حيث شا لانه لا نفع فيه للمساكين وذهب جمهور الفقها الى ان الخيار
في تعيين احد هذه الثلاثة اشيا الى قاتل الصيد الذي وجب عليه الكفارة
لان الله اوجب عليه احد هذه الثلاثة على التخيير فوجب ان يكون هو
المخير بين ايها شا وقال محمد بن الحسن من اصحاب ابي حنيفة التخيير الى
الحكمين لان الله تعالى قال يحكم به ذوا عدل منكم ومن قال ان كلمة او
للترتيب قال ان لم يجد الهدي اشترى طعاما وتصدق به فان كان معسرا
صام وقال مالك ان لم يخرج المثل من النعم يقوم الصيد ثم يجعل القيمة
طعاما فيتصدق به او يصوم وقال ابو حنيفة لا يجب المثل من النعم بل يقوم

الصيد فان شا صرف تلك القيمة الى شي من النعم وان شا الى الطعام فيتصدق به وان شا
صام عن كل نصف صاع من بر او صاع من غيره يوما واختلفوا في موضع التقويم فقال جمهور
الفقها يقوم في المكان الذي قتل فيه الصيد وقال الشعبي يقوم بمكة بثمن مكة لانه
يصرف بها وقوله تعالى ليذوق وبال امره يعني جزا ذنبه والوبال في اللغة الشي الثقيل الذي
يخاف ضرره يقال مرعى وبيل اذا كان فيه وخامة وانما سمى الله ذلك وبالا لان اخراج
الجزا ثقيل على النفس لان فيه تنقيص المال وهو ثقيل على النفس وكذا الصوم ايضا
ثقيل على النفس لان فيه انهاك البدن عفا الله عما سلف يعني قتل الصيد قبل التحريم ومن عاد
يعني الى قتل الصيد مرة ثانية فينتقم الله منه يعني في الاخرة والانتقام المبالغة في العقوبة
وهذا الوعيد لا يمنع ايجاب الجزا في المرة الثانية والثالثة فاذا تكرر من المحرم قتل الصيد تكرر
عليه الجزا وهذا قول جمهور العلما وقد روي عن ابن عباس والنخعي وابو داود الظاهري
انه اذا قتل الصيد مرة ثانية فلا جزا عليه لان الله تعالى وعده بالانتقام منه قال ابن عباس
اذا قتل المحرم صيدا يقال له اقتلته قبله فان قال نعم لم يحكم عليه ويقال له اذهب فينتقم الله منك
وان قال لم اقتل قبله شيا حكم عليه فان عاد بعد ذلك لم يحكم عليه ولكن يملا صدره وبطنه
ضربا وكذلك حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم في صيد وج وهو واد بالطايف والله عزيز
ذو انتقام يعني ممن عصاه واذا اتلف المحرم شيا من الصيد الذي لا مثل له من النعم مثل البيض
وطاير صغير دون الحمام ففيه القيمة فيقوم ثم يشتري بقيمته طعاما ويتصدق به على محاويج
الحرم او يصوم عن كل مد يوما قوله تعالى احل لكم صيد البحر وطعامه المراد بالصيد ما صيد
من البحر والمراد بالبحر جميع المياه العذبة والمالحة فاما طعامه فاختلفوا فيه فقيل هو ما قذفه
البحر ورمى به الى الساحل يروى ذلك عن ابي بكر وعمر وابن عمر وابي ايوب وقتادة وقيل
صيد البحر طريه وطعامه مالحه يروى ذلك عن سعيد بن جبير وسعيد بن المسيب والسدي
ويروى عن ابن عباس ومجاهد كالقولين وجملة حيوان الما على قسمين سمك وغير سمك
فاما السمك فجميعه حلال على اختلاف اجناسه وانواعه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
في البحر هو الطهور ماوه الحل ميتته اخرجه ابو داود والترمذي والنسائي ولا فرق بين
ان يموت بسبب او بغير سبب فيحل اكله وقال ابو حنيفة لا يحل الا ان يموت بسبب وما عدا
السمك فقسمان قسم يعيش في البحر والبر كالضفدع والسرطان فلا يحل اكلهما وقال سفيان
ارجو ان لا يكون بالسرطان باسا واختلفوا في الجراد فقيل هو من صيد البحر فيحل اكله
للمحرم وذهب جمهور العلما الى انه من صيد البر وانه لا يحل للمحرم اكله في حال الاحرام فان
اصاب جرادة فعليه صدقة قال عمر في الجرادة تمرة وعنه وعن ابن عباس قبضة من طعام
وكذلك طير الما فهو من صيد البر ايضا وقال احمد يوكل كل ما في البحر الا الضفدع والتمساح
قال لان التمساح يفترس ويأكل الناس وقال ابن ابي ليلى ومالك يباح كل ما في البحر
وذهب جماعة الى ان ما له نظير من البر يوكل فيوكل نظيره من حيوان البحر مثل بقر الما ونحوه

ولا يوكل

ولا يوكل ما لا يوكل نظيره من البر مثل كلب الما وخنزير الما فلا يحل اكله قوله تعالى متاعا
لكم وللسيارة يعني ينتفع به المقيمون والمسافرون فيتزودون منه وقوله وحرم
عليكم صيد البر ما دمتم حرما ذكر الله عز وجل تحريم الصيد على المحرم في ثلاث مواضع من
هذه السورة احدها في اول السورة وهو قوله غير محلي الصيد وانتم حرم والثاني قوله
يا ايها الذين امنوا لا تقتلوا الصيد وانتم حرم والثالث هذه الاية وحرم عليكم صيد
البر ما دمتم حرما كل ذلك لتاكيد تحريم قتل الصيد على المحرم واختلف العلما هل يجوز
للمحرم ان ياكل من لحم صيد صاده غيره فذهب قوم الى انه لا يحل له ذلك بحال يروى ذلك
عن ابن عباس وهو قول طاوس واليه ذهب الثوري واحتجوا على ذلك بما روي
عن صعب بن جثامة الليثي انه اهدى للنبي صلى الله عليه وسلم حمارا وحشيا وهو
بالابوا او بودان فرده عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما راى ما في وجهه من الكراهة
قال انا لم نرده عليك الا انا حرم اخرجاه في الصحيحين وذهب جمهور العلما الى انه
يجوز للمحرم ان ياكل لحم الصيد اذا لم يصده بنفسه ولا صيد له ولا باشارته ولا اعانة
عليه وهذا قول عمر وعثمان وابي هريرة وبه قال مجاهد وعطا وسعيد بن جبير وهو
مذهب مالك والشافعي واحمد واصحاب الراي ويدل عليه ما روي عن ابي قتادة الانصاري
قال كنت جالسا مع رجال من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في منزل في طريق مكة ورسول
الله صلى الله عليه وسلم امامنا والقوم محرمون وانا غير محرم عام الحديبية فابصروا حمارا
وحشيا وانا مشغول اخصف نعلا فلم يوذنوا لي واحبوا لو اني ابصرته فالتفت فابصرته فقمت
الى الفرس فاسرجته ثم ركبت ونسيت السوط والرمح فقلت لهم ناولوني السوط
والرمح قالوا لا والله لا نعينك عليه فغضبت فنزلت فاخذتهما ثم ركبت فشددت
على الحمار فعقرته ثم جيت به وقد مات فوقعوا فيه ياكلون ثم انهم شكوا في اكلهم
اياه وهم حرم فرحنا وخبات العضد وادركنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسالناه
عن ذلك فقال هل معكم منه شي فقلت نعم فناولته العضد فاكلها وهو محرم زاد في
رواية ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لهم انما هي طعمة اطعمكموها الله وفي رواية هو حلال
فكلوه وفي رواية فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم هل منكم احد امره ان يحمل عليها او اشار
اليها قالوا لا قال كلوا ما بقي من لحمها اخرجاه في الصحيحين واجاب اصحاب هذا المذهب عن حديث
ابن جثامة بانه انما رده النبي صلى الله عليه وسلم لانه ظن انما صيد لاجله والمحرم لا ياكل
ما صيد لاجله واتقوا الله يعني فلا تستحلوا الصيد في حال الاحرام ولا في الحرم ثم
حذرهم بقوله الذي اليه تحشرون يعني في الاخرة جعل يعني صير وقيل يعني بين
وحكم قال مجاهد سمي البيت كعبة لتربيعه وقيل لارتفاعه عن الارض وسمي البيت
الحرام لان الله حرمه وعظمه وشرفه وعظم حرمته وحرم ان ينفر صيده وان يختلى
خلاه وان يعضد شجره واراد بالبيت جميع الحرم لما صح من حديث ابن عباس

فيجازيكم باعمالكم قوله عز وجل جعل الله الكعبة البيت الحرام

الا النبي صلى الله عليه وسلم خطب يوم فتح مكة فقال ان هذا البلد حرمه الله تعالى يوم خلق
السموات والارض فهو حرام بحرمة الله الى يوم القيامة لا يعضد شوكه ولا ينفر صيده
ولا يلتقط لقطته الا من عرفها ولا يختلى خلاه وقوله تعالى قياما للناس اصله قواما لانه
سبب لقوام مصالح الناس في امر دينهم ودنياهم واخرتهم اما في امر الدين فانه يقوم به
الحج وتتم المناسك واما في امر الدنيا فانه يجبى اليه ثمرات كل شيء ويامنون فيه من النهب
والغارة فلو لقي الرجل قاتل ابيه او ابنه في الحرم لم يهجه واما في الاخرة فان البيت جعل
لقيام المناسك عنده وجعلت تلك المناسك التي تقام عنده اسبابا لعلو الدرجات
وتكفير الخطايا وزيادة الكرامات والمثوبات فلما كانت الكعبة الشريفة سببا لحصول هذه الاشيا
كانت سببا لقيام الناس والشهر الحرام يعني وجعل الشهر الحرام قياما للناس والمراد بالشهر
الحرام الاشهر الحرم الاربعة وهي ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب الفرد يعني وكذلك جعل
الاشهر الحرم يامنون فيها من القتال وذلك ان العرب كان يقتل بعضهم بعضا ويغير
بعضهم على بعض وكانوا اذا دخلت الاشهر الحرم امسكوا عن القتل والغارة فيها فكانوا يامنون
في الاشهر الحرم فكانت سببا لقيام مصالح الناس والهدي والقلائد يعني وكذلك جعل الهدي
والقلائد سببا لقيام مصالح الناس وذلك انهم كانوا يامنون بسوق الهدي الى البيت الحرام
على انفسهم بذلك وكذلك كانوا يامنون اذا قلدوا انفسهم من لحى شجر الحرم فلا يتعرض لهم
احد ذلك لتعلموا ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض يعني انه تعالى علم في الازل مصالح العباد
وما يحتاجون اليه فجعل الكعبة والشهر الحرام والهدي والقلائد يامنون بها لانه يعلم مصالح
العباد كما يعلم ما في السموات وما في الارض لانه تعالى عالم بجميع المعلومات الكليات والجزئيات وهو قوله
تعالى وان الله بكل شيء عليم يعني انه تعالى لا يخفى عليه خافية اعلموا ان الله شديد العقاب يعني
لمن انتهك محارمه واستحلها وان الله غفور رحيم يعني لمن تاب وامن ولما ذكر الله تعالى انواع رحمته
لعباده ذكر بعدها انه شديد العقاب لان الايمان لا يتم الا بحصول الرجاء والخوف ثم ذكر بعده
ما يدل على سعة رحمته وانه غفور رحيم قوله تعالى ما على الرسول الا البلاغ يعني ليس على
رسولنا الذي ارسلناه اليكم الا تبليغ ما ارسل به من الانذار بما فيه من قطع الحجج وفي
الاية تشديد عظيم في ايجاب القيام بما امر الله وان الرسول صلى الله عليه وسلم قد فرغ بما
وجب عليه من التبليغ وقامت الحجة عليكم بذلك ولزمتكم الطاعة فلا عذر في التفريط
والله يعلم ما تبدون وما تكتمون يعني انه تعالى لا يخفى عليه شيء من احوالكم ظاهرا او باطنا
قل لا يستوي الخبيث والطيب يعني لا يستوي الحلال والحرام في الدرجة والرتبة ولا يعدل
الردي والجيد ولا المسلم ولا الكافر ولا الصالح ولا الطالح ولو اعجبك كثرة الخبيث يعني
ولو سرك كثرة الخبيث لان عاقبته عاقبة سوء والمعنى ان اهل الدنيا يعجبهم كثرة المال
وزينة الدنيا وما عند الله خير وابقى لان زينة الدنيا ونعيمها يزول وما عند الله يدوم
قال ابن الجوزي روى جابر بن عبد الله ان رجلا قال يا رسول الله ان الخمر كانت

تجارتي فهل ينفعني ذلك المال ان عملت فيه بطاعة الله فقال صلى الله عليه وسلم ان
الله طيب لا يقبل الا الطيب وقال مقاتل نزلت في شريح بن ضبيعة البكري وحجاج
بني بكر وقد تقدمت القصة في اول السورة فاتقوا الله فيما امركم به ونهاكم عنه ولا
تعتدوه يا اولي الالباب يعني يا ذوي العقول السليمة لعلكم تفلحون قوله عز وجل
يا ايها الذين امنوا لا تسئلوا عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم اختلفوا في سبب نزول هذه الاية
فروى عن انس بن مالك قال خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبة ما سمعت
مثلها قط فقال لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا قال فغطى اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم وجوههم لهم خنين فقال رجل من ابي فقال فلان فنزلت هذه الاية لا
تسئلوا عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم وفي رواية اخرى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
خرج حين زاغت الشمس فصلى الظهر فقام على المنبر فذكر الساعة فذكر فيها امورا عظا
ما ثم قال من احب ان يسالني عن شيء الا اخبرتكم به ما دمت في مقامي فاكثر الناس من
البكاء واكثر ان يقول سلوا فقام عبد الله بن حذافة السهمي فقال من ابي فقال
ابوك حذافة ثم اكثر ان يقول سلوني فبرك عمر على ركبتيه فقال رضينا بالله ربا وبالاسلام
دينا وبمحمد نبيا فسكت ثم قال عرضت علي الجنة والنار في عرض هذا الحائط فلم ار كاليوم
في الخير والشر قال ابن شهاب فاخبرني عبيد الله بن عبد الله بن عتبة قال قالت
ام عبد الله بن حذافة لعبد الله بن حذافة ما سمعنا بابن قط اعق منك أأمنت ان
تكون امك قارفت بعض ما تقارف اهل الجاهلية فتفضحها على اعين الناس فقال
عبد الله بن حذافة لو الحقني بعبد اسود للحقته زاد في رواية اخرى قال قتادة يذكر
هذا الحديث عند هذه الاية لا تسئلوا عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم اخرجاه في الصحيحين
خ عن ابن عباس قال كان قوم يسئلون رسول الله صلى الله عليه وسلم استهزاء فيقول
الرجل تضل ناقته اين ناقتي فانزل الله فيهم هذه الاية يا ايها الذين امنوا لا تسئلوا
عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم الاية كلها وقيل نزلت هذه الاية في شان الحج عن علي
ابن ابي طالب قال لما نزلت ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا قالوا
يا رسول الله في كل عام فسكت فقالوا يا رسول الله في كل عام فقال لا ولو قلت نعم
لوجبت فانزل الله يا ايها الذين امنوا لا تسئلوا عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم اخرجه
الترمذي وقال حديث غريب عن ابي هريرة قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال يا ايها الناس قد فرض عليكم الحج فحجوا فقال رجل في كل عام فسكت حتى قالها ثلثا
ثم قال ذروني ما تركتكم ولو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم وانما هلك من كان
قبلكم كثرة سؤالهم واختلافهم على انبيائهم اذا امرتكم بشيء فاتوا منه ما استطعتم واذا
نهيتكم عن شيء فاجتنبوه وروى مجاهد عن ابن عباس لا تسالوا عن اشياء قال
هي البحيرة والوصيلة والسائبة والحام الا ترى انه يقول بعد ذلك ما جعل من بحيرة

ولا كذا ولا كذا وقال عكرمة انهم كانوا يسالونه عن الايات فنهوا عن ذلك ثم قال قد سالها
قوم من قبلكم ثم اصبحوا بها كافرين ومعنى الاية يا ايها الذين امنوا لا تسالوا عن اشياء
جمع شي ان تبد لكم اي تظهر لكم وتبين لكم تسوكم يعني ان امرتم بالعمل بها فان من سال
عن الحج لم يامن ان يومر به فلا يقدر عليه فيسوه ذلك ومن سال عن نسبه لم يامن
ان يلحقه النبي صلى الله عليه وسلم بغير ابيه فيفتضح ويسوه ذلك وان تسالوا عنها
حين ينزل القران تبد لكم معناه ان صبرتم حتى ينزل القران بحكم من فرض او نهي او حكم
وليس في ظاهره شرح ما تحتاجون اليه ومست حاجتكم اليه فاذا سالتم عنه فحينئذ تبد
لكم ومثال هذا ان الله عز وجل لما بين عدة المطلقة والمتوفى عنها زوجها والحامل ولم
يكن في عدد هولا دليل على عدة التي ليست بذات قرء ولا حامل فسالوا عنها فانزل الله
عز وجل جوابهم في قوله واللاي يئسن من المحيض الاية عفى الله عنها يعني عن مسالتكم
عن الاشيا التي سالتم عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم التي ذكره الله لكم السوال عنها فلم
يواخذكم بها ولم يعاقبكم عليها والله غفور يعني لمن تاب منكم حليم فلم يعجل بعقوبتكم وقال
عطا غفور لما كان في الجاهلية حليم يعني عن عقابكم منذ امنتم وصدقتم قال بعض العلما
الاشيا التي يجوز السوال عنها هي ما يترتب عليه امر الدين والدنيا من مصالح العباد
وما عدا ذلك لا يجوز السوال عنه ق عن سعد بن ابي وقاص ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال ان اعظم المسلمين في المسلمين جرما من سال عن شي لم يحرم على الناس فحرم
من اجل مسالته ق عن المغيرة بن شعبة انه كتب الى معاوية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان ينهى عن قيل وقال واضاعة المال وكثرة السوال عن معاوية ان النبي صلى الله
عليه وسلم نهى عن الاغلوطات اخرجه ابو داود الاغلوطات صعاب المسايل التي تزل
فيها اقدام العلما ويويد ذلك قول ابي هريرة شرار الناس الذين يسالون عن شرار
المسايل كي يغلطوا بها العلما عن سلمان قال سيل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اشيا
فقال الحلال ما احل الله في كتابه والحرام ما حرمه في كتابه وما سكت عنه فهو مما قد عفى
عنه فلا تتكلفوا وعن ابي ثعلبة الخشني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله
فرض فرايض فلا تضيعوها وحد حدودا فلا تعتدوها وحرم اشيا فلا تقربوها وترك
اشيا من غير نسيان فلا تبحثوا عنها هذان الحديثان اخرجهما في جامع الاصول ولم يعزهما
الى الكتب الستة ثم قال تعالى قد سالها قوم من قبلكم ثم اصبحوا بها كافرين قال المفسرون
يعني قوم صالح سالوا الناقة ثم عقروها فاصبحوا بها كافرين وقوم موسى قالوا ارنا الله
جهرة فكان هذا السوال وبالا عليهم وقوم عيسى سالوا نزول المايدة عليهم ثم كذبوا
بها كانه تعالى يقول ان اوليك سالوا فلما اعطوا سولهم كفروا به فلا تسالوا انتم شيا
فلعلكم ان اعطيتم سولكم سائكم ذلك قوله تعالى ما جعل الله اي ما انزل ولا حكم به
ولا شرعه ولا امر به من بحيرة البحيرة من البحر وهو الشق يقال بحر ناقة اذا شق

اذنها فهي

اذنها فهي فعيلة بمعنى مفعولة ولا سايبة يعني المسيبة المخلاة ولا وصيلة الوصيلة
هي الشاة وكانت العرب في الجاهلية اذا ولدت لهم ذكرا وانثى قالوا وصلت اخاها
ولا حام والحام هو الفحل من الابل يحمي ظهره فلا يركب ولا ينتفع به قال ابن عباس
في بيان هذه الاوصاف البحيرة هي الناقة اذا ولدت لم يركبوها ولم يجزوا وبرها
ولم يمنعوها الما والكلا ثم نظروا الى خامس ولدها فان كان ذكرا نحروه واكله
الرجال والنسا وان كانت انثى شقوا اذنها وتركوها وحرموا على النسا منافعها
وكانت منافعها للرجال خاصة فاذا ماتت حلت للرجال والنسا وقيل كانت
الناقة اذا تابعت ثنتي عشرة سنة سيبت فلم يركب ظهرها ولم يجز وبرها ولم يشرب
لبنها الا ضيف فما نتجت بعد ذلك من انثى شق اذنها ثم سيبت مع امها وتفعل
بها كما فعل بامها وقيل السايبة البعير الذي يسيب لالهتهم وذلك ان الرجل
من اهل الجاهلية كان اذا مرض او غاب له قريب نذر فقال ان شفاني الله
او شفا مريضي او قدم غايبي فناقتي هذه سايبة ثم يسيبها فلا تحبس عن ما
ولا مرعى ولا يركبها احد فهي بمنزلة البحيرة والوصيلة من النعم كانت الشاة
اذا ولدت سبعة ابطن نظروا فان كان السابع ذكرا ذبحوه واكل منه الرجال
والنسا وان كانت انثى تركوها في الغنم وان كانت ولدت ذكرا وانثى قالوا
وصلت اخاها واستحيوا الذكر فلم يذبحوه من اجل الانثى والحام هو الفحل
اذا ركب ولد ولده وقيل هو الفحل اذا انتج من صلبه عشرة ابطن قالوا حمى ظهره
فلا يركب ولا يحمل عليه ولا يمنع من ما ولا مرعى فاذا مات اكله الرجال والنسا
ق عن سعيد بن المسيب قال البحيرة التي يمنع درها للطواغيت فلا يحلبها احد
من الناس والسايبة كانوا يسيبونها لالهتهم لا يحمل عليها شي وقال قال ابو هريرة
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رايت عمرو بن عامر الخزاعي يجر قصبه في النار
ولمسلم قال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رايت عمرو بن لحي بن قمعة
ابن خندف واخا بني كعب وهو يجر قصبه في النار خ عن عايشة قالت قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم رايت جهنم يحطم بعضها بعضا ورايت عمرا يجر قصبه
وهو اول من سيب السوايب والقصب بضم القاف وسكون الصاد المهملة الامعا
كان اهل الجاهلية تفعل هذه في جاهليتهم فلما بعث الله عز وجل نبيه محمدا صلى الله
عليه وسلم ابطل ذلك كله بقوله ما جعل الله من بحيرة ولا سايبة ولا وصيلة
ولا حام يعني ما بحر الله من بحيرة ولا سيب من سايبة ولا وصل من وصيلة ولا
احام من حام ولا اذن فيه ولا امر به ولكنكم انتم فعلتم ذلك من عند انفسكم خ
عن ابن مسعود ان اهل الاسلام لا يسيبون وان اهل الجاهلية كانوا يسيبون
وقوله تعالى ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب يعني بقولهم ان الله امرنا

واكثرهم لا يعقلون اراد بالاكثر الاتباع يعني الاتباع لا يعقل ان هذا كذب وفترا
من الروساء على الله تعالى واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول يعني واذا قيل
لهؤلا الذين بحروا البحاير وفعلوا هذه الاشيا ويضيفونها الى الله كذبا عليه تعالوا الى
ما انزل الله يعني في كتابه والى الرسول يعني محمدا صلى الله عليه وسلم الذي انزل عليه كتابه ليبين
لكم كذب ما يضيفونه الى الله ويبين لكم الشرايع والاحكام وان الذين يفعلونه
ليس بشي قالوا حسبنا ما وجدنا عليه اباءنا يعني قد اكتفينا بما اخذنا عنهم من الدين
ونحن لهم تبع قال الله ردا عليهم اولو كان اباؤهم لا يعلمون شيا ولا يهتدون
يعني انما يصح الاقتدا بالعالم المهتدي الذي يبني قوله على الحجة والبرهان والدليل
وان اباءهم ما كانوا كذلك فلا يصح اقتداؤهم بهم قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا عليكم
انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم قال بعض العلما هذا امر من الله تعالى ومعناه احفظوا
انفسكم من ملابسة الذنوب والاصرار على المعاصي لانك اذا قلت عليك زيدا معناه
الزم زيدا وقيل معناه عليكم انفسكم فاصلحوها واعملوا في خلاصها من عذاب الله عز وجل
وانظروا لها فيما يقربها من الله عز وجل لا يضركم من ضل اذا اهتديتم يعني لا يضركم كفر من
كفر اذا كنتم مهتدين واطعتم الله عز وجل فيما امركم ونهاكم عنه قال سعيد بن جبير ومجاهد
نزلت هذه الاية في اهل الكتاب اليهود والنصارى يعني عليكم انفسكم لا يضركم من ضل من
اهل الكتاب فخذوا منهم الجزية واتركوهم وقيل لما قبل الجزية من اهل الكتاب قال بعض
الكفار كيف يقبل الجزية من بعض دون البعض فنزلت هذه الاية وقيل ان المومنين
كان يشتد عليهم بقا الكفار على كفرهم فقيل لهم عليكم انفسكم واجتهدوا في صلاحها ولا
يضركم ضلال الضالين ولا جهل الجاهلين اذا كنتم انتم مهتدين فان قلت هل يدل ظاهر
هذه الاية على جواز ترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر قلت لا يدل على ذلك والذي
عليه اكثر الناس ان المطيع لربه عز وجل لا يكون مواخذا بذنوب العاصي فاما وجوب
الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فثابت بدليل الكتاب والسنة عن قيس بن ابي حازم
عن ابي بكر الصديق انه قال ايها الناس انكم تقرؤون هذه الاية يا ايها الذين امنوا عليكم
انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم واني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
ان الناس اذا راوا ظالما فلم ياخذوا على يديه اوشك ان يعمهم الله منه بعقاب
اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح واخرجه ابو داود وزاد فيه ما من قوم يعمل فيهم
بالمعاصي ثم يقدرون على ان يغيروا ولا يغيرون الا يوشك ان يعمهم الله بعقاب
وقال قوم في معنى الاية عليكم انفسكم اذا امرتم بالمعروف ونهيتم عن المنكر فلم يقبل
منكم قال ابن مسعود مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر ما قبل منكم فان رد عليكم فعليكم
انفسكم ثم قال ان القران نزل منه اي قد مضى تاويلهن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
ومنه اي بالله وقع تاويلهن بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بيسير ومنه اي يقع

تاويلهن

تاويلهن في اخر الزمان ومنه اي يقع تاويلهن يوم القيامة وهي ما ذكر من الحساب
والجنة والنار فما دامت قلوبكم واهواؤكم واحدة لم تلبسوا شيعا ولم يذق بعضكم
باس بعض فامروا بالمعروف وانهوا عن المنكر فاذا اختلفت قلوبكم واهواؤكم
والبستم شيعا واذاق بعضكم باس بعض فامرؤ ونفسه فعند ذلك جا تاويل هذه الاية
وقيل لابن عمر لو جلست في هذه الايام فلم تامر ولم تنه فان الله يقول عليكم انفسكم لا يضركم
من ضل اذا اهتديتم فقال ابن عمر انها ليست لي ولا لاصحابي لان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال الا ليبلغ الشاهد الغايب فكنا نحن الشهود وانتم الغايب ولكن هذه الاية لاقوام
يجيئون من بعدنا ان قالوا لم يقبل منهم وعن ابي امية الشعباني قال اتيت ابا ثعلبة
الخشني فقلت له كيف تصنع بهذه الاية قال اية اية قلت يا ايها الذين امنوا عليكم
انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم قال اما والله لقد سالت عنها خبيرا سالت عنها رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال ايتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى اذا رايت شحا مطاعا
وهوى متبعا ودنيا موثرة واعجاب كل ذي راي برايه فعليك بخاصة نفسك
ودع العوام فان من ورايكم ايام الصبر فمن صبر فيهن قبض على الجمر للعامل فيهن مثل
اجر خمسين منكم اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب وقيل في معنى الاية ان العبد
اذا عمل بطاعة الله واجتنب نواهيه لا يضره من ضل او هلك قال ابن عباس في قوله عليكم
انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم يقول اذا ما العبد اطاعني فيما امرته من الحلال والحرام
فلا يضره من ضل بعده اذا عمل بما امره وعن صفوان بن محرز قال دخل على شاب
من اصحاب الاهوا فذكر شيا من امره فقال له صفوان الا ادلك على خاصة الله التي
خص بها اولياءه يا ايها الذين امنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم وقال
الحسن لم يكن مومن فيما مضى ولا مومن فيما بقي الا والى جانبه منافق يكره عمله وقيل
في معنى الاية لا يضركم من كفر بالله وحاد عن قصد السبيل من اهل الكتاب اذا
اهتديتم انتم قال سعيد بن جبير نزلت هذه الاية في اهل الكتاب وقال ابن زيد
كان الرجل اذا اسلم قالوا له سفهت اباك وضللتهم وفعلت وفعلت وكان
ينبغي لك ان تنصرهم وتفعل وتفعل فقال الله عز وجل يا ايها الذين امنوا عليكم
انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم قال الطبري واولى هذه الاقوال واصح التاويلات
عندنا في هذه الاية ما روي عن ابي بكر الصديق وهو العمل بطاعة الله واداء ما
لزم من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والاخذ على يد الظالم لان الله تعالى يقول
وتعاونوا على البر والتقوى ومن التعاون على البر والتقوى الامر بالمعروف والنهي
عن المنكر والاخذ على يد الظالم حتى يرجع عن ظلمه وقال عبد الله بن المبارك هذه
الاية اكد اية في وجوب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لان الله تعالى قال عليكم
انفسكم يعني اهل دينكم بان يعظ بعضكم بعضا بان يرغبه في الخيرات وينفره عن القبايح

والمكروهات والذي يؤكد ذلك ان معنى قوله عليكم انفسكم اي احفظوا انفسكم وهذا امر بان يحفظ
انفسنا ولا يتم ذلك الا بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر والله اعلم وقوله تعالى الى الله
مرجعكم جميعا يعني في الاخرة الطايع والعاصي والضال والمهتدي فينبئكم بما كنتم تعملون يعني
فيخبركم باعمالكم ويجزيكم عليها قوله تعالى يا ايها الذين امنوا شهادة بينكم سبب نزول هذه
الاية ما روي ان تميم بن اوس الداري وعدي بن بدا خرجا من المدينة في تجارة الى الشام
وهما نصرانيان ومعهما بديل مولى عمرو بن العاص وكان مسلما فلما قدم الشام بديل فكتب كتابا
فيه جميع ما معه من المتاع والقاه في متاعه ولم يخبر صاحبيه بذلك فلما اشتد وجعه اوصى الى تميم
وعدي وامرهما ان يدفعا متاعه الى اهله اذا رجعا الى المدينة ومات بديل ففتشا متاعه
فوجدا فيه اناء من فضة منقوشا بالذهب فيه ثلثماية مثقال فغيباه ثم انهما قضيا
حاجتهما وانصرفا الى المدينة فدفعا المتاع الى اهل الميت ففتشوه فاصابوا الصحيفة
وفيها تسمية ما كان معه فجاء اهل الميت الى تميم وعدي فقالوا هل باع صاحبنا شيا
من متاعه قالا لا قالوا فهل اتجر تجارة قالا لا قالوا فهل طال مرضه فانفق على نفسه
شيا قالا لا فقالوا انا وجدنا في متاعه صحيفة فيها تسمية ما كان معه وانا فقدنا
اناء من فضة مموها بالذهب فيه ثلثماية مثقال فضة قالا ما ندري انما اوصى الينا بشي
وامرنا ان ندفعه اليكم فدفعناه وما لنا علم بالاناء فاختصموا الى النبي صلى الله عليه وسلم فاصرا
على الانكار وحلفا فانزل الله هذه الاية هذا قول المفسرين وروى الترمذي عن ابن عباس
عن تميم الداري في هذه الاية يا ايها الذين امنوا شهادة بينكم اذا حضر احدكم الموت
قال تميم برئ الناس منها غيري وغير عدي بن بدا وكانا نصرانيين وقدم عليهما مولى
لبني سهم يقال له بديل بن ابي مريم بتجارة ومعه جام من فضة يريد به الملك وهو عظم
تجارته فمرض فاوصى اليهما وامرهما ان يبلغا ما ترك اهله قال تميم فلما مات اخذنا ذلك
الجام فبعناه بالف درهم ثم اقتسمناه انا وعدي فلما اتينا اهله دفعنا اليهم ما كان معنا
وفقدوا الجام فسالونا عنه فقلنا ما ترك غير هذا ولا دفع الينا غيره قال تميم فلما اسلمت
بعد قدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة تاثمت من ذلك فاتيت اهله فاخبرتهم
الخبر واديت اليهم خمسماية درهم واخبرتهم ان عند صاحبي مثلها فاتوا به رسول الله
صلى الله عليه وسلم فسالهم البينة فلم يجدوا فامرهم ان يستحلفوه بما يعظم به على اهل
دينه فحلف فانزل الله يا ايها الذين امنوا شهادة بينكم اذا حضر احدكم الموت الى قوله
او يخافوا ان ترد ايمان بعد ايمانهم فقام عمرو بن العاص ورجل اخر فحلفا فنزعت
الخمسماية درهم من يد عدي قال الترمذي هذا حديث غريب وليس اسناده بصحيح
قال الترمذي وقد روي عن ابن عباس شي من هذا على الاختصار من غير هذا الوجه قال
ابن عباس خرج رجل من بني سهم مع تميم الداري وعدي بن بدا فمات السهمي بارض
ليس فيها مسلم فلما قدما بتركته فقدوا جاما من فضة مخوصا بالذهب فاحلفهما رسول الله

صلى الله عليه وسلم

صلى الله عليه وسلم ثم وجدوا الجام بمكة فقيل اشتريناه من تميم وعدي فقام رجلان
من اولياء السهمي فحلفا بالله لشهادتنا احق من شهادتهما وان الجام لصاحبهم
قال وفيهم نزلت هذه الاية يا ايها الذين امنوا شهادة بينكم اخرجه الترمذي وقال حديث
حسن غريب واخرج هذه الرواية الاخيرة البخاري في صحيحه فاما التفسير فقوله تعالى
يا ايها الذين امنوا شهادة بينكم يعني ليشهد ما بينكم لان الشهادة انما يحتاج اليها عند
وقوع التنازع والتشاجر اذا حضر احدكم الموت يعني اذا قارب وقت حضور
الموت حين الوصية اثنان لفظه خبر ومعناه الامر يعني ليشهد اثنان عند حضور
الموت وارادة الوصية ذوا عدل منكم يعني من اهل دينكم وملتكم يا معشر المؤمنين
واختلفوا في هذين الاثنين فقيل هما الشاهدان اللذان يشهدان على وصية الموصي
وقيل هما الوصيان لان الاية نزلت فيهما ولانه تعالى قال فيقسمان بالله والشاهد لا
يلزمه يمين وجعل الوصي اثنين تاكيدا فعلى هذا يكون الشهادة بمعنى الحضور كقولك
شهدت وصية فلان يعني حضرت او اخران من غيركم يعني من غير دينكم وملتكم
وهذا قول ابن عباس وابي موسى الاشعري وسعيد بن المسيب وابن جبير والنخعي والشعبي وابن
سيرين وشريح واكثر المفسرين وقيل معناه من غير عشيرتكم وقبيلتكم وهم مسلمون
واختلف العلماء في حكم هذه الاية فقال ابراهيم النخعي وجماعة هي منسوخة كانت شهادة
اهل الذمة مقبولة في الابتداء ثم نسخت بقوله تعالى واستشهدوا شهيدين من رجالكم
لان اجماع الامة على ان شهادة الفاسق لا تجوز فشهادة الكفار واهل الذمة لا تجوز
بطريق الاولى وذهب قوم الى انها ثابتة لم تنسخ وهو قول ابن عباس وابي موسى
الاشعري وسعيد بن المسيب وابن جبير وابن سيرين وبه قال احمد بن حنبل قالوا
اذا لم يجد مسلمين يشهدان على وصيته وهو في ارض غربة فليشهد كافرين او ذميين
او من اي دين كانا لان هذا موضع ضرورة قال شريح من كان بارض غربة لم يجد مسلما
يشهد وصيته فليشهد كافرين على اي دين كانا من اهل الكتاب او من عبدة الاوثان
فشهادتهم جايزة في هذا الموضع لا تجوز شهادة كافر على مسلم الا على وصية في سفر
لا يجد فيه مسلما عن الشعبي ان رجلا من المسلمين حضر يشهده على وصيته فاشهد رجلين
من اهل الكتاب فقدما الكوفة فاتيا ابا موسى الاشعري فاخبراه وقدما بتركته ووصيته
فقال ابو موسى هذا امر لم يكن بعد الذي كان في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاحلفهما بعد العصر بالله ما خانا ولا كذبا ولا بدلا ولا كتما ولا غيرا وانها لوصية الرجل
وتركته فامضى شهادتهما اخرجه ابو داود وقال قوم في قوله ذوا عدل منكم يعني من
عشيرتكم وحيكم او اخران من غيركم يعني من غير عشيرتكم وحيكم وان الاية كلها في المسلمين
وهذا قول الحسن والزهري وعكرمة وقالوا لا تجوز شهادة كافر في شي من الاحكام وهذا
مذهب الشافعي ومالك وابي حنيفة غير ان ابا حنيفة اجاز شهادة اهل الذمة فيما

بينهم بعضهم على البعض واحتج من قال بان هذه الاية محكمة بان سورة المائدة من اخر
القران نزولا وليس فيها منسوخ من اجاز شهادة غير المسلم في هذا الموضع بان
الله تعالى قال في اول الاية يا ايها الذين امنوا فعم بهذا الخطاب جميع المومنين ثم قال
بعده ذوا عدل منكم او اخران من غيركم فعلم بذلك انهما من غير المومنين ولان الاية
دالة على وجوب الحلف على هذين الشاهدين واجمع المسلمون على ان الشاهد المسلم
لا يجب عليه يمين ولان الميت اذا كان في ارض غربة ولم يجد مسلما يشهده على وصيته
ضاع ماله وربما كان عليه ديون او عنده وديعة فيضيع ذلك كله واذا كان ذلك كذلك
احتاج الى شهادة من حضره من اهل الذمة وغيرهم من الكفار حتى لا يضيع ماله
وتنفذ وصيته فهذا كالمضطر الذي ابيح له اكل الميتة في حال الاضطرار والضرورات
قد تبيح المحظورات واحتج من منع ذلك بان الله تعالى قال ممن ترضون من الشهدا والكفار
ليسوا مرضيين ولا عدول فشهادة غير مقبولة في حال من الاحوال وقوله تعالى ان انتم
ضربتم في الارض يعني ان انتم سافرتم في الارض فاصابتكم مصيبة الموت نزل بكم
اسباب الموت فاوصيتم اليهما ودفعتم مالكم اليهما تحبسونهما يعني اتهمهما بعض الورثة
وادعوا عليهما خيانة فالحكم فيه ان يوقفوهما من بعد الصلاة يعني من بعد صلاة العصر
لان جميع اهل الاديان يعظمون ذلك الوقت ويجتنبون فيه الحلف الكاذب وقيل من بعد
صلاة اهل دينهما لانهما اذا كانا كافرين لا يحترمان صلاة العصر فيقسمان بالله يعني
فيحلفان بالله قال الشافعي الايمان تغلظ في الدما والطلاق والعتاق والمال اذا بلغ مائتي
درهم بالزمان والمكان فيحلف بعد صلاة العصر ان كان بمكة بين الركن والمقام وان كان
بالمدينة فعند المنبر وفي بيت المقدس عند الصخرة وفي ساير البلاد وعند اشرف المساجد
واعظمها ان ارتبتم يعني ان شككتم ايها الورثة في قول الشاهدين وصدقهما فحلفوهما وهذا
اذا كانا كافرين اما اذا كانا مسلمين فلا يمين عليهما لان تحليف الشاهد المسلم غير مشروع
لا نشتري به ثمنا يعني لا نبيع عهد الله بشي من الدنيا ولا نحلف بالله كاذبين لاجل
عوض ناخذه او حق نجحده ولو كان ذا قربى يعني ولو كان المشهود له ذا قرابة منا وانما
خص القربى بالذكر لان الميل اليهم اكثر من غيرهم ولا نكتم شهادة الله انما اضاف
الشهادة اليه لانه امر باقامتها ونهى عن كتمانها انا اذا لمن الاثمين يعني ان
كتمنا الشهادة او خنا فيها ولما نزلت هذه الاية صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
صلاة العصر ودعى تميما وعديا وحلفهما عند المنبر بالله الذي لا اله الا هو انهما
لم يخونا شيا مما دفع اليهما فحلفا على ذلك فخلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
سبيلهما ثم ظهر الانا بعد ذلك قال ابن عباس وجد الانا بمكة فقالوا اشتريناه من
تميم وعدي وقيل لما طالت المدة اظهروه فبلغ ذلك بني سهم فاتوهما في ذلك
فقالا انا كنا اشتريناه منه فقالوا لهما الم تزعما ان صاحبنا لم يبع شيا من متاعه قالا

لم يكن

لم يكن عندنا بينة فكرهنا ان نقر لكم به فكتمناه لذلك فرفعوهما الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم فان عثر يعني فان اطلع وظهر والعثور الهجوم على امر لم يطلع
عليه غيره وكل من اطلع على امر كان قد خفي عليه فيقال له قد عثر عليه على انهما
استحقا اثما يعني الوصيين خانا استوجبا الاثم بسبب خيانتهما وايمانهما الكاذبة
فاخران من اوليا الميت واقربايه يقومان مقامهما يعني مقام الوصيين في اليمين
من الذين استحق عليهم الاوليان يعني من الذين استحق عليهم الاثم وهم الورثة
والمعنى ان ظهرت خيانة الحالفين وبان كذبهما يقوم اثنان اخران من الذين جني
عليهم وهم اهل الميت وعشيرته فيقسمان بالله يعني فيحلفان بالله لشهادتنا
احق من شهادتهما يعني ان ايماننا احق واصدق من ايمانهما وما اعتدينا يعني في
ايماننا وقولنا ان شهادتنا احق من شهادتهما انا اذا لمن الظالمين ولما نزلت هذه
الاية قام عمرو بن العاص والمطلب بن ابي وداعة السهميان وهما من اهل الميت
فحلفا بالله بعد العصر ودفع الانا اليهما والى اوليا الميت وانما ردت اليمين على اوليا الميت لان
الوصيين ادعيا ان الميت باعهما الانا وانكر ورثة الميت ذلك ومثل هذا ان
الوصي اذا اخذ شيا من مال الميت وقال انه اوصى له به فانكر ذلك الورثة ردت
اليمين عليه ولما اسلم تميم الداري بعد هذه القصة كان يقول صدق الله وصدق
رسوله انا اخذت الانا فانا اتوب الى الله تعالى واستغفره ذلك ادنى ان ياتوا
بالشهادة على وجهها يعني ذلك الذي حكمنا به من رد اليمين على اوليا الميت
بعد ايمانهم ادنى اي اجدر واحرى ان ياتوا بالشهادة على وجهها يعني ان ياتي الوصيان
وساير الناس بالشهادة على وجهها فلا يخونوا فيها او يخافوا ان ترد ايمان بعد
ايمانهم يعني واقرب ان يخاف الوصيان ان ترد الايمان على اوليا الميت فيحلفوا
على خيانتهم وكذبهم فيفتضحوا ويغرموا فربما لا يحلفون كاذبين اذا خافوا هذا
الحكم واتقوا الله يعني وخافوا الله ان تحلفوا ايمانا كاذبة او تخونوا امانة واسمعوا
يعني المواعظ والزواجر وقيل معناه واسمعوا سمع اجابة والله لا يهدي القوم
الفاسقين يعني والله لا يرشد من كان على معصيته وهذا تهديد وتخويف
ووعيد لمن خالف حكم الله او خان امانته او حلف ايمانا كاذبة وهذه الاية
الكريمة من اصعب ما في القران من الايات لفظا واعرابا وحكما والله اعلم
باسرار كتابه قوله عز وجل يوم يجمع الله الرسل قال الزجاج هي متصلة بما قبلها
تقديرها واتقوا الله يوم يجمع الله الرسل وقيل تقديرها والله لا يهدي القوم
الفاسقين يوم يجمع الله الرسل اي لا يهديهم الى الجنة في ذلك اليوم وهو يوم
القيامة وقيل انها منقطعة عما قبلها وتقديره اذكر يا محمد يوم يجمع الله الرسل
وذلك يوم القيامة فيقول ماذا اجبتم يعني فيقول الله تبارك وتعالى للرسل

ماذا اجابكم اممكم وما الذي رد عليكم قومكم حين دعوتموهم في دار الدنيا الى توحيدي وطاعتي وفايدة هذا السوال توبيخ امم الانبيا الذين كذبوهم قالوا الرسل لا علم لنا قال ابن عباس معناه لا علم لنا كعلمك فيهم لانك تعلم ما اضمروا وما اظهروا ونحن لا نعلم الا ما اظهروا فعلمك فيهم انفذ من علمنا وابلغ فعلى هذا القول انما نفوا العلم عن انفسهم وان كانوا علماء لان علمهم صار كلا علم عند علم الله وقال في رواية اخرى معناه لا علم لنا الا علما انت اعلم به منا وهذا القول قريب من الاول وقيل معناه لا علم لنا بوجه الحكمة عن سوالك ايانا عن امر انت اعلم به منا وقيل معناه لا حقيقة بعلمنا بعاقبة امرهم لانا كنا لا نعلم ما كانوا يعملون بعد وفاتنا ولا نعلم ما احدثوا من بعدنا ومنه ما اخبر عن عيسى عليه السلام بقوله وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت انت الرقيب عليهم ومنه ما روي عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليردن على الحوض رجال ممن صاحبني حتى اذا رفعوا الي اختلجوا دوني فلاقولن اي رب اصحابي فيقال لي انك لا تدري ما احدثوا بعدك زاد في رواية فاقول سحقا لمن بدل بعدي اخرجاه في الصحيحين وقال جمع من المفسرين ان للقيامة اهوال وزلازل تزول فيها القلوب عن مواضعها فيفزعون من هول ذلك ويذهلون عن الجواب ثم اذا ثابت اليهم عقولهم يشهدون على اممهم بالتبليغ وهذا فيه ضعف ونظر لان الله قال في حق الانبيا لا يحزنهم الفزع الاكبر وذكر الامام فخر الدين وجها اخر وهو ان الرسل عليهم السلام لما علموا ان الله تعالى عالم لا يجهل وحكيم لا يسفه وعادل لا يظلم علموا ان قولهم لا يفيد خيرا ولا يدفع شرا فروا ان الادب في السكوت وفي تفويض الامر الى علم الله وعدله فقالوا لا علم لنا انك انت علام الغيوب يعني انك تعلم ما غاب عنا من باطن الامور ونحن نعلم ما نشاهد ولا نعلم ما في البواطن وقيل معناه انك لا يخفى عليك ما عندنا من العلوم وان الذي سالتنا عنه ليس يخاف عليك لانك انت علام الغيوب ومعناه العالم باصناف المعلومات على تفاوتها ليس يخفى عليه خافية وبناء فعال بناء التكثير ودلت الاية على جواز اطلاق العلام على الله تعالى كما يجوز اطلاق الخلاق عليه قوله عز وجل اذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك قال بعضهم انه اذ قال الله تعالى يا عيسى صلة لماذا اجبتم توبيخ للامم المكذبة ومن تمرد منهم على الله تعالى ولما انتهى الامم احتياجا وافتقارا الى التوبيخ والملامة النصارى الذين يزعمون انهم اتباع عيسى عليه السلام ووجه ذلك ان جميع الامم انما كان طعنهم في انبيائهم المكذبين لهم وطعن هولاء النصارى تعدى الى جلال الله حيث وصفوه بما لا يليق بجلاله من اتخاذ الزوجة والولد فذكر الله في هذه الاية من انواع نعمه على عيسى عليه الصلاة والسلام التي تدل على انه عبد وليس باله والفايدة في ذكر هذه الحكاية تنبيه النصارى على قبح مقالتهم وفساد اعتقادهم ولتوكيد الحجة عليهم وقيل فايدة ذلك اسماع الامم يوم القيامة ما خص الله تعالى عيسى عليه الصلاة والسلام به من الكرامة وقيل موضع اذ رفع بالابتدا على القطع ومعناه

اذكر اذ قال الله يا عيسى وانما خرج اذ قال الله يا عيسى على لفظ الماضي دون المستقبل لانه ورد على سبيل حكاية الحال وقيل تقديره اذ يقول الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك لفظ واحد والمراد به الجمع لان الله تعالى عدد نعمه عليه في هذه الاية والمراد من ذكرها شكرها وعلى والدتك يعني بنعمته على مريم عليها السلام انه تعالى انبتها نباتا حسنا و طهرها واصطفاها على نساء العالمين ثم ذكر نعمه على عيسى عليه الصلاة والسلام فقال تعالى اذ ايدتك بروح القدس يعني جبريل عليه السلام لان القدس هو الله تعالى واضافه اليه على سبيل التشريف والتعظيم كاضافة بيت الله وناقة الله وقيل اراد بروح القدس الروح المطهرة لان الارواح تختلف باختلاف الماهية فمنها روح طاهرة مقدسة نورانية ومنها روح خبيثة كدرة ظلمانية فخص الله عيسى بالروح المقدسة الطاهرة النورانية الشريفة تكلم الناس في المهد يعني تكلمهم طفلا في حال الصغر وكهلا يعني وفي حال الكهولة من غير ان يتفاوت كلامك في هذين الوقتين وهذه معجزة عظيمة وخاصية شريفة ليست لاحد قبله قال ابن عباس ارسل الله عيسى عليه السلام وهو ابن ثلاثين سنة فمكث في رسالته ثلاثين شهرا ثم رفعه الله اليه واذ علمتك الكتاب والحكمة يعني الكتابة وهي الخط والحكمة العلم والاطلاع على اسرار العلوم والتوراة والانجيل اي وعلمتك التوراة التي انزلتها على موسى والانجيل الذي انزلته عليك واذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذني يعني واذ تجعل وتصور من الطين كصورة الطير باذني فتنفخ فيها ذكر هنا فيها وفي سورة ال عمران فيه فالضمير في قوله فيها يعود الى الهيئة و تجعلها مصدرا انما يقع اسم المخلوق على المخلوق وذلك لان النفخ لا يكون في الهيئة انما يكون في المهيا ذي الهيئة ويجوز ان يعود الضمير الى الطير لانها مونثة قال تعالى اولم يروا الى الطير فوقهم صافات واما الضمير المذكور في ال عمران في قوله فيه يعود الى الكاف يعني في ذلك الشي المماثل لهيئة الطير فتكون طيرا باذني وانما كرر قوله باذني في تاكيد الكون ذلك الخلق واقعا بقدرة الله تعالى وتخليقه لا بقدرة عيسى عليه السلام وتخليقه لان المخلوق لا يخلق شيا انما خالق الاشيا كلها هو الله تعالى لا خالق لها سواه وانما كان الخلق لهذا الطير معجزة لعيسى عليه السلام اكرمه الله تعالى بها وكذا قوله تعالى وتبرئ الاكمه والابرص باذني يعني وتشفي الاكمه وهو الاعمى المطموس البصر والابرص معروف ظاهر واذ تخرج الموتى يعني من قبورهم احيا باذني تفعل ذلك كله بدعايك والفاعل لهذه الاشيا في الحقيقة هو الله تعالى لانه هو المبري للاكمه والابرص وهو المحيي الموتى وهو على كل شي قدير وانما كانت هذه الاشيا معجزات لعيسى عليه السلام ووقعت باذن الله تعالى

وقدرته وقوله تعالى واذ كففت بني اسرائيل عنك يعني واذكر نعمتي عليك اذ كففت وصرفت
عنك اليهود ومنعتك منهم حين ارادوا قتلك اذ جئتهم بالبينات يعني بالدلالات الواضحات
والمعجزات الباهرات التي ذكر في هذه الاية وذلك ان عيسى عليه السلام لما اتى بهذه المعجزات العجيبة
الباهرة قصد اليهود قتله فخلصه الله منهم ورفعه الى السماء فقال الذين كفروا منهم يعني فقال
الذين اصروا على كفرهم من اليهود ولم يؤمنوا بهذه المعجزات ان هذا الا سحر مبين يعني ما جاءهم
به عيسى من المعجزات قوله عز وجل واذ اوحيت الى الحواريين يعني الهمتهم وقذفت في قلوبهم
فهو وحي الهام كما اوحى الى ام موسى والى النحل والحواريون هم اصحاب عيسى وخواصه
ان آمنوا بي وبرسولي يعني عيسى عليه السلام قالوا آمنا واشهد باننا مسلمون لما وفقهم الله
للايمان قالوا آمنا وانما قدم ذكر الايمان على الاسلام لان الايمان من اعمال القلوب
والاسلام هو الانقياد والخضوع في الظاهر والمعنى انهم آمنوا بقلوبهم وانقادوا بظواهرهم
قوله اذ قال الحواريون يا عيسى بن مريم هل يستطيع ربك قال المفسرون هذا على المجاز
ولا يجوز لاحد ان يتوهم على الحواريين انهم يشكوا في قدرة الله تعالى لكنه كما يقول الرجل
لصاحبه هل تستطيع ان تقوم معي مع علمه بانه يقدر على القيام وانما قصد بقوله
هل تستطيع هل يسهل عليك وهل يخف ان تقوم معي فكذلك معنى الاية لان الحواريين
كانوا مؤمنين عارفين بالله عز وجل ومعترفين بكمال قدرته وانما قالوا ذلك ليحصل لهم
مزيد الطمانينة كما قال ابراهيم عليه السلام ولكن ليطمئن قلبي ولا شك ان مشاهدة هذه الاية
العظيمة توجب مزيد الطمانينة في القلب ولهذا السبب قالوا وتطمئن قلوبنا وقال
بعضهم هو على ظاهره وقال غلط القوم وقالوا ذلك قبل استحكام الايمان والمعرفة
في قلوبهم وكانوا بشرا فقالوا هذه المقالة فرد الله عليهم عند غلطهم بقوله اتقوا الله
ان تشكوا في قدرة الله عز وجل والقول الاول اصح وقيل في معنى الاية هل يقبل ربك
دعاءك وهل يعطيك باجابة دعائك وسؤالك انزال المائدة فقد ورد في بعض
الاثار من اطاع الله اطاعه كل شيء ان ينزل علينا مائدة من السماء المائدة الخوان الذي
عليه الطعام ولا يسمى مائدة ان لم يكن عليه طعام انما يقال خوان وطبق واصلها
من ماد يميد اذا تحرك كانها تميد بما عليها من الطعام قال يعني عيسى مجيبا للحواريين
اتقوا الله ان كنتم مؤمنين يعني اتقوا الله في هذا السؤال ان كنتم مؤمنين لانه سؤال
تعنت وقيل امرهم بالتقوى ليحصل لهم هذا السؤال ومعنى ان كنتم مؤمنين مصدقين
فلا تشكوا في قدرة الله تعالى وقيل معناه اتقوا الله ان تسالوه شيئا لم يساله احد من الامم
قبلكم فنهاهم عن اقتراح الايات بعد الايمان قالوا نريد ان ناكل منها يعني قال الحواريون
مجيبين لعيسى عليه السلام انما نطلب نزول المائدة علينا لان ناكل منها فان الجوع قد
غلب علينا وقيل معناه نريد ان ناكل منها للتبرك بها لا لاكل حاجة وتطمئن قلوبنا
يعني ولتسكن قلوبنا وتستيقن قدرة الله تعالى لنا وان علمنا قدرة الله بالدليل

فاذا شاهدنا

فاذا شاهدنا نزول المائدة ازددنا اليقين وقويت الطمانينة ونعلم ان قد صدقتنا
يعني ونزداد ايمانا ويقينا بانك رسول الله ونكون عليها من الشاهدين يعني لله
بالوحدانية ولك بالرسالة والنبوة وقيل معناه ونكون لك من الشاهدين عند
بني اسرائيل اذا رجعنا اليهم فلما قالوا ذلك امرهم عيسى ان يصوموا ثلاثين يوما وقال انكم
اذا صمتم ذلك وافطرتم فلا تسالون الله شيئا الا اعطاكم ففعلوا ذلك وسالوا
نزول المائدة فعند ذلك قال عيسى بن مريم اللهم قيل انه اغتسل ولبس المسح وصلى ركعتين
وطاطا راسه وبكى ثم دعا فقال اللهم ربنا انزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا
لاولنا وآخرنا يعني عائدة من الله علينا وحجة وبرهانا والعيد يوم السرور واصله من
عاد يعود اذا رجع والمعنى نتخذ ذلك اليوم الذي تنزل فيه المائدة عيدا نعظمه ونصلي
فيه نحن ومن يجيء من بعدنا فنزلت في يوم الاحد فاتخذه النصارى عيدا وقال ابن عباس
معناه ياكل منها اول الناس كما ياكل آخرهم وآية منك اي وتكون المائدة دلالة على
قدرتك ووحدانيتك وحجة بصدق رسولك وارزقنا اي ارزقنا ذلك من عندك
وقيل ارزقنا الشكر على هذه النعمة وانت خير الرازقين يعني وانت خير من تفضل ورزق
قال الله عز وجل مجيبا لعيسى اني منزلها عليكم يعني المائدة فمن يكفر بعد منكم يعني بعد
نزول المائدة فاني اعذبه عذابا يعني جنسا من العذاب لا اعذبه احدا من العالمين
يعني من عالمي زمانهم فجحدوا وكفروا بعد نزول المائدة فمسخوا خنازير قال الزجاج
ويجوز ان يكون هذا العذاب معجلا في الدنيا ويجوز ان يكون موجلا الى الآخرة
قال عبد الله بن عمر ان اشد الناس عذابا يوم القيامة المنافقون ومن كفر من اصحاب
المائدة وآل فرعون واختلف العلماء في نزول المائدة فقال الحسن ومجاهد لم تنزل المائدة
لان الله تعالى لما وعدهم على كفرهم بالعذاب بعد نزول المائدة خافوا ان يكفر بعضهم
فاستعفوا وقالوا لا نريدها فلم تنزل عليهم فعلى هذا القول يكون معنى قوله اني
منزلها عليكم ان سالتم نزولها والصحيح الذي عليه جمهور العلماء والمفسرين انها نزلت
لان الله تعالى قال اني منزلها عليكم وهذا وعد من الله بانزالها ولا خلف في خبره ووعده
ولما روي عن عمار بن ياسر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نزلت المائدة من
السماء خبزا ولحما وامروا ان لا يخونوا ولا يدخروا لغد فخانوا وادخروا ورفعوا لغد
فمسخوا قردة وخنازير اخرجه الترمذي وقال وقد روي عن عمار من غير طريق موقوفا
وهو اصح قال ابن عباس ان عيسى عليه الصلاة والسلام قال لهم صوموا ثلاثين
يوما ثم اسالوا ما شئتم يعطكموه فصاموا فلما فرغوا قالوا يا عيسى انا لو عملنا عملا
لاحد فقضينا عمله لاطعمنا وسالوا المائدة فاقبلت الملائكة بمائدة يحملونها عليها
سبعة ارغفة وسبعة احوات حتى وضعوها بين ايديهم فاكل منها آخر الناس كما اكل
اولهم وقال سلمان الفارسي لما سال الحواريون المائدة لبس عيسى صوفا وبكى وقال

اللهم ربنا انزل علينا مائدة من السما الاية فنزلت سفرة حمرا بين غمامتين غمامة من فوقها
وغمامة من تحتها وهم ينظرون اليها وهي تهوي اليهم منقضة حتى سقطت بين ايديهم
فبكى عيسى عليه السلام وقال اللهم اجعلني من الشاكرين اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها عقوبة
واليهود ينظرون الى شي لم يروا مثله ولم يجدوا ريحا اطيب من ريحه فقال عيسى عليه السلام
ليقم احسنكم عملا فيكشف عنها ويسم الله فقال شمعون الصفا راس الحواريين انت
اولى بذلك منا فقام عيسى عليه السلام فتوضا وصلى صلاة طويلة وبكى كثيرا ثم كشف
المنديل عنها وقال بسم الله خير الرازقين فاذا هو بسمكة مشوية ليس فيها شوك ولا
عليها فلوس تسيل من الدسم وعند راسها ملح وعند ذنبها خل وحولها من انواع
البقول ما خلا الكراث واذا خمسة ارغفة على واحد منها زيتون وعلى الثاني عسل
وعلى الثالث سمن وعلى الرابع جبن وعلى الخامس قديد فقال شمعون يا روح الله
من طعام الدنيا هذا ام من طعام الجنة فقال عيسى عليه السلام ليس شي افتعله
الله بقدرته العالية كلوا ما سالتم يمددكم الله ويزدكم من فضله فقالوا يا روح الله
كن اول من ياكل منها فقال عيسى معاذ الله ان اكل منها ياكل منها من سالها فخافوا
ان ياكلوا منها فدعا لها اهل الفاقة والمرضى والبرص والجذام والمقعدين فقال
كلوا من رزق الله لكم الهنا ولغيركم البلا فاكلوا منها وهم الف وثلثمائة رجل وامرأة
من فقير ومريض وزمن ومبتلى وصدروا عنها وهم شباعا واذا السمكة بحالها
حين انزلت ثم طارت المائدة صعودا وهم ينظرون اليها حتى توارت ولم ياكل منها
مريض او زمن او مبتلى الا عوفي ولا فقير الا استغنى وندم من لم ياكل منها فمكثت
اربعين صباحا تنزل ضحى فاذا نزلت اجتمع عليها الاغنيا والفقرا والصغار والكبار
والرجال والنسا ياكلون منها ولا تزال منصوبة يوكل منها حتى يفي الفي فاذا فا الفي
طارت وهم ينظرون اليها حتى توارت عنهم وكانت تنزل علينا يوما ولا يوما لا تنزل فاوحى
الله عز وجل الى عيسى عليه السلام اجعل مائدتي ورزقي للفقرا دون الاغنيا فعظم
ذلك على الاغنيا حتى شكوا الناس فيها وقالوا ترون المائدة حقا تنزل من السما
فاوحى الله عز وجل الى عيسى عليه السلام اني شرطت ان من كفر بعد نزولها عذبته عذابا
لا اعذبه احدا من العالمين فقال عيسى عليه السلام عند ذلك ان تعذبهم فانهم
عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم فمسخ الله منهم ثلثمائة وثلثون
رجلا باتوا ليلتهم مع نسائهم على فرشهم ثم اصبحوا خنازير يسعون في الطرقات
ياكلون العذرة من الكناسات والحشوش فلما راى الناس ذلك فزعوا الى
عيسى عليه السلام وبكوا ولما ابصرت الخنازير عيسى عليه السلام بكت وجعلت تطيف
به وجعل عيسى يدعوهم باسمائهم فيشيرون برؤسهم ولا يقدرون على الكلام فعاشوا
ثلاثة ايام ثم هلكوا قال كعب انزلت المائدة منكوسة تطير بها الملائكة بين السما

والارض

والارض عليها كل شي الا اللحم وقال ابن عباس انزل على المائدة كل شي الا
الخبز واللحم وقال الكلبي كان عليها خبز ورز وبقل وقال وهب بن منبه انزل الله
اقرصة من شعير وحيتانا فكان القوم ياكلون ويخرجون ثم يجي اخرون فياكلون
حتى اكلوا باجمعهم وفضل وقال قتادة كانت تنزل عليهم بكرة وعشيا حيث كانوا
كالمن والسلوى لبني اسرايل وقال الكلبي ومقاتل انزل الله سمكا وخمسة ارغفة
فاكلوا منها ما شا الله والناس الف ونيف فلما رجعوا الى قراهم ونشروا الحديث
ضحك من لم يشهد منهم وقالوا ويحكم انما سحر اعينكم فمن اراد الله به خيرا ثبته ومن
اراد به فتنة رجع الى كفره فمسخوا خنازير ليس فيهم صبي ولا امراة فمكثوا ثلاثة ايام
ثم هلكوا ولم يتوالدوا ولم ياكلوا ولم يشربوا وكذلك كل ممسوخ قوله عز وجل واذ
قال الله يا عيسى ابن مريم انت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله
اختلف المفسرون في وقت هذا القول فقال السدي قال الله لعيسى هذا القول
حين رفعه الى السما بدليل ان حرف اذ للماضي وقال ساير المفسرين انما يقول الله له
هذا القول يوم القيامة بدليل قوله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم وذلك
يوم القيامة واجيب عن حرف اذ بانها تجي بمعنى اذا كقوله ولو ترى اذ فزعوا وقال
الراجز ۵ ثم جزاك الله عني خير اذ جزا ۵ جنات عدن في السموات العلى ۵۵
ولفظ الاية في قوله انت قلت للناس لفظ استفهام ومعناه الانكار والتوبيخ
لمن ادعى ذلك على عيسى عليه السلام من النصارى لان عيسى لم يقله فان قلت
اذا كان عيسى عليه السلام لم يقل هذه المقالة فما وجه هذا السوال له مع علم الله تعالى
بانه لم يقله قلت وجه هذا السوال تثبيت الحجة على قومه واكذابا لهم في ادعاهم
ذلك عليه وانه امرهم به فهو كما يقول القايل لاخر افعلت كذا وهو يعلم انه لم يفعله
وانما اراد تعظيم ذلك الفعل فنفى عن نفسه هذه المقالة وقال ما قلت لهم
الا ما امرتني به ان اعبدوا الله ربي وربكم فاعترف بالعبودية وانه ليس
باله كما ادعت فيه النصارى فان قلت ان النصارى لم يقولوا بالهية مريم
فكيف قال اتخذوني وامي الهين من دون الله قلت ان النصارى لما ادعت
في عيسى انه اله وروا ان مريم ولدته لزمهم هذه المقالة على سبيل التبعية وقوله تعالى
اخبارا عن عيسى عليه السلام قال سبحانك يعني تنزيها لك عن النقايص وبراة لك
من العيوب قال ابو روق اذا سمع عيسى عليه السلام هذا الخطاب وهو قوله انت
قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله ارتعدت مفاصله وانفجرت
من اصل كل شعرة من جسده عين من دم وقال مجيبا لله تعالى سبحانك ما يكون لي
ان اقول ما ليس لي بحق اي كيف اقول هذا الكلام ولست باهل ولست استحق
العبادة حتى ادعو الناس اليها ولا ينبغي لي ان اقول هذه المقالة وهذا

المقام مقام التواضع والخشوع لعظمة الله تعالى شرع في بيان هل وقع ذلك منه أم لا فقال ان كنت قلته فقد علمته أسند العلم الى الله تعالى وهذا هو غاية الادب واظهار المسكنة لعظمة الله تعالى وتفويض الامر الى علمه ثم قال تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك يعني تعلم ما اعلم ولا اعلم ما تعلم وقال ابن عباس تعلم ما في غيبي ولا اعلم ما في غيبك وقيل معناه تعلم ما كان مني في دار الدنيا ولا اعلم ما يكون منك في دار الآخرة وقيل معناه تعلم ما اخفي ولا اعلم ما تخفي وقيل معناه تعلم ما اقول وافعل ولا اعلم ما تقول وتفعل والنفس عبارة عن ذات الشيء يقال نفس الشيء وذاته بمعنى واحد وقال الزجاج النفس عبارة عن جملة الشيء وحقيقته يقول تعلم جميع ما اعلم من حقيقة امري ولا اعلم حقيقة امرك وقيل معناه تعلم معلومي ولا اعلم معلومك وانما ذكر هذا الكلام على طريقة المشاكلة والمطابقة وهو من فصيح الكلام ثم قال انك انت علام الغيوب يعني انك تعلم ما كان وما سيكون وهذا تاكيد لما تقدم من قوله تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك انك انت علام الغيوب قوله تعالى اخبارا عن عيسى عليه السلام ما قلت لهم الا ما امرتني به يعني ما قلت لهم الا قولا امرتني به ان اعبدوا الله يعني قلت لهم اعبدوا الله ربي وربكم يعني وحدوه ولا تشركوا به شيئا وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم يعني وكنت اشهد ما يفعلون واحضره ما دمت مقيما فيهم فلما توفيتني يعني فلما رفعتني الى السماء فالمراد به وفاة الرفع لا الموت كنت انت الرقيب عليهم يعني الحفيظ عليهم المراقب لاعمالهم واحوالهم والرقيب الحافظ الذي لا يغيب عنه شيء وانت على كل شيء شهيد يعني انت شهدت مقالتي التي قلتها لهم وانت الشهيد عليهم بعد ما رفعتني اليك لا يخفى عليك خافية فعلى هذا الشهيد هنا بمعنى الشاهد لما كان وما يكون ويجوز ان يكون الشهيد هنا بمعنى العليم يعني انت العالم بكل شيء فلا يعزب عن علمك شيء قوله عز وجل اخبارا عن عيسى عليه السلام ان تعذبهم يعني ان تعذب هؤلاء الذين قالوا هذه المقالة بان تميتهم على كفرهم فانهم عبادك لا يقدرون على دفع ضر نزل بهم ولا جلب نفع لانفسهم وانت العادل فيهم لانك اوضحت لهم طريق الحق فرجعوا عنه وكفروا وان تغفر لهم يعني لمن تاب منهم من كفره منهم بان تهديه الى الايمان فان ذلك بفضلك ورحمتك فانك انت العزيز يعني في الانتقام ممن تريد الانتقام منه لا يمتنع عليك ما تريده الحكيم في افعالك كلها وهذا التفسير انما يصح على قول السدي لانه قال كان سؤال الله عز وجل لعيسى عليه السلام حين رفعه الى السماء قبل يوم القيامة واما على قول جمهور المفسرين ان هذا السؤال انما يقع يوم القيامة يعني قوله وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم اشكال وهو انه لا يليق بعيسى عليه السلام طلب المغفرة لهم مع علمه ان الله تعالى لا يغفر لمن يموت على الشرك والجواب عن هذا الاشكال من وجوه احدها انه ليس هذا على طريق طلب المغفرة لهم ولو كان كذلك لقال تعالى فانك انت الغفور الرحيم ولكن على تسليم الامر الى الله تعالى وتفويضه الى مراده فيهم لانه العزيز في ملكه الحكيم في فعله

ويجوز في

ويجوز في حكمته وسعة مغفرته ورحمته ان يغفر للكفار لكنه تعالى اخبر انه لا يفعل ذلك بقوله ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء الوجه الثاني قيل معناه ان تعذبهم يعني باقامتهم على كفرهم الى الموت وان تغفر لهم يعني لمن آمن منهم وتاب ورجع عن كفره الوجه الثالث قال ابن الانباري لما قال الله لعيسى عليه السلام انت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله لم يقع لعيسى الا ان النصارى حكت عنه الكذب انه لم يقل ذلك وقول الكذب ذنب فيجوز ان يسال له المغفرة والله اعلم بمراده واسرار كتابه (م) عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان النبي صلى الله عليه وسلم تلا قول الله عز وجل في ابراهيم رب انهن اضللن كثيرا من الناس فمن تبعني فانه مني الاية وقال عيسى ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم فرفع يديه وقال اللهم امتي امتي فقال الله تعالى يا جبريل اذهب الى محمد وربك اعلم فاسأله ما يبكيك فاتاه جبريل عليه السلام فسأله فاخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قال وهو اعلم فقال يا جبريل اذهب الى محمد فقل له انا سنرضيك في امتك ولا نسوءك عن ابي ذر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قام حتى اصبح باية والاية ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم اخرجه النسائي قوله عز وجل قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم اتفق جمهور المفسرين على ان المراد بهذا اليوم يوم القيامة والمعنى ان صدقهم في الدنيا ينفعهم في الآخرة لانه يوم الاثابة والجزاء ولما تقدم صدقهم في الدنيا تبين نفعه يوم القيامة والمراد بالصادقين النبيين لان الكفار لا ينفعهم صدقهم يوم القيامة قال قتادة متكلمان لا يخطئان يوم القيامة عيسى عليه السلام فانه يقوم فيقول ما قص الله عليه ما قلت لهم الا ما امرتني به الاية فكان صادقا في الدنيا والآخرة فينفعه صدقه واما المتكلم الآخر فابليس فانه يقوم فيقول وقال الشيطان لما قضي الامر الاية فصدق عدو الله فيما قال ولم ينفعه صدقه وقال عطاء هذا من ايام الدنيا لان الآخرة دار جزاء لا دار عمل فذهب في هذا القول الى ظاهر الآية من ان الصدق النافع انما يكون في الدنيا وهذا القول موافق لمذهب السدي حيث يقول ان هذه المخاطبة جرت مع عيسى عليه السلام حين رفع الى السماء والوجه ما ذهب اليه الجمهور ثم ذكر الله تعالى ما لهم من الثواب على صدقهم فقال تعالى لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا فهذا اشارة الى ما يحصل لهم من الثواب الدائم الذي لا انقطاع له ولا انتهاء رضي الله عنهم يعني بطاعتهم له ورضوا عنه يعني بما اعطاهم من ثوابه وجزيل كرامته ذلك اشارة الى ما ذكره من ثوابهم الفوز العظيم يعني انهم فازوا بالجنة وبرضوانه عنهم ونجوا من النار لله ملك السموات والارض وما فيهن عظم الله عز وجل نفسه عما قالت فيه النصارى يعني ان الذي له ملك السموات والارض هو الذي يستحق الالهية لا ما قالت النصارى من الهية المسيح وامه لانهما من جملة من في السموات والارض فهما

عبيده وفي ملكه وقيل هو جواب لسوال مضمر في الكلام كانه لما وعد
الصادقين بالثواب العظيم فقال من يعطيهم ذلك قال الذي له ملك
السموات والارض وما فيهن وهو على كل شي قدير
والله سبحانه وتعالى اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة الانعام

فصل في ذكر نزولها روى مجاهد عن ابن عباس ان سورة الانعام مما نزلت بمكة
وهذا قول الحسن وقتادة وجابر بن زيد وروى يوسف بن مهران عن ابن عباس
قال نزلت سورة الانعام جملة ليلا بمكة وحولها سبعون الف ملك وروى ابو
الصالح عن ابن عباس قال هي مكية نزلت بمكة واحدة ونزلت ليلا وكتبوها
من ليلتهم غير ست ايات منها فانها مدنيات وهي قوله تعالى قل تعالوا اتل ما حرم ربكم
عليكم الى اخر الثلاث ايات وقوله وما قدروا الله حق قدره الاية وقوله تعالى
ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا او قال اوحي الي الى اخر الايتين وذكر مقاتل
نحو هذا وزاد ايتين وهي قوله والذين اتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من
ربك بالحق الاية وقوله الذين اتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم
الاية وروي عن ابن عباس وقتادة انهما قالا هي مكية الا ايتين نزلتا
بالمدينة قوله وما قدروا الله حق قدره وقوله وهو الذي انشا جنات معروشات
وغير معروشات الاية ولما نزلت سورة الانعام ومعها سبعون الف ملك قد سدوا
ما بين الخافقين لهم زجل بالتسبيح والتحميد قال النبي صلى الله عليه وسلم سبحان
ربي العظيم سبحان ربي العظيم وخر ساجدا قال البغوي وروي عنه مرفوعا
من قرا سورة الانعام صلى عليه اولئك السبعون الف ملك ليله ونهاره وذكره
بغير سند والله اعلم بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل الحمد لله الذي خلق
السموات والارض قال كعب الاحبار هذه الاية اول اية في التوراة واخر
اية في التوراة وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا الاية وفي رواية عنه ان
اخر اية في التوراة اخر سورة هود قال ابن عباس افتتح الله الخلق بالحمد
لله فقال الحمد لله الذي خلق السموات والارض وختمهم بالحمد فقال تعالى وقضي
بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين وفي قوله الحمد لله تعليم العباد كيف
يحمدونه اي قولوا الحمد لله وقال اهل المعاني لفظه خبر ومعناه الامر اي احمدوا الله
وانما جا على صيغة الخبر وفيه معنى الامر لانه ابلغ في البيان من حيث انه جمع
الامرين ولو قال احمدوا الله لم يجمع الامرين فكان قوله الحمد لله ابلغ وقد تقدم معنى
الحمد في تفسير فاتحة الكتاب بما فيه مقنع الذي خلق السموات والارض وانما
خصهما بالذكر لانهما اعظم المخلوقات فيما يراه العباد لان السما بغير عمد ترونها

وفيها العبر والمنافع والارض مسكن الخلق وفيها ايضا العبر والمنافع وجعل الظلمات والنور
الجعل هنا بمعنى الخلق وخلق الظلمات والنور قال السدي يريد بالظلمات ظلمة الليل والنور
نور النهار وقال الحسن يعني بالظلمات الكفر وبالنور الايمان وقيل يعني بالظلمات الجهل
وبالنور العلم وقيل الجنة والنار قال قتادة خلق الله السموات قبل الارض وخلق الظلمة
قبل النور وخلق الجنة قبل النار وروي عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال ان الله خلق خلقه في ظلمة ثم القى عليهم من نوره فمن اصابه ذلك النور
اهتدى ومن اخطاه ضل ذكره البغوي بغير سند ثم الذين كفروا بربهم يعدلون
يعني والذين كفروا بعد هذا البيان بربهم يشركون واصل العدل مساواة الشي بالشي
والمعنى انهم يعدلون بالله غير الله ويجعلون له عدلا من خلقه فيعبدون الحجر
مع اقرارهم بان الله خلق السموات والارض وقال النضر بن شميل الباء في قوله بربهم
بمعنى عن اي عن ربهم يعدلون وينحرفون من العدول عن الشي وقيل دخول ثم
في قوله ثم الذين كفروا دليل على معنى لطيف وهو انه تعالى دل به على انكاره على الكفار
العدل به وعلى تعجب المومنين من ذلك ومثال ذلك ان يقول الرجل اكرمتك
واحسنت اليك وانت تشكوني وتجحد احساني اليك فيقول ذلك منكرا عليه و
متعجبا من فعله قوله تعالى هو الذي خلقكم من طين يعني انه تعالى خلق ادم من طين
وانما خاطب ذريته بذلك لانه اصلهم وهم من نسله وذلك لما انكر المشركون البعث
وقالوا من يحيي العظام وهي رميم اعلمهم بهذه الاية انه تعالى خلقهم من طين وهو
القادر على اعادة خلقهم وبعثهم بعد الموت قال السدي لما اراد الله عز وجل
ان يخلق ادم بعث جبريل الى الارض لياتيه بقبضة منها فقالت الارض
اني اعوذ بالله منك ان تقبض مني فرجع ولم ياخذ منها شيا فقال يا رب عاذت
بك فبعث الله ميكائيل فاستعاذت فرجع فبعث الله ملك الموت فعاذت
منه فقال وانا اعوذ بالله ان اخالف امره واخذ من وجه الارض فخلط الحمرا
والسودا والبيضا فلذلك اختلفت الوان بني ادم ثم عجنها بالما العذب
والملح والمر فلذلك اختلفت اخلاقهم ثم قال الله لملك الموت رحم جبريل و
ميكائيل الارض ولم ترحمها لا جرم اجعل ارواح من اخلق من هذا الطين
بيدك عن ابي موسى الاشعري قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول ان الله تبارك وتعالى خلق ادم من قبضة قبضها من جميع الارض
فجا بنو ادم على قدر الارض منهم الاحمر والابيض والاسود وبين ذلك
والسهل والحزن والخبيث والطيب اخرجه ابو داود والترمذي اما قوله تعالى
ثم قضى اجلا واجل مسمى عنده فاختلف العلما في معنى ذلك فقال الحسن وقتادة والضحاك
الاجل الاول من وقت الولادة الى وقت الموت والاجل الثاني من وقت الموت الى حين

البعث وهو البرزخ ويروى نحو ذلك عن ابن عباس قال لكل احد اجلان اجل الى الموت
واجل من الموت الى البعث فان كان الرجل برا تقيا وصولا للرحم زيد له من اجل البعث في
اجل العمر وان كان فاجرا قاطعا للرحم نقص من اجل العمر وزيد في اجل البعث وذلك قوله
وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره الا في كتاب وقال مجاهد وسعيد بن جبير الاجل الاول
اجل الدنيا والاجل الثاني اجل الآخرة وقيل الاجل هو الوقت المقدر فاجل كل انسان مقدر
معلوم عند الله لا يزيد ولا ينقص والاجل الثاني هو اجل القيامة وهو ايضا معلوم مقدر
عند الله لا يعلمه الا هو وقال ابن عباس في رواية عطا عنه ثم قضى اجلا يعني النوم تقبض
فيه الروح ثم ترجع عند الانتباه واجل مسمى عنده هو اجل الموت وقيل هما واحد
ومعناه ثم قضى اجلا مسمى يعني مدة الاعمار لم ينتهوا اليها واجل مسمى عنده يعني
ان ذلك الاجل مسمى عنده لا يعلمه الا هو والمراد بقوله عنده يعني في اللوح المحفوظ الذي
لا يطلع عليه غيره ثم انتم تمترون يعني انتم تشكون في البعث قوله عز وجل وهو الله في
السموات وفي الارض يعني وهو اله السموات واله الارض وقيل معناه وهو المعبود
في السموات وفي الارض وقال محمد بن جرير الطبري معناه وهو الله في السموات يعلم سركم
وجهركم في الارض وقال الزجاج فيه تقديم وتاخير تقديره وهو الله يعلم سركم وجهركم
في السموات وفي الارض وقيل معناه وهو المنفرد بالتدبير في السموات وفي الارض لا شريك
له فيهما والمراد بالسر ما يخفيه الانسان في ضميره وهو من اعمال الجوارح والمعنى ان الله لا يخفى
عليه خافية في السموات ولا في الارض ويعلم ما تكسبون يعني من خير او شر بقي في الآية سؤال
وهو ان الكسب اما ان يكون من اعمال القلوب وهو المسمى بالسر او من اعمال الجوارح وهو
المسمى بالجهر والافعال لا تخرج عن هذين النوعين يعني السر والجهر فقوله ويعلم ما تكسبون
يقتضي عطف الشيء على نفسه وذلك غير جائز فما معنى ذلك والجواب عنه انه يجب حمل قوله
ويعلم ما تكسبون على ما يستحقه الانسان على فعله وكسبه من الثواب والعقاب والحاصل انه
محمول على المكتسب فهو كما يقال هذا المال كسب فلان اي مكتسبه ولا يجوز حمله على نفس
الكسب والا لزم عطف الشيء على نفسه ذكره الامام فخر الدين وما تاتيهم يعني لاهل مكة
من آية من آيات ربهم يعني من المعجزات الباهرات التي جاء بها رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل
انشقاق القمر وغير ذلك وقيل المراد بالآيات آيات القرآن الا كانوا عنها معرضين
يعني الا كانوا لها تاركين وبها مكذبين فقد كذبوا بالحق يعني آيات القرآن وقيل محمد
صلى الله عليه وسلم وما اتى به من المعجزات لما جاءهم يعني لما جاءهم الحق من عند ربهم
كذبوا به فسوف ياتيهم انباء ما كانوا به يستهزءون يعني فسوف ياتي اخبار استهزائهم
اذا عذبوا في الآخرة قوله تعالى الم يروا الخطاب لكفار مكة يعني اولم ير هؤلاء المكذبين بآياتي
كم اهلكنا من قبلهم من قرن مثل قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم من الامم الماضية و
القرون الخالية والقرن الامة من الناس واهل كل زمان قرن سموا بذلك لاقترانهم

في الوجود في ذلك الزمان وقيل سمي قرنا لانه يقرن زمانا بزمان وامة بامة واختلفوا
في مقدار القرن فقيل ثمانون سنة وقيل ستون سنة وقيل اربعون سنة وقيل
ثلاثون سنة وقيل مائة وعشرون وقيل مائة سنة وهو الاصح لما روي ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال لعبد الله بن بسر المازني انك تعيش قرنا فعاش مائة سنة فعلى هذا المراد
بالقرن اهله الذين وجدوا فيه ومنه قوله صلى الله عليه وسلم خير القرون قرني ثم الذين
يلونهم ثم الذين يلونهم يعني اصحابه وتابعيهم وتابعي التابعين مكناهم في الارض ما لم
نمكن لكم يعني اعطيناهم ما لم نعطكم يا اهل مكة وقيل امددنا لهم في العمر والبسطة في
الاجسام والسعة في الارزاق مثل ما اعطى قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم وارسلنا السماء
عليهم مدرارا مفعال من الدر يعني وارسلنا المطر متتابعا في اوقات الحاجة اليه والمراد
بالسماء المطر سمي بذلك لنزوله منها وجعلنا الانهار تجري من تحتهم يعني وفجرنا لهم العيون
تجري من تحتهم والمراد كثرة البساتين فاهلكناهم بذنوبهم يعني بسبب ذنوبهم وكفرهم
وانشأنا من بعدهم قرنا آخرين يعني خلقنا من بعد الهلاك اولئك القرن اهل قرن
آخرين وهذه الآية مما يوجب الاعتبار والموعظة بحال من مضى من الامم السابقة والقرون
الخالية فانهم مع ما كانوا فيه من القوة وسعة الرزق وكثرة الاتباع اهلكناهم لما كفروا
وطغوا وظلموا فكيف حال من هو اضعف منهم واقل عددا وهذا يوجب الاعتبار و
الانتباه من نوم الغفلة ورقدة الجهالة قوله عز وجل ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس
الآية قال الكلبي ومقاتل نزلت في النضر بن الحرث وعبد الله بن ابي امية ونوفل بن خويلد
قالوا يا محمد لن نؤمن لك حتى تاتينا بكتاب من عند الله ومعه اربعة من الملائكة يشهدون
عليه انه من عند الله وانك رسول الله فانزل الله هذه الآية ولو نزلنا عليك كتابا يعني
من عندي في قرطاس يعني مكتوبا في قرطاس وهو الكاغذ والصحيفة التي يكتب فيها فلمسوه
بايديهم يعني فعاينوه ومسوه بايديهم وانما ذكر اللمس ولم يذكر المعاينة لانه ابلغ في
ايقاع العلم بالشيء من الرؤية لان المرئيات قد يدخلها المخيلات كالسحر وغيره بخلاف
المحسوس لقال الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين يعني لو انزلت عليهم كتابا كما سالوا
لما آمنوا به ولقالوا هذا سحر مبين كما قالوا في انشقاق القمر وانهم لا ينفع معهم شيء لما سبق
فيهم من علمي بهم وقالوا يعني مشركي مكة لولا يعني هلا انزل عليه يعني على محمد ملك
يعني نراه عيانا ولو انزلنا ملكا لقضي الامر يعني لفرغ الامر ولوجب العذاب وهذه سنة الله
في الكفار انهم متى اقترحوا آية ثم لم يؤمنوا استوجبوا العذاب واستؤصلوا ثم لا ينظرون
يعني انهم لا يمهلون ولا يؤخرون طرفة عين بل يعجل لهم العذاب ولو جعلناه ملكا لجعلناه
رجلا يعني ولو ارسلنا اليهم ملكا لجعلناه في صورة رجل وذلك لان البشر لا يستطيع ان
ينظروا الى الملائكة في صورهم التي خلقوا عليها ولو نظر الى الملك ناظر لصعق عند رؤيته
ولذلك كانت الملائكة تاتي الانبياء في صورة الانس كما جاء جبريل الى النبي صلى الله عليه وسلم

في صورة دحية الكلبي وكما جاء الملكان الى داود عليه السلام في صورة رجلين وكذلك اتى الملائكة
الى ابراهيم ولوط عليهم السلام ولما راى النبي صلى الله عليه وسلم جبريل في صورته التي خلق
عليها صعق كذلك وغشي عليه وقوله تعالى وللبسنا عليهم ما يلبسون يقال لبست الامر
على القوم اذا شبهته عليهم وجعلته مشكلا ولبست عليه الامر اذا خلطته عليه حتى لا يعرف
جهته ومعنى الاية ولخلطنا عليهم ما يخلطون على انفسهم حتى يشكوا فلا يدروا املك
هو ام ادمي وقيل في معنى الاية انا اذا جعلنا الملك في صورة البشر لظنوه بشرا فيعودو
المسئلة بحالها انا لا نرضى برسالة البشر ولو فعل الله عز وجل ذلك لصار فعل الله تعالى
مثل فعلهم في التلبيس وانما كان تلبيسا لانهم يظنون انه ملك وليس بملك او يظنوا
انه بشر وليس هو بشرا وانما كان فعلهم تلبيسا لانهم لبسوا على ضعفتهم في امر النبي صلى
الله عليه وسلم فقالوا انما هو بشر مثلكم ولو راوا الملك رجلا للحقهم من اللبس مثل
ما لحق لضعفائهم فيكون اللبس نقمة من الله وعقوبة لهم على ما كان منهم في التخليط
في السؤال واللبس على الضعفاء قوله عز وجل ولقد استهزئ برسل من قبلك يعني كما استهزئ
بك يا محمد وفي هذه الاية تعزية للنبي صلى الله عليه وسلم وتسلية له عما كان من تكذيب
المشركين اياه واستهزائهم به اذ جعل له اسوة في ذلك بالانبياء الذين كانوا قبله فحاق
اي فنزل وقيل احاط وقيل حل بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزؤن والمعنى فنزل
العذاب بهم ووجب عليهم من النقمة والعذاب جزاء استهزائهم وفي هذه الاية تحذير
للمشركين الذين فعلوا بنبيهم كما فعل من كان قبلهم بانبيائهم فينزل بهم مثل ما نزل بهم قل
سيروا في الارض اي قل يا محمد لهؤلاء المستهزئين سيروا في الارض معتبرين ومتفكرين وقيل
هو سير الاقدام ثم انظروا فعلى القول الاول يكون النظر نظر فكرة وعبرة وهو بالبصيرة لا
بالبصر وعلى القول الثاني يكون المراد بالنظر نظر العين والمعنى ثم انظروا باعينكم الى اثار
الامم الخالية والقرون السالفة وهو قوله تعالى كيف كان عاقبة المكذبين يعني كيف كان
جزاء المكذبين وكيف اورثهم الكفر والتكذيب الهلاك يحذر كفار مكة عذاب الامم قوله
عز وجل قل لمن ما في السموات والارض قل لله هذا سؤال وجواب والمعنى قل يا محمد
لهؤلاء المكذبين العادلين بربهم لمن ملك ما في السموات والارض فان اجابوك والا فاخبرهم والا
ان ذلك لله الذي قهر كل شيء وملك كل شيء واستعبد كل شيء لا للاصنام التي تعبدونها
انتم فانها موات لا تملك شيئا ولا تملك لنفسها ضرا ولا نفعا وانما امره بالجواب عقيب
السؤال ليكون ابلغ في التاكيد واكد في الحجة ولما بين الله تعالى كمال قدرته وتصرفه
في ساير مخلوقاته اردفه بكمال رحمته واحسانه اليهم فقال تعالى كتب على نفسه الرحمة
يعني انه تعالى اوجب وقضى على نفسه الرحمة وهذا استعطاف منه للمتولين عنه الى
الاقبال عليه واخبار بانه رحيم بعباده وانه لا يعجل بالعقوبة بل يقبل التوبة والانابة
لمن تاب واناب ق عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قضى الله

الخلق و

الخلق ولمسلم لما خلق الله الخلق كتب في كتابه فهو عنده فوق العرش ان رحمتي تغلب
غضبي وفي رواية للبخاري ان الله كتب كتابا قبل ان يخلق الخلق وعند مسلم لما قضى الله
الخلق كتب في كتاب كتبه على نفسه فهو موضوع عنده زاد البخاري على العرش ثم اتفقا
ان رحمتي تغلب غضبي ق عن ابي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول جعل الله الرحمة مائة جزء فامسك عنده تسعة وتسعين جزءا وانزل في الارض جزءا
واحدا فمن ذلك الجزء يتراحم الخلائق حتى ترفع الدابة حافرها عن ولدها خشية ان
تصيبه زاد البخاري في رواية له ولو يعلم الكافر بكل الذي عند الله من الرحمة لم ييأس من
الجنة ولو يعلم المؤمن بكل الذي عند الله من العذاب لم يامن من العذاب ولمسلم لله
مائة رحمة انزل منها رحمة واحدة بين الجن والانس والبهائم والهوام فبها يتعاطفون
وبها يتراحمون وبها تعطف الوحش على ولدها واخر الله تسعة وتسعين رحمة يرحم الله
بها عباده يوم القيامة م عن سلمان الفارسي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الله خلق يوم خلق السموات والارض مائة رحمة كل رحمة طباق ما بين السماء والارض فجعل
منها في الارض رحمة فبها تعطف الوالدة على ولدها والوحش والطير بعضها على بعض فاذا كان
يوم القيامة اكملها بهذه الرحمة ق عن عمر قال قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبي فاذا
امراة من السبي تسعى قد تحلب ثديها اذ وجدت صبيا في السبي اخذته فالزقته ببطنها فارضعته
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اترون هذه المراة طارحة ولدها في النار وهي تقدر
على ان لا تطرحه فقلنا لا والله فقال الله تعالى ارحم بعباده من هذه بولدها وقوله تعالى
ليجمعنكم لام القسم تقديره والله ليجمعنكم الى يوم القيامة يعني في يوم القيامة وقيل معناه
ليجمعنكم في قبوركم الى يوم القيامة لا ريب فيه اي لا شك فيه انه ات الذين خسروا انفسهم
يعني بالشرك بالله واهلكوا انفسهم وغبنوها باتخاذهم الاصنام فعرضوا انفسهم لسخط الله
واليم عقابه فكانوا كمن خسر شيئا واصل الخسار الغبن يقال خسر الرجل اذا غبن في بيعه فهم
لا يؤمنون يعني لما سبق عليهم القضاء بالخسران فهو الذي حملهم على الامتناع من الايمان قوله
تعالى وله ما سكن في الليل والنهار يعني وله ما استقر وقيل وله ما سكن وما تحرك فاكتفى بذكر
احدهما عن الاخر وقيل انما خص السكون بالذكر لان النعمة فيه اكثر وقال ابن جرير كل ما طلعت
عليه الشمس وغربت فهو من ساكن الليل والنهار فيكون المراد منه جميع ما حصل في الارض
من الدواب وحيوانات والطير وغير ذلك مما في البر والبحر وهذا يفيد الحصر والمعنى ان جميع
الموجودات ملك لله تعالى لا لغيره وهو السميع لاقوالهم واصواتهم العليم بسرائرهم واحوالهم
قوله عز وجل قل اغير الله اتخذ وليا قال مقاتل لما دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى دين
ابائه فانزل الله هذه الاية فقال قل لهم يا محمد اغير الله اتخذ وليا يعني ربا ومعبودا
وناصرا ومعينا وهو استفهام ومعناه الانكار اي لا اتخذ غير الله وليا فاطر السموات
والارض اي خالق السموات والارض ومبتدعهما ومبدئهما وهو يطعم ولا يطعم

يعني وهو يرزق ولا يرزق وصف الله عز وجل نفسه بالغنا عن المخلوق وباحتياج الخلق
اليه لان من كان من صفته انه يطعم الخلق لاحتياجهم اليه وهو لا يطعم لاستغنائه
سبحانه وتعالى عن الاطعام ومن كان كذلك وجب ان يتخذ ربا وناصرا ووليا ومعبودا
قل اني امرت ان اكون اول من اسلم يعني من هذه الامة والاسلام بمعنى الاستسلام
يعني امرت ان استسلم لامر الله وانقاد الى طاعته ولا تكونن من المشركين يعني
وقيل لي يا محمد لا تكونن من المشركين قل اني اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم
عظيم يعني قل يا محمد لهولاء المشركين الذين دعوك الى عبادة غيري اني امرت ان
اكون اول من اسلم ونهاني عن عبادة شي سواه واني اخاف ان عصيت ربي
فعبدت شيا سواه عذاب يوم عظيم وهو عذاب يوم القيامة من يصرف عنه
يعني العذاب يومئذ يعني يوم القيامة فقد رحمه يعني بان النجاة من العذاب ومن
النجاة من العذاب فقد رحمه واناله الثواب لا محالة وانما ذكر الرحمة من صرف العذاب
لئلا يتوهم انه صرف العذاب فقط بل يحصل له الرحمة مع صرف العذاب عنه وذلك
الفوز المبين يعني ان صرف العذاب وحصول الرحمة هو النجاة والفلاح المبين قوله تعالى
وان يمسسك الله بضر يعني بشدة وبلية والضر اسم جامع لما ينال الانسان من الم ومكروه
وغير ذلك مما هو في معناه فلا كاشف له الا هو يعني فلا يدفع ذلك الضر الا الله عز وجل
وان يمسسك بخير يعني بعافية ونعمة والخير اسم جامع لكل ما ينال الانسان من لذة وفرح
وسرور ونحو ذلك فهو على كل شي قدير يعني من دفع الضر وجلب الخير وهذه الاية
خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمعنى لا تتخذوا وليا سوى الله لانه هو القادر على
دفعه عنك وهو القادر على ايصال الخير اليك وانه لا يقدر على ذلك الا الله فاتخذه
وليا وناصرا ومعينا وهذا الخطاب وان كان للنبي صلى الله عليه وسلم فهو عام لكل احد
والمعنى وان يمسسك الله بضر ايها الانسان فلا كاشف لذلك الضر الا هو وان يمسسك
بخير ايها الانسان فهو على كل شي قدير من دفع الضر وايصال الخير عن ابن عباس قال كنت خلف
رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فقال لي يا غلام اني اعلمك كلمات احفظ الله يحفظك
احفظ الله تجده تجاهك اذا سالت فاسال الله واذا استعنت فاستعن بالله واعلم
ان الامة لو اجتمعت على ان ينفعوك بشي لم ينفعوك الا بشي قد كتبه الله لك وان
اجتمعت على ان يضروك بشي لم يضروك الا بشي قد كتبه الله عليك رفعت الاقلام
وجفت الصحف خرجه الترمذي زاد فيه رزين تعرف الى الله في الرخا يعرفك
في الشدة وفيه ان استطعت ان تعمل لله باليقين فافعل فان لم تستطع فان
في الصبر على ما تكره خيرا كثيرا واعلم ان النصر مع الصبر والفرج مع الكرب وان مع
العسر يسرا ولن يغلب عسر يسرين قال ابن الاثير وقد جا نحو هذا ومثله بطوله
في مسند احمد بن حنبل قوله عز وجل وهو القاهر فوق عباده يعني وهو القاهر لعباده الغالب

لهم وهم

لهم وهم مقهورون تحت قدرته والقاهر والقهار معناه الذي يدبر خلقه بما يريد
فيقع في ذلك ما يشق عليهم ويثقل ويغم ويحزن ويفقر ويميت ويذل خلقه فلا
يستطيع احد من خلقه رد تدبيره والخروج من تحت قهره وتقديره وهذا معنى القاهر
في صفة الله عز وجل لانه القادر القاهر الذي لا يعجزه شي اراده ومعنى فوق عباده
هنا ان قهره قد استعلى على خلقه فهم تحت التسخير والتذليل بما علاهم من الاقتدار
والقهر الذي لا يقدر على الخروج منه ولا ينفك عنه فكل من قهر شيا مستعلي عليه
بالقهر والغلبة وقال ابن جرير الطبري معنى القاهر المتعبد خلقه العالي عليهم وانما قال
فوق عباده لانه تعالى وصف نفسه بقهره اياهم ومن صفة كل قاهر شيا ان يكون مستعليا
عليه فمعنى الكلام اذا والله الغالب عباده المذلل لهم العالي عليهم بتذليله اياهم فهو
فوقهم بقهره اياهم وهم دونه وقيل فوق عباده وهو صفة الاستعلا الذي تفرد به
الله عز وجل وهو الحكيم يعني في امره وتدبير عباده الخبير يعني باعمالهم وما يصلحهم قوله تعالى
قل اي شي اكبر شهادة قال الكلبي اتى اهل مكة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد
ارنا من يشهد انك رسول الله فانا لا نرى احدا يصدقك ولقد سالنا عنك اليهود والنصارى
فزعموا انه ليس لك عندهم ذكر فانزل الله عز وجل قل يعني يا محمد لهولاء المشركين الذين يكذبونك
ويجحدون نبوتك من قومك اي شي اكبر شهادة يعني اعظم شهادة فان هم اجابوك والا قل
انت يا محمد الله شهيد بيني وبينكم قال مجاهد امر محمد صلى الله عليه وسلم ان يسال
قريشا اي شي اكبر شهادة ثم امره ان يخبرهم فيقول الله شهيد بيني وبينكم يعني يشهد لي بالحق
وعليكم بالباطل الذي تقولون ولما صل انهم طلبوا شاهدا مقبول القول يشهد له بالنبوة
فبين الله تعالى بهذه الاية ان اكبر الاشيا شهادة هو الله تعالى ثم بين انه يشهد له بالنبوة
وهو المراد بقوله واوحي الى هذا القران لانذركم به يعني ان الله عز وجل يشهد لي بالنبوة
لانه اوحي الى هذا القران وهو معجزة لانكم انتم الفصحا البلغا واصحاب اللسان وقد عجزتم
عن معارضته فكان معجزا واذا كان معجزا كان نزوله على شهادة من الله باني رسوله
وهو المراد بقوله لانذركم به يعني اوحي الى هذا القران لاخوفكم به واحذركم مخالفة امر
الله عز وجل ومن بلغ يعني وانذر من بلغه القران ممن ياتي بعدي الى يوم القيامة من
العرب والعجم وغيرهم من ساير الامم فكل من بلغ اليه القران وسمعه فالنبي صلى الله عليه
وسلم نذير له قال محمد بن كعب القرظي من بلغه القران فكانما راى النبي صلى الله عليه وسلم
وكلمه وقال انس بن مالك لما نزلت هذه الاية كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى كسرى وقيصر وكل جبار يدعوهم الى الله عز وجل خ عن عبد الله بن عمرو بن العاص
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال بلغوا عني ولو اية وحدثوا عن بني اسرائيل ولا حرج ومن كذب
علي متعمدا فليتبوا مقعده من النار شرح ما يتعلق بهذا الحديث قوله امر بالابلاغ ما جا
به صلى الله عليه وسلم من بعده من قران وسنة وقوله حدثوا عن بني اسرائيل ولا حرج الحرج

الضيق والاثم ومعنى الحديث انه مهما قلتم عن بني اسرايل فانهم كانوا في حال اكثر مما قلتم
واوسع وليس هذا فيه اباحة الكذب في الاخبار عن بني اسرايل لكن معناه الرخصة
في الحديث عنهم على معنى البلاغ وان لم يتحقق ذلك بنقل لانه امر قد تعذر لبعد المسافة
وطول المدة عن ابن مسعود قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول نضر الله
امرا سمع منا شيا فبلغه كما سمعه فرب مبلغ اوعى له من سامع اخرجه الترمذي عن
زيد بن ثابت قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول نضر الله امرأ سمع منا
حديثا فحفظه حتى يبلغه غيره فرب حامل فقه الى من هو افقه منه ورب حامل فقه
ليس بفقيه عن ابن عباس قال تسمعون ويسمع منكم ويسمع ممن يسمع منكم اخرجه
ابو داود موقوفا وقوله تعالى ائنكم لتشهدون ان مع الله الهة اخرى يعني قل يا محمد لهولا
المشركين الذين جحدوا نبوتك واتخذوا الهة غيري انكم ايها المشركون تشهدون ان
مع الله الهة اخرى يعني الاصنام التي كانوا يعبدونها وانما قال اخرى لان الجمع يلحقه
التانيث كما قال تعالى ولله الاسما الحسنى فما بال القرون الاولى ولم يقل الاول ولا الاولين
قل لا اشهد يعني قل يا محمد لهولا المشركين لا اشهد بما تشهدون به ان مع الله الهة اخرى
بل اجحد ذلك وانكره انما هو اله واحد يعني قل لهم انما الله اله واحد ومعبود واحد
لا شريك له وبذلك اشهد وانني بري مما تشركون يعني وانا بري من كل شي تعبدون
سوى الله وفي هذه الاية دليل على اثبات التوحيد لله عز وجل وابطال كل معبود
سواه لان كلمة انما تفيد الحصر ولفظة الواحد صريح في التوحيد ونفي الشريك فثبت
بذلك ايجاب التوحيد وسلب كل شريك والتبري من كل معبود سوى الله تعالى
قال العلما يستحب لمن اسلم ان ياتي بالشهادتين ويتبري من كل دين خالف الاسلام
لقوله تعالى وانني بري مما تشركون قوله عز وجل الذين اتيناهم الكتاب يعرفونه كما
يعرفون ابناءهم المراد بالذين اوتوا الكتاب علما اليهود والنصارى الذين كانوا
في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك ان كفار مكة لما قالوا للنبي صلى الله عليه
وسلم انا سالنا عنك اليهود والنصارى فزعموا انه ليس لك عندهم ذكر وانكروا
معرفتك فبين الله عز وجل ان شهادتهم له كافية على صحة نبوته وبين في هذه
الاية انهم يعرفونه وانهم كذبوا في قولهم انهم لا يعرفونه روي ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم
المدينة واسلم عبد الله بن سلام قال له عمر بن الخطاب ان الله انزل على نبيه صلى الله عليه وسلم بمكة الذين
اتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم فكيف هذه المعرفة قال عبد الله بن سلام يا عمر لقد
عرفته حين رايته كما اعرف ابني ولانا اشد معرفة بمحمد صلى الله عليه وسلم مني بابني فقال عمر كيف
ذلك اشهد انه رسول الله حقا ولا ادري ما يصنع النسا وقوله تعالى الذين خسروا انفسهم
يعني اهلكوا انفسهم وغبنوها واوبقوها في نار جهنم بانكارهم نبوة محمد صلى الله عليه وسلم
وفي الذين خسروا انفسهم قولان احدهما انه صفة للذين الاولى ويكون المقصود

من ذلك

من ذلك وعيد المعاندين الذين يعرفون محمدا صلى الله عليه وسلم ويجحدون نبوته
وهم كفار اهل الكتابين فهم لا يومنون يعني به والقول الثاني انه كلام مبتدا لا تعلق
له بالاول وهم كفار مكة الذين لم يومنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم وذكروا في معنى الخسار
وجهين احدهما انه الهلاك الدايم الذي حصل لهم بسبب كفرهم وانكارهم نبوة محمد
صلى الله عليه وسلم والوجه الثاني ان جعل لكل واحد من بني ادم منزلا في الجنة ومنزلا
في النار فاذا كان يوم القيامة جعل الله للمومنين منازل الكفار التي في الجنة وجعل
للكفار منازل المومنين التي في النار فذلك هو الخسران قوله تعالى ومن اظلم ممن افترى
على الله كذبا يعني ومن اشد عنادا واخطا فعلا واعظم كفرا ممن اختلق على الله كذبا
فزعم ان له شريكا من خلقه والها يعبد من دونه كما قاله المشركون من عبدة الاصنام
او ادعى ان له صاحبة وولدا كما قالته النصارى او كذب باياته يعني كذب بمحمد واعلام
ادلته التي اعطاها رسله كما كذبت اليهود بمعجزات الانبيا وقيل معناه او كذب
بايات القران الذي انزله على محمد صلى الله عليه وسلم انه لا يفلح الظالمون يعني انه لا ينجح
القايلون على الله الكذب والمفترون عليه الباطل ويوم نحشرهم جميعا اي اذكر
يوم نحشر العابدين والمعبودين وهو يوم القيامة ثم نقول للذين اشركوا اين
شركاوكم الذين كنتم تزعمون يعني انها تشفع لكم عند ربكم قوله عز وجل ثم لم تكن فتنتهم
يعني قولهم وجوابهم وقال ابن عباس معذرتهم والفتنة التجربة فلما كان سوالهم
تجربة لاظهار ما في قلوبهم قيل له فتنة قال الزجاج في قوله ثم لم تكن فتنتهم معنى لطيف
وذلك الرجل يفتتن بمحبوب ثم تصيبه منه محنة فيتبرا من محبوبه فيقال لم تكن
فتنته الا تبريه المحبوب فكذلك الكفار فتنوا بمحبة الاصنام ثم لما راوا العذاب
تبراوا منها يقول الله تبارك وتعالى ثم لم تكن فتنتهم ومحبتهم للاصنام الا ان تبراوا
منها وهو قوله تعالى الا ان قالوا والله ربنا ما كنا مشركين وذلك اذا شاهدوا يوم
القيامة مغفرة الله تعالى لاهل التوحيد فيقول بعضهم لبعض تعالوا نكتم الشرك
لعلنا ننجو من اهل التوحيد فيقولون والله ربنا ما كنا مشركين فيختم على افواههم
وتشهد جوارحهم عليهم بالشرك والكفر قال الله تعالى انظر كيف كذبوا على انفسهم يعني
انظر يا محمد بعين البصيرة وتامل الى حال هولا المشركين كيف كذبوا على انفسهم يعني
اعتذارهم بالباطل وتبريهم من الاصنام والشرك الذي كانوا عليه في دار الدنيا وذلك
لا ينفعهم وهو قوله وضل عنهم يعني زال عنهم وذهب ما كانوا يفترون يعني ما كانوا يكذبون
وهو قولهم ان الاصنام تشفع لهم وتنصرهم فبطل ذلك كله في ذلك اليوم قوله تعالى
ومنهم من يستمع اليك الاية قال الكلبي اجتمع ابو سفيان صخر بن حرب وابو جهل بن هشام
والوليد بن المغيرة والنضر بن الحرث وعتبة وشيبة ابنا ربيعة وامية وابي ابنا
خلف والحرث بن عامر يستمعون القران فقالوا للنضر يا ابا قتيلة ما يقول محمد قال

ما ادري ما يقول الا اني اراه يحرك لسانه ويقول اساطير الاولين مثل ما كنت احدثكم
عن القرون الماضية وكان النضر كثير الحديث عن القرون الماضية واخبارها
فقال ابو سفيان اني لا ارى بعض ما يقول حقا فقال ابو جهل كلا لا تقر بشئ من هذا وفي
رواية الموت اهون علينا من هذا فانزل الله تعالى ومنهم من يستمع اليك يعني الى
كلامك وقراءتك يا محمد وجعلنا على قلوبهم اكنة يعني اغطية جمع كنان ان يفقهوه
يعني لئلا يفقهوه وكراهية ان يفقهوه وفي آذانهم وقرا يعني وجعلنا في آذانهم صمما
وثقلا وفي هذا دليل على ان الله تعالى يقلب القلوب فيشرح بعضها للهدى والايمان
فتقبله ويجعل بعضها في اكنة فلا تفقه كلام الله ولا تؤمن به وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها
يعني كل معجزة من المعجزات الدالة على صدقك لا يؤمنوا بها يعني لا يصدقوا بها ولا يقروا
انها دالة حتى اذا جاؤك يجادلونك يعني انهم اذا راوا الآيات وسمعوا القرآن انما جاؤا
ليجادلونك ويخاصمونك لا ليؤمنوا بها يقول الذين كفروا ان هذا اي ما هذا القرآن
الا اساطير الاولين يعني احاديث الاولين من الامم الماضية واخبارهم واقاصيصهم
وما سطروا يعني كتبوا والاساطير جمع اسطورة وقيل واحدها سطر واسطار جمعه واساطير
جمع جمع فعلى هذا لو قال قايل لم عابوا القرآن وجعلوه اساطير الاولين وقد سطر الاولون
في كتبهم الحكم والعلوم النافعة وما لا يعاب قايله واجيب عنه بانهم انما نسبوا القرآن الى
اساطير الاولين بمعنى انه ليس وحي من الله تعالى وانما هو اخبار مجردة كما روي اخبار الاولين
وقيل في معنى اساطير الاولين انها الترهات وهي عند العرب طرق غامضة ومسالك غير
مشكلة يقول قايلهم اخذنا في الترهات يعني عدلنا عن الطريق الواضح الى الطريق المشكل الذي
لا يعرف فجعلت الترهات مثلا لما لا يعرف ولا يتضح من الامور المشكلة الغامضة التي لا اصل
لها قوله عز وجل وهم ينهون عنه يعني ينهون الناس عن اتباع محمد صلى الله عليه وسلم وعن
الاستماع به وينأون عنه عن استماع القرآن وكانوا هم كذلك وقال ابن عباس نزلت في ابي
طالب عم النبي صلى الله عليه وسلم كان ينهى المشركين عن اذى النبي صلى الله عليه وسلم ويمنعه
منهم وينأى هو بنفسه عن الايمان به يعني يبعد حتى روي انه اجتمع اليه روس المشركين فقالوا
خذ شابا من اصبحنا وجها وادفع الينا محمدا فقال ما انصفتموني ادفع اليكم ابني يقتلوه
واربي لكم ابنكم وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم دعا ابا طالب الى الايمان فقال لولا تعيرني
قريش لاقررت بها عينك ولكن اذب عنك ما حييت وقال في ذلك ابياتا والله
لن يصلوا اليك بجمعهم حتى اوسد في التراب دفينا فاصدع بامرك ما عليك غضاضة
وابشر وقر بذاك منك عيونا ودعوتني وعرفت انك ناصحي ولقد صدقت وكنت
ثم امينا وعرضت دينا قد علمت بانه من خير اديان البرية دينا لولا الملامة وحذار
مسبة لوجدتني سمحا بذاك مبينا وقوله تعالى وان يهلكون الا انفسهم يعني لا يرجع
وبال كفرهم وفعلهم الا عليهم وما يشعرون يعني بذلك قوله تعالى ولو ترى اذ وقفوا على النار

يعني في النار

يعني في النار فوضع على موضع في كقوله على ملك سليمان اي في ملك سليمان وقيل معناه
اذ عرضوا على النار وجواب لو محذوف والمعنى ولو ترى الكفار الذين ينهون عنك
وينأون عنك يا محمد في تلك الحالة لرايت امرا عجيبا فقالوا يعني الكفار يا ليتنا نرد
ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين يعني الى الدنيا تمنوا ان يردوا الى الدنيا مرة
مرة اخرى حتى يؤمنوا ولا يكذبوا بآيات ربهم فرد الله عز وجل عليهم ذلك فقال تعالى
بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل يعني ليس الامر كما قالوا لو ردوا الى الدنيا لآمنوا
بل ظهر لهم ما كانوا يخفون من قولهم والله ربنا ما كنا مشركين فاخفوا شركهم وكتموه
فاظهره الله عليهم حين شهدت عليهم جوارحهم بما كتموا وستروا من شركهم وقيل ظهر
لهم ما اخفوا من الكفر فعلى هذا تكون الآية في المنافقين ولو ردوا لعادوا لما نهوا
عنه وانهم لكاذبون يعني في قولهم لو رددنا الى الدنيا لم نكذب بآيات ربنا وكنا
من المؤمنين وقالوا ان هي الا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين وهذا خبر عن حال
منكري البعث وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما اخبر الكفار عن احوال القيامة
واهوالها وما اعد الله في الآخرة من الثواب للمؤمنين المطيعين وما اعد الله من
العقاب للكفار والعاصين قالوا يعني الكفار ان هي اي ما هي الا حياتنا الدنيا اي
ليس لنا غير هذه الدنيا التي نحن فيها وما نحن بمبعوثين يعني بعد الموت وقال عبد الرحمن
بن زيد بن سلم هذا خبر من الله عن هؤلاء الكفار الذين وقفوا على النار انهم لو ردوا
الى الدنيا لقالوا ان هي الا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين قوله عز وجل ولو ترى
اذ وقفوا على ربهم يعني على حكم ربهم وقضائه ومسألته وقال مقاتل عرضوا على ربهم
قال اليس هذا بالحق اي يقول الله لهم يوم القيامة اليس هذا البعث والنشر
بعد الموت الذي كنتم تنكرونه في الدنيا وتكذبون به وتقولون لا بعث ولا نشور
حقا قالوا بلى وربنا يعني انهم اعترفوا بما كانوا ينكرونه فاجابوا فقالوا بلى والله
انه الحق وقيل يقول لهم خزنة النار بامر الله اليس هذا بالحق يعني البعث حقا فاجابوا
بقولهم بلى وربنا قال ابن عباس للقيامة مواقف ففي موقف ينكرون ويقولون والله
ربنا ما كنا مشركين وفي موقف يعترفون بما كانوا ينكرونه في الدنيا قال فذوقوا
العذاب اي يقول الله لهم ذلك او الخزنة تقول لهم ذلك بامر الله تعالى وانما خص لفظ
الذوق لانهم في كل حالة يجدون الم العذاب وجدان الذائق في شدة الاحساس بما كنتم
تكفرون يعني هذا العذاب بسبب كفركم وجحودكم البعث بعد الموت قوله تعالى قد خسر الذين
كذبوا بلقاء الله يعني خسروا انفسهم بسبب تكذيبهم بالمصير الى الله تعالى وبالبعث بعد
الموت وهذا الخسران هو فوت الثواب العظيم في دار النعيم المقيم وحصول العذاب
الاليم في دركات الجحيم حتى اذا جاءتهم الساعة بغتة يعني جاءتهم القيامة فجاة وسميت القيامة
ساعة لانها تفجا الناس بغتة في ساعة لا يعلمها احد الا الله تبارك وتعالى وقيل

سميت ساعة لسرعة الحساب فيها لان حساب الخلائق يوم القيامة يكون في ساعة او اقل من ذلك قالوا يعني منكري البعث وهم كفار قريش ومن سلك سبيلهم في الكفر والاعتقاد يا حسرتنا يعني يا ندامتنا والحسرة التلهف على الشيء الغائب وذكرت على وجه النداء للمبالغة والمراد تنبيه المخاطبين على ما وقع بهم من الحسرة على ما فرطنا يعني قصرنا فيها يعني في الدنيا لانها موضع التفريط في الاعمال الصالحة والمعنى يا حسرتنا على الاعمال الصالحة التي فرطنا فيها في الدنيا وقال محمد بن جرير الطبري الهاء والالف في قوله فيها تعود الى الصفقة ولكن اكتفى بدلالة قوله قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله عليها من ذكرها اذ كان معلوما ان الخسران لا يكون الا في صفقة بيع قد جرى ومعنى الاية قد وكس الذين كذبوا بلقاء الله ببيعهم الايمان الذي يستوجبون به رضوان الله وجنته بالكفر الذي يستوجبون به سخط الله وعقوبته وهم لا يشعرون بذلك حتى تقوم الساعة فاذا جاءتهم الساعة بغتة راوا ما لحقهم من الخسران في بيعهم قالوا حينئذ يا حسرتنا على ما فرطنا فيها وروى الطبري بسنده عن ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله يا حسرتنا قال يرى اهل النار منازلهم في الجنة فيقولون يا حسرتنا وقوله تعالى وهم يحملون اوزارهم يعني اثقالهم على ظهورهم والاوزار الخطايا والذنوب واصل الوزر الثقل والحمل يقال وزرته اذا حملته وانما قيل للذنوب اوزار لانها تثقل ظهر من يحملها قال قتادة والسدي ان المومن اذا خرج من قبره استقبله احسن شيء صورة واطيبه ريحا فيقول هل تعرفني فيقول لا فيقول انا عملك الصالح فاركبني فقد طال ما ركبتك في الدنيا فذلك قوله يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا يعني ركبانا واما الكافر فيستقبله اقبح شيء صورة وانتنه ريحا فيقول هل تعرفني فيقول لا فيقول انا عملك الخبيث طال ما ركبتني في الدنيا فانا اليوم اركبك فذلك معنى قوله وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم وقال عمرو بن هانئ يحشر مع كل كافر عمله في صورة رجل قبيح كلما راى هولا صورته وقبحه زاده خوفا فيقول له بئس الجليس انت فيقول انا عملك طال ما ركبتني فلاركبنك اليوم حتى اخزيك على روس الخلائق فيركبه ويتخطا به الناس حتى يقف بين يدي ربه تعالى فذلك قوله وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم مجاز وقال الزجاج الثقل كما يذكر في الوزن فقد يذكر في الحال والصفة يقال ثقل علي كلام فلان بمعنى كرهته فالمعنى انهم يقاسون من الم عقاب ذنوبهم مقاساة تثقل ذلك عليهم فعلى هذا القول يكون قوله وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم مجازا عما يقاسونه من شدة العذاب وقيل في معنى الاية ان اوزارهم لا تزايلهم كما تقول شخصه نصب عيني اي ذكره ملازم لي الا ساء ما يزرون يعني بئس الشيء شيئا يحملونه وقال ابن عباس بئس الحمل حملوا قوله عز وجل وما الحياة الدنيا الا لعب ولهو اي باطل وغرور لا بقاء لها وهذا فيه رد على منكري البعث في قولهم ان هي الا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين فقال الله ردا عليهم ومكذبا لهم وما الحياة الدنيا الا لعب ولهو وقيل

المراد بهذه الاية حياة المومن او الكافر فيه قولان احدهما ان المراد بها حياة الكافر لان المومن لا يزداد بحياته في الدنيا الا خيرا لانه يحصل في ايام حياته من الاعمال الصالحة والطاعات ما يكون سببا لحصول السعادة في الاخرة واما الكافر فان كل حياته في الدنيا وبال عليه قال ابن عباس يريد حياة اهل الشرك والنفاق والقول الثاني ان هذا عام في حياة المومن والكافر لان الانسان يلتذ باللعب واللهو ثم عند انقضائه يحصل له الحسرة والندامة لان الذي كان فيه من اللعب واللهو سريع الزوال لا بقاء له فبان بهذا التقرير ان المراد بهذه الحياة حياة المومن والكافر وانه عام فيهما وانما شبه الحياة الدنيا باللعب واللهو لسرعة زوالها وقصر عمرها كالشيء الذي يلعب به وقيل معناه ان امر الدنيا والعمل فيها لعب ولهو فاما فعل الخير والعمل الصالح فهو من فعل الاخرة وان وقع في الدنيا وقيل معناه وما اهل الحياة الدنيا الا اهل لعب ولهو لانه لا يجدي شيئا ولاشتغالهم عما امروا به نسبوا الى اللعب واللهو وقوله تعالى وللدار الاخرة يعني الجنة واللام فيه لام القسم تقديره والله للدار الاخرة خير يعني من الدنيا وافضل لان الدنيا سريعة الزوال والانقطاع للذين يتقون يعني الشرك وقيل يتقون اللعب واللهو افلا تعقلون ان الاخرة افضل من الدنيا فيعملون لها قوله تعالى قد نعلم انه ليحزنك الذي يقولون يعني قد نعلم يا محمد انه ليحزنك الذي يقوله المشركون لك قال السدي التقى الاخنس بن شريق وابو جهل بن هشام فقال الاخنس لابي جهل يا ابا الحكم اخبرني عن محمد اصادق هو ام كاذب فانه ليس هنا احد يسمع كلامك غيري فقال ابو جهل والله ان محمدا لصادق وما كذب محمد قط ولكن اذا ذهب بنو قصي باللواء والسقاية والحجابة والندوة والنبوة فماذا يكون لسائر قريش فانزل الله هذه الاية وقال ناجية بن كعب قال ابو جهل للنبي صلى الله عليه وسلم ما نتهمك ولا نكذبك ولكن نكذب الذي جئت به فانزل الله هذه الاية عن علي بن ابي طالب ان ابا جهل قال للنبي صلى الله عليه وسلم انا لا نكذبك ولكن نكذب بما جئت به فانزل الله فيهم فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بايات الله يجحدون اخرجه الترمذي من طريقين قال في احدهما وهذا اصح ففي هذه الاية تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وتعزية له عما يواجهه به قومه لانهم كانوا يعتقدون صدقه وانه ليس بكذاب وانما حملهم على تكذيبه في الظاهر الحسد والظلم فانهم لا يكذبونك يعني انهم لا يكذبونك في السر لانهم قد عرفوا انك صادق ولكن الظالمين يعني الكافرين بايات الله يجحدون يعني في العلانية وذلك انهم جحدوا القران بعد معرفة صدق الذي نزل عليه لعنادهم وكفرهم كما قال تعالى في حق غيرهم وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا وقيل ظاهر الاية يدل على انهم لم يكذبوا

محمدا صلى الله عليه وسلم وانما جحدوا بايات الله وهي القران الدالة على صدقه فعلى هذا يكون
المعنى فانهم لا يكذبونك لانهم قد عرفوا صدقك وانما جحدوا صحة نبوتك ورسالتك
قوله عز وجل ولقد كذبت رسل من قبلك يعني ولقد كذبت الامم الخالية رسلهم كما
كذبك قومك فصبروا على ما كذبوا واوذوا يعني ان الرسل عليهم السلام صبروا
على تكذيب قومهم اياهم وصبروا على اذاهم فاصبر انت يا محمد على تكذيب قومك
واذاهم لك كما صبر من كان قبلك من الرسل وهذا فيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم
وازالة حزنه على تكذيب قومه له واذاهم اياه حتى اتاهم نصرنا يعني باهلاك من كذبهم
ولا مبدل لكلمات الله يعني ولا ناقض لما حكم الله به من اهلاك المكذبين ونصر
المرسلين كما قال ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وان
جندنا لهم الغالبون وقوله تعالى لاغلبن انا ورسلي ولا خلف فيما وعد الله به ولقد كتب الله
جاءك من نبأ المرسلين يعني ولقد انزلت عليك في القران من اخبار المرسلين
ما فيه تسلية لك وتسكين قلبك وقال الاخفش من هنا صلة كما تقول اصابنا
من مطر وقال غيره بل هي للتبعيض لان الواصل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
قصص بعض الانبيا واخبارهم كما قال تعالى منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص
عليك قوله تعالى وان كان كبر عليك اعراضهم ذكر ابن الجوزي في سبب نزول هذه
الاية ان الحرث بن عامر اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم في نفر من قريش فقال
ائتنا باية كما كانت الانبيا تاتي قومها بالايات فان فعلت امنا بك فنزلت
هذه الاية رواه ابن عباس ومعنى الاية وان كان عظم عليك يا محمد اعراض هولاء
المشركين عنك وعن تصديقك والايمان بك وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يحرص على ايمان قومه اشد الحرص وكان اذا سالوه اية احب ان يريهم الله ذلك
طمعا في ايمانهم فقال الله عز وجل فان استطعت ان تبتغي يعني تطلب وتتخذ
نفقا في الارض يعني سربا في الارض والنفق سرب في الارض يتخلص منه الى مكان اخر
او سلما في السما يعني مصعدا الى السما والسلم المصعد وهو مشتق من السلامة
فتاتيهم باية يعني بالاية التي سالوه عنها ومعنى الاية ان كان كبر وعظم عليك
اعراض قومك عن الايمان بك فان قدرت ان تذهب في الارض او تصعد
الى السما فتاتيهم باية تدلهم على صدقك فافعل وانما حسن حذف جواب
الشرط لانه معلوم عند السامع والمقصود من هذا ان يقطع رسول الله صلى الله
عليه وسلم طمعه عن ايمانهم ولا يتاذى بسبب اعراضهم عنه وعن الايمان به
ويدل عليه قوله تعالى ولو شا الله لجمعهم على الهدى اخبر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه
وسلم انهم انما تركوا الايمان واعرضوا عنه واقبلوا على الكفر لمشية الله تعالى
ونافذ قضايه فيهم وانه لو شا الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين يعني

بان لو شا

بان لو شا الله لجمعهم على الهدى وانه يومن بك بعضهم دون بعض وقيل معناه لا يشتد تحسرك
على تكذيبهم ولا تجزع من اعراضهم عنك فتقارب حال الجاهلين الذين لا صبر لهم وانما
نهاه عن هذه الحالة وغلظ له الخطاب تبعيدا له عن هذه الحالة قوله عز وجل انما يستجيب
الذين يسمعون يعني المومنين الذين فتح الله قلوبهم فهم يسمعون الحق ويستجيبون
له ويتبعونه وينتفعون به دون من ختم الله على سمع قلبه وهو قوله والموتى
يعني الكفار الذين لا يسمعون ولا يستجيبون يبعثهم الله يعني يوم القيامة ثم اليه يرجعون
فيخبرهم باعمالهم وقالوا يعني روسا كفار قريش لولا يعني هلا نزل عليه اية من ربه
يعني الملك يشهد لمحمد بالنبوة وقيل المراد من الاية المعجزة الباهرة لمثل معجزات
الانبيا قل يعني قل لهم يا محمد ان الله قادر على ان ينزل اية يعني انه قادر على
ايجاد ما طلبوه وانزال ما اقترحوه من الايات والمعجزات ولكن اكثرهم لا
يعلمون يعني ماذا عليهم في انزالها من العذاب ان لم يومنوا بها وقيل معناه
انهم لا يعلمون ان الله قادر على انزال الايات وقيل انهم لا يعلمون وجه المصلحة
في انزالها قوله تعالى وما من دابة في الارض ولا طاير يطير بجناحيه الا امم امثالكم
قال العلما جميع ما خلق الله عز وجل لا يخرج عن هاتين الحالتين اما ان يدب
على الارض او يطير في الهوى حتى الحقوا حيوان الما بالطير لان الحيتان تسبح
في الما كما ان الطير يسبح في الهوا وانما خص ما في الارض بالذكر دون ما في السما
وان كان ما في السما مخلوقا لان الاحتجاج بالمشاهد اظهر واولى مما لا يشاهد
وانما ذكر الجناح في قوله بجناحيه للتاكيد كقولك كتبت بيدي ونظرت بعيني الا امم
امثالكم قال مجاهد اي اصناف مصنفة تعرف باسمايها يريد ان كل جنس من الحيوان
امة فالطير امة والدواب امة والسباع امة تعرف باسمايها مثل بني ادم يعرفون
باسمايهم كما يقال الانس والناس ويدل عليه ان كل جنس من الدواب امة ما روي
عن عبد الله بن مغفل عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لولا ان الكلاب امة من الامم لامرت
بقتلها فاقتلوا منها كل اسود بهيم اخرجه ابو داود والترمذي والنسايي فان قلت
ثبت بالاية والحديث ان الدواب والطير امم امثالنا وهذه المماثلة لم تحصل من كل
الوجوه فيما يظهر لنا فما وجه هذه المماثلة قلت اختلف العلما في وجه هذه المماثلة
فقيل ان هذه الحيوانات تعرف الله وتوحده وتسبحه وتصلي له كما انكم تعرفون الله
وتوحدونه وتسبحونه وتصلون له وقيل انها مخلوقة لله عز وجل كما انكم مخلوقون
لله عز وجل وقيل انها يفهم بعضها عن بعض ويالف بعضها بعضا كما ان جنس
الانس يالف بعضهم بعضا ويفهم بعضهم عن بعض وقيل امثالكم في طلب الرزق
وتوقي المهالك ومعرفة الذكر والانثى وقيل امثالكم في الخلق والموت والبعث
بعد الموت للحساب حتى يقتص للجما من القرنا وهو قوله ما فرطنا في الكتاب

من شي يعني في اللوح المحفوظ لانه يشتمل على جميع احوال المخلوقات وقيل ان المراد بالكتاب
القران يعني ان القران مشتمل على جميع الاحوال ثم الى ربهم يحشرون يعني الدواب والطير
قال ابن عباس حشرها موتها وقال ابو هريرة يحشر الله الخلق كلهم يوم القيامة البهائم
والدواب والطير وكل شي فيأخذ للجماء من القرناء ثم يقول كوني ترابا عن ابي هريرة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لتؤدن الحقوق الى اهلها يوم القيامة حتى يقاد
للشاة الجلحاء من الشاة القرناء قوله عز وجل والذين كذبوا باياتنا يعني بالقران وبمحمد
صلى الله عليه وسلم وقيل كذبوا بحجج الله وادلته على توحيده صم يعني لسماع الحق وبكم
يعني عن النطق به والمعنى انهم في حال كفرهم وتكذيبهم كمن لا يسمع ولا يتكلم ولهذا
شبه الكفار بالموتى لان الميت لا يسمع ولا يتكلم في الظلمات يعني في ظلمة الكفر حائرين
مترددين فيها لا يهتدون سبيلا من يشا الله يضلله يعني عن الايمان ومن يشا
يجعله على صراط مستقيم يعني ومن يشا الله جعله على دين الاسلام وفي هذا دليل على ان
الهادي والمضل هو الله تعالى فمن احب هدايته وفقه بفضله واحسانه للايمان به
ومن احب ضلالته تركه على كفره وذلك عدل منه لانه تعالى هو الفاعل المختار لا يسئل
عما يفعل وهم يسئلون قوله تعالى قل ارايتكم يعني قل يا محمد لهؤلاء الكفار الذين تركوا
عبادة الله عز وجل وعبدوا غيره من الاصنام اخبروني تقول العرب ارايتك يعني اخبرني
واصله ارايتم والكاف فيه للتاكيد ان اتاكم عذاب الله يعني قبل الموت مثل ما نزل بالامم الماضية
الكافرة من الغرق والخسف والمسخ والصواعق ونحو ذلك من العذاب او اتتكم الساعة
يعني القيامة اغير الله تدعون يعني في كشف العذاب عنكم ان كنتم صادقين يعني في دعواكم
ومعنى الاية ان الكفار كانوا اذا نزل بهم شدة وبلا رجعوا الى الله تعالى بالتضرع والدعا وتركوا
الاصنام فقيل لهم اترجعون الى الله في حال الشدة والبلا ولا تعبدونه ولا تطيعونه في
حال اليسر والرخا بل اياه تدعون يعني بل تدعون الله ولا تدعون غيره في كشف
ما نزل بكم فيكشف ما تدعون اليه ان شا يعني فيكشف الضر الذي من اجله دعوتموه
وانما قيد الاجابة بالمشية رعاية للمصلحة وان كانت الامور كلها بمشية الله تعالى وتنسون
ما تشركون يعني وتتركون دعا الاصنام التي تعبدونها فلا تدعونها لعلمكم انها لا تضر
ولا تنفع وقيل معناه انكم في ترككم دعا الاصنام بمنزلة من قد نسيها وهذا معنى قول الحسن
لانه قال وتعرضون عنها اعراض الناسي لها قوله تعالى ولقد ارسلنا الى امم من قبلك
في الاية محذوف والتقدير ولقد ارسلنا الى امم من قبلك يا محمد رسلا فخالفوهم
وكفروا وحسن هذا الحذف لكونه معلوما عند السامع فاخذناهم بالباساء يعني بالفقر
الشديد واصله من البوس وهو الشدة والمكروه وقيل الباسا شدة الجوع والضرا
يعني الامراض والاوجاع والزمانة لعلهم يتضرعون يعني يخضعون ويتذللون
والتضرع التخشع والتذلل والانقياد وترك التمرد واصله من الضراعة وهي

الذلة ومقصود

الذلة ومقصود الاية ان الله تعالى اعلم نبيه صلى الله عليه وسلم انه قد ارسل من قبله
رسلا الى اقوام بلغوا في القسوة الى ان اخذوا بالباسا والضرا وهي الشدة في النفس
والمال فلم يخضعوا ولم يتضرعوا ففيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم فلولا يعني فهلا اذ
جاءهم باسنا تضرعوا معناه نفي التضرع اي فلم يتضرعوا ولكن قست قلوبهم يعني
ولكن غلظت قلوبهم فلم تتضرع ولم تخشع بل اقاموا على كفرهم وتكذيبهم رسلهم
وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون يعني من الكفر والتكذيب وتزيين الشيطان
اغواؤه بما في المعصية من اللذة قال ابن عباس يريد زين الشيطان الضلالة التي
كانوا عليها فاصروا على معاصي الله عز وجل فلما نسوا ما ذكروا به اي تركوا ما وعظوا
به وقيل تركوا العمل بما امرهم به الرسل وانما كان النسيان بمعنى الترك لان التارك
للشي معرضا عنه كانه قد صيره بمنزلة ما قد نسي فتحنا عليهم ابواب كل شي يعني
بدلنا مكان الباس الرخا والسعة في الرزق والعيش ومكان الضر الصحة
والسلامة في الابدان والاجسام وذلك استدراج منه لهم وقيل فتحنا عليهم ابواب
كل شي من الخير كان مغلقا عنهم حتى اذا فرحوا بما اوتوا يعني فرحوا بما اوتوا من
السعة والرخا والصحة في الابدان والمعيشة وظنوا ان ما كان نزل بهم من الشدة
لم يكن انتقاما من الله تعالى وانهم لما فتح عليهم ما فتح من الخير والسعة فرحوا به
وظنوا ان ذلك باستحقاقهم وهذا فرح بطر كما فرح قارون بما اوتي من الدنيا
اخذناهم بغتة يعني جاءهم عذابنا فجاة من حيث لا يشعرون قال الحسن مكر بالقوم
ورب الكعبة وقال اهل المعاني انما اخذوا في حال الرخا والسلامة والعافية
والتصرف في ضروب اللذة فاخذهم في امن ما كانوا واعجب ما كانت الدنيا
اليهم فاذا هم مبلسون اي ايسون من كل خير وقال الفرا المبلس اليايس المنقطع
رجاؤه ولذلك يقال لمن يسكت عند انقطاع حجته ولا يكون له جواب قد ابلس
وقال الزجاج المبلس الشديد الحزن والحسرة وقال ابو عبيد اليايس النادم
الحزين والابلاس هو الاطراق من الحزن والندم روي عن عقبة بن عامر ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال اذا رايت الله يعطي العبد ما يحب وهو مقيم على معصيته
فانما ذلك استدراج ثم تلى فلما نسوا ما ذكروا به الاية ذكره البغوي بغير سند
واسنده الطبري وقوله تعالى فقطع دابر القوم الذين ظلموا يعني اخرهم الذين
يدبرهم يقال دبر فلان القوم اذا كان اخرهم والمعنى انهم استوصلوا بالعذاب
فلم يبق منهم باقية والحمد لله رب العالمين قال الزجاج حمد الله نفسه على
ان قطع دابرهم واستاصل شافتهم ومعنى هذا ان قطع دابرهم نعمة انعم الله بها على
الرسل الذين ارسلوا اليهم فكذبوهم فذكر الحمد تعليم للرسل ولمن امن بهم ان يحمدوا
الله على كفايته اياهم شر الذين ظلموا وليحمد محمد واصحابه ربهم اذا اهلك

المشركين المكذبين وقيل معناه الثنا الكامل والشكر الدايم لله رب العالمين على
انعامه على رسله واهل طاعته باظهار حججهم على من خالفهم واهلاك اعدايهم واستيصالهم
بالعذاب قوله تعالى قل ارايتم اى قل يا محمد لهولا المشركين ان اخذ الله سمعكم يعنى الذى
تسمعون به فاصمكم حتى لا تسمعوا شيا وابصاركم يعنى واخذ ابصاركم التى تبصرون
بها فاعماكم حتى لا تبصروا شيا اصلا وختم على قلوبكم حتى لا تفقهوا شيا اصلا ولا تعرفوا
شيا من امور الدنيا وانما ذكر هذه الاعضا الثلاثة لانها اشرف اعضا الانسان فاذا تعطلت
هذه الاعضا اختل نظام الانسان وفسد امره وبطلت مصالحه فى الدين والدنيا ومقصود
هذا الكلام ذكر ما يدل على وجود الصانع الحكيم المختار وتقديره انه القادر على ايجاد
هذه الاعضا واخذها هو الله المستحق للعبادة لا الاصنام التى تعبدونها وهو قوله
تعالى من اله غير الله ياتيكم به يعنى باتيكم بما اخذ منهم منكم لان الضمير فى به يعود على معنى
الفعل ويجوز ان يعود على السمع الذى ذكر اولا ويندرج تحته غيره انظر الخطاب للنبى صلى
الله عليه وسلم ويدخل معه غيره النظر اى انظر يا محمد كيف نصرف الايات يعنى كيف نبين
لهم العلامات الدالة على التوحيد والنبوة ثم هم يصدفون يعنى يعرضون عنها مكذبين لها
قل ارايتم ان اتاكم عذاب الله بغتة يعنى فجاة او جهرة يعنى معاينة ترونه عند نزوله
قال ابن عباس ليلا او نهارا هل يهلك الا القوم الظالمون يعنى المشركون لانهم ظلموا
انفسهم بالشرك قوله عز وجل وما نرسل المرسلين الا مبشرين يعنى لمن بالثواب ومنذرين
يعنى لمن اقام على كفره بالعقاب والمعنى ليس فى ارسالهم ان ياتوا الناس بما يقترحون
عليهم من الايات انما ارسلوا بالبشارة والنذارة فمن امن واصلح يعنى امن بهم واصلح العمل
لله فلا خوف عليهم يعنى حين يخاف اهل النار ولا هم يحزنون اذا حزن غيرهم والذين
كذبوا باياتنا يمسهم العذاب يعنى يصيبهم العذاب بما كانوا يفسقون يعنى بسبب ما
كانوا يكفرون ويخرجون عن الطاعة قوله تعالى قل لا اقول لكم الخطاب للنبى صلى الله عليه
وسلم قل يا محمد لهولا المشركين لا اقول لكم عندى خزاين الله نزلت حين اقترحوا عليه
الايات فامره الله تعالى ان يقول لهم انما بعثت بشيرا ونذيرا ولا اقول لكم عندى خزاين
الله جمع خزانة وهى اسم للمكان الذى يخزن فيه الشى وخزن الشى احرازه بحيث لا تناله
الايدى والمعنى ليس عندى خزاين رزق فاعطيكم منها ما تريدون لانهم كانوا يقولون
للنبى صلى الله عليه وسلم ان كنت رسولا من الله فاطلب منه ان يوسع علينا عيشنا
ويغنى فقرنا فاخبر ان ذلك بيد الله تعالى لا بيدى ولا اعلم الغيب يعنى فاخبركم بما مضى
وبما سيقع فى المستقبل وذلك انهم قالوا له اخبرنا بمصالحنا ومضارنا فى المستقبل
حتى نستعد بتحصيل المصالح ودفع المضار فاجابهم بقوله ولا اعلم الغيب فاخبركم
بما تريدون ولا اقول لكم انى ملك وذلك لانهم قالوا ما لهذا الرسول ياكل الطعام
ويمشى فى الاسواق ويتزوج النسا فاجابهم بقوله ولا اقول لكم انى ملك لان

الملك لقدير

الملك يقدر على ما لا يقدر عليه البشر ويشاهد ما لا يشاهدون فلست اقول شيا من
ذلك ولا ادعيه فتنكرون قولى وتجحدون امرى وانما نفى عن نفسه الشريفة هذه
الاشيا تواضعا لله تعالى والاعتراف له بالعبودية وان لا يقترحوا عليه الايات
العظام ان اتبع الا ما يوحى الى يعنى ما اخبركم الا بوحى من الله انزله على ومعنى الاية
ان النبى صلى الله عليه وسلم اعلمهم انه لا يملك خزاين الله التى منها يرزق ويعطى
وانه لا يعلم الغيب فيخبر بما كان وما سيكون وانه ليس بملك حتى يطلع على
ما لا يطلع عليه البشر انما يتبع ما يوحى اليه من ربه عز وجل فما اخبر عنه من غيب
يوحى الله اليه وظاهر الاية يدل على ان الرسول صلى الله عليه وسلم ما كان
يجتهد فى شى من الاحكام بل جميع اوامره ونواهيه انما كانت بوحى من الله اليه
قل هل يستوى الاعمى والبصير يعنى المومن والكافر والضال والمهتدى والعالم
والجاهل افلا تتفكرون يعنى انهما لا يستويان قوله عز وجل وانذر به يعنى
وخوف بالقران والانذار اعلام مع تخويف الذين يخافون ان يحشروا الى
ربهم قال ابن عباس يريد المومنين لانهم يخافون يوم القيامة وما فيه من
شدة الاهوال وقيل معنى يخافون يعلمون والمراد بهم كل معترف بالبعث من
مسلم وكتابى وانما خص الذين يخافون الحشر بالذكر دون غيرهم وان كان انذاره
صلى الله عليه وسلم لجميع الخلايق لان الحجة عليهم اكد من غيرهم لاعترافهم بصحة المعاد
والحشر وقيل المراد بهم الكفار لانهم لا يعتقدون صحته وبذلك قال يخافون
ان يحشروا الى ربهم وقيل المراد بالانذار جميع الخلق فيدخل فيه كل مومن
معترف بالحشر وكل كافر منكر له لانه ليس احد الا وهو يخاف الحشر سوا
اعتقد وقوعه او كان شك فيه ولان دعوة النبى صلى الله عليه وسلم وانذاره
لجميع الخلق ليس لهم من دونه يعنى من دون الله ولى اى قريب ينفعهم ولا شفيع
يعنى يشفع لهم وهذا فيه اشكال وهو ان فسرنا الذين يخافون ان يحشروا الى
ربهم ان المراد بهم الكفار فلا اشكال فيه لقوله تعالى ما للظالمين من حميم ولا شفيع
يطاع وان فسرنا الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم المومنين ففيه الاشكال
لانه قد ثبت بصحيح النقل شفاعة نبينا صلى الله عليه وسلم بالمومنين من امته
وكذلك يشفع الملايكة والانبيا والمومنون بعضهم لبعض والجواب عن هذا
الاشكال ان الشفاعة لا تكون الا باذن الله لقوله عز وجل من ذا الذى يشفع
عنده الا باذنه واذا كانت الشفاعة باذن الله صح قوله ليس لهم من دون
الله ولى ولا شفيع يعنى حتى ياذن لهم فى الشفاعة فاذا اذن فيها كان
للمومنين ولى وشفيع لعلهم يتقون يعنى ما نهيتهم عنه قوله تعالى ولا تطرد
الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه قال سلمان وخباب

ابن الارث فينا نزلت هذه الاية جا الاقرع بن حابس التميمي وعيينة بن حصن الفزاري
وهما من المولفة قلوبهم فوجدوا النبي صلى الله عليه وسلم قاعدا مع صهيب وبلال
وعمار وخباب في نفر من ضعفا المومنين فلما راوهم حوله حقروهم فاتوه فقالوا
يا رسول الله لو جلست في صدر المسجد ونفيت عنا هولا وارواح جبابهم وكان
عليهم جباب صوف لها رائحة ليس عليهم غيرها لجالسناك واخذنا عنك فقال النبي
صلى الله عليه وسلم ما انا بطارد المومنين قالوا فانا نحب ان تجعل لنا منك مجلسا
تعرف به العرب فضلنا فان وفود العرب تاتيك فنستحي ان ترانا العرب مع
هولا الاعبد فاذا نحن جيناك فاقمهم عنا فاذا نحن فرغنا فاقعدهم ان شئت
قال نعم قالوا فاكتب لنا عليك بذلك كتابا قال فاتى بالصحيفة ودعا عليا
ليكتب قال ونحن قعود في ناحية اذ نزل جبريل عليه السلام بقوله ولا تطرد
الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي الى قوله أليس الله باعلم بالشاكرين
فالقى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصحيفة من يده ثم دعانا فاتيناه وهو
يقول سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة فكنا نقعد معه فاذا اراد ان يقوم
قام وتركنا فانزل الله تبارك وتعالى واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة
والعشي الاية فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقعد معنا بعد ذلك وندنوا
منه حتى كادت ركبنا تمس ركبته فاذا بلغ الساعة التي يريد ان يقوم فيها
قمنا وتركناه حتى يقوم وقال لنا الحمد لله الذي لم يمتني حتى امرني ان اصبر نفسي
مع قوم من امتي معكم المحيا ومعكم الممات وروى عن سعد بن ابي وقاص قال
كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم ستة نفر فقال المشركون للنبي صلى الله عليه وسلم اطرد
هولا لا يجترون علينا قال وكنت انا وابن مسعود ورجل من هذيل وبلال و
رجلان لست اسميهما فوقع في نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم ما شا الله
ان يقع فحدث نفسه فانزل الله عز وجل ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة
والعشي يريدون وجهه اخرجه مسلم وقال الكلبي قالوا له يعني اشراف قريش اجعل
لنا يوما ولهم يوم قال لا افعل قالوا فاجعل المجلس واحدا واقبل علينا وول
ظهرك اليهم فانزل الله تعالى هذه الاية وقال ابن مسعود مر ملأ من قريش بالنبي صلى
الله عليه وسلم وعنده صهيب وعمار وبلال وخباب ونحوهم من ضعفا المسلمين
فقالوا يا محمد رضيت بهولا بدلا من قومك اهولا الذين من الله عليهم من بيننا
انحن نكون تبعا لهولا اطردهم فلعلك ان طردتهم ان نتبعك فنزلت
هذه الاية قال عكرمة جا عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة ومطعم بن عدي
والحارث بن نوفل في اشراف بني عبد مناف من اهل الكفر الى ابي طالب
عم النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا يا ابا طالب لو ان ابن اخيك محمد الطرد عنه

موالينا

موالينا وخلفانا فانما هم عبيدنا وعسفاونا كان اعظم في صدورنا واطوع له عندنا و
ادنى لاتباعنا اياه وتصديقنا له فاتى ابو طالب النبي صلى الله عليه وسلم فحدثه بالذي كلموه
به فقال عمر بن الخطاب لو فعلت ذلك حتى ننظر ما الذي يريدون والى ما يصيرون من قولهم
فانزل الله عز وجل هذه الاية وانذر به الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم الى قوله أليس
الله باعلم بالشاكرين فجا عمر فاعتذر من مقالته قلت بين هذه الروايات والرواية الاولى
التي عن سلمان وخباب ابن الارت فرق كثير وبعد عظيم وهو اسلام سلمان بالمدينة وكان
اسلام المولفة قلوبهم بعد الفتح وسورة الانعام مكية والصحيح ما روي عن ابن مسعود
والكلبي وعكرمة في ذلك ويعضده حديث سعد بن ابي وقاص المخزومي وصحيح مسلم
من ان المشركين قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم اطرد هولا يعني ضعفا المسلمين والله اعلم
وان معنى الاية فقوله ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي الخطاب فيه للنبي صلى
الله عليه وسلم يعني لا تطرد هولا الضعفا منك ولا تبعدهم من مجلسك لاجل ضعفهم وفقرهم
ثم وصفهم فقال تعالى الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي قال ابن عباس يعني يعبدون
ربهم بالغداة والعشي يعني صلاة الصبح وصلاة العصر ويروى عنه ان المراد منه الصلوات
الخمس وانما ذكر هذين الوقتين تنبيها على شرفهما ولانهم مواظبين عليهما مع بقية الصلوات
ولان الصلاة تشتمل على القراة والدعا والذكر فعبر بالدعا عن الصلاة لهذا المعنى
قال مجاهد صليت الصبح مع سعيد بن المسيب فلما سلم الامام ابتدر الناس القيام
فقال سعيد ما اسرع الناس الى هذا المجلس قال مجاهد فقلت يتاولون قوله تعالى يدعون
ربهم بالغداة والعشي قال ارى هذا هو انما ذلك في الصلاة التي انصرفنا عنها الان وقال
ابن عباس ان ناسا من الفقرا كانوا مع النبي صلى الله عليه وسلم فقال ناس من اشراف
الناس لو من لك واذا صلينا فاخر هولا الذين معك فليصلوا خلفنا وقيل المراد منه
حقيقة الدعا والذكر والمعنى انهم كانوا يذكرون ربهم ويدعونه طرفي النهار يريدون
وجهه يعني يطلبون بعبادتهم وطاعتهم وجه الله مخلصين في عبادتهم له قال ابن عباس
يطلبون ثواب الله تعالى ما عليك من حسابهم من شي وما من حسابك عليهم من شي يعني
لا تكلف امرهم ولا يكلفون امرك وقيل ليس عليك حساب رزقهم فتملهم فتطردهم عنك
ولا رزقك عليهم انما الرازق لجميع الخلق هو الله تعالى فلا تطردهم عنك فتكون من الظالمين
يعني تطردهم عنك وعن مجلسك فقوله فتطردهم جواب النفي وهو قوله ما عليك من
حسابهم من شي وقوله فتكون من الظالمين جواب النهي وهو قوله ولا تطرد الذين يدعون
ربهم واحتج الطاعنون في عصمة الانبيا عليهم السلام بهذه الاية فقال ان النبي صلى الله
عليه وسلم هم بطرد الفقرا عن مجلسه لاجل الاشراف فعاتبه الله على ذلك ونهاه عن
طردهم وذلك يقدح في العصمة وقوله فتطردهم فتكون من الظالمين فالجواب
على هذا الاحتجاج ان النبي صلى الله عليه وسلم ما طردهم ولا هم بطردهم لاجل الاستخفاف

بهم ولا الاستنكاف من فقرهم وانما كان هذا الهم لمصلحة وهي التلطف بها ولا الاشراف
في ادخالهم الاسلام فكان ترجيح هذا الجانب اولى وهو اجتهاد منه فاعلمه الله تعالى
ان ادنى هولا الفقرا اولى من الهم بطردهم فقربهم منه وادناهم واما قوله فتطردهم
فتكون من الظالمين ان الظلم في اللغة وضع الشي في غير موضعه فيكون المعنى ان اولئك
الفقرا الضعفا يستحقون التعظيم والتقريب فلا تهتم بطردهم عنك فتضع الشي في غير
موضعه فهو من باب ترك الافضل والاولى من باب ترك الواجبات والله اعلم قوله تعالى
وكذلك جعلنا بعضهم لبعض يعني وكذلك ابتلينا الغني بالفقير والفقير بالغني والشريف
بالوضيع والوضيع بالشريف فكل احد مبتلى بضده فكان ابتلا الاغنيا الشرفا حسدهم
لفقرا الصحابة على كونهم سبقوهم الى الاسلام وتقدموا عليهم فامتنعوا من الدخول في
الاسلام لذلك فكان ذلك فتنة لهم ليقولوا يعني الاغنيا والشرفا والروسا اهولاء
من الله عليهم من بيننا يعني من على الفقرا والضعفا بالاسلام متابعة الرسول وهذا
اعتراض من الكفار على الله تعالى فاجابهم بقوله اليس الله باعلم بالشاكرين يعني انه تعالى
اعلم بخلقه وباحوالهم واعلم بالشاكرين من الكافرين قوله تعالى واذا جاءك الذين
يومنون باياتنا فقل سلام عليكم قال عكرمة نزلت في الذين نهى الله نبيه صلى الله عليه
وسلم عن طردهم فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا راهم بداهم بالسلام وقال عطا
نزلت في ابي بكر الصديق وعمر وعثمان وعلي وبلال وسالم بن عبيدة ومصعب بن
عمير وحمزة وجعفر وعثمان ابن مظعون وعمار بن ياسر والارقم ابن ابي الارقم
وابي سلمة بن عبد الاسد وجعفر وقيل الاية على اطلاقها في كل مومن وقيل لما جا
عمر بن الخطاب واعتذر من مقالته التي تقدمت في رواية عكرمة وقال ما اردت الا الخير
نزلت واذا جاءك الذين يومنون باياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم يعني فرض ربكم
على نفسه الرحمة وهذا يفيد الوجوب وسبب هذا انه سبحانه وتعالى يتصرف في عباده
كيف شا واراد فاوجب على نفسه الرحمة على سبيل الفضل والكرم لانه اكرم الاكرمين
وارحم الراحمين انه من عمل منكم سوءا بجهالة قال مجاهد كل من عمل ذنبا وخطيئة فهو
بها جاهل واختلفوا في سبب هذا الجهل فقيل لانه جاهل بمقدار ما استحقه من العقاب
وما فاته من الثواب وقيل انه اذا علم ان عاقبة ذلك السوء والفعل القبيح مذمومة
الا انه اثر اللذة العاجلة على الخير الكثير ومن اثر القليل على الكثير فهو جاهل وقيل
انه لما فعل فعل الجهال نسب الى الجهل وان لم يكن جاهلا ثم تاب من بعده يعني من بعد
ارتكابه ذلك السوء ورجع عنه واصلح يعني اصلح العمل في المستقبل وقيل اخلص توبته
وندم على فعله فانه غفور يعني لمن تاب من ذنوبه رحيم لعباده قال خالد بن دينار
كنا اذا دخلنا على ابي العالية قال واذا جاءك الذين يومنون باياتنا فقل سلام
عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة الاية وعن ابي سعيد الخدري قال جلست في عصابة

من ضعفا

من ضعفا المهاجرين وان بعضهم ليستتر ببعض من العري وقارئ يقرا علينا اذ جا رسول
الله صلى الله عليه وسلم سكت القاري فقام علينا فلما قام رسول الله صلى الله
عليه وسلم ثم قال ما كنتم تصنعون قلنا يا رسول الله كان قارئ لنا يقرا علينا
وكنا نستمع الى كتاب الله عز وجل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله الذي
جعل من امتي من امرت ان اصبر نفسي معهم وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وسطنا
ليعدل بنفسه فينا ثم قال بيده هكذا فتحلقوا وبرزت وجوههم قال فما رايت
رسول الله صلى الله عليه وسلم عرف منهم احدا غيري ثم قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ابشروا يا معشر صعاليك المهاجرين بالنور التام يوم القيامة تدخلون
الجنة قبل الاغنيا بنصف يوم وذلك خمسمائة عام اخرجه ابو داود قوله عز وجل
وكذلك نفصل الايات يعني وكما فصلنا لك يا محمد في هذه السورة دلايلنا على
صحة التوحيد وابطال ما هم عليه من الشرك كذلك نميز ونبين لك ادلتنا وحججنا و
براهيننا في تقرير كل حق ينكره اهل الباطل ولتستبين قرئ بالتاء على خطاب النبي صلى
الله عليه وسلم يعني ولتظهر لك الحق يا محمد وتستبين سبيل المجرمين يعني طريق هولاء
المجرمين وقرئ بالياء على الغيبة ومعناه وليظهر ويتضح سبيل المجرمين يوم القيامة
اذ صاروا الى النار قوله تعالى قل اني قل يا محمد لهولا المشركين اني نهيت ان اعبد
الذين تدعون من دون الله يعني نهيت ان اعبد الاصنام التي تعبدونها انتم
من دون الله وقيل تدعونها عند شدايدكم من دون الله لان الجماد احسن من
ان تعبدوا وتدعوا وانما كانوا يعبدونها على سبيل الهوى وهو قوله قل لا اتبع
اهواكم يعني في عبادة الاصنام وطرد الفقرا قد ضللت اذا يعني ان عبدتها وما
انا من المهتدين يعني لو عبدتها قل اني يعني قل يا محمد لهولا المشركين اني على بينة
من ربي قال ابن عباس يعني على يقين من ربي وقيل البينة الدلالة التي
تفصل بين الحق والباطل والمعنى اني على بصيرة على عبادة ربي وكذبتم به
يعني وكذبتم بالبينات التي جيت بها من عند ربي وهو القران والمعجزات الباهرات
والبراهين الواضحات التي تدل على صحة التوحيد وفساد الشرك ما عندي ما تستعجلون
به يعني من العذاب وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يخوفهم بنزول العذاب
عليهم وكانوا يستعجلون به استهزا وكانوا يقولون ايتنا بما تعدنا يعني من نزول
العذاب فامر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم ان يقول لهم ما عندي ما تستعجلون
به لان انزال العذاب لا يقدر عليه الا الله ولا يقدر احد على تقديمه ولا تاخيره
وقيل كانوا يستعجلون بالايات التي طلبوها واقترحوها فاعلم الله ان ذلك عنده
ليس عند احد من خلقه وقيل كانوا يستعجلون بقيام الساعة ومنه قوله يستعجل
بها الذين لا يومنون بها ان الحكم الا لله يعني الحكم الذي يفصل بين الحق والباطل

بيان حم

والثواب للطائع والعقاب للعاصي اي ما الحكم المطلق الا لله ليس معه حكم فهو يفصل
بين المختلفين ويقضي بانزال العذاب ان شاء يقص الحق قرئ بالصاد المهملة
ومعناه يقول الحق لان كل ما اخبر به فهو حق وقرئ يقض بالضاد المعجمة من القضا
يعني انه تعالى يقضي القضا الحق وهو خير الفاصلين يعني وهو خير من بين وفصل وميز
بين المحق والمبطل لانه لا يقع في حكمه وقضائه جور ولا حيف على احد من خلقه
قل لو ان عندي ما تستعجلون به يعني من انزال العذاب والاستعجال المطالبة بالشي
قبل وقته فلذلك كانت العجلة مذمومة والاسراع تقديم الشي في وقته فلذلك
كانت السرعة محمودة والمعنى قل يا محمد لهولاء المشركين المستعجلين لنزول العذاب لو ان
عندي ما تستعجلون به لما امهلتكم ساعة ولكن الله حليم لا يستعجل بالعقوبة وقوله تعالى
لقضي الامر بيني وبينكم يعني لانفصل ما بيني وبينكم ولاتيتكم بما تستعجلون به من
العذاب والله اعلم بالظالمين يعني انه عالم بما يستحقونه من العذاب والوقت الذي
يستحقونه فيه وقيل علم انه سيؤمن بعض من كان يستعجل بالعذاب فلذلك اخره عنهم
وقال والله اعلم بالظالمين وما حوالهم قوله عز وجل وعنده مفاتح الغيب المفتاح
الذي يفتح به الغلاق جمعه مفاتيح ويقال فيه مفتح بكسر الميم وجمعه مفاتح والمفتح بفتح
الميم الخزانة وكل خزانة كانت لصنف من الاشيا فهي مفتح وجمعه مفاتح فقوله وعنده
مفاتح الغيب يحتمل ان يكون المراد منه المفاتيح التي يفتح بها ويحتمل ان يكون المراد
منه الخزاين فعلى التفسير الاول فقد جعل للغيب مفاتيح على سبيل الاستعارة لان
المفاتيح هي التي يتوصل بها الى ما في الخزاين المستوثق منها بالاغلاق فمن علم كيف
يفتح بها ويتوصل الى ما فيها فهو عالم وكذلك هاهنا ان الله تعالى لما كان عالما بجميع المعلومات
ما غاب منها وما لم يغب عبر عن هذا المعنى بهذه العبارة وعلى التفسير الثاني يكون
المعنى وعنده خزاين الغيب والمراد منه القدرة الكاملة على كل الممكنات ثم اختلف
اقوال المفسرين في قوله وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو فقيل مفاتح الغيب
خمس وهي ما روي عن عبد الله بن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مفاتح
الغيب خمس لا يعلمها الا الله لا يعلم احد ما يكون في غد الا الله ولا يعلم احد ما
يكون في الارحام الا الله ولا تعلم نفس ماذا تكسب غدا ولا تدري نفس باي
ارض تموت ولا يدري احد متى يجي المطر وفي رواية اخرى ولا يعلم ما تغيض
الارحام الا الله ولا يعلم ما في غد الا الله ولا يعلم متى ياتي المطر احد الا الله ولا
تدري نفس باي ارض تموت الا الله ولا يعلم متى الساعة الا الله اخرجه البخاري
وقال الضحاك ومقاتل مفاتح الغيب خزاين الارض وعلم نزول العذاب وقال
عطا هو ما غاب عنكم من الثواب والعقاب وقيل هو انقضا الاجال وعلم
احوال العباد من السعادة والشقاوة وخواتيم اعمالهم وقيل هو علم ما لم يكن

بعد ان يكون ام لا يكون كيف يكون وما لا يكون ان لو كان كيف يكون وقال ابن
مسعود اوتي نبيكم صلى الله عليه وسلم علم كل شي الا مفاتح الغيب وقال ابن عباس انها
خزاين غيب السموات والارض من الاقدار والارزاق ويعلم ما في البر والبحر قال مجاهد
البر المفاوز والقفار والبحر القرى والامصار لا يحدث فيهما شي الا وهو يعلمه وقال
جمهور المفسرين هو البر والبحر المعروف لان جميع الارض اما بر واما بحر وفي كل
واحد منهما من عجايب مصنوعاته وغرايب مبتدعاته ما يدل على عظيم قدرته و
سعة علمه وما تسقط من ورقة الا يعلمها يريد ساقطة وثابتة والمعنى انه يعلم
عدد ما يسقط من الورق وما يبقى على الشجر من ذلك ويعلم كم انقلبت ظهرا لبطن
الى ان تسقط على الارض ولا حبة في ظلمات الارض قيل هو الحب المعروف يكون
في بطون الارض قبل ان ينبت وقيل هي الحبة التي في الصخرة التي في اسفل الارضين
ولا رطب ولا يابس قال ابن عباس الرطب الما واليابس البادية وقال عطا
يريد ما ينبت وما لا ينبت وقيل المراد بالرطب الحي واليابس الميت وقيل هو
عبارة عن كل شي لان جميع الاشيا اما رطبة او يابسة فان قلت ان جميع هذه الاشيا
داخلة تحت قوله وعنده مفاتح الغيب فلم افرد هذه الاشيا بالذكر وما فايدة ذلك
قلت لما قال تعالى وعنده مفاتح الغيب على سبيل الاجمال ذكر من بعض ذلك الاجمال
ما يدل على التفصيل فذكر هذه الاشيا المحسوسة ليدل بها على غيرها فقدم ذكر
البر والبحر لما فيهما من العجايب والغرايب من المدن والقرى والمفاوز والجبال
وكثرة ما فيهما من المعادن والحيوان واصناف المخلوقات مما يعجز الوصف عن ادراكها
ثم ذكر بعد ذلك ما هو اقل من ذلك وهو مشاهد لكل احد لان الورقة الساقطة
والثابتة يراها كل احد لكن لا يعلم عددها وكيفية خلقها الا الله تعالى ثم ذكر بعد ذلك ما هو
اصغر من الورقة وهو الحبة ثم ذكر بعد ذلك مثالا يجمع الكل وهو الرطب واليابس
فذكر هذه الاشيا وانه لا يخرج شي منها من علمه سبحانه وتعالى فصارت هذه الامثال
منبهة على عظمة وقدرة عالية وعلم واسع فسبحان العليم الخبير قوله تعالى الا في كتاب
مبين فيه قولان احدهما ان الكتاب المبين هو علم الله الذي لا يغير ولا يبدل والثاني
ان المراد بالكتاب المبين هو اللوح لان الله كتب فيه علم ما يكون وما قد كان قبل
ان يخلق السموات والارض وفايدة احصا هذه الاشيا كلها في هذا الباب لتقف
الملايكة على انفاذ علمه وانه ينبه بذلك على تعظيم الحساب واعلم عباده انه لا يفوته شي مما
يصنعون لان من اثبت ما لا ثواب فيه ولا عقاب في كتاب فهو الى اثبات ما فيه
ثواب وعقاب اسرع قوله تعالى وهو الذي يتوفاكم بالليل يعني يقبض ارواحكم
اذا نمتم بالليل ويعلم ما جرحتم ما كسبتم بالنهار ثم يبعثكم فيه اي يوقظكم فيه اي
في النهار ليقضى اجل مسمى يعني اجل الحياة الى الممات يريد استيفا العمر على التمام

ثم اليه مرجعكم في الاخرة ثم ينبئكم اي يخبركم بما كنتم تعملون قوله تعالى وهو القاهر فوق
عباده يعني وهو العالي عليهم بقدرته لان كل من قهر شيئا وغلبه فهو مستعل عليه
بالقهر والقدرة فهو كما يقال امر فلان فوق امر فلان يعني انه اقدر منه واغلب
هذا مذهب اهل التاويل في معنى لفظة فوق في قوله وهو القاهر فوق عباده
واما مذهب السلف فيها فامرارها كما جاءت من غير تكييف ولا تاويل ولا اطلاق
على جهة والقاهر فوق الغالب لغيره المذلل له والله تعالى هو القاهر لخلقه فقهر
كل شي بضده فقهر الحياة بالموت والايجاد بالاعدام والغنا بالفقر والنور
بالظلمة ويرسل عليكم حفظة يعني ان من جملة قهره لعباده ارسال الحفظة عليهم
والمراد بالحفظة الملايكة الذين يحفظون اعمال بني ادم من الخير والشر والطاعة
والمعصية وغير ذلك من الاقوال والافعال قيل ان مع كل انسان ملكان ملك
عن يمينه وملك عن شماله فاذا عمل حسنة كتبها صاحب اليمين واذا عمل سيئة
قال صاحب اليمين لصاحب الشمال اصبر عليه لعله يتوب فان لم يتب منها كتبها
صاحب الشمال وفايدة جعل الملايكة موكلين بالانسان انه اذا علم ان له حافظا
من الملايكة موكلا به يحفظ عليه اقواله وافعاله في صحايف تنشر له وتقرا عليه
يوم القيامة على روس الاشهاد كان ذلك ازجر له عن فعل القبيح وترك
المعاصي وقيل المراد بقوله ويرسل عليكم حفظة هم الملايكة الذين يحفظون بني
ادم ويحفظون اجسادهم وقال قتادة حفظة يحفظون على ابن ادم رزقه واجله
وعمله حتى اذا جاء احدكم الموت توفته رسلنا يعني اعوان ملك الموت الموكلين
بقبض ارواح البشر فان قلت قال الله في اية اخرى الله يتوفى الانفس حين
موتها وقال في اية اخرى قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم وقال هنا توفته
رسلنا فكيف الجمع بين هذه الايات قلت وجه الجمع بين هذه الايات ان المتوفي
في الحقيقة هو الله تعالى فاذا حضر اجل العبد امر الله تعالى ملك الموت بقبض روحه
ولملك الموت اعوان من الملايكة فيامرهم بنزع روح ذلك العبد من جسده
فاذا وصلت الى الحلقوم تولى قبضها ملك الموت بنفسه فحصل الجمع بين
الايات وقيل المراد من قوله توفته رسلنا ملك الموت وحده وانما ذكر بلفظ الجمع
تعظيما له وقال مجاهد جعلت الارض لملك الموت مثل الطشت فيتناول من
حيث شا وجعلت له اعوان يتوفون الانفس ثم يقبضها منهم وقال ايضا ما من
اهل بيت شعر ولا مدر الا وملك الموت يطيف بهم كل يوم مرتين وقيل ان
الارواح اذا كثرت عليه يدعوها فتستجيب له وقوله وهم لا يفرطون يعني
الرسل لا يقصرون فيما امروا به ولا يضيعون قوله عز وجل ثم ردوا الى الله مولاهم
الحق يعني ثم رد العباد بالموت الى الله في الاخرة وانما قال مولاهم الحق

لانهم كانوا في الدنيا تحت ايدي موالي بباطل وهو الله مولاهم وسيدهم ومالكهم بالحق
الا له الحكم اي لا حكم الا الله وهو اسرع الحاسبين يعني انه تعالى اسرع من حسب لانه لا يحتاج
الى فكر وروية وعقد يد فيحاسب خلقه بنفسه لا يشغله حساب بعضهم عن بعض قوله تعالى
قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر يعني قل يا محمد لهولا الكفار الذين يعبدون الاصنام
من دون الله من ذا الذي ينجيكم من ظلمات البر اذا ضللتم فيه وتحيرتم واظلمت
عليكم الطرق ومن ذا الذي ينجيكم من ظلمات البحر اذا ركبتم فيه فاخطاتم الطريق
واظلمت عليكم السبل فيه وقيل ظلمات البر والبحر مجاز عما فيهما من الشدايد والاهوال وقيل
حمله على حقيقته اولى فظلمة البر هي ما اجتمع فيه من ظلمة الليل وظلمة السحاب فيحصل منه
الخوف الشديد لعدم الاهتدا الى الطريق الصواب وظلمة البحر ما اجتمع فيه من ظلمة الليل وظلمة
الرياح العاصفة والامواج الهايلة فيحصل من ذلك ايضا الخوف الشديد من الوقوع في
الهلاك فالمقصود ان عند اجتماع هذه الاشيا الموجبة للخوف الشديد لا يرجع الانسان فيها
الا الى الله سبحانه وتعالى لانه هو القادر على كشف الكروب وازالة الشدايد وهو المراد
من قوله تدعونه تضرعا وخفية يعني فاذا اشتد بكم الامر تخلصون له الدعا تضرعا منكم
اليه واستكانة جهرا وخفية يعني سرا حالا وحالا لئن انجيتنا من هذه يعني قايلين في
حال الدعا والتضرع لئن انجيتنا من هذه الظلمات وخلصتنا من الهلاك لنكونن من الشاكرين
يعني لك على هذه النعمة والشكر هو معرفة النعمة مع القيام بحقها لمن انعم بها قل الله ينجيكم
منها يعني من الظلمات والشدايد التي انتم فيها ومن كل كرب يعني وهو الذي ينجيكم من كل
كرب ايضا والكرب هو الغم الشديد الذي ياخذ بالنفس ثم انتم تشركون يريد انهم يقرون
بان الذي انجاهم من هذه الشدايد هو الله تعالى ثم انهم بعد ذلك الاقرار يشركون معه
الاصنام التي لا تضر ولا تنفع قوله عز وجل قل هو القادر على ان يبعث عليكم عذابا من
فوقكم اي قل يا محمد لقومك ان الله هو القادر على ان يبعث عليكم عذابا من فوقكم
يعني الصيحة والحجارة والريح والطوفان كما فعل بقوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط
ومن تحت ارجلكم يعني الرجفة والخسف كما فعل بقوم شعيب وقارون وقال ابن
عباس ومجاهد عذابا من فوقكم يعني ايمة السو والسلاطين الظلمة ومن تحت
ارجلكم يعني عبيد السو وقال الضحاك من فوقكم يعني من قبل كباركم او من تحت
ارجلكم يعني السفلة او يلبسكم شيعا الشيع جمع شيعة وكل قوم اجتمعوا على امر
فهم شيعة واشياع واصله من التشيع ومعنى الشيعة الذين يتبع بعضهم بعضا وقيل الشيعة
هم الذين يتقوى بهم الانسان قال الزجاج في قوله او يلبسكم شيعا يعني يخلط امركم
خلط اضطراب لا خلط اتفاق فيجعلكم فرقا مختلفين يقاتل بعضكم بعضا وهو
معنى قوله ويذيق بعضكم باس بعض وقال ابن عباس او يلبسكم شيعا يعني الاهوا
المختلفة ويذيق بعضكم باس بعض يعني انه يقتل بعضكم بيد بعض وقال مجاهد

يعني اهوا متفرقة وهو ما كان فيهم من الفتن والاختلاف وقال ابن زيد هو الذي فيه
الناس اليوم من الاختلاف والاهوا وسفك بعضهم دما بعض ثم اختلف المفسرون
فيمن عني بهذه الاية فقال قوم عني بها المسلمين من امة محمد صلى الله عليه وسلم وفيهم نزلت
هذه الاية قال ابو العالية في قوله قل هو القادر على ان يبعث عليكم عذابا من فوقكم الاية
قال هن اربع وكلهن عذاب فجا اثنان بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمس وعشرين سنة
فالبسوا شيعا واذيق بعضهم باس بعض وبقيت اثنتان فهما لابد واقعان يعني الخسف
والمسخ وعن ابي بن كعب نحوه هن اربع خلال وكلهن عذاب وكلهن واقع قبل يوم القيامة
ثم البسوا شيعا واذيق بعضهم باس بعض واثنتان واقعتان لا محالة الخسف والرجم
وقال مجاهد في قوله من فوقكم ومن تحت ارجلكم لامة محمد فاعفاهم منها او يلبسكم شيعا
ما كان فيهم من الفتن والاختلاف زاد غيره ويذيق بعضكم باس بعض يعني ما كان
فيهم من القتل بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم خ عن جابر قال لما نزلت هذه الاية قل
هو القادر على ان يبعث عليكم عذابا من فوقكم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اعوذ بوجهك
او يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم باس بعض قال هذا اهون او هذا ايسر م عن سعد بن ابي
وقاص انه اقبل مع النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم من العالية حتى اذا مر بمسجد بني معاوية دخل
فركع ركعتين وصلينا معه ودعا ربه طويلا ثم انصرف الينا فقال سالت ربي ثلاثا
فاعطاني اثنتين ومنعني واحدة سالت ربي ان لا يهلك امتي بالسنة فاعطانيها وسالت
ربي ان لا يهلك امتي بالغرق فاعطانيها وسالت ربي ان لا يجعل باسهم بينهم فمنعنيها
عن خباب بن الارت قال صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة فاطالها فقالوا يا
رسول الله صليت صلاة لم تكن تصليها قال اجل انها صلاة رغبة ورهبة اني سالت الله
فيها ثلاثا فاعطاني اثنتين ومنعني واحدة سالته ان لا يهلك امتي بسنة فاعطانيها
وسالته ان لا يسلط عليهم عدوا من غيرهم فاعطانيها وسالته ان لا يذيق بعضهم باس
بعض فمنعنيها اخرجه الترمذي وقوله تعالى انظر كيف نصرف الايات اي انظر يا محمد
كيف نبين دلائلنا وحججنا لهولا المكذبين لعلهم يفقهون يعني يفهمون ويعتبرون
فينزجروا ويرجعوا عما هم عليه من الكفر والتكذيب قوله تعالى وكذب به قومك
يعني بالقران وهو الحق يعني في كونه كتابا منزلا من عند الله وقيل الضمير في به
يرجع الى العذاب وهو الحق يعني في انه نازل بهم ان اقاموا على كفرهم وتكذيبهم
وقيل الضمير يرجع الى تصريف الايات وهو الحق لانهم كذبوا كونها من عند الله قل
لست عليكم بوكيل اي قل يا محمد لهولا المكذبين لست عليكم بحافظ حتى اجازيكم على
تكذيبكم واعراضكم عن قبول الحق بل انما انا منذر والله هو المجازي لكم على اعمالكم
وقيل معناه اني انما ادعوكم الى الله والى الايمان به وان لم اومر بحربكم فعلى هذا
القول تكون الاية منسوخة باية السيف وقيل في معنى الاية قل لست عليكم بوكيل

يعني حافظا

يعني حافظا وقيل يعني حفيظا انما اطالبكم بالظاهر من الاقرار والعمل لا بما تحويه الضمائر
والاسرار فعلى هذا تكون الاية محكمة لكل نبا مستقر اي لكل خبر من اخبار القران
حقيقة ومنتهى ينتهي اليه اما في الدنيا واما في الاخرة وقيل لكل خبر يخبر الله به وقت
ومكان يقع فيه من غير خلف ولا تاخير فكان ما وعدهم به من العذاب في الدنيا
وقع يوم بدر وسوف تعلمون يعني صحة ذلك الخبر اما في الدنيا واما في الاخرة قوله
عز وجل واذا رايت الذين يخوضون في اياتنا الخطاب فيه للنبي صلى الله عليه وسلم
والمعنى واذا رايت يا محمد هولا المشركين الذين يخوضون في اياتنا يعني القران الذي
انزلناه اليك والخوض في اللغة هو الشروع في الما والعبور فيه ويستعار في الاخذ
في الحديث والشروع فيه يقال تخاوضوا في الحديث وتفاوضوا فيه لكن اكثر ما
يستعمل الخوض في الحديث على وجه اللعب والعبث وما يذم عليه ومنه قوله وكنا
نخوض مع الخائضين وقيل الخطاب في واذا رايت لكل فرد من الناس والمعنى واذا رايت
ايها الانسان الذين يخوضون في اياتنا وذلك ان المشركين كانوا اذا جالسوا المومنين
وقعوا في الاستهزا بالقران وبمن انزله وبمن انزل عليه فنهاهم الله ان يقعدوا معهم
في وقت الاستهزا بقوله فاعرض عنهم يعني فاتركهم ولا تجالسهم حتى يخوضوا في
حديث غيره يعني حتى يكون خوضهم في غير القران والاستهزا به واما ينسينك الشيطان
يعني فقعدت معهم فلا تقعد بعد الذكرى يعني اذا ذكرت فقم عنهم ولا تقعد
مع القوم الظالمين يعني المشركين قوله تعالى وما على الذين يتقون من حسابهم
من شي قال ابن عباس لما نزلت هذه الاية واذا رايت الذين يخوضون في اياتنا
فاعرض عنهم قال المسلمون كيف نقعد في المسجد الحرام ونطوف بالبيت وهم
يخوضون ابدا وفي رواية قال المسلمون انا نخاف الاثم حين نتركهم ولا ننهاهم فانزل
الله هذه الاية وما على الذين يتقون يعني يتقون الشرك والاستهزا من حسابهم يعني
من حساب المشركين من شي يعني ليس عليهم شي من حسابهم ولا اثام ولكن ذكرى
يعني ولكن ذكروهم ذكرى وقيل معناه ولكن عليكم ان تذكروهم لعلهم يتقون يعني
لعل ذلك الذكر يمنعهم من الخوض والاستهزا فصل قال سعيد بن جبير وابن جريج
ومقاتل هذه الاية منسوخة بالاية التي في سورة النسا وهي قوله تعالى وقد نزل
عليكم في الكتاب ان اذا سمعتم ايات الله يكفر بها الاية وذهب الجمهور الى انها
محكمة لا نسخ فيها لانها خبر والخبر لا يدخله النسخ لانها انما دلت على ان كل انسان
انما يختص بحساب نفسه لا بحساب غيره وقيل انما اباح لهم القعود معهم بشرط التذكر
والموعظة فلا تكون منسوخة قوله عز وجل وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا
الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعني وذر يا محمد هولا المشركين الذين اتخذوا دينهم
لعبا ولهوا يعني اتخذوا دينهم لعبا ولهوا يعني اتخذوا دينهم الذي امروا به ودعوا

اليه وهو دين الاسلام لعبا ولهوا وذلك حيث سخروا به فاستهزوا به وقيل اسم اتخذوا
عبادة الاصنام لعبا ولهوا وقيل ان الكفار كانوا اذا سمعوا القران لعبوا ولهوا
عند سماعه وقيل ان الله جعل لكل قوم عيدا فاتخذ كل قوم دينهم يعني عيدهم لعبا ولهوا
يلعبون ويلهون فيه الا المسلمون فانهم اتخذوا عيدهم صلاة وتكبيرا وفعل الخير فيه
مثل عيد الفطر وعيد النحر ويوم الجمعة وغرتهم الحياة الدنيا يعني انهم اتخذوا دينهم لعبا
ولهوا لاجل انهم غرتهم الحياة الدنيا وغلب حبها على قلوبهم فاعرضوا عن دين الحق واتخذوا
دينهم لعبا ولهوا ومعنى الاية ذر يا محمد الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا واتركهم لا تبال
بتكذيبهم واستهزائهم وهذا يقتضي الاعراض عنهم ثم نسخ ذلك الاعراض باية السيف وهو
قول قتادة والسدي وقيل انه خرج مخرج التهديد فهو كقوله تعالى ذرني ومن خلقت
وحيدا وهذا قول مجاهد فعلى هذا تكون الاية محكمة وقيل المراد بالاعراض عنهم ترك
معاشرتهم ومخالطتهم لا ترك الانذار والتخويف ويدل عليه قوله وذكر به يعني
وذكر بالقران وعظ به هولاء المشركين ان تبسل نفس بما كسبت اي لئلا تبسل نفس
واصل البسل في اللغة التحريم وضم الشيء ومنعه وهذا عليك بسل اي حرام ممنوع فمعنى
تبسل نفس بما كسبت من الاثام وقال ابن عباس تبسل تهلك وقال قتادة تحبس يعني
في جهنم وقال الضحاك تحرق بالنار وقال ابن زيد تؤخذ يعني بما كسبت وقيل تفضح
والمعنى وذكرهم بالقران ومواعظه وعرفهم شرائع الاسلام لكيلا تهلك نفس وترتهن
في جهنم بسبب الجنايات التي اكتسبت في الدنيا وتحرم الثواب في الاخرة ليس لها يعني لتلك
النفس التي هلكت من دون الله ولي اي قريب يلي امرها ولا شفيع يعني يشفع لها
في الاخرة وان تعدل كل عدل يعني وان تفتدي بكل فداء والعدل الفداء لا يؤخذ منها
يعني ذلك العدل وتلك الفدية اولئك الذين اشارة الى الذين اتخذوا دينهم
لعبا ولهوا وغرتهم الحيوة الدنيا ابسلوا بما كسبوا يعني اسلموا الى الهلاك بسبب ما
اكتسبوا لهم شراب من حميم وعذاب اليم بما كانوا يكفرون ذلك بسبب كفرهم قوله
تعالى قل اندعوا من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا يعني قل يا محمد لهولاء المشركين الذين
دعوك الى دين ابائك اندعوا يعني انعبد من دون الله يعني الاصنام التي لا تنفع
لمن عبدها ولا تضر من ترك عبادتها ونرد على اعقابنا يعني ونرد الى الشرك بعد اذ
هدانا الله يعني الى دين الاسلام والتوحيد كالذي استهوته الشياطين في الارض يعني
كالذي ذهبت به الشياطين فالقته في هوة من الارض واصله من الهوي وهو
النزول من اعلى الى اسفل حيران يقال له حار فلان في الامر اذا تردد فيه فلم يهتد الى الطو
فيه ولا المخرج منه له اصحاب يدعونه الى الهدى يعني لهذا المتحير الذي استهوته الشياطين
على الطريق المستقيم ايتنا يعني يقولون له ايتنا وهذا مثل ضربه الله تعالى لمن يدعوا
الى عبادة الاصنام التي لا تضر ولا تنفع ولمن يدعوا الى عبادة الله عز وجل الذي

يضر وينفع يقول مثلهما كمثل رجل في رفقة ضل به الغول والشيطان عن الطريق المستقيم
فجعل اصحابه من اهل رفقته يدعونه اليهم يقولون هلم الى الطريق المستقيم وجعل
الغيلان يدعونه اليهم فبقي حيران لا يدري اين يذهب فان اجاب الغيلان ضل
وهلك وان اجاب اصحابه اهتدى وسلم قل ان هدى الله هو الهدى يعني ان طريق
الله الذي اوضحه لعباده ودينه الذي شرعه لهم هو الهدى والنور والاستقامة لا
عبادة الاصنام ففيه زجر عظيم عن عبادتها فانه يقول لا تفعل ذلك فان هدى الله
هو الهدى لا هدى غيره وامرنا لنسلم اي وامرنا ان نسلم ونخلص العبادة لرب العالمين
لانه هو الذي يستحق العبادة لا غيره وان اقيموا الصلاة واتقوه اي وامرنا باقامة
الصلاة والتقوى لان فيهما ما يقرب اليه وهو الذي اليه تحشرون يعني في يوم القيامة
فيجزيكم باعمالكم قوله عز وجل وهو الذي خلق السموات والارض بالحق يعني اظهارا
للحق فعلى هذا تكون الباء بمعنى اللام ولانه جعل صنعه دليلا على وحدانيته وقيل خلقهما
بكمال قدرته وشمول علمه واتقان صنعه وكل ذلك حق وقيل خلقهما بكلامه الحق
وهو قوله كن وفيه دليل على ان كلام الله تبارك وتعالى ليس بمخلوق لانه لا يخلق
مخلوق بمخلوق ويوم يقول كن فيكون وقيل انه راجع الى خلق السموات والمعنى اذكر
يوم قال للسموات والارض كن فيكون وقيل يرجع الى القيامة ويدل على سرعة البعث
والحساب كانه قال ويوم يقول للخلق موتوا فيموتون وقوموا للحساب فيقومون احياء
قوله الحق يعني ان قول الله تبارك وتعالى للشيء الذي اراده كن فيكون حق وصدق وهو
كائن لا محالة وله الملك يوم ينفخ في الصور انما اخبر عن ملكه يومئذ وان كان الملك له
سبحانه وتعالى خالصا في كل وقت في الدنيا والاخرة لانه لا منازع له يومئذ يدعي الملك وانه
المنفرد بالملك يومئذ وان من كان يدعي الملك بالباطل من الجبابرة والفراعنة وساير
الملوك الذين كانوا في الدنيا قد زال ملكهم واعترفوا بان الملك لله الواحد القهار وانه لا
منازع له فيه وعلموا ان الذي كانوا يدعونه من الملك في الدنيا باطل وغرور واختلف
العلماء في الصور المذكور في الاية فقال قوم هو قرن ينفخ فيه وهو لغة اهل اليمن قال
مجاهد الصور قرن كهيئة البوق ويدل على صحة هذا القول ما روي عن عبد الله بن عمرو
ابن العاص قال جاء اعرابي الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ما الصور قال قرن ينفخ فيه اخرجه
ابو داود والترمذي عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف
انتم وقد التقم صاحب القرن القرن وحنى جبهته واصغى سمعه ينتظر ان يؤمر فينفخ فكان
ذلك ثقل على اصحابه فقالوا كيف نفعل يا رسول الله او كيف نقول قال قولوا حسبنا
الله ونعم الوكيل على الله توكلنا وربما قال توكلنا على الله اخرجه الترمذي وقال ابو عبيدة
الصور جمع صورة والنفخ فيها احياؤها بنفخ الروح فيها وهذا قول الحسن ومقاتل والقول
الاول اصح لما تقدم من الحديث ولقوله تعالى في اية اخرى ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم

قيام والاجماع اهل السنة ان المراد بالصور هو القرن الذي ينفخ فيه اسرافيل نفختين نفخة الصعق
ونفخة البعث للحساب وقوله تعالى عالم الغيب والشهادة يعني انه تعالى يعلم ما غاب عن عباده وما
يشاهدونه فلا يغيب عن علمه شي وهو الحكيم يعني في جميع افعاله وتدبير خلقه الخبير يعني بكل
ما يفعلونه من خير او شر قوله تعالى واذ قال ابرهيم لابيه ازر اختلف العلماء في لفظ ازر فقال
محمد بن اسحاق والكلبي والضحاك انه اسم ابي ابراهيم وهو تارخ ضبطه بعضهم بالحاء المهملة
وبعضهم بالخاء المعجمة فعلى هذا يكون لابي ابراهيم اسمان ازر وتارخ مثل يعقوب واسرائيل
اسمان لرجل واحد فيحتمل ان يكون اسمه الاصلي ازر وتارخ لقب له وبالعكس فالله
سماه ازر وان كان عند النسابين والمورخين اسمه تارخ ليعرف بذلك وكان ازر
ابو ابراهيم من كوثى وهي قرية من سواد الكوفة وقال سليمان التيمي ازر سب وعيب
ومعناه في كلامهم المعوج وقيل الشيخ الهرم وهو بالفارسية وهذا على مذهب من يجوز ان
في القران الفاظا قليلة فارسية وقيل هو المخطى فكان ابراهيم عابه وذمه بسبب كفره
وزيغه عن الحق وقال سعيد بن المسيب ومجاهد ازر اسم صنم كان والد ابراهيم يعبده وانما
سماه بهذا الاسم لان من عبد شيا او احبه جعل اسم ذلك المعبود او المحبوب اسما له فهو كقوله
يوم ندعوا كل اناس بامامهم وقيل معناه واذ قال ابراهيم لابيه يا عابد ازر فحذف المضاف
واقيم المضاف اليه مقامه والصحيح هو الاول ان ازر اسم لابي ابراهيم لان الله تعالى سماه
به وما نقل عن النسابين والمورخين ان اسمه تارخ ففيه نظر لانهم انما نقلوه عن اصحاب
الاخبار واهل السير من اهل الكتاب ولا عبرة بنقلهم وقد اخرج البخاري في افراده من
حديث ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يلقى ابراهيم عليه السلام اباه ازر يوم
القيامة وعلى وجه ازر قترة وغبرة الحديث فسماه النبي صلى الله عليه وسلم ازر ايضا ولم
يقل اباه تارخ فثبت بهذا ان اسمه الاصلي ازر لا تارخ والله اعلم وقوله تعالى اتتخذ
اصناما الهة معناه اذكر يا محمد لقومك قول ابراهيم لابيه ازر اتتخذ اصناما الهة تعبدها
من دون الله الذي خلقك ورزقك والاصنام جمع صنم وهو التمثال الذي يتخذ من
خشب او حجارة او حديد او ذهب او فضة على صورة الانسان وهو الوثن ايضا
اني اراك وقومك في ضلال مبين يعني يقول ابراهيم لابيه ازر اني اراك وقومك
الذين يعبدون الاصنام معك ويتخذونها الهة في ضلال مبين يعني عن طريق
الحق يعني بين لمن ابصر ذلك وانه لا شك ان هذه الاصنام لا تضر ولا تنفع وهذه
الاية احتجاج على مشركي العرب باحوال ابراهيم ومحاجته لابيه وقومه لانهم كانوا
يعظمون ابراهيم صلى الله عليه وسلم ويعترفون بفضله فلا جرم ذكر الله قصة ابراهيم عليه
الصلاة والسلام مع ابيه وقومه في معرض الاحتجاج على المشركين قوله عز وجل وكذلك
نري ابراهيم ملكوت السموات والارض معناه وكما ارينا ابراهيم البصيرة في دينه
والحق في خلاف قومه وما كانوا عليه من الضلال في عبادة الاصنام نريه ملكوت

السموات

السموات والارض فلهذا السبب عبر عن هذه الروية بلفظ المستقبل في قوله وكذلك
نري ابراهيم لانه تعالى كان اراه بعين البصيرة ان اباه وقومه على غير الحق فخالفهم
فجزاه الله بان اراه بعد ذلك ملكوت السموات والارض فحسنت هذه العبارة لهذا المعنى
والملكوت الملك زيدت فيه التاء للمبالغة كالرهبوت والرغبوت والرحموت من
الرهبة والرغبة والرحمة قال ابن عباس يعني خلق السموات والارض وقال مجاهد وسعيد
ابن جبير يعني ايات السموات والارض وذلك انه اقيم على صخرة وكشف له عن السموات
حتى راى العرش والكرسي وما في السموات من العجائب وحتى راى مكانه في الجنة فذلك
قوله واتيناه اجره في الدنيا يعني اريناه مكانه في الجنة وكشف له عن الارض حتى
نظر الى اسفل الارضين وراى ما فيها من العجائب قال البغوي وروي عن سلمان
ورفعه بعضهم عن علي قال لما راى ابراهيم ملكوت السموات والارض ابصر رجلا على
فاحشة فدعا عليه فهلك ثم ابصر اخر فدعا عليه فهلك ثم ابصر اخر فاراد ان
يدعو عليه فقال له تبارك وتعالى يا ابراهيم انك رجل مجاب الدعوة فلا تدعون
على عبادي فانما انا من عبدي على ثلاث خلال اما ان يتوب الي فاتوب عليه واما ان اخرج
منه نسمة تعبدني واما ان يبعث الي فان شئت عفوت وان شئت عاقبت وفي رواية
فان تولى فان جهنم من ورائه وقال قتادة ملكوت السموات الشمس والقمر والنجوم وملكوت
الارض الجبال والشجر والبحار واختلف في هذه الروية هل كانت بعين البصر او بعين
البصيرة على قولين احدهما انها كانت بعين البصر الظاهر فشق لابراهيم السموات حتى راى
العرش وشق له الارض حتى راى ما في باطنها والقول الثاني ان هذه الروية كانت بعين
البصيرة لان ملكوت السموات والارض عبارة عن الملك وذلك لا يعرف الا بالعقل
فبان بهذا ان هذه الروية كانت بعين البصيرة الا ان يقال المراد بملكوت السموات
والارض نفس السموات والارض وقوله تعالى وليكون من الموقنين عطف على المعنى ومعناه
وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والارض ليستدل به وليكون من الموقنين واليقين
عبارة عن علم يحصل بسبب التامل بعد زوال الشبهة لان الانسان في اول الحال لا ينفك
عن شبهة وشك فاذا كثرت الدلائل وتوافقت صارت سببا لحصول اليقين والطمانينة
في القلب وزالت الشبهة عند ذلك قال ابن عباس في وليكون من الموقنين
جلى له الامر سره وعلانيته فلم يخف عليه شي من اعمال الخلائق فلما جعل يلعن
اصحاب الذنوب قال الله تعالى انك لا تستطيع هذا فرده الله كما كان قبل ذلك
فمعنى الاية على هذا القول وكذلك اريناه ملكوت السموات والارض ليكون ممن هو في
علم كل شي حسا وخبرا قوله تعالى فلما جن عليه الليل يقال جن وجن اذا اظلم وغطا
كل شي واجنه الليل وجن عليه اذا ستره بسواده راى كوكبا قال هذا ربي

ذكر القصة في ذلك

قال اهل التفسير واصحاب الاخبار والسير ولد ابراهيم عليه السلام في زمن نمرود

ابن كنعان الملك وكان نمرود اول من وضع التاج على راسه ودعا الناس الى عبادته
وكان له كهان ومنجمون فقالوا له انه يولد في بلدك في هذه السنة غلام يغير دين اهل
الارض ويكون هلاكك وزوال ملكك على يديه ويقال انهم وجدوا ذلك في كتب
الانبيا وقال السدي راى نمرود في منامه كان كوكبا قد طلع فذهب بضوء الشمس والقمر
حتى لم يبق لهما ضوء ففزع من ذلك فزعا شديدا فدعا السحرة والكهان وسالهم عن
ذلك فقالوا هو مولود في ناحيتك في هذه السنة يكون هلاكك وزوال ملكك
وهلاك اهل بيتك على يديه قالوا فامر بذبح كل غلام يولد في تلك السنة بناحيته
وامر بعزل الرجال عن النسا وجعل على كل عشرة رجلا يحفظهم فاذا حاضت المراة خلى
بينها وبين زوجها لانهم كانوا لا يجامعون في الحيض فاذا تطهرت من الحيض حالوا
بينهما قالوا فرجع ازر فوجد زوجته قد طهرت من الحيض فواقعها فحملت بابراهيم قال
محمد بن اسحاق بعث نمرود الى كل امراة حبلى بقريته فحبسها عنده الا ما كان من ام
ابراهيم فانه لم يعلم بحبلها لانها كانت جارية صغيرة لم يعرف الحبل في بطنها وقال السدي
خرج نمرود بالرجال الى العسكر وعزلهم عن النسا تخوفا من ذلك المولود فمكث بذلك
ما شا الله ثم بدت له حاجة الى المدينة فلم يامن عليها احدا من قومه الا ازر فبعث
اليه فاحضره الى عنده وقال له ان لي اليك حاجة احب ان اوصيك بها ولم ابعثك
فيها الا لثقتي بك فاقسمت عليك ان لا تدنوا من اهلك فقال ازر انا اشح على
ديني من ذلك فاوصاه بحاجته فدخل المدينة وقضى حاجة الملك ثم قال لو دخلت
على اهلي فنظرت اليهم فلما دخل على ام ابراهيم ونظر اليها لم يتمالك حتى واقعها فحملت
من ساعتها بابراهيم قال ابن عباس لما حملت ام ابراهيم قال الكهان لنمرود ان الغلام
الذي اخبرناك به قد حملت به امه الليلة فامر نمرود بذبح الغلمان فلما دنت ولادة
ام ابراهيم واخذها المخاض خرجت هاربة مخافة ان يطلع عليها فيقتل ولدها قالوا
فوضعته في نهر يابس ثم لفته في خرقة ووضعته في حلفا ثم رجعت فاخبرت زوجها
بانها ولدت وان الولد في موضع كذا فانطلق ابوه اليه فاخذه من ذلك المكان وحفر
له سربا في النهر فواراه فيه وسد بابه بصخرة مخافة السباع وكانت امه تختلف اليه
فترضعه وقال محمد بن اسحاق لما وجدت ام ابراهيم الطلق كانت قريبا منها فولدت
فيها ابراهيم واصلحت من شانه ما يصلح بالمولود ثم سدت عليه باب المغارة ثم رجعت
الى بيتها وكانت تختلف اليه لتنظر ما فعل فتجده حيا وهو يمص ابهامه وقال ابو روق
قالت ام ابراهيم لانظرن الى اصابعه فوجدته يمص من اصبع ماء ومن اصبع لبنا
ومن اصبع سمنا ومن اصبع عسلا ومن اصبع تمرا وقال محمد بن اسحاق وكان ازر
قد سال ام ابراهيم عن حملها ما فعل فقالت ولدت غلاما فمات فصدقها وسكت
عنها وكان ابراهيم يشب اليوم كالشهر والشهر كالسنة فلم يمكث في المغارة

الا خمسة عشر شهرا حتى قال اخرجيني فاخرجته عشيا فنظر وتفكر في خلق السموات والارض
وقال ان الذي خلقني ورزقني واطعمني وسقاني لربي الذي ما لي اله غيره ونظر في السما
فراى كوكبا قال هذا ربي ثم اتبعه بصره ينظر اليه حتى غاب فلما افل قال لا احب الافلين
فلما راى القمر بازغا قال هذا ربي واتبعه بصره ينظر اليه حتى غاب ثم طلعت الشمس قال هكذا
الى اخره ثم رجع الى ابيه ازر وقد استقامت وجهته وعرف ربه وبرى من دين قومه
الا انه لم ينادهم بذلك فلما رجعت به امه اخبرته انه ابنه واخبرته بما صنعت
فسر بذلك وفرح فرحا شديدا وقيل انه مكث في السرب سبع سنين وقيل ثلاث
عشرة سنة وقيل سبع عشرة سنة قالوا فلما شب ابراهيم وهو في السرب قال لامه
من ربي قالت انا قال فمن ربك قالت ابوك قال فمن رب ابي قالت اسكت
ثم رجعت الى زوجها فقالت ارايت الغلام الذي كنا نحدث انه يغير دين اهل الارض
فانه ابنك ثم اخبرته بما قال فاتاه ابوه ازر فقال له ابراهيم يا ابتاه من ربي قال
امك قال فمن رب امي قال انا قال فمن ربك قال نمرود قال فمن رب نمرود
فلطمه لطمة وقال اسكت فلما جن عليه الليل دنا من باب السرب فنظر من خلال
الصخرة فابصر كوكبا قال هذا ربي ويقال انه قال لابويه اخرجاني فاخرجاه من السرب
حين غابت الشمس فنظر ابراهيم الى الابل والخيل والغنم فسال اباه ما هذه فقال
ابل وخيل وغنم فقال ابراهيم ما لهذه بد من ان يكون لها اله هو ربها وخالقها
ثم نظر فاذا المشتري قد طلع ويقال انه الزهرة وكانت تلك الليلة من اخر الشهر
فتاخر طلوع القمر فراى الكوكب قبل القمر فذلك قوله عز وجل فلما جن عليه الليل
يعني ستر بظلامه راى كوكبا قال هذا ربي ثم اختلف العلما في وقت هذه الروية وفي
وقت هذا القول هل كان قبل البلوغ او بعده على قولين احدهما انه كان قبل
البلوغ في حال طفوليته وذلك قبل قيام الحجة عليه فلم يكن لهذا القول الذي صدر
من ابراهيم في هذا الوقت اعتبار ولا يترتب عليه حكم لان الاحكام انما تثبت بعد
البلوغ وقيل ان ابراهيم اخرج من السرب في حال صغره ونظر الى السما وما فيها
من العجايب ونظر الى الارض وما فيها من العجايب وكان قد خصه الله بالعقل
الكامل والفطرة السليمة فتفكر في نفسه وقال لا بد لهذا الخلق من خالق مدبر له
وهو اله الخلق ثم نظر في حال تفكره فراى الكوكب وقد ازهر فقال هذا ربي على
ما سبق الى وهمه وذلك في حال طفوليته وقبل استحكام النظر في معرفة الرب سبحانه
وتعالى واستدل اصحاب هذا القول على صحته بقوله لئن لم يهدني ربي لاكونن
من القوم الضالين قالوا وهذا يدل على نوع تحير وذلك لا يكون الا في حال الصغر
وقبل البلوغ وقيام الحجة وهذا القول ليس بسديد ولا مرضي لان الانبيا معصومون
في كل حال وانه لا يجوز ان يكون لله تعالى رسول ياتي عليه وقت من الاوقات

الا وهو بالله عارف وله موحد وله من كل منقصة منزه ومن كل معبود سواه بري
وكيف يتوهم هذا على ابراهيم وقد عصمه وطهره واتاه رشده من قبل واراه ملكوت
الارض ورأى الكوكب قال معتقدا هذا ربي حاشا لابراهيم عليه السلام من ذلك
لان منصبه اعلى واشرف من ذلك صلى الله عليه وسلم والقول الثاني الذي عليه
جمهور المحققين ان هذه الرؤية وهذا القول كان بعد بلوغ ابراهيم او حين شرفه
الله بالنبوة والرفعة بالرسالة ثم اختلف اصحاب القول في تاويل الاية ومعناها
فذكروا فيها وجوها الوجه الاول ان ابراهيم عليه السلام اراد ان يستدرج قومه بهذا
القول ويعرفهم جهلهم وخطاهم في تعظيم النجوم وعبادتها لانهم كانوا يرون ان كل
الامور اليها فاراهم ابراهيم انه معظم ما عظموه فلما افل الكوكب والقمر والشمس
اراهم النقص الداخل على النجوم بسبب الغيبوبة والافول ليثبت خطا ما كانوا
يعتقدون فيها من الالوهية ومثل هذا كمثل الحواري الذي ورد على قوم كانوا
يعبدون صنما فاظهر تعظيمه فاكرموه لذلك حتى صاروا يصدرون عن رايه
في كثير من امورهم الى ان دهمهم عدو ولا قبل لهم به فشاوروه في امر هذا العدو
فقال الراي عندي ان ندعو هذا الصنم حتى يكشف عنا ما نزل بنا فاجتمعوا
حول الصنم يتضرعون اليه فلم يغن شيئا فلما تبين لهم انه لا ينفع ولا يضر ولا يدفع
دعاهم الحواري وامرهم ان يدعوا الله عز وجل ويسئلوه ان يكشف عنهم ما نزل
بهم فدعوا الله مخلصين فصرف عنهم ما كانوا يحذرون فاسلموا جميعا الوجه
الثاني ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام قال هذا القول على سبيل الاستفهام
وهو استفهام انكار وتوبيخ لقومه تقديره اهذا ربي الذي تزعمون واسقاط
حرف الاستفهام كثير في كلام العرب ومنه قوله تعالى افان مت فهم الخالدون
يعني افهم الخالدون والمعنى اهذا يكون ربا ودليل النقص فيه ظاهر الوجه الثالث
ان ابراهيم عليه السلام قال ذلك على وجه الاحتجاج على قومه يقول هذا ربي
بزعمكم فلما غاب قال لو كان الها كما تزعمون لما غاب فهو كقوله ذق انك انت
العزيز الكريم يعني عند نفسك وبزعمك وكما اخبر عن موسى عليه السلام بقوله
انظر الى الهك الذي ظلت عليه عاكفا يريد الهك بزعمك الوجه الرابع ان في
الاية اضمارا تقديره يقولون هذا ربي واضمار القول كثير في كلام العرب ومنه
قوله واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسمعيل ربنا تقبل منا اي يقولان
ربنا تقبل منا الوجه الخامس ان الله تعالى قال في حقه وكذلك نري ابراهيم ملكوت
السموات والارض وليكون من الموقنين ثم قال بعده فلما جن عليه الليل
والفاء تقتضي التعقيب فدل هذا ان هذه الواقعة كانت بعد ان اراه الله
ملكوت السموات والارض وبعد الايقان ومن كان بهذه المنزلة العالية الشريفة

لا يليق بحاله

لا يليق بحاله ان يعبد الكواكب او يتخذها ربا فاما الجواب عن قوله لئن لم يهدني
ربي لاكونن من القوم الضالين فان الانبياء عليهم السلام لم يزالوا يسئلوا
الله التثبيت ومنه قوله واجنبني وبني ان نعبد الاصنام اما قوله تعالى فلما افل
يعني غاب والافول غيبوبة النيران قال يعني ابراهيم لا احب الافلين يعني
لا احب ربا يغيب ويطلع لان امارات الحدوث فيه ظاهرة قوله تعالى فلما رأى
القمر بازغا يعني طالعا منتشر الضوء قال هذا ربي معناه ما تقدم في الكلام في الكوكب
فلما افل يعني غاب قال لئن لم يهدني ربي لاكونن من القوم الضالين يعني
ان لم يثبتني ربي على الهدى وليس المراد انه لم يكن مهتديا لان الانبيا لم يزالوا
على الهداية من اول الفطرة وفي الاية دليل على ان الهداية من الله تعالى لان
ابراهيم عليه السلام اضاف الهداية الى الله تعالى فلما رأى الشمس بازغة يعني
طالعة قال هذا ربي يعني هذا الطالع او انه اشار الى الضيا والنور لانه
رأى الشمس اضوء من الكوكب والقمر وقيل انما قال هذا ولم يقل هذه لان تانيث
الشمس غير حقيقي فلهذا اتى بلفظ التذكير هذا اكبر يعني من الكوكب والقمر
فلما افلت يعني فلما غابت الشمس قال يا قوم اني بري مما تشركون يعني انه لما اثبت
ابراهيم عليه السلام بالدليل القطعي ان هذه النجوم ليست بالهة ولا تصلح للربوبية
تبرا منها واظهر لقومه انه بري مما تشركون ولما اظهر خلاف قومه وتبرا من شركهم
اظهر ما هو عليه من الدين والحق قال اني وجهت وجهي يعني اني صرفت عبادتي و
قصدت بتوحيدي للذي فطر السموات والارض يعني للذي خلقهما وابتدعهما حنيفا
يعني مايلا عن عبادة كل شيء سوى الله واصل الحنف الميل وهو ميل عن طريق الضلال
الى طريق الاستقامة وقيل الحنيف هو الذي يستقبل الكعبة في صلاته وما انا من المشركين
تبرا من الشرك الذي كان عليه قومه قوله عز وجل وحاجه قومه يعني وخاصمه قومه
وذلك لما اظهر التوحيد لله عز وجل خاصمه قومه في ذلك لما اظهر ابراهيم عليه السلام
عيب الهتهم التي كانوا يعبدونها واظهر التوحيد لله عز وجل خاصمه قومه وجادلوه
في ذلك قال اتحاجوني في الله يعني اتجادلونني في توحيدي لله وقد هداني يعني وقد
بين لي طريق الهداية الى توحيده ومعرفته وقال البغوي لما رجع ابراهيم الى ابيه وصار
من الشباب سقط عنه طمع الذابحين وضمه آزر الى نفسه جعل آزر يصنع الاصنام
ويعطيها لابراهيم فيذهب بها ابراهيم وينادي من يشتري ما يضره ولا ينفعه فلا يشتريها
احد فاذا بارت عليه ذهب بها الى نهر فضرب فيه رؤوسها وقال اشربي استهزاء بقومه
وبما هم فيه من الضلالة حتى فشا استهزاؤه بها في قومه واهل قريته حاجه قومه يعني
خاصمه وجادله قومه في دينه قال يعني ابراهيم اتحاجوني في الله وقد هداني يعني
الى توحيده ومعرفته ولا اخاف ما تشركون به وذلك انهم قالوا له احذر الاصنام

وانا اخاف ان يمسك بسوء من خوف او جنون يصيبك اياها فاجابهم بقوله ولا اخاف ما
تشركون به لانها جمادات لا تضر ولا تنفع وانما يكون الخوف ممن يقدر على النفع والضر وهو
قوله الا ان يشاء ربي يعني لكن ان يشاء ربي شيئا كان ما شاء لانه قادر على النفع والضر وانما
قال ابراهيم ذلك لاحتمال ان الانسان قد يصيبه في بعض حالاته وايام عمره ما يكره فلو اصابه
مكروه نسبوه الى الاصنام فنفى هذه الشبهة بقوله الا ان يشاء ربي شيئا وهذا استثناء منقطع
وليس هو من الاول في شيء والمعنى ولكن ان يشاء ربي شيئا كان وسع ربي كل شيء علما يعني
احاط علمه بكل شيء فلا يخرج شيء عن علمه وانه النافع والضار وهو الله الذي خلق السموات
والارض ومن فيهما وكيف اخاف ما اشركتم يعني وكيف اخاف الاصنام التي اشركتم بها
لانها جماد ولا تبصر ولا تسمع ولا تضر ولا تنفع ولا تخافون انكم اشركتم بالله يعني وانتم
لا تخافون وقد اشركتم بالله وهو من اعظم الذنوب ما لم ينزل به عليكم سلطانا يعني
ما ليس لكم فيه حجة وبرهان فاي الفريقين احق بالامن ان كنتم تعلمون يعني بقول
من اولى بالامن من العذاب يوم القيامة الموحد ام المشرك الذين امنوا ولم يلبسوا
ايمانهم بظلم وهذا فصل قضاه الله بين ابراهيم وبين قومه يعني ان الذي يستحق الامن
يوم القيامة هم الذين امنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم وقيل هو من تمام كلام ابراهيم في
المحاجة لقومه والمعنى ان الذي يحصل لهم الامن يوم القيامة هم الذين امنوا بالله
وحده ولم يشركوا به شيئا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم يعني ولم يخلطوا ايمانهم بشرك
عن ابن مسعود قال لما نزلت الذين امنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم شق ذلك على المسلمين قالوا
اينا لا يظلم نفسه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس ذلك انما هو الشرك الم تسمعوا قول
لقمان لابنه ان الشرك لظلم عظيم وفي رواية ليس هو كما تظنون انما هو كما قال لقمان
لابنه وذكره وقيل في معنى قوله ولم يلبسوا ايمانهم بظلم يعني لم يخلطوا ايمانهم بشيء من معاني
الظلم وذلك بان يفعل بعض ما نهى الله عنه او يترك ما امر الله به فعلى هذا القول تكون
هذه الاية على العموم لان الله لم يخص به معنى من معاني الظلم دون غيره والصحيح ان
الظلم المذكور في هذه الاية هو الشرك لما تقدم من حديث ابن مسعود ان النبي صلى الله
عليه وسلم فسر الظلم هنا بالشرك وفي الاية دليل على ان من مات لا يشرك بالله
شيئا كان عاقبته الامن من النار لقوله اولئك يعني الذين امنوا ولم يلبسوا ايمانهم
بظلم لهم الامن يوم القيامة من عذاب النار وهم مهتدون يعني الى سبيل الرشاد
قوله تعالى وتلك حجتنا اتيناها ابراهيم على قومه يعني ما جرى بين ابراهيم وبين قومه
واستدل على حدوث الكوكب والقمر والشمس بالافول وقيل لما قالوا لابراهيم انا
نخاف عليك من الهتنا لسبك اياها فقال لهم افلا تخافون انتم منها اذ سويتم
بين الصغير والكبير في العبادة ان يغضب الكبير عليكم وقيل انه خاصم قومه المشركين
فقال اي الفريقين احق بالامن من يعبد الها واحدا مخلصا له الدين والعبادة ام من يعبد اربابا

شيئا صح

فلا تتذكرون يعني افلا تعتبرون ان هذه الاصنام جماد
لا تضر ولا تنفع صح

كثيرة

كثيرة فقالوا من يعبد الها واحدا فقضوا على انفسهم فكانت هذه حجة ابراهيم على قومه
نرفع درجات من نشاء يعني بالعلم والفهم والعقل والفضيلة كما رفعنا درجات
ابراهيم حتى اهتدى الى محاجة قومه وقيل نرفع درجات من نشاء في الدنيا بالنبوة
والعلم والحكمة وفي الاخرة بالثواب على الاعمال الصالحة ان ربك حكيم عليم يعني انه
تعالى حكيم في جميع افعاله عليم بجميع افعال خلقه لا يفعل شيئا الا بحكمة وعلم قوله عز وجل
ووهبنا له اسحاق ويعقوب لما اظهر ابراهيم عليه السلام دينه وغلب خصمه بالحجج
القاطعة والبراهين القوية والدلائل الصحيحة التي فهمها الله تعالى اياها وهداه اليها
عدد نعمه عليه واحسانه اليه بان رفع درجته في عليين وابقى النبوة في ذريته الى يوم
القيامة فقال تعالى ووهبنا له يعني لابراهيم اسحاق يعني ابنا لصلبه ويعقوب يعني
ابن ابن اسحاق وهو ولد الولد كلا هدينا يعني هدينا جميعهم الى سبيل الرشاد ووفقناهم
الى طريق الحق والصواب ونوحا هدينا من قبل يعني من قبل ابراهيم ارشدنا نوحا
ووفقناه للحق والصواب ومننا عليه بالهداية ومن ذريته اختلفوا في هذا
الضمير الى من يرجع فقيل يرجع الى ابراهيم يعني ومن ذرية ابراهيم داود وقيل
يرجع الى نوح وهو اختيار جمهور المفسرين لان الضمير يرجع الى اقرب مذكور ولان
الله ذكر في جملة هذه الذرية لوطا وهو ابن اخي ابراهيم ولم يكن من ذريته فثبت
بهذا ان الكناية ترجع الى نوح وقال الزجاج كلا القولين جائز لان ذكرهما جميعا
قد جرى داود وهو ابن ايشا وكان ممن اتاه الله الملك والنبوة وكذلك سليمان
ابن داود وايوب هو ايوب بن اموص بن بارخ بن روم بن عيصو ابن اسحاق
ابن ابراهيم ويوسف ابن يعقوب بن اسحاق ابن ابراهيم وموسى بن عمران بن يصهر
ابن قاهث بن لاوي بن يعقوب وهارون هو اخو موسى وكان اكبر منه بسنة
وكذلك نجزي المحسنين يعني وكما جزينا ابراهيم على توحيده وصبره على اذى قومه
كذلك نجزي المحسنين على احسانهم وزكريا هو ابن اذن بن بركيا ويحيى هو ابن
زكريا وعيسى هو ابن مريم بنت عمران والياس قال ابن مسعود هو ادريس وله اسمان
مثل يعقوب واسرائيل وقال محمد بن اسحاق هو الياس بن نسي بن فنحاص بن العيزار
ابن هارون ابن عمران وهذا هو الصحيح لان اصحاب الانساب يقولون ان ادريس جد
نوح لان نوحا ابن لمك بن متوشلخ بن اخنوخ وهو ادريس ولان الله تعالى نسب
الياس في هذه الاية الى نوح وجعله من ذريته كل من الصالحين يعني ان كل من
ذكرنا وسمينا من الصالحين واسماعيل هو ابن ابراهيم وانما اخر ذكره الى هنا
لانه ذكر اسحاق وذكر اولاده من بعده على نسق واحد فلهذا السبب اخر ذكر
اسماعيل الى هنا واليسع هو ابن اخطوب بن العجوز ويونس هو ابن متى
ولوطا هو ابن اخي ابراهيم وكلا فضلنا على العالمين يعني على عالمي زمانهم

ويستدل بهذه الاية من يقول ان الانبيا افضل من الملايكة لان العالم اسم لكل موجود
سوى الله تعالى فيدخل فيه الملك فيقتضي ان الانبيا افضل من الملايكة واعلم انه تعالى
ذكر هنا ثمانية عشر نبيا من الانبيا عليهم من غير ترتيب لا بحسب الزمان ولا
بحسب الفضل لان الواو لا تقتضي الترتيب ولكن هنا لطيفة اوجبت هذا الترتيب
وهي ان الله تبارك وتعالى خص كل طايفة من طوايف الانبيا عليهم السلام
بنوع من الكرامة والفضل فذكر اولا نوحا وابرهيم واسحاق ويعقوب لانهم
اصول الانبيا واليهم يرجع انسابهم جميعا ثم من المراتب المعتبرة بعد النبوة الملك
والقدرة والسلطان وقد اعطى الله تعالى داود وسليمان من ذلك حظا وافرا ومن
المراتب الصبر عند نزول البلا والمحن والشدايد وقد خص الله بهذه ايوب عليه السلام
ثم عطف على هاتين المرتبتين من جمع بينهما وهو يوسف عليه السلام فانه صبر على البلاء
والشدة الى ان اعطاه ملك مصر مع النبوة ثم من المراتب المعتبرة في تفضيل الانبيا عليهم
السلام كثرة المعجزات وقوة البراهين وقد خص الله تعالى موسى وهارون من ذلك بالحظ
الوافر ثم من المراتب المعتبرة الزهد في الدنيا والاعراض عنها وقد خص الله بذلك زكريا
ويحيى وعيسى والياس عليهم السلام ولهذا السبب وصفهم بانهم من الصالحين ثم ذكر الله
من بعد هولا الانبيا من لم يبق له اتباع ولا شريعة وهو اسمعيل واليسع ويونس ولوط
فاذا اعتبرنا هذه اللطيفة على هذا الوجه كان هذا الترتيب من احسن شي يذكر والله
اعلم بمراده واسرار كتابه قوله تعالى ومن اباهم يعني ومن ابا الذين سميناهم ومن هنا
للتبعيض لان من ابا بعضهم من لم يكن مسلما وذرياتهم يعني ومن ذرياتهم لان عيسى
ويحيى لم يكن لهما ولد وكان في ذرية بعضهم من هو كافر كابن نوح واخوانهم يعني ومن
اخوانهم والمعنى ان الله تعالى وفق من ابا المذكورين ومن ذرياتهم واخوانهم للهداية و
الدين وهو قوله واجتبيناهم يعني اخترناهم واصطفيناهم وهديناهم يعني وارشدناهم
الى صراط مستقيم اي الى دين الحق ذلك هدى الله قال ابن عباس ذلك دين الله الذي
كان عليه هولا الانبيا وقيل المراد بهدى الله معرفة الله وتنزيهه عن الشركا والاضداد
والانداد يهدي به من يشا من عباده يعني يوفق من يشا من عباده ويرشده الى دينه و
وخلع الاضداد والشركا ولو اشركوا يعني هولا الذين سميناهم لحبط يعني لبطل وذهب
عنهم ما كانوا يعملون يعني من الطاعات قبل ذلك لان الله تعالى لا يقبل مع الشرك من
الاعمال شيا قوله عز وجل اولئك الذين اتيناهم الكتاب والحكم والنبوة يعني اولئك الذين
سميناهم من الانبيا اعطيناهم الكتب التي انزلنا عليهم واتيناهم العلم والفهم و
شرفناهم بالنبوة وانما قدم ذكر الكتاب والحكم على النبوة وان كانت النبوة هي الاصل
لان منصب النبوة اشرف المراتب والمناصب فذكر اولا الكتاب والحكم لانهما
يدلان على النبوة فان يكفر بها هولا يعني فان يجحد بدلايل التوحيد والنبوة كفار قريش

فقد وكلنا

فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين قال ابن عباس هم الانصار واهل المدينة وقيل
هم المهاجرون والانصار وقال الحسن وقتادة هم الانبيا الثمانية عشر الذين تقدم
ذكرهم واختاره الزجاج قال والدليل عليه قوله تعالى اوليك الذين هدى الله
فبهداهم اقتده وقال رجا العطاردي هم الملايكة وفيه بعد لان اسم القوم لا يطلق
الا على بني ادم وقيل هم الفرس قال ابن زيد كل من لم يكفر فهو منهم سوا كان ملكا
او نبيا او من الصحابة او من التابعين وفي الاية دليل على ان الله تعالى ينصر نبيه
صلى الله عليه وسلم ويقوي دينه ويجعله عاليا على الاديان كلها وقد فعل ذلك
فهو اخبار عن الغيب وقوله تعالى اوليك الذين هدى الله يعني النبيين الذين تقدم
ذكرهم لانهم هم المخصوصون بالهداية فبهداهم اقتده اشارة الى النبي صلى الله عليه وسلم
يعني فبشرايعهم وسننهم اعمل واصل الاقتدا في اللغة طلب موافقة الثاني للاول
في فعله وقيل امره ان يقتدي بهم في امر الدين امرهم ان يجتمعوا عليه وهو توحيد الله
وتنزيهه عن جميع النقايص التي لا تليق بجلاله في الاسما والصفات والافعال وقيل
امره الله ان يقتدي بهم في جميع الاخلاق الحميدة والافعال المرضية والصفات
الرفيعة الكاملة مثل الصبر على اذى السفها والعفو عنهم وقيل امره ان يقتدي
بشرايعهم الا ما خصه دليل او نسخ فعلى هذا القول يكون في الاية دليل على ان شرع
من قبلنا شرع لنا فصل احتج العلما بهذه الاية على ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
افضل من جميع الانبيا عليهم السلام وبيانه ان جميع خصال الكمال وصفات الشرف
كانت متفرقة فيهم فكان نوح صاحب احتمال على اذى قومه وكان ابرهيم صاحب
كرم وبذل مجاهدة في الله عز وجل وكان اسحاق ويعقوب من اصحاب الصبر على
البلا والمحن وكان داود وسليمان من اصحاب الشكر على النعمة قال الله فيهم اعملوا ال
داود شكرا وكان ايوب صاحب صبر على البلا قال الله فيه انا وجدناه صابرا نعم العبد
انه اواب وكان يوسف قد جمع بين الحالتين يعني الصبر والشكر وكان موسى صاحب
الشريعة الظاهرة والمعجزة الباهرة وكان زكريا ويحيى والياس من اصحاب الزهد في
الدنيا وكان اسمعيل صاحب صدق وكان يونس صاحب تضرع ثم ان الله تعالى
امر نبيه صلى الله عليه وسلم ان يقتدي بهم وجمع له جميع الخصال المحمودة المتفرقة
فيهم فثبت بهذا البيان انه صلى الله عليه وسلم كان افضل الانبيا لما اجتمع فيه
من هذه الخصال التي كانت متفرقة في جميعهم والله اعلم قوله قل لا اسالكم عليه
اجرا يعني قل يا محمد لا اطلب على تبليغ الرسالة جعلا وقيل لما امره الله بالاقتدا
بالنبيين وكان من جملة هداهم ترك طلب الاجر على ايصال الدين وابلاغ الشريعة
لا جرم اقتدى بهم فقال لا اسالكم عليه اجرا ان هو يعني ما هو يعني القران الا
ذكرى للعالمين يعني ان القران موعظة وذكرى لجميع العالم من الجن والانس وفيه

دليل على انه صلى الله عليه وسلم كان مبعوثا الى جميع الخلق من الجن والانس وان
دعوته عمت جميع الخلائق قوله عز وجل وما قدروا الله حق قدره قال ابن عباس
معناه ما عظموا الله حق عظمته وعنه ان معناه ما امنوا ان الله على كل شي قدير
وقال ابو العالية ما وصفوا الله حق صفته وقال الاخفش ما عرفوا الله حق معرفته يقال
قدر الشي اذا حزره وسبره واراد ان يعلم مقداره يقال قدره يقدره بالضم قدرا ثم تقال لمن عرف
شيا هو يقدر قدره واذا لم يعرفه بصفاته يقال فيه انه لا يقدر قدره فقوله وما قدروا الله
حق قدره يصح فيه جميع الوجوه المذكورة في معناه اذ قالوا ما انزل الله على بشر من شي يعني
الذين قالوا ما انزل الله على بشر من شي ما قدروا الله حق قدره ولا عرفوه حق معرفته اذ
لو عرفوه حق معرفته لما قالوا هذه المقالة ثم اختلف العلما فيمن نزلت هذه الاية على قولين
احدهما انها نزلت في كفار قريش وهذا من يقول ان جميع هذه السورة مكية وهو قول
السدي وروي ذلك عن مجاهد وصححه الطبري قال لان من اول السورة الى هذا الموضع
هو خبر عن المشركين من عبدة الاصنام فكان قوله وما قدروا الله حق قدره موصولا بذلك
غير مفصول عنه فلا يكون قوله اذ قالوا ما انزل الله على بشر من شي خبرا عن غيرهم واورد فخر
الدين الرازي على هذا القول اشكالا وهو ان كفار قريش ينكرون نبوة جميع الانبيا فكيف
يمكن الزامهم بنبوة موسى وايضا فما بعد هذه الاية لا يليق بكفار قريش انما يليق بحال
اليهود واجاب عنه بان كفار قريش كانوا مختلطين باليهود وقد سمعوا منهم ان موسى جاهم
بالتوراة وبالمعجزات الباهرات وانما انكر كفار قريش نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فيمكن الزامهم
بقوله قل من انزل الكتاب الذي جاء به موسى واجاب عن كون سياق الاية لا يليق الا
بحال اليهود بان كفار قريش واليهود لما كانوا مشتركين في انكار نبوة محمد صلى الله عليه وسلم
فلا يبعد ان بعض الاية يكون خطابا لكفار قريش وبعضها خطابا لليهود القول الثاني
في سبب نزول هذه الاية وهو قول جمهور المفسرين انها نزلت في اليهود وهذا على قول
من يقول ان هذه الاية نزلت بالمدينة وانها من الايات المدنيات التي في السور المكية قال
ابن عباس نزلت سورة الانعام بمكة الا ست ايات منها قوله وما قدروا الله حق قدره
فانها نزلت بالمدينة ثم اختلف القائلون بهذا القول في اسم من نزلت هذه الاية
فيه فقال سعيد بن جبير جاء رجل من اليهود اسمه مالك بن الصيف يخاصم النبي صلى
الله عليه وسلم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم انشدك الله الذي انزل التوراة على موسى
اما تجد في التوراة ان الله يبغض الحبر السمين وكان حبرا سمينا فغضب وقال
ما انزل الله على بشر من شي فقال اصحابه الذين معه ويحك ولا على موسى فقال والله
ما انزل الله على بشر من شي فانزل الله وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما انزل الله
على بشر من شي قل من انزل الكتاب الذي جاء به موسى الاية قال البغوي وفي القصة
ان مالك بن الصيف لما سمعت اليهود منه تلك المقالة عتبوا عليه وقالوا اليس الله

انزل التوراة

انزل التوراة على موسى فلم قلت ما انزل الله على بشر من شي فقال مالك بن الصيف
اغضبني محمد فقلت ذلك فقالوا له وانت اذا غضبت تقول على الله غير الحق
فنزعوه عن الحبرية وجعلوا مكانه كعب بن الاشرف وقال السدي نزلت هذه
الاية في فنحاص بن عازورا اليهودي وهو القائل هذه المقالة وقال ابن عباس
قالت اليهود يا محمد انزل الله عليك كتابا قال نعم فقالوا والله ما انزل الله من السما كتابا فانزل
الله وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما انزل الله على بشر من شي قل من انزل الكتاب الذي
جاء به موسى الاية وقال محمد بن كعب القرظي جا ناس من اليهود الى النبي صلى الله عليه وسلم
وهو محتب فقالوا يا ابا القاسم الا تاتينا بكتاب من السما كما جاء به موسى الواحا يحملها
من عند الله فانزل الله يسئلك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السما الاية التي في
سورة النسا فلما حدثهم باعمالهم الخبيثة جثى رجل منهم وقال ما انزل الله عليك
ولا على موسى ولا على عيسى ولا على احد شيا فانزل الله وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا
ما انزل الله على بشر من شي واورد الرازي على هذا القول اشكالا ايضا وهو انه قال
ان اليهود معترفين بانزال التوراة على موسى عليه السلام فكيف يقولون ما انزل الله
على بشر من شي مع اعترافهم بانزال التوراة ولم يجب عن هذا الاشكال بشي واجيب
عنه بان مراد اليهود انكار انزال القران على محمد صلى الله عليه وسلم فقط ولهذا الزموا
بما لا بد لهم من الاقرار به من انزال التوراة على موسى فقال قل من انزل الكتاب الذي
جاء به موسى اي قل يا محمد لهولا اليهود الذين انكروا انزال القران عليك بقولهم ما انزل
الله على بشر من شي من انزل التوراة على موسى وفي هذا الالزام توبيخ اليهود بسوء جهلهم
واقدامهم على انكار الحق الذي لا ينكر نورا وهدى للناس يعني التوراة ضيا من ظلمة
الضلالة وبيانا يفرق بين الحق والباطل من دينهم وذلك قبل ان تبدل وتغير تجعلونه
قراطيس يعني تكتبونه في قراطيس مقطعة تبدونها يعني القراطيس المكتوبة وتخفون
كثيرا يعني وتخفون كثيرا مما كتبوه في القراطيس وهو ما عندهم من صفة محمد صلى الله عليه
وسلم ونعته في التوراة ومما اخفوه ايضا اية الرجم وكانت مكتوبة عندهم في التوراة
وعلمتم ما لم تعلموا انتم ولا اباوكم اكثر المفسرين على ان هذا خطاب لليهود ومعناه
انكم علمتم على لسان محمد صلى الله عليه وسلم ما لم تعلموا انتم ولا اباوكم من قبل قال الحسن
جعل لهم علم ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم فضيعوه ولم ينتفعوا به وقال مجاهد
هذا خطاب للمسلمين يذكرهم النعمة فيما علمهم على لسان نبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل الله
هذا راجع الى قوله قل من انزل الكتاب الذي جاء به موسى فان اجابوك يا محمد والا
فقل انت الله الذي انزله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون يعني دعهم يا محمد فيما هم فيه
يخوضون من باطلهم وكفرهم بالله ومعناه يلعبون يستهزاون ويسخرون وقيل
معناه انك يا محمد اذا اقمت الحجة عليهم وبلغت في الاعذار والانذار هذا المبلغ العظيم

يخبئنهم لم يوح عليك من امرهم شى فذرهم فيما هم فيه من الخوض واللعب وفيه
وعيد وتهديد للمشركين وقال بعضهم هذا منسوخ باية السيف وفيه بعد لانه
مذكور لاجل التهديد والوعيد قوله تعالى وهذا الكتاب انزلناه مبارك يعنى وهذا
القران كتاب انزلناه من عندنا عليك يا محمد كثير الخير والبركة دايم النفع يبشر
المومنين بالثواب والمغفرة ويزجر عن القبيح والمعصية واصل البركة النما والزيادة
وثبوت الخير مصدق الذى بين يديه يعنى من الكتب الالهية المنزلة من السما على
الانبيا يعنى انه موافق لما فى التوراة والانجيل وساير الكتب لانها اشتملت جميعها
على التوحيد والتنزيه لله عن كل عيب ونقيصة ونزل على البشارة والنذارة فثبت
بذلك كون القران مصدقا لجميع الكتب المنزلة ولتنذر قرا ابو بكر عن عاصم بالياء يعنى ولينذر يا محمد
وبالياء معناه ولينذر الكتاب ام القرى يعنى مكة وفيه حذف تقديره ولتنذر
اهل ام القرى وسميت مكة ام القرى لان الارض دحيت من تحتها قاله ابن عباس
وقيل لانها اقدم القرى واعظمها بركة وقيل لانها قبلة اهل الارض ومن حولها يعنى
جميع البلاد والقرى التى حولها شرقا وغربا والذين يومنون بالاخرة يومنون به
يعنى والذين يصدقون بقيام الساعة وبالمعاد والبعث بعد الموت يصدقون
بهذا الكتاب وانه منزل من عند الله عز وجل وقيل يصدقون ببعثة الرسول صلى الله
عليه وسلم وذلك ان الذى يومن بالاخرة يومن بالوعد والوعيد والثواب والعقاب
ومن كان كذلك فانه يرغب فى تحصيل الثواب ودفع العقاب عنه وذلك لا يحصل
الا بالنظر التام فاذا نظر وتفكر علم بالضرورة ان دين محمد اشرف الاديان وشريعته
اعظم الشرايع وهم على صلاتهم يحافظون يعنى يداومون عليها فى اوقاتها والمعنى
ان الايمان بالاخرة يحمل على الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم فكذلك يحمل على المحافظة
على الصلوات وفايدة تخصيص الصلاة بالذكر دون ساير العبادات التنبيه على انها
اشرف العبادات بعد الايمان بالله فاذا حافظ العبد عليها يكون محافظا على جميع
العبادات والطاعات قوله عز وجل ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا يعنى ومن اظلم خطا
واجهل فعلا ممن اختلق على الله كذبا فزعم ان الله بعثه نبيا وهو فى زعمه كذاب مبطل
او قال اوحى الى ولم يوح اليه شى قال قتادة نزلت هذه الاية فى مسيلمة الكذاب
وهو ابو ثمامة مسيلمة بن ثمامة وقيل مسيلمة بن حبيب من بنى حنيفة وكان صاحب
نيرنجات وكهانة وسجع ادعى النبوة باليمن وزعم ان الله اوحى اليه وكان قد ارسل
الى النبى صلى الله عليه وسلم رسولين فقال لهما النبى صلى الله عليه وسلم اتشهدان ان
مسيلمة نبى قالا نعم فقال النبى صلى الله عليه وسلم لولا ان الرسل لا تقتل لضربت
اعناقكما ق عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بينا انا نايم
اذ اوتيت خزاين الارض فوضع فى يدى سواران من ذهب فكبرا على

واهانى

واهانى فاوحى الى ان انفخهما فنفختهما فطارا فاولتهما الكذابين اللذين انا بينهما
صاحب صنعا وصاحب اليمامة وفى لفظ الترمذى قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم رايت فى المنام كان فى يدى سوارين فاولتهما كذابين يخرجان من بعدى
يقال لاحدهما مسيلمة صاحب اليمامة والعنسى صاحب صنعا قوله فاوحى الى
ان انفخهما يروى بالحا المهملة ومعناه الرمى والدفع من نفحت الدابة برجلها اذا
دفعت ورمحت برجلها ويروى بالخا المعجمة من النفخ يريد انه نفخهما فطارا عنه
وهو قريب من الاول واما مسيلمة الكذاب فانه ادعى النبوة باليمامة من اليمن
وتبعه قوم من بنى حنيفة وكان صاحب نيرنجات فاغتر قومه بذلك وقتل
مسيلمة الكذاب فى خلافة ابى بكر الصديق قتله وحشى قاتل حمزة بن عبد المطلب
فكان وحشى يقول قتلت خير الناس يعنى حمزة وقتلت شر الناس يعنى مسيلمة الكذاب
واما الاسود العنسى بالنون فهو عبهلة بن كعب وكان يقال له ذو الحمار ادعى
النبوة فى اليمن فى اخر عهد النبى صلى الله عليه وسلم وقتل والنبى صلى الله عليه وسلم
حى لم يمت وذلك قبل موته بيومين واخبر اصحابه بقتله وقتله فيروز الديلمى
فقال النبى صلى الله عليه وسلم فاز فيروز يعنى بقتله الاسود العنسى فمن قال ان
هذه الاية يعنى قوله ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا او قال اوحى الى ولم يوح
اليه شى نزلت فى مسيلمة الكذاب والاسود العنسى يقول ان هذه الاية مدنية
نزلت بالمدينة وهو قول بعض علما التفسير تقدم ذكره فى اول السورة ومن قال
ان هذه الاية مكية وقيل انها نزلت فى شانهما يقول انها خبر عن غيب فظهر
ذلك فيما بعد والله اعلم قوله ومن قال سانزل مثل ما انزل الله قال السدى
نزلت فى عبد الله بن ابى سرح القرشى وكان قد اسلم وكان يكتب للنبى صلى الله
عليه وسلم فكان اذا املى عليه سميعا بصيرا كتب عليما حكيما واذا املى عليما حكيما
كتب غفورا رحيما فلما نزلت ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين املاها عليه
رسول الله صلى الله عليه وسلم فعجب عبد الله من تفصيل خلق الانسان فقال تبارك
الله احسن الخالقين فقال النبى صلى الله عليه وسلم اكتبها فهكذا نزلت فشك عبد الله
ابن سرح وقال لين كان محمد صادقا فقد اوحى الى مثل ما اوحى اليه فارتد عن
الاسلام ولحق بالمشركين ثم رجع عبد الله بعد ذلك الى الاسلام فاسلم قبل فتح مكة
والنبى صلى الله عليه وسلم نازل بمر الظهران وقال ابن عباس نزل قوله ومن قال
سانزل مثل ما انزل الله فى المستهزيين وهو جواب لقولهم لو نشا لقلنا مثل هذا قال
العلما وقد دخل فى حكم هذه الاية كل من افترى على الله كذبا فى ذلك الزمان وبعده
لانه لا يمنع خصوص السبب عموم الحكم ولو ترى اذ الظالمون فى غمرات الموت
يعنى ولو ترى يا محمد هولا الظالمين اذا نزل بهم الموت لرايت امرا عظيما وغمراته

سكراته وسكرة الموت شدته وغمرة كل شيء معظمه واصلها الشيء الذي يغمر الاشيا فيغطيها ثم وضعت
في موضع الشدايد والمكاره والملايكة باسطوا ايديهم يعني بالعذاب يضربون وجوههم
وادبارهم وقيل باسطوا ايديهم لقبض ارواحهم اخرجوا انفسكم يعني يقولون لهم اخرجوا
انفسكم فان قلت انه لا قدرة لاحد على اخراج روحه من بدنه فما فايدة هذا الكلام قلت
معناه يقولون لهم اخرجوا انفسكم كرها لان المومن يحب لقا الله بخلاف الكافر وقيل
معناه يقولون لهم خلصوا انفسكم من هذا العذاب ان قدرتم على ذلك فيكون هذا القول
توبيخا لهم لانهم لا يقدرون على خلاص انفسهم من العذاب في ذلك الوقت اليوم
تجزون عذاب الهون يعني الهوان بما كنتم تقولون على الله غير الحق يعني ذلك العذاب
الذي تجزونه بسبب ما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن اياته تستكبرون يعني
وبسبب ما كنتم تتعظمون عن الايمان بالقران ولا تصدقونه قوله تعالى ولقد جيتمونا
فرادى يعني وحدانا لا مال معكم ولا زوج ولا ولد ولا خادم وهذا خبر من الله عز وجل عن
حال الكفار يوم القيامة وكيف يحشرون اليه وما ذا يقول لهم في ذلك اليوم وفي قوله
للكفار ولقد جيتمونا فرادى تقريع وتوبيخ لهم لانهم صرفوا هممهم في الدنيا الى تحصيل المال
والولد والجاه وافنوا اعمارهم في عبادة الاصنام فلم يغن عنهم كل ذلك شيا في
يوم القيامة فبقوا فرادى عن كل ما حصلوه في الدنيا كما خلقناكم اول مرة يعني
حفاة عراة غرلا يعني غلفا كما ولدتهم امهاتهم في اول مرة في الدنيا لا شيء
عليهم ولا معهم ق عن ابن عباس قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم
بموعظة فقال يا ايها الناس انكم تحشرون الى الله حفاة عراة غرلا كما بدانا اول خلق نعيده
وعدا علينا انا كنا فاعلين ق عن عايشة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول يحشر الناس حفاة عراة غرلا فقالت عايشة فقلت الرجال والنسا
جميعا ينظر بعضهم الى بعض فقال الامر اشد ان يهمهم ذلك وروى الطبري بسنده
عن عايشة انها قرات قول الله عز وجل ولقد جيتمونا فرادى كما خلقناكم اول
مرة فقالت يا رسول الله واسوآتاه ان الرجال والنسا يحشرون جميعا ينظر
بعضهم الى سوأة بعض فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل امرئ منهم
يومئذ شان يغنيه لا ينظر الرجال الى النسا ولا النسا الى الرجال شغل بعضهم
عن بعض وقوله تعالى وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم يعني وتركتم الذي اعطيناكم
وملكناكم من الاموال والاولاد والخدم والخول كلما اعطى الله العبد وقوله فيه
من المال والعبيد وراء ظهوركم يعني في الدنيا وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم
انهم فيكم شركا يعني ان المشركين زعموا انهم انما عبدوا هذه الاصنام لانها تشفع لهم
عند الله تعالى يوم القيامة لانهم شركا الله تعالى الله عن ذلك فاذا كان يوم القيامة
وبخ الله المشركين وقرعهم بهذه الاية ثم قال تعالى لقد تقطع بينكم قرئ بنصب النون

من بينكم

من بينكم ومعناه لقد تقطع ما بينكم من الوصل او يكون معناه لقد تقطع الامر
بينكم وقرئ بينكم برفع النون ومعناه لقد تقطع وصلكم والبين من الاضداد
يكون وصلا ويكون هجرا وضل عنكم ما كنتم تزعمون يعني ذهب وبطل ما كنتم
تكذبون في الدنيا قوله عز وجل ان الله فالق الحب والنوى لما تقدم الكلام
في تقرير التوحيد وتقرير النبوة اردفه بذكر الدلايل الدالة على كمال قدرته و
علمه وحكمته تنبيها بذلك على ان المقصود الاعظم هو معرفة الله سبحانه وتعالى
بجميع صفاته وافعاله وانه مبدع الاشيا وخالقها ومن كان كذلك كان هو المستحق
للعبادة لا هذه الاصنام التي كانوا يعبدونها ولتعريف منه خطا ما كانوا عليه
من الاشراك الذي كانوا عليه والمعنى ان الذي يستحق العبادة دون غيره
هو الله الذي فلق الحب عن النبات والنواة عن النخلة وفي معنى فلق قولان
احدهما انه بمعنى خلق ومعنى الاية على هذا القول ان الله خالق الحب والنوى
وهو قول ابن عباس في رواية العوفي عنه وبه قال الضحاك ومقاتل قال
الواحدي ذهبوا بالفالق مذهب فاطر وانكر الطبري هذا القول وقال لا يعرف
في كلام العرب فلق الله الشيء بمعنى خلق ونقل الازهري عن الزجاج جوازه
فقال وقيل الفلق الخلق واذا تاملت الخلق تبين لك انه اكثره عن انفلاق
ومعنى هذا الكلام ان جميع هذه الاشيا كانت قبل الوجود في العدم فلما اوجدها الله تعالى
واخرجها من العدم الى الوجود فكانه فلقها واظهرها القول الثاني وهو قول الاكثرين
ان الفلق هو الشق ثم اختلفوا في معناه على قولين احدهما وهو مروي عن ابن
عباس قال فلق الحبة عن السنبلة والنواة عن النخلة وهو قول الحسن والسدي
وابن زيد قال الزجاج يشق الحبة اليابسة والنواة اليابسة فيخرج منها ورقا
اخضر القول الثاني وهو قول مجاهد انه الشقان اللذان في الحبة والنواة
والحب هو الذي ليس له نوى كالحنطة والشعير والارز وما اشبه ذلك والنوى
جمع نواة وهي ما كان على الحب كالرطب والخوخ والمشمش وما اشبه ذلك ومعنى
قوله فالق الحب والنوى وذلك اذا وقعت الحبة او النواة في الارض
الرطبة ثم مر على ذلك قدر من الزمان اظهر الله تعالى من تلك الحبة ورقا اخضر
ثم يخرج من ذلك الورق سنبلة يكون فيها الحب ويظهر من النواة شجرة
صاعدة في الهوى وعروقا ضاربة في الارض فسبحان من اوجد جميع الاشيا بقدرته
وابداعه وخلقه وقوله تعالى يخرج الحي من الميت ومخرج الميت من الحي قال ابن
عباس في رواية عنه يخرج من النطفة بشرا حيا ويخرج من النطفة الميت وهذا
قول الكلبي ومقاتل قال الكلبي يخرج النسمة الحية من النطفة الميتة ويخرج
الفرخة من البيضة ويخرج النطفة الميتة والبيضة الميتة من الحي وقال ابن

عباس في رواية اخرى يخرج المومن من الكافر ويخرج الكافر من المومن فجعل الايمان بمنزلة الحياة والكفر بمنزلة الموت وهذا قول الحسن وقيل معناه يخرج الطايع من العاصي والعاصي من الطايع وقال السدي النبات من الحب والحب من النبات وهذا اختيار الطبري وقال لانه عقب قوله ان الله فالق الحب والنوى فان قلت كيف قال ومخرج الميت من الحي بلفظ اسم الفاعل بعد قوله يخرج الحي من الميت وما السبب في عطف الاسم على الفعل قلت قوله ومخرج الميت من الحي عطف على قوله فالق الحب والنوى وقوله يخرج الحي من الميت كالبيان والتفسير لقوله فالق الحب والنوى لان فلق الحب والنوى اليابس اخراج النبات والشجر منه من جنس اخراج الحي من الميت لان النامي من النبات في حكم الحيوان وقوله ذلكم الله يعني ذلكم الله المدبر الخالق الصانع لهذه الاشيا المحيي والمميت لها فانى تؤفكون يعني فانى تصرفون عن الحق فتعبدون غير الله الذي هو خالق الاشيا كلها وفيه دليل ايضا على صحة البعث بعد الموت لان القادر على اخراج البدن من النطفة قادر على اخراجه من التراب للحساب

قوله عز وجل فالق الاصباح اي شاق عمود الصبح عن ظلمة الليل وسواده والاصباح مصدر يسمى به الصبح وقال الزجاج الاصباح والصبح واحد وهما اول النهار فان قلت ظاهر الاية يدل على انه تعالى فلق الصبح والظلمة هي التي تنفلق بالصبح فما معنى ذلك قلت ذكر العلما فيه وجوها الاول ان يكون المراد فالق ظلمة الصباح وذلك لان الصبح صبحان فالصبح الاول هو البياض المستطيل الصاعد في الافق كذنب السرحان وهو الذيب ثم يعقبه ظلمة بعد ذلك ويسمى هذا الصبح الفجر الكاذب لانه يبدو في الافق الشرقي ثم يضمحل ويذهب ثم يطلع بعده الصبح الثاني وهو الضو المستطير في جميع الافق الشرقي ويسمى الفجر الصادق لانه ليس بعده ظلمة والحاصل من هذا ان يكون المعنى فالق ظلمة الصبح الاول بنور الصبح الثاني الوجه الثاني انه تعالى كما شق ظلمة الليل بنور الصباح فكذلك شق نور الصبح بضيا النهار فيكون معنى قوله فالق الاصباح اي فالق الصباح الذي هو عمود الفجر اذا انصدع الفجر والفلق ويسمى الفجر فلقا بمعنى مفلوقا والوجه الثالث ان الفلق بمعنى المفلوق يعني فالق الاصباح وعلى هذا القول يزول الاشكال والصبح هو الضو الذي يبدو اول النهار والمعنى انه تعالى مبدي ضو الصبح وخالقه ومنوره

وقوله تعالى وجاعل الليل سكنا السكن ما سكنت اليه واسترحت به يريد ان الناس يسكنون في الليل سكون راحة لان الله جعل الليل لهم كذلك قال ابن عباس ان كل ذي روح يسكن فيه لان الانسان قد اتعب نفسه في النهار فاحتاج الى زمان يستريح فيه ويسكن عن حركته وذلك هو الليل والشمس والقمر حسبانا يعني انه تعالى قدر حركة الشمس والقمر في الفلك بحساب معين قال ابن عباس يجريان الى اجل جعل لهما يعني عدد الايام والشهور والسنين وقال الكلبي منازلهما بحساب لا يجاوزانه حتى ينتهيا الى اقصى منازلهما ذلك اشارة الى ما تقدم ذكره في هذه الاية من الاشيا

التي خلقها بقدرته وكمال علمه وهو المراد بقوله تقدير العزيز العليم فالعزيز اشارة الى كمال قدرته والعليم اشارة الى كمال علمه قوله عز وجل وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر جعل هنا بمعنى خلق يعني والله الذي خلق لكم هذه النجوم ادلة لتهتدوا بها اذا ضللتم الطريق وتحيرتم فيه فامتن الله على عباده بان جعل لهم النجوم ليهتدوا الى المسالك والطرق في البر والبحر الى حيث يريدون و يستدلون بالنجوم ايضا على القبلة فيستدلون على ما يريدون في النهار بحركة الشمس وفي الليل بحركة الكواكب ومن منافعها ايضا انه تعالى خلقها زينة للسما كما قال ولقد زينا السما الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين يعني وجعل بعضها رجوما للشياطين قد فصلنا الايات يعني بينا الايات الدالة على توحيدنا وكمال قدرتنا لقوم يعلمون ان ذلك مما يستدل به على وجود الصانع المختار وكمال علمه وقدرته

قوله تعالى وهو الذي انشاكم من نفس واحدة يعني والله الذي ابتدا خلقكم ايها الناس من ادم عليه السلام فهو ابو البشر كلهم وحوى مخلوقة منه وعيسى ايضا لان ابتدا خلقه من مريم وهي من بنات ادم فثبت ان جميع الخلق من ادم عليه السلام فمستقر ومستودع قرى فمستقر بكسر القاف ومعناه القار في مكانه واستقر فمن كسر القاف قال المستقر بمعنى القار والمعنى منكم مستقر يعني في الارحام ومن فتح القاف جعله مكانا فالمستقر بمعنى المقر فيكون المعنى لكم مقر واما المستودع فهو مثل اودع فيجوز ان يكون اسما للانسان الذي استودع ذلك المكان ويجوز ان يكون المكان نفسه فمن قرا فمستقر بفتح القاف جعل المستودع مكانا والمعنى فلكم مكان استقرار ومكان استيداع ومن كسر القاف جعل المعنى منكم مستقر ومنكم مستودع يعني منكم من استقر ومنكم من استودع والفرق بين المستقر و المستودع ان المستقر اقرب الى الثبات من المستودع لان المستقر من القرار والمستودع معرض بان يرد ولهذا اختلف عبارات المفسرين في معنى هذين اللفظين فروي عن ابن عباس انه قال المستقر في ارحام الامهات والمستودع في اصلاب الابا ثم قرا ونقر في الارحام ما نشا ويويد هذا القول ان النطفة لا تبقى في صلب الاب زمانا طويلا والجنين يبقى في بطن الام زمانا طويلا ولما كان المكث في بطن الام اكثر من صلب الاب حمل المستقر على الرحم والمستودع على الصلب وروي عنه انه قال بالعكس يعني المستقر صلب الاب والمستودع رحم المراة ووجه هذا القول ان النطفة حصلت في صلب الاب قبل رحم الام فوجب حمل المستقر على الصلب والمستودع على الرحم وقال ابن مسعود المستقر في الرحم الى ان يولد والمستودع في القبر الى ان يبعث وقال مجاهد المستقر على ظهر الارض في الدنيا لقوله ولكم في الارض مستقر ومتاع الى حين والمستودع عند الله في الاخرة وقال الحسن المستقر في القبر والمستودع في الدنيا وكان يقول يا ابن ادم انت مستودع في اهلك الى ان تلحق بصاحبك يعني القبر وقيل

للمستودع في القبر والمستقر ما في الجنة او النار لان المقام فيهما يقتضي الخلود و
التابيد قد فصلنا الايات يعني قد بينا الدلايل الدالة على التوحيد بالبراهين
الواضحة والحجج القاطعة لقوم يفقهون يعني لقوم يفهمون عن الله اياته ودلايله
الدالة على توحيده لان الفقه هو الفهم قوله عز وجل وهو الذي انزل من السما
ما يعني المطر وقيل ان الله ينزل المطر من السما الى السحاب ومن السحاب الى الارض
فاخرجنا به يعني الما الذي انزلناه من السما نبات كل شي يعني من كل شي ينبت
وينمو من جميع اصناف النبات وقيل معناه اخرجنا بالما الذي انزلناه من السما
غذا كل شي من الانعام والبهايم والطير والوحش وارزاق بني ادم واقواتهم مما
يتغذون به فينبتون عليه وينمون فاخرجنا منه خضرا يريد اخضر مثل عورا و
اعور والاخضر هو جميع الزرع والبقول الرطبة نخرج منه حبا متراكبا يعني يخرج من
ذلك الاخضر سنابل فيها الحب يركب بعضها فوق بعض مثل سنبل القمح والشعير
والارز وساير الحبوب وفي تقديم الزرع على النخل دليل على الافضلية ولان حاجة
الناس اليه اكثر لانه القوت المالوف ومن النخل من طلعها قنوان دانية يعني
من ثمرها يقال اطلعت النخلة اذا اخرجت طلعها وطلعها كفراها قبل ان يشق عن
العريض والاغريض يسمى طلعا ايضا وهو ما يكون في قلب الطلع والطلع
اول ما يبدو ويخرج من ثمر النخل كالكيزان يكون فيه العذوق فاذا انشق عنه كيزانه
يسمى عذقا وهو القنو وجمعه قنوان مثل صنو وصنوان دانية اي قريبة للمتناول
ينالها القايم والقاعد وقال مجاهد متدلية وقال الضحاك قصار ملصقة بالارض
وفيه اقتصار وحذف تقديره ومن النخل ما قنوانها دانية قريبة ومنها ما هي بعيدة
عالية فاكتفى بذكر القريبة عن البعيدة لشدة الاهتمام بها ولانها اسهل متناولا
من البعيدة لان البعيدة تحتاج الى كلفة وجنات من اعناب يعني واخرجنا من
ذلك بساتين من اعناب والزيتون والرمان يعني واخرجنا شجر الزيتون وشجر
الرمان مشتبها قال قتادة مشتبها ورقها مختلفا ثمرها لان ورق الزيتون يشبه
ورق الرمان وغير متشابه يعني ومنها غير متشابه في الورق والطعم واعلم ان الله
ذكر في هذه الاية اربعة انواع من الشجر بعد ذكر الزرع وانما قدم الزرع على ساير
الاشجار لان الزرع غذا وثمار الاشجار فواكه والغذا مقدم على الفواكه وانما قدم
النخلة على غيرها لان ثمرتها تجري مجرى الغذا وفيها من المنافع والخواص ما ليس في
غيرها من الاشجار وانما ذكر العنب عقب النخلة لانه من اشرف انواع الفواكه ثم
ذكر عقيبه الزيتون لما فيه من البركة والمنافع الكثيرة في الاكل وساير وجوه الاستعمال
ثم ذكر عقيبه الرمان لما فيه من المنافع ايضا لانه فاكهة ودوا ثم قال تعالى انظروا
الى ثمره اذا اثمر وينعه يعني ونضجه وادراكه والمعنى انظروا نظر استدلال واعتبروا

كيف اخرج

كيف اخرج الله تعالى هذه الثمرة الرطبة اللطيفة من هذه الشجرة الكثيفة اليابسة
وهو قوله تعالى ان في ذلكم لايات لقوم يومنون يعني يصدقون ان الذي اخرج هذا
النبات وهذه الثمار قادر على ان يحيي الموتى ويبعثهم وانما احتج عليهم بتصريف ما خلق
ونقله من حال الى حال وهو ما يعلمونه قطعا ويشاهدونه من احيا الارض بعد موتها
واخراج ساير انواع النبات والثمار منها وانه لا يقدر على ذلك احد الا الله تبارك
وتعالى فانه تعالى كذلك قادر على ان يحييهم بعد موتهم ويبعثهم ليوم القيامة وانما احتج
عليهم بهذه الاشيا لانهم كانوا ينكرون البعث قوله تعالى وجعلوا لله شركا الجن قال الحسن
معناه اطاعوا الجن في عبادة الاوثان وهو اختيار الزجاج قال معناه انهم اطاعوا الجن فيما
سولت لهم من شركهم فجعلوهم شركا لله وقال الكلبي نزلت في الزنادقة اثبتوا الشركة لابليس
في الخلق فقالوا الله خالق النور والناس والدواب والانعام وابليس خالق الظلمة
والسباع والحيات والعقارب ونقل هذا القول ابن الجوزي عن ابن السايب ونقله الرازي
عن ابن عباس قال الامام فخر الدين وهذا مذهب المجوس وانما قال ابن عباس هذا
قول الزنادقة لان المجوس يلقبون بالزنادقة لان الكتاب الذي زعم زردشت
انه نزل من السما سماه بالزند والمنسوب اليه يسمى زندي ثم عرب فقيل زنديق فاذا جمع قيل
زنادقة ثم ان المجوس قالوا كل ما في هذا العالم من الخير فهو من النور يعني النور وجميع ما في
العالم من الشر فهو من الظلمة يعني ابليس ثم اختلف المجوس فالاكثرون منهم على ان ابليس
محدث ولهم في كيفية حدوثه اقوال عجيبة والقاتلون منهم قالوا انه قديم وعلى كلا القولين
فقد اتفقوا على انه شريك الله تعالى في تدبير هذا العالم فما كان من خير فمن الله وما كان من
شر فمن ابليس تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا فان قلت فعلى هذا القول انهم اثبتوا لله شريكا
واحدا وهو ابليس فكيف حكى الله انهم جعلوا له شركا قلت ان ابليس له اعوان من جنسه وهم
وهم شياطين الجن يعملون اعماله فصح ما حكاه الله عنهم من انهم جعلوا له شركا الجن ومعنى
الاية جعلوا الجن شركا لله واختلفوا في معنى هذه الشركة فمن قال ان الاية في كفار العرب
قال انهم لما اطاعوا الجن فيما امروهم به من عبادة الاصنام فقد جعلوهم شركا لله ومن قال
انها في المجوس فقد اثبتوا الاهين اثنين النور والظلمة وقيل ان كفار العرب قالوا
الملايكة بنات الله وهم شركاوه فعلى هذا القول فقد جعلوا الملايكة من الجن وذلك
لانهم مستورون عن الاعين وقوله تعالى وخلقهم في معنى الكناية قولان احدهما انها تعود
الى الجن فيكون المعنى والله خلق الجن فكيف يكون شريك الله من هو محدث مخلوق
والقول الثاني ان الكناية تعود الى الجاعلين لله شركا فيكون المعنى وجعلوا لله
الذي خلقهم شركا لا يخلقون شيا وهذا كالدليل القاطع بان المخلوق لا يكون شريكا لله
وكل ما في الكون محدث مخلوق والله تعالى هو الخالق لجميع ما في الكون فامتنع ان يكون
لله شريكا في ملكه وخرقوا له بنين وبنات بغير علم اي اختلقوا وكذبوا يقال اختلق

واخترق على فلان اذا كذب عليه وذلك ان النصارى وطائفة من اليهود ادعوا ان لله ابنا
وكفار العرب ادعوا ان الملائكة بنات الله وكذبوا على الله جميعا فيما ادعوه وقوله بغير علم
علم كالبينة على ما هو الدليل القاطع على فساد هذا القول لان الولد جزء من الاب والله سبحانه وتعالى
لا يتجزى فثبت بهذا فساد قول من يدعي ان لله ولدا ثم نزه الله تعالى نفسه عن اتخاذ الولد
وعن هذه الاقاويل الفاسدة فقال تعالى سبحانه وتعالى عما يصفون فقوله سبحانه فيه تنزيه
الله عن كل ما لا يليق بجلاله وقوله وتعالى يعني المتعالي عن كل اعتقاد باطل وقول فاسد ويكون
المعنى المتعالي عن اتخاذ الولد والشريك وقوله عما يصفون يعني عما يصفونه به من الكذب
قوله عز وجل بديع السموات والارض الابداع عبارة عن تكوين الشيء على غير مثال سبق
والله تعالى خالق السموات والارض على غير مثال سبق انى يكون له ولد يعني من اين يكون
له الولد ولم تكن له صاحبة لان الولد لا يكون الا من صاحبة انثى لا ينبغي ان يكون لله
صاحبة لانه ليس كمثله شيء وخلق كل شيء يعني ان الصاحبة والولد في جملة من خلق
لانه خالق كل شيء وليس كمثله شيء فكيف يكون الولد لمن لا مثل له واذا نسب الولد
والصاحبة اليه فقد جعل له مثل والله تعالى متعال عن المثلية وهذه الآية حجة قاطعة
على فساد قول النصارى وهو بكل شيء عليم يعني انه تعالى عالم بجميع خلقه لا يعزب عن علمه
شيء وعلمه محيط بكل شيء قوله ذلكم الله يعني ذلكم الله الذي من صنعته انه خلق السموات
والارض وابدعها على غير مثال وانه بكل شيء عليم هو ربكم الذي يستحق العبادة لا من
تدعون من دونه من الاصنام لانها جماد لا تخلق ولا تضر ولا تنفع ولا تعلم والله تعالى
هو الخالق الضار النافع لا اله الا هو خالق كل شيء فاعبدوه يعني انه هو الذي يستحق
العبادة فاعبدوه واطيعوه وهو على كل شيء وكيل يعني انه تعالى على كل شيء خلق رقيب
حفيظ يقوم بارزاق جميع خلقه قوله عز وجل لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار
قال جمهور المفسرين معنى الادراك الاحاطة بكنه الشيء وحقيقته والابصار ترى
البارى جل جلاله ولا تحيط به كما ان القلوب تعرفه ولا تحيط به وقال سعيد بن
المسيب في تفسير قوله لا تدركه الابصار وقال ابن عباس كلت ابصار المخلوقين
عن الاحاطة به فصل تمسك بظاهر الآية قوم من اهل البدع وهم الخوارج والمعتزلة
وبعض المرجئة وقالوا ان الله تعالى لا يراه احد من خلقه وان رؤيته مستحيلة عقلا
لان الله اخبر ان الابصار لا تدركه وان ادراك البصر عبارة عن الرؤية اذ لا فرق
بين قوله ادركته ببصري ورأيته ببصري فثبت بذلك ان قوله لا تدركه الابصار
يعني لا تراه الابصار وهذا يفيد العموم ومذهب اهل السنة ان المؤمنين يرون
ربهم يوم القيامة وفي الجنة وان رؤيته غير مستحيلة عقلا واحتجوا لصحة مذهبهم
بظاهر ادلة الكتاب والسنة واجماع الصحابة ومن بعدهم من سلف الامة على
اثبات رؤية الله تبارك وتعالى للمؤمنين في الآخرة قال الله تبارك وتعالى وجوه

يومئذ

يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة وفي هذه الآية دليل على ان المؤمنين يرون ربهم يوم
القيامة وقال تعالى كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون قال الشافعي رحمه الله حجب
قوما بالمعصية وهي الكفر فثبت ان قوما يرونه بالطاعة وهي الايمان وقال
مالك لو لم ير المؤمنون ربهم يوم القيامة لم يعير الكفار بالحجاب وقال تعالى للذين
احسنوا الحسنى وزيادة وفسروا هذه الزيادة بالنظر الى الله تعالى يوم القيامة واما
دليل السنة فما روي عن جرير بن عبد الله البجلي قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه
وسلم فنظر الى القمر ليلة البدر وقال انكم سترون ربكم عيانا كما ترون هذا القمر
لا تضامون في رؤيته فان استطعتم ان لا تغلبوا عن صلاة قبل طلوع الشمس وقبل
الغروب فافعلوا اخرجاه البخاري ومسلم عن ابي هريرة ان ناسا قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا
يوم القيامة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تضامون في القمر ليلة البدر قالوا
لا يا رسول الله قال هل تضامون في الشمس ليس دونها سحاب قالوا لا قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم فانكم ترونه كذلك اخرجه ابو داود واخرجه الترمذي
وليس عنده في اوله ان ناسا سألوا ولا في اخره ليس دونها سحاب عن ابي رزين
العقيلي قال قلت يا رسول الله اكلنا يرى ربه مخليا به يوم القيامة قال نعم قلت
وما آية ذلك من خلقه قال يا ابا رزين اليس كلكم يرى القمر ليلة البدر مخليا
به قلت بلى قال فالله اعظم انما هو خلق من خلق الله يعني القمر فالله اجل
واعظم اخرجه ابو داود واما الدلائل العقلية فقد احتج اهل السنة ايضا بهذه الآية
على جواز رؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة وتقريره انه تعالى تمدح بقوله لا تدركه
الابصار فلو لم يكن جائز الرؤية لما حصل هذا التمدح لان المعدوم لا تصح
رؤيته فثبت ان قوله لا تدركه الابصار يفيد المدح وهذا يدل على كونه تعالى
جائز الرؤية وتحقيق هذا ان الشيء اذا كان في نفسه بحيث يمتنع رؤيته فحينئذ
لا يلزم من عدم رؤيته مدح وتعظيم اما اذا كان في نفسه جائز الرؤية ثم انه قدر
على حجب الابصار عنه كانت القدرة دالة على المدح والعظمة فثبت ان هذه الآية
دالة على انه تعالى جائز الرؤية واذا ثبت هذا وجب القطع بان المؤمنين يرونه
يوم القيامة لان موسى عليه الصلاة والسلام سأل الرؤية بقوله ارني انظر اليك
وذلك يدل على جواز الرؤية اذ لا يسأل نبي مثل موسى ما لا يجوز او يمتنع
وقد علق الله الرؤية على استقرار الجبل بقوله فان استقر مكانه فسوف
تراني واستقرار الجبل جائز والمعلق على الجائز جائز واما الجواب عن تمسك المعتزلة
بظاهر الآية على نفي الرؤية فاعلم ان الادراك غير الرؤية لان الادراك هو
الاحاطة بكنه الشيء وحقيقته والرؤية المعاينة للشيء من غير احاطة وقد تكون
الرؤية بلا ادراك كما قال تعالى في قصة موسى قال اصحاب موسى انا لمدركون

قال كلا وكان قوم فرعون قد رأوا قوم موسى ولم يدركوهم لكن قاربوا ادراكهم اياهم
فنفى موسى الادراك مع اثبات الرؤية بقوله كلا والله يجوز ان يرى في الآخرة من غير
ادراك ولا احاطة لان الادراك هو الاحاطة بالمرئي وهو من كان محدودا وله جهات
وهو منزه عن الحد والجهة لانه القديم الذي لا نهاية لوجوده فعلى هذا انه تعالى يرى ولا يدرك
وقال قوم ان الرؤية مخصوصة بالدنيا قال ابن عباس في معنى الآية لا تدركه الابصار في الدنيا
وهو يرى في الآخرة وعلى هذا القول فلا فرق بين الادراك والرؤية قال ويدل على هذا
التخصيص قوله وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة فقوله يومئذ ناظرة مقيد بيوم القيامة
وعلى هذا يمكن الجمع بين الآيتين وقال السدي البصر بصران بصر معاينة وبصر علم فمعنى
قوله لا تدركه الابصار لا يدركه علم العلماء ونظره ولا يحيطون به علما وهذا وجه حسن ايضا
والله اعلم وقوله تعالى وهو يدرك الابصار يعني انه تعالى يرى جميع المرئيات ويبصر جميع
المبصرات لا يخفى عليه شيء منها ويعلم حقيقتها ويطلع على ماهيتها فهو تعالى لا تدركه ابصار
المبصرين وهو يدركها وهو اللطيف الخبير قال ابن عباس اللطيف باوليائه الخبير بهم
وقال الزهري اللطيف الرفيق بعباده وقيل هو الموصل الشيء اليك برفق ولين وقيل
هو الذي ينسى عباده ذنوبهم لئلا يخجلوا واصل اللطف دقة النظر في الاشيا وقال ابو
سليمان الخطابي اللطيف هو البر بعباده يلطف بهم من حيث لا يعلمون ويوصل اليهم
مصالحهم من حيث لا يحتسبون وقال الازهري اللطيف في اسما الله تعالى معناه الرفيق
بعباده وقيل هو اللطيف حيث لم يامر عباده فوق طاقتهم وينعم عليهم فوق استحقاقهم
وقيل هو اللطيف بعباده حيث يثني عليهم عند الطاعة ولم يقطع عنهم بره وخيره
عند المعصية وقيل هو اللطيف بعباده ان تدركه الابصار وهو يدركها قوله تعالى
قد جاءكم بصائر من ربكم البصائر جمع البصيرة وهي الدلالة التي توجب البصر بالشيء والعلم
به والمعنى قد جاءكم القرآن الذي فيه البيان والحجج التي تبصرون بها الهدى من الضلالة
والحق من الباطل وقيل ان الآيات والبراهين ليست في نفسها بصائر الا انها لقوتها
توجب البصائر لمن عرفها ووقف على حقائقها فلما كانت هذه الآيات والحجج والبراهين
اسبابا لحصول البصائر سميت الآيات بصائر فمن ابصر يعني فمن عرف الآيات واهتدى بها
الى الحق فلنفسه يعني فلنفسه ابصر ولها عمل لانه يعود نفع ذلك عليه ومن عمي
يعني ومن جهل ولم يعرف الآيات ولم يستدل بها الى الطريق فعليها يعني فعلى نفسه عمي
ولها ضر كان وبال ذلك العمى عليه لان الله تعالى غني عن خلقه وما انا عليكم بحفيظ
يعني وما انا عليكم برقيب احصي عليكم اعمالكم وافعالكم انما انا رسول من ربكم اليكم
ابلغكم ما ارسلت به والله هو الحفيظ عليكم لا يخفى عليه شيء من اعمالكم واحوالكم وقيل
معناه لا اقدر ان ارفع عنكم ما يريد الله بكم وقيل معناه لست آخذكم بالايمان
اخذ الحفيظ الوكيل وهذا كان قبل الامر بقتال المشركين فعلى هذا القول تكون الآية

منسوخة

منسوخة باية السيف وعلى القول الاول ليست منسوخة والله اعلم قوله عز وجل وكذلك
نصرف الآيات يعني وكذلك نبين الآيات ونفصلها في كل وجه كما صرفناها وبيناها من قبل
وليقولوا درست يعني وكذلك نصرف الآيات نلزمهم الحجة وليقولوا درست وقيل معناه
لئلا يقولوا درست يعني قرأت وقيل اللام فيه لام العاقبة ومعناه عاقبة امرهم
ان يقولوا درست يعني قرأت على غيرك يقال درس الكتاب يدرسه درسا اذا
كثر قراءته وذللته للحفظ قال ابن عباس وليقولوا يعني اهل مكة حين تقرأ عليهم القرآن
درست تعلمت من يسار وجبر وكانا عبدين من سبي الروم ثم قرأت علينا تزعم
انه من عند الله وقال الفراء معناه تعلمت من اليهود وقرئ دارست بالالف يعني قارأت
اهل الكتاب من المدارسة التي هي بين اثنين يعني يقولون قرأت على اهل الكتاب
وقرؤا عليك وقرئ درست بفتح الدال والراء والسين وسكون التاء ومعناه ان هذه
الاخبار التي تتلوها علينا قديمة وقد درست وانمحت من قولهم درس الاثر اذا امحى
وذهب اثره ولنبينه لقوم يعلمون يعني القرآن وقيل معناه نصرف الآيات لقوم يعلمون
قال ابن عباس يريد اولياءه الذين هداهم الى سبيل الرشاد وقيل معنى الآية وكذلك
نصرف الآيات ليسعد بها قوم ويشقى بها آخرون فمن اعرض عنها وقال للنبي
صلى الله عليه وسلم درست او دارست فهو شقي ومن تبين له الحق وفهم معناه وعمل
بها فهو سعيد وقال ابو اسحاق ان السبب الذي اداهم الى ان قالوا دارست هو تلاوة
الآيات عليهم وهذه اللام تسميها اهل اللغة لام الصيرورة يعني صار عاقبة امرهم ان قالوا
درست فصار ذلك سببا للشقاوة وفي هذا دليل على ان الله تعالى جعل تصريف الآيات
سببا لضلالة قوم وشقاوتهم وسعادة قوم وهدايتهم قوله تعالى اتبع ما اوحي اليك
من ربك الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعني اتبع يا محمد ما امرك به ربك في وحيه الذي
اوحاه اليك وهو القرآن فاعمل به وبلغه الى عبادي ولا تلتفت الى قول من يقول دارست
او درست وفي قوله اتبع ما اوحي اليك من ربك تقوية لقلب النبي صلى الله عليه وسلم
وازالة الحزن الذي حصل له بسبب قولهم درست ونحوه قوله تعالى لا اله الا هو يعني انه
سبحانه وتعالى واحد فرد صمد لا شريك له واذا كان كذلك فانه تجب طاعته ولا
يجوز تركها بسبب جهل الجاهلين وزيغ الزائغين وقوله تعالى واعرض عن المشركين
فقيل المراد منه في الحال لا الدوام واذا كان كذلك لم يكن النسخ وقيل المراد ترك مقاتلتهم
فعلى هذا يكون هذا الامر بالاعراض منسوخا باية القتال قوله عز وجل ولو شاء الله
ما اشركوا قال الزجاج ولو شاء الله لجعلهم مؤمنين وهذا نص صريح في ان شركهم
كان بمشيئة الله تعالى خلافا للمعتزلة في قولهم لم يرد من احد الكفر والشرك فالآية رد
عليهم وما جعلناك عليهم حفيظا يعني وما جعلناك يا محمد على هؤلاء المشركين رقيبا
ولا حافظا تمنعهم مني ومعناه انك لم تبعث لتحفظ المشركين من العذاب وانما

بعثت مبلغا فلا انتم لبشركهم فان ذلك بمشية الله تعالى وما انت عليهم بوكيل يعني
وما انت عليهم بقيم تقوم بارزاقهم وما انت عليهم بمسيطر فعلى التفسير الاول تكون
الاية منسوخة باية السيف وعلى قول ابن عباس لا تكون منسوخة قوله عز وجل
ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم الاية قال ابن
عباس لما نزلت انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم قال المشركون يا محمد
لتنتهين عن سب الهتنا او لنهجون ربك فنهاهم الله ان يسبوا اوثانهم فيسبوا الله
عدوا بغير علم وقال قتادة كان المسلمون يسبون اوثان الكفار فيردون ذلك عليهم
فنهاهم الله عن ذلك لئلا يسبوا الله فانهم قوم جهلة لا علم لهم بالله عز وجل وقال السدي
لما حضرت ابا طالب الوفاة قالت قريش انطلقوا بنا لندخل على هذا الرجل فلنامره
ان ينهى عنا ابن اخيه فانا نستحي ان نقتله بعد موته فتقول العرب كان عمه يمنعه
فلما مات قتلوه فانطلق ابو سفيان وابو جهل والنضر بن الحرث وامية وابي ابنا
خلف وعقبة بن ابي معيط وعمرو بن العاص والاسود بن ابي البختري الى ابي طالب
فقالوا يا ابا طالب انك كبيرنا وسيدنا وان محمدا قد اذانا واذى الهتنا فنحب ان
تدعوه فتنهاه عن ذكر الهتنا ولندعه والهه فدعاه فجاء النبي صلى الله عليه وسلم
فقال له ابو طالب ان هولا قومك وبنوا عمك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
وما يريدون قالوا نريد ان تدعنا والهتنا وندعك والهك فقال له ابو طالب
قد انصفك قومك فاقبل منهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم ارايتم ان اعطيتكم هذا
فهل انتم معطي كلمة ان تكلمتم بها ملكتم العرب ودانت لكم العجم وادت لكم الخراج
فقال ابو جهل نعم وابيك لنعطينكها وعشرة امثالها فما هي فقال قولوا لا اله الا
الله فابوا ونفروا فقال ابو طالب قد غيرها يا ابن اخي فقال يا عم ما انا بالذي اقول
غيرها ولو اتوني بالشمس فوضعوها في يدي ما قلت غيرها ارادة ان يويسهم فقالوا
تكفن عن شتم الهتنا ولنشتمنك او لنشتمن من يامرك فانزل الله ولا تسبوا الذين
يدعون من دون الله يعني ولا تسبوا ايها المومنون الاصنام التي يعبدها المشركون
فيسبوا الله عدوا بغير علم يعني فيسبوا الله ظلما بغير علم لانهم جهلة بالله عز وجل
قال الزجاج نهوا من ذلك الوقت قبل القتال ان يلعنوا الاصنام التي كانت
تعبدها المشركون وقال ابن الانباري هذه الاية منسوخة انزلها الله عز وجل
والنبي صلى الله عليه وسلم بمكة فلما قواه باصحابه نسخ هذه الاية ونظايرها بقوله
اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وقيل انما نهوا عن سب الاصنام وان كان في
سبها طاعة وهو مباح لما يترتب على ذلك من المفاسد التي هي اعظم من ذلك وهو
سب الله عز وجل وسب رسوله وذلك من اعظم المفاسد فلذلك نهوا عن سب
الاصنام وقيل لما نزلت هذه الاية قال النبي صلى الله عليه وسلم لا تسبوا الهتهم فيسبوا

ربكم فامسك

ربكم فامسك المسلمون عن سب الهتهم فظاهر الاية وان كان نهيا عن سب الاصنام
فحقيقة النهي عن سب الله تعالى لانه سبب لذلك وقوله تعالى كذلك زينا لكل امة
عملهم يعني كما زينا لهولا المشركين عبادة الاصنام وطاعة الشيطان بالحرمان
والخذلان كذلك زينا لكل امة عملهم من الخير والشر والطاعة والمعصية وفي هذه
الاية دليل على تكذيب القدرية والمعتزلة حيث قالوا لا يحسن من الله خلق الكفر
وتزيينه وقوله تعالى ثم الى ربهم مرجعهم يعني المومن والكافر والطايع والعاصي فينبئهم
بما كانوا يعملون يعني في الدنيا ويجازيهم على ذلك قوله عز وجل واقسموا بالله جهد
ايمانهم قال محمد بن كعب القرظي والكلبي قالت قريش يا محمد انك تخبرنا ان
موسى كانت له عصى يضرب بها الحجر فتنفجر منه اثنتا عشرة عينا وتخبرنا ان عيسى
كان يحيي الموتى فاتنا باية حتى نصدقك ونومن بك فقال النبي صلى الله عليه وسلم
اي شي تحبون قالوا تجعل الصفا لنا ذهبا وابعث لنا بعض موتانا نسله عنك احق
ما تقول ام باطل وارنا الملايكة يشهدون لك قال النبي صلى الله عليه وسلم ان
فعلت بعض ما تقولون اتصدقونني قالوا نعم والله لين فعلت لنتبعك
اجمعين وسال المسلمون رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينزلها عليهم حتى يومنوا
فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يدعوا الله عز وجل ان يجعل الصفا ذهبا فجا
جبريل فقال ما شيت ان شيت اصبح ذهبا ولكن ان لم يصدقونك فلنعذبنهم وان
شيت تركتهم حتى يتوب تايبهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل يتوب تايبهم
فانزل الله عز وجل واقسموا بالله جهد ايمانهم يعني حلفوا بالله جهد ايمانهم يعني اوكد
ما قدروا عليه من الايمان واشدها قال الكلبي ومقاتل اذا حلف الرجل بالله فهو جهد
يمينه لين جاتهم اية يعني كما جاءت من قبلهم من الامم ليومنن بها يعني ليصدقن
بها قل يعني يا محمد انما الايات عند الله يعني ان الله تعالى قادر على انزالها وما يشعركم
يعني وما يدريكم ثم اختلف العلما في المخاطبين بقوله وما يشعركم فقيل هو خطاب
للمشركين الذين اقسموا بالله وقيل هو خطاب للمومنين واختلفوا في قوله
انها اذا جات لا يومنون فقرا ابن كثير واهل البصرة وابو بكر عن عاصم انها بكسر الالف
على الابتدا وقالوا تم الكلام عند قوله وما يشعركم على معنى وما يدريكم ما يكون منكم
ثم ابتدا فقال انها اذا جات لا يومنون فمن جعل الخطاب للمشركين قال معناه وما
يشعركم ايها المشركون انها يعني الايات اذا جات امنتم ومن جعل الخطاب للمومنين
قال معناه وما يشعركم ايها المومنون انها اذا جات امنوا لان المومنين كانوا يسلون
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يدعوا الله ان يريهم ما اقترحوا حتى يومنوا فخاطبهم
الله تعالى بقوله وما يشعركم ثم ابتدا فقال تعالى انها اذا جات لا يومنون وهذا في
قوم مخصوصين حكم الله عليهم بانهم لا يومنون وذلك لسابق علمه فيهم وقرا

الباقون انها بفتح الالف وجعلوا الخطاب فى ذلك للمومنين لان المومنين هم الذين
سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم انزال الايات حتى يومن المشركون اذا راوها لان
المشركين كانوا حلفوا انهم اذا جاءتهم اية امنوا وصدقوا واتبعوا رسول الله صلى الله
عليه وسلم فاحب اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم انزال الايات لذلك فقال الله تعالى
وما يشعركم ايها المومنون ان الايات اذا جاءت هولا المشركين لا يومنون فعلى هذا اختلفوا
فى لفظة قوله لا يومنون فقيل هى صلة والمعنى وما يشعركم انها اذا جاءت يومنون وقيل
هى على بابها وفيه حذف والمعنى انها اذا جاءت يومنون او لا يومنون وقيل ان بمعنى
لعل فى قوله انها اذا جاءت وكذلك فى قراءة ابى بن كعب لعلها اذا جاءت وهذا شايع
فى كلام العرب يقول العرب ايت السوق انك تشترى لنا شيا بمعنى لعلك ومنه قول
عدى بن زيد ٥ اعاذل ما يدريك ان منيتى ٥ الى ساعة فى اليوم او فى ضحى الغد ٥
يعنى لعل منيتى قوله تعالى ونقلب افئدتهم وابصارهم قال ابن عباس يعنى ونحول
بينهم وبين الايمان فلو جيناهم بالايات التى سالوا ما امنوا بها والتقلب هو تحويل
الشى وتحريكه عن وجهه الى وجه اخر لان الله تعالى اذا صرف القلوب والابصار عن
الايمان بقيت على الكفر كما لم يومنوا به اول مرة يعنى كما لم يومنوا بما قبل ذلك من
الايات التى جاء بها رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل انشقاق القمر وغير ذلك من
المعجزات الباهرة وقيل اول مرة يعنى الايات التى جاء بها موسى وغيره من الانبيا قال ابن
عباس المرة الاولى دار الدنيا يعنى لو ردوا من الاخرة الى الدنيا نقلب افئدتهم
وابصارهم عن الايمان فلا يومنوا كما لم يومنوا به اول مرة قبل مماتهم وفى الاية دليل
على ان الله تعالى يهدى من يشا ويضل من يشا وان القلوب والابصار بيده وفى تصريفه
فيقيم ما شا منها ويزيغ ما اراد منها ومنه قوله صلى الله عليه وسلم يا مقلب القلوب
ثبت قلبى على دينك يعنى ونقلب افئدتهم فنزيغها عن الايمان ونقلب ابصارهم
عن روية الحق ومعرفة الصواب وان جاءتهم الاية التى سالوها فلا يومنوا بها كما لم
يومنوا بالله ورسوله وبما جاء من عند الله فعلى هذا تكون الكناية فى به عايدة على
الايمان بالقران وبما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل سوالهم الايات التى اقترحوها
وقوله تعالى ونذرهم فى طغيانهم يعمهون يعنى ونترك هولا المشركين الذين سبق
فى علم الله انهم لا يومنون فى تمردهم على الله واعتدايهم عليه يترددون لا يهتدون
الى الحق قوله عز وجل ولو اننا نزلنا اليهم الملايكة قال ابن جريج نزلت فى المستهزيين
وذلك انهم اتوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى نفر من قريش فقالوا يا محمد ابعث
لنا بعض موتانا حتى نسالهم عنك احق ما تقول ام باطل او ارنا الملايكة يشهدون
انك رسول الله او ايتنا بالله والملايكة قبيلا فنزلت هذه الاية جوابا لهم والمعنى
ولو اننا نزلنا اليهم الملايكة حتى يشهدون لك بالرسالة وكلمهم الموتى يعنى كما سالوا

وحشرنا عليهم

وحشرنا عليهم كل شى قبلا يعنى وجمعنا عليهم كل شى قبلا قبيلا وقيل القبيل الكفيل
بصحة ما يقول ما امنوا به وهو قوله ما كانوا ليومنوا الا ان يشا الله يعنى الا ان يشا
الله الايمان منهم وفيه دليل على ان جميع الاشيا بمشية الله تعالى حتى الايمان والكفر
وموضع المعجزة ان الاشيا المحشورة منها ناطق ومنها صامت فاذا انطق الله
الكل حتى يشهدون لك بصحة ما تقول كان ذلك فى غاية الاعجاز وقيل قبلا
من المقابلة والمواجهة والمعنى وحشرنا عليهم كل شى مواجهة ومعاينة ما كانوا ليومنوا
الا ان يشا الله اخبر الله ان الايمان بمشيته لا كما ظنوا انهم متى شاوا امنوا ومتى شاوا
لم يومنوا وقال ابن عباس ما كانوا ليومنوا هم اهل الشقا الا ان يشا الله هم
اهل السعادة الذين سبق لهم فى علمه انهم يدخلون فى الايمان وصحح الطبرى
قول ابن عباس قال لان الله عم بقوله ما كانوا ليومنوا القوم الذين تقدم ذكرهم
فى قوله واقسموا بالله جهد ايمانهم لين جاءتهم اية ليومنن بها ثم استثنى منهم
اهل السعادة وهم الذين شا لهم الايمان وقوله تعالى ولكن اكثرهم يجهلون يعنى
يجهلون ان ذلك كذلك ويحسبون ان الايمان اليهم متى شاوا امنوا ومتى
شاوا كفروا وليس الامر كذلك بل الايمان والكفر بمشية الله تعالى ورد على القدرية
والمعتزلة فى قولهم ان الله اراد الايمان فى جميع الكفار قوله تعالى وكذلك جعلنا
لكل نبى عدوا قيل هو منسوق على قوله تعالى وكذلك زينا لكل امة عملهم اى كما
فعلنا ذلك كذلك جعلنا لكل نبى عدوا وقيل معناه كما جعلنا لمن قبلك من الانبيا
اعدا كذلك جعلنا لك اعدا وفيه تعزية للنبى صلى الله عليه وسلم وتسلية له يقول
الله تبارك وتعالى كما ابتليناك بهولا القوم فكذلك جعلنا لكل نبى قبلك عدوا
ليعظم ثوابه على ما يكابده من اذا اعدايه وعدو واحد يراد به الجمع يعنى جعلنا
لكل نبى عدوا شياطين الانس والجن اختلف العلما فى معنى شياطين الانس والجن
على قولين احدهما ان المراد شياطين الانس وشياطين من الجن والشياطين
كل عات متمرد من الجن والانس وهذا قول ابن عباس فى رواية عطا وهو
قول مجاهد وقتادة قالوا وشياطين الانس اشد تمردا من شياطين الجن لان
شيطان الجن اذا عجز عن اغوا المومن الصالح واعياه ذلك استعان على اغوايه
بشيطان الانس ليفتنه ويدل على صحة هذا القول ما روى عن ابى ذر قال قال
لى رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تعوذت بالله من شيطان الجن والانس
قلت يا رسول الله وهل للانس من شيطان قال نعم هم شر من شياطين الجن
ذكره البغوى بغير سند واسنده الطبرى وقال مالك ابن دينار ان شيطان
الانس اشد على من شيطان الجن وذلك انى اذا تعوذت بالله ذهب
شيطان الجن وشيطان الانس يجينى فيجرنى الى المعاصى القول الثانى

ان الجميع من ولد ابليس فاضيف الشياطين على معنى انهم يغوونهم وهذا قول عكرمة والضحاك
والكلبي والسدي ورواية عن ابن عباس قالوا والمراد بشياطين الانس التي مع الانس وبشياطين
الجن التي مع الجن وذلك ان ابليس قسم جنده فريقين فبعث فريقا منهم الى الجن وفريقا
منهم الى الانس فالفريقان شياطين الجن والانس بمعنى انهم يغوونهم ويضلونهم وكلا الفريقين
اعدا النبي صلى الله عليه وسلم ولاوليائه من المومنين والصالحين ومن ذهب الى هذا القول
فانه يدل على صحته ان لفظ الاية يقتضي اضافة الشياطين الى الانس والجن والاضافة
تقتضي المغايرة فعلى هذا تكون الشياطين نوع مغاير للانس والجن وهم اولاد ابليس
وقوله تعالى يوحي بعضهم الى بعض يعني يلقي ويسر بعضهم الى بعض ويناجي بعضهم بعضا
وهو الوسوسة التي يلقيها الجن بعد اغواه فعلى القول الاول ان شياطين الجن والانس
يسر بعضهم الى بعض بما يفتنون به المومنين والصالحين وعلى القول الثاني ان اولاد
ابليس يلقي بعضهم بعضا في كل حين فيقول شياطين الانس لشياطين الجن اضللت
صاحبي بكذا وكذا فاضل انت صاحبك بمثله ويقول شياطين الجن لشياطين الانس
كذلك فذلك وحي بعضهم الى بعض وقوله زخرف القول يعني باطل القول والزخرف
هو الباطل من الكلام الذي قد زين ووشي بالكذب وكل شي حسن مموه فهو زخرف
غرورا يعني ان الشياطين يغرون بذلك القول المكذب المزخرف غرورا وذلك ان
الشياطين يزينون الاعمال القبيحة لبني ادم ويغرونهم بها غرورا ولو شا ربك ما
فعلوه يعني ما فعلوا الوسوسة التي يلقونها الشياطين في قلوب بني ادم والمعنى
ان الله تعالى لو شا لمنع الشياطين من القا الوسوسة الى الانس والجن ولكن الله
يمتحن من يشا من عباده بما يعلم انه الاجزل في الثواب اذا صبر على المحنة فذرهم
وما يفترون اي خلهم يا محمد وما زين لهم ابليس وغرهم به من الكفر والمعاصي فاني من
ورايهم ولتصغى اليه افيدة الذين لا يومنون بالاخرة قال ابن عباس ولتميل اليه
واصل الصغو في اللغة الميل يقال اصغى الى كذا مال اليه ويقال صغوت اصغو
وصغيت اصغى لغتان قال ابن الانباري اللام في ولتصغى متعلقة بفعل مضمر
معناه وجعلنا بهم كذا لكي تصغى الى الباطل افيدة الذين لا يومنون بالاخرة
وقال غيره اللام متعلقة بيوحي لتقديره يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول
غرورا ليغووا بذلك ولتصغى اليه افيدة الذين لا يومنون بالاخرة والضمير في
اليه يرجع الى زخرف القول والمعنى ان قلوب الكفار تميل الى زخرف القول
وباطله وتحبه وترضى به وهو قوله وليرضوه يعني وليرضون بذلك القول المزخرف
الباطل وليقترفوا ما هم مقترفون يعني وليكتسبوا من الاعمال الخبيثة ما هم
مكتسبون قوله عز وجل افغير الله ابتغي حكما اي قل يا محمد لهولا المشركين
افغير الله اطلب حكما قاضيا يقضي بيني وبينكم وذلك انهم كانوا يقولون

للنبي صلى

للنبي صلى الله عليه وسلم اجعل بيننا وبينك حكما فامره الله تعالى ان يجيبهم بهذا الجواب والحكم
والحاكم واحد عند اهل اللغة غير ان اهل المعاني الحكم اكمل من الحاكم لان الحاكم من شانه ان يحكم
والحكم اهل لان يتحاكم اليه وهو الذي لا يحكم الا بالحق فالله حكم لا يحكم الا بالحق فلما انزل
على محمد القران فقد حكم له بالنبوة وهو قوله تعالى وهو الذي انزل اليكم الكتاب مفصلا يعني
بينا فيه امره ونهيه ووعده ووعيده وفيه الحكم بيني وبينكم والذين اتيناهم الكتاب
يعني علما اليهود والنصارى يعلمون انه منزل من ربك بالحق يعني يشهدون ان هذا القران
منزل من عند الله وذلك لما ثبت عندهم من الدلايل الدالة على ذلك وقيل المراد بهم علما
الصحابة وروساهم مثل ابي بكر وعمر وعثمان وعلي ونظايرهم يعلمون ان هذا القران
منزل من ربك بالحق فامنوا به وصدقوه فلا تكونن من الممترين يعني فلا تكونن يا محمد
من الشاكين ان علما اهل الكتاب يعلمون ان هذا القران حق وانه منزل من عند الله وقيل
معناه فلا تكونن في شك مما قصصنا عليك انه حق وصدق فهو من باب التهييج
لانه صلى الله عليه وسلم لم يشك قط وقيل الخطاب وان كان في الظاهر للنبي صلى الله عليه وسلم
الا ان المراد به غيره والمعنى فلا تكونن ايها الانسان مع لهذا القران في شك انه منزل
من عند الله لما فيه من الاعجاز الذي لا يقدر على مثله الا الله تبارك وتعالى قوله وتمت
كلمات ربك وقري كلمة على الجمع فمن قرا على التوحيد قال الكلمة قد يراد بها الكلمات
الكثيرة اذا كانت مضبوطة بضابط واحد كقولهم قال الشاعر في كلمته يعني قصيدته
وكذلك القران كلمة واحدة لانه شي واحد في اعجاز النظم وكونه حقا وصدقا ومعجزا
ومن قرا بالجمع قال لان الله تعالى قال في سياق الاية لا مبدل لكلماته فوجب الجمع
في اللفظ الاول اتباعا للثاني صدقا وعدلا يعني صدقا فيما وعد وعدلا فيما حكم
وقيل ان القران مشتمل على الاخبار والاحكام فهو صادق فيما اخبر عن القرون الماضية
والامم الخالية وعما هو كاين الى قيام الساعة وفيما اخبر عن ثواب المطيع في الجنة
وعقاب العاصي في النار وهو عدل فيما حكم من الامر والنهي والحلال والحرام
وساير الاحكام لا مبدل لكلماته يعني لا مغير لقضايه ولا راد لحكمه ولا خلف لمواعيده
وقيل لما وصف كلماته بالتمام في قوله وتمت كلمات ربك والتمام في كلمات الله
لا تنيك النقص والتغيير والتبديل قال تعالى لا مبدل لكلماته لانها مصونة عن التحريف
والتغيير باقية الى يوم القيامة وفي قوله لا مبدل لكلماته دليل على ان السعيد لا
ينقلب شقيا ولا الشقي ينقلب سعيدا فالسعيد من سعد في الازل والشقي من
شقي في الازل واورد على هذا ان الكافر يكون شقيا بكفره فيسلم فينقلب سعيدا
باسلامه واجيب عنه بان الاعتبار بالخاتمة فمن ختم له بالسعادة كان قد كتب
سعيدا في الازل ومن ختم له بالشقاوة كان شقيا في الازل والله اعلم وقوله تعالى
وهو السميع يعني لما يقوله العباد العليم يعني باحوالهم قوله عز وجل وان تطع اكثر

من في الارض يضلوك عن سبيل الله قال المفسرون ان المشركين جادلوا رسول الله صلى
الله عليه وسلم والمومنين في اكل الميتة وذلك انهم قالوا للمسلمين كيف تاكلون ما قتلتم
ولا تاكلون ما قتل ربكم فقال الله لنبيه صلى الله عليه وسلم وان تطع اكثر من في الارض
في اكل الميتة وكان الكفار يومئذ اكثر اهل الارض يضلوك عن سبيل الله يعني
يضلوك عن دين الله الذي شرعه لك وبعثك به وقيل معناه لا تطعهم في
معتقداتهم الباطلة فانك ان تطعهم يضلوك عن سبيل الله يعني يضلوك عن
طريق الحق ومنهج الصدق ثم اخبر عن حال الكفار وما هم عليه فقال تعالى ان يتبعون
الا الظن يعني ان هولاء الكفار الذين يجادلونك ما يتبعون في دينهم الذي هم
عليه الا الظن وليسوا على بصيرة وحق في دينهم وليسوا القاطعين انهم على حق
لانهم اتبعوا اهواءهم وتركوا التماس الصواب والحق واقتصروا على اتباع الظن
والجهل وان هم الا يخرصون يعني يكذبون واصل الخرص الحزر والتخمين ومنه خرص
النخلة اذا حزر كمية ثمرتها على الظن من غير يقين وسمى الكذب خرصا لما يدخله من
الظنون الكاذبة وقيل ان كل قول مقول عن ظن وتخمين يقال له خرص لان قائله
لم يقله عن علم ويقين ان ربك هو اعلم من يضل عن سبيله يقول الله لنبيه محمد
صلى الله عليه وسلم يا محمد ان ربك اعلم منك ومن جميع خلقه اي الناس يضل عن سبيله
وهو اعلم بالمهتدين يعني وهو ايضا اعلم بمن كان على هدى واستقامة وسواء لا يخفى عليه
شي من احوال خلقه فاخبر تعالى بانه اعلم بالفريقين الضال والمهتدي وانه يجازي
كلا بما يستحق قوله تعالى فكلوا مما ذكر اسم الله عليه هذا جواب لقول المشركين حيث
قالوا للمسلمين اتاكلون ما قتلتم ولا تاكلون ما قتل ربكم فقال الله تعالى للمسلمين فكلوا
انتم مما ذكر اسم الله عليه من الذبائح ان كنتم باياته مومنين وقيل كانوا يحرمون اصنافا
من النعم ويحلون الميتة فقيل حلوا ما احل الله وحرموا ما حرم الله فعلى هذا القول
تكون الاية خطابا للمشركين وعلى القول الاول تكون الاية خطابا للمسلمين وهو الاصح
لقوله في اخر الاية ان كنتم باياته مومنين وما لكم الا تاكلوا مما ذكر اسم الله عليه يعني
واي شي لكم من ان لا تاكلوا وما يمنعكم من ان تاكلوا مما ذكر عليه وهذا تاكيد في اسم الله
اباحة ما ذبح على اسم الله وقد فصل لكم ما حرم عليكم يعني وقد بين لكم الحلال من
الحرام فيما تطعمون وقال جمهور المفسرين المراد بقوله وقد فصل لكم ما حرم عليكم المحرمات
المذكورة في قوله تعالى حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به واورد
الامام فخر الدين الرازي ها هنا اشكالا فقال في سورة الانعام مكية وسورة المائدة
من اخر ما انزل الله بالمدينة وقوله وقد فصل يجب ان يكون ذلك المفصل متقدما
على هذا المحل والمدني متاخر عن المكي فيمتنع كونه متقدما ثم قال بل الاولى ان
يقال قوله تعالى بعد هذه الاية قل لا اجد فيما اوحي الي محرما على طاعم يطعمه الا ان يكون

ميتة

ميتة او دما مسفوحا او لحم خنزير وهذه الاية وان كانت مذكورة بعد هذه الاية بقليل
الا ان هذا القدر من التاخر لا يمنع ان يكون هو المراد فال كالاية وقد ذكر المفسرون
وجها وهو ان الله تعالى علم ان سورة المائدة متقدمة على سورة الانعام في الترتيب
لا في النزول فحسن عود الضمير في قوله وقد فصل لكم ما حرم عليكم الى ما هو متقدم
في الترتيب وهو قوله حرمت عليكم الميتة الاية والله اعلم بمراده وقوله تعالى الا ما اضطررتم
اليه يعني الا ان تدعوكم الضرورة الى اكله بسبب شدة المجاعة فيباح لكم ذلك عند
الاضطرار وان كثيرا ليضلون باهوائهم بغير علم يعني وان كثيرا من الذين يجادلونكم
في اكل الميتة ويحتجون عليكم في ذلك بقولهم اتاكلون ما تذبحون ولا تاكلون ما
يذبحه الله وانما قالوا هذه المقالة جهلا منهم بغير علم منهم بصحة ما يقولون بل يتبعون
اهواءهم ليضلوا انفسهم واتباعهم بذلك وقيل المراد به عمرو بن لحي فمن دونه من المشركين
لانه اول من بحر البحاير وسيب السوايب واباح الميتة وغير دين ابراهيم عليه السلام
ان ربك هو اعلم بالمعتدين يعني ان ربك يا محمد هو اعلم بمن تعدى حدوده فاحل
ما حرم الله وحرم ما احل الله فهو يجازيهم على سوء صنيعهم قوله عز وجل وذروا ظاهر
الاثم وباطنه يعني وذروا ايها الناس ما يوجب الاثم وهو الذنوب والمعاصي كلها
سرها وعلانيتها قليلها وكثيرها قال الربيع بن انس نهى الله عن ظاهر الاثم وباطنه ان
يعمل به سرا وعلانية وقال سعيد بن جبير في هذه الاية الظاهر منه قوله ولا تنكحوا ما نكح
اباوكم من النساء الا ما قد سلف ونكاح المحارم من الامهات والبنات والاخوات والباطن
الزنا وقال السدي اما الظاهر فالزواني في الحوانيت وهن اصحاب الرايات واما
الباطن فالمراة يتخذها الرجل صديقة فياتيها سرا وقال الضحاك كان اهل الجاهلية
يستترون بالزنا ويرون ان ذلك حلال اذا كان سرا فحرم الله السر منه والعلانية
وقال ابن زيد ظاهر الاثم طواف الرجال بالبيت نهارا عراة وباطنه طواف النساء
بالليل عراة وكان اهل الجاهلية يفعلون ذلك الى ان جاء الاسلام فنهى الله عن ذلك
كله وقيل ان ذلك النهي عام في جميع المحرمات التي نهى الله عنها وهو الاصح لان تخصيص
العلم والصورة بعينه من غير دليل لا يجوز فعلى هذا القول يكون معنى الاية وذروا ما
اعلنتم به وما اسررتم من الذنوب لخوف الله عز وجل لا لخوف الناس وقيل المراد بظاهر
الاثم افعال الجوارح وباطنه افعال القلوب فيدخل في ذلك الحسد والكبر والعجب وارادة
السوء للمسلمين ونحو ذلك وقوله تعالى ان الذين يكسبون الاثم ان الذين يعملون بما نهاهم
الله عنه ويركبون ما حرم عليهم من المعاصي وغيرها سيجزون يعني في الاخرة بما كانوا
يقترفون يعني بما كانوا يكسبون في الدنيا من الاثام وظاهر هذا النص يدل على
عقاب المذنب انه مخصوص بمن لم يتب لان المسلمين اجمعوا على انه اذا تاب العبد
من الذنب توبة صحيحة لم يعاقب وزاد اهل السنة في ذلك فقالوا المذنب اذا لم

بسبب انه في خطر المشيئة ان شاء عاقبه وان شاء عفا عنه بفضله وكرمه قوله تعالى ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه قال ابن عباس الاية في تحريم الميتات وما في معناها من المنخنقة وغيرها وقال عطا الاية في تحريم الذبائح التي كانوا يذبحونها على اسم الاصنام

فصل

اختلف العلماء في ذبيحة المسلم اذا لم يذكر اسم الله عليها فذهب قوم الى تحريمها سواء تركها عامدا او ناسيا وهو قول ابن سيرين والشعبي ونقل الامام فخر الدين الرازي عن مالك ونقل عن عطا انه قال كل ما لم يذكر اسم الله عليه من طعام او شراب فهو حرام واحتجوا في ذلك بظاهر هذه الاية وقال الثوري وابو حنيفة ان ترك التسمية عامدا لا تحل وان تركها ناسيا حل وقال الشافعي تحل الذبيحة سواء ترك التسمية عامدا او ناسيا ونقل البغوي عن ابن عباس ومالك ونقل ابن الجوزي عن احمد روايتين فيما اذا ترك التسمية عامدا وان تركها ناسيا فمن اباح اكل الذبيحة التي لم يذكر اسم الله عليها قال المراد من الاية الميتات وما ذبح على اسم الاصنام بدليل انه قال تعالى في سياق الاية وانه لفسق واجمع العلما على ان اكل ذبيحة المسلم التي ترك التسمية عليها لا يفسق واحتجوا ايضا في اباحتها بما روى البخاري في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها قالت قالوا يا رسول الله ان هنا اقواما حديثا عهدهم بشرك يأتوننا بلحم لا ندري يذكرون اسم الله عليها ام لا قال اذكروا انتم اسم الله وكلوا قالوا لو كانت التسمية شرطا للاباحة لكان الشك في وجودها مانعا من اكلها كالشك في اصل الذبح وقول الشافعي في اول الاية وان كان على ظاهر الصيغة الا انه اخر لما حصلت فيه هذه القيود الثلاثة وهي قوله وانه لفسق وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم وان اطعتموهم انهم لمشركون علمنا ان المراد من هذا العموم هو الخصوص والفسق اسم غير الله في الذبح كما قال في اخر السورة قل لا اجد فيما اوحي الي محرما على طاعم يطعمه الا ان يكون ميتة الى قوله او فسقا اهل لغير الله به فصار هذا الفسق الذي اهل لغير الله به مفسرا لقوله وانه لفسق واذا كان كذلك كان قوله ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وانه لفسق مخصوصا بما اهل لغير الله به والله اعلم وقوله تعالى وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم ليجادلوكم يعني ان الشياطين يوسوسون الى اوليائهم المشركين ليجادلوكم ويخاصموا محمدا صلى الله عليه وسلم وذلك ان المشركين قالوا يا محمد اخبرنا عن الشاة اذا ماتت من قتلها فقال الله قتلها قالوا فتزعم ان ما قتلت انت واصحابك حلال وما قتله الكلب والصقر حلال وما قتله الله حرام فانزل الله عز وجل هذه الاية وقال عكرمة لما نزلت هذه الاية في تحريم الميتة كتب فارس وهم المجوس الى مشركي قريش ان خاصموا محمدا وقولوا له انما ذبحت فهو حلال وما ذبحه الله فهو حرام فانزل الله وان الشياطين يعني مردة الانس وهم المجوس ليوحون الى اوليائهم يعني مشركي قريش فكان بين فارس والعرب موالاة ومكاتبة

على الروم فعلى هذا يكون المراد بالوحي المكاتبة في خفية وان اطعتموهم يعني في اكل الميتة وما حرم الله عليكم انكم لمشركون يعني انكم مثلهم في الشرك قال الزجاج فيه دليل على ان كل من احل شيئا مما حرم الله او حرم شيئا مما احل الله فهو مشرك وانما سمي مشركا لانه اثبت حاكما غير الله عز وجل ومن كان كذلك فهو مشرك قوله عز وجل اومن كان ميتا فاحييناه يعني اومن كان ميتا بالكفر فاحييناه بالايمان وانما جعل الكفر موتا لانه جعل الايمان حياة لان الحي صاحب بصر يهتدي به الى رشده ولما كان الايمان يهدي الى الفوز العظيم والحياة الابدية شبهه بالحياة وجعلنا له نورا يمشي به في الناس يعني وجعلنا له نورا يستضيء به في الناس ويهتدي به الى قصد السبيل قيل النور هو الاسلام لانه يخلص من ظلمات الكفر لقوله يخرجهم من الظلمات الى النور وقال قتادة هو كتاب الله القران لانه بينة من الله مع المؤمنين كمن مثله في الظلمات يعني كمن هو في ظلمة الكفر وظلمة الجهالة وظلمة البصيرة ليس بخارج منها يعني من تلك الظلمات وهذا مثل ضربه الله تعالى لحال المؤمن والكافر فبين ان المؤمن المهتدي بمنزلة من كان ميتا فاحيي واعطاه نورا يهتدي به في مصالحه وان الكافر بمنزلة من هو في ظلمات منغمس فيها ليس بخارج منها فيكون متحيرا على الدوام ثم اختلف المفسرون في هذين المثلين هل هما مخصوصان باثنين معينين او هما عامان في كل مؤمن وكافر فذكروا في ذلك قولين احدهما ان الاية في رجلين معينين ثم اختلفوا فيهما فقال ابن عباس وجعلنا له نورا يمشي به في الناس يريد حمزة ابن عبد المطلب عم النبي صلى الله عليه وسلم كمن مثله في الظلمات يريد ابا جهل بن هشام وذلك ان ابا جهل رمى النبي صلى الله عليه وسلم بفرث فاخبر حمزة بما فعل ابو جهل وكان حمزة قد رجع من صيد وبيده قوس وحمزة لم يؤمن بعد فاقبل حمزة غضبانا حتى علا ابا جهل وجعل يضربه بالقوس وجعل ابو جهل يتضرع الى حمزة ويقول يا ابا يعلى اما ترى ما جاء به سفه عقولنا وسب الهتنا وخالف اباءنا فقال حمزة ومن اسفه منكم عقولا تعبدون الحجارة من دون الله اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله فاسلم حمزة يومئذ فانزل الله هذه الاية وقال الضحاك نزلت في عمر بن الخطاب وابي جهل وقال عكرمة والكلبي نزلت في عمار بن ياسر وابي جهل وقال مقاتل نزلت في النبي صلى الله عليه وسلم وابي جهل وذلك ان ابا جهل قال زاحمنا بنو عبد مناف في الشرف حتى اذا صاروا كفرسي رهان قالوا منا نبي يوحى اليه والله لا نؤمن به حتى يأتينا وحي كما يأتيه فنزلت هذه الاية والقول الثاني وهو قول الحسن في اخرين ان هذه الاية عامة في حق كل مؤمن وكافر وهذا هو الصحيح لان المعنى اذا كان حاصلا في الكل دخل

فيه كل احد وقوله تعالى كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون قال اهل السنة والمزين هو
الله تعالى ويدل عليه قوله زين لهم اعمالهم ولان حصول العقل يتوقف على حصول
الدواعي وحصول لا يكون الا بخلق الله تعالى فدل ذلك على المزين هو الله تعالى وقالت
المعتزلة المزين هو الشيطان ويرده ما تقدم وقوله تعالى وكذلك جعلنا في كل قرية
اكابر مجرميها يعني وكما جعلنا في مكة اكابر وعظما جعلنا في كل قرية اكابر وعظما
وقيل هو معطوف على ما قبله ومعناه كما زينا للكافرين ما كانوا يعملون كذلك
جعلنا في كل قرية اكابر جمع الاكبر ولا يجوز ان يكون مضافا لانه لا يتم المعنى بل في
الاية تقديم وتاخير تقديره وكذلك جعلنا في كل قرية مجرميها اكابر وانما جعل المجرمين
اكابر لانهم اقدر على المكر والغدر وترويج الباطل بين الناس من غيرهم وانما حصل
ذلك لاجل رياستهم وذلك سنة الله انه جعل في كل قرية اتباع الرسل ضعفاؤهم
وجعل فساقهم اكابرهم ليمكروا فيها قال ابو عبيدة المكر الخديعة والحيلة والغدر والفجور
زاد بعضهم والغيبة والنميمة والايمان الكاذبة وترويج الباطل قال ابن عباس معناه
ليقولوا فيها الكذب وقال مجاهد جلس على كل طريق من طرق مكة اربعة نفر ليصدوا
الناس عن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم ويقولون هو كذاب ساحر كاهن فكان
هذا مكرهم وما يمكرون الا بانفسهم يعني ما يحيق هذا المكر الا بهم لان وبال مكرهم
يعود عليهم وما يشعرون يعني ان وبال ذلك المكر يعود عليهم ولضرهم قوله عز وجل
واذا جاءتهم اية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما اوتي رسل الله يعني من النبوة وذلك
ان الوليد بن المغيرة قال للنبي صلى الله عليه وسلم لو كانت النبوة حقا لكنت انا اولى
بها منك لاني اكبر منك سنا واكثر منك مالا فانزل الله هذه الاية وقال مقاتل نزلت
في ابي جهل وذلك انه قال زاحمنا بنو عبد مناف في الشرف حتى اذا صرنا كفرسي
رهان قالوا منا نبي يوحى اليه والله لا نؤمن به ولا نتبعه ابدا الا ان يأتينا وحي
كما يأتيه فانزل الله هذه الاية واذا جاءتهم اية يعني حجة بينة ودلالة واضحة على
صدق محمد صلى الله عليه وسلم قالوا يعني الوليد بن المغيرة وابا جهل بن هشام او كل
واحد من رؤسا الكفار ويدل عليه الاية التي قبلها وهي قوله وكذلك جعلنا في
كل قرية اكابر مجرميها ليمكروا فيها فكان من مكر كفار قريش ان قالوا لن نؤمن لك
حتى نؤتى مثل ما اوتي رسل الله يعني من النبوة وانما قالوا هذه المقالة الخبيثة حسدا
منهم للنبي صلى الله عليه وسلم وفي قولهم لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما اوتي رسل الله
قولان احدهما وهو المشهور ان القوم ارادوا ان تحصل لهم النبوة والرسالة
كما حصلت للنبي صلى الله عليه وسلم وان يكونوا متبوعين لا تابعين والقول الثاني
وهو قول الحسن ومنقول ابن عباس ان المعنى واذا جاءتهم اية من القران تامرهم
باتباع محمد صلى الله عليه وسلم قالوا لن نؤمن لك يعني لن نصدقك حتى نؤتى

مثل ما اوتي رسل الله يعني حتى يوحى الينا ويأتينا جبريل يصدقك بانك رسول الله
فعلى هذا القول لم يطلبوا النبوة وانما طلبوا ان تخبرهم الملائكة بصدق محمد صلى الله عليه
وسلم وانه رسول من الله تعالى وعلى القول الاول انهم طلبوا ان يكونوا انبيا ويدل على
صحة هذا القول سياق الاية وهو قوله تعالى الله اعلم حيث يجعل رسالاته يعني انه تعالى
يعلم من يستحق الرسالة فيشرفه بها ويعلم من لا يستحقها ومن ليس باهل لها وانهم
ليسوا لها باهل وان النبوة لا تحصل لمن يطلبها خصوصا لمن عنده حسد ومكر وغدر
وقال اهل المعاني الابلغ في تصديق الرسل ان يكونوا قبل البعثة مطاعين في
قومهم لان الطعن كان يتوجه عليهم فيقال انما كانوا رؤسا مطاعين فاتبعهم
قومهم لاجل ذلك فكان الله تعالى اعلم بمن يستحق الرسالة فجعلها ليتيم ابي طالب
دون ابي جهل والوليد وغيرهما من اكابر قريش ورؤسائها وقوله سيصيب الذين
اجرموا صغار اي ذلة وهوان وقيل الصغار هو الذل الذي يصغر الى المرء
فيه عند الله يعني هذا من عند الله وقيل ان هذا الصغار ثابت لهم عند الله تعالى
فعلى هذا القول انما يحصل لهم الصغار في الاخرة وقيل معناه سيصيبهم صغار
بحكم الله حكم به عليهم في الدنيا وعذاب شديد يعني في الاخرة بما كانوا يمكرون
يعني انما حصل لهم هذا الصغار والعذاب بسبب مكرهم وحسدهم وطلبهم ما لا
يستحقون قوله تعالى فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام والايمان يقال
شرح الله صدره فانشرح اي وسعه لقبول الايمان والخير فتوسع وذلك ان الانسان
اذا اعتقد في عمل من الاعمال ان نفعه زائد وخيره راجح وربحه ظاهر مال بطبيعه
اليه وقويت رغبته فيه فسمي هذه الحالة سعة النفس وانشراح الصدر وقيل
الشرح الفتح والبيان يقال شرح فلان امره اذا اوضحه واظهره وشرح المسئلة اذا
كانت مشكلة فاوضحها وبينها فقد ثبت ان للشرح معنيان احدهما الفتح ومنه
يقال شرح الكافر بالكفر صدرا اي فتحه بقبوله ومنه قوله تعالى من شرح بالكفر
صدرا وقوله افمن شرح الله صدره للاسلام يعني فتحه ووسعه لقبوله والثاني
ان الشرح نور يقذفه الله في قلب العبد فيعرف بذلك النور الحق فيقبله
وينشرح صدره له ومعنى الاية فمن يرد الله ان يهديه للايمان بالله ورسوله
وما جاء به من عنده يوفقه له ويشرح صدره لقبوله ويهونه عليه ويسهله له
بفضله وكرمه ولطفه به واحسانه اليه فعند ذلك يستنير الاسلام في قلبه فيضيء
به ويتسع له صدره ولما نزلت هذه الاية سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن شرح
الصدر فقال نور يقذفه الله في قلب المؤمن فينشرح له وينفسح قيل فهل لذلك
امارة قال نعم الانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والاستعداد للموت
قبل نزول الموت واسنده الطبري عن ابن مسعود قال قيل لرسول الله صلى الله

عليه وسلم حين نزلت عليه هذه الاية فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام
قال اذا دخل النور القلب انفسح وانشرح قالوا فهل لذلك من اية يعرف بها
قال الانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل
لقا الموت وقوله تعالى ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا يجعل صدره
ضيقا حتى لا يدخله الايمان وقال الكلبي ليس للخير فيه منفذ وقال ابن عباس
اذا سمع ذكر الله اشمأز قلبه واذا سمع ذكر الاصنام ارتاح الى ذلك وقرا عمر
ابن الخطاب هذه الاية وعنده اعرابي من كنانة فقال له ما الحرجة فيكم قال الحرجة
فينا الشجرة تكون بين الاشجار التي لا تصل اليها راعية ولا وحشية ولا شي
فقال عمر كذلك قلب المنافق لا يصل اليه شي من الخير واصل الحرج الضيق وهو
ماخوذ من الحرجة وهي الاشجار الملتف بعضها على بعض حتى لا يصل اليها شي
وقرا ابن عباس هذه الاية فقال هل هنا احد من بني بكر قال رجل نعم قال ما الحرجة
فيكم قال الوادي الكثير الشجر المستمسك الذي لا طريق فيه قال ابن عباس
كذلك قلب الكافر قال اهل المعاني لما كان القلب محلا للعلوم والاعتقادات
وصف الله تعالى قلب من يريد هدايته بالانشراح والانفساح ونور فقبل ما اودع
من الايمان بالله ووصف قلب من يرد ضلالته بالضيق الذي هو خلاف
الشرح والانفساح فدل ذلك على ان الله تعالى صير قلب الكافر بحيث لا يعي علما
ولا استدلالا على توحيد الله تعالى والايمان به وفي الاية دليل على ان جميع الاشيا
بمشية الله وارادته حتى ايمان المومن وكفر الكافر وقوله تعالى كانما يصعد في السما
يعني ان الكافر اذا دعي الى الاسلام كانه قد كلف ان يصعد الى السما ولا يقدر
على ذلك وقيل يجوز ان يكون المعنى كان قلب الكافر يصعد الى السما نبوا عن
الاسلام وتكبرا وقيل ضاق عليه المذهب فلم يجد الا ان يصعد الى السما وليس
يقدر على ذلك وقيل هو من المشقة وصعوبة الامر فيكون المعنى ان الكافر
اذا دعي الى الاسلام فانه يتكلف مشقة وصعوبة في ذلك كمن يتكلف الصعود
الى السما وليس يقدر على ذلك كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يومنون
الكاف في ذلك لتقييد التشبيه وفيه وجهان الاول معناه ان جعله الرجس
عليهم كجعل صدورهم ضيقة حرجة والمعنى كما جعلنا صدورهم ضيقة حرجة
كذلك يجعل الله الرجس عليهم الوجه الثاني قال الزجاج اي مثل ما قصصنا
عليك كذلك يجعل الله الرجس قال ابن عباس الرجس الشيطان اي يسلطه
الله عليهم وقال مجاهد الرجس ما لا خير فيه وفي رواية عن ابن عباس الرجس
العذاب وقال الزجاج الرجس في الدنيا اللعنة وفي الاخرة العذاب قوله عز وجل
وهذا صراط ربك مستقيما يعني وهذا الذي بيناه لك يا محمد في هذه السورة وغيرها

من سورة

من سورة القرآن هو صراط ربك يعني دينه الذي شرعه لعباده ورضيه وجعله مستقيما
لا اعوجاج فيه قال ابن عباس في قوله وهذا صراط ربك مستقيما يعني الاسلام
وقال ابن مسعود يعني القرآن لانه يودي من تبعه وعمل به الى طريق الاستقامة والسداد
قد فصلنا الايات يعني قد فصلنا ايات القرآن بالوعد والوعيد والثواب والعقاب
والحلال والحرام والامر والنهي وغير ذلك من احكام القرآن لقوم يذكرون يعني
لمن يتذكر بها ويتعظ بما فيها من المواعظ والعبر قال عطا يعني اصحاب النبي صلى الله عليه
وسلم ومن تبعهم باحسان لهم دار السلام عند ربهم يعني الجنة في قول جميع المفسرين قال
الحسن والسدي السلام هو الله تعالى وداره الجنة ومعنى السلام في اسما الله تعالى ذو السلام
وهو جمع سلامة لانه تعالى ذو سلامة من جميع الافات والنقائص فعلى هذا
القول اضيفت الدار الى السلام الذي هو اسم الله تعالى اضافة تشريف وتعظيم
كما قيل للكعبة بيت الله وللنبي صلى الله عليه وسلم عبد الله في قوله وانه لما قام عبد الله
يدعوه واحتج لصحة هذا ان اضافة الدار الى الله تعالى في نهاية تشريفها وتعظيمها
فكان ذكر الاضافة مبالغة في تعظيم امرها وقيل ان السلام صفة للدار لانها دار السلامة
الدائمة التي لا تنقطع فعلى هذا يكون السلام بمعنى السلامة كانه قال لهم دار السلامة
التي لا يلقون فيها شيا يكرهونه وقيل سميت بذلك لان جميع حالاتها مقرونة
بالسلامة قال تعالى في وصفها ادخلوها بسلام امنين والملائكة يدخلون عليهم
من كل باب سلام عليكم بما صبرتم وقال تحيتهم فيها سلام وقال سلام قولا من رب
رحيم لا يسمعون فيها لغوا الا سلاما وقوله عند ربهم يعني ان الجنة معدة مهيئة
لهم عند ربهم حتى يوصلهم اليها وهو وليهم بما كانوا يعملون يعني انه تعالى يتولى ايصال
المنافع اليهم ويدفع المضار عنهم وقيل معناه انه يتولاهم في الدنيا بالتوفيق
والهداية وفي الاخرة بالجزا والجنة وقيل الولي هو الناصر والقريب يعني انه تعالى
ينصرهم في الدنيا ويقربهم في الاخرة بسبب اعمالهم الصالحة التي كانوا يتقربون
بها اليه في الدنيا قوله تعالى ويوم يحشرهم جميعا اي اذكر يا محمد يوم يحشر العادلين
بالله الاصنام مع اوليايهم من الشياطين يعني يحشر المشركين والشياطين جميعا يوم
القيامة يا معشر الجن فيه حذف تقديره فيقول لهم يا معشر الجن والمعشر الجماعة
والمراد من الجن الشياطين قد استكثرتم من الانس يعني من اضلالهم واغوايهم وقال
ابن عباس معناه اضللتم كثيرا من الانس وهذا التفسير لا بد له من تاويل لان
الجن لا يقدرون على اضلال الانس واغوايهم بانفسهم لانه لا يقدر على الاشيا
احد الا الله تعالى لانه هو المتصرف في خلقه بما شا فوجب ان يكون المعنى قد استكثرتم
من الدعا الى الاضلال مع مصادفة القبول من الانس وقال اولياوهم من الانس
ربنا استمتع بعضنا ببعض استمتع الجن بالانس والانس بالجن فاما استمتاع

الانس بالجن فقال الكلبي كان الرجل في الجاهلية اذا سافر فنزل بارض قفر خاف
على نفسه من الجن قال اعوذ بسيد هذا الوادي من شر سفهاء قومه فيبيت في
جوارهم واما استمتاع الجن بالانس فهو انهم قالوا اسدنا الانس مع الجن حتى
عاذوا بنا فيزدادون بذلك شرفا في قومهم وعظما في انفسهم وقيل استمتاع
الانس بالجن هو ما كانوا يلقون اليهم من الاراجيف والسحر والكهانة وتزيينهم
الامور التي كانوا يهوونها وتسهيل سبيلها عليهم واستمتاع الجن بالانس
طاعة الانس للجن فيما يزينون لهم من الضلالة والمعاصي وقيل استمتاع الانس
بالجن هي طاعة الانس للجن فيما يامرونهم به وينقادون لحكمهم فصاروا كالرؤسا
للانس والانس بعضهم لبعض ظاهر فوجب حمل الكلام عليه وبلغنا اجلنا الذي
اجلت لنا يعني ان ذلك الاستمتاع كان الى اجل معين ووقت محدود ثم ذهب
وبقيت الحسرة والندامة قال الحسن والسدي الاجل الموت وقيل هو وقت
البعث للحساب في يوم القيامة قال يعني قال الله لهولاء الذين استمتع بعضهم ببعض
من الجن والانس النار مثواكم يعني ان النار مقامكم ومقركم فيها ومصيركم اليها
خالدين فيها يعني مقيمين في نار جهنم ابدا الا ما شاء الله اختلفوا في معنى هذا الاستثنا
فقيل معناه خالدين فيها الا قدر مدة بعثهم ووقوفهم للحساب الى حين دخولهم
الى النار فان هذا الوقت لم يكونوا خالدين فيه في النار وقيل المراد من هذا الاستثنا
هو اوقات نقلتهم من عذاب الى عذاب اخر وذلك انهم يستغيثون من النار
فينقلون الى الزمهرير ثم يستغيثون منه فينقلون الى النار فكان مدة نقلتهم
هو المراد من هذا الاستثنا ونقل جمهور المفسرين عن ابن عباس انه قال ان هذا الاستثنا
يرجع الى قوم سبق فيهم علم الله انهم يسلمون ويصدقون النبي صلى الله عليه وسلم فيخرجون
من النار قالوا فعلى هذا التاويل تكون ما في قوله الا ما شاء الله بمعنى من يعني الا من
شاء الله ونقل الطبري عن ابن عباس انه كان يتاول هذا الاستثنا ان الله عز وجل
جعل امر هولاء القوم في مبلغ عذابهم الى مشيته وقال في هذه الاية انه لا ينبغي لاحد
ان يحكم على الله في خلقه لا ينزلهم جنة ولا نارا قال الزجاج والقول الاول اولى لان
معنى الاستثنا انما هو من يوم القيامة لان قوله ويوم نحشرهم جميعا هو يوم القيامة
ثم قال خالدين فيها منذ يبعثون الا ما شاء الله من مقدار حشرهم من قبورهم
ومقدار مدة محاسبتهم ان ربك حكيم يعني في تدبير خلقه حكيم فيما يفعله من ثواب
الطايع وعقاب العاصي وفي ساير وجوه المجازاة عليم يعني بعواقب امور خلقه
وما هم اليه صايرون كما قال انما حكمت لهولاء الكفار بالخلود في النار لعلمي بانهم
يستحقون ذلك قوله عز وجل وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا الكاف في
ذلك كاف التشبيه يقتضي شيئا تقدم ذكره فالتقدير كما انزلت العقاب بالجن

والانس

والانس الذين استمتع بعضهم ببعض كذلك نولي بعض الظالمين ان نسلط بعضهم
على بعض فياخذ من الظالم بالظالم كما في الاثر من اعان ظالما سلطه الله عليه وقال قتادة
يجعل بعض اولياء بعض فالمؤمن ولي المؤمن وفي رواية اخرى عن قتادة قال يتبع بعضهم
بعضا في النار من الموالاة وقيل معناه نولي ظلمة الانس ظلمة الجن وظلمة الجن ظلمة
الانس يعني نكل بعضهم الى بعض وقال ابن عباس في تفسير هذه الاية هو ان الله تعالى
اذا اراد بقوم خيرا ولى عليهم خيارهم وان اراد بقوم شرا ولى عليهم شرارهم فعلى هذا
القول ان الرعية متى كانوا ظالمين سلط الله عليهم ظالما مثلهم فمن اراد ان يتخلص من ظلم
ذلك الظالم فليترك الظلم قوله تعالى بما كانوا يكسبون يعني نسلط عليهم من يظلمهم بسبب
اعمالهم الخبيثة التي اكتسبوها قوله تعالى يا معشر الجن والانس المعشر كل جماعة امرهم
واحد والجمع معاشر الم ياتكم رسل منكم اختلف العلما في معنى الاية وهل كان من الجن رسول
ام لا فذهب اكثر العلما الى انه لم يكن من الجن رسول وانما كانت الرسل من الانس و
اجابوا عن قوله رسل منكم يعني من احدكم يعني الانس فحذف المضاف فهو كقوله يخرج
منهما اللؤلؤ والمرجان وانما يخرج من احدهما وهو الملح دون العذب وانما جاز ذلك
لان ذكرهما قد جمع في قوله مرج البحرين وهو جايز في كل ما تفق في اصله فكذلك
لما اتفق ذكر الجن والانس جاز مخاطبتهما الى ما ينصرف الى احد الفريقين وهم
الانس وهذا قول الفرا والزجاج ومذهب جمهور اهل العلم قال الواحدي وعليه
دل كلام ابن عباس لانه قال يريد انبيا من جنسهم ولم يكن من جنس الجن انبيا
وذهب قوم الى انه ارسل من الجن رسلا كما ارسل من الانس رسلا منهم قال الضحاك
من الجن رسل كما من الانس فظاهر الاية يدل على ذلك لانه قال الم ياتكم رسل منكم
فخاطب الفريقين جميعا واجيب عن ذلك بان الله تعالى قال يا معشر الجن والانس
الم ياتكم رسل منكم وهذا يقتضي كون الرسل بعضا من ابعاض هذا المجموع وكان هذا القول
اولى من حمله لفظ الاية على ظاهرها فثبت بذلك كون الرسل من الانس لا من
الجن ويحتمل ايضا ان يقال ان كافة الرسل كانوا من الانس لكن الله تعالى يلقي
الداعية في قلوب قوم من الجن حتى يسمعوا كلام الرسل من الانس ثم ياتوا قومهم
من الجن فيخبرونهم بما سمعوا من الرسل وينذرونهم به كما قال تعالى واذ صرفنا اليك
نفرا من الجن يستمعون القران فلما قضي ولوا الى قومهم منذرين فكان اولئك
النفر من الجن رسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى قومهم وهذا مذهب مجاهد
فانه قال الرسل من الانس والنذر من الجن ونحو ذلك قال ابن جريج وابو عبيدة
وقيل ان الرسل كانوا يبعثون الى الجن من الجن ولكن بواسطة رسل الانس
والله اعلم بمراده واسرار كتابه وقوله تعالى يقصون عليكم اياتي يعني يخبرونكم بما اوحي
اليهم من اياتي الدالة على توحيدي وتصديق رسلي وينذرونكم لقاء يومكم هذا

من حيث كان واين كان والكافر ولي الكافر
حيث كان وكيف كان حم

يعني ويحذرونكم ويخوفونكم لقاء عذابي في يومكم هذا وهو يوم القيامة وذلك ان الله
تعالى يقول يوم القيامة لكفار الجن والانس على سبيل التقريع والتوبيخ ما اخبر في
كتابه وهو قوله يا معشر الجن والانس الاية فيجيبونه بما اخبر عنه بقوله قالوا يعني
كفار الجن والانس شهدنا على انفسنا اعترفوا بان الرسل قد اتتهم وبلغتهم رسالات
ربهم وانذروهم لقاء يومهم هذا وانهم كذبوا الرسل ولم يؤمنوا بهم وذلك حين
شهدت عليهم جوارحهم بالشرك قال الله تعالى وغرتهم الحياة الدنيا يعني انما كان
ذلك بسبب انهم غرتهم الحياة الدنيا ومالوا اليها وشهدوا على انفسهم انهم كانوا
كافرين يعني في الدنيا فان قلت كيف اقروا على انفسهم بالكفر في هذه الاية وجحدوا
الشرك والكفر في قوله والله ربنا ما كنا مشركين قلت يوم القيامة يوم طويل والاحوال
فيه مختلفة فاذا راوا ما حصل للمؤمنين من الخير والفضل والكرامة انكروا الشرك
لعل ذلك الانكار ينفعهم وقالوا والله ربنا ما كنا مشركين فحينئذ يختم على افواههم
وتشهد عليهم جوارحهم بالشرك والكفر فذلك قوله تعالى وشهدوا على انفسهم انهم
كانوا كافرين فان قلت لم كرر شهادتهم على انفسهم قلت شهادتهم الاولى
اعتراف منهم بما كانوا عليه في الدنيا من الشرك والكفر وتكذيب الرسل وفي
قوله شهدوا على انفسهم ذم لهم وتخطئة لرايهم ووصف لقلة نظرهم لانفسهم
وانهم قوم غرتهم الحياة الدنيا ولذاتها فكان عاقبة امرهم ان اضطروا الى شهادتهم
على انفسهم بالكفر والمقصود من شرح حالهم تحذير السامعين وزجرهم عن الكفر
والمعاصي قوله عز وجل ذلك اشارة الى ما تقدم ذكره من بعثة الرسل اليهم
وانذارهم سوء العاقبة وقال الزجاج معناه ذلك الذي قصصنا عليك من
امر الرسل وامر عذاب من كذبهم ان لم يكن ربك يعني لانه لم يكن ربك مهلك
القرى بظلم قال الكلبي معناه لم يكن ليهلكهم بذنوبهم من قبل ان ياتيهم الرسل
فتنهاهم فان رجعوا والا اتاهم العذاب وهذا قول جمهور المفسرين قال الفراء
يجوز ان يكون المعنى لم يكن ليهلكهم بظلم منه واهلها غافلون فعلى
قول الجمهور يكون الظلم فعلا للكفار وهو شركهم وذنوبهم التي عملوها
وعلى قول الفراء انه لو اهلكهم قبل بعثة الرسل لكان ظالما والله عز وجل يتعالى
عن الظلم والقول الاول اصح لانه تعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا اعتراض لاحد
عليه في شيء من افعاله غير انه اخبر انه لا يعذب قبل بعثة الرسل ولو فعل
ذلك لم يكن ظلما منه قوله تعالى ولكل درجات مما عملوا يعني ولكل عامل بطاعة
الله او بمعصيته درجات يعني منازل يبلغها بعمله ان كان خيرا فخير وان
كان شرا فشر وانما سميت درجات لتفاضلها في الارتفاع والانحطاط كتفاضل
الدرج وهذا انما يكون في الثواب والعقاب على قدر اعمالهم في الدنيا

فمنهم من

فمنهم من هو اعظم ثوابا ومنهم من هو اشد عقابا وهو قول جمهور المفسرين
وقيل ان قوله تعالى ولكل درجات مما عملوا مختص باهل الطاعة لان لفظ الدرجة
لا يليق الا بهم وقوله تعالى وما ربك بغافل عما يعملون مختص باهل الكفر والمعاصي
وفيه وعيد وتهديد لهم والقول الاول اصح لان علمه تعالى شامل لكل المعلومات فيدخل
فيه المؤمن والكافر والطائع والعاصي وانه عالم باعمالهم على التفصيل التام فيجزي كل
عامل على قدر عمله وما يليق به من ثواب او عقاب قوله عز وجل وربك الغني
يعني عن خلقه وذلك انه تعالى لما بين ان لكل عامل بطاعة او معصية درجة على قدر عمله
بين ان تخصيص المطيعين بالثواب والعاصين بالعقاب ليس لانه محتاج الى طاعة
المطيع وينتقص بمعصية العاصي بل هو الغني على الاطلاق فان جميع الخلق فقراء
اليه ذو الرحمة قال ابن عباس باوليائه واهل طاعته وقال الكلبي بخلقه ذو التجاوز
عنهم ومن رحمته تاخير العذاب عن المذنبين لعلهم يتوبون ويرجعون ان يشا
يذهبكم يعني يهلككم الخطاب لاهل مكة ففيه وعيد وتهديد لهم ويستخلف
يعني وينشئ ويخلق من بعدكم يعني من بعد اهلاككم ما يشاء يعني من خلق غيركم
امثل واطوع منكم كما انشاكم من ذرية قوم اخرين اختلفت عبارات المفسرين
في هذه اللفظة فقال البغوي اباءهم الماضين قرنا بعد قرن وهم اهل سفينة
نوح عليه السلام وقال الامام فخر الدين الرازي في قوله تعالى ويستخلف من بعدكم
يعني من بعد اذهابكم لان الاستخلاف لا يكون الا على طريق البدل من فائت واما
قوله ما يشاء فالمراد منه خلق ثالث او رابع واختلفوا فيه فقال بعضهم خلقا اخرين
امثال الجن والانس قال القاضي وهو الوجه الاقرب لان القوم يعلمون بالعادة
انه تعالى قادر على انشاء امثال هذا الخلق فمتى حمل على خلق ثالث ورابع يكون اولى في
دلالة القدرة فكانه تعالى نبه على ان قدرته ليست مقصورة على جنس دون
جنس من الخلق الذين يصلحون لرحمته العظيمة التي هي الثواب وبين بهذا الطريق
انه سبحانه لرحمته لهؤلاء الاقوام الحاضرين ابقاهم وامهلهم ولو شاء لاماتهم
وافناهم وابدل منهم سواهم ثم بين الله تعالى قوة قدرته على ذلك فقال كما انشاكم
من ذرية قوم اخرين لان المراد اذا تفكر علم انه تعالى خلق الانسان من نطفة
ليس فيها من صورته قليل ولا كثير فوجب ان يكون ذلك بمحض القدرة
والحكمة واذا كان كذلك فكما قدر على تصوير هذه الاجسام بهذه الصفة فكذلك
يقدر على تصوير خلقا اخر مخالف لهم هذا اخر كلامه وقال الطبري كما انشاكم
من ذرية قوم اخرين يقول كما احدثكم وابتدعكم من بعد خلق اخرين كانوا
قبلكم ومعنى من في هذا الموضع التعقيب كما يقال في الكلام اعطيتك من دينارك
ثوبا يعني مكان الدينار ثوبا لا ان الثوب من الدينار بعض كذلك الذين

خوطبوا بقوله كما انشأكم لم يرد باخبارهم بهذا الخبر انهم انشئوا من اصلاب قوم آخرين
ولكن معنى ذلك ما ذكرنا انهم انشئوا مكان قوم آخرين قد هلكوا قبلهم قوله تعالى
انما توعدون لآت يعني ما توعدون به من مجيء الساعة والبعث بعد الموت والحشر للحساب
يوم القيامة لآت يعني انه كائن قريب وما انتم بمعجزين يعني بفائتين حيث ما كنتم
يدرككم الموت قوله عز وجل قل الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم اي قل يا محمد يا قوم
اي قل لقومك من كفار قريش اعملوا على مكانتكم وقرئ مكاناتكم على الجمع والمكانة
تكون مصدرا يقال مكن مكانة اذا تمكن ابلغ التمكن وبمعنى المكان يقال مكان
ومكانة كما يقال مقام ومقامة فقوله اعملوا على مكانتكم يحتمل ان يكون معناه اعملوا
على تمكنكم من امركم واقصى استطاعتكم وامكانكم ويحتمل ان يكون معناه اعملوا على
حالتكم التي انتم عليها كما يقال للرجل اذا امر ان يثبت على حالة مكانتك يا فلان
اي اثبت على ما انت عليه لا تتغير عنه وقال ابن عباس معناه اعملوا على ناحيتكم اني
عامل يعني اني عامل مكانتي التي انا عليها وما امرني به ربي والمعنى اثبتوا على ما انتم
عليه من الكفر والعداوة فاني ثابت على الاسلام والمصابرة فان قلت ظاهر هذه
الآية يدل على امر الكفار بالاقامة على ما هم عليه من الكفر وذلك لا يجوز قلت معنى
هذا الامر الوعيد والتهديد والمبالغة في الزجر على ما هم عليه من الكفر فكأنه قال
اقيموا على ما انتم عليه من الكفر ان رضيتم لانفسكم بالعذاب الدائم فهو كقوله تعالى
اعملوا ما شئتم ففيه تفويض امر العمل اليهم على سبيل الزجر والتهديد وليس اطلاقا
لهم في عمل ما ارادوه من الكفر والمعاصي وقوله تعالى فسوف تعلمون يعني لمن
تكون العاقبة المحمودة لنا او لكم وقيل معناه فسوف تعلمون عند نزول العذاب
بكم انا كنا على الحق في عمله نحن ام انتم من تكون له عاقبة الدار يعني فسوف
تعلمون غدا في القيامة لمن تكون له عاقبة الدار وهي الجنة انه لا يفلح الظالمون
قال ابن عباس معناه انه لا يسعد من كفر بي واشرك غيري في هذه الآية قولان
احدهما انها محكمة وهذا على قول من يقول ان المراد بقوله اعملوا على مكانتكم الوعيد
والتهديد والقول الثاني انها منسوخة بآية السيف وهذا على قول من يقول ان
المراد بها ترك القتال قوله تعالى وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا
الآية لما بين الله عز وجل قبح طريقة الكفار وما كانوا عليه من انكار البعث وغير
ذلك عقبه بذكر انواع من جهالاتهم واحكامهم الفاسدة تنبيها على ضعف
عقولهم وفساد ما كانوا عليه في الجاهلية فقال تعالى وجعلوا لله مما ذرأ يعني مما خلق
من الحرث يعني الزرع والثمر والانعام يعني ومن الانعام وهي الابل والبقر والغنم
نصيبا يعني قسما وجزءا قال المفسرون كان المشركون في الجاهلية يجعلون لله
من حروثهم وثمارهم وانعامهم وسائر اموالهم نصيبا وللاصنام نصيبا فما جعلوه

من ذلك لله

من ذلك لله صرفوه الى الضيفان والمساكين وما جعلوه للاصنام انفقوه عليها و
على خدمتها فان سقط شيء مما جعلوه لله في نصيب الاوثان تركوه وقالوا ان الله
غني عن هذا وان سقط شيء من نصيب الاوثان فيما جعلوه لله ردوه الى الاوثان
وقالوا انها محتاجة اليه وكانوا اذا هلك شيء مما جعلوه لله لم يبالوا به واذا انتقص
شيء مما جعلوه للاوثان جبروه بما جعلوه لله فذلك قوله وجعلوا لله مما ذرأ من
الحرث والانعام نصيبا وفيه اختصار تقديره وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث
والانعام نصيبا وللاصنام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم يعني بقولهم الذي هو غير
حقيقة لان معنى زعم حكاية قول يكون مظنة الكذب وكذلك لا يجيء الا في موضع
ذم القائل به وانما نسبوا الى الكذب في قولهم هذا لله بزعمهم وان كانت الاشياء
كلها لله لانه اضافهم لنصيب الاصنام مع نصيب الله وهذا لشركائنا يعني الاصنام
وانما سموا الاصنام شركاء لانهم جعلوا لها نصيبا من اموالهم ينفقونه عليها فما كان
لشركائهم يعني ما جعلوه لها من الحرث والانعام فلا يصل الى الله يعني فلا يعطونه
المساكين ولا ينفقونه على الضيفان وما كان لله فهو يصل الى شركائهم والمعنى
انهم كانوا يفرقون ما جعلوه للاصنام مما جعلوه لله ولا يفرقون ما جعلوه لله مما
جعلوه للاصنام وقال قتادة كانوا اذا اصابتهم سنة اي قحط وشدة استعانوا بما
جعلوه لله واكلوا منه ووفروا ما جعلوه لشركائهم ولم يأكلوا منه شيئا وقال
الحسن والسدي كانوا اذا هلك ما جعلوه لشركائهم اخذوا بدله مما جعلوه لله
ولا يفعلون ذلك فيما جعلوه لشركائهم فلذلك ذمهم فقال تعالى ساء ما يحكمون
يعني بئس ما يحكمون ويقضون وذلك انهم رجحوا جانب الاصنام على جانب
الله تعالى في الرعاية والحفظ وهذا سفه منهم وقيل ان الاشياء كلها لله عز وجل وهو
خالقها فلما جعلوا للاصنام جزءا من المال وهي لا تملك ولا تخلق ولا تضر ولا تنفع
نسبوا الى الاساءة في الحكم والمقصود من ذلك بيان ما كانوا عليه في الجاهلية
من هذه الاحكام الفاسدة التي لم يرد بها شرع ولا نص ولا يحسنها عقل قوله عز وجل
وكذلك عطف على قوله وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا يعني كما
فعلوا جهلا منهم كذلك زين لكثير منهم قتل اولادهم شركاؤهم والمعنى ان جعلهم
لله نصيبا من اموالهم ولشركائهم نصيبا وذلك في غاية الجهل بمعرفة الخالق المنعم
لانهم جعلوا الاصنام مثله في استحقاق النصيب وكذلك اقدامهم على قتل
اولادهم في غاية الجهل ايضا فكأنه قال ومثل ذلك الذي فعلوه في القسم جهلا
وخطأ وضلالا كذلك زين يعني حسن لكثير من المشركين قتل اولادهم يعني به
وأد البنات مخافة الفقر والعيلة شركاؤهم يعني شياطينهم امروهم ان يقتلوا
اولادهم خشية الفقر وسميت الشياطين شركاء لانهم اطاعوهم فيما امروهم به من

معصية الله وقتل الاولاد فاشركوهم مع الله تعالى في وجوب طاعتهم واضيف الشركا
الى المشركين لانهم اطاعوهم واتخذوهم اربابا وقال الكلبي شركاوهم سدنة الهتهم
يعني خدامها وهم الذين كانوا يزينون ويحسنون للكفار قتل الاولاد وكان الرجل في
الجاهلية يقوم فيحلف لئن ولد له كذا وكذا غلاما لينحرن احدهم كما حلف عبد المطلب
على ابنه عبد الله فعلى هذا القول ان الشركا لهم السدنة وخدام الاصنام سموا شركا
لانهم اشركوهم في الطاعة ليردوهم يعني ليهلكوهم بذلك الفعل الذي امروهم به و
الارداء في اللغة قال ابن عباس ليردوهم في النار وليلبسوا عليهم دينهم يعني
وليخلطوا عليهم دينهم قال ابن عباس ليدخلوا عليهم الشك في دينهم وكانوا على
دين اسماعيل عليه السلام فرجعوا عنه بتلبيس الشياطين وانما فعلوا ذلك ليزيلوهم عن
الدين الحق الذي كان عليه اسماعيل وابرهيم عليهما الصلاة والسلام فوضعوا لهم هذه
الاوضاع الفاسدة وزينوها لهم ولو شا الله ما فعلوه يعني ولو شا الله لعصمهم من
ذلك الفعل القبيح الذي زين لهم من تحريم الحرث والانعام وقتل الاولاد اخبر الله عز
وجل ان جميع الاشيا بمشيته وارادته اذ لو لم يشا لما فعلوا ذلك فذرهم يعني فاتركهم
يا محمد وما يفترون يعني وما يختلقون من الكذب على الله فان الله لهم بالمرصاد قوله تعالى
وقالوا يعني المشركين هذه انعام وحرث حجر اي حرام واصله المنع لانه منع من الانتفاع
منه بتحريمه وقيل هو من التضييق والحبس لانهم كانوا يحبسون اشيا من انعامهم وحروثهم
لالهتهم قال مجاهد يعني بالانعام البحيرة والسائبة والوصيلة والحام لا يطعمها الا من نشا
بزعمهم يعني يا كلها خدام الاصنام الرجال دون النسا وانعام حرمت ظهورها يعني الحوامي
وهي الانعام التي حموا ظهورها عن الركوب فكانوا لا يركبونها وانعام لا يذكرون
اسم الله عليها يعني لا يذكرون اسم الله عليها عند الذبائح وانما يذكرون عليها اسما
الاصنام وقيل معناه لا يحجون عليها ولا يركبونها لفعل الخير لانه لما جرت العادة بذكر الله
على كل فعل خير ذم هولا على ترك فعل الخير افترا عليه يعني انهم كانوا يفعلون هذه الافعال
ويزعمون ان الله امرهم بها وذلك اختلاق وكذب على الله عز وجل سيجزيهم بما كانوا
يفترون فيه وعيد وتهديد لهم على افترايهم على الله الكذب قوله عز وجل وقالوا ما
في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا يعني نسانا قال ابن عباس
وقتادة والشعبي اراد اجنة البحاير والسوايب فما ولد منها حيا فهو خالص للرجال
دون النسا وما ولد منها ميتا اكله الرجال والنسا جميعا وهو قوله وان يكن ميتة فهم
فيه شركا وادخلت الها في خالصة للتاكيد والمبالغة كقولهم رجل علامة ونسابة
وقال الفرا ادخلت الها لتانيث الانعام لان ما في بطونها مثلها فانث بتانيثها
وقال الكسائي خالص وخالصة واحد مثل وعظ وموعظة وقيل اذا كان اللفظ
عبارة عن مونث جاز تانيثه على المعنى وتذكيره على اللفظ كما في هذه الاية سيجزيهم

وصفهم يعني سيكافيهم بسبب وصفهم على الله الكذب انه حكيم عليم فيه وعيد وتهديد
لهم يعني انه تعالى حكيم فيما يفعل عليم بقدر استحقاقهم قوله تعالى قد خسر الذين قتلوا
اولادهم سفها بغير علم قال عكرمة نزلت فيمن يئد البنات من ربيعة ومضر وكان
الرجل يشارط الرجل على ان يستحيي جاريته ويئدا خرى فاذا كانت الجارية التي
يئد غدا الرجل او راح من عند امراته وقال لها انت علي كظهر امي ان رجعت
اليك ولم تئديها فتخد لها في الارض خدا وترسل الى نسايها فيجتمعن عندها
ثم يتداولنها بينهن حتى اذا ابصرته راجعا دستها في حفرتها ثم تسوي
عليها التراب وقال قتادة هذا من صنع اهل الجاهلية كان احدهم يقتل ابنته
مخافة السبي والفاقة ويغذو كلبه اما سبب خسران المذكورين في قوله قد
خسر الذين قتلوا اولادهم لان الولد نعمة عظيمة انعم الله بها على الوالد فاذا
تسبب الرجل في ازالة هذه النعمة عنه والطاله فقد استوجب الذم وخسر
في الدنيا والاخرة اما خسارته في الدنيا فقد سعى في نقص عدده وازالة ما انعم
الله به عليه واما خسارته في الاخرة فقد استحق بذلك العذاب العظيم قوله
سفها بغير علم يعني فعلوا ذلك للسفاهة وهي الخفة والجهالة المذمومة وسبب
حصول هذه السفاهة هو قلة العلم بل عدمه لان الجهل كان هو الغالب عليهم
قبل بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهذا اسموا جاهلية وقوله تعالى وحرموا
ما رزقهم الله يعني البحاير والسوايب والحامي وبعض الحروث وبعض ما في
بطون الانعام وهذا ايضا من اعظم الجهالة افترا على الله يعني انهم فعلوا هذه
الافعال الذميمة وزعموا ان الله امرهم بذلك وهذا افترا على الله وكذب وهذا
ايضا من اعظم الجهالة لان الجراة على الله والكذب عليه من اعظم الذنوب
واكبر الكباير ولهذا قال تعالى قد ضلوا يعني في فعلهم عن طريق الحق والرشاد
وما كانوا مهتدين يعني الى طريق الحق والصواب في فعلهم خ عن ابن عباس
قال اذا سرك ان تعلم جهل العرب فاقرا ما بين الثلاثين والماية من سورة
الانعام قد خسر الذين قتلوا اولادهم سفها بغير علم الى قوله قد ضلوا وما كانوا
مهتدين قوله عز وجل وهو الذي انشا جنات معروشات يعني والله الذي
ابتدع وخلق جنات يعني بساتين معروشات وغير معروشات يعني
مسموكات مرتفعات وغير مرتفعات واصل العرش في اللغة شي مسقف يجعل عليه الكرم
وجمعه عروش يقال عرشت الكرم اعرشه عرشا وعرشته تعريشا اذا جعلته كهيئة
السقف واعترش العنب العريش اذا علاه وركبه واختلفوا في معنى قوله
معروشات وغير معروشات فقال ابن عباس ما انبسط على الارض وانتشر مما
يعرش مثل الكرم والقرع والبطيخ ونحو ذلك وغير معروشات ما قام على ساق

على سوق كالنخل والزرع وسائر الشجر وقال الضحاك كلاهما في الكرم خاصة لان
منهما ما يعرش ومنه ما لم يعرش بل يبقى على وجه الارض منبسطا وقيل المعروشات ما غرسه
الناس في البساتين واهتموا فعرشوه من كرم وغيره وغير معروشات هو ما انبته الله
في البراري والجبال من كرم او شجر والنخل والزرع يعني وانشا النخل والزرع وهو
جميع الحبوب التي تقتات وتدخر مختلفا اكله يعني اختلاف الطعم في الثمار كالحلو
والحامض والجيد والردي ونحو ذلك والزيتون والرمان متشابها يعني في النظر وغير متشابه
يعني في الطعم كالرمانتين لونهما واحد وطعمهما مختلف وقيل ان ورق الزيتون يشبه ورق
الرمان ولكن ثمرتهما مختلفة في الجنس والطعم كلوا من ثمره اذا اثمر لما ذكر اسمه ما انعم به
على عباده من خلق هذه الجنات المحتوية على انواع من الثمار ذكر ما هو المقصود الاصلي
وهو الانتفاع بها فقال تعالى كلوا من ثمره اذا اثمر وهذا امر اباحة وتمسك بهذا بعضهم
فقال الامر قد يرد في غير الوجوب لان هذه الصيغة مفيدة لدفع الحرج وقال بعضهم
المقصود منه اباحة الاكل قبل اخراج الحق لانه تعالى لما اوجب الزكاة في الحبوب والثمار
كان يحتمل ان يحرم على المالك ان لا ياكل منها لمكان شركة الفقرا والمساكين معه
فاباح الله له ان ياكل قبل اخراج الحق الواجب عليه فيه لان رعاية حق النفس مقدم
على رعاية حق الغير وقيل انما قال تعالى كلوا من ثمره اذا اثمر بصيغة الامر ليعلم ان المقصود
من خلق هذه الاشيا التي انعم بها على عباده هو الاكل وآتوا حقه يوم حصاده يعني
يوم جذاذه وقطعه واختلفوا في هذا الحق المامور باخراجه فقال ابن عباس وانس
ابن مالك هو الزكاة المفروضة وهذا قول طاووس والحسن وجابر بن زيد وسعيد
ابن المسيب ومحمد بن الحنفية وقتادة قال قتادة في قوله وآتوا حقه يوم حصاده
هو الصدقة المفروضة ذكر لنا ان نبي الله صلى الله عليه وسلم سن فيما سقت السما
والعين السائحة او سقاه الطل والطل الندى او كان بعلا العشر كاملا وان
سقي بنضح وبلغ خمسة اوسق وذلك ثلثمائة صاع فقد وجب فيها حق الزكاة وفي
رواية عن ابن عباس في قوله تعالى وآتوا حقه يوم حصاده قال هو العشر ونصف
العشر فان قلت على هذا التفسير اشكال وهو ان فرض الزكاة كان بالمدينة وهذه
السورة مكية فكيف يمكن حمل قوله وآتوا حقه على الزكاة المفروضة قلت ذكر ابن الجوزي
في تفسيره عن ابن عباس وقتادة ان هذه الآية نزلت بالمدينة فعلى هذا تكون محكمة
نزلت في حكم الزكاة وان قلنا ان هذه الآية مكية تكون منسوخة باية الزكاة لانه قد
روي عن ابن عباس انه قال نسخت اية الزكاة كل صدقة في القران وقيل في قوله
وآتوا حقه يوم حصاده انه حق سوى الزكاة فرض يوم الحصاد وهو اطعام من حضر
وترك ما سقط من الزرع والتمر وهذا قول علي بن الحسين وعطا ومجاهد وحماد
قال ابرهيم هو الضغث وقال الربيع هو لقاط السنبل وقال مجاهد كانوا

يلقون العذوق عند الصرام فياكل منه من مر وقال يزيد بن الاصم كان اهل المدينة اذا
صرموا النخل فيعلقونه في جانب المسجد فيجي المسكين فيضربه بعصاه فما سقط منه اكله
فعلى هذا القول هل هذا الامر امر وجوب او استحباب وندب فيه قولان احدهما انه
امر وجوب فيكون منسوخا باية الزكاة وبقوله صلى الله عليه وسلم في حديث الاعرابي
هل علي غيرها قال لا الا ان تطوع والقول الثاني انه امر ندب واستحباب فتكون
الآية محكمة وقال سعيد بن جبير كان هذا حقا يومر باخراجه في ابتدا الاسلام ثم صار
منسوخا بايجاب العشر ولقول ابن عباس نسخت الزكاة كل صدقة في القران
واختار هذا القول الطبري وصححه واختار الواحدي والرازي قول الاول وصححه فان
قلت فعلى القول كيف تودى الزكاة يوم الحصاد والحب في السنبل ثم لا يجب الا خرج
بعد التصفية والجفاف قلت معناه قدروا اخراج الواجب منه يوم حصاده فانه
قريب من زمان التنقية والجفاف ولان النخل يجب اخراج الحق منه يوم الحصاد
وهو الصرام والزرع محمول عليه الا انه لا يمكن اخراج الحق منه الا بعد التصفية وقيل
معناه وآتوا حقه الذي وجب يوم حصاده بعد التصفية وقيل ان فايدة ذكر الحصاد
ان الحق لا يجب بنفس الزرع وبلوغه انما يجب يوم حصاده وحصوله في يد مالكه
لا فيما يتلف من الزرع قبل حصوله في يد مالكه وقوله تعالى ولا تسرفوا الاسراف
تجاوز الحد فيما يفعله الانسان وهو في الانفاق اشهر وقيل السرف تجاوز ما حد لك
وسرف المال انفاقه من غير منفعة ولهذا قال سفيان ما انفقت في غير طاعة الله
فهو سرف وان كان قليلا قال ابن عباس في رواية عنه عمد ثابت بن قيس
ابن شماس فصرم خمسمائة نخلة فقسمها في يوم احد ولم يترك لاهله شيا فانزل
الله هذه الآية ولا تسرفوا قال السدي معناه لا تعطوا اموالكم وتقعدوا فقرا
قال الزجاج فعلى هذا لو اعطى الانسان كل ماله ولم يوصل الى عياله شيا فقد اسرف
لانه قد صح في الحديث ابدا بمن تعول وقال سعيد بن المسيب معناه لا تمنعوا
الصدقة فتاويل الآية على هذا القول لا تجاوزوا الحد في البخل والامساك
حتى تمنعوا الواجب من الصدقة وهذان القولان يشتركان في ان المراد من
الاسراف مجاوزة الحد الا ان الاول في البذل والاعطا والثاني في الامساك
والبخل وقال مقاتل معناه ولا تشركوا الاصنام في الحرث والانعام وهذا القول
ايضا يرجع الى مجاوزة الحد لان من اشرك الاصنام في الحرث والانعام فقد
جاوز ما حد له وقال الزهري معناه لا تنفقوا في معصية الله عز وجل وقال مجاهد
معناه الاسراف ما قصرت به في حق الله عز وجل ولو كان ابو قبيس ذهبا فانفقته
في طاعة الله لم تكن مسرفا ولو انفقت درهما او مدا في معصية الله كنت
مسرفا وقال ابن زيد انما خوطب بهذا السلطان نهي ان ياخذ من رب المال

دون الذي الزم الله ماله يقول الله عز وجل للسلاطين لا تسرفوا اي لا تاخذوا بغير حق فكانت هذه الاية بين السلطان وبين الناس وقوله تعالى انه لا يحب المسرفين فيه وعيد وزجر عن الاسراف في كل شي لان من لا يحبه الله فهو من اهل النار قوله تعالى ومن الانعام يعني وانشا من الانعام حمولة وهي كل ما يحمل عليها من الابل وفرشا يعني صغار الابل التي لا تحمل قال ابن عباس الحمولة هي الكبار من الابل والفرش هي الصغار من الابل وقال في رواية اخرى عنه ذكرها الطبري اما الحمولة فالابل والخيل والبغال والحمير كل شي يحمل عليه واما الفرش فالغنم وقال الربيع ابن انس الحمولة الابل والبقر والفرش المعز والضان فالحمولة كل ما يحمل عليها من الانعام والفرش ما لا يصلح للحمل سمي فرشا لانه يفرش للذبح ولانه قريب من الارض لصغره كلوا مما رزقكم الله يعني كلوا مما احله الله لكم من هذه الانعام والحرث ولا تتبعوا خطوات الشيطان اي لا تسلكوا طريقه واثاره في تحريم الحرث والانعام كما فعل اهل الجاهلية انه يعني الشيطان لكم عدو مبين يعني انه مبين العداوة لكم ثم بين الحمولة والفرش فقال عز وجل ثمانية ازواج يعني وانشا من الانعام ثمانية ازواج يعني ثمانية اصناف والزوج في اللغة الفرد اذا كان معه اخر من جنسه لا ينفك عنه فيطلق لفظ الزوج على الواحد كما يطلق على الاثنين فيقال للذكر زوج وللانثى زوج من الضان اثنين يعني الذكر والانثى والضان ذوات الصوف من الغنم والواحد ضاين والانثى ضاينة والجمع ضوان ومن المعز اثنين يعني الذكر والانثى والمعز ذوات الشعر من الغنم والواحد ماعز والجمع ماعزى قل الذكرين حرم ام الانثيين استفهام انكاري اي قل يا محمد لهولا الجهلة الذكرين من الضان والمعز حرم عليكم ام الانثيين منهما فان كان حرم الانثيين من الغنم فكل ذكورها حرام وان كان حرم الذكرين منهما فكل اناثها حرام اما اشتملت عليه ارحام الانثيين يعني ام حرم ما اشتملت عليه ارحام الانثيين من الضان والمعز فانها لا تشتمل الا على ذكر او انثى نبئوني اي اخبروني وفسروا لي ما حرمتم بعلم ان كنتم صادقين يعني ان الله حرم ذلك عليكم ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين وهذه اربعة ازواج اخر بقية الثمانية قل الذكرين حرم ام الانثيين اما اشتملت عليه ارحام الانثيين وتفسير هذه على نحو ما تقدم وفي هذه الايتين تقريع وتوبيخ من الله تعالى لاهل الجاهلية بتحريمها ما لم يحرمه الله تعالى وذلك انهم كانوا يقولون هذه انعام وحرث حجر وقالوا ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا وحرموا البحيرة والسايبة والوصيلة والحام وكانوا يحرمون بعضها على الرجال والنسا وبعضها على النسا دون الرجال كما اخبر الله عنهم في كتابه فلما جا الاسلام وثبتت الاحكام جادلوا النبي صلى الله عليه وسلم وكان خطيبهم مالك بن عوف الجشمي قال يا محمد بلغنا انك تحرم اشيا مما كان اباونا

يفعلونه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم قد حرمتم اصنافا من النعم على غير اصل وانما خلق الله هذه الازواج الثمانية للاكل والانتفاع بها فمن اين جا هذا التحريم من قبل الذكر ام من قبل الانثى فسكت مالك بن عوف وتحير ولم يتكلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما لك يا مالك لا تتكلم فقال بل انت تتكلم واسمع منك قال المفسرون فلو قال جا التحريم من قبل الذكر بسبب الذكورة وجب ان يحرم جميع الذكور ولو قال بسبب الانوثة وجب ان يحرم جميع الاناث وان قال باشتمال الرحم عليه فينبغي ان يحرم الكل لان الرحم لا يشتمل الا على ذكر او انثى واما تخصيص التحريم بالولد الخامس او السابع او بالبعض دون البعض فمن اين ذلك التحريم فاحتج الله على ابطال دعواهم بهذه الايتين واعلم نبيه صلى الله عليه وسلم ان كل ما قالوه من ذلك واضافوه لله فهو كذب على الله وانه لم يحرم شيا من ذلك وانهم اتبعوا في ذلك هواهم وخالفوا امر ربهم وذكر الامام فخر الدين في معنى الاية وجهين اخرين ونسبهما الى نفسه فقال ان هذا الكلام ما ورد على سبيل الاستدلال على بطلان قولهم بل هو استفهام على سبيل الانكار يعني انكم لا تقرون بنبوة نبي ولا تعرفون شريعة شارع فكيف تحكمون بان هذا يحل وهذا يحرم والوجه الثاني انكم حكمتم بالبحيرة والسايبة والحام مخصوصا بالابل فالله تعالى بين ان النعم عبارة عن هذه الانواع الاربعة وهي الضان والمعز والبقر والابل فلما لم تحكموا بهذه الاحكام في الانواع الثلاثة وهي الضان والمعز والبقر فكيف خصصتم الابل بهذا الحكم دون هذه الانواع الثلاثة قوله تعالى ام كنتم شهدا اذ وصاكم الله بهذا يقول الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل لهولا الجهلة من المشركين الذين يزعمون ان الله حرم عليهم ما حرموا على انفسهم من الانعام والحرث هل شاهدتم الله حرم هذا عليكم ووصاكم به فانكم لا تعرفون بنبوة احد من الانبيا فكيف تثبتون هذه الاحكام وتنسبونها الى الله تعالى ولما احتج الله عليهم بهذه الحجة وبين انه لا مستند لهم في ذلك قال تعالى فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا ليضل الناس بغير علم يعني فمن اشد ظلما وابعد عن الحق ممن يكذب على الله وينسب تحريم ما لم يحرمه الله ليضل الناس بذلك وليصدهم عن سبيل الله جهلا منه ليس هو على بصيرة وعلم في ذلك الذي ابتدعه ونسبه الى الله ويقول ان الله امرنا بهذا قيل اراد به عمرو بن لحي لانه اول من بحر البحاير وسيب السوايب وغير دين ابراهيم عليه السلام ويدخل في هذا الوعيد كل من كان على طريقته وابتدع شيا لم يامر الله به ولا رسوله ونسب ذلك الى الله تعالى لان اللفظ عام فلا وجه للتخصيص فكل من ادخل في دين الله ما ليس منه فهو داخل في هذا الوعيد ان الله لا يهدي القوم الظالمين يعني انه لا يرشد ولا يوفق من كذب على الله واضاف اليه ما لم يشرعه

لعباده قوله عز وجل قل لا اجد فيما اوحي الي محرما على طاعم يطعمه اعلم لا بين الله تعالى فساد طريقة
الجاهلية وما كانوا عليه من التحريم والتحليل من عند انفسهم واتباع اهوائهم فيما احلوه و
حرموه من المطعومات اتبعه بالبيان الصحيح في ذلك وبين ان التحريم والتحليل لا يكون الا بوحي
سماوي وشرع نبوي فقال تعالى قل اي يا محمد لهولاء المشركين الجاهلين الذين يحلون و
يحرمون من عند انفسهم لا اجد فيما اوحي الي محرما على طاعم يطعمه يعني اكل اكله الا ان يكون
ميتة او دما مسفوحا يعني سائلا مصبوبا او لحم خنزير فانه رجس اي نجس او فسقا اهل
لغير الله به يعني ما ذبح على غير اسم الله فبين الله في هذه الاية ان التحريم والتحليل لا يكون
الا بوحي منه وان المحرمات محصورة في الاربعة اشيا المذكورة في هذه الاية وهي الميتة
والدم المسفوح ولحم الخنزير وما ذبح على غير اسم الله تعالى وهذا مبالغة ان التحريم لا يخرج
عن هذه الاربعة اشيا انه يثبت انه لا طريق الى معرفة المحرمات الا بالوحي وثبت ان
الله تعالى نص في هذه الاية على هذه الاربعة اشيا ولهذا اختلف العلما في حكم هذه الاية
فذهب بعضهم الى ظاهرها وانه لا يحرم شي من سائر المطعومات والحيوان الا ما ذكر في هذه
الاية يروى ذلك عن ابن عباس وعائشة وسعيد بن جبير وهو ظاهر مذهب مالك
واحتجوا على ذلك بان هذه الاية محكمة لانها خبر لا يدخله النسخ واحتجوا بان هذه الاية وان
كانت مكية لكن تعضدها اية مدنية وهي قوله تعالى في سورة البقرة انما حرم عليكم الميتة
والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به وكلمة انما تفيد الحصر فصارت هذه الاية مدنية
مطابقة للاية المكية في الحكم وذهب جمهور العلما الى ان هذا التحريم لا يختص بهذه
الاشيا المنصوص عليها في هذه الاية فان المحرم بنص الكتاب هو ما ذكر في هذه الاية
وقد حرمت السنة اشيا وجب القول بها منها تحريم الحمر الاهلية وكل ذي ناب من السباع
ومخلب من الطير عن المقدام بن معدي كرب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
الا هل عسى رجل يبلغه الحديث عني وهو متكي على اريكته فيقول بيننا وبينكم كتاب الله
فما وجدنا فيه حلالا استحللناه وما وجدنا فيه حراما حرمناه وان ما حرم رسول الله صلى الله
عليه وسلم كما حرم الله اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب ولابي داود قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا اني اوتيت الكتاب ومثله معه الا يوشك رجل
شبعان على اريكته يقول عليكم بهذا القران فما وجدتم فيه من حلال فاحلوه وما وجدتم
فيه من حرام فحرموه الا لا يحل لكم لحم الحمار الاهلي ولا كل ذي ناب من السباع ولا لقطة
معاهد الا ان يستغني عنها صاحبها ومن نزل بقوم فعليهم ان يقروه فان لم يقروه فله ان
يعقبهم بمثل قراه عن ابن عباس كان اهل الجاهلية ياكلون اشيا ويتركون اشيا تقذرا فبعث الله نبيه
وانزل كتابه واحل حلاله وحرم حرامه فما احل فهو حلال وما حرم فهو حرام وما سكت عنه فهو
عفو وتلا قل لا اجد فيما اوحي الي محرما على طاعم يطعمه الا ان يكون ميتة الاية اخرجه
ابو داود م عن ابن عباس قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كل ذي ناب

من السباع

من السباع وكل ذي مخلب من الطير م عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى
يوم خيبر عن اكل لحوم الحمر الاهلية ق عن جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى
عن لحوم الحمر الاهلية واذن في الخيل وفي رواية اكلنا من خيبر الخيل وحمر الوحش ونهى
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحمار الاهلي عن جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
نهى عن اكل الهر واكل ثمنه اخرجه ابو داود وقد استثنا الشارع من الميتة السمك
والجراد ومن الدم الكبد والطحال واباح كل ذلك وقد تقدم دليله والاصل في ذلك
عند الشافعي ان الاكل من لم يرد فيه نص تحريم او تحليل فما كان امر الشرع بقتله كما ورد
في الصحيح خمس فواسق يقتلن في الحل والحرم وهي الحية والعقرب والفارة والحداة
والكلب العقور وروي عن سعد بن ابي وقاص ان النبي صلى الله عليه وسلم
امر بقتل الوزغ اخرجه البخاري ومسلم وزاد فيه وسماه فويسقا وعن ابن عباس
قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل اربع من الدواب النملة والنحلة
والهدهد والصرد اخرجه ابو داود فهذا كله حرام لا يحل اكله وما سوى ذلك
فالمرجع فيه الى الاغلب من عادة العرب فما يستطيبه الاغلب منهم فهو حلال
وما يستخبثه الاغلب منهم ولا ياكلونه فهو حرام لان الله خاطبهم بقوله احل لكم
الطيبات فما استطابوه فهو حلال فهذا القدر ما يحل ويحرم من المطعومات واما الجواب
عن الاية الكريمة فمن وجوه احدها ان يكون المعنى لا اجد محرما مما كان اهل الجاهلية
يحرمونه من البحاير والسوايب وغيرها الا ما اوحي الي في هذه الاية الوجه الثاني
ان يكون المراد وقت نزول هذه الاية لم يكن محرما غير ما ذكر ونص عليه في هذه
الاية ثم حرم بعد نزولها اشيا اخر الوجه الثالث يحتمل ان هذا اللفظ العام
خصص بدليل اخر وهو ما ورد في السنة الوجه الرابع ان ما ذكر في هذه الاية محرم
على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ما ورد في السنة من المحرمات والله
اعلم بقي في الاية احكام في قوله تعالى او دما مسفوحا وهو ما سال من الحيوان
في حال الحياة او عند الذبح فان ذلك الدم حرام نجس وما سوى ذلك كالكبد
والطحال فانهما حلال لانهما دمان جامدان وقد ورد الحديث باباحتهما ولا
ما اختلط باللحم من الدم لانه غير سايل قال عمران ابن جرير سالت ابا مجلز عما
يختلط باللحم من الدم وعن القدر يرى فيها حمرة الدم فقال لا باس بذلك
انما نهى عن الدم المسفوح وقال ابراهيم النخعي لا باس بالدم في عرق او مخ
الا المسفوح وقال عكرمة لولا هذه الاية لتتبع المسلمون الدم من العروق ما
يتتبع اليهود وقوله تعالى فمن اضطر غير باغ ولا عاد لما بين الله المحرمات في هذه الاية
ثم اباح اكلها عند الاضطرار من غير بغي ولا عدوان وفي قوله فان ربك غفور
رحيم دليل على الرخصة والاباحة عند الاضطرار وقوله تعالى وعلى الذين هادوا

يعني اليهود حرمنا كل ذي ظفر قال ابن عباس هو البعير والنعامة ونحو ذلك
من الدواب وقيل كل ما لم يكن مشقوق الاصابع من البهائم والطير مثل البعير
والنعامة والاوز والبط قال القتيبي هي كل ذي مخلب من الطير وكل ذي حافر
من الدواب وسمي الحافر ظفرا على الاستعارة ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما
يعني شحم الجوف وهي الثروب وشحم الكليتين الا ما حملت ظهورهما يعني الا ما علق
بالظهر والجنب من داخل بطونهما من الشحم فانه غير محرم عليهم وقال السدي وابو
صالح الالية مما حملت ظهورهما وهذا القول مختص بالغنم لان البقر ليس لها الية
او الحوايا وهي المباعر في قول ابن عباس وجمهور المفسرين واحدتها حاوية وحوية
وقيل الحوايا المباعر والمصارين وهي الدوائر التي تكون في بطن الشاة والمعنى ان
الشحم الملتصق بالمباعر والمصارين غير محرم على اليهود او ما اختلط بعظم يعني شحم
الالية لانه اختلط بالعصعص وكذا الشحم المختلط بالعظام التي تكون في الجنب
والراس والعين فكل هذه حلال على اليهود فحاصل هذا ان الذي حرم عليهم هو
شحم الثرب وشحم الكلية وما عدا ذلك فهو حلال عليهم ق عن جابر بن عبد الله
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عام الفتح بمكة ان الله حرم بيع الخمر
والميتة والخنزير والاصنام فقيل يا رسول الله ارايت شحوم الميتة فانه يطلى بها
السفن ويدهن بها الجلود ويستصبح بها الناس فقال لا هو حرام ثم قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم عند ذلك قاتل الله اليهود ان الله لما حرم عليهم شحومها جملوه
ثم باعوه فاكلوا ثمنه قوله جملوه يعني اذابوه فقال اجملت الشحم وجملته اذا اذبته
وجملته اكثر وافصح وقوله تعالى ذلك جزيناهم اي ذلك التحريم جزيناهم عقوبة ببغيهم
يعني بسبب بغيهم يعني بسبب بغيهم وظلمهم وهو قتلهم الانبيا واخذهم الربا
واستحلالهم اموال الناس بالباطل وانا لصادقون يعني في الاخبار عن بغيهم وفي
الاخبار عن تخصيصهم بهذا التحريم فان كذبوك يعني فان كذبك اليهود يا محمد
فيما اخبرناك انا حرمنا عليهم وحللنا لهم مما بيناه في هذه الاية المتقدمة فقل ربكم
ذو رحمة واسعة يعني بتاخير العقوبة عنكم فان رحمته تسع المسيء والمحسن فلا يعجل
بالعقوبة على من كفر به وعصاه ولا يرد باسه يعني فلا يرد عذابه ونقمته اذا
جاء وقتها عن القوم المجرمين يعني الذين كذبوا الانبيا وهم الكفار واليهود قوله عز وجل
سيقول الذين اشركوا لما الزمتهم الحجة وتيقنوا بطلان ما كانوا عليه من الشرك
بالله وتحريم ما لم يحرمه الله اخبر الله عنهم بما سيقولونه فقال تعالى سيقول الذين
اشركوا يعني مشركي قريش والعرب لو شا الله ما اشركنا ولا اباونا يعني من قبل
قال المفسرون جعلوا قولهم لو شا الله ما اشركنا حجة على اقامتهم على الكفر والشرك
وقالوا ان الله قادر على ان يحول بيننا وبين ما نحن عليه حتى لا نفعله فلولا انه

رضي منا

رضي منا ما نحن عليه واراده منا وامرنا به لحال بيننا وبين ذلك ولا حرمنا من شي
يعني ما حرموه من البحاير والسوايب وغير ذلك فقال الله عز وجل تكذيبا لهم كذلك
كذب الذين من قبلهم يعني من كفار الامم الخالية الذين كانوا قبل قومك كذبوا
انبياهم وقالوا مثل قول هولاء حتى ذاقوا باسنا يعني عذابنا فصل احتج القدرية
والمعتزلة بهذه الاية فقالوا ان القوم لما قالوا لو شا الله ما اشركنا كذبهم الله
ورد عليهم بقوله كذلك كذب الذين من قبلهم وايضا فان الله تعالى حكى عن
هولاء الكفار صريح مذهب الجبرية وهو قولهم لو شا الله منا ان لا نشرك لم نشرك
ولمنعنا عن هذا الكفر وحيث لم يمنعنا عنه ثبت انه مريد له واذا اراده منا امتنع
تركه منا واجيب عن هذا بان الله تعالى حكى عن هولاء الكفار انهم قالوا لو شا الله ما
اشركنا ثم ذكر عقيبه كذلك كذب الذين من قبلهم وهذا التكذيب ليس هو في قولهم
لو شا الله ما اشركنا بل ذلك القول حق وصدق ولكن الكذب في قولهم ان الله امرنا
به ورضي ما نحن عليه كما اخبر عنهم في سورة الاعراف واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا
عليها اباءنا والله امرنا بها فرد الله عليهم ذلك بقوله قل ان الله لا يامر بالفحشا والدليل ان
التكذيب في قولهم ان الله امرنا بهذا ورضيه منا لا في قولهم لو شا الله ما اشركنا
قوله كذلك كذب الذين من قبلهم بالتشديد ولو كان خبرا من الله تعالى عن كذبهم في
قولهم لو شا الله ما اشركنا لقال كذلك كذب الذين من قبلهم بالتخفيف فكان نسبتهم
الى الكذب لا الى التكذيب وقال حسن بن الفضل لو قالوا هذه المقالة تعظيما لله
واجلالا له ومعرفة بحق وبما يقولون لما عابهم بذلك ولكنهم قالوا هذه المقالة تكذيبا
وجدلا من غير معرفة بالله وبما يقولون وقيل في معنى الاية انهم كانوا يقولون الحق
بهذه الكلمة وهو قوله لو شا الله ما اشركنا الا انهم كانوا يعدونه عذرا لانفسهم ويجعلونه
حجة لهم في ترك الايمان والرد عليهم في ذلك ان امر الله بمعزل عن مشيئة الله وارادته
فانه تعالى مريد لجميع الكائنات غير امر لجميع ما يريد فعلى العبد ان يتبع امره وليس له
ان يتعلق بمشيته وان المشيئة لا تكون عذرا لاحد فان الله تعالى يفعل ما يشا ويحكم
ما يريد لا اعتراض لاحد عليه في فعله فهو تعالى شا الكفر من الكافر ولا يرضى به
ولا يامر به ومع هذا فيبعث الرسل الى العبد ولا يامره بالايمان وورود الامر على خلاف
الارادة غير ممتنع فالحاصل انه تعالى حكى عن الكفار انهم يتمسكون بمشيئة الله في شركهم
وكفرهم فاخبر الله تعالى ان هذا التمسك فاسد باطل فانه لا يلزم من ثبوت المشيئة لله تعالى
في كل الامور دفع دعوة الانبيا عليهم السلام والله اعلم وقوله تعالى قل اي قل يا محمد
لهولاء المشركين القايلين لو شا الله ما اشركنا ولكنه رضي ما نحن عليه من الشرك هل
عندكم يعني من علم بدعواكم ما تدعون من علم يعني من حجة وكتاب يوجب اليقين
من العلم فتخرجوه لنا يعني فتظهروا ذلك العلم لنا وتبينوه كما بينا لكم خطا قولكم وفعلكم

وتناقض ذلك وتخالفه في العقول ان تتبعون الا الظن يعني فيما انتم عليه من الشرك وتحريم مالم يحرمه الله عليكم وتحسبون انكم على حق وانما هو باطل وان انتم الا تخرصون يعني وما انتم في ذلك كله الا تكذبون وتقولون على الله الباطل قوله تعالى قل فلله الحجة البالغة يعني قل يا محمد لهولاء المشركين حين عجزوا عن اظهار علم او حجة لهم فلله الحجة البالغة يعني التامة على خلقه بانزال الكتاب وارسال الرسول قال الربيع ابن انس لا حجة لاحد عصى الله او اشرك به على الله ولكن لله الحجة البالغة على عباده فلو شاء لهداكم اجمعين يعني ولو شاء الله لوفقكم اجمعين للهداية ولكنه لم يشا ذلك وفيه دليل على انه تعالى لم يشا ايمان الكافر ولو شاء لهداه لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون قل هلم شهداءكم الذين يشهدون يعني هاتوا وادعوا شهداءكم وهلم كلمة دعوة الى الشي يستوي فيه الواحد والاثنين والجمع والذكر والانثى وفيها لغة اخرى يقال للواحد هلم وللاثنين هلما وللجمع هلموا وللانثى هلمي واللغة الاولى افصح ان الله حرم هذا وهذا تنبيه من الله بان يستدعا الشهود من الكافرين على تحريم ما حرموه على انفسهم وقالوا ان الله امرنا به ليظهر ان لا شاهد لهم على ذلك من عند انفسهم فان شهدوا فلا تشهد معهم وهذا تنبيه ايضا على كونهم كاذبين في شهادتهم فلا تشهد انت يا محمد معهم لانهم في شهادتهم كاذبون ولا تتبع اهواء الذين كذبوا باياتنا يعني ان وقع منهم شهادة فانما هي باتباع الهوى فلا تتبع انت يا محمد اهواءهم ولكن اتبع بما اوحي اليك من كتابي الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه والذين لا يؤمنون بالآخرة اي ولا تتبع اهواء الذين لا يؤمنون بالآخرة وهم بربهم يعدلون يعني يشركون قوله عز وجل قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم لما بين الله تعالى فساد مقالة الكفار فيما زعموا ان الله امرهم بتحريم ما حرموه على انفسهم فكانهم سالوا وقالوا اي شي حرم الله فامر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم ان يقول لهم تعالوا تفاعل من الخاص الذي صار عاما واصله ان يقوله من كان في مكان عال لمن هو اسفل منه ثم كثر واتسع فيه حتى عم وقيل اصله ان يدعوا الانسان الى مكان مرتفع وهو من العلو وهو ارتفاع المنزلة فكانه دعاه الى ما فيه رفعته وشرفه ثم كثر في الاستعمال والمعنى تعالوا وهلموا ايها القوم اتل يعني اقرا ما حرم ربكم عليكم يعني الذي حرم ربكم عليكم حقا يقينا لا شك فيه ولا ظنا ولا كذبا كما تزعمون انتم بل هو وحي اوحاه الله الي ان لا تشركوا به شيئا فان قلت ترك الاشراك واجب فما معنى قوله ان لا تشركوا به شيئا لانه كالتفصيل لما اجمله في قوله حرم ربكم عليكم وذلك لا يجوز قلت الجواب عنه من وجوه الوجه الاول ان تكون ان موضع ان رفع معناه هو ان لا تشركوا الوجه الثاني ان يكون محله النصب واختلفوا في وجه انتصابه فقيل معناه حرم عليكم ان

تشركوا

تشركوا وتكون لا صلة وقيل ان حرف لا على اصلها ويكون المعنى اتل عليكم تحريم الشرك ان لا تشركوا او يكون المعنى اوصيكم ان لا تشركوا لان قوله وبالوالدين احسانا محمول على اوصيكم بالوالدين احسانا الوجه الثالث ان يكون الكلام قد تم عند قوله حرم ربكم عليكم ان لا تشركوا على الاغراء والمعنى فرض عليكم ان لا تشركوا به شيئا ومعنى هذا الاشراك الذي حرمه الله ونهى عنه هو ان لا يجعل لله شريكا من خلقه ولا يطيع مخلوقا في معصية الخالق او يريد بعبادته رياء وسمعة ومنه قوله ولا يشرك بعبادة ربه احدا وقوله تعالى وبالوالدين احسانا اي وفرض عليكم ووصاكم بالوالدين احسانا وانما ثنى بالوصية بالاحسان الى الوالدين لان اعظم النعم على الانسان نعمة الله لانه هو الذي اوجده من العدم الى الوجود وخلقه واوجده بعد ان لم يكن شيئا ثم بعد نعمة الله نعمة الوالدين لانهما السبب في وجود الانسان ثم ما لهما عليه من حق التربية والشفقة والحفظ من المهالك في حال صغره ولا تقتلوا اولادكم من املاق يعني من خوف الفقر والاملاق والافتقار والمراد بالقتل واد البنات وهن احياء وكانت العرب تفعل ذلك في الجاهلية فنهاهم الله عن ذلك وحرمه عليهم نحن نرزقكم واياهم يعني لا تئدوا بناتكم خوف العيلة والفقر فاني رازقكم واياهم لان الله تعالى اذا تكفل برزق الوالد والولد وجب على الوالد القيام بحق الولد وتربيته والاتكال في امر الرزق على الله عز وجل ولا تقربوا الفواحش يعني الزنا ما ظهر منها وما بطن يعني علانيته وسره وكان اهل الجاهلية يستقبحون الزنا في العلانية ولا يرون به باسا في السر فحرم الله الزنا في السر والعلانية وقيل ان الاولى حمل لفظ الفواحش على العموم في جميع الفواحش المحرمات والمنهيات فيدخل فيه الزنا وغيره لان المعنى الموجب لهذا النهي هو كونه فاحشة فحمل اللفظ على العموم اولى من تخصيصه بنوع من الفواحش وايضا فان السبب اذا كان خاصا لا يمنع من حمل اللفظ على العموم وفي قوله ما ظهر منها وما بطن دقيقة وهي ان الانسان اذا احترز عن المعاصي في الظاهر ولم يحترز منها في الباطن دل على ان احترازه عنها ليس لاجل عبوديته لله وطاعته فيما امره به او نهاه عنه ولكن لاجل الخوف من رؤية الناس ومذمتهم ومن كان كذلك استحق العقاب ومن ترك المعصية ظاهرا او باطنا لاجل خوف الله وتعظيما لامره استوجب رضوان الله وثوابه ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق حرم الله قتل النفس الا بالحق وقتلها من جملة الفواحش المتقدم ذكرها في قوله ولا تقربوا الفواحش وانما افرد قتل النفس بالذكر تعظيما لامر القتل وانه من اعظم الفواحش والكبائر وقيل انما افرده بالذكر لانه تعالى اراد ان يستثني منه ولا يمكن ذلك الاستثناء من جملة الفواحش الا بالافراد فلذلك قال ولا تقتلوا النفس التي حرم الله يعني قتلها الا بالحق وهو الذي يبيح قتلها من ردة او قصاص او زنا بعد احصان وهو الذي يوجب الرجم (ق) عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه

وسلم لا يحل دم امرئ مسلم يشهد ان لا اله الا الله واني رسول الله الا باحدى ثلاث الثيب
الزاني والنفس بالنفس والتارك لدينه المفارق للجماعة وقوله تعالى ذلكم يعني ما ذكر
من الاوامر والنواهي المحرمات وصاكم به يعني امركم به واوجبه عليكم لعلكم تعقلون
يعني لكي تفهموا ما في هذه التكاليف من الفوايد والمنافع فتعملوا بها قوله تعالى
ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن يعني ولا تقربوا مال اليتيم الا بما فيه صلاحه
وتثميره وتحصيل الربح له قال مجاهد هو التجارة فيه وقال الضحاك هو ان يسعى له فيه
ولا ياخذ من ربحه شيا هذا اذا كان القيم بالمال غنيا غير محتاج فلو كان الوصي فقيرا
فله ان ياكل بالمعروف حتى يبلغ اشده يعني احفظوا مال اليتيم الى ان يبلغ اشده
فاذا بلغ اشده فادفعوا اليه ماله فاما الاشد فهو استحكام قوة الشباب والسن حتى
يتناهى في الشباب الى حد الرجال قال الشعبي ومالك الاشد الحلم حين تكتب له
الحسنات وتكتب عليه السيات وقال ابو العالية حتى يعقل ويجتمع قوته وقال الكلبي الاشد
ما بين ثماني عشرة سنة الى ثلاثين سنة وقيل الى اربعين وقيل الى ستين سنة وقال
الضحاك الاشد عشرون سنة وقال السدي الاشد ثلاثون سنة وقال مجاهد الاشد
ثلاث وثلاثون سنة وهذه الاقوال التي نقلت عن المفسرين في هذه الاية انما
هي نهاية الاشد لا ابتداوه والمراد بالاشد في هذه الاية هو الابتدا وبلوغ الحلم مع
ايناس الرشد وهذا هو المختار في تفسير هذه الاية وقوله تعالى واوفوا الكيل والميزان
بالقسط بالعدل من غير زيادة ولا نقصان لا نكلف نفسا الا وسعها يعني طاقتها وما
يسعها في ايفا الكيل والميزان واتمامه لم تكلف المعطي ان يعطي اكثر مما وجب عليه ولم تكلف
صاحب الحق الرضا باقل من حقه حتى لا تضيق نفسه عنه بل امر كل واحد بما يسعه مما لا
حرج عليه فيه واذا قلتم فاعدلوا يعني في الحكم والشهادة ولو كان ذا قربى يعني المحكوم
عليه وكذا المشهود عليه وقيل ان الامر بالعدل في القول هو اعم من الحكم والشهادة بل يدخل
فيه كل قول حتى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر من غير زيادة فيه ولا نقصان واداء الامانة
وغير ذلك من جميع الاقوال التي تقيمونها العدل والصدق وبعهد الله اوفوا يعني ما
عاهد الى عباده ووصاهم به واوجبه عليهم وما اوجبه الانسان على نفسه كنذر ونحوه
فيجب الوفا به ذلكم يعني الذي ذكر في هذه الايات وصاكم به يعني بالعمل به لعلكم تذكرون
يعني لعلكم تتفطنون وتتذكرون فتاخذون بما امرتكم به قوله عز وجل وان هذا صراطي مستقيما
فاتبعوه يعني وان هذا الذي وصيتكم به وامرتكم به في هاتين الايتين هو صراطي يعني
طريقي وديني الذي ارتضيته لعبادي مستقيما يعني قويما لا اعوجاج فيه فاتبعوه يعني
فاعملوا به وقيل ان الله تعالى لما بين في الايتين المتقدمتين ما وصى به مفصلا اجمله
في هذه الاية اجمالا يقتضي دخول جميع ما تقدم ذكره فيه ويدخل فيه ايضا جميع احكام
الشريعة وكلما بينه رسول الله صلى الله عليه وسلم من دين الاسلام هو المنهج القويم

والصراط

والصراط المستقيم والدين الذي ارتضاه لعباده المومنين وامرهم باتباع جملته و
تفصيله ولا تتبعوا السبل يعني الطرق المختلفة والاهوا المضلة والبدع المردية
وقيل السبل المختلفة مثل اليهودية والنصرانية وساير الملل والاديان المخالفة لدين
الاسلام فتفرق بكم عن سبيله يعني فتميل بكم هذه الطرق المختلفة المضلة عن دينه وطريقه
الذي ارتضاه لعباده روى البغوي بسنده عن ابن مسعود قال خط لنا رسول الله
صلى الله عليه وسلم خطا ثم قال هذا سبيل الله ثم خط خطوطا عن يمينه وعن شماله
ثم قال هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعوا اليه وقرا وان هذا صراطي مستقيما
فاتبعوه ولا تتبعوا السبل الاية ذلكم وصاكم به يعني باتباع دينه وصراطه الذي لا
اعوجاج فيه لعلكم تتقون يعني الطرق المختلفة والسبل المضلة قال ابن عباس
هذه الايات محكمات في جميع الكتب لم ينسخهن شي وهن محرمات على بني ادم وهن ام
الكتاب من عمل بهن دخل الجنة ومن تركهن دخل النار عن ابن مسعود قال من
سره ان ينظر الى الصحيفة التي عليها خاتم محمد صلى الله عليه وسلم فليقرا هولا الايات
الى قوله لعلكم تتقون اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب قوله تعالى ثم اتينا
موسى الكتاب يعني التوراة فان قلت اتينا موسى الكتاب كان قبل نزول القران
وحرف ثم للتعقيب فما معنى ذلك قلت دخلت ثم لتاخير الخبر لا لتاخير النزول و
المعنى قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم وهو كذا وكذا الى قوله لعلكم تتقون ثم اخبركم
انا اتينا موسى الكتاب وقيل ان المحرمات المذكورة في قوله قل تعالوا اتل ما حرم
ربكم عليكم محرمات على جميع الامم وجميع الشرايع فتقدير الكلام ذلكم وصاكم به يا بني ادم
قديما وحديثا ثم بعد ذلك اتينا موسى الكتاب يعني بعد ايجاب هذه المحرمات
وقيل معناه قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم ثم قل بعد ذلك يا محمد انا اتينا موسى
الكتاب وحذف لفظة قل لدلالة الكلام عليه وقوله تعالى تماما على الذي احسن
اختلف اهل التفسير فيه فقيل معناه تماما على المحسنين من قومه فتكون الذي بمعنى
من اي تماما على من احسن من قومه لانه كان منهم محسن ومسي ويدل عليه قراة ابن مسعود
تماما على الذين احسنوا وقيل معناه تماما على كل من احسن اي اتممنا فضيلة موسى
بالكتاب على المحسنين وهم الانبيا والمومنون اي اتممنا فضله عليهم بالكتاب وقيل
الذي احسن هو موسى فتكون الذي بمعنى ما اي على ما احسن فتقديره واتينا موسى
الكتاب اتماما للنعمة عليه لاحسانه في الطاعة والعبادة وتبليغ الرسالة واداء الامر
وقيل الاحسان بمعنى العلم تقديره اتينا موسى الكتاب تماما على الذي احسن موسى
من العلم والحكمة زيادة له على ذلك وقيل معناه تماما على احساني الى موسى وتفصيلا
لكل شي يعني وفيه بيان لكل شي يحتاج اليه من شرايع الدين واحكامه وهدى
يعني فيه هدى من الضلالة ورحمة يعني انزاله عليهم رحمة مني عليهم لعلهم بلقاء ربهم

يؤمنون قال ابن عباس لكي يؤمنوا بالبعث ويصدقوا بالثواب والعقاب قوله عز وجل
وهذا كتاب انزلناه مبارك يعني القرآن لانه كثير الخير والنفع والبركة ولا يتطرق
اليه نسخ فاتبعوه يعني فاعملوا بما فيه من الاوامر والنواهي والاحكام واتقوا يعني
مخالفته لعلكم ترحمون يعني لكي يكون الغرض بالتقوى رحمة الله وقيل معناه لكي ترحموا
على رجاء التقوى ان تقولوا يعني لئلا تقولوا وقيل معناه كراهية ان تقولوا يعني
انزلناه اليكم الكتاب كراهية ان تقولوا انما انزل الكتاب وقيل يجوز ان تكون
ان متعلقة بما قبلها فيكون المعنى واتقوا ان تقولوا وهذا خطاب لاهل
مكة والمعنى واتقوا يا اهل مكة ان تقولوا انما انزل الكتاب اسم جنس لان المراد
به التوراة والانجيل على طائفتين من قبلنا يعني اليهود والنصارى وان كنا
اي وقد كنا وقيل وانا كنا عن دراستهم يعني قراءتهم لغافلين يعني لا علم لنا
بما فيها لانه ليس بلغتنا والمراد بهذه الآية اثبات الحجة على اهل مكة وقطع عذرهم
بانزال القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم بلغتهم والمعنى وانزلنا القرآن عليهم لئلا يقولوا يوم القيامة
ان التوراة والانجيل انزل على طائفتين من قبلنا بلسانهم ولغتهم فلم نعرف ما فيهما فقطع
الله عز وجل عذرهم بانزال القرآن عليهم بلغتهم او يقولوا لو انا انزل علينا الكتاب لكنا
اهدى منهم وذلك ان جماعة من الكفار قالوا لو انزل علينا ما انزل على اليهود والنصارى
لكنا خيرا منهم واهدى وانما قالوا ذلك لاعتمادهم على صحة عقولهم وجودة
فطنتهم وذهنهم قال الله عز وجل فقد جاءكم بينة من ربكم يعني هذا القرآن فيه بيان
وحجة واضحة تعرفونها وهدى يعني من الضلالة ورحمة يعني وهو رحمة ونعمة انعم
الله بها عليكم فمن اظلم اي لا احد اظلم واكفر ممن كذب بآيات الله وصدف عنها
يعني واعرض عنها سنجزي الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب يعني اسوأ
العذاب يعني اسوأ العذاب واشده بما كانوا يصدفون اي ذلك العذاب جزاؤهم
بسبب اعراضهم وتكذيبهم بآيات الله قوله تعالى هل ينظرون يعني هل ينتظرون هؤلاء
بعد تكذيبهم الرسل وانكارهم القرآن وصدهم عن آيات الله وهو استفهام معناه
النفي وتقدير الآية انهم لا يؤمنون بك الا اذا جاءتهم احدى هذه الامور الثلاثة
فاذا جاءت احدها آمنوا وذلك حين لا ينفعهم ايمانهم الا ان تأتيهم الملائكة يعني لقبض
ارواحهم وقيل تأتيهم بالعذاب او يأتي ربك يعني للحكم وفصل القضاء بين الخلق يوم القيامة
وقد تقدم الكلام في معنى الآية في سورة البقرة عند قوله هل ينظرون الا ان يأتيهم الله
في ظلل من الغمام بما فيه كفاية وان المجيء والذهاب على الله محال فيجب امرارها بلا تكييف
او يأتي بعض آيات ربك قال جمهور المفسرين هو طلوع الشمس من مغربها ويدل
على ذلك ما روي عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
ثلاث اذا خرجن لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل طلوع الشمس من مغربها

والدجال

والدجال ودابة الارض اخرجه مسلم عن ابي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله او يأتي
بعض آيات ربك قال طلوع الشمس من مغربها اخرجه الترمذي وقال حديث غريب
(م) عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من تاب قبل طلوع الشمس من
مغربها تاب الله عليه عن صفوان بن عسال المرادي قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم باب من قبل المغرب مسيرة او قال يسير الراكب في عرضه اربعين او سبعين
سنة خلقه الله تعالى يوم خلق السموات والارض مفتوحا للتوبة لا يغلق حتى
تطلع الشمس منه اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح (ق) عن ابي هريرة قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فاذا رآها الناس
آمن من عليها وفي رواية فاذا طلعت ورآها الناس آمنوا اجمعون فذلك حين
لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل او كسبت في ايمانها خيرا (م) عن حذيفة بن اسيد
الغفاري قال اطلع رسول الله صلى الله عليه وسلم علينا ونحن نتذاكر فقال ما تذكرون
قلنا الساعة قال انها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات فذكر الدخان والدجال
والدابة وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى بن مريم وثلاث خسوف خسف
بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب وآخر ذلك نار تطرد الناس الى
محشرهم (م) عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بادروا بالاعمال قبل ستا
طلوع الشمس من مغربها والدخان والدجال والدابة وخويصة احدكم وامر العامة
(م) عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم
حديثا لم انسه بعد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان اول الآيات خروجا
طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة على الناس ضحى فايتهما ما كانت قبل صاحبتها
فالاخرى على اثرها قريبا وروى الطبري بسنده عن عبد الله بن مسعود في تفسير هذه
الآية قال يصبحون والشمس والقمر من ههنا من قبل المغرب كالبعيرين القرينين زاد في
رواية عنه فذلك حين لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل او كسبت في ايمانها
خيرا وبسنده عن ابي ذر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما اتدرون اين تذهب
هذه الشمس قالوا الله ورسوله اعلم قال انها تذهب الى مستقرها تحت العرش فتخر ساجدة
فلا تزال كذلك حتى يقال لها ارتفعي من حيث جئت فتصبح طالعة من مطلعها ثم تجري حتى تنتهي
الى مستقرها تحت العرش فتخر ساجدة فلا تزال كذلك حتى يقال لها ارتفعي فارجعي من حيث
جئت فتصبح طالعة من مطلعها لا ينكر الناس منها شيئا حتى تنتهي فتخر ساجدة في مستقرها
تحت العرش فيقال لها اطلعي من مغربك فتصبح طالعة من مغربها قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم اتدرون اي يوم ذلك قالوا الله ورسوله اعلم قال ذلك يوم لا ينفع نفسا ايمانها
لم تكن آمنت من قبل او كسبت في ايمانها خيرا وبسنده عن ابي ذر قال كنت ردف النبي صلى
الله عليه وسلم ذات يوم على حمار فنظر الى الشمس حين غربت فقال انها تغرب في عين

حامية تنطلق حتى تخر لربها ساجدة تحت العرش حتى يأذن لها فاذا اراد ان يطلعها من مغربها
حبسها فتقول يا رب ان مسيري بعيد فيقول لها اطلعي من حيث غبت فذلك حين غربت
لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن امنت من قبل وروى بسنده عن ابن عباس قال خرج رسول
الله صلى الله عليه وسلم عشية من العشيات فقال لهم عباد الله توبوا الى الله قبل ان يأتيكم العذاب
فانكم توشكون ان تروا الشمس من قبل المغرب فاذا فعلت حبست التوبة وطوي العمل
فقال الناس هل لذلك من اية يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اية تلك
الليلة ان تطول كقدر ثلاث ليال فيستيقظ الذين يخشون ربهم فيصلون لهم ثم يقضون
صلاتهم والليل مكانه لم ينقض ثم يأتون مضاجعهم فينامون حتى اذا استيقظوا والليل مكانه
فاذا راوا ذلك خافوا ان يكون ذلك بين يدي امر عظيم فاذا اصبحوا وطال عليهم رأت
اعينهم طلوع الشمس فبينما هم ينتظرونها اذ طلعت عليهم من قبل المغرب فاذا فعلت ذلك لم ينفع
نفسا ايمانها لم تكن امنت من قبل قال ابن عباس لا ينفع مشركا ايمانه عند الايات وينفع اهل الايمان
عند الايات ان كانوا اكتسبوا خيرا قبل ذلك قال ابن الجوزي قيل ان الحكمة في طلوع الشمس من
مغربها ان الملحدة والمنجمين زعموا ان ذلك لا يكون فيريهم الله قدرته فيطلعها من المغرب كما
اطلعها من المشرق فيتحقق عجزهم وقيل بل ذلك بعض الايات الثلاث الدابة او يأجوج ومأجوج
او طلوع الشمس من مغربها روي عن ابن مسعود انه قال التوبة معروضة على ابن ادم ان قبلها ما
لم تخرج احدى ثلاث الدابة او طلوع الشمس من مغربها او يأجوج ومأجوج وروي عن عائشة
قالت اذا خرج اول الايات طرحت التوبة وحبست الحفظة وشهدت الاجساد على الاعمال وروي
عن ابي هريرة في قوله او يأتي بعض ايات ربك قال هي مجموع الايات الثلاث طلوع الشمس من مغربها
والدجال ودابة الارض ورواه مرفوعا عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ثلاث اذا خرجن لا ينفع
نفسا ايمانها لم تكن امنت من قبل او كسبت في ايمانها خيرا طلوع الشمس من مغربها والدجال
ودابة الارض واصح الاقوال في ذلك ما تظاهرت عليه الاحاديث الصحيحة وثبتت عن النبي صلى
الله عليه وسلم انه طلوع الشمس من مغربها وقوله تعالى يوم يأتي بعض ايات ربك لا ينفع نفسا
ايمانها لم تكن امنت من قبل يعني لا ينفع من كان مشركا ايمانه ولا تقبل توبة فاسق عند ظهور
هذه الاية العظيمة التي تضطرهم الى الايمان والتوبة او كسبت في ايمانها خيرا يعني او عملت
قبل ظهور هذه الاية خيرا من عمل صالح وتصديق قال الضحاك من ادركه بعض الايات وهو على
عمل صالح مع ايمانه قبل الله منه العمل بعد نزول الاية كما قبل منه قبل ذلك فاما من امن
من شرك او تاب من معصيته عند ظهور هذه الاية فلا يقبل منه لانها حالة اضطرار كما
لو ارسل الله عذابا على امة فامنوا وصدقوا فانهم لا ينفعهم ايمانهم ذلك لمعاينتهم الاهوال
والشدائد التي تضطرهم الى الايمان والتوبة قل انتظروا يعني ما وعدتم به من مجيء الاية
ففيه وعيد وتهديد انا منتظرون يعني ما وعدكم ربكم من العذاب يوم القيامة او قبلها في
الدنيا قال بعض المفسرين وهذا انما ينتظره من تأخر في الوجود من المشركين والمكذبين

بمحمد صلى

بمحمد صلى الله عليه وسلم الى ذلك الوقت والمراد بهذا ان المشركين انما يمهلون قدر مدة
الدنيا فاذا ماتوا او ظهرت الايات لم ينفعهم الايمان وحلت بهم العقوبة اللازمة
ابدا وقيل ان قوله فانتظروا انا منتظرون المراد منه الكف عن القتال فتكون الاية
منسوخة باية القتال وعلى القول الاول تكون الاية محكمة قوله عز وجل ان الذين فرقوا
وفي قراءة فارقوا دينهم وكانوا شيعا يعني احزابا متفرقة في الضلالة ومعنى فرقوا
دينهم انهم لم يجتمعوا عليه وكانوا مختلفين فيه ومن قرأ فارقوا دينهم يعني جعلوا
دينهم وهو دين ابراهيم الحنيفية السمحة اديانا مختلفة كاليهودية والنصرانية
وعبادة الاصنام ونحو ذلك من الاديان المختلفة ومن قرأ فارقوا دينهم قال
معناه باينوه وتركوه من المفارقة للشيء وقيل ان معنى القراءتين يرجع الى شيء واحد
في الحقيقة وهو ان من فرق دينه فاقر ببعض وانكر بعضا فقد فارق دينه في الحقيقة
ثم اختلفوا في المعنى بهذه الاية فقال الحسن هم جميع المشركين لان بعضهم عبدة الاصنام
وقالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله وبعضهم عبدة الملائكة وقالوا انهم بنات الله
وبعضهم عبد الكواكب فكان هذا هو تفريق دينهم وقال مجاهد هم اليهود وقال
ابن عباس وقتادة والسدي والضحاك هم اليهود والنصارى لانهم تفرقوا
فكانوا فرقا مختلفة وقال ابو هريرة في هذه الاية هم اهل الضلالة من هذه الامة
وروي ذلك مرفوعا قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الذين فرقوا دينهم
وكانوا شيعا لست منهم في شيء وليسوا منك هم اهل البدع واهل الشبهات واهل
الضلالة من هذه الامة اسنده الطبري فعلى هذا يكون المراد من هذه الاية الحث
على ان تكون كلمة المسلمين واحدة وان لا يتفرقوا في الدين ولا يبتدعوا
البدع المضلة وروي عن عمر بن الخطاب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
لعائشة يا عائشة ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا هم اصحاب البدع و
الاهواء من هذه الامة ذكره البغوي بغير سند عن العرباض بن سارية قال
صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم ثم اقبل علينا بوجهه فوعظنا
موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب فقال رجل يا رسول
الله كأن هذه موعظة مودع فما تعهد الينا فقال اوصيكم بتقوى الله و
السمع والطاعة وان تأمر عليكم عبد حبشي فانه من يعش منكم بعدي فسيرى
اختلافا كثيرا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين تمسكوا بها
وعضوا عليها بالنواجذ واياكم ومحدثات الامور فان كل محدثة بدعة وكل
بدعة ضلالة اخرجه ابو داود والترمذي عن معاوية قال قام فينا رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال الا ان من قبلكم من اهل الكتاب افترقوا على ثنتين
وسبعين ملة وان هذه الامة ستفترق على ثلاث وسبعين ثنتان وسبعون

في النار وواحدة في الجنة وهي الجماعة زاد في رواية وانه سيخرج في امتي اقوام تتجارى
بهم الاهوا كما يتجارى الكلب بصاحبه لا يبقى منه عرق ولا مفصل الا دخله اخرجه
ابو داود عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان بني اسرائيل تفرقت على ثنتين وسبعين ملة وستفترق امتي على ثلاث
وسبعين ملة كلها في النار الا ملة واحدة قالوا من هي يا رسول الله قال من كان
على ما انا عليه واصحابي اخرجه الترمذي قال الخطابي في هذا الحديث دلالة على ان هذه
الفرق غير خارجة من الملة والدين اذ جعلهم من امته وقوله تتجارى بهم الاهوا
كما يتجارى الكلب بصاحبه التجاري تفاعل من الجري وهو الوقوع في الاهوا الفاسدة
والبدع المضلة تشبيها بجري الفرس والكلب قال ابن مسعود ان احسن الحديث
كتاب الله واحسن الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم وشر الامور محدثاتها
ورواه جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم مرفوعا وقوله تعالى لست منهم في شيء
يعني في قتال الكفار فعلى هذا تكون الاية منسوخة باية القتال وهذا على قول من
يقول المراد من الاية اليهود والنصارى والكفار ومن قال ان المراد من الاية اهل
الاهوا والبدع من هذه الامة قال معناه لست منهم في شيء اي انت منهم بريء
وهم منك برآء تقول العرب ان فعلت كذا فلست منك ولست مني اي كل
واحد منا بريء من صاحبه انما امرهم الى الله يعني في الجزا والمكافاة ثم ينبئهم
بما كانوا يفعلون يعني اذا وردوا القيامة قوله تعالى من جاء بالحسنة فله
عشر امثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها يعني مثلها في مقابلتها و
اختلفوا في هذه الحسنة والسيئة على قولين احدهما ان الحسنة قول لا اله الا
الله والسيئة هي الشرك بالله واورد على هذا القول ان كلمة التوحيد لا مثل
لها حتى يجعل جزا قائلها عشر امثالها واجيب عنه بان جزا الحسنة قدر معلوم
عند الله فهو تعالى يجازي على قدر ايمان المؤمن بما يشاء من الجزا وانما قال
عشر امثالها للترغيب في الايمان لا للتحديد ولذلك جزا السيئة بمثلها
من جنسها والقول الثاني ان اللفظ عام في كل حسنة يعملها العبد او سيئة و
هذا اولى لان حمل اللفظ على العموم اولى قال بعضهم التقدير بالعشرة ليس
للتحديد لان الله تعالى يضاعف لمن يشاء في حسناته الى سبعمائة ويعطي من يشاء
بغير حساب واعطا هذا الثواب لعامل الحسنة فضل من الله تعالى هذا مذهب
اهل السنة وجزا السيئة بمثلها عدل منه سبحانه وتعالى او يغفر وهو قوله تعالى
وهم لا يظلمون يعني لا ينقص من ثواب الطائع ولا يزاد على عقاب العاصي
ق عن ابي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا احسن احدكم اسلامه
فكل حسنة يعملها تكتب له بعشر امثالها الى سبعمائة ضعف وكل سيئة يعملها

تكتب

تكتب له بمثلها حتى يلقى الله تعالى م عن ابي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول الله تبارك وتعالى من جا بالحسنة فله عشر امثالها او اغفر ومن تقرب مني
شبرا تقربت منه ذراعا ومن تقرب مني ذراعا تقربت منه باعا ومن اتاني يمشي
اتيته هرولة ومن لقيني بقراب الارض خطيئة بعد ان لا يشرك بي شيئا
لقيته بمثلها مغفرة ق عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
يقول الله تبارك وتعالى واذا اراد عبدي ان يعمل سيئة فلا تكتبوها عليه حتى
يعملها فان عملها فاكتبوها بمثلها وان تركها من اجلي فاكتبوها له حسنة واذا اراد
ان يعمل حسنة فلم يعملها فاكتبوها له حسنة فان عملها فاكتبوها له بعشر امثالها
الى سبعمائة لفظ البخاري وفي لفظ مسلم عن محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال قال تبارك وتعالى واذا تحدث عبدي بان يعمل حسنة فانا اكتبها له حسنة ما لم
يعملها فاذا عملها فانا اكتبها له بعشر امثالها واذا تحدث بان يعمل سيئة فانا اغفرها
له ما لم يعملها فاذا عملها فانا اكتبها له بمثلها وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
قالت الملائكة رب ذاك عبدك يريد ان يعمل سيئة وهو ابصر به فقال ارقبوه
فان عملها فاكتبوها له بمثلها وان تركها فاكتبوها له حسنة فانما تركها من جراي
زاد الترمذي ثم قرا من جا بالحسنة فله عشر امثالها قوله عز وجل قل يعني قل يا محمد
لهولا المشركين من قومك انني هداني ربي الى صراط مستقيم يعني قل لهم
انني ارشدني ربي الى طريق قويم وهو دين الاسلام الذي ارتضاه الله لعباده
المؤمنين دينا قيما يعني هداني صراطا مستقيما دينا قيما وقيل يحتمل ان يكون محمولا
على المعنى تقديره وعرفني دينا قيما يعني دينا مستقيما لا اعوجاج فيه ولا زيغ
وقيل قيما ثابتا مقوما لامور معاشي ومعادي وقيل هو من القيام وهو ابلغ من
القائم ملة ابراهيم والملة بالكسر الدين والشريعة يعني هداني وعرفني دين ابراهيم
وشريعته حنيفا الاصل في الحنف الميل وهو ميل عن الضلالة الى الاستقامة
والعرب تسمي كل من اختتن او حج حنيفا تنبيها على انه على دين ابراهيم عليه
الصلاة والسلام وما كان من المشركين يعني ابراهيم عليه الصلاة والسلام وفيه
رد على كفار قريش لانهم يزعمون انهم على دين ابراهيم فاخبر الله تعالى ان ابراهيم
لم يكن من المشركين وممن يعبد الاصنام قوله تعالى قل اي قل يا محمد ان
صلاتي ونسكي قال مجاهد وسعيد بن جبير والضحاك والسدي اذا اراد بالنسك
وبهذا الموضع الذبيحة في الحج والعمرة وقيل النسك العبادة والناسك العابد
وقيل المناسك اعمال الحج وقيل النسك كلما يتقرب به الى الله من صلاة وحج
وذبح وعبادة ونقل الواحدي عن ابن الاعرابي قال النسك سبائك الفضة
كل سبيكة منها نسيكة وقيل للمتعبد ناسك لانه يخلص نفسه من دنس الاثام

وصفاٮها كالسبيكة المخلصة من الخبث وفي قوله ان صلاتي ونسكي دليل على ان
جميع العبادات يوديها العبد على الاخلاص لله ولوكد هذا في اخر قوله لله
رب العالمين لا شريك له وفيه دليل على ان جميع العبادات لا يودي الا على
وجه التمام والكمال لان ما كان لله لا ينبغي ان يكون الا كاملا تاما مع اخلاص
العبادة له فما كان بهذه الصفة من العبادات كانت مقبولة ومحياي ومماتي
اي حياتي وموتي بخلق الله وقضايه وقدره اي هو يحييني ويميتني وقيل
معناه ان محياي بالعمل الصالح ومماتي اذا مت على الايمان لله وقيل معناه
ان طاعتي في حياتي وجزاي بعد مماتي من الله وحاصل هذا الكلام ان الله امر
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يبين ان صلاته ونسكه وساير عباداته
وحياته وموته كلها واقعة بخلق الله وقضايه وقدره وهو المراد بقوله
لله رب العالمين لا شريك له يعني في العبادة والخلق والقضا والقدر
وساير افعاله لا شاركه فيها احد من خلقه وبذلك امرت يعني قل يا محمد و
بهذا التوحيد امرت وانا اول المسلمين قال قتادة يعني من هذه الامة وقيل
معناه وانا اول المستسلمين لقضايه وقدره قوله عز وجل قل اغير الله ابغي ربا اي
قل يا محمد لهولا الكفار من قومك اغير الله اطلب سيدا والها وهو رب كل شي وهو
سيد كل شي ومالكه لا شاركه فيه احد وذلك ان الكفار قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم
ارجع الى ديننا قال ابن عباس كان الوليد بن المغيرة يقول اتبعوا سبيلي احمل
عنكم اوزاركم فقال الله عز وجل ردا عليه ولا تكسب كل نفس الا عليها يعني اثم
الجاني عليه لا على غيره ولا تزر وازرة وزر اخرى يعني لا تواخذ نفس اثمة باثم
اخرى ولا تحمل نفس حاملة حمل اخرى ولا يواخذ احد بذنب اخر غيره ثم الى
ربكم مرجعكم يعني يوم القيامة فينبيكم بما كنتم فيه تختلفون يعني في الدنيا
من الاديان والملل وهو قوله تعالى وهو الذي جعلكم خلايف الارض يعني
والله الذي جعلكم يا امة محمد خلايف في الارض فان الله اهلك من كان قبلكم
من الامم الخالية واستخلفكم فجعلكم خلايف منهم في الارض تخلفونهم فيها
وتعمرونها بعدهم وذلك لان محمدا صلى الله عليه وسلم خاتم الانبيا وهو
اخرهم وامته اخر الامة ورفع بعضكم فوق بعض درجات يعني انه تعالى
خالف بين احوال عباده فجعل بعضهم فوق بعض في الخلق والرزق والشرف
والعقل والقوة والفضل فجعل منهم الحسن والقبيح والغني والفقير والشريف
والوضيع والعالم والجاهل والقوي والضعيف وهذا التفاوت بين الخلق في
الدرجات ليس لاجل العجز او الجهل او البخل فان الله سبحانه وتعالى منزه عن
صفات النقص وانما هو لاجل الابتلا والامتحان وهو قوله تعالى ليبلوكم فيما

اناكم يعني

اناكم يعني يعاملكم معاملة المبتلي والمختبر وهو اعلم باحوال عباده والمعنى ليبتلي
الغني بغناه والفقير بفقره والشريف بشرفه والدني بدناته والعبد والحر
وغيرهم من جميع اصناف خلقه ليظهر منكم ما يكون عليه الثواب والعقاب
لان العبد اما ان يكون مقصرا فيما كلف به واما ان يكون موفيا ما امر به فان
كان مقصرا كان نصيبه التخويف والترهيب وهو قوله تعالى ان ربك
سريع العقاب يعني لاعدايه واهلاكهم في الدنيا وانما وصف العقاب
بالسرعة لان كل ما هو ات فهو قريب وان كان العبد موفيا حقوق الله
فيما امره به او نهاه عنه كان نصيبه الترغيب والتشريف والتكريم وهو
قوله تعالى وانه لغفور يعني لذنوب اوليايه واهل طاعته
رحيم يعني بجميع خلقه والله اعلم
بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة الاعراف

مكية روى ذلك عن ابن عباس وبه قال الحسن ومجاهد وعكرمة وعطا وجابر
ابن زيد وقتادة وروي عن ابن عباس ايضا انها مكية الا خمس ايات اولها واسألهم
عن القرية وبه قال قتادة وقال مقاتل ثمان ايات في سورة الاعراف مدنية اولها
واسألهم عن القرية الى قوله واذ اخذ ربك وهي مايتان وست ايات وثلاثة الاف
وثلثماية وخمس وعشرون كلمة واربعة عشر الف حرف بسم الله الرحمن الرحيم
قوله عز وجل المص قال ابن عباس معناه انا الله افضل وعنه انا الله اعلم وافصل
وعنه ان المص قسم اقسم الله به وهو اسم من اسما الله تعالى وقال قتادة
المص اسم من اسما القران وقال الحسن هو اسم للسورة وقال السدي هو بعض اسمه
تعالى المصور وقال ابو العالية الالف مفتاح اسم الله واللام مفتاح اسمه لطيف والميم
اسمه مجيد والصاد مفتاح اسمه صادق وصبور وقيل هي حروف مقطعة استاثر
الله بعلمها وهي سره في كتابه العزيز وقيل هي حروف اسمه الاعظم وقيل هي حروف
تحوي معاني كثيرة دل الله بها خلقه على مراده من كل ذلك وقد تقدم بعض الكلام
في الحروف المقطعة في اوايل السور في اول سورة البقرة وقوله كتاب انزل
اليك يعني هذا كتاب انزله الله اليك يا محمد وهو القران فلا يكن في صدرك
حرج منه يعني فلا يضيق صدرك بالابلاغ وتاديته ما ارسلت به الى الناس
لتنذر به من امرتك بانذاره وذكرى للمومنين يعني وليتذكر ويتعظ به المومنين وهذا
من المؤخر الذي معناه التقديم تقديره كتاب انزلناه اليك لتنذر به وذكرى
للمومنين فلا يكن في صدرك حرج منه وقال ابن عباس فلا تكن في شك منه
لان الشك لا يكون الا من ضيق الصدر وقلة الاتساع لتوجيه ما حصل له

قوله تعالى اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم اي قل يا محمد لقومك اتبعوا ايها الناس
ما انزل اليكم من ربكم من القران الذي فيه الهدى والنور والبيان قال الحسن يا ابن
ادم امرت باتباع كتاب الله وسنة محمد صلى الله عليه وسلم والله ما نزلت اية الا
ويجب ان تعلم فيما انزلت وما معناها وبنحو هذا قال الزجاج اي اتبعوا القران
وما اتى به النبي صلى الله عليه وسلم فانه مما انزل لقوله وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم
عنه فانتهوا ومعنى الاية ان الله تعالى لما امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالانذار في قوله
لتنذر به فكان معنى الكلام انذر القوم وقل لهم اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم واتركوا
ما انتم عليه من الكفر والشرك وقيل معناه لتنذر به وتذكر به المومنين فتقول
لهم اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم وقيل هو خطاب للكفار اي اتبعوا ايها المشركون
ما انزل اليكم من ربكم ويدل عليه قوله تعالى ولا تتبعوا من دونه اولياء ولا تتخذوا
الذين يدعونكم الى الشرك والكفر اولياء فتتبعونهم يعني والمعنى ولا تتولوا
من دونه شياطين الانس والجن فيامرونكم بعبادة الاصنام واتباع البدع
والاهواء الفاسدة قليلا ما تذكرون يعني ما تتعظون الا قليلا قوله عز وجل
وكم من قرية اهلكناها لما امر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بالانذار والابلاغ
وامر امته باتباع ما انزل اليهم حذرهم نقمته وباسه ان لم يتبعوا ما امرته فذكر
في هذه الاية ما في ترك المتابعة والاعراض عن امره من الوعيد فقال تعالى
وكم من قرية اهلكناها قيل فيه حذف تقديره وكم من اهل قرية لان المقصود
بالاهلاك اهل القرية وقيل ليس فيه حذف لان اهلاك القرية اهلاك
لاهلها فجاءها باسنا يعني عذابنا فان قلت مجيء الباس وهو العذاب انما يكون
قبل الاهلاك فكيف قال اهلكناها فجاءها باسنا قلت معناه وكم من قرية
حكمنا باهلاكها فجاءها باسنا وقال الفراء ان الهلاك والباس قد يقعان
معا كما يقال اعطيتني فاحسنت الي فلم يكن الاحسان قبل العطاء ولا بعده
وانما وقعا معا وقال غيره لا فرق بين قولك اعطيتني فاحسنت الي او
احسنت الي فاعطيتني فيكون احدهما بدلا من الاخر بياتا يعني فجاءها
عذابنا ليلا قبل ان يصبحوا او هم قائلون من القيلولة وهي نوم نصف
النهار واستراحة نصف النهار وان لم يكن معها نوم والمعنى فجاءها
باسنا غفلة وهم غير متوقعين ليلا وهم نائمون او نهارا وهم قائلون
وقت الظهيرة وكل ذلك وقت الغفلة ومقصود الاية انه جاءهم
العذاب على حين غفلة منهم من غير تقدم امارة تدلهم على وقت نزول
العذاب وفيه وعيد وتخويف للكفار كانه قيل لهم لا تغتروا باسباب الامن
والراحة فان عذاب الله اذا نزل نزل دفعة واحدة فما كان دعواهم

يعني فما

يعني فما كان دعاء اهل القرية اذ جاءهم باسنا والدعوى تكون بمعنى الدعاء قال
سيبويه تقول العرب اللهم اشركنا في صالح دعوى المسلمين ومنه قوله دعواهم فيها
سبحانك اللهم اذ جاءهم باسنا يعني عذابنا الا ان قالوا انا كنا ظالمين يعني انهم
لم يقدروا على رد العذاب عنهم فكان حاصل امرهم الاعتراف بالجناية وذلك حين
لا ينفع الاعتراف فلنسئلن الذين ارسل اليهم يعني نسال الامم الذين ارسلت
اليهم الرسل ماذا عملتم فيما جاءتكم به الرسل ولنسئلن المرسلين يعني ولنسئلن
الرسل الذين ارسلناهم الى الامم هل بلغتم رسالاتي واديتم الى ما امرتم بتاديته اليهم
ام قصرتم في ذلك قال ابن عباس في معنى هذه الاية يسال الله الناس عما اجابوا
المرسلين ويسال المرسلين عما بلغوا وعنه قال يوضع الكتاب يوم القيامة فيتكلم
الرسل بما كانوا يعملون وقال السدي يسال الامم ما عملوا فيما جاءت به الرسل هل
بلغوا ما ارسلوا به فان قلت قد اخبر عنهم في الاية الاولى بانهم اعترفوا على
انفسهم بالظلم في قوله انا كنا ظالمين فما فائدة هذا السؤال مع اعترافهم على انفسهم
بذلك قلت لما اعترفوا بانهم كانوا ظالمين مقصرين سئلوا بعد ذلك عن سبب
هذا الظلم والتقصير والمقصود من هذا التقريع والتوبيخ للكفار فان قلت فما الفائدة
في سؤال الرسل مع العلم بانهم قد بلغوا رسالات ربهم الى من ارسلوا اليهم من الامم
قلت اذا كان يوم القيامة انكر الكفار تبليغ الرسل فقالوا ما جاءنا من بشير ولا نذير
فكان سؤال الرسل على وجه الاستشهاد لهم على من ارسلوا اليه من الامم انهم قد بلغوا
رسالات ربهم الى من ارسلوا اليه من الامم فيكون هذه المسئلة لهم التقريع والتوبيخ
للكفار ايضا لانهم انكروا تبليغ الرسل فيزداد بذلك خزيهم وهوانهم وعذابهم وقوله
تعالى فلنقصن عليهم بعلم يعني فلنخبرن الرسل ومن ارسلوا اليهم بعلم يقين بما عملوا في
الدنيا وما كنا غائبين يعني عنهم وعن افعالهم وعن الرسل فيما بلغوا وعن الامم فيما اجابوا
فان قلت كيف يجمع بين قوله ولنسئلن الذين ارسل اليهم ولنسئلن المرسلين وبين قوله
فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين فاذا كان عالما فما فائدة هذا السؤال قلت فائدة
سؤال الامم والرسل مع علمه سبحانه وتعالى بجميع المعلومات التوبيخ والتقريع للكفار لانهم اذا
اقروا على انفسهم كان ابلغ في المقصود فاما سؤال استرشاد واستثبات فهو منفي
عن الله عز وجل لانه عالم بجميع الاشياء قبل كونها وفي حال كونها وبعد كونها فهو العالم
بالكليات والجزئيات وعلمه بظاهر الاشياء كعلمه بباطنها قوله تعالى والوزن يومئذ الحق يعني
والوزن يوم سؤال الامم والرسل وهو يوم القيامة العدل وقال مجاهد المراد بالوزن
هنا القضاء ومعنى الوزن العدل وذهب جمهور المفسرين الى ان المراد بالوزن وزن
الاعمال بالميزان وذلك بان الله عز وجل ينصب ميزانا له لسان وكفتان كل كفة
قدر ما بين المشرق والمغرب قال ابن الجوزي جاء في الحديث ان داود عليه السلام

سال ربه ان يريه الميزان فاراه اياه فقال الهي من يقدر ان يملا كفتيه حسنات فقال يا داود اذا رضيت على عبدي ملاتها بتمرة واحدة وقال حذيفة جبريل صاحب الميزان يوم القيامة فيقول له ربه عز وجل زن بينهم ورد من بعضهم على بعض وليس ثم ذهب ولا فضة فيرد على المظلوم من الظالم وما وجد له من حسنة فان لم يكن له حسنة اخذ من سيات المظلوم فترد على سيات الظالم فيرجع وعليه مثل الجبل فان قلت اليس الله عز وجل يعلم مقادير اعمال العباد فما الحكمة في وزنها قلت فيه حكم منها اظهار العدل وان الله عز وجل لا يظلم عباده ومنها امتحان الخلق بالايمان بذلك في الدنيا واقامة الحجة عليهم في العقبى ومنها تعريف العباد ما لهم من خير وشر وحسنة وسيئة ومنها اظهار علامة السعادة والشقاوة ونظيره انه تعالى اثبت اعمال العباد في اللوح المحفوظ ثم في صحايف الحفظة الموكلين ببني ادم من غير جواز النسيان عليه سبحانه وتعالى ثم اختلف العلما في كيفية الوزن فقال بعضهم توزن صحايف الاعمال المكتوبة فيها الحسنات والسيات ويدل على ذلك حديث البطاقة وهو ما روي عن عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله عز وجل سيخلص رجلا من امتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة فينشر له تسعا وتسعين سجلا كل سجل مثل مد البصر ثم يقول اتنكر من هذا شيا اظلمك كتبتي الحافظون فيقول لا يا رب فيقول افلك عذر فيقول لا يا رب فيقول الله تعالى بلى ان لك عندنا حسنة فانه لا ظلم عليك اليوم فيخرج الله بطاقة فيها اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا عبده ورسوله فيقول احضر وزنك فيقول يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات فقال فانك لا ظلم عليك اليوم فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة ولا يثقل مع اسم الله شي اخرجه الترمذي واحمد بن حنبل وقال ابن عباس يوتى بالاعمال الحسنة على صورة حسنة وبالاعمال السيئة على صورة قبيحة فتوضع في الميزان فعلى قول ابن عباس ان الاعمال تتصور صورا فتوضع تلك الصور في الميزان ويخلق الله في تلك الصور ثقلا وخفة ونقل البغوي عن بعضهم انها توزن الاشخاص واستدل لذلك بما روي عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال انه لياتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة اخرجاه في الصحيحين وهذا الحديث ليس فيه دليل على ما ذكر من وزن الاشخاص في الميزان لان المراد بقوله لا يزن عند الله جناح بعوضة مقداره وحرمته لا وزن جسده ولحمه والصحيح قول من قال ان صحايف الاعمال توزن او نفس الاعمال تتجسد وتوزن والله اعلم بحقيقة ذلك وقوله تعالى فمن ثقلت موازينه جمع ميزان واورد على هذا انه ميزان واحد فما وجه الجمع واجيب عنه ان العرب قد توقع لفظ الجمع على الواحد وقيل انه ينصب

لكل عبد

لكل عبد ميزان وقيل انما جمعه لان الميزان يشتمل على الكفتين والشاهدين واللسان ولا يتم الوزن الا باجتماع ذلك كله وقيل هو جمع موزون يعني رجحت اعماله بالحسنة الموزونة التي لها وزن وقدر فاولئك هم المفلحون يعني هم الناجون غدا والفايزون بثواب الله وجزايه ومن خفت موازينه يعني موازين اعماله وهم الكفار بدليل قوله فاولئك الذين خسروا انفسهم يعني غبنوا انفسهم حظوظها من جزيل ثواب الله وكرامته بما كانوا باياتنا يظلمون يعني بسبب ذلك الخسران انهم كانوا بحجج الله وادلة توحيده يجحدون ولا يقرون بها روي عن ابي بكر الصديق انه حين حضره الموت قال في وصيته لعمر بن الخطاب انما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم الحق في الدنيا وثقله عليهم وحق لميزان يوضع فيه الحق غدا ان يكون ثقيلا وانما خفت موازين من خفت موازينه يوم القيامة باتباعهم الباطل في الدنيا وخفته عليهم وحق لميزان يوضع فيه الباطل غدا ان يكون خفيفا قوله عز وجل ولقد مكناكم يعني ولقد مكناكم ايها الناس في الارض والمراد من التمكين التمليك وقيل معناه جعلنا لكم فيها مكانا وقرارا وقدرناكم على التصرف فيها وجعلنا لكم فيها معايش جمع معيشة يعني به جميع وجوه المنافع التي تحصل بها الارزاق وتعيشون بها ايام حياتكم وهي على قسمين احدهما ما انعم الله به على عباده من الزرع والثمار وانواع الماكل والمشارب والثاني ما يحصل من المكاسب والارباح في انواع التجارات والصنايع وكلا القسمين في الحقيقة انما يحصل بفضل الله وانعامه واقداره وتمكينه لعباده من ذلك فثبت بذلك ان جميع معايش العالم انعام من الله تعالى على عباده وكثرة الانعام توجب الطاعة للمنعم والشكر له عليها ثم بين تعالى انه مع هذا الافضال على عباده وانعامه عليهم لا يقومون بشكره كما ينبغي فقال تعالى قليلا ما تشكرون يعني على ما صنعت اليكم وانعمت به عليكم وفيه دليل على انهم قد يشكرون لان الانسان قد يذكر نعم الله فيشكره عليها فلا يخلوا في بعض الاوقات على النعم وحقيقة الشكر تصور النعمة واظهارها ويضاده الكفر وهو نسيان النعمة وسترها قوله تعالى ولقد خلقناكم ثم صورناكم يعني ولقد خلقناكم ايها الناس المخاطبون بهذا الخطاب وقت نزوله في ظهور ابيكم ادم ثم صورناكم في ارحام النسا صورا مخلوقة فان قلت على هذا التفسير يكون قوله ثم قلنا للملايكة اسجدوا لادم يقتضي ان الامر بالسجود لادم كان وقع بعد خلق المخاطبين بهذا الخطاب وتصويرهم لان كلمة ثم للتراخي ومعلوم ان الامر ليس كذلك بل كان السجود لادم عليه السلام قبل خلق ذريته قلت يحتمل ان يكون المعنى ولقد خلقناكم ثم صورناكم ايها المخاطبون ثم اخبرناكم انا قلنا للملايكة اسجدوا لادم فتكون كلمة ثم تفيد ترتيب خبر على خبر ولا تفيد ترتيب المخبر على المخبر وقيل في معنى الاية ولقد

خلقناكم يعني ادم ثم صورناكم يعني ذريته وهذا قول ابن عباس وقال مجاهد ولقد
خلقناكم يعني ادم ثم صورناكم يعني في ظهره وعلى هذين القولين انما ذكر ادم بلفظ
الجمع على التعظيم ولانه ابو البشر فكان في خلقه خلق من يخرج من صلبه وقيل
ان الخلق والتصوير يرجع الى ادم وحده والمعنى ولقد خلقناكم يعني ادم حكمنا لخلقه
ثم صورناكم يعني ادم يعني صورة من طين ثم قلنا للملائكة اسجدوا لادم يعني بعد
اكمال خلقه وقد تقدم في سورة البقرة الكلام في معنى هذا السجود وانه كان على
سبيل التحية والتعظيم لادم لا حقيقة السجود وقيل بل كان حقيقة السجود وان السجود
له هو لله تعالى وانما كان ادم كالقبلة للساجدين وقيل بل كان السجود له وكان
ذلك بامر الله تعالى وهل كان هذا الامر بالسجود لجميع الملائكة او لبعضهم فيه خلاف
تقدم ذكره وقوله تعالى فسجدوا يعني الملائكة الا ابليس يعني فسجدوا الملائكة لادم الا
ابليس لم يكن من الساجدين له وظاهر الاية يدل على ان ابليس كان من الملائكة
لان الله تعالى استثناه منهم وكان الحسن يقول ان ابليس لم يكن من الملائكة لانه خلق
من نار والملائكة من نور وانما استثناه من الملائكة لانه كان مامورا بالسجود لادم
مع الملائكة فلما لم يسجد اخبر الله عنه انه لم يكن من الساجدين لادم فلهذا استثناه
منهم قوله عز وجل قال ما منعك ان لا تسجد اذ امرتك يعني قال الله عز وجل لابليس
اي شيء منعك من السجود اذ امرتك به فعلى هذا التاويل تكون كلمة لا في قوله ان لا
تسجد صلة زايدة وانما دخلت للتوكيد والتقدير ما منعك ان تسجد فهو كقوله
لا اقسم اي اقسم وقوله وحرام على قرية اهلكناها انهم لا يرجعون اي يرجعون وقوله
لئلا يعلم اهل الكتاب اي ليعلم اهل الكتاب وهذا قول الكسائي والفرا والزجاج والاكثرين
وقيل ان كلمة لا هنا على اصلها مفيدة وليست زايدة لانه لا يجوز ان يقال ان كلمة
من كتاب الله زايدة او لا معنى لها وعلى هذا القول حكى الواحدي عن احمد بن يحيى ان لا
في هذه الاية ليست زايدة ولا توكيدا لان معنى قوله ما منعك ان لا تسجد من قال
لك لا تسجد فحمل نظم الكلام على معناه وهذا القول حكاه ابو بكر عن الفرا وقال الطبري
الصواب في ذلك ان يقال ان في الكلام محذوفا تقديره ما منعك من السجود فاحوجك
ان لا تسجد فترك ذكر احوجك استغناء بمعرفة السامعين ونقل الامام فخر الدين بمعرفة نسخة
الرازي عن القاضي قال ذكر الله المنع واراد الداعي فكانه قال ما دعاك الى ان لا
تسجد لان مخالفة الله عز وجل حالة عظيمة يتعجب منها ويسال عن الداعي اليها فان قلت
لم ساله عن المانع من السجود وهو اعلم به قلت للتوبيخ والتقريع له ولاظهار معاندته
وكفره وافتخاره باصله وحسده لادم ولذلك لم يتب منه قال يعني قال ابليس مجيبا
لله عما ساله عنه انا خير منه فان قلت قوله انا خير منه ليس بجواب عما ساله عنه في
قوله ما منعك ان لا تسجد فلم يجب بما منعه من السجود فانه كان ينبغي له ان يقول

منعني كذا

منعني كذا وكذا ولكنه قال انا خير منه قلت استانف قصة اخبر فيها عن نفسه بالفضل
على ادم وفيها دليل على موضع الجواب وهو قوله خلقتني من نار وخلقته من طين فالنار
خير من الطين والنور وانما قال انا خير منه لما راى انه اشد منه قوة وافضل منه
وذلك لفضل الجنس الذي خلق منه وهو النار على الطين الذي خلق منه ادم
فجهل عدو الله ابليس وجه الحق واخطا طريق الصواب لان من المعلوم ان من جوهر
النار الخفة والطيش والارتفاع والاضطراب وهذا الذي حمل الخبيث ابليس مع
الشقا الذي سبق له من الله تعالى في الكتاب السابق على الاستكبار على السجود لادم
عليه السلام والاستخفاف بامر ربه فاورده ذلك العطب والهلاك ومن المعلوم ان من
جوهر الطين الرزانة والاناة والصبر والحلم والحيا والتثبت وهذا كان الداعي
لادم عليه السلام مع السعادة السابقة التي سبقت له من الله تعالى في الكتاب السابق
الى التوبة من خطيئته ومسالته ربه العفو عنه والمغفرة ولذلك كان الحسن وابن
سيرين يقولان اول من قاس ابليس فاخطا وقال ابن سيرين ايضا ما عبدت الشمس
والقمر الا بالمقاييس واصل هذا القياس الذي قاسه ابليس لما راى ان النار
افضل من الطين واقوى فقال انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين
ولم يدر ان الفضل لمن جعله الله فاضلا وان الافضلية والخيرية لا تحصل
بسبب فضيلة الاصل والجوهر وايضا الفضيلة انما تحصل بسبب الطاعة وقبول
الا ترى المومن الحبشي خير من الكافر القرشي فالله تعالى خص صفيه ادم عليه السلام
باشيا لم يخص بها غيره وهو انه خلقه بيده ونفخ فيه من روحه واسجد له ملائكته
وعلمه اسما كل شي واورثه الاجتبا والتوبة والهداية الى غير ذلك مما خص
الله به ادم عليه السلام للعناية التي سبقت له في القدم واورث ابليس كثرة اللعنة
والطراد للشقاوة التي سبقت له في القدم قوله تعالى قال فاهبط منها يعني قال الله تعالى
لابليس اهبط من الجنة وقيل من السما الى الارض والهبوط الى الانزال والانحدار
من فوق الى اسفل على سبيل القهر والهوان والاستخفاف فما يكون لك ان تتكبر فيها يعني
فليس لك ان تتكبر في الجنة عن امري وطاعتي لانه لا ينبغي ان يسكن في الجنة
او في السما متكبر مخالف لامر الله عز وجل فاما غير الجنة والسما فقد يسكنها المتكبر عن
طاعة الله وهم الكفار الساكنون في الارض فاخرج انك من الصاغرين يعني
انك من الاذلا المهانين والصغار الذل والمهانة قال الزجاج استكبر عدو الله
ابليس فابتلاه الله بالصغار والذلة وقيل كان له ملك الارض فاخرجه الله
منها الى جزاير البحر الاخضر وعرشه عليه فلا يدخل الارض الا خايفا كهيئة السارق
مثل شيخ عليه اطمار وتروغ فيها حتى يخرج منها قال يعني قال ابليس عند ذلك
انظرني اي اخرني وامهلني فلا تمتني الى يوم يبعثون يعني من قبورهم وهي
النفخة الاخرى عند قيام الساعة وهذا من جهالة الخبيث ابليس لانه سال

ربه الامهال وقد علم انه لا سبيل لاحد من خلق الله الى البقا في الدنيا ولكنه كره ان يذوق
الموت فطلب البقا والخلود فلم يجب الى ما سال بل قال الله له انك من المنظرين يعني
من المؤخرين الممهلين وقد بين الله تعالى مدة النظر والمهلة في سورة الحجر فقال انك
من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم وذلك هو النفخة الاولى حين يموت الخلق
كلهم فان قلت ما وجه قوله انك من المنظرين وليس لاحد ينظر سواه قلت
معناه ان الذين تقوم عليهم الساعة منظرون الى ذلك الوقت باجالهم فهو منهم
قال يعني ابليس فبما اغويتني يعني فباي شي اضللتني فعلى هذا يكون ما استفهاما ثم
تم الكلام عند قوله اغويتني ثم ابتدا فقال لاقعدن لهم صراطك المستقيم وقيل هي با
القسم تقديره فباغوايتك اياي وقيل معناه فبما اوقعت في قلبي يعني الذي كان
سبب هبوطي الى الارض من السما واضللتني عن الهدى لاقعدن لهم صراطك المستقيم
يعني لاجلس على صراطك القويم وهو طريق الاسلام وقيل المراد بالصراط المستقيم الطريق
الذي يسلكونه الى الجنة وذلك بان اوسوس اليهم وازين الباطل وما يكسبهم المآثم
وقيل المراد بالصراط المستقيم هنا طريق مكة يعني يمنعهم من الهجرة وقيل المراد به الحج
والقول الاول اولى لانه اعم لجميع ومعنى الاية لاصدن بني ادم عن عبادتك وطاعتك
ولاغوينهم ولاضلنهم كما اضللتني عن سبرة بن ابي الفاكه قال سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول ان الشيطان قعد لابن ادم باطرقه فقعد له في طريق الاسلام فقال تسلم
وتذر دينك ودين اباك واباء ابيك فعصاه واسلم وقعد له بطريق الهجرة فقال تهاجر
وتذر ارضك وسماك وانما مثل المهاجر كمثل الفرس في الطول فعصاه فهاجر فقعد له
بطريق الجهاد فقال تجاهد فهو جهد النفس والمال فتقاتل فتقتل فتنكح المراة ويقسم
المال فعصاه فجاهد قال فمن فعل ذلك كان حقا على الله ان يدخله الجنة وان
غرق كان حقا على الله ان يدخله الجنة او وقصته دابته كان حقا على الله ان
يدخله الجنة اخرجه النسائي وقوله تعالى اخبارا عن ابليس ثم لاتينهم من بين ايديهم
ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم قال ابن عباس من بين ايديهم يعني
من قبل الاخرة فاشككهم فيها ومن خلفهم يعني من قبل الدنيا فارغبهم فيها وعن
ايمانهم اشبه عليهم امر دينهم وعن شمائلهم اشهي لهم المعاصي وانما جعل الاخرة
من بين ايديهم في هذا القول لانهم منتقلون اليها وصايرون اليها فعلى هذا
الاعتبار فالدنيا خلفهم لانهم يخلفونها ورا ظهورهم وقال ابن عباس في رواية
عنه من بين ايديهم من قبل دنياهم يعني ازينها في قلوبهم ومن خلفهم من قبل
الاخرة فاقول لا بعث ولا جنة ولا نار وعن ايمانهم من قبل حسناتهم وعن شمائلهم
من قبل سياتهم وانما جعل الدنيا من بين ايديهم في هذا القول لان الانسان
يسعى فيها ويشاهدها فهي حاضرة بين يديه والاخرة غائبة عنه فهي خلفه
قال الحكم بن عتيبة من بين ايديهم يعني من قبل الدنيا فازينها لهم ومن خلفهم

من قبل

من قبل الاخرة فاثبطهم عنها وعن ايمانهم يعني من قبل الحق فاصدهم عنه وعن شمائلهم
من قبل الباطل فازينه لهم وقال قتادة اتاهم من بين ايديهم فاخبرهم انه لا بعث ولا جنة
ولا نار ومن خلفهم من امر الدنيا فزينها لهم ودعاهم اليها وعن ايمانهم من قبل حسناتهم
فبطاهم عنها وعن شمائلهم زين لهم السيئات والمعاصي ودعاهم اليها اتاك يا ابن ادم
من كل وجه غير انه لم ياتك من فوقك ولم يستطع ان يحول بينك وبين رحمة الله
وقال مجاهد ياتيهم من بين ايديهم وعن ايمانهم حيث يبصرون ومعنا هذا انهم يخطئون
ويعلمون انهم يخطئون ومن حيث لا يبصرون انهم يخطئون ولا يعلمون انهم يخطئون
وقيل من بين ايديهم يعني فيما بقي من اعمالهم ولا يقدمون فيه طاعة ومن خلفهم
يعني ما مضى من اعمارهم فلا يتوبون عما اسلفوا فيه من معصية وعن ايمانهم
يعني من قبل الغنى فلا ينفقون ولا يشكرون ومن خلفهم يعني من قبل الفقر فلا يمتنعون
فيه من محظور نالوه قال شقيق البلخي ما من صباح الا ويأتيني الشيطان من الجهات
الاربع من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي اما من بين يدي فيقول
لا تخف فان الله غفور رحيم فاقرا واني لغفار لمن تاب وامن وعمل صالحا ثم
اهتدى واما من خلفي فيخوفني من وقوع اولادي في الفقر فاقرا وما من دابة
في الارض الا على الله رزقها واما من قبل يميني فياتيني من قبل الثنا فاقرا
والعاقبة للمتقين واما من قبل شمالي فياتيني من قبل الشهوات فاقرا وحيل
بينهم وبين ما يشتهون وقيل ان ذكر هذه الجهات الاربع انما يريد بها التاكيد
والمبالغة في القا الوسوسة في قلب ابن ادم وانه لا يقصر في ذلك
ومعنى الاية على هذا القول ثم لاتينهم من جميع الوجوه الممكنة بجميع الاعتبار
وقوله ولا تجد اكثرهم شاكرين يعني ولا تجد يا رب اكثر بني ادم شاكرين
لك على نعمتك التي انعمت بها عليهم وقال ابن عباس معناه ولا تجد
اكثرهم موحدين فان قلت كيف علم الخبيث ابليس ذلك حتى قال
ولا تجد اكثرهم شاكرين قلت قاله ظنا فاصاب ومنه قوله تعالى ولقد
صدق عليهم ابليس ظنه وقيل انه كان عازما على المبالغة في تزيين الشهوات
وتحسين القبايح وعلم ميل بني ادم الى ذلك فقال هذه المقالة على سبيل
وقيل انه راى مكتوبا في اللوح المحفوظ فقال هذه المقالة صح
اليقين والقطع والله اعلم بمراده قوله عز وجل قال اخرج منها اي قال الله
لابليس حين طرده عن بابه وابعده عن جنابه وذلك بسبب مخالفته
وعصيانه اخرج منها يعني من الجنة فانه لا ينبغي ان يسكن فيها العصاة مذموما
والذام اشد العيب مدحورا يعني مطرودا مبعودا وقال ابن عباس صغيرا
ممقوتا وقال قتادة لعينا مقيتا وقال الكلبي ملوما مقصيا من الجنة ومن كل
خير لمن تبعك منهم يعني من بني ادم لاملان جهنم منكم اجمعين اللام لام القسم

اقسم الله ان من تبع ابليس من بني ادم واطاعه ان يملا جهنم منه ومن كفر من بني
ادم وابليس وذريته ومن تبعه منهم قوله تعالى ويا ادم اسكن انت وزوجك
الجنة اي وقلنا يا ادم اسكن انت وزوجك يعني حوى الجنة وذلك بعد ان
اهبط منها ابليس واخرجه وطرده من الجنة فكلا من حيث شئتما يعني فكلا من
ثمار الجنة من اي مكان شئتما فان قلت قال في سورة البقرة وكلا بالواو وقال
هنا فكلا بالفا فما الفرق قلت قال الامام فخر الدين الرازي ان الواو لتقييد الجمع المطلق
والفا تفيد الجمع على سبيل التعقيب فالمفهوم من الفا نوع داخل تحت المفهوم
من الواو ولا منافاة بين النوع والجنس ففي سورة البقرة ذكر الجنس وهنا ذكر
النوع ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين تقدم تفسيره في سورة البقرة الكلام
على تفسير هذه الاية مستوفا قوله تعالى فوسوس لهما الشيطان يعني فوسوس اليهما
والوسوسة حديث يلقيه الشيطان في قلب الانسان يقال وسوس اذا تكلم كلاما خفيا
مكررا واصله من صوت الحلي ومعنى وسوس لهما فعل الوسوسة والقاها اليهما
فان قلت كيف وسوس اليهما وادم وحوى في الجنة وابليس قد اخرج منها قلت
ذكر الامام فخر الدين الرازي في الجواب عن هذا السوال عن الحسن انه قال كان
يوسوس من الارض الى السما الى الجنة بالقوة القوية التي جعلها الله له وقال ابو مسلم
الاصفهاني بل كان ادم وابليس في الجنة لان هذه الجنة كانت بعض جنات الارض
والذي يقول بعض الناس من ان ابليس دخل في جوف الحية ودخلت به الحية
الى الجنة فقصة مشهورة ركيكة وقال اخرون ان ادم وحوى ربما قربا من باب الجنة
وكان ابليس واقفا من خارج الجنة على بابها فيقرب احدهما من الاخر فحصلت
الوسوسة هناك فان قلت ان ادم عليه السلام قد عرف ما بينه وبين ابليس من
العداوة فكيف قبل قوله قلت يحتمل ان يقال ان ابليس لقي ادم مرارا كثيرة ورغبه
في اكل هذه الشجرة بطرق كثيرة منها ما هل ادلك على شجرة الخلد ومنها قوله وقاسمهما اني لكما من
الناصحين فلاجل هذه المواظبة والمداومة على هذا التمويه اثر كلام ابليس في ادم حتى
اكل من الشجرة ليبدي لهما ما ووري عنهما من سوآتهما ليظهر لهما ما غطي وستر من
عوراتهما وقوله ما ووري ماخوذ من المواراة وهو الستر يقال واريته يعني سترته والسوأة
فرج الرجل والمراة سمي بذلك لان ظهوره يسوء الانسان وفي الاية دليل على ان كشف
العورة من المنكرات المحرمات واللام في قوله ليبدي لهما لام العاقبة وذلك لان ابليس
لم يقصد بالوسوسة ظهور عورتهما وانما كان حملهما على المعصية فقط فكان عاقبة
امرهما ان بدت عوراتهما وقال يعني وقال ابليس لادم وحوى ما نهاكما ربكما عن هذه
الشجرة يعني عن الاكل من هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين يعني انما
نهاكما عن هذه الشجرة لكيلا تكونا ملكين من الملائكة تعلمان الخير والشر وتكونا من الباقين

الذين لا

الذين لا يموتون وانما اطمع ابليس ادم بهذا لانه علم ان الملائكة لهم المنزلة والقرب من العرش
فاستشرف لذلك ادم واحبه او انه يعيش مع الملائكة لطول اعمارهم او يكون مع الخالدين
الذين لا يموتون ابدا فان قلت ظاهر الاية يدل على ان الملك افضل من الانبيا لان ادم
عليه السلام طلب ان يكون من الملائكة وهذا يدل على فضلهم عليه قلت ليس في ظاهر الاية ما
يدل على ذلك لان ادم عليه السلام لما طلب ان يكون من الملائكة كان ذلك الطلب قبل
ان يشرف بالنبوة وكانت هذه الواقعة قبل نبوة ادم فطلب ان يكون من الملائكة او من
الخالدين وعلى تقدير ان يكون هذه الواقعة وقعت في زمان النبوة بعد ان شرف بها
ادم انما طلب ان يكون من الملائكة لطول اعمارهم لا انهم افضل منه حتى يلتحق بهم في الفضل
لانه طلب اما ان يكون من الملائكة لطول اعمارهم او من الخالدين الذين لا يموتون ابدا وقوله
تعالى وقاسمهما اي واقسم وحلف لهما وهذا من المفاعلة التي تختص بالواحد اني لكما من
الناصحين قال قتادة حلف لهما بالله حتى خدعهما وقد يخدع المومن بالله فقال اني
خلقت قبلكما وانا اعلم منكما فاتبعاني ارشدكما وقال بعض العلما من خادعنا بالله
خدعنا له فدلاهما بغرور يعني فخدعهما بغرور يقال ما زال فلان يدلي فلانا بالغرور يعني ما
زال يخدعه ويكلمه بزخرف من القول باطل قال الازهري واصله ان الرجل العطشان يتدلى
في البير لياخذ الما فلا يجد فيها ما فوضعت التدلية موضع الطمع فيما لا فايدة فيه والغرور
اظهار النصح مع ابطان الغش وهو ان ابليس حطهما من منزلة الطاعة الى حالة
المعصية لان التدلي لا يكون الا من علو الى سفل ومعنى الاية ان ابليس غر ادم
باليمين الكاذبة وكان ادم يظن ان احدا لا يحلف بالله كاذبا وابليس اول من حلف
بالله كاذبا فلما حلف ابليس ظن ادم انه صادق فاغتر به فلما ذاقا الشجرة يعني طعما من
الشجرة وفيه دليل على انهما تناولا اليسير من ذلك قصدا الى معرفة طعمه لان الذوق
يدل على الاكل اليسير بدت لهما سوآتهما يعني ظهرت لهما عوراتهما قال ابن عباس قبل
ان ازدردا اخذتهما العقوبة والعقوبة ان بدت وظهرت لهما سوآتهما وتهافت
عنهما لباسهما حتى ابصر كل واحد منهما ما ووري عنه من عورة صاحبه وكان لا يريان
ذلك وقال وهب كان لباسهما من النور لا يرى هذا عورة هذه ولا هذه عورة هذا
فلما اصابا الخطيئة بدت لهما سوآتهما وقال قتادة كان لباس ادم في الجنة ظفرا كله فلما
وقع في الذنب كشط عنه وبدت سوآته وطفقا يعني فاقبلا وجعلا يخصفان عليهما
من ورق الجنة يعني انهما لما بدت سوآتهما جعلا يرقعان ويلزقان عليهما من ورق
الجنة وهو ورق التين حتى صار كهيئة الثوب وقال الزجاج جعلا ورقة على ورقة
ليستر سوآتهما وفي الاية دليل على ان كشف العورة من بني ادم قبيح الا ترى انهما
بادرا الى ستر العورة لما تقرر في عقلهما من قبح كشفها روى ابي ابن كعب عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال كان ادم رجلا طوالا كانه نخلة سحوق كثير شعر الراس فلما وقع

فى الخطيئة بدت له سوءته وكان لا يراها فى الجنة فانطلق فارا فعرضت له شجرة من شجر
الجنة فحبسته بشعره فقال لها ارسليني قالت لست بمرسلتك فناداه ربه يا ادم امني
تفر قال لا يا رب ولكني استحييتك ذكره البغوي بغير سند واسنده الطبري من طريقين
موقوفا ومرفوعا وقوله تعالى وناداهما ربهما الم انهكما عن تلكما الشجرة يعني ان الله تعالى
نادى ادم وحوى وخاطبهما فقال الم انهكما عن اكل ثمرة هذه الشجرة واقل لكما ان
الشيطان لكما عدو مبين يعني الم اعلمكما ان الشيطان قد بان عداوته لكما بترك السجود
حسدا وبغيا قال ابن عباس لما اكل ادم من الشجرة قيل له لم اكلت من الشجرة التى نهيتك
قال حوى امرتني قال فاني قد اعطيتها ان لا تحمل الا كرها ولا تضع الا كرها قال فرنت
حوى عند ذلك رنة فقيل لها الرنة عليك وعلى بناتك وقال محمد بن قيس ناداه
ربه يا ادم لم اكلت منها وقد نهيتك قال اطعمتني حوى قال لحوى لم اطعمتيه قالت امرتني
الحية قال للحية لم امرتها قالت امرني ابليس قال الله تعالى اما انت يا حوى فكما ادميت
الشجرة تدمين كل شهر واما انت يا حية فاقطع رجليك فتمشين على وجهك
وسيشدخ راسك من لقيك واما انت يا ابليس فملعون مدحور يعني
مطرودا عن الرحمة وقيل ناداه يا ادم اما خلقتك بيدي اما نفخت فيك من روحي
اما اسجدت لك ملايكتي اما اسكنتك جنتي فى جواري قوله عز وجل قالا ربنا ظلمنا
انفسنا وهذا خبر من الله عز وجل عن ادم عليه السلام وحوى واعترافهما على انفسهما
بالذنب والندم على ذلك والمعنى قالا يا ربنا انا فعلنا بانفسنا من الاساءة اليها بمخالفة
امرك وطاعة عدونا وعدوك ما لم يكن لنا ان نطيعه فيه من اكل الشجرة التى نهيتنا
عن اكلها وان لم تغفر لنا يعني وانت يا ربنا ان لم تستر علينا ذنبنا وترحمنا يعني وتتفضل
علينا برحمتك لنكونن من الخاسرين يعني من الهالكين قال قتادة قال ادم رب ارايت
ان تبت فاستغفرتك قال اذا ادخلك الجنة واما ابليس فلم يساله التوبة وساله
النظرة فاعطى كل واحد منهما ما سال وقال الضحاك فى قوله ربنا ظلمنا انفسنا قال هي
الكلمات التى تلقاها ادم من ربه عز وجل فصل وقد استدل من يرى صدور
الذنب من الانبيا عليهم الصلاة والسلام بهذه الاية واجيب عنه بان درجة الانبيا
فى الرفعة والعلو والمعرفة بالله عز وجل مما حملهم على الخوف منه والاشفاق من
المواخذة بما لا يواخذ به غيرهم وانما ربما عوتبوا بامور صدرت منهم على سبيل
التاويل والسهو فهم بسبب ذلك خايفون وجلون وهي ذنوب بالاضافة
الى علو منصبهم ومعاص بالنسبة الى كمال طاعتهم لا انها ذنوب كذنوب غيرهم
ومعاص كمعاصي غيرهم فكان ما صدر منهم مع طهارتهم بالعمل الصالح والخشية لله عز
وجل ذنوبا وهي حسنات بالنسبة الى غيرهم كما قيل حسنات الابرار سيئات المقربين
يعني انهم يرونها بالنسبة الى احوالهم كالسيئات وهي حسنات لغيرهم وقد تقدم فى سورة

البقرة ان اكل ادم من الشجرة هل كان قبل النبوة او بعده والخلاف فيه فاغنى عن
الاعادة والله اعلم قوله تعالى قال اهبطوا قال الامام فخر الدين الرازي تقدم
ذكره هو ادم وحوى وابليس فقوله اهبطوا يجب ان يتناول هولا الثلاثة وقال
الطبري قال الله تعالى لادم وحوى وابليس والحية اهبطوا يعني من السما الى
الارض قال السدي اهبطوا يعني الى الارض ادم وحوى وابليس والحية بعضكم
لبعض عدو يعني ان العداوة ثابتة بين ادم وابليس والحية وذريتهم كل واحد
من ادم وابليس ولكم فى الارض مستقر يعني موضع قرار تستقرون فيه وقال
ابن عباس فى قوله ولكم فى الارض مستقر يعني مستقر القبور ومتاع الى حين
يعني ولكم فيها متاع يستمتعون به الى انقطاع الدنيا او الى انقضا اجالكم
ومعنى الاية ان الله عز وجل اخبر ادم وحوى وابليس والحية انه اذا اهبطهم
الى الارض فان بعضهم لبعض عدو وان لهم فى الارض موضع قرار يستقرون
فيه الى انقضا اجالهم ثم يستقرون فى قبورهم الى انقطاع الدنيا قال ابن عباس فى قوله
تعالى ومتاع الى حين يعني الى يوم القيامة والى انقطاع الدنيا قال فيها تحيون
يعني قال الله عز وجل لادم وذريته وابليس واولاده فيها تحيون يعني فى الارض
تعيشون ايام حياتكم وفيها تموتون يعني وفى الارض تكون وفاتكم وموضع
قبوركم ومنها تخرجون يعني ومن الارض يخرجكم ويحشركم للجزا يوم القيامة قوله
عز وجل يا بني ادم قد انزلنا عليكم لباسا يواري سواتكم اعلم ان الله عز وجل لما امر
ادم وحوى بالهبوط الى الارض وجعلها مستقرا لهم انزل عليهم كل ما يحتاجون
اليه من مصالح الدين والدنيا فكان مما انزل عليهم اللباس الذى يحتاج اليه فى
الدين والدنيا واما منفعته فى الدين فانه ستر للعورة وسترها شرط فى صحة
الصلاة واما منفعته فى الدنيا فانه يمنع الحر والبرد فامتن الله على عباده بان
انزل عليهم لباسا يواري سواتهم فقال تعالى يا بني ادم قد انزلنا عليكم لباسا
يواري سواتكم يعني لباسا تسترون به عوراتكم فان قيل ما معنى قوله انزلنا عليكم
لباسا قلت ذكر العلما فيه وجوها احدها انه بمعنى خلق اى خلقنا لكم لباسا او
بمعنى رزقناكم لباسا الوجه الثاني ان الله تعالى انزل المطر من السما وهو سبب نبات
اللباس فكانه انزله عليهم الوجه الثالث ان جميع بركات الارض تنسب الى
السما والى الانزال كما قال تعالى وانزلنا الحديد وريشا الريش للطاير معروف
وهو لباسه وزينته كالثياب للانسان فاستعير للانسان لانه لباسه وزينته والمعنى
وانزلنا عليكم لباسين لباسا يواري سواتكم ولباسا لزينتكم لان التزين غرض
صحيح كما قال تعالى لتركبوها وزينة وقال ولكم فيها جمال وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الله جميل يحب الجمال واختلفوا فى معنى الريش المذكور فى الاية فقال

ابن عباس وريشا يعني مالا وهو قول مجاهد والضحاك والسدي لان المال ما يتزين
به ويقال تريش الرجل اذا تمول وقال ابن زيد الريش الجمال وهو يرجع الى الزينة ايضا
وقيل ان الرياش في كلام العرب الاثاث وما ظهر من الثياب والمتاع مما تلبس او تفرش
والريش ايضا المتاع والاموال عندهم وربما استعملوه في الثياب والكسوة دون ساير
المال يقال انه لحسن الريش يعني لحسن الثياب وقيل الريش يستعمل ايضا في الخصب
ورفاهية العيش ولباس التقوى اختلف العلما في معناه فمنهم من حمله على نفس
الملبوس وحقيقته ومنهم من حمله على المجاز اما من حمله على نفس الملبوس فاختلفوا
ايضا في معناه فقال ابن الانباري لباس التقوى هو اللباس الاول وانما اعاده اخبارا
ان ستر العورة من التقوى وذلك خير وقيل انما اعاده لاجل ان يخبر عنه انه خير لان
العرب في الجاهلية كانوا يتعبدون بالتعري وخلع الثياب في الطواف بالبيت فاخبر
ان ستر العورة في الطواف هو لباس التقوى وذلك خير وقال زيد بن علي لباس
التقوى الات الحرب التي يتقى بها في الحروب كالدرع والمغفر ونحو ذلك وقيل لباس
التقوى هو الصوف والخشن من الثياب التي يلبسها اهل الزهد والورع وقيل هو ستر العورة
في الصلاة واما من حمل لباس التقوى على المجاز فاختلفوا في معناه فقال قتادة والسدي
لباس التقوى هو الايمان لان صاحبه يتقي به من النار وقال ابن عباس لباس التقوى هو العمل
الصالح وقال الحسن هو الحيا لانه يحث على التقوى وقال عثمان بن عفان لباس التقوى
هو السمت الحسن وقال عروة بن الزبير لباس التقوى خشية الله وقال الكلبي هو العفاف
فعلى هذه الاقوال ان لباس التقوى خير لصاحبه اذا اخذ به مما خلق الله له من لباس التجمل
وزينة الدنيا وهو قوله تعالى ذلك خير يعني ان لباس التقوى خير من لباس الجمال والزينة وانشد
في المعنى ◦ اذا انت لم تلبس ثيابا من التقى ◦ عريت وان وارى القميص قميص ◦
وقوله تعالى ذلك من ايات الله يعني انزال اللباس عليكم يا بني ادم من ايات الله الدالة
على معرفته وتوحيده لعلهم يذكرون يعني لعلهم يذكرون نعمته عليهم فيشكرونها قوله تعالى
يا بني ادم لا يفتننكم الشيطان كما اخرج ابويكم من الجنة قيل هذا خطاب للذين كانوا يطوفون
بالبيت عراة والمعنى لا يخدعنكم بغروره ولا يضلنكم فيزين لكم كشف عوراتكم في الطواف وانما
ذكر قصة ادم هنا وشدة عداوة ابليس له ليحذر بذلك اولاد ادم فقال يا بني ادم لا
يفتننكم الشيطان كما اخرج ابويكم يعني ادم وحوى من الجنة بوسوسته وشدة عداوته فبان
يقدر على فتنتكم فبطريق الاولى فحذر الله عز وجل بني ادم وامرهم بالاحتراز عن وسوسة
الشيطان وغروره وتزيينه القبايح وتحسينه الافعال الردية في قلوب بني ادم فهذه
فتنته التي نهى الله عباده عنها وحذرهم منها وقوله ينزع عنهما لباسهما انما اضاف
نزع اللباس الى الشيطان وان لم يباشر ذلك لان نزع لباسهما كان بسبب وسوسة الشيطان
وغروره فاسند اليه واختلفوا في اللباس الذي نزع عنهما فقال ابن عباس كان

لباسهما

لباسهما الظفر فلما اصابا الخطيئة نزع عنهما وبقيت الاظفار تذكرة وزينة ومنافع
وقال وهب بن منبه كان لباس ادم وحوى نورا وقال مجاهد كان لباسهما التقى
وفي رواية عنه التقوى وقيل كان لباسهما من ثياب الجنة وهذا القول اقرب
لان اطلاق اللباس يطلق عليه ولان النزع لا يكون الا بعد اللبس ليريهما
سوآتهما يعني ليرى ادم عورة حوى وترى حوى عورة ادم وكان قبل ذلك
لا يرى بعضهم سوءة بعض انه يراكم هو وقبيله يعني ان ابليس يراكم يا بني ادم هو
وقبيله انما اعاد الكناية في قوله هو ليحسن العطف والقبيل جمع قبيلة
وهي الجماعة المجتمعة التي يقابل بعضهم بعضا وقال الليث كل جيل من جن
وانس قبيل ومعنى يراكم هو وقبيله اي من هو من نسله وحكى ابو عبيد عن ابي زيد
القبيل ثلاثة فصاعدا من قوم شتى والجمع قبل والقبيلة بنو اب واحد قال
الطبري قبيله يعني صنفه وجيله الذي هو منهم وهو واحد يجمع قبلا وهم الجن
وقال مجاهد الجن والشياطين وقال ابن زيد قبيله نسله وقال ابن عباس هو وولده
وقوله من حيث لا ترونهم يعني انتم يا بني ادم قال العلما ان الله خلق في عيون
الجن ادراكا يرون به الادراك الانس ولم يخلق في عيون الانس هذا
الادراك فلم يروا الجن وقالت المعتزلة الوجه ان الانس لا يرون الجن لرقة
اجسام الجن ولطافتها والوجه في رؤية الجن الانس كثافة اجسام الانس والوجه
في رؤية الجن بعضهم بعضا ان الله تعالى قوى شعاع ابصار الجن وزاد فيها حتى
يرى بعضهم بعضا ولو جعل في ابصارنا هذه القوة لراينا هم ولكن لم يجعلها لنا وحكى
الواحدي وابن الجوزي عن ابن عباس انه قال ان الله تعالى جعلهم يجرون من ابن ادم
مجرى الدم وجعل صدور بني ادم مساكن لهم الا من عصمه الله تعالى كما قال تعالى الذي
يوسوس في صدور الناس فهم يرون بني ادم وبنو ادم لا يرونهم وقال مجاهد قال
ابليس جعل لنا اربع نرى ولا نرى ونخرج من تحت الثرى ويعود شيخنا فتى وقال
مالك بن دينار ان عدوا يراك ولا تراه لشديد المؤنة الا من عصم الله انا جعلنا
الشياطين اوليا يعني اعوانا وقرنا للذين لا يؤمنون قال الزجاج يعني سلطناهم
عليهم يزيدون في غيهم قوله عز وجل واذا فعلوا فاحشة قال ابن عباس ومجاهد
هي طوافهم بالبيت عريانا الرجال والنسا وقال عطا هي الشرك والفاحشة اسم
لكل فعل قبيح فتدخل فيه جميع المعاصي والكباير فيمكن حملها على الاطلاق وان كان
السبب مخصوصا بما ورد من طوافهم عراة ولما كانت هذه الافعال التي كان اهل
الجاهلية يفعلونها ويعتقدون انها طاعات وهي في انفسها فواحش ذمهم الله
عليها ونهاهم عنها فاحتجوا عن هذه الافعال بما اخبر الله عنهم وهو قوله تعالى
قالوا وجدنا عليها اباءنا والله امرنا بها فذكروا لانفسهم عذرين احدهما محض

التقليد وهو قولهم وجدنا على هذا الفعل اباءنا وهذا التقليد باطل لانه لا
اصل له والعذر الثاني قوله والله امرنا بها وهذا العذر ايضا باطل وقد اجاب
عنه بقوله قل ان الله لا يامر بالفحشاء والمعنى ان هذه الافعال التي كان اهل
الجاهلية يفعلونها هي في انفسها قبيحة منكرة فكيف يامر الله بها والله لا يامر
بالفحشاء بل يامر بما فيه مصالح للعباد ثم قال تعالى رادا عليهم اتقولون على الله
ما لا تعلمون يعني انكم ما سمعتم كلام الله ابتداء من غير واسطة ولا اخذتموه عن
الانبياء الذين هم وسائط بين الله وبين عباده في تبليغ اوامره ونواهيه واحكامه
لانكم تنكرون نبوة الانبياء فكيف تقولون على الله ما لا تعلمون قل امر ربي بالقسط
اي قل يا محمد لهولاء الذين يقولون على الله ما لا تعلمون امر ربي بالقسط يعني
بالعدل وهذا قول مجاهد والسدي وقال ابن عباس بلا اله الا الله فالامر بالقسط
في هذه الاية مشتمل على معرفة الله سبحانه وتعالى بذاته وصفاته وافعاله وانه واحد
لا شريك له واقيموا وجوهكم عند كل مسجد فان قلت قل امر ربي بالقسط خبر وقوله
واقيموا وجوهكم عند كل مسجد امر وعطف الامر على الخبر لا يجوز فما معناه قلت فيه اضمار
وحذف تقديره قل امر ربي بالقسط وقال واقيموا وجوهكم عند كل مسجد فحذف
قال لدلالة الكلام عليه ومعنى الاية في قول مجاهد والسدي وجهوا وجوهكم حيث
ما كنتم في الصلاة الى الكعبة وقال الضحاك معناه اذا حضرت الصلاة وانتم عند
المسجد فصلوا فيه ولا يقولن احدكم اصلي في مسجدي او مسجد قومي وقيل معناه
اجعلوا سجودكم لله خالصا وادعوه مخلصين له الدين اي واعبدوه مخلصين
العبادة والطاعة والدعاء لله عز وجل لا لغيره كما بداكم تعودون قال ابن عباس
ان الله عز وجل بدا خلق بني ادم مومنا وكافرا كما قال تعالى هو الذي خلقكم فمنكم
كافر ومنكم مومن ثم يعيدهم يوم القيامة كما بدا خلقهم مومنا وكافرا وحجة هذا القول
قوله في سياق الاية فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة فانه كالتفسير له ويدل
على صحة ذلك ما روي عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث كل عبد على
ما مات عليه اخرجه مسلم زاد البغوي في رواية المومن على ايمانه والكافر على كفره
وقال محمد بن كعب من ابتدا الله خلقه على الشقوة صار الى ما ابتدا عليه خلقه
وان عمل باعمال اهل السعادة كما ان ابليس كان يعمل بعمل اهل السعادة ثم صار
الى الشقاء ومن ابتدا خلقه على السعادة صار اليها وان عمل باعمال اهل الشقا
كما ان السحرة كانوا يعملون بعمل اهل الشقاء وصاروا الى السعادة ويصحح هذا
القول ما روي عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الرجل ليعمل
الزمن الطويل بعمل اهل الجنة ثم يختم له عمله بعمل اهل النار وان الرجل ليعمل
الزمن الطويل بعمل اهل النار ثم يختم له عمله بعمل اهل الجنة اخرجه مسلم وقال الحسن

ومجاهد في

ومجاهد في معنى الاية كما بداكم فخلقكم في الدنيا ولم تكونوا شيئا فاحياكم ثم يميتكم كذلك
احيا يوم القيامة ويشهد لصحة هذا القول ما روي عن ابن عباس قال قام فينا رسول
الله صلى الله عليه وسلم بموعظة فقال ايها الناس انكم محشورون الى الله عز وجل حفاة
عراة غرلا كما بدانا اول خلق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين اخرجه البخاري ومسلم
وقوله تعالى فريقا هدى يعني هداهم الله الى الايمان به ومعرفته ووفقهم لطاعته
وعبادته وفريقا حق عليهم الضلالة وخذل فريقا حتى وجبت عليهم الضلالة للشقاوة
التي سبقت لهم في الازل بانهم اشقيا وفيه دليل على ان الهدى والضلال من الله عز وجل
ولما روي عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
الله خلق خلقه في ظلمة فالقى عليهم من نوره فمن اصابه من ذلك النور اهتدى
ومن اخطاه ضل اخرجه الترمذي قوله تعالى انهم اتخذوا الشياطين اولياء من دون الله يعني
ان الفريق الذين حق عليهم الضلالة اتخذوا الشياطين نصراء واعوانا اطاعوهم
فيما امروهم به من الكفر والمعاصي والمعنى ان الداعي الذي دعاهم الى الكفر والمعاصي
هو انهم اتخذوا الشياطين اولياء من دون الله لان الشياطين لا يقدرون على الضلال
احد وقوله ويحسبون انهم مهتدون يعني انهم مع ضلالتهم يظنون ويحسبون انهم على هداية
وحق وفيه دليل ان الكافر الذي يظن انه في دينه على الحق والجاحد والمعاند في الكفر
سوا قوله عز وجل يا بني ادم خذوا زينتكم عند كل مسجد عن ابن عباس قال كانت المراة
تطوف بالبيت وهي عريانة فتقول من يعيرني تطوافا تجعله على فرجها وتقول اليوم
يبدو بعضه او كله وما بدا منه فلا احله فنزلت هذه الاية خذوا زينتكم عند كل مسجد
اخرجه مسلم وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كانوا يطوفون بالبيت عراة
الرجال بالنهار والنساء بالليل وذكر البيت زاد في رواية وفي عنه فامرهم الله ان
يلبسوا ثيابهم ولا يتعروا وقال مجاهد كان حي من اهل اليمن كان احدهم اذا قدم حاجا
او معتمرا يقول لا ينبغي لي ان اطوف في ثوب قد عصيت فيه فيقول من يعيرني ميزرا
فان قدر عليه والا طاف عريانا فانزل الله فيه ما تسمعون خذوا زينتكم عند كل مسجد
وقال الزهري ان العرب كانت تطوف بالبيت عراة الا الحمس وهم قريش واحلافهم
فمن جا من غير الحمس وضع ثيابه وطاف في ثوب احمسي فانه لا يحل له ان يلبس
ثيابه فان لم يجد من يعيره من الحمس فانه يلقي ثيابه ويطوف عريانا وان طاف في
ثياب نفسه القاها اذا قضى طوافه فحرمها فجعلها حراما عليه فلذلك قال الله خذوا زينتكم
عند كل مسجد والمراد من الزينة لبس الثياب التي تستر العورة قال مجاهد ما يواري عورتكم
ولو عباءة وقال الكلبي الزينة ما يواري العورة عند كل مسجد لطواف وصلاة
وقوله تعالى خذوا زينتكم امر وظاهره الوجوب ففيه دليل على ان ستر العورة واجب
في الصلاة والطواف وفي كل حال وقوله تعالى وكلوا واشربوا قال الكلبي كانت بنو عامر

لا ياكلون في ايام حجهم الا قوتا ولا ياكلون دسما يعظمون بذلك حجهم فقال المسلمون
نحن احق بذلك يا رسول الله فانزل الله عز وجل وكلوا واشربوا يعني اللحم والدسم
قال ابن عباس كل ما شئت واشرب ما شئت والبس ما شئت مما اخطاتك
خصلتان سرف ومخيلة وقال علي بن الحسين بن واقد قد جمع الله الطب كله في نصف
اية فقال وكلوا واشربوا ولا تسرفوا وفي الاية دليل على ان جميع المطعومات والمشروبات
حلال الا ما خصه الشرع بدليل في التحريم لان الاصل في جميع الاشيا الاباحة الا ما حظره
الشارع وثبت تحريمه بدليل منفصل انه لا يحب المسرفين يعني ان الله لا يحب من
اسرف في الماكول والمشروب والملبوس وفي هذه الاية وعيد وتهديد لمن اسرف
في هذه الاشيا لان محبة الله عبارة عن رضاه عن العبد وايصال الثواب اليه
واذا لم يحبه علم انه تعالى ليس هو راض عنه فدلت الاية على الوعيد الشديد في الاسراف
قوله تعالى قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده يعني قل يا محمد لهولا الجهلة من العرب
الذين يطوفون بالبيت عراة من حرم عليكم زينة الله التي خلقها لعباده ان تتزينوا
بها وتلبسوها في الطواف وغيره ثم في تفسير الزينة قولان احدهما وهو قول جمهور
المفسرين ان المراد من الزينة هنا اللباس الذي يستر العورة والقول الثاني ذكره
الامام فخر الدين الرازي انه يتناول جميع انواع الزينة فيدخل تحته جميع انواع الملبوس
والحلي ولولا ان النص ورد بتحريم استعمال الذهب والحرير على الرجال لدخل في هذا
العموم ولكن ورد النص بتحريمه على الرجال دون النسا والطيبات من الرزق يعني ومن
حرم الطيبات من الرزق التي اخرجها الله لعباده وخلقها لهم ثم ذكروا في معنى الطيبات
في هذه الاية اقوالا احدها ان المراد بالطيبات اللحم والدسم الذي كانوا يحرمونه على انفسهم
ايام الحج يعظمون بذلك حجهم فرد الله عليهم بقوله قل من حرم زينة الله التي اخرج
لعباده والطيبات من الرزق والقول الثاني وهو قول ابن عباس وقتادة ان المراد
بذلك ما كان اهل الجاهلية يحرمونه من البحاير والسوايب قال ابن عباس ان اهل
الجاهلية كانوا يحرمون اشيا احلها الله من الزروع وغيرها وهو قول الله تعالى قل
ارايتم ما انزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا وهو هذا وانزل الله قل
من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق والقول الثالث على ان الاية
على العموم فيدخل تحته كل ما يستلذ ويشتهى من ساير المطعومات الا ما ورد نص
بتحريمه قل هي للذين امنوا يعني قل يا محمد ان الطيبات التي اخرج الله من رزقه للذين
امنوا في الحيوة الدنيا غير خالصة لهم لانه يشركهم فيها المشركون خالصة لهم يوم
القيامة يعني الطيبات من الرزق وقيل معناه خالصة لهم يوم القيامة من التكدير
والتنغيص والغم لانه قد يقع لهم في الحيوة الدنيا في تناول الطيبات من الرزق
كدر وتنغيص فاعلمهم انها خالصة لهم في الاخرة من ذلك كله كذلك نفصل الايات

لقوم يعلمون

لقوم يعلمون يعني كذلك نبين الحلال مما احللت والحرام مما حرمت لقوم علموا اني
انا الله وحدي لا شريك لي فاحلوا حلالي وحرموا حرامي قوله عز وجل قل انما حرم ربي
الفواحش جمع فاحشة وهي ما قبح وتفحش من قول او فعل والمعنى قل يا محمد لهولا المشركين
الذين يتجردون الثياب ويطوفون بالبيت عراة ويحرمون اكل الطيبات مما احل الله لهم
ان الله لم يحرم ما تحرمونه انتم بل احله الله لعباده وطيبه لهم وانما حرم ربي الفواحش
من الافعال والاقوال ما ظهر منها وما بطن يعني علانيته وسره ق عن عبد الله بن مسعود
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا احد اغير من الله من اجل ذلك حرم الفواحش ما
ظهر منها وما بطن ولا احد احب اليه المدح من الله من اجل ذلك مدح نفسه واصل
الغيرة تغير القلب وهيجان الحفيظة بسبب فيما يختص به الانسان ومنه غيرة احد
الزوجين على الاخر لاختصاص كل واحد منهما بصاحبه ولا يرضى ان يشاركه
احد فيه فلذلك يذب عنه ويمنعه من غيره واما الغيرة في وصف الله تعالى
فهي منعه من ذلك وتحريمه له ويدل على ذلك قوله ومن غيرته حرم الفواحش
وقد يحتمل ان يكون غيرته تغير حال فاعل ذلك بعقابه والله اعلم وقوله عز وجل
والاثم يعني وحرم الاثم واختلفوا في الفرق بين الفاحشة والاثم فقيل الفواحش
الكباير لانه قد تفاحش قبحها وتزايد والاثم عبارة عن الصغاير من الذنوب
فعلى هذا يكون معنى الاية قل انما حرم ربي الكباير والصغاير وقيل الفاحشة
اسم لما يجب فيه الحد من الذنوب والاثم اسم لما لا يجب فيه وهذا القول هو
قريب من الاول واعترض على هذين القولين بان الاثم في اصل اللغة الذنب
فيدخل فيه الكباير والصغاير وقيل ان الفاحشة اسم للكبيرة والاثم اسم لمطلق
الذنب سوا كان كبيرا او صغيرا والفايدة فيه ان يقال لما حرم الله الكبيرة بقوله
قل انما حرم ربي الفواحش اردفه بتحريم مطلق الذنب لئلا يتوهم متوهم ان التحريم
مقصور على الكباير فقط وقيل ان الفاحشة وان كانت بحسب اللغة اسم
لكل ما تفاحش من قول او فعل لكنه قد صار في العرف مخصوصا بالزنا لانه اذا
اطلق لفظ الفاحشة لم يفهم منه الا ذاك فوجب حمل لفظ الفاحشة على الزنا
واما الاثم فقد قيل انه اسم من اسما الخمر وهو قول حسن وعطا قال الجوهري وقد
يسمى الخمر اثما واستدل عليه بقول الشاعر ؎ شربت الخمر حتى ضل عقلي ؎
كذاك الاثم يذهب بالعقول ؎ وقال ابن سيده صاحب المحكم وعندي
ان تسمية الخمر بالاثم صحيح لان شربها اثم وبهذا المعنى يظهر الفرق بين اللفظين
وانكر ابو بكر بن الانباري تسمية الخمر بالاثم قال لان العرب ما سمته اثما قط
في جاهلية ولا اسلام ولكن قد يكون الخمر داخلا تحت الاثم لقوله قل فيهما
اثم كبير وقوله تعالى والبغي اي وحرم البغي بغير الحق والبغي هو الظلم

والكبر والاستطالة على الناس ومجاوزة الحد في ذلك كله ومعنى البغي بغير الحق وهو ان يطلب ما ليس له بحق فاذا طلب ماله بحق خرج من ان يكون بغيا وان تشركوا بالله اي وحرم ان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا يعني حجة فيه تهكم بالمشركين والكفار لانه لا يجوز ان ينزل حجة وبرهانا بان يشرك به غيره لان الاقرار بشي على ثبوته ولا برهان يمتنع فلما امتنع حصول الحجة والبينة على صحة القول بالشرك وجب ان يكون باطلا على الاطلاق فان قلت البغي والاشراك داخلان تحت الفاحشة والاثم لان الشرك اعظم الفواحش واعظم الاثم وكذا البغي ايضا من الفواحش والاثم قلت انما افردهما بالذكر للتنبيه على عظم قبحهما كانه قال من الفواحش المحرمة البغي والشرك فكانه بين جملته ثم تفصيله وقوله وان تقولوا على الله ما لا تعلمون تقدم تفسيره وقوله تعالى ولكل امة اجل الاجل الوقت الموقت لانقضاء وقتا الممهلة ثم في هذا الاجل المذكور في الاية قولان احدهما انه اجل العذاب والمعنى ان لكل امة كذبت رسلها وقتا متعينا واجلا مسمى امهلهم الى ذلك الوقت فاذا جاء اجلهم يعني فاذا جاء وقت عذابهم لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون يعني فلا يوخرون ولا يمهلون قدر ساعة ولا اقل من ساعة وانما ذكرت الساعة لانها اقل اسماء الاوقات في العرف وهذا حين سالوا نزول العذاب فاخبرهم الله ان لهم وقتا اذا جاء ذلك الوقت وهو وقت هلاكهم واستئصالهم فلا يوخرون عنه ساعة ولا يستقدمون والقول الثاني ان المراد بهذا الاجل هو اجل الحياة والعمر فاذا انقضى ذلك الاجل وحضر الموت فلا يوخر ساعة ولا يقدم ساعة وعلى هذا القول يلزم ان يكون لكل واحد اجل لا يقع فيه تقديم ولا تاخير وانما قال تعالى لكل امة لتقارب اعمار اهل كل عصر فكانهم كالواحد في مقدار العمر وعلى هذا القول ايضا يكون المقتول ميتا باجله خلافا لمن يقول قطع عليه اجله قوله عز وجل يا بني ادم اما ياتينكم رسل منكم هي ان الشرطية ضمت اليها ما موكدة لمعنى الموكدة وجزاء هذا الشرط هو الفاء وما بعده من الشرط والجزاء وهو قوله فمن اتقى واصلح يعني منكم وانما قال رسل بلفظ الجمع وان كان المراد به واحد وهو النبي صلى الله عليه وسلم لانه خاتم الانبياء وهو مرسل الى كافة الخلق فذكره بلفظ الجمع على سبيل التعظيم فعلى هذا يكون الخطاب في قوله يا بني ادم لاهل مكة ومن يلحق بهم وقيل اراد جميع الرسل وعلى هذا فالخطاب في قوله يا بني ادم عام في كل بني ادم وانما قال منكم يعني من جنسكم ومثلكم من بني ادم لان الرسول اذا كان من جنسهم كان اقطع لعذرهم واثبت للحجة عليهم لانهم يعرفونه ويعرفون احواله فاذا اتاهم بما لا يليق بقدرته او لقدرة امثاله علم ان ذلك الذي اتاه به معجزة له وحجة على من خالفه

يقصون

يقصون عليكم اياتي يعني يقرؤن عليكم كتابي وادلة احكامي وشرايعي التي شرعت لعبادي فمن اتقى يعني فمن اتقى الشرك ومخالفة رسلي واصلح يعني العمل الذي امرته به رسلي فعمل بطاعتي وتجنب معصيتي وما نهيته عنه فلا خوف عليهم حين يخاف غيرهم يوم القيامة من العذاب ولا هم يحزنون يعني على ما فاتهم من دنياهم التي تركوها والذين كذبوا باياتنا ومن جملة اياتنا وكذب رسلنا واستكبروا عنها يعني واستكبر عن الايمان بها وبما جاءت به رسلنا اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون يعني لا يخرجون منها ابدا قوله تعالى فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا يعني فمن اظلم ظلما ممن يقول على الله ما لم يقله او يجعل لله شريكا من خلقه وهو منزه عن الشرك والولد او كذب باياته يعني او كذب بالقران الذي انزله على عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم اولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب يعني ينالهم حظهم مما قدر لهم وكتب في اللوح المحفوظ واختلفوا في ذلك النصيب على قولين احدهما ان المراد به هو العذاب المعين لهم في الكتاب ثم اختلفوا فيه فقال الحسن والسدي ما كتب لهم من العذاب وقضى لهم من سواد الوجه وزرقة العيون وقال ابن عباس في رواية عنه كتب لمن يفتري على الله الكذب ان وجهه اسود وقال الزجاج هو المذكور في قوله فانذرتكم نارا تلظى وفي قوله اذ الاغلال في اعناقهم فهذه الاشياء هي نصيبهم من الكتاب على قدر ذنوبهم في كفرهم والقول الثاني ان المراد بالنصيب المذكور في الكتاب هو شيء سوى العذاب ثم اختلفوا فيه فقال ابن عباس في رواية اخرى عنه وعن مجاهد وسعيد بن جبير وعطية في قوله ينالهم نصيبهم من الكتاب قالوا هو السعادة والشقاوة وقال ابن عباس ما كتب عليهم من الاعمال وقال في رواية اخرى عنه من عمل خيرا جزي به ومن عمل شرا جزي به وقال قتادة جزاء اعمالهم التي عملوها وقيل معنى ذلك ينالهم نصيبهم مما وعدوا في الكتاب من خير او شر قاله مجاهد والضحاك وهو رواية عن ابن عباس ايضا وقال الربيع بن انس ينالهم ما كتب لهم في الكتاب من الرزق وقال محمد بن كعب القرظي عمله ورزقه وعمره وقال ابن زيد ينالهم نصيبهم من الكتاب من الاعمال والارزاق والاعمار فاذا فني هذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم وصحح الطبري هذا القول الاخير وقال لان الله تعالى اتبع ذلك بقوله حتى اذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم فابان ان الذي ينالهم هو ما قدر لهم في الدنيا فاذا فني توفتهم رسل ربهم قال الامام فخر الدين وانما حصل الاختلاف لان لفظ النصيب محتمل لكل الوجوه وقال بعض المحققين حمله على العمر والرزق اولى لانه تعالى بين انهم وان بلغوا في الكفر ذلك المبلغ العظيم فانه ليس بمانع ان ينالهم ما كتب لهم من رزق وعمر تفضلا من الله سبحانه وتعالى لكي يصلحوا ويتوبوا قوله تعالى حتى اذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم يعني حتى اذا جاء هولاء الذين يفترون على الله الكذب رسلنا يعني ملك الموت واعوانه

ليقبض ارواحهم عند استكمال اعمارهم وارزاقهم لان لفظ الوفاة ليفيد هذا المعنى قالوا
يعنى قال الرسل وهم الملايكة للكفار اينما كنتم تدعون من دون الله وهذا سوال
توبيخ وتقريع وتبكيت لا سوال استعلام والمعنى اين الذين كنتم تعبدونهم من دون
الله ادعوهم ليدفعوا عنكم ما نزل بكم وقيل ان هذا يكون فى الاخرة والمعنى حتى اذا
جاتهم رسلنا يعنى ملايكة العذاب يتوفونهم يعنى يستوفون عددهم عند حشرهم الى
النار قالوا اينما كنتم تدعون يعنى شركا واوليا تعبدونهم من دون الله فادعوهم
ليدفعوا عنكم ما جاكم من امر الله قالوا يعنى الكفار مجيبين للرسل ضلوا عنا يعنى بطلوا
وذهبوا عنا وتركونا عند حاجتنا اليهم فلم ينفعونا وشهدوا على انفسهم انهم كانوا
كافرين يقول الله تعالى وشهد هولا الكفار عند معاينة العذاب انهم كانوا جاحدين
وحدانية الله واعترفوا على انفسهم بذلك قوله عز وجل قال ادخلوا فى امم قد خلت
من قبلكم من الجن والانس يعنى يقول الله عز وجل يوم القيامة لمن افترى عليه الكذب
وجعل له شريكا من خلقه ادخلوا فى امم يعنى فى جملة امم قد خلت يعنى قد مضت وسلفت
وانما قال قد خلت ولم يقل قد خلف لانه اطلق الضمير على الجماعة يعنى فى جملة جماعات
قد خلت من قبلكم من الجن والانس فى النار اى ادخلوا جميعا فى النار التى هى مستقركم
وماواكم وانما عنى بالامم الجماعات والاحزاب واهل الملل الكافرة من الجن والانس كلما
دخلت امة يعنى كلما دخلت جماعة النار لعنت اختها يعنى كلما دخلت امة النار لعنت
اختها من اهل ملتها فى الدين لا فى النسب قال السدى كلما دخلت اهل ملة النار لعنوا
اصحابهم على ذلك الدين فيلعن المشركين المشركين واليهود اليهود والنصارى النصارى
والصابيون الصابيين والمجوس المجوس تلعن الاخرة الاولى حتى اذا اداركوا يعنى
تداركوا وتلاحقوا فيها جميعا يعنى تلاحقوا واجتمعوا فى النار جميعا وادرك بعضهم بعضا
واستقروا فى النار قالت اخراهم لاولاهم قال ابن عباس يعنى اخر كل امة لاولها وقال
السدى قالت اخراهم الذين كانوا فى اخر الزمان لاولاهم الذين شرعوا لهم ذلك الدين
وقال مقاتل يعنى قال اخرهم دخولا النار وهم الاتباع لاولاهم دخولا وهم
القادة لان القادة يدخلون النار اولا اضلونا يعنى يقول الاتباع ربنا هولا
القادة والروسا اضلونا عن الهدى وزينوا لنا طاعة الشيطان وقيل انما
قال المتاخرون ذلك لانهم كانوا يعتقدون تعظيم المتقدمين من اسلافهم فسلكوا
سبيلهم فى الضلالة واتبعوا طريقتهم فيما كانوا عليه من الكفر والضلالة فلما كان يوم القيامة
وتبين لهم فساد ما كانوا عليه قالوا ربنا هولا اضلونا لانا اتبعنا سبيلهم فاتهم
عذابا ضعفا من النار اى ضعف عليهم العذاب قال ابو عبيدة هو ما يستعمله الناس
فى مجاز كلامهم واما كتاب الله فهو عربى مبين ويرد تفسيره الى موضع كلام العرب
والضعف فى كلامهم ما زاد وليس بمقصور على مثلين وجايز فى كلام العرب

هذا ضعفه اى مثلاه وثلثه امثاله لان الضعف فى الاصل زيادة غير محصورة واولى
الاشيا بان يجعله عشرة امثاله فاقل الضعف محصور وهو المثل واكثره غير
محصور وقال الزجاج فى تفسير هذه الاية فاتهم عذابا ضعفا اى مضاعفا لان
الضعف فى كلام العرب على ضربين احدهما المثل والاخر ان يكون فى معنى
تضعيف الشى اى زيادته قال تعالى قال الله لكل ضعف ولاخراكم ضعف وقيل
معناه للتابع وللمتبوع ضعف لانهم قد دخلوا فى الكفر جميعا ولكن لا تعلمون
يعنى ما اعد الله لكل فريق من العذاب وقرى بالتا ومعناه ولكن لا يعلم
كل فريق ما اعد الله من العذاب للفريق الاخر قوله تعالى وقالت اولاهم
يعنى فى الكفر وهم القادة لاخراهم يعنى للاتباع فما كان لنا عليكم من فضل يعنى
قد ضللتم كما ضللنا وكفرتم كما كفرنا وقيل فى معنى الاية وقالت كل امة سلفت
فى الدنيا لاخراها الذين جاوا من بعدهم فسلكوا سبيل من مضى قبلهم فما كان
لكم علينا من فضل وقد علمتم ما حل بنا من عقوبة الله بسبب كفرنا ومعصيتنا
اياه وجاتكم بذلك الرسل والنذر فما رجعتم عن ضلالتكم وكفركم فذوقوا العذاب
وهذا يحتمل ان يكون قول القادة للاتباع والاولى للاخرى التى بعدها ويحتمل
ان يكون من قول الله يعنى يقول الله للجميع فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون يعنى
بسبب ما كنتم تكسبون من الكفر والاعمال الخبيثة قوله عز وجل ان الذين كذبوا
باياتنا يعنى كذبوا بدلايل التوحيد فلم يصدقوا بها ولم يتبعوا رسلنا واستكبروا
عنها اى وتكبروا عن الايمان بها والتصديق لها وانفوا عن اتباعها والانقياد
لها والعمل بمقتضاها تكبرا لا تفتح لهم ابواب السما يعنى لا تفتح لارواحهم اذا خرجت
من اجسادهم ولا يصعد لهم الى الله عز وجل فى وقت حياتهم قول ولا عمل لان
ارواحهم واقوالهم واعمالهم كلها خبيثة وانما يصعد الى الله تعالى الكلم الطيب
والعمل الصالح يرفعه قال ابن عباس لا تفتح ابواب السما لارواح الكفار وتفتح لارواح
المومنين وفى رواية عن ابن عباس قال لا يصعد لهم قول ولا عمل وقال ابن جريج
لا تفتح ابواب السما لارواحهم ولا لاعمالهم روى الطبرى بسنده عن البرا بن عازب
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر قبض روح الفاجر فانه يصعد الى السما قال فيصعدون
بها فلا يمرون على ملا من الملايكة الا قالوا ما هذا الروح الخبيث قال فيقولون فلان
باقبح اسمايه التى كان يدعا بها فى الدنيا حتى ينتهوا بها الى السما فيستفتحون له
فلا يفتح له ثم قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تفتح لهم ابواب السما ولا يدخلون
الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط وقيل فى معنى الاية لا ينزل عليهم البركة والخير لان ذلك
لا ينزل الا من السما فاذا لم تفتح لهم ابواب السما فلا ينزل عليهم من البركة والخير
والرحمة وقوله تعالى ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط الولوج الدخول والجمل

معروف وهو الذكر من الابل وسم الخياط ثقب الابرة قال الفرا الخياط والمخيط ما يخاط به
والمراد الابرة في هذه الاية وانما خص الجمل بالذكر من بين ساير الحيوانات لانه اكبر من
ساير الحيوانات جسما عند العرب قال الشاعر جسم الجمال واحلام العصافير
وصف من هجاه بهذا العظم الجسم مع صغر العقل فجسم الجمل من اعظم الاجسام
وثقب الابرة من اضيق المنافذ فكان ولوج الجمل مع عظم جسمه في ثقب الابرة
الضيق محالا فكذلك دخول الكفار الجنة محال لما وصف الله دخولهم الجنة محالا
لما وصف الله دخولهم الجنة على حصول هذا الشرط وكان وقوع هذا الشرط محالا
فثبت ان الموقوف على المحال محال فوجب بهذا الاعتبار ان دخول الكفار الجنة
مايوس منه قطعا وقال بعض اهل المعاني لما علق الله دخولهم الجنة بولوج الجمل
في سم الخياط وهو خرق الابرة كان ذلك نفيا لدخولهم الجنة على التابيد وذلك
لان العرب اذا علقت ما يجوز كونه بما لا يجوز كونه استحال كون ذلك الجايز
وهذا كقولك لا اتيك حتى يشيب الغراب ويبيض القار ومنه قول الشاعر
«اذا شاب الغراب اتيت اهلي» «وصار القار كاللبن الحليب» وقوله تعالى
وكذلك نجزي المجرمين اي ومثل الذي وصفنا نجزي المجرمين يعني الكافرين لانه
تقدم من صفتهم انهم كذبوا بايات الله واستكبروا عنها وهذه صفة الكفار فوجب
حمل لفظ المجرمين على انهم الكفار ولما بين الله عز وجل ان الكفار لا يدخلون
الجنة ابدا بين انهم من اهل النار ووصف ما اعد لهم فيها فقال تعالى لهم من جهنم
مهاد يعني لهم من نار جهنم فراش واصل المهاد التمهيد الذي يقعد عليه
ويضطجع عليه كالفراش والبساط ومن فوقهم غواش جمع غاشية وهو الغطا
كاللحاف ونحوه ومعنى الاية ان النار محيطة بهم من تحتهم ومن فوقهم قال
محمد بن كعب القرظي والضحاك والسدي المهاد الفراش والغواشي اللحف
وكذلك نجزي الظالمين يعني وكذلك نكافي ولا نثيب المشركين الذين وضعوا
العبادة في غير موضعها قوله عز وجل والذين امنوا وعملوا الصالحات لا نكلف نفسا
الا وسعها لما ذكر الله تعالى وعيد الكافرين وما اعد لهم في الاخرة اتبعه بذكر وعد المومنين
وما اعد لهم في الاخرة فقال والذين امنوا وعملوا الصالحات يعني والذين صدقوا الله
ورسوله واقروا بما جاءهم به من وحي الله اليه وتنزيله عليه من شرايع دينه وعملوا
بما امرهم به واطاعوه في ذلك وتجنبوا ما نهاهم عنه لا نكلف نفسا الا وسعها
وقدرتها وما لا حرج فيه عليها ولا ضيق قال الزجاج الوسع ما يقدر عليه وقال
مجاهد معناه الا ما افترض عليها يعني ان الذي افترض عليها من وسعها الذي تقدر
عليه ولا تعجز عنه وقد غلط من قال ان الوسع بذل المجهود وقال اكثر اصحاب المعاني
ان قوله تعالى لا نكلف نفسا الا وسعها اعتراض وقع بين المبتدا والخبر والتقدير

والذين امنوا

والذين امنوا وعملوا الصالحات اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون وانما حسن وقوع
هذا الكلام بين المبتدا والخبر لانه من جنس هذا الكلام لانه تعالى لما ذكر عملهم
الصالح ذكر ان ذلك العمل من وسعهم وطاقتهم في غير خارج عن قدرتهم وفيه
تنبيه للكفار على ان الجنة مع عظم قدرها ومحلها يتوصل اليها بالعمل السهل من
غير تحمل كلفة ولا مشقة صعبة وقال قوم من اصحاب المعاني موضعه رفع
من تمام الخبر والعايد محذوف كانه قال لا نكلف نفسا منهم الا وسعها فحذف
العايد للعلم به وقوله تعالى ونزعنا ما في صدورهم من غل يعني وقلعنا واخرجنا ما في
صدور المومنين من غش وحسد وحقد وعداوة كانت بينهم في الدنيا ومعنى
الاية اذهبنا تلك الاحقاد التي كانت لبعضهم على بعض في الدنيا فجعلناهم
اخوانا على سرر متقابلين لا يحسد بعضهم بعضا على شي خص الله به بعضهم دون
بعض ومعنى نزع الغل تصفية الطباع واسقاط الوساوس ومنعها عن ان
ترد على القلب روي عن علي قال فينا والله اهل بدر نزلت ونزعنا ما في صدورهم
من غل اخوانا على سرر متقابلين وروي عنه ايضا انه قال اني لارجو ان
اكون انا وعثمان وطلحة والزبير من الذين قال الله فيهم خ عن ابي سعيد الخدري
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يخلص المومنون من النار فيقتص لبعضهم
من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى اذا هذبوا ونقوا اذن الله لهم في
دخول الجنة فوالذي نفس محمد بيده لاحدهم اهدى بمنزله في الجنة منه بمنزله في الدنيا
وقال السدي شجرة في اصل ساقها عينان فشربوا من احدهما فينزع
ما في صدورهم من غل فهو الشراب الطهور واغتسلوا من الاخرى فجرت عليهم
نضرة النعيم فلن يشعثوا ولن يشحبوا بعدها ابدا وقيل ان درجات الجنة
متفاوتة في العلو والكمال فبعض اهل الجنة اعلى من بعض فاخرج الله عز وجل
الغل والحسد من صدورهم وازاله عنهم ونزعه من قلوبهم فلا يحسد صاحب
الدرجة النازلة صاحب العالية واورد على هذا القول كيف يعقل بان
الانسان يرى الدرجات العالية والنعم العظيمة وهو محبوس عنها ولا يصل اليها
فكيف لا يميل بطبعه اليها ولا يغتم بسبب حرمانه عنها وان كان في نعيم ولذة
واجيب عن هذا بان الله عز وجل قد وعد بازالة الحقد والحسد من قلوب
اهل الجنة حتى تكمل لهم اللذة والسرور حتى ان احدهم لا يرى لنفسه الا الكمال
وزيادة من النعيم الذي هو فيه فيرضى بما هو فيه ولا يحسد احدا ابدا ولم
تم نعيمه ولذته وكمل سروره بالجنة وقوله تعالى تجري من تحتهم الانهار لما اخبر
الله بما انعم على اهل الجنة من ازالة الغل والحسد والحقد من صدورهم
اخبر بما انعم عليهم من اللذات والخيرات والمسرات وقالوا الحمد لله الذي هدانا

الله يعني وما كنا نرشد لذلك العمل الذي هذا ثوابه لولا ارشدنا الله اليه ووفقنا
بفضله ومنه وكرمه وفي الاية دليل على ان المهتدي من هداه الله ومن لم
يهدي الله فليس بمهتد لقد جاءت رسل ربنا بالحق يعني ان اهل النعيم
قالوا لقد جاءت رسل ربنا بالحق يعني انهم راوا ما وعدهم الرسل عيانا ونودوا
ان تلكموا الجنة يعني ونادى مناد يا اهل الجنة ان هذه تلكم الجنة التي كانت
الرسل وعدتكم بها في الدنيا واختلفوا في المنادي فقيل هو الله عز وجل وقيل
الملايكة ينادون بامر الله عز وجل وقيل هذا الندا يكون في الجنة م عن ابي سعيد
وابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا دخل اهل الجنة الجنة نادى
منادي ان لكم ان تحيوا فلا تموتوا وان لكم ان تصحوا فلا تسقموا ابدا وان لكم
ان تشبوا فلا تهرموا ابدا وان لكم ان تنعموا فلا تباسوا ابدا فذلك قوله عز وجل
ونودوا ان تلكموا الجنة اورثتموها بما كنتم تعملون وقوله تعالى اورثتموها
بما كنتم تعملون روى ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من احد الا وله منزل
في الجنة ومنزل في النار فاما الكافر فانه يرث المومن منزله من النار والمومن
يرث الكافر منزله من الجنة زاد في رواية فذلك قوله اورثتموها بما كنتم تعملون
قال بعضهم لما سمى الله الكافر ميتا بقوله اموات غير احيا وسمى المومن حيا
بقوله لينذر من كان حيا وفي الشرع ان الاحيا يرثون الاموات فقال اورثتموها
يعني ان المومن حي وهو يرث الكافر منزله من الجنة لانه في حكم الميت وقيل معناه
ان امرهم يوول الى الجنة كما ان الميراث يوول الى الوارث وقيل اورثتموها عن الاعمال
الصالحة التي عملتموها لان الجنة جعلت جزا وثوابا لهم على الاعمال ولا يعارض هذا
القول ما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لن يدخل الجنة احد بعمله وانما يدخلونها
برحمة الله فان دخول الجنة برحمة الله واقتسام الدرجات والمنازل بالاعمال وقيل ان
العمل الصالح لن يناله المومن ولم يبلغه الا برحمة الله وتوفيقه واذا كان العمل الصالح
بسبب الرحمة كان دخول الجنة في الحقيقة برحمة الله وجعلها الله ثوابا وجزا لهم
على تلك الاعمال الصالحة التي عملوها في دار الدنيا والله اعلم قوله تعالى ونادى
اصحاب الجنة اصحاب النار يعني ونادى اهل الجنة اهل النار وهذا الندا انما
يكون بعد استقرار اهل الجنة في الجنة واهل النار في النار فيقول اهل الجنة يا اهل
النار ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا يعني ما وعدنا في الدنيا على السن الرسل من الثواب
على الايمان به وبرسله وطاعته حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا يعني من العذاب
على الكفر قالوا نعم قال اهل النار مجيبين لاهل الجنة نعم وجدنا ذلك حقا فان قلت
هذا الندا من كان اهل الجنة لكل اهل النار او من البعض للبعض قلت
ظاهر قوله ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار يفيد العموم والجمع اذ قابل الجميع

يوزع الفرد

يوزع الفرد على الفرد فكل فريق من اهل الجنة ينادي من كان يعرفه من الكفار
في دار الدنيا فان قلت اذا كانت الجنة في السما والنار في الارض فكيف يمكن
ان يبلغ هذا الندا وكيف يصح ان يقع قلت ان الله قادر ان يقوي الاصوات
والاسماع فيصير البعيد كالقريب وقوله تعالى فاذن موذن بينهم يعني نادى مناد
واعلم ان اصل الاذان في اللغة الاعلام والمعنى نادى مناد اسمع الفريقين وهذا
المنادي من الملايكة وقيل انه اسرافيل صاحب الصور ذكره الواحدي ان لعنة الله على
الظالمين يعني يقول الموذن ان لعنة الله على الظالمين ثم فسر الظالمين من هم
فقال تعالى الذين يصدون عن سبيل الله يعني الذين يمنعون الناس عن الدخول في دين
الاسلام ويبغونها عوجا يعني رجاء ولوان يغيروا دين الله وطريقته التي شرع لعباده
ويبدلونها وقيل معناه انهم يصلون لغير الله ويعظمون ما لم يعظمه الله وذلك
انهم طلبوا سبيل الله بالصلاة لغير الله وتعظيم ما لم يعظمه فاخطاوا الطريق وضلوا
عن السبيل وهم بالاخرة كافرون يعني وهم بكون الاخرة واقعة جاحدون منكرون
لها قوله عز وجل وبينهما حجاب يعني وبين الجنة والنار وقيل بين اهل الجنة واهل النار
حجاب وهو المذكور في قوله تعالى فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة
وظاهره من قبله العذاب قال مجاهد الاعراف حجاب بين الجنة والنار وقال السدي
وبينهما حجاب هو السور وهو الاعراف وقوله وعلى الاعراف رجال الاعراف جمع عرف
وهو كل مرتفع من الارض ومنه قيل عرف الديك لارتفاعه على ما سواه من جسده
سمي بذلك لانه بسبب ارتفاعه صار اعرف مما بين مما انخفض وقال السدي انما
سمي الاعراف لان اصحابه يعرفون الناس وقال ابن عباس الاعراف الشي المشرف
وعنه قال الاعراف سور كعرف الديك وعنه ان الاعراف تل بين الجنة والنار
يجلس عليه ناس من اهل الذنوب بين الجنة والنار واختلف العلما في صفة الرجال
الذين اخبر الله عنهم انهم على الاعراف واما السبب الذي من اجله صاروا هنالك
فروي عن حذيفة انه سيل عن اصحاب الاعراف فقال هم قوم استوت حسناتهم وسياتهم
فقصرت بهم سياتهم عن الجنة وخلفت بهم حسناتهم عن النار فوقفوا هنالك
على السور حتى يقضي الله فيهم قال بعضهم انما جعلوا على الاعراف لانها درجة متوسطة
بين الجنة والنار فهم لا من اهل الجنة ولا من اهل النار لكن الله يدخلهم الجنة بفضله
ورحمته لانه ليس في الاخرة دار الا الجنة او النار وقال ابن مسعود يحاسب الناس يوم القيامة
فمن كانت حسناته اكثر بواحدة دخل الجنة ومن كانت سياته اكثر بواحدة دخل النار
ثم قرا فمن ثقلت موازينه الاية ثم قال ان الميزان يخف وينقل بمثقال حبة ومن استوت حسناته وسياته كان من اصحاب الاعراف
فوقفوا على الاعراف فاذا نظروا الى اهل الجنة نادوا سلام عليكم واذا نظروا الى اهل
النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين فهنالك يقول الله لم يدخلوها وهم
يطمعون فكان الطمع دخولا قال ابن مسعود ان العبد اذا عمل حسنة كتب له

بها عشر واذا عمل سيئة لم تكتب الا واحدة ثم قال هلك من غلب وحدانه اعشاره
وقال ابن عباس الاعراف سور بين الجنة والنار واصحاب الاعراف قوم استوت
حسناتهم وسياتهم فهم بذلك المكان حتى اذا اراد الله ان يعافيهم انطلق بهم الى
نهر يقال له الحياة حافتاه قضب الذهب مكلل باللؤلؤ ترابه المسك فالقوا فيه حتى
تصلح الوانهم وتبدو في نحورهم شامة بيضاء يعرفون بها حتى اذا اصلحت الوانهم
اتى بهم الرحمن تبارك وتعالى فقال تمنوا ما شئتم فيتمنوا حتى اذا انقطعت امنيتهم
قال لهم لكم الذي تمنيتم ومثله سبعون ضعفا فيدخلون الجنة وفي نحورهم شامة
بيضاء يعرفون بها يسمون مساكين اهل الجنة ذكره ابن جرير في تفسيره وقال
شرحبيل بن سعد اصحاب الاعراف قوم خرجوا في الغزو بغير اذن اباءهم رواه
الطبري بسنده الى يحيى بن شبل مولى بني هاشم عن محمد بن عبد الرحمن عن ابيه
قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اصحاب الاعراف فقال هم قوم
قتلوا عصاة لاباءهم فمنعهم قتلهم في سبيل الله عن النار ومنعهم معصيته
اباءهم ان يدخلوا الجنة زاد في رواية فهم اخر من يدخل الجنة وذكر ابن الجوزي انهم
قوم رضي اباؤهم دون امهاتهم وامهاتهم دون اباءهم ورواه عن ابراهيم وذكر عن
ابي صالح مولى التوءمة عن ابن عباس انهم اولاد الزنا وقيل انهم الذين ماتوا
في الفترة وفيه بعد لان امر اصحاب الاعراف الى الجنة وهولا الذين ماتوا في الفترة
الله اعلم بحالهم وهو متولي امرهم وقيل انهم اولاد المشركين الذين ماتوا اطفالا
وهذا القول يدل على ان اصحاب الاعراف الذي قبله لانه داخل في حكمه وهذه
الاقوال تدل على ان اصحاب الاعراف دون اهل الجنة في الدرجات وان كانوا
يدخلون الجنة برحمة الله وقال مجاهد اصحاب الاعراف قوم صالحون فقهاء
علماء فعلى هذا القول انما يكون لبثهم على الاعراف على سبيل النزهة اوليرى
غيرهم شرفهم وفضلهم وقيل انهم انبياء حكاه ابن الانباري وانما اجلسهم الله
على ذلك المكان العالي تمييزا لهم على ساير اهل القيامة واظهارا لفضلهم
وعلو مرتبتهم وليكونوا مشرفين على اهل الجنة والنار ومطلعين على احوالهم
ومقادير ثواب اهل الجنة وعقاب اهل النار وقال ابو مجلز اصحاب الاعراف
ملايكة يعرفون الفريقين بسيماهم يعني يعرفون اهل الجنة واهل النار فقيل
لابي مجلز ان الله تعالى يقول وعلى الاعراف رجال فانت تقول انهم ملايكة فقال
ان الملايكة ذكور ليسوا باناث وضعف الطبري قول ابن مجلز قال لان لفظ الرجال
في لسان العرب لا يطلق الا على الذكور من بني ادم دون اناثهم ودون ساير الخلق
وحاصل هذه الاقوال ان اصحاب الاعراف افضل من اهل الجنة لانهم على منهم منزلة
وافضل وقيل انما اجلسهم الله في ذلك المكان العالي ليميزوا بين اهل الجنة
واهل النار والله اعلم بمراده واسرار كتابه وقوله تعالى يعرفون كلا بسيماهم

يعني ان

يعني ان اصحاب الاعراف يعرفون اهل الجنة بسيماهم وذلك بياض وجوههم ونضرة النعيم
عليها ويعرفون اهل النار بسيماهم وذلك سواد وجوههم وزرقة عيونهم و
السيما العلامة الدالة على الشي واصله من السمة قال ابن عباس ان اصحاب الاعراف
اذا راوا اصحاب الجنة عرفوهم ببياض الوجوه واذا راوا اصحاب النار عرفوهم بسواد
الوجوه فان قلنا ان اصحاب الاعراف من استوت حسناتهم وسياتهم وهم دون
اهل الجنة في الدرجة فاوقفهم الله على الاعراف ليكونوا درجة متوسطة بين
الجنة والنار فاذا راوا اهل الجنة عرفوهم ببياض وجوههم نادوهم ان سلام
عليكم وهو قوله تعالى ونادوا اصحاب الجنة ان سلام عليكم يعني نادى اصحاب
الاعراف اصحاب الجنة ان سلام عليكم يعني سلمتم من الافات وحصل لكم الامن
والسلامة واذا راوا اهل النار يعرفونهم بسواد وجوههم قالوا ربنا لا تجعلنا
مع القوم الظالمين وان قلنا ان اصحاب الاعراف هم الاشراف والافاضل من
اهل الجنة كان جلوسهم على الاعراف ليطلعوا على احوال اهل الجنة واهل النار ثم ينقلهم
الله عز وجل الى الدرجات العالية في الجنة وقوله تعالى لم يدخلوها وهم يطمعون يعني في دخول
الجنة قال الحسن ما جعل الله ذلك الطمع في قلوبهم الا لكرامة يريدها بهم وقوله تعالى
واذا صرفت ابصارهم تلقاء اصحاب النار يعني واذا صرفت ابصار اصحاب الاعراف
تلقاء اصحاب النار يعني وجاههم وحيالهم فنظروا اليهم والى سواد وجوههم وما هم
فيه من العذاب قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين يعني الذين ظلموا انفسهم
بالشرك وقال ابن عباس ان اصحاب الاعراف اذا نظروا الى اهل النار عرفوهم
وقالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين والمعنى ان اصحاب الاعراف اذا نظروا الى
اهل النار وما هم فيه من العذاب تضرعوا الى الله وسالوه ان لا يجعلهم منهم قوله
تعالى ونادى اصحاب الاعراف رجالا يعني ونادى اصحاب الاعراف رجالا كانوا
عظماء في الدنيا وهم من اهل النار يعرفونهم بسيماهم يعني بسيما اهل النار قالوا يعني اصحاب
الاعراف لهولا الذين عرفوهم في النار ما اغنى عنكم جمعكم يعني ما كنتم تجمعون من
الاموال والعدد في الدنيا وما كنتم تستكبرون يعني وما اغنى عنكم تكبركم عن الايمان
شيئا قال الكلبي ينادونهم وهم على السور يا وليد بن المغيرة يا ابا جهل بن هشام
يا فلان يا فلان ثم ينظرون الى الجنة فيرون فيها الفقراء والضعفاء ممن كانوا يستهزون
بهم مثل سلمان وصهيب وخباب وبلال واشباههم فيقول اصحاب الاعراف
لاولئك الكفار اهولا لفظه استفهام يعني هولا الضعفاء الذين اقسمتم بالله لا ينالهم
الله برحمة يعني انكم حلفتم انهم لا يدخلون الجنة وقد دخلوا الجنة ثم يقول الله لاصحاب
الاعراف ادخلوا الجنة بفضلي ورحمتي لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون وقيل ان
اصحاب الاعراف اذا قالوا لاهل النار ما اخبر الله عنهم قال لهم اهل النار ان اولئك
دخلوا الجنة وانتم لم تدخلوها فيعيرونهم بذلك ويقسمون انهم لا يدخلون الجنة ولا ينالهم

الله برحمة ثم تقول الملائكة لاصحاب الاعراف ادخلوا الجنة برحمة الله لا خوف عليكم
ولا انتم تحزنون قوله عز وجل ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة ان افيضوا
علينا من الماء قال ابن عباس لما صار اصحاب الاعراف الى الجنة طمع اهل النار
في الفرج فقالوا يا رب ان لنا قرابات من اهل الجنة فاذن لنا حتى نريهم و
نكلمهم فياذن لهم فينظروا الى قراباتهم في الجنة وما هم فيه من النعيم فيعرفونهم
وينظر اهل الجنة الى قراباتهم من اهل النار فلم يعرفوهم لسواد وجوههم فينادي
اصحاب النار اصحاب الجنة باسمائهم فينادي الرجل اباه واخاه فيقول قد احترقت
افض علي فيقال لهم اجيبوهم فيقولون ان الله حرمهما على الكافرين ومعنى الاية
ان اهل النار يستغيثون باهل الجنة اذا استقروا فيها وذلك عند نزول البلاء باهل
النار وما يلقون من شدة العطش والجوع عقوبة من الله على ما سلف منهم
في الدنيا من الكفر والمعاصي يقول اهل النار لاهل الجنة يا اهل الجنة افيضوا علينا من
الماء يعني صبوا علينا من الماء او مما رزقكم الله قالوا يعني واطعمونا مما رزقكم الله ووسعوا
علينا من طعام الجنة فيجيبهم اهل الجنة ان الله حرمهما على الكافرين وهذا الجواب
يفيد حرمان قال بعضهم لما كانت شهواتهم في الدنيا في لذة الاكل والشرب عذبهم
الله في الاخرة بشدة الجوع والعطش فسالوا ما كانوا يعتادونه في الدنيا من طلب
الاكل والشرب فاجيبوا بان الله حرمهما على الكافرين يعني طعام الجنة وشرابها ثم
وصف الكافرين فقال تعالى الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا يعني انهم تلاعبوا بدينهم
الذي شرع لهم ولهوا عنه واصل اللهو ما يشغل الانسان عما يعنيه ويهمه يقال لهوت
بكذا ولهيت عن كذا اي اشتغلت عنه قال ابن عباس هم المستهزءون وذلك انهم كانوا
اذا دعوا الى الايمان سخروا ممن دعاهم اليه وهزءوا به اغترارا بالله عز وجل وقيل هو ما زين
لهم الشيطان من تحريم البحاير والسوايب والمكاء والتصدية حول البيت وساير الخصال
الذميمة التي كانوا يفعلونها في الجاهلية وقيل معنى اتخذوا دينهم يعني عيدهم اتخذوه
لهوا ولعبا لا يذكرون الله فيه وغرتهم الحياة الدنيا يعني وخدعهم عاجل ما هم فيه من
خفض العيش والدعة وشغلهم ما هم فيه من ذلك عن الايمان بالله ورسوله وعن
الاخذ بنصيبهم من الاخرة حتى اتتهم المنية وهم على ذلك والغرة غفلة في اليقظة
وهو طمع الانسان في طول العمر وحسن العيش وكثرة المال والجاه ونيل الشهوات فاذا حصل
له ذلك صار محجوبا عن الدين وطلب الخلاص لانه غريق في الدنيا بلذاته وما هو فيه
من ذلك ولما وصفهم الله بهذه الصفات الذميمة قال فاليوم يعني يوم القيامة ننساهم
كما نسوا لقاء يومهم هذا يعني فاليوم نتركهم في العذاب المهين جياعا عطاشا كما
تركوا العمل للقاء يومهم هذا وهذا قول ابن عباس ومجاهد والسدي قال ابن عباس نسيهم
من الخير ولم ينسهم من الشر وقيل معناه نعاملهم معاملة من نسي فنتركهم في النار كما تركوا

العمل واعرضوا

العمل واعرضوا عن الايمان اعراض الناسي سمى الله تعالى جزاء نسيانهم بالنسيان
على المجاز لان الله تعالى لا ينسى شيئا فهو كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها فيكون المراد
من هذا النسيان ان الله لا يجيب دعاءهم ولا يرحم ضعفهم وذلتهم بل يتركهم في النار
كما تركوا العمل والايمان وما كانوا باياتنا يجحدون يعني ونتركهم في النار كما كانوا
بدلايل وحدانيتنا يكذبون قوله تعالى ولقد جئناهم بكتاب يعني ولقد جئنا هؤلاء
الكفار بالقران الذي انزلناه عليك يا محمد فصلناه اي بيناه على علم منا بما نفصله
وبيناه هدى ورحمة لقوم يؤمنون اي جعلنا القران هاديا وذا رحمة لقوم يؤمنون
هل ينظرون الا تاويله يعني ينظرون هؤلاء الكفار الذين كذبوا باياتنا وجحدوها ولم
يؤمنوا بها الا تاويله يعني هل ينظرون ويتوقعون الا ما وعدوا به على السنة الرسل
من العذاب وان مصيرهم الى النار فالتاويل ما يؤول اليه الشيء يوم ياتي تاويله
يعني يوم القيامة لانه يوم الجزاء وما يؤول اليه امورهم يقول الذين نسوه من قبل
يعني يقول الذين تركوا العمل بالقران ولم يؤمنوا به يوم القيامة عند معاينة العذاب
قد جاءت رسل ربنا بالحق اقروا على انفسهم واعترفوا حين لا ينفعهم ذلك الاعتراف
والاقرار والمعنى ان الكفار اقروا بان الذي جاءت به الرسل من الايمان والتصديق بيوم
والحشر والنشر والبعث ليوم القيامة والثواب والعقاب حق وصدق وانما اقروا
بهذه الاشياء انهم شاهدوا ما عاينته وذلك حين لا ينفعهم ولما راوا انفسهم في العذاب
والسوء فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا او نرد فنعمل غير الذي كنا نعمل يعني انه ليس
لنا طريق الى الخلاص مما نحن فيه من العذاب الا ان يشفع لنا شفيع عند ربنا فيقبل
شفاعته فينا فيخلصنا من هذا العذاب او نرد الى الدنيا فنعمل غير الذي كنا نعمله فيها
فنبدل الكفر بالتوحيد والايمان والمعاصي بالطاعة والانابة قد خسروا انفسهم ان الذي
طلبوه لا يحصل لهم فتبين خسرانهم واهلاكهم انفسهم لانهم كانوا في الدنيا اول مرة
فلم يعملوا بطاعة الله ولو ردوا الى الدنيا لعادوا لما كانوا عليه من الكفر والعصيان
لسابق علم الله فيهم وقوله وضل عنهم ما كانوا يفترون يعني وبطل وذهب عنهم ما كانوا
يزعمون ويكذبون في الدنيا من ان الاصنام تشفع لهم فلما افضوا الى الاخرة ذهب
ذلك عنهم وعلموا انهم كانوا في دعواهم كاذبين قوله عز وجل ان ربكم الله يعني ان
سيدكم ومالككم ومصلح اموركم والذي يوصل الخيرات اليكم ويدفع عنكم المكاره هو الله
الذي خلق السموات والارض في ستة ايام اصل الخلق في اللغة التقدير المستقيم ويستعمل
في ابداع الشيء من غير اصل سبق ولا ابتداء تقدم فقوله خلق السموات والارض يعني ابدعهما
وانشا خلقهما على غير مثال سبق وقدر احوالهما في ستة ايام فان قلت اليوم عبارة
عن مقدار من الزمان وذلك المقدار هو من طلوع الشمس الى غروبها فكيف قال
في ستة ايام ولم يكن ثم شمس ولا سماء قلت معناه في مقدار ستة ايام فهو كقوله ولهم

رزقهم فيها بكرة وعشيا يعني على مقادير البكر والعشي في الدنيا لان الجنة لا ليل ولا نهار
واختلف العلما في اليوم الذي ابتدا الله عز وجل بخلق الاشيا فقيل في يوم السبت وهو
قول محمد بن اسحاق وغيره ويدل لصحة هذا القول ما روى مسلم في افراده من حديث ابي هريرة
قال اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي فقال خلق الله تعالى التربة يوم السبت وخلق فيها
الجبال يوم الاحد وخلق الشجر يوم الاثنين وخلق المكروه يوم الثلاثا وخلق النور يوم الاربعا
وخلق الدواب يوم الخميس وخلق ادم بعد العصر من يوم الجمعة في اخر الخلق في اخر ساعة
من ساعات الجمعة فيما بين العصر الى الليل وهذا الحديث وان كان في صحيح مسلم ففيه مقال
وقد انكره بعض العلما لما فيه من المخالفة للاية الكريمة لان الله تعالى يقول خلق السموات
والارض في ستة ايام وقال في اية اخرى ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما في ستة
ايام فدل بهذين النصين على ان جميع الخلق تم وكمل في ستة ايام والذي في الحديث ان
بعض الخلق وقع في سبعة ايام وذلك مجموع ايام الاسبوع فلهذا السبب انكره من انكره من
العلما وقد ذكر الازهري في كتابه تهذيب اللغة ما يقوي الحديث فقال وقال فيه الانباري
السبت القطع وسمي يوم السبت لان الله تعالى ابتدا الخلق يوم السبت وقطع فيه بعض خلق
الارض وقيل ان ابتدا الخلق كان يوم الاحد وهو قول عبد الله بن سلام وكعب الاحبار
والضحاك ومجاهد واختاره ابن جرير الطبري قال الطبري خلق الله السموات والارض وما بينهما
في ستة ايام وذلك يوم الاحد والاثنين والثلاثا والاربعا والخميس والجمعة وروى بسنده
عن مجاهد قال بدا الخلق العرش والما والهوى وخلقت الارض من الما وبدا الخلق
يوم الاحد والاثنين والثلاثا والاربعا والخميس وخلق الخلق في يوم الجمعة وتهودت
اليهود يوم السبت ويوم السبت الايام كالف سنة مما تعدون ويعضد هذا القول
ما حكاه صاحب المحكم ابن سيدة قال وسمي سابع الاسبوع سبتا لان ابتدا الخلق كان من
يوم الاحد الى يوم الجمعة ولم يكن في السبت خلق قال اصحاب الاخبار والسير
والتواريخ ان الله عز وجل خلق التربة التي هي الارض بلا دحو ولا بسط في يوم الاحد
والاثنين ثم استوى الى السما فسواهن سبع سموات في يومين وهما الثلاثا والاربعا ثم
دحا الارض وبسطها وطحاها واخرج ماها ومرعاها وخلق دوابها ووحشها وجميع ما
فيها في يومين وهما الخميس والجمعة وخلق ادم في يوم الجمعة اخر الخلق اخر ساعة من
ساعات الجمعة وقيل خلق الله عز وجل التربة يوم الاحد ثم استوى الى السما فخلقها وجميع ما
فيها من يوم الاثنين والثلاثا ثم مد الارض ودحاها يوم الاربعا والخميس وخلق ادم
يوم الجمعة واسكنه الجنة هو وزوجته حوى ثم اهبطهما الى الارض في اخر ساعة من يوم
الجمعة وقيل اول ما خلق الله القلم ثم اللوح فكتب فيه ما كان وما سيكون وما خلق
وما هو خالق الى يوم القيامة ثم خلق الظلمة والنور ثم خلق العرش ثم خلق السما من درة بيضا
ثم خلق التربة ثم خلق السموات وما فيها من نجوم وشمس وقمر ثم مد الارض وبسطها ثم التربة

التي خلقها

التي خلقها اولا ثم خلق جميع ما فيها من جبال وشجر ودواب وغير ذلك ثم خلق ادم
اخر الخلق في اخر ساعة من ساعات يوم الجمعة وفيه اهبط الى الارض فتكامل جميع الخلق
في ستة ايام كل يوم مقدار الف سنة وهذا قول جمهور العلما وقيل في ستة ايام
من ايام الدنيا فان قلت ان الله عز وجل قادر ان يخلق جميع الخلق في لحظة واحدة
ومنه قوله وما امرنا الا واحدة كلمح بالبصر فما الفايدة في خلق السموات والارض
في ستة ايام وما الحكمة في ذلك قلت ان الله سبحانه وتعالى وان كان قادرا على
خلق جميع الاشيا في لحظة واحدة الا انه تعالى جعل لكل شي حدا محدودا ووقتا
معلوما فلا يدخل في الوجود الا في ذلك الوقت والمقصود من ذلك تعليم عباده
التثبت والتاني في الامور قال سعيد بن جبير كان الله عز وجل قادرا على خلق
السموات والارض في لمحة ولحظة فخلقهن في ستة ايام تعليما لخلقه التثبت والتاني
كما في الحديث التاني من الله والعجلة من الشيطان وقيل ان الشي اذا احدث دفعة
واحدة فلعله ان يخطر ببال بعضهم ان ذلك الشي انما وقع على سبيل الاتفاق
فاذا احدث شيا بعد شي على سبيل المصلحة والحكمة كان ذلك ابلغ في القدرة
واقوى في الدلالة وقيل ان الله تعالى اراد ان يوقع في كل يوم امرا من امره حتى
تستعظمه الملايكة وغيرهم ممن شاهده وقيل ان التعجيل في الخلق ابلغ في القدرة
والتثبيت ابلغ في الحكمة فاراد الله تعالى اظهار حكمته في خلق الاشيا في التثبت
كما اظهر قدرته في خلق الاشيا بكن فيكون وقوله تعالى ثم استوى على العرش العرش
في اللغة السرير وقيل هو ما علا فاظل وسمي مجلس السلطان عرشا اعتبارا بعلوه
ويكنى عن العز والسلطان والمملكة بالعرش على الاستعارة والمجاز يقال فلان ثل
عرشه بمعنى ذهب عزه وملكه وسلطانه قال الراغب في كتاب مفردات القران
وعرش الله عز وجل مما لا يعلمه البشر الا بالاسم على الحقيقة وليس كما يذهب اليه
اوهام العامة فانه لو كان كذلك لكان حاملا له تعالى عن ذلك وليس كما
قال قوم انه الفلك الاعلى والكرسي فلك الكواكب واما استوى بمعنى استقر
فقد رواه البيهقي في كتابه الاسما والصفات بروايات كثيرة عن جماعة من السلف
وضعفها كلها وقال اما الاستوا فالمتقدمون من اصحابنا كانوا لا يفسرونه
ولا يتكلمون فيه كنحو مذهبهم في امثال ذلك وروى بسنده عن عبد الله بن وهب
قال كنا عند مالك بن انس فدخل رجل فقال يا ابا عبد الرحمن على العرش استوى
كيف استواه قال فاطرق مالك واخذته الرحضا ثم رفع راسه فقال الرحمن على
العرش استوى كما وصف نفسه ولا يقال له كيف وكيف عنه مرفوع وانت رجل
سو صاحب بدعة اخرجوه فاخرج الرجل وفي رواية يحيى بن يحيى قال كنا عند مالك
ابن انس فجا رجل فقال يا ابا عبد الله الرحمن على العرش استوى كيف استواه فاطرق مالك

راسه حتى علاه الرحضاء ثم قال الاستوا غير مجهول والكيف غير معقول والايمان به
واجب والسوال عنه بدعة وما اراك الا مبتدعا فامر به ان يخرج وروى البيهقي
بسنده عن ابن عيينة قال كلما وصف الله به نفسه في كتابه فتفسيره تلاوته
والسكوت عنه قال البيهقي والاثار عن السلف في مثل هذا كثيرة وعلى هذه الطريقة
يدل مذهب الشافعي واليه ذهب احمد بن حنبل والحسن بن الفضل البجلي ومن
المتاخرين ابو سليمان الخطابي قال البغوي اهل السنة يقولون الاستوا على العرش
صفة لله تعالى بلا كيف يجب على الرجل الايمان به ويكل العلم به الى الله عز وجل
وذكر حديث انس بن مالك مع الرجل الذي ساله عن الاستوا وقد تقدم وروى
عن سفيان الثوري والاوزاعي والليث بن سعد وسفيان بن عيينة وعبد الله بن
المبارك وغيرهم من علما السنة في هذه الايات التي جاءت في الصفات المتشابهة
امروها كما جاءت بلا كيف وقال الامام فخر الدين الرازي بعد ذكره الدلايل العقلية
والسمعية انه لا يمكن حمل قوله تعالى ثم استوى على العرش على الجلوس والاستقرار وشغل
المكان والحيز وعند هذا حصل للعلما الراسخين مذهبان الاول ان نقطع بكونه تعالى
متعاليا عن المكان والجهة ولا نخوض في تاويل الاية على التفصيل بل نفوض علمها
الى الله عز وجل وهو الذي قررناه في تفسير قوله وما يعلم تاويله الا الله والراسخون
في العلم يقولون امنا به وهذا المذهب هو الذي نختاره ونقول به ونعتمد عليه
والمذهب الثاني ان نخوض في تاويله على التفصيل وفيه قولان ملخصان الاول
ما ذكره القفال فقال العرش في كلامهم هو السرير الذي يجلس عليه الملوك ثم جعل
العرش كناية عن نفس الملك يقال ثل عرشه اي انتقض ملكه واذا استقام
له ملكه واطرد امره وحكمه قالوا استوى على عرشه واستوى على سرير ملكه هذا ما قاله
القفال والذي قاله القفال حق وصواب ثم قال والله تعالى دل على ذاته وصفاته
وكيفية تدبيره العالم على الوجه الذي الفوه من ملوكهم واستقر في قلوبهم عظمة الله
جل جلاله وكمال قدرته وذلك مشروط بنفي التشبيه والمراد منه نفاذ القدرة و
جريان المشية قال ويدل على صحة هذا قوله في سورة يونس ثم استوى على
العرش يدبر الامر جرى مجرى التفسير لقوله استوى على العرش واورد على
هذا القول بان الله تعالى لم يكن مستويا على الملك قبل خلق السموات والارض والله تعالى
منزه عن ذلك واجيب عنه بان الله تعالى كان قبل خلق السموات والارض مالكها لكن
لا يصح ان يقال شبع زيد الا بعد اكله الطعام فاذا فسر العرش بالملك صح ان يقال
انما استوى ملكه بعد خلق السموات والارض والقول الثاني ان يكون استوى بمعنى
استولى وهذا مذهب المعتزلة وجماعة من المتكلمين واحتجوا بقول الشاعر
ثم استوى بشر على العراق ۝ من غير سيف ودم مهراق ۝ وعلى هذا القول انما خص

العرش بالاخبار عنه بالاستيلا عليه لانه اعظم المخلوقات ورد هذا القول بان العرب
لا تعرف استوى بمعنى استولى وانما يقال استولى فلان على كذا اذا لم يكن في ملكه ثم ملكه
واستولى عليه والله تعالى لم يزل مالكا للاشيا كلها ومستوليا عليها فاي تخصيص للعرش
هنا دون غيره من المخلوقات ونقل البيهقي عن ابي الحسن الاشعري ان الله فعل في العرش
فعلا سماه استوى كما فعل في غيره فعلا سماه رزقا ونعمة او غيرهما من افعاله ثم لم يكيف
الاستوا الا انه جعله من صفات الفعل لقوله تعالى ثم استوى على العرش وثم للتراخي و
التراخي انما يكون في الافعال وافعال الله تعالى توجد بلا مباشرة منه اياها ولا حركة وحكى
الاستاذ ابو بكر بن فورك عن بعض اصحابنا انه قال استوى بمعنى علا من العلو قال
ولا يريد بذلك علوا بالمسافة والتحيز والكون في المكان متمكنا فيه ولكن يريد
معنى نفي الحيز عنه وانه ليس مما يحويه طبق او يحيط به قطر ووصف الله تعالى بذلك
طريقة الخبر ولا يتعدى ما ورد به الخبر قال البيهقي وهو على هذه الطريقة من صفات
الذات وكلمة ثم تعلقت بالمستولى عليه لا بالاستوا قال وقد اشار ابو الحسن الاشعري
الى هذه الطريقة حكاية قال بعض اصحابنا انه صفة ذات قال وجوابي هو الاول وهو
ان الله تعالى مستو على عرشه وانه فوق الاشيا باين منها بمعنى انه لا تحله ولا يحلها
ولا يماسها ولا يشبهها وليست البينونة بالعزلة تعالى الله ربنا عن الحلول والمماسة
علوا كبيرا وقد قال بعض اصحابنا ان الاستوى صفة لله تعالى تنفي الاعوجاج عنه
وروي ان ابن الاعرابي جاءه رجل فقال يا ابا عبد الله ما معنى قوله الرحمن على العرش
استوى قال انه مستو على عرشه كما اخبر فقال الرجل انما معنى قوله استوى اي استولى
فقال له ابن الاعرابي ما يدريك ان العرب لا تقول استولى على الشي فلان حتى
يكون له فيه مضاد فايهما غلب قيل لمن غلب قد استولى عليه والله تعالى
لا مضاد له فهو على عرشه كما اخبر لا كما تظنه البشر والله اعلم وقوله تعالى يغشي
الليل النهار يعني انه تعالى ياتي بالليل على النهار فيغطيه ويلبسه حتى يذهب بنوره
وفيه حذف تقديره ويغشي النهار على الليل وانما لم يذكر النهار لدلالة الكلام
عليه يطلبه حثيثا يعني سريعا وذلك انه اذا كان يعقب احدهما الاخر ويخلفه
فكانه يطلبه حكى الامام فخر الدين عن القفال انه قال ان الله تعالى لما اخبر عباده
باستوائه على العرش اخبر عن استمرار امور المخلوقات على وفق مشيته واراهم ذلك
فيما يشاهدونه منها لينضم العيان الى الخبر وتزول الشبهة عن كل الجهات قال الامام واعلم
انه سبحانه وتعالى وصف هذه الحركة بالسرعة الشديدة وذلك لان تعاقب الليل
والنهار انما يحصل بحركة الفلك الاعظم وتلك الحركة اشد الحركات سرعة فان
الانسان اذا كان في اشد عدوه فبمقدار رفع رجله ووضعها يتحرك الفلك الاعظم ثلاثة
الاف ميل وهي الف فرسخ فلهذا قال تعالى يطلبه حثيثا لسرعة حركته والشمس والقمر

والنجوم مسخرات بامره يعني التسخير التذليل وقال الزجاج وخلق هذه الاشياء جاريات
في مجاريها بامره وقال المفسرون يعني سخرهن تذليلهن لما يراد منهن من طلوع وغروب
وسير ورجوع اذ ليس هن قادرات بانفسهن وانما هن يتصرفن في متصرفاتهن على
ارادة المدبر لهن الحكيم في تدبيرهن وتصريفهن على ما اراد منهن والمراد بالامر في قوله
بامره نفاذ ارادته لان الغرض في هذه الاية تبيين عظمة قدرته ومنهم من حمل الامر على
الامر الذي هو الكلام وقال انه تعالى امر هذه الاجرام بالسير الدايم والحركة المستمرة الى انقضاء الدنيا
وخراب هذا العالم فان قلت ان الشمس والقمر من النجوم فلم افردهما بالذكر ثم عطف
عليهما ذكر النجوم قلت انما افردهما بالذكر لبيان شرفهما على ساير الكواكب لما فيهما من الاشراق
والنور وتسييرهما في المنازل لتعرف الاوقات فهو كقوله من كان عدوا لله وملايكته ورسله
وجبريل وميكال فعطف جبريل وميكايل على ذكر الملايكة وان كانا من الملايكة لبيان
شرفهما وفضلهما على غيرهما من الملايكة وقوله تعالى الا له الخلق والامر يعني له الخلق لانه خلقهم
وله ان يامر فيهم بما اراد وله ان يحكم فيهم بما يشا وعلى هذا المعنى الامر هنا الذي هو نقيض
النهي واستخرج سفيان بن عيينة من هذا المعنى ان كلام الله عز وجل ليس بمخلوق فقال
ان الله تعالى فرق بين الخلق والامر فمن جمع بينهما فقد كفر يعني ان من جعل الامر الذي هو
كلامه من جملة ما خلقه فقد كفر لان المخلوق لا يقوم بمخلوق مثله وقيل معناه ان جميع
ما في العالم لله عز وجل والخلق له لانه خلقهم وجميع الامور تجري بقضايه وقدره فهو
مجريها ومنشيها فلا يبقى بعد هذا لاحد شي وقيل المراد بالامر هنا الارادة لان الغرض
من الاية تعظيم القدرة وفي الاية دليل على انه لا خالق الا الله عز وجل ففيه رد على من
يقول ان للشمس والقمر والكواكب تاثيرات في هذا العالم فاخبر الله انه هو الخالق المدبر
لهذا العالم لا الشمس والقمر والكواكب وله الامر المطلق وليس لاحد امر غيره فهو الامر والناهي
الذي يفعل ما يشا ويحكم ما يريد لا اعتراض لاحد من خلقه عليه تبارك الله يعني تمجد
وتعظم وارتفع وقال الزجاج تفاعل من البركة ومعنى البركة الكثرة من كل خير وقيل معناه
تعالى وتعظم الله رب العالمين يعني انه هو الذي يستحق التعظيم وذلك ان الله تعالى
افتتح هذه الاية بقوله ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض وذكر اشيا من عظيم
خلقه وان له الخلق والامر والنهي والقدرة عليهم ختم الاية بالثنا عليه لانه هو
المستحق للحمد المطلق والثنا والتعظيم وقال ابن عباس معناه جا بكل بركة وقيل تبارك
معناه تقدس والتقديس الطهارة وقيل معناه تبارك باسمه يتبرك في كل شي وقال
المحققون معنى هذه الصفة ثبت ودوام لما لم يزل ولا يزال واصل البركة الثبوت ويقال
تبارك الله ولا يقال متبارك ولا مبارك لانه لم يرد به التوقيف ادعوا ربكم قيل
معناه اعبدوا ربكم لان الدعا طلب الخير من الله تعالى وهذه صفة العبادة ولانه تعالى
عطف عليه قوله وادعوه خوفا وطمعا والمعطوف يجب ان يكون مغايرا للمعطوف

عليه وقيل

عليه وقيل المراد به حقيقة الدعا وهو الصحيح لان الدعا هو السوال فالطلب وهو نوع
انواع العبادة لان الداعي لا يقدم على الدعا الا اذا عرف من نفسه الحاجة الى
ذلك المطلوب وهو عاجز عن تحصيله وعرف ان ربه تبارك وتعالى يسمع الدعا
ويعلم حاجته وهو قادر على ايصالها الى الداعي فعند ذلك يعرف العبد نفسه بالعجز
والنقص ويعرف ربه بالقدرة والكمال وهو المراد من قوله تعالى تضرعا يعني ادعوا
ربكم تذللا واستكانة وهو اظهار الذل الذي في النفس والخشوع يقال ضرع فلان
لفلان اذا ذل له وخشع وقال الزجاج تضرعا يعني تملقا وحقيقته ان يدعوه خاضعين
خاشعين متعبدين بالدعا له تعالى وخفية يعني سرا في انفسكم وهو ضد العلانية
والادب في الدعا ان يكون خفيا لهذه الاية قال الحسن بين دعوة السر ودعوة
العلانية سبعون ضعفا ولقد كان المسلمون يجتهدون في الدعا ولا يسمع لهم صوت
ان كان الا همسا بينهم وبين ربهم وذلك ان الله تعالى يقول ادعوا ربكم تضرعا
وخفية وان الله تعالى ذكر عبدا صالحا ورضي فعله فقال تعالى اذ نادى ربه ندا خفيا ق
عن ابي موسى الاشعري قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل الناس يجهرون بالتكبير
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ايها الناس اربعوا على انفسكم انكم لا تدعون اصم ولا غايبا
انكم تدعون سميعا بصيرا وهو معكم والذي تدعونه اقرب الى احدكم من عنق راحلته
قال ابو موسى وانا خلفه اقول لا حول ولا قوة الا بالله في نفسي فقال يا عبد الله بن قيس
الا ادلك على كنز من كنوز الجنة فقلت بلى يا رسول الله قال لا حول ولا قوة الا بالله
قوله صلى الله عليه وسلم اربعوا على انفسكم يعني ارفقوا بها واقصروا عن الصياح في الدعا
وقوله تعالى انه لا يحب المعتدين يعني في الدعا وقال ابن مجلز هم الذين يسالون منازل
الانبيا عن عبد الله بن مغفل انه سمع ابنه يقول اللهم اني اسالك القصر الابيض
عن يمين الجنة اذا دخلتها قال اي بني سل الله الجنة وتعوذ به من النار فاني سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول سيكون في هذه الامة قوم يعتدون في الطهور والدعا
اخرجه ابو داود وقال ابن جريج من الاعتدا رفع الصوت والندا والصياح في الدعا وقيل
الاعتدا مجاوزة الحد فيدخل فيه كل من خالف امر الله ونهيه فقد اعتدى ودخل تحت قوله
تعالى انه لا يحب المعتدين وفرع بعض ارباب الطريقة على قوله تعالى ادعوا ربكم تضرعا
وخفية هل الافضل اظهار العبادات او الطاعات افضل من اظهارها لانه ابعد من الريا ولكونها
ابعد عن الريا وذهب بعضهم الى ان اظهارها افضل ليقتدي الغير فيعمل مثل عمله
وتوسط الشيخ محمد بن علي الحكيم فقال ان كان خايفا على نفسه من الريا فالاولى
اخفا العبادات صونا للعمل عن البطلان وان كان قد بلغ في الصفا وقوة اليقين
الى التمكين بحيث صار مباينا عن شايبة الريا كان الاولى في حقه الاظهار ليحصل فايدة
الاقتدا به وذهب بعضهم الى ان اظهار العبادات المفروضات افضل من اخفايها فعلا

المكتوبة في المسجد افضل من صلاته في بيته وصلاة النفل في البيت افضل من صلاته
في المسجد وكذا اظهار الزكاة افضل من اخفايها واخفا صدقة التطوع افضل
من اظهارها ويقاس على هذا ساير العبادات قوله تعالى ولا تفسدوا في الارض بعد
اصلاحها يعني ولا تفسدوا ايها الناس في الارض بالمعاصي والكفر والدعا الى غير
طاعة الله بعد اصلاح الله اياها ببعثة الرسل وبيان الشرايع والدعا الى طاعة
الله عز وجل وهذا معنى قول الحسن والسدي والضحاك والكلبي وقال عطية لا تعصوا في
الارض فيمسك الله المطر والخصب وقيل معنى الاية ولا تفسدوا في الارض شيا
بعد ان اصلحه الله تعالى فيدخل فيه المنع في اتلاف النفس بالقتل او فسادها بقطع
بعض الاعضا وافساد الاموال بالغصب والسرقة واخذه من الغير بوجوه الحيل
وافساد الاديان بالكفر واعتقاد البدع والاهوا المضلة وافساد الانساب بالاقدام
على الزنا وافساد العقول بسبب شرب المسكر وذلك لان المصالح المعتبرة في الدنيا
هي هذه الخمسة فمنع الله من ادخال الفساد في ماهيتها وقوله وادعوه خوفا وطمعا
اصل الخوف انزعاج في الباطن لما لا يومن من المضار وقيل هو توقع مكروه يحصل
فيما بعد والطمع توقع محبوب يحصل له والمعنى وادعوه خوفا منه ومن عقابه
وطمعا فيما عنده من جزيل ثوابه وقال ابن جريج معناه خوف العدل وطمع الفضل
وقيل معناه ادعوه خوفا من الريا والذكر في الدعا وطمعا في الاجابة فان قلت
قال في اول الاية ادعوا ربكم تضرعا وخفية وقال هنا وادعوه وهذا عطف الشي
على نفسه فما الفايدة في ذلك قلت الفايدة فيه ان المراد بقوله تعالى ادعوا ربكم
اي ليكن الدعا مقرونا بالتضرع والاخبات وقوله وادعوه خوفا وطمعا اي فايدة
الدعا احد هذين الامرين فكانت الاية الاولى في بيان شرط صحة الدعا والاية
الثانية في بيان فايدة الدعا وقيل معناه كونوا جامعين في انفسكم بين الخوف
والرجا في اعمالكم كلها ولا تطمعوا انكم وفيتم حق الله في العبادة والدعا وان
اجتهدتم فيهما ان رحمة الله اصل الرحمة رقة تقتضي الاحسان الى المرحوم وتستعمل
تارة في الرقة المجردة وتارة في الاحسان المجرد عن الرقة واذا وصف بها الباري عز وجل
فليس يراد بها الا الاحسان المجرد دون الرقة فرحمة الله عز وجل عبارة عن الافضال
والانعام على عباده وايصال الخير اليهم وقيل هي عبارة عن ارادة ايصال الخير
والنعمة الى عباده فعلى القول الاول تكون الرحمة من صفات الافعال وعلى القول
الثاني تكون من صفات الذات قريب من المحسنين قال سعيد بن جبير الرحمة هاهنا
الثواب فرجع النعت الى المعنى دون اللفظ وقيل ان تانيث الرحمة ليس بحقيقي
وما كان كذلك جاز فيه التانيث والتذكير عند اهل اللغة وكون الرحمة قريبة من
المحسنين لان الانسان في كل ساعة من الساعات في ادبار عن الدنيا واقبال على الاخرة

واذا كان

واذا كان كذلك كان الموت اقرب اليه من الحياة وليس بينه وبين الرحمة التي هي الثواب
في الاخرة الا الموت فانه قريب من الانسان قوله عز وجل وهو الذي يرسل الرياح
هذا عطف على ما قبله والمعنى ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض وهو الذي
يرسل الرياح نشرا قرى نشرا بالنون اراد جمع نشور وهي الريح الطيبة الهبوب
التي تهب من كل ناحية وقيل هو جمع ناشر يقال نشر الله الريح بمعنى احياها وقال
الفرا النشر الريح الطيبة اللينة التي تنشي السحاب وقال ابن الانباري النشر المنتشرة
الواسعة الهبوب وقيل النشر خلاف الطي فيحتمل انها كانت بانقطاعها كالمطوية
فانتشرت بمعنى ارسلت وقرى بشرا بالبا جمع بشيرة وهي التي تبشر بالمطر والريح هو الهوا
المتحرك يمنة ويسرة والرياح اربع الصبا وهي الشرقية والدبور وهي الغربية والشمال
وهي التي تهب من تحت القطب الشمالي والجنوب وهي القبلية وعن ابن عمر ان
الرياح ثمان اربع منها عذاب وهي القاصف والعاصف والصرصر والعقيم واربع
منها رحمة وهي الناشرات والمبشرات والمرسلات والذاريات بين يدي رحمته يعني امام المطر
الذي هو رحمة وانما سماه رحمة لانه سبب لحياة الارض الميتة قال ابو بكر بن الانباري
اليدان تستعملها العرب في المجاز على معنى التقدمة تقول هذه تكون الفتن بين
يدي الساعة يريدون قبل ان تقوم الساعة تمثيلا وتشبيها اذ كانت يد الانسان تتقدمه
كذلك الرياح تتقدم المطر وتوذن به عن ابي هريرة قال اخذت الناس ريح بطريق
مكة وعمر حاج فاشتدت فقال عمر لمن حوله ما بلغكم في الريح فلم يرجعوا اليه شيا وبلغني
الذي سال عمر عنه من امر الريح فاستحثثت راحلتي حتى ادركت عمر وكنت في موخر
الناس فقلت يا امير المومنين اخبرت انك سالت عن الريح فاني سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول الريح من روح الله تاتي بالرحمة وتاتي بالعذاب فاذا رايتموها
فلا تسبوها واسالوا الله من خيرها واستعيذوا بالله من شرها رواه الشافعي بطوله
واخرج ابو داود المسند منه وقال كعب الاحبار لو حبس الله الريح عن عباده ثلاثة
ايام لانتن اكثر اهل الارض قوله تعالى حتى اذا اقلت سحابا ثقالا يقال اقل فلان الشي اذا
حمله واشتقاق الاقلال من القلة فان من يرفع شيا يراه قليلا والسحاب جمع سحابة وهو
الغيم فيه ما او لم يكن فيه ما سمي سحابا لانسحابه في الهوا والمعنى حتى اذا حملت هذه
الرياح سحابا ثقالا بما فيها من الما قال السدي ان الله تبارك وتعالى يرسل الرياح فتاتي
بالسحاب من بين الخافقين وهو طرف السما والارض حيث يلتقيان فتخرجه ثم
تنشره فتبسطه في السما كيف شا ثم تفتح له ابواب السما فيسيل الما على السحاب ثم يمطر
السحاب بعد ذلك وقيل ان الله تعالى دبر بحكمته ان الرياح تحرك تحريكا شديدا فتثير
السحاب ثم تضم بعضها الى بعض فيتراكم وينعقد ويحمل الما ثم تسوقه الى حيث شا
الله عز وجل وهو قوله تعالى سقناه الى بلد ميت يعني الى بلد ميت فتكون اللام بمعنى

الى وقيل معناه لاجل حياة بلد ميت وانما قال سقناه لان لفظ السحاب مذكر وان كان جمع سحابة فكان ورد الكناية عنه بالتذكير جايز النظر الى اللفظ قال الازهري قال الليث البلد كل موضع من الارض عامرا او غير عامر خال او مسكون والطايفة منها بلدة والجمع بلاد زاد غيره والمفازة تسمى بلدة لكونها مسكن الوحش والجن قال الاعشى " وبلدة مثل ظهر الترس موحشة " للجن بالليل في حافاتها زجل " ومعنى الاية انا سقنا السحاب الى بلد ميت يحتاج الى الما لم ينزل فيه غيث ولم ينبت خضرة فانزلنا به الما اختلفوا في الضمير في قوله تعالى به الى ماذا يعود فقال الزجاج وابن الانباري جايز ان يكون المعنى فانزلنا بالسحاب الما لان السحاب آلة لانزال الما فاخرجنا به اى بذلك الما لان انزال الما كان سببا لاخراج الثمرات وقيل يحتمل ان يكون المعنى فاخرجنا بذلك المنبت من كل الثمرات يعني فاخرجنا بذلك البلد بعد موته وجدوبه من اصناف الثمار والزروع كذلك نخرج الموتى يعني كما احيينا البلد الميت كذلك نخرج الموتى احيا من قبورهم بعد فنايهم ودروس اثارهم واختلفوا في وجه التشبيه فقيل ان الله تعالى كما يخلق النبات بواسطة انزال المطر كذلك يحيي الموتى بواسطة انزال المطر ايضا قال ابو هريرة وابن عباس ان الناس اذا ماتوا في النفخة الاولى امطر عليهم ما من تحت العرش يدعى ما الحيوان اربعين سنة فينبتون كما ينبت الزرع من الما وفي رواية اربعين يوما فينبتون في قبورهم نبات الزرع حتى اذا استكملت اجسادهم نفخ فيهم الروح ثم يلقى عليهم النوم فينامون في قبورهم فاذا نفخ في الصور النفخة الثانية عاشوا ثم يحشرون من قبورهم وهم يجدون طعم النوم في روسهم واعينهم كما يجد النايم حين يستيقظ من نومه فعند ذلك يقولون يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا فيناديهم المنادي هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون قال مجاهد اذا اراد الله ان يخرج الموتى امطر السما حتى تنشق الارض ثم يرسل الارواح فتعود كل روح الى جسدها فكذلك يحيي الموتى بالمطر كاحيايه الارض وقيل انما وقع التشبيه باصل الاحيا والمعنى انه تعالى كما احيا هذا البلد الميت بعد خرابه وموته فانبت فيه الزرع والشجر وجعل فيه الثمر كذلك يحيي الله الموتى ويخرجهم من قبورهم احيا بعد ان كانوا امواتا ورمما بالية لان من قدر على اخراج الثمر الرطب من الخشب اليابس قادر على ان يحيي الموتى ويخرجهم من قبورهم الى حشرهم ونشورهم لعلكم تذكرون الخطاب لمنكري البعث يقول انكم شاهدتم الاشجار وهي مزهرة مورقة مثمرة في ايام الربيع والصيف ثم انكم شاهدتموها يابسة عارية من تلك الازهار والاوراق والثمار ثم انه تعالى احياها مرة اخرى فالقادر على احيايها بعد موتها قادر على احيا الاجساد بعد موتها والمعنى انما وصفت ما وصفت من التشبيه والتمثيل لكي تعتبروا وتذكروا فتعلموا ان من فعل ذلك كان هو الذي يعبد ويخشى قوله تعالى والبلد الطيب يعني الارض الطيبة

التربة السهلة السمحة يخرج نباته باذن ربه يعني انه اذا اصابه المطر اخرج نباته باذن الله عز وجل والذي خبث لا يخرج الا نكدا يعني والبلد الذي خبث ارضه فهي سبخة لا يخرج يعني لا يخرج نباته الا نكدا يعني عسرا بمشقة وكلفة قال الشاعر يذم انسانا لا تنجز الوعد ان وعدت وان اعطيت اعطيت تافها نكدا يعني بالتافه القليل وبالنكد العسر ومعناه انك ان اعطيت اعطيت القليل بعسر ومشقة قال المفسرون هذا مثل ضربه الله للمومن والكافر فشبه المومن بالارض الحرة الطيبة وشبه نزول القران على قلب المومن بنزول المطر على الارض الطيبة فاذا نزل المطر عليها اخرجت انواع الازهار والثمار وكذلك المومن اذا سمع القران امن به وانتفع به وظهرت منه الطاعات والعبادات وانواع الاخلاق الحميدة وشبه الكافر بالارض الردية الغليظة السبخة التي لا ينتفع بها وان اصابها المطر وكذلك الكافر اذا سمع القران لا ينتفع به ولا يصدقه ولا يزيده الا عتوا وكفرا وان عمل الكافر حسنة في الدنيا كانت بمشقة وكلفة ولا ينتفع بها في الاخرة قال ابن عباس هذا مثل ضربه الله للمومن يقول هو طيب وعمله طيب كما ان البلد الطيب ثمره طيبا ثم ضرب مثل الكافر كالبلد السبخة المالحة التي خرجت منها البركة فالكافر خبيث وعمله خبيث وقال مجاهد هذا مثل ضربه الله لادم وذريته كلهم منهم خبيث وطيب ويدل على صحة هذا التاويل ما روي عن ابي موسى الاشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل غيث اصاب ارضا فكانت منها طايفة طيبة قبلت الما فانبتت الكلا والعشب الكثير وكانت منها اجادب امسكت الما فنفع الله بها الناس فشربوا منها وسقوا وزرعوا واصاب طايفة منها اخرى انما هي قيعان لا تمسك ما ولا تنبت كلا فذلك مثل من فقه في دين الله عز وجل ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم ومثل من لم يرفع بذلك راسا ولم يقبل هدى الله الذي ارسلت به اخرجاه في الصحيحين وقوله تعالى كذلك نصرف الايات لقوم يشكرون يعني كما ضربنا هذا المثل كذلك نبين الايات الدالة على التوحيد والايمان اية بعد اية وحجة بعد حجة لقوم يشكرون الله على انعامه عليهم بالهداية وجنبهم سبيل الضلالة وانما خص الشاكرين بالذكر لانهم هم الذين ينتفعون بسماع القران قوله عز وجل لقد ارسلنا نوحا الى قومه اعلم ان الله تبارك وتعالى لما ذكر في الايات المتقدمة دلايل اثار قدرته وغرايب خلقه وصنعته الدالة على توحيده وربوبيته واقام الدلالة القاطعة على صحة البعث بعد الموت اتبع ذلك بقصص الانبيا عليهم السلام وما جرى لهم مع اممهم وفي ذلك تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم لانه لم يكن اعراض قومه عن قبول الحق فقط بل قد اعرض عنه غالب الامم الخالية والقرون الماضية وفيه تنبيه على ان عاقبة اولئك الذين كذبوا الرسل كانت الى الخسار والهلاك في الدنيا وفي الاخرة

الى العذاب العظيم لمن كذب محمدا صلى الله عليه وسلم من قومه كانت عاقبته مثل
اولئك الذين خلوا من قبلهم من الامم المكذبة وفي ذكر هذه القصص دليل على
صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لانه كان اميا لا يقرا ولا يكتب ولم يلق احدا من
علما زمانه وقد اتى بمثل هذه القصص والاخبار عن القرون الماضية والامم
الخالية بما لم ينكره عليه احد علم بذلك انه انما اتى به من عند الله عز وجل وانه اوحي
اليه ذلك فكان ذلك دليلا واضحا وبرهانا قاطعا على صحة نبوته صلى الله عليه وسلم
قوله تعالى لقد ارسلنا نوحا الى قومه لقد ارسلنا جواب قسم محذوف تقديره والله
لقد ارسلنا نوحا وهو نوح بن لامك بن متوشلخ بن اخنوخ وهو ادريس عليه السلام
ومعنى ارسلنا يعني بعثنا نوحا وهو اول نبي بعثه الله بعد ادريس وكان نوح نجارا
وقيل معنى الارسال ان الله تعالى حمله رسالته ليوديها الى قومه فعلى هذا التقدير
فالرسالة تكون متضمنة للبعث اليه ويكون البعث كالتابع لانه اصل قال ابن
عباس بعثه الله وهو ابن اربعين سنة وقيل وهو ابن خمسين سنة وقيل وهو ابن
مائتين سنة قال ابن عباس سمي نوحا لكثرة ما ناح على نفسه واختلفوا في سبب نوحه
فقيل لدعوته على قومه بالهلاك وقيل لمراجعته ربه في شان ابنه كنعان وقيل
لانه مر بكلب مجذوم فقال له اخسا يا قبيح فاوحى الله اليه اعبتني ام عبت الكلب
فقال يعني نوحا لقومه يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره يعني اعبدوا الله فانه هو
الذي يستحق العبادة لا غيره فانه ليس لكم اله معبود سواه فانه هو الذي يستوجب
ان يعبد اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم يعني ان لم تقبلوا ما امركم به من
عبادة الله واتباع امره وطاعته واليوم الذي خافه عليكم هو اما يوم الطوفان
واهلاكهم فيه او يوم القيامة وانما قال اخاف على الشك وان كان على يقين
من حلال العذاب بهم ان لم يومنوا به لانه لم يعلم وقت نزول العذاب بهم ايعاجلهم
ام يتاخر عنهم العذاب الى يوم القيامة قال الملا وهم الجماعة الاشراف من قومه
انا لنراك يعني يا نوح في ضلال مبين يعني في خطا وزوال عن الحق بين قال يعني
نوحا يا قوم ليس بي ضلالة يعني ما بي ما تظنون من الضلال ولكني رسول من رب
العالمين يعني هو ارسلني اليكم لانذركم واخوفكم ان لم تومنوا به وهو قوله ابلغكم
رسالات ربي وانصح لكم يعني في تحذيري اياكم عقابه على كفركم ان لم تومنوا به وانصح
لكم يقال نصحته ونصحت له كما يقال شكرته وشكرت له والنصح ارادة الخير لغيره
كما يريده لنفسه وقيل النصح تحري قول او فعل فيه صلاح للغير وقيل حقيقة النصح
تعريف وجه المصلحة مع خلوص النية من شوائب المكروه والمعنى انه قال ابلغكم
جميع تكاليف الله وشرايعه وارشدكم الى الوجه الاصلح والاصوب لكم وادعوكم
الى ما دعاني اليه واحب لكم ما احب لنفسي قال بعضهم والفرق بين الرسالة

ابلاغ مو

وبين النصيحة

وبين النصيحة وهو ان تبليغ الرسالة ان يعرفهم جميع اوامر الله ونواهيه وجميع انواع التكاليف
التي اوجبها الله عليهم واما النصيحة فهو ان يرغبهم في قبول تلك الاوامر والنواهي والعبادات
ويحذرهم عقابه ان عصوه واعلم من الله ما لا تعلمون يعني واعلم انكم ان عصيتم امره عاقبكم
بالطوفان والغرق في الدنيا ولعذابكم في الاخرة عذابا عظيما وقيل اعلم ان مغفرة الله
لمن تاب وعقوبته لمن اصر على الكفر وقيل لعل الله تعالى اطلعه على سر من اسراره فقال
اعلم من الله ما لا تعلمون او عجبتم الالف الف استفهام والواو للعطف والمعطوف عليه
محذوف وهذا الاستفهام استفهام انكار معناه اكذبتم وعجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم يعني وحيا
من ربكم على رجل منكم تعرفونه وتعرفون نسبه وذلك لانكم منهم بذيل التعجب وقيل
المراد بالذكر الكتاب الذي انزله الله على نوح عليه السلام سماه ذكرا كما سمى القران ذكرا وقيل
المراد بالذكر المعجزة التي جاء بها نوح عليه السلام فعلى هذا تكون على بمعنى مع اي مع رجل منكم
قال الفراء على هنا بمعنى مع لينذركم يعني جاءكم لاجل ان ينذركم ولتتقوا اي ولاجل ان تتقوا
ولعلكم ترحمون لان المقصود من ارسال الرسول الانذار والمقصود من الانذار التقوى
عن كل ما لا ينبغي والمقصود بالتقوى الفوز بالرحمة في الدار الاخرة فكذبوه يعني فكذبوا نوحا
فانجيناه يعني من الطوفان والغرق والذين معه يعني من امن من قومه معه في الفلك يعني في
السفينة واغرقنا الذين كذبوا باياتنا انهم كانوا قوما عمين قال ابن عباس عميت قلوبهم
عن معرفة الله تعالى وقال الزجاج عموا عن الحق والايمان يقال رجل عم في البصيرة واعمى في البصر
قال الشاعر وهو قول زهير واعلم ما في اليوم والامس قبله ولكنني عن علم ما في غد عم قال مقاتل
عموا عن نزول العذاب بهم وهو الغرق قوله تعالى والى عاد اي وارسلنا الى عاد وهو عاد
ابن عوص بن ارم بن سام بن نوح وهي عاد الاولى اخاهم هودا يعني اخاهم في
النسب لا في الدين وهو هود بن عبد الله بن رباح بن الخلود بن عاد بن عوص
وقال ابن اسحاق هو هود بن شالخ بن ارفخشد بن سام بن نوح واتفقوا على ان هود
عليه السلام لم يكن اخاهم في الدين ثم اختلفوا في سبب الاخوة مع انه حصلت فقيل انه
كان واحدا من القبيلة فيتوجه قوله اخاهم لانه واحد منهم وقيل انه لم يكن من القبيلة
ثم ذكروا في تفسير هذه الاخوة وجهين الاول قال الزجاج انه كان من بني ادم ومن
جنسهم لا من الملائكة ويكفي هذا القدر في تسمية الاخوة والمعنى انا ارسلنا الى عاد
واحدا من جنسهم من البشر ليكون الفهم والانس بكلامه اتم واكمل ولم يبعث اليهم من غير
جنسهم مثل الملك او الجن والثاني انه اخاهم بمعنى صاحبهم والعرب تسمي صاحب
القوم اخاهم وكانت منازل عاد بالاحقاف باليمن والاحقاف الرمل الذي
عند عمان وحضرموت قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره اي اعبدوا الله
وحده ولا تجعلوا معه الها اخر فانه ليس لكم اله غيره والفرق بين قوله في قصة نوح
وقال هنا قال ان نوحا كان مواظبا على دعوة قومه غير متوان فيها لان الفا تدل

على التعقيب واما هود فلم يكن كذلك بل كان دون نوح في المبالغة في الدعاء فاخبر
الله عنه بقوله قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره افلا تتقون يعني افلا تخافون
عقابه بعبادتكم غيره ولما كانت هذه القصة مسبوقة على قصة قوم نوح وقد علموا
ما حل بهم مسبوقة على قصة قوم نوح من الغرق حسن قوله هنا افلا تتقون يعني
افلا تخافون ما نزل بهم من العذاب ولما لم يكن قبل واقعة قوم نوح شيء حسن تخويفهم
من العذاب فقال هناك اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم قال الملا الذين كفروا
من قومه انا لنراك في سفاهة يعني انا لنراك يا هود في حمق وجهالة وضلالة عن
الحق والصواب اخبر الله عن قوم نوح انهم قالوا له انا لنراك في ضلال مبين واخبر
عن قوم هود انهم قالوا انا لنراك في سفاهة والفرق بينهما ان نوحا لما خوف
قومه بالطوفان وصنع في عمل السفينة فعند ذلك قال له قومه انا لنراك في
ضلال مبين حيث تتعب في سفينة في ارض ليس فيها من الماء شيء واما هود
عليه السلام فانه لما زيف عبادة الاصنام ونسب من عبدها الى السفه وهو قلة
العقل قابلوه بمثله فقالوا انا لنراك في سفاهة وانا لنظنك من الكاذبين يعني
في ادعائك انك رسول من رب العالمين قال يعني قال هود لهؤلاء الملا الذين
نسبوه الى السفه ليس بي سفاهة يعني ليس الامر كما تدعون ان بي سفاهة ولكني
رسول من رب العالمين يعني اليكم ابلغكم رسالات ربي يعني اؤدي اليكم ما ارسلت به
من اوامره ونواهيه وشرائعه وتكاليفه وانا لكم ناصح يعني فيما امركم به من عبادة الله
عز وجل وترك ما سواه امين يعني على تبليغ الرسالة واداء النصح والامين الثقة على
ما اؤتمن عليه حكى الله عن نوح وانصح لكم وحكى عن هود وانا لكم ناصح فالاول بصيغة
الفعل والثاني بصيغة اسم الفاعل والفرق بينهما ان صيغة الفعل تدل على تجدده
ساعة بعد ساعة فكان نوح يدعو قومه ليلا ونهارا كما اخبر عنه بقوله قال رب
اني دعوت قومي ليلا ونهارا فلما كان ذلك من عادته ذكره بصيغة الفعل فقال
وانصح لكم واما هود فلم يكن كذلك بل كان يدعوهم وقتا دون وقت فلهذا قال
وانا لكم ناصح امين ومدح النفس باعظم صفات المدح غير لائق بالعقلاء وانما فعل هود
ذلك وقال هذا القول لانه كان يجب عليه اعلام قومه بذلك ومقصوده الرد
عليهم في قولهم وانا لنظنك من الكاذبين فوصف نفسه بالامانة وانه امين في
تبليغ ما ارسل به من عند الله وفيه تقرير للرسالة والنبوة وفيه دليل على جواز مدح
الانسان نفسه في موضع الضرورة الى مدحها اوعجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم على رجل
منكم لينذركم يعني اعجبتم ان انزل الله وحيه على رجل تعرفونه لينذركم باس ربكم
ويخوفكم عقابه واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح يعني واذكروا نعمة الله عليكم
اذ اهلك قوم نوح وجعلكم تخلفونهم في الارض وزادكم يعني في الخلق بسطة يعني طولا

وقوة قال الكلبي والسدي كانت قامة الطويل منهم مائة ذراع وقامة القصير ستين ذراعا
وقيل سبعين ذراعا وعن ابن عباس ثمانين ذراعا قال مقاتل اثني عشر ذراعا وقال
وهب كان راس احدهم مثل القبة العظيمة فاذكروا الاء الله يعني نعم الله وفيه اضمار
تقديره واذكروا نعمة الله عليكم واعملوا عملا يليق بذلك الانعام وهو ان تؤمنوا
به وتتركوا ما انتم عليه من عبادة الاصنام لعلكم تفلحون يعني لكي تفوزوا بالفلاح وهو
البقاء في الاخرة قالوا يعني قال يا قوم هود مجيبين له اجئتنا يا هود لنعبد الله وحده
ونذر ما كان يعبد اباؤنا يعني من الاصنام فاتنا بما تعدنا يعني من العذاب ان كنت من
الصادقين يعني في قولك انك رسول الله قال يعني قال هود مجيبا لهم قد وقع يعني نزل
ووجب عليكم من ربكم رجس وغضب اي عذاب وسخط اتجادلونني في اسماء سميتموها انتم
واباؤكم يعني وضعتم لها اسماء من عند انفسكم والمراد منه ان تسميتهم على سبيل الانكار عليهم
لانهم سموا الاصنام بالالهية وذلك معدوم فيهم ما نزل الله بها من سلطان يعني من حجة
وبرهان على هذه التسمية وانما سميتموها انتم من عند انفسكم بغير دليل فانتظروا يعني العذاب
اني معكم من المنتظرين يعني نزول العذاب بكم فانجيناه يعني فانجينا هودا عند نزول العذاب
بقومه والذين معه برحمة منا يعني وانجينا اتباعه الذين امنوا به وصدقوه لانهم كانوا
مستحقين للرحمة وقطعنا دابر الذين كذبوا باياتنا يعني واهلكنا الذين كذبوا هودا من
قومه واراد بالايات معجزات هود الدالة على صدقه وهذا اهلاك استئصال فاهلكهم جميعا ولم
يبق منهم احدا وما كانوا مؤمنين يعني لانهم لم يكونوا مصدقين بالله ولا برسوله هود
عليه السلام **وكانت قصة عاد** على ما ذكره محمد بن اسحاق واصحاب السير والاخبار قالوا
جميعا كانت منازل عاد وجماعتهم حين بعث الله فيهم هودا عليه السلام الاحقاف
والاحقاف الرمل فيما بين عمان وحضرموت من ارض اليمن وكانوا قد فشوا
في الارض كلها وقهروا اهلها بفضل قوتهم التي جعلها الله فيهم وكانوا اصحاب اوثان
يعبدونها من دون الله عز وجل صنم يقال له صداء وصنم يقال له صمود وصنم يقال له
الهباء فبعث الله عز وجل فيهم هودا عليه السلام وهو من اوسطهم نسبا وافضلهم
موضعا فامرهم ~~الله~~ عز وجل ان يوحدوا الله ولا يجعلوا معه الها غيره وان يكفوا
عن ظلم الناس ولم يامرهم بغير ذلك فيما ذكر فابوا عليه وكذبوه وقالوا من اشد
منا قوة واتبعه منهم ناس فامنوا به وهم يسير يكتمون ايمانهم وكان ممن صدقه
وامن به رجل يقال له مرثد بن سعد بن عفير وكان يكتم ايمانه فلما عتوا على الله
وكذبوا نبيهم واكثروا في الارض الفساد وتجبروا وبنوا بكل ريع اية واتخذوا المصانع
لعلهم يخلدون فلما فعلوا ذلك امسك الله عنهم المطر ثلاث سنين حتى جهدهم
ذلك وكان الناس في ذلك الزمان اذا نزل بهم بلاء وجهد يطلبون الفرج من الله
عز وجل وذلك عند بيته الحرام بمكة مؤمنهم ومشركهم وكان يجتمع بمكة ناس كثير

مختلفة اديانهم وكلهم معظم لمكة معترف بحرمتها ومكانها من الله عز وجل وكان
البيت معروفا مكانه من الحرم وكان سكان مكة يومئذ العماليق وانما سموا العماليق
لان اباهم كان عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح وكان سيد العماليق يومئذ رجل
يقال له معاوية بن بكر وكانت ام معاوية كلهذة بنت الخيبري وهو رجل من
عاد فكانت عاد اخوال معاوية سيد العماليق فلما قحط عاد وقل عنهم المطر قالوا
جهزوا منكم وفدا الى مكة ليستسقوا لكم فانكم قد هلكتم فبعثوا قيل بن عنز ولقيم
ابن هزال بن هزيل وعقيل بن ضد بن عاد الاكبر ومرثد بن سعد بن عفير
وكان مسلما يكتم ايمانه وجلهمة بن الخيبري خال معاوية بن بكر سيد العماليق ولقمان
ابن عاد فانطلق كل رجل من هولا القوم ومعه جماعة من قومه فبلغ عدد وفد
عاد سبعين رجلا فلما قدموا مكة نزلوا على معاوية بن بكر وهو بظاهر مكة خارجا
عن الحرم فانزلهم واكرمهم وكانوا اخواله واصهاره فاقاموا عنده شهرا يشربون
الخمر وتغنيهم الجرادتان وهما قينتان لمعاوية بن بكر فلما راى معاوية بن بكر طول
مقامهم عنده وقد بعثهم قومهم يستغيثون لهم من البلا الذي اصابهم شق ذلك
عليه وقال هلك اخوالي واصهاري وهولا مقيمون عندي وهم ضيفي نازلون
علي والله ما ادري كيف اصنع فاني استحيي ان امرهم بالخروج لما بعثوا اليه فيظنون
انه ضيق مني بمكانهم عندي وقد هلك من وراهم من قومهم جهدا وعطشا
قال وشكا ذلك من امرهم الى قينتيه الجرادتين فقالتا قل شعرا نغنيهم به ولا يدرون
من قاله ذلك ان ينحلهم فقال معاوية ٭ الا يا قيل ويحك قم فهينم ٭ لعل الله
يمنحنا غماما ٭ فتسقي ارض عاد ان عادا ٭ قد امسوا لا يبينون الكلاما ٭
من العطش الشديد فليس يرجوا ٭ به الشيخ الكبير ولا الغلاما ٭ وقد كانت
نساوهم بخير ٭ فقد امست نساوهم ايامى ٭ وان الوحش تاتيهم جهارا ٭
ولا تخشى لعادي سهاما ٭ وانتم هاهنا فيما اشتهيتم ٭ نهاركم وليلكم التماما ٭
فقبح وفدكم من وفد قوم ٭ ولا لقوا التحية والسلاما ٭ فلما قال معاوية هذا
الشعر وغنتهم به الجرادتان وسمع القوم ما غنتا به قال بعضهم لبعض يا قوم
انما بعثكم قومكم ليستغيثوا بكم من هذا البلا الذي نزل بهم وقد ابطاتم عليهم فادخلوا
الحرم واستسقوا لقومكم فقال مرثد بن سعد بن عفير انكم والله لا تسقون
بدعائكم ولكن ان اطعتم نبيكم وانبتم الى ربكم سقيتم واظهر اسلامه عند ذلك
وقال شعرا ٭ عصت عاد رسولهم فامسوا ٭ عطاشا ما تبلهم السما ٭ لهم صنم يقال
له صمود ٭ يقابله صدا والهبا ٭ فبصرنا الرسول سبيل رشد ٭ فابصرنا الهدى
وجلى العما ٭ وان اله هود هو الهي ٭ على الله التوكل والرجا ٭ زاد في رواية ٭
لقد حكم الاله وليس جورا ٭ وحكم الله اذ غلب الهوا ٭ على عاد وعاد شر قوم ٭

لعله

فقد هلكوا وليس لهم بقا ٭ واني لن افارق دين هود ٭ طوال الدهر او يأتي
الفنا ٭ فقال جلهمة بن الخيبري مجيبا لمرثد بن سعد حين فرغ من مقالته
وعرف انه قد اتبع دين هود وامن به ٭ الا يا سعد فانك من قبيل ٭
ذوي كرم وامك من ثمود ٭ فانا لا نطيعك ما بقينا ٭ ولسنا فاعلين لما تريد ٭ اتامرنا
لنترك دين رفد ٭ ورمل وال صد والعبود ٭ ونترك دين ابا كرام ٭ ذوي راي
ونتبع دين هود ٭ ثم قال جلهمة لمعاوية بن بكر وابيه بكر احبسا عنا مرثدا فلا
يقدمن معنا مكة فانه قد تبع دين هود وترك ديننا ثم خرجوا الى مكة يستسقون
بها لعاد فلما ولوا الى مكة خرج مرثد بن سعد من منزل معاوية بن بكر حتى ادركهم بمكة
قبل ان يدعوا الله عز وجل بشي مما خرجوا اليه فلما انتهى اليهم قام يدعوا الله وبها وفد
عاد يدعون فقال مرثد اللهم اعطني سولي وحدي ولا تدخلني فيما يدعوك به وفد عاد
وقام قيل بن عنز راس وفد عاد يدعوا فقال اللهم اعط قيلا ما سالك وقال الوفد
معه واجعل سولنا مع سوله وكان قد تخلف عن وفد عاد لقمان بن عاد وكان سيد
عاد حتى اذا فرغوا من دعوتهم قام لقمان فقال اللهم اني جيتك وحدي في حاجتي فاعطني
سولي وسال طول العمر فعمر عمر سبعة النسر وقال قيل بن عنز حين دعا يا الهنا ان كان
هود صادقا فاسقنا فانا قد هلكنا فانشا الله تعالى سحايب ثلثا بيضا وحمرا وسودا
ثم نادى مناد من السحاب يا قيل لقومك ولنفسك من هذه السحايب فقال قيل قد اخترت
السحابة السودا فانها اكثر السحايب ما فناداه مناد اخترت رمادا رمددا لا تبقي من ال عاد
احدا وساق الله السحابة السودا التي اختارها قيل بما فيها من النقمة الى عاد حتى خرجت عليهم
من واد لهم يقال له المغيث فلما راوها استبشروا بها وقالوا هذا عارض ممطرنا يقول الله
عز وجل بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب اليم تدمر كل شي اي كل شي مرت عليه بامر
ربها وكان اول من ابصر ما فيها وعرف انها ريح مهلكة امراة من عاد يقال لها مهدد فلما
عرفت ما فيها من العذاب صاحت ثم صعقت فلما ان افاقت قالوا لها ماذا رايت قالت
رايت الريح فيها كشهب النار امامها رجال يقودونها فسخرها الله عليهم وثمانية ايام حسوما
فلم تدع من ال عاد احدا الا اهلكته واعتزل هود ومن معه من المومنين في حضيرة ما يصيبه
ومن معه من الريح الا ما تلين عليه الجلود وتلتذ بها الانفس وانها لتمر بالظعن
من عاد فتحملهم بين السما والارض وتدمغهم بالحجارة وخرج وفد عاد من مكة حتى مروا
بمعاوية بن بكر فنزلوا عليه فبينما هم عنده اذ اقبل اليه رجل على ناقة له في ليلة مقمرة وذلك
مسا ثالثة من مصاب عاد فاخبرهم الخبر فقالوا له فاين فارقت هودا واصحابه فقال
فارقتهم بساحل البحر فكانهم شكوا فيما حدثهم به فقالت هذيلة بنت بكر صدق ورب
الكعبة وقال السدي بعث الله عز وجل على عاد الريح العقيم فلما دنت نظروا الى الابل
والرجال تطير بهم الريح بين السما والارض فلما راوها تبادروا الى البيوت فدخلوها واغلقوا

الابواب فجاءت الريح فقلعت ابوابهم ودخلت عليهم فاهلكتهم فيها ثم اخرجتهم من البيوت
فلما اهلكتهم ارسل الله تعالى عليهم طيرا اسود فنقلتهم الى البحر فالقتهم فيه وقيل ان الله
تعالى امر الريح فامالت عليهم الرمال فكانوا تحتها سبع ليال وثمانية ايام يسمع لهم انين
تحت الرمل ثم امر الريح فكشفت عنهم الرمل ثم احتملتهم فرمت بهم في البحر ولم تخرج ريح
قط الا بمكيال الا يومئذ فانها عتت على الخزنة فغلبتهم فلم يعلموا كم كان مكيالها
وفي الحديث انما خرجت على مثل خرق الخاتم وقيل ان مرثد ابن سعد ولقمان بن عاد
وقيل بن عنز حين دعوا بمكة قيل لهم قد اعطيتم مناكم فاختاروا الا انكم غير انه لا
سبيل الى الخلود ولا بد من الموت فقال مرثد اللهم اعطني برا وصدقا فاعطي ذلك وقال
لقمان اللهم اعطني عمرا فقيل له اختر فاختار عمر سبعة النسر فكان ياخذ الفرخ حين يخرج من
البيضة وكان ياخذ الذكر لقوته فيربيه حتى يموت فاذا مات اخذ غيره فلم يزل يفعل
ذلك حتى اتى على السابع وكان كل نسر يعيش ثمانين سنة وكان السابع من النسور
اسمه لبد فلما مات لبد مات لقمان معه واما قيل فانه اختار لنفسه ما اصاب قومه
فقيل له انه الهلاك فقال لا ابالي لا حاجة لي في البقا بعد قومي فاصابه الذي اصاب
عادا من الهلاك ومن معه من الوفد الذين خرجوا من الحرم فاهلكهم جميعا فلما اهلك الله
عادا رحل هود ومن معه من المؤمنين من ارضهم بعد هلاك قومه الى موضع يقال له الشحر
من بلاد اليمن فنزل هناك ثم ادركه الموت فدفن بارض حضرموت يروى عن علي بن
ابي طالب ان قبر هود عليه السلام بحضرموت في كثيب احمر وقال عبد الرحمن بن سابط
بين الركن والمقام وزمزم قبر تسعة وتسعين نبيا وان قبر هود وصالح وشعيب واسمعيل
في تلك البقعة ويروى ان اي نبي من الانبيا اذا اهلك قومه جا هو والصالحون
من قومه معه الى مكة يعبدون الله حتى يموتوا بها قوله عز وجل والى ثمود اخاهم صالحا يعني
وارسلنا الى ثمود وهو ثمود بن عابر بن ارم بن سام ابن نوح وهو اخو جديس بن عابر
وكانت مساكن ثمود الحجر بين الحجاز والشام الى وادي القرى وما حوله ومعنى الكلام والى
بني ثمود اخاهم صالحا لان ثمود قبيلة قال ابو عمرو بن العلا سميت ثمود لقلة مائها
والثمد الما القليل وقيل سموا ثمود باسم ابيهم الذي ينسبون اليه اخاهم صالحا يعني النسب
وهو صالح بن عبيد بن اسف بن ماسخ بن عبيد بن حاذر بن ثمود قال يا قوم اعبدوا
الله ما لكم من اله غيره يعني قال لهم صالح حين ارسله الله اليهم يا قوم وحدوا الله ولا تشركوا
به شيئا فما لكم من اله يستحق ان يعبد سواه قد جاءتكم بينة من ربكم يعني جاءتكم حجة من ربكم
وبرهان على صدق ما اقول وادعوا اليه من عبادة الله تعالى وعلى تصديقي باني رسول
من الله اليكم ثم فسر تلك البينة بقوله فقال هذه ناقة الله لكم اية يعني انها علامة على
صدقي قال العلما ووجه كون هذه الناقة اية على صدق صالح ومعجزة له خارقة
للعادة خرجت من صخرة في الجبل وكونها لا من ذكر ولا من انثى وكمال خلقها من غير حمل

ولا تدريج

ولا تدريج لانها خلقت في ساعة وخرجت من الصخرة وقيل لانه كان لها شرب يوم ولجميع
قبيلة ثمود شرب يوم وهذا من المعجزة ايضا لان ناقة تشرب بالشرب به قبيلة
معجزة وكانوا يحلبونها في يوم شربها قدر ما يكفيهم جميعهم وليقوم لهم مقام الماء
وهذا ايضا معجزة وقيل ان سائر الوحوش والحيوانات كانت تمتنع من شرب الماء
في يوم شرب الناقة وتشرب الحيوانات الما في غير يوم الناقة وهذا ايضا معجزة وانما
اضافها الى الله تعالى في قوله هذه ناقة الله على سبيل التفضيل والتشريف كما يقال بيت الله
وقيل لان الله خلقها بغير واسطة ذكر وانثى وقيل لانه لم يملكها احد الا الله تعالى وقيل
لانها كانت حجة الله على قوم صالح فذروها تاكل في ارض الله يعني فذروا الناقة
تاكل العشب من ارض الله فان الارض لله والناقة ايضا لله وليس لكم في ارض الله
شي لانه هو الذي انبت فيها العشب ولا تمسوها بسوء يعني ولا تطردوها ولا تقربوها
بشي من انواع الاذى ولا تعقروها فياخذكم عذاب اليم يعني بسبب عقرها واذاها
واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد يعني ان الله اهلك عادا وجعلكم تخلفونهم في
الارض وتعمرونها وبوأكم يعني واسكنكم وانزلكم في الارض تتخذون من سهولها قصورا
يعني تبنون القصور من سهولة الارض لان القصور انما تبنى من اللبن والاجر
المتخذ من الطين السهل اللين وتنحتون من الجبال بيوتا يعني وتنقبون بيوتا من الجبال
وقيل كانوا يسكنون السهول في الصيف والجبال في الشتا وهذا يدل على انهم كانوا
متنعمين مترفهين فاذكروا الا الله اي فاذكروا نعمة الله عليكم واشكروه عليها ولا
تعثوا في الارض مفسدين قال قتادة معناه ولا تسيروا في الارض مفسدين والعثي
اشد الفساد وقيل اراد به النهي عن عقر الناقة وقيل هو على ظاهره فيدخل فيه
النهي عن جميع انواع الفساد قال الذين استكبروا من قومه يعني قال الاشراف الذين
تعظموا عن الايمان بصالح للذين استضعفوا لمن امن منهم يعني المساكين لمن امن منهم يعني قال
الاشراف المتعظمون في انفسهم لاتباعهم الذين امنوا بصالح وهم الضعفا من قومهم
اتعلمون ان صالحا مرسل من ربه يعني ان الله ارسله الينا واليكم قالوا انا بما ارسل
به مومنون يعني قال الضعفا انا بما ارسل الله به صالحا من الدين والهدى والحق
مصدقون قال الذين استكبروا يعني عن الله والايمان به وبرسوله صالح انا بالذي
امنتم به كافرون يعني جاحدون ومنكرون فعقروا الناقة يعني فعقرت ثمود الناقة و
العقر قطع عرقوب البعير ثم جعل النحر عقرا لان ناحر البعير يعقره ثم ينحره وعتوا عن
امر ربهم اي تكبروا عن امر ربهم وعصوه والعتو الغلو في الباطل والتكبر عن الحق
والمعنى انهم عصوا الله وتركوا امره في الناقة فكذبوا نبيهم صالحا عليه السلام وقالوا
يا صالح ائتنا بما تعدنا يعني من العذاب ان كنت من المرسلين يعني ان كنت كما
تزعم انك رسول الله فان الله ينصر رسله على اعدائه وانما قالوا ذلك لانهم

كانوا مكذبين فى كل ما اخبرهم به من العذاب فجعل الله لهم ذلك فقال تعالى فاخذتهم
الرجفة قال الفرا والزجاج الرجفة الزلزلة الشديدة العظيمة وقال مجاهد والسدى هى
الصيحة فيحتمل انهم اخذتهم الزلزلة من تحتهم والصيحة من فوقهم حتى هلكوا وهو قوله
فاصبحوا فى دارهم جاثمين يعنى فاصبحوا فى ارضهم وبلدتهم جاثمين ولذلك وحد الدار
كما يقال دار الحرب ودار بنى فلان يعنى موضعهم ومجمعهم وجمع فى اية اخرى فقال
ديارهم لانه اراد ما لكل واحد منهم من الديار والمساكن وقوله جاثمين يعنى باركين
والجثوم للناس والطير بمنزلة البروك للبعير وجثوم الطير هو وقوعه لاطيا بالارض
فى حال نومه وسكونه بالليل والمعنى انهم اصبحوا جاثمين موتى على وجوههم لا يتحركون
فتولى عنهم يعنى فاعرض عنهم صالح وفى وقت هذا التولى قولان احدهما انه تولى
عنهم بعد ان ماتوا وهلكوا ويدل عليه قوله فاصبحوا فى دارهم جاثمين فتولى عنهم والفا
للتعقيب فدل على انه جعل هذا التولى بعد جثومهم وهو موتهم والقول الثانى
انه تولى عنهم وهم احيا قبل موتهم وهلاكهم ويدل عليه انه خاطبهم وقال يا قوم
لقد ابلغتكم رسالة ربى ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين وهذا الخطاب لا
يليق الا بالاحيا فعلى هذا القول يكون فى الاية تاخيرا فتولى عنهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم
رسالة ربى ولكن لا تحبون الناصحين فاخذتهم الرجفة فاصبحوا فى دارهم جاثمين واجاب
اصحاب القول الاول عن هذا انه خاطبهم بعد هلاكهم وموتهم توبيخا وتقريعا كما خاطب
النبى صلى الله عليه وسلم الكفار من قتلى بدر حين القوا فى القليب فجعل يناديهم باسمائهم
الحديث فى الصحيح وفيه فقال عمر يا رسول الله كيف تكلم اقواما قد جيفوا قال ما انتم باسمع
لما اقول منهم ولكن لا يجيبون وقيل انما خاطبهم صالح بذلك ليكون عبرة لمن ياتى
بعدهم فينزجر عن مثل تلك الطريقة التى كانوا عليها وكانت قصة ثمود على ما ذكره
محمد بن اسحاق ووهب بن منبه وغيرهما من اصحاب السير والاخبار قالوا جميعا
ان عادا لما هلكت وانقضى امرها عمرت ثمود بعدها واستخلفوا فى الارض فدخلوا
فيها وكثروا وعمروا حتى ان احدهم ليبنى المسكن من المدر فينهدم والرجل حى فلما راوا
ذلك اتخذوا من الجبال بيوتا وكانوا فى سعة من العيش والرخا فعتوا وافسدوا فى
الارض وعبدوا غير الله فبعث الله اليهم صالحا نبيا وكانوا قوما عربا وكان صالح
من اوسطهم نسبا وافضلهم بيتا وحسبا فبعثه الله اليهم وهو غلام فلم يزل يدعوهم
الى الله والى عبادته حتى شمط وكبر فلم يتبعه منهم الا قليل مستضعفون فلما الح عليهم
صالح بالدعا والتبليغ واكثر لهم التحذير والتخويف سالوه ان يريهم اية تكون مصداقا
على ما يقول فقال صالح اى اية تريدون فقالوا تخرج معنا الى عيدنا وكان لهم عيد يخرجون
فيه باصنامهم وذلك يوم معلوم من السنة قالوا اتدعو الهك وندعو الهتنا
فان استجيب لك اتبعناك وان استجيب لنا اتبعتنا قال لهم صالح نعم فخرجوا باصنامهم

الى عيدهم

الى عيدهم وخرج صالح معهم فدعوا اوثانهم وسالوها ان لا يستجاب لصالح فى شى
مما يدعو به ثم قال جندع بن عمرو بن جواش وهو يومئذ سيد ثمود يا صالح اخرج
لنا من هذه الصخرة منفردة فى ناحية الحجر يقال لها الكاثبة ناقة مخترجة جوفا
وبرا عشرا والمخترجة ما شاكلت البخت من الابل فان فعلت امنا بك وصدقناك
فاخذ عليهم صالح مواثيقهم لئن فعلت لتصدقنى ولتؤمنن بى قالوا نعم قال فصلى
صالح ركعتين ودعا ربه عز وجل فتمخضت الصخرة كما تتمخض النتوج بولدها ثم تحركت
الهضبة عن ناقة عشرا جوفا وبراء كما سالوا ووصفوا غير انه لا يعلم ما بين
جنبيها الا الله عظما وهم ينظرون اليها ثم نتجت سقبا مثلها فى العظم فامن به
جندع بن عمرو ورهط من قومه فاراد بقية اشراف ثمود ان يؤمنوا به ويصدقوه
فمنعهم ذواب بن عمرو بن لبيد والحباب وكانا صاحبا اوثانهم ورباب بن
صمعر وكان كاهنهم وكانوا من اشراف ثمود فلما خرجت الناقة من الصخرة
قال لهم صالح هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم فمكثت الناقة ومعها
سقبها فى ارض ثمود ترعى الشجر وتشرب الما وكانت ترد الما غبا فاذا كان يوم
ورودها وضعت راسها فى بئر فى الحجر يقال لها بئر الناقة فما ترفع راسها حتى تشرب
كل ما فيها فلا تدع قطرة ثم ترفع راسها فتتفشج حتى تفحج لهم فيحلبون ما شاؤا من لبن
فيشربون ويدخرون حتى يملاوا اوانيهم كلها ثم تصدر الناقة من غير الفج الذى وردت
منه ولا تقدر ان تصدر من حيث وردت حتى اذا كان من الغد كان يوم ثمود
فيشربون ما شاء الله من الما ويدخرون ما شاؤا ليوم الناقة فهم على ذلك فى سعة
ودعة وكانت الناقة تصيف اذا كان الحر بظهر الوادى فتهرب منها مواشيهم الابل
والبقر والغنم فتهبط الى بطن الوادى فتكون فى حره وجدبه واذا كان الشتا فتشتو
الناقة فى بطن الوادى فتهرب المواشى الى ظهره فتكون فى البرد والجدب فاضر ذلك
بمواشيهم للامر الذى يريده الله بهم والبلا والاختبار فكبر ذلك عليهم وعتوا عن
امر ربهم وحملهم ذلك على عقر الناقة فاجمعوا على عقرها وكانت امراتان من ثمود
يقال لاحديهما عنيزة بنت غنم بن مجلز وتكنى بام غنم وكانت عجوزا مسنة وهى
امراة ذواب بن عمرو وكانت ذات بنات حسان وذات مال من ابل وبقر وغنم
والمراة الاخرى يقال لها صدوق بنت المحيا وكانت جميلة غنية ذات مواشى
كثيرة وكانتا اشد الناس عداوة لصالح عليه السلام وكانتا تحبان عقر الناقة لما
اضرت بمواشيهما فتحيلتا فى عقر الناقة فدعت صدوق رجلا من ثمود يقال له
الحباب لعقر الناقة وعرضت عليه نفسها ان فعل هو فابى عليها فدعت
ابن عم لها يقال له مصدع بن مهرج بن المحيا وجعلت له نفسها على ان يعقر
الناقة وكانت من احسن الناس وجها واكثرهم مالا فاجابها الى ذلك ودعت

عنيزة بنت غنم قدار بن سالف وكان رجلا احمر ازرق قصيرا ويزعمون انه كان
ابن زانية ولم يكن لسالف ولكنه ولد على فراشه فقالت عنيزة لقدار اي
بناتي شئت اعطيتك على ان تعقر الناقة وكان قدار عزيزا منيعا في قومه
ق عن عبد الله بن زمعة انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم اذ انبعث اشقاها
انبعث لها رجل عزيز عارم منيع في رهطه مثل ابي زمعة قوله انبعث يعني قام
بسرعة والعارم الخبيث الشرير والعرامة الشدة والقوة والشرارة والمنيع
الممتنع ممن اراده قال اصحاب الاخبار فانطلق قدار بن سالف ومصدع
ابن مهرج فاستغويا غواة ثمود فاتبعهم سبعة نفر وكانوا تسعة رهط فانطلق
قدار ومصدع واصحابهما فرصدوا الناقة حتى صدرت عن الماء وقد كمن لها مصدع
في اصل صخرة اخرى فمرت على مصدع فرماها بسهم فانتظم به عضلة ساقها
وخرجت ام غنم عنيزة وامرت ابنتها فسفرت عن وجهها وكانت من احسن
الناس وجها ليراها قدار ثم ذمرته يعني حثته على عقرها واغرته به فشد قدار
على الناقة بالسيف فكشف عرقوبها فخرت ورغت رغاة واحدة فتحدر
سقبها من الجبل ثم طعن قدار في لبتها فنحرها فخرج اهل البلدة فاقتسموا لحمها
فلما رأى سقبها ذلك انطلق هاربا حتى اتى جبلا منيعا يقال له صنور وقيل
فارة واتى صالح فقيل له ادرك الناقة فقد عقرت فاقبل نحوهم فخرج اهل البلد
يتلقونه ويعتذرون اليه ويقولون يا نبي الله انما عقرها فلان ولا ذنب لنا
فقال صالح انظروا هل تدركون فصيلها فان ادركتموه فعسى ان يرفع عنكم
العذاب فخرجوا في طلبه فرأوه على الجبل فذهبوا ليأخذوه فاوحى الله الى الجبل
ان تطاول حتى ما تناله الطير وجاء صالح فلما رآه الفصيل بكى حتى سالت دموعه
ثم رغى ثلاثا ثم انفجرت الصخرة فدخلها فقال صالح لكل رغوة اجل يوم تمتعوا في
داركم ثلاثة ايام ذلك وعد غير مكذوب وقال ابن اسحاق اتبع السقب اربعة نفر
من التسعة الذين عقروا الناقة وفيهم مصدع بن مهرج واخوه ذاب فرماه
مصدع بسهم فاصاب قلبه ثم جر برجله فانزله والقوا لحمه مع لحم امه وقال لهم
صالح انتهكتم حرمة الله فابشروا بعذاب الله ونقمته قالوا وهم يهزؤن به
ومتى ذلك يا صالح وما اية ذلك وكانوا يسمون الايام في ذلك الوقت الاحد
اول والاثنين اهون والثلاثاء دبار والاربعاء جبار والخميس مونس والجمعة
العروبة والسبت شيار وكانوا عقروا الناقة يوم الاربعاء فقال لهم صالح حين
قالوا ذلك تصبحون غداة يوم مونس ووجوهكم مصفرة ثم تصبحون يوم العروبة
ووجوهكم محمرة ثم تصبحون يوم شيار ووجوهكم مسودة ثم يصبحكم العذاب
يوم اول فلما قال لهم صالح ذلك قال التسعة الذين عقروا الناقة هلم فلنقتل

صالحا فان

صالحا فان كان صادقا عجلناه قبلنا وان كان كاذبا كنا قد الحقناه بناقته فاتوه
ليلا ليبيتوه في اهله فدمغتهم الملائكة فلما ابطأوا على اصحابهم اتوا منزل صالح فوجدوهم
قد رضخوا بالحجارة فقالوا لصالح انت قتلتهم ثم هموا به فقامت عشيرته دونه
وقالوا لا تقتلوه ابدا فانه قد وعدكم العذاب انه نازل بكم بعد ثلاث فان كان صادقا
لم تزيدوا ربكم الا غضبا عليكم وان كان كاذبا فانتم من وراء ما تريدون فانصرفوا
عنه تلك الليلة فاصبحوا يوم الخميس ووجوههم مصفرة كانما طليت بالخلوق
صغيرهم وكبيرهم ذكرهم وانثاهم فايقنوا بالعذاب وعرفوا ان صالحا قد صدقهم فلما قال
فطلبوه ليقتلوه فهرب منهم ولحق بحي من بطون ثمود يقال لهم بنو غنم فنزل على سيدهم
واسمه نفيل ويكنى بابي هدب وهو مشرك فغيب صالحا فلم يقدروا عليه فغدوا على
اصحاب صالح ليدلوهم عليه فقال رجل من اصحاب صالح يقال له مبدع بن هرم يا نبي الله انهم
يعذبوننا لندلهم عليك فندلهم عليك قال نعم فدلوهم عليه فاتوا ابا هدب فكلموه
في امر صالح فقال هو عندي وليس لكم اليه سبيل فاعرضوا عنه وتركوه وشغلهم
ما نزل بهم من العذاب فجعل بعضهم يخبر بعضا بما يرون في وجوههم فلما امسوا
صاحوا باجمعهم الا قد مضى يوم من الاجل فلما اصبحوا في اليوم الثاني اذا وجوههم
محمرة كانما خضبت بالدم فصاحوا وضجوا وبكوا فايقنوا انه العذاب فلما امسوا
صاحوا باجمعهم الا قد مضى يومان من الاجل وحضركم العذاب فلما اصبحوا اليوم
الثالث اذا وجوههم مسودة كانما طليت فصاحوا جميعا الا قد حضركم العذاب
فلما كانت ليلة الاحد خرج صالح من بين اظهرهم ومن اسلم معه الى الشام فنزل
رملة فلسطين فلما اصبحوا في اليوم الثالث تكفنوا وتحنطوا والقوا بانفسهم
الى الارض يقلبون ابصارهم الى السماء مرة والى الارض مرة لا يدرون من اين
ياتيهم العذاب فلما اشتد الضحى من يوم الاحد اتتهم صيحة عظيمة من السماء فيها صوت
كل صاعقة وصوت كل شيء له صوت في الارض فتقطعت قلوبهم في صدورهم
وهلكوا جميعا الا جارية مقعدة يقال لها ذريعة بنت سلف وكانت كافرة
شديدة العداوة لصالح فاطلق الله تعالى رجليها بعدما عاينت العذاب وما اصاب
ثمود فخرجت مسرعة حتى اتت وادي القرى فاخبرتهم بما عاينت من العذاب
الذي بثمود ثم استسقت ماء فسقيت فلما شربت ماتت في الحال وذكر السدي
في عقر الناقة فقال اوحى الله عز وجل الى صالح عليه السلام ان قومك سيعقرون
ناقتك فقال لهم ذلك صالح فقالوا ما كنا لنفعل فقال صالح انه سيولد في شهركم
غلام يعقرها فيكون هلاككم على يديه فقالوا لا يولد لنا في هذا الشهر ولد
الا قتلناه قال فولد لتسعة منهم في ذلك الشهر اولاد فذبحوهم ثم ولد للعاشر
ولد فابى ان يذبحه لانه كان لم يولد له قبل ذلك ولد وكان الولد الذي ولد له

احمر ازرق فنتنت بنا ناسر يعا فكان اذا مر بالتسعة فراوه فالوا لو كان ابناو نا
احيا لكانوا مثل هذا الغلام فغضب التسعة على صالح لانه كان سبب قتل
ابنايهم فتقاسموا بالله يعني فتحالفوا بالله لنبيتنه واهله وقالوا نخرج فنرى الناس
انا قد خرجنا الى سفر فناتي الغار فنكون فيه حتى اذا جا الليل وخرج صالح
الى مسجده اتيناه فقتلناه ثم نرجع الى الغار فنكون فيه ثم ننصرف الى رحلنا
فنقول ما شهدنا مهلك اهله وانا لصادقون فيصدقونا فيظنون انا قد
خرجنا الى سفر وكان صالح لا ينام معهم في القرية بل كان يبيت في مسجد له خارج
القرية فاذا اصبح اتاهم فيعظهم ويذكرهم فاذا امسى خرج الى مسجده فيتعبد فيه فانطلق
التسعة الى الغار فدخلوا فسقط الغار عليهم فقتلهم فانطلق رجال ممن كان قد اطلع
على امرهم لينظروا ما فعل اولئك النفر فراوهم وهم رضخ فرجعوا الى القرية يصيحون
ما رضي صالح بقتل اولادهم حتى قتلهم فاجتمع اهل القرية على عقر الناقة وقال ابن
اسحاق كان التسعة قد تقاسموا على تبييت صالح بعد عقر الناقة وقال السدي وغيره
لما ولد للعاشر ولد سماه قدارا وكان نشا سريعا فلما كبر جلس مع اناس يشربون الخمر
فارادوا ما يمزجون به شرابهم وكان ذلك اليوم يوم شرب الناقة فوجدوا الما قد شربته
الناقة فاشتد ذلك عليهم وقالوا ما نصنع نحن بلبن هذه الناقة ولو كنا ناخذ
هذا الما الذي تشربه الناقة فنسقيه لانعامنا وزروعنا كان خيرا لنا فقال
العاشر هل لكم ان اعقرها لكم قالوا نعم فعقروها ف عن ابن عمر قال لما مر رسول الله
صلى الله عليه وسلم بالحجر قال لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا انفسهم ان يصيبكم ما
اصابهم الا ان تكونوا باكين ثم قنع راسه واسرع السير حتى جاوز الوادي وفي
رواية لمسلم لا تدخلوا على هولا المعذبين ثم ذكر مثله ولهما عنه ان الناس نزلوا
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على الحجر ارض ثمود فاستقوا من ابارها وعجنوا
به العجين فامرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يهرقوا ما استقوه ويعلفوا الابل
العجين وامرهم ان يستقوا من البير التي كانت تردها الناقة وللبخاري ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم لما نزل الحجر في غزوة تبوك امرهم ان لا يشربوا من بيارها ولا
يستقوا منها فقالوا قد عجنا منها واستقينا فامرهم النبي صلى الله عليه وسلم ان
يطرحوا ذلك العجين ويهريقوا ذلك الما وفي بعض الاحاديث قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم لا تسالوا رسولكم الايات هولا قوم صالح سالوا رسولهم فبعث
الله الناقة فكانت ترد من هذا الفج وتصدر من هذا الفج وتشرب ماهم يوم
وردها واراهم مرتقى الفصيل من القارة فعتوا عن امر ربهم وعقروها فاهلك
من تحت اديم السما منهم في مشارق الارض ومغاربها الا رجلا واحدا يقال له
ابو رغال وهو ابو ثقيف كان في حرم الله فمنعه حرم الله من عذاب الله فلما خرج

اصابه ما

اصابه ما اصاب قومه فدفن ودفن معه غصن من ذهب واراهم رسول
الله صلى الله عليه وسلم قبر ابي رغال فنزل القوم فابتدروه باسيافهم وحفروا
عنه فاستخرجوا ذلك الغصن وكانت الفرقة المومنة من قوم صالح اربعة
الاف فخرج صالح الى حضرموت فلما دخلها مات صالح فسمي حضرموت
ثم بنى اربعة الاف مدينة وسموها حاصورا وقال قوم من اهل العلم توفي
صالح عليه السلام بمكة وهو ابن ثمان وخمسين سنة واقام في قومه عشرين
سنة قوله تعالى ولوطا يعني وارسلنا لوطا وقيل معناه واذكر يا محمد لوطا وهو
لوط بن هاران بن تارخ وهو ابن اخي ابراهيم وابراهيم عمه اذ قال لقومه
يعني اهل سدوم واليهم قد كان ارسل وذلك ان لوطا عليه السلام لما هاجر مع عمه
ابراهيم عليهما السلام الى الشام فنزل ابراهيم ارض فلسطين ونزل لوط الاردن فارسله
الله الى اهل سدوم يدعوهم الى الله وينهاهم عن فعلهم القبيح وهو قوله اتاتون
الفاحشة يعني الفعلون الفعلة الخبيثة التي هي غاية في القبح وكانت فاحشتهم
اتيان الذكر في ادبارهم ما سبقكم بها من احد من العالمين من الاولى زائدة لتوكيد
النفي وافادة معنى الاستغراق والثانية للتبعيض والمعنى ما سبقكم بها ايها القوم
بهذه الفعلة الفاحشة احد من العالمين قبلكم وفي هذا الكلام توبيخ لهم وتقريع على
فعلهم تلك الفاحشة قال عمرو بن دينار ما ترا ذكر على ذكر في الدنيا حتى كان قوم لوط
انكم لتاتون الرجال يعني في ادبارهم شهوة من دون النسا يعني ادبار الرجال
اشهى عندكم من فروج النسا بل انتم ايها القوم قوم مسرفون اي مجاوزون الحلال
الى الحرام واتيانهم وعبرهم ووبخهم بهذا الفعل الخبيث لان الله تبارك وتعالى خلق
الانسان وركب فيهم شهوة النكاح لبقا النسل وعمران الدنيا وجعل النسا محلا لتلك الشهوة
وموضع النسل فاذا تركهن الانسان وعدل عنهن الى غيرهن من الرجال فكانما قد اسرف
وجار واعتدى لانه وضع الشي في غير موضعه الذي خلق له لان ادبار الرجال ليس محلا
للولادة التي هي مقصودة بتلك الشهوة المركبة في الانسان وكانت قصة قوم لوط على ما
ذكره محمد بن اسحاق وغيره من اهل الاخبار والسير انه كانت قرى قوم لوط مخصبة وثمار
وزروع لم يكن في الارض مثلها فقصدهم الناس فاذوهم وضيقوا عليهم فعرض لهم
ابليس في صورة شيخ وقال لهم ان فعلتم بهم كذا وكذا نجوتم منهم فابوا فلما الح الناس عليهم
وقصدوهم فاصابوا غلمانا حسانا صباحا فاخبثوا واستحكم ذلك فيهم قال الحسن
كانوا لا ينكحون الا الغربا وقيل استحكم ذلك الفعل فيهم حتى نكح بعضهم بعضا وقال الكلبي
ان اول من عمل عمل قوم لوط ابليس وذلك لان بلادهم اخصبت فقصدها اهل البلدان
فتمثل لهم ابليس في صورة شاب امرد فدعا الى نفسه فكان اول من نكح في دبره
فامر الله تعالى السما ان تحصبهم والارض ان تخسف بهم وقوله تعالى وما كان جواب قومه

يعني وما كان جواب قوم لوط للوط اذ وبخهم على فعلهم القبيح وركوبهم ما حرم الله تعالى
عليهم من العمل الخبيث الا ان قالوا يعني قال بعضهم لبعض اخرجوهم من قريتكم يعني اخرجوا
لوطا واتباعه واهل دينه من بلدكم انهم اناس يتطهرون يعني انهم يتنزهون عن فعلكم
وعن ادبار الرجال لانه موضع النجاسة ومن تركه فقد تطهر وقيل ان البعد عن المعاصي
والاثام يسمى طهارة فمن تباعد عن المعاصي والاثام فقد تطهر فلهذا قالوا انهم
اناس يتطهرون يعني من فعل المعاصي والاثام فانجيناه واهله يعني فانجينا لوطا ومن
امن به واتبعه على دينه وقيل المراد باهله المتصلين به بسبب النسب والمراد اهله
ابنتاه الا امراته يعني زوجته كانت من الغابرين يعني كانت من الباقين في العذاب
لانها كانت كافرة وقيل معناه كانت من الباقين المعمرين قد اتى عليها دهر طويل ثم
هلكت مع من هلك من قوم لوط وانما قال من الغابرين ولم يقل من الغابرات لانها هلكت
مع الرجال فغلب ذكر الرجال فقال من الغابرين وامطرنا عليهم مطرا يعني حجارة من سجيل قد
عجنت بالكبريت والنار يقال مطرت السما وامطرت وقال ابو عبيدة يقال في العذاب
امطر وفي الرحمة مطر فانظر كيف كان عاقبة المجرمين يعني انظر يا محمد كيف كان عاقبة
هولاء الذين كذبوا بالله ورسوله وعملوا الفواحش كيف اهلكناهم قال مجاهد نزل جبريل
فادخل جناحه تحت مداين قوم لوط فاقتلعها ورفعها الى السما ثم قلبها فجعل اعلاها
اسفلها ثم اتبعوا بالحجارة وقوله فانظر كيف كان عاقبة المجرمين وان كان هذا الخطاب
للنبي صلى الله عليه وسلم لكن المراد به غيره من امته ليعتبروا بما جرى على اولئك فينزجروا بذلك
الاعتبار عن الافعال القبيحة والفواحش الخبيثة قوله عز وجل والى مدين اخاهم شعيبا
يعني وارسلنا الى مدين اكثر المفسرين على ان مدين اسم رجل وهو مدين وقيل مديان
ابن ابراهيم الخليل عليه السلام فعلى هذا يكون المعنى وارسلنا الى ولد مدين ومدين اسم
للقبيلة كما يقال بنو تميم وبنو عدي وبنو اسد وقيل مدين اسم للما الذي كانوا عليه وقيل
هو اسم للمدينة وعلى هذين القولين يكون المعنى وارسلنا الى اهل مدين والصحيح هو الاول
لقوله اخاهم شعيبا يعني في النسب لا في الدين وشعيب هو ابن ثويبة بن مدين ابن
ابراهيم عليه السلام قاله عطا وقال محمد ابن اسحاق هو شعيب بن ميكيل بن ابراهيم عليه السلام
وام ميكيل بنت لوط عليه السلام وقيل هو شعيب بن يثرون بن ثويب بن مدين
ابن ابراهيم عليه السلام وكان شعيب اعمى وكان يقال له خطيب الانبيا لحسن مراجعته
قومه وكان قومه اهل كفر وبخس في المكيال والميزان قال يعني شعيبا يا قوم اعبدوا
الله ما لكم من اله غيره قد جاتكم بينة من ربكم يعني قد جاتكم حجة وبرهان من ربكم
بحقيقة ما اقول وصدق ما ادعي من النبوة والرسالة اليكم لانه لا بد لكل نبي معجزة
تدل على صدق ما جا به من عند الله غير ان تلك المعجزة التي كانت لشعيب لم تذكر
في القران وليست كل ايات الانبيا مذكورة في القران وقيل اراد بالبينة مجي شعيب

ابن يسجر بن مدين بن

بالرسالة

بالرسالة اليهم وقيل اراد بالبينة الموعظة وهي قوله فاوفوا الكيل والميزان يعني
فاتموا المكيال والميزان واعطوا الناس حقوقهم وهو قوله ولا تبخسوا الناس
اشياءهم يعني لا تظلموا الناس حقوقهم ولا تنقصوهم اياها فتطففوا الكيل والوزن
يقال بخس فلان في الكيل والوزن اذا نقصه وطففه ولا تفسدوا في الارض بعد
اصلاحها يعني بعد ان اصلحها الله ببعثة الرسل واقامة العدل وكل نبي يبعث الى
قوم فهو صلاحهم ذلكم يعني الذي ذكرت لكم وامرتكم به من الايمان بالله ووفا
الكيل والميزان وترك الظلم والبخس خير لكم مما انتم عليه من الكفر وظلم الناس ان كنتم
مومنين يعني مصدقين بما اقول ولا تقعدوا بكل صراط توعدون يعني ان شعيبا قال
لقومه الكفار ولا تقعدوا على كل طريق من الدين والحق تمنعون الناس من الدخول
فيه وتهددونهم على ذلك وذلك انهم كانوا يجلسون على الطرقات ويخوفون
من يريد الايمان بالله وبرسوله شعيب وهو قوله وتصدون عن سبيل الله
من امن به يعني وتمنعون من يريد الايمان بالله وتقولون ان شعيبا كذاب
وتخوفونه بالقتل قال ابن عباس كانوا يجلسون على الطريق فيخبرون من اتى
عليهم ان شعيبا الذي تريدونه كذاب فلا يفتنكم عن دينكم وتبغونها عوجا
يعني وتريدون اعوجاج الطريق عن الحق وعدولها عن القصد وقيل معناه
وتلتمسون لها الزيغ والهلاك ولا تستقيموا على طريق الهدى والرشاد واذكروا
اذ كنتم قليلا فكثركم يعني ان شعيبا عليه السلام ذكرهم نعمة الله عليهم قال الزجاج
يحتمل ذلك ثلاثة اوجه كثر عددكم وكثركم بالغنا بعد الفقر وكثركم بالقوة بعد الضعف
ووجه ذلك انهم اذا كانوا فقرا ضعفا فهم بمنزلة القليل والمعنى انه كثركم بعد القلة
واعزكم بعد الذلة واشكروا نعمة الله عليكم وامنوا به وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين
يعني وانظروا نظر اعتبار ما نزل بمن كان قبلكم من الامم السالفة والقرون الخالية
حين عتوا على ربهم وعصوا رسله من العذاب والهلاك واقرب الامم اليكم قوم لوط
فانظروا كيف ارسل الله عليهم حجارة من السما بما عصوه وكذبوا رسله وان كان طايفة
منكم امنوا بالذي ارسلت به وطايفة لم يومنوا يعني وان اختلفتم في رسالتي فصرتم
فرقتين فرقة امنت بي وصدقت برسالتي وفرقة كذبت وجحدت رسالتي فاصبروا
فيه وعيد وتهديد حتى يحكم الله بيننا يعني حتى يقضي الله بيننا ويفصل بيننا فينصر
المومنين المصدقين ويظهرهم ويهلك المكذبين الجاحدين ويعذبهم وهو
خير الحاكمين يعني انه حاكم عادل منزه عن الجور والميل والحيف في حكمه وانما
قال خير الحاكمين لانه قد يسمى بعض الاشخاص حاكما على سبيل المجاز والله تعالى
هو الحاكم في الحقيقة فلهذا قال وهو خير الحاكمين قال الملا الذين استكبروا

من قومه يعني قال الجماعة من اشراف قومه الذين تكبروا عن الايمان بالله ورسوله وتعظموا
عن اتباع شعيب لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا او لتعودن
في ملتنا يعني ان قوم شعيب اجابوه بان قالوا لا بد من احد الامرين اما اخراجك ومن
تبعك على دينك من بلدنا او لترجعن الى ديننا وملتنا وما نحن عليه وهذا فيه
اشكال وهو ان شعيبا عليه السلام لم يكن قط على ملتهم حتى يرجع الى ما كان عليه فما
معنى قوله او لتعودن في ملتنا واجيب عن هذا الاشكال بان اتباع شعيب كانوا قبل
الايمان به على ملة اولئك الكفار فخاطبوا شعيبا واتباعه جميعا فدخل هو في الخطاب
وان لم يكن على ملتهم قط وقيل معناه لتصيرن الى ملتنا فوقع العود على معنى الابتدا
كما تقول قد عاد على من فلان مكروه يعني قد لحقني منه ذلك وان لم يكن قد سبق
منه مكروه فهو كما قال الشاعر فان تكن الايام احسن مرة الى فقد عادت لهن ذنوب
اراد فقد صارت لهن ذنوب ولم يرد ان ذنوبا كانت لهن قبل الاحسان وقوله قال
او لو كنا كارهين يعني لا نعود في ملتكم وان اكرهتمونا واجبرتمونا على الدخول فيها
فلا نقبل ولا ندخل قد افترينا على الله كذبا ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها
يعني ان شعيبا اجاب قومه اذ دعوه ومن آمن الى العود الى ملتهم والدخول فيها
فقال قد افترينا يعني قد اختلقنا على الله كذبا وتخرصنا عليه من القول باطلا ان
نحن رجعنا الى ملتكم وقد علمنا فساد ما انتم عليه من الملة والدين وقد انقذنا
الله وخلصنا منها وبصرنا خطأها وهذا ايضا فيه من الاشكال مثل ما في الاول وهو
ان شعيبا عليه السلام ما كان في ملتهم قط حتى يقول ان عدنا في ملتكم بعد اذ
نجانا الله منها والجواب عنه مثل ما اجيب عن الاشكال الاول وهو ان تقول ان
الله نجا قومه الذين آمنوا به من تلك الملة الباطلة الا ان شعيبا نظم نفسه
في جملتهم وان كان بريا مما كانوا عليه من الكفر فاجرى الكلام على حكم التغليب
وقيل معنى نجانا الله منها علمنا قبح ملتكم وفسادها فكانه خلصنا منها وقوله وما
كان لنا ان نعود فيها الا ان يشاء الله ربنا يعني وما يكون لنا ان نرجع الى ملتكم
ونترك الحق الذي نحن عليه الا ان يشاء الله ربنا يعني الا ان يكون قد سبق لنا في
علم الله انا نعود فيها فحينئذ يمضي قضاء الله وقدره فينا وينفذ سابق مشيئته علينا
وقال الواحدي معنى العود هنا الابتداء والذي عليه اهل العلم والسنة في هذه الآية
ان شعيبا واصحابه قالوا ما كنا لنرجع الى ملتكم بعد اذ وقفنا على انها ضلالة تكسب
دخول النار الا ان يريد الله اهلاكنا فامورنا راجعة الى الله غير خارجة عن قبضته
يسعد من يشاء بالطاعة ويشقي من يشاء بالمعصية وهذا من شعيب وقومه
استسلام للمشيئة ولم تزل الانبياء والاكابر يخافون العاقبة وانقلاب الامر

الا ترى الى

الا ترى الى قول الخليل ابراهيم عليه السلام واجنبني وبني ان نعبد الاصنام وكان
نبينا محمد صلى الله عليه وسلم كثيرا ما يقول يا مقلب القلوب ثبت قلبي على
دينك قال الزجاج المعنى وما يكون لنا ان نعود فيها الا ان يكون قد سبق في
علم الله ومشيئته ان نعود فيها وتصديق ذلك قوله وسع ربنا كل شيء علما
معنى انه تعالى يعلم ما يكون قبل ان يكون وما سيكون وانه تعالى كان عالما في الازل
بجميع الاشيا فالسعيد من سعد في علم الله والشقي من شقي في علم الله تعالى
على الله توكلنا يعني على الله نعتمد واليه نستند في امورنا كلها فانه الكافي لمن توكل
عليه والمعنى على الله توكلنا لا على غيره فكانه ترك الاسباب ونظر الى مسبب الاسباب
ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق لما ايس شعيب من قومه دعا بهذا الدعاء فقال
ربنا افتح اي اقض واحكم بيننا وبين قومنا بالحق يعني بالعدل الذي لا جور
فيه ولا ظلم ولا حيف وانت خير الفاتحين يعني خير الحاكمين قال الفراء اهل عمان
يسمون القاضي الفاتح وقال غيره هو لغة مراد وانشد بعضهم الا ابلغ بني عصم رسولا
فاني عن فتاحتكم غني اراد انه غني عن حاكمهم وقاضيهم وقال ابن عباس ما كنت ادري
ما معنى قوله ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وانت خير الفاتحين حتى سمعت ابنة
ذي يزن تقول تعال افاتحك يعني اقاضيك وهذا قول قتادة والسدي وابن جرير
وجمهور المفسرين ان الفاتح هو القاضي والحاكم سمي بذلك لانه يفتح اغلاق الاشكال
بين الخصوم ويفصلها وقال الزجاج وجائز ان يكون معناه ربنا اظهر امرنا حتى ينفتح
بيننا وبين قومنا وينكشف والمراد منه ان تنزل عليهم عذابا يدل على كونهم مبطلين
وعلى كون شعيب وقومه محقين وعلى هذا الوجه فالفتح يراد به الكشف والتمييز
وقال الملأ الذين كفروا من قومه لئن اتبعتم شعيبا انكم اذا لخاسرون يعني وقال
جماعة من اشراف قوم شعيب ممن كفر به لآخرين منهم لئن اتبعتم شعيبا على
دينه وتركتم دينكم وملتكم وما انتم عليه انكم اذا لخاسرون يعني انكم المغبونون
في فعلكم فاخذتهم الرجفة يعني الزلزلة الشديدة فاصبحوا في دارهم جاثمين قال ابن
عباس وغيره فتح الله عليهم بابا من جهنم فارسل عليهم حرا شديدا من جهنم فاخذ
بانفاسهم فلم ينفعهم ظل ولا ماء فدخلوا في الاسراب ليبردوا فيها فوجدوها
اشد حرا من الظاهر فخرجوا هربا الى البرية فبعث الله عليهم سحابة فيها ريح طيبة
باردة فاظلتهم وهي الظلة فوجدوا لها بردا ونسيما فنادى بعضهم بعضا حتى
اذا اجتمعوا تحت السحابة رجالهم ونساؤهم وصبيانهم الهبها الله عليهم نارا
ورجفت بهم الارض من تحتهم فاحترقوا كما يحترق الجراد في المقلى وصاروا
رمادا وروي ان الله تعالى حبس عنهم الريح سبعة ايام ثم سلط عليهم الحر حتى هلكوا
وقال قتادة بعث الله شعيبا الى اصحاب الايكة والى اهل مدين فاما اصحاب الايكة

فاهلكوا بالظلة واما اهل مدين فاخذتهم الصيحة صاح بهم جبريل صيحة فهلكوا بها جميعا
قال ابو عبيد الله البجلي كان ابو جاد وهوز وحطي وكلمن وسعفص وقرشيات
ملوك مدين وكان ملكهم في زمن شعيب يوم الظلة اسمه كلمن فلما هلك
قالت ابنته شعرا تبكيه وترثيه ❁ كلمن هدّ ركني هلكه وسط المحلة ❁ سيد القوم
اتاه هلكه نار تحت ظلة ❁ جعلت نار عليهم دارهم كالمضمحلة وقوله تعالى الذين كذبوا
شعيبا كان لم يغنوا فيها يعني كان لم يقيموا فيها ولم ينزلوا يوما من الدهر يقال اي
اقمت به والمغاني المنازل التي بها اهلها واحدها مغنى قال الشاعر ❁ ولقد غنوا
فيها بانعم عيشة ❁ في ظل ملك ثابت الاوتاد ❁ اراد فيها اقاموا وقيل في معنى الاية
كان لم يعيشوا فيها متنعمين مستغنين يقال غني الرجل اذا استغنى وهو من الغنى
الذي هو ضد الفقر الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين يعني خسروا انفسهم بهلاكهم
فتولى عنهم يعني فاعرض عنهم شعيب شاخصا من بين اظهرهم حين اتاهم العذاب
وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم يعني انه قال لهم ذلك لما
تيقن نزول العذاب بقومه واختلفوا هل كان هذا القول قبل نزول العذاب او بعده
على قولين سبقا في قصة هود عليه السلام وقوله فكيف آسى على قوم كافرين والاسى
اشد الحزن وانما اشتد حزنه على قومه لانهم كانوا كثيرين وكان يتوقع منهم الاجابة
والايمان فلما نزل بهم ما نزل من العذاب عزى نفسه فكيف كان احزن على قوم
كافرين لانهم هم الذين هلكوا انفسهم باصرارهم على الكفر وقيل في معنى الاية ان شعيبا
قال لقد اعذرت اليكم في الابلاغ والنصيحة والتحذير فلم تسمعوا قولي ولم تقبلوا
نصحي فكيف احزن عليكم يعني انكم لستم مستحقين بان يحزن عليكم فعلى القول الاول
انه حصل لشعيب حزن على قومه وعلى القول الثاني لم يحزن عليهم والله اعلم قوله
تعالى وما ارسلنا في قرية من نبي فيه اضمار وحذف تقديره فكذبوه الا اخذنا
اهلها بالبأساء والضراء قال ابن مسعود البأساء الفقر والضراء المرض وهذا معنى
قول الزجاج فانه قال البأساء كلما نالهم من الشدة في اموالهم والضراء كلما نالهم
من الامراض وقيل البأساء الشدة وضيق العيش والضراء الضر وسوء الحال لعلهم
يضرعون يعني انما فعلنا بهم ذلك لكي يتضرعوا ويتوبوا والتضرع الخضوع والانقياد
لامر الله عز وجل والمراد من هذه الاية ان الله عز وجل لما بين لنبيه صلى الله عليه وسلم
احوال الانبياء مع اممهم المكذبة وقص عليه من اخبارهم وعرفه سنته في الامم التي
خلوا من قبله وما صاروا اليه من الهلاك والعذاب عرفه في هذه الاية انه قد ارسل
رسلا الى امم اخر فكذبوا رسلهم فاخذهم بالبأساء والضراء كما فعل بمن كذب رسله
وفيه تخويف وتحذير لكفار قريش وغيرهم من الكفار لينزجروا عما هم عليه من
الكفر والتكذيب ثم بين تعالى انه لا يجري تدبيره في اهل القرى على نمط واحد

وسنة واحدة

يعني احزن ع

وسنة واحدة انما يدبرهم بما يكون الى الايمان اقرب وهو قوله تعالى ثم بدلنا
مكان السيئة الحسنة لان ورود النعمة على البدن والمال بعد الشدة والضيق
يستدعي الانقياد للطاعة والاشتغال بالشكر قال اهل اللغة السيئة كل ما يسوء صاحبه
والحسنة كل ما يستحسنه الطبع والعقل فالسيئة والحسنة هنا الشدة والرخاء والمعنى انه
تعالى بدل مكان البأساء والضراء النعمة والسعة والخصب والصحة في الابدان فاخبر
الله تعالى في هذه الاية انه ياخذ اهل المعاصي والكفر تارة بالشدة وتارة بالرخاء على سبيل
الاستدراج وهو قوله حتى عفوا يعني انه فعل ذلك بهم حتى كثروا وكثرت اموالهم
يقال عفا الشعر اذا كثر وطال وقال مجاهد حتى كثرت اموالهم واولادهم وقالوا
يعني من غرتهم وغفلتهم بعد ما صاروا الى الرخاء والسعة قد مس اباءنا الضراء
والسراء يعني انهم قالوا هكذا عادة الدهر قديما وحديثا لنا ولاباءنا ولم يكن ما مسنا
من الشدة والضراء عقوبة لنا من الله تعالى على ما نحن عليه فكونوا على ما انتم عليه
كما كان اباؤكم من قبل فانهم لم يتركوا دينهم بما اصابهم من الضراء والسراء قال الله تعالى
فاخذناهم بغتة يعني اخذناهم فجاءة امن ما كانوا ليكون ذلك اعظم لحسرتهم
وهم لا يشعرون يعني بنزول العذاب بهم والمراد بذكر هذه القصة اعتبار من سمعها
لينزجر عما هو عليه من الذنوب قوله عز وجل ولو ان اهل القرى امنوا واتقوا يعني
لما بين الله تعالى في هذه الاية الاولى ان الذين عصوا وتمردوا اخذهم بعذابه
بين في هذه الاية انهم لو امنوا يعني بالله ورسله فاطاعوه فيما امرهم به واتقوا
يعني ما نهى الله عنه وحرمه عليهم لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض فبركات
السماء المطر وبركات الارض النبات والثمار وجميع ما فيها من الخيرات والانعام والارزاق
والامن والسلامة من الافات وكل ذلك من فضل الله واحسانه على عباده واصل البركة
ثبوت الخير الالهي في الشيء وسمي المطر بركة السماء لثبوت البركة فيه وكذا ثبوت البركة
في نبات الارض لانه نشأ عن بركات السماء وهي المطر وقال البغوي اصل البركة المواظبة
على الشيء اي تابعنا عليهم بالمطر من السماء والنبات من الارض ورفعنا عنهم القحط و
الجدب ولكن كذبوا يعني فعلنا بهم ذلك ليؤمنوا فما امنوا ولكن كذبوا يعني الرسل
فاخذناهم يعني بانواع العذاب بما كانوا يكسبون يعني اخذناهم بسبب كسبهم الاعمال
الخبيثة قوله تعالى افامن اهل القرى هو استفهام بمعنى الانكار وفيه وعيد وتهديد وزجر
والمراد بالقرى مكة وما حولها وقيل هو عام في كل اهل القرى الذين كفروا وكذبوا ان
ياتيهم باسنا يعني عذابنا بياتا يعني ليلا وهم نائمون اوامن اهل القرى ان ياتيهم
باسنا ضحى يعني نهارا لان الضحى صدر النهار وهم يلعبون يعني وهم ساهون
لاهون غافلون عما يراد بهم والمقصود من الاية ان الله خوفهم نزول العذاب
وهم في غاية الغفلة وهو حال النوم بالليل وحال الضحى بالنهار لانه الوقت

الذي يغلب على الانسان التشاغل فيه بامور الدنيا وامور الدنيا كلها لعب ويحتمل ان يكون
المراد خوضهم في كفرهم وذلك لعب ايضا لانه لا يضر ولا ينفع أفأمنوا مكر الله يعني
استدراجه اياهم بما انعم عليهم من الدنيا وقيل المراد به ان ياتيهم عذابه من حيث
لا يشعرون وعلى هذا الوجه فيكون بمعنى التحذير وسمى هذا العذاب مكرا لنزوله
وهم في غفلة عنه لا يشعرون به فلا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون يعني انه لا يامن ان
يكون ما اعطاهم من النعمة مع كفرهم استدراجا الا من خسر في اخراه وهلك مع الهالكين
اولم يهد يعني اولم يتبين للذين يرثون الارض من بعد اهلها يعني من بعد اهلها الذين
كانوا من قبلهم فورثوا ديارهم وخلفوهم فيها ان لو نشاء اصبناهم بذنوبهم يعني لو نشاء
اخذناهم وعاقبناهم بسبب كفرهم ونطبع اي ونختم على قلوبهم فهم لا يسمعون يعني
لا يسمعون موعظة ولا يقبلون الايمان ونطبع منقطع عما قبله والمعنى ونحن نطبع على
قلوبهم ويجوز ان يكون معطوفا على الماضي ولفظه لفظ المستقبل والمعنى ولو شئنا طبعنا
على قلوبهم تلك القرى يعني هذه القرى التي ذكرنا لك يا محمد امرها وامر اهلها وهي
قرى قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وقوم شعيب نقص عليك من انبائها يعني نخبرك
عنها وعن اخبار اهلها وما كان من امرهم وامر رسلهم الذين ارسلوا اليهم لتعلم يا محمد انا
لننصر رسلنا والذين امنوا معهم على اعدائنا واعدائهم من اهل الكفر والعناد وكيف
اهلكناهم بكفرهم ونجينا المؤمنين مع رسلهم ففيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وتحذير لكفار قريش ان
يصيبهم مثل ما اصابهم ولقد جاءتهم يعني لاهل تلك القرى رسلهم بالبينات يعني جاءتهم بالمعجزات
الباهرات والبراهين الدالة على صدقهم فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل اختلف اهل التفسير
في معنى ذلك فقيل معناه فما كان هؤلاء المشركين الذين اهلكناهم من اهل القرى ليؤمنوا
عند ارسالنا اليهم رسلهم بما كذبوا من قبل ذلك وهو يوم اخذ ميثاقهم حين اخرجهم
من ظهر ادم عليه السلام فاقروا باللسان واضمروا التكذيب وهذا معنى قول ابن عباس والسدي
قال السدي امنوا كرها يوم اخذ الميثاق قال مجاهد فما كانوا ليؤمنوا بعد اهلاكهم ومعاينة
العذاب ليؤمنوا بما كذبوا من قبل هلاكهم وقيل معناه فما كانوا ليؤمنوا عند مجيء الرسل بما سبق
لهم في علم الله انهم يكذبون به حين اخرجهم من صلب ادم عليه السلام قال ابي بن كعب
كان سبق لهم في علمه يوم اقروا له بالميثاق انهم لا يؤمنون وقال الربيع بن انس يحق على
العباد ان ياخذوا من العلم ما ابدى لهم ربهم وان لا يتناولوا علم ما اخفى الله عنهم فان
علمه نافذ فيما كان وفيما يكون وفي ذلك قال تعالى ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات فما كانوا
ليؤمنوا بما كذبوا من قبل كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين قال لقد علمه فيهم ايهم
المطيع من العاصي حيث خلقهم في صلب ادم عليه السلام قال الطبري واولى الاقوال
بالصواب قول ابي بن كعب والربيع بن انس وذلك ان من سبق في علم الله انه
لا يؤمن به فلا يؤمن ابدا وقد كان سبق في علم الله لمن هلك من الامم الذين

فقص خبرهم

فقص خبرهم في هذه السورة انهم لا يؤمنون ابدا فاخبر عنهم انهم لم يؤمنوا بما هم به
مكذبون في سابق علمه قبل مجيء الرسل عند مجيئهم اليهم كذلك يطبع الله على
قلوب الكافرين يعني كما طبع الله على قلوب كفار الامم الخالية واهلكهم كذلك يطبع
الله على قلوب الكافرين الذين كتب عليهم انهم لا يؤمنون من قومك وما وجدنا لاكثرهم
من عهد يعني وما وجدنا لاكثر الامم الخالية والقرون الماضية الذين قصصنا خبرهم
عليك يا محمد من وفاء بالعهد الذي عهدناه اليهم واوصيناهم به يوم اخذ الميثاق قال
ابن عباس انما اهلك الله اهل القرى لانهم لم يكونوا حفظوا ما وصاهم به وان وجدنا
اكثرهم لفاسقين اي ما وجدنا اكثرهم الا فاسقين خارجين عن طاعتنا وامرنا قوله عز وجل
ثم بعثنا من بعدهم اي بعثنا بعد الانبياء الذين تقدم ذكرهم وهم نوح وهود وصالح
ولوط وشعيب عليهم السلام موسى باياتنا يعني بحججنا وادلتنا الدالة على صدقه مثل اليد
والعصا ونحو ذلك من الايات التي جاء بها موسى عليه السلام الى فرعون وملئه قيل
ان كل من ملك مصر كان يسمى ملك فرعون في ذلك الزمان مثل ما كان يسمى ملك
الفرس كسرى وملك الروم قيصر وملك الحبشة النجاشي وكان اسم فرعون الذي
ارسل اليه موسى عليه السلام الوليد بن مصعب بن الريان وكان ملك القبط والملا
اشراف قومه وانما خصوا بالذكر لانه اذا امن الاشراف امن الاتباع فظلموا بها يعني فجحدوا
بها لان الظلم وضع الشيء في غير موضعه ولما كانت هذه الايات معجزات ظاهرة قاهرة ثم كفروا
بها فوضعوا الكفر موضع الايمان فانظر كيف كان عاقبة المفسدين اي انظر يا محمد
بعين العقل والبصيرة كيف فعلنا بهم وكيف اهلكناهم وقال موسى يا فرعون اني
رسول من رب العالمين يعني ان موسى عليه السلام لما دخل على فرعون دعاه الى الله والى
الايمان وقال له اني رسول يعني مرسل اليك والى قومك من رب العالمين يعني ان
الله الذي خلق الخلق وهو سيدهم ومالكهم هو الذي ارسلني اليك حقيق اي واجب
على ان لا اقول على الله الا الحق يعني اني رسول والرسول لا يقول على الله الا الحق
في وصفه وتنزيهه وتوحيده وانه لا اله غيره قد جئتكم ببينة من ربكم يعني ببرهان على صدقي
فيما ادعي من الرسالة والمراد ببينة معجزته وهي العصا واليد البيضاء ثم ان موسى عليه السلام
لما فرغ من تبليغ رسالته رتب على ذلك الحكم فقال موسى فارسل معي بني اسرائيل يعني
خل عنهم واطلقهم من اسرك وكان فرعون قد استعبد بني اسرائيل واستعملهم في
الاعمال الشاقة مثل ضرب اللبن ونقل التراب ونحو ذلك من الاعمال الشاقة قال ان فات بها صح
كنت جئت باية ان كنت من الصادقين يعني ان فرعون قال لموسى عليه السلام
تبليغ الرسالة ان كنت جئت من عند من ارسلك ببينة تدل على صدقك
فاتني بها واحضرها عندي لتصح دعواك ويثبت صدقك فيما قلت فالقى عصاه
فاذا هي ثعبان مبين اي بين والثعبان اي الذكر من الحيات وصفه هنا بانه ثعبان

من الحباب العظيم الضخم ووصفه في اية اخرى كانها جان والجان الحية الصغيرة وجمع
بين هذين الوصفين بانها كانت في عظم الحية كالثعبان العظيم وفي خفة الحركة كالحية
الصغيرة وهي الجان قال ابن عباس والسدي انه لما القى العصا صارت حية عظيمة صفرا
شعرا فاغرة فاها بين لحييها ثمانون ذراعا وارتفعت من الارض بقدر ميل
وقامت على ذنبها واضعة لحيها الاسفل في الارض ولحيها الاعلى على سور القصر
وتوجهت نحو فرعون لتاخذه فوثب فرعون عن سريره هاربا واحدث في ذلك
اليوم اربعماية مرة وقيل انها اخذت قبة فرعون بين انيابها وحملت على الناس
فانهزموا وصاحوا وقتل بعضهم بعضا فمات منهم في ذلك خمسة وعشرون الفا ودخل
فرعون البيت وصاح يا موسى انشدك بالذي ارسلك ان تاخذها وانا اومن بك
وارسل معك بني اسرايل فعادت في يده عصا كما كانت وفي كون الثعبان مبينا وجوه
الاول انه متميز وبيان ذلك عما عملته السحرة من التمويه والتلبيس وبذلك تتميز
معجزات الانبيا عن تمويه السحرة وتخيلهم الوجه الثاني انهم شاهدوا العصا قد انقلبت
حية ولم يشتبه ذلك عليهم فلذلك قال ثعبان مبين اي بين الوجه الثالث ان
ذلك الثعبان لما كانت معجزة لموسى عليه السلام كانه ابان صدق قول موسى في انه رسول
من رب العالمين وقوله تعالى ونزع يده النزع في اللغة عبارة عن اخراج الشي عن مكانه
والمعنى انه اخرج يده عن جيبه او من تحت جناحيه فاذا هي بيضا للناظرين
قال ابن عباس وغيره اخرج يده من جيبه فراها بيضا من غير سو يعني من غير برص
وقيل ان موسى ادخل يده تحت جيبه ثم نزعها منه وقيل اخرج يده من تحت ابطه
فاذا هي بيضا لها شعاع غلب نور الشمس وكان موسى عليه السلام آدم اللون
ثم ردها الى جيبه ثم اخرجها فاذا هي كما كانت ولما كان البياض المفرط عيب
في الجسد وهو البرص قال الله تعالى في اية اخرى بيضا من غير سو يعني من غير برص
والمعنى فاذا هي بيضا للنظارة ولا تكون بيضا للنظارة الا اذا كان بياضها بياضا
عجيبا خارجا عن العادة يتعجب منه فصل في بيان المعجزة وكونها دليلا على
صدق الرسول اعلم ان الله تبارك وتعالى كان قادرا على خلق المعرفة والايمان
في قلوب عباده ابتدا من غير واسطة ولكن ارسل اليهم رسلا لتعرفهم معالم دينه
وجميع تكليفاته وذلك ان الرسول واسطة بين الله عز وجل وبين عباده
يبلغهم كلامه ويعرفهم احكامه وجايز ان يكون ذلك الواسطة من غير البشر كالملايكة
مع الانبيا وجايز ان يكون الواسطة من جنس البشر كالانبيا مع اممهم ولا مانع
لهذا من جهة العقل فاذا جاز هذا في دليل العقل وقد جات الرسل عليهم
السلام بمعجزات دلت على صدقهم فوجب تصديقهم في جميع ما اتوا به لان
المعجز مع التحدي من النبي قايم مقام قول الله عز وجل صدق عبدي فاطيعوه

واتبعوه ولان معجز النبي شاهد على صدقه فيما يقوله وسميت المعجزة معجزة لان الخلق
عجزوا عن الاتيان بمثلها وهي على ضربين فضرب منها هو نوع قدرة البشر ولكن
عجزوا عنه فعجزهم عنه دل على انه من فعل الله ودل على صدق نبيه صلى الله عليه وسلم كتمني
الموت في قوله فتمنوا الموت ان كنتم صادقين فلما صرفوا عن تمنيه مع قدرتهم عليه علم انه
من عند الله ودل على صدق النبي صلى الله عليه وسلم الضرب الثاني ما هو خارج عن قدرة
البشر كاحيا الموتى وقلب العصا حية واخراج ناقة من صخرة وكلام الشجر والجماد والحيوان
ونبع الما من بين الاصابع وغير ذلك من المعجزات التي عجز البشر عن مثلها فاذا اتى النبي
بشي من تلك المعجزات الخارقة للعادات علم ان ذلك من عند الله وان الله عز وجل هو
الذي اظهر ذلك المعجز على يد نبيه لتكون حجة له على صدقه فيما يخبر به عن الله عز وجل وقد
ثبت بدليل العقل والبرهان القاطع ان الله تعالى قادر على خلق الاشيا وابداعها من
غير اصل سبق لها واخراجها من العدم الى الوجود وانه قادر على قلب الاعيان و
خوارق العادات والله اعلم قوله عز وجل قال الملا من قوم فرعون ان هذا يعني موسى
لساحر عليم يعنون انه ليا خذ باعين الناس حتى يخيل لهم ان العصا صارت حية وترى
الشي بخلاف ما هو عليه كما اراهم يده بيضا وهو آدم اللون وانما قالوا ذلك لان السحر
كان هو الغالب في ذلك الزمان فلما اتى بما يعجز عنه غيره قالوا انه لساحر عليم فان قلت
قد اخبر الله في هذه السورة ان هذا الكلام من قول الملا من قوم فرعون وقال في سورة الشعرا
وقال فرعون للملا حوله ان هذا لساحر عليم فكيف الجمع بينهما قلت لا يمتنع ان يكون قال
فرعون اولا ثم انهم قالوه بعده فاخبر الله عنهم هنا واخبر عن فرعون في سورة الشعرا
وقيل يحتمل ان فرعون قال هذا القول ثم ان الملا من قومه وهم خاصته سمعوه منه
ثم انهم بلغوه الى العامة فاخبر الله عز وجل هنا عن الملا واخبر هناك عن فرعون وقوله
يريد ان يخرجكم من ارضكم يعني يريد موسى ان يخرجكم ايها القبط من ارض مصر فماذا
تامرون يعني فاي شي تشيرون ان نفعل به وقيل ان قوله فماذا تامرون من قول الملا
كان كلام فرعون تم عند قوله يريد ان يخرجكم من ارضكم فقال الملا مجيبين لفرعون فماذا
تامرون فانما خاطبوه بلفظ الجمع وهو واحد على عادة الملوك في التعظيم والتفخيم
والمعنى فماذا تامرون ان نفعل به والقول الاول اصح لسياق الاية التي بعدها
وهو قوله تعالى قالوا ارجيه واخاه يعني اخر امرهما ولا تعجل فيه فتصير عجلتك عليك
لا لك والارجا التاخير في اللغة وقيل معنى ارجيه احبسه واخاه وهذا القول
ضعيف لان الارجا في اللغة هو التاخير لا الحبس ولان فرعون ما كان يقدر
على حبس موسى بعد ما راى من امر العصا ما راى وارسل في المداين جمع مدينة
واشتقاقها من مدن بالمكان اي اقام به يعني مداين صعيد مصر حاشرين يعني رجالا
يحشرون اليك السحرة من جميع مداين الصعيد والمعنى انهم قالوا لفرعون

ارسل الى هذه المداين رجالا من اعوانك وهم الشرط يحشرون اليك من فيها من السحرة وكان
روسا السحرة باقصى مداين الصعيد فان غلبهم موسى صدقناه وتبعناه وان غلبوه
علمنا انه ساحر فذلك قوله يأتوك يعني الشرط بكل ساحر وقرئ سحار والفرق بين
الساحر والسحار ان الساحر هو المبتدي في صناعة السحر فيتعلم ولا يعلم والسحار هو
الماهر الذي يتعلم منه السحر وقيل الساحر من يكون سحره وقتا دون وقت والسحار الذي
يدوم سحره ويعمل في كل حين عليم يعني ماهرا بصناعة السحر وقال ابن عباس وابن اسحاق
والسدي ان فرعون لما راى من سلطان الله وقدرته في العصا قال انا لا نغالب موسى
الا بمن هو اعلم منه فاتخذ غلمانا من بني اسرايل وبعث بهم الى مدينة يقال لها الفو
يعلمونهم السحر فعلموهم سحرا كثيرا فواعد فرعون موسى موعدا ثم بعث الى السحرة
فجاوا ومعهم معلمهم فقال فرعون للمعلم ماذا صنعت قال قد علمتهم سحرا لا يطيقه
سحرة اهل الارض الا ان يكون امرا من السما فانه لا طاقة لهم به ثم بعث فرعون في
مملكته فلم يترك ساحرا الا اتى به واختلفوا في عدد السحرة الذين جمعهم فرعون
فقال مقاتل كانوا اثنين وسبعين اثنان منهم من القبط وهما راسا القوم وسبعون
من بني اسرايل وسبعون من بني اسرايل وقال الكلبي كان الذين يعلمونهم رجلين
مجوسيين من اهل نينوى وكانوا سبعين غير رئيسهم وقال كعب الاحبار كانوا اثني
عشر الفا وقال عكرمة كانوا سبعين الفا وقال محمد بن المنكدر كانوا ثمانين
الفا وقال السدي كانوا بضعا وثمانين الفا وقيل رئيس القوم شمعون وقيل
يوحنا قوله عز وجل وجا السحرة فرعون يعني لما اجتمعوا وجاوا الى فرعون قالوا
اين لنا لاجرا يعني جعلا وعطا تكرمنا به ان كنا نحن الغالبين يعني لموسى قال
الامام فخر الدين ولقايل ان يقول كان حق الكلام ان يقول وجا السحرة فرعون
فقالوا بالفا وجوابه هو على تقدير سايل سال ما قالوا اذا جاوا فاجيب بقوله
قالوا اين لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين قال نعم قال لهم فرعون لكم الاجر والعطا
وانكم لمن المقربين يعني ولكم المنزلة الرفيعة عندي مع الاجر والمعنى ان فرعون
قال للسحرة اني لا اقتصر بكم على الاجر بل ازيدكم عليه وتلك الزيادة اني اجعلكم
من المقربين عندي قال الكلبي تكونوا اول من يدخل علي واخر من يخرج من عندي
قالوا يعني السحرة يا موسى اما ان تلقي يعني عصاك واما ان نكون نحن الملقين
يعني عصينا وحبالنا في هذه الاية دقيقة لطيفة وهي ان السحرة راعوا مع
موسى عليه السلام حسن الادب حيث قدموه على انفسهم في الالقا فلا جرم
ان الله عز وجل عوضهم حيث تادبوا مع نبيه موسى عليه السلام ان من عليهم بالايمان
والهداية ولما راعوا الادب اولا واظهروا احسانا يدل على رغبتهم في ذلك
قال يعني قال لهم موسى القوا يعني انتم فقدمهم على نفسه في الالقا فان قلت

كيف جاز

كيف جاز لموسى ان يامر بالالقا وقد علم انه سحر وفعل السحر كفر قلت ذكر العلما عنه اجوبة
احدها ان معناه ان كنتم محقين في فعلكم فالقوا والا فلا تلقوا الجواب الثاني انه لما امرهم
بالالقا لتظهر معجزته لانه اذا لم يلقوا حبالهم وعصيهم لم تظهر معجزة موسى في عصاه الجواب
الثالث ان موسى علم انهم لا بد ان يلقوا تلك الحبال والعصي وانما وقع التخيير في
التقديم والتاخير فاذن لهم في التقديم لتظهر معجزته ايضا بغلبتهم لانه لو القوا ولا
لم يكن له غلب وظهور عليهم فلهذا المعنى امرهم بالالقا اولا فلما القوا يعني حبالهم
وعصيهم سحروا اعين الناس يعني صرفوا اعين الناس عن ادراك حقيقة ما فعلوه
من التمويه والتخييل وهذا هو السحر وهذا هو الفرق بين السحر الذي هو فعل البشر
وبين معجزة الانبيا التي هي فعل الله وذلك لان السحر قلب الاعين وصرفها عن
ادراك ذلك الشي والمعجزة قلب نفس الشي وحقيقته كقلب عصا موسى عليه السلام
حية تسعى واسترهبوهم يعني ارهبوهم وافزعوهم بما فعلوه من السحر وهو قوله تعالى وجاوا
يعني السحرة بسحر عظيم وذلك انهم القوا حبالا غلاظا وخشبا طوالا فاذا هي حيات
كامثال الجبال قد ملات الوادي يركب بعضها بعضا وقيل انهم طلوا تلك الحبال
بالزيبق وجعلوا داخل تلك العصي زيبقا ايضا والقوها على الارض فلما اثر حر
الشمس فيها تحركت والتوى بعضها على بعض حتى تخيل للناس انها حيات وقيل
ان الارض كانت سعتها ميل في ميل فصارت كلها حيات وافاعي ففزع الناس
من ذلك واوجس في نفسه خيفة موسى وهذه الخيفة تحصل لموسى عليه السلام لاجل
سحرهم لانه عليه السلام كان على ثقة ويقين من الله انهم لن يغلبوه وهو غالبهم
وكان عالما بان ما اتوا به على وجه المعارضة لمعجزته فهو من باب السحر والتخييل وذلك
باطل ومع هذا الجزم يمتنع حصول الخوف لموسى من ذلك بل كان خوفه عليه السلام
لاجل فزع الناس واضطرابهم بما راوا من امر تلك الحبال فخاف موسى عليه السلام ان يتفرقوا
قبل ظهور معجزته وحجته فلذلك اوجس في نفسه خيفة موسى قوله تعالى واوحينا
الى موسى ان الق عصاك يعني فالقاها فاذا هي تلقف تبتلع ما يافكون يعني
ما يكذبون فيه السحرة لان اصل الافك قلب الشي عن وجهه ومنه قيل للكذاب
افاك لانه يقلب الكلام عن وجهه الصحيح الى الباطل قال المفسرون اوحى الله عز
وجل الى موسى ان لا تخف والق عصاك فالقاها فصارت حية عظيمة
حتى سدت الافق قال ابن زيد كان اجتماعهم بالاسكندرية فيقال بلغ
ذنب الحية من ورا البحيرة فتحت فاها ثمانين ذراعا فاذا هي تلقف يعني
تبتلع حبالهم وعصيهم واحدا واحدا حتى ابتلعت الكل وقصدت القوم
الذين حضروا ذلك الجمع ففزعوا ووقع الزحام عليهم فمات من ذلك
الزحام خمسة وعشرون الفا ثم اخذها موسى فصارت في يده عصا كما كانت اول

مرة فلما راى السحرة ذلك عرفوا انه من امر السما وليس بسحر وعرفوا ان ذلك من
قدرة البشر وفوتهم فعند ذلك خروا سجدا وقالوا امنا برب العالمين وذلك
قوله تعالى فوقع الحق يعني ظهر الحق الذي جا به موسى وبطل ما كانوا يعملون يعني
من السحر وذلك ان السحرة قالوا لو كان ما صنع موسى سحرا لبقيت حبالنا وعصينا
فلما فقدت وتلاشت في عصى موسى علموا ان ذلك من امر الله وقدرته فغلبوا
هنالك يعني فعند ذلك غلب فرعون وسحرته وجموعه وانقلبوا صاغرين يعني
ورجعوا ذليلين مقهورين والقى السحرة ساجدين يعني ان السحرة لما عاينوا من عظيم
الله ما عاينوا وليس في قدرتهم مقابلته بسحر خروا لله ساجدين وذلك ان
الله عز وجل الهمهم معرفته والايمان به قالوا امنا برب العالمين فقال فرعون
اياي تعنون قالوا بل رب موسى وهارون قال مقاتل قال موسى لكبير السحرة تؤمن بي
ان غلبتك فقال لاتين بسحر لا يغلبه سحر ولين غلبتني لاومنن بك وقيل ان حبال
والعصي التي كانت مع السحرة كانت حمل ثلثماية بعير فلما ابتلعها عصى موسى كلها قال
بعضهم لبعض هذا امر خارج عن حد السحر وما هو الا من امر السما فامنوا وصدقوا
فان قلت كان يجب ان ياتوا بالايمان قبل السجود فما فايدة تقديم السجود على الايمان
قلت لما قذف الله عز وجل في قلوبهم الايمان والمعرفة خروا سجدا لله تعالى شكرا على
ما هداهم اليه فالهمهم به من الايمان بالله وتصديق رسوله ثم اظهروا بعد ذلك ايمانهم
وقيل لما راوا من عظيم قدرة الله وسلطانه في امر العصى فانه ليس يقدر على ذلك احد
من البشر وزالت كل شبهة كانت في قلوبهم بادروا الى السجود لله تعظيما لشانه لما راوا
من عظيم قدرته ثم انهم اظهروا الايمان باللسان قال ابن عباس لما رات السحرة ما رات
عرفت ان ذلك من امر السما وليس بسحر خروا سجدا وقالوا امنا برب العالمين
رب موسى وهارون قوله عز وجل قال فرعون امنتم به قبل ان اذن لكم يعني
قال فرعون للسحرة امنتم بموسى وصدقتموه قبل ان امركم بذلك واذن لكم ان هذا
لمكر مكرتموه في المدينة يعني ان هذا الصنع الذي صنعتموه انتم وموسى في مدينة مصر
قبل خروجكم الى هذا الموضع وذلك ان فرعون راى موسى يحدث كبير السحرة فظن
فرعون ان موسى وكبير السحرة قد تواطا عليه وعلى اهل مصر وهو قوله لتخرجوا منها
اهلها وتستولوا عليها انتم فسوف تعلمون فيه وعيد وتهديد يعني فسوف
تعلمون ما افعل بكم ثم فسر ذلك الوعيد فقال لاقطعن ايديكم وارجلكم من
خلاف وهو ان يقطع احدى اليدين واحدى الرجلين فيخالف بينهما في القطع
ثم لاصلبنكم اجمعين يعني على شاطي نيل مصر قال ابن عباس اول من صلب واول من
قطع الايدي والارجل فرعون قالوا يعني مجيبين لفرعون حين وعدهم بالقتل انا الى
ربنا منقلبون يعني الى ربنا راجعون واليه صايرون في الاخرة وما تنقم منا يعني

وما تنكره منا

وما تنكره منا وما تطعن علينا وقال عطا معناه وما لنا عندك من ذنب تعذبنا عليه الا
ان امنا بايات ربنا لما جاتنا ثم فزعوا الى الله تعالى وسالوه الصبر على تعذيب فرعون اياهم
فقالوا ربنا افرغ علينا صبرا اي اصبب علينا صبرا كاملا تاما ولهذا اتى بلفظ التنكير يعني
صبرا واي صبر عظيم وتوفنا مسلمين يعني واقبضنا على دين الاسلام وهو دين خليلك
ابراهيم عليه السلام قال ابن عباس كانوا في اول النهار سحرة وفي اخر النهار شهدا قال الكلبي
ان فرعون قطع ايديهم وارجلهم وصلبهم وقال غيره انه لم يقدر عليهم لقوله تعالى
لا يصلون اليكما باياتنا انتما ومن اتبعكما الغالبون قوله تعالى وقال الملا من قوم فرعون اتذر
موسى وقومه وقال جماعة من اشراف قوم فرعون لفرعون اتدع موسى وقومه من بني
اسرايل ليفسدوا في الارض يعني ارض مصر واراد بالافساد فيها انهم يامرونهم بمخالفة فرعون
وهو قوله ويذرك والهتك يعني ويترك ويذرك ويذر الهتك فلا يعبدك ولا يعبدها
قال ابن عباس كانت لفرعون بقرة وكان يعبدها وكان اذا راى بقرة حسنة امرهم بعبادتها
ولذلك اخرج لهم السامري عجلا وقال السدي كان فرعون قد اتخذ لقومه اصناما وكان يامرهم
بعبادتها قال لهم انا ربكم ورب هذه الاصنام وذلك قوله انا ربكم الاعلى والاقرب ان يقال
ان فرعون كان دهريا منكرا لوجود الصانع وكان يقول مدبر هذا العالم السفلي الكواكب
فاتخذ اصناما على صورة الكواكب وكان يعبدها ويامر بعبادتها وكان يقول في نفسه
انه هو المطاع والمخدوم في الارض فلهذا قال انا ربكم الاعلى وقرا ابن مسعود وابن عباس
والشعبي والضحاك ويذرك والاهتك بكسر الالف ومعناه ويذرك وعبادتك فلا يعبدك
لان فرعون كان يعبد ولا يعبد وقيل اراد بالالهة الشمس والكواكب لانه كان
يعبدها قال الشاعر ○ تروحنا من اللعبا قصرا ○ فاعجلنا الالهة ان تؤوبا ○ اراد بالالهة
الشمس قال يعني فرعون مجيبا لقومه حين قالوا له اتذر موسى وقومه سنقتل
ابناهم ونستحيي نساهم يعني نتركهم احيا وذلك ان قوم فرعون لما ارادوا
فرعون على قتل موسى وقومه او حبس موسى وانزال العذاب بقومه ولم يقدر
فرعون ان يفعل بموسى عليه السلام شيا بما ارادوا به لقوة موسى بما معه من المعجزة
عدل الى قومه فقال سنقتل ابناهم ونستحيي نساهم وقال ابن عباس كان قد ترك
القتل في بني اسرايل بعد ما ولد موسى بالرسالة فلما جاهم موسى وكان من امره ما كان
قال فرعون اعيدوا عليهم القتل فاعادوا القتل على بني اسرايل والمعنى ان فرعون
قال انما يتقوى موسى بقومه فنحن نسعى في تقليل عدد قومه بالقتل لتقل شوكته
ثم بين فرعون انه قادر على ذلك بقوله وانا فوقهم قاهرون يعني بالغلبة
والقدرة عليهم ولما نزل ببني اسرايل ما نزل شكوا الى موسى ما نزل بهم قال موسى
لقومه يعني لما شكوا اليه استعينوا بالله واصبروا يعني استعينوا بالله على فرعون و
قومه فيما نزل بكم من البلا فان الله هو الكافي لكم واصبروا على ما نالكم من المكاره

في انفسكم وابنايكم ان الارض لله يعني ارض مصر وان كانت الارض كلها لله تعالى
يورثها من يشاء من عباده وهذا اطماع من موسى لبني اسرايل ان يهلك فرعون وقومه
ويملك بني اسرايل ارضهم وبلادهم بعد اهلاكهم وهو قوله والعاقبة للمتقين يعني ان
النصر والظفر للمتقين على عدوهم وقيل اراد الجنة يعني ان عاقبة المتقين الصابرين الى
الجنة قالوا اوذينا من قبل ان تاتينا ومن بعد ما جيتنا قال ابن عباس لما امنت السحرة
بتبع موسى ستماية الف من بني اسرايل والمعنى ان بني اسرايل لما سمعوا ما قال فرعون
دوعده من القتل مرة ثانية قالوا لموسى قد اوذينا من قبل ان تاتينا يعني بالرسالة
وذلك ان بني اسرايل كانوا مستضعفين في يد فرعون وقومه وكان يستعملهم في
الاعمال الشاقة الى نصف النهار فلما جا موسى بالرسالة وجرى له ما جرى شدد فرعون
في استعمالهم وكان يستعملهم جميع النهار واعاد القتل عليهم فقالوا اوذينا من بعد
ما جيتنا يعني بالرسالة وظاهر هذا الكلام موهوم بان بني اسرايل كرهوا مجي موسى
بالرسالة وذلك كفر والجواب عن هذا الايهام بان موسى عليه السلام كان قد وعدهم
بزوال ما كانوا فيه من الشدة والمشقة فظنوا ان ذلك يكون على الفور فلما راوا
انه قد زادت الشدة عليهم قالوا اوذينا من قبل ان تاتينا ومن بعد ما جيتنا فمتى يكون
ما وعدتنا به من زوال ما نحن فيه فقال موسى مجيبا لهم قال عسى ربكم ان يهلك عدوكم
يعني فرعون وقومه ويستخلفكم في الارض يعني ويجعلكم تخلفونهم في ارضهم بعد
هلاكهم فينظر كيف تعملون يعني فيرى ربكم كيف تعملون من بعدهم قال الزجاج
فيرى ذلك بوقوع ذلك منهم لان الله تعالى لا يجازيهم بما يعلمه منهم انما يجازيهم على ما يقع
من العمل منهم قوله عز وجل ولقد اخذنا ال فرعون بالسنين يعني بالجدب والقحط تقول
العرب مستهم السنة يعني اخذتهم الجدب في السنة ويقال اسنتوا كما يقال اجدبوا وقال الشاعر
ورجال مكة مسنتون عجاف ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اللهم اجعلها عليهم
سنين كسني يوسف ومعنى الاية ولقد اخذنا ال فرعون بالجدب والقحط والجوع
سنة بعد سنة ونقص من الثمرات يعني وتلاف الغلات بالافات قال قتادة اما السنون
فلاهل البوادي واما نقص الثمرات فلاهل الامصار لعلهم يذكرون يعني لعلهم يتعظون
فيرجعوا عما هم فيه من الكفر والمعاصي وذلك لان الشدة ترقق القلوب وترغب
فيما عند الله عز وجل من الخير ثم بين الله تعالى انهم عند نزول تلك المحن عليهم والشدة
لم يزدادوا الا تمردا وكفرا فقال تعالى فاذا جاتهم الحسنة يعني الغيث والخصب والسعة
والعافية والسلامة من الافات قالوا لنا هذه اي نحن مستحقون لها ونحن اهلها على
العادة التي جرت لنا في سعة الارزاق وصحة الابدان ولم يروا ذلك من فضل الله
عليهم فيشكروه على انعامه وان تصبهم سيئة يعني القحط والجدب والمرض والبلا ورأوا
ما يكرهون في انفسهم يطيروا يعني يتشاموا واصله يتطيروا والتطير في قول جميع

التشاؤم ح

المفسرين

المفسرين بموسى ومن معه يعني انهم قالوا ما اصابنا بلا الا حين رايناهم وما ذلك الا
بشوم موسى وقومه قال سعيد بن جبير ومحمد بن المنكدر كان ملك فرعون اربعماية
سنة وعاش ستماية سنة وعشرين سنة لم ير مكروها ولو كان حصل له في تلك المدة جوع
يوم او حمى ليلة او وجع ساعة لما ادعى الربوبية قط الا انما طايرهم عند الله يعني ان
نصيبهم من الخير والجدب والخير والشر كله من الله قال ابن عباس طايرهم ما قضى
لهم وقدر عليهم من عند الله وفي رواية عنه شومهم عند الله ومعناه انما جاهم بكفرهم
بالله وقيل الشوم العظيم هو الذي لهم عند الله من عذاب النار ولكن اكثرهم لا يعلمون
لان اكثر الخلق يضيفون الحوادث الى الاسباب ولا يضيفونها الى القضا والقدر قوله
تعالى وقالوا يعني قوم فرعون وهم القبط لموسى عليه السلام مهما تاتنا به من اية يعني من عند
ربك حتى عندنا سحر وهو قولهم لتسحرنا بها يعني لتصرفنا عما نحن عليه من الدين فما نحن
لك بمومنين يعني بمصدقين وكان موسى عليه السلام رجلا حديدا مستجاب الدعوة فدعا
عليهم فاستجاب الله دعاه فقال تعالى فارسلنا عليهم الطوفان قال ابن عباس وسعيد
ابن جبير وقتادة ومحمد بن اسحاق دخل كلام بعضهم في بعض قالوا لما امنت السحرة
ورجع فرعون مغلوبا ابى هو وقومه الا الاقامة على الكفر والتمادي في الشر فتابع الله
عز وجل عليهم بالايات فاخذهم اولا بالسنين وهو القحط ونقص الثمرات واراهم قبل ذلك
من المعجزات اليد والعصا فلم يومنوا فدعا عليهم موسى وقال يا رب ان عبدك فرعون
علا في الارض وبغا وعتا وان قومه قد نقضوا العهد رب فخذهم بعقوبة تجعلها عليهم
نقمة ولقومي عظة ولمن بعدهم اية وعبرة فبعث الله عليهم الطوفان وهو الما فارسل الله
عليهم المطر من السما وبيوت بني اسرايل وبيوت القبط مختلطة مشتبكة فامتلات بيوت
القبط حتى قاموا في الما الى تراقيهم ومن جلس منهم غرق ولم يدخل من ذلك الما في بيوت
بني اسرايل شي وركد الما على ارضهم فلم يقدروا على التحرك ولا يعملوا شيا ودام ذلك
الما عليهم سبعة ايام من السبت الى السبت وقال مجاهد وعطا الطوفان الموت وقال
وهب الطوفان الطاعون بلغة اهل اليمن قال ابو قلابة الطوفان الجدري وهو
اول من عذبوا به ثم بقي في الارض وقال مقاتل الطوفان الما طفا فوق حروثهم
وفي رواية ابن عباس ان الطوفان امر من امر الله عز وجل طاف بهم فعند ذلك
قالوا لموسى ادع لنا ربك يكشف عنا هذا المطر فنحن نومن بك ونرسل معك بني
اسرايل فدعا موسى عليه السلام ربه فرفع عنهم الطوفان وانبت الله لهم تلك السنة
شيا لم ينبته قبل ذلك من الكلا والزرع والثمر واخصبت بلادهم فقالوا ما كانوا هذا
الما الا نعمة علينا فلم يومنوا واقاموا شهرا في عافية فبعث الله عليهم الجراد فاكل
عامة زرعهم واثمارهم وورق الشجر حتى اكل الابواب وسقوف البيوت والخشب والثياب
والامتعة حتى اكل مسامير الحديد التي في الابواب وغيرها وابتلى الجراد بالجوع فكان لا يشبع

وامتلأت دور القبط ولم يصب بني اسرائيل من ذلك شيء فعجبوا وضجوا وقالوا يا موسى ادع
لنا ربك لئن كشفت عنا هذا الرجز لنؤمنن لك واعطوه عهد الله وميثاقه بذلك
فدعا موسى ربه عز وجل فكشف الله عنهم الجراد بعد ما اقام عليهم سبعة ايام من السبت
الى السبت وفي الخبر مكتوب على صدر كل جرادة جند الله الاعظم ويقال ان موسى عليه السلام
خرج الى الفضاء فاشار بعصاه نحو المشرق والمغرب فرجع الجراد من حيث جاء وكان
قد بقي من زروعهم وثمارهم بقية فقالوا قد بقي لنا ما هو كافينا فما نحن بتاركي
ديننا فلم يؤمنوا ولم يفوا بما عاهدوا عليه وعادوا الى اعمالهم الخبيثة فاقاموا
شهرا في عافية ثم بعث الله عز وجل عليهم القمل واختلفوا فيه فروى سعيد بن جبير عن ابن
عباس ان القمل هو السوس الذي يخرج من الحنطة وقال مجاهد وقتادة والسدي
والكلبي القمل الدبا وهو صغار الجراد الذي لا اجنحة له وقال ابو عبيدة هو الحمنان
وهو ضرب من القراد وقال عطاء الخراساني هو القمل بعينه وكان الحسن يقرأ القمل بفتح القاف
وسكون الميم قال اصحاب الاخبار امر الله عز وجل موسى عليه السلام ان يمشي الى كثيب
رمل اعفر بقرية من قرى مصر تسمى عين الشمس فمشى الى ذلك الكثيب فضربه
بعصاه فانهال عليهم القمل فتتبع ما بقي من حروثهم وزروعهم وثمارهم فاكلها واكل
ولحس الارض وكان يدخل بين ثوب احدهم وجلده فيعضه فاذا اكل احدهم طعاما
امتلأ قملا قال سعيد بن المسيب القمل السوس الذي يخرج من الحبوب وكان الرجل منهم
يخرج بعشرة اجربة الى الرحا فلا يرد منها ثلاثة اقفزة فلم يصابوا ببلاء كان عليهم اشد
من القمل واخذت اشعارهم وابشارهم وحواجبهم واشفار عيونهم ولزم جلودهم
كانه الجدري عليهم ومنعهم النوم والقرار فصرخوا بموسى انا نتوب فادع لنا ربك
يكشف عنا هذا البلاء فدعا موسى ربه فرفع الله عنهم القمل بعد ما اقام عليهم سبعة
ايام من السبت الى السبت فمكثوا بعد ذلك ورجعوا الى اخبث ما كانوا عليه
من الاعمال الخبيثة وقالوا ما كنا قط احق ان نستيقن انه ساحر منا اليوم يجعل الرمل
دوابا فدعا موسى عليهم بعد ما اقاموا شهرا في عافية فارسل الله عليهم الضفادع
فامتلأت منها بيوتهم وافنيتهم واطعمتهم وآنيتهم فلا يكشف احد اناء ولا طعاما الا
وجد فيه الضفادع وكان الرجل منهم يجلس في الضفادع فيبلغ الى حلقه فاراد ان
يتكلم فيثب الضفدع فيدخل في فيه وكانت تثب في قدورهم فتفسد عليهم طعامهم
وتطفئ نيرانهم وكان احدهم اذا اضطجع ركبته الضفادع حتى تكون عليه ركاما
فلا يستطيع ان ينقلب على شقه الآخر واذا اراد ان ياكل سبقه الضفدع الى فيه ولا
يعجن احدهم عجينا الا امتلأ ضفادع ولا يفتح قدرا الا امتلأ ضفادع فلقوا من ذلك
بلاء شديدا وروى عكرمة عن ابن عباس قال كانت الضفادع برية فلما ارسلها الله عز
وجل على آل فرعون سمعت واطاعت وجعلت تقذف بانفسها في القدور

وهي تغلي

وهي تغلي على النار وفي التنانير وهي تفور فاثابها الله عز وجل بحسن طاعتها برد الماء
فلما راوا ذلك بكوا وشكوا الى موسى ما لقوه من الضفادع وقالوا هذه المرة نتوب
ولا نعود فاخذ موسى عليهم العهود والمواثيق ثم دعا الله عز وجل فكشف عنهم الضفادع
بعد ما اقامت سبعا من السبت الى السبت فاقاموا شهرا في عافية ثم نقضوا العهد
وعادوا الى كفرهم فدعا عليهم موسى فارسل الله عز وجل عليهم الدم فسال النيل عليهم
دما وصارت مياههم كلها دما وكل ما يستقون من الآبار والانهار وجدوه دما
عبيطا فشكوا ذلك الى فرعون وقالوا ليس لنا شراب الا الدم فقال سحركم فقالوا من
اين سحرنا ونحن لا نجد في اوعيتنا شيئا من الماء الا دما عبيطا فكان فرعون يجمع
القبطي والاسرائيلي على اناء واحد فيكون ما يلي الاسرائيلي ماء وما يلي القبطي دما ويقومان
الى الجرة فيها الماء فيخرج للقبطي دما وللاسرائيلي ماء حتى ان المراة من آل فرعون تاتي الى
المراة من بني اسرائيل حين جهدهم العطش فتقول لها اسقيني من مائك فتصب
لها من قربتها فتصير في الاناء دما حتى كانت تقول اجعليه في فيك ثم مجيه في فمي
فتفعل ذلك فيصير دما ثم ان فرعون اعتراه العطش حتى انه ليضطر الى مضغ الاشجار
الرطبة فاذا مضغها صار ماؤها دما فمكثوا على ذلك سبعة ايام لا يشربون الا الدم
وقال زيد بن اسلم ان الدم الذي سلطه الله عز وجل عليهم كان الرعاف فاتوا موسى وشكوا
اليه ما يلقون وقالوا ادع لنا ربك يكشف عنا هذا الدم فنحن نؤمن بك ونرسل معك
بني اسرائيل فدعا موسى ربه فكشف ذلك عنهم فلم يؤمنوا فذلك قوله تعالى فارسلنا عليهم
الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات يعني يتبع بعضها بعضا وتفصيلها
ان كل عذاب كان يقيم عليهم اسبوعا وبين كل عذابين مدة شهر فاستكبروا يعني
عن الايمان فلم يؤمنوا وكانوا قوما مجرمين يعني آل فرعون قوله تعالى ولما وقع عليهم
الرجز يعني ولما نزل بهم العذاب الذي ذكره في الآية المتقدمة من الطوفان وما بعده
قال سعيد بن جبير الرجز الطاعون وهو العذاب السادس بعد الآيات الخمس التي
تقدمت فنزل بهم الطاعون حتى مات منهم في اليوم الواحد سبعون الفا فامسوا
وهم لا يتدافنون (ق) عن اسامة بن زيد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الطاعون
رجز ارسل على طائفة من بني اسرائيل او على من كان قبلكم فاذا سمعتم به بارض
فلا تقدموا عليه واذا وقع بارض وانتم بها فلا تخرجوا فرارا منه وقوله تعالى قالوا يا موسى
ادع لنا ربك بما عهد عندك يعني بما اوصاك وقيل بما نبأك وقيل بما عهد عندك
من اجابة دعوتك لئن كشفت عنا الرجز يعني العذاب الذي وقع بنا لنؤمنن
لك ولنرسلن معك بني اسرائيل يعني لنصدقن بما جئت به ولنخلين بني اسرائيل
يذهبوا حيث شاؤوا فلما كشفنا عنهم الرجز يعني بدعوة موسى الى اجل هم بالغوه يعني
الوقت الذي اجل لهم وهو وقت اهلاكهم بالغرق في اليم اذا هم ينكثون يعني اذ هم

ينقضون العهد الذي التزموه فلم يفوا به فاعلم ان ما ذكر الله تعالى من هذه الايات هي معجزات
في الحقيقة دالة على صدق موسى عليه السلام ووجهه ان ذلك العذاب كان مختصا
بال فرعون دون بني اسرايل فاختصاصه بالقبطي دون الاسرايلي معجز وكون بني اسرايل
في امان منه وعافية وقوم فرعون في شدة وعذاب مع اتحاد المساكن معجز ايضا
فان اعترض معترض وقال ان الله تعالى علم من حال فرعون انهم لا يومنون بتلك
المعجزات فما الفايدة في توالها عليهم واظهار التكثير منها فالجواب على مذهب اهل السنة
ان الله تعالى يفعل ما يشاء ويفعل ما يريد لا يسئل عما يفعل واما على قول المعتزلة في رعاية
المصلحة فلعله تعالى علم من قوم فرعون ان بعضهم كان يومن بتوالي تلك المعجزات
وظهورها فلهذا السبب والاها عليهم والله اعلم بمراده قوله عز وجل فانتقمنا منهم
يعني كافيناهم عقوبة لهم على سوء صنيعهم واصل الانتقام في اللغة سلب النعمة بالعذاب
فاغرقناهم في اليم والمعنى انه تعالى لما كشف عنهم العذاب مرات فلم يومنوا ولم يرجعوا
عن كفرهم فلما بلغوا الاجل الذي اجل لهم انتقم بان اهلكهم بالغرق فذلك قوله فاغرقناهم
في اليم يعني في البحر واليم الذي لا يدرك قعره وقيل هو لجة البحر ومعظم مايه قال
الازهري اليم معروف لفظة سريانية عربيته العرب ويقع اسم اليم على البحر المالح
والبحر العذب ويدل على ذلك قوله فاقذفيه في اليم والمراد به نيل مصر وهو عذب
بانهم كذبوا باياتنا يعني اهلكناهم واغرقناهم بسبب انهم كذبوا باياتنا الدالة على
وحدانيتنا وصدق نبينا وكانوا عنها غافلين يعني غير معرضين وقيل كانوا عن حلول يعني عن اياتنا
النعمة بهم غافلين ولما كان الاعراض عن الايات وعدم الالتفات اليها كالغفلة
عنها سموا غافلين تجوزا لان الغفلة ليست من فعل الانسان قوله واورثنا
القوم الذين كانوا يستضعفون يعني وملكنا القوم الذين كانوا يقهرون ويغلبون
على انفسهم وهم ان فرعون وقومه كانوا قد تسلطوا على بني اسرايل فقتلوا ابناءهم
واستخدموهم فصاروا مستضعفين تحت ايديهم مشارق الارض ومغاربها يعني ارض
الشام ومصر واراد بمشارقها ومغاربها جميع جهاتها ونواحيها وقيل المراد بمشارق
الارض ومغاربها الارض المقدسة وهو بيت المقدس وما يليه من الشرق
والغرب وقيل اراد جميع جهات الارض وهو اختيار الزجاج قال لان داود وسليمان كانا
من بني اسرايل وقد ملكا الارض وقوله التي باركنا فيها يدل على انها الارض المقدسة
يعني باركنا فيها بالثمار والانهار والزروع والخصب والسعة وتمت كلمة ربك
الحسنى على بني اسرايل يعني وفت كلمة الله وهي وعدهم بالنصر على عدوهم والتمكين
في الارض من بعدهم وقيل كلمة الله هي قوله ونريد ان نمن على الذين استضعفوا
في الارض الاية والحسنى صفة للكلمة وهي تانيث الاحسن واتمامها انجاز ما وعدهم
به من تمكينهم في الارض واهلاك عدوهم بما صبروا يعني انما حصل لهم ذلك التمام

وهو ما انعم الله به عليهم من انجاز وعده بسبب صبرهم على دينه واذى فرعون لهم
ودمرنا واهلكنا والدمار الهلاك باستيصال ما كان يصنع فرعون وقومه في ارض
مصر من العمارات والابنية وما كانوا يعرشون يعني يسقفون من ذلك الابنية وقال مجاهد
ما كانوا يبنون من البيوت والقصور وقال الحسن بما كانوا يعرشون من الثمار والاعناب قوله عز
وجل وجاوزنا ببني اسرايل البحر يعني وقطعنا ببني اسرايل البحر بعد اهلاك فرعون وقومه
واغراقهم فيه يقال جاز الوادي وجاوزه اذا قطعه وراه وقال الكلبي عبر موسى البحر يوم
عاشورا بعد مهلك فرعون وقومه وقضاه شكرا لله عز وجل فاتوا على قوم يعكفون
لهم على اصنام لهم يعني فمر بنو اسرايل بعد مجاوزة البحر على قوم يعكفون اي يقيمون
ويواظبون على اصنام لهم يعني تماثيل لهم بقر وذلك اول شان العجل قال قتادة اولئك
كانوا يعبدونها من دون الله قال ابن جريج كانت تلك الاصنام تماثيل بقر ح
القوم من لخم وكانوا نزولا بالرقة يعني بالرقة ساحل البحر وقيل كان اولئك الاقوام من
الكنعانيين الذين امر موسى عليه السلام بقتالهم قالوا يعني قالوا بنو اسرايل لموسى لما
راوا على التمثال يا موسى اجعل لنا الها يعني تمثالا نعبده ونعظمه كما لهم الهة يعني كما
لهم اصنام يعبدونها ويعظمونها فاجعل لنا انت الها نعبده ونعظمه قال البغوي
ولم يكن ذلك شكا من بني اسرايل في وحدانية الله تعالى وانما معناه اجعل لنا شيا
نعظمه ونتقرب بتعظيمه الى الله تعالى فظنوا ان ذلك لا يضر الديانة وكان ذلك لشدة
جهلهم وقال غيره هذا يدل على غاية جهل بني اسرايل وذلك انهم توهموا انه يجوز
عبادة غير الله بعدما راوا الايات الدالة على وحدانية الله تعالى وكمال قدرته وهي
الايات التي توالت على قوم فرعون حتى اغرقهم الله في البحر بكفرهم وعبادتهم غير الله
فحملهم جهلهم على ان قالوا لنبيهم موسى عليه السلام اجعل لنا الها كما لهم الهة
فرد موسى عليه السلام قال انكم قوم تجهلون يعني تجهلون عظمة الله وانه لا يستحق
ان يعبد سواه لانه هو الذي انجاكم من فرعون وقومه فاغرقهم في البحر وانجاكم
منه عن ابي واقد الليثي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خرج الى غزوة حنين مر
بشجرة كانوا يعلقون عليها اسلحتهم يقال لها ذات انواط فقالوا يا رسول الله
للمشركين ح
اجعل لنا ذات انواط كما لهم ذات انواط فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
سبحان الله هذا كما قال قوم موسى اجعل لنا الها كما لهم الهة والذي نفسي
بيده لتركبن سنن من كان قبلكم اخرجه الترمذي وقوله تعالى ان هولاء متبر
ما هم فيه اي مهلك والتتبير الهلاك وباطل ما كانوا يعملون البطلان عبارة
عن عدم الشي اما بعدم ذاته او بعدم فايدته ونفعه والمراد من بطلان عملهم انه
لا يعود عليهم من ذلك العمل نفع ولا يدفع عنهم ضرا لانه عمل لغير الله فكان
باطلا لا نفع فيه قال اغير الله ابغيكم الها لما قال بنو اسرايل لموسى اجعل لنا الها
كما لهم الهة حكم عليهم بالجهالة وقال مجيبا لهم على سبيل التعجب والانكار اغير الله

ابغيكم الها يعني اطلب لكم وابغي لكم الها وهو فضلكم على العالمين والمعنى ان الاله
ليس هو شيئا يطلب ويلتمس ويتخذ بل الاله هو الذي فضلكم على العالمين لانه
القادر على الانعام والافضال فهذا هو الذي يستحق ان يعبد ويطاع لا عبادة غيره
ومعنى قوله وفضلكم على العالمين يعني على عالمي زمانكم وقيل فضلهم بما خصهم به من
الايات الباهرة التي لم تحصل لغيرهم وان كان غيرهم افضل منهم واذ انجيناكم من ال فرعون
يسومونكم سوء العذاب يقتلون ابناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم
تفسير هذه الاية تقدم في سورة البقرة والفائدة في ذكرها في هذا الموضع انه تعالى
هو الذي انعم عليكم بهذه النعم العظيمة فكيف يليق بكم الاشتغال بعبادة غيره حتى
تقولوا اجعل لنا الها كما لهم الهة قوله عز وجل وواعدنا موسى ثلاثين ليلة يعني وواعدنا
موسى لمناجاتنا ثلاثين ليلة وهي ذو القعدة واتممناها بعشر يعني عشر ذي الحجة
وهذا قول ابن عباس ومجاهد قال المفسرون ان موسى عليه السلام وعد بني اسرائيل اذا
اهلك الله عدوهم فرعون ان ياتيهم بكتاب من عند الله عز وجل فيه بيان ما ياتون
وما يذرون فلما اهلك فرعون سال موسى ربه عز وجل ان ينزل عليه الكتاب الذي وعد
به بني اسرائيل فامره ان يصوم ثلاثين يوما فصامها فلما تمت انكر خلوف فمه فتسوك
بعود خرنوب وقيل بل اكل من ورق الشجر فقالت الملائكة كنا نشم من فيك رائحة
المسك فافسدته بالسواك فامره الله ان يصوم عشر ذي الحجة وقال له اما علمت ان خلوف
فم الصائم اطيب عندي من ريح المسك فكانت فتنة بني اسرائيل في تلك العشر التي
زادها الله لموسى وقيل ان الله امر موسى عليه السلام ان يصوم ثلاثين يوما ويعمل فيها
ما يتقرب به ثم كلمه واعطاه الالواح في العشر الذي زاده فلهذا قال واتممناها بعشر
وهذا التفصيل ما اجمله في سورة البقرة وهو قوله تعالى واذ واعدنا موسى اربعين ليلة فذكره
هناك على الاجمال وذكره هنا على التفصيل وقوله تعالى فتم ميقات ربه اربعين ليلة يعني
فتم الوقت الذي قدره الله لصوم موسى وعبادته اربعين ليلة لان الميقات هو الوقت الذي
قدر ان يعمل فيه عملا من الاعمال ولهذا قيل مواقيت الحج وقال موسى لاخيه هارون
اخلفني في قومي يعني كن انت خليفتي فيهم من بعدي حتى ارجع اليك واصلح يعني واصلح
امور بني اسرائيل واحملهم على عبادة الله تعالى وقال ابن عباس يريد الرفق بهم والاحسان
اليهم ولا تتبع سبيل المفسدين يعني ولا تسلك طريق المفسدين في الارض ولا تطعهم
والمقصود من هذا الامر التاكيد لان هارون عليه السلام لم يكن ممن يتبع سبيل المفسدين
فهو كقوله ولكن ليطمئن قلبي وكقولك للقاعد اقعد يعني دم على ما انت عليه من
القعود قوله تعالى ولما جاء موسى لميقاتنا يعني للوقت الذي وقتنا له ان ياتي
فيه لمناجاتنا وهو قوله وكلمه ربه وفي الاية دليل على ان الله عز وجل كلم موسى عليه السلام
واختلف الناس في كلام الله تعالى فقال الزمخشري كلمه ربه من غير واسطة كما يكلم الملك

وتكليمه ان

وتكليمه ان يخلق الكلام منطوقا به في بعض الاجرام كما خلقه مخطوطا في الالواح هذا
كلامه وهذا مذهب المعتزلة ولا شك في بطلانه وفساده لان الشجرة او ذلك
الجرم لا يقول انني انا الله لا اله الا انا فاعبدني واقم الصلوة لذكري فثبت بذلك
بطلان ما قالوه وذهب الحنابلة ومن وافقهم الى ان كلام الله حروف واصوات
متقطعة والله قديم وذهب جمهور المتكلمين الى ان كلام الله تعالى صفة مغايرة
لهذه الحروف والاصوات وتلك الصفة قديمة ازلية والقائلون بهذا القول قالوا
ان موسى عليه السلام سمع تلك الصفة الازلية الحقيقية قالوا وكما انه لا يبعد رؤية
ذاته وليست جسما ولا عرضا كذلك لا يبعد سماع كلامه مع ان كلامه ليس بصوت
ولا حرف وذهب اهل السنة وجمهور العلماء من السلف والخلف ان الله تعالى متكلم
بكلام قديم وسكتوا عن الخوض في تاويله وحقيقته قال اهل التفسير والاخبار
لما جاء موسى عليه السلام لميقات ربه تطهر وطهر ثيابه وصام ثم اتى طور سيناء في القصص ان
الله تعالى انزل ظلة تغشت الجبل على اربع فراسخ من كل ناحية وطرد عنه الشيطان وهوام
الارض ونحى عنه الملكين وكشط له السماء فراى الملائكة قياما في الهواء وراى العرش
بارزا وادناه ربه حتى سمع صريف القلم على الالواح وكلمه الله تبارك وتعالى وناجاه
واسمعه كلامه وكان جبريل عليه السلام معه فلم يسمع ما كلم الله تعالى به موسى فاستحلى
كلام ربه عز وجل واشتاق الى رؤيته قال رب ارني انظر اليك قال الزجاج فيه
اختصار تقديره ارني نفسك انظر اليك وقال ابن عباس معناه اعطني انظر اليك
وانما سال موسى عليه السلام الرؤية مع علمه بان الله تعالى لا يرى في الدنيا لما هاج
به من الشوق وفاض عليه من انوار الجلال واستغرق في بحر المحبة فعند ذلك
سال الرؤية وقيل انما سال الرؤية ظنا منه بانه تعالى يرى في الدنيا فقال الله تعالى
له لن تراني يعني انه ليس لبشر ان يراني في الدنيا ولا يطيق النظر الي في الدنيا ومن
نظر الي في الدنيا مات فقال موسى عليه السلام الهي سمعت كلامك فاشتقت النظر
اليك ولان انظر اليك ثم اموت احب الي من ان اعيش ولا اراك قال السدي
لما كلم الله موسى عليه السلام غاص عدو الله ابليس الخبيث في الارض حتى خرج من بين
قدمي موسى فوسوس اليه ان مكلمك شيطان فعند ذلك سال موسى الرؤية فقال رب
ارني انظر اليك قال يعني قال الله تبارك وتعالى لموسى لن تراني **فصل** وقد تمسك
من نفى الرؤية من اهل البدع والخوارج والمعتزلة وبعض المرجئة بظاهر الاية وهو
قوله تعالى لن تراني قالوا ولن تكون للتاكيد والدوام ولا حجة لهم في ذلك ولا دليل
ولا يشهد لهم في ذلك كتاب ولا سنة وما قالوا في ان لن للتاكيد خطا بين ودعوى
على اهل اللغة اذ ليس يشهد لما قالوه نص عن اهل اللغة والعربية ولم يقل به احد
منهم ويدل على صحة ذلك قوله تعالى في صفة اليهود ولن يتمنوه ابدا مع انهم يتمنون

الموت يوم القيامة ثم يدل عليه قوله ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك وقوله يا ليتها
كانت القاضية فان قالوا ان لن معناها تاكيد لنفي كلا التي تنفي في المستقبل قلنا
ان صح هذا التاويل فتكون معنى لن تراني مجهولا على الدنيا اي لن تراني في الدنيا
جمعا بين دلايل الكتاب والسنة فانه قد ثبت في الحديث الصحيح ان المومنين يرون
ربهم عز وجل يوم القيامة في الدار الاخرة وايضا فان موسى عليه السلام كان عارفا
بالله وبما يجب ويجوز ويمتنع على الله عز وجل ففي الاية دليل على انه سال الرؤية
ولو كان الرؤية ممتنعة على الله تعالى لما سالها موسى وحيث سالها علمنا ان الرؤية
جايزة على الله تعالى وايضا فان الله عز وجل علق رؤيته على امر جايز والمعلق على
الجايز جايز فيلزم من ذلك كون الرؤية في نفسها جايزة وانما قلنا ذلك لانه
تعالى علق رؤيته على استقرار الجبل وهو قوله تعالى ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه
فسوف تراني امر جايز الوجود في نفسه واذا كان كذلك ثبت ان رؤيته جايزة
الوجود لان استقرار الجبل غير مستحيل عند التجلي اذا جعل الله تعالى له قوة على ذلك والمعلق
بما لا يستحيل لا يكون محالا والله اعلم بمراده قال وهب ومحمد بن اسحاق لما سال
موسى عليه السلام ربه عز وجل الرؤية ارسل الله الضباب والصواعق والرعد والبرق
والظلمة حتى احاطت بالجبل الذي عليه موسى اربع فراسخ من كل جانب فامر الله
اهل السموات ان يعترضوا على موسى عليه السلام فمرت به ملايكة السماء الدنيا كثيران
البقر تنبع افواههم بالتسبيح والتقديس باصوات عظيمة كصوت الرعد الشديد
فقال موسى رب اني كنت عن هذا غنيا ثم امر الله تعالى ملايكة السماء الثانية ان
اهبطوا على موسى فاعترضوا عليه فهبطوا عليه امثال الاسود لهم لجب بالتسبيح والتقديس
ففزع العبد الضعيف موسى ابن عمران مما راى وسمع واقشعرت كل شعرة في راسه
وبدنه ثم قال ندمت على مسالتي فهل ينجيني من مكاني الذي انا فيه شيء فقال له خير
الملايكة وراسهم اصبر لما سالت فقليل من كثير ما رايت ثم امر الله ملايكة السماء الثالثة
ان اهبطوا على موسى فاعترضوا عليه فهبطوا عليه امثال النسور لهم قصف ورجف
ولجب شديد وافواههم تنبع بالتسبيح والتقديس لهم جلب كجلب الجيش العظيم الوانهم
كلهب النار ففزع موسى واشتد فزعه وايس من الحياة فقال له خير الملايكة ورايسهم
مكانك يا ابن عمران حتى ترى ما لا تصبر عليه ثم امر الله ملايكة السماء الرابعة ان
اهبطوا على موسى فاعترضوا عليه فهبطوا عليه لا يشبههم شيء من الذين مروا قبلهم
الوانهم كلهب النار وساير خلقهم كالثلج الابيض اصواتهم عالية بالتسبيح والتقديس
لا يقاربهم شيء من اصوات الذين مروا به قبلهم فاصطكت ركبتاه وارعد قلبه
واشتد بكاه فقال له خير الملايكة وراسهم يا ابن عمران اصبر لما سالت فقليل من كثير
ما رايت ثم امر الله تعالى ملايكة السماء الخامسة ان اهبطوا على موسى فاعترضوا

عليه فهبطوا

عليه فهبطوا عليه لهم سبعة الوان فلم يستطع موسى ان يتبعهم بصره ولم ير مثلهم ولم يسمع
مثل اصواتهم فامتلا جوفه خوفا واشتد حزنه وكثر بكاوه فقال له خير الملايكة وراسهم
يا ابن عمران مكانك حتى ترى ما لا تصبر عليه ثم امر الله تعالى ملايكة السماء السادسة ان
اهبطوا عليه وفي يد كل واحد منهم مثل النخلة العظيمة الطويلة نار اشد ضوءا من الشمس
ولباسهم كلهب النار اذا سبحوا وقدسوا جاوبهم من كان قبلهم من الملايكة كلهم
يقولون بشدة اصواتهم سبوح قدوس رب العزة ابدا لا يموت في راس كل ملك
منهم اربعة اوجه فلما راهم موسى رفع صوته يسبح معهم وهو يبكي ويقول يا رب اذكرني
ولا تنس عبدك فلا ادري انقلب مما انا فيه ام لا ان خرجت احترقت وان مكثت
مت فقال له كبير الملايكة وراسهم قد اوشكت يا ابن عمران ان يشتد خوفك وينخلع
قلبك فاصبر للذي سالت ثم امر الله ان يحمل عرشه في ملايكة السماء السابعة فلما
بدا نور العرش انصدع الجبل من عظمة الرب سبحانه وتعالى ورفعت الملايكة اصواتهم جميعا
يقولون سبحان الملك القدوس رب العزة ابدا لا يموت فارتج الجبل لشدة اصواتهم
واندكت كل شجرة كانت فيه وخر العبد الضعيف موسى صعقا على وجهه ليس معه روحه
فارسل الله تعالى برحمته الروح فتغشته وقلب عليه الحجر الذي كان جلس عليه موسى
فصار عليه كهيئة القبة لئلا يحترق موسى فاقامت الروح عليه مثل اللامة فلما افاق
موسى قام يسبح ويقول امنت بك وصدقت انه لا يراك احد فيحيى ومن نظر الى ملايكتك
انخلع قلبه فما اعظمك واعظم ملايكتك انت رب الارباب وملك الملوك واله الاله
العظيم لا يعدلك شيء ولا يقوم لك شيء رب تبت اليك الحمد لك لا شريك لك ما اعظمك
وما اجلك يا رب العالمين فذلك قوله تعالى فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا قال ابن عباس
ظهر نور ربه للجبل فصار ترابا واسم الجبل زبير وقال الضحاك اظهر الله عز وجل من نور الحجب
مثل منخر الثور وقال عبد الله بن سلام وكعب الاحبار ما تجلى للجبل من عظمة الله تعالى الا مثل
سم الخياط حتى صار دكا وقال السدي ما تجلى الا قدر الخنصر يدل عليه ما روى ثابت عن
انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قرا هذه الاية وقال هكذا ووضع الابهام على المفصل
الاعلى من الخنصر فساخ الجبل ذكره البغوي هكذا بغير سند واخرجه الترمذي ايضا عن انس ان
النبي صلى الله عليه وسلم قرا هذه الاية فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا قال حماد هكذا وامسك
سليمان بطرف ابهامه على انملة اصبعه اليمنى فساخ الجبل وخر موسى صعقا قال الترمذي
حديث حسن صحيح غريب لا نعرفه الا من حديث حماد بن سلمة وروي عن سهل بن سعد
الساعدي ان الله اظهر من سبعين الف حجاب نورا قدر الدرهم فجعل الجبل دكا يعني
مستويا بالارض وقال ابن عباس جعله ترابا وقال سفيان ساخ الجبل حتى وقع في البحر
فهو يذهب فيه وقال عطية العوفي صار رملا هايلا وقال الكلبي جعله دكا يعني
كسرا جبالا صغارا وقيل انه صار لعظمة الله ستة اجبل فوقع ثلاث بالمدينة وهي

احد وورقان ورضوى ووقع ثلاثة بمكة وهي ثور وثبير وحراء وقوله تعالى وخر موسى
صعقا قال ابن عباس والحسن يعني مغشيا عليه وقال قتادة يعني ميتا والاول اصح لقوله
فلما افاق والميت لا افاقة له انما يقال له افاق من غشيته قال الكلبي صعق موسى
يوم الخميس وهو يوم عرفة واعطي التورية يوم الجمعة يوم النحر وقال الواقدي لما خر
موسى صعقا قالت ملائكة السموات ما لابن عمران وسوال الروية وفي بعض الكتب
ان ملائكة السموات اتوا موسى وهو في غشيته فجعلوا يركلونه ويقولون يا ابن النسا
الحيض اطمعت في روية رب العزة فلما افاق يعني من غشيته ورجع عقله اليه وعرف
انه سال امرا عظيما لا ينبغي له قال سبحانك يعني تنزيها لك من النقائص كلها تبت اليك
يعني من مسئلة الروية بغير اذنك وقيل من سوال الروية في الدنيا وقيل لما كانت الروية
مخصوصة بمحمد صلى الله عليه وسلم فمنعها قال سبحانك تبت اليك يعني من سوالي ما ليس لي وقيل
لما سال الروية ومنعها قال تبت اليك يعني من هذا السوال وحسنات الابرار سيئات
المقربين وانا اول المومنين يعني بانك لا ترى في الدنيا وقيل وانا اول المومنين يعني
من بني اسرائيل بقي في الاية سوالان الاول الروية عين النظر فكيف قال ارني
انظر اليك وعلى هذا يكون التقدير ارني حتى اراك والجواب ان معنى قوله ارني
اجعلني متمكنا من رويتك حتى انظر اليك واراك السوال الثاني كيف قال لن تراني
ولم يقل لن تنظر الي حتى يكون مطابقا لقوله انظر اليك والجواب ان النظر لما كان
مقدمة الروية كان المقصود هو الروية لا النظر الذي لا روية معه السوال الثالث
كيف اتصل الاستدراك من قوله ولكن انظر الى الجبل بما قبله والجواب ان المقصود
منه تعظيم امر الروية وان احدا لا يقوى على روية الله تعالى الا من قواه الله بمعونته وتاييده
الا ترى انه لما ظهر اثر التجلي للجبل اندك وتقطع فهذا هو المراد من هذا لانه يدل على تعظيم
امر الروية والله اعلم بمراده قوله عز وجل قال يا موسى اني اصطفيتك على الناس برسالاتي
وبكلامي يعني قال الله تعالى لموسى يا موسى اني اخترتك واتخذتك صفوة والاصطفا
استخلاص من الصفوة والاجتبا والمعنى اني فضلتك واجتبيتك على الناس وفي هذا
تسلية لموسى عليه السلام عن منع الروية حين طلبها لان الله تعالى عدد عليه نعمه التي
انعم بها عليه وامره ان يشتغل بشكرها كانه قال له ان كنت منعت من الروية التي
طلبت فقد اعطيتك من النعم العظيمة كذا وكذا فلا يضيقن صدرك بسبب منع
الروية وانظر الى ساير انواع النعم التي خصصتك بها وهي الاصطفا على الناس
برسالاتي وبكلامي يعني من غير واسطة لان غيره من الرسل سمع كلام الله تعالى بواسطة
الملك فان قلت كيف قال اصطفيتك على الناس برسالاتي مع ان كثيرا من الانبيا
قد ساواه في الرسالة قلت ذكر العلما عن هذا السوال جوابين احدهما ذكره البغوي
فقال لما لم تكن الرسالة على العموم في حق الناس كافة استقام قوله اصطفيتك

على الناس

على الناس وان شاركه فيه غيره كما يقول الرجل للرجل خصصتك بمشورتي وان
كان قد شاور غيره اذا لم تكن المشورة على العموم فيكون مستقيما وفي هذا الجواب
نظر لان من جملة من اصطفاه الله برسالته محمدا صلى الله عليه وسلم وهو افضل من
موسى عليه السلام فلا يستقيم هذا الجواب الجواب الثاني ذكر الامام فخر الدين الرازي فقال
ان الله تعالى بين انه خصه بمجموع امرين وهما الرسالة مع الكلام بلا واسطة وهذا
المجموع ما حصل لغيره فثبت انه انما حصل التخصيص ههنا لانه سمع ذلك الكلام بغير
واسطة وانما كان الكلام بغير واسطة سببا لمزيد الشرف بنا على العرف الظاهر
لان من سمع كلام الملك المعظم من فيه كان اعلى واشرف ممن سمعه بواسطة
الحجاب والنواب وفيه نظر ايضا لان محمدا صلى الله عليه وسلم اصطفاه برسالته وكلمه ليلة
المعراج بغير واسطة وفرض عليه وعلى امته الصلوات وخاطبه يا محمد يدل عليه قوله
فاوحى الى عبده ما اوحى ورفعه الى حيث سمع صريف الاقلام وهذا يدل على مزيد
الفضل والشرف على موسى وغيره من الانبيا فلا يستقيم هذا الجواب ايضا
والذي يعتمد في الجواب عن هذا السوال ان الله اصطفى موسى عليه السلام برسالته
وبكلامه على الناس الذين كانوا في زمانه وذلك لانه لم يكن في ذلك الوقت
اعلى منصبا ولا اشرف ولا افضل منه وهو صاحب الشريعة وعليه نزلت التورية
فدل ذلك على انه اصطفاه على ناس زمانه كما اصطفا قومه على عالمي زمانهم وهو قوله تعالى
يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم واني فضلتكم على العالمين قال المفسرون
يعني على عالمي زمانهم وقوله تعالى فخذ ما اتيتك يعني ما فضلتك واكرمتك به وكن
من الشاكرين يعني على انعامي عليك وفي القصة ان موسى عليه السلام كان بعد ما كلمه
ربه لا يستطيع احد ان ينظر اليه لما غشي وجهه من النور ولم يزل على وجهه برقع
حتى مات وقالت له زوجته انا لم ارك منذ كلمك ربك فكشف لها عن وجهه
فاخذها مثل شعاع الشمس فوضعت يدها على وجهها وخرت ساجدة وقالت
ادع الله ان يجعلني زوجتك في الجنة قال ذلك لك ان لا تتزوجي بعدي فان المراة
لاخر ازواجها قوله تعالى وكتبنا له في الالواح قال ابن عباس يريد الواح التورية والمعنى
وكتبنا لموسى في الواح التورية قال البغوي وفي الحديث كانت من سدر الجنة طول
اللوح اثنى عشر ذراعا وجا في الحديث خلق الله ادم بيده وكتب التورية بيده
وغرس شجرة طوبى بيده وقال الحسن كانت الالواح من خشب وقال الكلبي من زبرجدة
خضرا وقال سعيد بن جبير من ياقوتة حمرا وقال ابن جريج من زمرد امر الله جبريل
حتى جاء بها من جنة عدن وكتبها بالقلم الذي كتب به الذكر واستمد من نهر النور
وقال الربيع بن انس كانت الالواح من برد وقال وهب امره الله بقطع الالواح
من صخرة صما لينها له بيده ثم شقها باصبعه وسمع موسى صرير القلم بالكلمات

العشرة وكان ذلك في اول يوم من ذي الحجة وكان طول الالواح عشرة اذرع على طول
موسى وقيل ان موسى خر صعقا يوم عرفة واعطاه الله التورية يوم النحر وهذا اقرب الى
الصحيح واختلفوا في عدد الالواح فروي عن ابن عباس انها كانت سبعة الواح وروي
عنه انها لوحان واختاره الفرا قال وانما جمعت على عادة العرب اطلاق الجمع على الاثنين
وقال وهب كانت عشرة الواح وقال مقاتل كانت تسعة وقال الربيع بن انس نزلت
التورية وهي وقر سبعين بعيرا يقرا الجزء منها في سنة ولم يقراها الا الاربعة نفر موسى ويوشع
ابن نون وعزير وعيسى عليهم السلام والمراد بقوله ولم يقراها يعني لم يحفظها ويقراها عن ظهر قلبه
الا هؤلاء الاربعة وقال الحسن هذه الآية في التورية بالف آية قوله وكتبنا له في الالواح
من كل شيء يعني يحتاج اليه من امر ونهي موعظة يعني نهيا من الجهل وحقيقة الموعظة
التذكير والتحذير مما يخاف عاقبته وتفصيلا لكل شيء يعني وتبيينا لكل شيء من الامر والنهي
والحلال والحرام والحدود والاحكام مما يحتاج اليه في امور الدين روى الطبري بسنده عن
وهب بن منبه قال كتب له يعني في التورية لا تشرك بي شيئا من اهل السما والارض ولا من اهل الارض
فان كل ذلك خلقي ولا تحلف باسمي كاذبا فان من حلف باسمي كاذبا فلا ازكيه ووقروا
وروى البغوي باسناد الثعلبي عن كعب الاحبار ان موسى عليه السلام نظر في التورية فقال
اني اجد امة خير الامم اخرجت للناس يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون
بالكتاب الاول والكتاب الآخر ويقاتلون اهل الضلالة حتى يقاتلون الاعور الدجال رب
اجعلهم امتي قال هي امة محمد يا موسى فقال رب اني اجد امة هم الحمادون رعاة الشمس
المحكمون اذا ارادوا امرا قالوا نفعل ان شاء الله فاجعلهم امتي قال هي امة محمد قال
رب اني اجد امة ياكلون كفاراتهم وصدقاتهم وكان الاولون يحرقون صدقاتهم
بالنار وهم المستجيبون والمستجاب لهم الشافعون المشفوع لهم فاجعلهم امتي قال هي امة
محمد فقال يا رب اني اجد امة اذا اشرف احدهم على شرف كبر الله واذا هبط واديا حمد الله
الصعيد لهم طهور والارض لهم مسجد حيث ما كانوا يتطهرون من الجنابة طهورهم
بالصعيد كطهورهم بالما حيث لا يجدون الما غرا محجلون من آثار الوضوء فاجعلهم امتي
قال هي امة محمد قال رب اني اجد امة اذا هم احدهم بحسنة ولم يعملها كتبت حسنة مثلها
وان عملها كتبت بعشر امثالها الى سبع مائة ضعف فاجعلهم امتي قال هي امة محمد
قال رب اني اجد امة مرحومة ضعفاء يرثون الكتاب الذين اصطفيتهم فمنهم ظالم
لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات فلا اجد احدا منهم الا مرحوما فاجعلهم
امتي قال هي امة محمد قال رب اني اجد امة مصاحفهم في صدورهم يلبسون الوان
ثياب اهل الجنة يصفون في صلاتهم صفوف الملائكة اصواتهم في مساجدهم كدوي
النحل لا يدخل النار احد منهم ابدا الا من يرى الحساب مثل ما يرى الحجر من وراء
الشجر فلما عجب موسى من الخير الذي اعطاه الله محمدا وامته قال يا ليتني من اصحاب.

محمد فاوحى

محمد فاوحى الله اليه ثلاث آيات يرضيه بهن يا موسى اني اصطفيتك على الناس برسالاتي
وبكلامي الى قوله سأريكم دار الفاسقين ومن قوم موسى امة يهدون بالحق
وبه يعدلون قال فرضي موسى كل الرضى قوله تعالى فخذها بقوة يعني وقلنا لموسى
اذ كتبناه في الالواح من كل شيء بجد واجتهاد وقيل معناه فخذها بقوة قلب
وصحة عزيمة ونية صادقة لان من اخذ شيئا بضعف نية اداه الى الفتور وأمر
قومك يأخذوا باحسنها قال ابن عباس يحلوا حلالها ويحرموا حرامها ويتدبروا
امثالها ويعملوا بمحكمها ويقفوا عند متشابهها وكان موسى اشد عبادة من
قومه فامر بما لم يؤمروا وقيل ظاهر قوله وأمر قومك يأخذوا باحسنها يدل على ان
بين التكليفين فرقا ليكون في هذا الفصل فايدة وهي ان التكليف كان على موسى
اشد لانه تعالى لم يرخص له ما رخص لغيره من قومه فان قلت ظاهر قوله يأخذوا باحسنها
يدل على ان فيها ما ليس بحسن وذلك لم يقل به احد فما معنى قوله يأخذوا باحسنها قلت
ان التكليف كله حسن وبعضه احسن كالقصاص حسن والعفو عنه احسن وكالانتصار
حسن والصبر احسن منه فامروا ان يأخذوا بالاشد على النفس ليكون ذلك اعظم في الثواب
فهو كقوله اتبعوا احسن ما انزل اليكم من ربكم وكقوله الذين يستمعون القول فيتبعون
احسنه وقيل ان الحسن يدخل تحته الواجب والمندوب والمباح واحسن الاخذ بالاشد
والاشق على النفس وقيل معناه باحسنها بحسنها وكلها حسن وقوله تعالى سأريكم
دار الفاسقين وقال مجاهد يعني مصيركم في الآخرة وقال الحسن وعطاء يريد جهنم يحذر
ان يكونوا مثلهم وقال قتادة سادخلكم الشام فاريكم منازل القرون الماضية الذين
خالفوا الله لتعتبروا بها وقال عطية العوفي يعني دار فرعون وقومه وهي مصر وقال السدي
يعني منازل الكفار وقال الكلبي هي منازل عاد وثمود والقرون الذين اهلكوا
فكانوا يمرون عليهم اذا سافروا قوله عز وجل ساصرف عن آياتي الذين يتكبرون في
الارض بغير الحق قال ابن عباس يريد الذين يتجبرون على عبادي ويحاربون اوليائي
ساصرفهم عن قبول آياتي والتصديق بها حتى لا يؤمنوا بي عوقبوا بحرمان الهداية
لعنادهم الحق وقال سفيان بن عيينة سامنعهم فهم القرآن وقيل معناه ساصرفهم
عن التفكر في خلق السموات والارض وما فيهما من الآيات والعبر وقيل حكم الآية لاهل مصر
خاصة واراد بالآيات الآيات التسع التي اعطاها الله موسى والاكثرون على ان الآية عامة
وفيها دليل لمذهب اهل السنة على ان الله تعالى يهدي من يشاء ويضل من يشاء ويصرف
عن آياته وقبول الحق من يشاء لانه قادر على ما يشاء لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون
ومعنى الذين يتكبرون انهم يرون انهم افضل الخلق وان لهم من الحق ما ليس لغيرهم والتكبر
على هذه الصفة لا يكون الا لله عز وجل لانه هو الذي له القدرة والفضل الذي ليس لاحد سواه
فالتكبر في صفة الله عز وجل صفة مدح وفي صفة المخلوق صفة ذم لانه تكبر بما ليس له ولا يحقه

وقيل التكبر اظهار كبر النفس على غيرها فهو صيغة ذم في حق جميع العباد وقوله يتكبرون
من الكبر لان التكبر اي يتفعلون التكبر ويرون انهم افضل من غيرهم فلذلك
يتكبرون في الارض بغير الحق بل بالباطل وان يروا كل اية لا يؤمنوا بها وان يروا
سبيل الرشد يعني طريق الحق والهدى والسداد والصواب لا يتخذوه سبيلا
يعني لا يختاروه لانفسهم طريقا يسلكونه الى الهداية وان يروا سبيل الغي
يعني طريق الضلال يتخذوه سبيلا ذلك بانهم كذبوا باياتنا يعني ذلك الذي اختاروه
لانفسهم من ترك الرشد واتباع الغي بسبب انهم كذبوا بايات الله الدالة
على توحيده وكانوا عنها غافلين يعني عن التفكر فيها والاتعاظ بها والذين
كذبوا باياتنا ولقاء الاخرة يعني ولقاء الاخرة التي فيها الثواب والعقاب الرابع
حبطت اعمالهم يعني بطلت وصارت كان لم تكن والمعنى انه قد يكون في الذين
يكذبون بايات الله من يعمل البر والاحسان والخير فبين الله تعالى بهذه الاية ان ذلك
ليس ينفعهم مع كفرهم وتكذيبهم بايات الله وانكارهم الدار الاخرة والبعث
هل يجزون الا ما كانوا يعملون يعني هل يجزون في العقبى الا جزاء العمل الذي كانوا يعملونه
في الدنيا قوله تعالى واتخذ قوم موسى من بعده يعني من بعد انطلاق موسى الى الجبل
لمناجاة ربه من حليهم يعني التي استعاروها من قوم فرعون وذلك ان بني اسرائيل
كان لهم عيد فاستعاروا من القبط الحلي ليتزينوا به في عيدهم فبقي عندهم الى ان
اهلك الله فرعون وقومه فبقي الحلي لبني اسرائيل ملكا لهم فلذلك قال تعالى من
حليهم فلما ابطا موسى عليهم جمع السامري ذلك الحلي وكان رجلا مطاعا في بني
اسرائيل فلذلك قال تعالى واتخذ قوم موسى والمتخذ هو واحد فنسب الفعل
الى الكل لانه كان برضاهم وكانهم اجمعوا عليه وكان السامري رجلا صائغا فصاغ
لهم عجلا جسدا من ذلك الحلي وهو الذهب والفضة والقى في ذلك العجل من تراب
اثر فرس جبريل فتحول عجلا جسدا لحما ودما له خوار وهو صوت البقر وهذا معنى
قول ابن عباس والحسن وقتادة وجمهور اهل التفسير وقيل كان جسدا لا
روح فيه وكان يسمع منه صوت وقيل ان ذلك الصوت كان حفيف الريح
وذلك انه جعله مجوفا وقد صنع في جوفه انابيب على وضع مخصوص فاذا هبت
الريح دخلت في تلك الانابيب فيسمع لها صوت كصوت البقرة والقول الاول
اصح انه كان يخور وقيل انه خار مرة واحدة وقيل انه كان يخور كثيرا وكلما خار سجدوا
له واذا سكت رفعوا رؤسهم قال وهب كان يسمع منه الخوار ولا يتحرك وقال
السدي كان يخور ويمشي الم يروا يعني الذين عبدوا العجل قيل ان بني اسرائيل كلهم
عبدوا العجل الا هارون عليه السلام بدليل قوله واتخذ قوم موسى وهذا يفيد العموم
وقيل ان بعضهم عبدوا العجل وهو الصحيح واجيب عن قوله واتخذ قوم موسى انه

خرج على

خرج على الاغلب وكذا قوله الم يروا انه يعني العجل الذي عبدوه لا يكلمهم ولا يهديهم
سبيلا يعني ان هذا العجل لا يمكنه ان يتكلم بصواب ولا يهدي الى رشد ولا القدر
على ذلك ومن كان كذلك كان جمادا او حيوانا ناقصا عاجزا وعلى كلا التقديرين
لا يصلح لان يعبد اتخذوه وكانوا ظالمين يعني لانفسهم حيث اعرضوا عن عبادة
الله الذي يضر وينفع واشتغلوا بعبادة العجل الذي لا يضر ولا ينفع ولا يتكلم
ولا يهديهم الى رشد وصواب قوله عز وجل ولما سقط في ايديهم يعني ولما ندموا
على عبادة العجل يقول العرب لكل نادم على امر قد سقط في يده وذلك لان من
شان من اشتد ندمه على امر ان يعض يده ثم يضرب على فخذه فتصير يده ساقطة
لان السقوط عبارة عن النزول من اعلى الى اسفل وراوا انهم قد ضلوا يعني
وتيقنوا انهم على الضلالة في عبادتهم العجل قالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا يعني ويتوب
يعني يتب علينا ويتجاوز عنا لنكونن من الخاسرين يعني الذين خسروا انفسهم
بوضعهم العبادة في غير موضعها وهذا كلام من اعترض بعظم ما اقدم عليه من الذنب
وندم على ما صدر منه ورغب الى الله تعالى في اقالة عثرته واعترافهم على انفسهم
بالخسران ان لم يغفر لهم ربهم ويرحمهم وهذا كلام التائب النادم على ما فرط منه
وانما قالوا ذلك لما رجع موسى عليه السلام اليهم وهو قوله تعالى ولما رجع موسى الى
قومه غضبان اسفا يعني ولما رجع موسى من مناجاة ربه الى قومه بني اسرائيل رجع غضبان
اسفا لان الله كان قد اخبره انه قد فتن قومه وان السامري قد اضلهم فكان
موسى في حال رجوعه غضبان اسفا قال ابو الدرداء الاسف اشد الغضب وقال ابن
عباس والسدي الاسف الحزن والاسف الحزين قال الواحدي والقولان متقاربان
لان الغضب من الحزن والحزن من الغضب فاذا جاءك ما تكره ممن هو دونك
غضبت واذا جاءك ممن هو فوقك حزنت فتسمى احدهما باسم الاخرى حزنا والاخرى
غضبا فعلى هذا كان موسى عليه السلام غضبان على قومه لاجل عبادتهم العجل اسفا حزينا
لان الله فتنهم وان الله تعالى كان قد اعلمه بذلك فحزن لاجل ذلك قال
بئسما خلفتموني من بعدي اي بئس الفعل فعلتم بعد فراقي اياكم وهذا الخطاب
يحتمل ان يكون لعبدة العجل من السامري واتباعه او لهارون والمؤمنين من بني اسرائيل
فعلى الاحتمال الاول في انه خطاب لعبدة العجل يكون المعنى بئسما خلفتموني حيث
عبدتم العجل وتركتم عبادة الله وعلى الاحتمال الثاني فهو ان يكون الخطاب لهارون ومن معه
من المؤمنين فيكون المعنى بئسما خلفتموني حيث لم تمنعوهم من عبادة غير الله وقد رايتم
مني الامر بتوحيد الله واخلاص العبادة له ونفي الشركاء عنه وحمل بني اسرائيل على ذلك
ومن حق الخلفاء ان يسيروا سيرة مستخلفهم وقوله اعجلتم امر ربكم يعني العجلة التقدم
بالشيء قبل وقته ولذلك صارت مذمومة والسرعة غير مذمومة لان معناها عمل الشيء

فى اول وقته ولقايل ان يقول لو كانت العجلة مذمومة لم يقل موسى عليه السلام وعجلت
اليك رب لترضى ومعنى الاية اعجلتم ميعاد ربكم فلم تصبروا له وقال الحسن اعجلتم
وعد ربكم الذى وعدكم من الاربعين وذلك انهم قدروا انه ان لم يات على راس
الثلاثين فقد مات وقيل معناه اعجلتم سخط ربكم بعبادة العجل وقال الكلبى معناه اعجلتم
بعبادة العجل قبل ان ياتيكم امر ربكم ولما ذكر الله ان موسى رجع الى قومه غضبان
ذكر بعده ما اوجبه الغضب فقال تعالى والقى الالواح يعنى التى فيها التوراة وكان
حاملا لها فالقاها من شدة الغضب قالت الرواة واصحاب الاخبار كانت التورية
سبعة اسباع فلما القى موسى الالواح تكسرت فرفع منها ستة اسباع وبقى سبع
واحد فرفع منها ما كان من اخبار الغيب وبقى ما فيه من المواعظ والاحكام والحلال
والحرام وروى ان الله تعالى اخبر موسى بفتنة قومه وعرف موسى ان ما اخبره الله به
حق وصدق ومع ذلك لم يلق التورية من يده فلما رجع الى قومه وعاين ذلك
وشاهده القى التورية وهذا كما قيل ليس الخبر كالمعاينة واخذ براس اخيه يجره اليه قيل
انما اخذ بشعر راسه ولحيته من شدة غضبه وقال ابن الانبارى لما رجع موسى
وجد قومه مقيمين على المعصية اكبر ذلك واستعظمه فاقبل على اخيه هارون يلومه
ومد يده على راسه لشدة مواخذته عليه اذ لم يلحق به فيعرفه خبر بنى اسرائيل
فيرجع ويتلافاهم فاعلمه هارون انه انما اقام بين اظهرهم خوفا على نفسه من القتل
وهو قوله تعالى قال يعنى هارون يا ابن ام انما قال هارون لموسى ابن ام وان كان
لاب وام ليرققه وليستعطفه عليه ان القوم يعنى الذين عبدوا العجل استضعفونى
اى استذلونى وقهرونى وكادوا يقتلوننى اى وقاربوا وهموا ان يقتلوننى فلا
تشمت بى الاعداء اصل الشماتة الفرح ببلية من تعاديه ويعاديك يقال شمت فلان
بفلان اذا سر بمكروه نزل به والمعنى لا تسر الاعداء بما تنال منى من مكروه ولا تجعلنى مع
القوم الظالمين يعنى الذين عبدوا العجل قال رب اغفر لى يعنى ان موسى عليه السلام لما
تبين له عذر اخيه هارون قال رب اغفر لى لما صنعت الى اخى هارون يريد ما
اظهر من المواخذة عليه فى وقت الغضب ولاخى يعنى واغفر لاخى هارون
ان كان وقع منه تقصير فى الانكار على عبدة العجل وادخلنا يعنى جميعا فى رحمتك
وانت ارحم الراحمين وهذا فيه دليل على الترغيب فى الدعاء لان من هو ارحم
الراحمين يوصل منه الرحمة وفيه تقوية لطمع الداعى فى نجاح طلبته ان الذين
اتخذوا العجل يعنى الها عبدوه من دون الله سينالهم غضب من ربهم وذلة فى
الحيوة الدنيا يعنى سينالهم عقوبة من ربهم وهوان بسبب كفرهم وعبادتهم العجل
وذلك فى عاجل الحياة الدنيا ثم للمفسرين فى هذه الاية قولان احدهما ان المراد
بالذين اتخذوا العجل باشروا عبادته وعلى هذا القول ففى الاية سوال وهو

ان اولئك الاقوام الذين اتخذوا العجل تابوا الى الله بقتلهم انفسهم كما امر الله فتاب عليهم
فكيف ينالهم الغضب والذلة مع التوبة والجواب ان ذلك الغضب انما حصل لهم
فى الدنيا وهو نفس القتل فكان ذلك القتل غضبا عليهم والمراد بالذلة هو استسلامهم انفسهم
للقتل واعترافهم على انفسهم بالضلال والخطا فان قلت السين فى قوله سينالهم للاستقبال
فكيف تكون للماضى قلت هذا الكلام انما هو خبر عما اخبر الله موسى عليه السلام حين اخبره
بافتتان قومه واتخاذهم العجل ثم اخبره فى ذلك الوقت انه سينالهم غضب من ربهم وذلة
فكان هذا الكلام سابقا لوقوعه وهو القتل الذى امرهم الله به بعد ذلك وقال ابن جريج
فى هذه الاية ان هذا الغضب والذلة لمن مات منهم على عبادة العجل ولمن فر من القتل وهذا
الذى قاله ابن جريج وان كان له وجه لكن جميع المفسرين على خلافه القول الثانى ان المراد
بالذين اتخذوا العجل اليهود الذين كانوا فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس هم الذين
ادركوا النبى صلى الله عليه وسلم واباؤهم هم الذين عبدوا العجل واراد بالغضب عذاب الاخرة
وبالذلة فى الدنيا الجزية وقال عطية العوفى سينال اولاد الذين عبدوا العجل وهم
الذين كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم واراد بالغضب والذلة ما اصاب
بنى النضير وبنى قريظة من القتل والجلا وعلى هذا القول ففى تقدير الاية وجهان الاول
ان العرب تعير الابناء بقبائح افعال الاباء كما تفعل ذلك فى المناقب فتقول للابناء
فعلتم كذا وفعلتم كذا وانما فعل ذلك من مضى من ابائهم فكذلك ههنا وصف اليهود
الذين كانوا فى زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم بانهم اتخذوا العجل وان كان اباؤهم
فعلوا ذلك ثم حكم على اليهود الذين كانوا فى زمنه بانهم سينالهم غضب من ربهم
فى الاخرة وذلة فى الحياة الدنيا الوجه الثانى ان تكون الاية من باب حذف المضاف
والمعنى ان الذين اتخذوا العجل وباشروا عبادته سينال اولادهم ثم حذف المضاف
لدلالة الكلام عليه وقوله تعالى وكذلك نجزى المفترين يعنى وكما جزينا هؤلاء الذين
اتخذوا العجل الها كذلك نجزى كل من افترى على الله كذبا او عبد غيره قال ابو قلابة هو والله
جزاء كل مفتر الى يوم القيامة ان يذله الله وقال سفيان بن عيينة هذا فى كل مبتدع
الى يوم القيامة وقال مالك بن انس ما من مبتدع الا وهو يجد فوق راسه ذلة ثم
قرا هذه الاية قال والمبتدع مفتر فى دين الله والذين عملوا السيئات يعنى عملوا الاعمال
السيئة ويدخل فى ذلك كل ذنب كبير وصغير حتى الكفر فما دونه ثم تابوا من بعدها
يعنى ثم رجعوا الى الله من بعد اعمالهم السيئة وامنوا يعنى وصدقوا بالله تعالى وانه يقبل توبة
التائب ويغفر الذنوب ان ربك يا محمد او انها الانث التايب من بعدها يعنى من بعد
توبتهم لغفور رحيم يعنى انه تعالى يغفر الذنوب ويرحم التائبين وفى الاية دليل على ان
السيئات باسرها صغيرها وكبيرها مشتركة فى التوبة وان الله تعالى يغفرها جميعا بفضله
ورحمته ولقد ير الاية ان من اتى بجميع السيئات ثم تاب الى الله واخلص التوبة

قال الله يغفر باله ويقبل توبته وهذا من اعظم البشاير للمذنبين التايبين قوله تعالى
ولما سكت عن موسى الغضب يعني سكن لان السكون اصله الامساك
عن الشيء ولما كان السكون بمعنى السكون استعير في سكوت الغضب لان الغضب
لا يتكلم لكنه لما كان بفورته دالا على ما في نفس الغضب كان بمنزلة الناطق فاذا
سكت تلك الفورة كان بمنزلة السكوت عما كان متكلما وقيل معناه ولما سكت
عن موسى الغضب هو من المقلوب كقول ادخلت القلنسوة في راسي والمعنى ادخلت
راسي في القلنسوة والقول الاول الصحيح لانه قول اهل اللغة والتفسير اخذ الالواح
يعني التي القاها قال الامام فخر الدين الرازي وظاهر هذا يدل على ان الالواح لم تنكسر
ولم يرفع من التورية شيء وفي نسختها النسخ عبارة عن النقل والتحويل فاذا نسخت كتابا
من كتاب حرفا بحرف فقد نسخت ذلك الكتاب فهو نقلك ما في الاصل الى الفرع فعلى
هذا قيل اراد بها الالواح لانها نسخت من اللوح المحفوظ وقيل اراد بها النسخة المكتتبة من
اللوح التي اخذها موسى بعد ما تكسرت وقال ابن عباس وعمرو بن دينار لما القى موسى الالواح
فتكسرت صام اربعين يوما فردت عليه في لوحين وفيها ما في الاولى بعينه فتكون نسختها
وعلى قول من قال ان الالواح لم تنكسر واخذها موسى بعينها بعد ما القاها يكون معنى وفي
نسختها المكتوب فيها هدى ورحمة قال ابن عباس يعني هدى من الضلالة ورحمة من العذاب
للذين هم لربهم يرهبون يعني الخائفين من ربهم قوله عز وجل واختار موسى قومه سبعين
رجلا لميقاتنا الاختيار افتعال من لفظ الخير يقال اختار الشيء اذا اخذ خيره والمعنى واختار
موسى من قومه فحذف كلمة من وذلك شايع في العربية لدلالة الكلام عليه قال اصحاب
الاخبار ان موسى عليه السلام اختار من كل سبط من قومه ستة نفر فكانوا اثنين وسبعين
فقال ليتخلف منكم رجلان فتشاجروا فقال ان لمن قعد منكم اجر من خرج فقعد يوشع بن
نون وكالب بن يوفنا وقيل انه لم يجد الا ستين شيخا فاوحى الله اليه ان يختار من الشبان
عشرة فاختارهم فاصبحوا شيوخا فامرهم ان يصوموا ويتطهروا ويطهروا ثيابهم ثم ذهب
بهم الى ميقات ربه واختلف اهل التفسير في ذلك الميقات فقيل انه الميقات الذي كلمه فيه ربه
وسال فيه الرؤية وذلك انه لما خرج الى طور سينا اخذ معه هولاء السبعين فلما دنا موسى
من الجبل وقع عليه عمود من الغمام حتى احاط بالجبل كله ودخل موسى فيه وقال للقوم
ادنوا فدنوا حتى دخلوا في الغمام ووقعوا سجدا وسمعوا الله وهو يكلم موسى يامره
وينهاه افعل كذا لا تفعل كذا فلما انكشف الغمام اقبلوا على موسى وقالوا لن نؤمن
لك حتى نرى الله جهرة فاخذتهم الصاعقة وهي المراد من الرجفة المذكورة في هذه
الاية وقال السدي ان الله امر موسى ان ياتيه في ناس من بني اسرائيل يعتذرون اليه
من عبادة العجل ووعدهم موعدا فاختار موسى قومه سبعين رجلا ثم ذهب الى
ميقات ربه ليعتذروا فلما اتوا ذلك المكان قالوا لن نؤمن لك يا موسى حتى

نرى الله جهرة فانك قد كلمته فارناه فاخذتهم الصاعقة فماتوا فقام موسى يبكي
ويدعو الله ويقول رب ماذا اقول لبني اسرائيل اذا اتيتهم وقد اهلكت اخيارهم
رب لو شئت اهلكتهم من قبل واياي وقال محمد بن اسحاق اختار موسى من بني
اسرائيل سبعين رجلا الخير فالخير وقال انطلقوا الى الله فتوبوا اليه مما صنعتم وسلوه
التوبة على من تركتم وراءكم من قومكم صوموا وتطهروا واطهروا ثيابكم فخرج بهم الى طور
سينا لميقات وقته له ربه وكان لا ياتيه الا باذن منه وعلم فقال السبعون فيما ذكر لي
حين فعلوا ما امرهم به وخرجوا معه للقاء ربه فقالوا لموسى اطلب لنا نسمع كلام
ربنا فقال افعل فلما دنا موسى من الجبل وقع عليه عمود الغمام حتى غشي الجبل كله
ودنا موسى فدخل فيه وقال للقوم ادنوا فكان موسى اذا كلمه ربه وقع على جبهته
نور ساطع لا يستطيع احد من بني ادم ان ينظر اليه فضرب الله دونه بالحجاب ودنوا القوم
حتى دخلوا في الغمام ووقعوا سجودا فسمعوه وهو يكلم موسى يامره وينهاه افعل
لا تفعل فلما فرغ اليه من امره انكشف عن موسى الغمام فاقبل اليهم فقالوا لن نؤمن لك
حتى نرى الله جهرة فاخذتهم الرجفة وهي الصاعقة فماتوا جميعا فقام موسى يناشد
ربه ويدعوه ويرغب اليه ويقول رب لو شئت اهلكتهم من قبل واياي وقال ابن عباس
كان الله امر موسى ان يختار من قومه سبعين رجلا فاختار سبعين رجلا فبرز بهم ليدعوا
ربهم فكان فيما دعوا الله ان قالوا اللهم اعطنا ما لم تعطه احدا قبلنا ولا تعطه احدا
بعدنا فكره الله ذلك من دعائهم فاخذتهم الرجفة قال رب لو شئت اهلكتهم من قبل
واياي وقيل انما اخذتهم الرجفة من اجل انهم ادعوا على موسى انه قتل هارون قال
علي بن ابي طالب انطلق موسى وهارون الى سفح جبل فنام هارون على سرير فتوفاه
الله فلما رجع موسى الى بني اسرائيل قالوا له انت قتلته حسدتنا على خلقته ولينه
وكان هارون حسن الخلق محببا في بني اسرائيل فقال لهم موسى اختاروا من شئتم
فاختاروا سبعين رجلا فلما انتهوا اليه قالوا يا هارون من قتلك قال ما قتلني احد
ولكن الله توفاني فاخذتهم الرجفة فجعل موسى يرجع يمينا وشمالا ويقول رب
لو شئت اهلكتهم من قبل واياي الاية قال فاحياهم الله عز وجل وقيل انما اخذتهم
الرجفة لتركهم فراق عبدة العجل لا انهم كانوا من عبدته قال ابن عباس انما تناولتهم
الرجفة لانهم لم يزايلوا القوم حين نصبوا العجل وقد كرهوا ان يجامعوا عليه قال
ابن جريج فلما خرجوا ودعوا اماتهم ثم احياهم وقال مجاهد واختار موسى قومه
سبعين رجلا لميقاتنا والميقات الموعد فلما اخذتهم الرجفة بعد ان خرج موسى
بالسبعين من قومه يدعون الله ويسالونه ان يكشف عنهم البلاء فلم يستجب
لهم علم موسى انهم قد اصابوا من المعصية بمعصية ما اصاب قومهم وقال محمد بن
كعب القرظي لم يستجب لهم من اجل انهم لم ينهوهم عن المنكر ولم يامروهم بالمعروف
فاخذتهم الرجفة فماتوا ثم احياهم الله وقوله تعالى فاخذتهم الرجفة اصل الرجف

الاضطراب الشديد الذي يحصل منه التغير والهلاك ولهذا اختلفوا في تلك الرجفة التي حصلت
لهولاء هل كان معها موت ام لا فنظم الروايات انه تقدمت انهم ماتوا بسبب تلك الرجفة
وقال وهب بن منبه لم تكن الرجفة موتا ولكن القوم لما راوا تلك الهيئة اخذتهم الرعدة
وقلقوا ورجفوا حتى كادت ان تبين مفاصلهم فلما راى موسى ذلك رحمهم وخاف
عليهم الموت واشتد عليه فقدهم وكانوا له وزراء على الخير سامعين مطيعين فعند ذلك
دعا موسى وبكى وناشد ربه فكشف الله عنهم تلك الرجفة فاطمانوا وسمعوا كلام
الله فذلك قوله تعالى فلما اخذتهم الرجفة قال يعني موسى رب اي يا رب لو شئت
اهلكتهم من قبل يعني من قبل عبادتهم العجل واياي وذلك انه خاف ان يتهمه بنو
اسرائيل على السبعين اذا رجع اليهم وما هم معه ولم يصدقوه بانهم ماتوا فقال رب لو شئت
اهلكتهم يعني قبل خروجهم الى الميقات واياي معهم فكان بنو اسرائيل يعاينون ذلك ولا
يتهمون اتهلكنا بما فعل السفهاء قال المراد من موسى انهم اهلكوا باتخاذ اصحاب العجل
العجل فقال اتهلكنا بما فعل السفهاء يعني عبدة العجل وانما اهلكوا بسبب سالتهم الروية
وهو قولهم ارنا الله جهرة وهذا قول الكلبي وجماعة وقال جماعة من اهل العلم لا يجوز ان
يظن بموسى ان الله تعالى يهلك قوما بذنوب غيرهم ولكن اتهلكنا بما فعل السفهاء
منا استفهام بمعنى الجحد اي لست تفعل ذلك وهذا قول ابن الانباري وقال المبرد
هذا استفهام استعطاف اي لا تهلكنا ان هي الا فتنتك قال الواحدي الكناية
في هي تعود الى الفتنة كما تقول ان هو الا زيد والمعنى ان تلك الفتنة التي وقع فيها
السفهاء لم تكن الا فتنتك اي اختبارك وابتلاوك وهذا تاكيد لقوله اتهلكنا
بما فعل السفهاء منا لان معناه لا تهلكنا بفعلهم فان تلك الفتنة كانت اختبارا
منك وابتلاء اضللت بها قوما فافتتنوا وهديت قوما فعصمتهم حتى ثبتوا على
دينك وهو المراد من قوله تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء قال الواحدي وهذه الاية
من الحجج الظاهرة على القدرية التي لا يبقى معهم عذر انت ولينا يعني انت يا ربنا ناصرنا وحافظنا
وهذا يفيد الحصر اي لا ولي لنا ولا ناصر ولا حافظ الا انت فاغفر لنا سال موسى عليه السلام
لنفسه ولقومه الغفران اما لنفسه فلقوله ان هي الا فتنتك وهذا فيه اقدام على الحضرة
المقدسة واما لقومه فلقولهم ارنا الله جهرة وفي هذا اقدام على الحضرة المقدسة فلهذا السبب
سال موسى الغفران له ولقومه وارحمنا اي وشملنا برحمتك التي وسعت كل شي وانت
خير الغافرين يعني ان كل من سواك انما يغفر الذنب طلبا للثناء الجميل او لدفع ضرر
واما انت يا رب فتغفر ذنوب عبادك لا لطلب عوض ولا غرض بل لمحض الفضل والكرم
فانت خير الغافرين قوله تعالى واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الاخرة يعني قال
موسى في دعائه واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة اي واجعلنا ممن كتبت له حسنة
وهي ثواب الاعمال الصالحة وفي الاخرة اي واكتب لنا في الاخرة مغفرة لذنوبنا
انا هدنا اليك قال ابن عباس انا تبنا اليك وهذا قول جميع المفسرين واصل الهود

الرجوع برفق

الرجوع برفق قال بعضهم وبه سميت اليهود وكان اسم مدح قبل نسخ شريعتهم فلما نسخت
شريعتهم صار اسم ذم وهو لازم لهم قال يعني قال الله عز وجل لموسى عليه السلام اصيب به
من اشاء يعني من خلقي وليس لاحد علي اعتراض لان الكل ملكي وعبيدي ومن تصرف
في خالص ملكه فليس لاحد عليه اعتراض ورحمتي وسعت كل شي يعني ان رحمته سبحانه
وتعالى عمت خلقه كلهم وقال بعضهم هذا من العام اريد به الخاص فرحمة الله عمت البر
والفاجر في الدنيا وهي للمومنين خاصة في الاخرة وقيل للمومنين خاصة في الدنيا والاخرة
ولكن الكافر يرزق ويدفع عنه ببركة المومن لسعة رحمة الله له فاذا كان يوم القيامة
وجبت للمومنين خاصة قال جماعة من المفسرين لما نزلت ورحمتي وسعت كل شي
تطاول ابليس اليها وقال انا من ذلك الشي فنزعها الله من ابليس فقال تعالى فساكتبها
للذين يتقون ويوتون الزكاة والذين هم باياتنا يومنون فايس ابليس منها وقالت
اليهود نحن نتقي ونوتي الزكاة ونومن بايات ربنا فنزعها الله من اليهود واثبتها
لهذه الامة فقال الذين يتبعون الرسول النبي الامي الاية وقال نوف البكالي
لما اختار موسى من قومه سبعين رجلا قال الله تعالى لموسى اجعل لكم الارض مسجدا
وطهورا تصلون حيث ادركتم الصلاة الا عند مرحاض او حمام او قبر واجعل السكينة
في قلوبكم واجعلكم تقرون التورية عن ظهر قلوبكم يقراها الرجل والمراة والعبد والصغير
والكبير فقال موسى ذلك فقالوا لا نريد ان نصلي الا في الكنائس ولا نستطيع حمل السكينة
في قلوبنا ولا نستطيع ان نقرا التورية من ظهر قلوبنا ولا نريد ان نقراها الا نظرا
قال الله تعالى فساكتبها للذين يتقون الى قوله اولئك هم المفلحون فجعلها الله لهذه
الامة فقال موسى رب اجعلني نبيهم قال نبيهم منهم قال اجعلني منهم قال انك
لن تدركهم قال موسى يا رب اتيتك بوفد من بني اسرائيل فجعلت وفادتنا
لغيرنا فانزل الله ومن قوم موسى امة يهدون بالحق وبه يعدلون فرضي موسى
اما التفسير فقوله للذين يتقون يعني الشرك وساير ما نهوا عنه لان جميع التكاليف
محصورة في نوعين الاول التروك وهي الاشيا التي يجب على الانسان تركها والاحتراز
عنها والتقرب بها واليه الاشارة بقوله للذين يتقون والثاني الافعال المامور بها وتلك
الاعمال بدنية او قلبية اما البدنية فاليه الاشارة بقوله ويوتون الزكاة وهذه
وان كانت في حق المال لكن يختص البدن باخراجها والاعمال القلبية والمعرفة فالاعمالنا
واليه الاشارة بقوله والذين هم باياتنا يومنون قوله عز وجل الذين يتبعون
الرسول النبي الامي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التورية ذكر الامام فخر الدين في معنى
هذه التبعية وجهين احدهما ان المراد بذلك ان يتبعوه باعتقاد نبوته من حيث
وجد واصفه في التوراة اذ لا يجوز ان لا يتبعوه في شرايعه قبل ان يبعث الى الخلق
قال وفي قوله والانجيل ان المراد ويجدونه مكتوبا في الانجيل لان من المحال

ان يجدوه فيه قبل ما انزل الله الانجيل الوجه الثاني ان المراد من الحق من بني اسرائيل زمان
رسول الله صلى الله عليه وسلم فبين تعالى ان هولاء اللاحقين لا يكتب لهم رحمة الا اذا
اتبعوه قال وهذا القول ارجح لان اتباعه قبل ان يبعث لا يمكن فبين بهذه الاية
ان هذه الرحمة لا يفوز بها من بني اسرائيل الا من اتقى واتى الزكاة وامن بالايات في زمن
موسى ومن كانت هذه صفته في ايام رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان مع ذلك
متبعا للنبي صلى الله عليه وسلم في شرايعه فعلى هذين الوجهين يكون المراد بقوله الذين
يتبعون الرسول من بني اسرائيل خاصة وجمهور المفسرين على خلاف ذلك
فانهم قالوا المراد بهم جميع امته الذين امنوا به واتبعوه سوا كان من بني اسرائيل
او غيرهم واجمع المفسرون على ان المراد بقوله الذين يتبعون الرسول محمد صلى الله
عليه وسلم وصفه بكونه رسولا لانه الواسطة بين الله وبين خلقه المبلغ رسالاته
واوامره ونواهيه وشرايعه اليهم ثم وصفه بكونه نبيا وهذا ايضا من اعلى المراتب
واشرفها وذلك يدل على انه رفيع القدر والدرجة عند الله المخبر عنه ثم وصفه
بالامي قال ابن عباس هو نبيكم صلى الله عليه وسلم كان اميا لا يكتب ولا يقرا ولا يحسب
قال الزجاج في معنى الامي هو الذي على صفة امة العرب لان العرب اكثرهم
لا يكتب ولا يقرا ولا يحسب فالنبي صلى الله عليه وسلم كان كذلك فلهذا وصفه الله تعالى
بكونه اميا وصح في الحديث انه صلى الله عليه وسلم قال نحن امة امية لا نكتب ولا نحسب
قال اهل التحقيق وكونه صلى الله عليه وسلم كان اميا فهو من اكبر معجزاته واعظمها
وبيانه انه صلى الله عليه وسلم اتى بهذا الكتاب العظيم الذي اعجز الخلايق فصاحة
وبلاغة وكان يقراه عليهم بالليل والنهار من غير زيادة فيه ولا نقصان منه
ولا تغيير فدل ذلك على معجزته وهو قوله تعالى سنقريك فلا تنسى وقيل انه
لو كان يحسن الكتابة ثم انه اتى بهذا القران العظيم لكان متهما فيه لاحتمال انه كتبه
ونقله عن غيره فلما كان اميا واتى بهذا الكتاب العظيم الذي فيه علم الاولين
والاخرين والمغيبات دل على كونه معجزة له صلى الله عليه وسلم وايضا فان الكتابة ذلك مع
تعين الانسان على الاشتغال بالعلوم وتحصيلها ثم انه اتى بهذه الشريعة الشريفة
والاداب الحسنة مع علوم كثيرة وحقايق دقيقة من غير مطالعة كتب ولا اشتغال
على احد دل ذلك على كونه معجزة له صلى الله عليه وسلم وقيل في معنى الامي الذي هو منسوب
الى امه كانه لم يخرج بعد عن ما ولدته وقيل سمي اميا لانه منسوب الى ام القرى
وهي مكة وقوله تعالى الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التورية والانجيل يعني يجدون
صفته ونعته ونبوته مكتوبة عندهم يعرفها علماوهم واحبارهم ولكنهم كتموا ذلك
وبدلوه وغيروه حسدا منهم له وخوفا على زوال رياستهم وقد حصل لهم ما كانوا يخافونه
فقد زالت رياستهم ووقعوا في الذل والهوان خ عن عطا بن يسار قال لقيت

عبد الله

عبد الله عمرو بن العاص فقلت اخبرني عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في التورية
فقال اي والله انه لموصوف في التورية ببعض صفته في القران يا ايها النبي انا
ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا للاميين انت عبدي ورسولي سميتك
المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الاسواق ولا يدفع بالسيئة السيئة
ولكن يعفوا ويغفر ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجا بان يقولوا لا اله
الا الله ويفتح بها اعينا عميا واذانا صما وقلوبا غلفا **شرح** غريب الفاظه الفظ
السيء الخلق والغليظ الجافي القاسي وقوله سخاب يقال سخاب بالسين والصاد
وهو الكثير الصياح في الاسواق والاعوجاج ضد الاستقامة واراد بالملة العوجا الكفر
والقلب الاغلف الذي لا يصل اليه شي ينفعه شبهه بالاغلف كانه في غلاف وروى
البغوي بسنده عن كعب الاحبار قال اني اجد في التورية مكتوبا محمد رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا فظ ولا غليظ ولا سخاب في الاسواق ولا يجزي بالسيئة ولكن
يعفوا ويصفح امته الحمادون يحمدون الله في كل منزلة ويكبرونه على كل نجد ياتزرون
على انصافهم ويوضون اطرافهم صفهم في الصلاة وصفهم في القتال سوا مناديهم
ينادي في جو السما لهم في جوف الليل دوي كدوي النحل مولده بمكة ومهاجره
بطيبة وملكه بالشام وقوله يامرهم بالمعروف يعني بالايمان والتوحيد وينهاهم
عن المنكر يعني عن الشرك بالله وقيل المعروف ما عرف في الشريعة والسنة والمنكر
ما لا يعرف في شريعة ولا سنة وقال عطا يامرهم بالمعروف بخلع الانداد ومكارم
الاخلاق وصلة الارحام وينهاهم عن المنكر عن عبادة الاوثان وقطع الارحام
ويحل لهم الطيبات يعني بذلك ما كان محرما عليهم في التورية من الطيبات وهو لحوم الابل
وشحم الغنم والمعز والبقر وقيل هو ما كانوا يحرمونه على انفسهم في الجاهلية من البحاير
والسوايب والوصايل والحامي وقيل هي المستلذات التي يستطيبها النفس ويحرم عليهم
الخبايث قال ابن عباس يريد الميتة والدم ولحم الخنزير وقيل هو كل ما يستخبثه الطبع
ويستقذره النفس فان الاصل في المضار الحرمة الا ما له دليل منفصل بالحل ويضع عنهم
اصرهم يعني ثقلهم واصل الاصر الثقل الذي ياصر صاحبه اي يحبسه عن الحركة لثقله
والمراد بالاصر هنا العهد والميثاق الذي اخذ على بني اسرائيل ان يعملوا بما في التورية
من الاحكام وكانت تلك شديدة والاغلال التي كانت عليهم يعني ويضع الاثقال
والشدايد التي كانت عليهم في الدين والشريعة وذلك مثل قتل النفس في التورية وقطع
الاعضا الخاطية وقرض النجاسة عن البدن والثوب بالمقاريض وتعين القصاص
في القتل وتحريم اخذ الدية وترك العمل في السبت وان صلاتهم لا تجوز الا في الكنايس
وتتبع العروق من اللحم وغير ذلك من الشدايد التي كانت على بني اسرائيل شبهت بالاغلال
مجازا لان التحريم يمنع من الفعل كما ان الغل يمنع من الفعل وقيل شبهت بالاغلال التي

يجمع اليد الى العنق ثم ان اليد لا تمتد مع وجود الغل فكذلك لا تمتد الى الحرام التي نهيت
عنه وكان هذه الاثقال في شريعة موسى عليه السلام فلما جا محمد صلى الله عليه وسلم نسخ ذلك
كله ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم بعثت بالحنيفية السهلة السمحة فالذين امنوا به يعني
بمحمد صلى الله عليه وسلم وعزروه يعني وقروه وعظموه واصل التعزير المنع والنصرة وتعزير
النبي صلى الله عليه وسلم تعظيمه واجلاله ودفع الاعدا عنه وهو قوله ونصروه يعني على اعدايه
واتبعوا النور الذي انزل معه يعني القران سمى القران نورا لانه يستنير به قلب المومن
فيخرج به من ظلمات الشك والجهالة الى ضيا اليقين والعلم اولئك هم المفلحون يعني
هم الناجون الفايزون بالهداية قوله تعالى قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا
الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم اي قل يا محمد للناس اني رسول الله اليكم جميعا لا الى بعضكم دون
بعض ففي الاية دليل على عموم رسالته الى كافة الخلق لان قوله يا ايها الناس خطاب عام
يدخل فيه جميع الناس ثم امره الله عز وجل بان يقول اني رسول الله اليكم جميعا وهذا
يقتضي كونه مبعوثا الى جميع الناس عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اعطيت خمسا لم يعطهن احد قبلي كان كل نبي يبعث الى قومه خاصا وبعثت الى كل
احمر واسود واحلت لي الغنايم ولم تحل لاحد قبلي وجعلت لي الارض طيبة وطهورا
ومسجدا فايما رجل ادركته الصلاة صلى حيث كان ونصرت بالرعب على العدو بين
يدي مسيرة شهر واعطيت الشفاعة وفي رواية اعطيت خمسا لم يعطهن احد من الانبيا
قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا فايما رجل من امتي
ادركته الصلاة فليصل واحلت لي الغنايم ولم تحل لاحد قبلي واعطيت الشفاعة وكان النبي
صلى الله عليه وسلم يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى الناس عامة وقوله في الرواية
وبعثت الى كل احمر واسود قيل اراد بالاحمر العجم وبالاسود العرب وقيل اراد بالاحمر
الانس وبالاسود الجن فعلى هذا تكون رسالته صلى الله عليه وسلم عامة الى كافة
الخلق من الانس والجن م عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فضلت
على الانبيا بست اعطيت جوامع الكلم ونصرت بالرعب واحلت لي الغنايم وجعلت
لي الارض مسجدا وطهورا وارسلت الى الخلق كافة وختم بي النبيون وقوله تعالى
الذي له ملك السموات والارض لما امر الله عز وجل رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم بان يقول
يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا اردفه بما يدل على صحة دعواه يعني ان الذي
له ملك السموات والارض وهو مدبرها ومالك امرها هو الذي ارسلني اليكم فامرني ان اقول
لكم اني رسوله اليكم جميعا لا اله الا هو يحيي ويميت وصف الله نفسه بالالهية وانه لا شريك
له فيهما وانه القادر على احيا خلقه واماتتهم ومن كان كذلك فهو القادر على ارسال الرسل
الى خلقه فامنوا بالله ورسوله لما امر رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم بان يقول للناس
اني رسول الله اليكم جميعا امر الله جميع خلقه بالايمان به وبرسوله وذلك بان الايمان

بالله هو

وقد تقدم معناها صح

بالله هو الاصل والايمان برسوله فرع عليه فلهذا ابدا بالايمان بالله ثم ثنى بالايمان
برسوله فقال فامنوا بالله ورسوله ثم وصفه فقال تعالى النبي الامي الذي يومن بالله
وكلماته قال قتادة يعني اياته وهي القران وقال مجاهد والسدي اراد بكلماته عيسى بن
مريم لانه خلق بقوله كن فكان وقيل هو على العموم يعني يومن بجميع كلمات الله تعالى
واتبعوه يعني واقتدوا به ايها الناس فيما يامركم به وينهاكم عنه وقيل المتابعة على قسمين
متابعة في الاقوال ومتابعة في الافعال اما المتابعة في الاقوال بان يمتثل التابع
جميع ما يامر به المتبوع على طريق الامر والنهي والترغيب والترهيب واما المتابعة
في الافعال بان يقتدي به في جميع افعاله واداب الا ما خص به رسول الله صلى الله
عليه وسلم وثبت الدليل انه من خصايصه فلا متابعة فيه وقوله تعالى لعلكم تهتدون
يعني لكي تهتدوا وترشدوا وتصيبوا الحق والصواب في متابعتكم اياه قوله عز وجل
ومن قوم موسى يعني من بني اسرايل امة اي جماعة يهدون بالحق يعني يهتدون
بالحق ويستقيمون عليه ويعملون به ويرشدون اليه وبه يعدلون يعني وبالحق
يحكمون وبالعدل ياخذون ويعطون وينصفون واختلفوا في هولاء منهم
فقيل هم الذين اسلموا من بني اسرايل مثل عبد الله بن سلام واصحابه فانهم امنوا بموسى
والتورية وامنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم والقران واعترض على هذا بانهم كانوا
قليلين ولفظ الامة يقتضي الكثرة واجيب عنه بانهم كانوا مخلصين في الدين جاز
اطلاق لفظ الامة عليهم كما في قوله ان ابرهيم كان امة وقيل هم قوم بقوا على الدين
الحق الذي جاء به موسى عليه السلام قبل التحريف والتبديل ودعوا الناس اليه وقال
السدي وابن جريج وجماعة من المفسرين ان بني اسرايل لما قتلوا انبياهم وكفروا وكانوا
اثني عشر سبطا تبرا سبط منهم بما صنعوا واعتذروا وسالوا الله ان يفرق بينهم
وان يبعدهم عنهم ففتح الله لهم نفقا في الارض فساروا فيه حتى خرجوا من وراء
الصين فهم هنالك حنفا مسلمون يستقبلون قبلتنا قال ابن جريج قال ابن عباس
ساروا في السرب سنة ونصفا رواه الطبري وحكى البغوي عن الكلبي والضحاك
والربيع قالوا هم قوم خلف الصين باقصى الشرق على نهر يجري الرمل يسمى نهر اردان
ليس لاحد منهم مال دون صاحبه يمطرون بالليل ويصحون بالنهار ويزرعون
ولا يصل اليهم احد منا وهم على الحق وذكر لنا ان جبريل ذهب بالنبي صلى الله عليه وسلم
ليلة اسري به فكلمهم فقال لهم جبريل هل تعرفون من تكلمون قالوا لا قالوا هذا محمد
النبي الامي فامنوا به وقالوا يا رسول الله ان موسى اوصانا ان من ادرك منكم احمد
فليقراه عليه مني السلام فرد رسول الله صلى الله عليه وسلم على موسى وعليهم السلام واقراهم
عشر سور من القران نزلت عليه بمكة وامرهم بالصلاة والزكاة وامرهم ان يقيموا
مكانهم وكانوا يسبتون فامرهم ان يجمعوا ويتركوا السبت وهذه الحكاية ضعيفة

من وجوه الاول قولهم ان احدامنا اليهم واذا كان الامر كذلك فمن الذي اوصل خبرهم
الينا الوجه الثاني قولهم ان جبريل ذهب بالنبي صلى الله عليه السلام اليهم ليلة اسري به
وهذا لم يرد بنقل صحيح ولا رواه احد من ائمة الحديث ولا يلتفت الى قول الاخباريين و
القصاص في ذلك الوجه الثالث قولهم انهم بلغوا النبي صلى الله عليه وسلم سلام موسى وقد
صح في حديث المعراج انه سلم عليه في السما السادسة وايضا قولهم اقرأهم عشر سور وقد نزل
عليه بمكة اكثر من ذلك وكان فرض الزكاة بالمدينة فكيف يامرهم بها قبل فرضها فاذا
ثبت بما ذكرناه بطلان هذه الرواية فالمختار في تفسير هذه الاية انها اما ان تكون نزلت
في قوم كانوا متمسكين بدين موسى قبل التبديل والتغيير ثم ماتوا وهم على ذلك واما
ان يكون قد نزلت فيمن اسلم من اليهود على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كعبد الله
واصحابه والله اعلم بمراده قوله تعالى وقطعناهم يعني وفرقنا بني اسرائيل اثنتي عشرة اسباطا
يعني من اولاد يعقوب لان يعقوب هو اسرائيل واولاده الاسباط وكانوا اثني عشر
ولدا امما يعني جماعات وقبايل واوحينا الى موسى اذ استسقاه قومه يعني في التيه ان
اضرب بعصاك الحجر فانبجست يعني انفجرت وقيل عرقت وهو الانبجاس منه اي
من الحجر اثنتا عشرة عينا يعني لكل سبط عين قد علم كل اناس مشربهم يعني لا يدخل
سبط في مشرب غيرهم وظللنا عليهم الغمام يعني في التيه يقيهم حر الشمس وانزلنا عليهم المن
هو الترنجبين والسلوى جنس من الطير جعل الله عز وجل ذلك طعاما لهم في التيه كلوا
من طيبات ما رزقناكم اي وقلنا كلوا وما ظلمونا ولكن كانوا انفسهم يظلمون في الكلام
حذف ترك ذكره استغناء عنه ودلالة الكلام عليه تقديره كلوا من طيبات ما رزقناكم فجمعوا
ذلك وساموه وقالوا لن نصبر على طعام واحد وسالوه غيره لان المكلف اذا امر بشي
فتركه وعدل عنه الى غيره يكون عاصيا بفعله ذلك فلهذا قال وما ظلمونا يعني وما ادخلوا
علينا في ملكنا وسلطاننا نقصا بمسالتهم ما سالوا ولكن كانوا انفسهم يظلمون يعني يجلبون
ما امروا به وقد تقدم بسط على تفسير هذه الاية في سورة البقرة وقوله تعالى واذ قيل لهم اي
اذكر يا محمد لقومك اذ قيل لهم يعني لبني اسرائيل اسكنوا هذه القرية يعني بيت المقدس وقال
في سورة البقرة ادخلوا هذه القرية ولا منافاة بينهما لان كل ساكن في موضع لا بد له
من الدخول اليه وكلوا منها حيث شئتم يعني وكلوا من ثمار القرية وزروعها وحبوبها
وبقولها حيث شئتم واين شئتم قال في البقرة فكلوا بالفا وهنا بالواو والفرق بينهما ان
الدخول حالة مقتضية للاكل عقيب الدخول فحسن دخول الفا التي هي للتعقيب
ولما كانت السكنى حالة استمرار حسن دخول الواو عقيب السكنى فيكون الاكل حاصلا متى
شاوا وانما قال في سورة البقرة رغدا ولم يقل هنا لان الاكل عقيب الدخول الذ
واكمل واما الاكل مع السكنى والاستمرار فليس كذلك فحسن دخول لفظة رغدا
بخلاف هنا وقولوا حطة اي حط عنا ذنوبنا وادخلوا الباب سجدا وقال في سورة

البقرة عكس هذا اللفظ ولا منافاة في ذلك لان المقصود من ذلك تعظيم امر الله
واظهار الخضوع والخشوع له فلم يتفاوت الحال بحسب التقديم والتاخير نغفر لكم
خطاياكم يعني يغفر لكم ذنوبكم ولا نواخذكم بها وانما قال هنا خطيئاتكم وفي البقرة خطاياكم
لان المقصود غفران ذنوبهم سوا كانت قليلة او كثيرة اذا اتوا بالدعا والتضرع سنزيد
المحسنين وقال في البقرة وسنزيد بالواو ومعناه انه وعد بشيئين بالغفران وبالزيادة
للمحسنين من الثواب واسقاط الواو لا يخل بذلك المعنى لانه استيناف مرتب على تقدير
قول القايل وماذا بعد الغفران فقيل له سنزيد المحسنين فبدل الذين ظلموا منهم قولا
غير الذي قيل لهم يعني فغير الذين ظلموا انفسهم بمخالفة امرنا من بني اسرائيل فقالوا غير
الذي قيل لهم وامروا به وذلك انهم امروا ان يقولوا حطة فقالوا حنطة في شعيرة
فكان ذلك تبديلهم وتغييرهم فارسلنا عليهم رجزا من السما يعني بعثنا عليهم من السما
عذابا اهلكهم ولا منافاة بين قوله هنا ارسلنا وبين قوله في البقرة انزلنا لانهما لا يكونا
الا من اعلى الى اسفل وقيل بينهما فرق وهو ان الانزال لا يشعر بالكثرة والارسال يشعر
بذلك فكانه تعالى بدا بانزال العذاب قليلا ثم ارسل عليهم كثيرا بما كانوا يظلمون يعني ان
ارسال العذاب عليهم بسبب ظلمهم ومخالفتهم امر الله وقال في البقرة بما كانوا يفسقون
والجمع بينهما انهم لما ظلموا انفسهم فيما غيروا وبدلوا فسقوا بذلك وخرجوا عن طاعة الله
تعالى وقد تقدمت هذه القصة ايضا في سورة البقرة قوله عز وجل واسالهم عن القرية
التي كانت حاضرة البحر خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم اي سل يا محمد هولا اليهود
الذين هم جيرانك عن حال اهل القرية وهذا السوال سوال توبيخ وتقريع
لا سوال استعلام لانه صلى الله عليه وسلم كان قد علم هذه القرية بوحي الله عز وجل
اليه واخباره اياه حالهم وانما المقصود من هذا السوال تقريرا عند اليهود و
اقدامهم على الكفر والمعاصي قديما وان اصرارهم على الكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم
وانكار نبوته ومعجزاته ليس شيئا قد حدث الان في زمانه بل اصرارهم على
الكفر كان حاصلا في اسلافهم في قديم الزمان وفي الاخبار بهذه القصة
معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم لانه كان اميا لم يقرا الكتب القديمة ولم يعرف
اخبار الاولين ثم اخبرهم بما جرى لاسلافهم في قديم الزمان وانهم بسبب مخالفتهم
امر الله عز وجل مسخوا قردة واختلفوا في هذه القرية فقال ابن عباس هي ايلة بين
مصر والمدينة والعرب تسمي المدينة قرية وقال الزهري هي طبرية الشام وفي رواية
عن ابن عباس قال هي مدين وقال وهب هي مقنا بين مدين وعيونا التي
كانت حاضرة البحر يعني عن القرية التي كانت على ساحل البحر وقريبة منه اذ يعدون
في السبت يعني يتجاوزون حد الله فيه وما امرهم به من تعظيمه فخالفوا امر الله
وصادوا فيه السمك اذ تاتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا يعني ظاهرة على الما كثيرة

وقال الضحاك تاتيهم متتابعة يتبع بعضها بعضا وقيل كانت تاتيهم يوم السبت مثل الكباش السمان
البيض ويوم لا يسبتون لا تاتيهم يعني الحيتان كذلك نبلوهم يعني مثل هذا الاختبار
الشديد نختبرهم ونحن اعلم بحالهم بما كانوا يفسقون يعني ان ذلك الابتلا والاختبار
بسبب فسقهم وخروجهم عن طاعة الله وما امروا به قال اهل التفسير ان اليهود
امروا بيوم الجمعة فتركوه واختاروا السبت فابتلوا به وهو ان الله امرهم بتعظيمه
ونهاهم عن العمل فيه وحرم عليهم فيه الصيد فلما اراد الله ان يبتليهم كانت الحيتان
تظهر لهم في يوم السبت ينظرون اليها في البحر فاذا انقضى السبت ذهبت فلم
تر الى السبت المقبل بلا ابتلوا به فوسوس اليهم الشيطان وقال ان الله لم ينهكم
عن الاصطياد انما نهاكم عن الاكل فاصطادوا وقيل انه وسوس اليهم انكم انما نهيتم
عن الاخذ فاتخذوا حياضا على ساحل البحر وسوقوا اليها الحيتان يوم السبت
فاذا كان يوم الاحد اخذوها ففعلوا ذلك زمانا ثم انهم تجرؤوا على السبت
وقالوا ما نرى السبت الا قد حل لنا فاصطادوا واكلوا وباعوا فصار اهل
القرية اثلاثا وكانوا نحوا من سبعين الفا فثلث نهوا عن الاصطياد وثلث
سكتوا ولم ينهوا وقالوا للناهين لم تعظون قوما الله مهلكهم وثلث هم اصحاب
الخطيئة الذين خالفوا امر الله فاصطادوا وباعوا واكلوا فلما لم ينتهوا عما هم فيه
من المعصية قال الناهون لا نساكنكم في قرية واحدة وقسموا القرية بينهم بجدار
للناهين باب يدخلون ويخرجون به وللعاصين باب ولعنهم داود عليه السلام
وكانوا في زمنه فاصبح الناهون ذات يوم ولم يخرج من المعتدين احد فقالوا ان
لهم شانا لعل الخمر قد غلبتهم فعلوا على الجدار الذي بينهم فاذا هم قد مسخوا قردة ففتحوا
عليهم الباب ودخلوا اليهم فصار القردة يعرفون انسابهم من الناس ولم يعرف الناس
انسابهم من القردة فجعلت القردة تاتي انسابها من الناس فتشم ثيابهم فيقول
لهم اهلوهم الم ننهكم فتقول القردة براسها نعم فنجا الناهون وهلك سائرهم
فذلك قوله تعالى واذ قالت امة منهم لم تعظون قوما الله مهلكهم واختلفوا في القائلين
هذه المقالة فقال بعض المفسرين من اهل القرية افترقوا ثلاث فرق فرقة اعتدت و
اصابت الخطيئة وفرقة نهتهم عن ذلك الفعل وفرقة امسكت عن الصيد وسكتت
عن موعظة المعتدين وقالوا للناهين لم تعظون قوما الله مهلكهم او معذبهم
عذابا شديدا يعني انهم لاموهم على موعظة قوم يعلمون انهم غير متعظين ولا منزجرين
فقالت الفرقة الناهية للذين لاموهم قالوا معذرة الى ربكم يعني ان موعظتنا اياهم
معذرة الى ربكم لان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب علينا فموعظتنا لهؤلاء
عذر لنا عند الله ولعلهم يتقون اي وجائز عندنا ان ينتفعوا بالموعظة فيتقوا الله ويتركوا
ما هم فيه من الصيد وقال بعضهم ان اهل القرية كانوا فرقتين فرقة نهت وزجرت عن السوء

وفرقة علت

وفرقة عملت السوء فعلى هذا يكون الذين قالوا لم تعظون قوما الله مهلكهم الفرقة المعتدين
وذلك ان الفرقة الناهية قالوا للفرقة المعتدية انتهوا قبل ان ينزل بكم عذابا شديدا ان
لم تنتهوا عما انتم فيه فقالت لهم الفرقة المعتدية لم تعظون قوما الله مهلكهم او معذبهم عذابا
شديدا والمعنى فلم تعظون وقد علمتم ان الله مهلكنا او منزل بنا عذابه والقول الاول اصح
لانهم لو كانوا فرقتين لكان قولهم معذرة الى ربكم خطابا من الناهية للمعتدية وقوله تعالى
فلما نسوا ما ذكروا به اي فلما تركوا ما وعظوا به انجينا الذين ينهون عن السوء وهم الفرقة الناهية
واخذنا الذين ظلموا يعني الفرقة المعتدية العاصية بعذاب بئيس اي شديد وجيع من الباس
وهو الشدة بما كانوا يفسقون يعني انا اخذناهم بالعذاب بسبب فسقهم واعتدائهم وخروجهم
عن طاعتنا روى عكرمة عن ابن عباس قال سمع الله عز وجل يقول انجينا الذين ينهون عن
السوء واخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس فلا ادري ما فعلت الفرقة الساكتة وجعل يبكي قال
عكرمة فقلت جعلني الله فداك الا تراهم قد انكروا وكرهوا ما هم عليه وقالوا لم تعظون قوما الله
مهلكهم فان لم يقل الله انجيتهم لم يقل اهلكتهم قال فاعجبه قولي ورضي به وامر لي ببردين فكسانيهما
وقال نجت الساكتة وقال يمان بن رباب نجت الطائفتان الذين قالوا لم تعظون والذين
قالوا معذرة واهلك الله الذين اخذوا الحيتان وهذا قول الحسن وقال ابن زيد نجت
الناهية وهلكت الفرقتان وهذه اشد اية في ترك النهي عن المنكر وقوله تعالى فلما عتوا
عما نهوا عنه قال ابن عباس ابوا ان يرجعوا عن المعصية والعتو عبارة عن الاباء والعصيان
والمعنى فلما عتوا عن ترك ما نهوا عنه وتمردوا في العصيان من اعتدائهم في السبت
واستحلالهم ما حرم الله عليهم من صيد السمك في يوم السبت واكله قلنا لهم كونوا قردة
خاسئين يعني صاغرين مبعدين من كل خير قال قتادة لما عتوا عما نهوا عنه مسخهم فصيرهم
قردة يتعاوى بعد ما كانوا رجالا ونساء وقال ابن عباس جعل الله منهم القردة والخنازير
فزعم ان شباب القوم صاروا قردة وان المشيخة صاروا خنازير وقيل انهم بقوا ثلاثة
ايام ينظر الناس اليهم ثم هلكوا جميعا قوله عز وجل واذ تاذن ربك الخطاب فيه للنبي صلى
الله عليه وسلم ومعنى تاذن اذن والايذان الاعلام يعني اعلم ربك وقيل معناه
قال ربك وقيل حكم ربك وقيل تالى ربك يعني اقسم ربك لان اللام في قوله
ليبعثن جواب القسم لان قوله واذ تاذن جار مجرى القسم لكونه جزما وجواب
القسم ليبعثن عليهم واختلفوا في الضمير في عليهم الى من يرجع فقيل يقتضي ان
يكون راجعا الى قوله فلما عتوا عما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين لكن
قد علم ان الذين مسخوا لم يبق منهم احد فيحتمل ان يكون المراد الذين بقوا منهم
فالحق الذل بهم وقيل بان المراد سائر اليهود من بعدهم لان الذين بقوا من اهل
القرية كانوا صالحين والذي بعثه الله على اليهود وهو بخت نصر وسنحاريب
وملوك الروم فساموهم سوء العذاب وقيل المراد بقوله ليبعثن عليهم اليهود الذين

كانوا في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم وامته فالزم من لم يسلم منهم الصغار وهو
الذلة والجزية لازمة لليهود الى يوم القيامة واورد على هذا بان في اخر الزمان يكون
لهم عزة وذلك عند خروج الدجال لان اليهود اتباعه واشياعه واجيب عنه بان
ذلك العز الذي يحصل لهم هو في نفسه غاية الذلة لانهم يدعون الالهية للدجال
فيزدادون كفرا الى كفرهم فاذا اهلك الدجال اهلكهم المسلمون وقتلوهم جميعا فلذلك
هو الذلة والصغار المشار اليه بقوله ليبعثن عليهم الى يوم القيامة من يسومهم سوء
العذاب وهذا نص في ان هذا العذاب انما يحصل لهم في الدنيا مستمرا عليهم الى
يوم القيامة ولهذا فسر هذا العذاب بالاهانة والذلة واخذ الجزية منهم فاذا افضوا
الى الاخرة كان عذابهم اشد واعظم وهو قوله تعالى ان ربك لسريع العقاب يعني لمن
اقام على الكفر ففيه دليل على انه يجمع لهم مع ذلة الدنيا عذاب الاخرة فيكون العذاب
مستمرا عليهم في الدنيا والاخرة ثم ختم الاية بقوله تعالى وانه لغفور رحيم يعني لمن امن منهم
ورجع عن الكفر واليهودية ودخل في دين الاسلام قوله عز وجل وقطعناهم في الارض
امما يعني وفرقنا بني اسرائيل في الارض جماعات متفرقة فلا تجد بلدا الا وفيه من اليهود
طائفة وجماعة قال ابن عباس في كل ارض يدخلها قوم من اليهود منهم الصالحون يعني
من هؤلاء الذين وصفهم الله من بني اسرائيل صالحون وهم من امن بالله ورسوله وثبت
على دينه قبل مبعث عيسى عليه السلام وانما وصفهم بذلك قبل ارتدادهم عن دينهم وكفرهم
بربهم ذكره الطبري ولم يذكر غيره وروى البغوي وغيره من المفسرين عن ابن عباس
ومجاهد ان المراد بالصالحين الذين ادركوا النبي صلى الله عليه وسلم من اليهود وامنوا به
والصحيح ما ذكره الطبري يدل عليه قوله بعده فخلف من بعدهم خلف والخلف انما كان بعد
هؤلاء الذين وصفهم بالصلاح من بني اسرائيل وقوله ومنهم دون ذلك يعني الذين كفروا
من بني اسرائيل وبدلوا وغيروا وبلوناهم يعني جميعا الصالح وغيره وهي بلوى اختبار
وامتحان بالحسنات يعني الخصب والعافية والسيئات يعني الجدب والشدة لعلهم يرجعون
يعني لكي يرجعوا الى طاعة ربهم ويتوبوا اليه قال اهل المعاني كل واحد من الحسنات والسيئات
اذا فسرنا بالنعم والشدة تدعو الى طاعة الله تعالى اما النعمة فيزداد عليها شكرا فيرغب في
الطاعة واما الشدة فيخاف سوء عاقبتها فيرهب منها قوله تعالى فخلف من بعدهم يعني
من بعد هؤلاء الذين وصفناهم خلف يعني خلف سوء يعني حدث من بعدهم وتبدل منهم
بدل سوء يقال منه هو خلف صدق بفتح اللام وخلف سوء بسكونها فاكثر ما يقال في المدح
بفتح اللام وفي الذم بسكونها وقد تحرك في الذم وتسكن في المدح قال حسان بن ثابت
في المدح لنا القدم الاولى اليك وخلفنا لاولنا في طاعة الله تابع فسكن اللام
في قوله وخلفنا وهو يريد المدح وقال لبيد في الذم ذهب الذين يعاش في اكنافهم
وبقيت في خلف كجلد الاجرب فسكن اللام وهو يريد الذم واصله من الفساد

يقال خلف اللبن اذا فسد وتغير في السقاء ويقال للرديء من القول خلف والشيء يتغير
ومنه خلوف فم الصائم والمعنى جاء من بعد هؤلاء الذين وصفناهم خلف والخلف القرن
الذي يجيء بعد قرن كان قبله ورثوا الكتاب يعني انتقل اليهم الكتاب عن ابائهم والمراد
بالكتاب التوراة ياخذون عرض هذا الادنى العرض بفتح الراء جميع متاع الدنيا لما
يقال الدنيا عرض حاضر ياكل منها البر والفاجر والعرض بسكون الراء جميع المال سوى
الدراهم والدنانير والمعنى انهم كانوا ياخذون الرشى في الاحكام وعلى تبديل الكلام وتغييره
وذلك الذي ياخذونه من حطام الدنيا هو الشيء التافه الخسيس الحقير لان الدنيا
باسرها فانية حقيرة والراغب فيها احقر منها فاليهود ورثوا التوراة وعلموا ما فيها
وضيعوا العمل بما فيها وتركوه واخذوا الرشى في الاحكام ويعلمون انه حرام ثم انهم
مع اقدامهم على هذا الذنب العظيم واصرارهم عليه يقولون سيغفر لنا يعني ذنوبنا ويتمنون
على الله الاماني الباطلة الكاذبة عن شداد بن اوس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى
على الله اخرجه الترمذي وقال في قوله صلى الله عليه وسلم دان نفسه يعني حاسبها في الدنيا
قبل ان يحاسب يوم القيامة وموضع الاستشهاد من الحديث على الاية قوله وتمنى
على الله لان اليهود كانوا يقدمون على الذنوب ويقولون سيغفر لنا وهذا هو
التمني بعينه وقوله تعالى وان ياتهم عرض مثله ياخذوه وهذا اخبار عن حرصهم على
الدنيا واصرارهم على الذنوب والمعنى انهم اذا اتاهم شيء من الدنيا اخذوه حلالا كان
او حراما ويتمنون على الله المغفرة وان وجدوا من الغد مثله اخذوه قال السدي
كانت بنو اسرائيل لا يستقضون قاضيا الا ارتشى في الحكم فيقال له ما لك ترتشي
فيقول سيغفر لي فيطعن عليه الاخرون فاذا مات او نزع من الحكم وجعل مكانه اخر
ممن كان يطعن عليه ارتشى ايضا يقول الله عز وجل وان يات الاخرين عرض الدنيا
ياخذوه الم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب يعني الم يؤخذ على هؤلاء المرتشين في احكامهم
العهود والمواثيق في الكتاب وهو التوراة ان لا يقولوا على الله الا الحق يعني انا اخذنا
عليهم الميثاق على ان يقولوا الحق فقالوا الباطل وخالفوا امر الله وهو قولهم سيغفر
لنا والمراد من هذا التوبيخ والتقريع لليهود في ادعائهم على الله الباطل قال ابن
عباس هو ما يوجبون على الله من غفران ذنوبهم التي لا يزالون يعودون فيها
ولا يتوبون منها ودرسوا ما فيه يعني ما في الكتاب والمعنى انهم ذاكرون لما اخذ
عليهم من العهود والمواثيق في الكتاب لانهم دارسون له لم يتركوه ولكن درسوه
وضيعوا العمل والدار الاخرة يعني وما في الدار الاخرة مما عند الله لاوليائه
واهل طاعته العاملين بما امرهم الله به في كتابه ولم يغيروا ولم يبدلوا ولم يرتشوا
في الاحكام خير للذين يتقون يعني يتقون الله ويخافون عقابه افلا تعقلون

يعني افلا يعقل هولاء الذين يرضون بعرض الدنيا ان ما في الاخرة خير وابقى لانها
دار المتقين والذين يمسكون بالكتاب يقال مسكت بالشي وتمسكت به
وتمسكت به واستمسكت به والمراد بالتمسك بالكتاب العمل بما فيه واحلال
حلاله وتحريم حرامه واقامة حدوده والتمسك باحكامه نزلت هذه الاية في الذين
اسلموا من اهل الكتاب مثل عبد الله بن سلام واصحابه لانهم تمسكوا بالكتاب الاول
فلم يحرفوه ولم يغيروه فاداهم ذلك التمسك الى الايمان بالكتاب الثاني وهو القران
واقاموا الصلاة يعني وداوموا على اقامتها في مواقيتها وانما افردها بالذكر وان كانت
الصلاة داخلة في التمسك بالكتاب تنبيها على عظم قدرها وانها من اعظم العبادات
بعد الايمان بالله وبرسوله انا لا نضيع اجر المصلحين قوله عز وجل واذ نتقنا الجبل فوقهم
كانه ظلة يعني واذكر يا محمد اذ قلعنا الجبل فرفعناه فوق بني اسرائيل كانه ظلة يعني
جعلناه فوقهم كالظلة والظلة كلما علا الانسان كالسقف ونحوه وظنوا يعني
وعلموا وايقنوا انه واقع بهم يعني بالجبل خذوا يعني وقلنا لهم خذوا واضمار القول كثير في القران
وكلام العرب ما اتيناكم يعني التورية بقوة يعني بجد واجتهاد واذكروا ما فيه يعني
واعملوا بما فيه من الاحكام لعلكم تتقون قال اصحاب الاخبار ان بني اسرائيل لما
ابوا ان يقبلوا احكام التورية لما فيها من التكاليف الشاقة امر الله جبريل فرفع جبلا
عظيما حتى صار على رؤسهم كالظلة فلما نظروا الى الجبل فوق رؤسهم خروا ساجدين
فسجد كل واحد على خده وحاجبه الايسر وجعل ينظر بعينه اليمنى الى الجبل خوفا ان
يسقط عليه ولذلك لا يسجد اليهود الا على شق وجوههم اليسرى قوله تعالى واذ اخذ ربك
من بني ادم من ظهورهم ذرياتهم واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى الاية
عن مسلم بن يسار الجهني ان عمر بن الخطاب سئل عن قوله تعالى واذ اخذ ربك من بني ادم
من ظهورهم ذرياتهم الاية قال سئل عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان الله
تبارك خلق ادم ثم مسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذريته فقال خلقت هولاء للجنة وبعمل
اهل الجنة يعملون ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذريته فقال خلقت هولاء للنار وبعمل
اهل النار يعملون فقال رجل يا رسول الله ففيم العمل فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان الله تعالى اذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل اهل الجنة حتى يموت على عمل
من اعمال الجنة فيدخله الجنة حتى يموت على عمل من اعمال اهل النار فيدخله النار
اخرجه مالك في الموطا وابو داود والترمذي وقال حديث حسن ومسلم بن يسار
لم يسمع من عمر وقد ذكر بعضهم في هذا الاسناد بين مسلم بن يسار وعمر رجلا قلت
ذكر الطبري في بعض طرق هذا الحديث الرجل فقال عن مسلم بن يسار عن نعيم بن ربيعة
عن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم لما خلق الله ادم مسح ظهره فسقط من ظهره
كل نسمة هو خالقها من ذريته الى يوم القيامة وجعل بين عيني كل انسان

وبيضا من

وبيضا من نور ثم عرضهم على ادم فقال اي رب من هولاء قال هولاء ذريتك فراى
رجلا منهم فاعجبه وبيض ما بين عينيه فقال يا رب من هذا قال داود فقال رب
كم جعلت عمره قال ستين سنة قال يا رب زده من عمري اربعين سنة قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم فلما انقضى عمر ادم الا اربعين جاءه ملك الموت فقال ادم اولم
يبق من عمري اربعون قال اولم تعطها ابنك داود فجحد ادم فجحدت ذريته
ونسي ادم فاكل من الشجرة فنسيت ذريته وخطئ فخطيت ذريته اخرجه الترمذي
وقال حديث حسن صحيح فاما تفسير الاية فقوله تعالى واذ اخذ ربك يعني واذكر يا محمد
اذ اخذ ربك من بني ادم من ظهورهم يعني من ظهور بني ادم وانما لم يذكر ظهر
ادم وان كان الله اخرج جميع الذرية من ظهره لان الله تعالى اخرج ذرية ادم
بعضهم من ظهر بعض على نحو ما يتوالد الابناء من الاباء فلذلك قال من بني ادم
من ظهورهم فاستغنى عن ذكر ظهر ادم استغنائهم لما علم انهم كلهم بنو ادم واخرجوا
من ظهره فترك ذكر ظهر ادم استغنائهم وللعلماء في تفسير هذه الاية مذهبان احدهما
وهو مذهب اهل التفسير والاثر وظاهر ما جاءت به الروايات عن السلف فيما
روي عن ابن عباس من طرق كثيرة وروايات مختلفة رواها عنه الطبري باسناده
فمنها عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اخذ الله الميثاق
من ظهر ادم بنعمان يعني عرفة فاخرج من صلبه كل ذرية ذراها فنثرهم بين يديه
كالذر ثم كلمهم قبلا وقال الست بربكم قالوا بلى شهدنا ان يقولوا يوم القيامة
انا كنا عن هذا غافلين وعن ابن عباس في هذه الاية قال مسح ربك ظهر ادم
فخرجت كل نسمة هو خالقها الى يوم القيامة بنعمان هذا الذي وراء عرفة واخذ
ميثاقهم الست بربكم قالوا بلى شهدنا وعن ابن عباس ايضا قال ان اول ما
اهبط الله ادم الى الارض بدهنا ارض الهند فمسح ظهره فاخرج منه كل نسمة
هو بارئها الى يوم القيامة ثم اخذ عليهم الميثاق واشهدهم على انفسهم الست بربكم
قالوا بلى شهدنا ان يقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين زاد في رواية
عنه فجف القلم بما هو كائن الى يوم القيامة وفي رواية عنه قال لما خلق الله ادم
اخذ ميثاقه انه ربه وكتب رزقه واجله ومصائبه واستخرج ذريته كالذر وكتب
اجالهم وارزاقهم ومصائبهم وفي رواية عنه قال ان الله عز وجل مسح صلب
ادم فاستخرج كل نسمة هو خالقها الى يوم القيامة فاخذ منهم الميثاق ان يعبدوه
ولا يشركوا به شيئا وتكفل لهم بالارزاق ثم اعادها في صلبه فلن تقوم الساعة
حتى يولد كل من اعطى الميثاق يومئذ فمن ادرك منهم الميثاق الاخر فوفى به
نفعه الميثاق الاول ومن ادرك الميثاق الاخر فلم يف به لم ينفعه الاول ومن
مات صغيرا قبل ان يدرك الاخر مات على الميثاق الاول على الفطرة وروى الطبري

بسنده عن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذ من ظهره
كما يؤخذ بالمشط من الراس فقال لهم الست بربكم قالوا بلى قالت الملائكة شهدنا
ان تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين وقال ابن عباس اخرج ذرية آدم من ظهره
فكلمهم الله وانطقهم فقال الست بربكم قالوا بلى ثم اعادهم في صلبه فليس احد من الخلق
الا وقد تكلم فقال ربي الله وان القيامة لن تقوم حتى يولد من كان يومئذ اشهد على
نفسه وقال السدي اخرج الله آدم من الجنة ولم يهبطه من السماء ثم انه مسح صفحة ظهره
اليمنى فاخرج منه كهيئة الذر بيضا فقال ادخلوا الجنة برحمتي ثم مسح صفحة ظهره اليسرى
فاخرج منه كهيئة الذر سودا فقال ادخلوا النار ولا ابالي فذلك حين يقولون
اصحاب اليمين واصحاب الشمال ثم اخذ منهم الميثاق فقال الست بربكم قالوا بلى فاعطاه
طائفة طائعين وطائفة كارهين على وجه التقية زاد في رواية وذلك حين يقول
وله اسلم من في السموات والارض طوعا وكرها وقال محمد بن كعب القرظي اقروا له بالايمان
والمعرفة الارواح قبل خلق اجسادها وقال مقاتل مسح صفحة ظهر آدم اليمنى فاخرج منها
ذرية بيضا كهيئة الذر يتحركون ثم مسح صفحة ظهره اليسرى فاخرج منها ذرية سودا كهيئة
الذر يتحركون فقال هؤلاء ذريتك ثم قال لهم الست بربكم قالوا بلى فقال للبيض
هؤلاء في الجنة برحمتي وهم اصحاب اليمين وقال للسود هؤلاء في النار ولا ابالي
وهم اصحاب الشمال ثم اعادهم جميعا في صلب آدم فاهل القبور محبوسون حتى يخرج
اهل الميثاق جميعا وروي ان الله تعالى قال لهم جميعا اعلموا انه لا اله غيري وانا
ربكم لا رب لكم غيري فلا تشركوا بي شيئا فاني سانتقم ممن اشرك بي ولم يؤمن
بي واني مرسل اليكم رسلا يذكرونكم عهدي وميثاقي ومنزل عليكم كتبا فتكلموا جميعا
وقالوا شهدنا انك ربنا لا رب لنا غيرك واخذ بذلك مواثيقهم ثم كتب آجالهم
وارزاقهم ومصائبهم فنظر اليهم آدم عليه السلام فرأى منهم الغني والفقير وحسن
الصورة ودون ذلك فقال رب هلا سويت بينهم فقال اني احب ان اشكر
فلما قررهم بتوحيده واشهد بعضهم على بعض اعادهم الى صلبه فلن تقوم الساعة
حتى يولد كل من اخذ منه الميثاق قال الزجاج وجائز ان يكون الله تعالى جعل
لامثال الذر عقلا وفهما تعقل به كما قال في النملة قالت نملة يا ايها النمل ادخلوا
مساكنكم وكما قال وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير وقال ابن الانباري
مذهب اصحاب الحديث وكبراء اهل العلم في هذه الآية ان الله تعالى اخرج ذرية
آدم من صلبه واصلاب اولاده وهم صور الذر واخذ عليهم الميثاق انه خالقهم
وانهم مصنوعة فاعترفوا بذلك وقبلوه وذلك بعد ان ركب فيهم عقولا عرفوا
بها ما عرض عليهم كما جعل للجبال عقولا حتى خوطبوا بقوله يا جبال اوبي معه وكما
جعل للبعير عقلا حتى سجد للنبي صلى الله عليه وسلم وكذلك الشجرة حتى سمعت لامره

وانقادت

وانقادت ومعنى قوله الست بربكم على هذا التفسير قال الله للذرية الست بربكم فهو
ايجاب للربوبية عليهم قالوا بلى يعني قالت الذرية بل انت ربنا فهو جواب منهم
له واقرار منهم له بالربوبية واعتراف على انفسهم بالعبودية وفي قوله شهدنا قولان
احدهما انهم لما اقروا له بالربوبية قال الله عز وجل للملائكة اشهدوا قالوا شهدنا على
اقرارهم فعلى هذا القول يحسن الوقف على قوله تعالى بلى لان كلام الذرية تم وانقطع وقوله
شهدنا كلام مستانف والقول الثاني ان قوله شهدنا من كلام الذرية والمعنى شهدنا
على انفسنا بهذا الاقرار وعلى هذا لا يحسن الوقف على بلى لتعلقه بما بعده وقوله تعالى ان تقولوا
يوم القيامة قرئ بالتاء على خطاب الذرية معناه لئلا تقولوا ايها الذرية انا كنا عن هذا
يعني الميثاق غافلين وقرئ ان يقولوا بالياء على الغيبة ومعناه لئلا يقولوا اي الذرية انا
كنا عن هذا غافلين والمذهب الثاني في معنى هذه الآية وهو مذهب اهل الكلام والنظر
انه تعالى اخرج الذرية وانشاهم من بعد ان كانوا نطفا في اصلاب الآباء وهم اولاد بني آدم
فاخرج الذرية الى الدنيا على ترتيبهم الى الوجود واشهدهم على انفسهم بما ركب فيهم من
العقول واراهم من عجائب خلقه وغرائب صنعه ودلائل وحدانيته فبهذا الاشهاد صاروا
كأنهم قالوا بلى واشهدهم على انفسهم انه ربهم وذلك بما اظهر لهم من دلائل آياته وبراهينه
التي تضطرهم الى ان يعلموا انه خالقهم وباريهم وربهم ونافذ الحكم فيهم فلما عرفوا ذلك دعاهم
ذلك الى التصديق بوحدانيته وربوبيته فقالوا بلى شهدنا على انفسنا انك انت ربنا وخالقنا
فعلى هذا القول يكون قولهم بلى شهدنا على انفسنا على المجاز لا على الحقيقة وهذا النوع من المجاز
والاستعارة مشهور في كلام العرب فكل من بلغ وعقل فقد اخذ عليه الميثاق بما جعل
فيه من السبب الذي به يؤخذ الميثاق وهو العقل والتكليف فيكون معنى الآية واذ ياخذ
ربك من بني آدم ويشهدهم على انفسهم بما ركب فيهم من العقل الذي يكون به الفهم والتكليف
ويترتب على صاحبه الثواب والعقاب يوم القيامة فان قلت فما المختار من المذهبين في تفسير هذه
الآية قلت المذهب الاول هو المختار لانه مذهب جمهور المفسرين من السلف وورد الحديث
بذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم فان قلت اذا كان المختار في تفسير هذه الآية وهو مذهب
السلف في ذلك وان الله تعالى اخرج الذرية من ظهر آدم لاخذ الميثاق عليهم كما ورد في الحديث
ايضا فكيف يحمل تفسير الفاظ هذه الآية على هذا القول قلت صح الحديث بان الله مسح ظهر آدم
فاخرج ذريته واخذ عليهم الميثاق ولا منافاة بين الآية والحديث كما تقدم في تفسير الفاظ
الآية من ان الله اخرج ذرية آدم من ظهره على سبيل التوالد بعضهم من بعض كما في خارج كلام
باجمعهم من ظهر آدم الذي هو اصلهم فبهذا الطريق امكن الجمع بين الآية والحديث اذ ليس
في معنى الفاظ الآية ما يدل على بطلان ذلك ونفيه وقد ورد في الحديث ثبوت ذلك
وصحته فوجب المصير اليه والاخذ به جمعا بين الآية والحديث وحكى الواحدي عن صاحب النظم
انه قال ليس بين قوله صلى الله عليه وسلم ان الله مسح ظهر آدم فاخرج منه ذريته وبين الآية

اختلاف بحمد الله لانه تعالى اذا اخرجهم من ظهر ادم فقد اخرجهم من ظهور ذريته
لان ذرية ادم ذرية بعضهم من بعض قال وحصل الفايدة بهذا الفصل
انه تعالى اثبت الحجة على كل منفوس ممن بلغ وممن لم يبلغ بالميثاق الذي اخذه عليهم
وزاد على من بلغ منهم الحجة بالايات والدلايل التي نصبها والرسل المنفذة اليهم مبشرين
ومنذرين وبالمواعظ وقال غيره فايدة اخذ الميثاق عليهم في القدم ان من مات
صغيرا ادخل الجنة باقراره بالميثاق الاول وهذا على قول من يقول بان اطفال المشركين
يدخلون الجنة اذا ماتوا صغارا فاما من لا يحكم لهم بالجنة فانه يقول من كان من اهل
الشقاوة من الذرية السوداء انما اقروا بالمعرفة كرها فلم يغن عنهم ذلك شيئا ومن بلغ
وعقل لم يغن عنه اقراره بالميثاق الاول شيئا حتى يومن ويصدق عند بلوغه وعقله
بان الله ربه وخالقه ويصدق رسوله فيما جاء به من عنده وانما فعل ذلك لئلا يقول
الكفار انا كنا عن هذا الميثاق والايمان بالله ربنا غافلين او لئلا يقول اخلافهم
انما اشرك اباونا ونحن نسير على اثارهم ظنا منهم ان الحق ما كانوا عليه فان قلت
ذلك الميثاق لا يذكره احد اليوم فكيف يكون حجة عليهم اليوم او فكيف يذكرونه يوم
القيامة حتى يحتج عليهم به قلت لما اخرج الذرية من صلب ادم ركب فيهم العقول
واخذ عليهم الميثاق فلما اعيدوا الى صلب ادم بطل ما ركب فيهم فتوالدوا ناسين لذلك
الميثاق لانقضاء الحكمة الالهية نسيانهم له ثم ابتداهم بالخطاب على السنة الرسل واصحاب
الشرايع فقام ذلك مقام الاذكار الوارد لتكليف وامتحان فلو لم ينسوه لانتفت
المحنة والبلوى والتكليف فقامت الحجة عليهم وبذلك قامت الحجة عليهم ايضا يوم القيامة
لاخبار الرسل اياهم بذلك الميثاق في الدنيا فمن انكره كان معاندا ناقضا للعهد ولزمتهم
الحجة ولا تسقط الحجة عنهم بنسيانهم وعدم حفظهم بعد اخبار الصادق صاحب الشرع
والمعجزات الباهرات وقوله تعالى او يقولوا يعني الذرية انما اشرك اباونا من قبل يعني انما اخذ
الميثاق عليهم لئلا يقول المشركون انما اشرك اباونا من قبل وكنا ذرية من بعدهم
يعني وكنا ابناءهم فاقتدينا بهم في الشرك افتهلكنا الخ افتعذبنا بما فعل المبطلون
قال المفسرون هذا قطع لعذر الكفار فلا يستطيع احد من الذرية ان يقول يوم القيامة
انما اشرك اباونا من قبلنا ونقضوا العهد والميثاق وكنا نحن الذرية من بعدهم فقلدناهم
واقتدينا بهم وكنا في غفلة من هذا الميثاق فلا ذنب لنا فلا يمكنهم ان يحتجوا بمثل هذا
وقد اخذ عليهم جميعا الميثاق وجاءتهم الرسل فذكروهم به وثبتت الحجة عليهم بذلك
يوم القيامة واما الذين حملوا معنى الاية على ان المراد منه مجرد نصب الدلايل
وهو مذهب اهل النظر قالوا معناه ان الله نصب هذه الدلايل واظهرها للعقول لئلا
يقولوا انما اشركنا على سبيل التقليد لابائنا لان نصب ادلة التوحيد قايم معهم
فلا عذر لهم في الاعراض عنه والاقبال على تقليد الاباء في الشرك وقوله تعالى وكذلك

نفصل الايات يعني لتتدبرها العباد فيرجعوا الى الحق والايمان ويعرضوا عن الباطل والكفر
وهو المراد من قوله ولعلهم يرجعون يعني من الشرك الى التوحيد وقيل معناه ولعلهم
يرجعون الى الميثاق الاول فيذكرونه ويعملوا بموجبه ومقتضاه قوله عز وجل واتل
عليهم يعني واقرا على قومك يا محمد نبا يعني خبر الذي اتيناه اياتنا اختلفوا فيه
فقال ابن عباس هو بلعام بن باعورا وقال مجاهد بلعام بن باعر وقال عبد الله بن
مسعود هو بلعم بن ابر قال عطية قال ابن عباس انه كان من بني اسرايل وفي رواية اخرى
عنه انه كان من الكنعانيين من بلد الجبارين وقال مقاتل هو من مدينة البلقاء وكانت
قصته على ما ذكره ابن عباس ومحمد بن اسحاق والسدي وغيرهم من اصحاب الاخبار
والسير قالوا ان موسى عليه السلام لما قصد حرب الجبارين نزل ارض كنعان من ارض
الشام اتى قوم بلعام وكان عنده اسم الله الاعظم فقالوا ان موسى رجل حديد وان معه
جنودا كثيرة وانه قد جاء يخرجنا من بلادنا ويقتلنا ويحلها بني اسرايل وانت رجل
مجاب الدعوة فاخرج وادع الله ان يردهم عنا فقال ويلكم نبي الله ومعه الملايكة
والمومنون فكيف ادعو عليهم وانا اعلم من الله ما اعلم واني ان فعلت هذا ذهبت
دنياي واخرتي فراجعوه والحوا عليه فقال حتى اوامر ربي وكان لا يدعو حتى يوامر
ربه في المنام فامر في المنام فقيل له لا تدعو عليهم فقال لقومه اني قد وامرت ربي
فنهاني ان ادعو عليهم فاهدوا اليه هدية فقبلها وراجعوه فقال حتى اوامر ربي
فوامر فلم يجى اليه فيه شي فقالوا له لو كره ربك ان تدعو عليهم لنهاك كما نهاك
اول مرة فلم يزالوا يتضرعون اليه حتى فتنوه فافتتن فركب اتانا له متوجها الى جبل
يطلعه على عسكر بني اسرايل يقال لذلك الجبل جبل حسبان فلما سار على اتانه
غير بعيد ربضت فنزل عنها وضربها فقامت فركبها فلم تسر به كثيرا حتى ربضت
فضربها حتى اذلقها فاذن الله عز وجل لها في الكلام وانطقها له فكلمته حجة عليه فقالت
ويحك يا بلعام اين تذهب الا ترى الملايكة امامي يردوني عن وجهي
هذا ويحك اتذهب الى نبي الله والمومنين فتدعو عليهم فلم ينزع فخلى الله سبيل
الاتان فانطلقت به حتى اذا اشرفت به على جبل حسبان ومعه قومه فجعل يدعوا
عليهم فلم يدع عليهم بشي الا صرف الله به لسانه الى قومه ولا يدعوا الى قومه
بخير الا صرف الله به لسانه الى بني اسرايل فقال له قومه يا بلعام اتدري ما تصنع
انما تدعوا لهم وتدعوا علينا فقال هذا ما لا املكه هذا شي قد غلب الله عليه
واندلع لسانه فوقع على صدره فقال لقومه قد ذهبت مني الدنيا والاخرة
ولم يبق لي الا المكر والحيلة فسامكر لكم واحتال ثم قال جملوا النسا وزينوهن
السلع ثم ارسلوهن الى عسكر بني اسرايل ليبعنها عليهم ومروهن ان لا تمنع
امراة نفسها من رجل ارادها فانه ان زنى رجل منهم بواحدة منكم كفيتموه ففعلوا

ذلك فلما دخل الليث العسكر مرت امراة من الكنعانيين اسمها كستى بنت صور على رجل من عظماء بني اسرائيل يقال له زمري بن شلوم وكان راس سبط شمعون بن يعقوب فقام الى المراة واخذ بيدها حين اعجبته جمالها ثم اقبل بها حتى وقف على موسى عليه السلام وقال اني لاظنك تقول هذه حرام عليك فقال اجل هي حرام عليك لا تقربها قال والله لا اطيعك في هذا ثم دخل بها الى قبته فوقع عليها فارسل الله عز وجل الطاعون على بني اسرائيل في ذلك الوقت وكان فنحاص بن العيزار بن هارون وهو صاحب امر موسى وكان رجلا قد اعطي بسطة في الخلق وقوة البطش وكان غايبا حين صنع زمري بن شلوم ما صنع فجاء والطاعون يحوش بني اسرائيل فاخبر الخبر فاخذ حربته وكانت من حديد كلها ثم دخل عليهما القبة وهما متضاجعان فطعنهما بحربته فانتظمهما ثم خرج بهما وهو رافعهما الى السماء وقد اخذ الحربة بذراعه واعتمد بمرفقه على خاصرته واسند الحربة الى لحيته وكان بكر العيزار وجعل يقول اللهم هكذا نفعل بمن عصاك ورفع الطاعون عن بني اسرائيل فحسب من مات منهم في ذلك الطاعون فيما بين ان اصاب ذلك الرجل المراة الى ان قتله فنحاص فوجدوا قد هلك سبعون الفا في ساعة واحدة من النهار فمن هنالك يعطي بنو اسرائيل لولد فنحاص من كل ذبيحة ذبحوها القبة والذراع واللحي لاعتماده بالحربة على خاصرته واخذه اياها بذراعه واسناده اياها الى لحيته ويعطونهم البكر من كل اموالهم لانه كان بكر العيزار وفي بلعام انزل الله عز وجل واتل عليهم نبا الذي اتيناه اياتنا الاية وقال مقاتل ان ملك البلقا قال لبلعام ادع الله على موسى فقال بلعام انه من اهل ديني ولا ادعوا عليه فنصب له خشبة ليصلبه عليها فلما راى ذلك خرج على اتان له ليدعوا على موسى فلما عاين عسكرهم قامت به الاتان ووقفت فضربها فقالت لم تضربني فاني مامورة وهذه نار امامي قد منعتني ان امشي فرجع الى الملك فاخبره بذلك فقال لتدعوا عليه او لاصلبنك فدعا على موسى بالاسم الاعظم ان لا يدخل المدينة فاستجيب له ووقع موسى ومن معه من بني اسرائيل في التيه بدعا بلعام عليه فقال موسى يا رب باي ذنب وقعت في التيه قال بدعا بلعام قال فكما سمعت دعاه علي فاسمع دعاي عليه فدعا موسى عليه ان ينزع عنه الاسم الاعظم والايمان فنزع الله منه المعرفة وسلخه منها فخرجت من صدره كحمامة بيضا فذلك قوله تعالى اتيناه اياتنا فانسلخ منها قلت هذه القصة ذكرها جماعة من المفسرين وفيها ان موسى دعا على بلعام بان ينزع عنه الاسم الاعظم والايمان فان قلت كيف يجوز لموسى عليه السلام مع علو منصبه في النبوة ان يدعوا على انسان بالكفر بعد الايمان او يرضى له بذلك قلت الجواب من وجوه احدها منع صحة هذه القصة لانها من الاسرائيليات ولا يلتفت الى ما سطره اهل الاخبار اذا خالف الاصول الوجه الثاني ان سبب وقوع بني اسرائيل في التيه

هو عبادتهم

هو عبادتهم العجل وقولهم لموسى عليه السلام اجعل لنا الها فكان ذلك هو سبب وقوعهم في التيه لا دعا بلعام عليهم الوجه الثالث على تقدير صحة هذه القصة فان موسى عليه السلام دعا على بلعام ان موسى عليه السلام لم يدع عليه الا بعد ان ثبت عنده ان بلعام كفر وارتد عن الايمان بدعايه على موسى وايثاره الحيوة الدنيا فدعا عليه مقابلة لدعايه عليه والله اعلم بحقيقة ذلك كله فالمقصود من ذلك تنزيه منصب النبوة عما ينقله اصحاب الاخبار في كتبهم من غير نظر فيه ولا بحث عن معناه وقال عبد الله بن عمرو بن العاص وسعيد بن المسيب وزيد بن اسلم نزلت هذه الاية في امية بن ابي الصلت الثقفي وكانت قصته انه كان قد قرا الكتب القديمة وعلم ان الله تعالى مرسل رسولا فرجا ان يكون هو ذلك الرسول فلما ارسل محمد صلى الله عليه وسلم وشرفه الله بالنبوة حسده وكفر به وكان امية صاحب شعر وحكمة وموعظة حسنة فقصد بعض الملوك فلما رجع مر على قتلى بدر فسال عنهم فقيل له قتلهم محمد فقال لو كان نبيا لما قتل اقرباه فلما مات امية اتت اخته فارعة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسالها رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وفاة اخيها فقالت بينا هو راقد اتاه اثنان فكشفا سقف البيت ونزلا فقعد احدهما عند راسه والاخر عند رجليه فقال الذي عند رجليه للذي عند راسه اوعى قال وعى قال ازكى قال ابى قالت فسالته عن ذلك فقال خير اريد بي فصرف عني ثم غشي عليه فلما افاق من غشيته قال ٭ كل عيش وان تطاول دهرا ٭ صاير مرة الى ان يزولا ٭ ليتني كنت قبل ما قد بدا لي ٭ في قلال الجبال ارعى الوعولا ٭ ان يوم الحساب يوم عظيم ٭ شاب فيه الصغير يوما ثقيلا ٭ ثم قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم انشديني من شعر اخيك فانشدته بعض قصايده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم امن شعره وكفر قلبه فانزل الله عز وجل واتل عليهم نبا الذي اتيناه اياتنا فانسلخ منها الاية وفي رواية عن ابن عباس انها نزلت في البسوس وهو رجل من بني اسرائيل وكان قد اعطي ثلاث دعوات مستجابات وكانت له امراة له منها اولاد فقالت له اجعل لي منها دعوة فقال لك منها واحدة فما تريدين قالت ادع الله ان يجعلني اجمل امراة في بني اسرائيل فدعا لها فصارت اجمل النسا فلما علمت انه ليس في نسا بني اسرائيل مثلها رغبت عنه فغضب ودعا عليها فصارت كلبة نباحة فذهبت فيها دعوتان فجا بنوها الى ابيهم وقالوا ليس لنا على هذا الامر قرار قد صارت امنا كلبة نباحة والناس يعيروننا بذلك فادع الله ان يردها الى حالها الاول فدعا الله فعادت كما كانت فذهبت فيها الدعوات جميعا والقولان الاولان اشهر وقال الحسن وابن كيسان نزلت في منافقي اهل الكتاب الذين كانوا يعرفون النبي صلى الله عليه وسلم بنعته وصفته كما يعرفون ابناءهم ثم انكروه وقال قتادة

بهذا المثل ضربه لمن عرض عليه الهدى فلم يقبله وقوله تعالى آتيناه آياتنا قال ابن عباس كان يعلم اسم الله الأكبر وقال ابن زيد كان لا يسأل الله شيئا إلا أعطاه وقال السدي كان يعلم اسم الله الأعظم وفي رواية أخرى عن ابن عباس أنه أوتي كتابا وقيل إن الله آتاه حجة وأدلة وهي الآيات التي أوتيها فانسلخ منها يعني فخرج من الآيات التي كان الله آتاه إياها كما تنسلخ الحية من جلدها وقال ابن عباس نزع منه العلم فأتبعه الشيطان يعني لحقه وأدركه وصيره الشيطان لنفسه تابعا في معصية الله ويخالف أمر ربه ويطيع الشيطان وهواه فكان من الغاوين يعني من الهالكين الضالين بما خالف ربه وأطاع هواه وشيطانه قوله تعالى ولو شئنا لرفعناه بها يعني رفعنا درجته ومنزلته بتلك الآيات التي أوتيها وقال ابن عباس لرفعناه بعلمه بها وقال مجاهد وعطا معناه ولو شئنا لرفعنا عنه الكفر وعصمناه بالآيات ولكنه أخلد إلى الأرض يعني ولكنه سكن إلى الدنيا ومال إليها ورضي بها وأصله من الخلود وهو الدوام والمقام والأرض هنا عبارة عن الدنيا لأن الأرض عبارة عن المفاوز والقفار وفيها المدن والضياع والمعادن والنبات ومنها يستخرج ما يعاش به في الدنيا فالدنيا كلها هي الأرض واتبع هواه يعني أنه أعرض عن التمسك بما آتاه الله من الآيات واتبع الهوى فخسر دنياه وآخرته ووقع في هاوية الردى والهلاك وهذه الآية من أشد الآيات على العلماء الذين يريدون بعلمهم الدنيا وشهوات النفس ويتبعون الهوى وذلك لأن الله عز وجل خص هذا الرجل بآياته وحكمته وعلمه الاسم الأعظم وجعل دعاءه مستجابا ثم إنه لما اتبع هواه وركن إلى الدنيا ورضي بها عوضا عن الآخرة فنزع عنه ما كان أعطيه وانسلخ من الدين فخسر الدنيا والآخرة ومن الذي يسلم من الميل إلى الدنيا واتباع الهوى إلا من عصمه الله بالورع وبنيته بالعلم وبصره بعيوب نفسه عن كعب بن مالك الأنصاري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه أخرجه الترمذي ثم ضرب الله عز وجل مثلا لهذا الرجل الذي آتاه آياته فانسلخ منها واتبع هواه فقال تعالى فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث يقال لهث الكلب يلهث إذا أدلع لسانه من العطش وشدة الحر وعند الإعيا والتعب وهذا مثل ضربه الله عز وجل لمن آتاه آياته وحكمته فتركها وعدل عنها واتبع هواه وآثر دنياه وترك آخرته بأخس الحيوانات وهو الكلب في أخس أحواله وهي اللهث لأن الكلب في حال لهثه لا يقدر على نفع نفسه ولا ضرها في الآخرة لأن التمثيل به على أنه يلهث على كل حال إن حملت عليه أو تركته كان لاهثا وذلك عادة منه وطبيعة وهو مواظبته على اللهث دائما فكذلك من آتاه الله العلم والدين وأغناه عن التعرض لحطام الدنيا الخسيسة ثم إنه مال إليها وطلبها كانت حالته كحال الكلب اللاهث وقيل إن العالم إذا توصل به إلى طلب الدنيا فإنه يظهر علومه عند غير أهلها ويدلع لسانه في تقرير

تلك العلوم وبيانها وذلك لأجل ما يحصل عنده من حرارة الحرص الشديد وشدة العطش إلى الفوز بمطلوبه من الدنيا فكانت حالته شبيهة بحالة الكلب الذي أدلع لسانه من اللهث في غير حاجة ولا ضرورة ومعنى إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث أي إن شددت عليه وأهجته لهث أو تركته على حاله لهث لأن اللهث طبيعة أصلية فيه فكذلك حال الحريص على الدنيا إن وعظته فهو حريص لا يقبل الوعظ ولا ينجع فيه وإن تركته ولم تعظه فهو حريص أيضا لأن الحرص على طلب الدنيا صار طبيعة له لازمة كما أن اللهث طبيعة لازمة للكلب ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا يعني أن المثل الذي ضربناه للذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فعم بهذا المثل جميع من كذب بآيات الله وجحدها فوجه التمثيل بينهم وبين الكلب اللاهث أنهم إن جاءتهم الرسل لتهديهم فلم يهتدوا وإن تركوا فلم يهتدوا أيضا بل هم ضلال في كل حال ثم قال تعالى فاقصص القصص وهذا خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعني فاقصص القصص يا محمد على قومك أخبار من كفر بآيات الله لعلهم يتفكرون يعني فيتعظون وقيل هذا المثل لكفار مكة وذلك أنهم كانوا يتمنون هاديا يهديهم ويدعوهم إلى طاعة الله فلما جاءهم محمد صلى الله عليه وسلم يدعوهم إلى الله وطاعته وهم يعرفونه صدقه فكذبوه ولم يقبلوا منه ثم قال تعالى ساء مثلا القوم الذين كذبوا بآياتنا يعني بئس مثلا مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا وأنفسهم كانوا يظلمون يعني بتكذيبهم بآياتنا قوله عز وجل من يهدي الله فهو المهتد يعني من يرشده الله إلى دينه فهو المهتد وقيل معناه من يتولى الله إلى دينه فهو المهتد ومن يضلل يعني ومن يتول الضلالة فأولئك هم الخاسرون يعني في الآخرة وفي الآية دليل على أن الله تعالى هو الهادي المضل ولقد ذرأنا يعني خلقنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس أخبر الله أنه خلق كثيرا من الجن والإنس للنار وهم الذين حقت عليهم الكلمة الأزلية بالشقاوة ومن خلقه الله للنار فلا حيلة له في الخلاص منها ومما يستدل البغوي على صحة هذا التأويل بما رواه عن عائشة قالت دعي رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جنازة صبي من الأنصار فقلت يا رسول الله طوبى لهذا عصفور من عصافير الجنة لم يعمل السوء ولم يدركه فقال أو غير ذلك يا عائشة إن الله خلق للجنة أهلا خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم وخلق للنار أهلا خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم أخرجه مسلم قال الشيخ محيي الدين النووي في شرح مسلم أجمع من يعتد به من علماء المسلمين أن من مات من أطفال المسلمين فهو من أهل الجنة لأنه ليس مكلفا وتوقف فيه بعض من لا يعتد به لحديث عائشة هذا وأجاب العلماء عنه بأنه لعله صلى الله عليه وسلم نهاها عن المسارعة إلى القطع من غير أن يكون عندها دليل قاطع كما أنكر على سعد بن أبي وقاص في قوله أعطه إني لأراه مؤمنا فقال أو مسلما الحديث ويحتمل أنه صلى الله عليه وسلم قال هذا قبل

ان يعلم ان اطفال المسلمين في الجنة فلما علم قال ذلك واما اطفال المشركين ففيه ثلاثة مذاهب
قال الاكثرون هم في النار تبعا لابائهم وتوقف طائفة فيهم والثالث وهو الصحيح الذي ذهب
اليه المحققون انهم من اهل الجنة ويستدل له باشياء منها حديث ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام
حين راه النبي صلى الله عليه وسلم في الجنة وحوله اولاد الناس قالوا يا رسول الله اولاد المشركين
قال واولاد المشركين رواه البخاري في صحيحه ومنها قوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا
ولا يتوجه على المولود التكليف ولا يلزمه قبول قول الرسول حتى يبلغ وهذا متفق عليه والله اعلم
وفي الاية دليل وحجة واضحة لمذهب اهل السنة في ان الله خالق اعمال العباد جميعها خيرها
وشرها لان الله بين بصريح اللفظ انه خلق كثيرا من الجن والانس للنار ولا مزيد على بيان
الله عز وجل لان العاقل لا يختار لنفسه دخول النار فلما عمل بما يوجب عليه دخول النار
به علم ان له من يضطره الى ذلك العمل الموجب لدخول النار وهو الله عز وجل وقيل اللام في
لجهنم للعاقبة اي عاقبتهم جهنم ثم وصفهم فقال تعالى لهم قلوب لا يفقهون بها يعني لا يفهمون
بها ولا يعقلون بها واصل الفقه في اللغة الفهم والعلم بالشيء ثم صار علما على اسم العلم في
الدين لشرفه على غيره من العلوم يقال فقه الرجل يفقه فهو فقيه اذا فهم ومعنى الاية لهم
قلوب لا يتفكرون بها في ايات الله ولا يتدبرونها ولا يعلمون بها الخير والهدى لاعراضهم
عن الحق وتركهم قبوله ولهم اعين لا يبصرون بها يعني لا يبصرون بها طريق الحق والهدى
ولا ينظرون بها في ايات الله وادلة توحيده ولهم اذان لا يسمعون بها يعني لا يسمعون
ايات القران ومواعظه فيعتبرون بها قال اهل المعاني ان الكفار لهم قلوب يفقهون
بها مصالحهم المتعلقة بالدنيا ولهم اعين يبصرون بها المرئيات واذان يسمعون بها الكلمات
وهذا لا شك فيه ولما وصفهم الله عز وجل بانهم لا يفقهون ولا يبصرون ولا يسمعون مع
وجود هذه الحواس الداركة علم بذلك ان المراد بذلك ما يرجع الى مصالح الدين وما فيه نفعهم
في الاخرة وحاصل هذا الكلام انهم مع وجود هذه الحواس لا ينتفعون بها فيما ينفعهم
في امور الدين والعرب تقول مثل ذلك لمن ترك استعمال بعض جوارحه فيما لا يصلح
له ومنه قول الشاعر • وعوراء الكلام صممت عنها • واني ان اشاء بها سميع • فاثبت
له صمما مع وجود السمع قال مجاهد لهم قلوب لا يفقهون بها شيئا من امر الاخرة ولهم
اعين لا يبصرون بها الهدى ولهم اذان لا يسمعون بها الحق ثم ضرب لهم مثلا
فقال تعالى اولئك كالانعام يعني ان الذين ذراهم لجهنم وهم الذين حقت عليهم الكلمة
الازلية انهم كالانعام وهي البهائم التي لا تفهم ولا تعقل وذلك لان الانسان وسائر
الحيوانات مشاركة في هذه الحواس الثلاث التي هي القلب والبصر والسمع وانما فضل
الانسان على سائر الحيوان بالعقل والادراك والفهم المؤدي الى معرفة الحق من الباطل
والخير والشر فاذا كان الكافر لا يعرف ذلك ولا يدركه فلا فرق بينه وبين الانعام
التي لا تدرك شيئا ثم قال تعالى بل هم اضل يعني بل ان الكفار اضل من الانعام لان

الانعام تعرف ما يضرها وما ينفعها والكافر لا يعرف ذلك فصار اضل من الانعام
ولان الانعام لم تعط القوة العقلية والانسان قد اعطيها فاذا لم يستعمل العقل فيما
ينفعه صار اخس حالا من الحيوان وقيل ان الانعام مطيعة لله عز وجل والكافر غير
مطيع لله عز وجل فصارت الانعام افضل منه ثم قال الله تعالى اولئك هم الغافلون يعني
عن ضرب هذه الامثال لهم قوله تعالى ولله الاسماء الحسنى قال مقاتل ان رجلا دعا الله
في صلاته ودعا الرحمن فقال بعض مشركي مكة قال ابن الجوزي هو ابو جهل ان محمدا واصحابه
يزعمون انهم يعبدون ربا واحدا فما بال هذا يدعوا اثنين فانزل الله هذه الاية ولله الاسماء
الحسنى والحسنى تانيث الاحسن ومعنى الاية ان اسماء الله المقدسة كلها حسنى وليس المراد
ان فيها ما ليس بحسن والمعنى ان الاسماء الحسنى ليست الا لله لان لفظ هذا اللفظ
يفيد الحصر وقيل ان الاسماء الفاظ دالة على معان فهي انما تحسن بمعانيها ولا معنى للحسن
في حق الله تبارك وتعالى الا ذكره بصفات الكمال ونعوت الجلال وهي محصورة في نوعين
احدهما عدم افتقاره الى غيره والثاني افتقار غيره اليه وانه هو المسمى بالاسماء الحسنى ق
عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله تسعة وتسعين اسما من
حفظها دخل الجنة والله وتر يحب الوتر وفي رواية من احصاها دخل الجنة وهو وتر يحب
الوتر وفي رواية اخرى تسعة وتسعون اسما مائة الا واحدا لا يحفظها احد الا دخل
الجنة وهو وتر يحب الوتر قال البخاري احصاها احفظها وفي رواية الترمذي قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله تسعة وتسعين اسما من احصاها دخل الجنة
هو الله الذي لا اله الا هو الرحمن الرحيم الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن
العزيز الجبار المتكبر الخالق البارئ المصور الغفار القهار الوهاب الرزاق الفتاح
العليم القابض الباسط الخافض الرافع المعز المذل السميع البصير الحكم العدل
اللطيف الخبير الحليم العظيم الغفور الشكور العلي الكبير الحفيظ المقيت الحسيب
الجليل الكريم الرقيب المجيب الواسع الحكيم الودود المجيد الباعث الشهيد
الحق الوكيل القوي المتين الولي الحميد المحصي المبدئ المعيد المحيي المميت الحي
القيوم الواجد الماجد الواحد الصمد القادر المقتدر المقدم المؤخر الاول
الاخر الظاهر الباطن الوالي المتعالي البر التواب المنتقم العفو الرؤف
مالك الملك ذو الجلال والاكرام المقسط الجامع الغني المغني المانع الضار
النافع النور الهادي البديع الباقي الوارث الرشيد الصبور قال الترمذي
حدثنا به غير واحد عن صفوان بن صالح ولا نعرفه الا من حديث صفوان بن
صالح وهو ثقة عند اهل الحديث قال وقد روي هذا الحديث من غير وجه عن
ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا نعلم في كثير من الروايات ذكر الاسماء التي
في هذا الحديث قال ابن الاثير وفي رواية ذكرها رزين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم

تعالى قوله ولله الاسما الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في اسمايه سيجزون ما كانوا
يعملون فقال ان الله تبارك وتعالى تسعة وتسعين اسما الحديث قال الشيخ
محي الدين النواوي رحمه الله عليه اتفق العلما على ان هذا الحديث ليس فيه حصر
لاسمايه سبحانه وتعالى وليس معناه انه ليس له اسما غير هذه التسعة والتسعين اسما
من احصاها دخل الجنة فالمراد الاخبار عن دخول الجنة باحصايها لا الاخبار بحصر الاسما
ولهذا جا في الحديث الاخر اسلك بكل اسم سميت به نفسك او استاثرت به في علم
الغيب عندك وقد ذكر الحافظ ابو بكر بن العربي المالكي عن بعضهم ان لله الف
اسم قال بن العربي وهذا قليل وقوله صلى الله عليه وسلم من احصاها دخل الجنة تقدم
فيه قول البخاري ان معناها حفظها وهو قول اكثر المحققين ويعضده الرواية الاخرى
من حفظها دخل الجنة وقيل المراد من الاحصا العدد اي عدها في الدعا بها وقيل معناه
من اطاقها واحسن المراعاة لها والمحافظة على ما تقتضيه وصدق بمعانيها وعمل
بمقتضاها دخل الجنة وقيل معنى احصاها احضر بباله عند ذكرها معناها وتفكر في مدلولها
معتبرا متدبرا ذاكرا راغبا معظما لها ولمسماها ومقدسا للذات الله سبحانه وتعالى وانه يخطر بباله
عند ذكر كل اسم الوصف الدال عليه وقوله ان الله وتر يحب الوتر الفرد ومعناه في وصف
الله تعالى انه الواحد الذي لا شريك له ولا نظير وفيه تفضيل الوتر في الاعمال لان اكثر
الطاعات وتر وفيه دليل على ان اشهر اسمايه سبحانه تعالى الله لاضافة الاسما اليه فيقال
الروف والكريم واللطيف من اسما الله ولا يقال من اسما الروف والكريم واللطيف
الله وقد قيل ان لفظة الله هي الاسم الاعظم قال ابو القسم القشيري فيه دليل على ان الاسم
هو المسمى اذ لو كان غيره لكانت الاسما لغيره كقوله تعالى ولله الاسما الحسنى وقال الامام فخر
الدين دلت الاية على ان الاسم غير المسمى لانها تدل على ان اسما الله كثيرة لان لفظ
الاسما لفظ الجمع وهي تفيد الثلاثة فما فوقها فثبت ان اسما الله كثيرة ولا شك
ان الله واحد فلزم القطع بان الاسم غير المسمى وايضا قوله ولله الاسما الحسنى يقتضي اضافة
الاسما الى الله واضافة الشي الى نفسه محال وقال غيره الاسم عبارة عن اللفظ الدال على
الشي المسمى به فهو غيره وقال اهل اللغة انما جعل الاسم تنويها على المعنى لان المعنى تحت الاسم
والتسمية غير الاسم لان التسمية عبارة عن تعيين اللفظ المعين لتعريف ذات الشي
والاسم عبارة عن تلك اللفظة المعينة والفرق ظاهر قال العلما وكما يجب تنزيه الله
عن جميع النقايص فكذلك يجب تنزيه اسمايه ايضا وقوله تعالى فادعوه بها يعني ادعوا
الله باسمايه التي سمى بها نفسه او سماه بها رسوله ففيه دليل على ان اسما الله تعالى
توقيفية لا اصطلاحية ومما يدل على صحة هذا القول ويوكده انه يجوز ان يقال
يا جواد ولا يجوز ان يقال يا سخي ويجوز ان يقال يا عالم ولا يجوز ان يقال يا عاقل ويجوز
ان يقال يا حكيم ولا يجوز ان يقال يا طبيب وللدعا شرايط منها ان يعرف الداعي

معاني الاسما

معاني الاسما التي يدعوا بها ويستحضر في قلبه عظمة المدعو سبحانه وتعالى ويخلص النية في دعايه
مع كثرة التعظيم والتبجيل والتقديس لله تعالى ويعزم المسئلة مع رجا الاجابة ويعترف لله
عز وجل بالربوبية وعلى نفسه بالعبودية فاذا فعل العبد ذلك عظم موقع الدعا وكان له
اثر عظيم وقوله تعالى وذروا الذين يلحدون في اسمايه معنى الالحاد في اللغة الميل عن القصد
والعدول عن الاستقامة قال ابن السكيت الملحد العادل عن الحق المدخل فيه ما ليس منه يقال الحد في الدين ولحد اذا عدل عنه ومال الى غيره صح قال المحققون
الالحاد يقع في اسما الله على وجوه احدها اطلاق اسما الله عز وجل على غيره وذلك ان
المشركين سموا اصنامهم بالالهة واشتقوا لها اسما من اسما الله فسموا اللات والعزى
ومنات واشتقاق اللات من الاله والعزى من العزيز ومنات من المنان وهذا قول
ابن عباس ومجاهد الوجه الثاني وهو قول اهل المعاني ان الالحاد في اسما الله هو
تسميته بما لم يسم به نفسه ولم يرد فيه نص من كتاب ولا سنة لان اسما الله كلها توقيفية
كما تقدم فلا يجوز فيها غير ما ورد في الشرع بل يدعو الله باسمايه التي وردت في
الكتاب والسنة على وجه التعظيم الوجه الثالث مراعاة حسن الادب في الدعا
فلا يجوز ان يقال في الدعا يا ضار يا صانع يا خالق القردة على الانفراد بل يقال يا ضار
يا نافع يا معطي يا مانع يا خالق الخلق الوجه الرابع ان لا يسمي الله العبد باسم لا يعرف
معناه فانه ربما سماه باسم لا يليق اطلاقه على جلال الله سبحانه وتعالى ولا يجوز ان
يسمي به لما فيه من الغرابة وقوله تعالى سيجزون ما كانوا يعملون يعني في الاخرة ففيه
وعيد وتهديد لمن الحد في اسما الله عز وجل قوله عز وجل وممن خلقنا امة يعني جماعة
وعصابة يهدون بالحق وبه يعدلون قال ابن عباس يريد امة محمد صلى الله عليه
وسلم وهم المهاجرون والانصار والتابعون لهم باحسان قال قتادة بلغنا ان النبي
صلى الله عليه وسلم كان اذا قرا هذه الاية قال هذه لكم وقد اعطي القوم بين ايديكم
مثلها ومن قوم موسى امة يهدون بالحق وبه يعدلون ق عن معاوية قال وهو
يخطب سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يزال من امتي امة قايمة
بامر الله لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى ياتي امر الله وهم على ذلك وفي
الاية دليل على انه لا يخلو زمان من قايم بالحق ويعمل به ويهدي اليه والذين
كذبوا باياتنا يريد به جميع المكذبين بايات الله وهم الكفار وقيل المراد بهم
اهل مكة والاول اولى لان صيغة العموم يتناول الكل الا ما دل الدليل على خروجه
منه سنستدرجهم من حيث لا يعلمون قال الازهري سناخذهم قليلا قليلا من حيث
لا يحتسبون وذلك ان الله تعالى يفتح عليهم من النعيم ما يغتبطون به ويركنون
اليه ثم ياخذهم على غرتهم اغفل ما يكونون وقيل معناه سنقربهم الى ما يهلكهم
ونضاعف عقابهم من حيث لا يعلمون ما يراد بهم لانهم كانوا اذا اتوا بجرم
او اقدموا على ذنب فتح الله عليهم من ابواب الخير والنعمة في الدنيا فيزدادوا بذلك

تماديا في البغي والضلال ويتدرجون في الذنوب والمعاصي فياخذهم اخذة واحدة
اغفل ما يكونون عليه وقال الضحاك معناه كلما جددوا معصية جددنا نعمة
وقال الكلبي نزين اعمالهم ثم نهلكهم بها وقال سفيان الثوري نسبغ عليهم النعم
ثم نسلبهم الشكر وروي عمر بن الخطاب لما حمل اليه كنوز كسرى قال اللهم اني اعوذ بك
ان اكون مستدرجا فاني سمعتك تقول سنستدرجهم من حيث لا يعلمون قال
اهل المعاني الاستدراج ان يندرج الشيء الى الشيء في خفية قليلا قليلا ومندرج
الصبي اذا قارب بين خطاه في المشي ومنه درج الكتاب اذا طواه شيئا بعد شيء
واملي لهم يعني وامهلهم واطيل مدة اعمارهم والاملاء في اللغة الامهال واطالة المدة والمعنى
اي اطيل مدة اعمارهم ليتمادوا في الكفر والمعاصي ولا اعاجلهم بالعقوبة ولا افتح
لهم باب التوبة ان كيدي متين يعني ان اخذي شديد والمتين من كل شيء هو
القوي الشديد وقال ابن عباس معناه ان مكري شديد قال المفسرون نزلت هذه الآية
في المستهزئين من قريش وذلك ان الله تعالى امهلهم ثم قتلهم في ليلة واحدة وفي هذه
الآية دليل على مسئلة القضاء والقدر وان الله تعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا يسئل
عما يفعل وهم يسئلون قوله تعالى اولم يتفكروا ما بصاحبهم يعني محمدا صلى الله عليه وسلم
من جنة يعني من جنون قال قتادة ذكر لنا ان نبي الله صلى الله عليه وسلم قام على الصفا
ليلا فجعل يدعو قريشا فخذا فخذا يا بني فلان يا بني فلان اني لكم نذير مبين وكان
يحذرهم باس الله ووقائعه فقال قائلهم ان صاحبكم هذا المجنون بات يصوت الى
الصباح فانزل الله عز وجل اولم يتفكروا والتفكر التامل واعمال الخاطر في عاقبة الامر
والمعنى اولم يتفكروا فيعلموا ما بصاحبهم يعني محمدا صلى الله عليه وسلم من جنة والجنة
حالة من الجنون وادخال لفظة من في قوله من جنة توجب ان لا يكون به نوع من
انواع الجنون وانما نسبوه الى الجنون وهو بريء منه لانهم راوا انه صلى الله عليه وسلم
خالفهم في الاقوال والافعال لانه كان معرضا عن الدنيا ولذاتها مقبلا على الآخرة
ونعيمها ومشتغلا بالدعاء الى الله عز وجل وانذارهم باسه ونقمته ليلا ونهارا
من غير ملال ولا ضجر فعند ذلك نسبوه الى الجنون فبراه الله من الجنون وقال
تعالى ان هو يعني ما هو الا نذير مبين ثم حثهم على النظر المودي الى العلم بالوحدانية
فقال تعالى اولم ينظروا يعني نظر اعتبار واستدلال في ملكوت السموات والارض
وما خلق الله من شيء والمقصود التنبيه على ان الدلالة على الوحدانية ووجود الصانع
القديم غير مقصورة على ملك السموات والارض بل كل شيء خلقه الله ذراه فيه دليل
على وحدانية الله تعالى وآثار قدرته كما قال الشاعر * وفي كل شيء له آية * تدل على
انه واحد * وان عسى ان يكون قد اقترب اجلهم والمعنى ولعل اجلهم يكون
قد اقترب فيموتوا على الكفر قبل ان يومنوا فيصيروا الى النار وانما كان الامر كذلك

وجب على

وجب على العاقل المبادرة الى التفكر والاعتبار والنظر المودي الى الفوز بالنعيم المقيم
فبأي حديث بعده يؤمنون يعني يصدقون والمعنى فبأي كتاب بعد الكتاب
الذي جاء القرآن به محمد صلى الله عليه وسلم يصدقون وليس بعد محمد نبي ولا بعد
كتابه كتاب لانه خاتم الانبياء وكتابه خاتم الكتب لانقطاع الوحي بعد محمد صلى الله
عليه وسلم ثم ذكر علة اعراضهم عن الايمان فقال تعالى من يضلل الله فلا هادي له
يعني ان اعراضهم عن الايمان لاضلال الله اياهم ولو هداهم لآمنوا ويذرهم في طغيانهم
يعمهون يعني ونتركهم في ضلالتهم وتماديهم في الكفر يترددون متحيرين لا يهتدون سبيلا
قوله عز وجل يسئلونك عن الساعة ايان مرساها قال قتادة قالت قريش لرسول الله
صلى الله عليه وسلم ان بيننا وبينك قرابة فاسر الينا متى الساعة فانزل الله هذه الآية
وقال ابن عباس قال جبل بن ابي قشير وشمول بن زيد وهما من اليهود لرسول الله صلى الله عليه
وسلم يا محمد اخبرنا متى الساعة ان كنت نبيا كما تقول فانا نعلم متى هي فانزل الله عز وجل
يسئلونك يا محمد عن الساعة يعني عن خبر القيامة سميت ساعة لانها تقوم في ساعة
غفلة وبغتة ولان حساب الخلائق ينقضي فيها في ساعة واحدة ايان سوال عنهم
عن الوقت الذي تقوم فيه الساعة ومعناه متى مرساها قال ابن عباس يعني منتهاها
متى وقوعها قال والساعة الوقت الذي يموت الخلائق فيه واصل الارساء الثبات
يقال رسا يرسو اذا ثبت قل اي قل لهم يا محمد انما علمها عند ربي اي لا يعلم الوقت الذي
تقوم فيه الا هو استاثر الله تعالى بعلمها فلم يطلع عليه احدا ومنه حديث الايمان والاسلام
والاحسان وسوال جبريل النبي صلى الله عليه وسلم قال فاخبرني عن الساعة قال ما المسئول
عنها باعلم من السائل قال المحققون وسبب اخفاء علم الساعة ووقت قيامها
عن العباد ليكونوا على خوف وحذر منها لانهم اذا لم يعلموا متى يكون ذلك الوقت
كانوا على وجل وخوف واشفاق منها فيكون ذلك ادعى لهم الى الطاعة والتوبة
وازجر لهم عن المعصية لا يجليها لوقتها الا هو قال مجاهد لا ياتي بها الا هو وقال السدي
لا يرسلها لوقتها الا هو والتجلية اظهار الشيء بعد خفائه فالمعنى لا يظهرها لوقتها المعين
الا الله ولا يقدر على ذلك غيره ثقلت في السموات والارض يعني ثقل امرها وخفي علمها
على اهل السموات والارض وكل شيء خفي فهو ثقيل شديد وقال الحسن اذا جاءت ثقلت وعظمت
على اهل السموات والارض وانما ثقلت عليهم لان فيها فناءهم وموتهم وذلك ثقيل على
القلوب لا تاتيكم الا بغتة يعني فجاءة على حين غفلة من الخلق ق عن ابي هريرة قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ولتقومن الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما فلا يتبايعانه — يبايعانه
ولا يطويانه ولتقومن الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته فلا يطعمه ولتقومن الساعة
وهو يليط حوضه فلا يسقي منه ولتقومن الساعة وقد رفع اكلته الى فيه فلا يطعمها اللقحة — حوضه
بفتح اللام وكسرها الناقة القريبة العهد بالنتاج قوله يليط حوضه ويروى يلوط حوضه

يعني لطيفه ولصيقه يقال الحا حوحفه بليطه وبلوطه اذا لطفه واصله من اللصوق والاكلة
بضم الهمزة اللقمة وقوله تعالى يسئلونك كانك حفي عنها يعني يسالك قومك عن الشي
كانك حفي بهم يعني بار بهم شفيق عليهم فعلى هذا القول فيه تقديم وتاخير تقديره يسئلونك
عنها كانك حفي بهم قال ابن عباس يقول كان بينك وبينهم مودة وكانك صديق لهم
قال ابن عباس لما سال الناس محمدا صلى الله عليه وسلم عن الساعة سالوه سوال قوم
كانهم يرون ان محمدا صلى الله عليه وسلم حفي بهم فاوحى الله عز وجل اليه انما علمها عنده
استاثر بعلمها فلم يطلع عليه ملكا ولا رسولا وقيل معناه يسالونك عنها كانك
حفي بها اي عالم بها من قولهم احفيت بالمسئلة اذا بالغت في السوال عنها حتى
علمها قل يعني قل يا محمد انما علمها عند الله يعني استاثر الله بعلمها فلا يعلم متى الساعة
الا الله عز وجل فان قلت قوله يسئلونك عن الساعة ايان مرسها وقوله ثانيا يسئلونك
كانك حفي عنها فيه تكرار لان السوال عن وقت قيام الساعة والسوال الثاني سوال
عن احوالها من ثقلها وشدائدها فلم يلزم التكرار فان قلت عبر عن الجواب في
السوال الثاني بقوله علمها عند الله فهل من فرق بين الصورتين في الجوابين قلت
فيه فرق لطيف وهو انه لما كان السوال الاول واقعا عن وقت قيام الساعة عبر
عن الجواب عنه بقوله علم وقت قيامها عند ربي ولما كان السوال الثاني واقعا
عن احوالها وشدائدها وثقلها عبر عن الجواب فيه بقوله علم ذلك عند الله لانه اعظم
الاسما ولكن اكثر الناس لا يعلمون يعني لا يعلمون ان علمها عند الله وانه استاثر بعلم
ذلك حتى لا يسالوا عنه وقيل ولكن اكثر الناس لا يعلمون السبب الذي من اجله
اخفى علم وقت قيامها المغيب عن الخلق قوله تعالى قل لا املك لنفسي نفعا
ولا ضرا قال ابن عباس ان اهل مكة قالوا يا محمد الا يخبرك ربك بالسعر الرخيص قبل
ان يغلو فنشتريه فنربح فيه عند الغلاء وبالارض التي تريد ان تجدب فنرحل عنها
الى ما قد اخصب فانزل قل لا املك اي قل يا محمد لا املك ولا اقدر لنفسي نفعا
اي اجتلاب نفع بان اربح فيما اشتريه ولا ضرا يعني ولا اقدر ان ادفع عن نفسي
ضرا نزل بها بان ارحل الى الارض المخصبة واترك المجدبة الا ما شاء الله يعني ان املكه
واقدر عليه ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير يعني ولو كنت اعلم وقت الخصب
والجدب لاستكثرت من المال وما مسني السوء يعني الضر والفقر والجوع وقال ابن جريج
معنى لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا من الهدى والضلالة ولو كنت اعلم الغيب
يريد وقت الموت لاستكثرت من الخير يعني من العمل الصالح وقيل ان اهل مكة لما
سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الساعة انزل الله الاية الاولى وهذه الاية
ومعناه انا لا ادعي علم الغيب حتى اخبركم عن وقت قيام الساعة وذلك لما طالبوه
بالاخبار عن الغيب فذكر ان قدرته قاصرة عن علم الغيب فان قلت قد اخبر صلى الله عليه

وسلم عن

وسلم عن المغيبات وقد جاءت في الصحيح بذلك وهو من اعظم معجزاته صلى الله عليه وسلم فكيف
الجمع بينه وبين قوله ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير قلت يحتمل ان يكون
قاله صلى الله عليه وسلم على سبيل التواضع والادب والمعنى لا اعلم الغيب الا ان يطلعني
الله عليه ويقدره لي ويحتمل ان يكون قال ذلك قبل ان يطلعه الله عز وجل على الغيب
فلما اطلعه الله اخبر به كما قال فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول او يكون
خرج هذا الكلام مخرج الجواب عن سوالهم ثم بعد ذلك اظهره الله تعالى على اشياء من المغيبات
فاخبر عنها ليكون ذلك معجزة ودلالة على صحة نبوته صلى الله عليه وسلم وقوله وما مسني
السوء يعني الجنون وذلك انهم نسبوه الى الجنون وقيل معناه ولو كنت اعلم الغيب
لاستكثرت من الخير واحترزت عن الشر حتى اصير بحيث لا يمسني السوء وقيل معناه
ولو كنت اعلم الغيب لاعلمتكم بوقت قيام الساعة حتى تومنوا وما مسني السوء يعني قولكم
لو كنت نبيا لعلمت متى تقوم الساعة ان انا الا نذير يعني ما انا رسول ارسلني الله
اليكم انذركم واخوفكم عقابه ان لم تومنوا وبشير يعني والبشير بثوابه لقوم يومنون
يعني يصدقون قوله عز وجل هو الذي خلقكم من نفس واحدة يعني ادم عليه السلام وجعل
منها زوجها يعني وخلق منها زوجها حوى وقد تقدم كيفية خلق حوى من ضلع ادم
في اول سورة النساء ليسكن اليها يعني ليانس بها وياوي اليها فلما تغشاها يعني واقعها
وجامعها كنى به عن الجماع احسن كناية لان الغشيان اتيان الرجل المراة وقد غشيها
قربت به صح
اذا علاها وتجللها حملت حملا خفيفا يعني النطفة والمني لان اول ما تحمل النطفة وهي
خفيفة عليها يعني انها استمرت بذلك الحمل فقامت وقعدت وهو خفيف عليها
ذلك الحمل ودنت ولادتها ودعوا الله ربهما
يعني ان ادم وحوى دعوا الله ربهما صح
فلما اثقلت اي صارت الى حال الثقل وكبر لئن اتيتنا صالحا يعني لئن اعطيتنا بشرا
سويا مثلنا لنكونن من الشاكرين يعني لك على انعامك علينا قال المفسرون
لما اهبط ادم وحوى الى الارض القيت الشهوة في نفس ادم فاصاب حوى فحملت
من ساعتها فلما اثقل الحمل وكبر الولد اتاها ابليس فقال لها ما الذي في بطنك قالت ما
ادري قال اني اخاف ان يكون بهيمة او كلبا او خنزيرا ترين في الارض الا بهيمة او نحوها
قالت اني اخاف بعض ذلك وما يدريك من اين يخرج من دبرك او فيك او يشق
بطنك فيقتلك فخافت حوى من ذلك وذكرته لادم فلم يزالا في غم من ذلك ثم
عاد اليها ابليس فقال لها اني من الله بمنزلة فان دعوت الله ان يجعله خلقا سويا
مثلك ويسهل عليك خروجه تسميه عبد الحرث وكان اسم ابليس في الملائكة الحارث
فذكرت ذلك حوى لادم فقال لعله صاحبنا الذي قد علمت فعاودها ابليس
فلم يزل بهما حتى غرهما فلما ولدت سمياه عبد الحرث وقال ابن عباس كانت حوى
تلد لادم فتسميه عبد الله وعبيد الله وعبد الرحمن فيصيبهم الموت فاتاهما
ابليس فقال ان سركما ان يعيش لكما ولد فسمياه عبد الحارث فولدت فسمياه

عبد الحرث فعاش عن سمرة بن جندب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما حملت
حوى طاف بها ابليس وكان لا يعيش لها ولد فقال سميه عبد الحارث فسمته فعاش
وكان ذلك من وحي الشيطان وامره اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب لا نعرفه الا من حديث
عمر بن ابرهيم عن قتادة وقال وقد رواه بعضهم ولم يرفعه وقوله وذلك من وحي الشيطان يعني
وسوسته وحديثه قالجا انه خدعهما مرتين مرة في الجنة ومرة في الارض قال ابن عباس
لما ولد له اول ولد اتاه ابليس فقال اني سانصح لك في شان ولدك هذا اسمه عبد الحرث
وكان اسمه في السما الحرث فقال ادم اني اعوذ بالله من طاعتك اني اطعتك في اكل الشجرة
فاخرجتني من الجنة فلن اطيعك فمات ولده ثم ولد له بعد ذلك ولد اخر فقال اطعني
والا مات كما مات الاول فعصاه فمات ولده فقال لا ازال اقتلهم حتى تسميه عبد الحارث
فلم يزل به حتى سماه عبد الحارث فذلك قوله عز وجل فلما اتاهما صالحا جعلا له شركا فيما اتاهما
قال ابن عباس اشركه في طاعته في غير عبادة ولم يشرك بالله ولكن اطاعه وقال قتادة
اشركا في الاسم ولم يشركا في العبادة وقال عكرمة ما اشرك ادم ولا حوى وكان لا يعيش
لهما ولد فاتاهما الشيطان فقال ان سركما ان يعيش لكما ولد فسمياه عبد الحرث فهو قوله
جعلا له شركا فيما اتاهما قرئ شركا بكسر الشين مع التنوين ومعناه شركة وقال ابو عبيدة
معناه حظا ونصيبا وقرئ شركا بضم الشين مع المد جمع شريك يعني ابليس عبر عن الواحد
بلفظ الجمع يعني جعلا له شريكا اذ سميا ولدهما عبد الحارث قال العلماء ولم يكن ذلك
شركا في العبادة ولا ان الحرث رب لهما لان ادم عليه السلام كان نبيا معصوما من الشرك
ولكن قصدا بتسميتها الولد بعبد الحرث كان سبب نجاة الولد وسلامته وسلامة
امه وقد يطلق اسم العبد على من لا يراد به مملوك كما قال الشاعر ° واني لعبد الضيف
مادام ثاويا ° اخبر عن نفسه انه عبد الضيف ما اقام عنده مع بقا الحرية عليه وانما
اراد بالعبودية خدمة الضيف والقيام بواجب حقوقه كما يقوم العبد بواجب
حقوق سيده وقد يطلق اسم الرب بغير الف ولام على غير الله كقول يوسف عليه
السلام العزيز مصر انه ربي احسن مثواي اراد به التربية ولم يرد به انه ربه ومعبوده
فكذلك هذا وانما اخبر عن ادم بقوله جعلا له شركا فيما اتاهما لان حسنات الابرار سيئات
المقربين ولان منصب النبوة اشرف المنازل واعلاها فعاتبه الله على ذلك
لانه نظر الى السبب ولم ينظر الى المسبب والله اعلم بمراده واسرار كتابه قال العلماء وعلى
هذا فتم الكلام عند قوله فيما اتاهما ثم ابتدا في الخبر عن الكفار بقوله فتعالى الله
عما يشركون نزه نفسه سبحانه وتعالى عن اشراك المشركين من اهل مكة وغيرهم
وهذا على العموم ولو اراد ادم وحوى لقال فتعالى الله عما يشركان على التثنية لا
على الجمع وقال بعض اهل المعاني ولو اراد به ما سبق من معنى الاية فيستقيم ايضا
من حيث انه كان الاولى بهما ان لا يفعلا ما اتيا به من الاشراك في التسمية فكان

الاولى ان

الاولى ان يسمياه عبد الله لا عبد الحارث وفي معنى الاية قول اخر وهو انه راجع
الى جميع المشركين من ذرية ادم وحوى وهو قول الحسن وعكرمة ومعناه وجعل
اولادهما شركا فحذف ذكر الاولاد واقامهما مقامهم كما اضاف فعل الابا الى الابنا
بقوله ثم اتخذتم العجل واذ قتلتم نفسا فعير اليهود الذين كانوا موجودين زمن النبي
صلى الله عليه وسلم وكان ذلك من فعل ابايهم وقال عكرمة خاطب كل واحد من الخلق
بقوله هو الذي خلقكم من نفس واحدة اي خلق كل واحد من ابيه وجعل منها زوجها
اي وجعل من جنسها زوجها ادمية مثله وهذا قول الحسن الا ان القول الاول اصح
لانه قول السلف مثل ابن عباس ومجاهد وسعيد بن المسيب وغيرهم من المفسرين
وورد الحديث بذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم وقيل هم اليهود والنصارى رزقهم
الله اولادا فهودوهم ونصروهم وقال ابن كيسان هم الكفار سموا اولادهم بعبد العزى
وعبد شمس وعبد الدار ونحو ذلك وقوله تعالى اتشركون قرئ بالتا على خطاب
الكفار وقرئ بالبا على الغيبة ما لا يخلق شيئا يعني ابليس والاصنام وهم يخلقون اي
وهم مخلوقون فان قلت كيف وحد يخلق ثم جمع فقال وهم يخلقون قلت ان لفظ
ما تقع على الواحد والاثنين والجمع وهي من صيغ الواحد ان بحسب ظاهر اللفظ ويحتمله
وهم يخلقون رعاية لجانب المعنى فان قلت كيف جمع بالواو والنون لمن لا يعقل
وهو جمع من يعقل من الناس قلت لما اعتقد عابدوا الاصنام انها تعقل وتميز ورد
هذا الجمع بنا على ما يعتقدونه ويتصورونه وقوله تعالى ولا يستطيعون لهم نصرا يعني
ان الاصنام لا تقدر على نصر من اطاعها وعبدها ولا الضر من عصاها والنصر المعونة
على الاعدا والمعنى ان المعبود الذي يجب عبادته يكون قادرا على ايصال النفع
ودفع الضر وهذه الاصنام ليست كذلك فكيف يليق بالعاقل ان يعبدها ثم قال
تعالى ولا انفسهم ينصرون يعني ولا يقدرون على ان يدفعوا عن انفسهم مكروها
فان من اراد كسرها قدر عليه وهي لا تقدر على دفعه عنها ثم خاطب المومنين فقال تعالى
وان تدعوهم الى الهدى يعني وان تدعوا ايها المومنون المشركين الى الهدى لا يتبعوكم
لان الله تعالى حكم عليهم بالضلالة فلا يقبلوا الهداية سوا عليكم يعني ادعوتموهم الى
الدين والهدى يعني الهداية ام انتم صامتون اي ساكتون عن دعايهم فهم في كلا
الحالين لا يومنون وقيل ان الله تعالى لما بين في الاية المتقدمة عجز الاصنام بين في
هذه الاية انها لا علم لها بشي البتة والمعنى ان هذه الاصنام التي يعبدها المشركون
معلوم من حالها انها لا تضر ولا تنفع ولا تسمع لمن دعاها الى خير وهدى ثم قوى هذا
المعنى بقوله سوا عليكم ادعوتموهم ام انتم صامتون وذلك ان المشركين كانوا
اذا وقعوا في شدة وبلا تضرعوا الى اصنامهم فاذا لم يكن لهم الى الاصنام حاجة سكتوا
وصمتوا فقيل لهم لا فرق بين دعايكم الاصنام او سكوتكم عنها فانها عاجزة في كل

حال قوله تعالى ان الذين تدعون من دون الله عباد امثالكم يعني ان الاصنام التي تعبدونها
هولاء المشركون انما هي مملوكة لله امثالهم وقيل انها مسخرة مذللة مثل ما انتم مسخرون
مذللون وقال مقاتل في قوله عباد امثالكم انها الملائكة والخطاب مع قوم كانوا يعبدون
الملائكة والقول الاول اصح وفيه سوال وهو انه وصفها بانها عباد مع انها جماد والجواب
ان المشركين لما ادعوا ان الاصنام تضر وتنفع وجب ان يعتقدوا كونها عاقلة فاهمة
فوردت هذه الالفاظ على وفق معتقدهم تبكيتا لهم وتوبيخا ولذلك قال فادعوهم
فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين في كونها الهة وجواب اخر ان هذا اللفظ انما ورد
في معرض الاستهزا بالمشركين والمعنى ان قصارى هذه الاصنام التي تعبدونها احيا عاقلة
على معتقدكم فهم عباد لله امثالكم ولا فضل لهم عليكم فلم عبدتموهم وجعلتموهم الهة
وجعلتم انفسكم لهم عبيدا ثم وصفهم بالعجز فقال تعالى الهم ارجل يمشون بها ام لهم ايد يبطشون
بها ام لهم اعين يبصرون بها ام لهم اذان يسمعون بها يعني ان قدرة الانسان المخلوق انما تكون
بهذه الجوارح الاربعة فانها الات يستعين بها في جميع اموره والاصنام ليس لها من هذه
الاعضا والجوارح شي فانتم تفضلون عليهم بهذه الاعضا لان الرجل الماشية افضل من الرجل
العاجزة عن البطش والعين البصيرة افضل من العين العاجزة عن الادراك والاذن
السامعة افضل من الاذن العاجزة عن السمع فظهر بهذا البيان ان الانسان افضل من هذه الاصنام
العاجزة بكثير بل لا فضل لها البتة لانها حجارة وجماد لا تضر ولا تنفع واذا كان الامر كذلك
فكيف يليق بالانسان العاقل الافضل ان يشتغل بعبادة الخسيس الارذل الذي لا فضل له
البتة ولا يضر ولا ينفع فامتنع بهذه الحجة كون الاصنام الهة ثم قال تعالى قل ادعوا شركاءكم اي قل
يا محمد لهولاء المشركين ادعوا شركاءكم يعني هذه الاصنام التي تعبدونها ... ثم كيدون
يعني انتم وشركاوكم وهذا متصل بما قبله في استكمال الحجة عليهم لانهم لما فرغوا بعبادة
من لا يملك ضرا ولا نفعا قيل لمحمد قل ان معبودي يملك الضر والنفع فلو اجتهدتم في
كيدي لم تصلوا الى ضري لان الله يدفع عني وقال الحسن كانوا يخوفونه بالهتهم فقال الله تعالى
قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون فلا تنظرون اي تمهلوني واعجلوا في كيدكم انتم وشركاوكم
ثم كيدون ان وليي الله يعني ان الذي يتولى حفظي ونصري عليكم هو الله الذي نزل
الكتاب يعني القران والمعنى كما ايدني بانزال الكتاب علي كذلك يتولى حفظي ونصري
وهو يتولى الصالحين يعني يتولاهم بنصره وحفظه فلا يضرهم عداوة من عاداهم من المشركين
وغيرهم ممن ارادهم بسوء وكادهم بشر قال ابن عباس يريد بالصالحين الذين لا يعدلون
بالله شيا ولا يعصونه وفي هذا مدح للصالحين لان من تولاه الله بحفظه فلا يضره
شي قوله عز وجل والذين تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم ولا انفسهم
ينصرون هذه الاية قد تقدم تفسيرها والفايدة في تكريرها ان الاية الاولى
مذكورة على جهة التقريع والتوبيخ وهذه الاية مذكورة على جهة الفرق بين

من تجوز

من تجوز له العبادة وهو الله الذي يتولى الصالحين بنصره وحفظه وهذه الاصنام
ليست كذلك فلا تكون معبودة وقوله تعالى وان تدعوهم الى الهدى لا يسمعوا
وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون قال الحسن المراد بهذا المشركون ومعناه وان
تدعوا ايها المومنون المشركين الى الهدى لا يسمعوا دعاكم لان اذانهم قد صمت عن
سماع الحق وتراهم ينظرون اليك يا محمد وهم لا يبصرون يعني ببصاير قلوبهم وذهب
اكثر المفسرين الى ان هذه الاية ايضا واردة في صفة الاصنام لانها جماد لا تضر ولا تنفع
ولا تسمع ولا تبصر قوله تعالى خذ العفو العفو هنا الفضل وما جا بلا كلفة والمعنى اقبل
الميسور من اخلاق الناس ولا تستقص عليهم فيستقصوا عليك فيتولد منه العداوة
والبغضا وقال مجاهد يعني خذ العفو من اخلاق الناس واعمالهم من غير تجسس وذلك
مثل قبول الاعتذار منهم وترك البحث عن الاشيا والعفو المساهلة في كل شي خ عن
عبد الله بن الزبير قال ما نزلت خذ العفو وامر بالمعروف الا في اخلاق الناس وفي رواية
قال امر الله نبيه صلى الله عليه وسلم ان ياخذ العفو من اخلاق الناس كذا في جامع الاصول
وفي الجمع بين الصحيحين للحميدي قال امر الله نبيه صلى الله عليه وسلم ان ياخذ العفو من اخلاق
الناس او كما قال وقال ابن عباس يعني خذ ما عفا لك من اموالهم فما اتوك به من شي
فخذه وكان هذا قبل ان ينزل براة بفرايض الصدقات وتفصيلها وما انتهت اليه وقال
السدي خذ العفو اي الفضل من المال نسختها اية الزكوة وقال الضحاك خذ ما عفا
من اموالهم وهذا قبل ان تفرض الصدقة المفروضة وامر بالمعروف يعني وامر
بكل ما امرك الله به وهو كل ما عرفته بالوحي من الله عز وجل وكل ما يعرفه الشرع
وقال عطا وامر بقول لا اله الا الله واعرض عن الجاهلين يعني امر الله تعالى نبيه صلى الله
عليه وسلم ان يصفح عن الجاهلين وهذا قبل ان يامرهم بقتال الكفار فلما امر بقتالهم
صار الامر بالاعراض عنهم منسوخا باية القتال قال بعضهم اول هذه الاية واخرها منسوخ
ووسطها محكم يريد نسخ اولها اخذ الفضل من الاموال فنسخ بفرض الزكاة والامر
بالعرف محكم والاعراض عن الجاهلين منسوخ باية القتال روي انه لما نزلت هذه
الاية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل ما هذا قال لا ادري حتى اسال ثم
رجع فقال ان ربك يامرك ان تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عن
من ظلمك ذكره البغوي بغير سند وقال جعفر الصادق امر الله عز وجل نبيه صلى الله
عليه وسلم بمكارم الاخلاق وليس في القران اية اجمع لمكارم الاخلاق من هذه
عن عايشة قالت لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحشا ولا متفحشا ولا
سخابا في الاسواق ولا يجزي بالسيية السيية ولكن يعفو ويصفح اخرجه الترمذي
وروى البغوي بسنده عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله
بعثني لتمام مكارم الاخلاق وتمام محاسن الافعال قوله عز وجل واما ينزغنك

من الشيطان نزغ قال ابن زيد لما نزل قوله تعالى خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين
قال النبي صلى الله عليه وسلم فكيف بالغضب يا رب فانزل الله واما ينزغنك من الشيطان
نزغ فاستعذ بالله انه سميع عليم ونزغ الشيطان عبارة عن وساوسه ونخسه في القلب وقيل
النزغ الازعاج واكثر ما يكون عند الغضب واصله الازعاج بالحركة الى الشر والافساد
يقال نزغت بين القوم اذا افسدت بينهم وقال الزجاج النزغ ادنى حركة تكون ومن
الشيطان ادنى وسوسة والمعنى واما يصيبك يا محمد ويعرض لك من الشيطان وسوسة
او نخسة فاستعذ بالله يعني فاستجر بالله والجا اليه في دفعه عنك انه سميع لدعائك
عليم بحالك وقيل ان الشيطان يجد مجالا في حمل الانسان على ما لا ينبغي في حالة الغضب
والغيظ فامر الله بالالتجا اليه والتعوذ به في تلك الحالة فهي تجري مجرى العلاج لذلك المرض

فصل واحتج الطاعنون في عصمة الانبيا بهذه الاية فقالوا لو كان النبي معصوما
لم يكن للشيطان عليه سبيل حتى ينزغ في قلبه ويحتاج الى الاستعاذة والجواب عنه من وجوه
والمعنى انه معنى الكلام انما حصل في قلبك نزغ من الشيطان فاستعذ بالله وانه لم يحصل له ذلك
البتة فهو كقوله لئن اشركت وهو بري من الشرك البتة والوجه الثاني على التقدير انه لو حصل
وسوسة من الشيطان لكن الله عز وجل قد عصم نبيه صلى الله عليه وسلم عن قبولها وتشبثها في قلبه
م عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منكم من احد الا وقد وكل به قرينه
من الجن وقرينه من الملايكة قالوا واياك يا رسول الله قال واياي الا ان الله اعانني
عليه فاسلم فلا يامرني الا بخير قال الشيخ محيي الدين النووي يروى فاسلم بفتح الميم وضمها
فمن رفع قال معناه فاسلم انا من شره وفتنته ومن فتح قال معناه ان القرين اسلم من
الاسلام يعني صار مومنا لا يامرني الا بخير قال الخطابي الصحيح المختار الرفع ورجح القاضي
عياض عياض الفتح قال الشيخ وهو المختار لقوله فلا يامرني الا بخير قال القاضي عياض
واعلم ان الامة مجمعة على عصمة النبي صلى الله عليه وسلم من الشيطان في جسمه وخاطره
ولسانه وفي هذا الحديث اشارة الى التحرز من فتنة القرين ووسوسته واغوايه
اعلمنا انه معنا لنتحرز منه بحسب الامكان والله اعلم الوجه الثالث يحتمل ان
يكون الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم فالمراد به غيره ومعناه واما ينزغنك ايها الانسان
من الشيطان نزغ فاستعذ بالله فهو كقوله فاذا قرات القران فاستعذ بالله قوله
تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طيف وفي قري طايف من الشيطان وهما لغتان
ومعناه الشي يلم بالانسان وقيل بينهما فرق فالطايف ما يطوف حول الانسان و
الطيف الوسوسة وقيل الطايف ما طاف به من وسوسة الشيطان والطيف
والمس وقال الازهري الطيف في كلام العرب الجنون وقيل للغضب طيف لان
الغضبان يشبه المجنون وقيل سمي الجنون والغضب والوسوسة طيف لانه لمة
من الشيطان يشبه لمة الخيال فذكر في الاية الاولى النزغ وهو اخف من الطيف

المذكور في

المذكور في هذه الاية لان حالة الشيطان مع الانبيا اضعف من حالته مع غيرهم
تذكروا يعني عرفوا ما حصل لهم من وسوسة الشيطان وكيده قال سعيد بن جبير
هو الرجل يغضب الغضب فيذكر الله فيكظم غضبه وقال مجاهد هو الرجل يهم بالذنب
فيذكر الله فيقوم ويدعه فاذا هم مبصرون يعني انهم مبصرون مواقع الخطا بالتذكر
والتفكر وقال السدي اذا زلوا تابوا وقال مقاتل اذا اصابه نزغ من الشيطان تذكر
وعرف انه معصية فابصر ونزع عن مخالفة الله عز وجل واخوانهم يعني واخوان
الشياطين من المشركين يمدونهم اي يمدهم الشياطين في الغي قال الكلبي لكل كافر
اخ الشيطان يمدونهم اي يطيلون لهم في الاغوا حتى يستمروا عليه وقيل يزيدونهم
في الضلالة ثم لا يقصرون يعني لا يكفون عن الضلالة ولا يتركونها وهذا بخلاف
حال المومنين المتقين لان المومن اذا اصابه طيف من الشيطان تذكر وعرف
ذلك ونزع عنه وتاب واستغفر والكافر يستمر في ضلالته لا يتذكر ولا يرعوي وقال
ابن عباس الانس لا يقصرون عما يعملون من السيات ولا الشياطين يمسكون عنهم فعلى
هذا القول يحمل قوله لا يقصرون على فعل الانس والشياطين جميعا قوله عز وجل واذا لم تاتهم
باية يعني واذا لم تات المشركين يا محمد باية ومعجزة باهرة قالوا يعني قال المشركون لولا
اجتبيتها يعني فعلتها وانشاتها من قبل نفسك واختيارك يقول العرب اجتبيت
الكلام اختلقته وافتعلته قال الكلبي كان اهل مكة يسالون النبي صلى الله عليه وسلم
الايات تعنتا فاذا تاخرت اتهموه وقالوا لولا اجتبيتها يعني هلا احدثتها وانشاتها
من عندك قل اي قل يا محمد لهولا المشركين الذين سالوا الايات انما اتبع ما يوحى الي من ربي
يعني القران الذي انزله علي وليس لي ان اقترح الايات والمعجزات هذا بصاير من ربكم
يعني هذا القران حجج وبرهان واصل البصاير الابصار وهو ظهور الشي حتى يبصره
الانسان ولما كان القران سببا لبصاير العقول في دلايل التوحيد والنبوة والمعاد اطلق
عليه اسم البصيرة فهو من باب تسمية السبب باسم المسبب وهدى يعني وهو هدى
ورحمة يعني وهو رحمة من الله لقوم يومنون وههنا لطيفة وهي الفرق بين هذه المراتب
الثلاث وذلك ان الناس متفاوتون في درجات العلوم فمنهم من بلغ الغاية في علم التوحيد
حتى صار كالمشاهد وهم اصحاب عين اليقين ومنهم من بلغ درجة الاستدلال والنظر وهم
اصحاب علم اليقين ومنهم المسلم المستسلم وهم عامة المومنين وهم اصحاب حق اليقين فالقران
في حق الاولين وهم السابقون بصاير وفي حق القسم الثاني وهم المستدلون هدى و
في حق القسم الثالث وهو عامة المومنين رحمة قوله تعالى واذا قري القران فاستمعوا له
وانصتوا لما ذكر الله تعالى عظم شان القران بقوله هذا بصاير من ربكم وهدى ورحمة لقوم
يومنون اتبعه بما يجب من تعظيم شانه عند قراته فقال تعالى واذا قري عليكم ايها المومنون القران
فاستمعوا له يعني اصغوا اليه باسماعكم لتفهموا معانيه وتتدبروا مواعظه وانصتوا يعني

عند قراءته والانصات السكوت للاستماع يقال نصت وانصت وانتصت بمعنى واحد واختلف العلماء
في الحال التي امر الله عز وجل بالاستماع لقارئ القران والانصات له اذا قرئ لان قوله فاستمعوا له
وانصتوا امر وظاهر الامر للوجوب فمقتضاه ان يكون الاستماع والسكوت واجبين وللعلماء في
ذلك اقوال القول الاول وهو قول حسن واهل الظاهر ان تجري هذه الاية على العموم ففي اي
وقت واي موضع قرئ القران يجب على كل احد الاستماع له والسكوت القول الثاني انها نزلت
في تحريم الكلام في الصلاة روي عن ابي هريرة انهم كانوا يتكلمون في الصلاة بحوائجهم
فامروا بالسكوت والاستماع لقراءة القران وقال عبد الله كنا يسلم بعضنا على بعض في
الصلاة سلام على فلان وسلام على فلان فجاء القران واذا قرئ القران فاستمعوا له
وانصتوا القول الثالث انها نزلت في ترك الجهر بالقراءة خلف الامام روي عن ابي هريرة
قال نزلت هذه الاية في رفع الاصوات وهم خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن ابن
مسعود انه سمع ناسا يقرؤن مع الامام فلما انصرف قال اما ان لكم ان تفقهوا واذا قرئ القران
فاستمعوا له وانصتوا كما امركم الله وقال الكلبي كانوا يرفعون اصواتهم في الصلاة حين يسمعون
ذكر الجنة والنار القول الرابع انها نزلت في السكوت عند الخطبة يوم الجمعة وهو قول سعيد بن
جبير ومجاهد وعطا قال مجاهد وعطا الانصات للامام يوم الجمعة وقال عطا وجب الصموت
في اثنتين عند الرجل يقرا القران وعند الامام وهو يخطب وهذا القول قد اختاره جماعة
وفيه بعد لان الاية مكية والخطبة انما وجبت بالمدينة واتفقوا على انه يجب الانصات
حال الخطبة بدليل السنة وهو ما روي عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
اذا قلت لصاحبك انصت والامام يخطب يوم الجمعة فقد لغوت اخرجاه في الصحيحين و
اختلف العلماء في القراءة خلف الامام فذهب جماعة الى ايجابها سوا جهر الامام بالقراءة او اسر
روي ذلك عن عمر وعثمان وعلي وابن مسعود ومعاذ وهو قول الاوزاعي واليه ذهب الشافعي
وذهب قوم الى انه يقرا فيما اسر الامام فيه القراءة ولا يقرا اذا جهر روي عن ابن عمر وهو قول
عروة بن الزبير والقسم بن محمد وبه قال الزهري ومالك وابن المبارك واحمد واسحاق
وذهب قوم الى انه لا يقرا سوا اسر الامام او جهر روي ذلك عن جابر واليه ذهب اصحاب
الراي حجة من لا يرى القراءة خلف الامام ظاهر هذه الاية وحجة من قال يقرا في السرية دون
الجهرية قال ان الاية تدل على الامر بالاستماع لقراءة القران ودلت السنة على وجوب القراءة
خلف الامام فحملنا مدلول الاية على صلاة الجهرية وحملنا مدلول السنة على صلاة السرية جمعا
بين دلايل الكتاب والسنة وحجة من اوجب القراءة خلف الامام في صلاة السرية والجهرية
قال الاية واردة في غير الفاتحة لان دلايل السنة قد دلت على وجوب قراءة الفاتحة خلف
الامام ولم يفرق بين السرية والجهرية قالوا فاذا قرا الفاتحة خلف الامام تتبع سكتاته ولا
ينازعه في القراءة ولا يجهر بالقراءة خلفه ويدل عليه ما روي عن عبادة بن الصامت
قال [ر]سول الله صلى الله عليه وسلم الصبح فثقلت عليه القراءة فلما انصرف قال اراكم تقرؤن

وراء امامكم

وراء امامكم قال قلنا يا رسول الله اي والله قال لا تفعلوا الا بام القران فانه لا صلاة
لمن لم يقرا بها اخرجه الترمذي بطوله واخرجاه في الصحيحين اقصر منه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لا صلاة لمن لم يقرا بفاتحة الكتاب م عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم من صلى صلاة ولم يقرا فيها بفاتحة الكتاب فهي خداج يقولها ثلاثا
غير تمام فقيل لابي هريرة انا نكون وراء الامام قال اقرا بها في نفسك وذكر الحديث
وقوله تعالى لعلكم ترحمون يعني لكي يرحمكم ربكم باتباعكم ما امركم به من اوامره وفرايضه
قوله عز وجل واذكر ربك في نفسك الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ويدخل فيه
غيره من امته لانه عام لساير المكلفين قال ابن عباس يعني بالذكر القراءة في الصلاة
يريد يقرا سرا في نفسك والفايدة فيه ان انتفاع الانسان بالذكر انما يكمل
اذا وقع الذكر بهذه الصفات لان ذكر النفس اقرب الى الاخلاص والبعد عن
الريا وقيل المراد بالذكر في النفس ان يستحضر في قلبه عظمة المذكور جل جلاله
واذا كان الذكر باللسان عاريا عن ذكر القلب كان عديم الفايدة لان فايدة
الذكر حضور القلب واستشعاره عظمة المذكور وقوله تعالى تضرعا يقال ضرع
الرجل يضرع ضراعة اذا خضع وذل واستكان لعزه وخيفة ودون الجهر من
القول يعني وخوفا والمعنى يتضرع الى ويخاف من عذابي وقال مجاهد وابن
جريج امران يذكروه في الصدور بالتضرع والاستكانة دون رفع الصوت
في وههنا لطيفة وهي ان قوله واذكر ربك في نفسك فيه اشعار لقرب
العبد من الله عز وجل وهو مقام الرجا لان لفظ الرب مشعر بالتربية والرحمة والفضل
والاحسان فاذا تذكر العبد انعام الله عليه واحسانه اليه فعند ذلك يقوى مقام الرجا
ثم اتبعه بقوله تضرعا وخيفة وهذا مقام الخوف فاذا حصل في قلب العبد داعية
الخوف والرجا قوي ايمانه والمستحب ان يكون الخوف اغلب على العبد في حال صحته
وقوته فاذا قارب الموت ودنا اجله فيستحب ان يغلب رجاوه على خوفه
عن انس بن مالك ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل على شاب وهو في الموت فقال كيف
تجدك فقال ارجو الله يا رسول الله واني اخاف ذنوبي فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لا يجتمعان في قلب عبد في مثل هذا الموطن الا اعطاه الله ما يرجو وامنه
مما يخاف اخرجه الترمذي وقوله تعالى بالغدو جمع غدوة والاصال جمع اصيل وهو
ما بين صلاة العصر الى المغرب والمعنى اذكر ربك بالبكر والعشيات وانما خص هذين
الوقتين بالذكر لان الانسان يقوم بالغداة من النوم الذي هو اخو الموت فاستحب
له ان يستقبل حالة الانتباه من النوم وهو وقت الحياة من موت النوم بالذكر ليكون
اول عمله ذكر الله عز وجل واما وقت الاصال وهو اخر النهار فان الانسان يريد ان
يستقبل النوم الذي هو اخو الموت فيستحب ان يستقبله بالذكر لانها حالة تشبه

الموت ولعله لا يقوم من تلك النومة فيكون موته على ذكر الله عز وجل وهو المراد من قوله تعالى ولا تكن من الغافلين يعني عما يقربك الى الله عز وجل وقيل ان اعمال العباد تصعد اول النهار وآخره فتصعد عمل الليل عند صلاة الفجر ويصعد عمل النهار بعد العصر الى المغرب فاستحب له الذكر في هذين الوقتين ليكون ابتداء عمله بالذكر واختتامه بالذكر وقيل لما كانت الصلاة بعد صلاة الصبح وبعد صلاة العصر مكروهة استحب للعبد ان يذكر الله في هذين الوقتين ليكون في جميع اوقاته مشتغلا بما يقربه الى الله عز وجل من صلاة او ذكر قوله عز وجل ان الذين عند ربك يعني الملائكة المقربين لما امر الله عز وجل رسوله والمؤمنين بالذكر في حالة التضرع والخوف اخبر ان الملائكة الذين عنده مع علو رتبتهم وشرفهم وعصمتهم لا يستكبرون عن عبادته وطاعته لانهم عبيده خاضعون لعظمته وكبريائه عز وجل ويسبحونه يعني وينزهونه عن جميع النقائص ويقولون سبحان الله ربنا وله يسجدون لا لغيره فان قلت التسبيح والسجود داخلان في قوله لا يستكبرون عن عبادته لانهما من جملة العبادة فكيف افردهما بالذكر قلت اخبر الله عز وجل عن حال الملائكة انهم خاضعون لعظمته لا يستكبرون عن عبادته ولما كانت الاعمال تنقسم الى قسمين اعمال القلوب واعمال الجوارح فاعمال القلوب هي تنزيه الله عن كل سوء وهو الاعتقاد القلبي عبر عنه بقوله ويسبحونه وعبر عن اعمال الجوارح بقوله وله يسجدون وهذه السجدة من عزائم سجود القرآن فيستحب للقاري والمستمع ان يسجد عند قوله وله يسجدون ليوافق الملائكة المقربين في عباداتهم ق عن عبد الله بن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقرأ القرآن فيقرأ سورة فيها سجدة فيسجد ونسجد معه حتى ما يجد بعضنا موضعا لمكان جبهته في غير وقت صلاة م عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قرأ ابن ادم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي يقول يا ويلنا امر ابن ادم بالسجود فسجد فله الجنة وامرت بالسجود فابيت فلي النار م عن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم عليك بكثرة السجود
لله فانك لا تسجد لله سجدة الا رفعك الله
بها درجة وحط عنك بها خطيئة
والله اعلم باسرار كتابه

تفسير سورة الانفال

مدنية كلها الا سبع آيات منها نزلت بمكة وهي من قوله واذ يمكر بك الذين كفروا الى آخر سبع آيات والاصح انها نزلت بالمدينة وان كانت الواقعة مكية وهي خمس وسبعون آية والف وخمس وسبعون كلمة وخمسة آلاف وثمانون حرفا

بسم الله

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل يسألونك عن الانفال عن سعيد بن جبير قال قلت لابن عباس سورة الانفال قال نزلت في بدر واختلف اهل التفسير في سبب نزولها فقال ابن عباس لما كان يوم بدر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صنع كذا وكذا فله كذا وكذا ومن اتى مكان كذا فله كذا ومن قتل قتيلا فله كذا فتسارع الشبان وبقي الشيوخ تحت الرايات فلما فتح الله عليهم جاؤوا يطلبون ما جعل لهم النبي صلى الله عليه وسلم فقال لهم الاشياخ لا تذهبون به دوننا ولا تستأثرون به علينا فانا كنا ردءا لكم ولو انكشفتم لانكشفتم الينا فتنازعوا فانزل الله عز وجل يسألونك عن الانفال الاية قال اهل التفسير وقام ابو اليسر بن عمرو الانصاري اخو بني سلمة فقال يا رسول الله انك وعدت ان من قتل قتيلا فله كذا وكذا وانا قد قتلنا سبعين واسرنا سبعين وقام سعد بن معاذ فقال والله ما منعنا ان نطلب ما طلب هؤلاء زهادة في الاخرة ولا جبن عن العدو ولكن كرهنا ان نعري مصافك فيعطف عليه عليه خيل من المشركين فيصيبونك فاعرض عنهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال سعد يا رسول الله ان الناس كثير والغنيمة دون ذلك فان تعط هؤلاء الذين ذكرت لا يبقى لاصحابك كثير شيء فنزلت هذه الاية يسألونك عن الانفال وقال محمد بن اسحاق امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بما في العسكر فجمع فاختلف المسلمون فيه فقال من جمعه هو لنا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم نفل كل امرئ ما اصاب وقال الذين كانوا يقاتلون العدو ولولا نحن ما اصبتموه وقال الذين يحرسون رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد كنا نقدر ان نقاتل العدو ولكنا خفنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم غرة العدو فقمنا دونه فما انتم باحق منا فنزلت هذه الاية وروى مكحول عن ابي امامة الباهلي قال سألت عبادة بن الصامت عن الانفال فقال فينا معشر اصحاب بدر نزلت حين اختلفنا في النفل وساءت فيه اخلاقنا فنزعه الله من بين ايدينا وجعله الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقسمه رسول الله صلى الله عليه وسلم بيننا عن بواء يقول على سواء وكان فيه تقوى الله وطاعة رسوله واصلاح ذات البين وعن سعد بن ابي وقاص قال لما كان يوم بدر جئت بسيف فقلت يا رسول الله ان الله قد شفى صدري من المشركين او نحو هذا هب لي هذا السيف فقال هذا ليس لي ولا لك فقلت عسى ان يعطى هذا من لا يبلي بلائي فجاءني الرسول فقال انك سألتني وليس لي وانه قد صار لي وهو لك فنزلت يسألونك عن الانفال الاية اخرجه ابو داود والترمذي وقال حديث حسن صحيح واخرجه مسلم في جملة حديث طويل تضمن فضائل سعد ولفظ مسلم فيه قال اصاب اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم غنيمة عظيمة فاذا فيها سيف فاخذته فاتيت به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت نفلني هذا السيف فانا من قد علمت حاله فقال رده من حيث اخذته فانطلقت حتى اردت

ان الغنيمة القبض الملتنى لعنتى فرجعت اليه فقلت اعطنيه قال فشد على صوته
رده من حيث اخذته فانزل الله عز وجل يسلونك عن الانفال قال ابن عباس
كانت المغانم لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة ليس لاحد فيها شي وما اصاب
سرايا المسلمين من شي اتوه به فمن حبس منه ابرة او سلكا فهو غلول واما التفسير
فقوله تعالى يسلونك عن الانفال استفتا يعنى يسالك اصحابك عن حكم الانفال و
علمها وهو سوال استفتا لا سوال طلب وقال الضحاك وعكرمة هو سوال طلب
وقوله عن الانفال اى من الانفال وعن بمعنى من وقيل عن صلة اى يسلونك الانفال
والانفال هى الغنايم فى قول ابن عباس وعكرمة ومجاهد وقتادة واصله الزيادة
سميت الغنايم انفالا لانها زيادة من الله عز وجل بهذه الامة على الخصوص واكثر
المفسرين على انها نزلت فى غنايم بدر وقال عطا هى ما شذ من المشركين الى المسلمين
بغير قتال من عبد او امة او متاع فهو للنبى صلى الله عليه وسلم يصنع فيه ما شا
قل الانفال لله والرسول اى قل لهم يا محمد ان الانفال حكمها لله ورسوله يقسمانها
كيف شا واختلف العلما فى حكم هذه الاية فقال مجاهد وعكرمة والسدى هذه الاية
منسوخة نسخها الله بقوله واعلموا انما غنمتم من شي فان لله خمسه وللرسول
الاية كانت الغنايم لرسول الله صلى الله عليه وسلم يقسمها كيف شا ولمن شا ثم
نسخها الله بالخمس وقال بعضهم هذه الاية ناسخة من وجه وذلك ان الغنايم
كانت حراما على الامم الذين من قبلنا فى شرايع انبيايهم فاباحها الله لهذه
الامة بهذه الاية وجعلها ناسخة لشرع من قبلنا ثم نسخت باية الخمس وقال عبد
الرحمن بن زيد انها محكمة وهى احدى الروايات عن ابن عباس ومعنى الاية على
هذا القول قل الانفال لله وللرسول يضعها حيث امره الله وقد بين الله مصارفها
فى قوله واعلموا انما غنمتم من شي فان لله خمسه وللرسول الاية وصح من حديث
ابن عمر قال بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سرية فغنمنا ابلا فاصاب كل
واحد منا اثنى عشر بعيرا ونفلنا بعيرا بعيرا اخرجاه فى الصحيحين فعلى هذا تكون الاية محكمة
وللامام ان ينفل من شا من الجيش ما شا قبل التخميس فاتقوا الله يعنى اتقوا الله
بطاعته واتقوا مخالفته واتركوا المنازعة والمخاصمة فى الغنايم واصلحوا ذات
بينكم اى اصلحوا الحال فيما بينكم بترك المنازعة والمخالفة وتسليم امر الغنايم الى الله
ورسوله واطيعوا الله ورسوله فيما يامركم به وينهاكم عنه ان كنتم مومنين
يعنى ان كنتم مصدقين بوعد الله ووعيده قوله تعالى انما المومنون الذين اذا
ذكر الله وجلت قلوبهم لما امر الله بطاعته وطاعة رسوله فى الاية المتقدمة
ثم قال بعده ان كنتم مومنين لان الايمان يستلزم الطاعة بين فى هذه الاية
صفات المومنين واحوالهم فقال تعالى انما المومنون ولفظة انما تفيد الحصر

والمعنى

والمعنى ليس المومنون الذين يخالفون الله ورسوله انما المومنون الصادقون فى
ايمانهم الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم اى خضعت وخافت ورقت قلوبهم
وقيل اذا خوفوا بالله انقادوا خوفا من عقابه وقال اهل الحقايق الخوف على قسمين
خوف العقاب وهو خوف العصاة وخوف الهيبة والعظمة وهو خوف الخواص
لانهم يعلمون عظمة الله عز وجل فيخافونه اشد خوفا واما العصاة فيخافون عقابه
فالمومن اذا ذكر الله وجل قلبه وخافه على قدر مرتبته فى ذكر الله عز وجل فان قلت
انه تعالى قال فى هذه الاية اخرى وتطمين قلوبهم بذكر الله فكيف الجمع بينهما قلت
لا منافاة بين هاتين الحالتين لان الوجل هو خوف العقاب والاطمينان انما يكون
من ثلج اليقين وشرح الصدر بنور المعرفة والتوحيد وهذا مقام الخوف والرجا وقد
جمعهما فى اية واحدة وهى قوله تعالى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم
وقلوبهم الى ذكر الله والمعنى انه تقشعر جلودهم من خوف عقاب الله ثم تلين
جلودهم وقلوبهم عند ذكر رحمته ورجا ثوابه وهذا حال فى قلب المومن ثم قال تعالى
واذا تليت عليهم اياته زادتهم ايمانا يعنى واذا قريت عليهم ايات القران زادتهم
تصديقا قاله ابن عباس والمعنى انه كلما جاءهم شي من عند الله امنوا به فيزدادون
بذلك ايمانا وتصديقا لان زيادة الايمان بزيادة التصديق وذلك على
وجهين الوجه الاول وهو الذى عليه عامة اهل العلم على ما حكاه الواحدى
ان كل من كانت الدلايل عنده اكثر واقوى كان ايمانه ازيد لان عند حصول كثرة
الدلايل وقوتها يزول الشك ويقوى اليقين فتكون معرفته بالله اقوى فيزداد
ايمانه الوجه الثانى وهو انهم يصدقون بكل ما يتلى عليهم من عند الله ولما
كانت التكاليف متوالية فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلما تجدد
التكليف صدقوا به فيزدادون بذلك الاقرار تصديقا وايمانا ومن المعلوم
ان من صدق انسانا فى شيين كان اكثر ممن يصدقه فى شي واحد فقوله تعالى
واذا تليت عليهم اياته زادتهم ايمانا معناه انه كلما سمعوا اية جديدة اتوا باقرار
جديد فكان ذلك زيادة فى ايمانهم واختلف الناس فى ان الايمان هل يقبل
الزيادة والنقص ام لا فالذين قالوا ان الايمان عبارة عن التصديق القلبى قالوا
لا يقبل الزيادة لاجماع اهل اللغة على ان الايمان هو التصديق والاعتقاد بالقلب
وذلك لا يقبل الزيادة ومن قال ان الايمان عبارة عن مجموع امور ثلاثة وهى
التصديق بالقلب والاقرار باللسان والعمل بالجوارح والاركان فقد استدل على ذلك
بهذه من وجهين احدهما ان قوله زادتهم ايمانا صريح فان الايمان يقبل الزيادة
ولو كان عبارة عن التصديق بالقلب فقط لما قبل الزيادة واذا قبل الزيادة فقد
قبل النقص الوجه الثانى انه ذكر فى هذه الاية اوصافا متعددة من احوال المومنين

ثم قال تعالى بعد ذلك اولئك هم المومنون حقا وذلك يدل على ان تلك الاوصاف
داخلة في مسمى الايمان وروى عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
الايمان بضع وسبعون شعبة اعلاها شهادة ان لا اله الا الله وادناها اماطة الاذى
عن الطريق والحيا شعبة من الايمان اخرجاه في الصحيحين ففي هذا الحديث دليل على ان
للايمان اعلا وادنا واذا كان كذلك كان قابلا للزيادة والنقص قال عمير بن حبيب
وكانت له صحبة ان للايمان زيادة ونقصانا فقيل له فما زيادته قال اذا ذكرنا الله وحمدناه
فذلك زيادته واذا سهونا وغفلنا فذلك نقصانه وكتب عمر بن عبد العزيز الى
عدي بن عدي ان للايمان فرايض وشرايط وشرايع وحدودا وسننا فمن استكملها
فقد استكمل الايمان ومن لم يستكملها لم يستكمل الايمان وقوله تعالى وعلى ربهم يتوكلون
معناه يفوضون جميع امورهم اليه ولا يرجون غيره ولا يخافون سواه واعلم ان المومن
اذا كان واثقا بوعد الله ووعيده كان من المتوكلين عليه لا على غيره وهي درجة عالية
ومرتبة شريفة لان الانسان بحيث لا يبقى له اعتماد في شي من اموره الا على الله عز وجل واعلم
ان هذه المراتب الثلث اعني الوجل عند ذكر الله وزيادة الايمان عند تلاوة القران و
التوكل على الله من اعمال القلوب ولما ذكر الله تعالى هذه الصفات الثلث اتبعها بصفتين
من اعمال الجوارح فقال تعالى الذين يقيمون الصلوة ومما رزقناهم ينفقون يعني يقيمون
الصلاة المفروضة بحدودها واركانها في اوقاتها وينفقون اموالهم فيما امرهم الله به
من الانفاق فيه ويدخل فيه النفقة في الزكاة وفي الحج والجهاد وغير ذلك من الانفاق
في انواع البر والقربات ثم قال تعالى اولئك يعني من هذه صفتهم هم المومنون حقا يعني
يقينا لا شك في ايمانهم قال ابن عباس بريوا من الكفر وقال قتادة استحقوا
الايمان فحققه الله لهم وفيه دليل على انه لا يجوز ان يصف احد لنفسه بكونه مومنا
حقا لان الله انما وصف بذلك اقواما مخصوصين على اوصاف مخصوصة وكل احد
لا يتحقق وجود تلك الاوصاف فيه وهذا يتعلق بمسئلة اصولية وهي ان العلما
اتفقوا على انه يجوز للرجل ان يقول انا مومن واختلفوا في انه هل يجوز له ان يقول
انا مومن حقا ام لا فقال اصحاب ابو حنيفة الاولى ان يقول انا مومن ان شا الله
واستدلوا على صحة هذا القول بوجوه الاول ان المتحرك لا يجوز ان يقول انا متحرك
ان شا الله وكذا القول في القايم والقاعد فكذلك هذه المسئلة يجب فيها ان يكون
المومن مومنا حقا ولا يجوز ان يقول انا مومن ان شا الله الوجه الثاني انه تعالى
قال اولئك هم المومنون حقا فقد حكم لهم بكونهم مومنين حقا ففي قوله انا مومن
ان شا الله تشكيك فيما قطع الله لهم به وذلك لا يجوز وقال اصحاب الشافعي
الاولى ان يقول الرجل انا مومن ان شا الله واحتجوا لصحة هذا القول بوجوه الاول
ان الايمان عندهم عبارة عن الاعتقاد والاقرار والعمل وكون الانسان اتيا

بالاعمال

بالاعمال الصالحة المقبولة امر مشكوك فيه والشك في احد اجزا الماهية يوجب الشك في
الماهية فيجب ان يقول انا مومن ان شا الله وان كان اعتقاده واقراره صحيحا وعند
اصحاب ابي حنيفة ان الايمان عبارة عن الاعتقاد فيخرج العمل عن مسمى الايمان فلم يلزم
حصول الشك الوجه الثاني ان قولنا انا مومن ان شا الله ليس هو على سبيل الشك ولكن
لو قال الرجل انا مومن فقد مدح نفسه باعظم المدايح فالاولى له الانكسار روي ان ابا حنيفة قال
لقتادة لم تستثني في ايمانك فقال قتادة اتباعا لابراهيم عليه السلام في قوله والذي اطمع
ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين فقال ابو حنيفة هلا اقتديت به في قوله اولم تومن قال بلى فانقطع
قتادة وقال بعضهم كان لقتادة ان يقول ان ابراهيم قال بعد قوله بلى ولكن ليطمئن قلبي
لطلب مزيد الطمانينة الوجه الثالث ان الله تعالى ذكر في اول الاية انما المومنون ولفظة انما
تفيد الحصر يعني انما المومنون الذين هم كذا وكذا وذكر بعد ذلك اوصافا خمسة وهي الخوف
من الله والاخلاص لله والتوكل على الله والاتيان بالصلاة كما امر الله وايتا الزكاة كذلك
ثم قال بعد ذلك هم المومنون حقا يعني من اتى بمجموع هذه الاوصاف كان مومنا حقا
ولا يمكن لاحد ان يقطع بحصول هذه الصفات له فكان الاولى ان يقول انا مومن ان شا الله
قال ابن ابي نجيح سال رجل الحسن فقال امومن انت فقال الحسن ان كنت سالتني عن
الايمان بالله وملايكته وكتبه ورسله واليوم الاخر والجنة والنار والبعث والحساب
فانا بها مومن وان كنت سالتني عن قوله انما المومنون الذين اذا ذكر الله وجلت
قلوبهم الاية فلا ادري انا منهم ام لا قال علقمة كنا في سفر فلقينا قوما فقلنا من القوم
فقالوا نحن المومنون حقا فلم ندر ما نجيبهم حتى لقينا عبد الله بن مسعود فاخبرناه بما قالوا
قال فما رددتم عليهم قلنا لم نرد عليهم شيا قال هلا قلتم لهم امن اهل الجنة انتم ان المومنين
هم اهل الجنة وقال سفيان الثوري من زعم انه مومن حقا عند الله ثم لم يشهد انه في
الجنة فقد امن بنصف الاية دون النصف الاخر الوجه الرابع ان قلنا بقولنا انا
مومن ان شا الله للتبرك لا للشك فهو كقوله صلى الله عليه وسلم وانا ان شا الله بكم
لاحقون مع العلم القطعي انه لاحق باهل القبور الوجه الخامس ان المومن لا يكون
مومنا حقا الا اذا ختم له بالايمان ومات عليه وهذا لا يحصل الا عند الموت فلهذا
السبب حسن ان يقول انا مومن ان شا الله فالمراد يصرف هذا الاستثنا الى الخاتمة
واجاب اصحاب هذا القول وهم اصحاب الشافعي عن استدلال اصحاب ابي حنيفة
بقولهم ان المتحرك لا يجوز ان يقول انا متحرك ان شا الله ان الفرق بين وصف
الانسان بكونه مومنا وبين وصفه بكونه متحركا ان الايمان يتوقف حاله على الخاتمة
والحركة فعل يقيني فحصل الفرق بينهما والجواب عن الوجه الثاني وهو قولهم انه تعالى
قال اولئك هم المومنون حقا فقد حكم لهم بكونهم مومنين حقا انه تعالى حكم للموصوفين
بتلك الصفات المذكورة في الاية بكونهم مومنين حقا اذا اتوا بتلك الاوصاف

فربما حصل له بذلك عجب فاذا قال ان شا الله
زال ذلك العجب وحصل صح

الخمسة وبهذا لا يقدر عليه احد انه ياتى بتلك الاوصاف على الحقيقة ونحن نقول الصا
من اتى بتلك الاوصاف على الحقيقة كان مومنا حقا ولكن لا يقدر على ذلك احد الله اعلم
وقوله تعالى لهم درجات عند ربهم يعنى لهم مراتب بعضها اعلا من بعض لان المومنين
يتفاوتون احوالهم فى الاخذ بتلك الاوصاف المذكورة فلهذا تتفاوت مراتبهم
فى الجنة لان درجات الجنة على قدر الاعمال قال عطا درجات الجنة يرتقوا فيها
باعمالهم وقال الربيع بن انس سبعون درجة ما بين كل درجتين حضر الفرس
المضمر سبعين سنة وعن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فى
الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين مائة عام اخرجه الترمذى وله عن ابى سعيد
ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ان فى الجنة مائة درجة لو ان العالمين اجتمعوا فى احداهن
لوسعتهم ومغفرة يعنى ولهم مغفرة لذنوبهم ورزق كريم يعنى ما اعد لهم فى الجنة وصفه
بكونه كريما لان منافعه خالصة لهم دائمة عليهم مقرونة بالاكرام والتعظيم قوله تعالى
كما اخرجك ربك من بيتك بالحق اختلفوا فى هذه الكاف ما هو فقال المبرد تقديره
قل الانفال لله والرسول وان كرهوا كما اخرجك ربك من بيتك بالحق وان
كرهوا وقيل معناه امض لامر ربك فى الانفال وان كرهوا كما مضيت لامر ربك
فى الخروج من البيت لطلب العير وهم كارهون وقيل معناه فاتقوا الله واصلحوا
ذات بينكم فان ذلك خير لكم كما ان اخراج محمد صلى الله عليه وسلم من بيته بالحق
خير لكم وان كرهه فريق منكم وقيل هو راجع الى قوله لهم درجات عند ربهم تقديره
وعد الله المومنين بالدرجات حق حتى ينجزه الله تعالى كما اخرجك ربك من بيتك بالحق
وانجز الوعد بالنصر والظفر وقيل هى متعلقة بما بعدها تقديره كما اخرجك ربك
من بيتك بالحق على كره فريق منهم كذلك يكرهون القتال يجادلونك فيه
فقيل الكاف بمعنى على اى امض على الذى اخرجك ربك من بيتك فانه حق
وقيل الكاف بمعنى القسم تقديره والذى اخرجك من بيتك بالحق وجوابه
يجادلونك فى الحق وقيل الكاف بمعنى اذ تقديره واذكر يا محمد اذ اخرجك ربك
من بيتك بالحق وقيل المراد بهذا الاخراج اخراجه من مكة الى المدينة للهجرة
وقال جمهور المفسرين المراد بهذا الاخراج هو خروجه من المدينة الى بدر ومعناه
كما امرك ربك بالخروج من بيتك بالمدينة بالحق يعنى بالوحى لطلب المشركين
وان فريقا من المومنين لكارهون يعنى للقتال وانما كرهوه لقلة عددهم
وقلة سلاحهم وكثرة عدد عدوهم وكثرة سلاحهم يجادلونك فى الحق وذلك ان
المومنين لما تيقنوا بالقتال كرهوا ذلك وقالوا لم تعلمنا انا نلقى العدو و
نستعد لقتالهم وانما خرجنا لطلب العير فذلك جدالهم بعد ما تبين لهم
انك لا تصنع شيئا الا بامر ربك وتبين لهم صدقك فى الوعد كانما يساقون

الى الموت يعنى لشدة كراهيتهم القتال وهم ينظرون يعنى الى الموت شبه حالهم فى
فرط فزعهم بحال من يجر الى القتل ويساق الى الموت وهو ينظر اليه ويعلم انه
ميت قوله عز وجل واذ يعدكم الله احدى الطائفتين يعنى احدى الفرقتين فرقة
ابى سفيان مع العير وفرقة ابى جهل مع النفير انها لكم يعنى احدى الفرقتين
لكم قال ابن عباس وعروة بن الزبير ومحمد بن اسحاق والسدى اقبل ابو سفيان
من الشام فى عير قريش فى اربعين راكبا من كبار قريش منهم عمرو بن
العاص ومخرمة بن نوفل الزهرى ومعهم تجارة كثيرة وهى اللطيمة يريد اللطيمة الجمال
التى تحمل العطر والبز غير الميرة حتى اذا كانوا قريبا من بدر بلغ النبى صلى الله عليه وسلم
خبرهم فندب اصحابه اليهم فاخبرهم بكثرة المال وقلة العدو وقال هذه عير قريش
فيها اموالهم فاخرجوا اليها لعل الله ان ينفلكموها فانتدب الناس فخف بعضهم و
ثقل بعضهم وذلك انهم لم يظنوا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلقى حربا فلما سمع
ابو سفيان بمسير رسول الله صلى الله عليه وسلم استاجر ضمضم بن عمرو الغفارى فبعثه
الى مكة وامره ان ياتى قريشا يستنفرهم ويخبرهم ان محمدا فى اصحابه قد عرض لعيرهم فخرج ضمضم
سريعا الى مكة وكانت عاتكة بنت عبد المطلب قد رات رؤيا قبل قدوم ضمضم مكة بثلاث
ليال افزعتها فبعثت الى اخيها العباس بن عبد المطلب فقالت يا اخى والله لقد رايت
الليلة رؤيا افظعتنى وخشيت ان يدخل على قومك منها شر ومصيبة قال لها وما رايت
قالت رايت راكبا اقبل على بعير له حتى وقف بالابطح ثم صرخ باعلى صوته الا انفروا يا آل
غدر لمصارعكم فى ثلاث فارى الناس قد اجتمعوا اليه ثم دخل المسجد والناس يتبعونه
فبينما هم حوله مثل به بعيره على ظهر الكعبة فصرخ بمثلها باعلى صوته الا انفروا يا آل غدر
لمصارعكم فى ثلاث ثم مثل به بعيره على راس ابى قبيس فصرخ بمثلها ثم اخذ صخرة فارسلها
فاقبلت تهوى حتى اذا كانت باسفل الجبل ارفضت فما بقى بيت من بيوت مكة ولا دار
من دورها الا دخل منها فلقة فقال العباس والله ان هذه لرؤيا فاكتميها ولا تذكريها لاحد
ثم خرج العباس فلقى الوليد بن عتبة وكان صديقا للعباس فذكر رؤيا عاتكة له و
استكتمه اياها فذكرها الوليد لابيه عتبة ففشا الحديث حتى تحدثت به قريش بمكة قال
العباس فغدوت اطوف بالبيت وابو جهل بن هشام فى نفر من قريش يتحدثون برؤيا
عاتكة فغدوت لطوف فلما رانى ابو جهل قال يا ابا الفضل اذا فرغت من طوافك اقبل
الينا قال العباس فلما فرغت طوافى اقبلت اليهم جلست معهم فقال لى ابو جهل يا بنى عبد
المطلب متى حدثت هذه النبية فيكم قلت وما ذاك قال الرؤيا التى رات عاتكة قلت
وما رات قال يا بنى عبد المطلب اما رضيتم ان يتنبى رجالكم حتى تتنبا نساؤكم لقد زعمت
عاتكة فى رؤياها انه قال انفروا فى ثلاث فسنتربص بكم هذه الثلاث فان يك ما قلت
حقا فسيكون وان تمضى الثلاث ولم يكن من ذلك شئ نكتب عليكم كتابا انكم اكذب اهل بيت

في الحرب قال العباس فوالله ما كان مني اليه من كبير شيء الا اني جحدت ذلك وانكرت ان يكون
عاتكة رأت شيئا ثم تفرقنا فلما امسيت لم تبق امراة من بني عبد المطلب الا اتتني فقلن اقررتم
لهذا الفاسق الخبيث ان يقع في رجالكم حتى تناول النساء وانت تسمع ولم يكن عندك غيرة
لشيء مما سمعت قال قلت قد والله فعلت ما كان مني اليه من شيء وايم الله لاتعرضن له
فان عاد لاكفينه قال فغدوت في اليوم الثالث من رؤيا عاتكة وانا حديد مغضب
ارى اني قد فاتني شيء احب ان ادركه منه قال فدخلت المسجد فرأيته فوالله اني لامشي نحوه
اتعرضه ليعود لبعض ما قال فاقع به وكان ابو جهل رجلا خفيفا حديد الوجه حديد اللسان
حديد النظر اذ خرج نحو باب المسجد يشتد قال العباس فقلت في نفسي ماله لعنه الله اكل هذا
فرقا مني ان اشاتمه قال واذا هو قد سمع ما لم اسمع سمع صوت ضمضم بن عمرو وهو يصرخ
ببطن الوادي واقفا على بعيره وقد جدع بعيره وحول رحله وشق قميصه وهو يقول يا معشر
قريش اللطيمة اللطيمة هذه اموالكم مع ابي سفيان وقد عرض لها محمد في اصحابه ولا ارى ان
تدركوها الغوث الغوث قال فشغلني عنه وشغله عني ما جاء من الامر فتجهز الناس سراعا
ولم يتخلف من اشراف قريش احد الا ان ابا لهب قد تخلف وبعث مكانه العاص بن هشام
ابن المغيرة فلما اجتمعت قريش للمسير ذكرت الذي بينها وبين بني بكر بن عبد مناة من
كنانة من الحرب فقالوا نخشى ان يأتونا من خلفنا فكاد ذلك ان يثنيهم فتبدى لهم ابليس
في صورة سراقة بن مالك بن جعشم وكان من اشراف بني بكر فقال انا جار لكم من
ان تاتيكم كنانة من خلفكم بشيء تكرهونه فخرجت قريش سراعا وخرج رسول الله صلى
الله عليه وسلم في اصحابه لليال مضت من شهر رمضان حتى بلغ واديا يقال له ذفران
فاتاه الخبر عن مسير قريش ليمنعوا عن عيرهم فسار رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى
اذا كان بالروحاء اخذ عينا للقوم فاخبره بخبرهم وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم
عينا له من جهينة حليفا للانصار يدعى اريقط فاتاه بخبر القوم وسبقت العير
رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل جبريل عليه السلام وقال ان الله وعدكم احدى
الطائفتين انها لكم اما العير واما قريش وكانت العير احب اليهم فاستشار
رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابه في طلب العير وحرب النفير فقام ابو بكر
واحسن وقام عمر فقال واحسن ثم قام المقداد بن عمرو فقال يا رسول الله امض
لما امرك الله فنحن معك والله ما نقول كما قالت بنو اسرائيل لموسى اذهب
انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ولكن نقول اذهب انت وربك
فقاتلا انا معكما مقاتلون فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا الى برك الغماد يعني
مدينة الحبشة لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم
له خيرا ودعا له بخير ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشيروا علي ايها الناس وانما
يريد الانصار وذلك انهم عدد الناس وانهم حين بايعوه بالعقبة قالوا يا رسول

الله انا برآء من ذمامك حتى تصل الى دارنا فاذا وصلت الينا فانت في ذمامنا
نمنعك مما نمنع منه ابناءنا ونساءنا فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخوف ان
لا يكون الانصار ترى نصرته الا ممن دهمه بالمدينة من عدوه وان ليس عليهم
ان يسير بهم الى عدو من بلادهم فلما قال ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال له سعد بن معاذ والله لكانك تريدنا يا رسول الله قال اجل قال فقد امنا
بك وصدقناك وشهدنا ان ما جئت به هو الحق واعطيناك على ذلك عهودنا
ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض يا رسول الله لما اردت فوالذي بعثك
لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا احد وما نكره ان
تلقى بنا عدونا وعدوك ان الصبر عند الحرب صدق في اللقاء ولعل الله عز وجل
ان يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم
بقول سعد ونشطه ذلك فقال سيروا على بركة الله وابشروا فان الله عز وجل وعدنا
احدى الطائفتين والله لكاني انظر الى مصارع القوم م عن انس بن مالك ان عمر
ابن الخطاب حدثه عن اهل بدر قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يرينا مصارع
اهل بدر بالامس يقول هذا مصرع فلان غدا ان شاء الله تعالى وهذا مصرع فلان غدا
ان شاء الله تعالى قال عمر فوالذي بعثه بالحق ما اخطاوا الحدود التي حد لها رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال فجعلوا في بئر بعضهم على بعض فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم
حتى انتهى اليهم فقال يا فلان بن فلان ويا فلان بن فلان هل وجدتم ما وعدكم
الله ورسوله حقا فاني قد وجدت ما وعدني الله حقا فقال عمر يا رسول الله كيف
تكلم اجسادا لا ارواح فيها فقال ما انتم باسمع لما اقول منهم غير انهم لا يستطيعون
ان يردوا علي شيئا فذلك قوله تعالى واذ يعدكم الله احدى الطائفتين يعني طائفة
ابي سفيان مع العير وطائفة ابي جهل مع النفير وتودون اي وتريدون وتتمنون
ان غير ذات الشوكة تكون لكم يعني العير التي ليس فيها قتال
ولا شوكة تكون لكم والشوكة الشدة والقوة ويقال السلاح ويريد الله ان يحق
الحق اي يظهر الحق ويغلبه بكلماته يعني بامره اياكم بالقتال وقيل بعداته التي سبقت
لكم من اظهار الدين واعزازه ويقطع دابر الكافرين اي ويستاصلهم حتى لا يبقى منهم
احد ليحق الحق يعني ليثبت الاسلام ويبطل الباطل يعني وينفي الكفر ولو كره المجرمون
يعني المشركين وفي الاية سؤالان وهو ان قوله ويريد الله ان يحق الحق ثم قال بعده
ليحق الحق وهذا تكرار محض والجواب انه ليس فيه تكرار لان المراد بالاول تثبيت
ما وعد في هذه الواقعة من النصر والظفر بالاعداء والمراد بالثاني تقوية القرآن
والدين واظهار منار الشريعة لان الذي وقع يوم بدر من نصر المؤمنين مع قلتهم
وقهر الكافرين مع كثرتهم كان سببا لاعزاز الدين وقوته ولهذا السبب قرنه بقوله

ويبطل الباطل يعني الذي هو الشرك السوال الثاني الحق حق لذاته والباطل باطل لذاته فما المراد
من تحقيق الحق وابطال الباطل والجواب ان المراد من تحقيق الحق اظهار كون ذلك الباطل
باطلا وذلك باظهار دلايل الحق وتقويته وقمع روسا الباطل وقهرهم قوله عز وجل
اذ تستغيثون ربكم اي اذكر يا محمد اذ تستجيرون بربكم من عدوكم وتطلبون منه الغوث
والنصر وفي المستغيثين قولان احدهما انه رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون
معه قاله الازهري والقول الثاني انه رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده وانما ذكره
بلفظ الجمع على سبيل التعظيم له م عن ابن عباس قال حدثني عمر بن الخطاب قال لما كان
يوم بدر نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المشركين وهم الوف واصحابه ثلثمائة
وبضعة عشر رجلا فاستقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم القبلة ثم مد يديه فجعل
يهتف بربه يقول اللهم انجز لي ما وعدتني اللهم اتني ما وعدتني اللهم ان تهلك هذه
العصابة من اهل الاسلام لا تعبد في الارض فما زال يهتف بربه مادا يديه حتى سقط
رداه من منكبيه فاتاه ابو بكر فاخذ رداه فالقاه على منكبيه ثم التزمه
من ورايه وقال يا نبي الله كذاك كفاك مناشدتك ربك فانه سينجز لك ما وعدك فانزل
الله عز وجل اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم اني ممدكم بالف من الملائكة مردفين
فامده الله بالملائكة قال سماك فحدثني ابن عباس قال بينما رجل من المسلمين يومئذ
يشتد في اثر رجل من المشركين امامه اذ سمع ضربة بالسوط فوقه وصوت الفارس
يقول اقدم حيزوم اذ نظر الى المشرك امامه خر مستلقيا فنظر اليه فاذا قد خطم انفه
وشق وجهه كضربة السيف فاخضر ذلك اجمع فجا الانصاري فحدث بذلك
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال صدقت ذلك من مدد السما الثالثة فقتلوا
يومئذ سبعين واسروا سبعين وقوله تعالى فاستجاب لكم يعني فاجاب دعاكم
اني ممدكم اصله باني ممدكم اي مرسل اليكم مددا وردا لكم بالف من الملائكة مردفين
يعني يردف بعضهم بعضا بمعنى يتبع بعضهم بعضا روي انه نزل جبريل عليه السلام
في خمسمائة وميكائيل عليه السلام في خمسمائة في صور الرجال على خيل بلق عليهم
ثياب بيض وعمائم بيض قد ارخوها بين اكتافهم وروي ان النبي صلى الله
عليه وسلم لما ناشد ربه وقال ابو بكر ان الله منجز لك ما وعدك خفق رسول الله
صلى الله عليه وسلم خفقة وهو في العريش ثم انتبه فقال يا ابا بكر اتاك نصر الله
هذا جبريل اخذ بعنان فرس يقوده على ثناياه النقع خ عن ابن عباس ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال يوم بدر هذا جبريل اخذ براس فرسه عليه اداة الحرب
يعني الة الحرب قال ابن عباس كان سيما الملائكة يوم بدر عمائم بيض ويوم حنين
عمائم خضر فلم تقاتل الملائكة في يوم سوى يوم بدر من الايام وكانوا يكونون
فيما سواه عددا ومددا وروي عن ابي اسيد بن مالك بن ربيعة وكان قد
شهد بدرا انه قال بعد ما ذهب بصره لو كنت معكم اليوم ببدر ومعي بصري

لأريتكم

لأريتكم الشعب الذي خرجت منه الملائكة وقد تقدم الكلام في سورة ال عمران هل قاتلت
الملائكة ام لا والصحيح انهم قاتلوا يوم بدر لما تقدم من حديث ابن عباس في الذي ضربه
بالسوط فخطم انفه وشق وجهه وكانوا فيما سوى يوم بدر مددا وعونا وقيل انهم
لم يقاتلوا وانما نزلوا ليكثروا سواد المسلمين ويثبتوهم ويدل عليه قوله تعالى وما جعله الله
الا بشرى يعني وما جعل الله الارداف بالملائكة الا بشرى ولتطمئن به قلوبكم وهذا
يقتضي انهم انما نزلوا لاجل ذلك لا للقتال والصحيح هو الاول وانهم قاتلوا يوم بدر ولم
يقاتلوا فيما سواه من الايام وقوله تعالى وما النصر الا من عند الله يعني ان الله هو
ينصركم ايها المومنون فثقوا بنصره ولا تتكلوا على قوتكم وشدة باسكم وفيه تنبيه على
ان الواجب على العبد المسلم ان لا يتوكل الا على الله في جميع احواله ولا يثق بغيره فان
الله تعالى بيده النصر والاعانة ان الله عزيز يعني انه تعالى قوي منيع لا يقهره شي ولا يغلبه
غالب بل هو يقهر كل شي ويغلبه حكيم يعني في تدبيره ونصره ينصر من يشا ويخذل
من يشا من عباده قوله تعالى اذ يغشاكم النعاس امنة منه اي واذكروا اذ يلقي عليكم
النعاس وهو النوم الخفيف امنة اي امانا من الله لكم من عدوكم ان يغلبكم قال
عبد الله بن مسعود النعاس في القتال امنة من الله وفي الصلاة من الشيطان والفايدة
في كون النعاس امنة في القتال ان الخايف على نفسه لا ياخذه النوم فصار حصول
النوم وقت الخوف الشديد دليلا على الامن وازالة الخوف وقيل انهم لما خافوا على انفسهم
لكثرة عدوهم وعددهم وقلة المسلمين وقلة عددهم وعطشوا عطشا شديدا القى
عليهم النوم حتى حصلت لهم الراحة وزال عنهم الكلال والعطش وتمكنوا من قتال
عدوهم وكان ذلك النوم نعمة في حقهم لانه كان خفيفا بحيث لو قصدهم العدو
لعرفوا وصوله اليهم وقدروا على دفعه عنهم وقيل في كون هذا النوم كان امنة من الله
انه وقع عليهم النعاس دفعة واحدة فناموا كلهم مع كثرتهم وحصول النعاس
لهذا الجمع العظيم مع وجود الخوف الشديد امر خارج عن العادة ولهذا السبب قيل
ان ذلك النعاس كان في حكم المعجزة لانه امر خارق للعادة قوله تعالى وينزل
عليكم من السما ما يعني المطر ليطهركم به وذلك ان المسلمين نزلوا يوم بدر على كثيب
رمل اعفر تسوخ فيه الاقدام وحوافر الدواب وكان المشركون قد سبقوهم الى ما بدر
ونزلوا عليه واصبح المسلمون على غير ما وبعضهم محدث وبعضهم جنب واصابهم العطش
فوسوس اليهم الشيطان وقال تزعمون انكم على الحق وفيكم نبي الله وانتم اوليا الله وقد غلبكم
المشركون على الما وانتم تصلون محدثين ومجنبين فكيف ترجون ان تظهروا على عدوكم
فانزل الله مطرا سال منه الوادي فشرب منه المومنون واغتسلوا وتوضوا وسقوا الركاب
وملاوا الاسقية واطفا الغبار ولبد الارض حتى ثبت عليها الاقدام وزالت عنهم
وسوسة الشيطان وطابت انفسهم وعظمت النعمة من الله عليهم بذلك وكان دليلا على حصول

النصر والظفر فذلك قوله تعالى وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به يعني من الاحداث والجنابة ويذهب عنكم رجز الشيطان يعني وسوسته التي القاها في قلوبكم وليربط على قلوبكم يعني بالصبر واليقين والربط في اللغة الشد وكل من صبر على امر فقد ربط نفسه عليه قال الواحدي ويشبه ان يكون لفظة على صلة والمعنى وليربط قلوبكم بالصبر وما اوقع فيها من اليقين (يعني حج) وقيل ان لفظة على ليست بصلة لانها تفيد الاستعلاء فيكون المعنى ان القلوب امتلأت من ذلك الربط حتى كانه علا عليها وارتفع فوقها ويثبت به الاقدام يعني ان ذلك المطر لبد الارض وقوى الرمل حتى ثبتت عليه الاقدام وحوافر الدواب وقيل المراد به تثبيت الاقدام بالصبر وقوة القلب لان من يكون ضعيف القلب لا يثبت قدمه بل يفر ويهرب عند اللقاء وقوله تعالى اذ يوحي ربك الى الملائكة اني معكم يعني ان الله تعالى اوحى الى الملائكة الذين امد بهم النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه اني معكم بالنصر والمعونة فثبتوا الذين امنوا اي قووا قلوبهم واختلفوا في كيفية هذه التقوية والتثبيت فقيل كما ان للشيطان قوة في القاء الوسوسة في قلب ابن ادم بالشر فكذلك للملك قوة في القاء الالهام في قلب ابن ادم بالخير ويسمى ما يلقي الشيطان وسوسة وما يلقي الملك لمة والهاما فهذا هو التثبيت وقيل ان ذلك التثبيت هو حضورهم معهم القتال ومعونتهم لهم اي ثبتوهم بقتالكم معهم للمشركين وقيل معناه بشروهم بالنصر والظفر فكان الملك يمشي في صورة رجل امام الصف ويقول ابشروا فان الله ناصركم عليهم سالقي في قلوب الذين كفروا الرعب يعني الخوف وكان ذلك نعمة من الله على المؤمنين حيث القى الرعب والخوف في قلوب الكافرين فاضربوا فوق الاعناق قيل هو خطاب مع المؤمنين فيكون منقطع (عن ما قبله حج) وقيل هو خطاب مع الملائكة فيكون متصلا بما قبله قال ابن الانباري ما كانت الملائكة تعرف تقاتل بني ادم فعلمهم الله ذلك بقوله فاضربوا فوق الاعناق قال عكرمة يعني الرؤس لانها فوق الاعناق وقال الضحاك فاضربوا فوق الاعناق وفوقه صلة وقيل معناه فاضربوا على الاعناق فيكون فوق بمعنى على واضربوا منهم كل بنان يعني كل مفصل وقال ابن عباس يعني الاطراف وهو جمع بنانة وهي اطراف اصابع اليدين سميت بذلك لان بها اصلاح الاحوال التي يمكن الانسان ان يبين ما يريد ان يعمل بيديه وانما خصت بالذكر من دون ساير الاطراف لاجل ان الانسان بها يقاتل وبها يمسك السلاح في الحرب وقيل انه تعالى امرهم بضرب اعلى الجسد وهو الراس وهو اشرف الاعضاء وبضرب البنان وهو اضعف الاعضاء فيدخل في ذلك كل عضو في الجسد وقيل امرهم بضرب الراس وفيه هلاك الانسان وبضرب البنان وفيه تعطيل حركة الانسان عن الحرب لان بالبنان يتمكن من مسك السلاح وحمله والضرب به فاذا قطع بنانه تعطل عن ذلك روي عن ابي داود المازني وكان شهد بدرا قال اني لاتبع رجلا من المشركين لاضربه اذ وقع راسه قبل ان يصل اليه سيفي فعرفت انه قد قتله غيري وعن

سهل بن

سهل بن حنيف قال لقد رايتنا يوم بدر وان احدنا ليشير بسيفه الى المشرك فيقع راسه عن جسده قبل ان يصل اليه السيف وروى عكرمة عن ابي رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كنت غلاما للعباس بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان الاسلام قد دخل علينا اهل البيت فاسلمت ام الفضل واسلمت وكان العباس يهاب قومه ويكره خلافهم وكان يكتم اسلامه وكان ذا مال كثير متفرق في قومه وكان عدو الله ابو لهب قد تخلف عن بدر وبعث مكانه العاص بن هشام بن المغيرة فلما جاء الخبر عن مقتل اصحاب بدر كبته الله واخزاه ووجدنا في انفسنا قوة وعزا قال ابو رافع وكنت رجلا ضعيفا وكنت اعمل القداح وانحتها في حجرة زمزم فوالله اني لجالس انحت القداح وعندي ام الفضل جالسة اذ اقبل الفاسق ابو لهب يجر رجليه حتى جلس على طنب الحجرة وكان ظهره الى ظهري فبينما هو جالس اذ قال الناس هذا ابو سفيان بن حرب بن عبد المطلب قد قدم فقال ابو لهب الي يا ابن اخي فعندك الخبر اليقين فجلس اليه والناس قيام عليه فقال ابو لهب يا ابن اخي اخبرني كيف كانت احوال الناس قال لا شيء والله ان كان الا ان لقيناهم فمنحناهم اكتافنا يقتلوننا ويأسروننا كيف شاؤوا وايم الله ما لمت الناس لقينا رجالا بيضا على خيل بلق بين السماء والارض والله ما تليق كذا شيا ولا يقوم لها شيء قال ابو رافع فرفعت طرف الحجرة بيدي ثم قلت تلك والله الملائكة فرفع ابو لهب يده وضرب وجهي ضربة شديدة فثاورته فاحتملني فضرب بي الارض ثم برك على صدري وكنت رجلا ضعيفا فقامت الى ام الفضل بعمود من عمد الحجرة فضربته به ضربة فلقت راسه شجة منكرة وقالت تستضعفه ان غاب عنه سيده فقام موليا ذليلا فوالله ما عاش الا سبع ليال حتى رماه الله بالعدسة فقتله وروى مقسم عن ابن عباس قال كان الذي اسر العباس ابو اليسر كعب بن عمرو اخو بني سلمة وكان ابو اليسر رجلا مجموعا وكان العباس رجلا جسيما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي اليسر كيف اسرت العباس قال يا رسول الله لقد اعانني عليه رجل ما رايته قبل ذلك ولا بعده هيئته كذا وكذا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد اعانك عليه ملك كريم وكانت وقعة بدر في صبيحة يوم الجمعة السابع عشر من رمضان في السنة الثانية من الهجرة النبوية وقوله تعالى ذلك يعني الذي وقع من القتل والاسر يوم بدر بانهم شاقوا الله ورسوله يعني بانهم خالفوا الله ورسوله والمشاقة المخالفة واصلها المجانبة كانهم صاروا في شق وجانب عن شق المؤمنين وجانبهم وهذا مجاز معناه انهم شاقوا اولياء الله وهم المؤمنون او شاقوا دين الله ثم قال الله تعالى ومن يشاقق الله ورسوله فان الله شديد العقاب يعني الذي

نزل بهم في ذلك اليوم من القتل والاسر شيء قليل فيما اعد الله لهم من العقاب يوم القيامة
ثم قال الله تعالى ذلكم اشارة الى القتل والاسر الذي نزل بهم فذوقوه يعني عاجلا في الدنيا
لان ذلك يسير بالاضافة الى المؤجل الذي اعد الله لهم في الآخرة من العذاب وهو قوله
وان للكافرين عذاب النار يعني في الآخرة عن ابن عباس قال لما فرغ رسول الله صلى
الله عليه وسلم من بدر قيل له عليك العير ليس دونها شيء قال فناداه العباس من
وثاقه لا يصلح لك لان الله وعدك احدى الطائفتين وقد اعطاك الله ما وعدك
قال صدقت اخرجه الترمذي وقال حديث حسن قوله عز وجل يا ايها الذين آمنوا اذا لقيتم
الذين كفروا زحفا يعني مجتمعين متزاحفين بعضهم الى بعض والتزاحف التداني
في القتال واصل الزحف مشي مع جر الرجل كانبعاث الصبي قبل ان يمشي وسمي مشي الطائفتين
بعضهم الى بعض في القتال زحفا لانه يمشي كل طائفة الى صاحبها مشيا رويدا وذلك قبل التداني
للقتال وقال تغلب الزحف المشي قليلا قليلا الى الشيء فلا تولوهم الادبار يعني فلا تولوا ظهوركم
منهزمين منهم فان المنهزم يولي ظهره ودبره ومن يولهم يومئذ دبره يعني ومن ينهزم ويولي
دبره يوم الحرب والقتال الا متحرفا لقتال يعني الا منعطفا الى القتال يرى عدوه من نفسه
الانهزام وقصده طلب الكرة على العدو والعود اليه وهذا احد ابواب الحرب وخدعها ومكايدها
او متحيزا الى فئة يعني او منضما وصائرا الى جماعة من المؤمنين يريدون العود الى القتال فقد
باء بغضب من الله يعني من انهزم من المسلمين وقت الحرب الا في هاتين الحالتين وهي التحرف
للقتال والتحيز الى فئة من المسلمين فقد رجع بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير
فصل في حكم هذه الاية اختلف العلماء في ذلك فقال ابو سعيد الخدري هذا في اهل بدر
خاصة لانه ما كان يجوز لهم الانهزام يوم بدر لان النبي صلى الله عليه وسلم كان معهم
ولم يكن لهم فئة يتحيزون اليها دون النبي صلى الله عليه وسلم ولو انحازوا انحازوا الى المشركين
ولانها اول غزاة غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه والمسلمون معه فشدد الله عليهم
امر الانهزام وحرمه عليهم يوم بدر فاما بعد ذلك اليوم فان المسلمين بعضهم فئة لبعض
فيكون الفار متحيزا الى فئة فلا يكون فراره كبيرة وهذا قول الحسن وقتادة والضحاك وقال
يزيد بن حبيب اوجب الله النار لمن فر يوم بدر فلما كان يوم احد قال تعالى انما استزلهم
الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم ثم كان يوم حنين بعده فقال تعالى ثم وليتم مدبرين
ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء وقال عبد الله بن عمر كنا في جيش بعثنا رسول الله
صلى الله عليه وسلم فحاص الناس حيصة فانهزمنا فقلنا يا رسول الله نحن الفارون قال
لا بل انتم العكارون انا فئة المسلمين قوله فحاص الناس حيصة يعني جالوا جولة
يطلبون الفرار من العدو والحيص الهرب وقال محمد بن سيرين لما قتل ابو عبيدة
جاء الخبر الى عمر بن الخطاب فقال لو انحاز الي كنت له فئة انا فئة كل مسلم وقال بعضهم
حكم الاية عام في حق كل من ولى ظهره منهزما بدليل ان قوله يا ايها الذين آمنوا

هذا خطاب عام فيتناول جميع الصور وان كانت الاية نزلت في غزاة بدر لكن العبرة
بعموم اللفظ لا بخصوص السبب وجاء في الحديث من الكبائر الفرار من الزحف وقال
عطاء بن ابي رباح هذه الاية منسوخة بقوله الآن خفف الله عنكم فليس لقوم ان
يفروا من مثليهم فنسخت بذلك الا في هذه العدة وعلى هذا اكثر اهل العلم ان
المسلمين اذا كانوا على الشطر من عدوهم لا يجوز لهم ان يفروا منهم ويولوهم ظهورهم
وان كان العدو اكثر من مثليهم جاز لهم ان يفروا منه قال ابن عباس من فر
من ثلاثة لم يفر ومن فر من اثنين فقد فر قوله تعالى فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم قال
مجاهد سبب نزول هذه الاية انهم لما انصرفوا عن قتال اهل بدر كان الرجل يقول
انا قتلت فلانا ويقول الآخر انا قتلت فلانا فنزلت هذه الاية ومعناه فلم تقتلوهم
بقوتكم ولكن الله قتلهم يعني بنصره اياكم وتقويته عليهم وقيل معناه ولكن الله قتلهم
بامداده اياكم بالملائكة قال الزمخشري الفاء في قوله فلم تقتلوهم جواب شرط محذوف
تقديره وان افتخرتم بقتلهم فلم تقتلوهم انتم ولكن الله قتلهم وما رميت اذ رميت ولكن
الله رمى قال اهل التفسير والمغازي لما ندب رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس فانطلقوا
حتى نزلوا بدرا وردت عليهم روايا قريش وفيهم اسلم غلام اسود لبني الحجاج وابو يسار
غلام لبني العاص بن سعيد فاخذوهما واتوا بهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهما
رسول الله صلى الله عليه وسلم اين قريش قالا هم وراء الكثيب الذي ترى بالعدوة القصوى
والكثيب العقنقل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كم القوم قالا كثير قال ما عددهم
قالا لا ندري قال كم ينحرون كل يوم قالا يوما عشرة ويوما تسعة فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم القوم ما بين التسعمائة الى الالف ثم قال لهما من فيهم من اشراف قريش
قالا عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وابو البختري بن هشام وحكيم بن حزام والحارث
ابن عامر وطعيمة بن عدي والنضر بن الحارث وابو جهل بن هشام وامية بن خلف
ونبيه ومنبه ابنا الحجاج وسهيل بن عمرو فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه مكة قد
القت اليكم افلاذ كبدها فلما اقبلت قريش ورآها رسول الله صلى الله عليه وسلم تصوب من
العقنقل وهو الكثيب الرمل وجاءوا الى الوادي قال اللهم هذه قريش قد اقبلت بخيلائها
وفخرها تحادك وتكذب رسولك اللهم فنصرك الذي وعدتني فاتاه جبريل عليه السلام وقال
خذ قبضة من تراب فارمهم بها فلما التقى الجمعان تناول رسول الله صلى الله عليه وسلم كفا
من الحصباء عليه تراب فرمى بها في وجوه القوم وقال شاهت الوجوه يعني قبحت الوجوه
فلم يبق مشرك الا دخل في عينيه وفمه ومنخريه من ذلك التراب شيء فانهزموا وتبعهم
المؤمنون يقتلونهم ويأسرونهم وقال قتادة وابن زيد ذكر لنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
اخذ يوم بدر ثلاث حصيات فرمى بحصاة في ميمنة القوم وبحصاة في ميسرة القوم وبحصاة
بين اظهرهم وقال شاهت الوجوه فانهزموا فذلك قوله عز وجل وما رميت اذ رميت

ولكن الله رمى اذ ليس في وسع احد من البشر ان يرمي كفا من حصى في وجوه جيش فلا
يبقى منهم عين الا وقد دخل فيها من ذلك شي فصورة الرمي صدرت من رسول الله
صلى الله عليه وسلم وتاثيرها صدر من الله عز وجل فلهذا المعنى صح النفي والاثبات وقيل
في معنى الاية وما بلغت اذ رميت ولكن الله بلغ رميك وقيل وما رميت بالرعب
في قلوبهم اذ رميت بحصياتك ولكن الله رمى بالرعب في قلوبهم حين انهزموا وليبلي
المؤمنين منهم بلاء حسنا يعني ولينعم على المؤمنين نعمة عظيمة بالنصر والغنيمة والاجر والثواب
وهذا اجماع المفسرين ان البلاء هاهنا يعني النعمة ان الله سميع يعني لدعائكم عليم باحوالكم
وقوله تعالى ذلكم يعني الذي ذكرت من امر القتل والرمي والبلاء الحسن من الظفر بهم والنصر
عليهم فعلنا ذلك الذي فعلنا وان الله يعني واعلموا ان الله مع ذلك موهن اي
مضعف كيد الكافرين يعني مكرهم وكيدهم قوله عز وجل ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح
هذا خطاب للمشركين الذين قاتلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر وذلك ان
اباجهل قال يوم بدر لما التقى الجمعان قال اللهم ان كان الحق يعني نفسه ومحمدا صلى الله عليه
وسلم قاطعا للرحم فاحنه اليوم وقيل انه قال اللهم ايّن كان خيرا عندك فانصره وقيل قال
اللهم انصر اهدى الفئتين وخير الفريقين وافضل الجمعين اللهم من كان افجر واقطع
للرحم فاحنه اليوم فانزل الله عز وجل ان تستفتحوا يعني الآية ان تستحكموا الله على اقطع
الحزبين للرحم واظلم الفئتين فينصر المظلوم على الظالم فقد جاءكم الفتح يعني جاءكم حكم
بنصرة المظلوم على الظالم والمحق على المبطل والمقطوع على القاطع (ق) عن عبد الرحمن
ابن عوف قال اني لواقف في الصف يوم بدر فنظرت عن يميني وعن شمالي فاذا انا بغلامين
من الانصار حديثة اسنانهما فتمنيت ان اكون بين اضلع منهما فغمزني احدهما فقال اي
عم هل تعرف اباجهل فقلت نعم فما حاجتك اليه يا ابن اخي قال اخبرت انه يسب رسول الله
صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لئن رايته لا يفارق سوادي سواده حتى يموت الاعجل منا
فتعجبت لذلك قال وغمزني الآخر فقال لي مثلها فلم البث ان نظرت الى ابي جهل يجول
في الناس فقلت الا تريان هذا صاحبكما الذي تسئلاني عنه قال فابتدراه بسيفيهما
فضرباه حتى قتلاه ثم انصرفا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبراه فقال ايكما قتله
فقال كل واحد منهما انا قتلته فقال هل مسحتما سيفيكما فقالا لا فنظر رسول الله صلى الله
عليه وسلم الى السيفين فقال كلاكما قتله وقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم بسلبه لمعاذ بن عمرو
ابن الجموح معاذ بن عمرو (ق) عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من ينظر لنا ما صنع ابوجهل فانطلق ابن مسعود فوجده قد ضربه ابنا عفراء حتى برد قال فاخذ
بلحيته فقال انت ابوجهل وفي كتاب البخاري انت اباجهل هكذا قاله انس فقال وهل
فوق رجل قتلتموه او قال قتله قومه وفي رواية فقال ابوجهل فلو غير اكار قتلني عن عبد الله
ابن مسعود قال مررت فاذا ابوجهل صريع قد ضربت رجله فقلت يا عدو الله يا اباجهل

قد اخزى الله

قد اخزى الله الآخر قال ولا اهابه عند ذلك فقال ابعد من رجل قتله قومه فضربته
بسيف غير طائل فلم يغن شيئا حتى سقط سيفه من يده فضربته حتى برد اخرجه ابوداود واخرجه
البخاري مختصرا قال انه اتى اباجهل يوم بدر وفيه رمق فقال هل اعمد من رجل قتلتموه وقال
عكرمة قال المشركون والله ما نعرف ما جاء به محمد فافتح بيننا وبينه بالحق فانزل الله عز وجل
ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح يعني ان تستقضوا فقد جاءكم القضاء وقال السدي والكلبي كان
المشركون لما خرجوا الى النبي صلى الله عليه وسلم من مكة اخذوا باستار الكعبة وقالوا اللهم انصر
اعلى الجندين واهدى الفئتين واكرم الحزبين وافضل الدينين ففيه نزلت ان تستفتحوا فقد
جاءكم الفتح يعني ان تستنصروا فقد جاءكم النصر وهم على ما سالوه فكان النصر لاهل القبلتين وهم اصحاب
محمد صلى الله عليه وسلم وقال محمد بن اسحاق حدثني عبد الله بن ابي بكر قال قال معاذ بن عمرو بن
الجموح لما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من عدوه امر بابي جهل بن هشام ان يلتمس في القتلى
وقال اللهم لا يعجزك فلما سمعتها جعلته من شاني فعمدت نحوه فضربته ضربة طرحت قدمه بنصف
ساقه قال وضربني ابنه عكرمة على عاتقي فطرح يدي فتعلقت بجلدة من جنبي واجهضني القتال
عنه فلقد قاتلت عامة يومي واني لاسحبها خلفي فلما اذتني جعلت عليها قدمي ثم تمطيت
بها حتى طرحتها ثم مر بابي جهل وهو عقير معوذ بن عفراء فضربه حتى اثبته وتركه وبه رمق فمر به
عبد الله بن مسعود قال عبد الله وجدته باخر رمق فعرفته فوضعت رجلي على عنقه فقلت
هل اخزاك الله يا عدو الله قال بماذا اخزاني اعمد من رجل قتلتموه اخبرني لمن الدائرة قلت
لله ولرسوله روي عن ابن مسعود انه قال لي ابوجهل لقد ارتقيت يا رويعي مرتقا صعبا
ثم احتززت راسه ثم جئت به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله هذا
راس عدو الله ابي جهل فقال الله الذي لا اله غيره فقلت نعم والله الذي لا اله
غيره ثم القيته بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فحمد الله وقال ابي بن كعب
هذا خطاب لاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل للمسلمين ان تستفتحوا
اي تستنصروا فقد جاءكم النصر (خ) عن خباب بن الارت قال شكونا الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة فقلنا الا تستنصر لنا الا تدعو لنا
فقال قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الارض فيجعل فيها ثم يؤتى بالمنشار
فيوضع على راسه فيجعل نصفين ويمشط بامشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه
ما يصده ذلك عن دينه والله ليتمن هذا الامر حتى يسير الراكب من صنعاء الى
حضرموت لا يخاف الا الله والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون قلت اسند البغوي
هذا الحديث على ما فسره ابي بن كعب الاية وفيه نظر لان هذه الواقعة المذكورة
في الحديث كانت بمكة والاية مدنية فلا تعلق للحديث بتفسير الاية والله اعلم ولكن
النبي صلى الله عليه وسلم لما دعى الله ببدر وسأله انجاز ما وعده من احدى الطائفتين
والح في الدعاء والمسئلة حتى سقط رداه قال الله تعالى مجيبا له ان تستفتحوا يعني تطلبوا

النصر وانجاز ما وعدكم به فقد جاكم الفتح يعني فقد حصل لكم ما طلبتم فاشكروا الله على ما انتم به
عليكم من اجابة دعائكم وانجاز ما وعدكم وهذا القول اولى لان قوله فقد جاكم لا يليق الا
بالمومنين هذا اذا فسرنا الفتح بالنصر والظفر على الاعدا اما اذا فسرنا بالقضا والحكم لم يمتنع ان
يراد به الكفار اما قوله تعالى وان تنتهوا فهو خير لكم هذا خطاب للكفار يعني وان تنتهوا عن قتال
محمد صلى الله عليه وسلم وعن تكذيبه فهو خير لكم في الدين والدنيا اما في الدين بان تومنوا به
وتكفوا عنه فيحصل لكم بذلك الفوز بالثواب والخلاص من العقاب واما في الدنيا فهو الخلاص
من القتل والاسر وان تعودوا نعد يعني وان تعودوا لقتال محمد صلى الله عليه وسلم نعد بتسليطه
عليكم ونصره عليكم ولن تغني عنكم فئتكم يعني جماعتكم وان الله مع المومنين يعني بالنصر
لهم عليكم يا معشر الكفار قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله ورسوله يعني في امر
الجهاد لان فيه بذل المال والنفس ولا تولوا عنه يعني عن الرسول صلى الله عليه وسلم
لان التولي لا يصح الا في حق الرسول صلى الله عليه وسلم لا في حق الله والمعنى لا تعرضوا
عنه وعن معونته ونصرته في الجهاد وانتم تسمعون يعني القران تتلى عليكم ولا تكونوا
كالذين قالوا بالسنتهم سمعنا وهم لا يسمعون يعني وهم لا يتعظون ولا ينتفعون لما
سمعوا من القران والمواعظ وهذه صفة المنافقين ان شر الدواب عند الله يعني ان
شر من دب على وجه الارض من خلق الله عند الله الصم عن سماع الحق البكم عن النطق
به فلا يقولونه الذين لا يعقلون يعني لا يفهمون عن الله امره ونهيه ولا يقبلونه
وانما سماهم دواب لقلة انتفاعهم بعقولهم قال ابن عباس نفر من بني عبد الدار بن قصي
كانوا يقولون نحن صم بكم عمي عما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم فقتلوا جميعا يوم احد وكانوا
اصحاب اللوا ولم يسلم منهم الا رجلان مصعب بن عمير وسويبط بن حرملة ولو علم
الله فيهم خيرا لاسمعهم يعني سماع تفهم وانتفاع وقبول للحق ومعنى ولو علم الله قال
الامام فخر الدين ان كان ما كان حاصلا فيجب ان يعلمه الله فعدم علم الله بوجوده
من لوازم عدمه فلا جرم حسن التعبير عن عدمه في نفسه بعدم علم الله بوجوده
وتقدير الكلام لو حصل فيهم خير لاسمعهم الله الحجج والمواعظ سماع تعليم وتفهيم
ولو اسمعهم يعني بعد ان علم ان لا خير فيهم لم ينتفعوا بما يسمعوا من المواعظ
والدلايل لقوله تعالى لتولوا وهم معرضون يعني ولتولوا عن سماع الحق وهم معرضون
عنه لعنادهم وجحودهم الحق بعد ظهوره وقيل انهم كانوا يقولون للنبي صلى الله عليه
وسلم احيي لنا قصيا فانه كان شيخا مباركا حتى يشهد لك بالنبوة فنومن لك فقال
الله تعالى ولو احيى لهم قصيا وسمعوا كلامه لتولوا عنه وهم معرضون قوله عز وجل يا ايها
الذين امنوا استجيبوا لله وللرسول يعني اجيبوهما بالطاعة والانقياد لامرهما
اذا دعاكم يعني الرسول صلى الله عليه وسلم وانما وحد الضمير في قوله اذا دعاكم لان
استجابة الرسول صلى الله عليه وسلم استجابة لله تعالى وانما يذكر احدهما مع الاخر للتوكيد واستدل

اكثر الفقها

اكثر الفقها بهذه الاية على ان ظاهر الامر للوجوب لان كل من امره الله ورسوله
صلى الله عليه وسلم بفعل فقد دعاه الله وهذه الاية تدل على انه لا بد من الاجابة في كل ما دعا
الله ورسوله خ عن ابي سعيد بن المعلى قال كنت اصلي في المسجد فدعاني رسول الله صلى الله
عليه وسلم فلم اجبه ثم اتيته فقلت يا رسول الله اني كنت اصلي فقال الم يقل الله استجيبوا
لله وللرسول اذا دعاكم ثم ذكر الحديث عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
خرج على ابي بن كعب وهو يصلي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابي فالتفت
ابي فلم يجبه وصلى ابي وخفف ثم انصرف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
السلام عليك يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليك السلام ما منعك
يا ابي ان تجيبني اذ دعوتك فقال يا رسول الله اني كنت في الصلاة قال افلم تجد فيما
اوحى الله الي ان استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم قال بلى ولا اعود ان شاء الله
وذكر الحديث اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح فقيل هذه الاجابة مختصة بالنبي صلى اخرجه
الله عليه وسلم ومعنى هذا انه ليس لاحد ان يقطع صلاته لدعاء احد وقيل لو دعاه لامر مهم
لا يحتمل التاخير فله ان يقطع صلاته وقوله تعالى لما يحييكم يعني اذا دعاكم الى ما فيه حياتكم
قال السدي هو الايمان لان الكافر ميت فيحيى بالايمان وقال قتادة هو القران
لانه حياة القلوب وفيه النجاة والعصمة في الدارين وقال مجاهد هو الحق وقال محمد
بن اسحاق هو الجهاد لان الله اعزه به بعد الذل وقيل هي الشهادة لان الشهدا احيا
عند ربهم يرزقون واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه قال ابن عباس يحول بين المومن
وبين الكفر ومعاصي الله ويحول بين الكافر وبين الايمان وطاعة الله وهذا قول
سعيد بن جبير والضحاك ومجاهد وقال السدي يحول بين الانسان وقلبه فلا يستطيع
ان يومن او يكفر الا باذنه وقد دلت البراهين العقلية على هذا القول لان احوال
القلوب اعتقادات ودواعي وتلك الاعتقادات والدواعي لا بد ان تتقدمها الارادة وتلك
الارادة لا بد لها من فاعل مختار وهو الله تعالى فثبت بذلك ان المتصرف في القلب
كيف شا هو الله تعالى م عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول ان قلوب بني ادم بين اصبعين من اصابع الرحمن كقلب
واحد يصرفه حيث شا ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم مصرف القلوب
ثبت قلوبنا على طاعتك عن انس بن مالك قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يكثر ان يقول يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك فقلنا يا رسول الله قد امنا
بك وبما جيت به فهل تخاف علينا قال نعم ان القلوب بين اصبعين من اصابع
الرحمن يقلبها كيف شا اخرجه الترمذي وهذا احد حديث من احاديث الصفات
فيجب على المرء المسلم ان يمره على ما جا مع الاعتقاد الجازم بتنزيه الله عز وجل يحول بين المرء
وقلبه حتى لا يدري ما يصنع ولا يعقل شيا وقيل ان القوم لما دعوا الى القتال والجهاد

وكانوا في غاية الضعف والقلة خافت قلوبهم وضاقت صدورهم فقيل لهم قاتلوا
في سبيل الله واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه فيبدل الخوف امنا والجبن جراة
وقوله تعالى وانه اليه تحشرون يعني في الاخرة فيجزي كل عامل بعمله فيثيب المحسن و
يعاقب العاصي قوله تعالى واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة لما اخبر الله
عز وجل انه يحول بين المرء وقلبه حذر من وقوع الفتن والمحن واحذروا فتنة ان نزلت
بكم لم تقتصر على الظالم خاصة بل تتعدى اليكم جميعا وتصل الى الصالح والطالح واراد
بالفتنة الابتلاء والاختبار وقيل تقديره واتقوا فتنة وان لم تتقوها اصابتكم جميعا الظالم
وغير الظالم قال الحسن نزلت هذه الاية في علي وعمار وطلحة والزبير وقال الزبير لقد قرانا
هذه الاية زمانا وما ارانا من اهلها فاذا نحن المعنيون بها يعني ما كان منهم في يوم الجمل
وقال السدي ومقاتل والضحاك وقتادة هذا في قوم مخصوصين من اصحاب محمد صلى الله
عليه وسلم اصابتهم الفتنة يوم الجمل وقال ابن عباس امر الله عز وجل المومنين ان لا يقروا
المنكر بين اظهرهم فيعمهم الله بالعذاب فيصيب الظالم وغير الظالم روى البغوي
بسنده عن عدي بن عدي الكندي قال حدثني مولى لنا انه سمع جدي يقول سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله لا يعذب العامة بعمل الخاصة ولكن يعذب الخاصة
بعمل العامة حتى يروا المنكر بين ظهرانيهم وهم قادرون على ان ينكروه فلا ينكروه فاذا
فعلوا ذلك عذب الله العامة والخاصة والذي ذكره ابن الاثير في جامع الاصول
عن عرس بن عميرة الكندي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا عملت الخطيئة في الارض
كان من شهدها فانكرها كمن غاب عنها ومن غاب عنها فرضيها كان كمن شهدها اخرجه
ابو داود وعن جرير بن عبد الله قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من
رجل يكون في قوم يعمل فيهم بالمعاصي يقدرون على ان يغيروا عليه ولم يغيروا الا
اصابهم الله منه بعقاب قبل ان يموتوا اخرجه ابو داود وقال ابن زيد اراد بالفتنة
افتراق الكلمة ومخالفة بعضهم بعضا ق عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ستكون فتن القاعد فيها خير من القائم والقائم فيها خير من الماشي والماشي خير
من الساعي من تشرف لها تستشرفه ومن وجد ملجأ او معاذا فليعذ به فان قلت
ظاهر قوله تعالى واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة يشمل الظالم وغير
الظالم كما تقدم تفسيره فكيف يليق برحمة الله وكرمه ان يوصل الفتنة الى من لم
يذنب قلت انه تعالى مالك الملك وخالق الخلق وهم عبيده وفي ملكه يتصرف فيهم
كيف شاء لا يسال عما يفعل وهم يسالون فيحسن ذلك منه على سبيل المالكية او لانه
تعالى علم اشتمال ذلك على انواع من انواع المصلحة والله اعلم بمراده وقوله تعالى واعلموا
ان الله شديد العقاب فيه تحذير ووعيد لمن واقع الفتنة التي حذره الله منها
قوله عز وجل واذكروا اذ انتم قليل مستضعفون في الارض لما امر الله المومنين بطاعة

الله وطاعة

الله وطاعة رسوله وحذرهم الفتنة ذكرهم نعمه عليهم فقال تعالى واذكروا يا معشر
المومنين المهاجرين اذ انتم قليلون يعني في العدد مستضعفون في الارض يعني في ارض
مكة في ابتداء الاسلام تخافون ان يتخطفكم الناس يعني كفار مكة وقال عكرمة كفار
العرب وقال وهب بن منبه يعني فارس والروم فآواكم يعني الى المدينة وايدكم
بنصره يعني قواكم بالانصار وقال الكلبي قواكم يوم بدر بالملائكة ورزقكم من الطيبات
يعني الغنائم احلها لكم ولم يحلها لاحد قبلكم لعلكم تشكرون يعني تشكرون الله على نعمه
عليكم قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تخونوا الله والرسول قال الزهري والكلبي نزلت هذه
الاية في ابي لبابة هارون بن عبد المنذر الانصاري من بني عوف بن مالك وذلك ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم حاصر يهود قريظة احدى وعشرين ليلة فسالوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم الصلح على ما صالح عليه اخوانهم بني النضير على ان يسيروا الى اخوانهم
الى اذرعات واريحا من ارض الشام فابى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يعطيهم
ذلك الا ان ينزلوا على حكم سعد بن معاذ فابوا وقالوا ارسل الينا ابا لبابة بن عبد
المنذر وكان مناصحا لهم لان ماله وولده وعياله كان عندهم فبعثه رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاتاهم فقالوا يا ابا لبابة ما ترى اننزل على حكم سعد بن معاذ
فاشار ابو لبابة بيده الى حلقه يعني انه الذبح فلا تفعلوا قال ابو لبابة والله
ما زالت قدماي عن مكانهما حتى عرفت اني قد خنت الله ورسوله ثم انطلق على
وجهه ولم يات رسول الله صلى الله عليه وسلم وشد نفسه على سارية من سواري
المسجد وقال والله لا اذوق طعاما ولا شرابا حتى اموت او يتوب الله علي فلما بلغ
رسول الله صلى الله عليه وسلم خبره قال لو جاءني لاستغفرت له فاما اذ فعل ما فعل
فاني لا اطلقه حتى يتوب الله عليه فمكث سبعة ايام لا يذوق طعاما ولا شرابا
حتى خر مغشيا عليه ثم تاب الله عليه فقيل يا ابا لبابة قد تيب عليك فقال والله لا
احل نفسي حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي يحلني فجاءه فحله بيده ثم قال
ابو لبابة ان من تمام توبتي ان اهجر دار قومي التي اصبت فيها الذنب وان انخلع من مالي
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يجزيك الثلث ان تصدق وانزل فيه يا ايها الذين
امنوا لا تخونوا الله والرسول وقال السدي كانوا يسمعون الشيء من النبي صلى الله عليه
وسلم فيفشونه حتى يبلغ المشركين فنزلت هذه الاية وقال جابر بن عبد الله ان ابا
سفيان في مكان كذا وكذا فاخرجوا اليه واكتموا قال فكتب رجل من المنافقين
اليه ان محمدا يريدكم فخذوا حذركم فانزل الله لا تخونوا الله والرسول وتخونوا اماناتكم
ومعنى الاية لا تخونوا الله والرسول ولا تخونوا اماناتكم وانتم تعلمون انها امانة
وقيل معناه وانتم تعلمون ان ما فعلتم من الاساءة الى الخلق خيانة واصل الخيانة
من الخون وهو النقص لان من خان شيئا فقد نقصه والخيانة ضد الامانة وقيل

خرج من مكة فاتى جبريل النبي صلى الله عليه وسلم
فقال ان ابا سفيان

وفي معنى الآية لا تخونوا الله والرسول فإنكم إذا فعلتم ذلك فقد خنتم أماناتكم وقال
ابن عباس معناه لا تخونوا الله بترك فرائضه ولا تخونوا الرسول بترك سنته ولا تخونوا
أماناتكم قال ابن عباس هي ما يخفى على أعين الناس من فرائض الله تعالى والأعمال
التي ائتمن عليها العباد وقال قتادة اعلموا أن دين الله أمانة فأدوا إلى الله ما ائتمنكم
عليه من فرائضه وحدوده ومن كانت عليه أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها
ومنه الحديث عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أدّ الأمانة
إلى من ائتمنك ولا تخن من خانك أخرجه أبو داود والترمذي وقال حديث حسن
غريب وقوله عز وجل واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة قيل هذا مما نزل في
أبي لبابة وذلك أن أمواله وأولاده كانت في بني قريظة فقال ما قال خوفا عليهم
وقيل إنه عام في جميع الناس وذلك أنه لما كان الإقدام على الخيانة في الأمانة
هو حب المال والولد نبّه الله تعالى بقوله واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة
على أنه يجب على العاقل أن يحذر من المضار المتولدة من حب المال والولد فإن ذلك
يشغل القلب ويصيره محجوبا عن خدمة المولى وهذا من أعظم الفتن روى البغوي
بسنده عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم أتي بصبي فقبله وقال أما إنهم مبخلة
مجبنة وإنهم لمن ريحان الله وأخرج الترمذي عن عمر بن عبد العزيز قال زعمت
المرأة الصالحة خولة بنت حكيم قالت خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات
يوم وهو محتضن أحد ابني ابنته وهو يقول إنكم لتبخلون وتجبنون وتجهلون وإنكم
لمن ريحان الله قال الترمذي لا نعرف لعمر بن عبد العزيز سماعا عن خولة قوله لمن ريحان
الله أي لمن رزق الله والريحان في اللغة الرزق وقوله تعالى وأن الله عنده أجر عظيم
يعني لمن أدى الأمانة ولم يخن وفيه تنبيه على أن سعادة الآخرة وهو ثواب الله أفضل
من سعادة الدنيا وهو المال والولد قوله عز وجل يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله
يعني بطاعته وترك معاصيه يجعل لكم فرقانا يعني يجعل لكم نورا وتوفيقا في قلوبكم
تفرقون به بين الباطل والحق والفرقان أصله الفرق بين الشيئين لكنه أبلغ من
أصله لأنه يستعمل في الفرق بين الحق والباطل والحجة والشبهة قال مجاهد يجعل لكم
مخرجا في الدنيا والآخرة وقال مقاتل مخرجا في الدين من الشبهات وقال عكرمة نجاة
أي يفرق بينكم وبين ما تخافون وقال محمد بن إسحاق فصلا بين الحق والباطل يظهر الله
به حقكم ويطفئ بطلان من خالفكم وقيل يفرق بينكم وبين الكفار بأن يظهركم
ويعليكم ويبطل الكفر ويوهنه ويكفر عنكم سيئاتكم يعني يمحو عنكم ما سلف من
ذنوبكم ويغفر لكم ويستر عليكم بأن لا يفضحكم في الدنيا ولا في الآخرة والله ذو الفضل
العظيم لأنه هو الذي يفعل ذلك بكم فله الفضل العظيم عليكم وعلى غيركم من خلقه
ومن كان كذلك فإنه إذا وعد بشيء وفى به وقيل إنه يتفضل على الطائعين

بقبول الطاعات ويتفضل على العاصين بغفران السيئات وقيل معناه أن بيده الفضل
العظيم فلا يطلب من عند غيره قوله تعالى وإذ يمكر بك الذين كفروا لما ذكر الله تعالى
المؤمنين نعمه عليهم بقوله واذكروا إذ كنتم قليلا فكثركم ذكر نبيه صلى الله عليه وسلم
نعمه عليه فيما جرى عليه بمكة من قومه لأن هذه السورة مدنية وهذه الواقعة
كانت بمكة قبل أن يهاجر إلى المدينة والمعنى واذكر يا محمد إذ يمكر بك الذين كفروا
وكان هذا المكر على ما ذكره ابن عباس وغيره من أهل التفسير قالوا جميعا أن
قريشا فرقوا لما أسلمت الأنصار أن يتفاقم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم
ويظهر فاجتمع نفر من كبار قريش في دار الندوة ليتشاوروا في أمر رسول الله
صلى الله عليه وسلم وكان رؤسهم عتبة وشيبة ابنا ربيعة وأبو جهل وأبو سفيان
وطعيمة بن عدي والنضر بن الحرث وأبو البختري بن هشام ومنبه بن الحجاج
وأمية بن خلف واعترضهم إبليس في صورة شيخ فلما رأوه قالوا من أنت
قال أنا شيخ من نجد سمعت باجتماعكم فأردت أن أحضركم ولن تعدموا
مني رأيا ونصحا فقالوا ادخل فدخل فقال أبو البختري أما أنا فأرى أن تأخذوا
محمدا وتحبسوه في بيت مقيدا وتشدوا وثاقه وتسدوا باب البيت غير كوة
تلقون منها طعامه وشرابه وتتربصوا به ريب المنون حتى يهلك كما هلك من قبله من الشعراء
فصرخ عدو الله إبليس وهو الشيخ النجدي وقال بئس الرأي رأيتم لئن حبستموه ليخرجن أمره
من وراء الباب الذي أغلقتم دونه إلى أصحابه فيوشك أن يثبوا عليكم فيقاتلوكم ويأخذوه
من أيديكم فقالوا صدق الشيخ النجدي فقام هشام بن عمرو من بني عامر بن لؤي فقال
أما أنا فأرى أن تحملوه على بعير وتخرجوه من بين أظهركم فلا يضركم ما صنع وأين وقع إذا
غاب عنكم واسترحتم منه فقال إبليس ما هذا لكم برأي تعمدون إلى رجل قد أفسد سفهاءكم
فتخرجوه إلى غيركم فيفسدهم ألم تروا إلى حلاوة منطقه وطلاقة لسانه وأخذ القلوب بما تسمع من حديثه
والله لئن فعلتم ذلك ليذهب وليستميل قلوب قوم آخرين ثم يسير بهم إليكم فيخرجكم من بلادكم
قالوا صدق الشيخ النجدي فقال أبو جهل والله لأشيرن عليكم برأي ما أرى
غيره إني أرى أن تأخذوا من كل بطن من قريش شابا نسيبا وسيطا فتيا ثم نعطي كل
فتى سيفا صارما ثم يضربوه جميعا ضربة رجل واحد فإذا قتلوه تفرق دمه في القبائل
كلها ولا أظن هذا الحي من بني هاشم يقوون على حرب قريش كلها وإنهم إذا أرادوا
ذلك قبلوا العقل فتؤدي قريش ديته فقال إبليس اللعين صدق هذا الفتى هو
أجودكم رأيا والقول ما قال لا أرى غيره فتفرقوا على قول أبي جهل وهم مجتمعين عليه
فأتى جبريل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره بذلك وأمره أن لا يبيت في مضجعه الذي كان
يبيت فيه وأذن الله عز وجل له عند ذلك بالخروج إلى المدينة فأمر رسول الله صلى الله عليه
وسلم علي بن أبي طالب أن يبيت في مضجعه وقال له تسجّ ببردي فإنه لن يخلص إليك

منهم امر بكرهه ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذ قبضة من تراب واخذ
الله عز وجل ابصارهم عنه فخرج وجعل ينثر التراب على روسهم وهو يقرا انا جعلنا
في اعناقهم اغلالا الى قوله فهم لا يبصرون ومضى الى الغار من ثور هو وابو بكر
وخلف عليا بمكة حتى يودي عنه الودايع التي قبلها وكانت الودايع توضع عنده
لصدقه وامانته فالوا وبات المشركون يحرسون عليا وهو على فراش رسول الله
صلى الله عليه وسلم يحسبون انه النبي صلى الله عليه وسلم فلما اصبحوا ثاروا اليه ليقتلوه فراوا
عليا فقالوا له اين صاحبك قال لا ادري فاقتفوا اثره وارسلوا في طلبه فلما
بلغوا الغار راوا على بابه نسج العنكبوت فقالوا لو دخله لم يكن لنسج العنكبوت
على بابه اثر فمكث في الغار ثلاثا ثم خرج الى المدينة فذلك قوله تعالى ليثبتوك
اي ليحبسوك ويوثقوك لان كل من شد شيا واوثقه فقد اثبته لانه لا يقدر على الحركة
او يقتلوك يعني كما اشار عليهم ابو جهل او يخرجوك يعني من مكة ويمكرون يعني ويحتالون
لهم يدبرون في امرك ويمكر الله يعني ويجازيهم الله جزا مكرهم فسمى الجزا مكرا لانه
في مقابلته وقيل معناه ويعاملهم الله معاملة مكرهم والمكر هو التدبير وهو من الله
التدبير بالحق والمعنى انهم احتالوا في ابطال امر محمد صلى الله عليه وسلم والله تعالى
اظهره وقواه ونصره فضاع فعلهم وتدبيرهم وظهر فعل الله وتدبيره والله خير الماكرين
فان قلت كيف قال والله خير الماكرين ولا خير في مكرهم قلت يحتمل ان يكون المراد
والله اقوى الماكرين فوضع خير موضع اقوى وفيه تنبيه على ان كل مكر يبطل بفعل الله
وقيل يحتمل ان يكون المراد ان مكرهم فيه خير بزعمهم فقال تعالى في مقابلته والله خير الماكرين
وقيل ليس المراد التفضيل بل ان فعل الله خير مطلقا قوله عز وجل واذا تتلى عليهم
اياتنا قالوا قد سمعنا لو نشا لقلنا مثل هذا نزلت في النضر بن الحرث بن علقمة
من بني عبد الدار وذلك انه يختلف الى ارض فارس والحيرة فيسمع اخبارهم عن
رستم واسفنديار واحاديث العجم وكان يمر بالعباد من اليهود والنصارى فيراهم
يقراون التورية والانجيل ويركعون ويسجدون ويبكون فلما جا مكة وجد النبي صلى الله
عليه وسلم قد اوحي اليه وهو يقرا ويصلي فقال النضر بن الحرث قد سمعنا يعني مثل هذا
الذي جا به محمد لو نشا لقلنا مثل هذا فذمهم الله بدفعهم الحق الذي لا شبهة فيه
وادعايهم الباطل بقولهم لو نشا لقلنا مثل هذا بعد التحدي واباان عجزهم عن ذلك
ولو قدروا ما تخلفوا عنه وهم اهل الفصاحة وفرسان البلاغة فبان بذلك
كذبهم في قولهم لو نشا لقلنا مثل هذا ان هذا الا اساطير الاولين يعني اخبار الماضين
قوله عز وجل واذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة
من السما او ايتنا بعذاب اليم نزلت في النضر بن الحرث ايضا قال ابن عباس لما قص
رسول الله صلى الله عليه وسلم شان القرون الماضية قال النضر بن الحرث لو شيت

لقلت مثل هذا فقال له عثمان بن مظعون اتق الله فان محمدا صلى الله عليه وسلم يقول الحق
قال وانا اقول الحق قال فان محمدا صلى الله عليه وسلم يقول لا اله الا الله قال وانا اقول لا اله
الا الله ولكن هذه بنات الله يعني الاصنام ثم قال اللهم ان كان هذا هو الحق يعني القران
الذي جا به محمد صلى الله عليه وسلم وقيل يعني ان كان الذي يقوله محمد صلى الله عليه وسلم من
التوحيد وادعا النبوة وغير ذلك هو الحق فامطر علينا حجارة من السما يعني كما امطرتها على قوم
لوط او ايتنا بعذاب اليم يعني مثل ما عذبت به الامم الماضية وفي النضر بن الحرث نزلت سال
سايل بعذاب واقع قال عطا لقد نزل في النضر بضع عشرة اية فحاق به ما سال من العذاب
يوم بدر قال سعيد بن جبير قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر ثلاثة من قريش صبرا
طعيمة بن عدي وعقبة بن معيط والنضر بن الحرث وروى انس بن مالك ان الذي قال ذلك
ابو جهل خ على انس قال قال ابو جهل اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا
حجارة من السما الاية فنزلت وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم الاية فلما اخرجوه
نزلت وما لهم الا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام قوله عز وجل وما كان
الله ليعذبهم وانت فيهم اختلفوا في معنى هذه الاية فقال محمد بن اسحاق هذه الاية
متصلة بما قبلها وهي حكاية عن المشركين وذلك انهم قالوا ان الله لا يعذبنا ونحن
نستغفر ولا يعذب امة ونبيها معها فقال الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم يذكر
جهالتهم وغرتهم واستفتاحهم على انفسهم واذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك
الاية وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون ثم قال تعالى
ردا عليهم وما لهم الا يعذبهم الله وان كنت بين اظهرهم وان كانوا يستغفرون وهم
يصدون عن المسجد الحرام وقال اخرون هذا الكلام مستانف يقول الله عز وجل اخبارا عن نفسه
تعالى وتقدس وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم واختلفوا في معنى فقال الضحاك وجماعة
تاويلها وما كان الله ليعذبهم وانت يا محمد مقيم فيهم بين اظهرهم قالوا نزلت هذه الاية
على النبي صلى الله عليه وسلم وهو مقيم بمكة ثم لما خرج منها بقي بقية من المسلمين يستغفرون
فانزل الله وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون ثم لما خرج اوليك المسلمون من بين
اظهر الكافرين اذن الله في فتح مكة فهو العذاب الذي وعدهم وقال ابن عباس
لم يعذب الله قرية حتى يخرج نبيها منها والذين امنوا معه ويلحق بحيث امر فقال الله
وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم مقيم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون يعني
المسلمين فلما خرجوا قال الله وما لهم الا يعذبهم الله وقال بعضهم هذا الاستغفار
راجع الى المشركين وذلك انهم كانوا يقولون بعد فراغهم من الطواف غفرانك غفرانك
وقال يزيد بن رومان قالت قريش اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر
علينا حجارة من السما فلما امسوا ندموا على ما قالوا فقالوا غفرانك اللهم فقال الله تعالى
وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون وقال قتادة والسدي معناه وما كان الله

معذبهم وهم يستغفرون اى لو استغفروا ولكنهم لم يكونوا يستغفرون ولو اقروا بالذنب
واستغفروا لكانوا مومنين وقيل هذا دعا لهم الى الاسلام والاستغفار بهذه الكلمة كالرجل
يقول لعبده لا اعاقبك وانت تطيعني اى اطعني حتى لا اعاقبك وقال مجاهد وعكرمة وهم
يستغفرون اى يسلمون يعني لو اسلموا لما عذبوا وقال ابن عباس وفيهم من سبق له من الله
العناية انه يومن ويستغفر مثل ابي سفيان بن حرب وصفوان بن امية وعكرمة بن ابي
جهل وسهيل بن عمرو وحكيم بن حزام وغيرهم وقال مجاهد وهم يستغفرون اى وفي اصلابهم
من يستغفر وقيل في معنى الاية ان الكفار لما بالغوا وقالوا ان كان محمد محقا في قوله فامطر
علينا حجارة من السما فاخبر الله ان محمدا المحق في قوله وانه مع ذلك لا يمطر على اعدائه ومنكري
نبوته حجارة من السما ما دام بين اظهرهم وذلك تعظيما له صلى الله عليه وسلم واورد على هذا
انه لما كان اقامته مانعا من نزول العذاب بهم فكيف قال في غير هذه الاية قاتلوهم
يعذبهم الله بايديكم فالجواب ان المراد من العذاب الاول هو عذاب الاستيصال والمراد من العذاب
الثاني هو قوله يعذبهم الله بايديكم وهو عذاب القتل والسبي والاسر وذلك دون
عذاب الاستيصال قال اهل المعاني دلت هذه الاية على ان الاستغفار امان وسلامة
من العذاب عن ابي موسى الاشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله انزل
امانين لامتي وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون
فاذا مضيت تركت فيهم الاستغفار الى يوم القيامة اخرجه الترمذي وقوله تعالى
وما لهم ان لا يعذبهم الله يعني واى شي يمنعهم من ان يعذبهم الله يعني بعد خروجك
من بين اظهرهم لانه تعالى بين في الاية الاولى انه لا يعذبهم وهو مقيم فيهم وبين
في هذه الاية انه معذبهم ثم اختلفوا في هذا العذاب فقيل هو القتل والاسر يوم بدر
وقيل اراد به عذاب الاخرة وقيل اراد بالعذاب الاول عذاب الاستيصال واراد بالعذاب
الثاني بهذه الاية العذاب بالسيف وقيل اراد بالعذاب الاول عذاب الدنيا وبهذا العذاب
عذاب الاخرة وقال الحسن الاية الاولى وهو قوله وما كان الله ليعذبهم منسوخة بقوله وما لهم
ان لا يعذبهم الله وفيه بعد لان الاخبار لا يدخلها النسخ ثم بين ما لاجله يعذبهم فقال
تعالى وهم يصدون عن المسجد الحرام وهم يمنعون المومنين من الطواف بالبيت وذلك
حين صدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه عن البيت الحرام عام الحديبية وما كانوا
اولياءه قال الحسن كان المشركون يقولون نحن اوليا المسجد الحرام فرد الله عليهم بقوله
وما كانوا اولياءه يعني ليسوا اوليا المسجد الحرام ان اولياؤه الا المتقون يعني المومنين
الذين يتقون الشرك ولكن اكثرهم يعني المشركين لا يعلمون ذلك قوله تعالى وما
كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية لما ذكر الله عز وجل ان الكفار ليسوا باولياء
للبيت الحرام ذكر عقيبه السبب في ذلك وهو ان صلاتهم عنده كانت مكا وتصدية
والمكا في اللغة الصفير يقال مكا الطير يمكو اذا صفر والمكا اسم طير ابيض يكون بالحجاز

له صفير

له صفير وقيل هو طاير بالف الريف سمي بذلك لكثرة مكايته يعني صفيره والتصدية التصفيق
وفي اصله واشتقاقه قولان احدهما انه من الصدى وهو الصوت الذي يرجع من
الجبل كالمجيب للمتكلم ولا يرجع قوله الى شي المعاني قال ابو عبيدة اصله تصدد فابدلت
الدال الواحدة يا قال الازهري والمكا والتصدية ليسا بصلاة ولكن الله اخبر انهم
جعلوا مكان الصلاة التي امروا بها المكا والتصدية وقال حسان بن ثابت صلاتهم التصدي
والمكا قال ابن عباس كانت قريش يطوفون بالبيت وهم عراة يصفرون ويصفقون
وقال مجاهد كان نفر من بني عبد الدار يعارضون النبي صلى الله عليه وسلم في الطواف
ويستهزون به ويدخلون اصابعهم في افواههم ويصفقون فالمكا جعل الاصابع في الشدق
والتصدية الصفير وقال جعفر بن ربيعة سالت ابا سلمة بن عبد الرحمن عن قوله الا مكا
وتصدية فجمع كفيه ثم نفخ فيهما صفيرا وقال مقاتل كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا دخل
المسجد قام رجلان عن يمينه يصفران ورجلان عن يساره يصفقان ليخلطوا على
النبي صلى الله عليه وسلم صلاته وهم من بني عبد الدار فعلى قول ابن عباس كان المكا
والتصدية نوع عبادة لهم وعلى قول غيره كان نوع اذى للنبي صلى الله عليه وسلم وقول
ابن عباس اصح لان الله سمى ذلك صلاة فان قلت كيف سماها صلاة وليس ذلك
من جنس الصلاة قلت انهم كانوا يعتقدون ذلك المكا والتصدية صلاة فخرج ذلك على
حسب معتقدهم وفيه وجه اخر وهو ان من كان المكا والتصدية صلاته فلا صلاة له
فهو كقول العرب من كان السخا عيبه فلا عيب له وقال سعيد بن جبير التصدية
صدهم المومنين عن المسجد الحرام وعن الدين والصلاة فعلى هذا التصدية من الصد
وهو المنع وقوله تعالى فذوقوا العذاب يعني عذاب القتل والاسر في الدنيا وقيل يقال
لهم في الاخرة فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون يعني بسبب كفركم في الدنيا قوله عز وجل
ان الذين كفروا ينفقون اموالهم ليصدوا عن سبيل الله لما ذكر الله عبادة الكفار
البدنية وهي المكا والتصدية ذكر عقيبه عباداتهم المالية التي لا جدوى لها في الاخرة
قال الكلبي ومقاتل نزلت في المطعمين يوم بدر وكانوا اثني عشر رجلا ابو جهل بن هشام
وعتبة وشيبة ابنا ربيعة بن عبد شمس ونبيه ومنبه ابنا الحجاج وابو البختري بن هشام
والنضر بن الحرث وحكيم بن حزام وابي بن خلف وزمعة بن الاسود والحرث بن عامر
بن نوفل والعباس بن عبد المطلب وكلهم من قريش فكان يطعم كل واحد منهم
الجيش في كل يوم عشر جزر اسلم من هولا العباس بن عبد المطلب عم رسول الله
صلى الله عليه وسلم وحكيم بن حزام وقال الحكم بن عتيبة نزلت في ابي سفيان بن
حرب حين انفق على المشركين يوم احد اربعين اوقية كل اوقية اثنان واربعون
مثقالا وقال ابن ابزى استاجر ابو سفيان يوم احد الفين ليقاتل بهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم سوى من استجاش من العرب وقيل استاجر يوم احد الفين من

من الاحابيش من كنانة فقاتل بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل لما اصيب من اصيب
من قريش يوم بدر ورجع ابو سفيان بعيره الى مكة مشى عبد الله بن ابي ربيعة وعكرمة بن ابي
جهل وصفوان بن امية في رجال من قريش قد اصيب اباهم وابناهم واخوانهم يوم بدر
فكلموا ابو سفيان بن حرب ومن كانت له في تلك العير من قريش تجارة فقالوا يا معشر
ان محمدا قد وترکم وقتل خياركم فاعينوا بهذا المال على حربه لعلنا ندرك منه ثارا بمن اصيب
منا ففيهم نزلت ان الذين كفروا ينفقون اموالهم ليصدوا عن سبيل الله اى ليصرفوا الناس
عن الايمان بالله ورسوله وقيل ينفقون اموالهم على امثالهم من المشركين ليتقووا بها
على قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم والمومنين فسينفقونها يعني اموالهم في ذلك
الوجه ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون يعني ما انفقوا من اموالهم يكون حسرة وندامة
يوم القيامة لان اموالهم تذهب ويغلبون ولا يظفرون بما يأملون والذين كفروا
يعني منهم لان منهم من اسلم ولهذا قال والذين كفروا يعني من المنفقين اموالهم الى
جهنم يحشرون يعني يساقون الى النار ليميز الله الخبيث من الطيب يعني ليفرق الله
بين فريق الكفار وهم الفريق الخبيث وبين فريق المومنين وهم الفريق الطيب وهذا
معنى قول ابن عباس فانه قال يميز اهل السعادة من اهل الشقاوة وقال ليميز العمل
الخبيث من العمل الطيب فيجازى على العمل الخبيث النار وعلى العمل الطيب
الجنة وقيل المراد به انفاق الكفار في سبيل الشيطان وانفاق المسلمين في سبيل الله
ويجعل الخبيث بعضه على بعض يعني بعضه فوق بعض فيركمه جميعا يعني فيجمعه
جميعا ويضم بعضه الى بعض حتى يتراكم فيجعله في جهنم يعني الخبيث اولئك اشارة
الى المنفقين في سبيل الشيطان او الى الخبيث هم الخاسرون يعني انهم خسروا الدنيا
والاخرة لانهم اشتروا باموالهم عقاب الاخرة قوله تعالى قل يعني قل يا محمد للذين كفروا
ان ينتهوا يعني عن الشرك يغفر لهم ما قد سلف يعني ما قد مضى من كفرهم وذنوبهم
قبل الاسلام وان يعودوا فقد مضت سنة الاولين يعني في هلاك اعداوه
ونصر اوليايه ومعنى الايتان هولاء الكفار ان ينتهوا عن الكفر ودخلوا في الاسلام
والتزموا شرايعه غفر الله لهم ما قد سلف من كفرهم وشركهم فان عادوا الى الكفر
واصروا عليه فقد مضت سنة الاولين باهلاك اعدايه ونصر انبيايه واوليايه
واجمع العلماء على ان الاسلام يجب ما قبله واذا اسلم الكافر لم يلزمه شي من قضا
العبادات البدنية والمالية وهو ساعة اسلامه كيوم ولدته امه يعني بذلك انه ليس
عليه ذنب قال يحيى بن معاذ الرازي توحيد من لم يعجز عن هدم ما قبله من كفر
ارجوا ان لا يعجز عن هدم ما بعده من ذنب وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة قال
ابن عباس يعني حتى لا يكون شرك وقال الحسن حتى لا يكون بلاء ويكون الدين
كله لله يعني يكون الطاعة والعبادة كلها لله خالصة دون غيره وقال قتادة

حتى يقال

حتى يقال لا اله الا الله عليها قاتل نبي الله صلى الله عليه وسلم واليها دعا وقال محمد بن اسحاق
في قوله وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله يعني لا يفتن مومن عن
دينه ويكون التوحيد لله خالصا ليس فيه شرك ويخلع ما دونه من الانداد والشركا
فان انتهوا يعني عن الشرك وافتان المومنين وايذائهم فان الله بما يعملون بصير
يعني فان الله لا يخفى عليه شي من اعمال العباد وبنياتهم حتى يوصل اليهم ثوابهم وان تولوا
يعني وان اعرضوا عن الايمان واصروا على الكفر وعادوا الى قتال المومنين وايذائهم
فاعلموا ايها المومنون ان الله مولاكم يعني ان الله وليكم وناصركم عليهم وحافظكم
نعم المولى ونعم النصير يعني ان الله هو نعم المولى لمن كان في حفظه ونصره وكفايته
وكلايته وقوله نعم المولى ونعم النصير قوله عز وجل واعلموا انما غنمتم من شي فان
لله خمسه وللرسول المغنم الفوز بالشي يقال غنم يغنم غنما فهو غانم واختلف
العلماء هل الغنيمة والفي اسمان لمسمى واحد ام مختلفان في التسمية فقال عطاء بن
السايب الغنيمة ما ظهر المسلمون عليه من اموال المشركين فاحرزوه عنوة
واما الارض يعني فيء وقال سفيان الثوري الغنيمة ما اصاب المسلمون من اموال
الكفار عنوة بقتال ففيه الخمس وان اربعة اخماسه لمن شهد الوقعة والفي ما صولحوا
عليه بغير قتال فليس فيه خمس هو لمن سمى الله تعالى وقيل الغنيمة ما اخذ من اموال
الكفار عنوة عن قهر وغلبة والفي ما لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب كالعشور
والجزية واموال الصلح والمهادنة وقيل ان الفي والغنيمة معناهما واحد وهما
اسمان لشي واحد من اموال الكفار بغير ايجاف خيل ولا ركاب فذكر الله
في هذه الاية حكم الغنيمة فقال تعالى واعلموا انما غنمتم من شي يعني من اي شي
كان حتى الخيط والمخيط فان لله خمسه وللرسول فذكر اكثر المفسرين والفقها
ان قوله تعالى لله افتتاح كلام على سبيل التبرك فانما اضافه الى نفسه تعالى لانه
هو الحاكم فيه فيقسمه كيف شا وليس المراد منه ان سهما منه لله مفردا لان
الدنيا والاخرة كلها لله وهذا قول الحسن وقتادة وعطا وابراهيم النخعي قالوا سهم
الله وسهم رسوله واحد والغنيمة تقسم خمسة اخماس اربعة اخماسها لمن قاتل
عليها واحرزها فالخمس الباقي لخمسة اصناف كما ذكر الله عز وجل للرسول ولذي
القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل وقال ابو العالية يقسم خمس الخمس
على ستة اسهم سهم لله عز وجل فيصرف الى الكعبة والقول الاول اصح ان
خمس الغنيمة تقسم على خمسة اسهم سهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم كان له في
حياته واليوم هو لمصالح المسلمين وما فيه قوة الاسلام وهذا قول الشافعي
واحمد وروى الاعمش عن ابراهيم قال كان ابو بكر وعمر رضي الله عنهما يجعلان
سهم النبي صلى الله عليه وسلم في الكراع والسلاح وقال قتادة هو للخليفة

وقال ابو حنيفة سهم النبي صلى الله عليه وسلم بعد موته مردود في الخمس فيقسم الخمس على
اربعة اصناف المذكورين في الاية وهم ذو القربى واليتامى والمساكين وابن
السبيل فقوله تعالى ولذي القربى يعني ان سهما من خمس الخمس لذوي القربى وهم اقارب
رسول الله صلى الله عليه وسلم واختلفوا فيهم فقال قوم هم جميع قريش وقال قوم
هم الذين لا تحل لهم الصدقة وقال مجاهد وعلي بن الحسين هم بنو هاشم وقال الشافعي
هم بنو هاشم وبنو المطلب وليس لبني عبد شمس ولا لبني نوفل منه شيء وان كانوا
اخوة ويدل عليه ما روي عن جبير بن مطعم قال مشيت انا وعثمان بن عفان
الى النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله اعطيت بني المطلب وتركتنا
ونحن وهم بمنزلة واحدة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما بنو المطلب وبنو
هاشم شيء واحد وفي رواية اعطيت بني المطلب من خمس الخمس وتركتنا وفي
رواية قال جبير ولم يقسم النبي صلى الله عليه وسلم لبني عبد شمس ولا لبني نوفل شيئا
اخرجه البخاري وفي رواية ابي داود ان جبير بن مطعم جاء هو وعثمان بن عفان
يكلمان رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما قسم من الخمس لبني هاشم وبني المطلب
فقلت يا رسول قسمت لاخواننا بني المطلب ولم تعطنا شيئا وقرابتنا وقرابتهم
واحدة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما بنو هاشم وبنو المطلب شيء واحد
وفي رواية النسائي قال لما كان يوم خيبر وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم
سهم ذوي القربى في بني هاشم وبنو المطلب وترك بنو نوفل وبني عبد شمس فانطلقت
انا وعثمان بن عفان حتى اتينا النبي صلى الله عليه وسلم فقلنا يا رسول الله فلولا
بنو هاشم لا ننكر فضلهم للموضع الذي وضعك الله به منهم فما بال اخواننا بني المطلب
اعطيتهم وتركتنا وقرابتنا واحدة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا وبنو المطلب
لا نفترق في جاهلية ولا اسلام وانما نحن وهم شيء واحد وشبك بين اصابعه واختلف
اهل العلم في سهم ذوي القربى هل هو ثابت اليوم ام لا فذهب اكثرهم الى انه ثابت
فيعطى فقراؤهم واغنياؤهم من خمس الخمس للذكر مثل حظ الانثيين وهو قول مالك
والشافعي وذهب ابو حنيفة واصحاب الرأي الى انه غير ثابت قالوا سهم النبي صلى الله
عليه وسلم وذوي القربى مردود في الخمس فيقسم خمس الغنيمة على ثلاثة اصناف
اليتامى والمساكين وابن السبيل فيصرف الى فقراء ذوي القربى مع هذه الاصناف
دون اغنيائهم وحجة الجمهور ان الكتاب والسنة يدلان على ثبوت سهم ذوي
القربى فكذا الخلفاء بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يعطون ذوي القربى
ولا يفضل فقير على غني لان النبي صلى الله عليه وسلم اعطى العباس بن عبد
المطلب مع كثرة ماله وكذا الخلفاء بعده كانوا يعطونه والحقه الشافعي بالميراث
الذي يستحق باسم القرابة غير انه يعطون القريب والبعيد قال ويفضل الذكر

على الانثى فيعطى الذكر سهمين والانثى سهما وقوله تعالى واليتامى جمع يتيم يعني ويعطى
من خمس الخمس لليتامى واليتيم الذي له سهم في الخمس هو الصغير المسلم الذي لا
اب له فيعطى مع حاجته اليه والمساكين وهم اهل الفاقة والحاجة من المسلمين وابن السبيل وهو المسافر البعيد عن ماله
فيعطى من خمس الخمس مع حاجته اليه فهذا مصرف خمس الغنيمة ويقسم اربعة
اخماسها الباقية بين الغانمين الذين شهدوا الوقعة وحازوا الغنيمة فيعطى للفارس
ثلاثة اسهم سهم له وسهمان لفرسه ويعطى الراجل سهما واحدا لما روي عن ابن عمر ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قسم في النفل للفرس سهمين وللرجل سهما وفي رواية
نحوه باسقاط لفظ النفل اخرجه البخاري ومسلم وفي رواية ابي داود ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم اسهم للرجل ولفرسه ثلاثة اسهم سهما له وسهمين لفرسه وهذا
قول اكثر اهل العلم واليه ذهب الثوري والاوزاعي ومالك وابن المبارك
والشافعي واحمد واسحاق وقال ابو حنيفة للفارس سهمان وللراجل سهم ويرضخ
للعبيد والنسوان والصبيان اذا حضروا القتال ويقسم العقار الذي استولى
عليه المسلمون كالمنقول وعند ابي حنيفة يتخير الامام في العقار بين ان يقسمه
بينهم وبين ان يجعله وقفا على المصالح وظاهر الاية يدل على انه لا فرق بين
العقار والمنقول ومن قتل مشركا من المسلمين في القتال يستحق سلبه من راس
الغنيمة لما روي عن ابي قتادة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قتل قتيلا
له عليه بينة فله سلبه اخرجه الترمذي ومسلم في حديث طويل والسلب كل ما يكون
على المقتول من ملبوس وسلاح والفرس الذي كان راكبه ويجوز للامام ان ينفل
بعض الجيش من الغنيمة لزيادة عناء وبلاء يكون منهم في الحرب يخصهم به من بين
سائر الجيش ثم يجعلهم اسوة الجماعة في سهام الغنيمة ق عن ابن عمر ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم كان ينفل بعض من يبعث من السرايا لانفسهم خاصة
سوى عامة الجيش عن حبيب بن سلمة الفهري قال شهدت رسول الله صلى
الله عليه وسلم نفل الربع في البداءة والثلث في الرجعة اخرجه ابو داود واختلف
العلماء في ان النفل من اين يعطى فقال قوم من خمس الخمس من سهم رسول
الله صلى الله عليه وسلم وهو قول سعيد بن المسيب وبه قال الشافعي وهذا معنى
قول النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه عبادة بن الصامت قال اخذ رسول الله
صلى الله عليه وسلم يوم خيبر وبرة من جنب بعير فقال ايها الناس انه لا يحل
لي مما افاء الله عليكم قدر هذه الا الخمس والخمس مردود عليكم اخرجه النسائي
وقال قوم هو من الاربعة الاخماس بعد افراز الخمس لسهام الغزاة وهو
قول احمد واسحاق وذهب قوم الى ان النفل من راس الغنيمة قبل التخميس
كالسلب للقاتل واما الفيء وهو ما اصابه المسلمون من اموال الكفار بغير

ايجاف خيل ولا ركاب بان صالحهم على مال يؤدونه وكذلك الجزية وما اخذ من
اموالهم اذا دخلوا دار الاسلام للتجارة او يموت منهم احد في دار الاسلام ولا وارث له
فهذا كله فيء ومال الفيء كان خالصا لرسول الله صلى الله عليه وسلم في مدة حياته قال
عمر ان الله قد خص رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا الفيء بشيء لم يخص به احدا
غيره ثم قرأ عمر ما افاء الله على رسوله منهم الاية فكانت هذه لرسول الله صلى الله
عليه وسلم خاصة وكان ينفق على اهله وعياله نفقة سنتهم من هذا المال
ثم ما بقي يجعله مجعل مال الله في الكراع والسلاح واختلف اهل العلم في مصرف
الفيء بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قوم هو للائمة بعده وللشافعي فيه
قولان احدهما انه للمقاتلة الذين اثبتت اسماؤهم في ديوان الجهاد لانهم هم
القائمون مقام النبي صلى الله عليه وسلم في ارهاب العدو والقول الثاني انه
لمصالح المسلمين ويبدأ بالمقاتلة فيعطون منه كفايتهم ثم بالاهم فالاهم من
المصالح واختلف اهل العلم في تخميس الفيء فذهب الشافعي الى انه يخمس وخمسه
لاهل خمس الغنيمة على خمسة اسهم واربعة اخماسه للمقاتلة وللمصالح و
ذهب الاكثرون الى انه لا يخمس بل يصرف جميعه مصرفا واحدا ولجميع المسلمين
فيه حق عن مالك بن اوس قال ذكر عمر يوما الفيء فقال ما انا احق بهذا الفيء منكم وما احد
منا احق به من احد الا انا على منازلنا من كتاب الله وقسمة رسول الله صلى الله
عليه وسلم والرجل وقدمه والرجل وبلاؤه والرجل وعياله والرجل وحاجته اخرجه
ابو داود واخرج البغوي بسنده عنه انه سمع عمر بن الخطاب يقول ما على وجه
الارض مسلم الا له في هذا الفيء حق الا ما ملكت ايمانكم وقوله تعالى ان كنتم امنتم
بالله يعني واعلموا ايها المؤمنون ان خمس الغنيمة مصروف الى من ذكر في هذه
الاية من الاصناف فاقطعوا عنه اطماعكم واقنعوا باربعة اخماس الغنيمة
ان كنتم امنتم بالله وصدقتم بوحدانيته وما انزلنا على عبدنا يعني وامنتم
بالمنزل على عبدنا محمد صلى الله عليه وسلم وهذه اضافة تشريف وتعظيم للنبي صلى
الله عليه وسلم والذي انزله على عبده محمد صلى الله عليه وسلم يسألونك عن الانفال
الاية يوم الفرقان يعني يوم بدر قال ابن عباس يوم الفرقان يوم بدر
فرق الله عز وجل بين الحق والباطل يوم التقى الجمعان يعني جمع المؤمنين
وجمع الكافرين وهو يوم بدر قال عروة بن الزبير يوم الفرقان يوم فرق الله
فيه بين الحق والباطل وهو يوم بدر وهو اول مشهد شهده رسول الله صلى
الله عليه وسلم وكان راس المشركين عتبة بن ربيعة فالتقوا يوم الجمعة لتسع
عشرة او لسبع عشرة من رمضان واصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
يومئذ ثلثمائة وبضعة عشر رجلا والمشركون ما بين الالف والتسعمائة

فهزم الله

فهزم الله المشركين وقتل منهم زيادة على سبعين واسر منهم مثل ذلك والله
على كل شيء قدير يعني على نصركم ايها المؤمنون مع قلتكم وكثرة اعدائكم قوله
تعالى اذ انتم اي واذكروا نعمة الله عليكم يا معشر المسلمين اذ انتم بالعدوة الدنيا
يعني بشفير الوادي الادنى من المدينة والدنيا هنا تانيث الادنى وهم
يعني المشركين بالعدوة القصوى يعني بشفير الوادي الاقصى من المدينة
مما يلي مكة والقصوى تانيث الاقصى والركب اسفل منكم يعني ابا سفيان
واصحابه وهم عير قريش التي خرجوا لاجلها وكانوا في موضع اسفل من موضع
المؤمنين الى ساحل البحر على ثلاثة اميال من بدر ولو تواعدتم يعني انتم و
المشركون لاختلفتم في الميعاد وذلك ان المسلمين خرجوا لياخذوا العير
وخرج الكفار ليمنعوها من المسلمين فالتقوا على غير ميعاد والمعنى ولو تواعدتم
انتم والكفار على القتال لاختلفتم انتم وهم لقلتكم وكثرة عدوكم ولكن يعني
ولكن الله جمعكم على غير ميعاد ليقضي الله امرا كان مفعولا يعني من نصر اوليائه
واعزاز دينه واهلاك اعدائه واعداء دينه ليهلك من هلك عن بينة يعني
ليموت من مات على بينة راها وعبرة عاينها وحجة قامت عليه ويحيى من حي
عن بينة يعني ويعيش من عاش على بينة راها وعبرة شاهدها وحجة قامت
عليه وقال محمد بن اسحاق معناه ليكفر من كفر بعد حجة قامت عليه ويؤمن
من امن على مثل ذلك لان الهلاك هو الكفر والحياة هي الايمان ونحوه
قال قتادة ليضل من ضل عن بينة ويهدي من اهتدى على بينة وان الله
لسميع عليم يعني يسمع دعاءكم ويعلم نياتكم ولا يخفى عليه خافية قوله عز وجل
اذ يريكهم الله يعني واذكر يا محمد نعمة الله عليك اذ يريك المشركين في منامك
يعني في نومك قليلا قال مجاهد اراهم الله في منامه قليلا فاخبر النبي صلى الله
عليه وسلم اصحابه بذلك وكان تثبيتا وقال محمد بن اسحاق فكان ما اراه
الله من ذلك نعمة من نعمه عليهم يشجعهم بها على عدوهم فكفت بها عنهم
ما يخوف عليهم من ضعفهم لعلمه بما فيهم وقيل لما اري الله النبي صلى الله عليه وسلم
كفار قريش في منامه قليلا فاخبر بذلك اصحابه فقالوا رؤيا النبي صلى
الله عليه وسلم حق فصار ذلك سببا لجراتهم على عدوهم وقوة لقلوبهم
وقال الحسن ان هذه الاراءة كانت في اليقظة والمراد من المنام العين
لانها موضع النوم ولو اراكهم كثيرا لفشلتم يعني لجبنتم والفشل ضعف
مع جبن والمعنى ولو اراكهم كثيرا فذكرت ذلك لاصحابك لفشلوا
وجبنوا عنهم ولتنازعتم في الامر يعني اختلفتم في امر الاقدام عليهم
والاحجام عنهم وقيل معنى التنازع في الامر هو الاختلاف الذي

من التنازع مح

يكون معه مخاصمة ومجادلة ومحاربة لكل واحد الى ناحية والمعنى لاضطرب امركم واختلفت
كلمتكم ولكن الله سلم يعني ولكن الله سلمكم من المخالفة فيما بينكم وقيل معناه ولكن الله
سلمكم من الهزيمة والقتل انه عليم بذات الصدور يعني انه تعالى يعلم ما يحصل في
الصدور من الجراءة والجبن والصبر والجزع وقال ابن عباس معناه انه عليم بما في
صدوركم من الحب لله عز وجل واذ يريكموهم اذ التقيتم في اعينكم قليلا يعني ان الله
تعالى قلل عدد المشركين في اعين المؤمنين يوم بدر لما التقوا في القتال ليتأكد
في اليقظة ما اراه النبي صلى الله عليه وسلم في منامه واخبر به اصحابه قال ابن مسعود
لقد قللوا في اعيننا حتى قلت لرجل الى جنبي تراهم سبعين قال اراهم مائة
فاسرنا رجلا منهم فقلنا كم كنتم قال الفا ويقللكم في اعينهم يعني ويقللكم يا معشر
المؤمنين في اعين المشركين قال السدي قال ناس من المشركين ان العير قد
انصرفت فارجعوا فقال ابو جهل الان اذ برز لكم محمد واصحابه فلا ترجعوا حتى
تستاصلوهم انما محمد واصحابه اكلة جزور يعني لقلتهم في عينه ثم قال فلا
تقتلوهم واربطوهم في الحبال يقوله من القدرة على نفسه والحكمة في تقليل
المشركين في اعين المؤمنين لتصديق رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم ولتقوى
بذلك قلوب المؤمنين وتزداد جراءتهم عليهم ولا يجبنوا عند قتالهم والحكمة
في تقليل المؤمنين في اعين المشركين لئلا يهربوا واذا استقلوا عدد المسلمين لم يبالغوا
في الاستعداد والتاهب لقتالهم فيكون ذلك سببا لظهور المؤمنين عليهم فان قلت
ذلك ممكن في القدرة الالهية فان الله تعالى على ما يشاء قدير ويكون ذلك معجزة للنبي
صلى الله عليه وسلم والمعجزة هي من خوارق العادات فلا ينكر ذلك ليقضي الله امرا
كان مفعولا يعني امرا كائنا من اعلاء كلمة الاسلام ونصر اهله واذلال كلمة الشرك
وخذلان اهله فان قلت قد قال في الاية المتقدمة ولكن ليقضي الله امرا كان مفعولا
وقال في هذه الاية ليقضي الله امرا كان مفعولا فما معنى هذا التكرار قلت المقصود
من ذكره في الاية المتقدمة ليحصل استيلاء المؤمنين على المشركين على وجه القهر والغلبة
ليكون ذلك معجزة دالة على صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم والمقصود من ذكره
في هذه الاية لانه تعالى قلل عدد الفريقين في اعين بعضهم بعضا للحكمة التي قضاها فلذلك
قال ليقضي الله امرا كان مفعولا والى الله ترجع الامور يعني في الاخرة فيجازي كل عامل على
قدر عمله فالمحسن باحسانه والمسيء باساءته او يغفر قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذا
لقيتم فئة يعني جماعة كافرة فاثبتوا يعني لقتالهم وهو ان يوطنوا انفسهم على لقاء العدو
وقتاله ولا يحدثوا بالتولي واذكروا الله كثيرا يعني كونوا ذاكرين الله عند لقاء عدوكم
ذكرا كثيرا بقلوبكم والسنتكم امر الله عباده المؤمنين واولياءه الصالحين بان يذكروه في
اشد الاحوال وذلك عند لقاء العدو وقتاله وفيه تنبيه على ان الانسان لا يجوز ان يخلو

قلبه ولسانه عن ذكر الله وقيل المراد من هذا الذكر هو الدعاء بالنصر على العدو وذلك لا يحصل
الا بمعونة الله تعالى فامر الله عباده ان يسالوه النصر على العدو وعند اللقاء ثم قال تعالى
لعلكم تفلحون يعني وكونوا على رجاء الفلاح والنصر والظفر فان قلت ظاهر الاية توجب
الثبات على كل حال وذلك يوهم انها ناسخة لاية التحرف والتحيز قلت المراد من
الثبات هو الثبات عند المحاربة والمقاتلة في الجملة واية التحرف والتحيز لا يقدح في حصول
هذا الثبات في المحاربة بل كان الثبات في المقصود لا يحصل الا بذلك التحرف والتحيز ثم قال
تعالى مؤكدا لذلك واطيعوا الله ورسوله يعني في امر الجهاد والثبات عند لقاء العدو ولا
تنازعوا فتفشلوا يعني ولا تختلفوا فان التنازع والاختلاف يوجب الفشل والضعف
والجبن وقوله تعالى وتذهب ريحكم يعني قوتكم وقال مجاهد نصرتكم قال وذهب ريح
اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم حين نازعوه يوم احد وقال السدي جراءتكم وجدكم وقال
مقاتل حدتكم وقال الاخفش وابو عبيدة دولتكم والريح ههنا كناية عن نفاذ الامر
وجريانه على المراد تقول العرب هبت ريح فلان اذا اقبل امره على ما يريد وقال قتادة
وابن زيد هي ريح النصر ولم يكن نصر قط الا بريح يبعثها الله تضرب وجوه العدو ومنه
قول النبي صلى الله عليه وسلم نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور وعن النعمان بن مقرن
قال شهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان اذا لم يقاتل من اول النهار اخر
القتال حتى تزول الشمس وتهب الرياح وينزل النصر اخرجه ابو داود وقوله تعالى
واصبروا يعني عند لقاء عدوكم ولا تنهزموا عنهم ان الله مع الصابرين يعني بالنصر والمعونة
ق عن عبد الله بن ابي اوفى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض ايامه
التي لقي فيها العدو ينتظر حتى اذا مالت الشمس قام فيهم فقال ايها الناس لا
تتمنوا لقاء العدو واسئلوا الله العافية فاذا لقيتموهم فاصبروا واعلموا ان الجنة
تحت ظلال السيوف ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم منزل الكتاب
ومجري السحاب وهازم الاحزاب اهزمهم وانصرنا عليهم ق عن ابي هريرة قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تتمنوا لقاء العدو فاذا لقيتموهم فاصبروا قوله
عز وجل ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا يعني فخرا واشرا وقيل البطر
الطغيان في النعمة وذلك ان النعم اذا كثرت من الله على العبد فان صرفها
في المفاخرة على الاقران والمكاثرة بها ابناء الزمان وانفقها على غير طاعة الرحمن
فذلك هو البطر في النعمة وان صرفها في طاعة الله وابتغاء مرضاته فذلك
شكرها ورئاء الناس الرياء اظهار الجميل ليراه الناس مع ابطان القبيح والفرق
بين الرياء والنفاق ان النفاق اظهار الايمان مع ابطان الكفر والرياء اظهار
الطاعة مع ابطان المعصية ويصدون عن سبيل الله يعني ويمنعون الناس عن
الدخول في دين الله نزلت هذه الاية في كفار قريش حين خرجوا الى بدر ولهم

نحو يعني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم هذه قريش قد اقبلت بخيلائها
وفخرها تحادك وتكذب رسولك اللهم فنصرك الذي وعدتني به قال ابن عباس
ان ابا سفيان لما راى انه قد احرز عيره ارسل الى قريش انكم انما خرجتم لتمنعوا عيركم
ورجالكم واموالكم فقد نجاها الله فارجعوا فقال ابو جهل والله لا نرجع حتى نرد بدرا
وكان في بدر موسم من مواسم العرب يجتمع لهم بها سوق في كل عام قال فنقيم عليه
ثلاثا وننحر الجزور ونطعم الطعام ونسقي الخمور وتعزف علينا القيان وتسمع بنا
العرب فلا يزالون يهابوننا ابدا فامضوا زاد غيره فقال فلما وافوا بدرا اسقوا
الكوس الحمام عوضا عن الخمر وناحت عليهم النوائح مكان القيان فنهى الله عباده
المؤمنين ان يكونوا مثلهم والمعنى لا يكون امركم ايها المؤمنون رياء وسمعة ولا التماس
ما عند الناس ولكن اخلصوا لله عز وجل النية وقاتلوا حسبة في نصرة دينكم وموازرة
نبيكم صلى الله عليه وسلم ولا تعملوا الا كذلك ولا تطلبوا غيره وقوله والله بما يعملون
محيط فيه وعيد وتهديد يعني انه تعالى عالم بجميع الاشيا لا يخفى عن علمه شيء لانه
محيط باعمال العباد كلها فيجازي المحسنين ويعاقب المسيئين قوله تعالى واذ زين
لهم الشيطان اعمالهم يعني اذكروا ايها المؤمنون نعمة الله عليكم اذ زين الشيطان
وهو ابليس للمشركين اعمالهم الخبيثة وقال لا غالب لكم اليوم من الناس واني
جار لكم قال بعضهم كان تزيينه ووسوسته القاها في قلوبهم من غير ان يتحول في صورة
غير صورته وقال جمهور المفسرين تصور ابليس في صورة سراقة بن مالك بن جعشم
وكان تزيينه ان قريشا لما اجتمعت على المسير الى بدر ذكرت الذي بينها وبين بني بكر
ابن الحرث من حروب فكاد ذلك ان يثنيهم فتبدى لهم ابليس في صورة سراقة بن
مالك بن جعشم المدلجي وكان من اشراف بني كنانة فقال انا جار لكم من ان ياتيكم
من كنانة شيء تكرهونه فخرجوا سراعا وقال ابن عباس جاء ابليس يوم بدر
في جند من الشياطين معه رايته في صورة رجل من رجال بني مدلج سراقة بن
مالك بن جعشم فقال الشيطان للمشركين لا غالب لكم اليوم واني جار لكم
فلما اصطف الناس اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم قبضة من التراب
فرمى بها في وجوه المشركين فولوا مدبرين واقبل جبريل عليه السلام الى ابليس
لعنه الله فلما راه وكانت يده في يد رجل من المشركين انتزع ابليس يده ثم
ولى مدبرا وشيعته فقال الرجل يا سراقة اتزعم انك جار لنا فقال اني ارى
ما لا ترون اني اخاف الله والله شديد العقاب وذلك حين راى الملائكة
وقوله اني جار لكم يعني مجير لكم من كنانة فلما تراءت الفئتان يعني التقى
الجمعان راى الابليس الملائكة قد نزلوا من السماء علم عدو الله ابليس انه
لا طاقة له بهم نكص على عقبيه وقال اني بريء منكم يعني رجع القهقرى وولى

مدبرا هاربا

مدبرا هاربا على قفاه وقال الكلبي لما التقى الجمعان كان ابليس في صف المشركين على صورة
سراقة بن مالك بن جعشم وهو اخذ بيد الحرث بن هشام فنكص عدو الله ابليس على
عقبيه فقال له الحرث افرارا من غير قتال وجعل يمسكه فدفع في صدره وانطلق فانهزم الناس
فلما قدموا مكة قالوا هزم الناس سراقة فبلغ ذلك سراقة فقال بلغني انكم تقولون
اني هزمت الناس فوالله ما شعرت بمسيركم حتى بلغني هزيمتكم فقالوا اما اتيتنا في يوم
كذا وكذا فحلف لهم فلما اسلموا علموا ان ذلك كان شيطانا قال الحسن في قوله اني
ارى ما لا ترون قال راى ابليس جبريل عليه السلام معتجرا يمشي بين يدي النبي صلى الله
عليه وسلم وفي يده اللجام يقود الفرس ما ركب وقال قتادة قال ابليس اني ارى
ما لا ترون وصدق وقال اني اخاف الله وكذب ما به مخافة الله ولكن علم انه لا قوة
له ولا منعة فاوردهم واسلمهم وتلك عادة عدو الله ابليس لمن اطاعه اذا التقى الحق
والباطل اسلمهم وتبرا منهم وقيل انه خاف ان يهلك فيمن هلك وقيل خاف ان ياخذه
جبريل فيعرف حاله فلا يطيعوه وقيل معناه اني اخاف الله اي علم صدق وعده لاوليائه
لانه كان على ثقة من امره وقيل لما راى الملائكة قد نزلت من السما خاف ان تكون
القيامة والله شديد العقاب قيل معناه اني اخاف الله لانه شديد العقاب فعلى هذا
يكون من تمام قول ابليس وقيل تم كلامه عند قوله اني اخاف الله وقوله والله شديد
العقاب ابتدا كلام من قول الله والله شديد العقاب لمن خالف الله وكفر به عن طلحة بن عبيد الله
ابن كريز ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ما راى الشيطان يوما هو فيه اصغر ولا ادحر
ولا احقر ولا اغيظ منه في يوم عرفة وما ذاك الا لما راى من تنزل الرحمة وتجاوز
الله عن الذنوب العظام الا ما راى يوم بدر فانه قد راى جبريل يزع الملائكة اخرجه
مالك في الموطا قوله ولا ادحر هو بالدال والحاء المهملتين من الدحور وهو الابعاد
والطرد مع الاهانة وقوله يزع الملائكة اي يكفهم ويحبسهم لئلا يتقدم بعضهم على
بعض والوازع هو الذي يتقدم ويتاخر في الصف ليصلحه فان قلت كيف
يقدر ابليس على ان يتصور بصورة البشر واذا تشكل بصورة البشر فكيف يسمى
شيطانا قلت ان الله عز وجل اعطاه قوة واقدره على ذلك كما اعطى الملائكة
قوة واقدرهم على ان يتشكلوا بصورة البشر لكن النفس الباطنة لم تتغير فلم يلزم
من تغيير الصورة تغيير حقيقته قوله عز وجل اذ يقول المنافقون يعني من اهل المدينة
والذين في قلوبهم مرض اي شك وارتياب وهم قوم من اهل مكة تكلموا بالاسلام
ولم يقوى الاسلام في قلوبهم ولم يتمكن فلما خرج كفار قريش الى حرب رسول الله صلى
الله عليه وسلم خرجوا معهم الى بدر فلما نظروا الى قلة المسلمين ارتابوا وارتدوا و
قالوا غر هؤلاء دينهم يعني ان هؤلاء قليلون يقاتلون اضعافهم فقد غرهم دينهم
الاسلام على ذلك وحملهم على قتل انفسهم رجاء الثواب في الاخرة فقتلوا جميعا يوم

وقال مجاهد ان فتية من قريش وهم قيس بن الوليد بن المغيرة والوقيس بن الفاكه بن
المغيرة والحارث بن زمعة بن الاسود بن المطلب وعلي بن امية بن خلف والعاص
ابن منبه بن الحجاج خرجوا مع قريش من مكة وهم على الارتياب فحبسهم ارتيابهم فلما راوا
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا غر هولاء دينهم ثم قال تعالى ومن يتوكل على
الله يعني ومن يسلم امره الى الله ويثق بفضله ويعول على احسانه فان الله حافظه و
ناصره لانه عزيز لا يغلبه شي حكيم يعني فيما قضى وحكم فيوصل الثواب الى اوليائه
قوله تعالى ولو ترى اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يعني ولو عاينت يا محمد وشاهدت
اذ يقبض الملائكة ارواح الذين كفروا عند الموت فرايت امرا عظيما ومنظرا فظيعا
وعذابا شديدا ينالهم في ذلك الوقت يضربون وجوههم وادبارهم اختلفوا في
وقت هذا الضرب فقيل هو عند الموت يضرب الملائكة وجوه الكفار وادبارهم
بسياط من نار وقيل ان الذين قتلوا يوم بدر من المشركين كانت الملائكة تضرب
وجوههم وادبارهم وقال ابن عباس كان المشركون اذا اقبلوا بوجوههم الى المسلمين ضربت
الملائكة وجوههم بالسيوف واذا ولوا ادبارهم ضربت الملائكة ادبارهم وقال ابن جريج يريد
ما اقبل من اجسادهم وادبر يعني يضربون جميع اجسادهم وذوقوا عذاب الحريق
يعني ويقول لهم الملائكة عند القتل ذوقوا عذاب الحريق قيل كان مع الملائكة مقامع
من حديد محمية بالنار يضربون بها الكفار فتلتهب النار في جراحاتهم وقال ابن
عباس يقول لهم الملائكة ذلك بعد الموت وقال الحسن هذا يوم القيامة تقول
لهم الزبانية ذوقوا عذاب الحريق ذلك الذي نزل بكم من القتل والضرب والحريق
بما قدمت ايديكم يعني انما حصل لكم ذلك بسبب ما كسبت ايديكم من الكفر والمعاصي
فان قلت اليد ليست محلا للكفر وانما محله القلب لان الكفر اعتقاد والاعتقاد
محله القلب وظاهر الاية يقتضي ان فاعل هذا الكفر هو اليد وذلك ممتنع قلت
اليد هنا عبارة عن القدرة لان اليد آلة العمل والقدرة هي المؤثرة في العمل فجعل اليد
كناية عن القدرة وقوله وان الله ليس بظلام للعبيد يعني انه تعالى لا يعذب احدا من
خلقه الا بجرم اجرمه لان الظلم مدرس خلقه وانما نفى الله الظلم عن نفسه مع انه
يعذب الكافر على كفره والعاصي على عصيانه لانه يتصرف في ملكه كيف يشاء ومن كان
كذلك استحال نسبة الظلم اليه فلا يتوهم متوهم انه تعالى مع خلقه كفر الكافر وتعذيبه
عليه ظلم فلهذا قال تعالى وان الله ليس بظلام للعبيد لانهم في ملكه وتحت قدرته فهو يتصرف
فيهم كيف يشاء قوله تعالى كداب آل فرعون يعني ان عادة هولاء الكفار في كفرهم كعادة
آل فرعون في كفرهم فجوزي هولاء بالقتل والاسر يوم بدر كما جوزي آل فرعون بالاغراق
واصل الداب في اللغة ادامة العمل يقال فلان يداب في كذا اذا داوم عليه
ويتعب نفسه فيه ثم سميت العادة دابا لان الانسان يداوم على عادته ويواظب عليها

قال ابن

قال ابن عباس ان آل فرعون ايقنوا ان موسى عليه السلام نبي من الله تعالى فكذبوه
فكذلك هولاء لما جاءهم محمد صلى الله عليه وسلم بالصدق كذبوه فانزل الله بهم
عقوبته كما انزل بآل فرعون والذين من قبلهم يعني من قبل آل فرعون كفروا بآيات
الله يعني ان عادة الامم السالفة هو كفرهم بآيات الله فاخذهم الله بذنوبهم يعني
بسبب كفرهم وذنوبهم وكذب رسله شديد العقاب يعني لمن كفر به وكذب رسله
ذلك بان الله لم يك مغيرا نعمة انعمها على قوم حتى يغيروا ما بانفسهم يعني ان الله تعالى انعم على
اهل مكة بان اطعمهم من جوع وامنهم من خوف وبعث اليهم محمدا صلى الله عليه وسلم فقابلوا
هذه النعم بان تركوا شكرها وكذبوا رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم وغيروا ما بانفسهم فسلبهم
الله النعمة واخذهم بالعقاب قال السدي نعمة الله محمد صلى الله عليه وسلم انعم به على
قريش فكفروا وكذبوه فنقله الله الى الانصار وان الله سميع يعني لاقوال خلقه ولا يخفى
عليه شي من كلامهم عليم بما في صدورهم من خير او شر فيجازي كل واحد على عمله كداب
آل فرعون يعني ان هولاء الكفار الذين قتلوا يوم بدر غيروا نعمة الله عليهم كصنيع آل فرعون
والذين من قبلهم كذبوا بآيات ربهم فاهلكناهم بذنوبهم يعني اهلكنا بعضهم بالرجفة وبعضهم
بالريح وبعضهم بالمسخ كذلك اهلكنا كفار قريش بالسيف واغرقنا آل فرعون وكل كانوا
ظالمين يعني الاولين والآخرين فان قلت ما الفائدة في تكرير هذه الاية مرة ثانية قلت
فيها فوائد منها ان الكلام الثاني يجري مجرى التفصيل للكلام الاول لان الاية الاولى فيها ذكر
اخذهم وفي الاية الثانية ذكر اغراقهم فذلك تفسير للاول الفائدة الثانية انه ذكر في الاية
الاولى انهم كفروا بآيات الله وفي الاية الثانية انهم كذبوا بآيات ربهم ففي الاية الاولى اشارة
الى انهم انكروا آيات الله وجحدوها وفي الثانية اشارة الى انهم كذبوا بها مع جحودهم لها وكفرهم
بها الفائدة الثالثة ان تكرير هذه القصة للتاكيد وفي قوله كذبوا بآيات ربهم زيادة
دلالة على كفران النعم وجحود الحق وفي ذكر الاغراق بيان للاخذ بالذنوب ان شر الدواب عند الله
يعني في علمه وحكمه الذين كفروا فهم لا يؤمنون والمعنى ان شر الدواب من الانس الكفار
المصرين على الكفر نزلت في يهود بني قريظة رهط كعب بن الاشرف الذين عاهدت
منهم قيل من صلة يعني الذين عاهدتهم وقيل هي للتبعيض لان المعاهدة مع بعض
القوم وهم الرؤساء والاشراف ثم ينقضون عهدهم في كل مرة قال المفسرون ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم كان عاهد يهود بني قريظة ان لا يحاربوه ولا يعاونوا عليه فنقضوا
العهد واعانوا مشركي مكة بالسلاح على قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه
ثم قالوا نسينا واخطانا فعاهدهم الثانية فنقضوا العهد ايضا ومالوا الكفار على
رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الخندق وركب كعب بن الاشرف الى مكة فوافقهم
على مخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم لا يتقون يعني انهم لا يخافون الله في نقض
العهد لان عادة من يرجع الى دين وعقل وحزم ان يتقي نقض العهد حتى

يكن الناس الى قوله وسيقولون بكلامه فبين الله عز وجل ان من جمع بين الكفر ونقض العهد انه من شر الدواب فاما تثقفنهم في الحرب يعني فاما تجدن هؤلاء الذين نقضوا عهدك وتظفر بهم في الحرب فشرد بهم من خلفهم قال ابن عباس معناه فنكل بهم من وراءهم وقال سعيد بن جبير انذر بهم من خلفهم واصل التشريد في اللغة التفريق مع اضطراب ومعنى الاية انك اذا ظفرت بهؤلاء الكفار الذين نقضوا العهد فافعل بهم فعلا من القتل والتنكيل تفرق به جمع كل ناقض للعهد حتى يخافك من وراءهم من اهل مكة واليمن لعلهم يذكرون يعني لعل ذلك النكال يمنعهم من نقض العهد واما تخافن يعني واما تعلمن يا محمد من قوم يعني معاهدين خيانة يعني نقضا للعهد بما يظهر لك منهم من اثار الغدر كما ظهر من بني قريظة والنضير فانبذ اليهم اي فاطرح اليهم يعني عهدهم وارم به اليهم على سواء يعني على طريق ظاهر مستو يعني اعلمهم قبل حربك اياهم انك قد فسخت العهد بينك وبينهم حتى تكون انت وهم في العلم بنقض العهد سواء فلا يتوهموا انك نقضت العهد اولا بنصب الحرب معهم ان الله لا يحب الخائنين يعني في نقض العهد عن سليم بن عامر عن رجل من حمير قال كان بين معاوية وبين الروم عهد وكان يسير نحو بلادهم ليقرب حتى اذا انقضى العهد غزاهم فجاء رجل على فرس او برذون وهو يقول الله اكبر الله اكبر وفاء لا غدرا فاذا هو عمرو بن عبسة فارسل اليه معاوية فسأله فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من كان بينه وبين قوم عهد فلا يشد عقدة ولا يحلها حتى ينقضي امدها او ينبذ اليهم على سواء فرجع معاوية اخرجه ابو داود واخرجه الترمذي عن سليم بن عامر بلفظه بلا زيادة ورجل من حمير وعنده الله اكبر مرة واحدة وفيه جاء على دابة او فرس واما حكم الاية فقال اهل العلم اذا ظهرت اثار نقض العهد ممن هادنهم الامام من المشركين بامر ظاهر مستفيض استغنى الامام عن نبذ العهد واعلامهم بالحرب وان ظهرت الخيانة بامارات تلوح وتتضح له من غير امر مستفيض فحينئذ يجب على الامام ان ينبذ اليهم العهد ويعلمهم بالحرب وذلك لان قريظة كانوا قد عاهدوا النبي صلى الله عليه وسلم ثم اجابوا ابا سفيان ومن معه من المشركين الى مظاهرتهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فحصل لرسول الله صلى الله عليه وسلم خوف الغدر به وباصحابه فهنا يجب على الامام ان ينبذ اليهم على سواء ويعلمهم بالحرب واما اذا ظهر نقض العهد ظهورا مقطوعا فلا حاجة للامام الى نبذ العهد بل يفعل كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم باهل مكة لما نقضوا العهد بقتل خزاعة وهم في ذمة النبي صلى الله عليه وسلم فلم يرعهم الا وجيش رسول الله صلى الله عليه وسلم بمر الظهران وذلك على اربع فراسخ من مكة وقوله تعالى ولا تحسبن قرئ بالتاء على الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمعنى ولا تحسبن يا محمد الذين كفروا سبقوا يعني فاتوا وانهزموا يوم بدر وقرئ بالياء على الغيبة ومعناه ولا يحسبن الذين كفروا يعني خلصوا من القتل والاسر يوم بدر انهم لا يعجزون يعني انهم

بهذا السبق

بهذا السبق لا يعجزون من الانتقام منهم اما في الدنيا بالقتل واما في الآخرة بعذاب النار وفيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم فيمن فاته من المشركين ولم ينتقم منهم فاعلمه الله انهم لا يعجزون قوله عز وجل واعدوا لهم ما استطعتم من قوة الاعداد اتخاذ الشيء لوقت الحاجة اليه وفي المراد بالقوة اقوال احدها انها جميع انواع الاسلحة والآلات التي تكون لكم قوة في الحرب على قتال عدوكم الثاني انها الحصون والمعاقل الثالث الرمي وقد جاء مفسرا عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه عقبة بن عامر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر يقول واعدوا لهم ما استطعتم من قوة الا ان القوة الرمي ثلاثا اخرجه مسلم خ عن ابي اسيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر حين صففنا لقريش اذا اكثبوكم يعني غشوكم وفي رواية اكثروكم فارموهم فاستبقوا نبلكم وفي رواية اذا اكثبوكم فعليكم بالنبل م عن عقبة بن عامر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ستفتح عليكم الروم ويكفيكم الله فلا يعجز احدكم ان يلهو باسهمه م عن فقيم اللخمي قال قلت لعقبة بن عامر تختلف بين هذين الغرضين وانت شيخ كبير ويشق عليك فقال عقبة لولا كلام سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم لم اعانه قال قلت وما ذاك قال سمعته يقول من تعلم الرمي ثم تركه فليس منا او قد عصى عن ابن نجيح السلمي قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من بلغ بسهم فله درجة في الجنة فبلغت يومئذ عشرة اسهم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من رمى بسهم في سبيل الله فهو عدل محرر اخرجه النسائي والترمذي بمعناه وعنده قال عدل رقبة محررة واخرجه ابو داود ايضا عن عقبة بن عامر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله عز وجل ليدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة صانعه يحتسب في عمله الخير والرامي به والممد به وفي رواية ومنبله فارموا واركبوا وان ترموا احب الي من ان تركبوا كل لهو باطل ليس من اللهو محمودا الا ثلاثة تاديب الرجل فرسه وملاعبته اهله ورميه بقوسه اي نبله فانهن من الحق ومن ترك الرمي بعد ما علمه رغبة عنه فانها نعمة تركها او كفرها اخرجه ابو داود واخرجه الترمذي مختصرا الى بنبله خ عن سلمة بن الاكوع قال مر النبي صلى الله عليه وسلم على نفر من اسلم ينتضلون بالقوس فقال النبي صلى الله عليه وسلم ارموا بني اسماعيل فان اباكم كان راميا ارموا وانا مع بني فلان فامسك احد الفريقين بايديهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما لكم لا ترمون فقالوا كيف نرمي وانت معهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم ارموا وانا معكم كلكم القول الرابع ان المراد بالقوة جميع ما يتقوى به في الحرب على العدو فكل ما هو آلة يستعان بها في الجهاد فهو من جملة القوة المامور باستعدادها وقوله صلى الله عليه وسلم الا ان القوة الرمي لا ينفي كون غير الرمي ليس من القوة فهو كقوله صلى الله

عليه وسلم الحج عرفة وقوله الندم توبة فهذا لا ينفي اعتبار غيره بل يدل على ان هذا المذكور من
افضل المقصود واجله فكذا هاهنا يحمل من الاية على الاستعداد للقتال في الحرب وجهاد العدو
بجميع ما يمكن من الالات كالرمي بالنبل والنشاب والسيف والدرع وتعليم الفروسية كل ذلك
مامور به الا انه من فروض الكفايات وقوله تعالى ومن رباط الخيل يعني اقتنائها وربطها
للغزو في سبيل الله والربط شد الفرس وغيره بالمكان للحفظ وسمي المكان الذي يخص
باقامة حفظة فيه رباطا والمرابطة اقامة المسلمين بالثغور للحراسة فيها وربط الخيل للجهاد
من اعظم ما يستعان به روي ان رجلا قال لابن سيرين ان فلانا اوصى بثلث ماله
للحصون فقال ابن سيرين يشترى به الخيل ويربطها في سبيل الله وقال عكرمة القوة الحصون
ومن رباط الخيل يعني الاناث ووجه هذا ان العرب تربط الاناث من الخيل بالافنية للنسل وروي
ان خالد بن الوليد كان لا يركب في القتال الا الاناث لقلة صهيلها وعن ابي محيريز قال كان
الصحابة يستحبون ذكور الخيل عند الصفوف واناث الخيل عند البيات والغارات وقيل ربط
الفحول اولى من الاناث لانها اقوى على الكر والفر والعدو فكانت المحاربة عليها اولى من
الاناث وقيل ان لفظ الخيل عام فيتناول الفحول والاناث فاي ذلك ربط بنية الغزاة كان
في سبيل الله ق عن عروة بن الجعد البارقي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الخيل
معقود في نواصيها الخير الى يوم القيامة الاجر والغنيمة ق عن ابن عمر ان رسول الله عليه
وسلم قال الخيل في نواصيها الخير الى يوم القيامة خ عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال من احتبس فرسا في سبيل الله ايمانا بالله وتصديقا بوعده فان شبعه وريه
وروثه وبوله في ميزانه يوم القيامة يعني حسنات ق عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال الخيل ثلاثة هي للرجل اجر وللرجل ستر وعلى رجل وزر فاما الذي هي له اجر
فرجل ربطها في سبيل الله زاد في رواية لاهل الاسلام فاطال لها في مرج او روضة فما
اصابت في طيلها فقطعت طيلها فاستنت شرفا او شرفين كانت له اثارها وارواثها
حسنات ولو انها مرت بنهر فشربت منه ولم يرد ان يسقيها كان ذلك له حسنات فهي
لذلك الرجل اجر ورجل ربطها تغنيا ولم ينس حق الله في رقابها ولا ظهورها فهي لذلك
الرجل ستر ورجل ربطها فخرا ورياء ونواء لاهل الاسلام فهي على ذلك وزر وسئل
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحمر فقال ما انزل علي فيها شيء الا هذه الاية الجامعة
الفاذة فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره الطيل الحبل
الذي يشد به الفرس وقت الرعي والاستنان الجري والشرف الشوط الذي يجري
فيه الفرس وقوله تغنيا يعني استغناء بها عن الطلب لما في ايدي الناس اما حق ظهورها
فهو ان يحمل عليها منقطعا الى اهله واما حق رقابها فقيل اراد به الاحسان اليها
وقيل اراد به الحمل عليها فعبر بالرقبة عن الذات وقوله نواء لاهل الاسلام النواء
المعاداة يقال ناوات الرجل مناواة اذا عاديته وقوله تعالى ترهبون به عدو الله

وعدوكم

وعدوكم يعني تخوفون بتلك القوة وبذلك الرباط عدو الله وعدوكم يعني الكفار
من اهل مكة وغيرهم وقال ابن عباس تخزون به عدو الله وعدوكم وذلك لان الكفار
اذا علموا ان المسلمين متاهبين للجهاد مستعدين مستكملين لجميع الاسلحة والات
الحرب واعداد الخيل مربوطة للجهاد خافوهم فلا يقصدون دخول دار الاسلام بل يصير
ذلك سببا لدخول الكفار في الاسلام او بذل الجزية للمسلمين وقوله تعالى وآخرين من دونهم
يعني وترهبون اخرين من دونهم اختلف العلماء فيهم فقال مجاهد هم بنو قريظة وقال
السدي هم فارس وقال ابن زيد هم المنافقون لقوله تعالى لا تعلمونهم لانهم معكم
يقولون بالسنتهم لا اله الا الله الله يعلمهم يعني انهم منافقون واورد
على هذا القول ان المنافقين لا يقاتلون لاظهارهم كلمة الاسلام فكيف يخوفون
باعداد القوة ورباط الخيل واجيب عن هذا الايراد ان المنافقين اذا شاهدوا
قوة المسلمين وكثرة الاتهم واسلحتهم كان ذلك مما يخوفهم ويحزنهم فكان ذلك ارهابا لهم
وقال الحسن هم كفار الجن وصحح هذا القول الطبري قال لان الله تعالى قال لا تعلمونهم
ولا شك ان المؤمنين كانوا عالمين بعداوة قريظة وفارس لعلمهم بانهم مشركون
ولانهم حرب للمؤمنين اما الجن فلا تعلمونهم الله يعلمهم يعني يعلم احوالهم واماكنهم
دونكم ويعضد هذا القول ما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال هم الجن وان الشيطان
لا يخبل احدا في داره فرس عتيق ذكر هذا الحديث ابن الجوزي وغيره من المفسرين
بغير اسناد وقال الحسن صهيل الخيل يرهب الجن وقوله تعالى وما تنفقوا من شيء في
سبيل الله قيل اراد به نفقة الجهاد والغزو وقيل هو عام في كل وجوه الخير والطاعة
فيدخل فيه نفقة الجهاد وغيره يوف اليكم اجره يعني في الاخرة ويعجل لكم عوضه في الدنيا
وانتم لا تظلمون يعني وانتم لا تنقصون من ثواب اعمالكم شيئا قوله تعالى وان جنحوا
للسلم فاجنح لها لما امر الله عباده المؤمنين باعداد القوة وما يرهب العدو امرهم
بعد ذلك ان تقبلوا منهم الصلح ان مالوا اليه وسالوه فقال تعالى وان جنحوا
يعني مالوا الى السلم يعني المصالحة فاقبلوا منهم الصلح وهو قوله فاجنح لها اي مل اليها
يعني الى المصالحة روي عن الحسن وقتادة ان هذه الاية منسوخة باية السيف
وقيل انها غير منسوخة لكنها تتضمن الامر بالصلح اذا كان فيه مصلحة ظاهرة فان
راى الامام ان يصالح اعداءه من الكفار وفيه قوة فلا يجوز ان يهادنهم سنة كاملة
وان كانت القوة للمشركين جاز ان يهادنهم عشر سنين ولا يجوز الزيادة عليها اقتداء
برسول الله صلى الله عليه وسلم فانه صالح اهل مكة مدة عشر سنين ثم انهم نقضوا
العهد قبل انقضاء المدة وقوله تعالى وتوكل على الله يعني فوض امرك الى الله فيما
عقدته معهم ليكون عونا لك في جميع احوالك انه هو السميع يعني لاقوالهم
العليم باحوالهم قوله عز وجل وان يريدوا ان يخدعوك يعني يغدروا بك قال

مجاهد يعني بني قريظة والمعنى وان ارادوا باظهار الصلح خديعتك لتكف عنهم فان
حسبك الله يعني فان الله كافيك بنصره ومعونته هو الذي ايدك بنصره يعني هو
قواك واعانك بنصره يوم بدر وفي ساير ايامك وبالمؤمنين يعني وايدك بالمؤمنين
يعني الانصار فان قلت اذا كان الله قد ايده بنصره فاي حاجة الى نصر المؤمنين حتى
يقول وبالمؤمنين قلت التاييد والنصر من الله عز وجل وحده لكنه يكون باسباب باطنة
غير معلومة وباسباب ظاهرة معلومة فاما الذي يكون بالاسباب الباطنة فهو المراد
بقوله هو الذي ايدك بنصره لان اسبابه باطنة بغير وسايط معلومة واما الذي
يكون بالاسباب الظاهرة فهو المراد بقوله وبالمؤمنين لان اسبابه ظاهرة وهي وسايط
وهم المؤمنون والله تعالى هو مسبب الاسباب وهو الذي اقامهم لنصره ثم بين كيف
ايده بالمؤمنين فقال تعالى والف بين قلوبهم لو انفقت ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم
ولكن الله الف بينهم وذلك لان العرب كانوا فيهم من الحمية الشديدة والانفة العظيمة والانفس
القوية والعصبية والانطواء على الضغينة في ادنى شي حتى لو ان رجلا من قبيلة لطم لطمة
واحدة قاتل عنه اهل قبيلته حتى يدركوا ثارهم لا يكاد يأتلف منهم قلبان فلما بعث رسول الله
صلى الله عليه وسلم فيهم وامنوا به واتبعوه انقلبت تلك الحالة فائتلفت قلوبهم واجتمعت
كلمتهم وزالت حمية الجاهلية من قلوبهم وابدلت تلك الضغاين والتحاسد بالمودة والمحبة
لله وفي الله واتفقوا على الطاعة وصاروا انصار الرسول صلى الله عليه وسلم واعوانا
يقاتلون عنه ويحمونه وهم الاوس والخزرج وكانت بينهم في الجاهلية حروب عظيمة
ومعاداة شديدة ثم زالت تلك الحروب وحصلت الالفة والمحبة وهذا مما لا يقدر عليه
الا الله عز وجل وصار ذلك معجزة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ظاهرة باهرة دالة على
صدقه ومنه قوله صلى الله عليه وسلم يا معشر الانصار الم اجدكم ضلالا فهداكم الله بي
وكنتم متفرقين فالفكم الله بي وعالة فاغناكم الله بي وفي الاية دليل على ان القلوب
بيد الله يصرفها كيف شا واراد وذلك لان تلك الالفة والمحبة انما حصلت بسبب
الايمان واتباع الرسول صلى الله عليه وسلم ثم انه تعالى ختم هذه بقوله انه عزيز حكيم يعني انه تعالى
قادر قاهر يمكنه التصرف في القلوب فيقلبها من العداوة الى المحبة ومن النفرة الى الالفة
وكل ذلك على وجه الحكمة والصواب قوله تعالى يا ايها النبي حسبك الله ومن اتبعك من
المؤمنين روى سعيد بن جبير عن ابن عباس ان هذه الاية نزلت في اسلام عمر بن الخطاب
قال سعيد بن جبير اسلم مع النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة وثلاثون رجلا وست نسوة ثم
اسلم عمر فنزلت هذه الاية فعلى هذا القول تكون الاية مكية كتبت في سورة مدنية
بامر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل انها نزلت بالبيداء في غزوة بدر قبل القتال
فعلى هذا القول اراد بقوله ومن اتبعك من المؤمنين يعني الى غزوة بدر وقيل
اراد بقوله ومن اتبعك من المؤمنين يعني الانصار والاية نزلت بالمدينة وقيل

اراد جميع المهاجرين والانصار ومعنى الاية يا ايها النبي حسبك الله وحسب من اتبعك
من المؤمنين وقيل معناه حسبك الله ومتبوعك من المؤمنين قوله عز وجل يا ايها النبي
حرض المؤمنين على القتال يعني حثهم على قتال عدوهم والتحريض في اللغة الحث على
الشي بكثرة التزيين وتسهيل الخطب فيه كانه في الاصل ازالة الحرض وهو الهلاك
ان يكن منكم عشرون يعني رجلا صابرون يعني عند اللقا محتسبين انفسهم يغلبوا
مايتين يعني من عدوهم وظاهر لفظ الاية خبر ومعناه الامر فكانه قال ان يكن
منكم عشرون ليصبروا وليجتهدوا في قتال عدوهم حتى يغلبوا مايتين ويدل على
ان المراد بهذا الخبر الامر قوله الان خفف الله عنكم لان النسخ لا يدخل على
الاخبار انما يدخل على الامر فدل ذلك على ان الله تعالى اوجب اولا على المؤمنين
هذا الحكم وانما حسن هذا التكليف لان الله وعدهم بالنصر ومن تكفل الله له
بالنصر سهل عليه الثبات مع الاعدا وان يكن منكم ماية يعني صابرة يغلبوا الفا من
الذين كفروا ومحاصله وجوب ثبات الواحد من المؤمنين في مقابلة العشرة من
الكفار ذلك بانهم قوم لا يفقهون يعني ان المشركين لا يقاتلون لطلب
ثواب وخوف عقاب انما يقاتلون حمية فاذا صدقتموهم في القتال فانهم لا يثبتون
معكم الان خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا فان يكن منكم ماية صابرة
يغلبوا مايتين وان يكن منكم الف يغلبوا الفين باذن الله خ عن ابن عباس
قال لما نزلت ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مايتين كتب عليهم ان لا
يفر واحد من عشرة ولا عشرين من مايتين ثم نزلت الان خفف الله عنكم الاية
فكتب ان لا يفر ماية من مايتين وفي رواية اخرى عنه قال لما نزلت ان يكن
منكم عشرون صابرون يغلبوا مايتين شق ذلك على المسلمين فنزلت الان
خفف الله عنكم الاية فلما خفف الله عنهم من العدة نقص عنهم من الصبر بقدر
ما خفف عنهم وظاهر هذا ان قوله الان خفف الله عنكم ناسخ لما في الاية
الاولى وكان هذا الامر يوم بدر فرض الله تعالى على الرجل الواحد من المؤمنين
قتال عشرة من الكافرين فثقل ذلك على المؤمنين فنزل الان خفف الله عنكم
ايها المؤمنون وعلم ان فيكم ضعفا يعني في قتال الواحد للعشرة فان يكن منكم
ماية صابرة محتسبة يغلبوا مايتين وان يكن منكم الف يغلبوا الفين باذن
الله فرد من العشرة الى اثنين فاذا كان المسلمون على قدر النصف من
عدوهم لا يجوز لهم ان يفروا فايما رجل فر من ثلاثة فلم يفر ومن فر من اثنين
فقد فر والله مع الصابرين يعني بالنصر والمعونة قال سفيان قال ابن شبرمة
وارى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر مثل ذلك قوله تعالى ما كان لنبي
ان تكون له اسرى روى عن عبد الله بن مسعود قال لما كان يوم بدر وجي

بالاسارى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تقولون فى هولا فقال ابو بكر يا رسول الله
قومك واهلك استبقهم واستان بهم لعل الله ان يتوب عليهم وخذ منهم فدية تكون
لنا قوة على الكفار وقال عمر يا رسول الله كذبوك واخرجوك قدمهم نضرب اعناقهم فمكن
عليا من عقيل فيضرب عنقه ومكنى من فلان نسيب لعمر فاضرب عنقه فان هولا ائمة
الكفر وقال عبد الله بن رواحة يا رسول الله انظر واديا كثير الحطب فادخلهم فيه ثم اضرم
عليهم نارا فقال له العباس قطعتك رحمك فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يجبهم
ثم دخل فقال ناس يأخذ بقول ابى بكر وقال ناس يأخذ بقول عمر وقال ناس يأخذ بقول ابن رواحة
ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان الله ليلين قلوب رجال حتى تكون الين من اللبن
وليشدد قلوب رجال حتى تكون اشد من الحجارة وان مثلك يا ابا بكر مثل ابراهيم قال فمن
تبعنى فانه منى ومن عصانى فانك غفور رحيم ومثلك يا ابا بكر مثل عيسى قال ان تعذبهم
فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم ومثلك يا عمر مثل نوح قال لا تذر
على الارض من الكافرين ديارا ومثلك كمثل موسى قال ربنا اطمس على اموالهم واشدد
على قلوبهم الاية ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اليوم انتم عالة فلا يفلتن احد منهم
الا بفدا او ضرب عنق قال عبد الله بن مسعود الا سهيل بن بيضا فانى سمعته يذكر
الاسلام فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فما رايتنى فى يوم اخوف ان تقع
على الحجارة من السما منى فى ذلك اليوم حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا سهيل بن بيضا
قال ابن عباس قال عمر بن الخطاب فهوى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال ابو بكر ولم يهو
ما قلت واخذ منهم الفدا فلما كان من الغد جئت فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر
قاعدين يبكيان فقلت يا رسول الله اخبرنى من اى شى تبكى انت وصاحبك فان
وجدت بكا بكيت وان لم اجد بكا تباكيت لبكائكما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابكى
للذى عرض على اصحابك من اخذهم الفدا لقد عرض على عذابهم ادنى من هذه الشجرة
لشجرة قريبة من نبى الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله عز وجل ما كان لنبى ان يكون له
اسرى حتى يثخن فى الارض الاية اخرج هذا الحديث الترمذى مختصرا وقال فى الحديث
قصة وهى هذه القصة التى ذكرها البغوى واخرج مسلم فى افراده من حديث عمر بن
الخطاب قال ابن عباس لما اسروا الاسارى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابى بكر
وعمر ما ترون فى هولا الاسارى فقال ابو بكر يا رسول الله هم بنو العم والعشيرة ارى
ان تاخذ منهم فدية تكون لنا قوة على الكفار فعسى الله ان يهديهم الى الاسلام فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ترى يا ابن الخطاب قال قلت لا والله يا رسول الله ما ارى
الذى راى ابو بكر ولكنى ارى ان تمكننا فنضرب اعناقهم فتمكن عليا من عقيل
فيضرب عنقه وتمكننى من فلان نسيبا لعمر فاضرب عنقه فان هولا ائمة الكفر
وصناديدها فهوى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال ابو بكر ولم يهو ما قلت

فلما كان

فلما كان من الغد جئت فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر قاعدين يبكيان
فقلت يا رسول الله اخبرنى من اى شى تبكى انت وصاحبك فان وجدت بكا
بكيت وان لم اجد بكا تباكيت لبكائكما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابكى
للذى عرض على اصحابك من اخذهم الفدا لقد عرض على عذابهم ادنى من هذه
الشجرة لشجرة قريبة من نبى الله صلى الله عليه وسلم وانزل الله عز وجل ما كان لنبى
ان يكون له اسرى حتى يثخن فى الارض الى قوله فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا فاحل الله
الغنيمة لهم ذكره الحميدى فى مسند عمر بن الخطاب من افراد مسلم بزيادة فيه اما التفسير
فقوله تعالى ما كان لنبى ان يكون له اسرى حتى يثخن فى الارض يعنى ما كان
ينبغى ولا يجب لنبى وقال ابو عبيدة معناه لم يكن لنبى ان يحبس كافرا قدر عليه
وصار فى يده اسيرا للفدا والمن والاسرى جمع اسير واسارى جمع الجمع حتى يثخن فى
الارض الاثخان فى كل شى عبارة عن قوته وشدته يقال اثخنه المرض اذا اشتدت
قوته عليه والمعنى حتى يبالغ فى قتل المشركين ويغلبهم ويقهرهم فاذا حصل ذلك
فله ان يقدم على الاسرى فيأسر الاسارى تريدون عرض الدنيا الخطاب لاصحاب
النبى صلى الله عليه وسلم يعنى تريدون ايها المؤمنون عرض الدنيا باخذكم الفدا من المشركين
وانما سمى منافع الدنيا عرضا لانه لا ثبات لها ولا دوام فكانها تعرض ثم تزول
بخلاف منافع الاخرة فانها دائمة لا انقطاع لها وقوله تعالى والله يريد الاخرة يعنى
انه تعالى يريد لكم ثواب الاخرة بقهركم المشركين ونصركم الدين لانها دائمة بلا زوال
ولا انقطاع والله عزيز لا يقهر ولا يغلب حكيم يعنى فى تدبير مصالح عباده قال ابن عباس
كان ذلك يوم بدر والمسلمون يومئذ قليل فلما كثروا واشتد سلطانهم انزل الله
فى الاسارى فاما منا بعد واما فدا فجعل الله محمدا صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بالخيار
ان شاءوا قتلوهم وان شاءوا استعبدوهم وان شاءوا فادوهم وان شاءوا اعتقوهم
قال الامام فخر الدين ان هذا الكلام يوهم ان قوله اما منا بعد واما فدا يزيل حكم الاية
التى نحن فى تفسيرها وليس الامر كذلك لان كلتا الايتين متوافقتان وكلتاهما تدلان
على انه لا بد من تقديم الاثخان ثم بعده اخذ الفدا قال العلما كان الفدا لكل اسير اربعين
اوقية والاوقية اربعون درهما فيكون مجموع ذلك الف وماية درهم وقال
قتادة كان الفدا يومئذ لكل اسير اربعة الاف اربعة الاف **فصل** وقد استدل
بهذه الاية من يقدح فى عصمة الانبيا وبيانه من وجوه الاول ان قوله ما كان
لنبى ان يكون له اسرى صريح فى النهى عن اخذ الفدا من الاسارى وقد وجد
ذلك يوم بدر الوجه الثانى ان الله امر النبى صلى الله عليه وسلم وقومه بقتل المشركين
يوم بدر فلما لم يقتلوهم بل اسروهم دل ذلك على صدور الذنب منهم الوجه
الثالث ان النبى صلى الله عليه وسلم حكم باخذ الفدا وهو محرم وذلك ذنب الوجه

تنبيه عمر

الرابع ان النبي صلى الله عليه وسلم وابا بكر قعدا يبكيان لاجل اخذ الفدا وخوف العذاب
وقرب نزوله والجواب عن الوجه الاول ان قوله تعالى ما كان لنبي ان يكون له اسرى حتى
يثخن في الارض يدل على انه كان له ان يأسر ولكن بشرط الاثخان في الارض
وقد حصل لان الصحابة قتلوا يوم بدر سبعين رجلا من عظماء المشركين وصناديدهم
واسروا سبعين وليس من شرط الاثخان في الارض قتل جميع الناس فدلت هذه
الاية على جواز الاسر بعد الاثخان وقد حصل والجواب عن الوجه الثاني ان الامر بالقتل انما
كان مختصا بالصحابة لاجماع المسلمين ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يؤمر بمباشرة قتال
الكفار بنفسه واذا ثبت ان الامر بالقتل كان مختصا بالصحابة كان الذنب صادرا
منهم لا من النبي صلى الله عليه وسلم والجواب عن الوجه الثالث وهو ان النبي صلى الله
عليه وسلم حكم باخذ الفدا وهو محرم فنقول لا نسلم ان اخذ الفدا كان محرما واما قوله تعالى
تريدون عرض الدنيا والله يريد الاخرة ففيه عتاب لطيف لغرض اخذ الفدا من
الاسارى والمبادرة اليه ولا يدل ايضا على تحريم الفدا اذ لو كان حراما في علم الله لمنعهم
من اخذه مطلقا والجواب عن الوجه الرابع وهو ان النبي صلى الله عليه وسلم وابا بكر
قعدا يبكيان يحتمل ان يكون لاجل ان بعض الصحابة لما خالف الامر بالقتال واشتغل بالاسر
استوجب بذلك البعض العذاب بسبب ذلك القتل وهو الاسر واخذ الفدا والله
اعلم قوله عز وجل لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم قال
ابن عباس كانت الغنائم محرمة على الانبيا والامم فكانوا اذا اصابوا مغنما
جعلوه للقربان فكانت النار تنزل من السما فتاكله فلما كان يوم بدر اسرع
المؤمنون في اخذ الغنائم والفدا فانزل الله لولا كتاب من الله سبق يعني لولا
قضاء من الله سبق في اللوح المحفوظ بانه يحل لكم الغنائم لمسكم فيما اخذتم عذاب
عظيم وقال الحسن ومجاهد وسعيد بن جبير لولا كتاب من الله سبق انه لا يعذب
احدا ممن شهد بدرا مع النبي صلى الله عليه وسلم وقال ابن جريج لولا كتاب من الله
سبق انه لا يضل قوما بعد اذ هداهم حتى يتبين لهم ما يتقون وانه لا ياخذ قوما
فعلوا بجهالة لمسكم يعني لاصابكم بسبب ما اخذتم من الفدا قبل ان تؤمروا به عذاب
عظيم قال محمد بن اسحاق لم يكن من المؤمنين احد ممن حضر بدرا الا واحب الغنائم
الا عمر بن الخطاب فانه اشار على رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتل الاسارى وسعد
ابن معاذ فانه قال يا رسول الله كان الاثخان في القتل احب الي من استبقاء الرجال
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو نزل عذاب من السما ما نجا منه غير عمر وسعد بن
معاذ وقوله تعالى فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا يعني فقد احللت لكم الغنائم واخذ
الفدا فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا وروي انه لما نزلت هذه الاية الاولى كف
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ايديهم عما اخذوا من الفدا فنزلت فكلوا

ماغنمتم

مما غنمتم حلالا طيبا فاحل الله الغنائم بهذه الاية لهذه الامة وكانت قبل ذلك حراما
على سائر الامم الماضية صح من حديث جابر بن عبد الله ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال واحلت لي الغنائم ولم تحل لاحد قبلي ق عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال فلم تحل الغنائم لاحد قبلنا ثم احل الله لنا الغنائم وذلك بان الله راى
ضعفنا وعجزنا فاحلها لنا وقوله تعالى واتقوا الله ان الله غفور رحيم يعني وخافوا
الله ان تعودوا ان تفعلوا اشياء من قبل انفسكم قبل ان تؤمروا به واعلموا ان الله
قد غفر لكم ما قدمتم عليه من هذا الذنب ورحمكم وقيل في قوله واتقوا الله اشارة
الى المستقبل وقوله ان الله غفور رحيم اشارة الى الحالة الماضية قوله تعالى يا ايها النبي
قل لمن في ايديكم نزلت في العباس بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم
وكان احد العشرة الذين ضمنوا ان يطعموا الناس الذين خرجوا من مكة الى بدر وكان قد
خرج ومعه عشرون اوقية من ذهب ليطعم بها اذا جاءت نوبته فكان يوم الوقعة
ببدر نوبته فاراد ان يطعم ذلك اليوم فاقتتلوا فلم يطعم شيئا وبقيت العشرون اوقية
معه فلما اسر اخذت منه فكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يحسب العشرين اوقية
من فدائه فابى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اما شي خرجت به لتستعين به علينا فلا
اتركه لك وكلف فدا ابني اخيه عقيل بن ابي طالب ونوفل بن الحرث فقال العباس
يا محمد تتركني اتكفف قريشا ما بقيت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاين الذهب
الذي دفنته ام الفضل وقت خروجك من مكة وقلت لها اني لا ادري ما يصيبني
في وجهي هذا فان حدث بي حدث في ذلك ولعبد الله ولعبيد الله وللفضل وقثم
يعني بنيه فقال العباس وما يدريك يا ابن اخي قال اخبرني به ربي فقال العباس
اشهد انك لصادق واشهد ان لا اله الا الله وانك عبده ورسوله لم يطلع عليه
احد الا الله وامر ابني اخيه عقيلا ونوفل بن الحرث فاسلما ففي ذلك قوله تعالى يا ايها
النبي قل لمن في ايديكم من الاسارى يعني الذين اسرتموهم واخذتم منهم الفدا
ان يعلم الله في قلوبكم خيرا يعني ايمانا وتصديقا يؤتكم خيرا مما اخذ منكم يعني من الفدا
ويغفر لكم يعني ما سلف منكم قبل الايمان والله غفور يعني لمن امن وتاب من
كفره ومعاصيه رحيم يعني باهل طاعته قال العباس فابدلني الله خيرا مما اخذ مني عشرين
عبدا كلهم تاجر يضرب بمال كثير ادناهم يضرب بعشرين الف درهم مكان العشرين
اوقية واعطاني زمزم وما احب ان لي بها جميع اموال اهل مكة وانا انتظر المغفرة
من ربي عز وجل وقوله تعالى وان يريدوا يعني الاسرى خيانتك يعني يكفروا بك
فقد خانوا الله يعني فقد كفروا بالله من قبل وقيل معناه وان نقضوا العهد ورجعوا
الى الكفر فقد خانوا الله بذلك فامكن يعني فامكن المؤمنين منهم ببدر حتى قتلوا
منهم واسروا منهم وهذا نهاية الامكان وفيه بشارة للنبي صلى الله عليه وسلم بانه

يتمكن من كل احد بخونه او ينقض عهده والله عليم يعني بما في بواطنهم وضمايرهم
من ايمان وتصديق او خيانة ونقض عهد حكيم يعني حكم بانه يجازي كلا بعمله
الخير بالثواب والشر بالعقاب قوله عز وجل ان الذين امنوا وهاجروا وجاهدوا باموالهم
وانفسهم في سبيل الله يعني ان الذين امنوا بالله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم
وصدقوا بما جاءهم به وهاجروا يعني هجروا ديارهم وقومهم في ذات الله عز وجل
وابتغاء رضوانه وهم المهاجرون الاولون وجاهدوا يعني وبذلوا انفسهم في
سبيل الله يعني طاعة الله وابتغاء رضوانه والذين اووا ونصروا يعني اووا رسول
الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من اصحابه من المهاجرين واسكنوهم منازلهم
ونصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم الانصار اولئك يعني المهاجرين والانصار
بعضهم اوليا بعض يعني في العون والنصر دون اقربائهم من الكفار وقال
ابن عباس في الميراث وكانوا يتوارثون بالهجرة وكان المهاجرون والانصار
يتوارثون دون اقربائهم وذوي ارحامهم وكان من امن ولم يهاجر لا يرث
من قريبه المهاجر حتى كان فتح مكة وانقطعت الهجرة فتوارثوا بالارحام حيث
ما كانوا وصار ذلك منسوخا بقوله واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب
الله وقوله تعالى والذين امنوا ولم يهاجروا يعني امنوا واقاموا بمكة ما لكم من ولايتهم
من شيء يعني من الميراث حتى يهاجروا يعني الى المدينة وان استنصروكم في الدين يعني
ان استنصركم الذين امنوا ولم يهاجروا فعليكم النصر يعني فعليكم نصرهم واعانتهم
الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق اي عهد فلا تنصروهم عليهم والله بما تعملون
بصير والذين كفروا بعضهم اوليا بعض يعني في النصر والمعونة وذلك ان
كفار قريش كانوا معادين لليهود فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم
تعاونوا عليه جميعا قال ابن عباس يعني في الميراث وهو ان يرث الكفار
بعضهم من بعض الا تفعلوه تكن فتنة في الارض وفساد كبير قال ابن عباس
الا تاخذوا في الميراث بما امرتكم به وقال ابن جريج الا تعاونوا وتناصروا وقال
ابن اسحاق جعل الله المهاجرين والانصار اهل ولايته في الدين دون من
سواهم وجعل الكافرين بعضهم اوليا بعض ثم قال تعالى الا تفعلوه وهو
ان يتولى المومن الكافر دون المومنين تكن فتنة في الارض وفساد كبير
فالفتنة في الارض هي قوة الكفار والفساد الكبير هي ضعف المسلمين والذين
امنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين اووا ونصروا اولئك هم
المومنون حقا يعني لا شك في ايمانهم ولا ريب لانهم حققوا ايمانهم بالهجرة
والجهاد وبذل النفس والمال في نصر الدين لهم مغفرة لذنوبهم ورزق كريم
يعني في الجنة فان قلت ما معنى هذا التكرار قلت ليس فيه تكرار لانه تعالى

ذكر في الاية

ذكر في الاية الاولى حكم ولاية المهاجرين والانصار بعضهم بعضا ثم ذكر في هذه
الاية ما من به عليهم من المغفرة والرزق الكريم وقيل ان اعادة الشي
مرة اخرى يدل على مزيد الاهتمام فلما ذكرهم اولا ثم اعاد ذكرهم ثانيا دل
على تعظيم شانهم وعلو مرتبتهم ودرجاتهم وهذا هو الشرف العظيم لانه تعالى
ذكر في هذه الاية من وجوه المدح ثلاثة انواع احدها قوله اولئك هم المومنون
حقا وهذا يفيد الحصر وقوله تعالى حقا يفيد المبالغة في وصفهم بكونهم محققين
في طريق الدين وتحقيق هذا القول ان من فارق اهله وداره التي نشا فيها
وبذل النفس والمال كان مومنا حقا النوع الثاني قوله تعالى لهم مغفرة
وتنكير لفظ المغفرة يدل على ان لهم مغفرة واي مغفرة لا ينالها غيرهم والمعنى
لهم مغفرة تامة كاملة ساترة لجميع ذنوبهم النوع الثالث قوله تعالى ورزق
كريم فكل شي شرف وعظم في بابه قيل له كريم والمعنى ان لهم في الجنة رزق
كريم لا يلحقهم فيه غضاضة ولا تعب وقيل ان المهاجرين كانوا على طبقات
فمنهم من هاجر اولا الى المدينة وهم المهاجرون الاولون ومنهم من هاجر الى
ارض الحبشة ثم هاجر الى المدينة فهم اصحاب الهجرتين ومنهم من هاجر بعد صلح
الحديبية وقبل فتح مكة فذكرهم الله في الاولى اصحاب الهجرة الاولى وذكر
في الثانية اصحاب الهجرة الثانية والله اعلم بمراده وقوله تعالى والذين امنوا
من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم اختلفوا في قوله من بعد فقيل من بعد
صلح الحديبية وهي الهجرة الثانية وقيل من بعد نزول هذه الاية وقيل من بعد
غزوة بدر والاصح ان المراد به اهل الهجرة الثانية لانها بعد الهجرة الاولى
لان الهجرة انقطعت بعد فتح مكة لانها صارت دار الاسلام بعد الفتح ويدل
عليه قوله صلى الله عليه وسلم لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية اخرجاه في الصحيحين
وقال الحسن الهجرة غير منقطعة ويجاب عن هذا بان المراد منه الهجرة المخصوصة
من مكة الى المدينة فاما من كان من المومنين في بلد يخاف على اظهار دينه من
كثرة الكفار وجب عليه ان يهاجر الى بلد لا يخاف فيه على اظهار دينه وقوله تعالى
فاولئك منكم يعني انهم منكم وانتم منهم لكن فيه دليل على ان مرتبة المهاجرين
الاولين اشرف واعظم من مرتبة المهاجرين السابقين وجعلهم منهم وذلك
معرض المدح والشرف ولولا ان المهاجرين الاولين افضل واشرف لما صح هذا
الالحاق وقوله تعالى واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله قال
ابن عباس كانوا يتوارثون بالهجرة والاخاء حتى نزلت هذه الاية واولوا الارحام
بعضهم اولى ببعض في الميراث فتبين بهذه الاية ان سبب القرابة اقوى
واولى من سبب الهجرة والاخاء ونسخ بهذه الاية ذلك التوارث وقوله

في كتاب الله يعني في حكم الله وقيل اراد به في اللوح المحفوظ وقيل اراد به القران وهو
ان قسمة المواريث مذكورة في سورة النساء في كتاب الله وهو القران وتمسك
اصحاب ابي حنيفة بهذه الاية في توريث ذوي الارحام واجاب عنه الشافعي بانه لما
قال في كتاب الله كان معناه في حكم الله الذي بينه في سورة النساء فصارت هذه
الاية مقيدة بالاحكام التي ذكرها في سورة النساء من قسمة المواريث واعطا
اهل الفروض فروضهم وما بقي فللعصبات وقوله تعالى ان الله بكل شي
عليم يعني انه تعالى عالم بكل شي لا يخفى عليه
خافية والله تعالى اعلم بمراده
واسرار كتابه

تفسير سورة التوبة

وهي مدنية باجماعهم قال ابن الجوزي سوى ايتين في اخرها لقد جاءكم رسول من انفسكم
فانهما نزلتا بمكة وهي مائة وتسع وعشرون اية وقيل مائة وثلاثون اية وهي اربعة
الاف وثمان وسبعون كلمة وعشرة الاف واربعمائة وثمانون حرفا ولهذه السورة
اسما عشرة سورة التوبة وسورة براة وهذا الاسمان مشهوران وهي المقشقشة
قال ابن عمر سميت بذلك لانها تقشقش من النفاق اي تبرئ منه وهي المبعثرة
لانها تبعثر عن اخبار المنافقين وتبحث عنها وتثيرها والفاضحة قال ابن عباس
لانها فضحت المنافقين وسورة العذاب قاله حذيفة وهي المخزية لان فيها خزي للمنافقين
وهي المدمدمة سميت بذلك لان فيها هلاك المنافقين وهي المشردة سميت بذلك
لانها شردت جميع المنافقين وفرقتهم وهي المثيرة سميت بذلك لانها اثارت مخازي
المنافقين وكشفت عن احوالهم وهتكت استارهم عن سعيد بن جبير قال قلت
لابن عباس سورة التوبة فقال بل هي الفاضحة مازالت تقول ومنهم ومنهم حتى ظنوا
ان لا يبقى احد الا ذكر فيها قال قلت سورة الانفال قال نزلت في بدر قال قلت سورة
الحشر قال بل سورة النضير اخرجاه في الصحيحين فصل في بيان سبب ترك كتابة التسمية
اول هذه السورة عن ابن عباس قال قلت لعثمان ما حملكم على ان عمدتم الى الانفال
وهي من المثاني والى براة وهي من المئين فقرنتم بينهما ولم تكتبوا سطر بسم الله الرحمن الرحيم
ووضعتموها في السبع الطوال ما حملكم على ذلك قال عثمان كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم مما ياتي عليه الزمان وهو ينزل عليه السورة ذوات العدد وكان اذا نزل
عليه شي دعا بعض من كان يكتب عنه فيقول ضعوا هؤلاء الايات في السورة التي يذكر
فيها كذا وكذا واذا نزلت عليه الاية يقول ضعوا هذه الاية في السورة التي يذكر
فيها كذا وكذا وكانت الانفال من اوائل ما نزل بالمدينة وكانت براة من اخر القران
نزولا وكانت قصتها شبيهة بقصتها وظننت انها منها وقبض رسول الله صلى

الله عليه وسلم

الله عليه وسلم ولم يبين لنا انها منها من اجل ذلك قرنت بينهما ولم اكتب بسم الله
الرحمن الرحيم ووضعتها في السبع الطوال اخرجه ابو داود والترمذي وقال حديث
حسن قال الزجاج والشبه الذي بينهما ان في الانفال ذكر العهود وفي براة نقضها
وكان قتادة يقول هما سورة واحدة وقال محمد بن الحنفية قلت لابي يعني علي
ابن ابي طالب لم يكتبوا في براة بسم الله الرحمن الرحيم قال يا بني ان براة نزلت بالسيف
وان بسم الله الرحمن الرحيم امان وسئل سفيان بن عيينة عن هذا فقال لان التسمية
رحمة والرحمة امان وهذه السورة نزلت في المنافقين وقال المبرد لم تفتتح هذه السورة
الشريفة ببسم الله الرحمن الرحيم لان التسمية افتتاح الخير واول هذه السورة وعيد ونقض
عهود فلذلك لم تفتتح بالتسمية وسئل ابي بن كعب عن هذا فقال انها نزلت في اخر القران
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يامرنا في كل سورة بكتابة بسم الله الرحمن الرحيم ولم يامر
في براة بذلك فضمت الى الانفال لشبهها بها وقيل ان الصحابة اختلفوا في ان سورة
الانفال وسورة براة هل هما سورة واحدة ام سورتان فقال بعضهم سورة واحدة لانهما
نزلتا في القتال ومجموعهما معا مائتان وخمس ايات فكانت هي السورة السابعة من السبع الطوال
وقال بعضهم هما سورتان فلما حصل هذا الاختلاف بين الصحابة تركوا فرجة بينهما على قول
من يقول انهما سورتان ولم يكتبوا بسم الله الرحمن الرحيم على قول من يقول انهما سورة
واحدة اما التفسير فقوله تعالى براة من الله ورسوله يعني هذه براة من الله ورسوله واصل
البراة في اللغة انقطاع العصمة يقال برئت من فلان ابرا براة اي انقطعت بيننا العصمة
ولم يبق بيننا علقة وقيل معناه هنا التباعد مما يكره مجاورته قال المفسرون لما خرج رسول
الله صلى الله عليه وسلم الى تبوك فكان المنافقون يرجفون الاراجيف وجعل المشركون
ينقضون عهودا كانت بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فامر الله عز وجل بنقض
عهودهم وذلك قوله تعالى واما تخافن من قوم خيانة الاية ففعل رسول الله صلى الله
عليه وسلم ما امر به ونبذ اليهم عهودهم قال الزجاج اي قد برئ الله ورسوله من اعطائهم
العهود والوفاء بها اذ انكثوا الى الذين عاهدتم من المشركين الخطاب مع اصحاب النبي صلى
الله عليه وسلم وان كان النبي صلى الله عليه وسلم هو الذي عاهدهم وعاقدهم لانه هو
الذي عاقدهم واصحابه بذلك راضون فكانهم هم عقدوا وعاهدوا وقوله تعالى
فسيحوا في الارض اي فسيروا في الارض مقبلين ومدبرين امنين غير خائفين احدا
من المسلمين واصل السياحة الضرب في الارض والاتساع فيها والبعد عن مواضع
العمارة قال ابن الانباري قوله فسيحوا ليس هذا من باب الامر بل المقصود منه الاباحة
والاعلام بحصول الامان وزوال الخوف يعني سيحوا في الارض وانتم امنون من القتل
والقتال اربعة اشهر يعني مدة اربعة اشهر واختلف العلماء في هذا التاجيل وفي هؤلاء
الذين برئ الله ورسوله اليهم من العهود التي كانت بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم

فقال مجاهد هذا التاجيل من الله للمشركين فمن كانت مدة عهده اقل من اربعة اشهر رفعه الى اربعة اشهر ومن كان مدته اكثر حطه الى الاربعة اشهر ومن كان عهده بغير اجل معلوم حده باربعة اشهر ثم هو بعد ذلك حرب لله ولرسوله يقتل حيث ادرك ويوسر الا ان يتوب ويرجع الى الايمان وقيل ان المقصود من هذا التاجيل ان يتفكروا ويحتاطوا لانفسهم ويعلموا انه ليس لهم بعد هذه المدة الا الاسلام او القتل فيصير هذا داعيا لهم الى الدخول في الاسلام ولئلا ينسب المسلمون الى الغدر ونكث العهد وكان ابتدا هذا الاجل يوم الحج الاكبر وانقضاؤه الى عشر ربيع الاخر فاما من لم يكن له عهد فانما اجله انسلاخ الاشهر الحرم وذلك خمسون يوما وقال الزهري والاشهر الاربعة شوال وذو القعدة وذو الحجة والمحرم لان هذه الاية نزلت في شوال والقول الاول اصوب وعليه الاكثرون قال الكلبي انما كانت الاربعة اشهر لمن كان له عهد دون الاربعة اشهر فاما من كان عهده اكثر من اربعة اشهر فهذا امر باتمام عهده بقوله فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم وقيل كان ابتداؤها في العاشر من ذو القعدة وآخرها العاشر من ربيع الاول لان الحج في تلك السنة في العاشر من ذي القعدة بسبب النسيء ثم في السنة المقبلة في العاشر من ذي الحجة وفيها حج رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ان الزمان قد استدار الحديث وقال الحسن امر الله عز وجل رسوله صلى الله عليه وسلم بقتال من قاتله من المشركين فقال تعالى قاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم فكان لا يقاتل الا من قاتله ثم امره بقتال المشركين والبراءة منه واجلهم اربعة اشهر فلم يكن لاحد منهم اجل اكثر من اربعة اشهر لا من كان له عهد قبل البراءة ولا من لم يكن له عهد وكانت الاجل لجميعهم اربعة اشهر واحل دما جميعهم من اهل العهود وغيرهم بعد انقضاء الاجل وقال محمد بن اسحاق ومجاهد وغيرهما نزلت في اهل مكة وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم عاهد قريشا عام الحديبية على ان يضعوا الحرب عشر سنين يامن فيها الناس ودخلت خزاعة في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخلت بنو بكر في عهد قريش ثم عدت بنو بكر وقريش على خزاعة ونقضوا عهدهم فخرج عمرو بن سالم الخزاعي حتى وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال

لاهم اني ناشد محمدا ، حلف ابينا وابيه الاتلدا ،
كنت لنا ابا وكنا ولدا ، ثمت اسلمنا ولم ننزع يدا ، فانصر هداك الله نصرا ابدا ،
وادع عباد الله ياتوا مددا ، فيهم رسول الله قد تجردا ، في فيلق كالبحر يجري مزبدا ،
ابيض مثل الشمس يسمو صعدا ، ان سيم خسفا وجهه تربدا ، ان قريشا اخلفوك الموعدا ،
ونقضوا ميثاقك المؤكدا ، وزعموا ان لست تدعو احدا ، وهم اذل واقل عددا ،
هم بيتونا بالهجير هجدا ، وقتلونا ركعا وسجدا ،

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نصرت ان لم انصركم وتجهز الى مكة ففتحها سنة ثمان من الهجرة فلما كان سنة تسع

اراد رسول

اراد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يحج فقيل له المشركون يحضرون ويطوفون بالبيت عراة فبعث ابا بكر تلك السنة اميرا على الموسم ليقيم للناس الحج وبعث معه اربعين اية من صدر براءة ليقرأها على الموسم ثم بعث عليا على ناقته العضباء ليقرأ على الناس صدر براءة وامره ان يؤذن بمكة ومنى وعرفة ان قد برئت ذمة الله وذمة رسوله صلى الله عليه وسلم من كل مشرك ولا يطوف بالبيت عريان فرجع ابو بكر فقال يا رسول الله بابي انت وامي انزل في شاني شيء فقال لا ولكن لا ينبغي لاحد ان يبلغ هذا الا رجل من اهلي اما ترضى يا ابا بكر انك كنت معي في الغار وانك معي على الحوض قال بلى يا رسول الله فسار ابو بكر اميرا على الحاج وعلي بن ابي طالب يؤذن ببراءة فلما كان قبل يوم التروية بيوم قام ابو بكر فخطب الناس وحدثهم عن مناسكهم واقام للناس الحج والعرب في تلك السنة على منازلهم التي كانوا عليها في الجاهلية من امر الحج حتى اذا كان يوم النحر قام علي بن ابي طالب رضي الله عنه فاذن في الناس بالذي امره به رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرأ عليهم اول سورة براءة قال زيد بن يثيع سألنا عليا بن ابي طالب رضي الله عنه باي شيء بعثت في الحجة قال بعثت باربع لا يطوف بالبيت عريان ومن كان بينه وبين النبي صلى الله عليه وسلم عهد فهو الى مدته ومن لم يكن له عهد فاجله اربعة اشهر ولا يدخل الجنة الا نفس مؤمنة ولا يجتمع المشركون والمسلمون بعد عامهم هذا في حج ثم حج رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة عشر حجة الوداع ق عن ابي هريرة ان ابا بكر بعثه في الحجة التي امره رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها قبل حجة الوداع في رهط يؤذنون في الناس يوم النحر ان لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان في رواية ثم اردف النبي صلى الله عليه وسلم بعلي بن ابي طالب وامره ان يؤذن ببراءة قال ابو هريرة فاذن معنا في اهل منى ببراءة ان لا يحج بالبيت بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان وفي رواية ويوم النحر الاكبر يوم النحر والحج الاكبر الحج وانما قيل الحج الاكبر من اجل قول الناس للعمرة الحج الاصغر قال فنبذ ابو بكر الى الناس في ذلك فلم يحج في العام القابل الذي فيه حج النبي صلى الله عليه وسلم حجة الوداع مشرك وانزل الله في العام الذي نبذ فيه ابو بكر الى المشركين يا ايها الذين امنوا انما المشركون نجس فلا تقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله الاية

فصل وقد يتوهم متوهم ان في بعث علي بن ابي طالب لقراءة اول براءة عزل ابي بكر عن الامارة وتفضيله على ابي بكر وذلك جهل من هذا المتوهم ويدل على ان ابا بكر لم يزل اميرا على الموسم في تلك السنة اول حديث ابي هريرة المتقدم ان ابا بكر بعثه في رهط يؤذنون في الناس الحديث وفي لفظ ابي داود

والنسائي قال بعثني ابو بكر فيمن يوذن يوم النحر بمنى ان لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف
بالبيت عريان فقوله بعثني ابو بكر فيه دليل على ان ابا بكر كان هو الامير على الناس
وهو الذي اقام للناس حجهم وعلمهم مناسكهم واجاب العلماء عن بعثة رسول الله صلى
الله عليه وسلم عليا ليوذن في الناس ببراة لان عادة العرب جرت ان لا يتولى تقرير
العهد ونقضه الا سيد القبيلة وكبيرها او رجل من اقاربه وكان علي بن ابي طالب
اقرب الى النبي صلى الله عليه وسلم من ابي بكر لانه ابن عمه ومن رهطه فبعثه النبي صلى الله
عليه وسلم ليوذن عنه ببراة ازاحة لهذه العلة لئلا يقولوا هذا على خلاف ما نعرفه من
عادتنا في عقد العهود ونقضها وقيل لما خص ابو بكر بتوليته على الموسم خص عليا بتبليغ
هذه الرسالة تطييبا لقلبه ورعاية لجانبه وقيل انما بعث عليا في هذه الرسالة حتى يصلي
خلف ابا بكر ويكون جاريا مجرى التنبيه على امامة ابي بكر بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم
لانه بعث ابا بكر اميرا على الحاج وولاه الموسم وبعث عليا خلفه ليقرا على الناس براة فكان
ابو بكر الامام وعلي الموتم وكان ابو بكر الخطيب وعلي المستمع وكان ابو بكر المتولي امر الموسم
والامير على الناس ولم يكن ذلك لعلي فدل ذلك على تقدم ابي بكر على علي وفضله
عليه والله اعلم وقوله تعالى واعلموا انكم غير معجزي الله يعني ان هذا الامهال ليس
لعجز عنكم ولكن لمصلحة ولطف بكم ليتوب تايب وقيل معناه فسيحوا في الارض
اربعة اشهر عالمين انكم لا تعجزون الله بل هو يعجزكم وياخذكم لانكم في ملكه وقبضته
وتحت قهره وسلطانه وقيل معناه انما امهلكم هذه المدة لانه لا يخاف الفوت
ولا يعجزه شي وان الله مخزي الكافرين يعني بالقتل والعذاب في الاخرة قوله عز وجل
واذان من الله ورسوله الاذان في اللغة الاعلام ومنه الاذان للصلاة لانه
اعلام بدخول وقتها والمعنى واعلام صادر من الله ورسوله واصل الى الناس يوم الحج
الاكبر اختلفوا في الحج الاكبر فروى عكرمة عن ابن عباس انه يوم عرفة وروي ذلك
عن ابن عمر وابن الزبير وهو قول عطا وطاوس ومجاهد وسعيد بن المسيب
وعن علي بن ابي طالب قال سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن يوم الحج الاكبر
فقال يوم النحر اخرجه الترمذي وقال وروي موقوفا عليه وهو اصح وعن ابن عمر ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف يوم النحر بين الجمرات في الحجة التي حج فيها فقال
اي يوم هذا فقالوا يوم النحر فقال هذا يوم الحج الاكبر اخرجه ابو داود وروي ذلك
عن عبد الله بن ابي اوفى والمغيرة بن شعبة وهو قول الشعبي والنخعي وسعيد بن
جبير والسدي وروى ابن جريج عن مجاهد ان يوم الحج الاكبر ايام منى كلها وكان
سفيان الثوري يقول يوم الحج الاكبر ايام منى كلها لان اليوم قد يطلق ويراد به الحين
والزمان كقولك يوم صفين ويوم الجمل لان الحروب دامت في هذه الايام واطلق
عليها يوم واحد وقال عبد الله بن الحارث بن نوفل يوم الحج الاكبر الذي حج فيه رسول الله

صلى الله عليه وسلم

صلى الله عليه وسلم وهو قول ابن سيرين لانه اجتمع فيه حج المسلمين وعيد اليهود وعيد
النصارى وعيد المشركين ولم يجتمع مثل ذلك قبله ولا بعده فعظم ذلك اليوم
عند المومنين والكافرين واختلفوا لما سمي الحج الاكبر فقال مجاهد الحج الاكبر القران
لانه قرن بين الحج والعمرة وقيل الحج الاكبر لاجتماع اعياد الملل في ذلك اليوم وقال
الزهري والشعبي وعطا الحج الاكبر الحج والحج الاصغر العمرة وانما قيل لها الاصغر لنقصان
اعمالها عن الحج وقيل سمي الحج الاكبر لموافقة حجة رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة
الوداع وذلك اليوم يوم الجمعة وودع الناس فيه وخطبهم وعلمهم مناسكهم
وذكر في خطبته ان الزمان قد استدار وابطل النسي وجميع احكام الجاهلية وقوله تعالى ان
الله بري من المشركين فيه حذف والتقدير واذان من الله ورسوله بان الله بري
من المشركين وانما حذفت البا لدلالة الكلام عليه وفي رفع ورسوله وجوه الاول
انه رفع بالابتدا وخبره مضمر والتقدير ان الله بري من المشركين ورسوله ايضا بري
الثاني تقديره بري الله ورسوله من المشركين الثالث ان الله في محل الرفع بالابتدا بري
خبره ورسوله عطف على الابتدا الاول فان قلت لا فرق بين قوله براة من الله ورسوله
الى الذين عاهدتم من المشركين وبين قوله ان الله بري من المشركين ورسوله فما فايدة
هذا التكرار قلت المقصود من الاية الاولى البراة من العهد ومن الاية الثانية
البراة هي نقيض الموالاة الجارية مجرى الزجر والوعيد والذي يدل على صحة هذا القول
انه قال في الاولى براة من الله ورسوله الى يعني بري اليهم وفي الثانية بري منهم وقوله
تعالى فان تبتم يعني فان رجعتم عن شرككم وكفركم فهو خير لكم يعني من الاقامة على الشرك
وهذا ترغيب من الله تعالى في التوبة والاقلاع عن الشرك الموجب لدخول النار وان
توليتم يعني اعرضتم عن الايمان والتوبة من الشرك فاعلموا انكم غير معجزي الله فيه
وعيد عظيم واعلام لهم بان الله تعالى قادر على انزال العذاب بهم وهو قوله وبشر
الذين كفروا بعذاب اليم يعني في الاخرة ولفظ البشارة هنا انما ورد على سبيل
الاستهزا كما يقال تحيتهم الضرب واكرامهم الشتم قوله تعالى الا الذين عاهدتم من المشركين
هذا استثنا راجع الى قوله تعالى براة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين
الا من عاهد الذين عاهدتم من المشركين وهم بنو ضمرة حي من كنانة امر الله رسوله
صلى الله عليه وسلم باتمام عهدهم الى مدتهم وكان قد بقي من مدتهم تسعة اشهر وكان
السبب فيه انهم لم ينقضوا العهد وهو قوله ثم لم ينقصوكم شيا يعني من عهودهم التي
عاهدتموهم عليها ولم يظاهروا يعني ولم يعاونوا عليكم احدا من عدوكم قال صاحب
الكشاف وجهه ان يكون مستثنى من قوله فسيحوا في الارض لان الكلام خطاب للمسلمين
ومعناه براة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين فقولوا لهم سيحوا
في الارض الا الذين عاهدتم منهم ثم لم ينقصوكم فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم

والاستثنا بمعنى الاستدراك كانه قيل بعد ان امر في الناكثين ولكن الذين لم ينكثوا فاتموا اليهم عهدهم ولا تجروهم مجراهم ولا تجعلوا الوافي كالغادر ان الله يحب المتقين يعني ان قضية التقوى يقتضي ان لا يسوى بين القبيلتين يعني الوفي بالعهد والناكث له والغادر فيه قوله عز وجل فاذا انسلخ الاشهر الحرم يعني فاذا انقضت الاشهر الحرم ومضت وهي رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم وقال مجاهد ومحمد بن اسحاق هي شهور العهد سميت حرما لحرمة نقض العهد فيها ومن كان له عهد فهذه اربعة اشهر ومن لا عهد له فاجله الى انقضا المحرم وذلك خمسون يوما وقيل انما قيل لها حرم لان الله حرم على المومنين دما المشركين والتعرض لهم فان قلت على هذا القول هي المدة وهي خمسون يوما بعض الاشهر الحرم والله تعالى يقول فاذا انسلخ الاشهر الحرم قلت لما كان هذا القدر من الشهر متصلا بما مضى اطلق عليه اسم الجمع والمعنى فاذا مضت المدة المضروبة التي يكون معها انسلاخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم يعني في الحل والحرم وهذا امر اطلاق يعني اقتلوهم في اي وقت واي مكان وجدتموهم وخذوهم يعني واسروهم واحصروهم اي واحبسوهم وقال ابن عباس يريد ان تحصنوا فاحصروهم وامنعوهم من الخروج وقيل امنعوهم من دخول مكة والتصرف في بلاد الاسلام واقعدوا لهم كل مرصد يعني على كل طريق والمرصد الموضع الذي يقعد فيه للعدو من رصدت الشي ارصده اذا ترقبته والمعنى كونوا لهم رصدا حتى تاخذوهم من اي وجه توجهوا وقيل معناه اقعدوا لهم بطريق مكة حتى لا يدخلوها فان تابوا يعني من الشرك ورجعوا الى الايمان واقاموا الصلاة يعني اتموا اركان الصلاة المفروضة واتوا الزكاة الواجبة عليهم طيبة بها انفسهم فخلوا سبيلهم يعني الى الدخول الى مكة والتصرف في بلادهم ان الله غفور يعني لمن تاب ورجع من الشرك الى الايمان ومن المعصية الى الطاعة رحيم يعني باوليايه واهل طاعته قال حسين بن الفضل نسخت هذه الاية كل اية فيها ذكر الاعراض عن المشركين والصبر على اذى الاعدا قوله تعالى وان احد من المشركين استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله يعني وان استامنك يا محمد احد من المشركين الذين امرتك بقتالهم وقتلهم بعد انسلاخ الاشهر الحرم ليسمع كلام الله الذي انزله عليك وهو القران فاجره حتى يسمعه ويعرف ما له من الثواب ان امن وما عليه من العقاب ان اصر على الشرك ثم ابلغه مامنه يعني ان لم يسلم ابلغه الى الموضع الذي يامن فيه وهو دار قومه فان قاتلك بعد ذلك وقدرت عليه فاقتله ذلك بانهم قوم لا يعلمون يعني لا يعلمون دين الله وتوحيده فهم محتاجون الى سماع كلام الله عز وجل قال الحسن هذه الاية محكمة الى يوم القيامة كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله هذا على وجه التعجب ومعناه الجحد اي لا يكون لهم عهد عند الله ولا عند رسوله وهم يغدرون وينقضون العهد ثم استثنى فقال تعالى الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام قال ابن عباس هم قريش وقال قتادة هم اهل مكة الذين عاهدهم

رسول الله

رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية وقال السدي ومحمد بن عباد ومحمد بن اسحاق هم بنو خزيمة وبنو الديل قبايل من بني بكر الذين كانوا دخلوا في عهد قريش وعهدهم يوم الحديبية وقال مجاهد هم اهل العهد من خزاعة فما استقاموا لكم يعني على العهد فاستقيموا لهم يعني ما اقاموا على العهد ثم انهم لم يستقيموا ونقضوا العهد واعانوا بني بكر على خزاعة فضرب لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الفتح اربعة اشهر يختارون من امرهم اما ان يسلموا واما ان يلحقوا باي بلاد شاوا فاسلموا قبل الاربعة اشهر والصواب من ذلك قول من قال انهم من قبايل بني بكر وهم خزيمة وبني مدلج من ضمرة وبنو الديل وهم الذين قد دخلوا في عهد قريش يوم حديبية ولم يكن نقض العهد الا قريش وبنو الديل من بني بكر فامر باتمام العهد لمن لم ينقض وهم بنو ضمرة وانما كان الصواب هذا القول لان هذه الايات نزلت بعد نقض قريش العهد وذلك قبل فتح مكة لان بعد الفتح كيف يقول لشي قد مضى فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم وانما هم الذين قال الله عز وجل فيهم الا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيا كما نقضكم قريش ولم يظاهروا عليكم احدا كما ظاهرت قريش بني بكر على خزاعة وهم حلفا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى ان الله يحب المتقين يعني انه تعالى يحب الذين يوفون بالعهد اذا عاهدوا ويتقون نقضه كيف وان يظهروا عليكم قيل هذا مردود على الاية الاولى تقديره كيف يكون لهم عهد وان يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم الا ولا ذمة وقال الاخفش معناه كيف لا تقتلونهم وهم ان يظهروا عليكم اي يظفروا بكم ويغلبوكم ويعلوا عليكم لا يرقبوا اي لا يحفظوا وقيل معناه لا ينتظروا وقيل معناه لا يراعوا فيكم الا قال ابن عباس يعني قرابة وقيل رحما وهذا بمعنى قول ابن عباس ايضا وقال قتادة الال الحلف وقال السدي هو العهد وكذلك الذمة وانما كرر للتاكيد ولاختلاف اللفظين وقال ابو مجلز ومجاهد الال هو الله ومنه قول ابي بكر لما سمع كلام مسيلمة الكذاب ان هذا الكلام لم يخرج من ال يعني من الله وعلى هذا القول يكون معنى الاية لا يرقبون الله فيكم ولا يحفظونه ولا يراعونه ولا ذمة يعني ولا يحفظون عهدا يرضونكم بافواههم وتابى قلوبهم يعني يطيعونكم بالسنتهم بخلاف ما في قلوبهم واكثرهم فاسقون فان قلت ان الموصوفين بهذه الصفة كفار والكفر اخبث واقبح من الفسق فكيف وصفهم بالفسق في معرض الذم وما الفايدة في قوله واكثرهم فاسقون مع ان الكفار كلهم فاسقون قلت قد يكون الكافر عدلا في دينه وقد يكون فاسقا خبيث الفسق في دينه فالمراد بوصفهم بكونهم فاسقين مع كفرهم فيكون ابلغ في الذم وانما قال اكثرهم ولم يقل كلهم فاسقين لان منهم من وفى بالعهد ولم ينقضه واكثرهم نقضوا العهد فلهذا قال تعالى واكثرهم فاسقون وقوله تعالى اشتروا بايات الله ثمنا قليلا يعني استبدلوا بايات القران والايمان بها عرضا قليلا من متاع الدنيا وذلك

انهم انقضوا العهد الذی کان بینهم وبین رسول الله صلی الله علیه وسلم بسبب اکلة اطعمهم
ابو سفیان بن حرب ذمهم الله بذلک قال مجاهد اطعم ابو سفیان حلفاءه وترک
حلفاء رسول الله صلی الله علیه وسلم وصدوا عن سبیله یعنی ومنعوا الناس عن
الدخول فی دین الله قال ابن عباس وذلک ان اهل الطائف امدوهم بالاموال
لیقووهم علی حرب رسول الله صلی الله علیه وسلم انهم ساء ما کانوا یعملون یعنی
من الشرک ونقضهم العهد ومنعهم الناس عن الدخول فی دین الاسلام لا یرقبون
فی مومن الا ولا ذمة یعنی ان هولا المشرکین لا یراعون فی مومن عهدا ولا ذمة
اذا قدروا علیه قتلوه فلا تبقوا انتم علیهم کما لم یبقوا علیکم اذا ظهروا علیکم
واولئک هم المعتدون یعنی فی نقض العهد قوله عز وجل فان تابوا یعنی
فان رجعوا عن الشرک الی الایمان ونقض العهد الی الوفا به واقاموا الصلوة
یعنی المفروضة علیهم بجمیع حدودها وارکانها واتوا الزکاة یعنی وبذلوا الزکاة المفروضة
علیهم طیبة بها انفسهم فاخوانکم فی الدین یعنی اذا فعلوا ذلک فهم اخوانکم لهم ما لکم
وعلیهم ما علیکم ونفصل الایات لقوم یعلمون یعنی ونبین حجج ادلتنا ونوضح
بیان آیاتنا لمن یعلم ذلک ویفهمه قال ابن عباس حرمت هذه الایة دماء اهل
القبلة وقال ابن مسعود امرتم بالصلاة والزکاة فمن لم یزک فلا صلاة له وقال
ابن زید افترضت الزکاة والصلاة جمیعا لم یفرق بینهما وابی ان یقبل الصلاة
الا بالزکاة وقال یرحم الله ابا بکر ما کان افقهه یعنی بذلک ما ذکره ابو بکر فی حق
من منع الزکاة وهو قوله والله لا افرق بین شیئین جمع الله بینهما یعنی الصلاة والزکاة
ق عن ابی هریرة قال لما توفی النبی صلی الله علیه وسلم واستخلف ابو بکر وکفر
من کفر من العرب قال عمر بن الخطاب لابی بکر کیف تقاتل الناس وقد قال رسول
الله صلی الله علیه وسلم امرت ان اقاتل الناس حتی یقولوا لا اله الا الله فمن
قال لا اله الا الله فقد عصم منی ماله ونفسه الا بحقه وحسابه علی الله عز وجل
فقال ابو بکر والله لاقاتلن من فرق بین الصلاة والزکاة فان الزکاة حق
المال والله لو منعونی عناقا کانوا یودونها وفی روایة عقالا کانوا یودونه
الی رسول الله صلی الله علیه وسلم لقاتلتهم علی منعها فقال عمر فوالله ما هو الا ان
رایت ان الله شرح صدر ابی بکر للقتال فعرفت انه الحق ق عن انس قال قال رسول
الله صلی الله علیه وسلم من صلی صلاتنا واستقبل قبلتنا واکل ذبیحتنا فذلک
المسلم الذی له ذمة الله وذمة رسوله وقوله عز وجل وان نکثوا ایمانهم یعنی وان
نقضوا عهودهم علیکم اعداءکم وطعنوا فی دینکم یعنی وعابوا
دینکم الذی انتم علیه وقدحوا فیه ونکثوه وفی هذا دلیل علی ان الذمی اذا
طعن فی دین الاسلام وعلیه ظاهرا لا یبقی له عهد والمراد هولا الذین نقضوا

من بعد عهدهم یعنی من بعد عاهدوکم علیه
ان لا یقاتلوکم ولا یظاهروا صح

العهد کفار

العهد کفار قریش وهو قوله تعالی فقاتلوا ائمة الکفر یعنی روس المشرکین وقادتهم قال ابن
عباس نزلت فی ابی سفیان بن حرب والحرث بن هشام وسهیل بن عمرو وابی جهل
وابنه عکرمة وسایر روسا قریش وهم الذین نقضوا عهدهم وهموا باخراج الرسول وقیل
اراد جمیع الکفار وانما ذکر الائمة لانهم الروسا والقادة ففی قتالهم قتل الاتباع وقال
مجاهد هم فارس والروم وقال حذیفة بن الیمان ما قوتل اهل هذه الایة بعد
وان یات اهلها ولعل حذیفة اراد بذلک الذین یظهرون مع الدجال من الیهود
فانهم ائمة الکفر فی ذلک الزمان والله اعلم بمراد حذیفة وقوله تعالی انهم لا ایمان لهم
جمع یمین ای لا عهد لهم وقیل معناه انهم لا وفا لهم بالعهد وقری لا ایمان لهم
بکسر الهمزة ومعناه لا دین لهم ولا تصدیق وقیل هو من الامان ای لا تقتلوهم حیث
وجدتموهم ولا تومنوهم لعلهم ینتهون ای لکی ینتهوا عن الطعن فی دینکم ویرجعون
عن الکفر الی الایمان ثم حض المومنین علی جهاد الکفار وبین السبب فی ذلک فقال
تعالی الا تقاتلون قوما نکثوا ایمانهم یعنی نقضوا عهدهم وهم الذین نقضوا عقد الصلح
بالحدیبیة واعانوا بنی بکر علی خزاعة وهموا باخراج الرسول یعنی من مکة حین اجتمعوا
فی دار الندوة وهم بدءوکم یعنی بالقتال اول مرة یعنی یوم بدر وذلک انهم قالوا لا ننصرف
حتی نستاصل محمدا واصحابه وقیل اراد به انهم بدءوا بالقتال خزاعة حلفاء رسول الله صلی الله
علیه وسلم اتخشونهم یعنی اتخافونهم ایها المومنون فتترکون قتالهم والله احق ان تخشوه
یعنی فی ترک القتال ان کنتم مومنین یعنی ان کنتم مصدقین بوعد الله ووعیده قوله تعالی
قاتلوهم یعذبهم الله بایدیکم یرید بالتعذیب القتل یعنی یقتلهم الله بایدیکم فان قلت
کیف الجمع بین قوله یعذبهم الله بایدیکم وبین قوله وما کان الله لیعذبهم وانت فیهم
عذاب الاستیصال یعنی وما کان الله لیستاصلهم بالعذاب جمیعا وانت فیهم والمراد
بقوله قاتلوهم یعنی الذین نقضوا وبدءوا بالقتال فامر الله نبیه صلی الله علیه وسلم والمومنین
بقتال من قاتلهم او نقض عهدهم والفرق بین العذابین ان عذاب الاستیصال یتعدی
الی المذنب والی المخالف والموافق وعذاب القتل لا یتعدی الا الی المذنب المخالف
وقوله تعالی ویخزهم یعنی ویذلهم بالقهر والاسر وینزل بهم الذل والهوان وینصرکم علیهم
یعنی بان یظفرکم بهم ویشف صدور قوم مومنین ویبری دا قلوبهم ما کانوا
ینالونه من الاذی منهم ومن المعلوم ان من طال تاذیه من خصمه ثم مکنه الله منه
فانه یفرح بذلک ویعظم سروره ویصیر ذلک سببا لقوة الیقین وثبات العزیمة
قال مجاهد والسدی اراد صدور خزاعة حلفاء رسول الله صلی الله علیه وسلم حیث
اعانت قریش بنی بکر علی خزاعة حتی قتلوا منهم فشفی الله صدور خزاعة من بنی بکر
حتی اخذوا ثارهم منهم بالنبی صلی الله علیه وسلم واصحابه ویذهب غیظ قلوبهم یعنی
ویذهب وجد قلوبهم بما نالوه من بنی بکر روی ان النبی صلی الله علیه وسلم قال یوم

فتح مكة ارفعوا السيف الا خزاعة من بني بكر الى العصر ذكره البغوي بغير سند ثم
قال تعالى ويتوب الله على من يشاء هذا كلام مستانف ليس له تعلق بالاول والمعنى
ويهدي الله من يشاء الى الاسلام فيمن عليه بالتوبة عن الشرك والكفر ويهديهم
الى الاسلام كما فعل بابي سفيان بن حرب وعكرمة بن ابي جهل وسهيل بن عمرو فهولا
كانوا من ائمة الكفر ورؤسا المشركين ثم من الله عليهم بالاسلام يوم فتح مكة فاسلموا
والله عليم يعني بسرائر عباده ومن سبقت له العناية الازلية بالسعادة فيتوب عليه
ويهديه الى الاسلام حكيم يعني في جميع افعاله قوله عز وجل ام حسبتم ان تتركوا هذا من
الاستفهام المعترض في وسط الكلام ولذلك ادخلت فيه ام لتفرق بينه وبين
الاستفهام المبتدا والمعنى اظننتم ايها المومنون ان تتركوا فلم تومروا بالجهاد ولا تمتحنوا
ليظهر الصادق من الكاذب ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم يعني والعلم المعلوم لان
وجود الشي يلزمه معلوم الوجود عند الله لا جرم جعل علم الله بوجوده كناية عن وجوده
قاله الامام فخر الدين الرازي ونقل الواحدي عن الزجاج اي العلم الذي يجازي
عليه لانه انما يجازي على ما عملوا ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المومنين
وليجة قال الفرا الوليجة البطانة من المشركين يتخذونهم يفشون اليهم اسرارهم
وقال قتادة وليجة يعني خيانة وقال الضحاك خديعة وقال عطا اوليا يعني لا تتخذوا
المشركين اوليا من دون الله ورسوله والمومنين وقال ابو عبيدة كل شي ادخلته
في شي ليس منه فهو وليجة والرجل يكون في القوم وليس منهم وليجة من الولوج توليجة
الرجل من يختصه بدخيلة امره دون الناس وقال الراغب الوليجة كل ما يتخذه الانسان
معتمدا عليه وليس من قولهم فلان وليجة في القوم اذا دخل فيهم وليس منهم
والمقصود بهذا نهي المومنين من موالاة المشركين وان لا يفشوا اليهم اسرارهم
والله خبير بما تعملون يعني موالاة المشركين واخلاص العمل لله وحده قوله تعالى
ما كان للمشركين ان يعمروا مسجد الله يعني به المسجد الحرام وقرئ مساجد الله على
الجمع والمراد به المسجد الحرام ايضا وانما ذكره بلفظ الجمع لانه قبلة المساجد كلها
وسبب نزول هذه الاية ان جماعة من روسا كفار قريش اسروا يوم بدر منهم
العباس بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقبل عليهم نفر من
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يعيرونهم بالشرك وجعل علي بن ابي طالب
يوبخ العباس بسبب قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم وقطيعة الرحم فقال
العباس ما لكم تذكرون مساوينا وتكتمون محاسننا فقيل له وهل لكم من محاسن قال
نعم نحن افضل منكم نعمر المسجد الحرام ونحجب الكعبة ونسقي الحجيج ونفك العاني
يعني الاسير فنزلت هذه الاية ما كان للمشركين ان يعمروا مساجد الله واوجب الله
على المسلمين منعهم من ذلك لان المساجد انما تعمر لعبادة الله وحده فمن كان كافرا

تابعه فليس

بالله فليس له ان يعمر مساجد الله فاختلفوا في المراد بالعمارة على قولين احدهما ان المراد
بالعمارة العمارة المعروفة من بنا المسجد وتشييده ومرمته عند خرابها فيمنع
منه الكافر حتى لو اوصى ببنا مسجد لم يقبل وصيته والقول الثاني ان المراد بالعمارة
دخول المسجد والقعود فيه فيمنع الكافر من دخول المسجد بغير اذن مسلم حتى لو دخل
بغير اذن مسلم عزر وان دخل باذن لم يعزر ويدل على جواز دخول الكافر المسجد
بالاذن ان النبي صلى الله عليه وسلم شد ثمامة بن اثال الى سارية من سواري المسجد
وهو كافر والاولى تعظيم المساجد ومنعهم من دخولها وقوله تعالى شاهدين على
انفسهم بالكفر يعني لا يدخلون المساجد في حال كونهم شاهدين وقيل تقديره وهم
شاهدون فلما حذفت وهم نصب قال ابن عباس شهادتهم على انفسهم بالكفر
سجودهم للاصنام وذلك ان كفار قريش كانوا قد نصبوا اصنامهم خارج البيت
الحرام عند القواعد وكانوا يطوفون بالبيت عراة فلما طافوا طوفة سجدوا للاصنام
فلم يزدادوا بذلك من الله الا بعدا وقال الحسن انهم لم يقولوا نحن كفار ولكن
كلامهم بالكفر شهادة عليهم بالكفر وقال السدي شهادتهم على انفسهم بالكفر هو ان
النصراني يسال من انت فيقول نصراني واليهودي يقول يهودي والمشرك يقول
مشرك وقال ابن عباس في رواية عنه شاهدين على رسولهم بالكفر لانه من
انفسهم اولئك حبطت اعمالهم يعني الاعمال التي عملوها في حال الكفر من اعمال
البر مثل اقرا الضيف وسقي الحاج وفك العاني لانها لم تكن لله فلم يكن لها
تاثير مع الكفر وفي النار هم خالدون يعني من مات منهم على كفره قوله عز وجل انما
يعمر مساجد الله من امن بالله واليوم الاخر واقام الصلاة واتى الزكاة لما بين الله
عز وجل ان الكافر ليس له ان يعمر مساجد الله بين في هذه من هو المستحق لعمارة
المساجد وهو من امن بالله فان الايمان شرط في عمارة المسجد لان المسجد عبارة
عن الموضع الذي يعبد الله فيه فمن لم يكن مومنا بالله امتنع ان يعمر موضعا
يعبد الله فيه واليوم الاخر يعني وامن باليوم الاخر وانه حق كاين لان عمارة
المسجد يعني وامن باليوم الاخر وانه حق كاين لان عمارة المسجد لاجل عبادة الله
وجزاؤه انما يكون في الاخرة فمن انكر الاخرة لم يعبد الله ولم يعمر له مسجدا فان قيل
لم لم يذكر الايمان برسول الله مع ان الايمان به شرط في صحة الايمان قلت ان
الايمان برسول الله صلى الله عليه وسلم داخل في الايمان بالله فان من امن بالله
واليوم الاخر فقد امن برسول الله لان من جهته عرف الايمان بالله واليوم الاخر
لانه هو الداعي الى ذلك وقيل ان المشركين كانوا يقولون ان محمدا ادعى النبوة طلبا
للرياسة والملك فاخبر الله عز وجل ان محمدا صلى الله عليه وسلم انما دعى الى الايمان بالله
واليوم الاخر لا لطلب الرياسة والملك فلذلك قال انما يعمر مساجد الله من امن بالله

واليوم الاخر ترك ذكر الايمان بالنبي صلى الله عليه وسلم وقيل انه تعالى ذكر بعد الايمان بالله واليوم الاخر واقام الصلاة وايتا الزكاة وكان ذلك بما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن اقام الصلاة واتى الزكاة فقد امن برسول الله صلى الله عليه وسلم واعلم ان الاعتبار باقامة الصلاة وايتا الزكاة في عمارة المساجد ان الانسان اذا عمر المسجد لازمه لاقامة الصلاة فيه ولا يشتغل بعمارة المساجد الا اذا كان موديا للزكاة لان الزكاة واجبة وعمارة المساجد نافلة ولا يشتغل الانسان بالنافلة الا بعد اكمال الفريضة الواجبة عليه وقوله تعالى ولم يخش الا الله يعني ولم يخف في الدين غير الله ولم يترك امر الله لخشية الناس فعسى اولئك ان يكونوا من المهتدين وعسى من الله واجب يعني واولئك هم المهتدون المتمسكون بطاعة الله التي تودي الى الجنة عن ابي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا رايتم الرجل يعتاد المسجد فاشهدوا له بالايمان فان الله عز وجل يقول انما يعمر مساجد الله من امن بالله واليوم الاخر الاية اخرجه الترمذي وقال حديث حسن ق عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من غدا الى المسجد او راح اعد الله له في الجنة نزلا كلما غدا او راح النزل ما يهيا للضيف عند نزوله بالقوم ق عن عثمان ابن عفان قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من بنى مسجدا يبتغي به وجه الله بنى الله له بيتا في الجنة وفي رواية بنى الله له في الجنة مثله وعن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من بنى لله مسجدا صغيرا او كبيرا بنى الله له بيتا في الجنة اخرجه الترمذي عن عمرو بن عبسة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من بنى لله مسجدا ليذكر الله فيه بنى الله له بيتا في الجنة اخرجه النسائي قوله تعالى اجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام الاية م عن النعمان بن بشير قال كنت عند منبر النبي صلى الله عليه وسلم فقال رجل ما ابالي ان لا اعمل عملا بعد الاسلام الا ان اعمر المسجد الحرام وقال الاخر الجهاد في سبيل الله افضل مما قلتم فزجرهم عمر وقال لا ترفعوا اصواتكم عند منبر النبي صلى الله عليه وسلم وهو يوم الجمعة ولكن اذا صليت الجمعة دخلت فاستفتيته فيما اختلفتم فيه فانزل الله عز وجل اجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن امن بالله واليوم الاخر الى اخرها وقال ابن عباس قال العباس حين اسر يوم بدر لئن كنتم سبقتمونا بالاسلام والهجرة والجهاد لقد كنا نعمر المسجد الحرام ونسقي الحاج فانزل الله هذه الاية واخبر ان عمارتهم المسجد الحرام وقيامهم على السقاية لا ينفعهم مع الشرك بالله وان الايمان والجهاد مع نبيه خير مما هم عليه وقال الحسن والشعبي ومحمد بن كعب القرظي نزلت في علي بن ابي طالب والعباس بن عبد المطلب وطلحة بن شيبة افتخروا فقال طلحة انا صاحب البيت بيدي مفاتيحه وقال العباس وانا صاحب السقاية والقائم عليها وقال ما ادري ما تقولون لقد صليت الى القبلة ستة اشهر قبل الناس وانا صاحب الجهاد فانزل الله هذه الاية اجعلتم سقاية الحاج والسقاية مصدر كالرعاية والحماية وهي سقي الحاج وكان العباس بن عبد المطلب بيده سقاية الحاج وكان يليها في الجاهلية فلما جاء الاسلام واسلم العباس اقره رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك وعمارة المسجد

الحرام يعني بناءه وتشييده ومرمته كمن امن بالله واليوم الاخر فيه حذف تقديره كايمان من امن بالله واليوم الاخر وجاهد في سبيل الله اي وكجهاد من جاهد في سبيل الله وقيل السقاية والعمارة بمعنى الساقي والعامر تقديره اجعلتم ساقي الحاج وعامر المسجد الحرام كمن امن بالله واليوم الاخر وجاهد في سبيل الله لا يستوون عند الله يعني لا يستوي حال هؤلاء الذين امنوا بالله وجاهدوا في سبيل الله بحال من سقى الحاج وعمر المسجد الحرام وهو مقيم على شركه وكفره لان الله لا يقبل عملا الا مع الايمان به والله لا يهدي القوم الظالمين خ عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء الى السقاية فاستسقى فقال العباس يا فضل اذهب الى امك فات رسول الله بشراب من عندها فقال اسقني فقال يا رسول الله انهم يجعلون ايديهم فيه قال اسقني فشرب منه ثم اتى زمزم وهم يستقون ويعملون فيها فقال اعملوا فانكم على عمل صالح ثم قال لولا ان تغلبوا لنزلت حتى اضع الحبل على هذه يعني عاتقه م عن بكر بن عبد الله المزني قال كنت جالسا مع ابن عباس عند الكعبة فاتاه اعرابي فقال مالي ارى بني عمكم يسقون العسل واللبن وانتم تسقون النبيذ امن حاجة بكم ام من بخل فقال ابن عباس الحمد لله ما بنا من حاجة ولا بخل انما قدم النبي صلى الله عليه وسلم على راحلته وخلفه اسامة فاستسقى فاتيناه باناء من نبيذ فشرب وسقى فضله اسامة فقال احسنتم واجملتم كذا فاصنعوا فلا نريد تغيير ما امر به رسول الله صلى الله عليه وسلم النبيذ تمر ينقع في الماء غدوة ويشرب عشيا او ينقع عشيا ويشرب غدوة وهذا حلال فان غلا وحمض حرم قوله عز وجل الذين امنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله باموالهم وانفسهم اعظم درجة عند الله يعني ان من كان موصوفا بهذه الصفات يعني الايمان والهجرة والجهاد في سبيل الله بالمال والنفس كان اعظم درجة عند الله ممن اتصف بالسقاية وعمارة المسجد الحرام وانما لم يذكر القسم المرجوح لينبه فضل القسم الراجح على الاطلاق على من سواهم والمراد بالدرجة المنزلة والرفعة عند الله في الاخرة واولئك يعني من هذه صفته هم الفائزون يعني بسعادة الدنيا والاخرة يبشرهم ربهم يعني يخبرهم ربهم والبشارة الخبر السار الذي يفرح الانسان عند سماعه وتستنير بشرة وجهه عند سماع ذلك الخبر السار ثم ذكر ذلك الذي يبشرهم به فقال تعالى برحمة منه ورضوان وهذا اعظم البشارات لان الرحمة والرضوان من الله عز وجل على العبد نهاية مقصوده وجنات لهم فيها نعيم مقيم يعني ان نعيم الجنة دائم غير منقطع ابدا خالدين فيها يعني في الجنات وفي النعيم ابدا يعني لا انقطاع له ابدا ان الله عنده اجر عظيم يعني لمن عمل بطاعته وجاهد في سبيله قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا اباءكم واخوانكم اولياء قال مجاهد هذه الاية متصلة بما قبلها نزلت في قصة العباس وطلحة وامتناعهما من الهجرة وقال ابن عباس

لما امر النبي صلى الله عليه وسلم الناس بالهجرة الى المدينة فمنهم من تعلق به اهله واولاده يقولون ننشدك بالله ان تضيعنا فيرق لهم فيقيم عليهم ويدع الهجرة فانزل الله هذه الاية وقال مقاتل نزلت في التسعة الذين ارتدوا عن الاسلام ولحقوا بمكة فنهى الله المؤمنين عن موالاتهم وانزل يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا اباءكم واخوانكم اولياء يعني بطانة واصدقا تفشون اليهم اسراركم وتوثرون المقام معهم على الهجرة قال بعضهم حمل هذه الاية على ترك الهجرة مشكل لان هذه السورة نزلت بعد الفتح وهي من اخر القران نزولا والاقرب ان يقال ان الله تعالى لما امر المؤمنين بالتبري من المشركين قالوا كيف يمكن ان يقاطع الرجل اباه واخاه وابنه فذكر الله ان مقاطعة الرجل اهله واقاربه في الدين واجبة فالمؤمن لا يوالي الكافر وان كان اباه واخاه وابنه وهو قوله ان استحبوا الكفر على الايمان يعني ان اختاروا الكفر واقاموا عليه وتركوا الايمان بالله ورسوله ومن يتولهم منكم فاولئك هم الظالمون يعني ومن يختار المقام معهم على الهجرة والجهاد فقد ظلم نفسه بمخالفة امر الله واختيار الكفار على المؤمنين ولما نزلت هذه الاية قال الذين اسلموا ولم يهاجروا ان نحن هاجرنا ضاعت اموالنا وذهبت تجارتنا وخربت دورنا وقطعنا ارحامنا فانزل الله تعالى قل اي قل يا محمد لهولاء الذين قالوا هذه المقالة ان كان اباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم وقرئ على الجمع وعشيراتكم العشيرة هم الادنون من اهل الانسان الذين يعاشرونه دون غيرهم واموال اقترفتموها يعني اكتسبتموها وتجارة تخشون كسادها يعني بفراقكم لها ومساكن ترضونها يعني تستوطنونها راضين بسكناها احب اليكم من الله ورسوله يعني احب اليكم من الهجرة الى الله ورسوله وجهاد في سبيله فبين الله تعالى انه يجب تحمل جميع المضار في الدنيا ليبقى الدين سليما واخبر انه ان كانت رعاية هذه المصالح الدنيوية عندكم اولى من طاعة الله وطاعة رسوله ومن المجاهدة في سبيل الله فتربصوا اي فانتظروا حتى ياتي الله بامره يعني بقضائه وهذا امر تهديد وتخويف وقال مجاهد ومقاتل يعني بفتح مكة والله لا يهدي القوم الفاسقين يعني الخارجين عن طاعته وفي هذه دليل على انه اذا وقع تعارض بين مصالح الدين ومصالح الدنيا وجب على المسلم ترجيح مصالح الدين على مصالح الدنيا قوله عز وجل لقد نصركم الله النصر المعونة على الاعداء باظهار المسلمين عليهم في مواطن كثيرة يعني اماكن كثيرة والمراد به غزوات رسول الله صلى الله عليه وسلم وسراياه وبعوثه وكانت غزوات رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما ذكر في الصحيحين من حديث زيد بن ارقم تسع عشرة غزوة زاد بريدة في حديثه قاتل في ثمان منهن ويقال ان جميع غزواته وسراياه وبعوثه سبعون وقيل ثمانون وهو قوله تعالى لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين يعني ونصركم الله في يوم حنين ايضا فاعلم الله انه هو الذي يتولى نصر المؤمنين في كل موقف وموطن ومن يتولى الله نصره فلا غالب له وحنين

اسم واد

اسم واد قريب من الطائف بينه وبين مكة بضعة عشر ميلا وقال عروة هو الى جنب ذي المجاز وكانت قصة حنين على ما نقله الرواة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم فتح مكة وقد بقيت عليه ايام من شهر رمضان فخرج الى حنين لقتال هوازن وثقيف في اثني عشر الفا عشرة الاف من المهاجرين والانصار والفان من الطلقا وقال عطا كانوا ستة عشر الفا وقال الكلبي كانوا عشرة الاف وكانوا يومئذ اكثر ما كانوا قط وكان المشركون اربعة الاف من هوازن وثقيف وكان على هوازن مالك بن عوف النصري وعلى ثقيف كنانة بن عبد ياليل فلما التقى الجمعان قال رجل من الانصار يقال له سلمة بن سلامة بن وقش لن نغلب اليوم عن قلة فساء رسول الله صلى الله عليه وسلم كلامه ووكلوا الى كلمة الرجل وفي رواية لم يرض الله قوله ووكلهم الى انفسهم وذكر ابن الجوزي عن سعيد بن المسيب ان القائل لذلك ابو بكر الصديق وحكى ابن جرير الطبري ان القائل لذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم واسناد هذه الكلمة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه بعد لانه صلى الله عليه وسلم كان في جميع احواله متوكلا على الله عز وجل لا يلتفت الى كثرة عدد ولا الى غيره بل نظره الى ما ياتي من عند الله عز وجل من النصر والمعونة قالوا فلما التقى الجمعان اقتتلوا قتالا شديدا فانهزم المشركون وخلوا عن الذراري ثم تنادوا يا حماة السواد اذكروا الفضائح فتراجعوا وانكشف المسلمون وقال قتادة ذكر لنا ان الطلقاء انجفلوا يومئذ من الناس فلما انجفلوا القوم هربوا ق عن ابي اسحاق قال جا رجل الى البرا فقال اكنتم وليتم يوم حنين يا ابا فقال اشهد على نبي الله صلى الله عليه وسلم ما ولى ولكنه انطلق اخفا من الناس وحسر الى هذا الحي من هوازن وهم قوم رماة فرموهم برشق من نبل كانها رجل من جراد فانكشفوا فاقبل القوم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو سفيان بن الحرث يقود به بغلته فنزل ودعا واستنصر وهو يقول انا النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب اللهم انزل نصرك زاد ابو خيثمة ثم صفهم قال البرا كنا والله اذا احمر الباس نتقي به وان الشجاع منا للذي يحاذي به يعني النبي صلى الله عليه وسلم ولمسلم عن ابي اسحاق قال قال رجل للبرا ابن عازب يا ابا عمارة فررتم يوم حنين قال لا والله ما ولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكنه خرج شبان اصحابه واخفاؤهم حسرا ليس عليهم سلاح او كثير سلاح فلقوا قوما رماة لا يكاد يسقط لهم سهم جمع هوازن وبني نصر فرشقوهم رشقا ما يكادون يخطئون فاقبلوا هناك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ورسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلته البيضا وابو سفيان بن الحرث بن عبد المطلب يقود به فنزل ودعا واستنصر

وقال انا النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب ثم صفهم وروى شيبة عن ابي اسحاق قال قال
البراء ان هوازن كانوا قوما رماة فلما لقيناهم حملنا عليهم فانهزموا فاقبل المسلمون
على الغنائم فاستقبلونا بالسهام فاما رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يفر قوله ولكنه
انطلق اخفا الناس الا خفاجع حفيف وهم المسرعون من الناس الذين ليس
لهم ما يعوقهم والحسر جمع حاسر وهو الذي لا درع عليه يقال اذا رمى القوم اسرعهم
الى جهة واحدة رمينا رشقا والرجل من الجراد القطعة الكبيرة منه وقوله كنا اذا احمر
الناس يعني اذا اشتد الحرب والباس بالبا الموحدة من تحت الشدة والخوف قال الكلبي
كان حول رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلثمائة من المسلمين فانهزم ساير الناس وقال
غيره لم يبق مع النبي صلى الله عليه وسلم يومئذ غير عمه العباس بن عبد المطلب
وابن عمه ابي سفيان وايمن بن ام ايمن قتل يوم حنين بين يدي رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهذا ايمن اخو اسامة بن زيد لامه امهما بركة مولاة رسول
الله صلى الله عليه وسلم وحاضنته م عن العباس بن عبد المطلب قال شهدت
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين فلزمت انا وابو سفيان بن الحرث
ابن عبد المطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم نفارقه ورسول الله صلى الله
عليه وسلم على بغلة له بيضا اهداها له فروة بن نفاثة الجذامي فلما التقى المسلمون
والكفار ولى المسلمون مدبرين فطفق رسول الله صلى الله عليه وسلم يركض
بغلته قبل الكفار قال العباس وانا اخذ بلجام بغلة رسول الله صلى الله عليه
وسلم اكفها ارادة ان لا تسرع وابو سفيان اخذ بركاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اي عباس ناد اصحاب السمرة فقال
العباس وكان رجلا صيتا فقلت باعلى صوتي اين اصحاب السمرة قال فوالله
لكان عطفتهم حين سمعوا صوتي عطفة البقرة على اولادها فقالوا
لبيك يا لبيك قال فاقتتلوا والكفار والدعوة في الانصار يقولون يا
معشر الانصار ثم قصرت الدعوة على بني الحرث بن الخزرج فنظر رسول الله صلى
الله عليه وسلم وهو على بغلته كالمتطاول عليها الى قتالهم فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم هذا حين حمي الوطيس قال ثم اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم حصيات فرمى بهن
وجوه الكفار ثم قال انهزموا ورب محمد قال فذهبت انظر فاذا القتال على هيئته
فيما ارى قال فوالله ما هو الا ان رماهم بحصياته فما زلت ارى حدهم كليلا وامرهم
مدبرا قوله حمي الوطيس اي اشتد الحرب قال الخطابي هذه الكلمة لم تسمع قبل ان
يقولها النبي صلى الله عليه وسلم من العرب وهي مما اقتضبه وانشاه والوطيس
في اللغة التنور وقوله حدهم كليلا يعني لا يقطع شيئا م عن سلمة بن الاكوع قال
غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حنينا قال فلما غشوا رسول الله صلى الله عليه وسلم

نزل عن

نزل عن البغلة ثم قبض قبضة من تراب الارض ثم استقبل به وجوههم وقال شاهت
الوجوه فما خلق الله منهم انسانا الا ملا عينيه ترابا بتلك القبضة فولوا مدبرين
فهزمهم الله وقسم غنائمهم بين المسلمين اخرجه مسلم بزيادة فيه قال سعيد بن جبير
امد الله نبيه صلى الله عليه وسلم بخمسة الاف من الملائكة مسومين وروي ان
رجلا من بني نصر يقال له شجرة قال للمؤمنين بعد القتال اين الخيل البلق والرجال
عليهم ثياب بيض ما كنا نراهم فيكم الا كهيئة الشامة وما كان قتلنا الا بايديهم
فاخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تلك الملائكة وروي ان رجلا
من المشركين قالوا يوم حنين لما التقينا واصحاب محمد لم يقفوا لنا حلب شاة اذ
كشفناهم فبينا نحن نسوقهم حتى انتهينا الى صاحب البغلة البيضا فاذا هو
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فتلقانا عنده رجال بيض الوجوه ارجعوا قال فانهزمنا
وركبوا اكتافنا فكانت اياها واختلفوا هل قاتلت الملائكة يوم حنين على قولين
والصحيح انها لم تقاتل الا يوم بدر وانما كانت الملائكة يوم حنين مددا وعونا وذكر
البغوي ان الزهري قال بلغني ان شيبة بن عثمان قال استدبرت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يوم حنين وانا اريد قتله بطلحة بن عثمان وعثمان بن ابي طلحة وكانا
قد قتلا يوم احد فاطلع الله رسوله صلى الله عليه وسلم على ما في نفسي فالتفت
الي وضرب في صدري وقال اعيذك بالله يا شيبة فارعدت فرايصي فنظرت
اليه وهو احب الي من سمعي وبصري فقلت اشهد انك رسول الله قد اطلعك
الله على ما في نفسي فلما هزم الله المشركين وولوا مدبرين انطلقوا حتى اتوا
اوطاس وبها عيالهم واموالهم فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا من
الاشعريين يقال له ابو عامر وامره على الجيش فسار الى اوطاس فاقتتلوا بها
وقتل دريد بن الصمة وهزم الله المشركين وسبى المسلمون عيال المشركين وهرب
اميرهم مالك بن عوف النصري فاتى الطايف فتحصن بها واخذ ماله واهله
فيمن اخذ وقتل ابو عامر امير المسلمين قال الزهري اخبرني سعيد بن المسيب
انهم اصابوا يومئذ ستة الاف سبي ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتى الطايف
فحاصرهم بقية ذلك الشهر فلما دخل ذو القعدة وهو شهر حرام انصرف عنهم واتى
الجعرانة فاحرم منها بعمرة وقسم بها غنائم حنين واوطاس وتالف اناسا
منهم ابو سفيان بن حرب والحرث بن هشام وسهيل بن عمرو والاقرع بن حابس
فاعطاهم ق عن انس بن مالك ان ناسا من الانصار قالوا يوم حنين افاء الله
على رسوله من اموال هوازن ما افا فطفق رسول الله صلى الله عليه وسلم
يعطي رجالا من قريش المائة من الابل فقالوا يغفر الله لرسول الله يعطي قريشا
ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم قال انس فحدث بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم

من قولهم فارسل الى الانصار فجمعهم في قبة من ادم ولم يدع معهم غيرهم فلما اجتمعوا
جاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال حديث بلغني عنكم فقال له فقهاء الانصار
اما ذوو راينا يا رسول الله لم يقولوا شيئا واما اناس منا حديثة اسنانهم فقالوا يغفر الله
لرسول الله صلى الله عليه وسلم يعطي قريشا ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم فاني اعطي رجالا حديثي عهد بكفر اتالفهم افلا ترضون ان يذهب
الناس بالاموال وترجعوا الى رحالكم برسول الله صلى الله عليه وسلم فوالله ما تنقلبون
به خير مما ينقلبون به قالوا بلى يا رسول الله قد رضينا قال فانكم ستجدون بعدي اثرة
شديدة فاصبروا حتى تلقوا الله ورسوله على الحوض قالوا سنصبر زاد في رواية قال انس
فلم نصبر ق عن عبد الله بن زيد بن عاصم قال لما افاء الله على رسوله يوم حنين
قسم في الناس في المولفة قلوبهم ولم يعط الانصار شيئا فكانهم وجدوا اذ لم يصبهم
ما اصاب الناس فخطبهم فقال يا معشر الانصار الم اجدكم ضلالا فهداكم الله بي وكنتم
متفرقين فالفكم الله بي وعالة فاغناكم الله بي كلما قال شيئا قالوا الله ورسوله امن
قال فما يمنعكم ان تجيبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم كلما قال شيئا قالوا الله ورسوله
امن قال لو شئتم قلتم جئتنا كذا وكذا اترضون ان يذهب الناس بالشاة والبعير
وتذهبون بالنبي الى رحالكم ولولا الهجرة لكنت امرا من الانصار ولو سلك الناس
واديا او شعبا لسلكت وادي الانصار وشعبهم الانصار شعار والناس دثار
م عن رافع بن خديج قال اعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا سفيان بن حرب
وصفوان بن امية وعيينة بن حصن والاقرع بن حابس كل انسان مائة من الابل
واعطى عباس بن مرداس دون ذلك فقال عباس بن مرداس اتجعل نهبي ونهب العبيد
بين عيينة والاقرع فما كان حصن ولا حابس يفوقان مرداس في مجمع وما كنت
دون امرئ منهما ومن تخفض اليوم لا يرفع قال فاتم له رسول الله صلى الله عليه وسلم
مائة خ عن المسور ومروان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قام حين جاءه وفد
هوازن مسلمين فسالوه ان يرد عليهم اموالهم وسبيهم فقال لهم رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان معي من ترون واحب الحديث الي اصدقه فاختاروا احدى الطائفتين اما
المال واما السبي وقد كنت استانيت بكم وفي رواية وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
انتظرهم بضع عشرة ليلة حين قفل من الطائف فلما تبين لهم ان النبي صلى الله عليه وسلم
غير راد عليهم الا احدى الطائفتين قالوا انا نختار سبينا فقام رسول الله صلى الله
عليه وسلم في الناس فاثنى على الله بما هو اهله ثم قال اما بعد فان اخوانكم هؤلاء
جاءوا تائبين واني قد رايت ان ارد اليهم سبيهم فمن احب منكم ان يطيب ذلك
لهم فليفعل فقال الناس قد طيبنا ذلك لهم يا رسول الله فقال لهم في ذلك
انا لا ندري من اذن منكم ممن لم ياذن فارجعوا حتى يرفعوا الينا عرفاؤكم

امركم فرجع

امركم فرجع الناس فكلمهم عرفاؤهم ثم رجعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاخبروه انهم قد طيبوا واذنوا فهذا الذي بلغنا من سبي هوازن فانزل الله
عز وجل في قصة حنين لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين اذ اعجبتكم
كثرتكم يعني حتى قلتم لن نغلب اليوم عن قلة فلم تغن عنكم اي كثرتكم شيئا
يعني ان الظفر بالعدو ليس بكثرة العدد ولكن انما يكون بنصر الله ومعونته
وضاقت عليكم الارض بما رحبت يعني بسعتها وفضائها ثم وليتم مدبرين
يعني منهزمين ثم انزل الله سكينته يعني بعد الهزيمة والسكينة الطمانينة والامنة وهي
فعيلة من السكون وذلك ان الانسان اذا خاف رجف فؤاده فلا يزال متحركا
واذا امن سكن فؤاده وثبت فلما كان الامن موجبا للسكون جعل لفظ السكينة
كناية عن الامن وقوله تعالى على رسوله وعلى المومنين انما كان انزال السكينة على
المومنين لان الرسول صلى الله عليه وسلم كان ساكن القلب ليس عنده اضطراب كما
حصل للمومنين من الهزيمة والاضطراب في هذه الواقعة ثم من الله عليهم بانزال
السكينة عليهم حتى رجعوا الى قتال عدوهم بعد الهزيمة ورسول الله صلى الله عليه وسلم
ثابت لم يفر وانزل جنودا لم تروها يعني الملائكة لتثبيت المومنين وتشجيعهم وتخذيل المشركين
وتجبينهم لا للقتال لان الملائكة لم تقاتل الا يوم بدر وعذب الذين كفروا يعني
بالقتل والاسر وسبي العيال وسبي الاموال وذلك جزاء الكافرين يعني في الدنيا ثم اذا
افضوا الى الآخرة كان لهم عذاب اشد من ذلك العذاب واعظم ثم يتوب الله على — من بعد ذلك صح
من يشاء يعني فيهديه الى الاسلام كمن فعل بمن بقي من الهوازن حيث اسلموا وقدموا
على رسول الله صلى الله عليه وسلم تائبين فمن عليهم واطلق سبيلهم والله غفور لمن
تاب رحيم بعباده قوله تعالى يا ايها الذين امنوا انما المشركون نجس قيل اراد بالمشركين
عبدة الاصنام دون غيرهم من اصناف الكفار وقيل بل اراد جميع اصناف الكفار عبدة
الاصنام وغيرهم من اليهود والنصارى والنجس الشيء القذر من الناس وغيرهم وقيل
النجس الخبيث واراد بهذه النجاسة نجاسة الحكم لا نجاسة العين سموا نجسا على الذم
لان الفقهاء اتفقوا على ان طهارة ابدانهم وقيل هم انجاس العين كالكلب والخنزير حتى
قال الحسن بن صالح من مس مشركا فليتوضا ويروى هذا عن الزيدية من الشيعة والقول
الاول اصح وقال قتادة سماهم نجسا لانهم يجنبون فلا يغتسلون ويحدثون فلا يتوضئون
فلا يقربوا المسجد الحرام والمراد منعهم من دخول الحرم لانهم اذا دخلوا الحرم فقد قربوا
من المسجد الحرام ويوكد هذا قوله تعالى سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام اراد
به الحرم لانه اسري به صلى الله عليه وسلم من بيت ام هانئ قال العلماء وجملة بلاد
الاسلام في حق الكفار ثلاثة اقسام احدها الحرم فلا يجوز لكافر ان يدخله بحال ذميا
كان او مستامنا لظاهر هذه الاية وبه قال الشافعي واحمد ومالك فلو جاء رسول

من دار الكفر والامام في الحرم فلا ياذن له في دخول الحرم بل يخرج اليه بنفسه او يبعث
اليه من يسمع رسالته خارج الحرم وجوز ابي حنيفة واهل الكوفة للمعاهد دخول
الحرم القسم الثاني من بلاد الاسلام الحجاز وحده ما بين اليمامة وبين اليمن
وبين نجد والمدينة الشريفة قيل نصفها تهامي ونصفها حجازي وقيل كلها حجازي
وقال ابن الكلبي حد الحجاز ما بين جبلي طي وطريق العراق يسمى حجازا لانه حجز بين تهامة
ونجد وقيل لانه حجز بين نجد والسراة وقيل لانه حجز بين نجد وتهامة والشامي قال
الحربي وتبوك من الحجاز فيجوز للكافر دخول ارض الحجاز بالاذن ولكن لا يقيم فيها
اكثر من مقام المسافر وهو ثلاثة ايام عن عمر انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول لاخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب فلا اترك فيها الا مسلما زاد في
رواية لغير مسلم واوصى فقال اخرجوا المشركين من جزيرة العرب فلم يتفرغ لذلك
ابوبكر واجلاهم عمر في خلافته واجل لمن يقدم تاجرا ثلاثا وعن ابن شهاب ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يجتمع دينان في جزيرة العرب اخرجه مالك في الموطا
مرسلا عن جابر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الشيطان قد ييس
ان يعبده المصلون في جزيرة العرب ولكن في التحريش بينهم قال سعيد بن عبد العزيز
جزيرة العرب ما بين الوادي الى اقصى اليمن الى تخوم العراق الى البحر وقال غيره حد
جزيرة العرب من اقصى عدن الى ريف العراق في الطول ومن جده وما والاها
من ساحل البحر الى اطراف الشام عرضا والقسم الثالث سائر بلاد الشام فيجوز
للكافر ان يقيم فيها بالعهد والامان وذمة ولكن لا يدخلون المساجد الا باذن مسلم
وقوله تعالى بعد عامهم هذا يعني العام الذي حج فيه ابوبكر الصديق بالناس
ونادى على براة وان لا يحج بعد العام مشرك وهو سنة تسع من الهجرة وان خفتم
عيلة يعني فقرا وفاقة وذلك ان اهل مكة كانت معايشهم من التجارات وكان المشركون
يجلبون الى مكة الطعام ويتجرون فلما منعوا من دخول الحرم خاف اهل مكة الفقر
وضيق العيش فذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله عز وجل
وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله قال عكرمة فاغناهم الله بان
انزل المطر مدرارا وكثر خيرهم وقال مقاتل اسلم اهل جدة وصنعا وجرش من اليمن
وجلبوا الميرة الكثيرة الى مكة فكفاهم الله ما كانوا يخافون وقال الضحاك
وقتادة عوضهم الله منها الجزية فاغناهم بها ان شاء قيل انما شرط المشية في
الغنى المطلوب ليكون الانسان دايم التضرع والابتهال الى الله تعالى في طلب
الخيرات ودفع الافات وان ينقطع العبد امله من كل احد الا من الله عز وجل
فانه هو القادر على كل شيء وقيل ان المقصود من ذكر هذا الشرط تعليم رعاية
الادب كما في قوله لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله ان الله عليم يعني

بما يصلحهم

بما يصلحهم حكيم يعني انه تعالى لا يفعل شيا الا عن حكمة وصواب فمن حكمه ان منع المشركين
من دخول الحرم واوجب الجزية والذل والصغار على اهل الكتاب فقال تعالى قاتلوا
الذين لا يومنون بالله ولا باليوم الاخر قال مجاهد نزلت الاية حين امر النبي صلى الله
عليه وسلم بقتال الروم فغزى بعد نزولها غزوة تبوك وقال الكلبي نزلت في قريظة
والنضير من اليهود فصالحهم فكانت اول جزية اصابها اهل الاسلام واول ذل
اصابها اهل الكتاب بايدي المسلمين وهذا خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم
واصحابه المومنين والمعنى قاتلوا ايها المومنون القوم الذين لا يومنون بالله
ولا باليوم الاخر فان قلت اليهود والنصارى يزعمون انهم يومنون بالله واليوم
الاخر فكيف اخبر الله عنهم انهم لا يومنون بالله ولا باليوم الاخر قلت ان
ايمانهم بالله ليس كايمان المسلمين وذلك ان اليهود يعتقدون التجسيم والتشبيه
والنصارى يعتقدون الحلول ومن اعتقد ذلك فليس يومن بالله وقيل
من اعتقد ان العزير ابن الله وان المسيح ابن الله فليس يومن بالله بل هو
مشرك بالله وقيل من كذب رسولا من رسل الله فليس يومن بالله واليهود
والنصارى يكذبون اكثر الانبيا فليسوا بمومنين بالله واما ايمانهم باليوم
الاخر فليس كايمان المومنين وذلك انهم يعتقدون بعثة الارواح
دون الاجساد ويعتقدون ان اهل الجنة لا ياكلون فيها ولا يشربون ولا ينكحون
ومن اعتقد ذلك فليس ايمانه كايمان المومنين وان زعم انه مومن وقوله تعالى
ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله يعني ولا يحرمون الخمر والخنزير وقيل معناه لا
يعملون بما في التورية والانجيل بل حرفوها واتوا باحكام من قبل انفسهم ولا
يدينون دين الحق يعني ولا يعتقدون صحة الاسلام الذي هو دين الحق وقيل
الحق هو الله تعالى ومعناه ولا يدينون دين الله ودينه الاسلام بدليل قوله ان
الدين عند الله الاسلام وقيل معناه ولا يدينون دين اهل الحق وهم المسلمون
ولا يطيعون الله كطاعتهم من الذين اوتوا الكتاب يعني اعطوا الكتاب
وهم اليهود والنصارى حتى يعطوا الجزية وهي ما يعطي المعاهدون من اهل الكتاب
على عهده وهي الخراج المضروب على رقابهم سميت جزية للاجتزا بها في حقن
دمايهم عن يد يعني عن قهر وغلبة يقال لكل من اعطى شيا كرها من غير طيب نفس
اعطى عن يد قال ابن عباس يعطونها بايديهم ولا يرسلون بها على يد غيرهم وقيل
يعطونها نقدا لا نسية وقيل يعطونها مع اقرارهم بانعام المسلمين عليهم بقبولها
منهم وهم صاغرون من الصغار وهو الذل والاهانة يعني يعطون الجزية وهم
اذلا مقهورون وقال عكرمة يعطون الجزية وهم قيام والقابض جالس وقال
ابن عباس توخذ الجزية من احدهم وتوطا عنقه وقال الكلبي اذا اعطى يصفع قفاه

وقيل هو ان يؤخذ بلحيته ويضرب في لهزمته ويقال له ادّ حق الله يا عدو الله وقال الشافعي
الصغار هو جريان احكام المسلمين عليهم **فصل** في بيان حكم الآية اجمعت الامة على
جواز اخذ الجزية من اهل الكتاب وهم اليهود والنصارى اذا لم يكونوا عربا واختلفوا في الكتابي
العربي وفي غير اهل الكتاب من كفار العجم فذهب الشافعي الى ان الجزية على الاديان لا على
الانساب فتؤخذ من اهل الكتاب عربا كانوا او عجما ولا تؤخذ من عبدة الاوثان بحال
واحتج بما روي عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم بعث خالد بن الوليد الى اكيدر دومة
فاخذوه فاتوا به فحقن دمه وصالحه على الجزية اخرجه ابو داود قال الشافعي وهو رجل من
العرب يقال انه من غسان واخذ من اهل ذمة اليمن وعامتهم عرب وذهب مالك
والاوزاعي الى ان الجزية تؤخذ من جميع الكفار الا المرتد وقال ابو حنيفة تؤخذ من اهل
الكتاب على العموم وتؤخذ من مشركي العرب وقال ابو يوسف لا تؤخذ من العربي كتابيا كان
او مشركا وتؤخذ من العجمي كتابيا كان او مشركا واما المجوس فاتفقت الصحابة على جواز
الاخذ منهم ويدل عليه ما روي عن بجالة بن عبيد ويقال عبدة لم يكن عمر اخذ الجزية من
المجوس حتى شهد عبد الرحمن بن عوف ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول سنوا بهم
سنة اهل الكتاب اخرجه مالك في الموطا عن ابن شهاب قال بلغني ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم اخذ الجزية من مجوس البحرين وان عمر اخذها من مجوس فارس وان عثمان
اخذها من البربر اخرجه مالك في الموطا وفي امتناع عمر عن اخذ الجزية من المجوس
حتى شهد عبد الرحمن ان النبي صلى الله عليه وسلم اخذها منهم دليل على ان راي الصحابة
على انها لا تؤخذ من كل مشرك وانما تؤخذ من اهل الكتاب واختلفوا في ان المجوس
هل هم من اهل الكتاب فروي عن علي بن ابي طالب انه قال كان لهم كتاب يدرسونه
فاصبحوا وقد اسري على كتابهم فرفع من بين اظهرهم واتفقوا على تحريم ذبائحهم
ومناكحتهم بخلاف اهل الكتاب واما من دخل في دين اليهود والنصارى من غيرهم
من المشركين نظر فان كان قد دخلوا فيه قبل النسخ والتبديل يقرون بالجزية و
تحل مناكحتهم وذبائحهم وان دخلوا في دينهم بعد النسخ بمجيء محمد صلى الله عليه وسلم
ونسخ شريعتهم بشريعته فلا يقرون بالجزية ولا تحل ذبائحهم ومناكحتهم ومن
شككنا في امرهم انهم هل دخلوا فيه بعد النسخ او قبله يقرون بالجزية تغليبا لحقن
الدم ولا تحل ذبائحهم ومناكحتهم تغليبا للتحريم فمنهم نصارى العرب من تنوخ
وبهرا وبني تغلب اقرهم عمر بالجزية وقال لا تحل لنا ذبائحهم واما الصابئة والسامرة
فسبيلهم سبيل اهل الكتاب فهم في اهل الكتاب كاهل البدع في المسلمين واما
قدر الجزية فاقلها دينار ولا يجوز ان ينقص عنه ويقبل الدينار من الغني والفقير
والمتوسط ويدل عليه ما روي عن معاذ بن جبل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
لما وجهه الى اليمن امره ان يأخذ من كل حالم يعني محتلم دينارا او عدله من المعافري

ثياب تكون

ثياب تكون باليمن اخرجه ابو داود قال النبي صلى الله عليه وسلم امره ان يأخذ من كل
حالم وهو البالغ دينارا ولم يفرق بين الغني والفقير والمتوسط وفيه دليل على انه
لا تؤخذ الجزية من الصبيان والنساء وانما تؤخذ من الاحرار البالغين وذهب قوم
الى ان على كل موسر اربعة دنانير وعلى كل متوسط دينارين وعلى كل فقير دينارا
وهو قول اصحاب الراي ويدل عليه ما روي عن اسلم ان عمر بن الخطاب ضرب الجزية
على اهل الذهب اربعة دنانير وعلى اهل الورق اربعين درهما مع ذلك ارزاق
المسلمين وضيافة ثلاثة ايام اخرجه مالك في الموطا اقل الجزية دينار لا يزاد على الدينار
الا بالتراضي فاذا رضي اهل الذمة بالزيادة ضربنا على المتوسط دينارين وعلى الغني اربعة
دنانير قال العلماء انما اقر اهل الكتاب على دينهم الباطل بخلاف اهل الشرك حرمة لآبائهم
الذين انقرضوا على الدين من شريعة التوراة والانجيل قبل النسخ والتبديل وايضا فان بايديهم
كتبا قديمة فربما تفكروا فيها فيعرفوا صدق محمد صلى الله عليه وسلم وصحة نبوته فامهلوا لهذا
المعنى وليس المقصود من اخذ الجزية من اهل الكتاب اقرارهم على كفرهم بل المقصود من ذلك
حقن دمائهم واموالهم رجاء ان يعرفوا الحق فيرجعوا اليه بان يؤمنوا ويصدقوا اذا راوا
محاسن الاسلام وقوة دلائله وكثرة الداخلين فيه قوله عز وجل وقالت اليهود عزير ابن
الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بافواههم الآية لما ذكر الله تعالى في الآية
المتقدمة ان اليهود والنصارى لا يؤمنون بالله ولا يدينون دين الحق بينه في هذه الآية
واخبر عنهم انهم اثبتوا لله ولدا ومن جوز ذلك على الله فقد اشرك به لانه لا فرق
بين من يعبد صنما وبين من يعبد المسيح فقد بان بهذا انهم لا يؤمنون بالله ولا يدينون
دين الحق وقد تقدم سبب اخذ الجزية منهم وابقائهم على هذا الشرك وهو حرمة الكتب القديمة
بايديهم ولعلهم يتفكرون فيها ويعرفون الحق فيرجعون اليه روى سعيد بن جبير وعكرمة
عن ابن عباس قال اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم جماعة من اليهود ابن مشكم والنعمان
ابن اوفى وشاس بن قيس ومالك بن الصيف فقالوا كيف نتبعك وقد تركت
قبلتنا وانت لا تزعم ان عزير ابن الله فانزل الله هذه الآية وقال عبيد بن عمير انما قال
هذه المقالة رجل واحد من اليهود اسمه فنحاص بن عازورا وهو الذي قال ان الله فقير
ونحن اغنياء فعلى هذين القولين القائل لهذه المقالة جماعة من اليهود او واحد وانما
نسب ذلك الى اليهود في قوله وقالت اليهود جريا على عادة العرب في ايقاع اسم الجماعة
على الواحد يقول العرب فلان يركب الخيل وانما يركب فرسا واحدا منها ويقول العرب فلان
يجالس الملوك ولعله لم يجالس الا واحدا منهم وروى عطية العوفي عن ابن عباس
انه قال انما قالت اليهود ذلك من اجل ان عزيرا كان فيهم وكانت التوراة عندهم والتابوت
فيهم فاضاعوا التوراة وعملوا بغير الحق فرفع الله عنهم التابوت وانساهم التوراة
ونسخها من صدورهم فدعا الله عزير وابتهل اليه ان يرد اليه التوراة فبينما هو يصلي

مبتهلا الى الله عز وجل نزل نور من السما فدخل جوفه فاذن في قومه وقال يا قوم قد
اتاني الله التوراة وردها الي فعلقوا به يعلمهم ثم مكثوا ما شا الله ثم ان التابوت
نزل بعد ذهابه منهم فلما راوا التابوت عرضوا ما كان يعلمهم عزير على ما في التابوت
فوجدوه مثله فقالوا ما اوتي عزير هذا الا انه ابن الله وقال الكلبي ان بخت نصر
لما غزا بيت المقدس وظهر على بني اسرايل وقتل من قرا التورية وكان عزير اذ ذاك
صغيرا لم يقتله لصغره فلما رجعا بنوا اسرايل الى بيت المقدس وليس فيهم من يقرا
التورية بعث الله عزيرا ليجدد لهم التورية ويكون لهم اية بعد ما اماته الله
ماية سنة قال فاتى ملك باناء فيه ما فشرب منه فمثلت التورية في صدره
فلما اتاهم قال انا عزير فكذبوه وقالوا ان كنت كما تزعم فاملي علينا التورية
فكتبها لهم من صدره ثم ان رجلا منهم قال ان ابي حدثني عن جدي ان التورية
جعلت في خابية ودفنت في كرم فانطلقوا معه حتى اخرجوها فعارضوها
بما كتب لهم عزير فلم يجدوه غادر حرفا فقالوا ان الله لم يقذف التورية في
قلب عزير الا انه ابنه فعند ذلك قالت اليهود عزير ابن الله فعلى هذين
القولين ان هذا القول كان فاشيا في اليهود جميعا ثم انه انقطع ودرس فاخبر
الله تعالى عنهم واظهره عليهم ولا عبرة بانكار اليهود ذلك فان خبر الله عز وجل
اصدق واثبت من انكارهم واما قول النصارى المسيح ابن الله وكان السبب
فيهم انهم كانوا على الدين الحق بعد رفع عيسى عليه السلام احدى وثمانون سنة
يصلون الى القبلة ويصومون رمضان حتى وقع بينهم وبين اليهود حرب وكان
في اليهود رجل شجاع يقال له بولص قتل جماعة من اصحاب عيسى ثم قال بولص
لليهود ان كان الحق مع عيسى فقد كفرنا والنار مصيرنا ونحن مغبونون ان دخلنا
النار ودخلوا الجنة فاني سأحتال واضلهم حتى يدخلوا النار معنا ثم انه عمد
الى فرس كان يقاتل عليه فعرقبه واظهر الندامة والتوبة ووضع التراب
على راسه ثم انه اتى الى النصارى فقالوا له من انت قال انا عدوكم بولص
قد نوديت من السما انه ليس لك توبة حتى تتنصر وقد تبت واتيتكم فادخلوه
الكنيسة ونصروه ودخل بيتا فيها لم يخرج منه سنة حتى تعلم الانجيل ثم خرج وقال
قد نوديت ان الله قد قبل توبتك فصدقوه واحبوه وعلى شانه فيهم ثم انه
عمد الى ثلاثة رجال اسم الواحد نسطور والاخر يعقوب والاخر ملكان فعلم
نسطور ان عيسى ومريم والاله ثلاثة وعلم يعقوب ان عيسى ليس بانسان
ولكنه ابن الله وعلم ملكان ان عيسى هو الله لم يزل ولا يزال فلما استمكن ذلك
فيهم دعا كل واحد منهم في الخلوة وقال له انت خالصتي وادع الناس الى علمتك
وامره ان يذهب الى ناحية من البلاد ثم قال لهم اني رايت عيسى في المنام وقد رضي

عنه وقال

عني وقال لكل واحد منهم اني سأذبح نفسي تقربا الى عيسى ثم ذهب الى المذبح
فذبح نفسه وتفرق اوليك الثلاثة فذهب واحد الى الروم وواحد الى بيت المقدس
والاخر الى ناحية اخرى واظهر كل واحد منهم مقالته ودعا الناس اليها فتبعه
على ذلك طوايف من الناس فتفرقوا واختلفوا ووقع القتال فكان ذلك سبب
قولهم المسيح ابن الله قال الامام فخر الدين بعد ان حكى هذه الحكاية والاقرب عندي
ان يقال لعله ورد لفظ الابن في الانجيل على سبيل التشريف كما ورد لفظ الخليل
في حق ابرهيم على سبيل التشريف فبالغوا وفسروا لفظ الابن بالبنوة الحقيقية
والجهال قبلوا ذلك منهم وفشى هذا المذهب الفاسد في اتباع عيسى عليه السلام
والله اعلم بحقيقة الحال ذلك قولهم بافواههم يعني انهم يقولون ذلك القول
بالسنتهم من غير علم يرجعون اليه قال اهل المعاني لم يذكر الله قولا مقرونا بالافواه والالسن
الا كان ذلك القول زورا وكذبا لا حقيقة له يضاهون قال ابن عباس يشابهون
والمضاهاة المشابهة وقال مجاهد يواطئون وقال الحسن يوافقون قول الذين كفروا
من قبل قال قتادة والسدي معناه ضاهت النصارى قول اليهود من قبلهم فقالوا المسيح
ابن الله كما قالت اليهود عزير ابن الله وقال مجاهد معناه يضاهون قول المشركين
من قبل لان المشركين كانوا يقولون ان الملايكة بنات الله قال الحسن شبه الله كفر
اليهود والنصارى وكفر الذين مضوا من الامم الخالية الكافرة وقال القتيبي يريد ان
من كان في عصر النبي صلى الله عليه وسلم من اليهود والنصارى يقولون ما قال اولوهم
قاتلهم الله قال ابن عباس لعنهم الله وقال ابن جريج قتلهم الله وقيل ليس هو على
تحقيق المقاتلة ولكنه معنى التعجب اي حقا ان يقال لهم هذا القول تعجبا من
بشاعة قولهم كما يقال لمن فعل فعلا يتعجب منه قاتله الله ما اعجب فعله انى يؤفكون
يعني اني يصرفون عن الحق بعد وضوح الدليل واقامة الحجة بان الله واحد فجعلوا له
ولدا تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وهذا التعجب راجع الى الخلق لان الله تعالى
لا يتعجب من شي ولكن هذا الخطاب على عادة العرب في مخاطباتهم فالله تعالى عجب نبيه
صلى الله عليه وسلم من تركهم الحق واصرارهم على الباطل قوله تعالى اتخذوا احبارهم ورهبانهم
اربابا من دون الله يعني اتخذوا اليهود والنصارى علماءهم وقراهم والاحبار العلما
من اليهود والرهبان اصحاب الصوامع من النصارى اربابا من دون الله يعني انهم
اطاعوهم في معصية الله تعالى وذلك انهم احلوا لهم اشيا وحرموا عليهم اشيا من قبل انفسهم
فاطاعوهم فيها فاتخذوهم كالارباب لا انهم عبدوهم واعتقدوا فيهم الالهية عن عدي بن
حاتم قال اتيت النبي صلى الله عليه وسلم وفي عنقي صليب من ذهب فقال يا عدي اطرح
عنك هذا الوثن وسمعته يقرا في سورة براة اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون
الله قال اما انهم لم يكونوا يعبدونهم ولكنهم كانوا اذا احلوا لهم شيا استحلوه واذا

حرموا عليهم شيئا حرموه اخرجه الترمذي وقال حديث غريب قال عبد الله ابن المبارك
وهل بدل الدين الا الملوك واحبار سوء ورهبانها والمسيح بن مريم يعني اتخذوا
الها وذلك لما اعتقدوا فيه البنوة والحلول اعتقدوا فيه بالالهية المنزل عليهم
وعلى السنة انبيايهم الا ليعبدوا الها واحدا لانه هو المستحق للعبادة لا غيره لا اله الا هو
سبحانه عما يشركون اي تعالى الله وتنزه عن ان يكون له شريك في العبادة والاحكام
او ان يكون له شريك في الالهية يستحق التعظيم والاجلال يريدون يعني يريد
روسا اليهود والنصارى ان يطفيوا نور الله بافواههم يعني يريد هولا ابطال
دين الله الذي جا به محمد صلى الله عليه وسلم بتكذيبهم اياه وقيل المراد من النور الدلايل
الدالة على صحة نبوته صلى الله عليه وسلم وهي امور احدها المعجزات الباهرات الخارقة للعادة
التي ظهرت على يده صلى الله عليه وسلم الدالة على صدقه وثانيها القران العظيم الذي نزل
عليه من عند الله فهو معجزة له باقية على الابد الدال على صدقه وثالثها ان دينه الذي امر به
وهو دين الاسلام ليس فيه شي سوى تعظيم الله والثنا عليه والانقياد لامره ونهيه واتباع
طاعته والامر بعبادته والتبري من كل معبود سواه فهذه امور نيرة ودلايل واضحة
في صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فمن اراد ابطال ذلك بكذب وتزوير فقد خاب
سعيه وبطل عمله ثم ان الله تعالى وعد نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بمزيد النصر واعلا
الكلمة واظهار الدين بقوله ويابى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون يعني ويابى
الله الا ان يعلي دينه ويظهر كلمته ويتم الحق الذي بعث به رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم
ولو كره ذلك الكافرون قوله عز وجل هو الذي ارسل رسوله يعني ان الله الذي يابى
الا ان يتم دينه هو الذي ارسل رسوله يعني محمدا صلى الله عليه وسلم بالهدى يعني بالقران
الذي انزله وجعله هاديا اليه ودين الحق يعني دين الاسلام ليظهره يعني ليعليه على الدين
كله يعني على ساير الاديان قال ابن عباس الهاء في ليظهره عايدا الى الرسول صلى الله عليه وسلم
والمعنى ليعلمه شرايع الدين كلها ويظهره عليها حتى لا يخفى عليه شي منها وقال غيره من
المفسرين الهاء راجعة الى الدين الحق والمعنى ليظهر دين الاسلام على الاديان كلها وهو ان
لا يعبد الا الله الاية قال ابو هريرة والضحاك وذلك عند نزول عيسى عليه السلام فلا يبقى
اهل دين الا دخلوا في الاسلام ويدل على صحة هذا التاويل ما روي عن ابي هريرة في
حديث نزول عيسى قال النبي صلى الله عليه وسلم ويهلك في زمانه الملل كلها الا الاسلام
عن المقداد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يبقى على وجه الارض بيت
مدر ولا وبر الا ادخله الله كلمة الاسلام اما بعز عزيز او بذل ذليل اما يعزهم فيجعلهم من
اهله فيعزوا به واما ان يذلهم فيدينون له اخرجه البغوي بغير سند م عن عايشة قال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يذهب الليل والنهار حتى تعبد اللات
والعزى فقلت يا رسول الله ان كنت لاظن حين انزل الله تعالى هو الذي ارسل رسوله

بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ان ذلك تام قال انه سيكون ذلك ما شا
الله ثم يبعث الله ريحا طيبة فتوفى كل من كان في قلبه مثقال حبة من خردل
من ايمان فيبقى من لا خير فيه فيرجعون الى دين ابايهم قال الشافعي فقد اظهر الله
رسوله صلى الله عليه وسلم على الاديان بان ابان لكل من سمعه انه الحق وما خالفه
من الاديان باطل وقال واظهره بان جماع الشرك دينان دين اهل الكتاب ودين الاميين
فقهر رسول الله صلى الله عليه وسلم الاميين حتى دانوا بالاسلام طوعا وكرها وقتل اهل الكتاب
وسبى حتى دان بعضهم بالاسلام واعطى بعضهم الجزية صاغرين وجرى عليهم حكمه فهذا
ظهوره على الدين كله ولو كره المشركون قوله تعالى يا ايها الذين امنوا ان كثيرا من الاحبار
والرهبان قد تقدم معنى الاحبار والرهبان وان الاحبار من اليهود والرهبان من
النصارى وفي قوله ان كثيرا دليل على ان الاقل من الاحبار والرهبان لم ياكلوا اموال
الناس ولعلهم الذين كانوا قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم وعبر عن اخذ الاموال بالاكل
في قوله تعالى لياكلون اموال الناس بالباطل لان المقصود الاعظم من جمع المال الاكل فسمي
الشي باسم ما هو اعظم مقاصده واختلفوا في السبب الذي من اجله اكلوا اموال الناس
بالباطل فقيل انهم كانوا ياخذون الرشا من سفلتهم في تخفيف الشرايع والمسامحة في الاحكام
وقيل انهم كانوا يكتبون بايديهم كتبا يحرفونها ويبدلونها ويقولون هذه من عند الله وياخذون
بها ثمنا قليلا وهي الماكل التي كانوا يصيبونها من سفلتهم على تغيير نعت النبي وصفته
من كتبهم لانهم كانوا يخافون لو امنوا به وصدقوه لذهبت عنهم تلك الماكل وقيل
ان التورية كانت مشتملة على ايات دالة على بعث النبي صلى الله عليه وسلم فكان الاحبار والرهبان
يذكرون في تاويلها وجوها فاسدة باطلة ويحرفون معانيها طلبا للرياسة واخذ الاموال
ومنع الناس عن الايمان به وذلك قوله تعالى ويصدون عن سبيل الله يعني ويمنعون الناس
عن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والدخول في دين الاسلام والذين يكنزون الذهب والفضة
اصل الكنز في اللغة جعل المال بعضه على بعض وحفظه ومال مكنوز اي مجموع واختلفوا
في المراد بهولا الذين ذمهم الله بسبب كنز الذهب والفضة فقيل هم اهل الكتاب
قال معاوية بن ابي سفيان لان الله تعالى وصفهم بالحرص الشديد على اخذ اموال الناس
بالباطل ثم وصفهم الله بالبخل الشديد وهو جمع المال ومنع اخراج الحقوق الواجبة منه
وقال ابن عباس والسدي نزلت في مانعي الزكاة من المسلمين وذلك انه لما ذكر
قبح طريقة الاحبار والرهبان في الحرص على اخذ الاموال بالباطل حذر المسلمين
من ذلك وذكر وعيد من جمع المال ومنع حقوق الله منه وقال ابو ذر نزلت في اهل
الكفار وفي المسلمين ووجه هذا القول ان الله وصف اهل الكتاب بالحرص على اخذ المال
من اهل الكتاب ومن المسلمين خ عن زيد بن وهب قال مررت بالربذة فاذا بابي ذر
فقلت ما انزلك هذا المنزل قال كنت في الشام فاختلفت انا ومعاوية في هذه الاية

والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فقال معاوية نزلت في اهل
الكتاب فقلت نزلت فينا وفيهم فكان بيني وبينه في ذلك كلام فكتب الى عثمان يشكوني
فكتب الي عثمان ان اقدم المدينة فقدمتها فكثر علي الناس حتى كانهم لم يروني قبل ذلك
فذكرت ذلك لعثمان فقال ان شئت تنحيت فكنت قريبا فذاك الذي انزلني هذا
المنزل ولو امروا علي حبشيا لسمعت واطعت واختلف العلماء في معنى الكنز فقيل هو
كل مال وجبت فيه الزكاة فلم تؤد زكاته روي عن ابن عمر انه قال له اعرابي اخبرني
عن قول الله عز وجل والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم
بعذاب اليم قال ابن عمر من كنزها فلم يؤد زكاتها فويل له هذا كان قبل ان تنزل الزكاة فلما
نزلت جعلها الله طهرا للاموال اخرجه البخاري وفي رواية مالك عن عبد الله بن دينار
قال سمعت عبد الله بن عمر وهو يسال عن الكنز ما هو فقال هو المال الذي لا يؤدى منه
الزكاة ورواه الطبري بسنده عن ابن عمر قال كل مال مدفونا وكل مال لم تؤد زكاته فهو الكنز
الذي ذكره الله في القران يكوى به صاحبه وان لم يكن مدفونا وروي عن علي بن ابي طالب
قال اربعة الاف فما دونها نفقة وما فوقها كنز وقيل ما فضل من المال عن حاجة صاحبه اليه
روى الطبري بسنده عن ابي امامة قال توفي رجل من اهل الصفة فوجد في مئزره دينار فقال
النبي صلى الله عليه وسلم كية ثم توفي اخر فوجد في مئزره ديناران فقال النبي صلى الله عليه وسلم
كيتان وكان هذا في اول الاسلام قبل ان تفرض الزكاة فكان يجب على كل من فضل معه شيء
من المال اخراجه لاحتياج غيره اليه فلما فرضت الزكاة نسخ ذلك الحكم عن ابن عباس قال
لما نزلت هذه الاية والذين يكنزون الذهب والفضة كبر ذلك على المسلمين فقال عمر انا
افرج عنكم فانطلق فقال يا نبي الله انه كبر على اصحابك هذه الاية فقال ان الله لم يفرض
الزكاة الا ليطيب ما بقي من اموالكم وانما فرض المواريث وذكر كلمة لتكون لمن بعدكم
قال فكبر عمر ثم قال له الا اخبرك بخير ما يكنز المرء المراة الصالحة اذا نظر اليها سرته واذا امرها
اطاعته واذا غاب عنها حفظته اخرجه ابو داود وعن ثوبان قال لما نزلت والذين يكنزون
الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض
اسفاره فقال بعض اصحابه انزلت في الذهب والفضة فلو علمنا اي المال خير اتخذناه
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم افضله لسان ذاكر وقلب شاكر وزوجة صالحة تعين المؤمن
على ايمانه اخرجه الترمذي وقال حديث حسن والصحيح من هذه الاقوال القول الاول وهو ما ذكرنا عن ابن عمر ان كل مال اديت زكاته فليس
وان كل ~~مال لم يؤد زكاته فصاحبه~~ بكنز ولا يحرم على صاحبه اكتنازه وان كثر وان كل
مال لم يؤد زكاته فصاحبه معاقب وان قل اذا كان مما يجب فيه الزكاة ويستحق
على منع الزكاة الوعيد من الله الا ان يتفضل الله عز وجل عليه بعفوه وغفرانه ويدل
على ذلك ما روي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من صاحب
ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها الا اذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار

فاحمي عليها

فاحمي عليها في نار جهنم فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره كلما بردت اعيدت له في
يوم كان مقداره خمسين الف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله اما الى
الجنة واما الى النار قيل يا رسول الله فالابل قال ولا صاحب ابل لا يؤدي
منها حقها ومن حقها حلبها يوم وردها الا اذا كان يوم القيامة بطح لها
بقاع قرقر اوفر ما كانت لا يفقد منها فصيلا واحدا تطؤه باخفافها وتعضه
بافواهها كلما مر عليه اولاها رد عليه اخراها في كل يوم مقداره خمسين الف سنة
حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله اما الى الجنة واما الى النار قيل يا رسول الله فالبقر
والغنم قال ولا صاحب بقر ولا غنم لا يؤدي حقها الا اذا كان يوم القيامة بطح لها
بقاع قرقر لا يفقد منها شيئا ليس فيها عقصاء ولا جلحاء ولا عضباء تنطحه بقرونها وتطؤه
باظلافها كلما مر عليه اولاها رد عليه اخراها في يوم كان مقداره خمسين الف سنة
حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله اما الى الجنة واما الى النار اخرجه مسلم بزيادة فيه
قوله كلما ردت اعيدت له هكذا هو في بعض نسخ صحيح مسلم ردت بضم الرا
وفي بعضها بردت بالبا وهذا هو الصواب والرواية الاولى هي رواية قوله بقاع
قرقر هو المستوي من الارض الواسع الاملس والعقصاء هي الشاة الملتوية
القرنين وانما استثناها لانها لا تولم بنطحها والجلحاء وهي الشاة التي لا قرن لها
وكذا العضباء وهي الشاة المكسورة القرن خ عن ابي هريرة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من اتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل له ماله شجاعا اقرع له زبيبتان
يطوقه يوم القيامة ثم ياخذ بلهزمتيه يعني شدقيه ثم يقول انا مالك انا كنزك ثم
تلا ولا يحسبن الذين يبخلون بما اتاه الله من فضله هو خيرا لهم الاية الشجاع الحية
والاقرع صفة له لطول العمر لان من طال عمره تمرق شعره وذهب وهي صفة اخبث
الحيات والزبيبتان هما الزبدتان في الشدقين واللهزمتان عظمان ناتئان في اللحيين
تحت الاذنين قوله تعالى ولا ينفقونها في سبيل يعني ولا يؤدون زكاتها وانما قال
ينفقونها ولم يقل ينفقونهما لانه رد الكناية الى المال المكنوز وهو اعيان الذهب
والفضة وقيل رد الكناية الى الفضة لانها اغلب اموال الناس فبشرهم بعذاب
اليم يعني للكافرين الذين لا يؤتون زكاة اموالهم ق عن ابي ذر قال انتهيت
الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو جالس في ظل الكعبة فلما راني قال هم الاخسرون
ورب الكعبة قال فجئت حتى جلست فلم اتقار حتى قمت فقلت يا رسول الله
فداك ابي وامي من هم قال هم الاكثرون اموالا الا من قال هكذا وهكذا من
بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله وقليل ما هم ما من صاحب
ابل ولا بقر ولا غنم لا يؤدي زكاتها الا جاءت يوم القيامة اعظم ما كانت واسمنه
تنطحه بقرونها وتطؤه باظلافها كلما نفدت اخراها عادت اليه اولاها حتى يقضى

بين الناس هذا لفظ مسلم وفرقه البخاري في موضعين وقوله تعالى يوم يحمى عليها في نار جهنم
يعني على الكنوز فتدخل النار فيوقد عليها حتى تبيض من شدة الحرارة فتكوى بها جباههم
يعني بالكنوز جباه كانزيها وجنوبهم وظهورهم قال ابن مسعود لا يوضع دينار على دينار
ولا درهم على درهم ولكن يوسع جلده حتى يوضع كل دينار ودرهم في موضع على حدة
قال بعض العلماء انما خص هذه الاعضاء بالكي من بين ساير الاعضاء لان الغني صاحب
المال اذا راى السايل فطلب منه شيا فيبدو منه اثار الكراهة والمنع فعند ذلك يقطب
وجهه ويكلح ويجمع اسارير وجهه فيتجعد جبينه ثم ان كرر السايل الطلب نا بجانبه عنه
ومال عن جهته وتركه جانبا ثم ان كرر الطلب والح في السوال ولاه ظهره واعرض عنه
واستقبل جهة اخرى وهي النهاية في الرد والغاية في المنع الدال على كراهة العطا والبذل
وهذا داب مانعي البر والاحسان وعادة البخلا فلذلك خص هذه الاعضا الثلاثة بالكي
يوم القيامة وهو قوله تعالى هذا ما كنزتم لانفسكم اي يقال لهم ذلك يوم القيامة فذوقوا
ما كنتم تكنزون اي فذوقوا عذاب ما كنتم في الدنيا من الاموال ومنعتم حق الله تعالى
ق عن الاحنف بن قيس قال قدمت المدينة فبينا انا في حلقة فيها ملا من قريش اذ جا
رجل خشن الثياب خشن الجسد خشن الوجه فقام عليهم فقال بشر الكانزين برضف يحمى عليه
في نار جهنم فيوضع على حلمة ثدي احدهم حتى يخرج من نغض كتفيه ويوضع على نغض
كتفيه حتى يخرج من حلمة ثديه يتزلزل قال فوضع القوم روسهم فما رايت احدا منهم رجع
اليه شيا قال فادبر فاتبعته حتى جلس الى سارية فقلت ما رايت هولا الا كرهوا ما قلت
لهم فقال ان هولا لا يعقلون شيا هذا لفظ مسلم وفيه زيادة لم اذكرها وزاد البخاري
فقلت من هذا قال ابو ذر قال فقمت اليه فقلت ما شي سمعتك تقول قبيل فقال ما قلت
الا شيا سمعته من نبيهم صلى الله عليه وسلم قوله عز وجل ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر
شهرا وهي المحرم وصفر وربيع الاول وربيع الاخر وجمادى الاول وجمادى الاخر ورجب
وشعبان ورمضان وشوال وذو القعدة وذو الحجة وهذه شهور القمرية التي هي مبنية على السنة م
سير القمر في المنازل وهي شهور العرب التي يعتد بها المسلمون في صيامهم ومواقيت حجهم
واعيادهم وساير امورهم واحكامهم وايام هذه الشهور ثلثماية وخمسة وخمسون يوما
والسنة الشمسية عبارة عن دور الشمس في الفلك دورة تامة وهي ثلثماية وخمسة وستون
يوما وربع يوم فتنقص السنة الهلالية عن السنة الشمسية عشرة ايام فبسبب هذا النقصان
تدور السنة الهلالية فيقع الصوم والحج تارة في الشتا وتارة في الصيف قال المفسرون
وسبب نزول هذه الاية من اجل النسي الذي كانت العرب تفعله في الجاهلية فكان
يقع حجهم تارة في وقته وتارة في المحرم وتارة في صفر وتارة في غيره من الشهور فاعلم الله
عز وجل عدة شهور سنة المسلمين التي تعتد وان بها اثني عشر شهرا على منازل القمر
وسيره فيها وهو قوله تعالى ان عدة الشهور عند الله يعني في علمه وحكمه اثنا عشر شهرا

في كتاب

في كتاب الله يعني في اللوح المحفوظ الذي كتب فيه جميع احوال الخلق وما ياتون وما يذرون
وقيل اراد بكتاب الله القران لان فيه ايات تدل على الحساب ومنازل القمر وقيل اراد بكتاب
الله الحكم الذي اوجبه وامر عباده بالاخذ به يوم خلق السموات والارض يعني ان هذا الحكم
حكم به وقضاه يوم خلق السموات والارض ان السنة اثنا عشر شهرا منها يعني من
الشهور اربعة حرم وهي رجب فرد وذو القعدة وذو الحجة والمحرم ثلاثة متوالية وانما
سميت حرما لان العرب في الجاهلية كانت تعظمها وتحرم فيها القتال حتى لو ان
احدهم لقي قاتل ابيه وابنه واخيه في هذه الاشهر لم يهجه ولما جا الاسلام لم يزدها الا حرمة
وتعظيما ولان الحسنات والطاعات فيها تتضاعف وكذلك السيات ايضا اشد من غيرها فلا يجوز
انتهاك حرمة الاشهر الحرم ذلك الدين القيم يعني ذلك الحساب المستقيم والعدد الصحيح المستوي
فالدين هنا بمعنى الحساب ومنه قوله صلى الله عليه وسلم الكيس من دان نفسه يعني حاسب نفسه
وعمل لما بعد الموت وقيل اراد بالدين القيم الحكم الذي لا يغير ولا يبدل والقيم بمعنى القايم
الذي لا يزول فالواجب على المسلمين الاخذ بهذا الحساب والعدد في صومهم وحجهم واعيادهم
وبياعاتهم واجل ديونهم وغير ذلك من ساير احكام المسلمين المرتبة على الشهور ق
عن ابي بكرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الزمان قد استدار كهيته يوم خلق الله السموات
والارض السنة اثنا عشر شهرا منها اربعة حرم ثلاث متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب
مضر الذي بين جمادى وشعبان اي شهر هذا قلنا الله ورسوله اعلم فسكت حتى ظننا
انه سيسميه بغير اسمه فقال اليس ذو الحجة قلنا بلى قال اي بلد هذا قلنا الله ورسوله اعلم
فسكت حتى ظننا انه سيسميه بغير اسمه فقال اليس يوم النحر قلنا بلى قال فان دماكم
عليكم واموالكم واعراضكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا وستلقون ربكم
فيسالكم عن اعمالكم فلا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض الا ليبلغ الشاهد
الغايب فلعل بعض من يبلغه ان يكون اوعى له من بعض من سمعه ثم قال الا هل بلغت الا
هل بلغت قلنا نعم قال اللهم اشهد وقوله تعالى فلا تظلموا فيهن انفسكم قيل الكناية فيهن ترجع
الى جميع الاشهر اي لا تظلموا انفسكم في جميع اشهر السنة بفعل المعاصي وترك الطاعات لان المقصود
منع الانسان من الاقدام على المعاصي والفساد مطلقا في جميع الاوقات الى الممات وقيل ان الكناية
ترجع الى الاشهر الحرم وهو قول اكثر المفسرين وقال قتادة العمل الصالح اعظم اجرا في الاشهر
الحرم والظلم فيهن اعظم فيما سواهن وان كان الظلم على كل حال عظيما وقال ابن عباس
لا تظلموا فيهن انفسكم يريد استحلال الحرام والغارة فيهن وقال محمد بن اسحاق بن يسار لا تجعلوا
حلالها حراما ولا حرامها حلالا كفعل اهل الشرك وهو النسي وقيل ان الانفس مجبولة بطبعها
على الظلم والفساد فالامتناع عنه على الاطلاق شاق على النفس لا جرم ان خص بعض
الاوقات بمزيد التعظيم والاحترام ليمتنع الانسان في تلك الاوقات من فعل الظلم والقبايح والمنكرات
فربما تركها باقي الاوقات فتصير هذه الاوقات الشريفة والاشهر المحرمة المعظمة سببا لترك الظلم

وفعل المعاصي في غيرها من الاشهر فهذا وجه الحكمة في تخصيص بعض الاشهر على بعض بمزيد
التشريف والتعظيم وكذلك الامكنة ايضا وقوله تعالى وقاتلوا المشركين كافة كما
يقاتلونكم كافة يعني قاتلوا المشركين باجمعكم مجتمعين على قتالهم كما انهم يقاتلونكم
على هذه الصفة والمعنى تعاونوا وتناصروا على قتالهم ولا تتخاذلوا ولا تتدابروا
ولا تفشلوا ولا تجبنوا عن قتالهم وكونوا عباد الله مجتمعين متوافقين في مقاتلة
اعدائكم من المشركين واختلف العلماء في تحريم القتال في الاشهر الحرم فقال قوم كان
كبيرا ثم نسخ بقوله وقاتلوا المشركين كافة يعني في الاشهر الحرم وغيرهن وهو
قول قتادة وعطاء الخراساني والزهري وسفيان الثوري قالوا ان النبي صلى الله عليه وسلم
غزا هوازن بحنين وثقيفا بالطائف وحاصرهم في شوال وبعض ذي القعدة وقال
اخرون انه غير منسوخ قال ابن جريج حلف بالله عطاء بن ابي رباح ما يحل للناس ان
يغزوا في الحرم ولا في الاشهر الحرم وما نسخت الا ان يقاتلوا فيها واعلموا ان الله مع
المتقين يعني بالنصر والمعونة على اعدائهم قوله تعالى انما النسيء زيادة في الكفر النسيء
في اللغة عبارة عن التاخير في الوقت ومنه النسيئة في البيع ومعنى المذكور في الاية
هو تاخير شهر حرام الى شهر اخر وذلك ان العرب في الجاهلية كانت تعتقد حرمة الاشهر الحرم
تعظيمها وكان مما تمسكت به من ملة ابراهيم عليه السلام وكان عامة معايش العرب من
الصيد والغارة وكان يشق عليهم الكف عن ذلك ثلاثة اشهر متوالية وربما وقعت حروب
في بعض الاشهر الحرم فكانوا يكرهون تاخير حربهم الى الاشهر الحلال فنسؤا يعني اخروا تحريم شهر
الى شهر اخر فكانوا يؤخرون تحريم المحرم الى صفر فيحلون المحرم ويحرمون صفر فاذا احتاجوا الى
تاخير تحريم صفر اخروه الى ربيع الاول فكانوا يصنعون هكذا يؤخرون شهرا بعد شهر حتى استدار
التحريم على السنة كلها وكانوا يحجون في كل شهر عامين فحجوا في ذي الحجة عامين ثم حجوا في المحرم
عامين ثم حجوا في صفر عامين وكذلك باقي شهور السنة فوافقت حجة ابي بكر في السنة التاسعة
قبل حجة الوداع في السنة الثانية من ذي القعدة ثم حج رسول الله صلى الله عليه وسلم في العام
المقبل حجة الوداع فوافق حجه في شهر ذي الحجة وهو شهر الحج المشروع فوقف بعرفة في اليوم
التاسع وخطب الناس في اليوم العاشر بمنى واعلمهم ان اشهر النسيء قد تناسخت باستدارة
الزمان وعاد الامر الى ما وضع الله عليه حساب الاشهر يوم خلق السموات والارض
وهو قوله صلى الله عليه وسلم ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات
والارض الحديث المتقدم وامرهم بالمحافظة على ذلك لئلا يتبدل في مستانف
الايام واختلفوا في اول من نسأ النسيء فقال ابن عباس والضحاك وقتادة
ومجاهد اول من نسأ بنو مالك بن كنانة وكان يليه ابو ثمامة جنادة بن عوف
ابن امية الكناني وقال الكلبي اول من فعل ذلك كان رجل من بني كنانة يقال له
نعيم بن ثعلبة وكان يكون على الناس في الموسم فاذا هم الناس بالصدر قام

فخطب الناس

فخطب الناس فيقول لا مرد لما قضيت انا الذي لا اعاب فيقول له المشركون لبيك ثم
يسالونه ان ينسئهم شهرا يغيرون فيه فيقول ان صفر في هذا العام حرام فاذا قال ذلك
حلوا الاوتار ونزعوا الاسنة والازجة من الرماح وان قال حلال عقدوا الاوتار وركبوا
الاسنة في الرماح واغاروا وكان من بعد نعيم بن ثعلبة رجل يقال له جنادة بن عوف
وهو الذي ادرك النبي صلى الله عليه وسلم قال عبد الرحمن بن زيد بن اسلم هو رجل من بني
كنانة يقال له القلمس قال شاعرهم ومنا ناسي القلمس وكانوا يفعلون ذلك اذا
اجتمعت العرب في الموسم وروى جويبر عن الضحاك عن ابن عباس ان اول من سن
النسيء عمرو بن لحي بن قمعة بن خندف والذي صح من حديث ابي هريرة وعائشة ان عمرو
ابن لحي اول من سيب السوائب وقال فيه النبي صلى الله عليه وسلم رايت عمرو بن لحي يجر
قصبه في النار فهذا ما ورد في تفسير النسيء الذي ذكره الله في قوله انما النسيء زيادة
في الكفر يعني زيادة كفر على كفرهم وسبب هذه الزيادة انهم امروا بايقاع فعل في وقته
من الاشهر الحرم ثم انهم بسبب اغراضهم الفاسدة اخروه الى وقت اخر فسبب ذلك
النسيء فاوقعوه في غير وقته من الاشهر الحرم وكان ذلك الفعل زيادة في كفرهم يضل به
الذين كفروا قرئ يضل بفتح اليا وكسر الضاد ومعناه يضل بالنسيء الذين كفروا اتباعهم
من الناس وهم ايضا ضالون في انفسهم وقرئ يضل بضم اليا وفتح الضاد ومعناه ان كبارهم
اضلوهم وحملوهم عليه وقرئ يضل به الذين كفروا بضم اليا وكسر الضاد ومعناه يضل الله
به الذين كفروا او يضل به الشيطان الذين كفروا بتزيين ذلك لهم وقيل معناه يضل
به الذين كفروا تابعيهم والاخذين بافعالهم وهذا الوجه اقوى الوجهين في تفسير
قراءة من قرا يضل بضم اليا وكسر الضاد يحلونه عاما ويحرمونه عاما يعني يحلون ذلك
الانساء عاما ويحرمونه عاما والمعنى يحلون الشهر المحرم عاما فيجعلونه حلالا يغيرون
فيه ليواطئوا يعني ليوافقوا عدة ما حرم الله يعني انهم ما احلوا شهرا من المحرم الا
حرموا مكانه شهرا من الحلال ولم يحرموا شهرا من الحلال الا احلوا مكانه شهرا من
الحرم لاجل ان يكون عدد الاشهر الحرم اربعة كما حرم الله فيكون ذلك موافقة في
العدد لا في الحكم فذلك قوله تعالى فيحلوا ما حرم الله زين لهم سوء اعمالهم قال
ابن عباس زين لهم الشيطان هذا العمل والله لا يهدي القوم الكافرين يعني انه تعالى
لا يرشد من هو كافر اثيم لما سبق له في الازل انه من اهل النار قوله عز وجل
يا ايها الذين امنوا ما لكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم الى الارض نزلت
هذه الاية في الحث على غزوة تبوك وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما رجع
من الطائف امر بالجهاد لغزوة الروم وكان ذلك في زمان عسرة من الناس
وشدة من الحر حين طاب الظلال ولم يكن الرسول صلى الله عليه وسلم يريد غزوة
الا ورى بغيرها حتى كانت غزوة تبوك فغزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم

فى حر شديد و يستقبل سفرا بعيدا و مفازا و عددا كثيرا فجلى للمسلمين امرهم ليتاهبوا
هبة عدوهم فشق عليهم الخروج و تثاقلوا فانزل الله عز و جل هذه الاية يا ايها الذين
امنوا ما لكم اذا قيل لكم انفروا يعنى قال لكم رسول الله صلى الله عليه و سلم انفروا فى سبيل الله
اى اخرجوا الى الجهاد يقال استنفر الامام الناس اذا حثهم على الخروج الى الجهاد و دعاهم اليه
و منه قوله صلى الله عليه و سلم اذا استنفرتم فانفروا و الاسم النفير اثاقلتم اى تثاقلتم و
تباطيتم عن الخروج الى الغزو الى الارض يعنى و لزمتم ارضكم و مساكنكم و انما استثقل ذلك
الغزو لشدة الزمان و ضيق الوقت و شدة الحر و بعد المسافة و الحاجة الى كثرة الاستعداد
من العدد و الزاد و كان ذلك الوقت وقت ادراك ثمار المدينة و طيب ظلالها و كان
العدو كثيرا فاستثقل الناس تلك الغزوة فعاتبهم الله بقوله ارضيتم بالحياة الدنيا من
الاخرة يعنى رضيتم بخفض العيش و ظهرة الدنيا و نعيمها من نعيم الاخرة فما متاع الحياة
الدنيا فى الاخرة الا قليل اى يعنى ان لذات الدنيا و نعيمها فانه زايل ينفد عن قليل
و نعيم الاخرة باقى على الابد فلهذا السبب كان متاع الدنيا قليل بالنسبة الى نعيم الاخرة و فى
الاية دليل على وجوب الجهاد فى كل حال و فى كل وقت لان الله تعالى نص على ان تثاقلهم عن
الجهاد امر منكر فلو لم يكن الجهاد واجبا لما عاتبهم على ذلك التثاقل و يوكد هذا الوعيد المذكور
فى الاية الاتية و هو قوله الا تنفروا يعنى فان لم تنفروا ايها المومنون الى من استنفركم اليه
رسول الله صلى الله عليه و سلم يعذبكم الله عذابا اليما يعنى فى الاخرة لان العذاب
الاليم لا يكون الا فى الاخرة و قيل ان المراد به احتباس المطر فى الدنيا قال نجدة بن نفيع
سالت ابن عباس عن هذه الاية قال استنفر رسول الله صلى الله عليه و سلم حيا من احيا العرب
تثاقلوا فامسك الله عليهم المطر فكان ذلك عذابهم و يستبدل قوما غيركم يعنى خيرا
منكم و اطوع قال سعيد بن جبير هم ابنا فارس و قيل هم اهل اليمن و فيه تنبيه على ان الله
عز و جل قد تكفل بنصرة نبيه صلى الله عليه و سلم و اعزاز دينه فان سارعوا معه الى الخروج
الى حيث استنفروا حصلت النصرة بهم و وقع اجرهم على الله عز و جل و ان تثاقلوا و تخلفوا
عنه حصلت النصرة بغيرهم و حصلت العتبى لهم و لئلا يتوهموا ان اعزاز رسول الله و نصره لا
يحصل الا بهم و هو قوله تعالى و لا تضروه شيا قيل الضمير راجع الى الله تعالى يعنى و لا تضروا
الله شيا لانه غنى عن العالمين و انما تضرون انفسكم بترككم الجهاد مع رسول الله صلى الله
عليه و سلم و قيل الضمير راجع الى رسول الله صلى الله عليه و سلم يعنى و لا تضروا محمدا صلى الله
عليه و سلم شيا فان الله ناصره على اعدايه و لا يخذله و الله على كل شى قدير يعنى انه تعالى
قادر على كل شى و هو ينصر نبيه قال الحسن و عكرمة هذه الاية منسوخة بقوله و ما كان
المومنون لينفروا كافة و قال الجمهور هذه الاية محكمة لانها خطاب لقوم استنفرهم
رسول الله صلى الله عليه و سلم فلم ينفروا كما نقل عن ابن عباس و على هذا التقدير
فلا نسخ قوله عز و جل الا تنصروه فقد نصره الله يعنى الا تنصروا محمدا صلى الله عليه و سلم

ايها المومنون

ايها المومنون هذا خطاب لمن تثاقل عن الخروج معه الى تبوك فاعلم الله عز و جل انه هو
المتكفل بنصر رسول الله صلى الله عليه و سلم و اعزاز دينه و اعلاء كلمته اعانوه او لم يعينوه
و انه قد نصره عند قلة الاوليا و كثرة الاعدا فكيف به اليوم و هو فى كثرة من العدد
و العدد اذ اخرجه الذين كفروا يعنى انه تعالى نصره فى الوقت الذى اخرجه كفار مكة من مكة
حين مكروا به و ارادوا قتله ثانى اثنين يعنى هو واحد اثنين و هما رسول الله صلى الله عليه
و سلم و الصديق اذ هما فى الغار يعنى اذ رسول الله صلى الله عليه و سلم و ابو بكر فى الغار
و الغار نقب عظيم يكون فى الجبل و هذا الغار فى جبل ثور و هو قريب من مكة اذ يقول لصاحبه
لا تحزن يعنى يقول رسول الله صلى الله عليه و سلم لابى بكر الصديق لا تحزن و ذلك ان ابا بكر
خاف من الطلب ان يعلموا بمكانهم فجزع من ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم
لا تحزن ان الله معنا يعنى بالنصر و المعونة قال الشعبى عاتب الله عز و جل اهل الارض جميعا
فى هذه الاية غير ابا بكر و قال الحسن بن الفضل من قال ان ابا بكر لم يكن صاحب رسول الله
صلى الله عليه و سلم فهو كافر لانكار نص القران و فى ساير الصحابة اذا انكر يكون مبتدعا
و لا يكون كافرا عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه و سلم قال لابى بكر انت صاحبى
على الحوض و صاحبى فى الغار اخرجه الترمذى و قال حديث حسن ق عن ابى بكر الصديق
قال نظرت الى اقدام المشركين و نحن فى الغار و هم على روسنا و قلت يا رسول الله لو ان
احدهم نظر الى قدميه ابصرنا تحت قدميه فقال ما ظنك يا ابا بكر باثنين الله ثالثهما
قال الشيخ محى الدين النواوى معناه ثالثهما بالنصر و المعونة و الحفظ و التسديد و هو
داخل فى قوله تعالى ان الله مع الذين اتقوا و الذين هم محسنون و فيه بيان عظيم توكل
النبى صلى الله عليه و سلم حتى فى هذا المقام و فيه فضيلة لابى بكر و هى من اجل مناقبه
و الفضيلة من اوجه منها اللفظ الدال على ان الله ثالثهما و منها بذله نفسه و مفارقته
اهله و ماله و رياسته فى طاعة الله و طاعة رسوله صلى الله عليه و سلم و ملازمة النبى صلى
الله عليه و سلم و معاداة الناس فيه و منها جعله نفسه وقاية عنه و غير ذلك روى عن عمر بن
الخطاب انه ذكر عنده ابا بكر فقال وددت ان عملى كله مثل عمله يوما واحدا من ايامه و ليلة
واحدة من لياليه اما الليلة فليلة سار مع النبى صلى الله عليه و سلم الى الغار فلما انتهيا
اليه قال و الله لا تدخله حتى ادخل قبلك فان كان فيه شى اصابنى دونك
فدخله فكسحه و وجد فى جانبه ثقبا فشق ازاره و سدها به و بقى منها ثقبان
فالقمهما رجليه ثم قال لرسول الله صلى الله عليه و سلم ادخل فدخل رسول الله صلى الله
عليه و سلم و وضع راسه فى حجره و نام فلدغ ابو بكر فى رجله من الجحر و لم يتحرك مخافة
ان ينتبه رسول الله صلى الله عليه و سلم فسقطت دموعه على وجه رسول الله صلى الله
عليه و سلم فقال ما لك يا ابا بكر قال لدغت فداك ابى و امى فتفل عليه رسول الله صلى الله
عليه و سلم فذهب ما يجده ثم انتقض عليه و كان سبب موته و اما ايامه فلما قبض رسول

رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتدت العرب وقالوا لا نؤدي الزكاة فقال لو منعوني عقالا
لجاهدتهم عليه فقلت يا خليفة رسول الله تألف الناس وارفق بهم فقال لي اجبار
في الجاهلية وخوار في الاسلام انه قد انقطع الوحي وتم الدين اينقص وانا حي اخرجه
جامع الاصول ولم يرقم عليه علامة لاحد وقال البغوي روي انه حين انطلق مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم الى الغار جعل يمشي ساعة بين يديه وساعة خلفه فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ما لك يا ابا بكر فقال اذكر الطلب فامشي خلفك فامشي ثم اذكر
الرصد فامشي بين يديك فلما انتهينا الى الغار قال مكانك يا رسول الله حتى
استبرئ الغار فدخل فاستبراه ثم قال انزل يا رسول فنزل وقال له ان اقتل فانا رجل
واحد من المسلمين وان قتلت هلكت الامة ذكر سياق حديث الهجرة وهو من افراد البخاري
عن عائشة قالت لم اعقل ابوي الا وهما يدينان الدين ولم يمر علينا يوم الا يأتينا
فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفي النهار بكرة وعشية فلما ابتلي المسلمون خرج ابو بكر
مهاجرا نحو ارض الحبشة حتى اذا بلغ برك الغماد لقيه ابن الدغنة وهو سيد القارة فقال
اين تريد يا ابا بكر فقال ابو بكر اخرجني قومي فاريد ان اسيح في الارض فاعبد ربي فقال
ابن الدغنة فان مثلك يا ابا بكر لا يخرج ولا يخرج انك تكسب المعدوم وتصل الرحم وتحمل
الكل وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق وانا لك جار فارجع واعبد ربك
ببلدك فرجع وارتحل معه ابن الدغنة فطاف ابن الدغنة في اشراف كفار قريش
فقال ان ابا بكر لا يخرج مثله اتخرجون رجلا يكسب المعدوم ويصل الرحم ويحمل الكل ويقري
الضيف ويعين على نوائب الحق فلم تكذب قريش بجوار ابن الدغنة وفي رواية
فانفذت قريش جوار ابن الدغنة وامنوا ابا بكر وقالوا لابن الدغنة مر ابا بكر فليعبد
ربه في داره فليصل فيها وليقرأ ما شاء ولا يؤذينا بذلك ولا يستعلن فانا نخشى
ان يفتن نساءنا وابناءنا فقال ذلك ابن الدغنة لابي بكر فلبث ابو بكر بذلك يعبد
ربه في داره ولا يستعلن بالصلاة ولا القراءة في غير داره ثم بدا لابي بكر فابتنى مسجدا
بفناء داره وكان يصلي فيه فيتقصف عليه نساء المشركين وابناؤهم يعجبون منه وينظرون
اليه وكان ابو بكر رجلا بكاء لا يملك عينيه اذا قرأ القرآن فافزع ذلك اشراف قريش من
المشركين فارسلوا الى ابن الدغنة فقدم عليهم فقالوا انا كنا اجرنا ابا بكر بجوارك على ان يعبد
ربه في داره فقد جاوز ذلك فابتنى مسجدا بفناء داره فاعلن بالصلاة والقراءة وانا قد خشينا ان
يفتن نساءنا وابناءنا فانهه فان احب ان يقتصر على ان يعبد ربه في داره فليفعل وان
ابى الا ان يعلن بذلك فسله ان يرد اليك ذمتك فانا قد كرهنا ان نخفرك
ولسنا مقرين لابي بكر الاستعلان قالت عائشة فاتى ابن الدغنة الى ابي بكر فقال
قد علمت الذي عاقدت لك عليه فاما ان تقتصر على ذلك واما ان ترجع الي
ذمتي فاني لا احب ان تسمع العرب اني اخفرت في رجل عقدت له فقال ابو بكر فاني

ارد اليك

ارد اليك جوارك وارضى بجوار الله والنبي صلى الله عليه وسلم يومئذ بمكة فقال النبي
صلى الله عليه وسلم اني رايت دار هجرتكم سبخة ذات نخل بين لابتين وهما الحرتان
فهاجر من هاجر قبل المدينة ورجع عامة من كان بارض الحبشة الى المدينة وتجهز
ابو بكر قبل المدينة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم على رسلك فاني ارجو
ان يؤذن لي فقال ابو بكر وهل ترجو ذلك بابي انت وامي قال نعم فحبس
ابو بكر نفسه على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلف راحلتين كانتا عنده
من ورق السمر وهو الخبط اربعة اشهر قال ابن شهاب قال عروة قالت عائشة
فبينما نحن يوما جلوس في بيت ابي بكر في نحر الظهيرة قال قائل هذا رسول الله
صلى الله عليه وسلم متقنعا في ساعة لم يكن ياتينا فيها فقال ابو بكر فدى له ابي
وامي والله ما جاء به في هذه الساعة الا امر قالت فجاء رسول الله صلى الله عليه
وسلم فاستاذن فاذن له فقال النبي صلى الله عليه وسلم لابي بكر اخرج من عندك فقال ابو بكر
انما هم اهلك بابي انت وامي يا رسول الله قال فاني قد اذن لي في الخروج فقال
ابو بكر الصحبة بابي انت وامي يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
نعم قال ابو بكر فخذ بابي وامي يا رسول الله احدى راحلتي هاتين فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم بالثمن قالت فجهزناهما احث الجهاز ووضعنا لهما سفرة
في جراب فقطعت اسماء بنت ابي بكر قطعة من نطاقها فربطت به فم الجراب
فبذلك سميت ذات النطاقين قالت ثم لحق رسول الله صلى الله عليه وسلم
وابو بكر في جبل ثور فمكثنا فيه ثلاث ليال يبيت عندهما عبد الرحمن بن ابي بكر
وهو غلام شاب ثقف لقن فيدلج من عندهما بسحر فيصبح مع قريش بمكة كبائت
فلا يسمع امرا يكادان به الا وعاه حتى ياتيهما بخبر ذلك حين يختلط الظلام ويرعى
عليهما عامر بن فهيرة مولى ابي بكر منحة من غنم فيريحها عليهما حين تذهب
ساعة من العشاء فيبيتان في رسل حتى ينعق بهما عامر بن فهيرة بغلس
يفعل ذلك كل ليلة من تلك الليالي الثلاث واستاجر رسول الله صلى الله
عليه وسلم رجلا من بني الديل وهو من بني عبد بن عدي هاديا خريتا والخريت
الماهر بالهداية قد غمس حلفا في ال العاص بن وائل السهمي وهو على دين
كفار قريش فامناه فدفعا اليه راحلتيهما وواعداه غار ثور بعد ثلاث ليال
فاتاهما صبح ثلاث فارتحلا فانطلق معهما عامر بن فهيرة والدليل الديلي فاخذ
بهم طريق السواحل وفي رواية الساحل قال ابن شهاب واخبرني عبد
الرحمن بن مالك المدلجي وهو ابن اخي سراقة بن جعشم ان اباه اخبره
انه سمع سراقة بن جعشم يقول جاءنا رسل كفار قريش يجعلون في رسول الله
صلى الله عليه وسلم وابي بكر دية لكل واحد منهما لمن قتله واسره فبينما انا جالس

في مجلس من مجالس قومي بني مدلج اقبل رجل منهم حتى قام علينا ونحن جلوس
فقال يا سراقة اني رايت انفا اسودة بالساحل اراها محمدا واصحابه قال سراقة
فعرفت انهم هم فقلت له انهم ليسوا بهم ولكنك رايت فلانا وفلانا انطلقوا
باعيننا ثم لبثت في المجلس ساعة ثم قمت فدخلت فامرت جاريتي ان تخرج
بفرسي وهي من وراء اكمة فتحبسها علي واخذت رمحي فخرجت به من ظهر البيت فخططت
بزجه الارض وخفضت عاليه حتى اتيت فرسي فركبتها فرفعتها فقمت واهويت
بيدي الى كنانتي فاستخرجت منها الازلام فاستقسمت بها اضرهم ام لا فخرج الذي
اكره فركبت فرسي وعصيت الازلام تقرب بي حتى اذا سمعت قراة رسول
الله صلى الله عليه وسلم وهو لا يلتفت وابو بكر يكثر الالتفات ساخت يدي فرسي
في الارض حتى بلغتا الركبتين فخررت عنها ثم زجرتها فنهضت فلم تكد تخرج
يديها فلما استوت قائمة اذا لاثر يديها عثان ساطع في السماء مثل الدخان فاستقسمت
بالازلام فخرج الذي اكره فناديتهم بالامان فوقفوا فركبت فرسي حتى جئتهم ووقع
في نفسي حين لقيت ما لقيت من الحبس عنهم ان سيظهر امر رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقلت له ان قومك قد جعلوا فيك الدية واخبرتهم بما يريد الناس بهم
وعرضت عليهم الزاد والمتاع فلم يرزاني ولم يسالاني الا ان قالا اخف عنا ما استطعت
فسالته ان يكتب لي كتاب امن فامر عامر بن فهيرة فكتب لي رقعة من ادم ومضى
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن شهاب عن عروة بن الزبير ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم لقي الزبير في ركب من المسلمين كانوا تجارا قافلين من الشام
فكسى الزبير رسول الله صلى الله عليه وسلم وابا بكر ثياب بياض وسمع المسلمون بالمدينة
بخروج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة فكانوا يغدون كل غداة الى الحرة
فينتظرونه حتى يردهم حر الظهيرة فانقلبوا يوما بعد ما اطالوا انتظارهم فلما اووا
الى بيوتهم اوفى رجل من اليهود على ظهر اطم من اطامهم لامر ينظر اليه فبصر برسول
الله صلى الله عليه وسلم واصحابه مبيضين يزول بهم السراب فلم يملك اليهودي
ان قال باعلى صوته يا معشر العرب هذا جدكم الذي تنتظرونه قال فثار المسلمون
الى السلاح فتلقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بظهر الحرة فعدل بهم ذات اليمين حتى
نزل بهم في بني عمرو بن عوف وذلك يوم الاثنين في شهر ربيع الاول فقام ابو بكر
للناس وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم صامتا فطفق من جاء من الانصار ممن لم
ير رسول الله صلى الله عليه وسلم يحيي ابا بكر حتى اصابت الشمس رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاقبل ابو بكر حتى ظلل عليه بردائه فعرف الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك
فلبث رسول الله صلى الله عليه وسلم في بني عمرو بن عوف بضع عشرة ليلة واسس
المسجد الذي اسس على التقوى وصلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ركب راحلته

فسار يمشي

فسار يمشي معه الناس حتى بركت عند مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم بالمدينة وهو يصلي
فيه يومئذ رجال من المسلمين وكان مربدا للتمر لسهيل وسهل غلامين يتيمين في حجر
اسعد بن زرارة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بركت ناقته هذا ان
شاء الله تعالى المنزل ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الغلامين فساومهما بالمربد
ليتخذه مسجدا فقالا بل نهبه لك يا رسول الله ثم بناه مسجدا فطفق رسول الله صلى الله
عليه وسلم ينقل اللبن معهم في بنيانه ويقول وهو ينقل اللبن هذا الحمال لا حمال خيبر هذا ابر
ربنا واطهر ويقول اللهم ان الاجر اجر الاخرة ، فارحم الانصار والمهاجرة ، فتمثل بشعر
رجل من المهاجرين لم يسم لي قال ابن شهاب ولم يبلغنا في الاحاديث ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم تمثل ببيت شعر تام غير هذه الابيات اخرجه البخاري بطرقه شرح
غريب الفاظ الحديث قولها لم اعقل ابوي الا وهما يدينان الدين يعني انهما كانا منقادا
الى الطاعة وبرك الغماد بفتح البا من برك وكسر الغين المعجمة اسم موضع بينه وبين مكة
خمس ليال مما يلي ساحل البحر الى المدينة من بلاد غفار وقيل هو قليب ما لبني ثعلبة
وقوله تكسب المعدوم فيه قولان احدهما انه لقوة سعده وحظه من الدنيا لا يتعذر
عليه كسب كل شي حتى المعدوم المتعذر لمن لا يقدر عليه لغيره وصف بالاحسان والكرم
والكل ما يثقل حمله من حقوق الناس وصلة الارحام والقيام بامر العيال واقرا الضيف
ونوايب الحق ما ينوب الانسان من المغارم وقضا الحقوق لمن يعضده انا لك
جار اي حام وناصر ومدافع عنك والاستعلان الاعلان الاظهار المحقق وقوله تنقص
الناس عليه ان ازدحموا عليه والذمة العهد والامان واحقارها نقضها والابة
الجبل والحرة الارض التي تعلوها حجارة سود يقال افعل الشي على رسلك بكسر الرا
اي على هينتك والراحلة البعير القوي على الحمل والسير والظهيرة وقت شدة الحر
والنطاق حبل تشد به المراة وسطها فترفع ثوبها من تحته فينعطف طرفاه من اعلاه
الى اسفل لئلا يصل الى الارض وقوله ثقف لقن يقال ثقف الرجل ثقافة اذا صار
حاذقا فطنا واللقن السريع الفهم والادلاج بتخفيف الدال سير اول الليل وبتشديدها
سير اخره والمنيحة الشاة ذات اللبن والرسل بكسر الرا وسكون السين وهو اللبن يقال
نعق الراعي بالغنم اذا دعاها لتجتمع اليه والغلس ظلام اخر الليل والخريت تقدم شرحه
في الحديث وهو الماهر بالهداية واراد به هداية الطريق وهو الدليل وقد غمس فلان
حلفا في ال فلان اذا اخذ بنصيب من عقدهم وحلفهم والاسودة الاشخاص والاكمة
التل المرتفع من الارض يقال قرب الفرس تقريبا اذا عدا عدوا دون
الاسراع والكنانة هي الجعبة التي تجعل فيها السهام والازلام القداح التي كانوا
يستقسمون بها عند طلب الحوائج كالفال والعثان الغبار يقال رزاته فلانا شيا
والمراد انهم لم ياخذوا منه شيا وقوله اوفى اي اشرف واطلع والاطم البنا المرتفع

اى ما اصبت منه شيا ح

كالحصى وقوله ببيضتين هو بكسر الياء ذو ثياب بيض والمربد الذي فيه موضع التمر
كالبيدر وقوله هذا الحمال هو بالحاء المهملة يعني هذا الحمل والمحمول من اللبن ابر عند الله واظهر
وابقى ذخرا وادوم منفعة في الآخرة لا احمال خيبر يعني ما يحمل من خيبر من التمر والزبيب
والطعام المحمول منها والمعنى ان ذلك الحمل الذي يحمله من اللبن لاجل عمارة المسجد افضل مما
يحمل من خيبر وقد روي هذا الجمال بالجيم من الجمال والرواية الاولى اشهر واكثر والله اعلم
قال الزهري لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر الغار ارسل الله تعالى زوجا من حمام
حتى باضا في اسفل النقب ونسجت العنكبوت بيتا وقيل انبت يمامة على فم الغار وقال النبي
صلى الله عليه وسلم اللهم اعم ابصارهم فجعل الطلب يضربون يمينا وشمالا حول الغار يقولون
لو دخل هذا الغار لتكسر بيض الحمام وتفسخ بيت العنكبوت ووجدت في بعض التفاسير شعرا
وقد نسبه الى ابي بكر الصديق وهو قوله ۝ قال النبي ولم يجزع يوقرني ۝ ونحن في سدف في ظلمة الغار
لا تخش شيئا فان الله ثالثنا ۝ وقد تكفل لي منه باظهار ۝ وانما كيد من تخشى بوادره ۝ كيد الشياطين
قد كادت لكفار ۝ والله مهلكهم طرا بما صنعوا ۝ وجاعل المنتهى منهم الى النار ۝ وقوله تعالى فانزل
الله سكينته عليه يعني فانزل الله الطمانينة والسكون على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم وقال
ابن عباس لابي بكر لان النبي صلى الله عليه وسلم كانت عليه السكينة من قبل ذلك **فصل**
في الوجوه المستنبطة من هذه الآية الدالة على فضل ابي بكر الصديق رضي الله عنه منها ان النبي
صلى الله عليه وسلم لما اختفى في الغار من الكفار كان مطلعا على باطن ابي بكر الصديق في سره
واعلانه وانه من المؤمنين الصادقين المصدقين المخلصين فاختار صحبته في ذلك المكان
المخوف لعلمه بحاله ومنها ان هذه الهجرة كانت باذن الله تعالى فخص الله بصحبة نبيه صلى الله عليه
وسلم ابا بكر دون غيره من اهله وعشيرته وفي هذا التخصيص يدل على شرف ابي بكر وفضله على
غيره ومنها ان الله عاتب اهل الارض بقوله الا تنصروه فقد نصره الله سوى ابا بكر الصديق
وهذا دليل على فضله ومنها ان ابا بكر لم يتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر ولا حضر
بل كان ملازما له وهذا دليل على صدق محبته وصحة صحبته له ومنها مواساته للنبي صلى الله عليه وسلم
في الغار وبذل نفسه له وفي هذا دليل على فضله ومنها ان الله تعالى جعله ثاني رسول الله صلى
الله عليه وسلم بقوله ثاني اثنين اذ هما في الغار وفي هذا نهاية الفضيلة لابي بكر وقد ذكر
بعض العلماء ان ابا بكر كان ثاني رسول الله صلى الله عليه وسلم في اكثر الاحوال ومنها ان النبي
صلى الله عليه وسلم دعا الخلق الى الايمان بالله فكان ابو بكر اول من امن ثم دعا ابو بكر الى الايمان
بالله ورسوله فاستجاب له عثمان وطلحة والزبير فامنوا على يدي ابي بكر ثم حملهم الى النبي صلى الله
عليه وسلم ومنها ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يقف في موقف من غزواته الا وابو بكر معه في
ذلك الموقف ومنها انه لما مرض صلى الله عليه وسلم قام مقامه في الامامة فكان ثانيه ومنها
انه ثانيه في تربته وفي هذا دليل على فضل ابي بكر رضي الله عنه ومنها ان الله تعالى نص على صحبته
ابي بكر دون غيره بقوله اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا ومنها ان الله كان ثالثهما

ومن كان الله معه دل على فضله وشرفه على غيره ومنها انزال السكينة على ابي بكر واختصاصه
بها دليل على فضله والله اعلم وقوله تعالى وايده بجنود لم تروها يعني وايد النبي صلى الله عليه
بانزال الملائكة ليصرفوا وجوه الكفار وابصارهم عن رؤيته وقيل القى الرعب في قلوب
الكفار حتى رجعوا وقال مجاهد والكلبي اعانه بالملائكة يوم بدر فاخبر الله تعالى انه نصره وصرف
عنه كيد الاعداء وهو في الغار في حال القلة والخوف ثم نصره بالملائكة يوم بدر وجعل كلمة
الذين كفروا السفلى يعني كلمة الشرك فهي سفلى الى يوم القيامة وكلمة الله هي العليا والله عزيز
حكيم قال ابن عباس هي قول لا اله الا الله فهي باقية الى يوم القيامة عالية وقيل ان كلمة
الذين كفروا هي ما كانوا قدروا فيما بينهم من الكيد بالنبي صلى الله عليه وسلم ليقتلوه وكلمة
الله ما وعده بالنصر والظفر بهم فكان ما وعده الله حقا وصدقا قوله تعالى انفروا خفافا
وثقالا يعني انفروا على الصفة التي يخف عليكم الجهاد وعلى الصفة التي يثقل عليكم وهذان الوصفان
يدخل تحتهما اقسام كثيرة فلهذا اختلفت عبارات المفسرين فيها فقال الحسن والضحاك ومجاهد
وقتادة وعكرمة شبابا وشيوخا قال ابن عباس نشاطا وغير نشاط وقال عطية العوفي ركبانا
ومشاة وقال ابو صالح خفافا من المال يعني فقراء وثقالا يعني اغنياء وقال ابن زيد الخفيف
الذي لا صنيعة له والثقيل الذي له صنيعة يكره ان يدع صنيعته وروي عن ابن عباس
قال خفافا اهل العسرة من المال وثقالا يعني مستكثرين منه وقيل شاغل وغير شاغل وقيل
اصحاء ومرضا وقيل عزابا ومتاهلين وقيل خفافا من الحاشية والاتباع وثقالا مستكثرين
منهم وقيل خفافا يعني مسرعين في الخروج الى الغزو ساعة سماع النفير وثقالا يعني بعد
التروي فيه والاستعداد له والصحيح ان هذا عام لان هذه الاحوال كلها داخلة تحت قوله تعالى
انفروا خفافا وثقالا يعني على اي حال كنتم فيها فان قلت فعلى هذا يلزم الجهاد لكل
احد حتى المريض والزمن والفقير وليس الامر كذلك فما معنى هذا الامر قلت من العلماء
من حمله على الوجوب ثم انه نسخ قال ابن عباس نسخت هذه الآية بقوله وما كان المؤمنون
لينفروا كافة الآية وقال السدي نسخت بقوله ليس على الضعفاء ولا على المرضى الآية
ومنهم من حمل هذا الامر على الندب قال مجاهد ان ابا ايوب الانصاري شهد
بدرا والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يتخلف عن غزوة غزاها
المسلمون بعده فقيل له في ذلك فقال سمعت الله عز وجل يقول انفروا خفافا
وثقالا ولا اجدني الا خفيفا او ثقيلا وقال الزهري خرج سعيد بن المسيب الى الغزو وقد
ذهبت احدى عينيه فقيل له انك عليل صاحب ضر فقال استنفر الله الخفيف
والثقيل فان لم يمكني الحرب كثرت السواد وحفظت المتاع وقال صفوان بن
عمرو كنت واليا على حمص فلقيت شيخا قد سقط حاجباه على عينيه من اهل
دمشق على راحلته يريد الغزو فقلت يا عم انت معذور عند الله فرفع حاجبيه
وقال يا ابن اخي استنفرنا الله خفافا وثقالا الا انه من يحبه يبتليه والصحيح هو القول

الاول انها منسوخة والثاني ان الجهاد فرض الكفاية ويدل عليه ان هذه الآيات نزلت في غزوة
تبوك وان النبي صلى الله عليه وسلم خلف في المدينة في تلك الغزوة النسا وبعض الرجال
فدل على ان الجهاد من فروض الكفايات ليس على الاعيان والله اعلم وقوله تعالى وجاهدوا
باموالكم وانفسكم في سبيل الله فيه قولان الاول ان الجهاد انما يجب على من له مال يتقوى
به على تحصيل آلات الجهاد ونفس سليمة قوية صالحة للجهاد فيجب عليه فرض الجهاد
والقول الثاني ان من كان له مال وهو مريض او مقعد او ضعيف لا يصلح للحرب
فعليه الجهاد بماله بان يعطيه غيره ممن يصلح للجهاد فيغزو بماله فيكون مجاهدا بماله
دون نفسه ذلكم خير لكم يعني ذلكم الجهاد خير لكم من القعود والتثاقل عنه وقيل
معناه ان الجهاد خير حاصل لكم ثوابه ان كنتم تعلمون يعني ان ثواب الجهاد خير لكم
من القعود عنه ثم نزل في المنافقين الذين تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم في غزوة تبوك قوله عز وجل لو كان عرضا قريبا فيه اضمار تقديره لو كان
ما تدعوهم اليه عرضا يعني غنيمة سهلة قريبة التناول والعرض ما عرض لك
من منافع الدنيا ومتاعها يقال الدنيا عرض حاضر ياكل منه البر والفاجر وسفرا
قاصدا يعني سهلا قريبا لاتبعوك يعني لخرجوا معك ولكن بعدت عليهم الشقة اي
المسافة والشقة السفر البعيد لانه يشق على الانسان سلوكها ومعنى الآية لو كان العرض
قريبا والغنيمة سهلة والسفر قاصدا لاتبعوك طمعا في تلك المنافع التي تحصل لهم ولكن
لما كان السفر بعيدا وكانوا يستعظمون غزو الروم لا جرم انهم تخلفوا لهذا السبب
ثم اخبر الله تعالى عنهم انه اذا رجع من هذا الجهاد انهم يحلفون بالله وهو قوله تعالى
وسيحلفون بالله يعني المنافقين الذين تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم في هذه الغزوة لو استطعنا لخرجنا معكم يعني الى هذه الغزوة يهلكون انفسهم
يعني بسبب هذه الايمان الكاذبة والنفاق وفيه دليل على ان الايمان الكاذبة
تهلك صاحبها والله يعلم انهم لكاذبون في ايمانهم وهو قولهم لو استطعنا لخرجنا
معكم لانهم كانوا مستطيعين الخروج وهو قوله عز وجل عفا الله عنك لم اذنت
لهم قال الطبري هذا عتاب من الله عز وجل عاتب به نبيه صلى الله عليه وسلم
اي في اذنه لمن اذن له في التخلف عنه من المنافقين حين شخص الى تبوك
لغزو الروم والمعنى عفا الله عنك يا محمد ما كان منك في اذنك لهؤلاء المنافقين
الذين استاذنوك في ترك الخروج معك الى تبوك قال عمرو بن ميمون اثنان فعلهما
رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يؤمر فيهما بشي اذنه للمنافقين واخذه الفدا من اسارى
بدر فعاتبه الله كما تسمعون وقال سفيان بن عيينة انظر هذا اللطف بداه
بالعفو قبل ان يعيره بالذنب فصل استدل بهذه الآية من يرى جواز صدور الذنب
من الانبيا وبيانه من وجهين احدهما انه تعالى قال عفا الله عنك والعفو يستدعي

سابقة

سابقة الذنب الوجه الثاني انه قال تعالى لم اذنت لهم وهذا استفهام معناه الانكار والجواب
عن الاول انا لا نسلم ان قوله تعالى عفا الله عنك يوجب صدور الذنب بل نقول ان
ذلك يدل على المبالغة في التعظيم والتوقير فهو كما يقول الرجل لغيره اذا كان معظما
له عفا الله عنك ما صنعت في امري رضي الله عنك ما جوابك عن كلامي و
عافاك الله وغفر لك على هذه الالفاظ في ابتدا الكلام وافتتاحه يدل على تعظيم
المخاطب به قال علي بن الجهم خاطب المتوكل * عفا الله عنك الا تجود بفضلك يا ابن
العلا * الم تر عبدا عدا طوره * ومولا عفي ورشيدا هدى * اقلني اقالك من لم يزل
يقيك ويصرف عنك الردى * والجواب عن الثاني انه لا يجوز ان يكون المراد بقوله
لم اذنت لهم الانكار عليه وبيانه اما ان يكون قد صدر منه ذنب في هذه الواقعة او لا
فان كان قد صدر عنه ذنب فذكر الذنب بعد العفو لا يليق فقوله عفا الله عنك يدل
على حصول العفو وبعد حصول العفو يستحيل ان يتوجه الانكار عليه وان لم يكن قد صدر
عنه ذنب امتنع الانكار فثبت بهذا ان هذا الانكار ممتنع في حقه صلى الله عليه وسلم
وقال القاضي عياض في كتابه الشفا في الجواب عن قوله عفا الله عنك لم اذنت لهم
فانه امر لم يتقدم للنبي صلى الله عليه وسلم فيه من الله تعالى نهي فيعد معصية بل لم
يعده اهل العلم معاتبة وغلطوا من ذهب الى ذلك او قال به وقد حاشاه الله
من ذلك بل كان مخيرا في امرين قالوا وقد كان له ان يفعل ما شا فيما لم ينزل عليه
فيه وحي فكيف وقد قال الله فاذن لمن شئت منهم فلما اذن لهم اعلمه الله بما لم
يطلع عليه من سرهم انه لو لم ياذن لهم لقعدوا وانه لا حرج عليه فيما فعل وليس عفا
هنا بمعنى غفر بل كما قال النبي صلى الله عليه وسلم عفا الله لكم عن صدقة الخيل والرقيق
ولم تجب عليهم قط اي لم يلزمكم ذلك ونحوه قال القشيري وانما يقول العفو لا يكون
الا عن ذنب من لم يعرف كلام العرب قال ومعنى عفا الله عنك اي لم يلزمك
ذنب قال الداودي انها تكرمة وقال مكي هو افتتاح كلام مثل اصلحك الله واعزك
وحكى السمرقندي ان معناه عافاك الله وقيل معناه ادام الله لك العفو لم اذنت
لهم يعني في التخلف عنك وهذا يحمل على ترك الاولى والاكمل لا سيما وهذه كانت
من جنس ما يتعلق بالحروب ومصالح الدنيا حتى يتبين لك الذين صدقوا يعني في
اعتذارهم وتعلم الكاذبين يعني فيما يعتذرون به قال ابن عباس لم يكن رسول الله صلى الله
عليه وسلم يعرف المنافقين يومئذ حتى نزلت براة وقوله تعالى لا يستاذنك الذين
يؤمنون بالله واليوم الآخر ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم في ان يجاهدوا وانما حسن
هذا الحذف لظهوره والله عليم بالمتقين يعني الذين يتقون مخالفته ويسارعون الى
طاعته انما يستاذنك يعني في التخلف عن الجهاد معك يا محمد من غير عذر الذين لا يؤمنون
بالله واليوم الآخر وهم المنافقون لقلة وارتابت قلوبهم يعني شكت قلوبهم في الايمان

وانما اضاف الشك والارتياب الى القلب لانه محل المعرفة والايمان ايضا فلما
دخله الشك كان ذلك نفاقا فهم في ريبهم يترددون يعني ان المنافقين متحيرين
لا مع الكفار ولا مع المومنين وقد اختلف علما الناسخ والمنسوخ في هذه الايات
فقيل انها منسوخة بالاية التي في سورة النور وهي قوله تعالى ان الذين يستاذنونك
اولئك الذين يومنون بالله ورسوله فاذا استاذنوك لبعض شانهم
فاذن لمن شئت منهم الاية وقيل انها محكمات كلها ووجه الجمع بين هذه الايات
ان المنافقين كانوا يسارعون في طاعة الله وجهاد عدوهم من غير استيذان
فاذا عرض لاحدهم عذر استاذن في التخلف فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
مخيرا في الاذن لهم بقوله تعالى فاذن لمن شئت منهم واما المنافقون فكانوا
يستاذنونك في التخلف من غير عذر فعيرهم الله تعالى بهذا الاستيذان لكونه بغير عذر
ولو ارادوا الخروج يعني الى الغزو معكم لاعدوا له عدة لتهيوا له باعداد الالات
القتال من الكراع والسلاح ولكن كره الله انبعاثهم يعني خروجهم الى الغزو معكم
فثبطهم يعني منعهم وحبسهم عن الخروج معكم والمعنى ان الله تعالى كره خروج
المنافقين مع النبي صلى الله عليه وسلم فصرفهم عنه وههنا يتوجه سوال وهو ان
خروج المنافقين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اما ان يكون فيه مصلحة او مفسدة
فان كان فيه مصلحة فلم قال ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وان كان فيه
مفسدة فلم عاتب نبيه صلى الله عليه وسلم في اذنه لهم بالعفو والجواب عن هذه
السوال ان خروجهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كان فيه مفسدة عظيمة
بدليل انه تعالى اخبر عن تلك المفسدة بقوله لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا
بقي فلم عاتب الله رسوله صلى الله عليه وسلم بقوله لم اذنت لهم فنقول انه صلى
الله عليه وسلم اذن لهم قبل تمام التفحص والكمال التامل والتدبر في حالهم فلهذا
السبب قال تعالى لم اذنت لهم وقيل انما عاتبه لاجل انه اذن لهم قبل ان يوحى اليه
في امرهم بالقعود وقيل اقعدوا مع القاعدين معناه انهم لما استاذنوه في القعود
قيل لهم اقعدوا مع القاعدين وهم النسا والصبيان والمرضى واهل الاعذار ثم اختلفوا
في القايل من هو فقيل قال بعضهم لبعض اقعدوا مع القاعدين وقيل القايل هو
رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما قال ذلك على سبيل الغضب لما استاذنوه
في القعود فقال لهم اقعدوا مع القاعدين فاغتنموا ذلك وقعدوا وقيل ان القايل
ذلك هو الله تعالى بان القى في قلوبهم القعود لما كره انبعاثهم مع المسلمين الى الجهاد
ثم بين الله تعالى ما في خروجهم من المفاسد فقال تعالى لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا
يعني لو خرجوا هولاء المنافقين معكم الى الغزو ما زادوكم الا فسادا وشرا واصل الخبال
اضطراب ومرض يوثر في العقل كالجنون قال بعض النحاة هذا من الاستثنا المنقطع

والمعنى

والمعنى لو خرجوا فيكم ما زادوكم قوة لكن خبالا والمراد به هنا الافساد وايقاع الجبن
والفشل بين المومنين بتهويل الامر وشدة السفر وكثرة العدو وقوتهم ولاوضعوا خلالكم
يعني ولاسرعوا فيكم وساروا بينكم بالقا النميمة والاحاديث الكاذبة فيكم يبغونكم
الفتنة يعني يطلبون لكم ما تفتنون به وذلك انهم يقولون للمومنين لقد جمع لكم كذا وكذا
ولا طاقة لكم بهم وانكم ستهزمون منهم وسيظهرون عليكم ونحو ذلك من الاحاديث الكاذبة
التي تجبن وقيل معناه يطلبون العيب والشر وفيكم سماعون لهم قال مجاهد يعني وفيكم
عيون يودون اليهم اخباركم وما يسمعون منكم وهم الجواسيس قال قتادة وفيكم
مطيعون لهم يسمعون كلام المنافقين ويطيعونهم وذلك بانهم يلقوا اليهم انواعا من الاخبار
الموجبة لضعف القلب فيقبلونها منهم فان قلت كيف يجوز ان يكون في المومنين
المخلصين من يسمع ويطيع للمنافقين قلت يحتمل ان يكون بعض المومنين لهم اقارب
من كبار المنافقين ورؤسايهم فاذا قالوا قولا ربما اثر ذلك القول في قلوب ضعفة
المومنين في بعض الاحوال والله عليم بالظالمين وهذا وعيد وتهديد للمنافقين الذين
يلقون الفتن والشبهات بين المومنين وقوله تعالى لقد ابتغوا الفتنة من قبل يعني لقد طلبوا
صد اصحابك يا محمد عن الدين وردهم الى الكفر وتخذيل الناس عنكم قبل هذا اليوم
كما فعل عبد الله بن ابي بن سلول يوم احد حين انصرف باصحابه عنكم وقلبوا لك
الامور يعني واجالوا فيك وفي امرك وفي ابطال دينك الراي وبالغوا في تخذيل
الناس عنك وقصدهم فتشتت امرك حتى جا الحق يعني النصر والظفر وظهر امر الله
وهم كارهون يعني ذلك قوله عز وجل ومنهم من يقول ايذن لي ولا تفتني نزلت
في الجد بن قيس بضم الجيم وتشديد الدال وكان من المنافقين وذلك ان النبي صلى الله
عليه وسلم لما تجهز الى غزوة تبوك قال للجد بن قيس يا ابا وهب هل لك في جلاد
بني الاصفر يعني الروم تتخذ منهم سراري ووصفا فقال الجد يا رسول الله لقد عرف
قومي اني رجل مغرم بالنسا واني اخشى ان رايت بنات بني الاصفر ان لا اصبر عنهن
ايذن لي في القعود ولا تفتني بهن واعينك بمالي قال ابن عباس اعتل الجد بن
قيس ولم تكن له علة الا النفاق فاعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
قد اذنت لك فانزل الله عز وجل فيه ومنهم من يقول ايذن لي ولا تفتني يعني
في التخلف والقعود في المدينة ولا تفتني يعني ببنات بني الاصفر وهم الروم الا
في الفتنة سقطوا يعني انهم وقعوا في الفتنة العظيمة وهي النفاق ومخالفة رسول
الله صلى الله عليه وسلم والقعود عنه وان جهنم لمحيطة بالكافرين يعني يوم القيامة
تحيط بهم وتجمعهم فيها قوله تعالى ان تصبك حسنة تسوهم يعني ان تصبك يا محمد
حسنة من نصر وغنيمة تحزن المنافقين وان تصبك مصيبة يعني من هزيمة وشدة
يقولوا يعني المنافقين قد اخذنا امرنا يعني قد اخذنا بالجد والحزم في القعود

عن الغزو من قبل يعني من قبل هذه المصيبة ويتولوا وهم فرحون يعني مسرورون بما نالك
من المصيبة وسلامتهم منها قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا يعني قل يا محمد لهولاء الذين يفرحوا
بما يصيبك من المصايب والمكروه ان يصيبنا الا ما قدره الله لنا وعلينا وكتبه في اللوح
المحفوظ لان القلم جف بما هو كاين الى يوم القيامة من خير وشر فلا يقدر احد ان يدفع
عن نفسه مكروها نزل به او يجلب لنفسه نفعا ان اراده ما لم يقدره له هو مولانا يعني ان
الله هو ناصرنا وحافظنا وهو اولى بنا من انفسنا في الموت والحياة وعلى الله فليتوكل
المومنون يعني في جميع امورهم قل هل تربصون بنا يعني قل يا محمد لهولاء المنافقين هل
تنتظرون بنا ايها المنافقون الا احدى الحسنيين يعني اما النصر والغنيمة واما الشهادة
والمغفرة وذلك ان المسلم اذا ذهب الى الغزو والجهاد في سبيل الله اما ان يغلب عدوه
فيفوز بالنصر والغنيمة والاجر العظيم في الاخرة واما ان يقتل في سبيل الله فتحصل له الشهادة
وهي الغاية القصوى ويدل على ذلك ما روي عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال تكفل الله وفي رواية تضمن الله لمن خرج في سبيل الله لا يخرجه الا جهادا في سبيلي وايمانا
بي وتصديق برسلي فهو علي ضامن ان ادخله الجنة او ارجعه الى مسكنه الذي خرج
منه نايلا ما نال من اجر او غنيمة اخرجاه في الصحيحين وقوله عز وجل ونحن نتربص بكم يعني
ونحن ننتظر بكم احدى السوءيين ان يصيبكم الله بعذاب من عنده يعني فيهلككم كما اهلك
من كان قبلكم من الامم الخالية او بايدينا يعني او يصيبكم بايدي المومنين بان يظفرنا بكم
ويظهرنا عليكم فتربصوا انا معكم متربصون قال الحسن فتربصوا مواعيد الشيطان انا متربصون
مواعيد الله من اظهار دينه واستيصال من خالفه قل انفقوا طوعا او كرها نزلت في الجد بن
قيس المنافق وذلك انه استاذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في القعود عنه وقال انا
اعطيكم مالي فانزل الله ردا عليه قل اي قل يا محمد لهذا المنافق وامثاله في النفاق انفقوا
طوعا او كرها يعني انفقوا طايعين من قبل انفسكم او مكرهين بالانفاق بالزام الله
ورسوله اياكم بالانفاق لن يتقبل منكم لان هذا الانفاق انما وقع لغير الله وهذه
الاية وان كانت خاصة في انفاق المنافقين فهي عامة في حق كل من انفق ماله
لغير وجه الله بل انفقه ريا وسمعة فانه لا يقبل منه ثم علل سبب منع القبول بقوله
انكم اي لانكم كنتم قوما فاسقين والمراد بالفسق هنا الكفر ويدل عليه قوله تعالى
وما منعهم ان تقبل منهم نفقاتهم الا انهم كفروا بالله وبرسوله اي المانع من قبول
نفقاتهم هو كفرهم بالله ورسوله ولا ياتون الصلاة الا وهم كسالى جمع كسلان
يعني متثاقلين في الاتيان الى الصلاة وذلك لانهم لا يرجون على فعلها
ثوابا ولا يخافون على تركها عقابا ولذلك ذمهم على فعلها ولا ينفقون الا وهم
كارهون لانهم كانوا يعتقدون الانفاق في سبيل الله مغرما ومنعه مغنما
مغنما فلا تعجبك يا محمد اموالهم ولا اولادهم وهذا الخطاب وان كان مختصا بالنبي

صلى الله عليه

صلى الله عليه وسلم الا ان المراد به جميع المومنين والمعنى فلا تعجبوا باموال المنافقين واولادهم
والاعجاب السرور بالشي مع نوع من الافتخار به مع الاعتقاد انه ليس لغيره مثله وهذا
على استغراق النفس بذلك الشي ويكون سبب انقطاعه عن الله عز وجل فينبغي للانسان
ان لا يعجب بشي من امور الدنيا ولذاتها فان العبد اذا كان من الله عز وجل في استدراج
كثر ماله وولده فكثر اعجابه بماله وولده فيبطر ويكفر نعمة الله عليه ولهذا قال تعالى انما يريد
الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا فان قلت كيف يكون المال والولد عذابا في الدنيا
وفيهما اللذة والسرور في الدنيا قلت قال مجاهد وقتادة في الاية تقديم وتاخير
تقديرها فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم في الحياة الدنيا انما يريد الله ليعذبهم بها
في الاخرة وقيل ان سبب كون المال والولد عذابا في الدنيا هو ما يحصل من المتاعب
والمشاق في تحصيلهما فاذا حصلا ازداد التعب وتحمل المشاق في حفظهما ويزداد
الحزن والغم بسبب المصايب الواقعة فيهما فعلى هذا القول لا حاجة الى التقديم والتاخير
في نظم الاية واورد على هذا القول بان هذا التعذيب حاصل لكل احد من بني
ادم مومنهم وكافرهم فما فايدة تخصيص المنافقين بهذا التعذيب في الدنيا واجيب
عن هذا الايراد بان المنافقين مخصوصون بزيادة من هذا العذاب وهو ان المومن
قد علم انه مخلوق للاخرة وانه يثاب بالمصايب الحاصلة له في الدنيا فلم يكن المال
والولد في حقه عذابا في الدنيا واما المنافق فانه لا يعتقد كون الاخرة وانه
ليس له فيها ثواب فيبقى ما يحصل له في الدنيا من التعب والمشقة والغم والحزن
على المال والولد عذابا عليه في الدنيا فثبت بهذا الاعتبار ان المال والولد
عذاب في الدنيا على المنافق دون المومن وقيل ان تعذيبهم في الدنيا اخذ الزكاة
منهم والنفقة في سبيل الله غير مثابين على ذلك وربما قتل الولد في الغزو فلا يثاب
الوالد المنافق على قتل ولده وذهاب ماله وقيل يعذبهم بالتعب في جمعه وحفظه
والكره في انفاقه والحسرة على تخليفه عند من لا يحمده ثم تقدم في الاخرة على ملك
لا يعذره وتزهق انفسهم اي وتخرج انفسهم وهم كافرون والمعنى انهم يموتون
على الكفر فيكون عاقبتهم بعد عذاب الدنيا عذاب الاخرة قوله عز وجل ويحلفون
بالله يعني المنافقين انهم لمنكم يعني على دينكم وملتكم وما هم منكم يعني انهم كاذبون
في ايمانهم ولكنهم قوم يفرقون يعني انهم يخافون ان تظهروا على ما هم عليه من
النفاق لو يجدون ملجا يعني حرزا او حصنا ومعقلا يلجاون اليه وقيل لو وجدوا
مهربا لهربوا اليه وقيل لو يجدون قوما يامنون عندهم على انفسهم منكم لصاروا
اليهم ولفارقوكم او مغارات يعني غيرانا في الجبال جمع مغارة وهي الموضع الذي
يغور فيه الانسان اي يستتر او مدخلا يعني موضع دخول يدخلون فيه وهو
السرب في الارض كنفق اليربوع وقال الحسن وجها يدخلونه على خلاف

رسول الله صلى الله عليه وسلم لولوا اليه والمعنى انهم لو وجدوا ملجأ بهذه الصفة او على
احد هذه الوجوه الثلاثة وهو شر الامكنة واضيقها لولوا اليه اى لرجعوا اليه وتحرزوا
فيه وهم يجمحون يعنى وهم يسرعون الى ذلك المكان والمعنى ان المنافقين لشدة
بغضهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين لو قدروا ان يهربوا منكم الى احد
هذه الامكنة لصاروا اليه لشدة بغضهم اياكم قوله تعالى ومنهم من يلمزك في
الصدقات نزلت في ذي الخويصرة التميمي واسمه حرقوص بن زهير وهو اصل الخوارج
ق عن ابي سعيد الخدري قال بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو يقسم قسما اتاه ذو الخويصرة رجل من بني تميم فقال يا رسول الله اعدل
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ويلك من يعدل اذا لم اعدل وفي رواية
قد خبت وخسرت ان لم اعدل فقال عمر بن الخطاب ايذن لي فيه فاضرب
عنقه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعه فان له اصحابا يحقر احدكم
صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم زاد في رواية يقرءون القران لا يجاوز
تراقيهم يمرقون من الاسلام وفي رواية من الدين كما يمرق السهم من الرمية وقال
الكلبي قال رجل من المنافقين يقال له ابو الجواظ لم تقسم بالسوية فنزلت هذه الاية
وقال قتادة ذكر لنا ان رجلا من اهل البادية حديث عهد باعرابية اتى نبي الله صلى الله
عليه وسلم وهو يقسم ذهبا وفضة فقال يا محمد لئن كان الله امرك ان تعدل
فما عدلت فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم ويلك فمن ذا يعدل عليك بعدي وقال
ابن زيد قال المنافقون والله ما يعطيها محمد الا من احب ولا يؤثر بها الا هواه فانزل
الله تعالى ومنهم من يلمزك في الصدقات يعني ومن المنافقين من يعيبك في قسم الصدقات
وفي تفريقها ويطعن عليك في امرها يقال همزه ولمزه يعني واحد اى عابه فان اعطوا
منها يعني من الصدقات رضوا يعني رضوا عنك في قسمها وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون
يعني وان لم تعطهم منها عابوا عليك وسخطوا ولو انهم رضوا يعني ولو ان المنافقين
الذين عابوا عليك رضوا بما قسم الله لهم وقنعوا ما اتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا
الله اى كافينا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله يعني ما نحتاج اليه انا الى الله راغبون
يعني في ان يوسع علينا من فضله فيغنينا عن الصدقة وعن غيرها من اموال الناس
وجواب لو محذوف تقديره لكان خيرا لهم واعود عليهم قوله عز وجل انما الصدقات
للفقراء والمساكين الاية اعلم ان المنافقين لما لمزوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعابوه
في قسم الصدقات بين الله عز وجل في هذه الاية ان المستحقين للصدقات هؤلاء الاصناف
الثمانية ومصرفها اليهم ولا تعلق لرسول الله صلى الله عليه وسلم منها بشيء ولم ياخذ لنفسه
منها شيئا فلم يلمزوه ويعيبوا عليه فلا مطعن لهم فيه بسبب قسم الصدقات
عن زياد بن الحرث الصدائي قال اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فبايعته فاتاه

رجل فقال

رجل فقال اعطني من الصدقة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله لم يرض
بحكم نبي ولا غيره في الصدقات حتى حكم فيها هو فجزاها ثمانية اجزاء فان كنت من تلك
الاجزاء اعطيتك حقك اخرجه ابو داود **فصل** في بيان حكم هذه الاية وفيه مسائل
المسألة الاولى في بيان وجه الحكمة في ايجاب الزكاة على الاغنياء وصرفها الى المحتاجين
من الناس وذلك من وجوه الاول ان المال محبوب بالطبع وسببه ان القدرة
صفة من صفات الكمال وصفة الكمال محبوبة لذاتها والمال سبب لتحصيل تلك القدرة
فكان المال محبوبا بالطبع واذا استغرق القلب بالمال اشتغل به عن حب الله عز وجل
وعن الاشتغال بالطاعات المقربة الى الله تعالى فاقتضت الحكمة الالهية بايجاب الزكاة
في ذلك المال الذي هو سبب البعد عن الله فيصير سببا للقرب من الله عز وجل باخراج
الزكاة منه الوجه الثاني ان كثرة المال توجب قسوة القلب وحب الدنيا والميل الى
شهواتها ولذاتها فاوجب الله تعالى الزكاة ليقل ذلك المال الذي هو سبب لفساد القلب
الوجه الثالث سبب وجوب الزكاة امتحان العبد المؤمن لان التكاليف البدنية غير شاقة
على العبد واخراج المال شاق على النفس فاوجب الله عز وجل الزكاة على العبد ليمتحن باخراج
الزكاة اصحاب الاموال ليميز بين الطبع المخرج لها طيبة بها نفسه من العاصي المانع لها
الوجه الرابع ان المال مال الله والاغنياء خزان الله والفقراء عيال الله فامر الله تعالى خزانه
الذين هم اغنياء بدفع طائفة من ماله الى عياله فيثيب العبد المؤمن المطيع المسارع
الى امتثال الامر المشفق على عياله ويعاقب العبد العاصي المانع لعياله ماله ق عن
ابي موسى الاشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الخازن المسلم الامين الذي ينفذ
وربما قال يعطي ما امر به كاملا موفرا طيبة به نفسه فيدفعه الى الذي امر له احد المتصدقين
الوجه الخامس ان الفقراء ربما تعلقت قلوبهم بالاموال التي بايدي الاغنياء فاوجب
الله عز وجل نصيبا للفقراء في ذلك المال تطييبا لقلوبهم الوجه السادس ان المال الفاضل
عن حاجة الانسان الاصلية اذا امسك بقي معطلا عن المقصود الذي لاجله خلق
المال فامر بدفع الزكاة الى الفقراء حتى لا يصير ذلك المال معطلا بالكلية المسألة الثانية
الاية تدل على انه لا حق لاحد في الصدقات الا لهؤلاء الاصناف الثمانية وذلك مجمع عليه
لان كلمة انما تفيد الحصر وذلك لانها مركبة من ان وما فكلمة ان للاثبات وكلمة ما
للنفي فعند اجتماعهما تفيد الحكم المذكور وصرفه عما عداه فدل بذلك على ان الصدقات
لا تصرف الا الى الاصناف الثمانية المسألة الثالثة في بيان الاصناف الثمانية
فالصنف الاول الفقراء والثاني المساكين وهم المحتاجون الذين لا يفي خرجهم
بدخلهم ثم اختلف العلماء في الفرق بين الفقير والمسكين فقال ابن عباس والحسن
ومجاهد وعكرمة والزهري الفقير الذي لا يسأل والمسكين السائل وقال ابن عمر ليس بفقير
من جمع الدرهم الى الدرهم والتمرة الى التمرة ولكن الفقير من انقى نفسه وثيابه

لايقدر على شي يحسبهم الجاهل اغنيا من التعفف وقال قتادة الفقير المحتاج الزمن والمسكين الصحيح
المحتاج وقال الشافعي الفقير من لا مال له ولا حرفة تقع منه موقعا زمنا كان او غير زمن
والمسكين من له مال او حرفة ولكن لا تقع منه موقعا الكفاية سايلا كان او غير
سايل فالمسكين عنده احسن حالا من الفقير وقال ابو حنيفة واصحاب الراي الفقير احسن
حالا من المسكين ومن الناس من قال لا فرق بين الفقير والمسكين حجة الشافعي ومن وافقه
ان الله تعالى حكم بصرف الصدقات الى هولا الاصناف الثمانية دفعا لحاجتهم وتحصيلا لمصلحتهم
فبدا بالفقرا وانما بدا بالاهم فالاهم فلو لم يكن حاجتهم اشد من حاجة المساكين لما بدا
بهم واصل الفقير المكسور الفقار قال لبيد لما راى لبد النسور تطايرت رفع
القوادم كالفقير الاعزل قال ابن الاعرابي الفقير في هذا البيت المكسور الفقار فثبت
بهذا ان الفقير انما سمي فقيرا لزمانته وحاجته شديدة وتمنعه الزمانة من التقلب في الكسب
ولان النبي صلى الله عليه وسلم كان يتعوذ من الفقر وقال اللهم احيني مسكينا وامتني مسكينا
واحشرني في زمرة المساكين يوم القيامة رواه الترمذي من حديث انس فلو كان المسكين
اسوا حالا من الفقير لما تعوذ من الفقر وسال المسكنة فثبت بهذا ان المسكين احسن حالا
من الفقير ولان الله تعالى قال اما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فاثبت لهم
ملكا مع اسم المسكنة لان السفينة من سفن البحر تساوي دنانير كثيرة ولان الغنى والفقر
ضدان والمسكنة قسم ثالث بينهما فثبت بهذا ان الفقير اشد حالا من المسكين وحجة
ابي حنيفة ومن وافقه على ان المسكين اسوا حالا من الفقير قوله او مسكينا ذا متربة وصف
المسكين بكونه ذا متربة وهو الذي لصق جلده بالتراب وهذا يدل على غاية الضر والشدة
ولان الله تعالى جعل الكفارات للمساكين فلو لم يكن المسكين اشد حاجة من غيره لما جعلها
له واحتج بقول الراعي ان الفقير الذي كانت حلوبته وفق العيال فلم يترك له سبد
واحتج ايضا بقول الاصمعي وابي عمرو بن العلا ان الفقير الذي له ما ياكل والمسكين
الذي لا شي له وكذا قال القتيبي الفقير الذي له البلغة من العيش والمسكين الذي
لا شي له وقيل الفقير الذي له المسكن والخادم والمسكين الذي لا ملك له وقيل ان كل محتاج
الى شي فهو مفتقر اليه وان كان غنيا عن غيره قال الله انتم الفقرا الى الله فاثبت لهم
اسم الفقير مع وجدان المال والجواب عن هذه الحجج اما قوله او مسكينا ذا متربة فهو حجة لمذهب
الشافعي لتقييد المسكين هنا بكونه ذا متربة فدل على انه قد يوجد مسكين لا بهذه الصفة
والا لم يبق لهذا القيد فايدة والجواب عن جعل الكفارات للمساكين انه هو الفقير الذي
لصق جلده بالتراب من شدة المسكنة والجواب عن الاستدلال ببيت الراعي انه ذكر
الفقير وحده فكل فقير افرد بالاسم جاز اطلاق المسكين عليه فسقطت الاستدلال
به واما الروايات المذكورة فهي معارضة بما تقدم من الروايات عن ابن عباس وغيره من
المفسرين وفي الجملة ان الفقر والمسكنة عبارتان عن شدة الحاجة وضعف

الحال

الحال فالفقير هو الذي كسرت الحاجة فقار ظهره والمسكين هو الذي ضعفت نفسه
وسكنت عن الحركة في طلب القوت عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال لا تحل الصدقة لغني ولا لذي مرة سوي اخرجه النسائي وابو
داود وله في رواية اخرى ولا لذي مرة قوي عن عبيد الله بن عدي بن الخيار قال
اخبرني رجلان انهما اتيا النبي صلى الله عليه وسلم وهو في حجة الوداع وهو يقسم الصدقة
فسالاه منها فرفع فينا النظر وخفضه فرانا جلدين فقال ان شيتما اعطيتكما ولا حظ
فيها لغني ولا لقوي مكتسب اخرجه ابو داود والنسائي اخرجه الشافعي ولفظه ان رجلين
اتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسالاه عن الصدقة فقال ان شيتما اعطيتكما ولا حظ
فيها لغني ولا لذي قوة مكتسب واختلف العلما في حد الغنى الذي يمنع من اخذ
الصدقة فقال الاكثرون حده ان يكون عنده ما يكفيه وعياله سنة وهو قول مالك
والشافعي وقال اصحاب الراي حده ان يملك مايتي درهم وقال قوم من ملك خمسين
درهما او قيمتها لا تحل له الصدقة لما روي عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من سال الناس وله ما يغنيه جا يوم القيامة ومسالته في وجهه خموش
او خدوش او كدوح قيل يا رسول الله وما يغنيه قال خمسون درهما او قيمتها
من الذهب اخرجه ابو داود والترمذي والنسائي وهذا قول الثوري وابن المبارك
واحمد واسحاق وقالوا لا يجوز ان يعطى الرجل اكثر من خمسين درهما من الزكاة
وقيل اربعون درهما لما روي عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم من سال وله قيمة اوقية فقد الحف اخرجه ابو داود وكانت في ذلك الزمان
اربعين درهما الصنف الثالث قوله والعاملين عليها وهم السعاة الذين يتولون
جباية الصدقات وقبضها من اهلها ووضعها في حقها فيعطون من مال الصدقات
بقدر اجور اعمالهم سوا كانوا فقرا او اغنيا وهذا قول ابن عمر وبه قال الشافعي وقال
مجاهد والضحاك الا ان الشافعي يقول هو اجرة عمل فيقدر بقدر العمل والصحيح
ان الهاشمي والمطلبي لا يجوز ان يكون عاملا على الصدقات لما روي عن ابي رافع
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم استعمل رجلا من بني مخزوم على الصدقة فاراد ابو
رافع ان يتبعه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تحل لنا الصدقة وان مولى
القوم منهم اخرجه الترمذي والنسائي الصنف الرابع قوله تعالى والمؤلفة قلوبهم
وهم قسمان قسم مسلمون وقسم كفار فاما قسم المسلمين فقسمان القسم الاول هم
قوم من اشراف العرب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطيهم من الصدقات
يتالفهم بذلك كما اعطى عيينة بن بدر بن حصن والاقرع بن حابس والعباس
ابن مرداس السلمي فهولا اسلموا وكانت نيتهم ضعيفة فكان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يعطيهم لتقوى رغبتهم في الاسلام وقوم اسلموا وكانت نيتهم قوية في الاسلام

وهم اشراف قومهم مثل عدي بن حاتم والزبرقان بن بدر فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطيهم تالفا لقلوبهم وترغيبا لامثالهم في الاسلام فيجوز للامام ان يعطي امثال هولا من خمس خمس الغنيمة والفي من سهم رسول الله صلى الله عليه وسلم لان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعطيهم من ذلك ولا من الصدقات ايضا القسم الثاني من مولفة المسلمين وهم قوم من المسلمين يكونوا بازا قوم كفار في موضع لا تبلغهم جيوش المسلمين الا بكلفة كبيرة ومؤونة عظيمة وهولا الذين بازايهم من المسلمين لا يجاهدونهم لضعف نيتهم او لضعف حالهم فيجوز للامام ان يعطيهم من سهم الغزاة من مال الصدقة وقيل من سهم المولفة قلوبهم ومن هولا قوم بازا جماعة من مانعي الزكاة فياخذون منهم الزكاة ويحملون الى الامام فيعطيهم الامام من سهم المولفة من الصدقات وقيل من سهم سبيل الله روي ان عدي بن حاتم جا ابا بكر بثلثماية من الابل من صدقات قومه فاعطاه ابو بكر منها ثلاثين بعيرا اما مولفة الكفار فهم قوم يخشى شرهم او يرجى اسلامهم فيجوز للامام ان يعطي من يخاف شره او يعطيه رجا اسلامه فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطيهم من خمس الخمس كما اعطى صفوان بن امية لما كان يرى من ميله الى الاسلام اما اليوم فقد اعز الله الاسلام وله الحمد على ذلك واغناه عن ان يتالف عليه احدا من المشركين فلا يعطى مشرك تالفا بحال وقد قال بهذا كثير من اهل العلم وراوا ان المولفة منقطعة وسهمهم ساقط روي ذلك عن ابن عمر وعكرمة وهو قول الشعبي وبه قال مالك والثوري واصحاب الراي واسحاق بن راهويه وقال قوم سهمهم ثابت لم يسقط روي ذلك عن الحسن وهو قول الزهري وابي جعفر محمد بن علي وابي ثور وقال احمد يعطون ان احتاج المسلمون الى ذلك الصنف الخامس قوله تعالى وفي الرقاب قال الزجاج فيه حذف تقديره وفي فك الرقاب وفي تفسير الرقاب اقوال الاول ان سهم الرقاب موضوع في المكاتبين فيدفع اليهم ليعتقوا به وهذا مذهب الشافعي وهو قول اكثر الفقها منهم سعيد بن جبير والنخعي والزهري والليث بن سعد ويدل عليه ايضا قوله تعالى واتوهم من مال الله الذي اتاكم القول الثاني وهو مذهب مالك واحمد واسحق ان سهم الرقاب موضوع لعتق الرقاب فيشترى به عبيد ويعتقون ويدل عليه ما روي عن ابن عباس انه قال لا باس ان يعتق الرجل من الزكاة القول الثالث وهو مذهب ابي حنيفة واصحابه انه لا يعتق من الزكاة رقبة كاملة ولكن يعطي منها في عتق رقبة ويعان بها مكاتبا لان قوله وفي الرقاب يقتضي التبعيض القول الرابع وهو قول الزهري ان سهم الرقاب نصفان نصف للمكاتبين ونصف يشترى به عبيدا ممن صلوا وصاموا وقدم اسلامهم فيعتقون من الزكاة قال اصحابنا الاحوط في سهم الرقاب ان يدفع الى السيد باذن المكاتب ويدل عليه انه اثبت الصدقات للاصناف الاربعة المتقدمة بلام التمليك فقال انما الصدقات للفقرا وقال في الصنف الخامس وفي الرقاب فلا بد لهذا الفرق من فائدة وهي ان الاصناف

الاربعة المتقدم ذكرها يدفع اليهم نصيبهم من الصدقات فيصرفوا ذلك فيما شاووا واما الرقاب فيوضع نصيبهم في تخليص رقابهم من الرق ولا يدفع اليهم ولا يمكنون من التصرف فيه وكذا القول في الغارمين فيصرف نصيبهم في قضا ديونهم وفي الغزاة يصرف نصيبهم فيما يحتاجون اليه في الغزو وكذا في ابن السبيل فيصرف اليه ما يحتاج في سفره الى بلوغ غرضه الصنف السادس قوله تعالى والغارمين اصل الغرم في اللغة لزوم ما يشق و يسمى الدين غرما لكونه شاقا على الانسان والمراد بالغارمين هنا المدينون وهم قسمان قسم ادانوا لانفسهم في غير معصية فيعطون من مال الصدقات بقدر ديونهم اذا لم يكن لهم مال يفي بديونهم فان كان عندهم وفا فلا يعطون وقسم اذانوا في المعروف و اصلاح ذات البين فيعطون من مال الصدقات ما يقضون به ديونهم وان كانوا اغنيا لما روي عن عطا بن يسار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تحل الصدقة لغني الا لخمسة لغاز في سبيل الله او لعامل عليها او لغارم او لرجل اشتراها بماله او رجل كان له جار مسكين فتصدق على المسكين فاهدى المسكين للغني اخرجه ابو داود مرسلا لان عطا لم يدرك النبي صلى الله عليه وسلم ورواه معمر عن زيد بن اسلم عن عطا بن يسار عن ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم متصلا بمعناه اما من كان دينه في معصية فلا يعطى من الصدقات شيا الصنف السابع قوله تعالى وفي سبيل الله يعني وفي النفقة في سبيل الله واراد به الغزاة فلهم سهم من مال الصدقات فيعطون اذا ارادوا الخروج الى الغزو ما يستعينون به على امر الجهاد من النفقة والكسوة والسلاح والحمولة فيعطون ذلك وان كانوا اغنيا لما تقدم من حديث عطا وابي سعيد الخدري ولا يعطى من سهم سبيل الله لمن اراد الحج عند اكثر اهل العلم وقال قوم يجوز ان يصرف سهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الحج يروى ذلك عن ابن عباس وهو قول الحسن واليه ذهب احمد بن حنبل واسحق بن راهويه وقال بعضهم ان اللفظ عام فلا يجوز قصره على الغزاة فقط ولهذا اجاز بعض الفقها صرف سهم سبيل الله الى جميع وجوه الخير من تكفين الموتى وبنا الجسور والحصون وعمارة المساجد وغير ذلك قال لان قوله في سبيل الله وهو عام في الكل فلا يختص بصنف دون غيره والقول الاول هو الصحيح لاجماع الجمهور عليه الصنف الثامن قوله تعالى وابن السبيل يعني المسافر من بلد الى بلد والسبيل الطريق سمي المسافر ابن السبيل لملازمته الطريق قال الشاعر

انا ابن الحرب ربتني وليدا ... الى ان شبت واكتهلت لداتي

فكل مريد سفرا مباحا ولم يكن له ما يقطع به مسافة سفره فيعطى من الصدقات ما يكفيه لمؤونة سفره سوا كان له مال في البلد الذي يقصده او لم يكن له وقال قتادة ابن السبيل هو الضيف وقال فقها العراق ابن السبيل هو الحاج المنقطع وقوله تعالى فريضة من الله يعني ان هذه الاحكام التي ذكرها في هذه الاية فريضة واجبة من الله وقيل فرض الله هذه الاشيا فريضة والله عليم يعني بمصالح خلقه

حكيم يعني فيما فرض لهم لا يدخل في حكمه وتدبيره نقص وخلل المسئلة الرابعة في احكام
متفرقة تتعلق بالزكاة اتفق العلماء على ان المراد بقوله انما الصدقات للفقراء هي الزكاة
المفروضة بدليل قوله خذ من اموالهم صدقة واختلفوا في كيفية قسمها وفي جواز
صرفها الى بعض الاصناف دون بعض فذهب جماعة من الفقهاء الى انه لا يجوز صرفها
الى بعض الاصناف مع وجود الباقين وهو قول عكرمة واليه ذهب الشافعي قال الشافعي
يجب ان يقسم زكاة ماله على الموجودين من الاصناف الستة الذين سهامهم ثابتة
قسمة على السواء لان سهم المؤلفة ساقط وسهم العامل ساقط اذا قسم زكاته بنفسه
ثم حصة كل صنف من الاصناف الستة لا يجوز ان يصرف الى اقل من ثلاثة منهم
ان وجد منهم ثلاثة او اكثر فلو فاوت بين اولئك الثلاثة جاز فان لم يجد من بعض
الاصناف الا واحدا دفع حصة ذلك الصنف اليه ما لم يخرج عن حد الاستحقاق فان
انتهت حاجته وفضل شيء رده الى الباقين وذهب جماعة من العلماء الى انه لو صرف
الكل الى صنف واحد من هذه الاصناف او الى شخص واحد منهم جاز لان الله تعالى
انما سمى هذه الاصناف الثمانية اعلاما منه ان الصدقة لا تخرج عن هذه الثمانية لا ايجابا
منه لقسمها بينهم جميعا وهذا قول عمر وابن عباس وبه قال سعيد بن جبير وعطاء واليه
ذهب سفيان الثوري واصحاب الراي واحمد بن حنبل قال احمد يجوز ان يضعها
في صنف واحد وتفريقها اولى وقال ابراهيم النخعي ان كان المال كثيرا يحتمل الاجزاء قسمه
على الاصناف وان كان قليلا وضعه في صنف واحد وقال مالك يتحرى موضع الحاجة
منهم ويقدم الاولى فالاولى من اهل الخلة والحاجة فان راى الخلة في الفقراء
في عام قدمهم وان راها في عام في صنف آخر حولها اليهم وكل من دفع اليه شيئا من
الصدقة لا يزيد على قدر الاستحقاق فلا يزيد الفقير على قدر غناه وهو ما يحتاج اليه
فان حصل ادنى اسم الغنى فلا يعطى بعده شيئا فان كان محترفا لكنه لا يجد آلة حرفته
فيعطى قدر ما يحصل به آلة حرفته فالاعتبار عند الشافعي ما يدفع الحاجة من غير حد
وقال احمد لا يعطى الفقير اكثر من خمسين درهما وقال ابو حنيفة اكره ان يعطى رجل واحد
من الزكاة مائتي درهم فان اعطيه اجزاه اما ان اعطى من يظنه فقيرا فبان انه غني
فهل يجزي عنه قولان ولا يجوز ان يعطي صدقته لمن تلزمه نفقته وبه قال مالك
والثوري واحمد وقال ابو حنيفة والشافعي لا يعطي والدا وان علا ولا ولدا وان سفل
ولا زوجة ويعطي من عداهم وتحرم الصدقة على ذوي القربى وهم بنو هاشم وبنو
المطلب فلا يدفع اليهم من الزكاة شيء لقوله صلى الله عليه وسلم انا لا تحل لنا الصدقة
وقال ابو حنيفة تحرم على بني هاشم ولا تحرم على بني المطلب دليلنا قوله صلى الله عليه وسلم
انا وبنو المطلب شيء واحد لم يفارقونا في جاهلية ولا اسلام وتحرم الصدقة على موالي
بني هاشم وبني المطلب لقوله صلى الله عليه وسلم مولى القوم منهم وقال مالك لا تحرم

واختلفوا

واختلفوا في نقل الصدقة من بلد المال الى بلد آخر مع وجود المستحقين في بلد المال فكرهه اكثر
اهل العلم لتعلق فقراء ذلك البلد بذلك المال ولقوله صلى الله عليه وسلم لمعاذ واعلمهم
ان الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من اغنيائهم وترد في فقرائهم الحديث بطوله في الصحيحين
واتفقوا على انه اذا نقل المال الى بلد آخر واداه الى فقراء ذلك البلد سقط عنه الفرض
الا ما حكي عن عمر بن عبد العزيز فانه رد صدقة حملت من خراسان الى الشام فردها
الى مكانها من خراسان والله اعلم قوله تعالى ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون
هو اذن نزلت في جماعة من المنافقين كانوا يؤذون رسول الله صلى الله عليه وسلم
ويعيبونه ويقولون ما لا ينبغي فقال بعضهم لا تفعلوا فانا نخاف ان يبلغه ما تقولون
فيقع بنا فقال الجلاس بن سويد وهو من المنافقين بل نقول ما شئنا ثم ناتيه وننكر
ما قلنا ونحلف فيصدقنا بما نقول فانما محمد اذن اي ذو اذن سامعة كلما يقال له
يقبله وقيل معنى هو اذن اي ذو اذن سامعة وقال محمد بن اسحاق نزلت في رجل
من المنافقين يقال له نبتل بن الحارث وكان ارجم ثائر الشعر احمر العينين اسفع
الخدين مشوه الخلقة وقد قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم من احب ان ينظر الى الشيطان
فلينظر الى نبتل بن الحارث وكان ينم حديث النبي صلى الله عليه وسلم الى المنافقين فقيل
له لا تفعل ذلك فقال انما محمد اذن من حدثه شيئا صدقه فنقول ما شئنا ثم ناتيه
ونحلف له فيصدقنا فانزل الله هذه الآية ومقصود المنافقين بقولهم هو اذن انه ليس بعيد
غور بل هو سليم سريع الاغترار بكل ما يسمع فاجاب الله عنهم قل اذن خير لكم يعني هو اذن
لكنه اذن خير لكم كقولك رجل صدق وشاهد عدل والمعنى انه يستمع الخير والصلاح
لا يستمع الشر والفساد وقرئ اذن خير مرفوعين منونين ومعناه يسمع منكم ويصدقكم
خير لكم من ان يكذبكم ولا يقبل قولكم ثم وصف الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بقوله يؤمن
بالله ويؤمن للمؤمنين يعني انه يصدق المؤمنين ويقبل قولهم ولا يقبل قول المنافقين
وانما عدي الايمان بالله بالباء والايمان للمؤمنين باللام لان الايمان بالله هو نقيض
الكفر فلا يتعدى الا بالباء فيقال آمنت بالله والايمان للمؤمنين معناه التصديق للمؤمنين
فيما يقولونه فلا يقال الا باللام ومنه قوله انؤمن لك وقوله آمنتم له ورحمة اي هو
رحمة للذين آمنوا منكم وانما قال منكم لان المنافقين كانوا يزعمون انهم مؤمنون
فبين الله تعالى انه رحمة للمؤمنين المخلصين لا للمنافقين وقيل في كونه صلى الله عليه وسلم
رحمة لانه يجري احكام الناس على الظاهر ولا ينقب عن احوالهم ولا يهتك اسرارهم
والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب اليم يعني في الآخرة قوله عز وجل يحلفون بالله
لكم ليرضوكم قال قتادة والسدي اجتمع ناس من المنافقين فيهم الجلاس بن سويد
ووديعة بن ثابت فوقعوا في النبي صلى الله عليه وسلم ثم قالوا ان كان ما يقول محمد حقا
فنحن شر من الحمير وكان عندهم غلام من الانصار واسمه عامر بن قيس فحقروه

وقالوا هذه المقالة فغضب الغلام من قولهم وقال والله ما يقول محمد حق وانتم شر من الحمير ثم
اتى النبي صلى الله عليه وسلم واخبره فدعاهم فسالهم فانكروا وحلفوا ان عامرا كذاب وحلف
عامر انهم كذبة فصدقهم النبي صلى الله عليه وسلم فجعل عامر يدعوا ويقول اللهم صدق الصادق
وكذب الكاذب فانزل الله هذه الاية وقال مقاتل والكلبي نزلت في رهط من المنافقين
تخلفوا عن غزوة تبوك فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم اتوه يعتذرون ويحلفون
فانزل الله هذه الاية والمعنى يحلفون لكم ايها المومنون هولاء المنافقون ليرضوكم يعني فيما بلغكم
عنهم من اذى رسول الله صلى الله عليه وسلم والله ورسوله احق ان يرضوه اختلفوا
في معنى هذا الضمير الى ماذا يعود فقيل الضمير عايد على الله تعالى والله احق ان يرضوه
بالتوبة والاخلاص وقيل يجوز ان يكون المراد يرضوهما فاكتفى بذكر احدهما عن
الاخر وقيل معناه والله احق ان يرضوه وكذلك رسوله ان كانوا مومنين يعني ان
كان هولاء المنافقون مصدقين بوعد الله ووعيده في الاخرة وقوله تعالى الم يعلموا قال
اهل المعاني الم تعلم خطاب لمن علم شيئا ثم نسيه او انكره فيقال له الم تعلم انه كان كذا وكذا
مكث رسول الله صلى الله عليه وسلم بين اظهر المومنين والمنافقين وعلمهم من احكام
الدين ما يحتاجون اليه فخاطب المنافقين بقوله الم يعلموا يعني من شرايع الدين التي
علمهم رسولنا انه من يحادد الله ورسوله يعني انه من يخالف الله ورسوله واصل المحادة
في اللغة المخالفة والمجانبة والمعاداة واشتقاقه من الحد يقال حاد فلان فلانا اذا
صار في غير حده وخالفه في امره وقيل معنى يحادد الله ورسوله اي يحارب الله ورسوله
ويعاند الله ورسوله فان له نار جهنم اي فحق ان له نار جهنم خالدا فيها يعني على
الدوام ذلك الخزي العظيم يعني ذلك الخلود في نار جهنم والفضيحة العظيمة قوله عز وجل
يحذر المنافقون يعني يخشى المنافقون ان تنزل عليهم سورة يعني على المومنين تنبئهم
يعني تخبر المومنين بما في قلوبهم يعني بما في قلوب المنافقين من الحسد والعداوة
للمومنين وذلك ان المنافقين كانوا فيما بينهم يذكرون المومنين بسوء ويسترونه
ويخافون الفضيحة ونزول القران في شانهم قال قتادة وهذه السورة كانت تسمى
الفاضحة والمبعثرة والمثيرة يعني انها فضحت المنافقين وبعثرت عن اخبارهم
واثارتها وحفرت عن مخازيهم ومساويهم وقال ابن عباس انزل الله ذكر
سبعين رجلا من المنافقين باسمائهم واسماء ابائهم ثم نسخ ذكر الاسماء رحمة منه على
المومنين لئلا يعير بعضهم بعضا لان اولادهم كانوا مومنين قل استهزءوا امر تهديد
فهو كقوله اعملوا ما شئتم ان الله مخرج اي مظهر ما تحذرون والمعنى ان الله يظهر الى
الوجود ما كان المنافقون يسترونه ويخفونه عن المومنين قال ابن كيسان نزلت
في هذه الاية في اثني عشر رجلا من المنافقين وقفوا لرسول الله صلى الله عليه
وسلم على العقبة لما رجع من غزوة تبوك ليفتكوا به اذا علاها وتنكروا له في ليلة

مظلمة فا

مظلمة فاخبر جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قد اضمروا وامره ان يرسل اليهم من يضرب
وجوه رواحلهم وكان معه عمار بن ياسر يقود ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم
وحذيفة يسوقها فقال لحذيفة اضرب وجوه رواحلهم فضربها حذيفة فلما نزل قال
لحذيفة من عرفت من القوم قال لم اعرف منهم احدا يا رسول الله فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم فلان وفلان حتى عدهم كلهم فقال اكره ان تقول العرب لما ظفر
باصحابه اقبل يقتلهم بل يكفيناهم الله بالدبيلة م عن قيس بن عباد قال قلت
لعمار ارايتكم قتالكم ارايا رايتموه فان الراي يخطي ويصيب ام عهدا عهده اليكم رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال ما عهد الينا رسول الله صلى الله عليه وسلم شيا لم يعهده
الى الناس كافة وقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان في امتي قال شعبة واحسبه
قال حدثني حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في امتي اثني عشر منافقا
لا يدخلون الجنة ولا يجدون ريحها حتى يلج الجمل في سم الخياط ثمانية منهم تكفيكهم
الدبيلة سراج من نار تظهر في اكتافهم حتى تنجم من صدورهم قوله تعالى ولئن سالتهم
ليقولن انما كنا نخوض ونلعب الاية وسبب نزولها على ما قال زيد بن اسلم ان
رجلا من المنافقين قال لعوف بن مالك في غزوة تبوك ما لقرائنا هولاء ارغبنا بطونا
واكذبنا السنة واجبننا عند اللقاء فقال له عوف بن مالك كذبت ولكنك منافق
ولاخبرن رسول الله صلى الله عليه وسلم فذهب عوف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
ليخبره فوجد القران قد سبقه قال زيد قال عبد الله بن عمر فنظرت اليه يعني
الى المنافق متعلقا بحقب ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم تنكبه الحجارة يقول
انما كنا نخوض ونلعب فيقول له رسول الله صلى الله عليه وسلم ابالله واياته ورسوله
كنتم تستهزءون ما يزيده قال محمد بن اسحاق الذي قال هذه المقالة فيما بلغني هو
وديعة بن ثابت اخو بني امية بن زيد بن عمرو بن عوف وقال قتادة بينا
رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير في غزوة تبوك وبين يديه ناس من المنافقين
فقالوا يرجو هذا الرجل ان يفتح قصور الشام وحصونها هيهات هيهات فاطلع الله
نبيه صلى الله عليه وسلم على ذلك فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم احبسوا على الركب
فاتاهم فقال قلتم كذا فقالوا يا نبي الله انما كنا نخوض ونلعب فانزل الله فيهم ما تسمعون
وقال الكلبي ومقاتل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير في غزوة تبوك وبين
يديه ثلاثة نفر من المنافقين اثنان يستهزءان بالقران والرسول والثالث يضحك
وقيل كانوا يقولون ان محمدا يزعم انه يغلب الروم ويفتح مدائنهم ما ابعده من
ذلك وقيل كانوا يقولون ان محمدا يزعم انه نزل في اصحابنا قرانا انما هو قوله وكلامه
فاطلع الله نبيه صلى الله عليه وسلم على ذلك فقال احبسوا على الركب فدعاهم
وقال لهم قلتم كذا وكذا فقالوا انما كنا نخوض ونلعب ومعنى الاية ولئن سالتهم

يا محمد هؤلاء المنافقين عما كانوا يقولون فيما بينهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب يعني كنا
نتحدث ونخوض في الكلام كما يفعله الركب يقطعون الطريق بالحديث واللعب واصل
الخوض الدخول في مايع كالماء مع الطين ثم كثر استعماله حتى صار يستعمل في كل دخول
في تلويث واذى قل اي قل يا محمد لهؤلاء المنافقين أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون
فيه توبيخ وتقريع للمنافقين وانكار عليهم والمعنى كيف تقدمون على ايقاع الاستهزا
بالله يعني بفرايضه وحدوده واحكامه والمراد بآياته كتابه وبرسوله يعني محمدا صلى الله عليه
وسلم فيحتمل ان المنافقين لما قالوا كيف يقدر محمد على اخذ حصون الشام قال بعض
المسلمين الله يعينه على ذلك فذكر بعض المنافقين كلاما يشعر بالقدح في قدرة الله
وانما ذكروا ذلك على طريق الاستهزا قوله عز وجل لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم يعني قل
لهؤلاء المنافقين لا تعتذروا بالباطل ومعنى الاعتذار محو اثر الموجدة من قلب المعتذر
اليه وقيل معنى العذر قطع الملامة عن الجاني قد كفرتم بعد ايمانكم يعني ان الاستهزا بالله كفر
والاقدام عليه يوجب الكفر فلهذا قال تعالى لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم فان قلت
ان المنافقين لم يكونوا مؤمنين فكيف قال قد كفرتم بعد ايمانكم قلت معناه اظهرتم الكفر
بعد ما كنتم قد اظهرتم الايمان وذلك ان المنافقين كانوا يكتمون الكفر ويظهرون الايمان
فلما حصل ذلك الاستهزا منهم وهو كفر قيل لهم قد كفرتم بعد ايمانكم وقيل معناه قد كفرتم
عند المؤمنين بعد ان كنتم عندهم مؤمنين وقوله تعالى ان نعف عن طائفة منكم نعذب
طائفة بانهم كانوا مجرمين ذكر المفسرون ان الطائفتين كانوا ثلاثة فالواحد طائفة
والاثنان طائفة والعرب توقع لفظ الجمع على الواحد فلهذا اطلق لفظ الطائفة على الواحد قال
محمد بن اسحاق الذي عفي عنه رجل واحد وهو مخشي بن حمير الاشجعي يقال انه هو الذي كان يضحك
ولا يخوض وقيل انه كان يمشي مجانبا لهم وينكر بعض ما يسمع فكان ذنبه اخف فلما نزلت
الاية تاب من نفاقه ورجع الى الاسلام وقال اللهم اني لا ازال اسمع اية تقرا اعنى بها تقشعر
منها الجلود وتجب منها القلوب اللهم اجعل وفاتي قتلا في سبيلك لا يقول احد انا غسلت
انا كفنت انا دفنت فاصيب يوم اليمامة ولم يعرف احد من المسلمين مصرعه قوله تعالى
المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يعني انهم على امر واحد ودين واحد مجتمعون
على النفاق والاعمال الخبيثة كما يقول الانسان انا منك وانت مني اي امرنا واحد لا مباينة
فيه يامرون بالمنكر يعني يامر بعضهم بعضا بالشرك والمعصية وتكذيب الرسول صلى الله
عليه وسلم وينهون عن المعروف يعني الايمان والطاعة وتصديق الرسول صلى الله عليه وسلم
ويقبضون ايديهم يعني عن الانفاق في سبيل الله وفي كل خير نسوا الله فنسيهم هذا
الكلام لا يمكن اجراؤه على ظاهره لانا لو حملناه على النسيان الحقيقي لم يستحقوا ذما عليه
لان النسيان ليس في وسع البشر دفعه وايضا فان النسيان في حق الله محال
فلا بد من التاويل وقد ذكروا فيه وجهين الاول معناه انهم تركوا امره حتى صاروا

بمنزلة

بمنزلة الناسين له فجازاهم بان صيرهم بمنزلة المنسي من ثوابه ورحمته فخرج على مزاوجة
الكلام فهو كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها الوجه الثاني ان النسيان ضد الذكر فلما تركوا
ذكر الله وعبادته ترك الله ذكرهم فيمن ذكرهم بالرحمة والاحسان فجعل النسيان عبارة عن
ترك الذكر لان من ترك شيئا لم يذكره وقيل لما تركوا طاعة الله والايمان به تركهم من توفيقه
وهدايته في الدنيا ومن رحمته في العقبى ان المنافقين هم الفاسقون يعني هم الخارجون
عن الطاعة وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار يقال وعده بالخير وعدا ووعده بالشر
وعيدا فالوعد يكون في الخير والشر نار جهنم خالدين فيها فيه حذف تقديره بان يصلوها
خالدين يعني مقيمين فيها هي حسبهم يعني هي كافيتهم جزاء على كفرهم ونفاقهم وتركهم الايمان
والطاعة ولعنهم الله يعني وابعدهم من رحمته وطردهم عن بابه ولهم عذاب مقيم اي دائم
لا ينقطع فان قلت قوله خالدين فيها بمعنى ولهم عذاب مقيم وهذا تكرار فما معناه قلت
ليس ذلك تكرارا وبيان الفرق من وجهين الاول ان معناه لهم نوع اخر من العذاب
المقيم سوى الصلي بالنار لان لقول هذا التاويل مشكل لانه تعالى قال في النار هي حسبهم
وذلك يمنع من ضم شيء اخر الى عذاب النار واجيب عن هذا الاشكال بان قوله هي حسبهم
في الايلام ولا يمنع ان يحصل نوع اخر من العذاب من غير جنس النار كالزمهرير ونحوه
ويكون ذلك زيادة في عذابهم الوجه الثاني ان العذاب المقيم هو العذاب المعجل لهم
في الدنيا وهو ما يقاسونه من خوف اطلاع المسلمين عليهم وما هم فيه من النفاق و
كشف فضايحهم وهذا هو العذاب المقيم وقوله تعالى كالذين من قبلكم هذا رجوع من
الغيبة الى خطاب الحضور والكاف في الذين للتشبيه والمعنى فعلتم كما فعل الذين
من قبلكم شبه فعل المنافقين بفعل الكفار الذين كانوا من قبلهم في الامر بالمنكر
والنهي عن المعروف وقبض الايدي عن فعل الخير والطاعة وقيل انه تعالى شبه
المنافقين في عدولهم عن طاعته واتباع امره لاجل طلب الدنيا بمن قبلهم من الكفار
ثم وصف الكفار بانهم كانوا اشد من هؤلاء المنافقين قوة واكثر اموالا واولادا فقال
كانوا اشد منكم قوة يعني بطشا ومنعة واكثر اموالا واولادا فاستمتعوا بخلاقهم يعني
فتمتعوا بنصيبهم من الدنيا باتباع الشهوات ورضوا بها عوضا من الاخرة والخلاق
النصيب وهو ما خلق للانسان وقدر له من خير كما يقال قسم له فاستمتعتم بخلاقكم
هذا خطاب للحاضرين يعني فتمتعتم ايها المنافقون والكافرون بخلاقكم كما استمتع الذين
من قبلكم بخلاقهم فان قلت ما الفايدة في ذكر الاستمتاع بالخلاق في حق الاولين
مرة ثم ذكره في حق المنافقين ثانيا ثم اعاد ذكره في حق الاولين ثالثا قلت فايدته
ان يذم الاولين بالاستمتاع بما اوتوا من حظوظ الدنيا وشهواتها ورضاهم بها
وتركوا النظر فيما يصلحهم في الدار الاخرة ثم شبه حال المخاطبين من المنافقين
والكفار بحال من تقدمهم ثم رجع الى ذكر حال الاولين ثالثا وهذا كما تريد ان تكتب

بعض الظلمة على قبيح ظلمه فيقول له انت مثل فرعون كان يقتل بغير حق ويعذب بغير جرم
وانت تفعل مثل ما كان يفعل فالتكبير هنا للتاكيد وتقبيح فعلهم وفعل من شابههم في فعله
وقوله وخضتم كالذي خاضوا معطوف على ما قبله ومسند اليه يعني وسلكتم في فعلكم
مثل ما سلكوا في اتباع الباطل والكذب على الله وتكذيب رسله والاستهزا بالمومنين
اولئك حبطت اعمالهم يعني بطلت اعمالهم في الدنيا والاخرة يعني ان اعمالهم لا تنفعهم
في الدنيا ولا في الاخرة بل يعاقبون عليها واولئك هم الخاسرون والمعنى انه كما بطلت
اعمال الكفار الماضين وخسروا ستبطل اعمالكم ايها المنافقون وتخسرون عن ابي سعيد
الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لتتبعن سنن الذين من قبلكم شبرا بشبر
وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لاتبعتموهم قلنا يا رسول الله اليهود والنصارى قال
فمن وقوله تعالى الم ياتهم رجع من الخطاب في الغيبة الم يات هولا المنافقين والكفار وهو
استفهام بمعنى التقرير اي قد اتاهم نبا يعني خبر الذين من قبلهم يعني الامم الماضية الذين
خلوا من قبلهم كيف اهلكناهم حين خالفوا امرنا وعصوا رسلنا ثم ذكرهم فقال تعالى قوم نوح
يعني انهم اهلكوا بالطوفان وعاد اهلكوا بالريح العقيم وثمود اهلكوا بالرجفة وقوم ابراهيم
اهلكوا بسبب النعمة وكان هلاك نمرود ببعوضة واصحاب مدين وهم قوم شعيب اهلكوا
بعذاب يوم الظلة والموتفكات يعني المنقلبات التي جعل الله عاليها سافلها وهي مداين قوم لوط
وانما ذكر الله عز وجل هذه الطوايف الستة لان اثارهم باقية وبلادهم بالشام والعراق
واليمن وكل ذلك قريب من ارض العرب فكانوا يمرون عليهم ويعرفون اخبارهم اتتهم
رسلهم بالبينات يعني بالمعجزات الباهرة والحجج الواضحات الدالة على صدقهم فكذبوهم وخالفوا امرنا
كما فعلتم ايها الكفار والمنافقون فاحذروا ان يصيبكم مثل ما اصابهم فتعجل لكم النقمة
كما عجلت لهم فما كان الله ليظلمهم يعني بتعجيل العقوبة لهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون
يعني ان الذي استحقوه من العقوبة بسبب ظلمهم قوله عز وجل والمومنون والمومنات
بعضهم اوليا بعض لما وصف الله المنافقين بالاعمال الخبيثة والاحوال الفاسدة ثم
ذكره بعده لما اعد لهم من انواع الوعيد في الدنيا والاخرة عقبه بذكر اوصاف المومنين
واعمالهم الحسنة وما اعد لهم من انواع الكرامات والخيرات في الدنيا والاخرة فقال
تعالى والمومنون والمومنات بعضهم اوليا بعض يعني الموالاة في الدين واتفاق الكلمة
والعون والنصرة فان قلت انه تعالى قال في وصف المنافقين بعضهم من بعض
وقال في وصف المومنين بعضهم اوليا بعض فما الفايدة في ذلك قلت لما كان
نفاق الاتباع وكفرهم انما حصل بتقليد المتبوعين وهم الروسا والاكابر وحصل
بمقتضى الطبيعة ايضا قال فيهم بعضهم من بعض ولما كانت الموافقة الحاصلة بين
المومنين بتسديد الله وتوفيقه وهدايته لا بمقتضى الطبيعة وهوى النفس وصفهم
بان بعضهم اوليا بعض فظهر الفرق بين الفريقين وظهرت الفايدة وقوله تعالى

يامرون با

يامرون بالمعروف يعني بالايمان بالله ورسوله واتباع امره والمعروف كل ما عرف
في الشرع من خير وبر وطاعة وينهون عن المنكر يعني عن الشرك والمعصية والمنكر كل ما
ينكره الشرع وينفر منه الطبع وهذا في مقابلة ما وصف به المنافقون وضده ويقيمون
الصلاة يعني الصلاة المفروضة ويتمون اركانها وحدودها ويوتون الزكاة يعني الواجبة
عليهم وهو في مقابلة ويقبضون ايديهم ويطيعون الله ورسوله يعني فيما يامرهم به
وهو في مقابلة نسوا الله فنسيهم اولئك يعني المومنين والمومنات الموصوفين بهذه
الصفات سيرحمهم الله لما ذكر الله ما وعد به المنافقين من العذاب في نار جهنم ذكر ما
وعد به المومنين من الرحمة والرضوان وما اعد لهم في الجنان والسين في سيرحمهم
الله للمبالغة والتوكيد ان الله عزيز حكيم وهذا يوجب المبالغة في الترغيب والترهيب
لان العزيز هو الذي لا يمتنع عليه شي اراده فهو قادر على ايصال الرحمة لمن اراد وايصال
العقوبة لمن اراد والحكيم هو الذي يدبر عباده على ما يقتضيه العدل والانصاف وعد
الله المومنين والمومنات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها لما ذكر الله في
الايات المتقدمة وعيد المنافقين وما اعد لهم في نار جهنم من العذاب ذكر في هذه
الاية ما وعد به المومنين من الخير والثواب والمراد بالجنات التي تجري من تحتها الانهار
البساتين التي يتحير في حسنها الناظر لانه تعالى قال ومساكن طيبة في جنات عدن والمعطوف
يجب ان يكون مغايرا للمعطوف عليه فيكون مساكنهم في جنات عدن ومناظرهم
الجنات هي البساتين فتكون جنات عدن هي المساكن التي يسكنونها والجنات
الاولى هي البساتين التي يتنزهون فيها فهذه فايدة المغايرة بين المعطوف والمعطوف
عليه والفرق بينهما ومساكن طيبة يعني ومنازل يسكنونها طيبة في جنات عدن يعني
في بساتين خلد واقامة يقال عدن بالمكان اذا اقام به روى الطبري بسنده عن
عمران بن حصين وابي هريرة قالا سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه
الاية ومساكن طيبة في جنات عدن قال قصر من لولوة في ذلك القصر سبعون
دارا من ياقوتة حمرا في كل دار سبعون بيتا من زمردة خضرا في كل بيت سبعون
سريرا على كل سرير سبعون فراشا من كل لون على كل فراش زوجة من الحور
العين في كل بيت سبعون مايدة على كل مايدة سبعون لونا من طعام في كل
بيت سبعون وصيفة ويعطى المومن القوة في غداة ما ياتي على ذلك كله اجمع
وروى بسنده عن ابي الدردا قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عدن داره
يعني دار الله التي لم ترها عين ولم تخطر على قلب بشر وهي مسكنه ولم يسكنها
معه من بني ادم غير ثلاثة النبيين والصديقين والشهدا يقول الله عز وجل
طوبى لمن دخلك هكذا رواه الطبري فان صحت هذه الرواية فلا بد من
تاويلها فقوله عدن داره يعني دار الله فهو من باب حذف المضاف تقديره

عدن دار الله التي اعدها لاوليائه واهل طاعته والمقربين من عباده عن ابي موسى ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما
وما بين وبين ان ينظروا الى ربهم الا ردا الكبريا على وجهه في جنة عدن اخرجه البخاري
ومسلم وقال عبد الله بن مسعود عدن بطنان الجنة يعني وسطها وقال عبد الله بن عمرو
ابن العاص ان في الجنة قصرا يقال له عدن حوله البروج والمروج له خمسة آلاف
باب لا يدخله الا نبي او صديق او شهيد وقال عطا بن السائب عدن نهر في الجنة
جنانه على حافتيه وقال مقاتل والكلبي عدن اعلا درجة في الجنة فيها عين التسنيم
والجنان حولها محفوفة بها وهي مغطاة من حين خلقها الله حتى ينزلها اهلها وهم
الانبيا والصديقون والشهدا والصالحون ومن شا الله وفيها قصور الدر والياقوت
والذهب فتهب ريح طيبة من تحت العرش فتدخل كثبان المسك الابيض قال
الامام فخر الدين حاصل هذا الكلام ان في جنات عدن قولين احدهما انه اسم علم
لموضع معين في الجنة وهذه الاخبار والآثار تقوي هذا القول قال صاحب الكشاف
وعدن علم بدليل قوله جنات عدن التي وعد الرحمن عباده والقول الثاني انه صفة
للجنة قال الازهري العدن ماخوذ من قولك عدن بالمكان اذا اقام به يعدن عدونا
فبهذا الاشتقاق قالوا الجنات كلها جنات عدن وقوله تعالى ورضوان من الله اكبر
يعني ان رضوان الله الذي ينزله عليهم اكبر من كل ما سلف ذكره من نعيم الجنة
ذلك هو الفوز العظيم اشارة الى ما تقدم ذكره من نعيم الجنة والرضوان ق
عن ابي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله تبارك
وتعالى يقول لاهل الجنة يا اهل الجنة فيقولون لبيك ربنا وسعديك والخير كله
في يديك فيقول هل رضيتم فيقولون وما لنا لا نرضى يا ربنا وقد اعطيتنا ما لم تعط
احدا من خلقك فيقول انا اعطيكم افضل من ذلك فيقولون واي شي افضل من
ذلك فيقول احل عليكم رضواني فلا اسخط بعده عليكم ابدا قوله تعالى يا ايها النبي
جاهد الكفار يعني بالسيف والمجاهدة والقتال والمنافقين يعني وجاهد المنافقين
واختلفوا في جهاد المنافقين وسبب هذا الاختلاف ان المنافق هو الذي يبطن الكفر
ويظهر الاسلام ولما كان الامر كذلك لم تجز مجاهدته بالسيف والقتال لاظهاره الاسلام
فقال ابن عباس امر الله نبيه صلى الله عليه وسلم بجهاد الكفار بالسيف والمنافقين
باللسان واذهاب الرفق عنهم وهذا قول الضحاك ايضا وقال ابن مسعود بيده فان
لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه فليكفهر في وجهه وقال الحسن وقتادة
باقامة الحدود عليهم يعني اذا تعاطوا اسبابها وهذا القول غير بعيد لان اقامة
الحدود واجبة على من ليس بمنافق فلا تعلق لاقامة الحدود على المنافق
وانما قال الحسن وقتادة ذلك لان غالب من كان يتعاطى اسباب الحدود

فنقام عليهم

فنقام عليهم في زمن النبي صلى الله عليه وسلم المنافقون قال الطبري واولى الاقوال
قول ابن مسعود لان الجهاد عبارة عن بذل الجهد وقد دلت الآية على وجوب جهاد
المنافقين وليس في الآية ذكر كيفية ذلك الجهاد فلا بد من دليل منفصل وقد دلت الدلائل
المنفصلة ان الجهاد مع الكفار انما يكون بالسيف ومع المنافقين باظهار الحجة عليهم تارة
وبترك الرفق بهم تارة وبالانتهار تارة وهذا هو قول ابن مسعود واغلظ عليهم يعني شدد
عليهم بالجهاد والارهاب ومأواهم جهنم وبئس المصير يعني ان جهنم مسكنهم وبئس المصير مصيرهم
اليها فان قلت كيف ترك النبي صلى الله عليه وسلم المنافقين بين اظهر الصحابة مع علمه
بهم وبحالهم قلت انما امر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم بقتال من اظهر كلمة الكفر
واقام على اظهارها فاما من تكلم بالكفر في السر فاذا اطلع عليه انكره ورجع عنه وتخلى
وقال اني مسلم فانه يحكم باسلامه في الظاهر فيحقن دمه وماله وولده فان كان معتقدا
غير ذلك في الباطن لان الله تعالى امر باجرا الاحكام على الظواهر فلذلك اجرى النبي صلى الله
عليه وسلم المنافقين على ظواهرهم ووكل سرائرهم الى الله لانه العالم باحوالهم وهو يجازيهم
في الآخرة بما يستحقونه قوله عز وجل يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد
اسلامهم اختلف المفسرون فيمن نزلت هذه الآية قال عروة بن الزبير نزلت في الجلاس
ابن سويد قيل هو ابن امرأته مصعب من قبا فقال الجلاس ان كان ما جاء به محمد حقا
فلنحن اشر من حمرنا هذه التي نحن عليها فقال مصعب اما والله يا عدو الله لاخبرن رسول
الله صلى الله عليه وسلم بما قلت وخفت ان ينزل في القرآن او ان تصيبني قارعة او ان
اخلط بخطيئته فاتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله اقبلت انا والجلاس
من قبا فقال كذا وكذا ولولا مخافة ان اخلط بخطيئته او تصيبني قارعة ما اخبرتك قال
فدعا الجلاس فقال له يا جلاس اقلت ما قال مصعب فحلف ما قال فانزل الله عز وجل
يحلفون بالله ما قالوا الآية وروي عن مجاهد نحوه وقال ابن عباس كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم جالسا في ظل حجرة فقال انه سيأتيكم انسان فينظر اليكم بعيني الشيطان فاذا جاء
فلا تكلموه فلم يلبثوا ان طلع رجل ازرق فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
علام تشتمني انت واصحابك فانطلق الرجل فجا باصحابه فحلفوا بالله ما قالوا وما فعلوا
حتى تجاوز عنهم فانزل الله يحلفون بالله ما قالوا الى آخر الآية قال قتادة
ذكر لنا ان رجلين اقتتلا احدهما من جهينة والآخر من غفار وكانت جهينة حلفا الانصار
فظهر الغفاري على الجهني فقال عبد الله بن ابي بن سلول للاوس انصروا اخاكم
فوالله ما مثلنا ومثل محمد الا كما قال القايل سمن كلبك ياكلك وقال لئن رجعنا الى المدينة
ليخرجن الاعز منها الاذل فسعى بها رجل من المسلمين الى نبي الله صلى الله عليه وسلم
فارسل اليه فسأله فحلف بالله ما قاله فانزل الله هذه الآية هذه رواية الطبري وذكر عن الكلبي صح
البغوي قال نزلت في الجلاس بن سويد وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم

خطب ذات يوم بتبوك فذكر المنافقين وسماهم رجسا وعابهم فقال الجلاس ان كان
محمد صادقا لنحن شر من الحمير فلما انصرف النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة اتاه عامر بن
قيس فاخبره بما قال الجلاس فقال الجلاس كذب يا رسول الله علي فامرهما رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان يحلفا عند المنبر فقام الجلاس عند المنبر بعد العصر فحلف بالله الذي
لا اله الا هو ما قاله ولقد كذب علي عامر ثم قام عامر فحلف بالله الذي لا اله الا هو
لقد قاله وما كذبت عليه ثم رفع عامر يده الى السماء فقال اللهم انزل على نبيك تصديق
الصادق منا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين آمين فنزل جبرئيل
عليه السلام قبل ان يتفرقا وهذه الاية حتى بلغ فان يتوبوا يك خيرا لهم فقام الجلاس
فقال يا رسول الله اسمع الله قد عرض علي التوبة صدق عامر بن قيس فيما قاله
فقد قلته وانا استغفر الله واتوب اليه فقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك
منه ثم تاب وحسنت توبته فذلك قوله يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة
الكفر وكفروا بعد اسلامهم يعني اظهروا الكلمة الكفر بعد الاسلام تلك الكلمة هي
سب النبي صلى الله عليه وسلم فقال هي كلمة الجلاس بن سويد لئن كان محمد صادقا
لنحن شر من الحمير وقيل هي كلمة عبد الله بن ابي بن سلول لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن
الاعز منها الاذل وسياتي القصة في موضعها في سورة المنافقين ان شاء الله تعالى
وقوله تعالى وهموا بما لم ينالوا قال مجاهد هم الجلاس بقتل الذي سمع مقالته خشية
ان يفشيها عليه وقيل هم عبد الله بن ابي بن سلول وكان الذي همه قوله لئن رجعنا
الى المدينة فلم ينله وقيل هم اثنا عشر من المنافقين بقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم
توقفوا على العقبة وقت رجوعه من تبوك ليقتلوه فجاء جبريل عليه السلام فاخبره
وامره ان يرسل اليهم من يضرب وجوه رواحلهم فارسل حذيفة لذلك وقال
السدي قال المنافقون اذا رجعنا الى المدينة عقدنا على راس عبد الله بن ابي بن
سلول تاجا فلم يصلوا اليه وما نقموا الا ان اغناهم الله ورسوله من فضله يعني وما
انكروا على رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا الا ان اغناهم الله ورسوله من فضله
والمعنى ان المنافقين عملوا بضد الواجب فجعلوا موضع شكر النبي صلى الله عليه
وسلم ان نقموا عليه وقيل انهم بطروا النعمة فنقموا اشرا وبطرا وقال ابن قتيبة
معناه ليس ينقمون شيئا ولا يتعرفون من الله الا الصنع وهذا كقول الشاعر
ما نقم الناس من امية الا انهم يحلمون ان غضبوا وهذا ليس مما ينقم وانما
اراد ان الناس لا ينقمون عليهم فهو كقول النابغة ولا عيب فيهم غير ان
سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب اى ليس فيهم عيب وقال الكلبي كانوا
قبل قدوم النبي صلى الله عليه وسلم مستغنوا بالغنائم فعلى هذا القول يكون الكلام
عاما وقال عروة كان الجلاس قتل له مولى فامر له النبي صلى الله عليه وسلم بدية

فاستغنى

فاستغنى وقال قتادة كانت لعبد الله بن ابي دية فاخرجها رسول الله صلى الله عليه وسلم له
وقال عكرمة ان مولى لبني عدي قتل رجلا من الانصار فقضى له النبي صلى الله عليه وسلم
بالدية اثني عشر الفا وفيه نزلت وما نقموا الا ان اغناهم الله ورسوله من فضله فان
يتوبوا يك خيرا لهم يعني فان يتوبوا من كفرهم ونفاقهم يكن ذلك خيرا لهم في العاجل
والاجل وان يتولوا يعني وان يعرضوا عن الايمان والتوبة ويصيروا على النفاق والكفر
يعذبهم الله عذابا اليما في الدنيا يعني بالخزي والاذلال والاخرة اي ويعذبهم في الاخرة
بالنار وما لهم في الارض من ولي ولا نصير يعني وليس لهم احد يمنعهم من عذاب الله
او ينصرهم في الدنيا والاخرة قوله تعالى ومنهم من عاهد الله لئن اتانا من فضله لنصدقن
الاية روى البغوي بسند الثعلبي عن ابي امامة الباهلي قال جاء ثعلبة بن حاطب الانصاري
الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ادع الله ان يرزقني مالا فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ويحك يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه ثم اتاه بعد ذلك فقال يا رسول
الله ادع الله ان يرزقني مالا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما لك في رسول الله اسوة
حسنة والذي نفسي بيده لو اردت ان تسير الجبال معي ذهبا وفضة لسارت ثم اتاه بعد
ذلك فقال يا رسول الله ان يرزقني مالا والذي بعثك بالحق لئن رزقني الله مالا
لاعطين كل ذي حق حقه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم ارزق ثعلبة مالا
قال فاتخذ غنما فنمت كما ينمي الدود فضاقت عليه المدينة فتنحى عنها فنزل واديا
من اوديتها وهي تنمي كما ينمي الدود فكان يصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
الظهر والعصر ويصلي في غنمه سائر الصلوات ثم كثرت ونمت حتى تباعد عن المدينة
فصار لا يشهد الا الجمعة ثم كثرت ونمت حتى تباعدت عن المدينة ايضا حتى كان
لا يشهد جمعة ولا جماعة فكان اذا كان يوم الجمعة خرج يتلقى الناس يسئلهم عن
الاخبار فذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فقال ما فعل ثعلبة فقالوا يا
رسول الله اتخذ ثعلبة غنما ما يسعها واد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ويح
ثعلبة يا ويح ثعلبة يا ويح ثعلبة فانزل الله اية الصدقة فبعث رسول الله صلى الله
عليه وسلم رجلا من بني سليم ورجلا من جهينة وكتب لهما اسنان الصدقة وكيف
ياخذان وقال لهما مرا على ثعلبة بن حاطب وبرجل من بني سليم فخذا صدقتهما
فخرجا حتى اتيا ثعلبة فسالاه الصدقة واقراه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال ما هذه الا جزية ما هذه الا اخت الجزية انطلقا حتى تفرغا ثم عودا الي فانطلقا
وسمع بهما السلمي فنظر الى خيار اسنان ابله فعزلها للصدقة ثم استقبلهما بها
فلما راياها قالا ما هذا عليك قال خذاه فان نفسي بذلك طيبة فمرا على الناس
واخذا الصدقات ثم رجعا الى ثعلبة فقال اروني كتابكما فقراه ثم قال ما هذه الا جزية

ما هذه الا اخت الجزية اذهبا حتى ارى رايي قال فاقبلا فلما راهما رسول الله صلى الله عليه وسلم
قبل ان يتكلما يا ويح ثعلبة يا ويح ثعلبة يا ويح ثعلبة ثم دعا للسلمي بخير فاخبراه بالذي
صنع ثعلبة فانزل الله فيه ومنهم من عاهد الله لئن اتانا من فضله الاية الى قوله
وبما كانوا يكذبون وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من اقارب ثعلبة فسمع
ذلك فخرج حتى اتاه فقال ويحك يا ثعلبة لقد انزل الله فيك كذا وكذا فخرج ثعلبة
حتى اتى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله ان يقبل منه صدقته فقال ان الله منعني ان اقبل
منك صدقتك فجعل يحثي على راسه التراب فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم
هذا عملك قد امرتك فلم تطعني فلما ابى ان يقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم صدقته
رجع الى منزله وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتى ابا بكر فقال اقبل صدقتي فقال
ابو بكر لم يقبلها منك رسول الله صلى الله عليه وسلم فانا لا اقبلها فقبض ابو بكر
ولم يقبلها فلما ولي عمر اتاه فقال اقبل صدقتي فقال لم يقبلها منك رسول الله صلى الله
عليه وسلم ولا ابو بكر انا لا اقبلها منك فلم يقبلها ثم ولي عثمان فاتاه فلم يقبلها منه
وهلك في خلافة عثمان واخرجه الطبري ايضا بسنده قال بعض العلماء انما لم يقبل رسول
الله صلى الله عليه وسلم صدقة ثعلبة لان الله منعه من قبولها منه مجازاة له على اخلافه
على ما عاهد الله عليه واهانة له على قوله انما هي جزية او اخت الجزية فلما صدر هذا
القول منه ردت صدقته عليه اهانة له وليعتبر به غيره فلا يمتنع من بذل الصدقة
عن طيب نفس باخراجها ويرى انها واجبة عليه وانه يثاب على اخراجها ويعاقب
على منعها وقال ابن عباس ان ثعلبة اتى مجلسا من مجالس الانصار فاشهدهم
لئن اتاني الله من فضله اتيت منه كل ذي حق حقه وتصدقت منه ووصلت القرابة
فمات ابن عم له فورث منه مالا فلم يف بما عاهد الله عليه فانزل الله فيه هذه الاية
وقال الحسن ومجاهد نزلت في ثعلبة ومعتب بن قشير وهما من بني عمرو بن عوف
خرجا على ملا قعود فقالا لئن رزقنا الله من فضله لنصدقن فلما رزقهما الله بخلا به
وقال ابن السائب ان حاطب بن ابي بلتعة كان له مال بالشام فابطا عليه فجهد
لذلك جهدا شديدا فحلف بالله لئن اتاني الله من فضله يعني ذلك المال لاصدقن
منه ولاصلن فلما اتاه ذلك المال لم يف بما عاهد الله عليه فنزلت هذه الاية وحاصله
ان ظاهر الاية يدل على ان بعض المنافقين عاهد الله لئن اتاه من فضله ليتصدقن
وليفعلن فيه اعمال الخير والبر والصلة فلما اتاه الله من فضله ما سال لم يف بما عاهد
الله عليه ومعنى الاية ومن المنافقين من اعطى الله عهدا لئن رزقنا الله من فضله
بان يوسع علينا في الرزق لنصدقن يعني لنتصدقن ولنخرجن من ذلك المال صدقة
ولنكونن من الصالحين يعني ولنعملن في ذلك المال بما يعمله اهل الصلاح باموالهم
من صلة الارحام والانفاق في سبيل الله وجميع وجوه البر والخير واخراج الزكاة

وايصالها

وايصالها الى اهلها والصالح ضد المفسد والمفسد هو الذي يبخل بما يلزمه في حكم الشرع
وقيل ان المراد بقوله لنصدقن اخراج الزكاة الواجبة وقوله لنكونن من الصالحين
اشارة الى كل ما يفعله اهل الصلاح على الاطلاق من جميع اعمال البر والطاعة
فلما اتاهم من فضله بخلوا به يعني فلما رزقهم الله فلم يفعلوا من اعمال البر شيئا
وتولوا يعني عما عاهدوا الله عليه وهم معرضون يعني عن العهد فاعقبهم نفاقا في قلوبهم
يعني فاعقبهم الله نفاقا بان صيرهم منافقين يقال اعقبت فلانا ندامة اذا صيرت
عاقبة امره ذلك وقيل معناه انه تعالى عاقبهم بنفاق قلوبهم الى يوم يلقونه
يعني انه تعالى حرمهم التوبة الى يوم القيامة فيوافونه على النفاق فيجازيهم عليه
بما اخلفوا الله ما وعدوه يعني الصدقة والانفاق في سبيله وبما كانوا يكذبون يعني
في قولهم لنصدقن ولنكونن من الصالحين عن ابي هريرة ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال اية المنافق ثلاث اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا
اؤتمن خان عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم اربع من كن فيه كان منافقا خالصا ومن كانت فيه خلة وفي رواية خصلة
منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها اذا حدث كذب واذا عاهد غدر
واذا وعد اخلف واذا خاصم فجر قال الشيخ محي الدين النواوي هذا الحديث مما عده
جماعة من العلماء مشكلا من حيث ان هذه الخصال قد توجد في المسلم المصدق
الذي ليس فيه شك وقد اجمع العلماء على ان من كان مصدقا بقلبه ولسانه
وفعل هذه الخصال لا يحكم عليه بكفر ولا هو منافق مخلد في النار فان اخوة
يوسف عليه السلام جمعوا هذه الخصال وكذا قد يوجد لبعض السلف ولبعض
العلماء بعض هذا او كله قال الشيخ ليس بحمد الله اشكال ولكن اختلفوا العلماء
في معناه فالذي قاله المحققون والاكثرون وهو الصحيح المختار ان معناه ان هذه
الخصال خصال نفاق وصاحبها شبيه بالمنافقين في هذه الخصال ومتخلق
باخلاقهم فان النفاق هو اظهار ما يبطن خلافه وهذا موجود في صاحب
هذه الخصال فيكون نفاقه في حق من حدثه ووعده وائتمنه وخاصمه وعاهده
من الناس لا انه منافق في الاسلام فيظهره وهو يبطن الكفر ولم يرد النبي صلى
الله عليه وسلم بهذا انه منافق نفاق الكفار المخلد في الدرك الاسفل
من النار وقوله صلى الله عليه وسلم كان منافقا خالصا معناه كان شديد الشبه
بالمنافقين بسبب هذه الخصال قال بعض العلماء وهذا فيمن كانت هذه
الخصال غالبة عليه فاما من ندر ذلك منه فليس ذلك حاصلا فيه هذا
هو المختار في معنى الحديث وقال جماعة من العلماء المراد به المنافقون الذين
كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم فانهم حدثوا في ايمانهم فكذبوا وائتمنوا

على دينهم فحالفوا وعدوا في امر الدين والنصرة فاخلفوا وفجروا في خصوماتهم وهذا قول
ابن جبير وعطا بن رباح ورجع اليه الحسن البصري بعد ان كان على خلافه وهو مروي
عن ابن عباس وابن عمر وروياه ايضا عن النبي صلى الله عليه وسلم قال القاضي عياض
واليه مال كثير ائمتنا وحكى الخطابي عن الاقران معناه التحذير للمسلم ان يعتاد هذه الخصال وحكى
ايضا بعضهم ان الحديث ورد في رجل بعينه منافق وكان النبي صلى الله عليه وسلم لا يواجههم
بصريح القول فيقول فلان منافق وانما يشير اشارة كقوله صلى الله عليه وسلم ما بال اقوام
يفعلون كذا والله اعلم وقال الامام فخر الدين الرازي ظاهر هذه الاية يدل على ان نقض
العهد وخلف الوعد يورث النفاق فيجب على المسلم ان يبالغ في الاحتراز عنه فاذا عاهد
امرا فليجتهد في الوفا به وقوله تعالى الم يعلموا يعني هولا المنافقين ان الله يعلم سرهم يعني ما
تنطوي عليه صدورهم من النفاق ونجواهم يعني ويعلم ما يتفاوض به بعضهم بعضا
فيما بينهم والنجوى هو الخفي بين القوم والمعنى انهم يعلمون ان الله يعلم جميع احوالهم لا يخفى
عليه شي منها وان الله علام الغيوب وهذا مبالغة في العلم يعني ان الله عالم بجميع الاشيا
فكيف يخفى عليه احوالهم قوله عز وجل الذين يلمزون المطوعين من المومنين في الصدقات
الاية عن ابي مسعود البدري قال لما نزلت اية الصدقة كنا نحامل على ظهورنا فجا رجل
فتصدق بشي كثير فقالوا مراء وجا رجل فتصدق بصاع فقالوا ان الله لغني عن صاع هذا
فنزلت الذين يلمزون المطوعين من المومنين في الصدقات والذين لا يجدون الا جهدهم
الاية قال ابن عباس وغيره من المفسرين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حث على الصدقة فجاء
عبد الرحمن بن عوف باربعة الاف درهم وقال يا رسول الله مالي ثمانية الاف جئتك
باربعة الاف فاجعلها في سبيل الله وامسكت اربعة الاف لعيالي فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم بارك الله لك فيما اعطيت وفيما امسكت فبارك الله في مال عبد الرحمن حتى
انه خلف امراتين يوم مات فبلغ ثمن ماله مائة وسبعين الف درهم وتصدق عاصم يومئذ
ابن عدي العجلاني بمائة وسق من تمر وجا ابو عقيل الانصاري واسمه الحبحاب بصاع من تمر
وقال يا رسول الله بت ليلتي اجر بالجرير الماء حتى نلت صاعين من تمر فامسكت
احدهما لعيالي واتيتك بالاخر فامره رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينثره في الصدقات
فلمزهم المنافقون فقالوا ما اعطى عبد الرحمن وعاصم الا رياء وان الله ورسوله لغنيان
عن صاع ابي عقيل ولكنه احب ان يذكر بنفسه ليعطى من الصدقة فانزل الله تعالى
الذين يلمزون يعيبون المطوعين يعني المتبرعين من المومنين يعني عبد الرحمن بن
عوف وعاصم بن عدي في الصدقات والمتطوع المتنفل بما ليس بواجب عليه
والذين لا يجدون الا جهدهم يعني ابا عقيل الانصاري والجهد بالضم الطاقة وهي لغة
اهل الحجاز وبالفتح لغيرهم وقيل الجهد بالضم الطاقة وبالفتح المشقة وقد يكون القليل
من المال الذي ياتي به فيتصدق به اكثر موقعا عند الله تعالى من الكثير الذي ياتي به

فيتصدق

فيتصدق به لان الغني اخرج ذلك المال عن قدرة وهذا الفقير الذي اخرج القليل
انما اخرجه عن ضعف وجهد وقد يوثر المحتاج الى المال لعجزه رجاء ما عند الله تعالى
كما قال تعالى ويوثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة فيسخرون منهم يعني ان
المنافقين كانوا يستهزون بالمومنين في انفاقهم المال في طاعة الله وطاعة رسوله
صلى الله عليه وسلم وهو قولهم لقد كان الله عن صدقة هولا غنيا وكانوا يعيرون الفقير
الذي يتصدق بالقليل ويقولون انه لفقره محتاج اليه فكيف يتصدق به وجوابهم
ان كل من يرجو ما عند الله من الخير والثواب يبذل الموجود لينال ذلك الثواب
الموعود به وقوله تعالى سخر الله منهم يعني ان الله تعالى جازاهم على سخريتهم ثم وصف ذلك
وهو قوله ولهم عذاب اليم يعني في الاخرة قوله تعالى استغفر لهم او لا تستغفر لهم ان تستغفر
لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم قال المفسرون لما نزلت الايات المتقدمة في المنافقين
وبيان نفاقهم وظهر للمومنين جاوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتذرون اليه
ويقولون استغفر لنا فنزلت استغفر لهم او لا تستغفر لهم وهذا الكلام خرج مخرج الامر ومعناه
الخبر تقديره استغفر لهم يا محمد او لا تستغفر لهم فلن يغفر الله لهم وانما خص السبعين من العدد
في الذكر لان العرب كانت تستكثر السبعين ولهذا كبر رسول الله صلى الله عليه وسلم على عمه
حمزة رضي الله عنه سبعين تكبيرة ولان احاد السبعين سبعة وهو عدد شريف فان السموات
سبع والارضين سبع والاقاليم سبع والبحار سبع والنجوم السيارة سبع فلهذا خص السبعين
بالذكر للمبالغة في الياس من طمع المغفرة لهم قال الضحاك لما نزلت هذه الاية قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان الله قد رخص لي فسازيد على السبعين لعل الله ان يغفر لهم فانزل
الله سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم ق عن ابن عمر قال لما توفي
عبد الله يعني ابن ابي بن سلول جا ابنه عبد الله الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فساله ان يعطيه قميصه يكفن فيه اباه ثم ساله ان يصلي عليه فقام رسول الله صلى
الله عليه وسلم ليصلي عليه فقال عمر فاخذ بثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول
الله تصلي عليه وقد نهاك ربك ان تصلي عليه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
انما خيرني الله عز وجل فقال استغفر لهم او لا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة
وسازيد على السبعين قال انه منافق فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل
الله عز وجل ولا تصل على احد منهم مات ابدا ولا تقم على قبره انهم كفروا بالله ورسوله
وماتوا وهم فاسقون زاد في رواية فترك الصلاة عليهم وقوله تعالى ذلك بانهم
كفروا بالله ورسوله يعني ان هذا الفعل من الله وهو ترك عفوه عنهم وترك المغفرة
من اجل انهم اختاروا الكفر على الايمان بالله ورسوله والله لا يهدي القوم
الفاسقين يعني والله لا يوفق للايمان به وبرسوله من اختار الكفر والخروج
من طاعة الله ورسوله قوله عز وجل فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله

يعني فرح المتخلفون عن غزوة تبوك والمخلف المتروك بمقعدهم يعني بقعودهم في
المدينة خلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني بعده وعلى هذا المعنى خلاف بمعنى خلف
وهو اسم للجهة المعينة لان الانسان اذا توجه الى قدامه فمن تركه خلفه فقد تركه بعده
وقيل معناه مخالفة لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين سار الى تبوك واقاموا بالمدينة
لان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان قد امرهم بالخروج الى الجهاد فاختاروا القعود
مخالفة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قوله تعالى وكرهوا ان يجاهدوا باموالهم
وانفسهم في سبيل الله والمعنى انهم فرحوا بسبب التخلف وكرهوا الخروج الى الجهاد
وذلك ان الانسان يميل بطبعه الى ايثار الراحة والقعود مع الاهل والولد ويكره
اتلاف النفس والمال وهو قوله تعالى وقالوا لا تنفروا في الحر وكانت غزوة تبوك
في شدة الحر فاجاب الله عن هذا بقوله قل نار جهنم اشد حرا لو كانوا يفقهون يعني
قل يا محمد لهؤلاء الذين اختاروا الراحة والقعود وتخلفوا عن الجهاد في الحر فان نار
جهنم التي هي موعدهم في الاخرة هي اشد حرا من حر الدنيا لو كانوا يعلمون قال ابن عباس
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم امر الناس ان ينبعثوا معه وذلك في الصيف
فقال رجال يا رسول الله الحر شديد ولا نستطيع الخروج ولا تنفر في الحر فقال الله عز وجل
قل نار جهنم اشد حرا لو كانوا يفقهون فامره الله بالخروج فليضحكوا قليلا يعني فليضحك
هؤلاء الذين تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فرحين قليلا في الدنيا الفانية
بمقعدهم خلافه وليبكوا كثيرا يعني مكان ضحكهم في الدنيا وهذا وان ورد بصيغة
الامر الا ان معناه الاخبار والمعنى انهم وان فرحوا وضحكوا طول اعمارهم في الدنيا
فهو قليل بالنسبة الى بكائهم في الاخرة لان الدنيا فانية والاخرة باقية والمنقطع
الفاني بالنسبة الى الدائم الباقي قليل جزاء بما كانوا يكسبون يعني ان ذلك البكاء
في الاخرة جزاء لهم في ضحكهم واعمالهم الخبيثة في الدنيا خ عن ابي هريرة قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وروى البغوي
بسنده عن انس بن مالك قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يا ايها الناس
ابكوا فان لم تستطيعوا ان تبكوا فتباكوا فان اهل النار يبكون في النار حتى تسيل
دموعهم في خدودهم كانها جداول حتى تنقطع الدموع فتسيل الدم فتقرح العيون
فلو ان سفنا ازجيت فيها لجرت قوله تعالى فان رجعك الله يعني فان ردك
الله يا محمد من غزاتك هذه الى طائفة منهم يعني الى المتخلفين عنك وانما قال
منهم لانه ليس كل من تخلف بالمدينة عن غزوة تبوك كان منافقا مثل اصحاب
الاعذار فاستاذنوك للخروج يعني فاستاذنك المنافقون الذين تخلفوا عنك
وتحققت نفاقهم في الخروج معك الى غزوة اخرى فقل لن تخرجوا معي ابدا يعني
فقل يا محمد لهؤلاء الذين طلبوا الخروج وهم مقيمون على نفاقهم لن تخرجوا معي

ابدا الا الى

ابدا الى غزوة ولا الى سفر ولن تقاتلوا معي عدوا انكم يعني لانكم رضيتم بالقعود اول مرة
يعني انكم رضيتم بالتخلف عن غزوة تبوك فاقعدوا مع الخالفين يعني مع المتخلفين من
النساء والصبيان وقيل مع المرضى والزمنى وقال ابن عباس مع الذين تخلفوا بغير
عذر وقيل مع المخالفين يقال صاحبه خالف اذا كان مخالفا كثير الخلاف وفي الاية
دليل على ان الرجل اذا ظهر منه مكر وخداع وبدعة يجب الانقطاع عنه وترك
مصاحبته لان الله تعالى منع المنافقين من الخروج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى
الجهاد مشعر باظهار نفاقهم وذمهم وطردهم وابعادهم لما علم من مكرهم وخداعهم
اذا خرجوا الى الغزوات قوله عز وجل ولا تصل على احد منهم مات ابدا الاية قال قتادة
بعث عبد الله بن ابي بن سلول الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مريض ليأتيه
قال فنهاه عمر عن ذلك فاتاه نبي الله صلى الله عليه وسلم فلما دخل عليه نبي الله صلى الله
عليه وسلم قال اهلكك حب اليهود فقال يا نبي الله اني لم ابعث اليك لتؤنبني ولكن
بعثت اليك لتستغفر لي وساله قميصه ان يكفن فيه فاعطاه اياه واستغفر له رسول
الله صلى الله عليه وسلم فمات فكفن في قميص رسول الله صلى الله عليه وسلم ونفث في جلده
ودلاه في قبره فانزل الله ولا تصل على احد منهم مات ابدا ولا تقم على قبره الاية خ عن عمر
ابن الخطاب قال لما مات عبد الله بن ابي بن سلول دعي له رسول الله صلى الله عليه وسلم
ليصلي عليه فلما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم وثبت اليه فقلت يا رسول الله
اتصلي على ابن ابي بن سلول وقد قال يوم كذا كذا وكذا اعدد عليه قوله فتبسم
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اخر عني يا عمر فلما اكثرت عليه قال اما اني خيرت
فاخترت لو اني اعلم اني ان زدت على السبعين يغفر له لزدت عليها قال فصلى
عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم انصرف فلم يمكث الا يسيرا حتى نزلت الايتان
من براءة ولا تصل على احد منهم مات ابدا ولا تقم على قبره الى قوله وهم فاسقون قال
فعجبت بعد من جراتي على رسول الله صلى الله عليه وسلم والله ورسوله اعلم واخرجه
الترمذي وزاد فيه فما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعده على منافق ولا قام
على قبره حتى قبضه الله تعالى ق عن جابر قال اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم
عبد الله بن ابي بعد ما ادخل حفرته فامر به فاخرج فوضعه على ركبتيه ونفث فيه
من ريقه والبسه قميصه والله اعلم قال وكان كسا عباسا قميصا قال سفيان
وقال هارون وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قميصان فقال له ابن عبد الله يا
رسول الله البس عبد الله قميصك الذي يلي جلدك قال سفيان فيرون
ان النبي صلى الله عليه وسلم البس عبد الله قميصه مكافاة لما صنع وفي رواية عن
جابر قال لما كان يوم بدر اتي بالاسارى واتي بالعباس ولم يكن عليه ثوب
فنظر النبي صلى الله عليه وسلم له قميصا فوجدوا قميص عبد الله بن ابي يقدر

عليه فكساه النبي صلى الله عليه وسلم اياه فكذلك نزع النبي صلى الله عليه وسلم قميصه الذي
البسه **فصل** قد وقع في هذه الاحاديث التي تتضمن قصة موت عبد الله بن ابي
ابن سلول المنافق صورة اختلاف في الروايات ففي حديث ابن عمر المتقدم انه لما توفي
عبد الله بن ابي اتى ابنه عبد الله الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله ان يعطيه
قميصه ليكفنه فيه وان يصلي عليه فاعطاه قميصه وصلى عليه وفي حديث عمر بن
الخطاب من افراد البخاري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعي له ليصلي عليه وفي حديث
جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم اتاه بعدما ادخل حفرته فامر به فاخرج فوضعه على
ركبتيه ونفث عليه من ريقه والبسه قميصه ووجه الجمع بين هذه الروايات
انه صلى الله عليه وسلم اعطاه قميصه فكفن فيه ثم انه صلى عليه وليس في حديث
جابر ذكر الصلاة عليه فالظاهر والله اعلم انه صلى عليه اولا كما في حديث عمر وابن
عمر ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاه ثانيا بعدما ادخل حفرته فاخرجه منها ونزع
عنه القميص الذي اعطاه وكفن فيه لينفث عليه من ريقه ثم انه صلى الله عليه
البسه قميصه بيده الكريمة فعل هذا كله لعبد الله بن ابي تطييبا لقلب ابنه عبد الله
فانه كان صحابيا صالحا اسلم مخلصا واما قول قتادة ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم عاده في مرضه وانه سأله ان يستغفر له وان يعطيه قميصه وان يصلي عليه
فاعطاه قميصه واستغفر له وصلى عليه ونفث في جلده ودلاه في قبره فهذه
جمل من القول ظاهرها الترتيب وما المراد بهذا الترتيب توفيقا بين الاحاديث
فيكون قوله ونفث في جلده ودلاه في قبره جملة منقطعة عما قبلها يعني انه صلى
الله عليه وسلم فعل ذلك بعدما اعطاه القميص ولعل ان صلى عليه والله اعلم
وقال القرطبي في شرح صحيح مسلم له ان عبد الله بن ابي ابن سلول كان سيد الخزرج
في آخر جاهليتهم فلما ظهر النبي صلى الله عليه وسلم وانصرف اليه الخزرج وغيرهم
حسده وناصبه العداوة غير ان الاسلام غلب عليه فنافق فكان راسا في المنافقين
واعظمهم نفاقا واشدهم كفرا وكان المنافقون كثيرا حتى لقد روي عن ابن عباس
انهم كانوا ثلثمائة رجل ومائة وسبعين امرأة وكان ولده عبد الله يعني ولد عبد الله
ابن ابي من فضلاء الصحابة واصدقهم اسلاما واكثرهم عبادة واشرحهم صدرا وكان
ابر الناس بابيه ومع ذلك فقد قال يوما للنبي صلى الله عليه وسلم يا رسول الله انك
لتعلم اني من ابر الناس لابي وان امرتني ان اتيك براسه فعلت فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم بل نعفو عنه وكان من احرص الناس على اسلام ابيه وعلى ان
ينتفع من بركات النبي صلى الله عليه وسلم ان يعطيه قميصه ليكفنه فيه فينال
من بركته فاعطاه وسأله ان يصلي عليه فصلى عليه كل ذلك اكراما لابنه عبد الله
واسعافا له ولطلبته وقول عمر اتصلي عليه وقد نهاك الله ان تصلي عليه يحتمل

ان يكون

ان يكون قبل نزول ولا تصل على احد منهم مات ابدا ويظهر من هذا السياق
ان عمر واقع في خاطره ان الله نهاه عن الصلاة عليه فيكون هذا من قبيل
الالهام والحديث الذي شهد له به النبي صلى الله عليه وسلم ويحتمل ان يكون فهمه
من سياق قوله استغفر لهم او لا تستغفر لهم وهذان التاويلين فيهما بعد قال القرطبي
والذي يظهر لي والله اعلم ان البخاري ذكر هذا الحديث من رواية ابن عباس
وساقه سياقة هي ابين من هذه وليس فيها هذا اللفظ فقال ابن عباس عن عمر
لما مات عبد الله بن ابي بن سلول دعي له رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قام
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عمر وثبت اليه الحديث الى قوله فصلى عليه ثم
انصرف فلم يلبث الا يسيرا حتى انزلت عليه الآيتان من براءة قال القرطبي وهذا
مساق حسن وتنزيل متقن ليس فيه شيء من الاشكال المتقدم فهو الاولى وقوله صلى
الله عليه وسلم سازيد على السبعين وعد بالزيادة وهو مخالف لما في حديث ابن
عباس عن عمر فان فيه لو اعلم اني ان زدت على السبعين غفر له لزدت
وهذا التقييد لذلك الوعد المطلق فان الاحاديث يفسر بعضها بعضا ويقيد
بعضها بعضا فلذلك قال لو اعلم اني اذا زدت على السبعين غفر له لزدت
فقد علم انه لا يغفر له وقوله صلى الله عليه وسلم اني خيرت مشكل مع قوله تعالى ما كان
للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين الآية وهذا يفهم منه النهي عن الاستغفار
لمن مات كافرا وهو متقدم على الآية التي فهم منها التخيير ويجاب عن هذا الاشكال ان
المنهي عنه استغفار لمن تحقق موته على الكفر والشرك واما استغفاره لاولئك المنافقين
المخبر فيهم فهو وقد علم صلى الله عليه وسلم انه لا يقع ولا ينفع وغايته ان وقع كان
تطييبا لقلوب الاحياء من قراباتهم فانفصل الاستغفار المنهي عنه من المخبر فيه
وارتفع الاشكال بحمد الله والله اعلم وقال الشيخ محي الدين النووي انما اعطاه قميصه
ليكفنه فيه تطييبا لقلب ابنه عبد الله فانه كان صحابيا صالحا وقد سأل ذلك فاجابه
اليه وقيل بل اعطاه مكافاة لعبد الله بن ابي المنافق الميت لانه البس العباس حين اسر
يوم بدر قميصا وفي هذا الحديث بيان مكارم اخلاق النبي صلى الله عليه وسلم فقد علم ما كان
من هذا المنافق من الايذاء له وقابله بالحسنى والبسه قميصه كفنا وصلى عليه واستغفر
له قال الله تعالى وانك لعلى خلق عظيم وقال البغوي قال سفيان بن عيينة كانت له يد عند
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحب ان يكافيه بها ويروى ان النبي صلى الله عليه وسلم
كلم فيما فعل بعبد الله بن ابي فقال صلى الله عليه وسلم وما يغني عنه قميصي وصلاتي من الله
والله اني كنت ارجو ان يسلم به الف من قومه فيروى انه اسلم الف من قومه فيروى انه
اسلم الف من قومه لما راوه يتبرك بقميص النبي صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى ولا تقم
على قبره يعني ولا تقف عليه ولا تتولى دفنه من قولهم فلان يقوم بامر فلان اذا كفاه

امره وتاب عنه فيه انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون وهذا التعليل
بسبب المنع من الصلاة عليه والقيام على قبره ولما نزلت هذه الاية ما صلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم على منافق ولا قام على قبره بعدها فان قلت الفسوق ادنى حالا
من الكفر ولما ذكر في تعليل هذا النهي كونه كافرا فلم دخل تحته الفسوق وغيره فما الفائدة
في وصفه فاسقا بعد وصفه بالكفر قلت ان الكافر قد يكون عدلا في نفسه
بان يودي الامانة ولا يضمر لاحد سوءا وقد يكون خبيثا في نفسه كثير الكذب والمكر
والخداع واضمار السوء للغير وهذا امر مستقبح عند كل احد ولما كان المنافق
بهذه الصفة الخبيثة وصفهم الله تعالى بكونهم فاسقين بعد ان وصفهم بالكفر قوله
تعالى ولا تعجبك اموالهم واولادهم انما يريد الله ان يعذبهم بها في الدنيا وتزهق
انفسهم وهم كافرون الكلام على هذه الاية في مقامين المقام الاول في وجه التكرار
والحكمة فيه ان تجدد النزول له شان في تقرير ما نزل اولا وتاكيده وارادة ان يكون
المخاطب به على بال ولا يغفل عنه ولا ينساه ولا يعتقد ان العمل به مهم وانما اعيد
هذا المعنى لقوته فيما يجب ان يحذر منه وهو ان اشد الاشيا جذبا للقلوب والخواطر
الى الاشتغال بالاموال والاولاد وما كان كذلك يجب التحذير منه مرة بعد اخرى
وبالجملة فالتكرير يراد به التاكيد والمبالغة في التحذير من ذلك الشي الذي وقع
الاهتمام به وقيل ايضا انما كرر هذا المعنى لانه اراد بالاية الاولى قوما من المنافقين
كان لهم اموال واولاد عند نزولها وبالاية الاخرى اقواما اخرين منهم المقام الثاني
في وجه بيان ما حصل من التفاوت في الالفاظ في هاتين الايتين وذلك
انه تعالى قال في الاية الاولى فلا تعجبك بالفا وقال هنا ولا تعجبك بالواو والفرق
بينهما انه عطف الاية الاولى على قوله ولا ينفقون الا وهم كارهون وصفهم بكونهم
كارهين للانفاق لشدة المحبة للاموال والاولاد فحسن العطف عليه بالفا في
قوله فلا تعجبك واما هذه الاية فلا تعلق لها بما قبلها فلهذا اتيا بحرف الواو وقال
تعالى في الاية الاولى فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم واسقط حرف لا هنا فقال
واولادهم والسبب فيه ان حرف لا دخلت هناك لزيادة التاكيد فيدل على انهم
كانوا معجبين بكثرة الاموال والاولاد وكان اعجابهم باولادهم اكثر وفي اسقاط
حرف لا هنا دليل على انه لا تفاوت بين الامرين وقال تعالى في الاية الاولى انما
يريد الله ليعذبهم بحرف اللام وقال هنا ان يعذبهم بحرف ان والفائدة فيه
التنبيه على ان التعليل في احكام الله محال وانه اينما ورد حرف اللام فمعناه ان
كقوله وما امروا الا ليعبدوا الله معناه وما امروا الا بان يعبدوا الله وقال تعالى في الاية
الاولى في الحياة الدنيا وقال هنا في الدنيا والفائدة في اسقاط لفظة الحياة التنبيه
على ان حياة الدنيا بلغت في الخسة الى حيث انها لا تستحق ان تذكر ولا تسمى حياة

بل يجب

بل يجب الاقتصار عند ذكرها على لفظ الدنيا تنبيها على كمال دناءتها فهذه جمل
في ذكر الفروق بين هذه الالفاظ والله اعلم بمراده واسرار كتابه قوله عز وجل
واذا انزلت سورة يحتمل ان يراد بالسورة بعضها لان اطلاق لفظ الجمع
على البعض جائز ويحتمل ان يراد جميع السورة فعلى هذا المراد بالسورة سورة
براءة لانها مشتملة على الامر بالايمان والامر بالجهاد ان اى بان امنوا بالله وجاهدوا مع
رسوله فان قلت كيف يامرهم بالايمان مع كونهم مؤمنين فهو من باب تحصيل الحاصل
قلت معناه الامر بالدوام على الايمان والجهاد المستقبل وقيل ان الامر بالايمان
متوجه على كل احد في كل ساعة وقيل ان هذا الامر وان كان ظاهره العموم لكن
المراد به الخصوص وهم المنافقون والمعنى اخلصوا الايمان بالله وجاهدوا مع رسوله
وانما قدم الامر بالايمان على الامر بالجهاد لان الجهاد بغير الايمان لا يفيد اصلا
فكانه قيل للمنافقين الواجب عليكم ان تؤمنوا بالله اولا وتجاهدوا مع رسوله
ثانيا حتى يفيد لكم ذلك الجهاد فايدة يرجع عليكم نفعها في الدنيا والاخرة وقوله تعالى
استاذنك اولوا الطول منهم قال ابن عباس يعني اهل الغنا وهم اهل القدرة
والثروة والسعة من المال وقيل هم رؤسا المنافقين وكبراؤهم وفي تخصيص اولي الطول
بالذكر قولان احدهما ان الذم لهم الزم لكونهم قادرين اهلية السفر والجهاد والقول
الثاني انما خص اولوا الطول بالذكر لان العاجز عن السفر والجهاد لا يحتاج الى الاستئذان
وقالوا يعني اولوا الطول ذرنا نكن مع القاعدين يعني في البيوت من النسا والصبيان
وقيل مع المرضى والزمنى رضوا بان يكونوا مع الخوالف قيل الخوالف النسا اللواتي
تخلفن في البيوت فلا يخرجن منها والمعنى رضوا بان يكونوا في تخلفهم عن الجهاد
كالنسا وقيل خوالف جمع خالفة وهم ادنى الناس وسفلتهم يقال فلان خالفة
قومه اذا كان دونهم وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون يعني وختم على قلوب هولا
المنافقين فهم لا يفقهون مراد الله في الامر بالجهاد قوله تعالى لكن الرسول والذين
امنوا معه جاهدوا باموالهم وانفسهم اى بان تخلف هولا ولم يجاهدوا فقد جاهد
من هو خير منهم يعني الرسول والمؤمنين واولئك لهم الخيرات منافع الدارين النصر
والغنيمة في الدنيا والجنة والكرامة في الاخرة وقيل الحور لقوله فيهن خيرات
حسان هي جمع خيرة تخفيف خيرة واولئك هم المفلحون اى الفائزون بالمطالب
وقوله تعالى اعد الله لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك الفوز
العظيم بيان لما لهم من الخيرات الاخروية قوله تعالى وجاء المعذرون من الاعراب
ليؤذن لهم يعني وجاء المعتذرون من الاعراب البوادي الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم يعتذرون اليه في التخلف عن الغزو معه قال الضحاك هم رهط عامر
ابن الطفيل جاءوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم معتذرين اليه دفاعا عن

الفسهم فقالوا يا نبي الله ان نحن غزونا معك تغير اعراب طي على حلايلنا واولادنا و
مواشينا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قد انباني الله من اخباركم وسيغني الله
عنكم وقيل هم نفر من بني غفار رهط خفاف بن ايما بن رحضة وقيل هم من اسد و
غطفان وقال ابن عباس هم الذين تخلفوا بعذر فاذن لهم رسول الله صلى الله عليه
وسلم ومعنى الاية وجا المعذرون اي المقصرون يعني انهم قصروا ولم يبالغوا فيما
اعتذروا به والمعذر من يرى ان له عذرا ولا عذر له وقيل ان الاصل في هذا
اللفظ عند النحاة المعتذرون ادغمت التاء في الذال لقرب مخرجهما والاعتذار
في كلام العرب على قسمين يقال اعتذر اذا كذب في عذره ومنه قوله تعالى يعتذرون
اليكم فرد الله عليهم بقوله قل لا تعتذروا فدل ذلك على فساد عذرهم وكذبهم
فيه ويقال اعتذر اذا اتى بعذر صحيح ومنه قول لبيد ومن يبك حولا كاملا فقد
اعتذر يعني فقد جا بعذر صحيح وقيل هو من التعذير الذي هو التقصير يقال عذر
تعذيرا اذا قصر ولم يبالغ فعلى هذا المعنى يحتمل انهم كانوا صادقين في اعتذارهم
وانهم كانوا كاذبين ومن المفسرين من قال انهم كانوا صادقين بدليل انه تعالى
لما ذكرهم قال بعده وقعد الذين كذبوا الله ورسوله فلما فصل بينهم وميزهم عن
الكاذبين دل ذلك على انهم ليسوا كاذبين ويروى عن ابي عمرو بن العلا انه
لما قيل له هذا الكلام فقال ان اقواما تكلفوا عذرا بباطل فهم الذين عناهم الله تعالى
بقوله وجا المعذرون وتخلف اخرون لا لعذر ولا لشبهة عذر جراة على الله فهو المراد
بقوله وقعد الذين كذبوا الله ورسوله وهم منافقوا الاعراب الذين ما جاوا و ما
اعتذروا وظهر بذلك انهم كذبوا الله ورسوله يعني ادعايهم الايمان سيصيب
الذين كفروا منهم عذاب اليم يعني في الدنيا بالقتل وفي الاخرة بالنار وانما قال منهم
لانه تعالى علم منهم سيؤمن ويخلص في ايمانه فاستثناهم الله من المنافقين الذين اصروا
على الكفر والنفاق وماتوا عليه قوله عز وجل ليس على الضعفا لما ذكر الله عز وجل
المنافقين الذين تخلفوا عن الجهاد واعتذروا باعذار باطلة عقبه بذكر اصحاب
الاعذار الحقيقة الصحيحة وعذرهم واخبر ان فرض الجهاد عنهم ساقط فقال تعالى
ليس على الضعفا والضعيف هو الصحيح في بدنه العاجز عن الغزو وتحمل مشاق السفر
والجهاد مثل الشيوخ والصبيان والنسا ومن خلق في اصل الخلقة ضعيفا نحيفا ويدل
على ان هولا الاصناف هم الضعفا ان الله تعالى عطف عليهم المرضى فقال تعالى ولا على
المرضى والمعطوف مغاير للمعطوف عليه فاما المرضى فيدخل فيهم اهل العمى والعرج
والزمانة وكل من كان موصوفا بمرض يمنعه من التمكن من الجهاد والسفر للغزو ولا على الذين
لا يجدون ما ينفقون يعني الفقرا العاجزين عن اهبة الغزو والجهاد فلا يجدون الزاد
والراحلة والسلاح ومونة السفر لان العاجز عن نفقة الغزو معذور حرج اي ليس

على هولا

على هولا الاصناف الثلاثة حرج اي اثم في التخلف عن الغزو قال الامام فخر الدين الرازي
ليس في الاية انه يحرم عليهم لان الواحد من هولا يجوز لعين المجاهدين بمقدار القدرة
اما بحفظ متاعهم او بتكثير سوادهم بشرط ان لا يجعل نفسه كلا ووبالا عليهم فان
ذلك طاعة مقبولة ثم انه تعالى شرط على الضعفا في جواز التخلف عن الغزو شرطا
معينا وهو قوله تعالى اذا نصحوا لله ورسوله ومعناه انهم اذا قاموا في البلد احترزوا
عن افشا الاراجيف واثارة الفتن وسعوا في ايصال الخير الى اهل المجاهدين الذين
خرجوا الى الغزو وقاموا بمصالح بيوتهم واخلصوا الايمان والعمل لله وتابعوا الرسول
صلى الله عليه وسلم فان جملة هذه الامور تجري مجرى النصح لله ولرسوله ما على
المحسنين من سبيل اي ليس على من احسن فنصح لله ولرسوله في تخلفه عن الجهاد
بعذر قد اباحه الشارع طريق يتطرق عليه فيعاقب عليه والمعنى انه سد باب
طريق العقاب عن نفسه ويستنبط من قوله ما على المحسنين من سبيل ان كل مسلم يشهد
ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله مخلصا من قلبه بان ما عليه سبيل في نفسه
وماله الا ما اباحه الشرع بدليل منفصل والله غفور يعني لمن تخلف عن الجهاد بعذر
ظاهر اباحه الشرع رحيم يعني انه تعالى رحيم بجميع عباده قال قتادة نزلت هذه الاية
في عائذ بن عمرو واصحابه وقال الضحاك نزلت في عبد الله بن ام مكتوم وكان ضرير
البصر ولما ذكر الله عز وجل هذه الاقسام الثلاثة من المعذورين اتبعه بقسم رابع وهو
قوله تعالى ولا على الذين اذا ما اتوك يعني ولا حرج ولا اثم في التخلف عنك على الذين اذا
ما اتوك لتحملهم يعني يسالونك الحملان ليبلغوا الى غزو عدوك وعدوهم والجهاد معك
يا محمد قال ابن اسحاق نزلت في البكائين وكانوا سبعة ونقل الطبري عن محمد بن كعب
وغيره قالوا لما جا ناس من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يستحملونه فقال لا اجد ما احملكم
عليه فانزل الله هذه الاية وهم سبعة نفر من بني عمرو بن عوف سالم بن عمير ومن بني واقف
حرمي بن عمير ومن بني مازن بن النجار عبد الرحمن بن كعب يكنى ابا ليلى ومن بني المعلى
سلمان بن صخر ومن بني حارثة عبد الرحمن بن زيد ابو عبلة وهو الذي تصدق بعرضه
فقبل الله منه ذلك ومن بني سلمة عمرو بن غنمة وعبد الله بن عمرو المزني وقال البغوي
هم سبعة نفر سموا البكائين معقل بن يسار وصخر بن خنسا وعبد الله بن كعب الانصاري
وعلبة بن زيد الانصاري وسالم بن عمير وثعلبة بن غنمة وعبد الله بن مغفل المزني
قالوا اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله ان الله عز وجل قد ندبنا
الى الخروج معك فاحملنا فقال لا اجد ما احملكم عليه وقال مجاهد هم بنو مقرن من مزينة
وكانوا ثلاثة اخوة معقل وسويد والنعمان بنو مقرن وقيل نزلت في العرباض
بن سارية ويحتمل انها نزلت في كل من ذكر قال ابن عباس سالوه ان يحملهم على الدواب
وقيل بل سالوه ان يحملهم على الخفاف المرقوعة والنعال المخصوفة فقال النبي صلى الله عليه وسلم

لا اجد ما احملكم عليه تولوا وهم يبكون ولذلك سموا بالبكائين فذلك قوله تعالى قلت
لا اجد ما احملكم عليه تولوا واعينهم تفيض من الدمع قال صاحب الكشاف هو كقولك
تفيض دمعا وهو ابلغ من يفيض دمعها لان العين جعلت كان كلها دمع فايض
ومن للبيان كقولك افديك من رجل حزنا الا يجدوا ما ينفقون يعني على انفسهم في
الجهاد انما السبيل لما قال الله تعالى ما على المحسنين من سبيل قال في حق من يعتذر ولا
عذر له انما السبيل يعني انما يتوجه الطريق بالعقوبة على الذين يستاذنونك يا محمد في
التخلف عنك والجهاد معك وهم اغنيا يعني قادرين على الخروج معك رضوا بان
يكونوا مع الخوالف يعني رضوا بالدناءة والضيعة والانتظام في جملة الخوالف وهم النسا
والصبيان والمعذورين معهم وطبع الله على قلوبهم يعني ختم عليها فهم لا يعلمون ما في الجهاد
من الخير في الدنيا والاخرة اما في الدنيا فالفوز بالنعمة والظفر بالعدو واما في الاخرة
فالثواب والنعيم الدائم الذي لا ينقطع قوله تعالى يعتذرون اليكم اذا رجعتم اليهم يعني يعتذر
هولا المنافقون المتخلفون عنك يا محمد اليك وانما ذكره بلفظ الجمع تعظيما له صلى الله عليه وسلم
ويحتمل انهم اعتذروا اليه والى المومنين فلهذا قال تعالى يعتذرون اليكم يعني بالاعذار الباطلة
الكاذبة اذا رجعتم اليهم يعني من سفركم قل اي قل لهم يا محمد لا تعتذروا قال البغوي روي
ان المنافقين الذين تخلفوا عن غزوة تبوك كانوا بضعة وثمانين فقال الله تعالى قل لا
تعتذروا لن نومن لكم يعني لن نصدقكم فيما اعتذرتم به قد نبانا الله من اخباركم يعني قد
اخبرنا الله فيما سلف من اخباركم وسيرى الله عملكم ورسوله يعني في المستانف اتتوبون
من نفاقكم ام تقيمون عليه وقيل يحتمل انهم وعدوا بان ينصروا المومنين في المستقبل فلهذا
قال وسيرى الله عملكم ورسوله هل تفوزون بما قلتم ام لا ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة
فينبئكم يعني فيخبركم بما كنتم تعملون لانه هو المطلع على ما في ضمائركم من الخيانة والكذب
واخلاف الوعد قوله عز وجل سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم يعني اذا رجعتم من سفركم اليهم
يعني الى المتخلفين بالمدينة من المنافقين لتعرضوا عنهم يعني لتصفحوا عنهم ولا توبخوهم
بسبب تخلفهم فاعرضوا عنهم يعني فدعوهم وما اختاروا لانفسهم من النفاق وقيل يريد
ترك الكلام يعني لا تكلموهم ولا تجالسوهم فلما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة قال لا
تجالسوهم ولا تكلموهم قال اهل المعاني ان هولا المنافقين اعراض الصفح فاعطوا اعراض
المقت ثم ذكر العلة في سبب الاعراض عنهم فقال تعالى انهم رجس يعني ان بواطنهم
خبيثة نجسة واعمالهم قبيحة وماواهم يعني مسكنهم في الاخرة جهنم جزاء بما كانوا يكسبون
يعني من الاعمال الخبيثة في الدنيا قال ابن عباس نزلت في الجد بن قيس ومعتب بن
قشير واصحابهما وكانوا ثمانين رجلا من المنافقين فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا
تجالسوهم ولا تكلموهم وقال مقاتل نزلت في عبد الله بن ابي حلف للنبي صلى الله عليه وسلم
بالله الذي لا اله الا هو انه لا يتخلف عنه بعدها وطلب من النبي صلى الله عليه وسلم ان يرضى عنه

فانزل الله عز

فانزل الله عز وجل هذه الاية والتي بعدها يحلفون لكم لترضوا عنهم يعني يحلف لكم هولاء المنافقون
لترضوا عنهم فان ترضوا عنهم يعني فان رضيتم عنهم ايها المومنون بما حلفوا لكم وقبلتم
عذرهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين يعني لانه تعالى يعلم ما في قلوبهم من النفاق
والشك فلا يرضى عنهم ابدا قوله تعالى الاعراب اشد كفرا ونفاقا نزلت في سكان البادية
يعني اهل البدو واشد كفرا ونفاقا من اهل الحضر قال اهل اللغة يقال رجل عربي اذا كان
نسبه في العرب وجمعه العرب ورجل اعرابي اذا كان بدويا يطلب مساقط الغيث والكلا
ويجمع الاعرابي على الاعراب والاعاريب ممن استوطن القرى والمدن العربية فهم عرب
ومن نزل البادية فهم الاعراب فالاعرابي اذا قيل له يا عربي فرح بذلك والعربي اذا قيل
له يا اعرابي غضب والعرب افضل من الاعراب لان المهاجرين والانصار وعلما الدين
من العرب والسبب في كون الاعراب اشد كفرا ونفاقا لبعدهم عن مجالسة العلما وسماع
القران والسنن والمواعظ وهو قوله تعالى واجدر يعني واخلق واحرى الا يعلموا اي
بان لا يعلموا حدود ما انزل الله على رسوله يعني الفرايض والسنن والاحكام والله عليم
يعني بما في قلوب عباده حكيم فيما فرض من فرايضه واحكامه ومن الاعراب من يتخذ
ما ينفق مغرما يعني لا يرجوا على النفقة ثوابا ولا يخاف على امساكه عقابا انما ينفق خوفا
او ريا والمغرم التزام ما لا يلزم والمعنى ان من الاعراب من يعتقد ان الذي ينفقه
في سبيل الله غرامة لانه ينفق ذلك خوفا من المسلمين او مراياة لهم ولم يرد بذلك
الا النفاق وجا الله وثوابه ويتربص يعني وينتظر بكم الدواير يعني بالدواير تقلب
الزمان وصروفه التي تاتي مرة بالخير ومرة بالشر قال يمان بن رباب يعني تقلب الزمان
فيموت الرسول ويظهر المشركون عليهم دايرة السوء يعني بل ينقلب عليهم الزمان
ويدور السوء والبلاء والحزن ولا يرون في محمد صلى الله عليه وسلم واصحابه ودينه الا ما
يسوءهم والله سميع يعني لاقوالهم عليم يعني بما يخفون في ضمايرهم من النفاق والغش
وارادة السوء للمومنين نزلت هذه الاية في اعراب اسد وغطفان وتميم ثم استثنا
الله عز وجل فقال تعالى ومن الاعراب من يومن بالله واليوم الاخر قال مجاهد هم
بنو مقرن من مزينة وقال الكلبي هم اسلم وغفار وجهينة ق عن ابي هريرة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ارايتم ان كان جهينة ومزينة واسلم وغفار خيرا من بني
تميم وبني اسد وبني عبد الله بن غطفان ومن بني عامر بن صعصعة فقال رجل
خابوا وخسروا قال نعم هم خير من بني تميم وبني اسد وبني عبد الله بن غطفان ومن
بني عامر بن صعصعة وفي رواية ان الاقرع بن حابس قال للنبي صلى الله عليه وسلم
انما بايعك سراق الحجيج من اسلم وغفار ومزينة واحسبه قال وجهينة فقال النبي
صلى الله عليه وسلم ارايت ان كان اسلم وغفار واحسبه قال وجهينة خيرا من بني
تميم وبني عامر واسد وغطفان قال خابوا وخسروا قال نعم ق عن ابي هريرة

ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اسلم سالمها الله وغفار غفر الله لها زاد مسلم في رواية له
اما اني لم اقلها لكن الله قالها (ق) عن ابي هريرة قال قال النبي صلى الله عليه وسلم قريش والانصار
وجهينة ومزينة واسلم واشجع وغفار موالي ليس لهم مولى دون الله ورسوله وقوله تعالى
ويتخذ ما ينفق قربات عند الله جمع قربة اي الطلب بما ينفق القربة الى الله تعالى وصلوات
الرسول يعني ويرغبون في دعا النبي صلى الله عليه وسلم وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان يدعو للمتصدقين بالخير والبركة ويستغفر لهم ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اللهم
صل على آل ابي اوفى الا انها قربة لهم يحتمل ان يعود الضمير في انها الى صلوات الرسول
ويحتمل ان يعود الى الانفاق وكلاهما قربة عند الله وهذه شهادة من الله تعالى للمؤمن
المتصدق بصحة ما اعتقد من كون نفقته قربات عند الله وصلوات الرسول لقوله
عند الله ان الله اكد ذلك بحرف التنبيه وهو قوله الا وبحرف التحقيق وهو قوله
انها قربة لهم سيدخلهم الله في رحمته وهذه النعمة هي اقصى مرادهم ان الله غفور للمؤمنين
المنفقين في سبيله رحيم يعني بهم حيث وفقهم لهذه الطاعة قوله عز وجل والسابقون
الاولون من المهاجرين والانصار اختلف العلما في السابقين الاولين فقال سعيد
ابن المسيب وقتادة وابن سيرين وجماعة هم الذين صلوا الى القبلتين وقال عطا بن
ابي رباح هم اهل بدر وقال الشعبي هم اهل بيعة الرضوان وكانت بيعة الرضوان بالحديبية
وقال محمد بن كعب القرظي هم جميع الصحابة لانهم حصل لهم السبق بصحبة رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال حميد بن زياد قلت يوما لمحمد بن كعب القرظي الا تخبرني عن اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بينهم واردت الفتن فقال لي ان الله قد غفر لجميعهم
محسنهم ومسيئهم واوجب لهم الجنة في كتابه فقلت له في اي موضع اوجب لهم الجنة
فقال سبحان الله الا تقرا والسابقون الاولون الى اخر الاية فاوجب الله الجنة
لجميع اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم زاد في رواية في قوله والذين اتبعوهم باحسان
قال شرط في السابقين بشريطة وهي ان يتبعوهم في افعالهم الحسنة دون السيئة
قال حميد فكاني لم اقرا هذه الاية قط واختلف العلما في اول الناس اسلاما
بعد اتفاقهم على ان خديجة اول الخلق اسلاما واول من صلى مع النبي صلى الله عليه
وسلم وقال بعض العلما اول من امن بعد خديجة علي بن ابي طالب وهذا قول
جابر بن عبد الله ثم اختلفوا في سنه وقت اسلامه فقيل كان ابن عشر سنين
وقيل اقل من ذلك وقيل اكثر من ذلك وقيل كان بالغا والصحيح انه لم يكن
بالغا وقت اسلامه وقال بعضهم اول من اسلم بعد خديجة ابو بكر الصديق وهذا
قول ابن عباس والنخعي والشعبي وقال الزهري وعروة بن الزبير اول من اسلم بعد خديجة
زيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان اسحاق بن ابراهيم الحنظلي
يجمع بين الروايات فيقول اول من اسلم من الرجال ابو بكر ومن النسا خديجة ومن الصبيان

علي بن

علي بن ابي طالب ومن العبيد زيد بن حارثة رضي الله عنهم فهولا الاربعة
سابقوا الخلق الى الاسلام وقال ابن اسحاق فلما اسلم ابو بكر اظهر اسلامه ودعا
الناس الى الله و الى رسوله وكان رجلا محببا سهلا وكان انسب قريش لقريش
واعلمها بما كان فيها وكان رجلا تاجرا وكان ذا خلق حسن ومعروف وكان
رجال قومه ياتونه ويالفونه لعلمه وحسن مجالسته فجعل يدعو الى الاسلام
من يثق به من قومه فاسلم على يديه عثمان بن عفان والزبير بن العوام و
عبد الرحمن بن عوف وسعد بن ابي وقاص وطلحة بن عبيد الله فجا بهم
الى النبي صلى الله عليه وسلم فاسلموا على يديه وصلوا معه فكان هولا النفر الثمانية
اول من سبق الناس الى الاسلام ثم تتابع الناس بعدهم في الدخول الى الاسلام واما السابقون
من الانصار فهم الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة وهي الاولى
وكانوا ستة نفر سعد بن زرارة وعوف بن مالك ورافع بن مالك بن العجلان
وقطبة بن عامر وجابر بن عبد الله بن رباب ثم اصحاب العقبة الثانية من العام
المقبل كانوا اثني عشر رجلا ثم اصحاب العقبة الثالثة وكانوا سبعين رجلا منهم البرا
ابن معرور وعبد الله بن عمرو بن حرام ابو جابر وسعد بن عبادة وسعد بن الربيع
وسعد بن رواحة فهولا سباق الانصار ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم مصعب
ابن عمير الى اهل المدينة يعلمهم القران فاسلم على يده خلق كثير من الرجال والنسا
والصبيان من اهل المدينة وذلك قبل ان يهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة
وقيل ان المراد بالسابقين الاولين من سبق الى الهجرة والنصرة والذي يدل عليه ان
الله تعالى ذكر كونهم سابقين ولم يبين بماذا سبقوا فبقي اللفظ مجملا فلما قال تعالى
من المهاجرين والانصار وصفهم بكونهم مهاجرين وانصار فوجب صرف المجمل
اليه وهو الهجرة والنصرة والذي يدل عليه ايضا فان الهجرة طاعة عظيمة ومرتبة
عالية من حيث ان الهجرة امر شاق على النفس لمفارقة الوطن والعشيرة وكذلك النصرة مرتبة
عالية ومنقبة شريفة لانهم نصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم على اعدائه واووه ونصروه و
واسوه واووا اصحابه وواسوهم فلذلك اثنى الله عليهم ومدحهم فقال تعالى والسابقون الاولون
من المهاجرين والانصار قوله تعالى والذين اتبعوهم باحسان قيل بقية المهاجرين والانصار
سوى السابقين الاولين فعلى هذا القول يكون الجميع من الصحابة وقيل هم الذين سلكوا
سبيل المهاجرين والانصار في الايمان والهجرة والنصرة الى يوم القيامة قال عطا هم الذين
يذكرون المهاجرين والانصار فيترحمون عليهم ويدعون لهم ويذكرون محاسنهم (ق) عن عمران بن
حصين ان النبي صلى الله عليه وسلم قال خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم قال
عمران فلا ادري اذكر بعده مرتين او ثلاثة عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لا تسبوا اصحابي فلو ان احدا وفي رواية احدكم انفق مثل احد ذهبا ما بلغ مد احدهم

ولا نصيفه اراد بالقرن في الحديث الاول الصحابة والقرن الامة من الناس المتقارب بعضهم
بعضا واختلفوا في مدته من الزمان فقيل من عشر سنين الى عشرين وقيل من مائة الى
مائة وعشرين والمد المذكور في الحديث هو ربع صاع والنصيف نصفه والمعنى لو ان
احدا عمل مهما قدر عليه من اعمال البر والانفاق في سبيل الله ما بلغ هذا القدر اليسير
التافه من اعمال الصحابة وانفاقهم لانهم انفقوا وبذلوا المجهود في وقت الحاجة وقوله تعالى
رضي الله عنهم ورضوا عنه يعني رضي الله اعمالهم ورضوا عنه بما جازاهم عليها من الثواب
وهذا اللفظ عام يدخل فيه الصحابة واعد لهم جنات تجري تحتها الانهار خالدين فيها ابدا
ذلك الفوز العظيم قوله تعالى وممن حولكم من الاعراب منافقون ذكر جماعة من المفسرين
من المتاخرين البغوي والواحدي وابن الجوزي انهم من اعراب مزينة وجهينة واشجع
وغفار واسلم وكانت منازلهم حول المدينة يعني ومن هولاء الاعراب منافق وما ذكره مشكل
لان النبي صلى الله عليه وسلم دعا لهولاء القبايل ومدحهم فان صح نقل المفسرين فيحمل قوله
تعالى وممن حولكم من الاعراب منافقون على القليل فان لفظة على للتبعيض ويحمل دعا
النبي صلى الله عليه وسلم على الاكثر والاغلب وبهذا يمكن الجمع بين قول المفسرين وقول النبي
صلى الله عليه وسلم فيه واما الطبري فانه اطلق القول ولم يعين احدا من القبايل المذكورة
في تفسير هذه الاية من القوم الذين حول مدينتكم ايضا امثالهم قوم منافقون وقال
البغوي ومن اهل المدينة من الاوس والخزرج منافقون مردوا على النفاق فيه
تقديم وتاخير تقديره ومن حولكم من الاعراب ومن اهل المدينة منافقون
مردوا على النفاق اي اعني مردوا عليه يقال تمرد فلان على ربه اذا عتا وتجبر ومنه
الشيطان المارد وتمرد في معصيته اي مرد وثبت عليها واعتادها ولم يتب منها
قال ابن اسحاق لجوا فيه وابوا غيره وقال ابن زيد اقاموا عليه ولم يتوبوا قال
تعالى لا تعلمهم يعني بلغوا في النفاق الى حيث لا تعلمهم يا محمد مع صفا خاطرك
واطلاعك على الاسرار نحن نعلمهم اي يعني لكن نحن نعلمهم لانه لا يخفى علينا
خافية وان دقت سنعذبهم مرتين اختلف المفسرون في العذاب الاول مع
اتفاقهم ان العذاب الثاني هو عذاب القبر بدليل قوله تعالى ثم يردون الى عذاب
عظيم وهو عذاب النار في الاخرة فثبت بهذا انه تعالى يعذب المنافقين ثلاث
مرات مرة في الدنيا ومرة في القبر ومرة في الاخرة اما المرة الاولى وهي التي اختلفوا
فيها فقال الكلبي والسدي قام النبي صلى الله عليه وسلم خطيبا في يوم جمعة فقال
اخرج يا فلان فانك منافق واخرج يا فلان فانك منافق فخرج من المسجد اناس
وفضحهم فهذا هو العذاب الاول والثاني هو عذاب القبر فان صح هذا القول
فيحتمل ان يكون العذاب الذي اعلمه الله حالهم وما هم عليه لان الله تعالى
قال لا تعلمهم نحن نعلمهم ثم بعد ذلك اعلمه وقال مجاهد هذا العذاب الاول

هو القتل والاسر وهذا القول ضعيف لان احكام الاسلام في الظاهر كانت جارية
على المنافق ولم يقتلوا ولم يسبوا وعن مجاهد رواية اخرى انهم عذبوا بالجوع مرتين
وقال قتادة المرة الاولى هي الدبيلة في الدنيا وقد جا تفسيرها في الحديث بانها
خراج من نار يظهر في اكتافهم حتى تنجم من صدورهم يعني تخرج من صدورهم وقال ابن
زيد الاولى المصائب في الاموال والاولاد في الدنيا والاخرى عذاب القبر
وقال ابن عباس الاولى اقامة الحدود عليهم في الدنيا والاخرى عذاب القبر وقال
ابن اسحاق الاولى هي ما يدخل عليهم من غيظ الاسلام ودخولهم فيه كرها غير
حسبة والاخرى عذاب القبر واحدهما ضرب الملايكة وجوههم وادبارهم عند قبض
ارواحهم والاخرى عذاب القبر وقيل الاولى احراق مسجدهم مسجد الضرار والاخرى
احراقهم بنار جهنم فهو قوله تعالى ثم يردون الى عذاب عظيم يعني عذاب جهنم
يخلدون فيه قوله عز وجل واخرون اعترفوا بذنوبهم فيه قولان احدهما انهم قوم
من المنافقين تابوا من نفاقهم واخلصوا وحجة هذا القول ان قوله واخرون عطف
على قوله وممن حولكم من الاعراب منافقون فالعطف يوجبه ويعضده ما نقله
الطبري عن ابن عباس انه قال هم الاعراب والقول الثاني وهو قول جمهور المفسرين
انها نزلت في جماعة من المسلمين من اهل المدينة تخلفوا عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم في غزوة تبوك ثم ندموا على ذلك واختلف المفسرون في عددهم
فروي عن ابن عباس انهم كانوا عشرة منهم ابو لبابة وروي عنه انهم كانوا
خمسة احدهم ابو لبابة وقال سعيد بن جبير وزيد بن اسلم كانوا ثمانية احدهم
ابو لبابة وقيل كانوا ثلاثة ابو لبابة بن عبد المنذر واوس بن ثعلبة ووديعة
ابن خزام وذلك حسن وذلك انهم كانوا تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم في غزوة تبوك ثم ندموا بعد ذلك وتابوا وقالوا نكون في الصلاة مع النسا
ورسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه في الجهاد واللاوا فلما رجع رسول الله صلى الله
عليه وسلم من سفره وقرب المدينة قالوا والله لنوثقن انفسنا بالسواري فلا
نطلقها حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي يطلقها ويعذرنا
فربطوا انفسهم في سواري المسجد فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بهم فراهم
فقال من هولا فقالوا هولا تخلفوا عنك فعاهدوا الله ان لا يطلقوا انفسهم حتى
تكون انت تطلقهم وترضى عنهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا اقسم بالله
لا اطلقهم ولا اعذرهم حتى اومر باطلاقهم رغبوا وتخلفوا عن الغزو مع المسلمين
فانزل الله عز وجل هذه الاية فاطلقهم واعذرهم فلما اطلقوا قالوا يا رسول الله
هذه اموالنا التي خلفتنا عنك خذها فتصدق بها عنا وطهرنا واستغفر لنا فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما امرت ان اخذ من اموالكم شيئا فانزل الله تعالى

خذ من اموالهم صدقة تطهرهم الاية وقال قوم نزلت هذه الاية في ابي لبابة خاصة واختلفوا
في ذنبه الذي تاب عنه فقال مجاهد نزلت في ابي لبابة حين قال لبني قريظة ان نزلتم على
حكمه فهو الذبح واشار الى حلقه فندم على ذلك وربط نفسه بسارية وقال والله لا احل
نفسي ولا اذوق طعاما ولا شرابا حتى اموت او يتوب الله علي فمكث سبعة ايام لا يذوق طعاما
ولا شرابا حتى خر مغشيا عليه فانزل الله هذه الاية فقيل له قد تيب عليك فقال والله لا احل
نفسي حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو يحلني فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فحله
بيده فقال ابو لبابة يا رسول الله ان من توبتي ان اهجر دار قومي التي اصبت فيها الذنب
وان انخلع من مالي كله صدقة الى الله والى رسوله صلى الله عليه وسلم فقال يجزيك الثلث
يا ابا لبابة قالوا جميعا فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلث اموالهم وترك لهم الثلثين
لان الله تعالى قال خذ من اموالهم ولم يقل خذ اموالهم ولان لفظة من تقتضي التبعيض
قال الحسن وقتادة وهولاء الثلثة الذين تخلفوا سوى الذين ربطوا انفسهم واما التفسير للاية فقوله تعالى
واخرون اعترفوا بذنوبهم قال اهل المعاني الاعتراف الاقرار بالشيء ومعناه انهم اقروا
بذنوبهم وفيه دقيقة وهي انهم لم يعتذروا عن تخلفهم باعذار باطلة كغيرهم من المنافقين
ولكن اعترفوا على انفسهم بذنوبهم وندموا على ما فعلوا فان قلت ان الاعتراف بالذنب
لا يكون توبة فاذا اقترن الاعتراف بالندم على الماضي من الذنب والعزم على تركه في المستقبل
فيكون ذلك الاعتراف والندم توبة قوله تعالى خلطوا عملا صالحا واخر سيئا قيل اراد
بالعمل اقرارهم بالذنب وتوبتهم منه والعمل السيء هو تخلفهم عن الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقيل العمل الصالح هو خروجهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى سائر الغزوات والسيء
هو تخلفهم عن غزوة تبوك وقيل ان العمل الصالح يعم جميع البر والطاعة والسيء ما كان
ضده فعلى هذا يكون الاية في حق المسلمين وتحمل على العموم اولى وان كان السبب
مخصوصا بمن تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك وروى الطبري عن ابي
عثمان قال ما في القران اية ارجى عندي من هذه الاية قوله واخرون اعترفوا بذنوبهم
الاية فان قلت قد جعل كل واحد من العمل الصالح والسيء مخلوطا فما المخلوط به قلت
ان الخلط عبارة عن الجمع المطلق فاما قولك خلطوا فانما يحسن في الموضع الذي يمتزج
كل واحد من المختلطين بالاخر ويتغير به من صفته الاصلية كقولك خلطت الماء
باللبن وخلطت الماء واللبن فتكون الواو عبارة عن الباء فيكون معنى الاية على هذا
خلطوا عملا صالحا باخر سيئا ذكره غالب المفسرين وانكره الامام فخر الدين الرازي وقال
لا يليق بهذا الموضع الجمع المطلق لان العمل الصالح والعمل السيء اذا حصلا معا بقي كل واحد
منهما على حاله كما هو مذهبنا فان القول بالاختلاط باطل فالطاعة تبقى موجبة للمدح
والثواب والمعصية تبقى موجبة للذم والعذاب فقوله تعالى خلطوا عملا صالحا واخر سيئا
فيه تنبيه على نفي القول بالمخالطة وانه بقي كل واحد منهما كما كان من غير ان يتاثر احدهما

بالاخر

بالاخر فليس الا الجمع المطلق وقال الواحدي العرب تقول خلطت الماء باللبن وخلطت
الماء واللبن كما تقول جمعت زيدا وعمروا والواو في الاية احسن من الباء لانه اريد
الجمع لا حقيقة الخلط الا ترى ان العمل الصالح لا يختلط بالسيء كما يختلط الماء باللبن
لكن قد يجمع بينهما قوله تعالى عسى الله ان يتوب عليهم قال ابن عباس وجمهور المفسرين
عسى من الله واجب والدليل قوله تعالى فعسى الله ان ياتي بالفتح وقد صح فعل ذلك وقال
اهل المعاني عسى هنا تفيد الطمع والاشفاق لانه ابعد من الاتكال والاهمال وقيل
ان الله تعالى لا يجب عليه شيء بل كل ما يفعله على سبيل التفضل والتطول والاحسان
فذكر لفظة عسى التي هي للترجي والطمع حتى يكون العبد بين الترجي والاشفاق ولكن
هو الى جانب الرجاء منه اقرب لانه ختم الاية بقوله تعالى ان الله غفور رحيم وهذا يفيد
انجاز الوعد قوله تعالى خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها قال ابن عباس
لما اطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا لبابة وصاحبيه انطلق ابو لبابة وصاحباه
فاتوا باموالهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا خذ من اموالنا وتصدق
بها عنا وصل علينا يعني يقولون استغفر لنا وطهرنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا اخذ منها شيئا حتى اومر به فانزل الله عز وجل خذ من اموالهم صدقة الاية وهذا
قول زيد بن اسلم وسعيد بن جبير وقتادة والضحاك ثم اختلف العلماء في المراد
بهذه الصدقة فقال بعضهم هو راجع الى هولاء الذين تابوا وذلك انهم بذلوا اموالهم
صدقة فاوجب الله تعالى اخذها وصار ذلك معتبرا في كمال توبتهم فتكون جارية
في مجرى الكفارة واصحاب هذا القول يقولون ليس المراد بها الصدقة الواجبة وقال
بعضهم ان الزكاة كانت واجبة عليهم فلما تابوا من تخلفهم عن الغزو وحسن
اسلامهم وبذلوا الزكاة امر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم ان ياخذها منهم وقال
بعضهم ان الاية كلام مبتدا والمقصود منها ايجاب اخذها من الاغنياء ودفعها
الى الفقراء وهذا قول اكثر الفقهاء واستدلوا بها على ايجاب اخذ الزكاة اما حجة اصحاب
القول الاول فانهم قالوا ان الايات لا بد وان تكون منتظمة متناسبة ولو حملناها
على اخذ الزكاة الواجبة لم يبق لهذه الاية تعلق بما قبلها ولا بما بعدها ولان جمهور
المفسرين في سبب نزولها انها نزلت في شان التائبين واما اصحاب القول الاخر
فانهم قالوا المناسبة حاصلة ايضا على هذا التقدير وذلك لانهم لما تابوا و
اخلصوا واقروا ان السبب الموجب للتخلف هو حب المال فامروا باخراج
الزكاة التي هي طهرة فلما اخرجوها علم صحة قولهم وصحة توبتهم ولا يمنع من خصوص
السبب عموم الحكم فان قالوا ان الزكاة قدر معلوم لا يبلغ ثلث المال وقد اخذ
منهم ثلث اموالهم قلنا لا يمنع هذا صحة ما قلنا لانهم رضوا ببذل الثلث
من اموالهم فلا يكون راضين باخراج الزكاة اولا ثم في هذه الاية احكام الاول

قوله تعالى خذ من اموالهم صدقة تطهرهم خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم اي يا محمد خذ من اموالهم صدقة فكان النبي صلى الله عليه وسلم ياخذها منهم ايام حياته ثم اخذها الائمة من بعده فيجوز للامام او نايبه ان ياخذ الزكاة من الاغنيا ويدفعها الى الفقرا الحكم الثاني قوله من اموالهم ولفظة من يقتضي التبعيض وهذا البعض الماخوذ غير معلوم ولا مقدر بنص القران فلم يبق الا الصدقة التي بين رسول الله صلى الله عليه وسلم قدرها وصفتها في اخذ الصدقة الحكم الثالث ظاهر قوله خذ من اموالهم صدقة يفيد العموم فتجب الزكاة الحكم الرابع ظاهر قوله تطهرهم ان الزكاة انما وجبت لكونها طهرة من الاثام وصدور الاثام لا يمكن حصولها الا من البالغ دون الصبي فوجب ان تجب الزكاة في مال البالغ دون الصبي وهذا قول ابي حنيفة ثم اجاب اصحاب الشافعي انه لا يلزم من انتفا سبب معين انتفا الحكم مطلقا وللعلما في قوله تطهرهم اقوال الاول ان معناه خذ يا محمد من اموالهم صدقة فانها تطهرهم باخذها من دنس الاثام القول الثاني ان يكون تطهرهم متعلقا بالصدقة تقديره خذ من اموالهم صدقة فانها تطهرهم وانما حسن جعل الصدقة مطهرة لما جا ان الصدقة من اوساخ الناس فاذا اخذت الصدقة فقد اندفعت تلك الاوساخ وكان ذلك الاندفاع جاريا مجرى التطهير فعلى هذا القول يكون قوله تعالى وتزكيهم بها منقطعا عن قوله تطهرهم ويكون التقدير خذ يا محمد من اموالهم صدقة تطهرهم تلك الصدقة وتزكيهم انت بها القول الثالث ان تجعل التاني قوله تطهرهم وتزكيهم ضمير المخاطب ويكون المعنى تطهرهم انت يا محمد باخذها منهم وتزكيهم بواسطة تلك الصدقة القول الرابع ان معناه تطهرهم من ذنوبهم وتزكيهم يعني ترفع منازلهم من منازل المنافقين الى منازل الابرار المخلصين وقيل معناه وتزكيهم اي تنمي اموالهم ببركة اخذها منهم الحكم الخامس قوله تعالى وصل عليهم يعني ادع لهم واستغفر لهم لان اصل الصلاة في اللغة الدعا قال الشافعي السنة للامام اذا اخذ الصدقة ان يدعو للمتصدق فيقول اجرك الله فيما اعطيت وبارك لك فيما ابقيت وقال بعضهم يجب على الامام ان يدعو للمتصدق وقال بعضهم يستحب ذلك وقيل يجب في صدقة الفرض ويستحب في صدقة التطوع وقيل يجب للامام ويستحب للفقير ان يدعو للمعطي وقال بعضهم يستحب ان يقول اللهم صل على محمد ويدل عليه ما روي عن عبد الله بن ابي اوفى وكان من اصحاب الشجرة قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا اتاه قوم بصدقة قال اللهم صل عليهم فاتاه ابي بصدقة فقال اللهم صل على ال ابي اوفى اخرجاه في الصحيحين وقوله تعالى ان صلاتك وقري صلواتك على الجمع سكن لهم يعني ان دعاك رحمة لهم وقال ابن عباس طمانينة وسكن لهم وقيل ان الله قد قبل منهم وقال ابو عبيدة تثبيت لقلوبهم وقيل ان السكن ما سكنت اليه والمعنى ان صلواتك توجب سكون نفوسهم

اليها وان الله قد قبل توبتهم وقيل زكاتهم والله سميع يعني لاقوالهم او لدعائك لهم عليم يعني بنياتهم الم يعلموا ان الله هو يقبل التوبة عن عباده هذه صيغة استفهام الا ان المقصود منه التقرير فبشر الله عز وجل هولا التايبين بقبول توبتهم وصدقاتهم ومعنى الاية الم يعلم هولا الذين تابوا ان الله تعالى يقبل التوبة الصادقة والصدقة الخالصة وقيل ان المراد بهذه الاية غير التايبين ترغيبا لهم في التوبة وبذل الصدقات وذلك انه لما نزلت توبة هولا التايبين قال الذين لم يتوبوا من المتخلفين هولا كانوا معنا بالامس لا يكلمون ولا يجالسون فما لهم اليوم فانزل الله هذه الاية ترغيبا لهم في التوبة وقوله تعالى عن عباده قيل لا فرق بين قوله عن عباده ومن عباده اذ لا فرق بين قولك اخذت هذا العلم عنك ومنك وقيل بينهما فرق ولعل عن في هذا الموضع ابلغ لان فيه تبشير القبول التوبة مع تسهيل سبيلها قوله تعالى وياخذ الصدقات يعني ويقبلها ويثيب عليها وانما ذكر بلفظ الاخذ ترغيبا في بذل الصدقة واعطايها الفقرا وقيل معناه ان الله يقبل الصدقات ويضمن الجزا عليها ولما كان هو المجازي عليها والمثيب بها اسند الاخذ الى نفسه وان كان الفقير والسايل هو الاخذ لها وفي هذا تعظيم امر الصدقات وتشريفها وان الله تعالى يقبلها من عبده المتصدق ق عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تصدق احدكم بصدقة من كسب طيب ولا يقبل الله الا الطيب الا اخذها الرحمن بيمينه فان كانت تمرة فتربوا في كف الرحمن حتى تكون اعظم من الجبل كما يربي احدكم فلوه او فصيله لفظ مسلم وفي لفظ البخاري من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب ولا يصعد الى الله الا الطيب فان الله يقبلها بيمينه ثم يربيها لصاحبها كما يربي احدكم فلوه حتى تكون مثل الجبل واخرجه الترمذي ولفظه ان الله يقبل الصدقة وياخذها بيمينه فيربيها لاحدكم كما يربي احدكم فلوه حتى ان اللقمة لتصير مثل احد وتصديق ذلك في كتاب الله الم يعلموا ان الله هو يقبل التوبة عن عباده وياخذ الصدقات ويمحق الله الربا ويربي الصدقات وقوله من كسب طيب اي حلال وذكر اليمين والكف في الحديث كناية عن قبول الصدقة وان الله قد قبلها من المعطي لان من عادة الفقير والسايل اذا اخذ الصدقة بكف اليمين وكان المتصدق قد وضع صدقته في القبول والاثابة وفي قوله تربوا اي تكبر يقال ربا الشي يربوا اذا زاد وكبر الفلو بضم الفا وفتحها الغتان المهر ما يولد للفرس والفصيل ولد الناقة الى ان يفصل عنها قوله تعالى وان الله هو التواب الرحيم تاكيد لقوله تعالى الم يعلموا ان الله هو يقبل التوبة عن عباده وتبشير لهم وان الله هو التواب الرحيم قوله تعالى وقل اي قل يا محمد لهولا التايبين اعملوا يعني لله بطاعته واداء فرايضه فسيرى الله عملكم ورسوله فيه ترغيب عظيم للمطيعين ووعيد عظيم للمذنبين فكانه قال اجتهدوا في العمل في المستقبل فان الله تعالى

يرى اعمالكم ويجازيكم عليها والمومنون اى ويرى رسوله والمؤمنون اى ويرى اعمالكم
اما روية رسول الله صلى الله عليه وسلم باطلاع الله اياه على اعمالكم واما روية المومنين
فبما يقذف الله عز وجل فى قلوبهم من محبة الصالحين وبغض المفسدين وستردون
الى عالم الغيب والشهادة يعنى وسترجعون يوم القيامة الى من يعلم سركم وعلانيتكم
ولا يخفى عليه شئ من بواطنكم وظواهركم فينبئكم اى فيخبركم بما كنتم تعملون يعنى فى
الدنيا من خير او شر فيجازيكم على اعمالكم واخرون مرجون اى موقوفون لا رجاء
التاخير لامر الله يعنى ليحكم الله فيهم قال بعضهم ان الله تعالى قسم المتخلفين على
ثلاثة اقسام اولهم المنافقون وهم الذين مردوا على النفاق واستمروا عليه والقسم
الثانى التائبون وهم الذين سارعوا الى التوبة بعد ما اعترفوا بذنوبهم وهم ابو لبابة
واصحابه فقبل الله توبتهم والقسم الثالث موقوفون ويوخرون الى ان يحكم الله
فيهم وهو المراد بقوله واخرون مرجون لامر الله والفرق بين القسم الثانى والقسم
الثالث ان القسم الثانى سارعوا الى التوبة فقبل الله توبتهم والقسم الثالث
توقفوا ولم يسارعوا الى التوبة فاخر الله امرهم نزلت هذه الاية فى الذين تخلفوا وهم
كعب بن مالك وهلال بن امية ومرارة بن الربيع وسياتى قصتهم عند قوله تعالى
وعلى الثلاثة الذين خلفوا وذلك انهم ما بالغوا فى التوبة والاعتذار كما فعل ابو لبابة
واصحابه فوقفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسين ليلة ونهى الناس عن كلامهم
وكانوا من اهل المدينة فجعل بعض الناس يقولوا هلكوا وبعضهم يقول عسى الله ان
يتوب عليهم ويغفر لهم وهو قوله تعالى اما يعذبهم واما يتوب عليهم يعنى امرهم الى الله تعالى
ان شاء عذبهم بسبب تخلفهم وان شاء غفر لهم وعفى عنهم والله عليم يعنى بما فى قلوبهم
حكيم يعنى فيما يقضى عليهم قوله عز وجل والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا نزلت فى جماعة من
المنافقين بنوا مسجدا يضارون به مسجد قباء وكانوا اثنى عشر رجلا من اهل النفاق
وديعة بن ثابت وخذام بن خالد ومن داره اخرج هذا المسجد وثعلبة بن حاطب وجارية
ابن عمرو وابناه مجمع وزيد ومعتب بن قشير وعبادة بن حنيف اخو سهل بن حنيف
وابو حبيبة بن الازعر ونبتل بن الحرث وبجاد بن عثمان وبحزج بنوا هذا المسجد ضرارا
يعنى مضارة للمومنين يعنى ليكفروا فيه بالله تعالى ورسوله وتفريقا بين المومنين لانهم
كانوا جميعا يصلون فى مسجد قباء فبنوا مسجد الضرار ليصلى فيه بعضهم فيودى ذلك
الى الاختلاف وافتراق الكلمة وكان يصلى فيه مجمع بن جارية وكان شابا يقرا القرآن
ولم يدر ما ارادوا ببنائه فلما فرغوا من بنائه اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو
يتجهز الى تبوك فقالوا يا رسول الله انا قد بنينا مسجدا فتصلى لنا فيه لانه لذى العلة
والحاجة والليلة المطيرة والليلة الشاتية وانا نحب ان تاتينا وتصلى فيه وتدعو بالبركة
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى على جناح سفر ولو قدمنا ان شاء الله اتيناكم

فضلينا

فصلينا فيه وقوله تعالى وارصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل يعنى انهم بنوا هذا
المسجد للضرار والكفر وبنوه ارصادا يعنى انتظارا واعدادا لمن حارب الله ورسوله
من قبل يعنى من قبل بناء هذا المسجد وهو ابو عامر الراهب والد حنظلة غسيل
الملائكة وكان ابو عامر قد ترهب فى الجاهلية ولبس المسوح وتنصر فلما قدم
النبى صلى الله عليه وسلم المدينة قال له ابو عامر ما هذا الدين الذى جئت به
فقال النبى صلى الله عليه وسلم جئت بالحنيفية دين ابراهيم قال ابو عامر فانا
عليها فقال له النبى صلى الله عليه وسلم انك لست عليها قال ابو عامر بلى ولكنك
ادخلت فى الحنيفية ما ليس فيها قال النبى صلى الله عليه وسلم ما فعلت ولكن جئت
بها بيضاء نقية فقال ابو عامر امات الله الكاذب منا طريدا وحيدا غريبا فقال النبى
صلى الله عليه وسلم امين وسماه الناس ابا عامر الكذاب فلما كان يوم احد قال
ابو عامر الفاسق للنبى صلى الله عليه وسلم لا اجد قوما يقاتلونك الا قاتلتك معهم فلم يزل
كذلك الى يوم حنين فلما انهزمت هوازن يئس ابو عامر وخرج هاربا الى الشام وارسل
الى المنافقين ان استعدوا ما استطعتم من قوة وسلاح وابنوا لى مسجدا فانى ذاهب
الى قيصر ملك الروم فاتى بجند من الروم فاخرج محمدا واصحابه فبنوا مسجد الضرار الى
جانب مسجد قباء فذلك قوله تعالى وارصادا يعنى انتظارا لمن حارب الله ورسوله يعنى
ابا عامر الفاسق ليصلى فيه اذا رجع من الشام من قبل يعنى ان ابا عامر الفاسق حارب
الله ورسوله من قبل بناء المسجد الضرار وليحلفن يعنى الذين بنوا ان اردنا يعنى ما
اردنا ببنائه الا الحسنى يعنى الا الفعلة الحسنى وهو الرفق بالمسلمين والتوسعة على اهل الضعف
والعجز عن الصلاة فى مسجد قباء او مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم والله يشهد انهم لكاذبون
يعنى فى قيلهم وحلفهم روى ان النبى صلى الله عليه وسلم لما انصرف من تبوك راجعا
نزل بذى اوان وهو موضع قريب من المدينة فاتاه المنافقون فسالوه ان
ياتى فى مسجدهم فدعا بقميصه ليلبسه وياتيهم فانزل الله تعالى هذه الاية واخبر خبر
مسجد الضرار وما هموا به فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم مالك بن الدخشم
ومعن بن عدى وعامر بن السكن ووحشيا وقال انطلقوا الى هذا المسجد الظالم
اهله فاهدموه واحرقوه فخرجوا مسرعين حتى اتوا بنى سالم بن عوف وهم
رهط مالك بن الدخشم فقال مالك انظرونى حتى اخرج اليكم بنار فدخل اهله
فاخذ من سعف النخل فاشعله ثم خرجوا يشتدون حتى دخلوا المسجد وفيه اهله
فحرقوه وهدموه وتفرق اهله عنه وامر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يتخذ
ذلك الموضع كناسة تلقى فيه الجيف والنتن والقمامة ومات ابو عامر
الراهب بالشام غريبا وحيدا وروى ان بنى عمرو بن عوف الذين بنوا
مسجد قباء اتوا عمر بن الخطاب فى خلافته فسالوه ان ياذن لمجمع بن جارية

ان يؤمهم في مسجدهم فقال لا ولا نعمة عين اليس هو امام مسجد الضرار فقال مجمع يا امير المؤمنين
لا تعجل علي فوالله لقد صليت فيه وانا لا اعلم ما اضمروا عليه فلو علمت ما صليت
فيه معهم وكنت غلاما قاريا للقران وكانوا شيوخا لا يقرون فصليت بهم ولا
احسب الا انهم يتقربون الى الله ولا اعلم ما في انفسهم فعذره عمر وصدقه
وامره بالصلاة في مسجد قبا قال عطا لما فتح الله على عمر بن الخطاب الامصار امر المسلمين
ان يبنوا المساجد وامرهم ان لا يبنوا في موضع واحد مسجدين يضار احدهما الاخر
وقوله تعالى والله يشهد انهم لكاذبون لا تقم فيه ابدا قال ابن عباس معناه لا تصل
فيه ابدا منع الله نبيه صلى الله عليه وسلم ان يصلي في مسجد الضرار لمسجد اسس على
التقوى اللام فيه لام الابتدا وقيل لام القسم تقديره والله لمسجد اسس يعني اصله
بني ووضع اساسه كان ذلك البنا على التقوى لله عز وجل من اول يوم يعني من
اول يوم بني ووضع اساسه لان ذلك البنا على التقوى احق ان تقوم فيه يعني
مصليا واختلفوا في المسجد الذي اسس على التقوى فقال عمر وزيد بن ثابت وابو سعيد
الخدري هو مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني مسجد المدينة ويدل عليه ما روي عن
ابي سعيد الخدري قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت لبعض نسائه
فقلت يا رسول الله اي المسجد اسس على التقوى قال فاخذ كفا من حصبا فضرب به
الارض ثم قال هو مسجدكم هذا المسجد المدينة اخرجه مسلم ق عن ابي هريرة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة ومنبري على حوضي وعن
عبد الله بن زيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين بيتي ومنبري روضة من
رياض الجنة عن ام سلمة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان قوايم منبري هذا رواتب
في الجنة اخرجه النسائي قوله رواتب يقال رتب بالمكان اذا قام فيه وثبت وفي رواية
عن ابن عباس وعروة بن الزبير وسعيد بن جبير وقتادة انه مسجد قبا ويدل عليه
سياق الاية وهو قوله تعالى فيه رجال يحبون ان يتطهروا ويدل على انهم اهل قبا
ما روي عن ابي هريرة قال نزلت هذه الاية في اهل قبا فيه رجال يحبون ان
يتطهروا والله يحب المطهرين قال كانوا يستنجون بالما فنزلت هذه الاية فيهم اخرجه
ابو داود والترمذي وقال حديث غريب هكذا ذكره صاحب جامع الاصول من
رواية ابي داود والترمذي موقوفا على ابي هريرة ورواه البغوي من طريق ابي داود
مرفوعا عن ابي هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم نزلت هذه الاية في اهل قبا فيه رجال
يحبون ان يتطهروا قال كانوا يستنجون بالما فنزلت فيهم هذه الاية ومما يدل
على فضل مسجد قبا ما روي عن ابن عمر قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يزور
قبا راكبا وماشيا زاد في رواية فيصلي فيه ركعتين وفي رواية ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان ياتي مسجد قبا كل سبت راكبا وماشيا وكان ابن عمر

لعله اخرج الرواية الاولى والزيادة البخاري ومسلم واخرج الرواية الثانية البخاري
عن سهل بن حنيف قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من خرج حتى ياتي هذا
المسجد مسجد قبا فيصلي فيه كان له كعدل عمرة اخرجه النسائي عن اسيد بن ظهير قال ان
النبي صلى الله عليه وسلم قال الصلاة في مسجد قبا كعمرة اخرجه الترمذي وقوله تعالى
فيه رجال يحبون ان يتطهروا يعني من الاحداث والجنابات وساير النجاسات وهذا قول
اكثر المفسرين قال عطا كانوا يستنجون بالما ولا ينامون بالليل على الجنابة عن ابي هريرة
قال نزلت هذه الاية في اهل قبا رجال يحبون ان يتطهروا والله يحب المطهرين
قال كانوا يستنجون بالما فنزلت هذه الاية فيهم اخرجه ابو داود والترمذي وقال
حديث غريب هكذا ذكره صاحب جامع الاصول موقوفا على ابي هريرة ورفعه
البغوي وغيره فقالوا عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم وذكره وروى الطبري
بسنده عن عويم بن ساعدة وكان من اهل بدر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لاهل قبا اني اسمع الله عز وجل قد احسن عليكم الثنا في الطهور فما هذا الطهور
قالوا يا رسول الله ما نعلم شيا الا ان جيرانا لنا من اليهود رايناهم يغسلون
ادبارهم من الغايط فغسلنا كما غسلوا وعن قتادة قال ذكر لنا ان نبي الله صلى
الله عليه وسلم قال لاهل قبا ان الله قد احسن عليكم الثنا في الطهور فما تصنعون
قالوا انا نغسل عنا اثر الغايط والبول وقال الامام فخر الدين الرازي المراد من هذه
الطهارة الطهارة من الذنوب والمعاصي وهذا القول متعين لوجوه الاول ان التطهر
من الذنوب هو المؤثر في القرب الى الله تعالى واستحقاق ثوابه ومدحه الوجه الثاني
ان الله تعالى وصف اصحاب المسجد الضرار بمضارة المسلمين والتفريق بينهم والكفر
بالله وكون هولا يعني اهل قبا بالضد من صفاتهم وما ذلك الا لكونهم مبرين
من الكفر والمعاصي وهي الطهارة الباطنة الوجه الثالث ان طهارة الظاهر انما
تحصل لها اثر عند الله اذا حصلت الطهارة الباطنة من الكفر والنفاق والمعاصي
وقيل يحتمل ان يكون محمول على كلا الامرين يعني طهارة الباطن من الكفر والنفاق
والمعاصي وطهارة الاعضا يعني الظاهر من الاحداث والنجاسات بالما والله يحب
المطهرين فيه مدح لهم وثنا عليهم والرضا عنهم بما اختاروه لانفسهم والمداومة
على محبة الطهارة قوله تعالى افمن اسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان يعني
طلب بنيانه المسجد الذي بناه على تقوى الله ورضاه والمعنى ان الباني لما بني
ذلك البنا كان قصده تقوى الله وطلب رضاه وثوابه خير ام من اسس بنيانه
على شفا جرف هار الشفا هو الشفير وشفا كل شي هو حرفه ومنه يقال
على شفا كذلك اذا دنا منه وقرب ان يقع فيه والجرف المكان الذي اكل الما تحته
فهو الى السقوط قريب قال ابو عبيد الجرف المكان الذي هو المهواة

وماتجرفه السيل من الاودية فيتحفر بالما فيبقى واهيا وقيل من هار يهار اذا انهدم
وسقط وهو الذي تداعى بعضه في اثر بعض كما يهار الرمل والشي الرخو فانهار به
يعني سقط بالبنا في نار جهنم والله لا يهدي القوم الظالمين والمعنى ان بنا هذا
المسجد الضرار كالبنا على شفير جهنم يتهور باهله فيها وهذا مثل ضربه الله تعالى
للمسجدين مسجد الضرار ومسجد التقوى مسجد قبا او مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم
ومعنى المثل افمن اسس بنيانه دينه على قاعدة قوية محكمة وهو الحق الذي
هو تقوى الله ورضوانه خير ممن اسس دينه على اضعف القواعد واقلها بقا
وثباتا وهو الباطل والنفاق الذي مثله مثل بنا على غير اساس ثابت وهو شفا جرف
هار فانهارت به اذا كان كذلك كان اسرع الى السقوط في نار جهنم ولان البنا في الاول
قصد ببنائه تقوى الله ورضوانه فكان بناه اشرف البنا والبنا الثاني قصد ببنائه
الكفر والنفاق واضرار المسلمين فكان بناوه اخس البنا وكان عاقبته الى جهنم قال
ابن عباس صيرهم نفاقهم الى النار وقال قتادة والله ما تناهى بناوهم حتى وقع
في النار ولقد ذكر لنا انه حفرت بقعة منه فروي الدخان يخرج منها وقال جابر بن عبد الله
رايت الدخان يخرج من مسجد الضرار لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة يعني شكا ونفاقا
في قلوبهم والمعنى ان ذلك صار سببا لحصول الريبة في قلوبهم لان المنافقين خرجوا
ببنا مسجدهم فلما امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بتخريبه ثقل ذلك عليهم وازدادوا
غما وحزنا وبغضا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فكان ذلك الريبة في قلوبهم وقيل
انهم كانوا محسنين في بنائه كما حبب العجل الى بني اسرائيل فلما امر رسول الله صلى الله
عليه وسلم بتخريبه بقوا شاكين مرتابين لاي سبب امر بتخريبه وقال السدي لا يزال
هدم بنيانهم ريبة اي حرارة وغيظا في قلوبهم الا ان تقطع قلوبهم اي تجعل قلوبهم
قطعا وتفرق اجزا اما بالسيف واما بالموت والمعنى ان هذه الريبة باقية في قلوبهم
الى ان يموتوا عليها والله عليم يعني باحوالهم واحوال جميع عباده حكيم يعني بما حكم
به عليهم قوله عز وجل ان الله اشترى من المومنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة الاية
قال محمد بن كعب القرظي لما بايعت الانصار رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة وكانوا
سبعين رجلا قال عبد الله بن رواحة اشترط لربك ولنفسك ما شئت قال اشترط لربي
ان تعبدوه ولا تشركوا به شيا واشترط لنفسي ان تمنعوني مما تمنعوا منه انفسكم واموالكم
قالوا اذا فعلنا ذلك فما لنا قال الجنة قالوا ربح البيع لا نقيل ولا نستقيل فنزلت ان
الله اشترى من المومنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة قال ابن عباس بالجنة قال اهل
المعاني لا يجوز ان يشتري الله شيا له في الحقيقة لان المشتري انما يشتري ما لا يملك والاشيا
كلها ملك لله تعالى ولهذا قال الحسن انفسنا هو خلقها واموالنا هو رزقنا اياها
لكن جرى هذا مجرى التلطف في الدعا الى الطاعة والجهاد وذلك لان المومن اذا قاتل

في سبيل الله حتى يقتل او ينفق ماله في سبيل الله عوضه الله الجنة في الاخرة جزا لما فعل
في الدنيا فجعل ذلك استبدالا واشترا فهذا معنى الاشترا من المومنين انفسهم واموالهم
بان لهم الجنة والمراد بالاموال انفاقها في سبيل الله وفي جميع وجوه البر والطاعة
يقاتلون في سبيل الله تفسير لتلك البايعة وقيل فيه معنى الامر اي قاتلوا في سبيل الله
فيقتلون ويقتلون يعني فيقتلون اعدا الله ويقتلون في طاعة الله
وسبيله وعدا عليه حقا يعني ذلك الوعد في التورية والانجيل والقران يعني ان
هذا الوعد الذي وعده الله للمجاهدين في سبيله قد اثبته في التورية والانجيل كما
اثبته في القران وفيه دليل على ان الامر بالجهاد موجود في جميع الشرايع ومكتوب
على جميع اهل الملل ومن اوفى بعهده من الله يعني لا احد اوفى بالعهد من الله
فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به يعني فاستبشروا ايها المومنون بهذا البيع الذي
بايعتم به يعني على الله وذلك هو الفوز العظيم لانه رابح في الاخرة قال عمر ان الله بايعك
جعل الصفقتين لك وقال الحسن اسمعوا الى بيعة ربيحة بايع الله بها كل مومن وعنه
قال الله تعالى اعطاك الدنيا فاشترى الاخرة ببعضها وقال قتادة ثامنهم فاغلى لهم
قوله تعالى التايبون قال الفرا استونف لفظ التايبين بالرفع لتمام الاية الاولى
وانقطاع الكلام وقال الزجاج التايبون رفع بالابتدا وخبره مضمر المعنى التايبون
الى اخره لهم الجنة ايضا من لم يجاهد غير معاند ولا قاصد لترك الجهاد فله الجنة
ايضا وهذا وجه حسن كانه وعد الجنة لجميع المومنين كما قال تعالى وكلا وعد الله
الحسنى ومن جعله تابعا للاول كان الوعد بالجنة خاصا بالمجاهدين الموصوفين بهذه
الصفات فيكون رفع التايبون على المدح يعني المومنين المذكورين في قوله ان الله
اشترى واما التفسير فقوله تعالى التايبون يعني الذين تابوا من الشرك وبرووا من
النفاق وقيل التايبون من كل معصية فيدخل فيه التوبة من الكفر والنفاق
وجميع المعاصي لان لفظ التايبين لفظ عموم فيتناول الكل واعلم ان التوبة
المقبولة انما تحصل بحصول اربعة امور اولها احتراق القلب عند صدور المعصية
وثانيها الندم على فعلها فيما مضى وثالثها العزم على تركها في المستقبل ورابعها ان يكون
الحامل له على التوبة طلب رضوان الله وعبوديته فان كان غرضه بالتوبة تحصيل
مدح الناس له ورفع مذمتهم فليس بمخلص في توبته العابدون يعني المطيعين لله الذين
يرون عبادة الله واجبة عليهم وقيل هم الذين اتوا بالعبادة على افضل وجوه التعظيم
لله تعالى وهي ان تكون العبادة خالصة لله تعالى الحامدون يعني الذين يحمدون الله
تعالى على كل حال في السرا والضرا وروي بغير سند عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال اول من يدعا الى الجنة يوم القيامة الذين يحمدون الله في السرا والضرا وقيل هم
الذين يحمدون الله ويقومون بشكره على جميع نعمه دينا ودنيا السايحون قال ابن مسعود

و ذلك

وابن عباس الصايمون قال سفيان بن عيينة انما سمي الصايم سايحا لتركه اللذات كلها
من المطعم والمشرب والنكاح وقال الازهري قيل للصايم سايح لان الذي يسيح في الارض
متعبدا لا زاد معه وكان ممسكا عن الاكل وكذلك الصايم ممسك عن الاكل وقيل
اصل السياحة استمرار الذهاب في الارض كالما الذي يسيح والصايم مستمر على فعل الطاعة
وترك المنهي وقال عطا السايحون اسم الغزاة المجاهدون في سبيل الله ويدل عليه ما روي
عن عثمان بن مظعون قال قلت يا رسول الله ايذن لنا في السياحة فقال ان سياحة
امتي الجهاد في سبيل الله ذكره البغوي بغير سند وقال عكرمة السايحون هم طلبة العلم
لانهم ينتقلون من بلد الى بلد في طلبه وقيل ان السياحة لها اثر عظيم في تهذيب
النفس وتحسين اخلاقها لان السايح لا بد ان يلقى انواعا من الضر والبوس ولا بد
له من الصبر عليها ويلقى العلما والصالحين في سياحته فيستفيد منهم ويعود عليه
من بركتهم ويرى العجايب واثار بركة الله تعالى فيتفكر في ذلك فيدل على وحدانيته
تعالى وعظيم قدرته الراكعون الساجدون يعني المصلين وانما عبر عن الصلاة
بالركوع والسجود لانهما معظم اركانها وبهما يتميز المصلي عن غير المصلي بخلاف حالة
القيام والقعود لانهما حالة المصلي وغيره الامرون بالمعروف يعني يامرون الناس
بالايمان بالله وحده والناهون عن المنكر يعني الشرك بالله وقيل انهم يامرون
الناس بالحق في اديانهم واتباع الرشد والهدى والعمل الصالح وينهونهم عن كل
فعل قبيح وقول نهى الله عباده عنه او نهى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال الحسن اما انهم لم يامروا الناس بالمعروف حتى كانوا من اهله ولم ينهوا عن
المنكر حتى انتهوا عنه واما دخول الواو في والناهون عن المنكر فان العرب
تعطف بالواو على السبعة ومنه قوله تعالى وثامنهم كلبهم وقوله في صفة الجنة و
فتحت ابوابها وقيل فيه وجه اخر وهو ان الموصوفين بهذه الصفات الست
هم الامرون بالمعروف والناهون عن المنكر فعلى هذا يكون قوله التايبون
الى قوله الساجدون مبتدا خبره هم الامرون بالمعروف والناهون عن المنكر
والحافظون لحدود الله قال ابن عباس يعني القايمين بطاعة الله وقال الحسن
الحافظون لفرايض الله وهم اهل الوفا ببيعة الله وقيل هم المودون فرايض الله
المنتهون الى امر الله ونهيه فلا يضيعون شيا من العمل الذي الزمهم به ولا يركبون
منهيا نهاهم عنه وبشر المومنين يعني وبشر يا محمد المصدقين بما وعدهم الله به
اذا وفوا لله بعهده وانه موف لهم بما وعدهم من ادخال الجنة وقيل وبشر المومنين
من فعل هذه الافعال التسعة وهي قوله تعالى التايبون الى اخر الاية فان لهم
الجنة قوله عز وجل ما كان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا
اولي قربى اختلف اهل التفسير في سبب نزول هذه الاية فقال قوم في شان

ابي طالب

ابي طالب عم النبي صلى الله عليه وسلم والد علي كرم الله وجهه ان النبي صلى الله
عليه وسلم اراد ان يستغفر له بعد موته فنهاه الله عن ذلك ويدل على ذلك
ما روي عن سعيد بن المسيب عن ابيه المسيب بن حزن قال لما حضرت ابا
طالب الوفاة جاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد عنده ابا جهل وعبد الله
ابن ابي امية بن المغيرة فقال اي عم قل لا اله الا الله كلمة احاج لك بها
عند الله فقال ابو جهل وعبد الله بن ابي امية اترغب عن ملة عبد المطلب
فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرضها عليه ويعودان لتلك المقالة
حتى قال ابا طالب اخر كلمة كلمهم انا على ملة عبد المطلب وابى ان يقول
لا اله الا الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاستغفرن لك ما لم انه عنك
فانزل الله ما كان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا
اولي قربى وانزل الله في ابي طالب انك لا تهدي من احببت ولكن الله
يهدي من يشا اخرجاه في الصحيحين فان قلت قد استبعد بعض العلما نزول هذه
الاية في شان ابي طالب وذلك ان وفاته كان بمكة اول الاسلام ونزول هذه
السورة بالمدينة وهي من اخر القران نزولا قلت الذي نزل في ابي طالب
قوله تعالى انك لا تهدي من احببت فقال النبي صلى الله عليه وسلم لاستغفرن
لك ما لم انه عنك كما في الحديث فيحتمل انه صلى الله عليه وسلم كان يستغفر له
في بعض الاوقات الى ان نزلت هذه الاية فمنع من الاستغفار والله اعلم بمراده
م عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمه عند الموت قل
لا اله الا الله اشهد لك بها يوم القيامة فابى فانزل الله انك لا تهدي من
احببت ولكن الله يهدي من يشا الاية وفي رواية قال لولا ان تعيرني قريش
يقولون انما حمله على ذلك الجزع لاقررت بها عينك فانزل الله الاية ق عن
ابي سعيد الخدري انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر عنده عمه ابا طالب
فقال لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة فيجعل في ضحضاح من نار تبلغ كعبيه
يغلي منه ام دماغه وفي رواية يغلي منه دماغه من حرارة نعليه ق عن العباس
ابن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قلت يا رسول الله ما اغنيت
عن عمك فانه كان يحوطك ويغضب لك قال هو في ضحضاح من نار
ولولا انا لكان في الدرك الاسفل من النار وفي رواية قال قلت يا رسول الله
ان عمك ابا طالب كان يحوطك وينصرك فهل ينفعه ذلك قال نعم وجدته
في غمرات من النار فاخرجته الى ضحضاح وقال ابو هريرة وبريدة لما قدم النبي
صلى الله عليه وسلم مكة اتى قبر امه امنة فوقف حتى حميت الشمس رجاء ان
يوذن له فيستغفر لها فنزلت ما كان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين

الاية وروى الطبري بسنده عن بريدة ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم مكة اتى
رسم قال واكثر ظني انه قال قبر فجلس اليه فجعل يخاطب ثم قام مستعبرا فقلنا
يا رسول الله انا راينا ما صنعت قال اني استاذنت ربي في زيارة قبر امي
فاذن لي واستاذنته في الاستغفار لها فلم يوذن لي فما رائي باكيا اكثر من يومئذ
وحكى ابن الجوزي عن بريدة قال النبي صلى الله عليه وسلم مر بقبر امه فتوضى وصلى
ركعتين ثم بكى فبكا الناس لبكائه ثم انصرف اليهم فقالوا ما ابكاك قال مررت
بقبر امي فصليت ركعتين ثم استاذنت ربي ان استغفر لها فنهيت فبكيت
ثم عدت فصليت ركعتين واستاذنت ربي ان استغفر لها فزجرت زجرا فابكاني
ثم دعا براحلته فركبها فما سار الا هنيئة حتى قامت الناقة لثقل الوحي فنزلت ما كان
للنبي والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولي قربى الاية م عن ابي هريرة
قال زار النبي صلى الله عليه وسلم قبر امه فبكى وابكى من حوله فقال استاذنت ربي في ان
استغفر لها فلم يوذن لي واستاذنته في ان ازور قبرها فاذن لي فزوروا القبور
فانها تذكركم الموت وقال قتادة قال النبي صلى الله عليه وسلم لاستغفرن لابي كما استغفر
ابراهيم لابيه فانزل الله هذه الاية وروى الطبري بسنده عنه قال ذكر لنا ان رجالا
من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قالوا يا نبي الله ان من ابائنا من كان يحسن الجوار
ويصل الرحم ويفك العاني ويوفي الذمم افلا نستغفر لهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم
بلى والله لاستغفرن لابي كما استغفر ابراهيم لابيه فانزل الله ما كان للنبي والذين
امنوا ان يستغفروا للمشركين الاية ثم عذر الله ابراهيم فقال وما كان استغفار
ابراهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه الاية عن علي بن ابي طالب قال سمعت
رجلا يستغفر لابويه وهما مشركان فقلت له تستغفر لابويك وهما مشركان
فقال استغفر ابراهيم لابيه وهو مشرك فذكرت للنبي صلى الله عليه وسلم فنزلت ما كان
للنبي والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين الاية اخرجه النسائي والترمذي وقال حديث
حسن اخرجه الطبري وقال فيه فانزل الله عز وجل وما كان استغفار ابراهيم لابيه الا عن
موعدة وعدها اياه فلما تبين له انه عدو لله تبرا منه الاية ومعنى الاية ما كان للنبي
والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين وليس لهم ذلك لان الله لا يغفر للمشركين ولا يجوز
لهم ان يطلب منه ما لا يفعله ففيه النهي عن الاستغفار للمشركين ولو كانوا اولي قربى
لان النهي عن الاستغفار للمشركين علم فيستوي فيه القريب والبعيد ثم ذكر الله
عز وجل سبب المنع فقال تعالى من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم يعني تبين لهم
انهم اصحاب الشرك وماتوا عليه فهم من اصحاب الجحيم وايضا فقد قال تعالى ان الله
لا يغفر ان يشرك به والله لا يخلف وعده اما قوله تعالى وما كان استغفار ابراهيم لابيه
الا عن موعدة وعدها اياه فمعناه وما كان طلب ابرهيم لابيه المغفرة من الله

الا من اجل موعدة وعدها ابراهيم اباه ان يستغفر له رجاء اسلامه قال علي بن ابي طالب لما
انزل الله خبرا عن ابراهيم انه قال سلام عليك ساستغفر لك ربي سمعت رجلا يستغفر
لوالديه وهما مشركان فقلت تستغفر لابويك وهما مشركان فقال اولم يستغفر ابراهيم
لابيه فاتيت النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فانزل الله عز وجل قد كانت لكم
اسوة حسنة في ابراهيم الى قوله الا قول ابراهيم لابيه لاستغفرن لك يعني ان ابراهيم ليس
بقدوة في هذا الاستغفار لانه انما استغفر لابيه وهو مشرك لمكان الوعد الذي وعده
رجاء ان يسلم فلما تبين له انه عدو لله تبرا منه فعلى هذا الهاء في اياه راجعة الى ابراهيم
والوعد كان من ابيه وذلك ان ابا ابراهيم وعد ابراهيم ان يسلم فقال ابراهيم ساستغفر لك
ربي يعني اذا اسلمت وقيل ان الهاء راجعة الى الاب وذلك ان ابراهيم وعد اباه
ان يستغفر له رجاء اسلامه ويوكد هذا قوله ساستغفر لك ربي ويدل عليه ايضا قراءة
الحسن وعدها اباه بالباء الموحدة فلما تبين له انه عدو لله تبرا منه يعني فلما ظهر لابراهيم
وبان له ان اباه عدو لله يعني بموته على الكفر تبرا منه عند ذلك وقيل يحتمل ان الله
اوحى الى ابراهيم ان اباه عدو له فتبرا منه وقيل لما تبين له في الاخرة انه عدو لله
تبرا منه ويدل على ذلك ما روي عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يلقى
ابراهيم عليه السلام اباه ازر يوم القيامة وعلى وجه ازر قترة وغبرة فيقول ابراهيم الم
اقل لك لا تعصني فيقول ابوه فاليوم لا اعصيك فيقول ابراهيم يا رب انك وعدتني
ان لا تخزني يوم يبعثون فاي خزي اخزى من ابي الابعد فيقول الله تعالى اني حرمت الجنة
على الكافرين ثم يقال يا ابراهيم ما تحت رجليك فينظر فاذا هو بذيخ متلطخ فيوخذ بقوائمه
فيلقى في النار اخرجه البخاري زاد غيره فيتبرا منه يومئذ القترة غبرة يعلوها سواد
والذيخ بذال معجمة ثم ياء مثناة من تحت ثم خاء معجمة وهو ذكر الضباع والانثى ذيخة وقوله
تعالى ان ابراهيم لاواه حليم جاء في الحديث ان الاواه الخاشع المتضرع وقال ابن
مسعود الاواه الكثير الدعاء وقال ابن عباس هو المومن التواب وقال الحسن
وقتادة الاواه الرحيم بعباد الله وقال مجاهد الاواه الموقن وقال كعب الاحبار
هو الذي يكثر التاوه وكان ابراهيم عليه السلام يكثر ان يقول اوه من النار
قبل ان لا ينفع اوه وقال عقبة بن عامر الاواه الكثير الذكر لله عز وجل وقال
سعيد جبير هو المسبح وعنه انه المعلم للخير وقال عطا هو الراجع عما يكره الله
الخائف من النار وقال ابو عبيدة هو المتاوه شفقا وفرقا المتضرع يقينا
ولزوما للطاعة قال الزجاج انتظم في قول ابي عبيدة جميع ما قيل في الاواه
واصله من التاوه وهو ان يسمع للصدر صوت بتنفس الصعداء والفعل
منه اوه وهو قول الرجل عند شدة خوفه وحزنه اوه والسبب فيه ان عند
الحزن يحمى الروح داخل القلب ويشتد حرها فالانسان يخرج ذلك النفس المحترق

في القلب ليحو بعض ما به من الحزن والشدة واما الحليم فمعناه ظاهر وهو الصفوح
عمن سبه او اتاه بمكروه ثم يقابله بالاحسان واللطف كما فعل ابراهيم مع ابيه حين
قال له لئن لم تنته لارجمنك فاجابه ابراهيم بقوله سلام عليك ساستغفر لك ربي
وقال ابن عباس الحليم السيد وانما وصف الله عز وجل ابراهيم عليه السلام بهذين الوصفين
وهو شدة الرقة والخوف فالوجل والشفقة على عباد الله فبين الله تعالى انه مع هذه
الجبلة الحميدة تبرا من ابيه لما ظهر له اصراره على الكفر فاقتدوا انتم به في هذه الحالة ايضا
وقوله تعالى وما كان الله ليضل قوما بعد اذ هداهم يعني وما كان الله ليقضي عليكم بالضلال
بسبب استغفاركم لموتاكم المشركين بعد اذ رزقكم الهداية ووفقكم للايمان به وبرسوله
وذلك انه لما منع المومنين من الاستغفار للمشركين وكانوا قد استغفروا لهم قبل
المنع خافوا ما صدر منهم فاعلمهم ان ذلك ليس بضارهم حتى يتبين لهم ما يتقون
يعني ما ياتون وما يذرون ويتقدم اليهم بالنهي عن ذلك الفعل فاما قبل النهي
فلا حرج عليهم في فعله وقيل ان جماعة من المسلمين كانوا قد ماتوا قبل النهي
عن الاستغفار للمشركين فلما سمعوا من ذلك وقع في قلوب المومنين خوف
من مات على ذلك فانزل الله عز وجل هذه الاية وبين انه لا يواخذهم بعمل الا بعد ان
يبين لهم انه يجب عليهم ان يتقوه ويتركوه قال مجاهد بيان الله للمومنين في ترك
الاستغفار للمشركين خاصة وبيانه لهم في معصيته وطاعته عامة قال
الضحاك وما كان الله ليعذب قوما حتى يبين لهم ما ياتون وما يذرون وقال
مقاتل والكلبي هذا في امر المنسوخ وذلك ان قوما قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم
واسلموا قبل تحريم الخمر وصرف القبلة الى الكعبة ورجعوا الى قومهم وهم على ذلك
ثم حرمت الخمر وصرفت القبلة الى الكعبة ولا علم لهم بذلك ثم قدموا بعد ذلك
الى المدينة فوجدوا الخمر قد حرمت والقبلة قد صرفت الى الكعبة فقالوا يا رسول
الله قد كنت على دين ونحن على غيره فنحن ضلال فانزل الله وما كان الله ليضل
قوما بعد اذ هداهم يعني وما كان الله ليبطل عمل قوم قد عملوا بالمنسوخ حتى يتبين
الناسخ ان الله بكل شيء عليم يعني انه تعالى عليم بما خالط نفوسكم من الخوف عند
ما نهاكم عن الاستغفار للمشركين ويعلم ما يبين لكم من اوامره ونواهيه ان الله
له ملك السموات والارض يعني انه تعالى هو القادر على ملك السموات والارض
وما فيهما عبيده وملكه يحكم فيهم بما يشاء يحيي ويميت يعني انه يحيي من يشاء
على الايمان ويميته عليه ويحيي من يشاء على الكفر ويميته عليه لا اعتراض لاحد
عليه في حكمه وعبيده وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير يعني انه تعالى
هو وليكم وناصركم ليس لكم غيره يمنعكم من عدوكم وينصركم عليهم قوله عز وجل
لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار الاية تاب الله يعني تجاوز وصفح

عن النبي صلى الله عليه وسلم ومعنى توبته عليه باذنه للمنافقين بالتخلف عنه في غزوة تبوك
وهو كقوله عفا الله عنك لم اذنت لهم فهو من باب ترك الافضل لا انه ذنب
يوجب عقابا وقال اصحاب المعاني هو مفتاح كلام للتبرك فهو كقوله تعالى
فان لله خمسه ومعنى هذا ان معنى ذكر النبي بالتوبة عليه تشريف للمهاجرين والانصار
في ضم توبتهم الى توبة النبي صلى الله عليه وسلم كما ضم اسم الرسول الى اسم الله في قوله
فان لله خمسه وللرسول فهو تشريف له واما معنى توبة الله على المهاجرين والانصار
فلاجل ما وقع في قلوبهم من الميل الى القعود عن غزوة تبوك لانها كانت في وقت
شديد وربما وقع في قلوب بعضهم انا لا نقدر على قتال الروم وكيف لنا
بالخلاص منهم فتاب الله عليهم وعفا عنهم ما وقع في قلوبهم من هذه الخواطر والوساوس
النفسانية وقيل ان الانسان لا يخلو من زلات وتبعات في مدة عمره اما من باب
الصغاير واما من باب ترك الافضل ثم ان النبي صلى الله عليه وسلم والمومنين معه
لما تحملوا مشاق هذا السفر ومتاعبه وصبروا على تلك الشدائد التي حصلت لهم
في ذلك السفر غفر الله لهم وتاب عليهم لاجل ما تحملوه من الشدائد العظيمة في تلك
الغزوة مع النبي صلى الله عليه وسلم وانما ضم ذكر النبي صلى الله عليه وسلم الى ذكرهم تنبيها
على عظم مراتبهم في الدين وانهم قد بلغوا الى الرتبة التي لاجلها ضم ذكر الرسول صلى
ذكرهم مع
الله عليه وسلم الى الذين اتبعوه في تلك الغزوة من المهاجرين والانصار وقد ذكر
بعض العلماء ان النبي صلى الله عليه وسلم سار الى تبوك في سبعين الفا ما بين
راكب وماش من المهاجرين والانصار وغيرهم من ساير القبايل في ساعة العسرة
يعني في وقت العسرة ولم يرد ساعة بعينها والعسرة الشدة والضيق وكانت
غزوة تبوك تسمى غزوة العسرة والجيش الذي سار جيش العسرة لانه كان
عليهم عسرة في الظهر والزاد والماء قال الحسن كان العشرة منهم يخرجون على
بعير واحد يعتقبونه بينهم يركب الرجل ساعة ثم ينزل فيركب صاحبه كذلك
وكان زادهم التمر المسوس والشعير المتغير وكان النفر منهم يخرجون وما معهم
الا التمرات اليسيرة بينهم فاذا بلغ الجوع من احدهم اخذ التمرة فلاكها حتى
يجد طعمها ثم يخرجها من فيه ويعطيها صاحبه ثم يشرب عليها جرعة من الماء
كذلك حتى ياتي على اخرهم ولا يبقى من التمرة الا النواة فمضوا مع النبي صلى الله
عليه وسلم على صدقهم ويقينهم رضي الله عنهم قال عمر بن الخطاب خرجنا مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم الى تبوك في قيظ شديد فنزلنا منزلا اصابنا فيه عطش شديد حتى
ظننا ان رقابنا ستنقطع وحتى ان الرجل لينحر بعيره فيعصر فرثه فيشربه ويجعل
ما بقي على كبده وحتى ان الرجل كان يذهب يلتمس الماء فلا يرجع حتى يظن ان
رقبته ستنقطع فقال ابو بكر الصديق يا رسول الله ان الله عز وجل عودك في الدعاء

خيرا فادع الله قال اتحب ذلك قال نعم فرفع يديه صلى الله عليه وسلم فلم يرجعهما حتى قالت
السما فاظلت ثم سكبت فملؤا ما معهم من الاوعية ثم ذهبنا ننظر فلم نجدها جاوزت
العسكر اسنده الطبري عن عمر كذلك من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم يعني من
بعد ما قارب ان تميل قلوب بعضهم عن الحق من اجل المشقة والشدة التي نالتهم
والزيغ في اللغة الامالة وقيل هم بعضهم ان يفارق الرسول صلى الله عليه وسلم عند
تلك الشدة التي نالتهم لكنهم صبروا واحتسبوا وندموا على ما خطر في قلوبهم فلاجل ذلك
قال الله تعالى ثم تاب عليهم يعني انه علم اخلاص نيتهم وصدق توبتهم فرزقهم الانابة
والتوبة فان قلت قد ذكر التوبة اولا ثم ذكرها ثانيا فما فائدة التكرار قلت انه تعالى
ذكر التوبة اولا قبل ذكر الذنب بعد ذلك واردفه بذكر التوبة مرة اخرى تعظيما
لشانهم وليعلموا انه تعالى قد قبل توبتهم وعفا عنهم ثم اتبعه بقوله انه بهم رؤف
رحيم تاكيدا لذلك ومعنى الرؤف في صفة الله تعالى انه الرفيق بعباده لانه لم يحملهم ما لا
يطيقون من العبادات وبين الرؤف والرحيم فرق لطيف وان تقاربا في المعنى قال
الخطابي قد تكون الرحمة مع الكراهة للمصلحة ولا تكاد الرافة تكون في الكراهة قوله تعالى
وعلى الثلاثة الذين خلفوا هذا معطوف على ما قبله تقديره لقد تاب الله على النبي
والمهاجرين والانصار وعلى الثلاثة الذين خلفوا وفائدة هذا العطف بيان قبول
توبتهم وهم كعب بن مالك وهلال بن امية ومرارة بن الربيع وكلهم من الانصار
وهم المرادون بقوله تعالى واخرون مرجون لامر الله وفي معنى خلفوا قولان احدهما
انهم خلفوا عن توبة ابي لبابة واصحابه فتاب الله على ابي لبابة واصحابه واخر
امر هولا الثلاثة مدة ثم تاب عليهم بعد ذلك والقول الثاني انهم خلفوا عن
غزوة تبوك ولم يخرجوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها واما حديث توبة
كعب بن مالك وصاحبيه فقد روي عن ابن شهاب الزهري قال اخبرني عبد
الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك ان عبد الله بن كعب وكان قائد كعب
من بنيه حين عمي قال وكان اعلم قومه واوعاهم لحديث رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال سمعت كعب بن مالك يحدث حديثه حين تخلف عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم في غزوة تبوك قال كعب لم اتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
في غزوة غزاها قط الا في غزوة تبوك غير اني قد تخلفت في غزوة بدر ولم يعاتب
احدا تخلف عنها انما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون يريدون عير
قريش حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد ولقد شهدت مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم العقبة حين تواثقنا على الاسلام وما احب ان لي بها مشهد
بدر وان كان بدر اذكر في الناس وكان من خبري حين تخلفت عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم في غزوة تبوك اني لم اكن قط اقوى ولا ايسر مني حين تخلفت عنه في

تلك الغزوة

تلك الغزوة فوالله ما جمعت قبلها راحلتين قط حتى جمعتهما في تلك الغزوة
ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد غزوة الا ورى بغيرها حتى كانت تلك
الغزوة فغزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في حر شديد واستقبل سفرا بعيدا
ومفازا واستقبل عدوا كثيرا فجلا للمسلمين امرهم ليتاهبوا اهبة غزوهم فاخبرهم
بوجههم الذي يريد والمسلمون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير لا يجمعهم
كتاب حافظ يريد بذلك الديوان قال كعب فقل رجل يريد ان يتغيب
الا ظن ان ذلك سيخفى ما لم ينزل فيه وحي من الله عز وجل وغزا رسول الله
صلى الله عليه وسلم تلك الغزوة حين طابت الثمار والظلال وانا اليها اصعر
فتجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون معه وطفقت اغدو لكي اتجهز
معهم فارجع ولم اقض شيا واقول في نفسي انا قادر على ذلك اذا اردت فلم يزل
ذلك يتمادى حتى استمر بالناس الجد فاصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم غاديا
والمسلمون معه ولم اقض من جهازي شيا ثم غدوت فرجعت ولم اقض شيا
فلم يزل ذلك يتمادى حتى اسرعوا وتفارط الغزو فهممت ان ارتحل فادركهم
فيا ليتني فعلت ثم لم يقدر لي ذلك فطفقت اذا خرجت في الناس بعد خروج
رسول الله صلى الله عليه وسلم يحزنني اني لا ارى لي اسوة الا رجلا مغموصا عليه
في النفاق او رجلا ممن عذر الله من الضعفا ولم يذكرني رسول الله صلى الله
عليه وسلم حتى بلغ تبوك فقال وهو جالس في القوم بتبوك ما فعل كعب بن
مالك فقال رجل من بني سلمة يا رسول الله حبسه برداه والنظر في عطفيه فقال له
معاذ بن جبل بيس ما قلت والله يا رسول الله ما علمنا عليه الا خيرا فسكت
رسول الله صلى الله عليه وسلم فبينما هو كذلك راى رجلا مبيضا يزول به السراب
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كن ابا خيثمة فاذا هو ابو خيثمة الانصاري
وهو الذي تصدق بصاع التمر حين لمزه المنافقون قال كعب فلما بلغني ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قد توجه قافلا من تبوك حضرني بثي فطفقت
اتذكر الكذب واقول بما اخرج من سخطه غدا واستعنت على ذلك بكل ذي راي
من اهلي فلما قيل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اظل قادما زاح عني الباطل
حتى عرفت اني لن انجو منه بشي ابدا فاجمعت صدقه واصبح رسول الله صلى
الله عليه وسلم قادما وكان اذا قدم من سفر بدا بالمسجد فركع فيه ركعتين ثم جلس
للناس فلما فعل ذلك جاءه المخلفون فطفقوا يعتذرون اليه ويحلفون له وكانوا
بضعة وثمانين رجلا فقبل منهم علانيتهم وبايعهم واستغفر لهم ووكل سرائرهم الى الله
حتى جيت فلما سلمت تبسم تبسم المغضب ثم قال تعال فجيت امشي حتى جلست
بين يديه فقال ما خلفك الم تكن قد ابتعت ظهرك قلت يا رسول الله اني لو جلست

عند غيرك من اهل الدنيا لرايت اني ساخرج من سخطه بعذر لقد اعطيت جدلا
ولكني والله لقد علمت لين حدثتك اليوم حديث كذب ترضى به عني ليوشكن
الله ان يسخطك علي ولين حدثتك حديث صدق تجد علي فيه لارجوا فيه عقبى
الله وفي رواية عفو الله عز وجل والله ما كان لي من عذر والله ما كنت قط
اقوى ولا ايسر مني حين تخلفت عنك قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اما هذا فقد صدق فقم حتى يقضي الله فيك فقمت وثار رجال من بني سلمة
فاتبعوني فقالوا لي والله ما علمناك اذنبت ذنبا قبل هذا لقد عجزت
في ان لا تكون اعتذرت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بما اعتذر اليه المخلفون
فقد كان كافيك ذنبك استغفار رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فوالله ما زالوا
يونبونني حتى اردت ان ارجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاكذب نفسي قال
ثم قلت لهم هل لقي هذا معي من احد قالوا نعم لقيه معك رجلان قالا مثل ما
قلت وقيل لهما مثل ما قيل لك قلت من هما قالوا مرارة بن الربيع العامري
وهلال بن امية الواقفي قال فذكروا لي رجلين صالحين قد شهدا بدرا فيهما
اسوة قال ومضيت حين ذكروهما لي قال ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن كلامنا ايها الثلاثة من بين من تخلف عنه قال فاجتنبنا الناس او قال
تغيروا لنا حتى تنكرت في نفسي الارض فما هي بالارض التي اعرف فلبثنا على
ذلك خمسين ليلة فاما صاحباي فاستكانا وقعدا في بيوتهما يبكيان واما
انا فكنت اشب القوم واجلدهم فكنت اخرج فاشهد الصلاة واطوف في
الاسواق فلا يكلمني احد واتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسلم عليه وهو
في مجلسه بعد الصلاة فاقول في نفسي هل حرك شفتيه برد السلام ام لا ثم اصلي قريبا
منه واسارقه النظر فاذا اقبلت على صلاتي نظر الي فاذا التفت نحوه اعرض
عني حتى اذا طال علي ذلك من جفوة المسلمين مشيت حتى تسورت جدار
حايط ابي قتادة وهو ابن عمي واحب الناس الي فسلمت عليه فوالله ما رد
السلام فقلت يا ابا قتادة انشدك بالله هل تعلمني احب الله ورسوله قال فسكت
فعدت فناشدته فسكت فعدت فناشدته فقال الله ورسوله اعلم ففاضت
عيناي وتوليت حتى تسورت الجدار فبينا انا امشي في سوق المدينة اذا نبطي
من نبط اهل الشام ممن قدم بطعام يبيعه بالمدينة يقول من يدل على كعب بن
مالك قال فطفق الناس يشيرون له الي حتى جاءني فدفع الي كتابا من ملك
غسان وكنت كاتبا فقراته فاذا فيه اما بعد فانه قد بلغنا ان صاحبك
قد جفاك ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة فالحق بنا نواسك قال
فقلت حين قراتها وهذه ايضا من البلاء فتيممت بها التنور فسجرتها حتى اذا

مضت

مضت اربعون من الخمسين واستلبث الوحي واذا رسول رسول الله صلى الله عليه
وسلم ياتيني فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يامرك ان تعتزل امراتك
فقلت اطلقها ام ماذا افعل قال لا بل اعتزلها فلا تقربها قال وارسل الى صاحبي
مثل ذلك قال فقلت لامراتي الحقي باهلك فكوني عندهم حتى يقضي الله في هذا
الامر قال فجاءت امراة هلال بن امية رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول
الله ان هلال بن امية شيخ ضايع ليس له خادم فهل تكره ان اخدمه قال لا ولكن
لا يقربنك فقالت انه والله ما به من امره ما كان الى يومه هذا قال فقال لي بعض
اهلي لو استاذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم في امراتك فقد اذن لامراة هلال بن
امية ان تخدمه قال فقلت لا استاذن فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يدريني
ما يقول لي رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا استاذنته فيها وانا رجل شاب قال
فلبثت بذلك عشر ليال فكمل لنا خمسون ليلة من حين نهي عن كلامنا قال ثم
صليت صلاة الفجر صباح خمسين ليلة على ظهر بيت من بيوتنا فبينا انا جالس على
الحال التي ذكر الله عز وجل عنا قد ضاقت علي نفسي وضاقت علي الارض بما رحبت
سمعت صوت صارخ اوفى على سلع يقول باعلى صوته يا كعب بن مالك ابشر
فخررت ساجدا وعلمت ان قد جاء فرج قال واذن رسول الله صلى الله عليه وسلم
الناس بتوبتنا فذهب قبل صاحبي مبشرون وركض رجل الي فرسا وسعى ساع
من اسلم قبلي واوفى على الجبل فكان الصوت اسرع من الفرس فلما جاءني الذي سمعت
صوته يبشرني نزعت له ثوبي فكسوتهما اياه ببشارته والله ما املك غيرهما
يومئذ واستعرت ثوبين فلبستهما وانطلقت اتامم رسول الله صلى الله عليه
وسلم يتلقاني الناس فوجا فوجا يهنئوني بالتوبة ويقولون لتهنك توبة الله
عليك حتى دخلت المسجد فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم حوله الناس فقام
طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صافحني وهناني والله ما قام رجل من المهاجرين
غيره قال فكان كعب لا ينساها لطلحة قال كعب فلما سلمت على رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال وهو يبرق وجهه من السرور ابشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك
امك قال قلت امن عندك يا رسول الله ام من عند الله فقال بل من عند الله
وكان رسول الله اذا سر استنار وجهه حتى كان وجهه قطعة قمر قال وكنا نعرف
ذلك منه فلما جلست بين يديه قلت يا رسول الله ان من توبتي ان انخلع
من مالي صدقة الى الله والى رسوله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم امسك
بعض مالك فهو خير لك قال فقلت فاني امسك سهمي الذي بخيبر قال
وقلت يا رسول الله ان الله انما انجاني بالصدق وان من توبتي ان لا احدث
الا صدقا ما بقيت قال فوالله ما علمت احدا من المسلمين ابلاه الله في صدق

الحديث منذ ذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم احسن مما ابلاني الله والله ما
تعمدت كذبة منذ قلت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم الى يومي هذا واني لارجو
ان يحفظني الله فيما بقي قال فانزل الله عز وجل لقد تاب الله على النبي والمهاجرين و
الانصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة انه بهم رؤف رحيم وعلى الثلاثة الذين
خلفوا حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت حتى بلغ اتقوا الله وكونوا مع الصادقين
قال كعب والله ما انعم الله علي من نعمة قط بعد ان هداني للاسلام اعظم في نفسي
من صدقي رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لا اكون كذبته فاهلك كما هلك
الذين كذبوا ان الله عز وجل قال للذين كذبوا حين انزل الوحي شر ما قال لاحد فقال
الله سبحانه وتعالى سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم لتعرضوا عنهم فاعرضوا
عنهم انهم رجس ومأواهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون يحلفون لكم لترضوا عنهم
فان ترضوا عنهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين قال كعب كنا خلفنا ايها
الثلاثة عن امر اولئك الذين قبل منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين حلفوا له
فبايعهم واستغفر لهم وارجا رسول الله صلى الله عليه وسلم امرنا حتى قضى الله تعالى فيه
بذلك قال الله تعالى وعلى الثلاثة الذين خلفوا وليس الذي ذكر مما خلفنا عن الغزو
وانما هو تخليفه ايانا وارجاوه امرنا عمن حلف له واعتذر اليه وفي رواية ونهى
النبي صلى الله عليه وسلم عن كلامي وكلام صاحبي ولم ينه عن كلام احد من المتخلفين
غيرنا فاجتنب الناس كلامنا فلبثت كذلك حتى طال علي الامر وما من شيء اهم الي
من ان اموت فلا يصلي علي النبي صلى الله عليه وسلم او يموت رسول الله صلى الله عليه
وسلم فاكون من الناس بتلك المنزلة فلا يكلمني احد منهم ولا يسلم علي ولا يصلي علي
قال فانزل الله عز وجل توبتنا على نبيه صلى الله عليه وسلم حين بقي الثلث الاخر
من الليل ورسول الله صلى الله عليه وسلم عند ام سلمة وكانت ام سلمة محسنة في
شاني معنية بامري فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ام سلمة تيب على كعب
ابن مالك قالت افلا ارسل اليه فابشره قال اذا يحطمكم الناس فيمنعونكم النوم
ساير الليل حتى اذا صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الفجر اذن رسول الله صلى
الله صلى الله عليه وسلم بتوبة الله علينا اخرجه البخاري ومسلم **شرح غريب هذا
الحديث** قوله حين تواثقنا على الاسلام التوثق تفاعل من الميثاق وهو العهد
والراحلة الجمل والناقة القويتان على الحمل والسفر وقوله ورى بغيرها يقال
ورى عن الشيء كذا اذا اخفاه واظهر غيره والمفازة البرية القفر سميت بذلك
تفاؤلا بالفوز والنجاة منها قوله فجلا هو بالتخفيف يعني كشف لهم مقصدهم
واظهره لهم والاهبة الجهاز وما يحتاج اليه المسافر قوله وانا اليها اصعر هو
بالعين المهملة اي اميل والصعر الميل قوله وتفارط الغزو اي تباعد ما بينه

وبين الجيش

وبين الجيش من المسافة وطفق مثل جعل والمغموص المعيب المشار اليه بالعيب
يقال فلان ينظر في عطفيه اذا كان معجبا بنفسه يقال زال به السراب يزول اذا
ظهر شخصه الان خيالا فيه من البعد والسراب هو ما يظهر للانسان في البرية في
وقت الهاجرة كانه ماء والمبيض بكسر الياء لابس البياض كن ابا خيثمة معناه
انت ابو خيثمة وقيل معناه اللهم اجعله ابا خيثمة اي ليوجد هذا الشخص ابا خيثمة
حقيقة الذي لمزه المنافقون يعني عابوه واحتقروه والقافل الراجع من سفره
الى وطنه قوله حضرني بثي البث اشد الحزن كانه لشدته يظهره بثه صاحبه
اي يظهره وزاح عني الباطل اي زال وذهب عني واجمعت صدقه اي عزمت
عليه لقد اعطيت جدلا اي فصاحة وقوة في الكلام بحيث اخرج عن عهدة ما
اوردت بما اشاء من الكلام والمغضب بفتح الضاد هو الغضبان
قالوا فما زالوا يؤنبونني اي يلومونني اشد اللوم قوله حتى تنكرت في نفسي
الارض فما هي بالارض التي اعرف معناه تغير علي كل شيء من الارض وتوحشت
علي وصارت كانها ارض لا اعرفها وقوله فاما صاحباي فاستكانا يعني خضعا
وسكنا قوله تسورت حائط ابي قتادة اي علوته وصعدت سوره وهو علوه
والانباط الفلاحون والزارعون وهم من العجم او الروم والصنيعة فعيلة من
الضياع والاطراح قوله فتيممت بها التنور فسجرتها اي قصدت بالصحيفة التي
ارسل بها ملك غسان فاحرقتها في التنور وسلع جبل معروف بالمدينة
وقوله فانطلقت اتامم يعني اقصد رسول الله صلى الله عليه وسلم والفوج الجماعة
من الناس يقال برق وجهه اذا لمع وظهر عليه امارات الفرح والسرور وقوله
انخلع من مالي اي اخرج منه جميعه واتصدق به كما يخلع الانسان قميصه قوله
ما علمت احدا من المسلمين ابلاه في صدق الحديث احسن مما ابلاني البلاء
والابتلاء يكون في الخير وفي الشر فقيد به كما قيد هنا بقوله احسن مما ابلاني
اي انعم علي قوله ان لا اكون كذبته هكذا هو في جميع روايات الحديث بزيادة
لفظ لا قال العلماء لفظة لا زائدة ومعناه ان اكون كذبته وقوله فاهلك وهو
بكسر اللام وارجاوه امرنا تاخيره وقوله في الرواية الاخرى يحطمكم الناس
اي يطاوكم ويزدحمون عليكم واصل الوطء الكسر وقوله ساير الليل يعني
باقي الليل وقوله واذن بتوبة الله علينا اي اعلم والاذان الاعلام والله
اعلم وقوله عز وجل حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت يعني بما اتسعت
والرحب سعة المكان والمعنى انه ضاق عليهم المكان بعد ان كان واسعا
وضاقت عليهم انفسهم يعني من شدة الغم والحزن ومجانبة الناس اياهم وترك
كلامهم وظنوا يعني ايقنوا وعلموا ان لا ملجا يعني لا مفزع ولا مفر من الله الا اليه

ولا عاصم من عذابه الا هو ثم تاب عليهم فيه اضمار وحذف تقديره وظنوا ان لا
ملجأ من الله الا اليه فرحمهم ثم تاب عليهم وانما حسن هذا الحذف لدلالة الكلام
عليه وقوله ثم تاب عليهم تأكيد لقبول توبتهم لانه قد تقدم ذكر توبتهم في قوله وعلى
الثلاثة الذين خلفوا لما تقدم بيانه وانه عطف على قوله لقد تاب الله على النبي
والمهاجرين والانصار وتاب الله على الثلاثة الذين خلفوا وقوله ليتوبوا معناه
ان الله تاب عليهم في الماضي ليكون ذلك داعيا لهم الى التوبة في المستقبل ويدوموا
عليها وقيل ان اصل التوبة الرجوع ومعناه ثم تاب عليهم ليرجعوا الى حالهم الاول
وعادتهم في الاختلاط بالناس ومكالمتهم فتسكن نفوسهم بذلك ان الله هو التواب
يعني على عباده الرحيم بهم وفيه دليل على ان قبول التوبة بمحض الرحمة والكرم والفضل
والاحسان وانه لا يجب على الله شئ قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا اتقوا الله يعني
في مخالفة امر رسول الله صلى الله عليه وسلم وكونوا مع الصادقين يعني مع النبي صلى الله عليه
وسلم واصحابه في الغزوات ولا تكونوا مع المتخلفين الذين قعدوا في البيوت وتركوا
الغزو وقال سعيد بن جبير مع الصادقين يعني ابي بكر وعمر وقال ابن جريج مع المهاجرين
وقال ابن عباس مع الذين صدقت نياتهم واستقامت قلوبهم واعمالهم وخرجوا مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم الى تبوك باخلاص نية وقيل كونوا مع الذين صدقوا
في الاعتراف بالذنب ولم يعتذروا بالاعذار الباطلة الكاذبة وهذه الاية تدل على
فضيلة الصدق لان الصدق يهدي الى الجنة والكذب الى الفجور كما ورد في الحديث
وقال ابن مسعود الكذب لا يصلح في جد ولا هزل ولا ان يعد احدكم صاحبه شيئا ثم لا
ينجز له اقرؤوا ان شئتم وكونوا مع الصادقين وروي ان ابا بكر الصديق احتج بهذه
الاية على الانصار في يوم السقيفة وذلك ان الانصار قالوا منا امير ومنكم امير
فقال ابو بكر يا معشر الانصار ان الله يقول في كتابه للفقراء المهاجرين الى قوله اولئك
هم الصادقون من هم قالت الانصار انتم هم فقال ابو بكر ان الله تعالى يقول يا ايها الذين
امنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين فامركم ان تكونوا معنا ولم يامرنا ان نكون
معكم نحن الامراء وانتم الوزراء وقيل مع بمعنى من والمعنى يا ايها الذين امنوا اتقوا الله
وكونوا من الصادقين قوله تعالى ما كان لاهل المدينة يعني لساكني المدينة من المهاجرين
والانصار ومن حولهم من الاعراب يعني سكان البوادي مزينة وجهينة واسلم واشجع
وغفار وقيل هو عام في كل الاعراب لان اللفظ عام وحمله على العموم اولى ان
يتخلفوا عن رسول الله يعني اذا غزا وهذا ظاهره خبر ومعناه النهي اي ليس لهم
ان يتخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يرغبوا يعني ولا ان يرغبوا بانفسهم
عن نفسه يعني ليس لهم ان يكرهوا لانفسهم ما يختار رسول الله صلى الله عليه وسلم ويرضاه
لنفسه ولا يختاروا لانفسهم الخفض والدعة ويتركوا مصاحبته والجهاد معه في حال

الشدة

الشدة والمشقة وقال الحسن لا يرغبوا بانفسهم ان يصيبهم من الشدائد فيختاروا
الخفض والدعة ورسول الله صلى الله عليه وسلم في مشقة السفر ومقاساة التعب
ذلك بانهم لا يصيبهم في سفرهم وغزوهم ظمأ اي عطش ولا نصب اي تعب ولا مخمصة
اي مجاعة شديدة في سبيل الله ولا يطئون موطئا يغيظ الكفار يعني ولا يضعون قدما
على الارض يكون ذلك القدم سببا لغيظ الكفار وغمهم وحزنهم ولا ينالون
من عدو نيلا يعني اسرا وقتلا الا كتب لهم به عمل صالح يعني الا كتب الله لهم بذلك
ثواب عمل صالح قد ارتضاه الله لهم وقبله منهم ان الله لا يضيع اجر المحسنين يعني
ان الله لا يدع محسنا من خلقه قد احسن في عمله واطاعه فيما امره به او نهاه عنه ان يجازيه
على احسانه وعمله الصالح وفي الاية دليل على ان من قصد طاعة الله كان قيامه و
قعوده ومشيته وحركته وسكونه كلها حسنات مكتوبة عند الله وكذا القول في قصد المعصية
فان حركته فيها كلها سيئات الا ان يغفرها الله بفضله وكرمه واختلف العلماء في حكم هذه الاية
فقال قتادة هذه خاصة لرسول الله صلى الله عليه وسلم اذا غزا بنفسه لم يكن لاحد ان
يتخلف عنه الا بعذر فاما غيره من الائمة والولاة فيجوز لمن شاء من المؤمنين ان يتخلف
عنه اذا لم يكن للمسلمين اليه ضرورة وقال الوليد بن مسلم سمعت الاوزاعي وابن
مبارك وابن جابر وسعيد بن العزيز يقولون في هذه الاية واخرها فعلى هذا تكون
محكمة لم تنسخ وقال ابن زيد هذا حين كان اهل الاسلام قليلا فلما كثروا نسخها الله عز
وجل واباح التخلف لمن شاء بقوله وما كان المؤمنون لينفروا كافة ونقل الواحدي
عن عطية انه قال وما كان لهم ان يتخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دعاهم
وامرهم قال الواحدي هذا هو الصحيح لانه تتعين الطاعة والاجابة لرسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا امر وكذا غيره من الائمة والولاة اذا ندبوا وعينوا لانا لو سوغنا للمندوب ان
يتقاعد ولم يختص بذلك بعض دون بعض لادى ذلك الى تعطيل الجهاد والله
اعلم وقوله عز وجل ولا ينفقون يعني في سبيل الله نفقة صغيرة ولا كبيرة يعني تمرة
فما دونها او اكثر منها حتى علاقة سوط ولا يقطعون واديا يعني ولا يجاوزون في
مسيرهم واديا مقبلين او مدبرين فيه الا كتب لهم يعني كتب الله لهم اثارهم وخطاهم
ونفقاتهم ليجزيهم الله احسن ما كانوا يعملون قال الواحدي معناه باحسن ما كانوا
يعملون قال الامام فخر الدين فيه وجهان الاول ان الاحسن من صفة فعلهم وفيها
الواجب والمندوب والمباح فالله تعالى يجزيهم على الاحسن وهو الواجب والمندوب
دون المباح والثاني ان الاحسن صفة للجزاء اي يجزيهم جزاء هو احسن من اعمالهم واجل
وافضل وهو الثواب وفي الاية دليل على فضل الجهاد وانه من احسن اعمال
العباد (ق) عن سهل بن سعد الساعدي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها وموضع سوط احدكم من الجنة خير من الدنيا

وما عليها والروحة يروحها العبد في سبيل الله او الغدوة خير من الدنيا وما عليها وفي
رواية وما فيها ق عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تضمن الله لمن
خرج في سبيله لا يخرجه الا جهاد في سبيلي وايمان بي وتصديق برسلي فهو علي ضامن
ان ادخله الجنة او ارجعه الى مسكنه الذي خرج منه نائلا ما نال من اجر او غنيمة والذي نفس
محمد بيده ما من كلم يكلم في سبيل الله الا جاء يوم القيامة كهيئته يوم كلم لونه لون دم و
ريحه ريح مسك والذي نفس محمد بيده لولا ان اشق على المسلمين ما قعدت خلف
سرية تغزوا في سبيل الله ابدا ولكن لا اجد سعة فاحملهم ولا يجدون سعة ويشق
عليهم ان يتخلفوا عني والذي نفس محمد بيده لوددت ان اغزوا في سبيل الله فاقتل
ثم اغزوا فاقتل لفظ مسلم وللبخاري بمعناه ق عن ابي سعيد الخدري قال جاء رجل الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال اي الناس افضل قال مومن يجاهد بنفسه وماله في سبيل الله
قال ثم من قال ثم رجل في شعب من الشعاب يعبد الله وفي رواية يتقي الله ويدع
الناس من شره خ عن ابي عبس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما اغبرت قدما
عبد في سبيل الله فتمسه النار خ عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
من احتبس فرسا في سبيل الله ايمانا بالله وتصديقا بوعده فان شبعه وريه وروثه
وبوله في ميزانه يوم القيامة يعني حسنات م عن ابي مسعود الانصاري البدري قال جاء
رجل بناقة مخطومة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هذه في سبيل الله فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لك بها يوم القيامة سبعمائة ناقة كلها مخطومة عن خريم بن فاتك
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من انفق نفقة في سبيل الله كتبت له سبعمائة ضعف
اخرجه الترمذي والنسائي قوله عز وجل وما كان المومنون لينفروا كافة الاية قال
عكرمة لما نزلت هذه الاية ما كان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب ان يتخلفوا
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ناس من المنافقين هلك من تخلف فنزلت
هذه الاية وما كان المومنون لينفروا كافة قال ابن عباس انها ليست في الجهاد
ولكن لما دعى رسول الله صلى الله عليه وسلم على مضر بالسنين اجدبت بلادهم فكانت
القبيلة منهم تقبل باسرها حتى يحلوا بالمدينة من الجهد ويعتلوا بالاسلام وهم كاذبون
فضيقوا على اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم واجهدوهم فانزل الله عز وجل يخبر نبيه صلى الله
عليه وسلم انهم ليسوا مومنين فردهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عشائرهم وحذر
قومهم ان يفعلوا فعلهم فذلك قوله ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم وفي
رواية اخرى عن ابن عباس انه قال كان ينطلق من كل حي من العرب
عصابة فياتون النبي صلى الله عليه وسلم فيسئلونه عما يريدون من امر دينهم و
يتفقهون في دينهم ويقولون للنبي صلى الله عليه وسلم ما تامرنا ان نفعله
واخبرنا بما نقول لعشائرنا اذا انطلقنا اليهم فيامرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم

بطاعة الله وطاعة رسوله ويبعثهم الى قومهم بالصلاة والزكاة فكانوا اذا اتوا قومهم
بادروا ان من اسلم فهو منا وينذرونهم حتى ان الرجل ليفارق اباه وامه وكان رسول
الله صلى الله عليه وسلم يخبرهم بما يحتاجون اليه من امر الدين وينذرون قومهم اذا
رجعوا اليهم ويدعونهم الى الاسلام وينذرونهم النار ويبشرونهم بالجنة وقال مجاهد ان
ناسا من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم خرجوا في البوادي فاصابوا من الناس معروفا
ومن الخصب ما ينتفعون به ودعوا من وجدوا من الناس الى الهدى فقال الناس لهم ما
نراكم الا وقد تركتم اصحابكم وجئتمونا فوجدوا في انفسهم تحرجا واقبلوا من البادية كلهم
حتى دخلوا على النبي صلى الله عليه وسلم فقال الله عز وجل فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة
يبتغون الخير وقعد طائفة ليتفقهوا في الدين وليسمعوا ما انزل الله ولينذروا قومهم
من الناس اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون وقال ابن عباس ما كان المومنون لينفروا
جميعا ويتركوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة يعني
عصبة يعني السرايا ولا يسيروا الا باذنه فاذا رجعت السرايا وقد نزل بعدهم قران
تعلمه القاعدون من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا ان الله قد انزل على نبيكم
قرانا وقد تعلمناه فتمكث السرايا يتعلمون ما انزل الله على نبيهم بعدهم ويبعث سرايا
اخرى فذلك قوله ليتفقهوا في الدين يقول ليتعلموا ما انزل الله على نبيهم ويعلموا
السرايا اذا رجعت اليهم لعلهم يحذرون نقل هذه الاقوال كلها الطبري واما تفسير
الاية فيمكن ان يقال انها من بقية احكام الجهاد ويمكن ان يقال انها كلام مبتداء
لا تعلق لها بالجهاد فعلى الاحتمال الاول فقد قيل ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا خرج
الى الغزو لم يتخلف عنه الا منافق او صاحب عذر فلما بالغ الله في الكشف عن عيوب
المنافقين وفضحهم في تخلفهم عن غزوة تبوك قال المومنون والله لا نتخلف عن شيء
من الغزوات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عن سرية يبعثها فلما قدم المدينة
وبعث السرايا نفر المسلمون جميعا الى الغزو وتركوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
وحده فنزلت هذه الاية فيكون المعنى ما كان ينبغي للمومنين ولا يجوز لهم ان
ينفروا بكليتهم الى الجهاد ويتركوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بل يجب ان
ينقسموا قسمين فطائفة يكونوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وطائفة ينفروا
الى الجهاد لان ذلك الوقت كانت الحاجة داعية الى انقسام اصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم الى قسمين قسم للجهاد وقسم لتعلم العلم والتفقه في
الدين لان الاحكام والشرائع كانت تتجدد شيئا فشيئا فالملازمون لرسول الله صلى
الله عليه وسلم يحفظون ما نزل من الاحكام وتجدد من الشرائع فاذا قدم الغزاة
اخبروهم بذلك فيكون معنى الاية وما كان المومنون لينفروا كافة فلولا يعني
فهلا نفر من كل فرقة طائفة للجهاد وقعد طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا

قومهم الذين لغزوا الى الجهاد اذا رجعوا اليهم يعني من غزوهم لعلهم يحذرون يعني
مخالفة امر الله وامر رسوله وهذا معنى قول قتادة وقيل التفقه صفة للطايفة النافرة
قال الحسن ليتفقه الذين خرجوا بما يريهم من الظهور على المشركين والنصرة ولينذروا
قومهم اذا رجعوا اليهم ومعنى ذلك ان الفرقة النافرة اذا شاهدوا نصر الله على اعدايهم
وان الله يريد اعلاء دينه وتقوية نبيه صلى الله عليه وسلم وان الفية القليلة قد غلبت
جمعا كثيرا فاذا رجعوا من ذلك النفير الى قومهم من الكفار انذروهم بما شاهدوا من
دلايل النصرة والفتح والظفر لعلهم يحذرون فيتركوا الكفر والنفاق واورد على
هذا القول ان هذا النوع لا يعد فقها في الدين ويمكن ان يجاب عنهم بانهم اذا علموا
ان الله هو ناصرهم ومقويهم على عدوهم كان ذلك زيادة في ايمانهم فيكون ذلك فقها
في الدين واما الاحتمال الثاني وهو ان يقال ان هذه الاية كلام مبتدا لا تعلق لها بالجهاد
وهو ما ذكرناه عن مجاهد ان ناسا من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم خرجوا الى البوادي فاصابوا
معروفا ودعوا من وجدوا من الناس الى الهدى فقال الناس لهم ما نراكم الا وقد تركتم صاحبكم
وجيتمونا فوجدوا في انفسهم من ذلك حرجا فاقبلوا كلهم من البادية حتى دخلوا على
رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله هذه الاية والمعنى هلا نفر من كل فرقة طايفة وتفقه
طايفة ليتفقهوا في الدين وليبلغوا ذلك الى النافرين لينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم
لعلهم يحذرون يعني باس الله ونقمته اذا خالفوا امره وفي الاية دليل على انه يجب ان يكون
المقصود من العلم والفقه دعوة الخلق الى الحق وارشادهم الى الدين القويم والصراط المستقيم
فكل من تفقه وتعلم لهذا المقصد كان على المنهج القويم والصراط المستقيم ومن عدل عنه
وتعلم العلم لطلب الدنيا كان من الاخسرين اعمالا الاية ق عن معاوية قال سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين وانما انا قاسم ويعطي الله
ولن يزال امر هذه الامة مستقيما حتى تقوم الساعة وحتى ياتي امر الله ق عن ابي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تجدون الناس معادن خيارهم في الجاهلية خيارهم
في الاسلام اذا فقهوا عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فقيه واحد اشد على
الشيطان من الف عابد اخرجه الترمذي واصل الفقه في اللغة الفهم يقال فقه الرجل اذا فهم
وفقه فقاهة اذا صار فقيها وقيل الفقه هو التوصل الى علم غايب بعلم شاهد فهو اخص
من العلم وفي الاصطلاح ان الفقه عبارة عن العلم باحكام الشرع واحكام الدين
وذلك ينقسم الى فرض عين وفرض كفاية ففرض العين معرفة احكام الطهارة
واحكام الصلوة والصوم فعلى كل مكلف معرفة ذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم
طلب العلم فريضة على كل مسلم ذكره البغوي بغير سند وكذلك كل عبادة وجبت على
المكلف بحكم الشرع يجب عليه معرفة ذلك مثل علم الزكاة اذا صار له مال تجب في مثله الزكاة
وعلم احكام الحج اذا وجب عليه واما فرض الكفاية من الفقه فهو ان يتعلم حتى يبلغ رتبة

الاجتهاد ودرجة الفتيا واذا قعد اهل بلد عن تعلمه عصوا جميعا واذا قام به من كل بلد
واحد فتعلم حتى بلغ درجة الفتوى سقط الفرض عن الباقين وعليهم تقليده فيما يقع
لهم من الحوادث عن ابي امامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فضل العالم على
العابد كفضلي على ادناكم اخرجه الترمذي مع زيادة فيه عن ابي هريرة قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم من سلك طريقا يلتمس علما سهل الله له طريقا الى الجنة اخرجه الترمذي
عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى
يرجع اخرجه الترمذي عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
العلم ثلاثة وما سوى ذلك فهو فضل اية محكمة او سنة قايمة او فريضة عادلة اخرجه
ابو داود الاية المحكمة هي التي لا اشتباه فيها ولا اختلاف في حكمها او ما ليس بمنسوخ والسنة
القايمة هي المستمرة القايمة التي يعمل بها متصل لا تترك والفريضة العادلة التي هي لا جور فيها
ولا حيف في قضايها قال الفضيل بن عياض عالم عامل بعلم عابد يدعى عظيما في ملكوت السموات
اخرجه الترمذي موقوفا وقال الشافعي طلب العلم فريضة افضل من صلاة النافلة قوله تعالى
يا ايها الذين امنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار امروا بقتال الاقرب فالاقرب اليهم في
الدار والنسب قال ابن عباس مثل قريظة والنضير وخيبر ونحوها وقال ابن عمر هم الروم
لانهم كانوا سكان الشام والشام اقرب الى المدينة من العراق وقال بعضهم هم الديلم وقال
بعضهم هو ابن زيد الذين يلونكم من الكفار العرب فقاتلوهم حتى فرغ منهم امر بقتال اهل
الكتاب وجهادهم حتى يومنوا او يعطوا الجزية نقل عن بعض اهل العلم انه قال نزلت هذه
الاية قبل الامر بقتال المشركين كافة فلما نزلت وقاتلوا المشركين كافة كانه صارت
ناسخة لقوله قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وقال المحققون من العلما لا وجه للنسخ لانه
تعالى لما امرهم بقتال المشركين كافة ارشدهم الى الطريق الاصوب الاصلح وهو ان يبدوا بقتال
الاقرب حتى يصلوا الى الابعد والابعد وبهذا الطريق يحصل الفرض من قتال المشركين
كافة لان قتالهم في دفعة واحدة لا يتصور ولهذا السبب قاتل رسول الله صلى الله عليه
وسلم اولا قومه ثم انتقل منهم الى قتال ساير العرب ثم الى قتال اهل الكتاب وهم قريظة
والنضير وخيبر وفدك ثم انتقل الى غزوة الروم في الشام فكان فتح الشام في زمن الصحابة
ثم انتقلوا الى العراق ثم بعد ذلك الى ساير الامصار لانه اذا قاتل الاقرب تقوى بما نال
منهم من الغنايم على الابعد وقوله تعالى وليجدوا فيكم غلظة يعني شدة وقوة وشجاعة
والغلظة ضد الرقة وقال الحسن صبرا على جهادهم واعلموا ان الله مع المتقين يعني
بالقول والنصر وقوله تعالى واذا ما انزلت سورة فمنهم من يقول ايكم زادته هذه
ايمانا يعني واذا انزل الله سورة من القران فمن المنافقين من يقول يعني لبعضهم
بعضا ايكم زادته هذه ايمانا يعني نزول السورة ايمانا وتصديقا ويقينا وانما
يقول ذلك المنافقون استهزاء وقيل يقول المنافقون ذلك لبعض المومنين فقال

تعالى فاما الذين امنوا فزادتهم ايمانا يعني تصديقا ويقينا وقربة من الله تعالى ومعنى الزيادة
ضم الشي الى جنسه مما هو في صفته فالمومنون اذا اقروا بنزول سورة من القران عن ثقة
واعترفوا انها من عند الله عز وجل زادهم ذلك الاقرار والاعتراف ايمانا وقد تقدم
بسط الكلام على زيادة الايمان في اول سورة الانفال وهم يستبشرون يعني المومنين يفرحو
بنزول القران شيا بعد شي لانهم كلما نزل ازدادوا ايمانا وذلك يوجب مزيد الثواب في
الاخرة وكلما يحصل الزيادة في الايمان بسبب نزول القران كذلك يحصل الزيادة في الكفر وهو قوله
تعالى واما الذين في قلوبهم مرض اي شك ونفاق سمي الشك في الدين مرضا لانه فساد
في القلب يحتاج الى علاج كالمرض في البدن اذا حصل يحتاج الى العلاج فزادتهم يعني نزول
السورة من القران رجسا الى رجسهم يعني كفرا الى كفرهم وذلك كلما جحدوا نزول سورة او
استهزوا بها ازدادوا كفرا مع كفرهم الاول وسمي الكفر رجسا لانه اقبح الاشيا واصل الرجس
في اللغة الشي المستقذر وماتوا يعني هولا المنافقين وهم كافرون يعني وهم جاحدون
لما انزل الله عز وجل على رسوله صلى الله عليه وسلم قال مجاهد في هذه الاية الايمان يزيد
وينقص وكان عمر ياخذ بيد الرجل والرجلين من اصحابه ويقول تعالوا حتى نزداد ايمانا
وقال علي بن ابي طالب ان الايمان يبدو لمظة بيضا في القلب كلما ازدادوا في الايمان
عظما ازداد ذلك البياض حتى يبيض القلب كله وان النفاق يبدو لمظة سودا
في القلب فكلما ازدادوا النفاق ازداد السواد حتى يسود القلب وايم الله لو شققتم
عن قلب مومن لوجدتموه ابيض ولو شققتم عن قلب منافق لوجدتموه اسود
قوله تعالى اولا يرون قرى بالتا على خطاب المومنين وقرى باليا على انه خبر عن المنافقين
المذكورين في قوله في قلوبهم مرض انهم يفتنون يعني يبتلون في كل عام مرة او مرتين
يعني بالامراض والشدايد وقيل بالقحط والجدب وقيل بالغزو والجهاد وقيل يفتضحون
باظهار نفاقهم وقيل انهم ينافقون ثم يومنون ثم ينافقون وقيل انهم ينقضون عهدهم
في السنة مرة او مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون يعني ولا يتعظون بما يرون
من صدق وعد الله بالنصر والظفر للمسلمين واذا ما انزلت سورة يعني فيها عيب
المنافقين وتوبيخهم نظر بعضهم الى بعض يريدون بذلك الهرب يقولون بعضهم
لبعض اشارة هل يراكم من احد يعني هل احد من المومنين يراكم ان قمتم من مجلسكم فان
لم يرهم احد خرجوا من المسجد وان علموا ان احدا من المومنين يراهم اقاموا ولبثوا على تلك
الحال ثم انصرفوا يعني عن الايمان بتلك السورة النازلة وقيل انصرفوا عن مواضعهم
التي يسمعون فيها ما يكرهون صرف الله قلوبهم يعني عن الايمان وقال الزجاج اضلهم
الله مجازاة على فعلهم بانهم قوم لا يفقهون يعني لا يفهمون عن الله دينه ولا شيا
فيه نفعهم قوله عز وجل لقد جاكم رسول من انفسكم هذا خطاب للعرب يعني لقد
جاكم ايها العرب رسول من انفسكم تعرفون نسبه وحسبه فانه من ولد اسمعيل بن ابرهيم عليهما

السلام

السلام قال ابن عباس ليس قبيلة من العرب الا وقد ولدت النبي صلى الله عليه وسلم
وله فيهم نسب وقال جعفر بن محمد الصادق لم يصبه شي من ولادة الجاهلية قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اني خرجت من نكاح ولم اخرج من سفاح هكذا ذكره
الطبري وذكر البغوي باسناد الثعلبي عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما ولدني من سفاح اهل الجاهلية شي وما ولدني الا نكاح كنكاح اهل الاسلام قال
قتادة جعله الله من انفسهم فلا يحسدونه على ما اعطاه الله من النبوة والكرامة
قال بعض العلما في تفسير قول ابن عباس ليس قبيلة من العرب الا ولدت النبي صلى الله
عليه وسلم يعني من مضريها وربيعيها ويمانيها فاما ربيعة ومضر فهم من ولد معد بن عدنان
واليه ينتسب قريش وهو منهم واما نسبه الى عرب اليمن وهم القحطانية فان امنة
لها نسب في الانصار وان كانت من قريش والانصار اصلهم من عرب اليمن من
ولد قحطان بن سبا فعلى هذا القول يكون المقصود من قوله لقد جاكم رسول من
انفسكم ترغيب العرب في نصره والايمان به فان شرفهم بشرفه وعزتهم بعزته وفخرهم
بفخره فانه من عشيرتهم يعرفونه بالصدق والامانة والصيانة والعفاف وطهارة
النسب والاخلاق الحميدة وقرا ابن عباس والزهري من انفسكم بفتح الفا ومعناه انه من
اشرفكم وافضلكم خ عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بعثت من خير
قرون بني ادم قرنا فقرنا حتى كنت من الذي كنت منه م عن واثلة بن الاسقع قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله اصطفى كنانة من ولد اسمعيل واصطفى قريشا
من كنانة واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم عن العباس بن عبد
المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قلت يا رسول الله ان قريشا جلسوا فتذاكروا
احسابهم بينهم فجعلوا مثلك كمثل نخلة في كبوة من الارض فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الله خلق الخلق فجعلني من خير فرقهم وخير الفريقين ثم خير القبايل فجعلني في خير قبيلة
ثم خير البيوت فجعلني من خير بيوتهم فانا خيرهم نفسا وخيرهم بيتا اخرجه الترمذي وقيل ان
قوله لقد جاكم رسول من انفسكم عام فحمله على العموم اولى فيكون المعنى على هذا القول
لقد جاكم يا ايها الناس رسول من انفسكم يعني من جنسكم بشر مثلكم اذ لو كان من الملايكة لضعفت
قوى البشر عن سماع كلامه والاخذ عنه قوله تعالى عزيز عليه ما عنتم اي شديد عليه عنتكم
اي مكروهكم وقيل يشق عليه ضلالكم حريص عليكم يعني حريص على ايمانكم وايصال الخير
اليكم وقال قتادة حريص على هدايتكم وان يهديكم الله بالمومنين روف رحيم يعني انه
صلى الله عليه وسلم روف بالمطيعين رحيم بالمذنبين ق عن جبير بن مطعم قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لي خمسة اسما انا محمد وانا احمد وانا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر وانا
الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي وانا العاقب والعاقب الذي ليس بعده نبي
وقد سماه الله روفا رحيما قال الحسين بن الفضل لم يجمع الله لاحد من انبيايه بين اسمين

من اسمائه الا للنبي صلى الله عليه وسلم فسماه رؤفا رحيما وقال الله الله بالناس لرؤف رحيم
قوله تعالى فان تولوا يعني فان اعرض يعني هولا الكفار والمنافقين عن الايمان بالله
ورسوله وناصبوك حرب فقل حسبي الله يعني يكفيني الله وينصرني عليكم لا اله الا هو
عليه توكلت يعني لا على غيره وبه وثقت وهو رب العرش العظيم انما خص العرش
بالذكر لانه اعظم المخلوقات فيدخل ما دونه في الذكر فيكون المعنى وهو رب العرش
فما دونه او يكون خصه بالذكر لتشريفاله كما يقال بيت الله روي عن ابي بن كعب
انه قال هاتان الايتان لقد جاءكم رسول من انفسكم الى اخر السورة اخر القران نزولا
وفي رواية عنه قال احدث القران عهدا بالله هاتان الايتان
لقد جاءكم رسول من انفسكم الى اخر الايتين
والله سبحانه وتعالى اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة يونس عليه السلام

نزلت بمكة الا ثلاث ايات وهي فان كنت في شك مما انزلنا اليك الى اخر ثلاث
ايات قاله ابن عباس وبه قال قتادة وفي رواية اخرى عن ابن عباس ان فيها من المدني
من قوله ومنهم من يومن به ومنهم من لا يومن به الاية وقال مقاتل هي مكية الا ايتين
وهي قوله قل بفضل الله وبرحمته والتي تليها وهي مائة وتسع ايات والف وثمانمائة
واثنان وثلاثون كلمة وتسعة الاف وتسعة وستون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم
قوله عز وجل الر قال ابن عباس والضحاك معناه انا الله ارى وقال ابن عباس في
رواية اخرى عنه الر وحم ونون حروف الرحمن مقطعة وبه قال سعيد بن جبير وسالم
ابن عبد الله قال قتادة الر اسم من اسماء القران وقيل هو اسم السورة وقد تقدم الكلام
في معنى حروف المقطعة في اول سورة البقرة بما فيه كفاية تلك ايات الكتاب يعني
المراد من لفظ تلك الاشارة الى الايات الموجودة في هذه السورة ويكون التقدير
تلك الايات هي ايات الكتاب وهو القران الذي انزله الله اليك يا محمد وذلك ان الله
وعده ان ينزل عليه كتابا لا يمحوه الما ولا تغيره الدهور وقيل ان لفظ تلك اشارة
الى ما تقدم هذه السورة من ايات القران والمعنى ان تلك الايات هي ايات
الكتاب الحكيم وعلى قول اخر ان المراد بايات الكتاب هو القران الذي انزله حكاه الطبري
عن قتادة وروى الطبري عن مجاهد انها التورية والانجيل فعلى هذا القول يكون
التقدير ان الايات المذكورة في هذه السورة هي الايات المذكورة في التورية والانجيل
والمراد من الايات القصص المذكورة في هذه السورة وهذا وان كان له وجه فهو ضعيف
لان التورية والانجيل لم يجر لهما ذكر فيحسن الاشارة اليهما وقيل المراد من الايات
حروف الهجا التي منها الر سميت ايات لانها افتتاح السور وسر القران الحكيم يعني
المحكم بالحلال والحرام والحدود والاحكام فعيل بمعنى مفعول وقيل الحكيم بمعنى الحاكم

فعيل بمعنى فاعل لان القران حاكم يميز بين الحق والباطل ويفصل الحلال من الحرام وقيل حكيم
بمعنى المحكوم فعيل بمعنى المفعول قال الحسن حكم بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وقيل
ان الحكيم هو الذي يفعل الحكمة والصواب فمن حيث يدل على الاحكام صار كانه هو
حكيم في نفسه قوله تعالى اكان للناس عجبا سبب نزول هذه الاية قال ابن عباس ان الله
عز وجل لما بعث محمدا صلى الله عليه وسلم رسولا انكرت العرب ذلك ومن انكر منهم وقال
المشركون الله اعظم من ان يكون رسوله بشرا مثل محمد فقال الله اكان للناس
عجبا ان اوحينا الى رجل منهم وقال وما ارسلنا قبلك الا رجالا والهمزة في اكان
همزة استفهام ومعناه الانكار والتوبيخ والمعنى لا يكون ذلك عجبا ان اوحينا
الى رجل منهم والعجب حالة تعتري الانسان من رؤية شي على خلاف العادة
وقيل العجب حالة تعرض الانسان عند الجهل بسبب الشي ولهذا قال بعض الحكما
العجب ما لا يعرف سببه والمراد بالناس هنا اهل مكة وبالرجل محمد صلى الله عليه وسلم
منهم يعني من اهل مكة من قريش يعرفون نسبه وصدقه وامانته ان انذر الناس
يعني خوفهم بعقاب الله ان اصروا على الكفر والمخالفة والانذار اخبار مع تخويف
كما ان البشارة اخبار مع سرور وهو قوله تعالى وبشر الذين امنوا ان لهم قدم
صدق عند ربهم اختلف عبارات المفسرين واهل اللغة في معنى قدم صدق
فقال ابن عباس اجرا حسنا بما قدموا من اعمالهم وقال الضحاك ثواب صدق
وقال مجاهد الاعمال الصالحة صلاتهم وصيامهم وصدقتهم وتسبيحهم وقال الحسن
عمل صالح اسلفوه يقدمون عليه وفي رواية اخرى عن ابن عباس انه قال سبقت
لهم السعادة في الذكر الاول يعني في اللوح المحفوظ وقال زيد بن اسلم هو شفاعة
محمد صلى الله عليه وسلم وهو قول قتادة وقيل لهم منزلة رفيعة عند ربهم واضيف
القدم الى الصدق وهو نعته كقوله مسجد الجامع وصلاة الاولى وحب الحصيد
والفايدة في هذه الاضافة التنبيه على زيادة الفضل ومدح القدم لان كل شي
اضيف الى الصدق فهو ممدوح ومثله في مقعد صدق ومدخل صدق وقال
ابو عبيدة كل سابق في خير او شر فهو عند العرب قدم يقال لفلان قدم في الاسلام
وقدم في الخير ولفلان عندي قدم صدق وقدم سو وقال حسان بن ثابت
في شعره لنا القدم العليا اليك وخلفنا لاولنا في طاعة الله تابع
وقال الليث وابو الهيثم القدم السابق والمعنى انهم سبق لهم عند الله خير قال
ذو الرمة حيث يقول وانت امرؤ من اهل بيت ذؤابة لهم قدم معروفة ومفاخر
قال والسبب في اطلاق لفظ القدم على هذه المعاني ان السعي والسبق لا يحصل الا
بالقدم فسمي المسبب باسم السبب كما سميت النعمة يدا لانها تعطى باليد وقال
ذو الرمة في شعره لكم قدم لا ينكر الناس انها مع الحسب العادي طمت على البحر

معناه لكم سابقة عظيمة لا ينكرها الناس وقال اخرها صل لذي العرش واتخذ قدما
ينجيك يوم العثار والزلل وقوله تعالى قال الكافرون ان هذا لسحر مبين وقرى لساحر
مبين وفيه حذف تقديره اكان للناس عجبا ان اوحينا الى رجل منهم فلما جاءهم بالوحي
وانذرهم قال الكافرون ان هذا الساحر يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم وانما نسبوه الى
السحر لما اتاهم بالمعجزات الباهرات التي لا يقدر احد على مثلها ومن قرا السحر فانهم عنوا به
القران المنزل عليه وانما نسبوه الى السحر لان فيه الاخبار بالبعث والنشور وكانوا
ينكرون ذلك قوله عز وجل ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة
ايام ثم استوى على العرش تقدم تفسيره في سورة الاعراف بما فيه كفاية وقوله تعالى
يدبر الامر قال مجاهد يقضيه وحده وقيل معنى التدبير تنزيل الامور في مراتبها
وعلى احكام عواقبها وقيل انه تعالى يقضي ويقدر على حسب مقتضى الحكمة وهو النظر
في ادبار الامور وعواقبها لئلا تدخل في الوجود ما لا ينبغي وقيل معناه انه تعالى
يدبر احوال الخلق واحوال ملكوت السموات والارض فلا يحدث حدث في العالم
العلوي ولا في العالم السفلي الا بارادته وتدبيره وقضائه وحكمته ما من شفيع الا
من بعد اذنه يعني لا يشفع عنده شافع يوم القيامة الا من بعد ان ياذن له في
الشفاعة لانه عالم بمصالح عباده وبموضع الصواب والحكمة في تدبيرهم فلا يجوز
لاحد ان يساله ما ليس له به علم فاذا اذن له في الشفاعة كان له ان يشفع فيمن
ياذن له فيه وفيه رد على كفار قريش في قولهم ان الاصنام تشفع لهم عند الله يوم
القيامة فاخبر الله انه لا يشفع عند الله احد الا باذنه لان له التصرف المطلق
في جميع العالم ذلكم الله ربكم يعني الذي خلق هذه الاشيا ودبرها هو ربكم وسيدكم
لا رب لكم سواه فاعبدوه فاجعلوا عبادتكم له لا لغيره لانه المستحق للعبادة
بما انعم عليكم من النعم العظيمة افلا تذكرون يعني افلا تتعظون وتعتبرون بهذه
الدلايل والايات التي تدل على وحدانيته سبحانه وتعالى اليه مرجعكم جميعا يعني الى
ربكم الذي خلق جميع المخلوقات مصيركم جميعا ايها الناس يوم القيامة والمرجع بمعنى
الرجوع وعد الله حقا يعني وعدكم الله ذلك وعد الله حقا انه يبدؤا الخلق ثم يعيده
اي يحييهم ابتداء ثم يميتهم ثم يحييهم وهذا معنى قول مجاهد فانه قال يحييه ثم يميته
ثم يحييه وفي هذه الاية دليل على امكان الحشر والنشر والمعاد وصحته ووقوعه ورد
على منكري البعث ووقوعه لان القادر على خلق هذه الاجسام المولفة والاعضا
المركبة على غير مثال سبق قادر على اعادتها بعد تفرقها بالموت والبلى فيركب
تلك الاجزا المتفرقة تركيبا ثانيا ويخلق الانسان الاول مرة اخرى وكما لم يمتنع
تعلق هذه النفس بالبدن في المرة الاولى لم يمتنع تعلقها بالبدن مرة اخرى
فاذا ثبت القول بصحة المعاد والبعث بعد الموت كان المقصود منه ايصال

الثواب

الثواب للمطيع والعقاب للعاصي وهو قوله تعالى ليجزي الذين امنوا وعملوا الصالحات
بالقسط يعني بالعدل لا ينقص من اجورهم شيئا والذين كفروا لهم شراب من حميم
وهو ما حار قد انتهى حره وعذاب اليم بما كانوا يكفرون قوله عز وجل هو الذي جعل
الشمس ضيا يعني ذات ضيا والقمر نورا ذا نور واختلف اصحاب الكلام في
ان الشعاع الفايض من الشمس هل هو جسم او عرض والحق انه عرض وهو كيفية
مخصوصة فالنور اسم لاصل هذه الكيفية والضو اسم لهذه الكيفية اذا كانت
كاملة تامة قوية فلهذا خص الشمس بالضيا لانه اقوى واكمل من النور وخص
القمر بالنور لانه اضعف من الضيا ولانهما لو تساويا لم يعرف الليل من النهار
فدل ذلك على ان الضيا المختص بالشمس اكمل واقوى من النور المختص بالقمر
وقدره منازل قيل الضمير في وقدره يرجع الى الشمس والقمر والمعنى وقدر لهما
منازل او وقدر لسيرهما منازل لا يجاوزانها في السير ولا يقصران عنها وانما وحد
الضمير في وقدره للايجاز واكتفى بذكر احدهما دون الاخر فهو كقوله والله ورسوله
احق ان يرضوه وقيل الضمير في وقدره يرجع الى القمر وحده لان سير القمر في المنازل
اسرع وبه يعرف انقضا الشهور والسنين وذلك لان الشهور المعتبرة في الشرع
مبنية على روية الاهلة والسنة المعتبرة في الشرع هي السنة القمرية لا الشمسية
ومنازل القمر ثمانية وعشرون منزلا وهي السرطين والبطين والثريا والدبران
والهقعة والهنعة والذراع والنثرة والطرف والجبهة والزبرة والصرفة والعوا
والسماك والغفر والزبانا والاكليل والقلب والشولة والنعايم والبلدة وسعد
الذابح وسعد بلع وسعد السعود وسعد الاخبية وفرغ الدلو المقدم وفرغ الدلو
المؤخر وبطن الحوت فهذه منازل القمر وهي مقسومة على اثني عشر برجا وهي الحمل
والثور والجوزا والسرطان والاسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي
والدلو والحوت لكل برج منزلان وثلث منزل وينزل القمر كل ليلة منزلا منها الى انقضا
ثمانية وعشرين ليلة ثم يستتر ليلتين ان كان الشهر ثلاثين وان كان تسعا
وعشرين اختفى ليلة واحدة لتعلموا عدد السنين يعني قدر هذه المنازل لتعلموا
بها عدد السنين ووقت دخولها وانقضائها والحساب يعني ولتعلموا حساب الشهور
والايام والساعات ونقصانها وزيادتها ما خلق الله ذلك الا بالحق يعني للحق
واظهار قدرته ودلايل وحدانيته ولم يخلق ذلك باطلا ولا عبثا يفصل الايات
لقوم يعلمون يعني يبين دلايل التوحيد بالبراهين القاطعة لقوم يستدلون
بها على قدرة الله ووحدانيته ان في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في
السموات والارض لايات لقوم يتقون تقدم تفسير هذه الاية في نظايرها ان الذين
لا يرجون لقانا يعني لا يخافون لقانا يوم القيامة فهم مكذبون بالثواب والعقاب

والرجا يكون بمعنى الخوف تقول العرب فلان لا يرجون فلانا بمعنى لا يخافه ومنه قوله تعالى ما لكم لا ترجون لله وقارا ومنه قول ابي ذويب الهذلي اذا لسعته النحل لم يرج لسعها اي لم يخف والرجا يكون بمعنى الطمع فيكون المعنى لا يطمعون في ثوابنا ورضوا بالحياة الدنيا يعني اختاروها وعملوا في طلبها فهم راضون بزينة الدنيا و زخرفها واطمانوا بها يعني وسكنوا اليها مطمئنين بها وهذه الطمانينة التي حصلت في قلوب الكفار من الميل الى الدنيا ولذاتها ازالت عن قلوبهم الوجل والخوف فلو سمعوا الانذار والتخويف لم يصل ذلك الى قلوبهم والذين هم عن اياتنا غافلون قيل المراد بالايات ادلة التوحيد وقال ابن عباس عن اياتنا يعني عن محمد صلى الله عليه وسلم والقران غافلون اي معرضون اولئك ماواهم النار بما كانوا يكسبون يعني من الكفر والتكذيب والاعمال الخبيثة قوله عز وجل ان الذين امنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم يعني يهديهم ربهم الى الجنات ثوابا لهم بايمانهم واعمالهم الصالحة وقال يهديهم الى الصراط الى الجنة يجعل لهم نورا يمشون به وقال قتادة بلغنا ان المؤمن اذا خرج من قبره يصور له عمله في صورة حسنة فيقول له من انت فيقول انا عملك فيكون له نورا وقايدا الى الجنة والكافر بالضد فلا يزال به عمله حتى يدخله النار وقال ابن الانباري يجوز ان يكون المعنى ان الله يزيدهم هداية بخصايص ولطايف وبصاير ينور بها قلوبهم ويزيل بها الشكوك عنهم ويجوز ان يكون المعنى ويثبتهم على الهداية وقيل معناه بايمانهم يهديهم ربهم لدينه اي بتصديقهم هداهم تجري من تحتهم الانهار يعني بين ايديهم ينظرون اليها من اعالي اسرتهم وقصورهم وهو كقوله قد جعل ربك تحتك سريا لم يرد به انه تحتها وهي قاعدة عليه بل اراد بين يديها وقيل تجري بامرهم في جنات النعيم يعني ذلك لهم في جنات النعيم دعواهم فيها اي قولهم وكلامهم فيها وقيل الدعوى بمعنى الدعا اي دعاوهم فيها سبحانك اللهم وهي كلمة تنزيه لله من كل سو ونقيصة قال اهل التفسير هذه الكلمة علامة بين اهل الجنة والخدم في الطعام فاذا ارادوا الطعام قالوا سبحانك اللهم فاتوهم في الوقت بما يشتهون على الموايد كل مايدة ميل في ميل على كل مايدة سبعون الف صحيفة في كل صحيفة لون من طعام لا يشبه بعضها بعضا فاذا فرغوا من الطعام حمدوا الله على ما اعطاهم فذلك قوله واخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين وقيل ان المراد بقوله سبحانك اللهم اشتغال اهل الجنة بالتسبيح والتحميد والتقديس لله عز وجل والثنا عليه بما هو اهله وفي هذا الذكر سرورهم وابتهاجهم وكمال لذتهم ويدل عليه ما روي عن جابر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اهل الجنة ياكلون فيها ويشربون ولا يتفلون ولا يبولون ولا يتغوطون ولا يمتخطون قالوا فما بال الطعام قال جشا ورشح كرشح المسك يلهمون التسبيح والتحميد كما يلهمون النفس وفي رواية التسبيح والحمد اخرجه مسلم قوله جشا

اى يخرج

اي يخرج ذلك الطعام جشا وعرقا وقوله تعالى تحيتهم فيها سلام يعني يحيي بعضهم بعضا بالسلام وقيل تحييهم الملايكة بالسلام واخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين قد ذكرنا ان جماعة من المفسرين حملوا التسبيح والتحميد على احوال اهل الجنة بسبب الماكول والمشروب وانهم اذا اشتهوا شيا قالوا سبحانك اللهم فيحضر ذلك الشي واذا فرغوا منه قالوا الحمد لله رب العالمين فترفع الموايد عند ذلك وقال الزجاج اعلم الله ان اهل الجنة يبتدون بتعظيم الله وتنزيهه ويختمون بشكره والثنا عليه وقيل انهم يفتتحون كلامهم بالتسبيح ويختمونه بالتحميد وقيل انهم يلهمون ذلك كما ذكر في الحديث قوله تعالى ولو يعجل الله للناس الشر يعني ولو يعجل الله للناس اجابة دعايهم في الشر فيما لهم فيه مضرة ومكروه في نفس او مال قال ابن عباس هذا في قول الرجل لاهله وولده عند الغضب لعنكم الله لا بارك الله فيكم وقال قتادة هو دعا الرجل على نفسه واهله وماله بما يكره ان يستجاب له فيه استعجالهم بالخير يعني كاستعجالهم بالخير وكما يحبون ان يعجل لهم اجابة دعايهم بالخير لقضي اليهم اجلهم يعني لفرغ من هلاكهم وماتوا جميعا والتعجيل تقديم الشي قبل وقته والاستعجال طلب العجلة وقال ابن قتيبة ان الناس عند الغضب والضجر قد يدعون على انفسهم واهليهم واولادهم بالموت وتعجيل البلا كما يدعون بالرزق والرحمة واعطا السول يقول لو اجابهم الله اذا دعوا بالشر الذي يستعجلون به استعجالهم بالخير لقضي اليهم اجلهم يعني لفرغ من هلاكهم ولكن الله عز وجل بفضله وكرمه يستجيب للداعي بالخير ولا يستجيب له في الشر وقيل ان هذه الاية نزلت في النضر بن الحرث حين قال اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السما فعلى هذا يكون المعنى ولو يعجل الله للكافرين العذاب كما عجل لهم خير الدنيا من المال والولد لعجل قضا اجلهم ولهلكوا جميعا ويدل على صحة هذا القول قوله تعالى فنذر الذين لا يرجون لقانا يعني فندع الذين لا يخافون عقابنا ولا يومنون بالبعث بعد الموت في طغيانهم يعني في تمردهم وعتوهم يعمهون يعني يترددون ق عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اني اتخذ عندك عهدا لن تخلفنيه فانما انا بشر اغضب كما يغضب البشر فايما رجل من المسلمين سببته او لعنته او جلدته فاجعلها له صلاة وزكاة وقربة تقربه بها اليك يوم القيامة واجعل ذلك كفارة له يوم القيامة قوله عز وجل واذا مس الانسان الضر اي الشدة والجهد والمراد بالانسان في هذه الاية الكافر دعانا لجنبه اي على جنبه مضطجعا او قاعدا او قايما يريد جميع حالاته لان الانسان لا ينفك عن احدى هذه الحالات الثلاث والمعنى ان المضرور لا يزال داعيا في كل حالاته الى ان ينكشف ضره سوا كان مضطجعا او قاعدا او قايما وقال الزجاج وجايز ان يكون المعنى اذا مس الانسان الضر لجنبه او مسه قاعدا او مسه قايما وهذا القول فيه بعد لان ذكر الدعا الى هذه الاحوال اقرب من ذكر الضر فلما كشفنا عنه ضره يعني فلما ازلنا

عنه ما نزل به من الضر ودفعنا عنه مر يعني على طريقته الاولى قبل مس الضر كان لم يدعنا
فيه حذف تقديره كانه لم يدعنا وانما سقط الضمير على سبيل التخفيف الى
ضر مسه والمعنى انه استمر على حالته الاولى قبل ان يمسه الضر ونسي ما كان فيه من
الجهد والبلا والضيق والفقر كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون يعني مثل
ما زين لهذا الكافر هذا العمل القبيح كذلك زين للمسرفين والمزين هو الله تعالى
لانه مالك الملك والخلق كلهم عبيده يتصرف فيهم كيف شا وقيل المزين هو
الشيطان وذلك باقدار الله اياه على ذلك والمسرف هو المجاوز الحد في كل شي
وانما سمي الكافر مسرفا لانه اتلف نفسه وضيعها في عبادة الاصنام واتلف
ماله وضيعه في البحاير والسوايب وما كانوا ينفقونه على الاصنام وسدنتها
يعني خدامها وقال ابن جريج في قوله كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون يعني
من الدعا عند المصيبة وترك الشكر عند الرخا وقيل كما زين لكم اعمالكم كذلك
زين للمسرفين الذين كانوا من قبلكم اعمالهم بيان مقصود الاية وهو ان
الانسان قليل الصبر عند نزول البلا قليل الشكر عند حصول النعما والرخا فاذا مسه
الضر اقبل على الدعا والتضرع في جميع حالاته مجتهدا في الدعا طالبا من الله ازالة
ما نزل به من المحن والبلا فاذا كشف الله ذلك عنه اعرض عن الشكر ورجع الى
ما كان عليه اولا وهذه حالة الغافل الضعيف اليقين واما المومن العاقل فانه بخلاف
ذلك فيكون صابرا عند البلا شاكرا عند الرخا والنعما كثير التضرع والدعا في وقت
الراحة والرفاهية وههنا مقام اعلى من هذا وهو ان المومن اذا ابتلي ببلية او نزل
به مكروه يكون مع صبره على ذلك راضيا بقضا الله غير معترض القلب عنه بل
يكون شاكرا الله عز وجل في جميع احواله ويعلم العبد المومن ان الله تبارك
وتعالى مالك الملك على الاطلاق وحكيم في جميع افعاله وله التصرف في خلقه
بما يشا ويعلم الله ان ابقى عليه تلك المحنة فهو عدل وان ازالها فهو فضل قوله
عز وجل ولقد اهلكنا القرون من قبلكم يعني اهلكنا الامم الماضية من قبلكم
يخوف بذلك كفار مكة لما ظلموا يعني لما اشركوا وجاتهم رسلهم بالبينات يعني فكذبوهم
فما كانوا ليومنوا يعني هذه الامم برسلهم ويصدقوهم بما جاوا به من عند الله كذلك
نجزي القوم المجرمين يعني كما اهلكنا الامم الخالية لما كذبوا رسلهم كذلك نهلككم ايها
المشركون بتكذيبكم محمدا صلى الله عليه وسلم ثم جعلناكم خلايف في الارض من
بعدهم الخطاب لاهل مكة الذين ارسل فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى
ثم جعلناكم ايها الناس خلفا في الارض من بعد القرون الماضية الذين اهلكناهم
لننظر كيف تعملون يعني خيرا او شرا فنعاملكم على حسب اعمالكم وهو يعلم
ما يكون قبل ان يكون قال اهل المعاني معنى النظر وهو طلب العلم وجاز في وصف

الله تعالى

الله تعالى اظهار العدل لانه تعالى يعامل العباد معاملة من يطلب العلم بما يكون منهم
ليجازيهم بحسبه كقوله ليبلوكم ايكم احسن عملا ذكره الواحدي والرازي . عن ابي
سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الدنيا حلوة خضرة
وان الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون فاتقوا الدنيا واتقوا النسا اخرجه
مسلم قوله فاتقوا الدنيا معناه احذروا فتنة الدنيا واحذروا فتنة النسا قوله
عز وجل واذا تتلى عليهم اياتنا بينات يعني واذا قري على هولا المشركين ايات كتابنا
الذي انزلناه اليك يا محمد بينات يعني واضحات تدل على وحدانيتنا وصحة نبوتك قال الذين لا
يرجون لقانا يعني قال هولا المشركين الذين لا يخافون عقابنا ولا يرجون ثوابنا لانهم لا
يومنون بالبعث بعد الموت وكل ما كان منكرا للبعث فانه لا يرجوا ثوابا ولا يخاف عقابا
ايت بقران غير هذا او بدله قال قتادة ذلك مشركوا مكة وقال مقاتل هم خمسة نفر عبد الله بن
امية المخزومي والوليد بن المغيرة ومكرز بن حفص وعمرو بن عبد الله بن ابي قيس العامري و
العاص بن عامر بن هشام قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ان كنت تريد ان نومن بك فات بقران
غير هذا ليس فيه ترك عبادة اللات والعزى ومناة وليس فيه عيبها وان لم ينزله الله عليك
فقل انت من عند نفسك او بدله فاجعل مكان اية عذاب اية الرحمة ومكان حرام حلالا
ومكان حلال حراما قال الامام فخر الدين الرازي اعلم ان اقدام الكفار على هذا الالتماس
يحتمل وجهين احدهما انهم ذكروا ذلك على سبيل السخرية والاستهزا وهو قولهم لو جيتنا بقران
غير هذا القران او بدلته لامنا بك وغرضهم السخرية والاستهزا الثاني ان يكونوا قالوا ذلك
على سبيل التجربة والامتحان حتى انه لو فعل ذلك علموا انه كان كذابا في قوله ان هذا القران
ينزل عليه من عند الله ومعنى قوله ايت بقران غير هذا او بدله يحتمل ان ياتي بقران اخر
مع وجود هذا القران والتبديل لا يكون الا مع وجوده وهو ان يبدل بعض اية بغيرها
كما طلبوه ولما سالوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم امره الله ان يجيبهم بقوله قل اي
يا محمد لهولا ما يكون لي ان ابدله من تلقاء نفسي يعني ان هذا الذي طلبتموه من التبديل
ليس الي وما ينبغي لي ان اغيره من قبل نفسي ولم اومر به ان اتبع الا ما يوحى الي يعني
فيما امركم به او نهاكم عنه وما اخبركم الا ما يخبرني الله به وان الذي اتيتكم به هو من
عند الله لا من عندي اني اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم اي قل لهم
يا محمد اني اخشى من الله ان خالفت امره او غيرت احكام كتابه او بدلته فعصيته بذلك
ان يعذبني بعذاب اليم في يوم تذهل كل مرضعة عما ارضعت قوله تعالى قل اي قل يا
محمد لهولا المشركين الذين طلبوا منك تغيير القران وتبديله لو شا الله ما تلوته
عليكم يعني لو شا الله لم ينزل علي هذا القران ولم يامرني بقراته عليكم ولا ادراكم به قال
ابن عباس ولا اعلمكم به وقيل ولا ادراكم الله به ولا اعلمكم به فقد لبثت فيكم عمرا من
قبله يعني فقد مكثت فيكم قبل ان يوحى هذا القران مدة اربعين سنة لم اتكم بشي

ووجه هذا الاحتجاج ان كفار مكة كانوا قد شاهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه
وعلموا احواله وانه كان اميا لا يطالع كتابا ولا تعلم من احد مدة عمره قبل الوحي وذلك
اربعون سنة ثم بعد الاربعين جاءهم بهذا الكتاب العظيم المشتمل على نفائس العلوم
واخبار الماضين وفيه من الاحكام والاداب ومكارم الاخلاق والفصاحة والبلاغة
ما اعجز العلماء والفصحاء والبلغاء عن معارضته فكل من كان له عقل سليم وفهم ثاقب
يعلم ان هذا لم يحصل الا بوحي من الله تعالى لا من عند نفسه وهو قوله افلا تعقلو
يعني ان هذا القران من عند الله اوحاه الي لا من قبل نفسي ق عن ابن عباس قال
انزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن اربعين سنة فمكث ثلاث عشرة
ثم امر بالهجرة فهاجر الى مدينة فمكث بها عشر سنين ثم توفي صلى الله عليه وسلم وفي
رواية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اقام بمكة ثلاث عشرة سنة يوحى اليه وتوفي
وهو ابن ثلاث وستين سنة وفي رواية ان النبي صلى الله عليه وسلم اقام بمكة خمس
عشرة سنة يسمع الصوت ويرى الضوء ولا يرى شيئا سبع سنين وثمان سنين يوحى
اليه واقام بالمدينة عشرا وتوفي وهو ابن خمس وستين سنة اخرجاه في الصحيحين
ق عن عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم توفي وهو ابن ثلاث وستين سنة اخرجاه
في الصحيحين م عن انس قال توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثلاث وستين
وابو بكر وهو ابن ثلاث وستين وعمر وهو ابن ثلاث وستين اخرجه مسلم ق عن ربيعة
ابن عبد الرحمن قال انس بن مالك يصف رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كان
ربعة من القوم ليس من الطويل البائن ولا بالقصير ازهر اللون ليس بالابيض
الامهق ولا بالادم ليس بجعد ولا قطط ولا سبط رجل انزل عليه الوحي وهو ابن
اربعين سنة فلبث بمكة عشر سنين ينزل عليه الوحي وبالمدينة عشرا وتوفاه الله
على راس ستين سنة وليس في راسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء اخرجاه في
الصحيحين قال الشيخ محيي الدين النووي ورد في عمره صلى الله عليه وسلم ثلاث روايات
احدها انه صلى الله عليه وسلم توفي وهو ابن ستين سنة والثانية خمس وستون
سنة والثالثة ثلاث وستون سنة وهي اصحها واشهرها رواها مسلم من حديث
انس وعائشة وابن عباس واتفق العلماء على ان اصحها ثلاث وستون وتاولوا
الباقي عليه فرواية ستين اقتصر فيها على العقود وترك الكسر ورواية خمس متاوله
ايضا وحصل فيها اشتباه قوله يسمع الصوت يعني صوت الهاتف من الملائكة ويرى
الضوء يعني نور الملائكة او نور ايات الله حتى راى الملك بعينه وشافهه بالوحي
من الله عز وجل وقوله ليس بالابيض الامهق المراد به الشديد البياض كلون الجص
وهو كريه المنظر وربما توهم الناظر انه برص والمراد انه كان ازهر اللون بين البياض
والسمرة قوله عز وجل فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا يعني فزعم ان له شريكا

وولدا والمعنى اني لم افتر على الله كذبا ولم اكذب عليه في قولي ان هذا القران
من عند الله وانتم قد افتريتم على الله الكذب فزعمتم ان له شريكا وولدا والله منزه
عن الشريك والولد وقيل معناه ان هذا القران لو لم يكن من عند الله لما كان احد
في الدنيا اظلم على نفسه مني حيث افتريته على الله ولما كان هذا القران من عند الله
اوحاه الي وجب ان يقال ليس احد في الدنيا اجهل ولا اظلم على نفسه منكم من حيث
انكم انكرتم ان يكون هذا القران من عند الله فقد كذبتم باياته وهو قوله او كذب
باياته يعني جحد بكون القران من الله وانكر دلائل التوحيد انه لا يفلح المجرمون يعني
المشركين وهذا وعيد وتاكيد لما سبق ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا
ينفعهم يعني ويعبد هؤلاء المشركون الاصنام التي لا تضرهم ان عصوها وتركوا عبادتها
ولا تنفعهم ان عبدوها لانها حجارة وجماد لا تضر ولا تنفع ولان العبادة اعظم انواع
التعظيم فلا يليق الا بمن يضر وينفع ويحيي ويميت وهذه الاصنام جماد وحجارة
لا تضر ولا تنفع ويقولون هؤلاء يعني الاصنام التي يعبدونها شفعاؤنا عند الله قال
اهل المعاني توهموا ان عبادتها اشد في تعظيم الله من عبادتهم اياه وقالوا لسنا
باهل ان نعبد الله ولكن نشتغل بعبادة هذه الاصنام فانها تكون لنا شافعة
عند الله ومنه قوله اخبارا عنهم ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وفي هذه
الشفاعة قولان احدهما انهم يزعمون انها تشفع لهم في الاخرة قاله ابن جريج
عن ابن عباس والثاني انها تشفع لهم في الدنيا في اصلاح معايشهم قاله الحسن
لانهم كانوا لا يعتقدون بعثا بعد الموت قل اي قل يا محمد اتنبئون الله بما لا يعلم
في السموات ولا في الارض يعني اتخبرون الله ان له شريكا ولا يعلم الله لنفسه
شريكا في السموات ولا في الارض وهذا على طريق الالزام والمقصود نفي علم الله
بذلك الشفيع وانه لا وجود له البتة لانه لو كان موجودا لعلمه الله وحيث لم يكن
معلوما لله وجب ان لا يكون موجودا ومثل هذا مشهور في العرف فان الانسان
اذا اراد نفي شيء حصل في نفسه يقول ما علم الله ذلك مني ومقصوده انه ما حصل
ذلك الشيء منه قط ولا وقع سبحانه وتعالى عما يشركون نزه الله تعالى نفسه عن الشركاء
والاضداد والانداد وتعالى ان يكون شيء في السموات والارض ولا يعلمه قوله
تعالى وما كان الناس الا امة واحدة فاختلفوا يعني فتفرقوا الى مؤمن وكافر يعني
كانوا جميعا على الدين الحق وهو دين الاسلام ويدل على ذلك ان ادم عليه السلام
وذريته كانوا على دين الاسلام الى ان قتل قابيل هابيل ثم اختلفوا وقيل بقوا
على ذلك الى زمن نوح عليه السلام ثم اختلفوا فبعث الله نوحا وقيل انهم كانوا
على دين الاسلام وقت خروج نوح ومن معه من السفينة ثم اختلفوا بعد ذلك وقيل
كانوا على دين الاسلام من عهد ابراهيم الخليل عليه السلام الى ان غيره عمرو بن لحي فعلى

هذا القول بكون المراد من الناس في قوله وما كان الناس الا امة واحدة العرب خاصة
وقيل كان الناس امة واحدة يعني في الكفر وهذا القول منقول عن جماعة من المفسرين
ويدل عليه قوله في سورة البقرة فبعث الله النبيين وتقديره انه لا يصلح في ان تصير
الناس على دين واحد فانهم كانوا اولا على الكفر وانما اسلم بعضهم ففيه تسلية للنبي
صلى الله عليه وسلم وقيل كان الناس امة واحدة وليس في الاية ما يدل على اي
دين كانوا من ايمان وكفر فهو موقوف على دليل خارج وقيل معناه انهم كانوا
في اول الخلق على الفطرة السليمة الصحيحة ثم اختلفوا في الاديان واليه الاشارة بقوله
صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة فابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه
والمراد بالفطرة في الحديث فطرة الاسلام وقوله تعالى ولولا كلمة سبقت من ربك
يعني انه تعالى جعل لكل امة اجلا وقضى في سابق الازل قال الكلبي هي امهال هذه الامة
وانه لا يهلكهم بالعذاب لقضي بينهم يعني بنزول العذاب وتعجيل العقوبة للمكذبين
لكان ذلك فصلا بينهم فيما فيه يختلفون وقال الحسن ولولا كلمة سبقت من ربك
يعني مضت في حكمة الله انه لا يقضي عليهم فيما اختلفوا فيه من الثواب والعقاب دون
يوم القيامة لقضي بينهم في الدنيا فادخل المومنين الجنة بايمانهم وادخل الكافرين
النار بكفرهم ولكن سبق من الله انه لا ياخذ احدا الا بعد اقامة الحجة عليه وقيل الكلمة
التي سبقت من الله هي قوله ان رحمتي قد سبقت غضبي ولولا رحمته لعجل لهم العقوبة
في الدنيا ولكن اخرهم برحمته الى يوم القيامة ثم يقضي بينهم فيما كانوا فيه يختلفون
يعني في الدنيا ويقولون يعني كفار مكة لولا انزل عليه اية من ربه يعني هلا انزل
على محمد ما اقترحه عليه من الايات فقل اي قل لهم يا محمد انما الغيب لله يعني ان
الذي سالتموني هو من الغيب وانما الغيب لله لا يعلم احد ذلك الا هو والمعنى
لا يعلم احد متى نزول الاية الا هو فانتظروا يعني نزولها اني معكم من المنتظرين
وقيل معناه فانتظروا قضا الله بيننا باظهار المحق على المبطل اني معكم من المنتظرين
قوله عز وجل واذا اذقنا الناس رحمة يعني رخاء ونعمة من بعد ضراء مستهم يعني
من بعد شدة وبلاء وضيق في العيش اصابهم والمراد بالناس هنا كفار مكة
وذلك ان الله حبس عنهم المطر سبع سنين حتى هلكوا من الجوع والقحط ثم
ان الله تعالى رحمهم فانزل عليهم المطر الكثير حتى اخصبت البلاد وعاش الناس
بعد ذلك الضر فلم يتعظوا بذلك بل رجعوا الى العناد والكفر والمكر وهو قوله
تعالى اذا لهم مكر في اياتنا قال مجاهد اي تكذيب واستهزاء وقال مقاتل بن حيان
لا يقولون هذا رزق الله انما يقولون سقينا بنوء كذا وكذا ويدل على صحة هذا
القول ما روي عن زيد بن خالد الجهني قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
صلاة الصبح بالحديبية على اثر سماء كانت من الليل فلما انصرف اقبل على الناس

فقال هل

فقال هل تدرون ماذا قال ربكم قالوا الله ورسوله اعلم قال قال اصبح من عبادي
مومن بي وكافر فاما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مومن بي كافر بالكوكب
واما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مومن بالكوكب اخرجاه في الصحيحين
قوله على اثر سماء اي مطر كان قد وقع في الليل وسمي المطر سماء لانه ينزل من السماء
والانوا عند العرب هي منازل القمر اذا طلع نجم سقط نظيره وكانوا يعتقدون
ذلك في الجاهلية انه لا بد ذلك من وجود مطر وريح كما زعم المنجمون ايضا ومن
العرب من يجعل ذلك التاثير الطالع لانه ناء اي ظهر وطلع ومنهم من ينسبه للغارب
فنفى النبي صلى الله عليه وسلم صحة ذلك ونهى عنه وكفر معتقده اذا اعتقد ان
النجم فاعل ذلك التاثير واما من يجعله دليلا فهو جاهل بمعنى الدلالة واما من اسند
ذلك الى العادة التي يجوز انخرامها فقد كرهه قوم وحرمه قوم ومنهم من تاوله
الكفر بكفر نعمة الله والله اعلم وسمي تكذيبهم بايات الله مكرا لان المكر عبارة عن
صرف الشي عن وجهه الظاهر بنوع من الحيلة فكان كفار مكة يحتالون في دفع ايات
الله بكل ما يقدرون عليه من المفاسد قل الله اسرع مكرا اي قل لهم يا محمد الله اعجل
عقوبة واشد اخذا واقدر على الجزاء وان عذابه في اهلاككم اسرع اليكم مما ياتي منكم
في دفع الحق ولما قابلوا نعمة الله بالمكر قابل مكرهم بمكر اشد منه وهو امهالهم الى
يوم القيامة ان رسلنا يكتبون ما تمكرون يعني الحفظة الكرام الكاتبين يكتبون
ويحفظون عليهم اعمالهم القبيحة السيئة الى يوم القيامة حتى يفتضحوا بها ويجزون
على مكرهم قوله تعالى هو الذي يسيركم في البر والبحر يعني والله الذي يسيركم ويحملكم
في البر على ظهر الدواب وفي البحر في الفلك وقيل معناه والله الهادي لكم الى
السير في البر والبحر طلبا للمعاش   اسباب السير في البر والبحر حتى اذا كنتم في
الفلك يعني في السفن ولفظ الفلك يطلق على الواحد والجمع وتقديرهما مختلفان
فان اريد بها الواحد كان كبناء قفل وان اريد به الجمع كان كبناء حمر والمراد به هنا الجمع لقوله
تعالى وجرين بهم يعني وجرت السفن بركابها فان قلت ما فايدة صرف الكلام عن الخطاب
الى الغيبة قلت قال صاحب الكشاف المقصود منه للمبالغة كانه يذكر لغيرهم حالهم ليعجبهم
منها ويستدعي منهم مزيد الانكار والتقبيح وقال غيره ان مخاطبة الله لعباده على لسان نبيه
صلى الله عليه وسلم فهو بمنزلة الخبر عن الغايب وكل من اقام الغايب مقام المخاطب حسن منه
ان يرده الى الغايب وقيل ان الالتفات في الكلام من الغيبة الى الحضور وبالعكس
هو من فصيح كلام العرب بريح طيبة يعني وجرت السفن بريح طيبة ساكنة وفرحوا
بها يعني وفرح ركبان تلك الفلك بتلك الريح الطيبة لان الانسان اذا ركب السفينة
ووجد الريح الطيبة الموافقة للمقصود حصل له النفع التام والمسرة العظيمة بذلك
جاءتها ريح عاصف قيل ان الضمير في جاءتها يرجع الى الريح فيكون المعنى جاءت الريح الطيبة

ريح عاصف شديدة فاقبلنها وقيل الضمير في جاءتها يرجع الى الفلك يعني جاءت الفلك
ريح عاصف يقال ريح عاصف وعاصفة ومعنى عصفت الريح اشتدت واصل
العصف السرعة وانما قال عاصف لانه يراد به ذات عصوف او لاجل ان الريح
قد تذكر وجاءهم الموج من كل مكان يعني وجاء ركبان السفينة الموج وهو ما ارتفع
من غوارب الماء في البحر وقيل هو شدة حركة الماء في البحر واختلاطه وظنوا انهم احيط
بهم يعني وظنوا ان الهلاك قد احاط بهم واحدق وقيل المراد من الظن اليقين
اي وايقنوا انه الهلاك وقيل المراد منه المقاربة من الهلاك والدنو منه والاشراف
عليه دعوا الله مخلصين له الدين يعني انهم اخلصوا في الدعاء لله عز وجل ولم
يدعوا احدا سواه من الهتهم وقيل في معنى هذا الاخلاص العلم يعني لا اخلاص
ايمان لانهم كانوا يعلمون حقيقة انه لا ينجيهم من جميع الشدائد والبلايا الا الله تعالى
فكانوا اذا وقعوا في شدة وحزن بلا اخلصوا لله الدعاء لئن انجيتنا اي قائلين
لئن انجيتنا يا ربنا من هذه يعني من هذه الشدائد التي نحن فيها وهي الريح العاصف
والامواج الشديدة لنكونن من الشاكرين يعني من الشاكرين لك على انعامك علينا
بخلاصنا مما نحن فيه من هذه الشدة فلما انجاهم يعني فلما انجى الله هؤلاء الذين ظنوا
انهم احيط بهم من الشدة التي كانوا فيها اذا هم يبغون في الارض بغير الحق يعني
انهم اخلفوا الله ما وعدوه وبغوا في الارض فتجاوزوا فيها الى غير ما امر الله به من
الكفر والعمل بالمعاصي على ظهرها واصل البغي مجاوزة الحد قال صاحب المفردات
والبغي على ضربين احدهما محمود وهو مجاوزة العدل الى الاحسان والفرض الى التطوع
والثاني مذموم وهو مجاوزة الحق الى الباطل او الى الشبهة وقال صاحب الكشاف
فان قلت ما معنى قوله بغير الحق والبغي لا يكون بحق قلت بل قد يكون بحق وهو
استيلاء المسلمين على ارض الكفرة وهدم دورهم واحراق زروعهم وقطع اشجارهم
كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ببني قريظة يا ايها الناس انما بغيكم على انفسكم
يعني ان وبال بغيكم راجع اليكم متاع الحياة الدنيا قيل هو كلام مبتدا والمعنى ان
بغي بعضكم على بعض هو متاع الحياة الدنيا لا يصلح لزاد الاخرة وقيل هو كلام
متصل بما قبله والمعنى يا ايها الناس انما بغيكم على انفسكم لا ينبغي ان يبغي
بعضكم على بعض الا اياما قليلة وهي مدة حياتكم مع قصرها في سرعة انقضائها
والبغي من منكرات الذنوب العظام قال بعضهم لو بغى جبل على جبل لاندك
الباغي وقد نظم بعضهم هذا المعنى وقال وكان المامون يتمثل به يا صاحب
البغي ان البغي مصرعة فارجع فخير مقال المرء اعدله فلو بغى جبل يوما على
جبل لاندك منه اعاليه واسفله وقوله تعالى ثم الينا مرجعكم يعني يوم القيامة
فننبئكم بما كنتم تعملون يعني في الدنيا من البغي والمعاصي فنجازيكم عليها قوله

اي يجزيكم

عز وجل

عز وجل انما مثل الحياة الدنيا يعني في فنائها وزوالها كماء انزلناه من السماء يعني المطر
فاختلط به اي بالمطر نبات الارض قال ابن عباس نبت بالماء من كل لون مما ياكل
الناس يعني من الحبوب والثمار والانعام يعني وما ياكل الانعام من الحشيش ونحوه
حتى اذا اخذت الارض زخرفها يعني حسنها ونضارتها وبهجتها واظهرت الوان زهرها
من ابيض واحمر واصفر وغير ذلك من الزهور وازينت اي وتزينت وظن اهلها
يعني اهل تلك الارض انهم قادرون عليها يعني على جدادها وقطافها وحصادها رد الكناية
الى الارض والمراد النبات اذ كان مفهوما وقيل رده الى الثمرة والغلة وقيل الى الزينة
اتاها امرنا يعني قضاؤنا باهلاكها ليلا او نهارا يعني في الليل او النهار فجعلناها حصيدا
يعني محصودة مقطوعة كان لم تغن بالامس يعني كان لم تكن تلك الاشجار والنبات
والزرع نابتة قائمة على ظهر الارض واصله من غني فلان بالمكان اذا اقام به وهذا
مثل ضربه الله تعالى للمتشبث بالدنيا الراغب في زهرتها وحسنها وذلك انه تعالى لما قال
يا ايها الناس انما بغيكم على انفسكم متاع الحياة الدنيا اتبعه بهذا المثل لمن بغى في الارض
وتجبر فيها وركن الى الدنيا واعرض عن الاخرة لان النبات في اول بروزه من الارض
ومبتدا خروجه يكون ضعيفا فاذا نزل عليه المطر واختلط به قوي وحسن واكتسى
كمال الرونق والزينة وهو المراد من قوله حتى اذا اخذت الارض زخرفها وازينت يعني
بالنبات والزخرف عبارة عن كمال حسن الشي فجعلت الارض اخذة زخرفها على التشبيه
بالعروس اذا لبست الثياب الفاخرة من كل لون حسن من حمرة وخضرة وصفرة وبياض
ولا شك ان الارض متى كانت على هذه الصفة فانه يفرح بها صاحبها ويعظم رجاؤه
في الانتفاع بها وبما فيها ثم ان الله تعالى ارسل على هذه الارض صاعقة او بردا او ريحا
فجعلها حصيدا كان لم تكن من قبل قال قتادة ان المتشبث بالدنيا ياتيه امر الله وعذابه
اغفل ما يكون ووجه التمثيل ان غاية هذه الحياة الدنيا التي ينتفع بها المرء كغاية هذا النبات
الذي اعظم الرجاء في الانتفاع به وقع الياس منه ولان المتمسك بالدنيا اذا نال منها بغيته
اتاه الموت بغتة فسلبه مما هو فيه من نعيم الدنيا ولذاتها وقيل يحتمل ان يكون ضرب
هذا المثل لمن ينكر المعاد والبعث بعد الموت وذلك لان الزرع اذا انتهى وتكامل في
الحسن الى الغاية القصوى اتاه افة فتلف بالكلية ليدل على ان من قدر على اعادة ذلك
النبات بعد التلف كان قادرا على اعادة الاموات احياء في الاخرة ليجازيهم على اعمالهم فيثيب
الطائع ويعاقب العاصي كذلك نفصل الايات لقوم يتفكرون يعني كما بينا لكم مثل حياة
الدنيا وعرفناكم حكمها كذلك نبين حججنا وادلتنا لمن تفكر واعتبر ليكون ذلك موجبا وسببا
لزوال الشك والشبهة من القلوب قوله تعالى والله يدعو الى دار السلام لما ذكر الله هذه
الحياة الدنيا وانها فانية زائلة لا محالة الى دعا داره دار السلام قال قتادة الله هو السلام
وداره الجنة فعلى هذا السلام اسم من اسماء الله عز وجل ومعناه انه تعالى سلم من جميع النقائص

والعيوب والفنا والتغير وقيل ان الله تعالى يوصف بالسلام لان الخلق سلموا من ظلمه وقيل
الله تعالى يوصف بالسلام بمعنى ذو السلام اي لا يقدر على تخليص العاجزين من المكاره والآفات
الا هو وقيل دار السلام اسم للجنة وهو جمع سلامة والمعنى ان من دخلها فقد سلم من جميع الآفات
كالموت والمرض والمصايب والحزن والغم والعيب والنكد وقيل سميت الجنة دار السلام
لان الله تعالى يسلم على اهلها او تسلم الملايكة عليهم وقيل ان من كمال رحمة الله وجوده
وكرمه على عباده ان دعاهم الى جنته التي هي دار السلام وفيه دليل على ان فيها ما لا
عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر لان العظيم لا يدعوا الا الى عظيم
ولا يصف الا عظيما وقد وصف الله الجنة في ايات كثيرة من كتابه ويهدي من يشا
الى صراط مستقيم يعني والله يهدي من يشا من خلقه الى صراطه المستقيم وهو دين
الاسلام عمم بالدعوة اولا اظهارا للحجة وخص بالدعوة ثانيا استغناء عن الخلق واظهارا
للقدرة فحصلت المغايرة بين الدعوتين خ عن جابر قال جات ملايكة الى النبي صلى الله عليه
وسلم وهو نايم فقال بعضهم انه نايم وقال بعضهم العين نايمة والقلب يقظان فقالوا ان
لصاحبكم مثلا فاضربوا له مثلا فقالوا مثله كمثل رجل بنى دارا وجعل فيها مادبة وبعث داعيا
فمن اجاب الداعي دخل الدار واكل من المادبة ومن لم يجب الداعي لم يدخل الدار ولم ياكل
من المادبة فقالوا اولوها له يفقهها قال بعضهم ان العين نايمة والقلب يقظان فالدار
الجنة والداعي محمد فمن اطاع محمدا فقد اطاع الله ومن عصى محمدا فقد عصى الله ومحمد فرق
بين الناس وفي رواية قال جابر خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يزد قال الحميدي
وذكر ابو مسعود اوله فقال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اني رايت في
المنام كان جبريل عند راسي وميكايل عند رجلي يقول احدهما لصاحبه اضرب له مثلا وذكره
عن النواس بن سمعان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله ضرب مثلا صراطا
مستقيما على كنفي الصراط زوران لهما ابواب مفتحة على الابواب ستور وداع يدعوا على راس
الصراط وداع يدعوا فوقه والله يدعوا الى دار السلام ويهدي من يشا الى صراط مستقيم
والابواب التي على كنفي الصراط حدود الله حتى يكشف الستر والذي يدعوا من فوقه واعظ
ربه اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب قوله عز وجل للذين احسنوا الحسنى قال ابن
عباس للذين شهدوا ان لا اله الا الله الجنة وقيل معناه للذين احسنوا عبادة الله في الدنيا
من خلقه واطاعوه فيما امرهم به ونهاهم عنه الحسنى قال ابن الانباري الحسنى في اللغة
تانيث الاحسن والعرب توقع هذه اللفظة على الخلة المحبوبة والخصلة المرغوب فيها
وقيل معناه للذين احسنوا المثوبة الحسنى وزيادة اختلف اهل التفسير في معنى هذه الحسنى
وهذه الزيادة على اقوال القول الاول ان الحسنى هي الجنة والزيادة هي النظر الى وجه الله
الكريم وهذا قول جماعة من الصحابة منهم ابو بكر الصديق وحذيفة وابو موسى الاشعري
وعبادة بن الصامت وهو قول الحسن وعكرمة والضحاك ومقاتل والسدي ويدل

على صحة

على صحة هذا القول المنقول والمعقول اما المنقول فما روي عن صهيب ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال اذا دخل اهل الجنة الجنة يقول الله تبارك وتعالى
تريدون شيا ازيدكم فيقولون الم تبيض وجوهنا الم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار
قال فيكشف الحجاب فما اعطوا شيا احب اليهم من النظر الى ربهم تبارك وتعالى
زاد في رواية ثم تلا هذه الاية للذين احسنوا الحسنى وزيادة اخرجه مسلم وروى الطبري
بسنده عن كعب بن عجرة عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله للذين احسنوا الحسنى وزيادة
قال الزيادة النظر الى وجه الله وبه عن ابي بن كعب انه سال رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن قول الله تعالى للذين احسنوا الحسنى وزيادة قال الحسنى الجنة والزيادة النظر الى وجه الله
وبه عن ابي بكر الصديق للذين احسنوا الحسنى وزيادة قال النظر الى وجه الله وبه عن ابي
موسى الاشعري قال اذا كان يوم القيامة بعث الله الى اهل الجنة مناديا ينادي يا اهل
الجنة ان الله وعدكم فينظرون الى ما وعد الله بهم من الكرامات فيقولون نعم فيقول الله
للذين احسنوا الحسنى وزيادة النظر الى وجه الرحمن تبارك وتعالى وفي رواية رفعه ابو موسى
قال عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يبعث يوم القيامة وذكره بمعناه وبه عن عبد
الرحمن بن ابي ليلى قال فاذا دخل اهل الجنة الجنة قال لهم قد بقي من حقكم شي لم تعطوه
قال فيتجلى لهم جل وعز قال فيصغر عندهم كل شي اعطوه ثم قال للذين احسنوا الحسنى وزيادة
قال الحسنى الجنة والزيادة النظر الى وجه ربهم فهذه الاخبار والاثار قد دلت على ان
المراد بهذه الزيادة هي النظر الى وجه الله تبارك وتعالى واما المعقول فنقول ان الحسنى لفظة
مفردة دخل عليها حرف التعريف فانصرف الى المعهود السابق وهو الجنة في قوله والله
يدعوا الى دار السلام فيثبت بهذا ان المراد من لفظة الحسنى هي الجنة واذا ثبت هذا وجب
ان يكون المراد من الزيادة امرا مغايرا لكل ما في الجنة من النعيم والا لزم التكرار واذا كان كذلك
وجب حمل هذه الزيادة على روية الله تعالى ومما يوكد ذلك قوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة
الى ربها ناظرة فاثبت لاهل الجنة امرين احدهما النضارة وهي حسن الوجوه وذلك
من نعيم الجنة والثاني النظر الى وجه الله تعالى وايات القران يفسر بعضها بعضا فوجب
حمل الحسنى على الجنة ونعيمها وحمل الزيادة على روية الله تعالى وقالت المعتزلة لا يجوز حمل
هذه الزيادة على الروية لان الدلايل العقلية دلت على ان روية الله تعالى ممتنعة ولان
الزيادة يجب ان تكون من جنس المزيد عليه وروية الله تعالى ليست من
جنس نعيم الجنة ولان الاخبار التي تقدمت توجب التشبيه ولان جماعة
من المفسرين حملوا هذه الزيادة على الروية فانتفى ما قلتم فاجاب اصحابنا
عن هذه الاعتراضات بان الدلايل العقلية قد دلت على امكان وقوع روية الله تعالى
في الاخرة واذا لم يوجد في العقل ما يمنع من روية الله تعالى وجاءت الاحاديث
الصحيحة باثبات الروية وجب المصير اليها واجراوها على ظواهرها من غير تشبيه

ولا احاطة واجيب عن قولهم بان الزيادة يجب ان تكون من جنس المزيد عليه فنقول
المزيد عليه اذا كان مقدرا بمقدار معين كانت الزيادة من جنسه واذا لم يكن بمقدار
معين وجب ان تكون الزيادة مخالفة لها فالمذكور في الاية لفظ الحسنى وهي
الجنة ونعيمها غير مقدر بقدر معين وجب ان الزيادة عليها يكون شيئا
مغاير النعيم الجنة وذلك المغاير هو الروية واجيب عن قولهم بان جماعة
من المفسرين حملوا الزيادة على غير الروية معارض بقول جماعة من المفسرين
بان الزيادة هي الروية والمثبت مقدم على النافي والله اعلم القول الثاني في معنى
هذه الاية ما روي عن علي بن ابي طالب انه قال الزيادة غرفة من لؤلوة واحدة
لها اربعة ابواب القول الثالث الحسنى واحدة الحسنات والزيادة التضعيف
الى تمام العشرة والى سبعمائة قال ابن عباس هو مثل قوله تعالى ولدينا مزيد يقول
نجزيهم بعملهم ونزيدهم من فضله قال قتادة كان الحسن يقول الزيادة بالحسنة عشر
امثالها الى سبعمائة ضعف القول الرابع ان الحسنى حسنة مثل حسنة والزيادة مغفرة
من الله ورضوان قاله مجاهد القول الخامس قول ابن زيد ان الحسنى هي الجنة والزيادة
ما اعطاهم في الدنيا لا يحاسبهم به يوم القيامة وقوله تعالى ولا يرهق وجوههم يعني
ولا يغشى وجوه اهل الجنة قتر اي كآبة ولا كسوف ولا غبار وقال ابن عباس هو سواد
الوجه ولا ذلة يعني ولا هوان قال ابن ابي ليلى هذا بعد نظرهم الى ربهم تبارك وتعالى
اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون يعني ان هؤلاء وصفت صفتهم هم اصحاب الجنة
لا غيرهم وهم فيها مقيمون لا يخرجون منها ابدا قوله تعالى والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة
بمثلها اعلم انه لما شرح الله تعالى احوال المحسنين وما اعد لهم من الكرامات شرح في هذه
الاية حال من اقدم على السيئات والمراد بهم الكفار فقال تعالى والذين كسبوا السيئات
يعني والذين عملوا الكفر والمعاصي جزاء سيئة بمثلها فلهم جزاء السيئة يعني عملوها مثلها
من العقاب والمقصود من هذا التقييد التنبيه على الفرق بين الحسنات والسيئات لان الحسنات
يضاعف ثوابها العاملها من الواحدة الى العشرة الى السبعمائة الى اضعاف كثيرة
وذلك تفضلا منه وتكرما واما السيئات فانه يجازي عليها بمثلها عدلا منه سبحانه وتعالى
وترهقهم ذلة قال ابن عباس تغشاهم ذلة وشدة وقيل تغشاهم ذلة وهوان بعقاب
الله اياهم ما لهم من الله من عاصم يعني ما لهم مانع يمنعهم من عذاب الله اذا نزل
بهم كانما اغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلما يعني كانما البست وجوههم
سوادا من الليل المظلم اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون قوله تعالى
ويوم نحشرهم جميعا الحشر الجمع من كل جانب وناحية الى موضع واحد والمعنى
ويوم نجمع الخلائق جميعا الموقف للحساب وهو يوم القيامة ثم نقول للذين اشركوا
مكانكم اي اثبتوا فيه حتى تسالوا وفي هذا وعيد وتهديد للعابدين والمعبودين

اي الزموا مكانكم حو

انتم وشركاؤكم

انتم وشركاؤكم يعني انتم ايها المشركون والاصنام التي كنتم تعبدونها من دون الله
فزيلنا بينهم يعني فرقنا بين العابدين والمعبودين وميزنا بينهم وانقطع ما كان
بينهم من التواصل في الدنيا فان قلت قوله فزيلنا بينهم جاء على لفظ الماضي بعد
قوله ثم نقول للذين اشركوا وهو منتظر في المستقبل فما وجهه قلت السبب فيه
ان الذي حكم الله فيه بانه سيكون صار كالكائن الان قوله وقال شركاؤهم
يعني الاصنام التي كانوا يعبدونها من دون الله وانما سماهم شركاءهم لانهم
جعلوا لهم نصيبا من اموالهم اولانه تعالى لما خاطب العابدين والمعبودين بقوله
مكانكم فقد صاروا شركاء في هذا الخطاب ما كنتم ايانا تعبدون تبرأ المعبودون من
العابدين فان قلت كيف صدر هذا الكلام عن الاصنام وهي جماد لا روح
فيها ولا عقل لها قلت يحتمل ان الله خلق لها في ذلك اليوم الحياة والعقل والنطق
حتى قدرت على هذا الكلام فان قلت اذا احياهم الله في ذلك اليوم فهل يفنيهم
او يبقيهم قلت الكل محتمل ولا اعتراض على الله في شيء من افعاله واحوال القيامة
غير معلومة الا ما دل عليه الدليل من كتاب او سنة فان قلت ان الاصنام قد انكر
ان الكفار كانوا يعبدونها وقد كانوا يعبدونها قلت قد تقدمت هذه المسئلة
وجوابها في سورة الانعام والقول هنا قال مجاهد يكون في يوم القيامة ساعة
فيها شدة تنصب لهم الالهة التي كانوا يعبدونها من دون الله فيقول الالهة
والله ما كنا نسمع ولا نبصر ولا نعقل ولا نعلم انكم تعبدوننا فيقولون والله اياكم
كنا نعبد فتقول لهم الالهة فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم ان كنا عن عبادتكم
لغافلين والمعنى قد علم الله وكفى به شهيدا انا ما علمنا انكم كنتم تعبدوننا وما
كنا عن عبادتكم ايانا من دون الله الا غافلين لا نشعر بذلك اما قوله تعالى
هنالك تبلوا كل نفس ما اسلفت فهو كالتتمة للاية المتقدمة والمعنى ان في ذلك
المقام او ذلك الموقف او في ذلك الوقت على معنى الاستعارة اطلاق اسم المكان
على الزمان وفي قوله تبلوا قراءتان قرئ تتلوا ولها معنيان احدهما انه من تلاه
اذا تبعه اي تتبع كل نفس ما اسلفت لان العمل هو الذي يهدي النفس الى الثواب
والمعنى ان كل نفس تقرأ صحيفة عملها من خير او شر وقرئ تبلوا بالتاء والباء ومعناه
تخبر وتعلم والبلو الاختبار ومعناه اختبارها ما اسلفت انه قدم خيرا او شرا قدم
عليه وجوزي به وردوا الى الله مولاهم الحق الرد عبارة عن صرف الشيء الى الموضع
الذي جاء منه والمعنى وردوا الى ما ظهر لهم من الله الى الله الذي هو مالكهم ومتولي
امورهم فان قلت قد قال الله تعالى في اية اخرى وان الكافرين لا مولى لهم فما الفرق
قلت المولى في اللغة يطلق على المالك ومعنى المولى هناك الناصر فحصل الفرق بين
الايتين وضل عنهم ما كانوا يفترون يعني وبطل وذهب ما كانوا يكذبون فيه في الدنيا

وهو قولهم ان هذه الاصنام تشفع لنا قوله عز وجل قل من يرزقكم من السما والارض اى
قل يا محمد لهولا المشركين من يرزقكم من السما يعنى المطر والارض يعنى النبات ام من يملك
السمع والابصار يعنى ومن اعطاكم هذه الحواس التى تسمعون بها وتبصرون بها
ومن يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى يعنى انه تعالى يخرج الانسان حيا من النطفة
وهى ميتة وكذلك الطير من البيضة وكذلك يخرج النطفة الميتة من الانسان الحى ويخرج
البيضة الميتة من الطاير الحى وقيل معناه انه يخرج المومن من الكافر والكافر من المومن
والقول الاول اقرب الى الحقيقة ومن يدبر الامر يعنى ان مدبر امر السموات وما فيها
ومدبر امر الارض وما فيها هو الله تعالى وكذلك قوله فسيقولون الله يعنى انهم يعترفون
بان فاعل هذه الاشيا هو الله اذا كانوا يعترفون بذلك فقل لهم يا محمد افلا تتقون
يعنى افلا تخافون عقابه حيث تعبدون هذه الاصنام التى لا تضر ولا تنفع ولا تقدر على
شى من هذه الامور فذلكم الله ربكم الحق يعنى فذلكم الذى يفعل هذه الاشياء
ويقدر عليها هو الله ربكم الحق الذى يستحق العبادة لا هذه الاصنام فماذا بعد الحق الا الضلال
يعنى اذا ثبت بهذه البراهين الواضحة والدلايل القطعية ان الله هو الحق وجب ان يكون
ما سواه ضلالا وباطلا فانى تصرفون يعنى اذا عرفتم هذا الامر الظاهر الواضح فكيف تستجيزون
العدول عن الحق الى الضلال الباطل كذلك اى كما ثبت انه ليس بعد الحق الا الضلال
حقت اى وجبت كلمة ربك فى الازل على الذين فسقوا انهم لا يومنون قيل اراد
بكلمة الله قضاه عليهم فى اللوح المحفوظ انهم لا يومنون وقضا الله لا يرد ولا
يدافع قل هل من شركايكم اى قل يا محمد لهولا المشركين هل من شركايكم يعنى هذه
الاصنام التى تزعمون انها الهة من يبدوا الخلق يعنى من يقدر على ان ينشى الخلق
على غير مثال سبق ثم يعيده اى ثم يعيده بعد الموت لهيته اول مرة وهذا السوال استفهام
انكار قل انت يا محمد الله يبدو الخلق ثم يعيده يعنى الله هو القادر على ابدا الخلق
واعادته فانى توفكون يعنى فانى تصرفون عن قصد السبيل والمراد من هذا التعجب
من احوالهم كيف تركوا هذا الامر الواضح وعدلوا عنه الى غيره قل اى قل يا محمد هل
من شركايكم من يهدى الى الحق يعنى هل من هذه الاصنام من يقدر على ان يرشد
الى الحق فاذا قالوا لا ولا بد لهم من ذلك قل اى قل لهم انت الله يهدى للحق
يعنى ان الله هو الذى يرشد الى الحق لا غيره افمن يهدى الى الحق احق ان يتبع امن
لا يهدى الا ان يهدى يعنى ان الله هو الذى يهدى الى الحق فهو احق بالاتباع لا هذه
الاصنام التى لا تهتدى الا ان يهدى فان قلت الاصنام جماد لا يتصور هدايتها ولا ان
تهدى فكيف قال الا ان يهدى قلت ذكر العلما عن هذا السوال وجوها الاول ان معنى الهداية
فى حق الاصنام الانتقال من مكان الى مكان فيكون المعنى انها لا تنتقل من مكان الى مكان
الا ان تحمل وتنقل فتبين بهذا عجز الاصنام الوجه الثانى ان ذكر الهداية فى حق الاصنام

على وجه المجاز وذلك ان المشركين اتخذوا الاصنام الهة وانزلوها منزلة من يسمع ويعقل
عبر عنها بما يعبر عمن يسمع ويعقل ويعلم ووصفها بهذه الصفة وان كان الامر ليس كذلك
الوجه الثالث يحتمل ان يكون المراد من قوله هل من شركايكم من يبدو الخلق ثم يعيده
الاصنام والمراد من قوله هل من شركايكم من يهدى الى الحق روسا الكفر والضلالة
والله تعالى هدى الخلق الى الدين بما اظهر من الدلايل الدالة على وحدانيته واما روسا
الكفر والضلالة فانهم لا يقدرون على هداية غيرهم الا اذا هداهم الله الى الحق فكان اتباع
دين الله والتمسك بهدايته اولى من اتباع غيره وقوله تعالى فما لكم كيف تحكمون
قال الزجاج فما لكم كيف تحكمون يعنى على اى حال تحكمون وقيل معناه كيف تقضون لانفسكم
بالجور حين تزعمون ان مع الله شركا وقيل معناه بيسما حكمتم اذ جعلتم لله شركا
من ليس بيده منفعة ولا مضرة ولا هداية وما يتبع اكثرهم الا ظنا يعنى وما يتبع اكثر هولا
المشركين الا ما لا علم لهم بحقيقته وصحته بل هم فى شك منه وريبة قيل اراد بالاكثر
الكل لان جميع المشركين يتبعون الظن فى دعواهم ان الاصنام تشفع لهم وقيل المراد
بالاكثر الروسا ان الظن لا يغنى من الحق شيا يعنى ان الشك لا يغنى عن الحق شيا
ولا يقوم مقامه وقيل فى الاية ان قولهم ان الاصنام الهة وانها تشفع لهم ظنا منهم
لم يرد به كتاب ولا رسول ان الظن لا يغنى من الحق شيا يعنى ولا يدفع عنهم من عذاب
الله شيا ان الله عليم بما يفعلون يعنى من اتباعهم الظن وتكذيبهم الحق اليقين
وما كان هذا القران ان يفترى من دون الله يعنى وما كان ينبغى لهذا القران ان
يختلق ويفتعل لان معنى الافترا الاختلاق والمعنى ليس وصف القران وصف
شى يمكن ان يفترى به على الله لان المفترى هو الذى ياتى به البشر وذلك ان كفار
مكة زعموا ان محمدا صلى الله عليه وسلم اتى بهذا القران من عند نفسه على سبيل الافتعال
والاختلاق فاخبر الله عز وجل ان هذا القران وحى انزله الله عليه وانه مبرى عن
الافترا والكذب وانه لا يقدر عليه احد الا الله ثم ذكر ما يوكد ذلك بقوله ولكن
تصديق الذى بين يديه يعنى ولكن الله انزل هذا القران مصدقا لما قبله من الكتب
التى انزلها على انبيايه كالتورية والانجيل وتقرير هذا ان محمدا صلى الله عليه وسلم
كان اميا لا يقرا ولا يكتب ولا يجتمع باحد من العلما ثم انه صلى الله عليه وسلم اتى
بهذا القران العظيم المعجز وفيه اخبار الاولين وقصص الماضين وكل ذلك
موافق لما فى التوراة والانجيل والكتب المنزلة قبله ولو لم يكن كذلك لقدحوا
فيه لعداوة اهل الكتاب له ولما لم يقدح فيه احد من اهل الكتاب علم بذلك ان
ما فيه من القصص والاخبار مطابقة لما فى التوراة والانجيل مع القطع بانه ما علم
ما فيها فثبت بذلك انه وحى من الله انزله عليه وانه مصدق لما بين يديه وانه
معجزة له وقيل فى معنى قوله ولكن تصديق الذى بين يديه يعنى من اخبار الغيوب

الآية فانها جاءت على وفق ما اخبر وتفصيل الكتاب يعني وتبيين ما في الكتاب من الحلال
والحرام والفرائض والاحكام لا ريب فيه من رب العالمين يعني ان هذا القرآن لا شك فيه
انه من رب العالمين وانه ليس مفترى على الله وانه لا يقدر احد على الاتيان بمثله وهو قوله
تعالى ام يقولون افتراه يعني ام يقول هؤلاء المشركين افترى محمد هذا القرآن واختلقه من
قبل نفسه وهو استفهام انكار وقيل ام بمعنى الواو ويقولون افتراه قل يا محمد ان كان الامر
كما يقولون فاتوا بسورة مثله يعني سورة تشبهه في الفصاحة والبلاغة وحسن النظم
وانتم عرب مثلي في الفصاحة والبلاغة فان قلت قال فاتوا بسورة من مثله في سورة
البقرة وقال هنا بسورة مثله فما فائدة ذلك وما الفرق بينهما قلت لما كان محمد
صلى الله عليه وسلم اميا لم يقرأ ولم يكتب واتى بهذا القرآن كان معجزا في نفسه فقيل لهم
فاتوا بسورة من مثله يعني مع انسان امي مثل محمد صلى الله عليه وسلم يساويه في عدم الكتابة
والقراءة واما قوله بسورة مثله اي فاتوا بسورة تساوي سور القرآن في الفصاحة
والبلاغة وهو المراد بقوله بسورة مثله يعني ان السورة في نفسها معجزة فان الخلق
لو اجتمعوا على ذلك لم يقدروا عليه وهو المراد من قوله وادعوا من استطعتم من
دون الله يعني وادعوا على الاستعانة على ذلك من استطعتم من خلقه ان كنتم صادقين
يعني في قولكم ان محمدا افتراه ثم قال تعالى بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه اي كذبوا بما لم يعلموه
يعني القرآن قال عطاء يريد انه ليس خلق يحيطوا بجميع علوم القرآن وقيل بل كذبوا
بما لم يحيطوا بعلمه معناه بل كذبوا بما في القرآن من ذكر الجنة والنار والحشر والقيامة
والثواب والعقاب بما لم يحيطوا بعلمه لانهم كانوا ينكرون ذلك كله وقيل انهم لما
سمعوا ما في القرآن من القصص واخبار الامم الخالية ولم يكونوا سمعوها قبل
ذلك انكروها لجهلهم فرد الله عليهم بقوله بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه لان القرآن
العظيم مشتمل على علوم كثيرة لا يقدر احد على تحصيلها ولما ياتهم تاويله يعني انهم
كذبوا به ولما ياتهم بعد بيان ما يؤول اليه ذلك الوعيد الذي توعدهم الله في القرآن
به من العقوبة والمعنى انهم لم يعلموا ما يؤول اليه عاقبة امرهم وقيل معناه انهم
لم يعلموه تنزيلا ولا علموه تاويلا فكذبوا به وذلك لانهم جهلوا القرآن وعلمه وعلم
تاويله كذلك كذب الذين من قبلهم يعني كما كذب هؤلاء بالقرآن كذلك كذبت
الامم الماضية انبياءهم فيما وعدوهم به فانظر كيف كان عاقبة الظالمين الخطاب
للنبي صلى الله عليه وسلم اي فانظر يا محمد كيف عاقبة من ظلم من الامم كذلك عاقبة من
كذبك من قومك ففيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وقيل يحتمل ان يكون الخطاب
لكل فرد من الناس والمعنى فانظر ايها الانسان كيف كان عاقبة من ظلم واحذر ان
تفعل مثل فعله عز وجل ومنهم من يؤمن به يعني ومن قومك يا محمد من سيؤمن
بالقرآن ومنهم من لا يؤمن به لعلم الله السابق فيه انه لا يؤمن وربك اعلم بالمفسدين

اى محمد

يعني الذين

يعني الذين لا يؤمنون فان كذبوك قومك يا محمد فقل اي فقل لهم لي عملي يعني الطاعة
وجزاءها ثوابها ولكم عملكم يعني الشرك وجزاء عقابه انتم بريئون مما اعمل وانا بريء مما
تعملون قيل المراد منه الزجر والردع وقال مقاتل والكلبي هذه الآية منسوخة بآية
السيف قال الامام فخر الدين الرازي وهو بعيد لان شرط الناسخ ان يكون
رافعا لحكم المنسوخ ومدلول الآية اختصاص كل واحد بافعاله وبثمرات افعاله
من الثواب والعقاب وآية القتال رفعت شيئا من مدلولات هذه الآية فكان القول
باطلا قوله تعالى ومنهم يعني ومن هؤلاء المشركين من يستمعون اليك يعني باسماعهم
الظاهرة ولا ينفعهم لشدة بغضهم وعداوتهم لذلك افانت تسمع الصم يعني كما انك
لا تقدر على اسماع الاصم فكذلك لا تقدر على اسماع من اصمه الله سمع قلبه ولو كانوا
لا يعقلون يعني ان الله صرف قلوبهم عن الانتفاع بما يسمعون ولم يوفقهم لذلك فهم
بمنزلة الجهال اذ لم ينتفعوا بما سمعوا وهم ايضا كالصم الذين لا يعقلون شيئا ولا
يفهمونه لعدم التوفيق ومنهم من ينظر اليك يعني بابصارهم الظاهرة افانت تهدي
العمي يريد عمي القلوب ولو كانوا لا يبصرون لان الله اعمى بصائر قلوبهم فهم لا يبصرون
بها شيئا من الهدى وفي هذا تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل انك لا
تقدر ان تسمع من سلبته السمع ولا تقدر ان تهدي من سلبته البصر ولا تقدر ان
توفق للايمان من حكمت عليه ان لا يؤمن ان الله لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس
انفسهم يظلمون قال العلماء لما حكم الله عز وجل على اهل الشقوة بالشقاوة لقضائه
وقدره السابق فيهم اخبر في هذه الآية ان تقدير الشقوة عليهم ما كان ذلك
ظلما منه لانه يتصرف في ملكه كيف شاء والخلق كلهم عبيده وكل من تصرف في ملكه لا يكون
ظالما وانما قال ولكن الناس انفسهم يظلمون لان الفعل منسوب اليهم بسبب الكسب
وان كان قد سبق قضاء الله وقدره فيهم قوله تعالى ويوم نحشرهم جميعا يعني واذكر يا محمد يوم
نجمع هؤلاء المنكرين لموقف الحساب واصل الحشر اخراج الجماعة وازعاجهم عن مكانهم كان
لم يلبثوا الا ساعة من النهار يعني كان لم يلبثوا في الدنيا الا قدر ساعة من النهار وقيل
معناه كان لم يلبثوا في قبورهم الا قدر ساعة من النهار والوجه الاول اولى لان حال
المؤمن والكافر سوى في عدم المعرفة بمقدار لبثهم في القبور الى وقت الحشر فيتعين
حمله على امر يختص بحال الكفار وهو انهم لما لم ينتفعوا باعمارهم في الدنيا استقلوها
فالمؤمن لما انتفع بعمره انهم لما ضيعوا اعمارهم في طلب الدنيا والحرص عليها فيها
ولم يعملوا بطاعة الله فيها كان وجود ذلك كالعدم فلذلك استقلوه وقيل انهم لما
شاهدوا اهوال يوم القيامة وطال عليهم ذلك استقلوا مدة مقامهم في الدنيا لان
مقامهم في الدنيا في جنب مقامهم في الآخرة قليل جدا يتعارفون بينهم يعني يعرف بعضهم
بعضا اذا خرجوا من قبورهم كما كانوا يتعارفون في الدنيا ثم تنقطع المعرفة بينهم اذا عاينوا

في الدنيا لم يستقله وسبب استقلال الكفار مدة مقامهم في الدنيا صح

هول يوم القيامة وفي بعض الآثار ان الانسان يوم القيامة يعرف من بجنبه ولا يقدر ان
يكلمه هيبة وخشية وقيل ان احوال يوم القيامة مختلفة ففي بعضها يعرف بعضهم بعضا
وفي بعضها ينكر بعضهم بعضا لهول ما يعاينوا في ذلك اليوم قد خسر الذين كذبوا
بلقاء الله يعني ان من باع الآخرة الباقية بالدنيا الفانية فقد خسر لانه آثر الفاني على الباقي
وما كانوا مهتدين يعني الى ما يصلحهم وينجيهم من هذا الخسار واما نرينك يعني يا محمد
بعض الذي نعدهم يعني ما نعدهم به من العذاب في الدنيا فذلك او نتوفينك قبل
ان نريك هذا الوعد في الدنيا فانك ستراه في الآخرة وهو قوله تعالى فالينا مرجعهم يعني في
الآخرة وفيه دليل على ان الله يري رسوله صلى الله عليه وسلم انواعا من عذاب الكافرين
وذلهم وخزيهم في حال حياته في الدنيا وقد اراه ذلك في يوم بدر وغيره من الايام
وسيريه ما اعد لهم من العذاب في الآخرة بسبب كفرهم وتكذيبهم ثم الله شهيد على ما يفعلون
فيه وعيد وتهديد لهم يعني انه تعالى شاهد على افعالهم التي فعلوها في الدنيا فيجازيهم
عليها يوم القيامة قوله عز وجل ولكل امة رسول لما بين الله عز وجل حال محمد صلى الله عليه
وسلم مع قومه بين ان حال الانبياء مع اممهم كذلك فقال تعالى ولكل امة يعني قد خلت
وتقدمت قبلكم رسول يعني مبعوثا اليهم يدعوهم الى الله والى طاعته والايمان به فاذا جاء
رسولهم قضي بينهم بالقسط في هذا الكلام اضمار تقديره فاذا جاء رسولهم وبلغهم ما ارسل
به اليهم فكذبه قومه وصدقه آخرون قضي بينهم بالقسط يعني حكم بينهم بالعدل وفي وقت
هذا القضاء والحكم بينهم قولان احدهما انه في الدنيا وذلك ان الله تعالى لما ارسل لكل امة
رسولا لتبليغ الرسالة واقامة الحجة وازالة العذر فاذا كذبوا على رسولهم وخالفوا امره
قضى بينهم وبين رسولهم في الدنيا فيهلك الكافرين وينجي رسوله والمؤمنين ويكون ذلك عدلا
لا ظلما لانه قبل مجيء الرسول لا يكون ثوابا ولا عقابا القول الثاني ان وقت القضاء في الآخرة
وذلك ان الله اذا جمع الامم يوم القيامة للحساب والقضاء بينهم والفصل بين المؤمن
والكافر والطائع والعاصي جيء بالرسل لتشهد عليهم والمراد من ذلك المبالغة في اظهار
العدل وهو قوله تعالى وهم لا يظلمون يعني من جزاء اعمالهم شيئا ولكن يجازي كل احد
على قدر عمله وقيل معناه انهم لا يعذبون بغير ذنب ولا يؤاخذون بغير حجة ولا ينقص
من حسناتهم ولا يزاد على سيئاتهم ويقولون يعني هؤلاء الكفار متى هذا الوعد يعني الذي تعدنا
به يا محمد من نزول العذاب وقيل قيام الساعة وانما قالوا ذلك على وجه التكذيب
والاستبعاد ان كنتم صادقين يعني فيما تعدنا به وانما قالوا بلفظ الجمع لان كل امة قالت
لرسولها كذلك او يكون المعنى ان كنتم صادقين انت واتباعك يا محمد او ذكروه
بلفظ الجمع على سبيل التعظيم قل اي قل لهم يا محمد لا املك لنفسي ضرا ولا نفعا يعني
لا املك لنفسي دفع ضر او جلب نفع ولا اقدر على ذلك الا ما شاء الله يعني ان اقدر
عليه واملكه والمعنى ان انزال العذاب على الاعداء واظهار النصر للاولياء وعلم قيام

الساعة

الساعة لا يقدر عليه الا الله فتعيين الوقت الى الله تعالى بحسب مشيئته ثم اذا حضر
ذلك الوقت الذي وقته الله لحدوث هذه الاشياء فانه يحدث لا محالة وهو
قوله تعالى لكل امة اجل اي مدة مضروبة ووقت معين فاذا جاء اجلهم يعني اذا انقضت
مدة اعمارهم فلا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون يعني لا يتاخرون عن ذلك الاجل
الذي اجل لهم ولا يتقدمونه قل اي قل يا محمد لهؤلاء المشركين من قومك ارايتم ان
اتاكم عذابه بياتا يعني ليلا يقال بات يفعل كذا اذا فعله بالليل والسبب فيه ان
الانسان في الليل لا يكون الا في البيت غالبا فجعل الله هذا اللفظ كناية عن الليل
او نهارا يعني في النهار ماذا يستعجل منه المجرمون يعني ما الذي يستعجل من نزول
العذاب وقد وقعوا فيه وحقيقة المعنى انهم كانوا يستعجلون بنزول العذاب كما
اخبر الله عنهم بقوله اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة
من السماء او ائتنا بعذاب اليم فاجابهم الله بقوله ماذا يستعجل منه المجرمون
يعني اي شيء يعلم المجرمون ما يطلبون ويستعجلون كما يقول الرجل لغيره وقد فعل فعلا
قبيحا ماذا جنيت على نفسك اثم اذا ما وقع يعني اذا ما نزل العذاب ووقع امنتم به
يعني امنتم به بعد نزول العذاب وهو وقت الياس وقيل معناه صدقتم بالعذاب
عند نزوله ودخلت همزة الاستفهام على ثم للتوبيخ والتقريع الآن فيه اضمار تقديره
يقال لهم الآن تؤمنون حين وقع العذاب وقد كنتم به تستعجلون يعني تكذيبا واستهزاء
ثم قيل للذين ظلموا يعني ظلموا انفسهم بسبب شركهم وكفرهم بالله ذوقوا عذاب الخلد
هل تجزون الا بما كنتم تكسبون يعني في الدنيا من الاعمال قوله تعالى ويستنبئونك احق هو
يعني ويستخبرونك يا محمد احق ما تعدنا به من نزول العذاب وقيام الساعة قل اي وربي
اي قل لهم يا محمد نعم وربي انه لحق يعني ان الذي اعدكم به حق لا شك فيه وما انتم
بمعجزين يعني بفائتين من العذاب لان من عجز عن شيء فقد فاته ولو ان لكل نفس ظلمت
يعني اشركت ما في الارض لافتدت به يعني يوم القيامة والافتداء هنا بمعنى البدل لينجو
به من العذاب الا انه لا ينفعه الفداء ولا يقبل منه واسروا الندامة يعني يوم القيامة وانما جاء بلفظ
الماضي والقيامة من الامور المستقبلة لان احوال يوم القيامة لما كانت واجبة الوقوع
جعلها الله مستقبلها كالماضي والاسرار يكون بمعنى الاخفاء وبمعنى الاظهار وهو من الاضداد فلهذا
اختلفوا في قوله واسروا الندامة قال ابن عبيدة معناه واظهروا الندامة لان ذلك
اليوم ليس بيوم تصبر وتصنع وقيل معناه اخفوا يعني اخفى الرؤساء الندامة من الضعفاء
والاتباع خوفا من ملامتهم اياهم وتعييرهم لهم لما راوا العذاب يعني حين عاينوا
العذاب وابصروا وقضي بينهم بالقسط يعني وحكم بينهم بالعدل قيل بين المؤمنين والكافرين
وقيل بين الرؤساء والاتباع وقيل بين الكفار لاحتمال ان بعضهم قد ظلم بعضا
فيؤخذ للمظلوم من الظالم وهو قوله تعالى وهم لا يظلمون يعني حكم لهم وعليهم بالحق

من عذاب المظلوم ويتردى في عذاب الظالم الا ان لله ما في السموات والارض
يعني ان كل شي في السموات والارض لله ملك له ولا شريك فيه لغيره فليس للكافر
شي يفتدي به من عذاب الله يوم القيامة لان الاشيا كلها لله وهو ايضا ملك لله
فكيف يفتدي من هو مملوك لغيره بشي لا يملكه الا ان وعد الله حق يعني ما وعد
الله به على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم من ثواب الطايع وعقاب العاصي
حق لا شك فيه ولكن اكثرهم لا يعلمون يعني حقيقة ذلك هو يحيي ويميت يعني
الذي يملك ما في السموات والارض قادر على الاحيا والاماتة لا يتعذر عليه شي
مما اراده واليه ترجعون يعني بعد الموت للجزا قوله عز وجل يا ايها الناس قد جاتكم
موعظة من ربكم قيل اراد بالناس قريشا وقيل هو على العموم وهو الاصح وهو اختيار
الطبري قد جاتكم موعظة من ربكم يعني القران والوعظ زجر مقترن بتخويف وقال
الخليل هو التذكير بالخير فيما يرق له القلب وقيل الموعظة الا ان ما يدعوا الى الصلاح
بطريق الرغبة والرهبة والقران داع الى كل خير وصلاح بهذا الطريق وشفا لما في
الصدور يعني ان القران دوا وشفا لما في القلوب من دا الجهل وذلك لان دا
الجهل اضر للقلب من دا المرض للبدن وامراض القلب هي الاخلاق الذميمة والعقايد
الفاسدة والجهالات المهلكة فالقران مزيل لهذه الامراض كلها لان فيه المواعظ والزجر
والتخويف والترغيب والترهيب والتحذير والتذكير فهو الدوا والشفا لهذه الامراض
القلبية وانما خص الصدر بالذكر لانه موضع القلب وغلافه وهو اعز موضع في بدن
الانسان لمكان القلب فيه وهدى يعني وهو هدى من الضلالة ورحمة للمومنين
يعني ونعمة على المومنين لانهم هم الذين انتفعوا بالقران دون غيرهم قل بفضل الله
وبرحمته البا في بفضل الله متعلق بمضمر استغني عن ذكره لدلالة ما تقدم عليه
وهو قوله قد جاتكم موعظة من ربكم والفضل هنا بمعنى الافضال ويكون معنى
الاية على هذا يا ايها الناس قد جاتكم موعظة من ربكم وشفا لما في الصدور
وهو القران بافضال الله عليكم ورحمته بكم وارادته الخير لكم ثم قال تعالى
فبذلك فليفرحوا اشار بذلك الى القران لان المراد بالموعظة والشفا
القران فترك اللفظ واشار الى المعنى وقيل فبذلك اشارة الى معنى الفضل
والرحمة فالمعنى فبذلك التطول والانعام فليفرحوا قال الواحدي الفا في قوله
الفا في قوله فليفرحوا زايدة كقول الشاعر واذا هلكت فعند ذلك فاجزعي
الفا في قوله فاجزعي زايدة وقال صاحب الكشاف في معنى الاية بفضل الله
وبرحمته فليفرحوا فبذلك فليفرحوا والتكرير للتاكيد والتقرير ايجاب
اختصاص الفضل والرحمة بالفرح دون ما عداهما من فوايد الدنيا فحذف
احد الفعلين لدلالة المذكور عليه والفا داخلة لمعنى الشرط كانه قيل ان فرحوا

بشي

بشي فليخصوهما بالفرح فانه لا مفروح به احق منهما والفرح لذة في القلب بنيل المحبوب
والمشتهى يقال فرحت بكذا اذا ادركت المامول ولذلك اكثر ما يستعمل هنا في ما يرغب
فيه من الخير ومعنى الاية ليفرح المومنون بفضل الله ورحمته فان ما اتاهم الله من
المواعظ وشفا ما في الصدور وثلج اليقين بالايمان وسكون النفس اليه
هو خير مما يجمعون يعني من متاع الدنيا ولذاتها الفانية هذا مذهب اهل المعاني
في هذه الاية واما مذهب المفسرين فغير هذا فان ابن عباس والحسن وقتادة
قالوا فضل الله الاسلام ورحمته القران وقال ابو سعيد الخدري فضل الله القران
ورحمته ان جعلنا من اهله وقال ابن عمر فضل الله الاسلام ورحمته تزيينه في قلوبنا
وقيل فضل الله الاسلام ورحمته الجنة وقيل ان فضل الله القران ورحمته السنن فعلى
هذا البا في بفضل الله متعلق بمحذوف تفسيره ما بعده تقديره قل فليفرحوا بفضل
الله وبرحمته قل ارايتم يعني قل يا محمد لكفار مكة ارايتم ما انزل الله لكم من رزق يعني من زرع
يعني مما زرع وضرع عبر عما في الارض بالانزال لان جميع ما في الارض من خير
ورزق فانما هو من بركات السما فجعلتم منه يعني من ذلك الرزق حراما وحلالا
يعني ما حرموه على انفسهم في الجاهلية من الحرث والانعام كالبحيرة والسايبة
والوصيلة والحام قال الضحاك وهو قوله وجعلوا لله مما ذرا من الحرث والانعام
نصيبا قل الله اذن لكم يعني قل لهم يا محمد الله اذن لكم في هذا التحريم والتحليل ام على
الله تفترون يعني بل انتم على الله تكذبون في ادعايكم ان الله امرنا بهذا وما ظن
الذين يفترون على الله الكذب يوم القيامة يعني اذا لقوا يوم القيامة ايحسبون
انه لا يواخذهم ولا يجازيهم على اعمالهم فهو استفهام بمعنى التوبيخ والتقريع والوعيد
العظيم لمن يفتري على الله الكذب ان الله لذو فضل على الناس يعني ببعثه الرسل
وانزال الكتب لبيان الحلال والحرام ولكن اكثرهم لا يشكرون يعني لا يشكرون الله على
ذلك الفضل والاحسان قوله تعالى وما تكون في شان وما تتلوا منه من قران الخطاب
للنبي صلى الله عليه وسلم وحده والشان الخطب والحال والامر الذي يتفق ويصلح ولا يقال
الا فيما يعظم من الاحوال والامور وجمعه الشوون تقول العرب ما شان فلان
الا فيما يعظم من حاله والشان اسم اذا كان بمعنى الخطب والحال ويكون مصدرا اذا كان
معناه القصد والذي في هذه الاية يجوز ان يكون المراد به الاسم فان ابن عباس
قال معناه وما تكون يا محمد في شان تريد من اعمال البر وقال الحسن في شان من شان
الدنيا وحوايجك ويجوز ان يكون المراد منه القصد يعني قصد الشي وما تتلوا منه من
قران اختلفوا في الضمير في قوله منه الى ماذا يعود فقيل يعود الى الشان لان تلاوة
القران من شان رسول الله صلى الله عليه وسلم بل هو اعظم شانه فعلى هذا يكون
داخلا تحت قوله وما تكون في شان الا انه تعالى خصه بالذكر لشرفه وعلو مرتبته

وقيل انه راجع الى القران لانه قد تقدم ذكره في قوله قل بفضل الله وبرحمته فعلى هذا يكون
المعنى وما تتلوا من القران من قران يعني من سورة وشيء منه لان لفظ القران يطلق
على جميعه وعلى بعضه وقيل الضمير في منه راجع الى الله والمعنى وما تتلوا من الله
من قران نازل عليك واما قوله تعالى ولا تعملون من عمل خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم
داخلون فيه ومرادون به لان من المعلوم انه اذا خوطب رئيس قوم وكبيرهم كان
القوم داخلين في ذلك الخطاب ويدل عليه قوله ولا تعملون من عمل على صيغة الجمع فدل
على انهم داخلون في الخطاب الاولين وقوله تعالى الا كنا عليكم شهودا يعني شاهدين عليكم
لاعمالكم وذلك لان الله تعالى شاهد على كل شيء وعالم بكل شيء لانه لا محدث ولا خالق
ولا موجد الا الله تعالى فكل ما يدخل في الوجود من احوال العباد واعمالهم الظاهرة
والباطنة داخل في علمه وشاهد عليه اذ تفيضون فيه يعني انه تعالى شاهد عليكم حين
تدخلون وتخوضون في ذلك العمل والافاضة الدخول في العمل على جهة الانصباب
اليه والانبساط فيه وقال ابن الانباري معناه اذ تندفعون فيه وتنبسطون في
ذكره وقيل الافاضة الدفع بكثرة وقال الزجاج اي تنتشرون فيه يقال افاض القوم
في الحديث اذا انتشروا فيه وما يعزب عن ربك يعني وما يبعد وما يغيب عن
ربك يا محمد من عمل خلقه شيء لانه عالم به وشاهد عليه واصل العزوب البعد يقال منه
كلأ عازب اذا كان بعيد المطلب من مثقال ذرة يعني وزن ذرة والمثقال الوزن
والذرة النملة الصغيرة الحمراء وهي خفيفة الوزن جدا في الارض ولا في السما فان
قلت لم قدم ذكر الارض على السما هنا وقدم ذكر السما على الارض في سورة سبا
فما فائدة ذلك قلت كان حق السما ان تقدم على الارض كما في سورة سبا الا
انه تعالى لما ذكر في هذه الاية شهادته على اهل الارض واحوالهم واعمالهم ثم وصل
ذلك بقوله وما يعزب عن ربك حسن تقديم الارض على السما في هذا الموضع لهذه
الفائدة ولا اصغر من ذلك يعني من الذرة ولا اكبر يعني منها الا في كتاب مبين يعني
في اللوح المحفوظ قوله عز وجل الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون اعلم انا نحتاج
اولا في تفسير هذه الاية ان نبين من يستحق اسم الولاية ومن هو الولي فنقول اختلف
العلما فيمن يستحق هذا الاسم فقال ابن عباس في هذه الاية هم الذين يذكرون
الله لرؤيتهم وروى الطبري بسنده عن سعيد بن جبير مرسلا قال سئل رسول الله صلى
الله عليه وسلم عن اولياء الله من اولياء الله فقال هم الذين اذا ذكروا ذكر الله وقال
ابن زيد هم الذين امنوا وكانوا يتقون ولن يتقبل الايمان الا بالتقوى وقال قوم
هم المتحابون في الله ويدل على ذلك ما روي عن عمر بن الخطاب قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان من عباد الله لاناسا ما هم بانبيا ولا شهدا يغبطهم الانبيا
والشهدا يوم القيامة بمكانتهم من الله قالوا يا رسول الله تخبرنا من هم قال هم

قوم تحابوا

قوم تحابوا بروح الله على غير ارحام بينهم ولا اموال يتعاطونها فوالله ان وجوههم لنور وانهم
لعلى نور ولا يخافون اذا خاف الناس ولا يحزنون اذا حزن الناس وقرى هذه
الاية الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون اخرجه ابو داود م عن ابي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تبارك وتعالى يوم القيامة اين المتحابون
بجلالي اليوم اظلهم في ظلي يوم لا ظل الا ظلي اخرجه مسلم عن معاذ بن جبل قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تعالى المتحابون بجلالي لهم منابر من نور
يغبطهم النبيون والشهدا اخرجه الترمذي وروى البغوي بسنده عن ابي مالك
الاشعري قال كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان لله عبادا ليسوا بانبيا
ولا شهدا يغبطهم النبيون والشهدا بقربهم ومقعدهم من الله يوم القيامة قال وفي
ناحية القوم اعرابي فجثى على ركبتيه ورمى بيديه ثم قال حدثنا يا رسول الله عنهم من هم
قال فرايت في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم البشر فقال عباد من عباد الله من
بلدان شتى وقبائل شتى لم يكن بينهم ارحام يتواصلون بها ولا دنيا يتباذلون بها
يتحابون بروح الله يجعل الله وجوههم نورا ويجعل لهم منابر من لؤلؤ قدام الرحمن
يفزع الناس ولا يفزعون ويخاف الناس ولا يخافون وروي عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال قال الله تعالى ان اوليائي من عبادي الذين يذكرون بذكري واذكر بذكرهم
هكذا ذكره البغوي بغير سند وروى الطبري بسنده عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان من عباد الله عبادا يغبطهم الانبيا والشهدا قيل من هم يا رسول
الله لعلنا نحبهم قال هم قوم تحابوا في الله من غير اموال ولا انساب وجوههم نور ولا
يخافون اذا خاف الناس ولا يحزنون اذا حزن الناس ثم قرا الا ان اولياء الله لا
خوف عليهم ولا هم يحزنون الغبطة نوع من الحسد الا ان الحسد مذموم والغبطة محمودة
والفرق بين الحسد والغبطة ان الحاسد يتمنى زوال ما على المحسود من النعمة ونحوها
والغبطة هي ان يتمنى الغابط مثل تلك النعمة التي هي على المغبوط من غير زوال عنه
قال ابو بكر الاصم اولياء الله هم الذين تولى الله هدايتهم وتولوا القيام بحق العبودية
لله والدعوة اليه واصل الولي من الولاء وهو القرب والنصرة فولي الله هو الذي
يتقرب الى الله بكل ما افترض الله عليه ويكون مشتغلا بالله مستغرق القلب في
نور معرفة جلال الله فان راى راى قدرة الله وان سمع سمع ايات الله وان نطق
نطق بالثنا على الله وان تحرك تحرك في طاعة الله وان اجتهد اجتهد فيما يقربه
الى الله لا يفتر عن ذكر الله ولا يرى بقلبه غير الله فهذه صفة اولياء الله واذا كان العبد
كذلك كان الله وليه وناصره ومعينه قال الله تعالى الله ولي الذين امنوا وقال
المتكلمون ولي الله من كان اتيا بالاعتقاد الصحيح المبني على الدليل ويكون اتيا بالاعمال
الصالحة على وفق ما وردت به الشريعة واليه الاشارة بقوله الذين امنوا وكانوا

يتقون وهو ان الايمان مبنى على جميع الاعتقاد والعمل ومقام التقوى هو ان يتقى العبد
كل ما نهى الله عنه وقوله تعالى لا خوف عليهم يعنى فى الاخرة اذا خاف غيرهم ولا هم يحزنون يعنى
على شى فاتهم من نعيم الدنيا ولذاتها قال بعض المحققين زوال الخوف والحزن عنهم
انما يحصل لهم فى الاخرة لان الدنيا لا تخلوا من هم وغم وانكاد وحزن قال بعض العارفين
ان الولاية عبارة عن القرب من الله ودوام الاشتغال بالله واذا كان العبد بهذه
حالة فلا يخاف من شى ولا يحزن على شى لان مقام الولاية والمعرفة منعه من ان يخاف
او يحزن واما قوله الذين امنوا وكانوا يتقون فقد تقدم تفسيره وانه صفة لاولياء
الله وقوله تعالى لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الاخرة اختلفوا فى هذه البشرى
فروى عن عبادة بن الصامت قال سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله لهم
البشرى فى الحياة الدنيا قال هى الرؤية الصالحة يراها المومن او ترى له اخرجه
الترمذى وله عن رجل من اهل مصر قال سالت ابا الدرداء عن هذه الاية لهم البشرى
فى الحياة الدنيا قال ما سالنى عنها احد منذ سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها فقال
ما سالنى عنها احد غيرك منذ انزلت هى الرويا الصالحة يراها المسلم او ترى له قال الترمذى
حديث حسن خ عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لم يبق بعدى من النبوة
الا المبشرات قالوا وما المبشرات قال الرويا الصالحة ق عن ابى هريرة ان النبى صلى الله عليه وسلم
قال اذا اقترب الزمان لم تكد رويا المومن تكذب ورويا المومن جزء من ستة واربعين
جزءا من النبوة لفظ البخارى ولمسلم اذا اقترب الزمان لم تكد رويا المسلم تكذب
واصدقكم رويا اصدقكم حديثا ورويا المسلم جزء من خمسة واربعين جزءا من النبوة
والرويا ثلاث فالرويا الصالحة بشرى من الله ورويا تحزين من الشيطان ورويا
مما يحدث المرء نفسه قال بعض العلماء وجه هذا القول وهو انما حملنا قوله لهم البشرى
على الرويا الصالحة الصادقة فظاهر هذا النص يقتضى ان لا تحصل هذه الحالة الا لهم وذلك
لان ولى الله هو الذى يكون مستغرق القلب والروح بذكر الله عز وجل ومن كان
كذلك فانه عند النوم لا يبقى فى قلبه غير ذكر الله عز وجل ومعرفته ومن المعلوم ان
معرفة الله فى القلب لا تفيد الا الحق والصدق فاذا راى الولى رويا او رئيت له
كانت تلك الرويا البشرى من الله عز وجل لهذا الولى قال الخطابى فى هذه الاحاديث
توكيد لامر الرويا وتحقيق منزلتها وانما كانت جزءا من اجزاء النبوة فى حق الانبياء دون
غيرهم وكان الانبياء عليهم السلام يوحى اليهم فى منامهم كما يوحى اليهم فى اليقظة قال
الخطابى قال بعض العلماء معنى الحديث ان الرويا تاتى على موافقة النبوة لانها جزء من النبوة
قال الخطابى وغيره فى معنى قوله الرويا جزء من ستة واربعين جزءا من النبوة اقام النبى صلى
الله عليه وسلم فى النبوة ثلاثا وعشرين سنة على الصحيح وكان قبل ذلك ستة اشهر
يرى فى المنام الوحى فهى جزء من ستة واربعين جزءا وقيل ان المنام لعل ان يكون فيه

اخبار بغيب وهو احدى ثمرات النبوة وهو يسير فى جنب النبوة لانه لا يجوز ان
يبعث بعد محمد صلى الله عليه وسلم نبيا تشرع الشرايع وتبين الاحكام ولا يخبر بغيب
ابدا فاذا وقع لاحد فى المنام الاخبار بغيب يكون هذا القدر جزءا من النبوة لانه نبى
واذا وقع كذلك لاحد فى المنام يكون صدقا والله اعلم وقيل فى تفسير الاية ان المراد
بالبشرى فى الحياة الدنيا هى الثناء الحسن وفى الاخرة الجنة ويدل على ذلك ما روى
عن ابى ذر قال قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ارايت الرجل يعمل العمل من الخير ويحمده
الناس عليه قال تلك عاجل بشرى المومن اخرجه مسلم قال الشيخ محى الدين النواوى
قال العلماء معنى هذه البشرى المعجلة له بالخير وهى دليل للبشرى المؤخرة فى الاخرة
لقوله بشراكم اليوم جنات تجرى وهذه البشرى المعجلة دليل على رضى الله عنه ومحبته
له وتحبيبه الى الخلق كما قال ثم يوضع له القبول فى الارض هذا كله اذا حمده الناس
من غير تعرض منه لحمدهم والا فالتعرض مذموم قال بعض المحققين اذا اشتغل العبد
بالله عز وجل استنار قلبه وامتلا نورا فيفيض من ذلك النور الذى فى قلبه على
وجهه فيظهر عليه اثار الخشوع والخضوع فيحبه الناس ويثنون عليه فتلك
عاجل بشراه بمحبة الله ورضوانه عليه وقال الزهرى وقتادة فى تفسير البشرى هى
نزول الملايكة بالبشارة من الله عند الموت ويدل عليه قوله تعالى تتنزل عليهم الملايكة
ان لا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التى كنتم توعدون وقال عطا عن ابن عباس
البشرى فى الدنيا عند الموت تاتيهم الملايكة بالبشارة وفى الاخرة عند خروج
نفس المومن يعرج بها الى الله تعالى ويبشروه برضوان الله تعالى قال الحسن هى ما
بشر الله به المومنين فى كتابه من جنته وكريم ثوابه ويدل عليه قوله لا تبديل
لكلمات الله يعنى لا خلف لوعد الله الذى وعد اولياه واهل طاعته فى كتابه
وعلى السنة رسله ولا تغير ذلك الوعد ذلك الفوز العظيم يعنى ما وعدهم به
فى الاخرة ولا يحزنك قولهم يعنى يقول الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ولا يحزنك
يا محمد قول هولاء المشركين لك ولا يغمك تخويفهم اياك ان العزة لله جميعا
يعنى ان القهر والغلبة والقدرة لله جميعا هو المتفرد بها دون غيره وهو ناصرك
عليهم والمنتقم منهم قال سعيد بن جبير ان العزة لله جميعا فيعز من يشا وهذا كما
قال تعالى فى اية اخرى ولله العزة ولرسوله وللمومنين ولا منافاة بين الايتين فان
عزة الرسول صلى الله عليه وسلم وعزة المومنين باعزاز الله اياهم فثبت بذلك
ان العزة لله جميعا وهو الذى يعز من يشا ويذل من يشا وقيل ان المشركين كانوا
يفتخرون بكثرة اموالهم واولادهم وعبيدهم فاخبر الله ان جميع ذلك كله لله وفى ملكه
فهو قادر على ان يسلبهم جميع ذلك ويذلهم بعد العز هو السميع لاقوالكم ودعايكم
العليم يعنى بجميع احوالكم لا يخفى عليه خافية قوله تعالى الا ان لله من فى السموات

ومن في الارض الا كلمة تنبيه معناه انه لا ملك لاحد في السموات ولا في الارض
الا لله عز وجل فهو يملك من في السموات ومن في الارض فان قلت قال تعالى في الاية التي
قبل هذه الا ان لله ما في السموات بلفظة ما وقال في هذه الاية بلفظة من فما فائدة ذلك
قلت ان لفظة ما تدل على ان من لا يعقل ولفظة من تدل على من يعقل فمجموع الايتين
يدل على ان الله عز وجل يملك جميع شي في السموات وفي الارض من العقلا وغيرهم وهم عبيده
وفي ملكه وقيل ان لفظة من لمن يعقل فيكون المراد بمن في السموات
الملائكة العقلا ومن في الارض الانس والجن وهم العقلا ايضا وانما خصهم بالذكر
لشرفهم واذا كان هولا العقلا المميزون في ملكه وتحت قدرته فالجمادات بطريق
الاولى ان يكونوا ملكه اذا ثبت هذا فتكون الاصنام التي تعبدها المشركون ايضا
في ملكه تحت قبضته وقدرته ويكون ذلك قدحا في جعل الاصنام شركا لله معبودة
دون الله وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركا لفظة ما استفهامية معناه
واي شي يتبع الذين يدعون من دون الله شركا والمقصود تقبيح فعلهم يعني انهم
ليسوا على شي لانهم يعبدونها على انها شركا الله يشفعون لهم وليس الامر ما يظنون
وهو قوله تعالى ان يتبعون الا الظن يعني ان فعلهم ذلك ظنا منهم انها تشفع لهم وانها
تقربهم الى الله وذلك ظنا منهم لا حقيقة له وان هم الا يخرصون يعني انهم يكذبون
في دعواهم ذلك قوله عز وجل هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا
يعني هو الله ربكم الذي خلق لكم الليل راحة لتسكنوا فيه وليزول التعب والكلال
بالسكون فيه واصل السكون الثبوت بعد الحركة والنهار مبصرا يعني وجعل النهار مضيا
لتهتدوا فيه لحوايجكم واسباب معايشكم اضاف الابصار الى النهار وانما يبصر فيه
وليس النهار مما يبصر ولكن لما كان مفهوما في كلام العرب معناه خاطبهم بلغتهم
وما يعقلونه قال جرير لقد لمتنا يا ام غيلان في السرى ونمت وما ليل المطي بنايم
فاضاف النوم الى الليل ووصفه به وانما عنا نفسه وانه لم يكن نايما هو ولا بعيره
وهذا من باب نقل الاسم من المسبب الى السبب قال قطرب تقول العرب اظلم
الليل وابصر النهار بمعنى صار ذا ظلمة وذا ضيا ان في ذلك لايات لقوم يسمعون
يعني يسمعون سمع اعتبار وتدبر فيعلمون بذلك ان الذي خلق هذه الاشيا
كلها هو الاله المعبود المتفرد بالوحدانية في الوجود قالوا يعني المشركين اتخذ الله ولدا
يعني به قولهم الملائكة بنات الله سبحانه نزه الله نفسه عن اتخاذ الولد هو الغني
يعني انه تعالى هو الغني عن جميع خلقه فكيف يليق بجلاله اتخاذ الولد وانما يتخذ الولد
من هو محتاج اليه والله هو الغني المطلق وجميع الاشيا محتاجة اليه وهو غني عنها له
ما في السموات وما في الارض يعني انه مالك ما في السموات وما في الارض وكلهم
عبيده وفي قبضته وتصرفه وهو محدثه وخالقه فلما نزه الله تعالى نفسه عن اتخاذ

الولد عطف

الولد عطف على من قال ذلك بالانكار والتوبيخ والتقريع فقال تعالى ان عندكم
من سلطان بهذا يعني انه لا حجة عندكم على هذا القول الشنيع ثم بالغ في الانكار
عليهم بقوله اتقولون على الله ما لا تعلمون يعني تقولون على الله قولا لا تعلمون
حقيقته وصحته وتضيفون اليه ما لا يجوز اضافته اليه جهلا منكم بما تقولون
بغير حجة ولا برهان قل ان الذين يفترون على الله الكذب اي قل يا محمد لهولا
الذين يختلقون على الله الكذب فيقولون على الله الباطل ويزعمون ان له
ولدا لا يفلحون يعني لا يسعدون وان اغتروا بطول السلامة والبقا في النعمة والمعنى
ان قايل هذا القول لا ينجح في سعيه ولا يفوز بمطلوبه بل خاب وخسر قال الزجاج
هذا وقف تام يعني على قوله لا يفلحون ثم ابتدا فقال تعالى متاع في الدنيا وفيه اضمار
تقديره لهم متاع في الدنيا يتمتعون به مدة اعمارهم وانقضا اجالهم في الدنيا
وهي ايام يسيرة بالنسبة الى مقامهم في العذاب وهو قوله تعالى ثم الينا مرجعهم
يعني بعد الموت ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون يعني ذلك العذاب
بسبب ما كانوا يجحدون في الدنيا نعمة الله عليهم ويصفونه بما لا يليق بجلاله
قوله تعالى واتل عليهم نبا نوح لما ذكر الله سبحانه وتعالى في هذه السورة احوال
كفار قريش وما كانوا عليهم من الكفر والعناد شرع بعد ذلك في بيان قصص
الانبيا وما جرى لهم مع اممهم ليكون في ذلك للرسول الله صلى الله عليه وسلم
اسوة بمن سلف من الانبيا وتسلية له ليخف عليه ما يلقى من اذى قومه
وان الكفار من قومه اذا سمعوا هذه القصص وما جرى للكفار الامم الماضية
من الغرق والهلاك في الدنيا كان ذلك سببا لخوف قلوبهم وداعيا لهم
الى الايمان فلما كان قوم نوح اول الامم هلاكا واعظم كفرا وجحودا فذكر الله
قصتهم وانه اهلكهم بالغرق ليصير ذلك موعظة وعبرة لكفار قريش فقال تعالى
واتل عليهم نبا نوح يعني واقرا على قومك يا محمد خبر نوح اذ قال لقومه يا قوم وهم بنو
قابيل ان كان كبر يعني ثقل عليكم مقامي يعني فيكم وتذكيري بايات الله يعني ووعظي
اياكم بايات الله وقيل معناه ان كان كبر وشق عليكم طول مقامي فيكم وذلك
انه عليه السلام اقام فيهم الف سنة الا خمسين عاما يدعوهم الى الله تعالى ويذكرهم بايات
الله وهو قوله وتذكيري بايات الله يعني ووعظي بايات الله وحججه وبيناته فعزمتم
على قتلي وطردي فعلى الله توكلت يعني فهو حسبي وثقتي فاجمعوا امركم يعني فاحكموا
امركم واعزموا عليه قال الفرا الاجماع الاعداد والعزيمة على الامر قال ابن الانباري
المراد من الامر هنا وجوه كيدهم ومكرهم فالتقدير لا تدعوا من امركم شيا الا احضرتموه
وشركاكم يعني وادعوا شركاكم يعني الهتكم فاستعينوا بها لتجتمع معكم وتعينكم على
مطلوبكم وانما حثهم على الاستعانة بالاصنام بنا على مذهبهم واعتقادهم على انها

بقدر وتنفع مع اعتقاده انها جماد لا تضر ولا تنفع فهو كالتبكيت والتوبيخ لهم ثم لا يكن امركم
عليكم غمة يعني لا يكن امركم خفيا مبهما ولكن ليكن امركم ظاهرا منكشفا من قولهم غم الهلال
فهو مغموم اذا خفي والتبس على الناس ثم اقضوا الى ثم امضوا الى بما في انفسكم من مكروه
وما توعدوني به من قتل وطرد وافرغوا منه تقول العرب قضى فلان اذا مات ومضى
وقيل معناه ثم اقضوا ما انتم قاضون ولا تنظرون اى ولا تؤخرون ولا تمهلون بعد اعلامكم
اى ما انتم عليه وهذا الكلام من نوح عليه السلام على سبيل التعجيز لهم اخبر الله عز وجل عن
نوح انه كان قد بلغ الغاية في التوكل على الله وانه كان واثقا بنصره اياه غير خائف
من كيدهم علما منه بانهم والهتهم ليس لهم نفع ولا ضر وان مكرهم لا يصل اليه فان توليتم
يعني اعرضتم عن قولي وقبول نصحي فما سالتكم من اجر يعني من جعل وعوض على تبليغ
الرسالة فاذا لم ياخذ على تبليغ الدعوة الى الله شيئا كان اقوى تاثيرا في النفس ان اجري
الا على الله اى ما ثوابي وجزائي على تبليغ الرسالة الا على الله وامرت ان اكون من المسلمين
يعني انى امرت بدين الاسلام وانا ماض فيه غير تارك له سواء قبلتموه ام لم تقبلوه وقيل معناه
وامرت ان اكون من المستسلمين لامر الله ولكل مكروه يصل الى منكم لاجل هذه الدعوة
فكذبوه يعني فكذبوا نوحا عليه السلام فنجيناه ومن معه في الفلك يعني في السفينة و
جعلناهم خلائف يعني وجعلنا الذين نجينا بهم معه في الفلك سكان الارض بعد
الهالكين واغرقنا الذين كذبوا باياتنا فانظر كيف كان عاقبة المنذرين اى فانظر يا محمد
او يا ايها الانسان كيف كان امر من انذرتهم الرسل فلم يؤمنوا ولم يقبلوا ذلك ثم بعثنا
من بعده يعني من بعد نوح رسلا الى قومهم لم يسم هنا من كان بعد نوح وقد كان من بعد
نوح هود وصالح وغيرهما من الرسل فجاؤهم بالبينات يعني بالدلالات الواضحات والمعجزات
الباهرات التي تدل على صدقهم فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل يعني ان هؤلاء الاقوام
والامم التي جاءتهم رسلهم جروا على منهاج قوم نوح في التكذيب ولم يزجرهم ما جاءتهم
به الرسل ولم يرجعوا عما هم فيه من الكفر والتكذيب كذلك نطبع على قلوب المعتدين
يعني كما اغرقنا قوم نوح بسبب تكذيبهم نوحا كذلك نختم على قلوب من اعتدى
وسلك سبيلهم في التكذيب قوله عز وجل ثم بعثنا من بعدهم يعني من بعد الرسل موسى
وهارون الى فرعون وملائه يعني اشراف قومه باياتنا فاستكبروا يعني عن الايمان
بما جاء به موسى وهارون وكانوا قوما مجرمين اى عاصين مكتسبين للاثم فلما جاءهم الحق
من عندنا يعني فلما جاء فرعون وقومه الحق الذي جاء به من عند الله ان هذا لسحر مبين
يعني ان الذي جاء به موسى سحر مبين يعرفه كل احد قال موسى اتقولون للحق لما
جاءكم اسحر هذا فيه حذف تقديره اتقولون للحق لما جاءكم هو سحر اسحر هذا فحذف
السحر الاول اكتفاء بدلالة الكلام عليه ثم قال اسحر هذا وهو استفهام على سبيل الانكار
يعني انه ليس بسحر ثم احتج على صحة قوله تعالى ولا يفلح الساحرون يعني حاصل السحر تمويه

فقال لهم

وتخييل وصاحب ذلك لا يفلح ابدا قالوا يعني قال قوم فرعون لموسى اجئتنا لتلفتنا
يعني لتصرفنا وتلوينا عما وجدنا عليه اباءنا يعني من الدين وتكون لكما الكبرياء يعني
الملك والسلطنة في الارض يعني ارض مصر والخطاب لموسى وهارون قال الزجاج
سمي الملك كبرياء لانه اكبر ما يطلب من امر الدنيا وما نحن لكما بمؤمنين يعني بمصدقين وقال
فرعون ائتوني بكل ساحر عليم يعني ان فرعون اراد ان يعارض معجزة موسى عليه
الصلاة والسلام بانواع من التلبيس ليظهر ان ما اتى به موسى سحر فلما جاء السحرة قال
لهم موسى القوا ما انتم ملقون انما امرهم موسى بالقاء ما معهم من الحبال والعصا التي
فيها سحرهم ليظهر الحق ويبطل الباطل ويتبين ان ما اتوا به فاسد فلما القوا يعني
ما معهم من الحبال والعصا قال موسى ما جئتم به السحر يعني الذي جئتم به هو السحر
الباطل وهذا على سبيل التوبيخ لهم ان الله سيبطله يعني يهلكه ويظهر فضيحة صاحبه ان
الله لا يصلح عمل المفسدين يعني لا يقويه ولا يكمله ولا يحسنه ويحق الله الحق يعني ويظهر
الله الحق ويقويه ويعليه بكلماته يعني بوعده الصادق لموسى انه يظهره وقيل بما
سبق في قضائه وقدره لموسى انه يغلب السحرة ولو كره المجرمون قوله تعالى فما امن
لموسى الا ذرية من قومه لما ذكر الله عز وجل ما اتى به موسى من المعجزات العظيمة
الباهرة اخبر الله تعالى انه مع مشاهدة هذه المعجزات ما امن لموسى الا ذرية من قومه وانما
ذكر الله هذا تسلية لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم لانه كان كثير الاهتمام بايمان قومه
وكان يغتم بسبب اعراضهم عن الايمان به واستمرارهم على الكفر والتكذيب فبين
الله تعالى ان له اسوة بالانبياء عليهم الصلاة والسلام لان الذي جاء به موسى عليه
السلام من المعجزات كان امرا عظيما ومع ذلك فما امن لموسى الا ذرية من قومه
والذرية اسم يقع على القليل من القوم قال ابن عباس الذرية القليل وقيل المراد
به التصغير وقلة العدد واختلفوا في الهاء الكناية في قومه فقيل انها راجعة الى
موسى واراد بهم قوم موسى وهم بنو اسرائيل الذين كانوا معه بمصر من اولاد يعقوب
قال مجاهد اولاد الذين ارسل اليهم موسى من بني اسرائيل هلك الاباء
وبقي الابناء وقيل هم قوم نجوا من قتل فرعون وذلك ان فرعون لما امر بقتل
ابناء بني اسرائيل كانت المراة في بني اسرائيل اذا ولدت ولدا وهبته لقبطية خوفا
عليه من القتل فنشاوا بين القبط فلما كان اليوم الذي غلب فيه موسى السحرة
امنوا به وقال ابن عباس ذرية من قومه يعني من بني اسرائيل وقيل الهاء راجعة
الى فرعون يعني الا ذرية من قوم فرعون وروى عطية عن ابن عباس قال هم
ناس يسير من قوم فرعون امنوا منهم امراة فرعون ومؤمن ال فرعون وخازنه
وامراة خازنه وماشطته قال الفراء سموا ذرية لان اباءهم كانوا من القبط من
ال فرعون وامهاتهم من بني اسرائيل وكان الرسل يتبع امه واخواله في الابنا

وذلك كما يقال لاولاد فارس الذين دخلوا الى اليمن الابناء لان امهاتهم من غير جنس
الاباء على خوف من فرعون وملايهم الملا الاشراف فعلى هذا يكون معنى الاية على
خوف من فرعون ومن اشرافهم وهم ملأ الذرية لانه كان اباؤهم من القبط وامهاتهم
من قبل اسرايل وقيل اراد بالملا فرعون وانما قال وملايهم بالجمع وفرعون واحد
على سبيل التعظيم ان يفتنهم اى يصرفهم ويبعدهم عن الايمان وانما قال ان يفتنهم ولم
يقل ان يفتنوهم لان قوم فرعون كانوا على مراده وتابعين لامره وان فرعون
لعال فى الارض يعنى لغالب قهار متكبر فيها وانه لمن المسرفين يعنى من المجاوزين
الحد لانه كان عبدا وادعى الربوبية وكان كثير القتل والتعذيب لبنى اسرايل
وقال موسى يعنى لقومه يا قوم ان كنتم امنتم بالله فعليه توكلوا يعنى فيه فثقوا
لامره فسلموا فانه ناصر اوليائه ومهلك اعدائه ان كنتم مسلمين يعنى ان كنتم مستسلمين
لامره وقيل انما اعيد قوله ان كنتم مسلمين بعد قوله ان كنتم امنتم بالله يعنى ان كنتم
موصوفين بالايمان القلبى وبالاسلام الظاهر ودلت الاية على ان التوكل
على الله والتفويض لامره من كمال الايمان وان من كان يؤمن بالله فلا يتوكل
الا على الله لا على غيره فقالوا يعنى قوم موسى مجيبين له على الله توكلنا يعنى عليه
اعتمدنا لا على غيره ثم دعوا ربهم فقالوا ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين
يعنى لا تظهرهم علينا ولا تهلكنا بذنوبهم فيظنوا انا لم نكن على الحق فيزدادوا طغيانا
وكفرا وقال مجاهد لا تعذبنا بعذاب من عندك فيقول قوم فرعون لو كانوا على حق
لما عذبوا وظنوا انهم خير منا فيفتتنوا بذلك وقيل معناه لا تسلطهم علينا فيفتنونا
ونجنا برحمتك من القوم الكافرين يعنى وخلصنا برحمتك من ايدى قوم فرعون
الكافرين لانهم كانوا يستعبدونهم ويستعملونهم فى الاعمال الشاقة قوله عز وجل
واوحينا الى موسى واخيه ان تبوا لقومكما بمصر بيوتا يعنى اتخذا لقومكما بيوتا للصلاة
فيها يقال تبوا فلان لنفسه بيتا اذا اتخذه مباءة اى وطنا والمعنى اجعلا بمصر بيوتا
لقومكما ترجعون اليها للصلاة والعبادة قوله تعالى واجعلوا بيوتكم قبلة اختلف اهل
التفسير فى معنى هذه الاية البيوت او القبلة فمنهم من قال اراد بالبيوت المساجد
التى يصلى فيها وفسروا القبلة بالجانب الذى يستقبل فى الصلاة فعلى هذا يكون معنى
الكلام واجعلوا بيوتكم مساجد تستقبلونها لاجل الصلاة وقيل معناه اجعلوا بيوتكم
الى القبلة واختلفوا فى هذه القبلة وظاهر القران لا يدل على تعيينها الا انه قد
نقل عن ابن عباس انه قال كانت الكعبة قبلة لموسى وهارون وهو قول
مجاهد ايضا قال ابن عباس قالت بنو اسرايل لموسى لا نستطيع ان نظهر صلاتنا
مع الفراعنة فاذن الله لهم ان يصلوا فى بيوتهم وان يجعلوا بيوتهم قبل القبلة
وقيل كانت القبلة على جهة بيت المقدس وقيل اراد مطلوع البيوت وعلى هذا

يكون معنى

يكون معنى قوله واجعلوا بيوتكم قبلة تصلون اليها فان قلت انه تعالى قد خص موسى
وهارون بالخطاب فى اول الاية بقوله واوحينا الى موسى واخيه ان تبوا لقومكما بمصر بيوتا
ثم انه عمم هذا الخطاب فقال واجعلوا بيوتكم قبلة فما التعقيب فيه قلت انه تعالى امر موسى
بهذا الخطاب وهارون بان تبوا لقومكما بيوتا للعبادة وذلك مما يختص به الانبيا فخصا
بالخطاب لذلك ثم لما كانت العبادة عامة تجب على الكافة عم بالخطاب الجميع فقال واجعلوا
بيوتكم قبلة واقيموا الصلاة يعنى فى بيوتكم وذلك حين خاف موسى ومن امن معه
من بنى اسرايل من فرعون وقومه اذا صلوا فى الكنايس والبيع والجامعة يوذوهم
فامرهم الله ان يصلوا فى بيوتهم خفية من فرعون وقومه وقيل كانت بنو اسرايل لا
يصلون الا فى الكنايس الجامعة وكانت ظاهرة فلما ارسل موسى تخرب تلك
الكنايس ومنعهم من الصلاة فيها فامروا ان يتخذوا فى بيوتهم مساجد يصلوا فيها
خوفا من فرعون وقيل ان الله لما ارسل موسى وهارون واظهرهما على فرعون
امرهما باتخاذ المساجد ظاهرة رغم الاعدا وتكفل لهم يصونهم من شرهم وهو قوله تعالى
واقيموا الصلاة يعنى انهم لا يصلون اليهم بمكروه قوله تعالى وقال موسى ربنا انك
اتيت فرعون وملاه زينة واموالا فى الحياة الدنيا لما اتى موسى عليه السلام بالمعجزات
الباهرة وراى القوم مصرون على الكفر والعناد والانكار لما جابه اخذ فى الدعا
عليهم ومن حق ان يدعوا على الغير ان يذكر اولا السبب اقدامهم على جرايم التى
كانت بسبب اصراره على ما يوجب الدعا عليه ولما كانت سبب كفرهم وعنادهم
هو حب الدنيا وزينتها لا جرم ان موسى لما اخذ فى الدعا قدم هذه المقدمة فقال
ربنا انك اتيت فرعون وملاه زينة واموالا فى الحياة الدنيا والزينة عبارة عما يتزين
به كاللباس والدواب والغلمان واثاث البيت الفاخر والاشيا الجميلة والمال ما زاد
على هذه الاشيا من الصامت ونحوه ثم قال ربنا ليضلوا عن سبيلك اختلفوا فى هذه
اللام فقال هى لام كى فعلى هذا يكون المعنى ربنا انك جعلت هذه الاموال سببا لضلالتهم
لانهم بطروا وطغوا فى الارض واستكبروا عن الايمان وقال الاخفش انما هى لما يؤول
اليه الامر والمعنى انك اتيت فرعون وملاه زينة فضلوا فعلى هذا هى لام العاقبة
يعنى فكان عاقبتهم الضلال قال ابن الانبارى هى لام الدعا وهى لام مكسورة
تجزم المستقبل ويفتتح بها الكلام فيكون المعنى ربنا انك ابتليتهم بالضلال عن سبيلك
ربنا اطمس على اموالهم الطمس ازالة الاثر بالمحو ومعنى الطمس على اموالهم ازالة صورها
وهيئاتها وقال مجاهد اهلكها وقال اكثر المفسرين امسخها وغيرها عن هيئاتها
قال قتادة بلغنا ان اموالهم وحروثهم وزروعهم وجواهرهم صارت حجارة وقال محمد
ابن كعب القرظى صار سكرهم حجارة وكان الرجل مع اهله فى فراشه فصارا حجرين والمراة
قايمة تخبز صارت حجرا وهذا فيه ضعف لان موسى عليه السلام دعا على اموالهم والدعا

على انفسهم بالمسخ قال ابن عباس بلغنا ان الدراهم والدنانير صارت حجارة منقوشة وهي
حجارة كهيأتها صحاحا وانصافا واثلاثا وقيل ان عمر بن عبد العزيز دعى بخريطة فيها شي
من بقايا ال فرعون فاخرج منها البيضة مشقوقة وهي حجارة والجوزة مشقوقة وهي
حجارة قال السدي مسخ الله اموالهم حجارة النخل والثمار والدقيق والاطعمة وهذا الطمس
هو احد الايات التسع التي اتيها موسى عليه السلام واشدد على قلوبهم يعني اربط على قلوبهم
واطبع عليها وقسها حتى لا تلين ولا تنشرح للايمان ومعنى الشد على القلوب استيثاق
منها حتى لا يدخلها الايمان قال الواحدي وهذا دليل على ان الله يفعل ذلك لمن يشا
ولولا ذلك لما اخبر موسى عليه السلام عن هذا السوال فلا يومنوا حتى يروا العذاب الاليم
يعني الغرق قال ابن عباس فقال ابن عباس في رواية اخرى عنه قال موسى قبل
ان ياتي فرعون ربنا اشدد على قلوبهم فلا يومنوا حتى يروا العذاب الاليم فاستجاب الله له
فحال بين فرعون وبين الايمان حتى ادركه الغرق فلم ينفعه الايمان قال بعض العلما
انما دعى موسى عليهم بهذا الدعا لما علم ان سابق قضا الله وقدره فيهم انهم لا يومنون
وذلك ان الله كتب عليهم في الازل انهم لا يومنون فوافق دعا موسى ما قدر وقضى
عليهم قال الله عز وجل لموسى وهارون عليهما السلام قد اجيبت دعوتكما انما نسب الدعا
اليهما وان الداعي هو موسى وحده لان هارون كان يومن والتامين دعا لانه طلب وسوال
ايضا اللهم استجب فصار بذلك شريك موسى في الدعا فلذلك قال قد اجيبت دعوتكما
فاستقيما يعني على تبليغ الرسالة وامضا لامري الى ان ياتيهم العذاب ولا تتبعان سبيل
الذين لا يعلمون يعني ولا تسلكا طريق الذين يجهلون حقيقة وعدي فان وعدي
لا خلف فيه ووعيدي نازل بفرعون وقومه فلا تستعجلا قيل كان بين دعا موسى عليه السلام
وبين الاجابة اربعين سنة قال الامام فخر الدين واعلم ان هذا النهي لا يدل على ان ذلك
قد صدر من موسى وهارون كما ان قوله لئن اشركت ليحبطن عملك لا يدل على صدور
الشرك منه قوله عز وجل وجاوزنا ببني اسرايل البحر اي وقطعنا ببني اسرايل البحر وعبرنا
اياه حتى جاوزوه وعبروه فاتبعهم فرعون وجنوده يعني لحقهم وادركهم بغيا وعدوا
اي ظلما وعدوانا وقيل البغي ظلما طلب الاستعلا بغير الحق والعدو الظلم وقيل بغيا
في القول وعدوا في الفعل قال اهل التفسير اجتمع يعقوب وبنوه الى يوسف وهم
اثنان وسبعون وخرج مع موسى من مصر وهم ستماية الف وذلك لما اجاب الله
دعا موسى وهارون امرهما بالخروج ببني اسرايل من مصر في الوقت الذي امره ان
يخرج فيه ويسر لهم اسباب الخروج وكان فرعون غافلا عنهم فلما سمع بخروجهم من
مملكته ومفارقتهم خرج بجنوده في طلبهم فلما ادركهم فرعون قالوا لموسى اين المخلص
والمخرج البحر امامنا وفرعون من ورائنا وقد كنا نلقى من فرعون البلا العظيم فاوحى
الله الى موسى ان اضرب بعصاك البحر فضربه فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم

وكشف الله عن وجه الارض وايبس لهم البحر فلحقهم فرعون وكان على حصان
ادهم وكان معه في عسكره ثمانية الف حصان على لون حصانه سوى ساير الالوان
وكان يتقدمهم جبريل وكان على فرس انثى وديق وميكايل يسوقهم حتى لا يشذ
منهم احد فلما خرج اخر بني اسرايل من البحر دنا جبريل بفرسه فلما وجد المصان
ريح الانثى لم يملك فرعون من امره شيا فنزل البحر وتبعه جنوده حتى اذا اكتملوا اجمعا
في البحر وهم اولهم بالخروج انطم البحر عليهم فلما ادرك فرعون الغرق اتى بكلمة الاخلاص
ظنا منه انه ينجيه من الهلاك وهو قوله تعالى حتى اذا ادركه الغرق قال امنت انه لا اله
الا الذي امنت به بنو اسرايل وانا من المسلمين قال ابن عباس لم يقبل الله ايمانه عند
نزول العذاب وقد كان في مهل قال العلما ايمانه غير مقبول وذلك ان الايمان والتوبة عند
معاينة الملايكة والعذاب غير مقبولة ويدل عليه قوله تعالى فلم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا
باسنا وقيل انه قال هذه الكلمة ليتوصل بها الى دفع ما نزل به من البلية الحاضرة ولم يكن
قصده بها الاقرار بوحدانية الله تعالى والاعتراف له بالربوبية لا جرم لم ينفعه ما قال
في ذلك الوقت وقيل ان فرعون كان من الدهرية المنكرين لوجود الصانع الخالق
سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا فلهذا قال امنت انه لا اله الا الذي امنت به بنو اسرايل
فلم ينفعه ذلك لحصول الشك في ايمانه ولم رجع فرعون الى الايمان والتوبة حين
اغلق بابها بحضور الموت ومعاينة الملايكة قيل له الان وقد عصيت قبل وكنت
من المفسدين يعني الان تتوب وقد اضعت التوبة في وقتها وآثرت دنياك الفانية
على اخرتك الباقية والمخاطب لفرعون بهذا هو جبريل عليه السلام وقيل انها الملايكة وقيل
ان القايل هو الله تعالى عرف فرعون قبح صنعه وما كان عليه من الفساد في الارض ويدل
على هذا القول قوله فاليوم ننجيك ببدنك والقول الاول اشهر ويعضد هذا القول ما
روى عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما اغرق الله فرعون و
جنوده امنت انه لا اله الا الذي امنت به بنو اسرايل قال جبريل يا محمد فلو رايتني وانا
اخذ من حال البحر فادسه في فيه مخافة ان تدركه الرحمة اخرجه الترمذي وقال
حديث حسن وفي رواية اخرى عنه عن عدي بن ثابت وعطا بن السايب
عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ذكر احدهما عن النبي صلى الله عليه وسلم انه ذكر
ان جبريل جعل يدس في في فرعون الطين مخافة ان يقول لا اله الا الله فيرحمه
الله او خشية ان يرحمه الله اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح فصل
في الكلام على هذا الحديث لانه في الظاهر مشكل فيحتاج الى بيان وايضاح فنقول
قد ورد هذا الحديث على طريقين مختلفين عن ابن عباس ففي الطريق الاول
علي بن زيد بن جدعان وان كان قد ضعفه يحيى بن معين وغيره فانه كان
شيخا نبيلا صدوقا ولكنه سي الحفظ ويغلط وقد احتمل الناس حديثه وانما

تخشى من حديثه ما لم يتابع عليه وخالفه فيه الثقات وكلاهما منتف في هذا الحديث
لان في الطريق الاخر شعبة عن عدي بن ثابت عن سعيد بن جبير وهذا الاسناد
على شرط البخاري ورواه ايضا شعبة عن عطا بن السايب عن سعيد بن جبير
وعطا بن السايب ثقة وقد اخرج له مسلم فهو على شرط مسلم وان كان عطا قد تكلم فيه
من قبل اختلاطه فانما يخاف منه ما انفرد به او يخالف فيه وكلاهما منتف فيه فقد علم
بهذا ان لهذا الحديث اصلا وان رواته ثقات ليس فيهم متهم وان كان فيهم من هو
سيء الحفظ فقد تابعه عليه غيره فان قلت ففي الحديث الثاني شك في رفعه لانه
قال فيه ذكر احدهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قلت ليس بشك في رفعه انما هو
وهم باحد الرجلين رفعه وشك شعبة في تعيينه هل هو عطا بن السايب او عدي
ابن ثابت وكلاهما ثقة فاذا رفعه احدهما وشك في تعيينه لم يكن هذا علة في الحديث

فصل ووجه اشكال ما اعترض عليه الامام فخر الدين الرازي في تفسيره فقال ان جبريل
اخذ يملا فمه بالطين لئلا يتوب غضبا عليه والجواب الاقرب انه لا يصح لانه في
تلك الحال التكليف هل كان باقيا اولا فان كان باقيا لم يجز لجبريل ان يمنعه من التوبة
بل يجب عليه ان يعينه على التوبة وان كان التكليف زايلا عن فرعون في ذلك الوقت
فحينئذ لا يبقى لهذا الذي نسب الى جبريل فايدة وايضا لو منعه من التوبة لكان قد
رضي ببقايه على الكفر والرضا بالكفر كفر وايضا فكيف يليق بجلال الله ان يامر جبريل
ان يمنعه عن الايمان ولو قيل ان جبريل فعل ذلك من عند نفسه لا بامر الله فهذا
يبطله قول جبريل وما نتنزل الا بامر ربك فهذا وجه الاشكال الذي اورده الامام على
هذا الحديث في كلام اكثر من هذا والجواب عن هذا الاعتراض ان الحديث قد ثبت
عن النبي صلى الله عليه وسلم فلا اعتراض عليه لاحد واما قول الامام ان التكليف
هل كان باقيا في تلك الحالة اولا فان كان باقيا لم يجز لجبريل ان يمنعه من التوبة
فان هذا القول لا يستقيم على اصل المثبتين للقدر القايلين بخلق الافعال وان الله
يضل من يشا ويهدي من يشا وهو قول اهل السنة المثبتين للقدر فانهم يقولون
ان الله يحول بين الكفار والايمان ويدل على ذلك قوله تعالى ان الله يحول بين المرء
وقلبه وقوله وقالوا قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم وقال تعالى ونقلب افئدتهم
وابصارهم كما لم يومنوا به اول مرة فاخبر الله تعالى انه قلب افئدتهم على تركهم للايمان
به اول مرة وهكذا فعل بفرعون منعه من الايمان عند الموت جزاء على تركه للايمان اولا
فدس الطين في فم فرعون من جنس الختم والطبع على القلب ومنع عن الايمان
وصون الكافر عنه وذلك جزاء على كفره السابق وهذا قول طايفة من المثبتين
للقدر القايلين بخلق الافعال لله ومن المنكرين لخلق الافعال من اعترف ايضا
بان الله تعالى يفعل هذا عقوبة للعبد على كفره السابق فيحسن منه ان يضله ويطبع

على قلبه ويمنعه من الايمان فاما قصة جبريل عليه السلام مع فرعون فانها من هذا
الباب فانه من غاية ما يقال فيه ان الله منع فرعون من الايمان وحال بينه وبينه
عقوبة له على كفره ورده للايمان لما جاءه واما فعل جبريل من دس الطين في فيه فانما
فعل ذلك بامر الله تعالى لا من تلقا نفسه فاما قول الامام لم يجز لجبريل ان يمنعه من
التوبة بل يجب ان يعينه عليها وعلى كل طاعة هذا اذا كان تكليف جبريل كتكليفنا
ويجب عليه ما يجب علينا واما اذا كان جبريل انما يفعل ما امره الله تعالى به فهو الذي
منع فرعون من الايمان وجبريل منفذ لامر الله فكيف لا يجوز له منع من منعه
الله من التوبة وكيف يجب عليه اعانة من لم يعنه الله بل قد حكم عليه واخبر عنه انه
لا يومن حتى يرى العذاب الاليم حين لا ينفعه الايمان وقد يقال ان جبريل اما ان
يتصرف بامر الله فلا يفعل الا ما امر الله به واما ان يفعل ما يشا من تلقا نفسه الا
بامر الله وعلى هذين التقديرين فلا يجب عليه اعانة فرعون على التوبة ولا يحرم
عليه منعه منها لانه انما يجب عليه فعل ما امر به ويحرم عليه فعل ما نهي عنه والله
تعالى انه لم يخبر انه امره باعانة فرعون ولا حرم عليه منعه من التوبة وليست الملايكة
مكلفين كتكليفنا وقوله وان كان التكليف زايلا عن فرعون في ذلك الوقت
فحينئذ لا يبقى لهذا الذي نسب الى جبريل فايدة فجوابه ان يقال ان للناس في
تعليل افعال الله قولان احدهما ان افعاله لا تعلل وعلى هذا التقدير فلا يرد
هذا السوال اصلا وقد زال الاشكال والقول الثاني ان افعاله تعالى لها غاية
بحسب المصالح لاجلها فعلها وكذا اوامره ونواهيه لها غاية محمودة محبوبة لاجلها
امر بها ونهى عنها وعلى هذا التقدير فقد يقال لما قال فرعون امنت انه لا اله الا الذي
امنت به بنو اسرايل وقد علم جبريل انه ممن حقت عليه كلمة العذاب وان ايمانه
لا ينفعه فدس الطين في فيه لتحقق معاينته للموت فلا تكون تلك الكلمة نافعة
له وانه وان كان قالها في وقت لم ينفعه فدس الطين في فيه تحقيقا لهذا
المنع والفايدة فيه تعجيل ما قد قضي عليه وسد الباب عنه سدا محكما بحيث
لا ينفع ولا يبقى للرحمة فيه منفذ ولا يبقى من عمره زمن يتسع للايمان فان موسى
لما دعا ربه بان فرعون لا يومن حتى يرى العذاب الاليم والايمان عند روية العذاب
غير نافع فاجاب الله دعاه فلما قال فرعون تلك الكلمة عند معاينة الغرق
استعجل جبريل فدس الطين في فيه لييأس من الحياة ولا تنفعه تلك الكلمة
وتحقق اجابة الدعوة التي وعد الله موسى بقوله قد اجيبت دعوتكما فيكون
سعي جبريل في تكميل ما سبق في حكم الله انه يفعله فيكون سعي جبريل في مرضات
الله منفذا لما امره به وقدره وقضاه على فرعون وقوله لو منعه من التوبة لكان
قد رضي ببقايه على الكفر والرضا بالكفر كفر فجوابه ما تقدم من ان الله يفعل

ما يشاء ويهدي من يشاء وجبريل انما يتصرف بامر الله تعالى ولا يفعل الا ما امره الله به واذا كان
جبريل عليه السلام فعل ما امره الله به ونفذه فانما رضي بالامر لا بالمامور به فاي كفر يكون هنا وايضا فان
ان الرضى بالكفر انما يكون كفرا في حقنا لانا مامورون بازالته بحسب الامكان فاذا اقررنا
الكافر على كفره وخيانته ورضينا به كان كفرا في حقنا لمخالفتنا ما امرنا به واما من ليس
مامورا كامرنا ولا مكلفا كتكليفنا بل يفعل ما يامره به ربه فاذا نفذ ما امره به لم يكن راضيا
بالكفر ولا يكون كفرا في حقه وعلى هذا التقدير فان جبريل لما دس الطين في فم فرعون
كان ساخطا لكفره غير راض عنه والله تعالى خالق افعال العباد خيرها وشرها وهو
غير راض بالكفر فغاية امر جبريل مع فرعون ان يكون منفذا لقضاء الله وقدره
في فرعون من الكفر وهو ساخط له غير راض به وقوله كيف يليق بجلال الله ان
يامر جبريل بان يمنعه من الايمان فجوابه ان الله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا يسال
عما يفعل وقوله وان قيل ان جبريل انما فعل ذلك من عند نفسه لا بامر الله فجوابه انما
فعل ذلك بامر الله والله اعلم بمراده قوله تعالى فاليوم ننجيك معناه انا نلقيك
في نجوة من الارض وهي المكان المرتفع قال اهل التفسير لما اغرق الله تعالى فرعون وقومه
اخبر موسى قومه بهلاك فرعون وقومه فقالت بنو اسرائيل ما مات فرعون وانما
قالوا ذلك لعظمته عندهم وما حصل في قلوبهم من الرعب لاجله فامر الله عز وجل
البحر فالقى فرعون على الساحل احمر قصيرا كانه ثور فراه بنو اسرائيل فعرفوه فمن ذلك
الوقت لا يقبل الماء ميتا ابدا ومعنى قوله تعالى ببدنك يعني نلقيك وانت جسد لا روح
فيه وقيل هذا الخطاب على سبيل التهكم والاستهزاء كانه قيل له ننجيك ولكن هذه
النجاة انما تحصل لبدنك لا لروحك وقيل اراد بالبدن الدرع وكان لفرعون
درع من ذهب مرصع بالجواهر يعرف به فلما راوه في درعه ذلك عرفوه لتكون
لمن خلفك اية يعني عبرة وموعظة وذلك انهم ادعوا ان مثل فرعون لا يموت
فاظهره الله لهم حتى شاهدوه وهو ميت لتزول الشبهة من قلوبهم ويعتبرون
به لانه كان في غاية العظمة فصار الى نهاية الخسة والذلة ملقى على الارض
لا يهابه احد وان كثيرا من الناس عن اياتنا لغافلون ولقد بوانا بني اسرائيل
مبوا صدق يعني اسكناهم مكان صدق وانزلناهم منزلة صدق بعد خروجهم
من البحر واغراق عدوهم فرعون والمعنى انزلناهم منزلا محمودا صالحا وانما
وصف المكان بالصدق لان عادة العرب اذا مدحت شيئا اضافته الى
الصدق تقول العرب هذا رجل صدق وقدم صدق والسبب فيه ان الشيء
اذا كان كاملا صالحا لا بد ان يصدق الظن فيه وفي المراد بالمكان الذي بوؤا
قولان احدهما انه مصر فيكون المراد ان الله اورث بني اسرائيل جميع ما كان
تحت ايدي فرعون وقومه من ناطق وصامت وزرع وغيره والقول الثاني انه

ارض الشام والقدس والاردن لانها بلاد الخصب والخير والبركة قوله تعالى
ورزقناهم من الطيبات يعني تلك المنافع والخيرات التي رزقهم الله تعالى فما
اختلفوا حتى جاءهم العلم يعني فما اختلف هؤلاء الذين فعلنا بهم هذا الفعل من بني اسرائيل
حتى جاءهم ما كانوا به عالمين وذلك انهم كانوا قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم
مقرين به مجمعين على نبوته غير مختلفين فيه لما يجدونه مكتوبا عندهم فلما بعث
محمد صلى الله عليه وسلم اختلفوا فامن به بعضهم كعبد الله بن سلام واصحابه
وكفر به بعضهم بغيا وحسدا فعلى هذا المعنى يكون المراد من العلم المعلوم والمعنى
فما اختلفوا حتى جاءهم المعلوم الذي كانوا يعلمونه حقا فوضع العلم مكان
المعلوم وقيل المراد من العلم القران النازل على محمد صلى الله عليه وسلم وانما
سماه علما لانه سبب العلم وتسمية السبب بالمسبب مجاز مشهور وفي كون القران
سببا لحدوث الاختلاف وجهان الاول ان اليهود كانوا يخبرون بمبعث محمد
صلى الله عليه وسلم وصفته ونعته ويفتخرون بذلك على المشركين فلما بعث كذبوه
بغيا وحسدا وايثارا لبقاء الرياسة لهم فامن به طائفة قليلة وكفر به غالبهم والقول
الثاني ان اليهود كانوا على دين واحد قبل نزول القران فلما نزل على محمد صلى الله عليه
وسلم فامن به طائفة وكفر به اخرى وقوله عز وجل ان ربك يعني يا محمد يقضي بينهم
يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون يعني في امرك وامر نبوتك في الدنيا فيدخل
من امن بك الجنة ومن كفر بك وجحد لنبوتك دخل النار قوله تعالى فان كنت في
شك مما انزلنا اليك الشك في موضوع اللغة خلاف اليقين واصل الشك اعتدال
النقيضين عند الانسان لوجود امارتين او لعدم الامارة والشك ضرب من الجهل
وهو اخص منه فكل شك جهل وليس كل جهل شكا فاذا قيل فلان شك في هذا
الامر معناه انه توقف فيه حتى يتبين له فيه الصواب او خلافه وظاهر هذا الخطاب
في قوله فان كنت في شك للنبي صلى الله عليه وسلم والمعنى فان كنت يا محمد في
شك مما انزلنا اليك يعني من حقيقة ما اخبرناك به وانزلناه يعني القران فاسال
الذين يقرءون الكتاب من قبلك يعني علماء اهل الكتاب يخبرونك انك مكتوب
عندهم في التوراة والانجيل وانك نبي يعرفونك بصفتك عندهم وقد توجه
ههنا سوال واعتراض وهو ان يقال هل شك النبي صلى الله عليه وسلم فيما انزل اليه
او في نبوته حتى يسال اهل الكتاب عن ذلك واذا كان شاكا في نبوة نفسه كان غيره
اولى منه بالشك قلت للجواب عن هذا السوال والاعتراض ما قاله القاضي عياض
في كتابه الشفا فانه اورد هذا السوال ثم قال احذر ثبت الله قلبك ان يخطر ببالك
ما ذكره فيه بعض المفسرين عن ابن عباس او غيره من اثبات شك للنبي صلى الله
عليه وسلم فيما اوحي اليه وانه من البشر فمثل هذا لا يجوز عليه صلى الله عليه وسلم جملة

بن قال ابن عباس لم يشك النبي صلى الله عليه وسلم ولم يسال ونحوه عن سعيد بن
جبير والحسن البصري وحكي عن قتادة انه قال بلغنا ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال ما اشك ولا اسال وعامة المفسرين على هذا انتهى كلام القاضي عياض رحمه
الله ثم اختلفوا في معنى الاية ومن المخاطب بهذا الخطاب على قولين احدهما ان الخطاب
للنبي صلى الله عليه وسلم في الظاهر والمراد به غيره فهو كقوله لئن اشركت ليحبطن
عملك ومعلوم ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يشرك فثبت ان المراد به غيره
ومن امثلة العرب اياك اعني واسمعي يا جارة فعلى هذا يكون معنى الاية
قل يا محمد يا ايها الانسان الشاك ان كنت في شك مما انزلنا اليك على لسان رسولنا
محمد صلى الله عليه وسلم فاسئل الذين يقرؤن الكتاب يخبرونك بصحته ويدل على صحة
هذا التاويل قوله تعالى في اخر هذه السورة قل يا ايها الناس ان كنتم في شك من ديني
الاية فبين ان المذكورين في هذه الاية على سبيل الرمز هم المذكورون في هذه الاية
على سبيل التصريح وايضا لو كان النبي صلى الله عليه وسلم شاكا في نبوته لكان غيره
اولى بالشك في نبوته وهذا يوجب سقوط الشريعة بالكلية معاذ الله من ذلك
وقيل ان الله تعالى علم ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يشك قط فيكون المراد بهذا
التهييج فانه صلى الله عليه وسلم اذا سمع هذا الكلام فانه يقول لا اشك يا رب
ولا اسال اهل الكتاب بل اكتفي بما انزلته علي من الدلايل الظاهرة وقال
الزجاج ان الله تعالى خاطب الرسول صلى الله عليه وسلم في قوله فان كنت في
شك وهو شامل للخلق فهو كقوله يا ايها النبي اذا طلقتم النسا وهذا وجه
حسن لكن فيه بعد وهو ان يقال متى كان الرسول صلى الله عليه وسلم داخلا
في هذا الخطاب كان الاعتراض موجودا والسوال وارد وقيل ان لفظة ان
في قوله فان كنت في شك للنفي ومعناه وما انت في شك مما انزلنا اليك
حتى تسال فلا تسال ولين سالت لازددت يقينا والقول الثاني وهو ان
يقال ان هذا الخطاب ليس هو للنبي صلى الله عليه وسلم البتة ووجه هذا القول
ان الناس كانوا في زمانه على ثلاث فرق فرقة له مصدقون وبه مومنون
وفرقة على الضد من ذلك والفرقة الثالثة المتوقفون في امره الشاكون
فيه فخاطبهم الله عز وجل بهذا الخطاب فقال تعالى فان كنت ايها الانسان في
شك مما انزلنا اليك من الهدى على لسان محمد فسئل اهل الكتاب ليدلوك
على صحة نبوته وانما وحد الله الضمير في قوله فان كنت وهو يريد الجمع لانه خطاب
لجنس الانسان كما في قوله يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم لم يرد في الاية
انسانا بعينه بل اراد الجمع واختلفوا في المسئول عنه في قوله تعالى واسئل الذين
يقرؤن الكتاب من قبلك من هم فقال المحققون من اهل التفسير هم الذين امنوا

اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واصحابه لانهم هم الموثوق باخبارهم وقيل المراد
به كل اهل الكتاب سواء مومنهم وكافرهم لان المقصود من هذا السوال الاخبار
بصحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وانه مكتوب عندهم صفته ونعته فاذا اخبروا
بذلك فقد حصل المقصود والاول اصح قال الثعلبي يعني اهل التقوى واهل
الايمان من اهل الكتاب ممن ادرك النبي صلى الله عليه وسلم لقد جاءك الحق
من ربك هذا كلام مبتدا منقطعة عما قبله وفيه معنى القسم تقديره اقسم لقد
جاءك الحق اليقين من الخبر بانك رسول الله حقا وان اهل الكتاب يعلمون
صحة ذلك فلا تكونن من الممترين يعني من الشاكين في صحة ما انزلنا اليك
ولا تكونن من الذين كذبوا بايات الله يعني بدلايله وبراهينه الواضحة فتكون
من الخاسرين يعني الذين خسروا انفسهم واعلم ان هذا كله على ما تقدم من ان
ظاهره خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره ممن عنده شك وارتياب
فان النبي صلى الله عليه وسلم لم يشك ولم يرتاب ولم يكذب بايات الله فثبت
بذلك ان المراد غيره والله اعلم بمراده قوله تعالى ان الذين حقت عليهم
يعني وجبت عليهم كلمة ربك يعني حكم ربك وهو قوله خلقت هولاء
للنار ولا ابالي وقال قتادة سخط ربك وقيل لعنة ربك وقيل هو ما قدره
عليهم وقضاه في الازل لا يومنون ولو جاءتهم كل اية فانهم لا يومنون بها
حتى يروا العذاب الاليم فحينئذ لا ينفعهم الايمان لان الله تعالى قد حكم
عليهم وصرفهم عن الايمان فلا ينفعهم شي قوله عز وجل فلولا يعني فهلا
كانت قرية وقيل معناه فما كانت قرية وقيل لم يكن قرية لان في الاستفهام
معنى الجحد والمراد اهل كان قرية امنت يعني عند معاينة العذاب
فنفعها ايمانها يعني في حال الياس الا قوم يونس هذا استثنا منقطع
لكن قوم يونس فانهم امنوا فنفعهم ايمانهم في ذلك الوقت وهو
قوله لما امنوا يعني لما اخلصوا الايمان كشفنا عنهم عذاب الخزي في
الحياة الدنيا ومتعناهم الى حين يعني الى وقت انقضا اجالهم واختلفوا
في قوم يونس هل راوا العذاب عيانا ام لا فقال قال بعضهم راوا
دليل العذاب فامنوا وقال الاكثرون انهم راوا العذاب عيانا بدليل
قوله كشفنا عنهم عذاب الخزي والكشف لا يكون الا بعد الوقوع او اذا
قرب وقوعه ذكر القصة في ذلك على ما ذكره عبد الله ابن مسعود وسعيد بن
جبير ووهب وغيرهم قالوا ان قوم يونس كانوا بقرية نينوى من ارض
الموصل وكانوا اهل كفر وشرك فارسل الله عز وجل اليهم يونس عليه
السلام يدعوهم الى الايمان بالله وترك عبادة الاصنام فدعاهم فابوا عليه

فقيل له اخبرهم ان العذاب مصبحهم الى ثلاث فاخبرهم بذلك انا لم نجرب
عليه كذبا قط فانظروا فان بات منكم الليلة فليس بشي وان لم يبت فاعلموا
ان العذاب مصبحكم فلما كان جوف الليل خرج يونس عليه السلام من بين
اظهرهم فلما اصبحوا تغشاهم العذاب فكان فوق روسهم قال ابن عباس
ان العذاب كان اهبط على قوم يونس حتى لم يكن بينهم وبينه الا قدر ثلثي
ميل فلما دعوا كشف الله عنهم ذلك وقال مقاتل قدر ميل وقال سعيد بن
جبير غشي قوم يونس العذاب كما يغشى الثوب القبر وقال وهب غامت
السماء غيما اسود هائلا يدخن دخانا شديدا فهبط حتى غشي مدينتهم واسودت
سطوحهم فلما راوا ذلك ايقنوا بالهلاك فطلبوا نبيهم يونس فلم يجدوه فقذف
فى قلوبهم التوبة فخرجوا الى الصحرا بانفسهم نساهم وصبيانهم ودوابهم ولبسوا
المسوح واظهروا الايمان والتوبة وفرقوا بين والدة وولدها من الناس
والدواب فحن البعض الى البعض فحنت الاولاد الى الامهات والامهات
الى الاولاد وعلت الاصوات وعجوا جميعا الى الله تعالى وتضرعوا اليه وقالوا امنا
بما جاء به يونس وتابوا الى الله واخلصوا النية فرحمهم ربهم فاستجاب دعاهم وكشف
ما نزل بهم من العذاب بعدما اظلهم وكان ذلك اليوم يوم عاشورا وكان يوم
الجمعة قال ابن مسعود بلغ من توبتهم ان ترادوا المظالم فيما بينهم حتى ان كان الرجل
لياتي الى الحجر وقد وضع اساس بنيانه عليه فيقلعه فيرده وروى الطبري بسنده
عن ابى الجلد جيلان قال لما غشي قوم يونس العذاب مشوا الى شيخ من بقية
علمايهم فقالوا له انه قد نزل بنا العذاب فما ترى قال قولوا يا حي حين لا حي
ويا حي يحيى الموتى ويا حي لا اله الا انت فقالوها فكشف الله عنهم العذاب
ومتعوا الى حين وقال الفضيل بن عياض انهم قالوا اللهم ان ذنوبنا
قد عظمت وجلت وانت اعظم واجل فافعل بنا ما انت اهله ولا تفعل
بنا ما نحن اهله قالوا وخرج يونس وجعل ينتظر العذاب فلم ير شيا فقيل
له ارجع الى قومك قال وكيف ارجع اليهم فيجدوني كذابا وكان من كذب
ولا بينة له قتل فانصرف اليهم مغاضبا فالتقمه الحوت وستاتي القصة
فى سورة الصافات ان شا الله تعالى فان قلت كيف كشف العذاب
عن قوم يونس بعد ما نزل بهم وقبل توبتهم ولم يكشف العذاب عن فرعون
حين امن ولم يقبل توبته قلت اجاب العلما عن هذا باجوبة احدها ان
ذلك كان خاصا بقوم يونس والله يفعل ما يشا ويحكم ما يريد الجواب الثاني
ان فرعون ما امن الا لما باشره العذاب وهو وقت الياس من الحياة وقوم
يونس دنا منهم العذاب ولم ينزل بهم ولم يباشرهم فكانوا كالمريض يخافون

الموت ويرجوا العافية الجواب الثالث ان الله عز وجل علم صدق نياتهم فى
التوبة فقبل توبتهم بخلاف فرعون انه ما صدق فى ايمانه ولا اخلص فلم
يقبل الله منه والله اعلم قوله تعالى ولو شا ربك لامن من فى الارض كلهم
جميعا يعنى يقول الله عز وجل لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ولو شاء ربك
يا محمد لامن بك وصدقك من فى الارض كلهم جميعا ولكن لا يشا
من يصدقك ويومن بك الا من سبقت له السعادة فى الازل قال ابن
عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يحرص ان يومن به جميع الناس
ويتابعوه على الهدى فاخبر الله عز وجل انه لا يومن الا من سبق له من
الله السعادة فى الذكر الاول ولم يضل الا من سبق له من الشقا فى الذكر
الاول وفى هذا تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم لانه كان حريصا على ايمانهم
فاخبره انه لا يومن به الا من سبقت له العناية الازلية فلا تتعب نفسك
على ايمانهم وهو قوله افانت تكره الناس حتى يكونوا مومنين يعنى ليس
ايمانهم اليك حتى تكرههم عليه او تحرص عليه انما ايمان المومن واضلال الكافر
بمشية الله وقدرة ليس لاحد ذلك سواه وما كان لنفس ان تومن الا باذن الله
يعنى وما كان ينبغي لنفس خلقها الله ان تومن وتصدق الا بقضا الله لها
بالايمان فان هدايتها الى الله هو الهادي المضل وقال ابن عباس حتى ياذن لها
الله بامر الله وقال عطا بمشية الله ويجعل قرى بالنون على سبيل التعظيم اى
ونجعل نحن وقرى بالياء ومعناه ويجعل الله الرجس يعنى العذاب وقال ابن
عباس يعنى السخط على الذين لا يعقلون يعنى لا يفهمون عن الله امره و
نهيه قوله عز وجل قل انظروا اى قل يا محمد لهولا المشركين الذين يسالونك
الايات انظروا بعقولكم نظر اعتبار وتفكر وتدبر ماذا فى السموات والارض
يعنى ماذا خلق الله فى السموات والارض من الايات الدالة على وحدانيته ففى
السموات الشمس والقمر وهما دليلان على الليل والنهار والنجوم ستخيرها
طالعة وغاربة وانزال المطر من السما وفى الارض الجبال والبحار والمعادن
والانهار والاشجار والنبات كل ذلك ايات دالات على وحدانية
الله وانه خالقها كما قال الشاعر وفى كل شي له اية تدل على انه واحد وما
قوم حم تغني الايات والنذر يعنى الرسل عن قوم لا يومنون وهذا فى حق اقوام علم الله
انهم لا يومنون لما سبق لهم فى الازل من الشقا فهل ينتظرون يعنى مشركي مكة
الا مثل ايام الذين خلوا من قبلهم يعنى من مضى قبلهم من الامم السالفة المكذبة
للرسل قال قتادة يعنى وقايع الله فى قوم نوح وعاد وثمود والعرب تسمي
العذاب اياما والنعم اياما كقوله وذكرهم بايام الله والمعنى فهل ينتظر هولاء

المشركون من قومك يا محمد الا يوما يعاينون فيه العذاب مثل ما فعلنا بالامم
السالفة المكذبة اهلكناهم جميعا فان كانوا ينتظرون ذلك العذاب قل فانتظروا
يعني قل لهم يا محمد فانتظروا العذاب اني معكم من المنتظرين يعني هلاككم قال
الربيع بن انس يخوفهم عذابه ونقمته ثم اخبرهم انه اذا وقع ذلك بهم انجا الله
رسله والذين امنوا معهم من ذلك العذاب وهو قوله تعالى ثم ننجي رسلنا
والذين امنوا يعني من العذاب والهلاك كذلك حقا علينا ننجي المومنين يعني
كما انجينا رسلنا والذين معهم من الهلاك كذلك ننجيك يا محمد والذين امنوا معك
وصدقوك من الهلاك والعذاب قال بعض المتكلمين المراد بقوله حقا علينا
الوجوب لان تخليص الرسول والمومنين من العذاب واجب واجيب
عن هذا بانه حق واجب بحيث الوعد والحكم لا انه واجب بسبب الاستحقاق
لانه قد ثبت ان العبد لا يستحق على خالقه شيا قوله تعالى قل يا ايها الناس
الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم اي قل يا محمد لهولا الذين ارسلتك اليهم فشكوا
في امرك ولم يومنوا بك ان كنتم في شك من ديني يعني الذي ادعوكم اليه
وانما حصل الشك لبعضهم في امره صلى الله عليه وسلم فحصل لهم الاضطراب و
الشك فقال ان كنتم في شك من ديني الذي ادعوكم اليه فلا ينبغي لكم ان تشكوا
فيه لانه دين ابراهيم عليه الصلاة والسلام وانتم في ذريته وتعرفونه ولا تشكون
فيه وانما ينبغي لكم ان تشكوا في عبادتكم لهذه الاصنام التي لا اصل لها البتة
فان اصررتم على ما انتم عليه فلا اعبد الذين تعبدون من دون الله يعني هذه
الاوثان وانما وجب تقديم هذا النفي لان العبادة هي غاية التعظيم للمعبود
فلا يليق بالخس الاشيا وهي الحجارة التي لمن عبدها ولا تضر لمن تركها ولكن
تليق العبادة لمن بيده النفع والضر وهو قادر على الاماتة والاحيا وهو قوله
ولكن اعبد الله الذي يتوفاكم والحكمة في وصف الله عز وجل في هذا المقام بهذه
الصفة لان الذي يستحق العبادة فاعبده وانا وانتم هو الذي خلقكم اولا
ولم تكونوا شيا ثم يميتكم ثانيا ثم يحييكم بعد الموت ثالثا فاكتفى بذكر الوفاة
بينها على الباقي وقيل لما كان الموت اشد الاشيا على النفس فذكر في هذا
المقام ليكون اقوى في الزجر والردع وقيل انهم لما استعجلوا بطلب العذاب
فاجابهم بقوله ولكن اعبد الله الذي هو قادر على اهلاككم ونصري عليكم
وامرت ان اكون من المومنين يعني وامرني ربي ان اكون من المصدقين لما
جا من عنده وقيل لما ذكر العبادة وهي من اعمال الجوارح اتبعه بذكر الايمان
لانه اعمال القلوب وان اقم وجهك للدين حنيفا الواو في قوله وان واو
عطف معناه وامرت ان اقيم وجهك يعني اقم نفسك على دين الاسلام حنيفا

يعني مستقيما عليه غير معوج عنه الى دين اخر وقيل معناه اقم وجهك على الدين الحنيف
وقيل اراد بقوله وان اقم وجهك للدين صرف نفسه بكليته الى طلب
الدين الحنيف غير مايل عنه ولا تكونن من المشركين يعني ولا تكونن
ممن يشرك في عبادته ربه غيره فيهلك وقيل ان النهي عن عبادة
الاوثان قد تقدم في الاية المتقدمة فوجب حمل هذا النهي على معنى زايد
وهو ان من عرف الله عز وجل وعرف جميع اسمايه وصفاته وانه المستحق
للعبادة لا غيره فلا ينبغي له ان يلتفت الى غيره بالكلية وهذا هو الذي
يسميه اصحابنا بالشرك الخفي ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ان عبدته
ودعوته ولا يضرك ان تركت عبادته فان فعلت يعني ما نهيتك عنه
فعبدت غيري او طلبت النفع ودفع الضر من غيري فانك من الظالمين
لنفسك لانك وضعت العبادة في غير موضعها وهذا الخطاب وان كان
في الظاهر للنبي صلى الله عليه وسلم فالمراد به غيره لانه صلى الله عليه وسلم لم
يدع من دون الله شيا البتة فيكون المعنى ولا تدع من دون الله ايها الانسان
ما لا ينفعك الاية قوله عز وجل وان يمسسك الله بضر يعني وان يصبك
الله بشدة وبلا فلا كاشف له الا هو يعني وان كذلك الضر الذي انزله بك
الا هو وان يردك بخير يعني بسعة ورخا فلا راد لفضله يعني فلا دافع لرزقه
يصيب به يعني بكل واحد من الضر والخير من يشا من عباده وقيل انه تعالى
لما ذكر الاوثان وبين انها لا تقدر على ضر ولا نفع بين تعالى انه هو القادر على
ذلك كله وان جميع الكاينات محتاجة اليه وجميع الممكنات مستندة اليه
لانه هو القادر على ذلك كله وانه ذو الجود والكرم والرحمة ولهذا المعنى
ختم الاية بقوله وهو الغفور الرحيم وفي الاية لطيفة اخرى وهي ان الله تعالى
رجح جانب الخير على جانب الشر وذلك انه تعالى لما ذكر اساس الضر بين انه
لا كاشف له الا هو وذلك يدل على انه تعالى يزيل جميع المضار ويكشفها
لان الاستثنا من النفي اثبات ولما ذكر الخير قال عنه فلا راد لفضله يعني
ان جميع الخيرات منه فلا يقدر احد على ردها لانه هو الذي يفيض جميع
الخيرات على عباده وعضده بقوله وهو الغفور يعني الساتر لذنوب عباده
الرحيم يعني بهم قوله تعالى قل يا ايها الناس قد جاكم الحق من ربكم يعني القران
والاسلام وقيل الحق هو محمد صلى الله عليه وسلم جا بالحق من الله عز وجل
فمن اهتدى فانما يهتدي لنفسه لان نفع ذلك يرجع اليه ومن ضل
فانما يضل عليها اي على نفسه لان وباله راجع اليه فمن حكم الله له بالاهتدى
في الازل انتفع ومن حكم عليه بالضلال ضل ولم ينتفع بشي ابدا وما انا عليكم

بوكيل يعني وما انا عليكم بحفيظ احفظ عليكم اعمالكم قال ابن عباس هذه الآية
منسوخة بآية السيف واتبع ما يوحى اليك يعني الامر الذي يوحيه الله اليك
يا محمد واصبر يعني على اذى من خالفك من كفار مكة وهم قومك حتى يحكم الله
يعني بنصرك عليهم واظهار دينك قوله عز وجل وهو خير الحاكمين يعني انه
تعالى حكم بنصر نبيه واظهار دينه وبقتل المشركين واخذ الجزية
من اهل الكتاب وفيها اذلالهم وصغارهم والله
تعالى اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة هود عليه السلام

وهي مكية في قول ابن عباس وبه قال الحسن وعكرمة ومجاهد وابن زيد وقتادة
وفي رواية عن ابن عباس انها مكية غير آية وهو قوله تعالى واقم الصلوة طرفي
النهار وعن قتادة نحوه قال مقاتل هي مكية الا قوله فلعلك تارك بعض ما يوحى
اليك وقوله اولئك يؤمنون به وقوله ان الحسنات يذهبن السيئات وهي مائة
وثلاث وعشرون آية والف وسبعمائة كلمة وخمسمائة وسبعة وستون حرفا
عن ابن عباس قال ابو بكر يا رسول الله قد شبت قال شيبتني هود والواقعة والمرسلات
وعم يتساءلون واذا الشمس كورت اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب وفي
رواية غيره قال قلت يا رسول الله عجل اليك الشيب قال شيبتني هود واخواتها
الحاقة والواقعة وعم يتساءلون وهل اتاك حديث الغاشية قال بعض العلماء
لشيبه صلى الله عليه وسلم من هذه السور المذكورة في الحديث لما فيها من ذكر القيامة
والبعث والجنة والنار والله اعلم بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى الر كتاب
احكمت آياته قال ابن عباس لم ينسخها كتاب كما نسخت به الكتب
والشرائع ثم فصلت يعني بينت قال الحسن احكمت آياته بالامر والنهي و
فصلت بالثواب والعقاب وفصلت بالامر والنهي وقال قتادة احكمها الله
عن الباطل ثم فصلها بعلمه وبين حلاله وحرامه وطاعته ومعصيته وقيل
احكمها الله فليس فيها تناقض ثم فصلها وبينها وقيل معناه نظمت آياته نظما
رصينا محكما بحيث لا يقع فيه نقص ولا خلل كالبناء المحكم الذي ليس فيه
خلل ثم فصلت آياته سورة سورة وقيل ان آيات هذا الكتاب دالة
على التوحيد وصحة النبوة والمعاد واحوال القيامة وكل ذلك لا يدخله
النسخ ثم فصلت بدلائل الاحكام والمواعظ والقصص والاخبار عن
المغيبات وقال مجاهد فصلت بمعنى فسرت ثم في قوله فصلت ليس هو
للتراخي في الوقت ولكن في الحال كما تقول هي محكمة احسن التفصيل فان
قلت كيف عمم الآيات هنا بالاحكام وخص بعضها في قوله منه آيات محكمات

قلت

قلت ان الاحكام الذي عم به هنا غير الذي خص به هناك فمعنى الاحكام العام
هنا انه لا يتطرق الى آياته التناقض والفساد كاحكام البناء وان هذا الكتاب جميعه
نسخ الكتب المتقدمة عليه والمراد بالاحكام الخاص المذكور في قوله منه آيات محكمات
ان بعض آياته منسوخة نسختها آيات منه ايضا لم ينسخها من غيره وقيل احكمت
آياته اي معظم آيات الكتاب محكمة وان كان قد دخل النسخ على البعض فاجرى
الكل على البعض فان الحكم للغالب واجرا الكل على البعض فيستعمل في كلامهم تقول اكلت
طعام زيد وانما اكلت بعضه وقوله تعالى من لدن حكيم يعني احكمت آيات الكتاب
من عند حكيم في جميع احواله خبير يعني باحوال عباده وما يصلحهم الا تعبدوا الا الله هذا
معطوف على ما قبله معناه كتاب احكمت آياته ثم فصلت بان لا تعبدوا الا الله والمراد
بالعبادة التوحيد وخلع الانداد والاصنام وما كانوا يعبدون والرجوع الى الله تعالى
والى عبادته والدخول في دين الاسلام انني لكم منه نذير اي قل لهم يا محمد انني لكم من
عند الله نذير وبشير ينذركم عقابه ان لبثتم على كفركم ولم ترجعوا عنه وبشير يعني
والبشير بالثواب الجزيل لمن آمن بالله ورسوله واطاع واخلص العمل لله وحده وان
استغفروا ربكم ثم توبوا اليه اختلفوا في بيان الفرق بين هذين المرتبتين فقيل
معناه اطلبوا من ربكم المغفرة لذنوبكم ثم ارجعوا اليه لان الاستغفار هو طلب المغفرة
وهو الستر والتوبة والرجوع عما كان فيه من الاشراك والمعصية الى خلاف ذلك
فلهذا السبب قدم الاستغفار على التوبة وقيل معناه استغفروا ربكم لسالف ذنوبكم
ثم توبوا اليه في المستقبل وقال الفراء ثم هنا بمعنى الواو لان الاستغفار والتوبة بمعنى واحد
فذكرهما للتاكيد يمتعكم متاعا حسنا يعني انكم اذا فعلتم ما امرتم به من الاستغفار والتوبة
واخلصتم العبادة لله عز وجل بسط عليكم من الدنيا واسباب الرزق ما تعيشون به
في امن ومنعة وخير قال بعضهم العيش الحسن هو الرضى بالميسور والصبر على المقدور
الى اجل مسمى يمتعكم متاعا حسنا الى حين الموت ووقت انقضاء آجالكم فان قلت
قد ورد في الحديث ان الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر وقد يضيق على الرجل
في بعض اوقاته حتى لا يجد ما ينفقه على نفسه وعياله فكيف الجمع بين هذا وبين قوله
يمتعكم متاعا حسنا الى اجل مسمى قلت اما قوله صلى الله عليه وسلم الدنيا سجن المؤمن
فهو بالنسبة الى ما اعد الله له في الآخرة من العذاب الاليم الدائم الذي لا ينقطع
فهو في الدنيا في جنة حتى يفضي الى ما اعد الله له في الآخرة واما التضييق على الرجل
المؤمن في بعض الاوقات فانما ذلك لاجل رفع الدرجات وتكفير السيئات
وبيان الصبر عند المصيبات فعلى هذا يكون المؤمن في جميع احواله في عيشة حسنة
لانه راض عن الله في جميع احواله وقوله تعالى ويؤت كل ذي فضل فضله اي
ويعط كل ذي عمل صالح في الدنيا اجره قال ابو العالية من كثرت طاعته في الدنيا

زادت حسناته ودرجاته في الجنة لان الجنة تكون على قدر الاعمال وقال ابن عباس
من زادت حسناته على سياته دخل الجنة ومن زادت سياته على حسناته دخل
النار ومن استوت سياته وحسناته كان من اهل الاعراف ثم يدخلون الجنة
وقال ابن مسعود من عمل سيئة كتبت عليه سيئة ومن عمل حسنة كتبت له عشر حسنات
فان عوقب بالسيئة التي عملها في الدنيا بقيت له عشر حسنات وان لم
يعاقب بها في الدنيا اخذ من حسناته العشر واحدة وبقيت له تسع حسنات
ثم يقول ابن مسعود هلك من غلبت احاده اعشاره وقيل معنى الاية من
عمل لله وفقه الله في المستقبل لطاعته وان تولوا يعني وان اعرضوا عما
جاءهم به الهدى فاني اخاف عليكم اي فقل لهم اني اخاف عليكم عذاب
يوم كبير يعني في الاخرة عذاب النار الى الله مرجعكم يعني في الاخرة فيثيب
المحسن على احسانه ويعاقب المسيء على فعله واساته وهو على كل شي قدير
يعني من ايصال الرزق اليكم وثوابكم وعقابكم في الاخرة قوله تعالى الا انهم
يثنون صدورهم قال ابن عباس نزلت في الاخنس بن شريق وكان رجلا
حلو الكلام حلو المنظر وكان يلقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بما يحب وينطوي
بقلبه على ما يكره فنزلت الا انهم يثنون صدورهم من الشحنا والعداوة من ثنيت
الثوب اذا طويته وقال عبد الله بن شداد بن عبد الهادي نزلت في المنافقين
كان اذا مر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثنى صدره وظهره وطاطا راسه وغطا
وجهه كي لا يراه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال قتادة كانوا يحنون صدورهم
كي لا يسمعوا كتاب الله وقيل كان الرجل من الكفار يدخل بيته ويرخي ستره
ويحني ظهره ويتغشى بثوبه ويقول هل يعلم الله ما في قلبي وقال السدي يثنون صدورهم
اي يعرضون بقلوبهم من قولهم ثنيت عناني ليستخفوا منه معناه يعني من رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقال مجاهد من الله عز وجل ان استطاعوا الا حين يستغشون
ثيابهم يعني يغطون روسهم يعلم ما يسرون وما يعلنون انه عليم بذات الصدور
ومعنى الاية على ما قاله الازهري ان الذين اضمروا عداوة رسول الله صلى الله
عليه وسلم لا يخفى علينا حالهم في كل حال وقد نقل عن ابن عباس غير هذا
التفسير وهو ما اخرجه البخاري في افراده عن محمد بن عباس بن جعفر المخزومي
انه سمع ابن عباس يقرا الا انهم يثنون صدورهم قال فسالته عنها فقال كان
ناس يستحيون ان يتخلوا فيفضوا الى السما وان يجامعوا نساهم فيفضوا الى
السما فنزل ذلك فيهم وقوله تعالى وما من دابة في الارض الدابة اسم لكل
حيوان دب على وجه الارض واطلق لفظ الدابة على كل ذي اربع من الحيوان
على سبيل العرف والمراد منه الاطلاق فيدخل فيه الادمي وغيره من جميع الحيوان

الا على الله

الا على الله رزقها يعني هو المتكفل برزقها فضلا منه لا على سبيل الوجوب
فهو على مشيئته ان شا رزق وان لم يشا لم يرزق وقيل ان لفظة على بمعنى من
اي من الله رزقها قال مجاهد ما جاءها من رزق فمن الله وربما لم يرزقها
فتموت جوعا ويعلم مستقرها ومستودعها قال ابن عباس مستقرها المكان
الذي تاوي اليه في ليل او نهار ومستودعها المكان الذي تدفن فيه بعد
الموت وقال ابن مسعود مستقرها ارحام الامهات والمستودع المكان
الذي تموت فيه وقيل المستقر الجنة او النار والمستودع القبر كل في كتاب
مبين اي كل ذلك مثبت في اللوح المحفوظ قبل خلقها قوله عز وجل وهو
الذي خلق السموات والارض في ستة ايام وكان عرشه على الما يعني قبل
خلق السموات والارض قال كعب خلق الله ياقوتة خضرا ثم نظر اليها
بالهيبة فصارت ما ثم تقدم ثم خلق الريح فجعل الما على بطنها ثم وضع العرش
على الما وقال ضمرة ان الله تعالى كان عرشه على الما ثم خلق السموات و
الارض وخلق القلم فكتب به ما خلق وما هو خالق من خلقه الى يوم
القيامة ثم ان ذلك الكتاب سبح الله ومجده الف عام قبل ان يخلق شيا
من خلقه وقال سعيد بن جبير سيل ابن عباس عن قوله وكان عرشه على
الما على اي شي كان الما قال على متن الريح وقال وهب بن منبه ان العرش
كان قبل ان يخلق الله السموات والارض ثم قبض قبضة من صفا
الما ثم فتح القبضة فارتفع دخانا ثم قضاهن سبع سموات في يومين ثم
اخذ طينة من الما فوضعها مكان البيت ثم دحا الارض منها ثم خلق الاقوات
في يومين والسموات في يومين والارض في يومين ثم فرغ اخر الخلق في
اليوم السابع قال بعض العلما وفي خلق جميع الاشيا وجعلها على الما يدل
على كمال القدرة لان البنا الضعيف اذا لم يكن له اساس على ارض صلبة
لم يثبت فكيف بهذا الخلق العظيم وهو العرش العظيم والسموات والارض
على الما فهذا يدل على كمال قدرة الله تعالى خ عن عمران بن حصين قال دخلت
على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعقلت ناقتي فاتى ناس من بني تميم فقال
اقبلوا البشرى يا بني تميم قالوا بشرتنا فاعطنا مرتين فتغير وجهه ثم دخل
عليه ناس من اهل اليمن فقال اقبلوا البشرى يا اهل اليمن اذ لم يقبلها
بنو تميم قالوا انا قبلنا يا رسول الله ثم قالوا جينا لنتفقه في الدين و
لنسالك عن هذا الامر ما كان قال كان الله ولم يكن معه شي قبله وكان
على الما ثم خلق الله السموات والارض وكتب في الذكر كل شي ثم اتاني رجل
فقال يا عمران ادرك ناقتك فقد ذهبت فانطلقت اطلبها فاذا السراب

يقطع دونها وايم الله لوددت انها ذهبت ولم اهم عن ابي رزين العقيلي قال قلت
يا رسول الله اين كان ربنا قبل ان تخلق خلقه قال كان في عما ما تحته هوا ولا
فوقه فوقه هوا وخلق عرشه على الما اخرجه الترمذي وقال قال احمد قال يزيد العما اي
ليس معه شي قال ابو بكر البيهقي في كتابه الاسما والصفات له قوله صلى الله عليه وسلم
كان الله ولم يكن شي قبله يعني لا الما ولا العرش ولا غيرهما فجميع ذلك غير الله
وقوله وكان عرشه على الما يعني وخلق الما وخلق العرش على الما ثم كتب في الذكر
كل شي وقوله في عما وجدته في كتابي عماء مقيدا بالمد فان كان في الاصل ممدودا
فمعناه سحاب رقيق ويريد بقوله في عماء اي فوقه فوق سحاب مدبر له وعاليا
عليه كما قال ا انتم من في السما يعني من فوق السما وقال لاصلبنكم في جذوع النخل
يعني على جذوعها وقوله ما فوقه هوا اي ما فوق السحاب هوا وكذلك قوله وما تحته
هوا اي ما تحت السحاب هوا وقد قيل ان ذلك من العما مقصور العما والعما اذا
كان مقصورا فمعناه لا شي ثابت لانه مما عمي على الخلق لكونه غير شي فكانه قال في جوابه
كان قبل ان يخلق خلقه ولم يكن شي غيره ثم قال ما فوقه هوا وما تحته هوا اي ليس
فوق العمي الذي هو لا شي موجود لا فوقه هوا ولا تحته هوا لان ذلك ان كان
غير شي فليس يثبت له هوا بوجه والله اعلم وقال الهروي صاحب الغريبين قال
بعض اهل العلم معناه اين كان عرش ربنا فحذف المضاف اختصارا كقوله
واسال القرية ويدل على ذلك قوله وكان عرشه على الما على ان هذا من كلام
البيهقي وقال ابن الاثير العما في اللغة السحاب الرقيق وقيل الكثيف وقيل
الضباب ولا بد في الحديث من حذف مضاف تقديره اين كان عرش ربنا فحذف
ويدل على هذا المحذوف قوله تعالى وكان عرشه على الما وحكي عن بعضهم في عما
مقصور وهو كل امر لا يدركه الفطن وقال الازهري قال ابو عبيد انما تاولنا هذا
حديث على كلام العرب المعقول عنهم والا فلا ندري كيف كان ذلك العما قال
الازهري فنحن نومن به ولا نكيف صفته عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كتب الله مقادير الخلايق قبل ان يخلق
السموات والارض بخمسين الف سنة قال وكان عرشه على الما وفي رواية فرغ
الله من المقادير وامور الدنيا قبل ان يخلق السموات والارض وكان عرشه
على الما بخمسين الف سنة قوله فرغ منه لان الله تعالى لا يشغله شان عن شان
فانما امره اذا اراد شيا ان يقول له كن فيكون وقوله تعالى ليبلوكم يعني ليمتحنكم
والله اعلم بكم منكم ايكم احسن عملا يعني بطاعة الله واورع عن محارم الله ولين
قلت انكم يعني ولين قلت يا محمد لهولا الكفار من قومك انكم مبعوثون
من بعد الموت يعني للحساب والجزا ليقولن الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين

يعنون

يعنون القران ولين اخرنا عنهم العذاب الى امة معدودة يعني الى اجل محدود
واصل الامة في اللغة جماعة من الناس فكانه قال الى انقراض امة ومجي امة
اخرى ليقولن ما يحبسه يعني اي شي يحبس العذاب وانما يقولون ذلك استعجالا
بالعذاب واستهزا يعنون انه ليس بشي قال الله عز وجل الا يوم ياتيهم يعني
العذاب ليس مصروفا عنهم اي لا يصرف عنهم شي ولين اذقنا الانسان منا رحمة
يعني رخا وسعة في الرزق والعيش وبسطنا عليه من الدنيا ثم نزعناها منه
يعني سلبناه ذلك كله واصابته المصايب فاحتاجته وذهب به جحود لنعمتنا عليه
اذا قليل الشكر لربه قال بعضهم يا ابن ادم اذا كانت بك نعمة من الله من امن
وسعة وعافية فاشكرها ولا تجحدها فان نزعت عنك فينبغي لك ان تصبر ولا تياس
من رحمة الله فانه العواد الرحيم على عباده بالخير وهو قوله تعالى ولين اذقناه نعماء
بعد ضراء مسته يعني ولين نحن النعما على الانسان فبسطنا عليه من العيش ليقولن
يعني الذي اصابه الخير والسعة ذهب السيات عني يعني ذهب الشدايد والعسر
والضيق وانما قال ذلك غرة بالله عز وجل وجراة عليه لانه لم يضف الاشيا كلها
لله وانما اضافها الى العوايد فلهذا ذمه الله تعالى فقال انه لفرح فخور يعني انه اشر
بطر والفرح لذة تحصل في القلب بنيل المراد والمشتهى والفخر هو التطاول على
الناس بتعديد المناقب وذلك منهي عنه ثم استثنى فقال تعالى الا الذين صبروا
وعملوا الصلحات قال الفرا هذا استثنا منقطع معناه لكن الذين صبروا وعملوا
الصالحات فانهم ليسوا كذلك فانهم ان نالتهم شدة صبروا وان نالوا نعمة شكروا
عليها اولئك يعني من هذه صفتهم لهم مغفرة يعني لذنوبهم واجر كبير يعني الجنة
قوله عز وجل فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم
يقول الله عز وجل فلعلك يا محمد تارك بعد ما يوحى اليك ربك ان تبلغه الى
ما امرتك ان تبلغ ذلك اليه وضايق به صدرك يعني ويضيق صدرك بما
يوحى اليك فلا تبلغه اياهم وذلك ان كفار مكة قالوا ايت بقران غير هذا
ليس فيه سب الهتنا فهم النبي صلى الله عليه وسلم ان يترك ذكر الهتهم هذا
ما ذكره المفسرون في معنى هذه الاية واجمع المسلمون فيما كان طريقه البلاغ فانه
معصوم فيه من الاخبار عن شي منه بخلاف ما هو به لا قصدا ولا عمدا ولا سهوا
ولا غلطا وانما بلغ صلى الله عليه وسلم جميع ما انزل الله عليه الى امته ولا يكتم منه
شيا واجمعوا على انه لا يجوز على رسول الله صلى الله عليه وسلم جناية في الوحي
والانذار ولا يترك بعض ما يوحى اليه لقول احد لان ذلك كله يجوز ان يودي
الى الشك في اداء الشرايع والتكاليف لان المقصود من ارسال الرسول
التبليغ الى من ارسل اليه فاذا لم يحصل ذلك لهذا فاتت فايدة الرسالة والنبي صلى الله

انه ليوس كفور اي يعني ليطل قانطا
من رحمة الله ايسا من كل خير كفور جحو

عليه وسلم معصوم من ذلك كله واذا ثبت هذا وجب ان يكون المراد بقوله
تعالى فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك شي اخر سوى ما ذكره المفسرون و
للعلماء في ذلك اجوبة احدها قال ابن الانباري قد علم الله سبحانه وتعالى ان النبي
صلى الله عليه وسلم لا يترك من ما يوحى اليه اشفاقا من موجدة احد وغضبه
ولكن الله تعالى اكد على رسوله صلى الله عليه وسلم في متابعة الابلاغ كما قال يا ايها
الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك الاية الثاني ان هذا ادب من الله تعالى لنبيه محمد
صلى الله عليه وسلم وتحريض على اداء ما انزله اليه والله تعالى من وراء ذلك بمن يخافه وتجنباه
الثالث ان الكفار كانوا يستهزءون بالقران ويضحكون منه ويتهاونون به وكان رسول
الله صلى الله عليه وسلم يضيق صدره لذلك وان يلقي اليهم ما لا يقبلونه ويستهزءون
به فامره الله بتبليغ ما اوحي اليه وان لا يلتفت الى استهزائهم وان تحمل هذا الضرر
اهون من كتم الوحي والمقصود من هذا الكلام التنبيه على هذه الدقيقة لان
الانسان اذا علم ان كل واحد من طرفي الفعل والترك مشتمل على ضرر عظيم ثم علم ان
الضرر في باب الترك اعظم سهل عليه الاقدام على الفعل وقيل ان الله مع علمه ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يترك شي من الوحي هيجه لاداء الرسالة وطرح
المبالات لاستهزائهم وردهم الى قبول قوله بقوله فلعلك تارك اي لعلك
تترك ان تلقيه اليهم مخافة ردهم واستهزائهم به وضائق به صدرك بان تتلوه
عليهم ان يقولوا يعني مخافة ان يقولوا لولا انزل عليه كنز يعني يستغني به وينفعه
او جاء معه ملك يعني يشهد بصدقه وقايل هذه المقالة عبد الله بن ابي امية
المخزومي والمعنى انهم قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان كنت صادقا في قولك
بانك رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي يصفه بالقدرة على كل شي وانت عزيز
عنده مع انك فقير فهلا انزل اليك ما تستغني به انت واصحابك وهلا انزل
عليك ملكا يشهد لك بالرسالة فتزول الشبهة في امرك فاخبر الله عز وجل
انه صلى الله عليه وسلم نذير بقوله عز وجل انما انت نذير تنذر العقاب لمن
خالفك وعصى امرك وتبشر بالثواب لمن اطاعك وامن بك وصدقك
والله على كل شي وكيل يعني انه تعالى حافظ يحفظ اقوالهم واعمالهم فيجازيهم عليها يوم
القيامة قوله تعالى ام يقولون افتراه معناه اي يعني ان يقوله كفار مكة اختلقه
يعني ما اوحي اليه من القران قل اي قل لهم يا محمد فاتوا بعشر سور مثله مفتريات
لما قالوا له افتريت القران واختلقته من عند نفسك وليس هو من عند الله
تحداهم وارخى لهم العنان فاوصيهم على مثل دعواهم فقال صلى الله عليه
وسلم هبوا اني اختلقته من عند نفسي ولم يوح الي شي وان الامر كما قلتم
وانتم عرب مثلي من اهل الفصاحة وفرسان البلاغة واصحاب اللسان فاتوا

شي من مح

انتم بكلام

انتم بكلام مثل هذا الكلام الذي جئتكم به مختلق من عند انفسكم فانكم تقدرون
على مثل ما اقدر عليه من الكلام ولهذا قال فاتوا بعشر سور مثله مفتريات في
مقابلة قوله افتراه فان قلت قد تحداهم بان ياتوا بسورة من مثله فلم يقدروا
على ذلك وعجزوا عنه فكيف قال فاتوا بعشر سور مثله مفتريات ومن عجز
عن سورة واحدة فهو عن العشرة اعجز قلت قد قال بعضهم ان
هود نزلت قبل سورة يونس وانه تحداهم اولا بسورة يونس وانكر المبرد
هذا القول وقال ان سورة يونس نزلت اولا قال ومعنى قوله في سورة يونس فاتوا
بسورة مثله يعني مثله في الاخبار عن الغيب والاحكام والوعيد وقوله في سورة
هود فاتوا بعشر سور مثله يعني في مجرد البلاغة والفصاحة من غير خبر ولا ذكر عن
غيب وحكم ولا وعد ولا وعيد ولما تحداهم بهذا الكلام امره بان يقول وادعوا بقوله
تعالى وادعوا من استطعتم من دون الله حتى يعينوكم على ذلك ان كنتم صادقين
في قولكم انه مفترا فان لم يستجيبوا لكم يعني اعلم انه لما اشتملت الاية المتقدمة على امرين
وخطابين ونهيين احدهما خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وهو قوله قل فاتوا بعشر
سور مثله مفتريات والثاني امر وخطاب للكفار وهو قوله وادعوا من استطعتم
من دون الله ثم اتبعه بقوله فان لم يستجيبوا لكم احتمل ان يكون المراد من الكفار
لم يستجيبوا اي المعارضة لعجزهم عنها واحتمل ان يكون المراد من يدعونه من دون
الله لم يستجيبوا للكفار في المعارضة فلهذا السبب اختلف المفسرون في معنى الاية
على قولين احدهما انه خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمومنين وذلك ان النبي
صلى الله عليه وسلم والمومنين معه كانوا يتحدون الكفار بالمعارضة ليتبين عجزهم
فلما عجزوا عن المعارضة قال الله لنبيه والمومنين فان لم يستجيبوا لكم فيما دعوتم اليه
من المعارضة وعجزوا عنه فاعلموا انما انزل بعلم الله يعني فاثبتوا على العلم الذي انتم
عليه وازدادوا يقينا وثباتا لانهم كانوا عالمين انه منزل من عند الله والخطاب
قوله فان لم يستجيبوا لكم يعني للنبي صلى الله عليه وسلم وحده وانما ذكره بلفظ
الجمع تعظيما له صلى الله عليه وسلم القول الثاني قوله تعالى فان لم يستجيبوا لكم خطاب
مع الكفار وذلك انه تعالى لما قال في الاية المتقدمة وادعوا من استطعتم من دون
الله قال الله عز وجل في هذه الاية فان لم يستجيبوا لكم ايها الكفار ولم يعينوكم
فاعلموا انما انزل بعلم الله وانه ليس مفترى على الله بل هو انزله على محمد صلى الله
عليه وسلم وان لا اله الا هو يعني ان الذي انزل القران هو الذي لا اله الا هو
لا من تدعون من دونه فهل انتم مسلمون لفظه استفهام ومعناه الامر اي اسلموا اي دوموا على ما انتم
عليه من الاسلام قوله عز وجل من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها يعني
بعمله من اعمال البر نزلت في كل من عمل عملا يبتغي به غير الله عز وجل نوف

امر مح

اليهم اعمالهم فيها يعني اجور اعمالهم التي عملوا لطلب الدنيا وذلك ان الله تعالى
يوسع عليهم في الرزق ويدفع عنهم المكاره في الدنيا وما اشبه ذلك وهم فيها
لا يبخسون يعني انهم لا ينقصون من اجور اعمالهم التي عملوها في الدنيا بل
يعطون اجور اعمالهم في الدنيا كاملة موفرة اولئك الذين ليس لهم في الآخرة
الا النار وحبط ما صنعوا فيها يعني وبطل ما عملوا في الدنيا من اعمال البر وباطل
ما كانوا يعملون ليس لانه لغير الله واختلف المفسرون في المعنى في هذه
الآية فروي عن قتادة عن انس انها في اليهود والنصارى وعن الحسن مثله
وقال الضحاك من عمل عملا صالحا في غير تقوى يعني اهل الشرك اعطي على ذلك
اجرا في الدنيا وهو ان يصل رحما او يعطي سائلا او يرحم مضطرا ونحو هذا من
اعمال البر يعجل الله له ثواب عمله في الدنيا يوسع الله عليه في المعيشة والرزق
ويقر عينه فيما خوله ويدفع عنه المكاره في الدنيا وليس له في الآخرة من نصيب
ويدل على ذلك صحة هذا القول وسياق الآية وهو قوله تعالى اولئك الذين
ليس لهم في الآخرة الا النار الآية وهو قوله وهذه حالة الكفار في الآخرة و
قيل نزلت في المنافقين الذين كانوا يطلبون بغزوهم مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم الغنائم لانهم كانوا لا يرجون ثواب الآخرة وقيل ان حمل الآية على العموم
اولى فيندرج الكافر والمنافق الذي هذه صفته والمؤمن الذي يأتي بالطاعات
واعمال البر على وجه الرياء والسمعة قال مجاهد في هذه الآية هم اهل الرياء وهذا
القول مشكل لان قوله اولئك الذين ليس لهم في الآخرة الا النار لا يليق بحال
المؤمن الا اذا قلنا ان تلك الاعمال الفاسدة والافعال الباطلة لما كانت لغير
الله استحق فاعلها الوعيد الشديد وهو عذاب النار ويدل على هذا ما روي
عن ابي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تبارك
وتعالى انا اغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا اشرك فيه معي غيري تركته وشركه
اخرجه مسلم وعن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تعلم علما
لغير الله واراد به غير الله فليتبوأ مقعده من النار اخرجه الترمذي عن ابي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تعلم علما يبتغى به وجه الله لا
يتعلمه الا ليصيب به عرضا من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة يعني
ريحها اخرجه ابو داود وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
تعوذوا بالله من جب الحزن قالوا يا رسول الله وما جب الحزن قال
واد في جهنم يتعوذ منه جهنم كل يوم مائة مرة قيل يا رسول الله من يدخله
قال القراء المراؤون باعمالهم اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب قال
البغوي وروينا ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان اخوف ما اخاف

عليكم

عليكم الشرك الاصغر قيل يا رسول الله وما الشرك الاصغر قال الرياء اخرجه
بغير سند والرياء هو ان يظهر الانسان الاعمال الصالحة ليحمده الناس عليها او ليعتقدوا
فيه الصلاح او ليقصدوه بالعطاء فهذا العمل الذي هو لغير الله نعوذ بالله من الخذلان
قال البغوي وقيل هذا في الكفار يعني قوله من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها
اما المؤمن فيريد الدنيا والآخرة وارادته الآخرة غالبة فيجازى بحسناته في
الدنيا ويثاب عليها في الآخرة روينا عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ان الله لا يظلم المؤمن حسنة يثاب عليها الرزق في الدنيا ويجزى بها في
الآخرة واما الكافر فيطعم بحسناته في الدنيا حتى اذا افضى الى الآخرة لم يكن له حسنة
يعطى بها خيرا اخرجه البغوي بغير سند قوله تعالى افمن كان على بينة من ربه
لما ذكر الله تعالى في الآية المتقدمة الذين يريدون باعمالهم الحياة الدنيا وزينتها
ذكر في هذه الآية من كان يريد بعمله وجه الله والدار الآخرة فقال تعالى
افمن كان على بينة من ربه كمن يريد الحياة الدنيا وزينتها وليس لهم في الآخرة
الا النار وانما حذف هذا الجواب لظهوره ودلالة الكلام عليه وقيل معناه
افمن كان على بينة من ربه وهو النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه كمن هو في
ضلال وكفر والمراد بالبينة الدين الذي امره الله به بينة محمد صلى الله عليه وسلم
وقيل المراد بالبينة اليقين يعني انه على يقين من ربه انه على الحق ويتلوه
شاهد منه يعني ويتبعه من يشهد له بصدقه واختلفوا في الشاهد من
هو فقال ابن عباس وعلقمة وابراهيم ومجاهد وعكرمة والضحاك انه جبريل
عليه السلام يتبع النبي صلى الله عليه وسلم ويؤيده ويسدده ويقويه وقال
الحسن وقتادة هو لسان النبي صلى الله عليه وسلم وروى محمد بن الحنفية قال
قلت لابي يعني علي بن ابي طالب رضي الله عنهما انت التالي قال وما تعني
بالتالي قلت قوله ويتلوه شاهد منه قال وددت اني هو ولكنه لسان رسول
الله صلى الله عليه وسلم ووجه هذا القول ان اللسان لما كان يعرب عما في الجنان
ويظهره جعل الشاهد له لان اللسان هو آلة الفصل والبيان وبه يتلى
القرآن وقال مجاهد الشاهد هو ملك يحفظ النبي صلى الله عليه وسلم ويسدده
وقال الحسين بن الفضل الشاهد هو القرآن لان اعجازه وبلاغته وحسن
نظمه يشهد للنبي صلى الله عليه وسلم بنبوته ولانه اعظم معجزاته الباقية على
طول الدهر وقال الحسين بن علي وابن زيد الشاهد منه هو محمد صلى الله
عليه وسلم ووجه هذا القول ان من نظر الى النبي صلى الله عليه وسلم بعين العقل
والبصيرة علم انه ليس بكذاب ولا ساحر ولا كاهن ولا مجنون وقال جابر بن
عبد الله بن يحيى قال علي بن ابي طالب ما من رجل من قريش الا وقد نزلت

فبالاية والايتان فقال له رجل وانت اى شى نزل فيك فقال على ما تقرا الاية
التى فى هود ويتلوه شاهد منه فعلى هذا القول يكون الشاهد على بن ابى طالب
وقوله منه يعنى من النبى صلى الله عليه وسلم والمراد منه تشريف هذا الشاهد وهو
على لاتصاله بالنبى صلى الله عليه وسلم وقيل يتلوه منه يعنى الانجيل وهو اختيار
الفرا والمعنى ان الانجيل يتلوا القران فى التصديق بنبوة محمد صلى الله عليه
وسلم والامر بالايمان به وان كان قد نزل قبل وقوله تعالى ومن قبله
يعنى ومن قبل نزول القران وارسال محمد صلى الله عليه وسلم كتاب موسى
يعنى التورية اماما ورحمة يعنى انه امام لهم يرجعون اليه فى امور الدين
والاحكام والشرايع وكونه رحمة لانه الهادى من الضلال وذلك سبب
حصول الرحمة وقوله تعالى اولئك يومنون به يعنى بمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل
اراد الذين اسلموا من اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واصحابه ومن يكفر به
يعنى بمحمد صلى الله عليه وسلم من الاحزاب يعنى جميع الكفار واصحاب الاديان
المختلفة فتدخل فيه اليهود والنصارى والمجوس وعبدة الاصنام وغيرهم
من الاحزاب يعنى الفرق الذين تجمعوا وتحزبوا على مخالفة الانبيا فالنار
موعده يعنى فى الاخرة روى البغوى بسنده عن ابى هريرة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم والذى نفس محمد بيده لا يسمع بى احد لا يهودى ولا نصرانى
ومات ولم يومن بالذى ارسلت به الا كان من اصحاب النار قال سعيد بن
جبير ما بلغنى حديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم على وجهه الا وجدت مصداقه
فى كتاب الله عز وجل حتى بلغنى هذا الحديث لا يسمع بى احد من هذه الامة
ومن قبله كتاب موسى اماما ورحمة قوله ومن يكفر به فالنور موعده قال فالاحزاب
اهل الملل كلها ثم قال تعالى فلا تك فى مرية منه انه الحق من ربك فيه قولان
احدهما ان معناه فلا تك فى شك من صحة هذا الدين ومن كون القران
نازلا من عند الله فعلى هذا القول يكون متعلقا بما قبله من قوله تعالى
ام يقولون افتراه والقول الثانى انه راجع الى قوله ومن يكفر به من الاحزاب
فالنار موعده فلا تك فى شك معناه النار موعده ومن كفر من الاحزاب
فالخطاب فى قوله فلا تك فى مرية للنبى صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره لان
النبى صلى الله عليه وسلم لم يشك قط ويعضد هذا القول سياق الاية وهو قوله
ولكن اكثر الناس لا يومنون يعنى لا يصدقون بما اوحينا اليك وان موعد
الكفار النار قوله عز وجل ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا اى الناس اشد
تعذيبا ممن اختلق على الله كذبا فكذب عليه وزعم ان له شريكا وولدا
فى الاية دليل على ان الكذب على الله من اعظم انواع الظلم لان قوله

ومن اظلم

ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا يورد فى معرض المبالغة اولئك يعنى المفترين
على الله الكذب يعرضون على ربهم يعنى يوم القيامة فيسالهم عن اعمالهم
فى الدنيا ويقول الاشهاد يعنى الملائكة الذين يحفظون اعمال بنى ادم قاله
مجاهد وقال ابن عباس هم الانبيا والرسل وبه قال الضحاك وقال قتادة الاشهاد
الخلق كلهم هؤلاء الذين كذبوا على ربهم يعنى فى الدنيا وهذه الفضيحة يكون فى
الاخرة لكل من كذب على الله الا لعنة الله على الظالمين يعنى يقول الله تعالى
ذلك يوم القيامة فيلعنهم الله ويطردهم من رحمته ق عن صفوان بن محرز
المازنى قال بينما ابن عمر يطوف اذ عرض له رجل فقال يا ابا عبد الرحمن اخبرنى
ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فى النجوى قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول يدنو المومن من ربه عز وجل حتى يضع عليه كنفه
فيقرره بذنوبه تعرف ذنب كذا وكذا فيقول اعرف رب رب اعرف مرتين
فيقول سترتها عليك فى الدنيا فانا اغفرها لك اليوم ثم يعطى كتاب حسناته
وفى رواية ثم تطوى صحيفة حسناته واما الكفار والمنافقون فيقول الاشهاد
وفى رواية فينادى بهم على روس الاشهاد من الخلايق هؤلاء الذين كذبوا على
ربهم الا لعنة الله على الظالمين قوله تعالى الذين يصدون عن سبيل الله هذه
الاية متصلة بما قبلها والمعنى الا لعنة الله على الظالمين ثم وصفهم فقال الذين
يصدون عن سبيل الله يعنى يمنعون الناس من الدخول فى دين الله الذى هو
دين الاسلام ويبغونها عوجا يعنى ويطلبون القا الشبهات فى قلوب الناس
وتعويج الدلايل على صحة دين الاسلام وهم بالاخرة هم كافرون يعنى وهم مع صدهم
عن سبيل الله يجحدون البعث بعد الموت منكرون له اولئك يعنى من هذه
صفتهم لم يكونوا معجزين فى الارض قال ابن عباس يعنى سابقين وقيل هاربين
وقيل فايتين فى الارض والمعنى انهم لا يعجزون الله اذا اراد هم بالعقاب
والانتقام منهم ولكنهم فى قبضته وملكه لا يقدرون على الامتناع منه اذا طلبهم
وما كان لهم من دون الله من اوليا يعنى وما لهؤلاء المشركين من الانصار يوم
القيامة يمنعونهم من دون الله اذا اراد بهم سوا وعذابا يضاعف لهم العذاب
يعنى فى الاخرة يزاد عذابهم بسبب صدهم عن سبيل الله وانكارهم البعث
بعد الموت يضاعف لهم العذاب ما كانوا يستطيعون السمع قال قتادة
صم عن سماع الحق فلا يسمعون خيرا فينتفعون به ولا يبصروا خيرا فياخذوا
به وقال ابن عباس اخبر الله انه حال بين اهل الشرك وبين طاعته فى
الدنيا والاخرة اما فى الدنيا فانه قال ما كانوا يستطيعون السمع وهى
طاعته وما كانوا يبصرون واما فى الاخرة فانه قال لا يستطيعون خاشعة

اولئك الذين خسروا انفسهم يعني ان هولاء الذين هذه صفتهم الذين غبنوا
انفسهم حظوظها من رحمة الله وضل عنهم ما كانوا يفترون يعني بطل كذبهم
وافكهم وفريتهم على الله ان الملائكة والاصنام تستشفع لهم لا جرم يعني حقا
وقال الفراء لا محالة انهم في الاخرة هم الاخسرون لانهم باعوا منازلهم في الجنة
واشتروا عوضها منازل في النار وهذا هو الخسران المبين قوله تعالى ان الذين
امنوا وعملوا الصالحات واخبتوا الى ربهم لما ذكر الله عز وجل احوال الكفار
في الدنيا وخسرانهم في الاخرة اتبعه بذكر احوال المومنين في الدنيا وربحهم في
الاخرة والاخبات في اللغة هو الخشوع والخضوع والطمانينة القلب ولفظ
الاخبات يتعدى الى وباللام فاذا قلت اخبت فلان الى كذا فمعناه اطمان
اليه واذا قلت اخبت له فمعناه خشع وخضع له فقوله ان الذين امنوا
وعملوا الصالحات اشارة الى جميع اعمال الجوارح وقوله واخبتوا اشارة الى اعمال
القلوب وهي الخشوع والخضوع لله عز وجل وان هذه الاعمال الصالحة لا تنفع
في الاخرة الا بحصول اعمال القلب وهي الخشوع والخضوع فاذا فسرنا الاخبات
بالطمانينة كان معنى الكلام انهم يأتون بالاعمال الصالحة مطمئنين الى صدق وعد
الله بالثواب والجزاء على تلك الاعمال ويكونون مطمئنين الى ذكره سبحانه وتعالى
واذا فسرنا الاخبات بالخشوع والخضوع كان معناه انهم يأتون بالاعمال الصالحة
خائفين وجلين ان لا تكون مقبولة وهو الخشوع والخضوع اولئك يعني الذين
هذه صفتهم اصحاب الجنة هم فيها خالدون اخبر عن حالهم في الاخرة بانهم من
اهل الجنة التي لا انقطاع لها نعيم ولا زوال له قوله تعالى مثل الفريقين كالاعمى
والاصم والبصير والسميع لما ذكر الله تعالى احوال الكفار وما كانوا عليه من العمى
عن طريق الهدى والحق ومن الصمم عن سماعه وذكر احوال المومنين وما كانوا
عليه من البصيرة وسماع الحق والانقياد والطاعة ضرب لهم مثلا فقال تعالى مثل
الفريقين يعني فريق المومنين وفريق الكافرين كالاعمى هو الذي لا يهتدي لرشده
والاصم وهو الذي لا يسمع شيئا البتة والبصير وهو الذي يسمع الاشيا على ماهيتها
والسميع وهو الذي يسمع الاصوات ويجيب الداعي فهو مثل المومنين كمثل الذي
والكافر كمثل الذي لا يسمع ولا يبصر وهو الناقص في نفسه فقال هل يستويان صح
يسمع ويبصر وهو الكامل في نفسه مثلا قال الفراء لم يقل يستوون لان الاعمى
والاصم في حيز كانهما واحد وهما من وصف الكافر افلا تذكرون يعني فتتعظون
قوله عز وجل ولقد ارسلنا نوحا الى قومه اني لكم نذير مبين يعني ان نوحا
عليه السلام قال لقومه حين ارسله الله اليهم اني لكم ايها القوم نذير يعني
بين النذارة اخوفكم العقاب لمن خالف امر الله وعبد غيره وهو قوله
الا تعبدوا الا الله اني اخاف عليكم عذاب يوم اليم يعني مولم بوجع قال

ابن عباس بعث نوح بعد اربعين سنة وعاش بعد الطوفان وكان عمره الف سنة
الا خمسين وقال مقاتل بعث وهو ابن مائة سنة وقيل وهو ابن خمسين سنة وقيل
وهو ابن مائتين وخمسين سنة مكث يدعوا قومه تسعمائة وخمسين سنة وعاش
بعد الطوفان مائتين وخمسين سنة وكان عمره الف واربعمائة وخمسون سنة
فقال الملا الذين كفروا من قومه يعني الاشراف والروسا من قوم نوح ما نراك
يا نوح الا بشرا مثلنا يعني ادميا مثلنا لا فضل لك علينا لان التفاوت الحاصل بين
احاد البشر يمنع انتهاره الى حيث يصير الواحد منهم واجب الطاعة على جميع العالم
وانما قالوا هذه المقالة وتمسكوا بهذه الشبهة جهلا منهم لان حق الرسول ان يباشر
الاخذ بالدعوة الى الله باقامة الدليل والبرهان على ذلك ويظهر المعجزة الدالة
على صدقه لا يبالي ذلك الامر احاد البشر وهو من اختصه الله بكرامته وشرفه
بنبوته وارسله الى عباده ثم قال تعالى اخبارا عن قوم نوح وما نراك اتبعك
الا الذين هم اراذلنا يعني انهم سفلتنا والاراذل هو الدون من كل شي قيل هم
الحاكة والاساكفة واصحاب الصنائع الخسيسة وانما قالوا ذلك جهلا منهم ايضا
لان الرفعة في الدين ومتابعة الرسول لا تكون بالشرف ولا بالمال والمناصب
العالية بل للفقرا الخاملين وهم اتباع الرسل ولا تضرهم خسة صنائعهم اذا
حسنت سيرتهم في الدين بادي الراي يعني انهم اتبعوك في اول الراي من غير
تثبت وتفكر في امرك ولو تفكروا ما اتبعوك وقيل معناه ظاهر الراي يعني
اتبعوك ظاهرا من ان يتفكروا باطنا وما نرى لكم علينا من فضل يعني بالمال
والشرف والجاه وهذا القول ايضا جهل منهم لان الفضيلة المعتبرة عند الله
بالايمان والطاعة لا بالشرف والرياسة بل نظنكم كاذبين قيل الخطاب
لنوح ومن امن معه من قومه وقيل هو لنوح وحده فعلى هذا يكون الخطاب
بلفظ الجمع للواحد وهو على سبيل التعظيم قال نوح يا قوم ارايتم ان كنت
على بينة من ربي يعني على بيان ويقين من ربي بالذي انذرتكم به واتاني
رحمة من عنده يعني هدى ومعرفة ونبوة فعميت عليكم اي خفيت
والتبست عليكم انلزمكموها الهاء عائدة الى الرحمة والمعنى انلزمكم ايها القوم
قبول الرحمة يعني انا لا نقدر ان نلزمكم ذلك من عند انفسنا وانتم لها
كارهون يعني وهذا استفهام معناه الانكار ولا اقدر على ذلك والذي
اقدر عليه ان ادعوكم الى الله وليس لي ان اضطركم الى ذلك قال
قتادة والله لو استطاع نبي الله لالزمها قومه ولكنه لم يملك ذلك قوله
ويا قوم لا اسئلكم عليه مالا يعني لا اسئلكم ولا اطلب على تبليغ الرسالة جعلا
ان اجري الا على الله وما انا بطارد الذين امنوا وذلك انهم طلبوا من نوح

ان يطرد الذين امنوا منهم الارذلون في زعمهم فقال ما يجوز الى ذلك لانهم
لا يعتقدون انهم ملاقوا ربهم فلا اطردهم ولكني اراكم قوما تجهلون يعني
عظمة الله ووحدانيته وربوبيته وقيل معناه انكم تجهلون ان هولا المومنين
خير منكم ويا قوم من ينصرني من الله ان طردتهم يعني من يمنعني من عذاب
الله ان طردتهم عني لانهم مومنون مخلصون افلا تذكرون يعني افلا تتعظون
ولا اقول لكم عندي خزاين الله هذا عطف على قوله لا اسئلكم عليه مالا
والمعنى لا اسئلكم عليه مالا ولا اقول لكم عندي خزاين الله يعني التي لا يفنيها
شي فادعوكم الى اتباعي عليها لاعطيكم منها وقال ابن الانباري الخزاين ههنا
يعني غيوب الله وانما هو منطوي عن الخلق وانما وجب ان يكون هذا جوابا
من نوح عليه السلام لهم لما قالوا وما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا بادي
الراي فادعوا ان هولا المومنون انما اتبعوه في ظاهر ما يرى منهم وهم في الحقيقة
غير متبعين له فقال مجيبا ولا اقول لكم عندي خزاين الله التي يعلم منها ما
ينطوي عليها عباده وما يظهرونه وانما قيل للغيوب خزاين لغموضها على الناس
واستتارها عنهم والقول الاول اولى ليحصل الفرق بين قوله ولا اقول عندي خزاين
الله وبين قوله ولا اعلم الغيب يعني ولا ادعي علم ما يغيب عني مما ترونه
في نفوسكم فسبيلي قبول ايمانهم في الظاهر ولا يعلم ما في ضمايرهم الا الله ولا
اقول اني ملك وهذا وجه جوابه لقولهم ما نراك الا بشرا مثلنا ادعوكم الى الله
وابلغكم ما ارسلت به اليكم فصل استدل بعضهم بهذه الايات في تفضيل الملايكة على
الانبيا قالوا لان نوحا عليه السلام قال ولا اقول اني ملك لان الانسان اذا قال
انا لا ادعي كذا وكذا لا يحسن الا اذا كان ذلك الشي اشرف وافضل من احوال
ذلك القايل فلما قال نوح هذه المقالة وجب ان يكون الملك افضل منه والجواب
ان نوحا عليه السلام انما قال هذه المقالة في مقابلة قولهم ما نراك الا بشرا مثلنا
لما كان في ظنهم ان الرسل لا يكونوا من البشر انما يكونوا من الملايكة فاعلمهم ان
هذا الظن باطل وان الرسل انما يكونون من البشر فلهذا قال ولا اقول لكم اني ملك
ولم يرد ان درجة الملايكة افضل من درجة الانبيا والله اعلم وقوله تعالى
ولا اقول للذين تزدري اعينكم يعني تحتقر وتستصغر اعينكم يعني المومنين
وذلك لما قالوا انهم اراذلنا من الرذالة وهي الخسة لن يوتيهم الله خيرا
يعني توفيقا وهداية وايمانا واجرا الله اعلم بما في انفسهم يعني من الخير والشر
اني اذا لمن الظالمين قيل يعني ان طردتهم تكذيبا لظاهرهم ومبطلا لايمانهم
يعني اني ان فعلت هذا فاكون اني قد ظلمتهم وانا لا افعله فما انا من
الظالمين قالوا يا نوح قد جادلتنا معناه يعني خاصمتنا فاكثرت جدالنا

يعني خصومتنا فاتنا بما تعدنا يعني من العذاب ان كنت من الصادقين يعني
في دعواك انك رسول الله الينا انما ياتيكم به الله ان شا اي يعني قال
نوح لقومه حين استعجلوه بانزال العذاب وان ذلك ليس لهم انما هو الى الله
ينزل متى شا وعلى من يشا ان اراد انزال العذاب بكم وما انتم بمعجزين قيل
معناه يعني وما انتم بفايتين من العذاب ولا ينفعكم نصحي ان اردت ان انصح
لكم يعني ولا ينفعكم انذاري وتحذيري اياكم عقوبته ونزول العذاب بكم
ان كان الله يريد ان يغويكم يعني يضلكم وقيل يهلككم وهذا معنى وليس
بتفسير لان الاغوا يودي الى الهلاك هو ربكم يعني هو يهلككم فلا تقدرون
على الخروج من سلطانه واليه ترجعون يعني في الاخرة فيجازيكم باعمالكم ام
يقولون افتراه اي اختلقه وجا به من عند نفسه والضمير يعود الى الوحي
الذي جاهم به قل ان افتريته اي اختلقته فعلي اجرامي اي اثم اجرامي
والاجرام يعني السيئة واكتسابها فقال جرم واجرم يعني انه اكتسب الذنب
واقتلعه وانا بري مما تجرمون يعني من الكفر والتكذيب واكثر المفسرين
على ان هذا من محاورة نوح عليه السلام على قومه فهي من قصة نوح وقال
مقاتل ام يقولون يعني المشركين من كفار مكة افتراه يعني محمدا صلى الله عليه
وسلم اختلق القران من عند نفسه فعلى هذا القول يكون هذه الاية معترضة
في قصة نوح ثم رجع الى القصة واوحي الى نوح انه لن يومن من قومك
الا من قد امن قال ابن عباس ان قوم نوح كانوا يضربون نوحا حتى يسقط
فيلفونه في لبد ويلقونه في بيت يظنون انه قد مات فيخرج في اليوم
الثاني ويدعوهم الى الله وروي ان شيخا منهم متوكيا على عصاه ومعه ابنه
فقال يا بني لا يغرنك هذا الشيخ المجنون فقال يا ابت امكني من العصا
فاخذها من ابيه وضرب بها نوحا عليه السلام حتى شجه شجة منكرة فاوحي الله
اليه انه لن يومن من قومك الا من قد امن فلا تبتئس اي يعني لا تحزن
عليهم في مهلكهم بما كانوا يفعلون يعني بسبب كفرهم وافعالهم فحينئذ دعا
نوح عليه السلام عليهم فقال رب لا تذر وحكى محمد بن اسحاق بن عبد الله
ابن عمير الليثي انه بلغه انهم كانوا يسطون نوحا فيخنقونه حتى يغشى عليه
فاذا افاق قال رب اغفر لقومي لانهم لا يعلمون حتى عادوا في المعصية
واشتد عليهم البلا وهو ينتظر الى الجيل بعد الجيل فلا يايت قرن الا كانوا اخبث
من الذي قبله ولقد كان ياتي القرن الاخر منهم فيقول قد كان هذا الشيخ
مع ابائنا واجدادنا هكذا مجنونا فلا يقبلون منه شيا فشكا نوح الى الله عز
وجل فقال رب اني دعوت قومي ليلا ونهارا الايات حتى بلغ رب لا تذر

على الارض من الكافرين ديارا فاوحى الله اليه واصنع الفلك يعنى يطلق على
الواحد والجمع باعيننا قال ابن عباس بمرأى منا وقيل بعلمنا وقيل بحفظنا ووحينا
وقيل بامرنا ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا انهم مغرقون يعنى بالطوفان والمعنى
لا تخاطبنى فى امهال الكفار فانى قد حكمت باغراقهم وقيل لا تخاطبنى فى
ابنك كنعان وامراتك واعلة فانهما هالكان مع القوم وقيل ان جبريل اتى
نوحا فقال له ان ربك يامرك ان تصنع الفلك فقال كيف اصنعها ولست
بنجار فقال فان ربك يقول لك اصنع فانك باعيننا فاخذ القدوم وجعل
ينجر فلا يخطى فصنعها مثل جؤجؤ الطاير وهو قوله تعالى ويصنع الفلك يعنى كما امر
الله تعالى قال اهل السير لما امر الله عز وجل نوحا عليه السلام بعمل السفينة اقبل
على عملها ونهاه عن قومه وجعل يقطع الخشب ويضرب الحديد ويهيء القار
وكلما يحتاج اليه فى عمل الفلك وجعل قومه يمرون به وهو فى عمله فيسخرون
منه ويقولون يا نوح قد صرت نجارا بعد النبوة واعقم الله ارحام النساء ولا
يولد لهم ولد قال البغوى وزعم اهل التورية ان الله امره ان يصنع الفلك
من خشب الساج وان يصنعه ازور وان يطليه بالقار من داخله وخارجه وان
يجعل طوله ثمانين ذراعا وعرضه خمسين ذراعا وطوله فى السماء ثلاثين ذراعا
والذراع الى المنكب وان يجعله ثلاث طباق سفلا ووسطا وعلوا وان يجعل فيه
كوى فصنعه نوح كما امره الله عز وجل وقال ابن عباس اتخذ نوح السفينة فى
سنتين وكان طولها ثلاثمائة ذراع وعرضها خمسون ذراعا وطولها فى السماء
ثلاثين ذراعا وكانت من خشب الساج وجعل لها ثلاث بطون فجعل فى البطن
السفلى الوحوش والسباع والهوام وفى البطن الاوسط الدواب والانعام و
ركب هو ومن معه البطن وحمل معه ما يحتاج من الزاد وغيره قال قتادة وكان
بابها فى عرضها وروى الحسن انه كان طولها الف ذراع ومائتين ذراع وعرضها ستمائة
ذراع والقول الاول اشهر ان طولها ثلثمائة ذراع وقال زيد بن اسلم مكث نوح مائة
سنة يغرس الاشجار ويقطعها ومائة سنة يصنع الفلك وقال كعب الاحبار عمل
نوح السفينة فى ثلاثين سنة وروى انها ثلاثة اطباق الطبقة الاولى للدواب
والطبقة الوسطى للانس والطبقة العليا للطير فلما كثر ارواث الدواب اوحى الله تعالى
الى نوح ان اغمز ذنب الفيل فغمزه فوقع منه خنزير وخنزيرة ومسح على الخنزير فوقع
منه الفار فاقبلوا على الروث فاكلوه فلما افسد الفار فى السفينة فجعل يقرضه و
يقرض حبالها اوحى الله الى نوح ان اضرب بين عينى الاسد فخرج من منخره سنور
وسنورة وهى القط فاقبلا على الفار فاكلاه قوله تعالى وكلما مر عليه ملأ من قومه
سخروا منه اى جماعة من قومه سخروا به وذلك انهم قالوا ان هذا الذى كان

يزعم انه

يزعم انه نبى قد صار نجارا وقيل قالوا يا نوح ما تصنع قال اصنع بيتا يمشى على الماء
فيضحكون منه قال يعنى نوحا لقومه ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون
يعنى ان تستجهلونا فانا نستجهلكم لتعرضكم ما يوجب سخط الله وعذابه فان قلت
السخرية لا تليق بمنصب النبوة فكيف قال نوح عليه السلام ان تسخروا منا فانا
نسخر منكم كما تسخرون قلت انما سمى هذا الفعل سخرية على سبيل الازدواج فى
مشاكلة الكلام كما فى قوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها والمعنى انا نرى غب سخريتكم بنا
اذا نزل بكم العذاب وقوله تعالى فسوف تعلمون يعنى فستعرفون من ياتيه يعنى انا بانه
عنى او انتم عذاب يخزيه يعنى يهينه ويحل عليه عذاب مقيم يعنى فى الآخرة فالمراد بالعذاب
الاول عذاب الدنيا فى الغرق والمراد بالعذاب الثانى عذاب الآخرة وهو عذاب
النار الذى لا انقطاع لها قوله تعالى حتى اذا جاء امرنا وفار التنور يعنى غلى والفور
الغليان وفارت القدر اذا غلت والتنور فارسى معرب لا تعرف له العرب
اسما غير هذا فلذلك جاء فى القرآن بهذا اللفظ فخوطبوا بما يعرفون وقيل ان
لفظ تنور جاء هكذا بكل لسان عربى وعجمى وقيل ان لفظ التنور اصله اعجمى فتكلمت
به العرب فصار عربيا مثل الديباج ونحوه فاختلفوا فى المراد بهذا التنور فقال
عكرمة والزهرى هو وجه الارض وذلك انه قيل لنوح اذا رايت الماء قد فار على وجه
الارض فاركب السفينة فعلى هذا يكون الجواب قد جعل فوران التنور علامة لنوح
على هذا الامر العظيم وقال على فار التنور اى طلع الفجر ونور الصبح سمى فور التنور
بخروج النار من التنور وقال الحسن ومجاهد والشعبى ان التنور هو الذى يخبز فيه
وهو قول اكثر المفسرين ورواية عن ابن عباس ايضا وهذا القول اصح لان
اللفظ اذا دار بين الحقيقة والمجاز كان حمله على الحقيقة اولى ولفظ التنور حقيقة
فى اسم الموضع الذى يخبز فيه فوجب حمل اللفظ عليه فان قلت الالف واللام
فى لفظ العهد وليس هنا معهود سابق عند السامع فوجب حمله على غيره
وهو شدة الامر والمعنى اذا رايت الماء اشتد نبوعه وقوى فانج بنفسك
ومن معك قلت لا يبعد ان يكون ذلك التنور معلوما عند نوح عليه السلام
قال الحسن كان تنورا من حجارة وكانت حواء تخبز فيه فصار الى نوح وقيل له اذا
رايت الماء يفور من التنور فاركب انت واصحابك واختلفوا فى موضع التنور
فقال مجاهد نبع الماء فى التنور فعلمت به امراته فاخبرته وكان ذلك فى ناحية
الكوفة قال الشعبى اتخذ نوح السفينة فى جوف مسجد الكوفة وكان التنور
على يمين الداخل مما يلى باب كندة وكان فوران التنور علامة لنوح عليه السلام
وقال مقاتل كان ذلك التنور تنور آدم عليه السلام وكان بالشام بموضع
يقال له عين الوردة وروى عن ابن عباس انه كان بالهند وقال الفوران

الغليان قلنا احمل فيها يعني فقلنا لنوح احمل في السفينة من كل زوجين اثنين
الزوجان كل اثنين لا يستغني احدهما عن الاخر كالذكر والانثى يقال لكل واحد منهما
زوج والمعنى من كل صنف زوجين ذكر وانثى فحشر الله اليه الحيوان من
الدواب والسباع والطير فجعل نوح يضرب بيديه من كل جنس منهما فيقع
الذكر في يده اليمنى والانثى في يده اليسرى فيجعلهما في السفينة واهلك
اي واحمل اهلك وولدك وعيالك الا من سبق عليه القول يعني
بالهلاك واراد به امراته واعلة وابنه كنعان وما امن معه الا قليل اختلفوا
في عدد من حمل نوح معه في السفينة فقال قتادة وابن جريج ومحمد بن كعب
القرظي لم يكن في السفينة الا ثمانية نفر نوح وامراته وثلاث بنين له وهم سام
وحام ويافث ونساؤهم وقال الاعمش كانوا سبعة نوح وابنه وثلاث كنائن
له وقال محمد بن اسحاق كانوا عشرة سوى نسائهم وهو نوح وبنوه سام وحام
ويافث وستة نفر امنوا بنوح وازواجهم جميعا وقال مقاتل كانوا اثنين وسبعين
نفرا رجلا وامراة وقال ابن عباس كان في السفينة ثمانون رجلا احدهم جرهم
وقال الطبري والصواب من القول في ذلك ان يقال كما قال الله عز وجل وما
امن معه الا قليل فوصفهم بالقلة ولم يحد عددا بمقدار فلا ينبغي ان يتجاوز في
ذلك حد الله تعالى اذ لم يرد ذلك في كتاب الله ولا خبر صحيح عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال مقاتل حمل نوح معه جسد ادم عليه السلام فجعله معترضا بين الرجال
والنساء وقصد نوح جميع الطيور والدواب ليحملها قال ابن عباس اول ما حمل
نوح الذرة واخر ما حمل الحمار فلما اراد ان يدخل الحمار ادخل صدره فتعلق بذنبه
الشيطان وجعل نوح يقول له ويحك ادخل فينهض فلا يستطيع حتى قال له
ادخل وان كان الشيطان معك كلمة زلت على لسانه فلما قالها نوح خلي سبيله
فدخل اي الحمار ودخل الشيطان معه فقال له نوح ماذا ادخلك يا عدو الله قال
ما لك بد من ان تحملني معك وكان فيما يزعمون اي ظهر السفينة هكذا نقله البغوي
والامام فخر الدين الرازي واما الذي يروى ان ابليس دخل السفينة فبعيد لانه
من الجن وهو جسم ناري او هوائي فكيف يخاف من الغرق وايضا فان كتاب الله
لم يدل على ذلك ولم يرد فيه خبر صحيح فالاولى ترك الخوض فيه قال البغوي وروي
بعضهم ان الحية والعقرب اتيا نوحا فقالتا احملنا معك فقال انكما سبب
البلاء فلا احملكما فقالتا احملنا فنحن نضمن لك ان لا نضر احدا ذكرك
فمن قرا حين يخاف مضرتهما سلام على نوح في العالمين لم تضراه وقال الحسن
لم يحمل نوح معه في السفينة الا ما يلد ويبيض واما ما سوى ذلك مما يتولد من
الطين من حشرات الارض كالبق والبعوض فلم يحمل منها شيئا قوله تعالى وقال اركبوا

يعني وقال نوح لمن حمل معه اركبوا فيها اي في السفينة بسم الله مجراها ومرساها
ان ربي لغفور رحيم يعني بسم الله اجراؤها وارساؤها قال الضحاك كان نوح
اذا اراد ان تجري السفينة قال بسم الله فتجري السفينة وكان اذا اراد ان
ترسي قال بسم الله فترسي اي تقف وهذا تعليم من الله لعباده انه من اراد
امرا فلا ينبغي ان يشرع فيه حتى يذكر اسم الله عليه وقت الشروع حتى يكون
ذلك سببا للنجاح والفلاح في ساير الامور وهي تجري بهم في موج كالجبال
الموج ما ارتفع من الما اذا اشتدت عليه الريح شبهه بالجبال في عظمه
وارتفاعه على الما قال العلما بالسير ارسل الله المطر اربعين يوما وليلة وخرج
الما من الارض وذلك قوله تعالى ففتحنا ابواب السما بما منهمر وفجرنا
الارض عيونا فالتقى الما على امر قد قدر يعني صار الما نصفين نصف
من السما ونصف من الارض وارتفع الما على اعلى جبل واطوله اربعين
ذراعا وقيل خمسة عشر ذراعا حتى اغرق كل شي وروي انه لما كثر الما في
السكك خافت ام صبي على ولدها من الغرق وكانت تحبه حبا شديدا فخرجت
الى الجبل حتى بلغت ثلثه طمها الما فارتفعت حتى بلغت ثلثيه فلما لحقها الما
ذهبت حتى استوت على الجبل فلما بلغ الما الى رقبتها رفعت الصبي بيديها حتى
ذهب بها الما فلو رحم الله منهم احدا لرحم ام الصبي ونادى نوح ابنه يعني كنعان
وكان في معزل عن نوح لم يركب معه يا بني اركب معنا يعني في السفينة ولا
تكن من الكافرين يعني فتهلك معهم قال يعني كنعان ساوي يعني ساتجي
واصير الى جبل يعصمني يعني يمنعني من الما قال يعني قال له نوح لا عاصم يعني
لا مانع اليوم من امر الله يعني من عذابه الا من رحم يعني الا من رحمه الله فينجيه
من الغرق وحال بينهما الموج فكان من المغرقين يعني كنعان وقيل يعني
بعد ما تناهى الطوفان واغرق قوم نوح يا ارض ابلعي ماءك اي اشربيه ويا
سما اقلعي اي امسكي وغيض الما اي نقص ونضب يقال غاض ينقص
وذهب وقضي الامر يعني وفرغ الامر وهو هلاك قوم نوح واستوت يعني
واستقرت السفينة على الجودي جبل بالجزيرة بقرب من الموصل وقيل بعدا
يعني هلاكا للقوم الظالمين قال العلما بالسير لما استقرت السفينة بعث نوح
الغراب لياتيه بخبر الارض فوقع على جيفة فلم يرجع اليه فبعث الحمامة فجاءت
بورق زيتون بمنقارها ولطخت رجليها بالطين فعلم نوح ان الما قد ذهب
فدعا على الغراب بالخوف فلذلك لا يالف البيوت وطوق الحمامة بالخضرة التي
في عنقها ودعا لها بالامان فمن ثم تالف البيوت وروي ان نوحا عليه السلام
ركب السفينة لعشر بقين من رجب وجرت بهم السفينة ستة اشهر

ومرت بالبيت الحرام وقد رفعه الله من الغرق وبقي موضعه فطافت السفينة
به سبعا واودع الحجر الاسود جبل ابي قبيس وهبط نوح ومن معه في السفينة
يوم عاشورا فصامه نوح عليه السلام وامر جميع من معه بصيامه شكرا لله تعالى
وبنوا قرية بقرب الجبل فسميت سوق ثمانين فهو اول قرية عمرت على وجه
الارض بعد الطوفان وقيل انه لم ينج احد من الكفار من الغرق غير عوج بن
عنق وكان الما لم يصل الى حجزته وسبب نجاته من الهلاك ان نوحا عليه السلام
احتاج الى خشب ساج فلم يمكنه نقله فحمله عوج من الشام الى نوح فنجاه الله
من الغرق لذلك فان قلت كيف اقتضت الحكمة الالهية والكرم العظيم غرق
من لم يبلغ الحلم من الاطفال ولم يدخلوا تحت التكليف بذنوب غيرهم قلت
ذكر بعض المفسرين ان الله عز وجل اعقم ارحام نسائهم اربعين سنة فلم يولد
لهم ولد في تلك المدة وهذا الجواب ليس بالقوي لانه يرد عليه ذلك ايضا
هلاك اطفال الامم الكافرة مع ابائهم غير قوم نوح والجواب الثاني عن هذا
كله ان الله متصرف في خلقه وهو المالك المطلق يفعل ما يشا ويحكم ما يريد لا
يسال عما يفعل وهم يسالون قوله عز وجل ونادى نوح ربه اي دعاه وساله وقال
فقال رب ان ابني من اهلي يعني وقد وعدتني ان تنجيني واهلي فان وعدك
حق يعني الصدق الذي لا خلف فيه وانت احكم الحاكمين يعني انك حكمت
لقوم بالنجاة وعلى قوم بالهلاك قال يعني قال الله يا نوح هذا الابن الذي سالتني
نجاته انه ليس من اهلك اختلف علما التفسير هل كان هذا الولد ابن نوح لصلبه
ام لا فقال الحسن ومجاهد كان ولد حنث من غير نوح ولم يعلم به فلذلك قال انه
ليس من اهلك وقال محمد بن جعفر الباقر كان ابن امراة نوح وكان يعلمه نوح ولذلك
قال من اهلي ولم يقل مني وقال ابن عباس وعكرمة وسعيد بن جبير والضحاك واكثر
المفسرين انه ابن نوح من صلبه وهذا القول هو الصحيح والقولان الاولان ضعيفان
بل باطلان ويدل على صحة القول الجمهور ما صح عن ابن عباس انه قال ما بغت امراة
نبي قط ولان الله تعالى نص عليه بقوله ونادى نوح ابنه وكان نوح ايضا نص
عليه بقوله اركب معنا وهذا نص في الدلالة وصرف الكلام عن الحقيقة
الى المجاز من غير ضرورة لا يجوز وانما خالف هذا الظاهر من خالفه لانه استبعد
ان يكون ولد نبي كافرا وهذا خطا ممن قاله لان الله خلق خلقه فريق في الجنة
وفريق في السعير وهم الكافرون والله تعالى يخرج الكافر من المومن والمومن من
الكافر ولا فرق في ذلك بين الانبيا وغيرهم فان الله اخرج قابيل من صلب ادم
عليه السلام وهو نبي وكان قابيل كافرا واخرج ابراهيم وهو نبي من صلب ازر
وكان كافرا وكذلك اخرج كنعان وهو كافر من صلب نوح وهو نبي فهو المتصرف

في خلقه كيف يشا فان قلت فعلى هذا ناداه نوح فقال يا بني اركب معنا وسال
له النجاة مع قوله رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا قلت قد ذكر
بعضهم ان نوحا عليه السلام لم يعلم بكون ابنه كان كافرا فلذلك ناداه وعلى تقدير
انه يعلم كونه انما حمله على ان ناداه رقة الابوة ولعله اذا راى ذلك الاهوال
ان يسلم فينجيه الله بذلك من الغرق فاجابه الله عز وجل بقوله انه ليس من
اهلك يعني انه ليس من اهل دينك لان اهل الرجل من يجمعه واياهم
نسب او دين او ما يجري مجراهما ولما حكمت الشريعة برفع حكم النسب في كثير
من الاحكام بين المسلم والكافر قال الله تعالى لنوح انه ليس من اهلك انه عمل
غير صالح قرى الكسائي ويعقوب عمل بكسر الميم وفتح اللام غير بفتح الرا على
عود الفعل على الابن ومعناه انه عمل الشرك والكفر والتكذيب وكل هذا
غير صالح وقرا الكسائي والباقون من القرا عمل بفتح الميم ورفع اللام مع التنوين
بضم غير الرا ومعناه ان سوالك اياي ان انجيه من الغرق عمل غير صالح لان طلب
نجاة الكفر بعد ما حكم عليه بالهلاك بعيد فلهذا قال انه عمل غير صالح ويجوز ان
يعود الضمير في انه على ابن نوح ايضا ويكون التقدير على هذه القراة ان ابنك
ذو عمل او صاحب عمل غير صالح فحذف المضاف كما قالت الخنسا فانما هي اقبال
وادبار قال الواحدي وهذا قول ابي اسحاق يعني الزجاج وابي بكر بن الانباري وابي
علي الفارسي قال ابو علي ويجوز ان يكون ابن نوح عمل عملا غير صالح كما قال جعل
الشي نفسه لكثرة ذلك منه كما يقال الشعر زهير والعلم فلان اذا كثر منه فعلى هذا
لا حذف قوله تعالى فلا تسالني ما ليس لك به علم وذلك ان نوحا عليه السلام سال
ربه انجا ولده من الغرق على الكفر فنهاه الله عن مثل هذه المسئلة واعلمه ان ذلك لا يجوز
فكان المعنى فلا تسئلني ما ليس لك به علم بجواز مسئلته اني اعظك يعني انهاك ان
تكون من الجاهلين يعني بمثل هذا السوال قال رب اني اعوذ بك الجا اليك واعتذر
اليك ان اسالك ما ليس لي به علم يعني انت علام الغيوب وانا لا اعلم
ما غاب عني فاعتذر اليك من مسالة ما ليس لي به علم والا تغفر لي يعني جهلي
واقدامي على سوالي ما ليس لي به علم وترحمني يعني برحمتك التي وسعت
كل شي اكن من الخاسرين فصل وقد استدل بهذه الايات من لا يرى عصمة الانبيا
وبيانه ان قوله انه عمل غير صالح والمراد منه السوال وهو محظور فلهذا نهاه
عنه بقوله فلا تسالني ما ليس لك به علم وقوله اني اعظك ان تكون من
الجاهلين وهذا يدل على ان ذلك السوال كان جهلا ففيه زجر وتهديد وطلب
المغفرة والرحمة له يدل على صدور الذنب منه والجواب ان الله عز وجل كان قد
وعده الله تعالى فاقدم على هذا السوال لهذا السبب فعاقبه الله تعالى على سواله

ماليس له به علم وبين له ليس من اهله الذي وعده بنجاتهم بكفره وعلمه الذي
هو غير صالح وقد اعلمه الله انه مغرق مع الذين ظلموا ونهاه عن مخاطبته فيهم
فاشفق نوح من اقدامه على سواله ربه فيما لم يوذن له فيه فخاف نوح
من ذلك الهلاك فلجا الى الله عز وجل وخشع له واعاذ به وسأله المغفرة
والرحمة لان حسنات الابرار سيات المقربين وليس في الاية ما يقتضي
صدور ذنب ومعصية من نوح عليه السلام سوى تاويله واقدامه على
سوال ما لم يوذن له فيه وهذا ليس بذنب ولا معصية والله اعلم قوله تعالى
قيل يا نوح اهبط اي انزل من السفينة او من الجبل الى الارض بسلام
منا اي بامن وسلام منا وبركات عليك البركة هي ثبوت الخير ونماؤه وزيادته
وقيل المراد بالبركة هنا ان الله تعالى جعل ذريته هم الباقين الى يوم القيامة
فكل العالم من ذريته اولاده الثلاثة ولم يعقب من كان معه في السفينة
غيرهم وعلى امم ممن معك يعني وعلى ذرية امم من كان معك في السفينة
والمعنى وبركات عليك وعلى قرون تجي من بعدك من ذريته اولادك
وهم المومنون قال محمد بن كعب القرظي دخل في هذا كل مومن الى يوم القيامة
وامم سنمتعهم هذا ابتدا الكلام اي كافرة يحدثون من بعدك سنمتعهم يعني في الدنيا
الى منتهى اجالهم ثم يمسهم منا عذاب اليم يعني في الاخرة تلك من انبا الغيب
هذا خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعني ان هذه القصة التي اخبرناك يا محمد
ان قصة نوح وخبر قومه من انبا الغيب يعني من اخبار الغيب نوحيها اليك
ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا يعني من قبل نزول القران عليك
فان قلت ان قصة نوح كانت مشهورة معلومة معروفة في العلم فكيف
قال ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا قلت يحتمل ان تكون كانوا
يعلمونها مجملا فنزل القران بتفصيلها وبيانها وجواب اخر وهو انه صلى الله عليه
وسلم كان اميا لم يقرا الكتب المتقدمة ولم يعلمها وكذلك امته فصح قوله ما كنت
تعلمها انت ولا قومك من قبل نزول القران بها فاصبر يا محمد على اذى مشركي
مكة وقومك كما صبر نوح على اذى قومه ان العاقبة يعني بالصبر والظفر على
الاعدا والفوز بالسعادة الاخروية للمتقين يعني للمومنين قوله عز وجل والى عاد
يعني وارسلنا الى عاد اخاهم هودا يعني انه اخاهم في النسب لا في الدين قال يا قوم
اعبدوا الله يعني وحدوه ولا تشركوا به شيا في العبادة ما لكم من اله غيره يعني انه
تعالى هو الهكم لا هذه الاصنام التي تعبدونها فانها حجارة لا تضر ولا تنفع ان انتم
الا مفترون يعني ما انتم الا كاذبون في عبادتكم غيره يا قوم لا اسالكم عليه اجرا
يعني على تبليغ الرسالة جعلا اخذه منكم ان اجري يعني ثوابي الا على الذي فطرني

يعني خلقني

يعني خلقني فهو الذي يرزقني في الدنيا ويثيبني في الاخرة افلا تعقلون يعني
فتتعظون ويا قوم استغفروا ربكم اي امنوا به فالاستغفار هنا بمعنى الايمان
لانه هو المطلوب اولا ثم توبوا اليه يعني من شرككم وعبادتكم غيره ومن سالف
ذنوبكم يرسل السما عليكم مدرارا يعني ينزل المطر عليكم متتابعا مرة بعد مرة في اوقات
الحاجة اليه وذلك ان بلادهم كانت مخصبة كثيرة الخير والنعم فامسك الله عنهم
المطر ثلاث سنين فاجدبت بلادهم وقحطت بسبب كفرهم فاخبرهم هود عليه
السلام انهم امنوا بالله وصدقوا ارسل الله انزل عليهم المطر فاحيا بلادهم كما كانت
اول مرة ويزدكم قوة الى قوتكم يعني شدة مع شدتكم وقيل انكم ان امنتم يقع بكم
بالاموال والاولاد وذلك ان الله تعالى اعقم ارحام نسايهم فلم تلدن فقال لهم
ان امنتم ارسل الله المطر فتزدادون مالا ويعيد ارحام الامهات الى ما كانت
عليه فيلدن فتزدادون قوة بالاموال والاولاد وقيل يزدادون في الدين
الى الدنيا والابدان ولا تتولوا مجرمين يعني ولا تعرضوا عن قبول قولي ونصحي
حال كونكم مشركين قالوا يا هود ما جيتنا ببينة اي ببرهان واضحة على صحة ما تقول
وما نحن بتاركي الهتنا عن قولك يعني وما نترك عبادة الهتنا لاجل قولك
وما نحن لك بمومنين يعني بمصدقين ان نقول الا اعتراك بعض الهتنا بسو
يعني انك يا هود لست تتعاطى ما تتعاطى من مخالفتنا وسب الهتنا الا ان
بعض الهتنا اصابك بخبل وجنون لانك سببتهم فانتقموا منك بذلك
ولا نحمل امرك الا على هذا قال يعني هود مجيبا لهم اني اشهد الله يعني على نفسي
واشهدوا يعني وانتم اشهدوا ايضا على اني بري مما تشركون من دونه يعني هذه
الاصنام التي كانوا يعبدونها فكيدوني جميعا يعني احتالوا في كيدي وضري انتم
واصنامكم التي تعتقدون انها تضر وتنفع فانها لا تضر ولا تنفع ثم لا تنظرون
يعني ثم لا تمهلون وهذا فيه معجزة عظيمة لهود عليه السلام وذلك انه كان
وحيدا في قومه وقال لهم هذه المقالة ولم يهبهم ولم يخف منهم مع ما هم فيه
من الكفر والجبروت الا لتعتمد بالله عز وجل وتوكل عليه وهو قوله عز وجل
اني توكلت على الله ربي وربكم يعني انه فوض امره الى الله واعتمد عليه ما من
دابة يعني تدب على الارض ويدخل في هذا جميع بني ادم والحيوان لانهم يدبون
على الارض الا هو اخذ بناصيتها يعني انه تعالى هو مالكها والقادر عليها وقاهرها
لان من اخذت بناصيته فقد قهرته والناصية [illegible] وقيل انما خص الناصية
بالذكر لان العرب تستعمل ذلك كثيرا في كلامهم واذا وصفوا انسانا بالذلة
مع غيره فيقولون فلان بيد فلان وكانوا اذا اسروا اسيرا وارادوا اطلاقه
جزوا ناصيته ليمنوا عليه ويعدوا بذلك فخرا عليه فخاطبهم الله بما يعرفونه من كلامهم

ان ربي على صراط مستقيم يعني ان ربي وان كان قادرا وانتم في قبضته ولا يعمل
الا بالاحسان والانصاف والعدل فيجازي المحسن باحسانه والمسيء بفعله وقيل معناه
ان دين ربي هو الصراط المستقيم وقيل فيه اضمار تقديره ان ربي يحملكم على صراط
مستقيم فان تولوا يعني تتولوا يعني تعرضوا عن الايمان بما ارسلت به اليكم
فقد ابلغتكم ما ارسلت به اليكم يعني انه لم يقع مني تقصير في تبليغ ما ارسلت
به اليكم انما التقصير منكم في قبول ذلك ويستخلف ربي قوما غيركم يعني انكم
ان اعرضتم عن الايمان وقبول ما ارسلت به اليكم يهلككم الله ويستبدل
بكم قوما غيركم اطوع منكم يوحدونه ويعبدونه وفيه اشارة الى عذاب الاستيصال
فهو وعيد وتهديد ولا تضرونه شيا يعني بتوليكم انما تضرون انفسكم بذلك وقيل
لا تنقصونه شيا اذا اهلككم لان وجودكم وعدمكم عنده سوا ان ربي على كل
شيء حفيظ يعني انه تعالى حافظ لكل شيء فيحفظني ان تنالوني بسوء قوله تعالى ولما جاء
امرنا يعني باهلاكهم وعذابهم نجينا هودا والذين امنوا معه وكانوا اربعة
الاف برحمة منا وذلك ان العذاب اذا نزل قد يعم المومن والكافر فلما انجا
الله المومن من ذلك العذاب كان برحمته وفضله وكرمه ونجيناهم من عذاب
غليظ يعني الريح التي اهلكت بها عاد وذلك ان الله تعالى ارسل الى عاد ريحا
شديدة غليظة سبع ليال وثمانية ايام حسوما وهي الايام النحسات فاهلكتهم
جميعا وانجا الله المومنين جميعا فلم يضرهم شيا وقيل المراد بالعذاب الغليظ
هو عذاب الاخرة وهو الصحيح ليحصل الفرق بين العذابين والمعنى انه تعالى
لما انجاهم من عذاب الدنيا كذلك ينجيهم من عذاب الاخرة ووصف
عذاب الاخرة بكونه غليظا لانه اعظم من عذاب الدنيا وتلك عاد جحدوا
بايات ربهم وعصوا رسله لما فرغ من ذكر قصة عاد خاطب امة محمد صلى الله
عليه وسلم فقال وتلك عاد جحدوا ورده الى القبيلة وفيه اشارة الى قبورهم
واثارهم كانه قال سيروا في الارض فانظروا اليها واعتبروا بها ثم وصف
حالهم بقوله جحدوا بايات ربهم وعصوا رسله يعني هودا وحده وانما اتى
به بلفظ الجمع اما للتعظيم او لان من كذب برسوله فقد كذب كل الرسل
واتبعوا امر كل جبار عنيد يعني ان السفلة منهم اتبع الروسا والمراد من
الجبار الرفيع في نفسه المتمرد على الله والعنيد المعاند الذي لا يقبل
حق ولا يتبعه واتبعوا في هذه الدنيا لعنة يعني لعنة تتبعهم وتلحقهم و
تنصرف معهم فاللعنة الطرد والابعاد من رحمة الله تعالى ويوم القيامة
يعني وفي يوم القيامة ايضا تتبعهم اللعنة كما تبعتهم في الدنيا ثم ذكر السبب
الذي استحقوا به هذه اللعنة فقال تعالى الا ان عادا كفروا ربهم اي كفروا

بربهم الا

بربهم الا بعدا لعاد يعني هلاكا لهم وقيل بعدا عن الرحمة فان قلت اللعنة معناها
الابعاد والهلاك فما الفايدة في قوله الا بعدا لعاد لان الثاني هو الاول بعينه
قلت الفايدة فيه ان التكرار فيه بعبارتين مختلفتين تدل على نهاية التاكيد
وانهم كانوا مستحقين له قوم هود عطف بيان لعاد فان قلت هذا بيان
حاصل معلوم فما الفايدة في قوله قوم هود قلت ان عادا كانوا قبيلتين
عاد الاولى القديمة التي هي قوم هود وعاد الثانية ارم ذات العماد وهم
العمالقة فاتى بقوله قوم هود ليزول الاشتباه جواب اخر وهو ان المبالغة
في التنصيص يدل على تقوية التاكيد قوله عز وجل والى ثمود اي وارسلنا الى
ثمود وهم سكان الحجر اخاهم صالحا يعني في النسب لا في الدين قال يا قوم اعبدوا
الله اي وحدوا الله وخصوه بالعبادة ما لكم من اله غيره يعني هو الهكم المستحق
للعبادة لا هذه الاصنام ثم ذكر الدلايل الدالة على وحدانيته وكمال قدرته فقال
هو انشاكم من الارض يعني انه هو ابتدا خلقكم من الارض وذلك انهم من بني
ادم وادم خلق من الارض واستعمركم فيها يعني وجعلكم عمارها وسكانها
قال الضحاك اطال اعماركم فيها حتى كان الواحد منهم يعيش ثلثمائة الى الف
سنة وكذلك كان قوم عاد وقال مجاهد عمركم من العمري جعلها لكم ما عشتم
فاستغفروه يعني من ذنوبكم ثم توبوا اليه يعني من الشرك ان ربي قريب يعني
من المومنين مجيب لدعايهم قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا
يعني قبل هذا القول الذي جيت به والمعنى انا كنا نرجوا ان تكون فينا سيدا
لانه كان من قبيلتهم وكان يعين ضعيفهم ويغني فقيرهم وقيل معناه انا
كنا نطمع ان تعود في ديننا فلما اظهر دعاهم الى الله وعاب الاصنام انقطع
رجاوهم منه اتنهانا ان نعبد ما يعبد اباونا يعني الالهة وانا لفي شك
مما تدعونا اليه مريب يعني من عبادة الله قال يا قوم انا مرتاب بين بين
في قولك من ارابه اذا اوقعه في الريبة وهي قلق النفس ووقوعها في الريبة
وهي التهمة قال يا قوم يعني صالح مجيبا لقومه يا قوم ارايتم ان كنت على
بينة من ربي على يقين وبرهان واتاني منه رحمة يعني حكمة ونبوة فمن ينصرني
من الله اي فمن يمنعني من عذاب الله ان عصيته يعني ان خالفت امره فما
تزيدونني غير تخسير قال ابن عباس معناه غير بصارة في خسارتكم وقال
حسين بن الفضل لم يكن صالح في خسارة حتى يقول فما تزيدونني غير تخسير
وانما المعنى فما تزيدونني بما تقولون الا نسبتي اياكم الى الخسارة ويا قوم هذه
ناقة الله لكم اية وذلك ان قومه طلبوا منه ان يخرج لهم ناقة من صخرة
كانت هناك اشاروا اليها فدعا الله عز وجل فاخرج لهم من تلك الصخرة ناقة

عشرا ثم ولدت فصيلا تشبهها وقوله ناقة الله اضافة تشريف كبيت الله فكانت
هذه الناقة لهم اية ومعجزة دالة على صدق صالح عليه السلام فذروها تاكل يعني
من العشب والنبات في ارض الله يعني فليس عليكم مؤنتها ولا تمسوها
بسوء يعني بعقر فياخذكم يعني ان قتلتموها عذاب قريب يعني في الدنيا فعقروها
يعني فخالفوا امر ربهم فعقروها فقال يعني صالح تمتعوا يعني عيشوا في داركم
اي في بلدكم ثلاثة ايام يعني ثم تهلكون ذلك يعني العذاب الذي وعدهم
به بعد ثلاثة ايام وعد غير مكذوب اي هو غير مكذوب روي انه قال لهم
ياتيكم العذاب بعد ثلاثة ايام فتصبحون في اليوم الاول وجوهكم مصفرة
وفي اليوم الثاني وجوههم محمرة وفي اليوم الثالث ووجوههم مسودة
وفي اليوم الرابع اتاهم العذاب وهو قوله تعالى فلما جا امرنا يعني بالعذاب
نجينا صالحا والذين امنوا معه برحمة منا اي بنعمة منا بان هديناهم الى الايمان
فامنوا ومن خزي يومئذ يعني ونجيناهم من عذاب يومئذ سمي خزيا لان فيه
خزي الكفار ان ربك الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم هو القوي يعني هو القادر
على انجا المومنين واهلاك الكفار العزيز يعني القاهر الذي لا يغلبه شي ثم اخبر
عن عذاب قوم صالح فقال تعالى واخذ الذين ظلموا يعني انفسهم بالكفر الصيحة
وذلك ان جبريل صاح بهم صيحة واحدة فهلكوا جميعا وقيل اتاهم صيحة من السما
فيها صوت كل صاعقة وصوت كل شي في الارض فتقطعت قلوبهم في صدورهم
فماتوا جميعا فاصبحوا في ديارهم جاثمين صرعى هلكى كان لم يغنوا فيها كان لم يقيموا
فيها في تلك الديار ولم يكونوا مرة من الدهر يقال غنيت بالمكان اذا اقمت
واقمت به الا ان ثمود كفروا ربهم الا بعدا لثمود وهذه القصص قد تقدمت
مستوفاة في سورة الاعراف قوله ولقد جات رسلنا ابرهيم بالبشرى اراد
بالرسل الملائكة واختلفوا في عددهم فقال ابن عباس وعطا كانوا ثلاثة جبريل
وميكائيل واسرافيل وقال الضحاك كانوا تسعة املاك وقال السدي كانوا اثني عشر
ملكا وقال محمد بن كعب القرظي كان جبريل ومعه سبعة املاك وقال السدي كانوا
احدى عشر في صورة الغلمان الحسان الوجوه وقول ابن عباس هو الاولى لان
اقل الجمع ثلاثة وقوله رسلنا جمع فيحمل على الاقل وما بعده غير مقطوع به والبشرى
يعني البشارة باسحاق ويعقوب وقيل باهلاك قوم لوط قالوا سلاما يعني
ان الملائكة سلموا سلاما قال يعني لهم ابراهيم سلام اي عليكم فما لبث ان جا
بعجل حنيذ يعني مشويا والحنيذ هو المشوي على الحجارة المحماة في حفرة من الارض
وهو من فعل اهل البادية وكان سمينا يسيل منه الودك قال قتادة فان عامة
مال ابراهيم عليه السلام البقر وقيل مكث ابراهيم عليه السلام خمسة عشر ليلة

ولا ياكل معه ضيف ولم ياته ضيف وكان ابرهيم لم ياكل الا مع الضيف
فلما جا الملائكة راى اضيافا لم ير مثلهم قط فعجل وجا بعجل سمين مشوي فلما
راى ايديهم يعني ايدي الاضياف لا تصل اليه يعني الى العجل المشوي نكرهم يعني
انكرهم وانكر حالهم وانما انكر حالهم لامتناعهم من الطعام واوجس منهم خيفة
يعني وقع في قلبه خوف منهم والوجس هو رعب القلب وانما خاف ابرهيم
عليه الصلاة والسلام منهم لانه كان ينزل ناحية من الناس فخاف ان ينزلوا به
مكروها لامتناعهم من طعامه ولم يعرف انهم ملائكة وقيل ان ابرهيم عرف انهم
ملائكة وانما خاف ان يكونوا نزلوا بعذاب قومه فخاف من ذلك والاقرب
ان ابرهيم لم يعرف انهم ملائكة في اول الامر ويدل على صحة هذا انه عليه السلام
قدم اليهم الطعام ولو عرف انهم ملائكة لعلم انهم الملائكة لا ياكلون ولا يشربون
ولانه خافهم ولو عرف انهم ملائكة لما خافهم فلما رات الملائكة خوف ابرهيم
قالوا لا تخف يا ابراهيم انا ملائكة الله ارسلنا الى قوم لوط وامراته قائمة يعني
سارة زوجة ابراهيم بنت هارون بن ناحور وهي ابنة عم ابرهيم قائمة يعني
من ورا الستر فسمع كلامهم وقيل كانت قائمة تخدم الرسل وابراهيم جالس معهم
فضحكت اصل الضحك انبساط الوجه من سرور يحصل للنفس ولظهور
الاسنان عنده سمي مقدمات الاسنان الضواحك ويستعمل في السرور
المجرد وفي التعجب المجرد ايضا ثم قال وللعلما في تفسير هذا الضحك قولان
احدهما انه الضحك المعروف وعليه اكثر المفسرين ثم اختلفوا في سبب
هذا الضحك فقال السدي لما قرب ابراهيم الطعام الى ضيفه فلم ياكلوا خاف
ابراهيم منهم فقال الا تاكلون فقالوا انا لا ناكل طعاما الا بثمن قال فان له
ثمنا قالوا وما ثمنه قال تذكرون اسم الله على اوله وتحمدون على اخره فنظر جبريل
الى ميكائيل وقال حق لهذا ان يتخذه ربه خليلا فلما راى ابراهيم وسارة
ايديهم لا تصل اليه ضحكت سارة وقالت يا عجبا لاضيافنا نخدمهم بانفسنا
تكرمة لهم وهم لا ياكلون طعامنا وقال قتادة ضحكت من غفلة قوم لوط
وقرب العذاب منهم وقال مقاتل والكلبي ضحكت من خوف ابراهيم
من ثلاثة فيما بين خدمه وحشمه وخواصه وقيل ضحكت من زوال الخوف
عنها وعن ابراهيم وذلك انها خافت لخوف ابراهيم فحين قالوا لا تخف
ضحكت سرورا وقيل ضحكت سرورا بالبشارة وقال ابن عباس ووهب
ضحكت تعجبا من ان يكون لها ولد على كبر سنها وسن زوجها فعلى هذا
القول يكون في الاية تقديم وتاخير فبشرناها باسحاق فضحكت يعني
تعجبا من ذلك وقيل انها قالت لابراهيم اضمم اليك ابن اخيك لوطا

فان العذاب نازل بقومه فلما جاءت الرسل وبشرت بعذابهم سرت بهم سارة بذلك
وضحكت لموافقتهم ما ظنت القول الثاني في معنى قوله فضحكت قال عكرمة ومجاهد اي
حاضت في الوقت وانكر بعض اهل اللغة ذلك قال الراغب وقول من قال
حاضت فليس ذلك تفسير القوله فضحكت كما تصوره بعض المفسرين فقال
ضحكت بمعنى حاضت وانما ذكر ذلك تخصيصا بحالها فان جعل ذلك امارة
لما بشرت به فحاضت في الوقت لتعلم ان حملها ليس بمنكر اذا كانت المراة
ما دامت تحيض فانها تحمل وقال الفرا ضحكت بمعنى حاضت لم نسمعه من ثقة
وقال الزجاج ليس بشي ضحكت بمعنى حاضت وقال ابن الانباري قد انكر الفرا وابو
عبيدة ان يكون ضحكت بمعنى حاضت وقد عرفه غيرهم وانشد لقول
تضحك الضبع لقتلى هذيل وترى الذيب بها يستهل قال اراد انها
تحيض فرحا وقال الليث في هذه الاية فضحكت اي طمثت وحكى الازهري
عن بعضهم في قوله ضحكت اي حاضت قال ويقال اصله من ضحاك
الطلعة اذا انشقت قال وقال الاخطل فيه بمعنى تضحك الضبع
من دماء سليم اذا رائتها على الحراب تمور وقال في المحكم ضحكت المراة
حاضت وبه فسر بعضهم قوله تعالى فضحكت فبشرناها باسحاق وضحكت
الارنب ضحكا يعني حاضت حيضا كما يقول وضحك الارنب فوق الصفا
كمثل دم الجوف عند اللقا يعني تحيض فيما يزعم بعضهم واجاب عن هذا من انكره
ان يكون الضحك بمعنى الحيض كان ابن دريد يقول من شاهد الضبع عند
كسرها فيعلم انها تحيض وانما اراد الشاعر انها تكشر لاكل اللحوم وهذا سهو
منه لانه جعل كسرها حيضا وقيل معناه انها تستبشر بالقتلى اذا اكلتهم فتهر
بعضها على بعض فجعل هريرها ضحكا وقيل لانها تستبشر بهم فجعل سرورها ضحكا
فان قلت اي القولين اصح في معنى الضحك قلت ان الله عز وجل حكى
عنها انها ضحكت وكلا القولين يحتمل في معنى الضحك والله اعلم اي ذلك
كان قوله تعالى فبشرناها باسحاق ومن وراء اسحاق يعقوب يعني ومن بعد
اسحاق يعقوب وهو ولد الولد فبشرت سارة بانها تعيش حتى ترى
ولد ولدها فلما بشرت بالولد صكت وجهها اي ضربت وجهها وهو من
صنيع النساء وعاداتهن وانما فعلت ذلك تعجبا قالت يا ويلتا نداء ندبة
واصله يا ويلتاه وهي كلمة يستعملها الانسان عند رؤية ما يتعجب منه مثل يا
عجباه االد وانا عجوز وكانت بنت تسعين سنة في قول ابي اسحاق وقال
مجاهد كانت بنت تسع وتسعين سنة وهذا بعلي يعني زوجي والبعل هو
المستعلي على غيره ولما كان زوج المراة مستعليا عليها قايما بامرها سمي بعلا

بذلك شيخا

بذلك شيخا وكان سن ابراهيم يومئذ مائة وعشرين سنة في قول محمد بن اسحاق
وقال مجاهد مائة سنة وكان بين البشارة والولادة سنة ان هذا لشي عجيب
لم تنكر قدرة الله تعالى وانما تعجبت من كون الشيخ الكبير والعجوز الكبيرة
يولد لهما قالوا يعني قالت الملائكة لسارة اتعجبين من امر الله معناه لا
تعجبين من ذلك فان الله تعالى قادر على كل شي فاذا اراد شيا كان سريعا
رحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت يعني بيت ابراهيم عليه السلام وهذا
على معنى الدعاء من الملائكة لهم بالخير والبركة وفيه دليل على ان ازواج الرجل
من اهل بيته انه حميد يعني هو المحمود الذي يحمد على افعاله كلها وهو المستحق
لان يحمد في السراء والضراء والشدة والرخاء فهو محمود على كل حال مجيد ومعناه
المنيع الذي لا يرام وقال الخطابي المجيد الواسع الكرم واصل المجد في كلامهم
السعة يقال رجل ماجد اذا كان سخيا كريما واسع العطاء وقيل الماجد هو ذو الشرف
والكرم قوله تعالى فلما ذهب عن ابراهيم الروع يعني الفزع والخوف الذي حصل له
عند امتناع الرسل من الاكل وجاءته البشرى يعني زال الخوف عنه بسبب البشرى
التي جاءته وهي البشارة بالولد يجادلنا فيه اضمار تقديره اخذ يجادلنا وجعل
يجادلنا قيل معناه يكلمنا ويخاصمنا وسالنا في قوم لوط لان العبد لا يقدر
ان يخاصم ربه وقال جمهور المفسرين معناه يجادل رسلنا في قوم لوط
وكانت مجادلته ابراهيم مع الملائكة قال لهم ارايتم لو كان في مداين قوم لوط
خمسون من المومنين قالوا لا قال فاربعون قالوا لا قال فثلاثون قالوا لا قال
قال فما زال حتى قال فخمسة قالوا لا قال ارايتم لو كان فيها رجلا واحدا مسلما اتهلكونها
قالوا لا قال ابراهيم فان فيها لوطا قالوا نحن اعلم بمن فيها لننجينه واهله الا امراته
كانت من الغابرين وقيل انما طلب ابراهيم تاخير العذاب عنهم لعلهم يومنوا او
يرجعوا عما هم فيه من الكفر والمعاصي قال ابن جريج وكان في قرى قوم لوط اربعة
الاف مقاتل ان ابراهيم لاواه منيب تقدم تفسيره في سورة التوبة فعند ذلك
قالت الملائكة لابراهيم يا ابراهيم اعرض عن هذا يعني اعرض عن هذا المقال
واترك هذا الجدال انه قد جاء امر ربك يعني ان ربك قد حكم بعذابهم فهو نازل
بهم وهو قوله وانهم اتيهم عذاب غير مردود يعني ان العذاب الذي نزل بهم
غير مردود ولا مصروف ولا مدفوع عنهم قال تعالى ولما جاءت رسلنا لوطا يعني
هولاء الملائكة الذين كانوا عند ابراهيم وكانوا على صورة غلمان مرد حسان
الوجوه سيء بهم يعني حزن لوط بمجيئهم اليه وساءته بقومه وضاق بهم ذرعا
قال الازهري الذرع يوضع موضع الطاقة والاصل فيه ان البعير يذرع بيديه
في سيره ذرعا على قدر سعة خطوه فاذا حمل عليها اكثر من طوعه ضاق ذرعه

من ذلك وضعف وعد عنقه فجعل ضيق الذراع عبارة عن ضيق الوسع والطاقة
ومعنى قوله وضاق بهم ذرعا ولم يجد من المكروه في ذلك الامر مخلصا وقال غيره
معناه ضاق به قلبا وصدرا ولا يعرف اصله الا ان يقال ان الذراع كناية عن
الوسع والعرب تقول ليس هذا في يدي يعنون ليس هذا في وسعي لان الذراع
من اليد ويقال ضاق فلان ذرعا لكن اذا وقع في مكروه ولا يطيق الخروج منه
وذلك ان لوطا عليه السلام لما نظر الى حسن وجوههم وطيب روائحهم اشفق
عليهم من قومه وخاف ان يقصدوهم بمكروه او فاحشة وعلم انه سيحتاج الى
المدافعة عنهم وقال يعني لوط هذا يوم عصيب اي يوم شديد كان قد عصب
به الشر والبلاء اي شدته ماخوذ من العصابة التي يشد بها الراس قال قتادة
والسدي خرجت الملائكة من عند ابراهيم نحو قرية لوط فاتوا لوطا نصف النهار
وهو يعمل في ارض له وقد قيل انه كان يحتطب وقد قال الله تعالى للملائكة لا تهلكوهم
حتى يشهد عليهم لوط اربع شهادات فاستضافوه فانطلق بهم فلما مشى
ساعة قال لهم ما بلغكم امر هذه القرية قالوا وما امرهم قال اشهد بالله انها لشر
قرية في الارض عملا يقول ذلك اربع مرات فمضوا معه حتى دخلوا منزله وقيل
انه لما حمل الحطب ومعه الملائكة مر على جماعة فتغامزوا فيما بينهم فقال لوط
ان قومي شر خلق الله تعالى فقال جبريل ان هذه واحدة فمر على جماعة اخرى
فتغامزوا فقال مثله ثم مر على جماعة اخرى ففعلوا ذلك فقال لوط مثل
ما قال فقال جبريل عليه السلام للملائكة اشهدوا وقيل ان الملائكة جاؤوا الى
بيت لوط فوجدوه في داره فدخلوا عليه ولم يعلم احد بمجيئهم الا اهل بيت
لوط فخرجت امراته الخبيثة فاخبرت قومها وقالت ان في بيت لوط رجالا
ما رايت مثل وجوههم قط ولا احسن منهم فجاءه قومه يهرعون اليه قال ابن عباس
وقتادة يسرعون اليه وقال مجاهد يهرولون وقال الحسن الاهراع هو مشي بين
مشيين وقال شمر عن عطية هو بين الهرولة والجري والخبب ومن قبل يعني
مجيء الرسل اليهم وقيل ومن قبل مجيئهم الى لوط كانوا يعملون السيئات يعني
الفعلات الخبيثة والفاحشة القبيحة وهي اتيان الرجال في ادبارهم قال يعني
قال لوط لقومه حين قصدوا الضيافة وظنوا انهم غلمان من بني ادم يا قوم
هؤلاء بناتي يعني ازوجكم اياهن وفي اضيافه بناته قيل انه كان في ذلك
الوقت وفي تلك الشريعة مباحا تزويج المراة المسلمة بالكافر وقال الحسين بن
الفضل عرض بناته عليهم بشرط الاسلام وقال مجاهد وسعيد بن جبير اراد بنات
قومه واضافهن الى نفسه لان كل نبي هو ابو امته وكالوالد لهم وهذا
القول هو الصحيح واشبه بالصواب الى الله تعالى والدليل عليه ان بنات لوط

كانتا

كانتا اثنتين وليستا بكافيتين للجماعة وليس من المروة ان يعرض الرجل بناته على
اعدائه ليزوجهن اياهم فكيف يليق ذلك بمنصب الانبياء ان يعرضوا بناتهن
على الكفار وقيل انما قال ذلك لوط على سبيل الدفع لقومه لا على سبيل التحقيق
وفي قوله هن اطهر لكم سؤال وهو ان يقال ان قوله هن اطهر لكم من باب
افعل التفضيل فيقتضي ان يكون الذي يطلبونه من الرجال طاهرا ومعلوم
انه محرم فاسد نجس لا طهارة فيه البتة فكيف قال هن اطهر لكم والجواب عن
هذا السؤال ان هذا جار مجرى قوله تعالى اذلك خير نزلا ام شجرة الزقوم ومعلوم ان
شجرة الزقوم لا خير فيها وكقوله صلى الله عليه وسلم لما قالوا اعل هبل
قال الله اعلى واجل اذ لا مماثلة بين الله عز وجل والصنم فانما هو كلام خرج
مخرج المقابلة ولهذا نظائر كثيرة وقوله فاتقوا الله اي خافوه وراقبوه واتركوا
ما انتم عليه من الكفر والعصيان ولا تخزون في ضيفي يعني ولا تسوؤني في اضيافي
ولا تفضحون معهم اليس منكم رجل رشيد اي صالح سديد عاقل وقال عكرمة رجل
يقول لا اله الا الله وقال محمد بن اسحاق رجل يامر بالمعروف وينهى عن المنكر
حتى ينهى عن هذا الفعل القبيح قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق يعني
ليس لنا بهن حاجة ولا لنا فيهن شهوة وقيل معناه ليس بناتك لنا بازواج
مستحقين نكاحهن وقيل معناه ما لنا في بناتك من حاجة لانك دعوتنا الى نكاحهن
بشرط الايمان ولا نريد ذلك وانك لتعلم ما نريد يعني في اتيان الرجال
في ادبارهم فعند ذلك قال لوط لو ان لي بكم قوة اي لو اني اقدر ان اتقوى
عليكم او اوي الى ركن شديد يعني او انضم الى عشيرة يمنعوني منكم وجواب
لو محذوف تقديره لو وجدت قوة لقاتلتكم او لو وجدت عشيرة لانضممت
اليها قال ابو هريرة ما بعث الله بعده نبيا الا في منعة من عشيرته ق عن ابي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يرحم الله لوطا لقد كان ياوي الى ركن
شديد ولو لبثت في السجن ما لبث يوسف ثم اتاني الداعي لاجبت قال الشيخ
محي الدين النووي المراد بالركن الشديد هو الله عز وجل فانه اشد الاركان
واقواها وامنعها ومعنى الحديث ان لوطا عليه السلام لما خاف على اضيافه ولم
يكن له عشيرة تمنعهم من الظالمين ضاق ذرعه واشتد حزنه عليهم فغلب ذلك
عليه فقال في تلك الحال لو ان لي بكم قوة في الدفع بنفسي او اوي الى عشيرة تمنع
لمنعتكم وقصد لوط اظهار العذر عند اضيافه وانه لو استطاع لدفع المكروه
عنهم ومعنى باقي الحديث فيما يتعلق بيوسف عليه السلام ياتي في موضعه في
سورة يوسف ان شاء الله تعالى قال ابن عباس واهل التفسير اغلق لوط
بابه والملائكة معه في الدار وجعل يناظر قومه ويناشدهم من وراء الباب وقومه

يعالجون سور الجدار فلما رات الملائكة ما يلقى لوط بسببهم قالوا يا لوط ركنك شديد
انا رسل ربك لن يصلوا اليك يعني بمكروه فافتح الباب ودعا وايا هم ففتح الباب
فدخلوا فاستاذن جبريل ربه عز وجل في عقوبتهم فاذن له فتحول الى صورته التي
يكون فيها ونشر جناحيه وعليه وشاح من در منظوم وهو براق الثنايا اجلى
الجبين وراسه حبك مثل المرجان كانه الثلج بياضا وقدماه الى الخضرة فضرب
بجناحيه وجوههم فطمس اعينهم واعماهم فصاروا لا يعرفون الطريق ولا يهتدون
الى بيوتهم فانصرفوا وهم يقولون النجاة النجاة في بيت لوط اسحر قوم في الارض
قد سحرونا وجعلوا يقولون يا لوط كما انت تصبح وسترى ما تلقى منا غدا يوعدونه
بذلك فاسر باهلك يعني ببيتك بقطع من الليل قال ابن عباس بطائفة من الليل
وقال الضحاك ببقية من الليل وقال قتادة بعد مضي اوله وقيل انه السحر الاول
ولا يلتفت منكم احد يعني ولا يلتفت منكم احد الى ورايه ولا ينظر الى خلفه
الا امراتك فانها من الملتفتات فتهلك مع من هلك من قومها وهو قوله
انه مصيبها ما اصابهم فقال لوط متى يكون هذا العذاب ان موعدهم الصبح
قال لوط انه بعيد اريد اسرع من ذلك اريد فقالوا اليس الصبح بقريب فلما خرج
لوط من قريته واخذ اهله معه وامرهم ان لا يلتفت منهم احد فقبلوا منه الا
امراته فانها لما سمعت هدة العذاب نازل التفتت وصاحت واقوماه فادركها
حجارة فاهلكتها معهم فلما جاء امرنا يعني امرنا بالعذاب جعلنا عاليها سافلها
وذلك ان جبريل عليه السلام ادخل جناحه تحت قرى قوم لوط وهي خمس مداين
اكبرها سدوم وهي المؤتفكات المذكورة في سورة براة ويقال كان فيها
اربعمائة الف وقيل اربعة الاف الف فرفع جبريل المداين كلها حتى سمع
اهل السما صياح الديكة ونباح الكلاب لم يكفا لهم اناء ولم ينتبه نايم ثم قلبها فجعل
عاليها سافلها وامطرنا عليها يعني على شذاذها ومن كان خارجا عنها من مسافريها
وقيل بعد ما قلبها امطر عليهم حجارة من سجيل قال ابن عباس وسعيد بن جبير
سنك وكل فارسي معرب لان العرب اذا تكلمت بشي من الفارسي ونحو ذلك
فكل هذه الالفاظ فارسية تكلمت بها العرب واستعملتها في الفاظهم فصارت
عربية وقال قتادة وعكرمة السجيل الطين ودليله قوله في موضع اخر حجارة
من طين وقال مجاهد اولها حجر واخرها طين وقال الحسن اصل الحجارة طين
فشدت وقال الضحاك يعني الاجر وقيل السجيل اسم سما الدنيا وقيل هو جبل
في سما الدنيا منضود قال ابن عباس متتابع بعضها بعضا مفعول من النضد
وهو وضع الشي بعضه فوق بعض مسومة عند ربك صفة للحجارة يعني
معلمة قال ابن جريج عليها سيما لا تشاكل حجارة الارض وقال قتادة وعكرمة

عليها خطوط

عليها خطوط حمر على هيئة الجزع وقال الحسن والسدي كانت مختومة عليها امثال
الخواتيم وقيل كان مكتوبا عليها اي على كل حجر اسم صاحبه الذي يرمى به وما هي يعني
تلك الحجارة من الظالمين يعني مشركي مكة ببعيد قال قتادة وعكرمة يعني ظالمي
هذه الامة والله ما اجار الله منها ظالما بعده وفي بعض الاثار ما من ظالم الا
وهو بعرض عليه حجر يسقط عليه من ساعة الى ساعة وقيل ان الحجارة اتبعت شذاذ
قوم لوط حتى ان واحدا منهم دخل الحرم فوجد الحجر معلقا في السما اربعين يوما
حتى خرج ذلك الرجل من الحرم فسقط الحجر فاهلكه قوله تعالى والى مدين اي ارسلنا
الى مدين اخاهم شعيبا ومدين اسم لابن ابرهيم الخليل عليه الصلاة والسلام
ثم صار اسما للقبيلة من اولاده وقيل هو اسم مدينة بناها مدين بن ابرهيم
عليه السلام فعلى هذا يكون التقدير وارسلنا الى مدين اي اهل مدين فحذف
المضاف لدلالة الكلام عليه قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره يعني
وحدوا الله ما لكم من اله غيره وهذا كان عادة الانبيا عليهم السلام يبدون
بالاهم فالاهم فلما كانت الدعوة الى توحيد الله وعبادته اهم الاشيا فلهذا
قال فلهذا قال شعيب اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ثم بعد الدعوة الى التوحيد
شرع فيما هم فيه ولما كان المعتاد من اهل مدين البخس في الكيل والوزن
دعاهم الى ترك هذه العادة القبيحة وهي تطفيف الكيل والوزن فقال
ولا تنقصوا الكيل والميزان والنقص في الكيل والوزن على وجهين احدهما
ان يكون الاستنقاص من قبلهم فيكيلون ويزنون للغير ناقصا والوجه الاخر
وهو استيفا الكيل والوزن لانفسهم زايدا عن حقهم فيكون نقصا في مال
الغير وكلا الوجهين مذموم ولهذا نهاهم شعيب عن ذلك بقوله ولا تنقصوا
المكيال والميزان اني اراكم بخير قال ابن عباس كانوا موسرين في نعمة وقال مجاهد
كانوا في خصب وسعة فحذرهم زوال تلك النعمة وغلا السعر وحصول النقمة
ان لم يتوبوا ويومنوا وهو قوله واني اخاف عليكم عذاب يوم محيط يعني
يحيط بكم فيهلككم جميعا وهو عذاب الاستيصال في الدنيا وحذرهم عذاب
الاخرة ومنه قوله وان جهنم لمحيطة بالكافرين ويا قوم اوفوا المكيال و
الميزان اي اتموهما ولا تطففوا فيهما بالقسط اي بالعدل وقيل بتقويم
لسان الميزان وتعديل المكيال قوله ولا تبخسوا الناس اي ولا تنقصوا
الناس اشياءهم يعني اموالهم فان قلت قد وقع التكرار في هذه القصة من
ثلاثة اوجه لانه قال ولا تنقصوا المكيال والميزان ثم قال وهذا عين الاولى
ولا تبخسوا الناس اشياءهم وعين هذا عين ما تقدم فما الفائدة في هذا التكرار
قلت ان القوم لما كانوا مصرين على ذلك العمل القبيح وهو تطفيف الكيل

والميزان ومنع الناس حقوقهم احتيج في المنع منه الى المبالغة في التاكيد والتكرير
يفيد شدة الاهتمام والعناية للتاكيد فلهذا كرر ذلك فيتقوى الزجر والمنع من
ذلك الفعل ولان قوله ولا تنقصوا المكيال والميزان نهي عن التنقيص وقوله
اوفوا المكيال والميزان امر بايفا العدل وهذا غير الاول ومغاير له ولقايل ان يقول
النهي ضد الامر فالتكرار لازم على هذا الوجه قلنا الجواب عن هذا قد يجوز ان
ينهى عن التنقيص ولا يامر بايفا الكيل والوزن فلهذا جمع بينهما فهو كقولك
صل رحمك ولا تقطعها فتزيد المبالغة في الامر والنهي واما قوله ثانيا ولا تبخسوا
الناس اشياهم فليس بتكرير ايضا لانه تعالى خصص النهي عن التنقيص والامر
بايفا الحق في الكيل والوزن ثم عم الحكم في جميع الاشيا التي يجب ايفا الحقوق فيها
فيدخل فيه الكيل والوزن والزرع وغير ذلك فظهر بهذا البيان فايدة هذا التكرار
والله اعلم وقوله ولا تعثوا في الارض مفسدين يعني بتنقيص الكيل والميزان ومنع
الناس حقوقهم بقية الله خير لكم قال ابن عباس يعني ما ابقى الله لكم من الحلال
بعد ايفا الكيل والوزن خير لكم فما تاخذونه بالتطفيف وقال مجاهد بقية الله
يعني طاعة الله خير لكم وقيل بقية الله يعني ما ابقى لكم من الحلال بعد ايفا
الكيل والوزن خير لكم مما حصل لكم في الدنيا من المال الحرام ان كنتم مومنين
يعني مصدقين بما قلت لكم وامرتكم ونهيتكم عنه وما انا عليكم بحفيظ يعني
احفظ اعمالكم قال بعضهم انما قال شعيب ذلك لانه لم يومن بقتالهم قالوا يا شعيب
اصلوتك تامرك ان نترك ما يعبد اباونا يعني من الاصنام او ان نفعل في اموالنا
ما نشا يعني من النقص والزيادة قال ابن عباس كان شعيب كثير الصلاة فلذلك قالوا هذا
وقيل انهم كانوا يمرون به فيرونه يصلي فيستهزون به ويقولون هذه المقالة وقال الاعمش
اقراتك لان الصلوة تطلق على القراة والدعا وقيل المراد بالصلاة هنا الدين يعني
ادينك يامرك ان نترك ما يعبد اباونا او ان نفعل في اموالنا ما نشا وذلك انهم
كانوا ينقصون الدراهم والدنانير فكان شعيب ينهاهم عن ذلك ويخبرهم انه محرم عليهم
وانما ذكر الصلاة لانها من اعظم شعاير الدين انك لانت الحليم الرشيد قال ابن عباس
ارادوا السفيه الغاوي لان العرب قد تصف الشي بضده فيقولون للديغ السليم
وللفلاة المهلكة مفازة وقيل هو على حقيقته وانما قالوا ذلك على سبيل الاستهزا
والسخرية وقيل معناه انك لانت الحليم الرشيد في زعمك وقيل هو على بابه في الصحة
ومعناه انك يا شعيب فينا حليم رشيد فلا يجمل بك شق عصى قومك ومخالفتهم
في دينهم قال يعني قال لهم شعيب يا قوم ارايتم ان كنت على بينة من ربي يعني
على بصيرة وهداية وبيان ورزقني منه رزقا حسنا يعني حلالا وقيل كان شعيب
كثير المال والنعمة وقيل الرزق الحسن ما اتاه الله من العلم والهداية والنبوة

والمعرفة

والمعرفة وجواب ان الشرطية محذوف تقديره ارايتم ان كنت على بينة من ربي
ورزقني المال الحلال والهداية والنبوة والمعرفة فهل يسعني مع هذه النعمة
العظيمة ان اخونكم في وحيه او ان اخالف امره او اتبع الضلال او ابخس الناس
اشياهم وهذا الجواب شديد المطابقة لما تقدم وذلك انهم قالوا له انك
لانت الحليم الرشيد والمعنى فكيف يليق بالحليم الرشيد ان يخالف امر ربه وله
عليه نعم كثيرة وقوله وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه قال صاحب الكشاف
يقال خالفني فلان الى كذا اذا قصده وانت مول عنه واذا ولى عنه وانت قاصده
ويلقاك الرجل صادرا عن الما فتساله عن صاحبه فيقول خالفني الى الما يريد انه
قد ذهب اليه واردا وانا ذهبت عنه صادرا ومنه قوله تعالى ان اريد ان اخالفكم
الى ما انهاكم عنه يعني ان اسبقكم الى شهواتكم التي نهيتكم عنها لاستبد بها دونكم
قال الامام فخر الدين الرازي وتحقيق الكلام فيه ان القوم اعترفوا بانه حليم
رشيد وذلك يدل على كمال الفعل وكمال العقل يحمل صاحبه على اختيار الطريق
الاصوب الاصلح فكانه عليه السلام قال لما اعترفتم بكمال عقلي فاعلموا ان الذي
اخترته لنفسي هو اصوب الطرق واصلحها وهو الدعوة الى توحيد الله وترك
البخس والنقصان فانا مواظب عليها غير تارك لها فاعلموا ان هذه
الطريقة خير الطرق واشرفها لا ما انتم عليه وقال الزجاج معناه اني لست
انهاكم عن شي وادخل فيه انما اختار لكم ما اختار لنفسي وقال الانباري بين
بان الذي يدعوهم اليه من اتباع طاعة الله وترك البخس والتطفيف هو
ما يرتضيه لنفسه ولا ينطوي الا عليه فكان هذا محض النصيحة لهم ان اريد
يعني بما اريد فيما امركم به وانهاكم عنه الا الاصلاح يعني فيما بيني وبينكم ما استطعت
يعني ما استطعت الا الاصلاح وهو الابلاغ والانذار فقط ولا استطيع اجباركم
على الطاعة لان ذلك الى الله فانه يهدي من يشا ويضل من يشا وما
توفيقي الا بالله التوفيق تسهيل سبيل الخير والطاعة على العبد ولا يقدر
على ذلك الا الله تعالى ولذلك قال وما توفيقي الا بالله عليه توكلت يعني
على الله اعتمدت في جميع اموري واليه انيب يعني واليه ارجع فيما ينزل
من النوايب وقيل اليه ارجع في معادي وروي ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم كان اذا ذكر شعيبا قال ذلك خطيب الانبيا لحسن مراجعته قومه وقوله
تعالى ويا قوم لا يجرمنكم شقاقي اي لا يحملنكم خلافي وعداوتي ان يصيبكم
يعني عذاب العاجلة على كفركم وافعالكم الخبيثة مثل ما اصاب قوم نوح يعني
الغرق او قوم هود يعني الريح التي اهلكتهم او قوم صالح يعني ما اصابهم من
الصيحة حتى هلكوا جميعا وما قوم لوط منكم ببعيد وذلك انهم كانوا حديثي

عهد بهلاكهم وقيل معناه وما ديار قوم لوط منكم ببعيد وذلك انهم كانوا جيران قوم
لوط وبلادهم قريبة من بلادهم قوله واستغفروا ربكم من عبادة الاصنام ثم توبوا
اليه يعني من البخس والنقصان في الكيل والوزن ان ربي رحيم يعني لعباده المؤمنين
ودود من قولهم وددت الرجل ودة اذا احببته وقيل يحتمل ان يكون ودود ان يكون
فعول بمعنى مفعول معناه ان عباده الصالحين يودونه ويحبونه لكثرة افضاله
واحسانه اليهم وقال الحليمي قد قيل هو الواد لاهل طاعته اي الراضي عنهم باعمالهم
والمحسن عليهم لاجلها والمادح لهم بها وقال ابو سليمان الخطابي وقد يكون معناه
ان يودهم الى خلقه قالوا يا شعيب ما نفقه كثيرا مما تقول يعني ما نفهم ما تدعونا
اليه وذلك ان الله ختم على قلوبهم فصارت لا تعي ولا تفهم ما ينفعها وان كانوا
في الظاهر يسمعون ويفهمون وانا لنراك فينا ضعيفا قال ابن عباس
وقتادة كان اعمى قال الزجاج ويقال ان حمير يسمون المكفوف ضعيفا وقال
الحسن وابو روق ومقاتل يعني ذليلا قال ابو روق ان الله تعالى لم يبعث نبيا
اعمى ولا نبيا به زمانة وقال كان ضعيف البصر وقيل المراد بالضعف
العجز عن الكسب والتصرف وقيل هو الذي يتعذر عليه المنع عن نفسه
ويدل على صحة هذا القول ما بعده وهو قوله تعالى ولولا رهطك يعني جماعتك
وقيل عشيرتك وقيل الرهط ما بين الثلاثة الى العشرة وقيل الى سبعة لرجمناك
يعني لقتلناك بالحجارة والرجم بالحجارة اسوأ القتلات واشرها وقيل معناه
لشتمناك واغلظنا لك القول وما انت علينا بعزيز يعني بكريم وقيل بممتنع
منا والمقصود من هذا الكلام وحاصله انهم بينوا لشعيب عليه السلام لانه
لا حرمة له عندهم ولا وقع له في صدورهم وانهم انما لم يقتلوه ولم يسمعوه الكلام
الغليظ الفاحش لاجل احترامهم رهطه وعشيرته وذلك لانهم كانوا على دينهم
وملتهم ولما قالوا لشعيب عليه السلام هذه المقالة اجابهم بقوله قال يا قوم
ارهطي اعز عليكم يعني اهيب عليكم من الله واسع حتى تركتم قتلي لمكان
رهطي عندكم فالاولى ان تحفظوني في الله ولاجل الله لا لرهطي لان الله
اعز واعظم واتخذتموه وراءكم ظهريا يعني ونبذتم امر الله وراء ظهوركم
وتركتم كالشيء الملقى الذي لا يلتفت اليه ان ربي بما تعملون محيط يعني
انه عالم باحوالكم جميعا لا يخفى عليه منها شيء فيجازيكم بها يوم القيامة
ويا قوم اعملوا على مكانتكم يعني على دينكم وتمكنكم من عملكم وقيل المكانة
الحالة والمعنى اعملوا حال كونكم موصوفين بغاية المكنة والقدرة من الشر
اني عامل يعني ما اقدر عليه من الطاعة والخير وهذا الامر في قوله اعملوا
فيه وعيد وتهديد عظيم ويدل على قوله سوف تعلمون فان قلت

اذا تابوا واستغفروا ودود قال ابن عباس الودود
المحب لعباده صح

اي فرق بين ادخال الفاء في قوله فسوف تعلمون قلت ادخال الفاء في قوله
فسوف تعلمون وصل ظاهر الخبر بحرف موضوع للوصل ونزعها في قوله سوف
تعلمون وصل خفي تقديره بالاستيناف الذي هو جواب لسوال مقدر كانهم
قالوا فما يكون اذا عملنا نحن على مكانتنا وعملت انت فقال سوف تعلمون يعني
عاقبة ذلك فوصل تارة بالفاء وتارة بالاستيناف للتفنن في البلاغة كما هو عادة
بلغاء العرب واقوى الوصلين وابلغهما الاستيناف وهو باب من ابواب علم
البيان تتكاثر محاسنه والمعنى سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه بسبب عمله
الشيء ايانا الشقي الذي يأتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب يعني فيما تدعيه
وارتقبوا اني معكم رقيب اي منتظر والرقيب بمعنى المراقب ولما جاء امرنا
يعني بعذابهم واهلاكهم نجينا شعيبا والذين امنوا معه برحمة منا يعني بفضل
منا بان هديناهم للايمان ووفقناهم للطاعة واخذت الذين ظلموا يعني
ظلموا انفسهم بالشرك والبخس الصيحة وذلك ان جبريل عليه السلام
صاح بهم صيحة خرجت ارواحهم وماتوا جميعا وقيل اتتهم صيحة من السماء فاهلكتهم
جميعا فاصبحوا في ديارهم جاثمين يعني ميتين وهو استعارة من قولهم
جثم الطير اذا قعد ولطي بالارض كان لم يغنوا فيها يعني كانهم لم يقيموا
بديارهم مرة من الدهر ماخوذ من قولهم غني بالمكان اذا اقام فيه مستغنيا
به عن غيره الا بعدا يعني هلاكا لمدين كما بعدت ثمود قال ابن عباس
لم يعذب امتان قط بعذاب واحد الا قوم شعيب وقوم صالح فاما
قوم صالح فاخذتهم من تحتهم قوله تعالى ولقد ارسلنا موسى باياتنا
يعني بحججنا والبراهين التي اعطيناه الدالة على صدقه ونبوته وسلطان مبين
يعني ومعجزة باهرة ظاهرة دالة على صدقه ايضا قال بعض المحققين
سميت الحجة سلطانا لان صاحب الحجة يقهر من لا حجة له كالسلطان يقهر
غيره وقال الزجاج السلطان هو الحجة وسمي السلطان حجة لانه حجة الله في
الارض الى فرعون وملائه يعني اتباعه واشراف قومه فاتبعوا امر فرعون
يعني ما هو عليه من الكفر وترك الايمان بما جاءهم به موسى وما امر فرعون
برشيد يعني وما طريق فرعون وما هو عليه بسديد ولا حميد العاقبة ولا
يدعو الى خير يقدم قومه يوم القيامة فاوردهم النار يعني كما تقدم قومه
فادخلهم البحر في الدنيا كذلك يتقدم قومه فيدخلهم النار ويدخل هو
امامهم والمعنى كما كان قدوتهم في الضلالة والكفر في الدنيا وكذلك هو
قدوتهم وامامهم في النار وبئس الورد المورود يعني وبئس المدخل المدخول
فيه وقيل شبه فرعون في تقدمه على قومه الى النار كمن يتقدم على الوارد

يعني وانتظروا العاقبة وما يؤول اليه امري وامركم صح

الى الماء وشبه اتباعه بالواردين بعده ولما كان ورد الماء محمودا عند الواردين لانه يكسر العطش قال في حق فرعون واتباعه واوردهم النار فبئس الورد المورود لان الاصل فيه قصد الماء واستعمل في ورود النار على سبيل الفظاعة واتبعوا في هذه يعني في هذه الدنيا لعنة يعني طردا وبعدا عن الرحمة ويوم القيامة يعني واتبعوا لعنة اخرى يوم القيامة مع اللعنة التي حصلت لهم في الدنيا بئس الرفد المرفود يعني بئس العون والمعان وذلك ان اللعنة في الدنيا رفد للعنة في الاخرة وقيل معناه بئس العطا المعطى وذلك انهم ترادفت عليهم لعنتان لعنة في الدنيا ولعنة في الاخرة قوله تعالى ذلك من انبا القرى يعني من اخبار اهل القرى وهم الامم السالفة والقرون الماضية نقصه عليك يعني نخبرك به يا محمد لتخبر قومك اخبارهم لعلهم يعتبروا به فيرجعوا عن كفرهم او ينزل بهم مثل ما نزل بهم من العذاب منها يعني من القرى التي اهلكنا اهلها قايم وحصيد يعني منها عامر ومنها خراب وقيل منها قايم يعني قايم يعني حيطان بغير سقوف ومنها ما قد محي اثره بالكلية شبهها الله بالزرع الذي بعضه قايم على ساقه وبعضه قد حصد وذهب اثره وحصيد يعني محصود وما ظلمناهم يعني بالعذاب والاهلاك ولكن ظلموا انفسهم يعني بالكفر والمعاصي فما اغنت عنهم الهتهم التي يدعون من دون الله من شي لما جا امر ربك يعني لعذابهم لم تنفعهم اصنامهم ولم ترفع عنهم العذاب وما زادوهم غير تتبيب يعني غير تخسير وقيل غير تدمير وكذلك اخذ ربك يعني وهكذا اخذ ربك اذا اخذ القرى وهي ظالمة الضمير في وهي عايد على القرى والمراد اهلها ان اخذه اليم شديد ق عن ابي موسى الاشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله ليملي للظالم حتى اذا اخذه لم يفلته ثم قرا وكذلك اخذ ربك اذا اخذ القرى وهي ظالمة ان اخذه اليم شديد في الاية الكريمة والحديث دليل على ان من اقدم على ظلم فانه يجب ان يتدارك ذلك بالتوبة والانابة ورد الحقوق الى اهلها ان كان الظلم للغير دليلا يقع في هذا الوعيد العظيم والعذاب الشديد ولا تظن ان هذه الاية حكمها يختص بظالمي الامم الماضية بل عام في كل ظالم ويعضده الحديث والله اعلم قوله عز وجل ان في ذلك لاية يعني ما ذكر من عذاب الامم الخالية واهلاكهم لعبرة وموعظة لمن خاف عذاب الاخرة يعني ان هلاك اولئك عبرة يعتبر بها وموعظة يتعظ بها من كان يخشى الله ويتقيه ويخاف عذابه في الاخرة لانه اذا نظر ما احل الله باولئك الكفار في الدنيا من اليم عذابه وعظيم عقابه في الاخرة وهو كالانموذج مما اعد لهم في الاخرة اعتبر به فيكون زيادة في خوفه وخشيته من الله ذلك يوم مجموع له الناس يعني يوم القيامة تجمع فيه الخلايق من الاولين والاخرين للحساب والوقوف بين يدي رب العالمين وذلك يوم مشهود يعني يشهده اهل السما

واهل الارض

واهل الارض وما نوخره الا لاجل معدود يعني وما نوخر ذلك اليوم وهو يوم القيامة الا الى وقت معلوم محدود وذلك الوقت لا يعلمه احد الا الله تعالى يوم ياتي يعني ذلك اليوم لا تكلم نفس الا باذنه قيل ان جميع الخلق يسكتون في ذلك فلا يتكلم احد فيه الا باذن الله تعالى فان قلت كيف وجه الجمع بين هذه الاية وبين قوله تعالى يوم ياتي كل نفس تجادل عن نفسها وبين قوله اخبارا عن محاجة الكفار وهو قوله تعالى والله ربنا ما كنا مشركين والاخبار ايضا يدل على الكلام في ذلك اليوم قلت يوم القيامة يوم طويل وله احوال مختلفة وفيه اهوال عظيمة وفي بعض الاحوال لا يقدرون على الكلام لشدة الاهوال وفي بعض الاحوال يوذن لهم في الكلام فيتكلمون وفي بعضها يخفف عنهم تلك الاهوال فيحاجون ويجادلون وينكرون وقيل المراد من قوله لا تكلم نفس الا باذنه الشفاعة يعني لا تشفع نفس لنفس الا ان ياذن الله لها في الشفاعة فمنهم يعني فمن اهل الموقف شقي وسعيد الشقا خلاف السعادة والسعادة هي معاونة الامور الالهية للانسان ومساعدته على فعل الخير والصلاح وتيسيره لها ثم السعادة على ضربين سعادة دنيوية وسعادة اخروية وهي السعادة القصوى لان نهايتها الجنة وكذلك الشقاوة على ضربين شقاوة دنيوية وشقاوة اخروية وهي الشقاوة القصوى لان نهايتها النار فالشقي من سبقت له الشقاوة في الازل والسعيد من سبقت له السعادة في الازل ق عن علي بن ابي طالب قال كنا في جنازة في بقيع الغرقد فاتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقعد وقعدنا حوله ومعه مخصرة فنكس وجعل ينكت بمخصرته ثم قال ما منكم من احد الا وقد كتب مقعده من النار ومقعده من الجنة فقالوا يا رسول الله افلا نتكل على كتابنا فقال اعملوا فكل ميسر لما خلق له اما من كان من اهل السعادة فسيصير لعمل السعادة واما من كان من اهل الشقاوة فسيصير لعمل الشقاوة ثم قرا فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى الاية بقيع الغرقد هو مقبرة اهل المدينة الشريفة ومدفنهم فيه والمخصرة كالسوط والعصا ونحو ذلك مما يمسكه بيده الانسان والنكت بالنون والتا المثناة من فوق ضرب الشي بتلك المخصرة او باليد ونحو ذلك حتى يوثر فيه استدل بعض العلما بهذه الاية وهذا الحديث على ان اهل الموقف قسمان شقي وسعيد لا ثالث لهما وظاهر الاية والحديث يدل على ذلك لكن بقي قسم اخر مسكوت عنه وهو من استوت حسناته وسياته وهم اصحاب الاعراف في قول والاطفال والمجانين الذين لا حسنات لهم ولا سيات لهم فهولا مسكوت عنهم وهم تحت مشية الله عز وجل يوم القيامة يحكم فيهم بما يشاو وتخصيص هذين القسمين بالذكر لا يدل على نفي القسم الثالث فاما الذين شقوا ففي النار لهم فيها اي في النار من العذاب والهول زفير وشهيق اصل الزفير ترديد النفس في الصدر حتى تنتفخ منه الضلوع والشهيق رد النفس الى الصدر والزفير مده واخراجه من الصدر قال ابن عباس الزفير الصوت الشديد والشهيق الصوت الضعيف وقال الضحاك

ومقاتل الزفير اول صوت الحمار والشهيق اخره في الجوف خالدين فيها يعني لابثين مقيمين
في النار ما دامت السموات والارض قال الضحاك يعني ما دامت سموات الجنة والنار وارضهما
والابد لاهل الجنة واهل النار من سما تظلهم وارض تقلهم فكل ما علاك فاظلك فهو سما
عبارة عن التابيد وذلك على عادة العرب فانهم يقولون لا اتيك ما دامت السموات
والارض وما اختلف الليل والنهار يريد بذلك التابيد وقوله تعالى الا ما شاء ربك
اختلف العلما في هذين الاستثنايين فقال ابن عباس والضحاك الاستثنا الاول المذكور
في اهل الشقا يرجع الى قوم من المومنين يدخلهم الله النار بذنوب اقترفوها ثم يخرجهم
منها فيكون استثنا الجنس لان الذين خرجوا من النار سعدوا في الحقيقة استثناهم الله تعالى
من الاشقيا ويدل على صحة هذا التاويل ما روي عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الله يخرج قوما من النار بالشفاعة وفي رواية ان الله يخرج ناسا من النار فيدخلهم
الجنة اخرجه البخاري ومسلم خ عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يخرج
من النار قوم بعد ما مسهم منها سفع فيدخلون الجنة فيسميهم اهل الجنة الجهنميين
وفي رواية ليصيبن اقواما سفع من النار بذنوب اصابوها عقوبة ثم يدخلهم
الجنة بفضل رحمته فيقال لهم الجهنميون خ عن عمران بن حصين ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال يخرج قوم من النار بشفاعة محمد فيدخلون الجنة
فيسمون الجهنميين واما الاستثناء الثاني المذكور في اهل السعادة فيرجع الى
مدة لبث هولا في النار قبل دخولهم الجنة فعلى هذا القول يكون معنى الاية
فاما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها ما دامت
السموات والارض الا ما شاء ربك ان يخرجهم منها فيدخلهم الجنة ان
ربك فعال لما يريد واما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت
السموات والارض الا ما شاء ربك ان يدخله النار اولا ثم يخرجه منها فيدخله
الجنة في اصل هذا القول ان الاستثنائين يرجع كل واحد منهما الى قوم
مخصوصين هم في الحقيقة سعدا اصابوا ذنوبا استوجبوا بها عقوبة
يسيرة في النار ثم يخرجون منها فيدخلون الجنة ولان اجماع الامة على
ان من دخل الجنة لا يخرج منها ابدا وقيل ان الاستثنائين يرجعان الى الفريقين
السعدا والاشقيا وهو مدة تعميرهم في الدنيا واحتباسهم في البرزخ
وهو ما بين الموت والبعث ومدة وقوفهم للحساب ثم يدخل اهل
الجنة الجنة واهل النار النار فيكون المعنى خالدين في الجنة والنار
الا هذا المقدار وقيل معناه الا ما شاء ربك سوى ما شاء ربك فيكون
المعنى خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك من
الزيادة على ذلك وهو قولك لفلان علي الف الا الفين اي سوى

الالفين اللتين تقدمتا وقيل الا بمعنى الواو يعني وقد شاء ربك خلود
هولا في النار وخلود هولا في الجنة فهو كقوله لئلا يكون للناس عليكم حجة
الا الذين ظلموا اي ولا الذين ظلموا وقيل معناه ولو شاء ربك لاخرجهم
منها ولكنه لا يشا لانه حكم لهم بالخلود فيها قال الفرا هذا الاستثنا استثناه
الله ولا يفعله كقولك والله لاضربنك الا ان ارى غير ذلك وعزمك
ان تضربه فهذه الاقوال في تحقيق الاستثنا ترجع الى الفريقين والصحيح هو
القول الاول ويدل عليه قوله في اخر الاية ان ربك فعال لما يريد
يعني من اخراج من اراد من النار وادخالهم الجنة فهذا على الاجمال
في حال الفريقين واما على التفصيل فقوله الا ما شاء ربك في جانب
الاستثنا يرجع الى الزفير والشهيق وتقديره ان يعود حصول الزفير
والشهيق مع الخلود لانه اذا دخل الاستثنا عليه وجب ان يحصل
فيه هذا المجموع والاستثنا في جانب السعدا يكون معنى الزيادة يعني الا ما
شاء ربك من الزيادة لهم من النعيم بعد الخلود وقيل ان الاستثنا الاول
في جانب الاشقيا الا ما شاء ربك من ان يخرجهم من حر النار الى البرد
الزمهرير وفي جانب السعدا معناه الا ما شاء ربك ان يرفع بعضهم الى
منازل اعلى منازل الجنان ودرجاتها والقول الاول هو المختار ويدل
على الخلود اهل الجنة في الجنة وهو ان الامة مجمعة على ان من دخل الجنة
لا يخرج منها بل هو خالد فيها قوله تعالى في جانب السعدا عطا غير مجذوذ
يعني غير مقطوع قال ابن زيد اخبرنا الله تعالى بالذي يشا لاهل الجنة
فقال تعالى عطا غير مجذوذ ولم يخبرنا بالذي يشا لاهل النار وروي عن
ابن مسعود انه قال لياتين على جهنم زمان ليس فيها احد وذلك بعد
ما يلبثون فيها احقابا وعن ابي هريرة نحوه وهذا ان صح عن ابن مسعود
وابي هريرة فمحمول عند اهل السنة على خلا اماكن المومنين الذين استحقوا
النار من النار بعد اخراجهم منها لانه ثبت بالدليل الصحيح القاطع اخراج
جميع الموحدين وخلود الكفار فيها ويكون محمولا على اخراج الكفار من حر
النار الى برد الزمهرير ليزدادوا عذابا فوق عذابهم والله اعلم قوله تعالى
فلا تك في مرية مما يعبد هولا يعني فلا تك في شك يا محمد في هذه الاصنام
التي يعبد هولا الكفار فانها لا تضر ولا تنفع ما يعبدون الا كما يعبد اباوهم
من قبل يعني انه ليس لهم في عبادة هذه الاصنام مستند الا انهم راوا
اباهم يعبدونها فعبدوها مثلهم وانا لموفوهم نصيبهم غير منقوص يعني وانا
مع عبادتهم هذه الاصنام يرزقهم الرزق الذي قدرناه لهم من غير نقص فيه ويحتمل

ان يكون المراد من توفيتهم نصيبهم يعني من العذاب الذي قدر لهم في الاخرة كاملا
موفا غير منقوص اي غير ناقص قوله عز وجل ولقد اتينا موسى الكتاب يعني التوراة
فاختلف فيه يعني في الكتاب فمنهم مصدق به ومكذب به كما فعل قومك
يا محمد بالقران ففيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم ولولا كلمة سبقت من ربك
يعني بتاخير العذاب عنهم الى يوم القيامة لكان الذي يستحقونه من تعجيل العقوبة
في الدنيا على كفرهم وتكذيبهم وقوله لقضي بينهم يعني لعذبوا في الحال وفرغ من
عذابهم واهلاكهم وانهم لفي شك منه يعني من القران ونزوله عليك يا محمد
مريب يعني انهم قد وقعوا في الريب والتهمة وان كلا يعني من الفريقين المختلفين المصدق
والمكذب لما ليوفينهم ربك اعمالهم اللام لام القسم تقديره والله ليوفينهم جزاء
اعمالهم في القيامة فيجازي المصدق على تصديقه الجنة ويجازي المكذب على تكذيبه
النار انه بما تعملون خبير يعني انه تعالى لا يخفى عليه شي من اعمال عباده وان دقت
ففيه وعد للمحسنين المصدقين ووعيد وتهديد للمكذبين الكافرين قوله تعالى
فاستقم كما امرت خطاب فيه للنبي صلى الله عليه وسلم يعني فاستقم يا محمد على دين
ربك والعمل به والدعا اليه كما امرك ربك والامر في واستقم للتاكيد لان
النبي صلى الله عليه وسلم كان على الاستقامة لم يزل عليها فهو كقولك للقائم
قم حتى اتيك اي دم على ما انت عليه من القيام حتى اتيك ومن تاب
معك يعني ومن امن معك من امتك فليستقيموا ايضا على دين الله
والعمل بطاعته قال عمر بن خطاب الاستقامة ان تستقيم على الامر والنهي ولا
تروغ عنه روغان الثعلب م عن سفيان بن عبد الله الثقفي قال قلت
يا رسول الله قل لي في الاسلام قولا لا اسال عنه احدا بعدك قال قل امنت
بالله ثم استقم ولا تطغوا يعني ولا تجاوزوا امري الى غيره ولا تنقصوني وقيل معناه
ولا تغلوا في الدين فتجاوزوا ما امرتكم به ونهيتكم عنه انه بما تعملون بصير يعني
انه تعالى عالم باعمالكم ايها الناس لا يخفى عليه شي منها قال ابن عباس ما نزلت
على رسول الله صلى الله عليه وسلم اية هي اشد عليه من هذه الاية ولذلك قال شيبتني
هود واخواتها خ عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الدين يسر ولن
يشاد الدين احد الا غلبه فسددوا وقاربوا وابشروا واستعينوا بالغدوة و
الروحة وشي من الدلجة قوله ان الدين يسر اليسر ضد العسر واراد به التسهيل
في الدين وترك التشدد فان هذا الدين مع يسره وسهولته قوي فلن يغالب
ولن يقاوم فسددوا اي اقصدوا السداد من الامور وهو الصواب وقاربوا
اي اطلبوا المقاربة وهي القصد الذي لا غلو فيه ولا تقصير والغدو والرواح
بكرة والرواح الرجوع عشيا والمراد منه اعملوا اطراف النهار وقتا وقتا والدلجة

سير الليل والمراد منه اعملوا بالليل ايضا وقوله واستعينوا بشي من الدلجة اشارة
الى تقليله وقوله تعالى ولا تركنوا الى الذين ظلموا قال ابن عباس ولا تميلوا
والركون هو المحبة والميل بالقلب وقال ابو العالية لا ترضوا باعمالهم وقال
السدي لا تداهنوا الظلمة وعن عكرمة لا تطيعوهم وقيل معناه ولا تسكنوا الى الذين
ظلموا فتمسكم النار اي فتصيبكم النار بحرها وما لكم من دون الله من اولياء يعني
اعوانا وانصارا يمنعونكم من عذابه ثم لا تنصرون يعني لا تجدوا لكم من ينصركم
ويخلصكم من عذاب الله غدا في القيامة ففيه وعيد لمن ركن الى الظلمة ورضي
باعمالهم واحبهم فكيف حال الظلمة في انفسهم نعوذ بالله من الظلم قوله عز وجل
واقم الصلوة طرفي النهار سبب نزول هذه الاية ما رواه الترمذي عن ابي اليسر
قال اتتني امراة تبتاع مني تمرا فقلت ان في البيت تمرا هو اطيب منه فدخلت
معي البيت فاهويت اليها فقبلتها فاتيت ابا بكر فذكرت ذلك له فقال
استر على نفسك وتب ولا تخبر احدا فلم اصبر فاتيت عمر فذكرت ذلك له فقال
استر على نفسك وتب ولا تخبر احدا فلم اصبر فاتيت رسول الله صلى الله عليه
وسلم فذكرت له فقال اخلفت غازيا في سبيل الله في اهله بمثل هذا حتى تمنى انه
لم يكن اسلم الا تلك الساعة حتى ظن انه من اهل النار قال واطرق رسول الله
صلى الله عليه وسلم طويلا حتى اوحى الله اليه اقم الصلاة طرفي النهار وزلفا
من الليل الى قوله ذكرى للذاكرين قال ابو اليسر فاتيته فقراها رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال اصحابه يا رسول الله الهذا خاصة ام للناس عامة
فقال بل للناس عامة قال الترمذي هذا حديث حسن غريب وقيس بن
الربيع ضعفه وكيع وغيره وابو اليسر هو كعب بن عمرو ق عن عبد الله بن مسعود
ان رجلا اصاب من امراة قبلة فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك
له فنزلت اقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل الاية فقال الرجل يا
رسول الله الي هذه قال لمن عمل بها من امتي وفي رواية فقال رجل من القوم
يا نبي الله هذا له خاصة قال بل للناس كافة عن معاذ بن جبل قال اتى النبي
صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ارايت رجلا لقي امراة ليس بينهما معرفة
فليس ياتي الرجل امراته شيا الا قد اتى اليها الا انه لم يجامعها فانزل الله عز
وجل واقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل ان الحسنات يذهبن
السيات ذلك ذكرى للذاكرين فامره النبي صلى الله عليه وسلم ان يتوضا
ويصلي قال معاذ فقلت يا رسول الله اهي له خاصة ام للمومنين عامة
قال بل للمومنين عامة اخرجه الترمذي وقال هذا الحديث ليس بمتصل عبد
الرحمن بن ابي ليلى لم يسمع من معاذ اما التفسير فقوله تعالى واقم الصلاة

طرفي النهار يعني صلاة الغداة والعشي قال مجاهد طرفا النهار يعني صلاة الصبح والظهر والعصر وزلفا من الليل يعني صلاة المغرب والعشا وقال مقاتل صلاة الصبح والظهر طرف وصلاة العصر والمغرب طرف وزلفا من الليل يعني صلاة العشا قال الحسن طرفا النهار الصبح والعصر وزلفا من الليل المغرب والعشا قال ابن عباس طرفا النهار والغداة والعشي يعني صلاة الصبح والمغرب قال الامام فخر الدين الرازي كثرت المذاهب في تفسير طرفي النهار والاقرب ان الصلاة التي في طرفي النهار هي الفجر والعصر وذلك لان احد طرفي النهار وهو طلوع الشمس والثاني هو غروبها فالاول هو صلاة الفجر والطرف الثاني لا يجوز ان يكون صلاة المغرب لانها داخلة تحت قوله وزلفا من الليل فوجب حمل الطرف الثاني على صلاة العصر وزلفا من الليل يعني وامر الصلاة في زلف من الليل وهي ساعة واحدتها زلفة واصل الزلفة المنزلة والمراد بها صلاة المغرب والعشا ان الحسنات يذهبن السيات يعني ان الصلاة الخمس يذهبن الخطيئات ويكفرن بها م عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة كفارات لما بينهن زاد في رواية ما لم يغش الكباير وزاد في رواية اخرى ورمضان الى رمضان مكفرات لما بينهن اذا اجتنب الكباير ق عن ابي هريرة انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ارايتم لو ان نهرا على باب احدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات ما تقولون ذلك يبقي من درنه فقالوا لا يبقي من درنه شيا قال فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بها الخطايا م عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل الصلوات الخمس كمثل نهر جار على باب احدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات قال الحسن وما يبقي من الدرن قال العلما الصغاير من الذنوب يكفرها الاعمال الصالحات مثل الصلوات الخمس والصدقة والذكر والاستغفار ونحو ذلك من اعمال البر واما الكباير من الذنوب فلا يكفرها الا التوبة النصوح ولها ثلاث شرايط الشرط الاول الاقلاع عن الذنب بالكلية الثاني الندم على فعله الثالث العزم التام ان لا يعود اليه في المستقبل فاذا حصلت هذه الشرايط صحة التوبة وكانت مقبولة ان شا الله وقال مجاهد في تفسير الحسنات قول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر والقول الاول اصح انها الصلوات الخمس وهو قول ابن مسعود وابن عباس وابن المسيب ومجاهد في احدى الروايتين عنه والقرظي والضحاك وجمهور المفسرين ذلك اشارة

الى ما تقدم

الى ما تقدم من ذكر الاستقامة والتوبة وقيل هو اشارة الى القران ذكرى للذاكرين يعني موعظة للمومنين المطيعين واصبر خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعني واصبر يا محمد على اذى قومك وما تلقه منهم وقيل معناه واصبر على الصلاة فان الله لا يضيع اجر المحسنين يعني اعمالهم وقال ابن عباس يعني المصلين قوله تعالى فلولا كان من القرون التي اهلكناهم من قبلكم يا امة محمد اولوا بقية يعني اولوا تمييز وطاعة وخير يقال فلان ذو بقية اذا كان فيه خير وقيل معناه اولوا بقية من خير يقال فلان على بقية من الخير اذا كان على خصلة محمودة ينهون عن الفساد في الارض يعني يقومون بالنهي عن الفساد في الارض والاية للتقريع والتوبيخ يعني لم يكن فيهم من فيه خير ينهى عن الفساد في الارض ولذلك اهلكناهم الا قليلا هذا استثنا منقطع معناه لكن قليلا ممن انجينا منهم يعني من امن من الامم الماضية وهم اتباع الانبيا كانوا ينهون عن الفساد في الارض واتبع الذين ظلموا ما اترفوا فيه يعني واتبع الذين ظلموا انفسهم بالكفر والمعاصي وما تنعموا فيه والترف والتنعم والمعنى انهم اتبعوا ما تعودوا به من النعم واثار اللذات على الاخرة ونعيمها وكانوا مجرمين يعني كافرين وما كان ربك يعني وما كان ربك يا محمد ليهلك القرى يعني لا يهلكهم بظلم منه واهلها مصلحون يعني في اعمالهم ولكن يهلكهم بكفرهم وركوبهم السيات وقيل في معنى الاية وما كان ربك ليهلك القرى بمجرد شركهم اذا كانوا مصلحين يعني يعامل بعضهم بعضا بالصلاح والسداد والمراد من الهلاك عذاب الاستيصال في الدنيا اما عذاب الاخرة فهو لازم لهم ولهذا قال بعض الفقها ان حقوق الله مبناها على المسامحة والمساهلة وحقوق العباد مبناها على الضيق والتشديد قوله عز وجل ولو شا الله لجعل الناس امة واحدة يعني كلهم على دين واحد وشريعة واحدة ولا يزالون مختلفين يعني اديان شتى ما بين يهودي ونصراني ومجوسي ومشرك ومسلم فكل اهل دين من هذه الاديان اختلفوا في دينهم ايضا اختلافا كثيرا لا ينضبط عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال افترق اليهود على احدى وسبعين فرقة او اثنين وسبعين والنصارى مثل ذلك وستفترق امتي على ثلاث وسبعين فرقة اخرجه ابو داود والترمذي بنحو منه عن معاوية قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الا ان من قبلكم من اهل الكتاب افترقوا على اثنين وسبعين ملة وان هذه الامة ستفترق على ثلاث وسبعين ثنتان وسبعين في النار وواحدة في الجنة وهي الجماعة اخرجه ابو داود قال الخطابي قوله صلى الله عليه وسلم ستفترق امتي فيه دلالة على ان هذه الفرق غير خارجة من الملة والدين اذ جعلهم من امته

وقال غيره المراد بهذه الفرق اهل البدع والاهوا الذين تفرقوا واختلفوا واظهروا
بعده كالخوارج والقدرية والمعتزلة والرافضة وغيرهم من اهل البدع والاهوا والمراد
بالواحدة هي فرقة السنة والجماعة الذين اتبعوا الرسول صلى الله عليه وسلم في اقواله
وافعاله وقوله تعالى الا من رحم ربك يعني لكن من رحم ربك ممن عليه بالهداية
والتوفيق الى الحق وهداه الى الدين القويم والصراط المستقيم فهم لا يختلفون ولذلك
خلقهم قال الحسن وعطا وللاختلاف خلقهم قال اشهب سالت مالك بن انس
عن هذه الاية فقال خلقهم ليكون فريق في الجنة وفريق في السعير وقال ابن
عباس ومجاهد وقتادة والضحاك وللرحمة خلقهم يعني الذين رحمهم وقال الفرا
خلق اهل الرحمة للرحمة وخلق اهل الاختلاف للاختلاف وقيل خلق الله عز وجل
اهل الرحمة ان لا يختلفوا وخلق اهل العذاب لان يختلفوا وخلق الجنة وخلق لها
اهلا وخلق النار وخلق لها اهلا فحاصل الاية ان الله خلق اهل الباطل
وجعلهم مختلفين وخلق اهل الحق وجعلهم متفقين فحكم على بعضهم بالاختلاف
ومصيرهم الى النار وخلق اهل الجنة ومصيرهم الى الجنة وهم اهل الاتفاق و
يدل صحة هذا القول سياق الاية وهو قوله تعالى وتمت كلمة ربك لاملئن جهنم
من الجنة والناس اجمعين وهذا صريح بان الله تعالى خلق اقواما للجنة والرحمة
فهداهم ووفقهم لاعمال اهل الجنة وخلق الضلالة والنار اقواما فخذلهم ومنعهم
من الهداية قوله تعالى وكلا نقص عليك من انبا الرسل ما نثبت به فوادك
لما ذكر الله عز وجل في هذه السورة الكريمة قصص الامم الماضية والقرون الخالية
وما جرالهم مع انبيايهم خاطب نبيه صلى الله عليه وسلم بقوله وكلا نقص عليك
يا محمد انبا الرسل يعني من اخبار الرسل وما جرالهم مع قومهم ما نثبت به فوادك
يعني ما نقوي به قلبك لتصبر على اذى قومك وتقاس بالرسل الذين خلوا
من قبلك وذلك لان النبي صلى الله عليه وسلم اذا سمع هذه القصص وعلم
ان حال جميع الانبيا مع اتباعهم هكذا سهل عليه تحمل الاذى من قومه وامكنه
الصبر عليه وجاءك يا محمد في هذه الحق اختلفوا في هذا الضمير الى ماذا يعود
فقيل معناه وجاءك في هذه الدنيا الحق وفيه بعد لانه لم يجر للدنيا ذكر حتى يعود
الضمير اليه وقيل هو في هذه الاية وقيل في هذه السورة وهو الاقرب وهو
قول الاكثرين فان قلت قد جاء الحق في سور القران فلم خص هذه السورة
بالذكر قلت لا يلزم من تخصيص هذه السورة بالذكر ان لا يكون قد جاءه
الحق في غيرها من السور بل القران كله حق وصدق وانما خصها بالذكر تشريفا
لها وموعظة وذكرى للمومنين اي وهذه السورة موعظة يتعظ بها المومنون
اذا تذكروا احوال الامم الماضية وما نزل بهم وقل للذين لا يومنون اعملوا

على مكانتكم

على مكانتكم فيه وعيد وتهديد يعني اعملوا على ما انتم عاملون فستعلمون
عاقبة ذلك العمل فهو كقوله اعملوا ما شئتم انا عاملون يعني ما امرنا به ربنا
وانتظروا يعني ما يعدكم به الشيطان انا منتظرون يعني ما يحل بكم من نقمة
الله وعذابه اما في الدنيا واما في الاخرة ولله غيب السموات والارض
يعني ما غاب عن العباد فيهما يعني ان علمه سبحانه وتعالى نافذ في جميع الاشيا
خفيها وجليها وحاضرها ومعدومها لا يخفى عليه شي في الارض ولا في السماء
واليه يرجع الامر كله يعني الى الله يرجع امر الخلق كلهم في الدنيا والاخرة
فاعبده اي من كان كذلك كان مستحقا للعبادة ولا غيره فاعبده ولا
تشتغل بعبادة غيره وتوكل عليه يعني وثق به في جميع امورك فانه يكفيك
وما ربك بغافل عما تعملون قال اهل التفسير هذا الخطاب للنبي صلى الله
عليه وسلم ولجميع الخلق مومنهم وكافرهم والمعنى انه تعالى
يحفظ على العباد اعمالهم لا يخفى عليه منها شي
ليجزي المحسن باحسانه والمسي باساته
قال كعب الاحبار خاتمة التورية
خاتمة سورة هود والله
اعلم بمراده واسرار
كتابه

التمر
ي و
من الكتب التي وقفها الفقير
لا ... ربه ذي المواهب
محمد المدعو بين الصدور
وقفي عبد ١٢٥٥